عوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

ثمن العدد درهم واحد

.رها وزارة عموم الأوقاف
كة المغربية - الرباط

كلمة العدد

وبعد ..

الــف الناس في شهر رمضان المعظم ان يقضوا ايامه الغر ، ولياليه الطهر ، في عبادة خاشعة ، وتجل صامت ، اذ تسمو الروح وتتعالى عن كل انواع الماديــات التي تتدلى في دركهــا النفس البشرية في باقــي ايــام السنــة .

كمــا يتلقى فيه المومن الصائم دروسا مختلفة في الرحمة والشفقة ، والصحة والاجتمــاع ، ومكارم الاخلاق ، اذ يصوم المسلم المومن فيظل على الطوى ، ويــذوق الــم الصدى ، ويشعر بما يعانيه اخوه الفقير من الم مرمض ، وجوع محــرق اليــم ، فيخفق قلبه ، ويجف لعابــه ويستشعر لباس التقوى ، ويستبطن حقيقة الدين .

لذلــك كان الصيام هو الوسيلة الكبرى منذ القدم لتاديب النفس ، وتهذيب الخلق ، وصفاء القلب ، وسمو الروح ؛ ومتى سمت الروح تحطمت الانانيــة ، وزال الطمع ، وتعارفت النفوس ، وتحابت القلوب على الاخاء المحض ، والقرابة الواشجة .

وشهر رمضان يذكي خمود العزم ، ويحرك ساكن الشوق ، الى المعرفة والعلم ، والحياة الفكرية والروحية التي تعتبر مناط التقدم عند الامم والشعــوب .

وهــو يمتــاز دون سائر الشهور بانبثاق الفكر المغربي الذي يخلق اجــواء يسبح المرء في اطباقها مع الملائكة . ففيه تنتظم حلقات الدروس العلمية والمحاضرات التثقيفية تقود كتائب الفكــر في ميادين الاصلاح على نهج واضح من الدين والخلق ، وتقــام في مختلف رحاب المعرفة والفنــون سواء في المستوى الحكومــي او على صعيد المنظمات الشعبية ، كمــا تنظم محاضرات ، وندوات وابهاء ادبية وفكــريــة خاصة ينعم فيها المواطنون في هذا الشهر باشباع الروح والفكر بغــذاء فكــري مستســاغ يرشــد الغــوي ، ويوجــه الحائــر .

وان ابــرز ما يمتاز به المغرب في هذا الميدان تلك الدروس الجامعــة التــي تلقى منذ القديم امام ملوك المغرب الامجاد ، والتي حرص حضرة صاحب الجلالــة نصره الله بحضوره فيها والذي يبسط عنايته ورعايته عليها اذ يقوم اجلة العلمــاء الذين يتبوأون مراكز التوجيه المرشد ، والتنبيه الموقظ والقيادة في الامــة ، بالقاء محاضرات تشهد بمــا للمغاربــة من لقانة الذهــن ، وقوة الحافظــة ، والقــدم الفارعــة في ضــروب المعــرفــة .

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثالث
السنة الثامنة
رمضان 1384
جانفي 1965

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنــة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فــأكثــر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفــون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

ذكرى الملك السلفي المصلح مولانا محمد الخامس نور الله ضريحه

للأستاذ
محمد الطنجي

يقول الله تعالى : « واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات » . ويقول الرسول عليه السلام : « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه » .

وبعد ؛ فاننا في وقت عبرة وذكرى لاب الشعب المغربي الذي اسدى لهذا الشعب خير معروف ، ذكرى بطل خالد ، واول مجاهد ، وزعيم رائد ، يعتبر في حركة التحرير الافريقية اعظم قائد ، هو المغفور له مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، الذي ضرب المثل بنفسه واسرته في سبيل تحرير المغرب لرعيته ، بل لسائر الدول المغلوبة على امرها ، فاخذته هذه الرعية وكثير من الدول الافريقية ، عدوة عظيمة لنيل الحرية ، وللخلاص من سيطرة الاستعمار الاجنبية ، فبرز لميدان التحرير ، ابطال الفداء والتدبير ، والامة المغربية تسير كلها من ورائهم بكل اعجاب وتقدير ، تشد ازرهم ، وتزود حركتهم وتبارك اعمالهم حتى توحدت الصفوف حول الاهداف الوطنية، وادركت الامة بفضل قيادة رائدها العظيم اعز امنية ، هي نعمة الاستقلال ، وتحطيم قيود العبودية والاذلال، وحق لامة يقودها محمد الخامس ان تسعد بمساعيه وتحقق كل امانيه .

ومن الحق والانصاف ان توفيه هذه الامة ما يستحقه من تقدير ووفاء ، وتمجيد وثناء ، باقامة الذكريات ، وتلقين سيرته الكريمة لعموم الناشئين والناشئات ، لا في خصوص المدارس ، ولكن في المدارس والاندية والمجالس ، حتى تعتاد الامة باسرها سماع المبادىء والمثل التي كان يسعى عظيمها محمد الخامس من اجلها ، وفي هذه الذكرى نفسها تمجيد لمجيع شهداء الاستقلال الابرار ، وترحم عليهم وهم عند ربهم في دار القرار ، فاللهم تفمد الجميع برحمتك، واسكنهم فسيح جنانك ، مع الذين انعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا .

فما كان هذا الشعب الابي وخصوصا ابطاله المغاوير ، الا عضدا وسواعد لفقيدنا المجاهد ، فالقائد بجنده ، والعرش بشعبه ، والرائد بأهله ، وقائد الحركة لابد ان يعد ابطاله لخوض المعركة ، فماذا اعد محمد الخامس الذي نحتفل بذكراه لتحرير المغرب ؟ ان نواحي العظمة متعددة في بطل التحرير ، يحتاج استيعابها بالدراسة والتحبير ، الى اوقات وتفكير ، غير هذا الوقت القصير ، ولكني سأتناول نواة ففط لهذه الحركة المباركة ، تلك النواة هي توعية الشعب وتفهيمه دروسا في تقويم عقيدته ، وتعليم ناشئته ، فقد ادرك محمد الخامس قدس الله روحه ان القيم الخلقية والعلمية هما المقومتان والحافظتان لكيان الامة ، لاسيما امة كونتها العقيدة الاسلامية الطاهرة ، وادركت عزها التاريخي والحضاري في ظل هذه العقيدة ، والشريعة الاسلامية العملية التي تغلغلت في اعماق هذا الشعب منذ ثلاثة عشر قرنا .

وقد حرص صاحب الجلالة على ان يكون الضريح الحسني الذي تلقى فيه هذه الدروس نقطة التقاء العلماء من مختلف الجهات ، ثم اشعاع فكري وعلمي ناضج تغشى جلالته العيون ، وتملأ قداسته الصدور ، وتشع انواره الهادية في قلوب المومنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون .

وانها لسنة حميدة يسير عليها المغرب منذ القديم اذ يربط الماضي المجيد بالحاضر الملح ، كما يرسم مخططات اصلاحية تتطلب تضافر الجهود ، واتحاد القوى ، وتنسيق العمل في نطاق الهدي الاسلامي الذي فيه الكفاية والرضى لبناء مجتمع اسلامي قوي متماسك ، شديد الاسر ، عارم القوة .

وهكذا تصبح الثقافة الاسلامية الصحيحة في هذا الشهر المبارك الاغر مشاعة بين الجميع ليست محتكرة لطائفة دون اخرى ، يزود الفرد قلبه من مذخور الخير بما يقويه على احتمال الفتن والمحن في دنيا الناس ، كما يقاوم تلك المبادىء الضالة التي اخذت تقرع ابوابنا من وراء البحار وخلف السهوب ، وتستهوي بعض النفوس المريضة بمبادئها المضللة الخادعة .

كما ان الدولة ترصد الاهب وتجند كل قواها لتحضير برامج هامة ، ثقافية وفنية ، عن طريق الاذاعة أو التلفزة التي هي عبارة عن مدرسة شعبية كبرى يتحلق حولها النظارة في شوف غالب ، ليقضوا ساعات عامرة بما فيه شهوات السمع والبصر والفكر .

ولا يكاد شهر رمضان الكريم يلفظ انفاسه الاخيرة ، حتى تطوى الصحف ، وتجف الاقلام ، ويعود الناس الى قواعدهم المادية الصاخبة ، فتنقضي تلك الدروس المثقفة المهذبة التي كانت نورا للقلب ، وجلاء للمشاعر ، وتنطفىء تلك الاشعاعات الذهنية والفكرية تحت عتمة المادة القاسية ، و :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ، ولم يسمر بمكة سامر

وبعد ،

فكم نتمنى لهذه الحركة الفكرية والعلمية والادبية التي زخر بها شهر رمضان المعظم ، ان يكون لها امتداد في جميع ايام السنة ، وان تستمر بتشجيع المسئولين المحترمين الذين يملكون من القدرة والامكانيات لتثقيف الشعب بما يغذيه ويهديه ويعاونه ثم يخلق منه انسانا متخلقا حرا ، لا متفسخا ولا مائعا .

وعلى المسؤولين المحترمين الذين يشرفون على اجهزة الاعلام ان يستغلوا اقبال الشعب على الثقافة ، وتهافته على العلم الصحيح والمعرفة الهادفة ، وان يحققوا ما نيط بهم من رجاء ، وما القي عليهم من عبء .

فقد لاحظوا في هذا الشهر تتبعه للمناهج القويمة ، والبرامج الناجعة التي استوحوها من ظلال تلك الايام والتي كانت نتائج تخطيط منظم نرجو مخلصين ان يستمر في اداء رسالته حتى يخرج مواطنين ، جمعوا بين متناقضين لخصهما المولى في قوله تعالى يصف المومنين :

((اشداء على الكفار رحماء بينهم)) .

دعوة الحق

وقصائد الحماس مما يزيد يقظته ويقوي رغبتـــه في تحقيق المطامح الوطنية العليا ، وتبلـورت الحركـــة بصفة جدية وعرف الملك ان وراءه شعبا واعيا جـادا في انتزاع حقه مهما كان الثمن ، فتصلب في مواقفه ومطالبه الاستقلالية تسنده الحركة السياسية بمطالبها في عدة مراحل ، وحركة العمال الموحدة اذ ذاك فـــي الخارج والداخل الجادة في تحقيق الاهداف العليـــا للوطن ، فضاقت الحماية ذرعا في هذا المجال ، وسولت لها نفسها الامارة بالسوء ان الدواء الناجـــع لكبت الاحرار وضمان الاستقرار في هذه الديـــار ، هـــو انتزاع اسدهم من وسط عرينه فجند رجال الحمايـــة صنائعهم واذنابهم ، واغروا ذئابهم وكلابهم ، فحشدوا كتائب الزور واتخذوا الدجاجلة مطايا لكل غـــرور ، حتى وقعت الواقعة وتحمل عظيم المغرب مرارة الابعاد والمنفى في سبيل مجد امته ففضب الشعب الوفـــي لامتهان كرامته وثار مطالبا بحقه وارجـــاع صاحب امامته ، واستمر الكفاح المرير حتى عاد قائـــد الامـــة العظيم واسرته الكريمة محفوفا بالنصـــر والتهليـــل والتكبير بفضل ابطال الفداء المغاوير فاشرق فجـــر الحرية ونال المغاربة بفضل تعاون الملك والشعب اعـــز امنيـــة ، وكـــان اصـــلاح العقيدة وتربية الناشئة على حب الوطن وامامه من اهم العوامـــل في السعـــي للحصول على هذا المطلـــوب .

وكـــل المغاربة يعلمون ان الاستقـــلال اخـــذ يستكمل فصوله بواسطة المفاوضات حتى تحقق الكثير منها ، وكما ان صروح عهد الاستقلال الجديد اخذت تشيد طبق الامكانيات والوسائل المحدودة ، وفي هذه الاثناء اختار الله لجواره ملكا ادى مهمته في حيـــاة شعبه احسن اداء تاركا في هـــذا الشعب وارث سره خير خلف لخير سلف نابغ من نبغاء البيت العلـــوي العريق في المجد هو جلالة الملك امير المومنين وحامي حمى الوطن والدين ، مولانا الحسن الثاني الذي وجدت فيه الامة المغربية عزاءها الوحيد على فقيدها العظيـــم وفقيد الاسلام والعـــروبة مولانا محمـــد الخامس حفظ الله هذا الخلف الصالح ووفقه لعمل كل خيـــر ، واعاد به للاسلام والعروبة عزهما التالد وحقق فى عهده كل اماني شعبه ، انه جلت قدرته على كل شيء قدير .

الرباط : محمد الطنجي

« الايـــام مثـــل المزرعـــة »

قـــال ابن الجوزي : « الزمـــان أشرف من أن نضيع منه لحظـــة ، وهذه الايام ، مثل المزرعـــة ؛ فكأنـــه قيل للانسان كلمـــا بذرت حبـــة اخـــرجنـــا لـــك الـــف كـــر . فهـــل يجـــوز للعاقـــل ان يتـــوقـــف فـــي البـــذر ، ويتـــوانـــى ؟ . »

اما تقويم العقيدة فقد توزعت انواع من البدع المحدثة في الدين ميول هذه الامة ، وتبنت توجيهها مع الزمن طرق من المتصوفة ، بعضها سليم ، وبعضها الصق به من الذيول والخرافات ما جعل العقلاء يانفون من نسبة اعمالهم الضالة الى الاسلام ، فاعلنها مولانا محمد الخامس سلفية محضة ، تعيد للاسلام نقاوته ، وللمغاربة رشدهم في سبيل دعوة الحق ، وترك كل ما احدث في الدين ، حيث اتبع ما سلكه اسلافه المقدسون مولاي محمد بن عبد الله ومولاي سليمان ومن سلك سبيلهم ، وكان بجانب جلالته دعاة مصلحون ، امثال المرحوم العلامة الداعية محمد بن العربي العلوي ، والمرحوم العلامة المدني بن الحسني ، والفقيه الجليل الحاج محمد غازي حفظه الله وغيرهم الذين كانوا خير موجهين لنخبة شباب الامة الى الصراط المستقيم ، وانقذوا بهذه الدعوة السلفية طائفة هامة من الزيغ الخرافي باسم الدين ، ومن الانحراف والالحاد فيه ، فنشرت هذه النخبة المبادىء الاسلامية على وجهها ، سواء في المجلات والصحف او في المحاضرات الاذاعية والدروس والخطب الدينية بالمساجد ، حتى تماسكت الحال ، واختطت السلفية طريقها في المغرب بين الطرق الاخرى وعرف الجمهور معنى هذه الخطة الرشيدة ؛ التي رفضت الجمود الذي خيم على هذا المجتمع ، وبينت ما الصق بالدين من الخرافات والبدع ، وحفظت كثيرا من الضعقول من الجحود ، حيث ادرك اصحابها ان الاسلام في اصله ينبوع صاف وشريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان، تكونت في ظلها حضارات ودول ، وترعرعت فيها علوم وفلسفات كانت ولا زالت احدى الحلقات العظيمة في سلسلة التاريخ العلمي والحضاري في حياة البشرية جمعاء .

واما قضية تعليم الناشئة فقد وجه مولانا محمد الخامس تغمده الله برحمته ، عناية كبرى لهذه الناحية ، فعمل جهده مع الادارة الحامية في الابقاء على التعليم الديني الذي كانت تريد القضاء المبرم عليه وكذلك في تقوية التعليم العصري فتحسنت الوضعية نوعا ما ، كما وجه رحمه الله نفسه لتشجيع التعليم الحر ماديا ومعنويا مع التنويه بالمساعدين له البانين لمدارسه والقائمين على تربية الطلاب فيه من الاساتذة تشجيعا بالغ فيه حتى ذكرهم في خطب العرش السنوية مع الذهاب بنفسه من غير ميعاد سابق لتفقد بعض المدارس في مختلف الجهات حتى عرفت هذه العناية في جلالته وصارت المدارس تسعى بكل جهد لتحسين وضعيتها العلمية والمظهرية حتى يجدها مولانا اذا تفضل بزيارتها على احسن الاحوال فتنال رضاه الابوي الذي هو من اعز اماني القائمين عليها ، وقد ضرب مولانا المثل بتعليم ابنائه تعليما عصريا ذا مشرب ديني عربي حتى كان يحضر بنفسه في بعض الاوقات دروس الاساتذة المعلمين لابنائه في المدرسة الخاصة ، وناهيك من كفاءة هذه التربية لتثقيف ابناء البيت المالك تلك الثقافة العالية .

فماذا كانت نتيجة تقويم اعوجاج العقيدة وتعليم الناشئة ؟ كانت النتيجة ان استرد الشعب حماسه وحيويته ، وقوى ايمانه بنفسه وحقه في الحياة الكريمة بعد ان كان كيد الاستعمار مزق اوصاله ، وقتل آماله ، فنظم الاساتذة الدينيون والعصريون الاناشيد الاصلاحية والوطنية ، واتخذت مهرجانات عيد العرش صبغة شعبية ودينية هائلة حافلة بذكر امجاد المغرب ينظر اليها علماء الدين نظرهم للامامة الاسلامية التي يرجع اليها امر الحفاظ على الدين ومصالح الدنيا حسبما يعتقدون ويبتون ذلك في تعليم العقيدة الاسلامية للمسلمين من وجوب نصب امام تتوفر فيه شروط الامامة ويلتف حوله المسلمون حسب تقاليد الخلافة منذ الصدر الاول للاسلام وان تعددت فيما بعد ذلك فاستقل كل امام بقطر من اقطار المسلمين .

وينظر اليها المثقفون ثقافة عصرية حتى بعض المنحرفين نظرهم لرمز وحدة الامة الذي تتحد حوله الصفوف ويرون ذلك من الشروط الاساسية لتحقيق الغايات الوطنية العليا ، مما اضطر رجال الحماية الى الاعتراف رسميا بعيد العرش المغربي رغم معرفتهم بخطورة هذا المهرجان الوطني الشعبي الديني والسياسي ومحاولتهم المتكررة لصد تياره ودرء اخطاره او حصره على الاقل في دائرة محدودة ، فصار عيد العرش ومآثر الجالس عليه موسما شعبيا قوميا وسوقا ادبية تبارت فيه افكار الكتاب ، وتفتحت قرائح الشعراء ، وفي طليعة المهتمين صاحب الجلالة مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، فكان لخطاب العرش السنوي دور هام وصدى بعيد المدى في جميع الاوساط ببيان المنجزات التي تحققت داخل السنة ، ومحاولة لابراز الخطوط الكبرى لسياسة هادفة وبرنامج محدد لسنة المقبلة ، وصار للشعب ذوق مرهف يتتبع به خطاب الملك وافكار الكتاب

ومتبصرا فيما حوله ، فيكتفي بتلقف ملخصات الصحف او ما يسمعه من ثرثاري السياسة او يقرأه في كتب (الصاندويتش) فهل ينبغي لنا ان نقف مكتوفي الايدي ازاء هذه الحتمية الموهومة من حتميات العصر الحاضر .

كلا ، ان مصلحتنا كاناس قبل كل شيء ، تفرض علينا ان نتجه الى بذل مجهود للتحرر من عالم القيود الحديثة ، الى ميدان الثقافة العلمية التي تجعلنا نبحث عن طريق التجربة الخارجية والداخلية على السواء .

لقد اصبحت قوة الفرد مكبوتة في عالم كل ما تملكه فيه ان تكون جزءا من جمعية او من حزب او من طائفة معينة ، يجب علينا ان نمتثل ما يصدر الينا منها وما يفكر به مجموعها .

ولقد صدق الذين قالوا ان الديموقراطية عدوة الرأي العام، لان هذا الرأي يعتمد في الواقع على الشهرة والاشاعة ، ويضيع في ذلك روح الاقتناع التي لن تكون الا نتيجة البحث والنظر ، اي تجربة العقل والعلم .

ولقد ادرك ماركس الحقيقة حينما قال : لا ثورة بدون نظرية ، واذا اردنا ان نترجم هذه الجملة الى لغة عادية يمكن ان نقول : انه لا حركة بدون عقيدة .

وهذه حقيقة يمكن ان تجليها لنا التواريخ في سيرها ، فما من دين او مذهب ، ما من ثورة او انطلاقة مهمة الا وكان مصدرها التطور السياسي في فكر القائمين بها او الداعين اليها اي عقيدة آمن بها اولئك الثائرون وكانوا من حوارييها .

ويكفي ان ناخذ من ذلك مثلا ، ثورة الرسول محمد (ص) التي بدلت وجه التاريخ وحررت العوالم من عبودية عقلية واجتماعية مزمنة ، وسمت بالانسان الى درجات علية ، هل كانت الا ثمرة وحي تنزل على قلب محمد الامين ، فآمن به وصدقه قبل ان يتقدم ليدعو الناس اليه ويصدقوه ؟

فما ذا كانت نتيجة هذه العقيدة التي جاء بها محمد والتي آمن بها هو فارسلته يهدي الناس ويحررهم ؟ .

لست بحاجة لان اطنب في نتائج هذه الدعوة ، فالاسلام المنتشر في القارات الدنيوية من آثارها ، والحضارة الاسلامية من ثمارها ، والمعرفة الاسلامية كذلك من منبعها .

ولكن ما ذا كان اثر هذه العقيدة على المجتمع الذي اعتنقها؟

لقد رأينا العرب الذين كانوا يقودون الشاء والبعير ، ويتقاتلون على النقير والقطمير ويئدون البنات خوفا من العار ، ويعبدون الحجارة والصور ، ويخضعون لارستوقراطية تجارية تعيش من النخاسة ومن الربا ، وارقاهم لا يتعدى حدود التبعية لكسرى او لقيصر ، هؤلاء العرب تحولوا نهائيا من حالتهم ، بعد العقيدة الاسلامية ، فاصبحوا سادة الدنيا ، وهداة الارض . حرروا انفسهم من الاصنام ، ونساءهم من الوأد ، وامتهم من الطغيان ، وانسابوا في الارض يهدون الشعوب ويعلمون الامم ، ويبنون الحضارات ، وينظمون المعرفة .

ان الذين ينشرون الحيرة في اوساطنا اليوم ، بهجرتهم الى عالم السياسة يغفلون عن التذكير بتراثنا العقائدي، ويكتفون بالتوجه نحو العالم الجديد الذي يتقدم خطى فسيحة الى الامام باسم الديموقراطية الراسمالية او الاشتراكية العلمية .

اننا لا نجهل الجهود التي بذلتها شعوب اوربا وامريكا من جهة ، وروسيا والصين من جهة اخرى . واذا كان في ذلك من علم نستفيده فهو ان بين الراسمالية والشيوعية ما بين متعارضين متناقضين ، ومع ذلك فان هذه الشعوب سارت من طرق مختلفة لغاية واحدة ، نتيجة لشيء مهما اختلف فهو متحد وهو الايمان بالقيم التي توجه كل طائفة والاعتقاد في المنهج الذي وضعوه لانفسهم .

فاوربا الغربية وجدت في القومية عقيدتها التي ساقتها الى التحرر من سيطرة الاكليروس وبنت ديموقراطية فردية تقوم على وحدة الامة وتضامنها في حقوقها وواجباتها .

وامريكا وجدت كذلك في عقيدة التحرر من السيطرة الاجنبية ، وحق الشعب في مراقبة نفقات الدولة ، ما حررها من سيطرة الانكليز وما دفعها لبناء مجتمع رأسمالي ولكنه متحضر وقوي .

وروسيا وجدت في عقيدة الاشتراكية العلمية ما حررها من سيطرة القياصرة ودفعها الى بناء مجتمع قائم على الشغل والتضامن في البناء .

اما الصين التي ظلت زمنا طويلا تحت عبء الفيودالية وسيطرة البراطرة حتى كادت ان تقع طعمة سائغة في فم الذين ارادوا تقسيمها من مستعمري الشرق والغرب ، فقد هبت من نومتها واعتقدت في الاشتراكية العلمية كما فهمتها هي، فانطلقت تبني نفسها ، وتضع ما عجز تاريخها كله عن فعله ، اي توحيد الامة الصينية في اتجاه واحد مبني على عقيدة واحدة .

ان هذه الشعوب كلها انبثقت من حضارات عظيمة لا يمكن انكار ما صنعته في التاريخ ، ومن ديانات او فلسفات لا يمكن تجاهل آثارها في رفع مستواها في التاريخ ، واخراجها من الطور البدائي الى عهد ارقى بما فيه من مادة ومن روح .

أثر العقيدة في المجتمع

للأستاذ : علال الفاسي

يعيش عالم اليوم في حيرة كبرى ، تتفق في ذلك شعوب الحضارة والتقدم والشعوب التي ما تزال تنشد طريقها ، ومع انهم جميعا يشعرون بهذه الحيرة ويشتكون منها فانهم لا يحاولون ابدا اتخاذ السبل اللائقة لتجلية اسبابها والبحث عنها بل انهم يخلطون المظاهر بالاسباب ، والعواقب التي تنتج عنها بما يكونها .

وهنا في المغرب حينما تلتقي باي فرد من المواطنين يواجهك بشتى الشكايات من الحالة التي يعيش عليها هو وزملاؤه ، ومن الوضع العام في البلاد ، والمصائب الدينية والدنيوية التي تتوالى عليها ، فاذا سألته هل فكر قليلا في مصادر هذه المصائب ووسائل علاجها ، وجدته حائرا مضطربا ، يذكر لك عواقب الداء وكانه اسباب ، ويبحث في غير المجتمع الذي يشتكي من حيرته عن العلاج الذي ربما كان داء هو الآخر او عواقب داء في مجتمع آخر لا يقل حيرة عن بلادنا .

والقادة الذين ينتظر منهم ان ياخذوا بيد الامة ويسيروا بها في سبيل البحث عن الحقيقة ، وتعليمها طرق التفكير التي توصلها الى اكتشاف جرثومة الداء حتى تستطيع ان تبحث لها عن العلاج النافع ، هؤلاء القادة يفرون من الواقع الى السياسة، الى الاشتغال باساليب من شانها ان تضاعف المصيبة وتزيد في حيرة الشعب ، وفي تشككه في كل الذين يثق بهم او يرجو من اتباعهم خلاصا .

فما هي اذن الاسباب التي دفعت الجميع الى هذه الحيرة ؟
وما هي الوسائل المخرجة منها ؟

ربما كان في مستطاعي ان ارضيكم بالجواب السريع ، فاردد ما يقال عادة في مثل هذا المقام ، اي يجب ان نثور على الواقع ، وان نتحرك لتغيير ما بنا .

ولكنني لن ازيد على اتباع خطة اولئك الذين يفرون من الحقيقة مهاجرين الى عالم السياسة ، وتوجيه الجمهور لتاييدهم من اجل تغيير حكومة باخرى او نظام بآخر .

انني حينذاك ساكون من الذين يعملون على تغليط السائرين في اول نقطة لبداية المسير ، والذين يبدأون السير من نقطة الغلط سيصلون مخطئين للطريق ولا يمكن ان يصلوا الى شاطيء السلامة الذي ينشدونه .

فقبل ان نرفع قدمنا يجب ان نرى الموقع الذي سنطأه ، والى اين نريد ان نسير .

وهذه الغاية التي نضعها امامنا هل يمكن ان تكون اساس الفكر ام نتيجته ؟ لا شك ان الغاية انما هي نهاية يضعها المرء او المجتمع للخطوات التي يريد ان يخطوها ؟ ولكن الباحث الذي يحرك لنشدان تلك الغاية هو الذي يجب ان يكون اساس نظرته البعيدة وتفكيره في تحقيقها .

فالغاية نتيجة النجاح للعمل الذي نبذله .

والعمل ليس الا ثمرة للفكرة التي نتصورها .

والفكرة لا تصبح باعثا دافعا للعمل الا اذا اصبحت موضع اقتناع منا ويقين في قيمتها ، اي الا اذا اصبحت عقيدة لنا .

فالعمل اذن لا يتصور مجديا ومؤديا للغاية الا اذا كان ناتجا عن عقيدة راسخة في النفس ، نحس بها الى درجة انكشاف الطريق التي نحذونا للسير فيه والغاية التي تريد منا الوصول اليها .

وهكذا تمتزج في الواقع العقيدة بالغاية وتصبحان شيئا واحدا لا يتميزان في الذهن الا بما يتخللهما من العمل الذي لا بد منه لجمع الزمان في يوم الاتحاد الكامل بينهما .

ولكن العقيدة هي قبل كل شيء تجربة شخصية لكل فرد .

ومن العبث ان نحاول فصل الالهام الذاتي عن النظرية التي تصبح جزءا لا يتجزأ من الشخص .

واذا كانت مظاهر الحضارة التي يعيشها الانسان اليوم لا تترك له المجال لكي يخلو الى قلبه ويفكر مستلهما رؤاه ،

نعود الى المجتمعات الغربية والشرقيه التي جلينا سبيلها ، وصلت اوربا وامريكا ، وها هي ذي الصين في طريقهما اعلى درجة في الحضارة ، الى اعلى مقام في العلم ، وفي ير الكون والطبيعة لها ، والى حياة احسن ولا سيما من جهة دة ، ولكن هل يمكن لاحد ان يؤكد سلامة هذه المجتمعات قية على اختلاف مناهجها وعقائدها ، رأسمالية او اشتراكية تناقضات المجتمعات المنحلة السابقة ؟ لقد اصبح الاستبداد ة الحكم في هذه الديار حتى التي تسمي نفسها بالديموقراطيات، د اصبح اصدق وصف يمكن ان يقال لهذه الامم انها حكومات يسية ، ولا غرابة لان الرفاهية المادية والنمو الاقتصادي لم كبا في الوقت نفسه الايمان بعقيدة ترتفع الى اعلى لتبتصر اقع من غير حجاب .

وسنكون جامدين ، اذا غضضنا الطرف عن هذه الحقائق ي لا يكتم احد من ابناء هذه الدول وقوعها ، والجحود لا اعدنا على تحقيق مفاهم الاوضاع التي نريد مواجهتها .

لن يصل بنا حب النهوض وادراك المكانة التي بلغتها ول الاوربية الى كبث تفتحنا العقلي الذي لا يمكن ان يتم مجرد التجديد في التقليد او اتباع اساليب الغرب دون ان نسمح نفسنا بمقارنتها بما نحب ان نكونه لو عرفنا تراثنا الثقافي الحضاري ، وامكن لعقيدتنا الاسلامية ان تؤثر في مجتمعنا ثرها الذي يقلب الاوضاع ويصير الحديد ذهبا .

لن نحب ان نقع في الاغلاط التي وقع فيها اسلافنا يوم تصلوا بالفلسفة اليونانية فحسبوا انها حقائق يمكن ان تسند عقيدتهم ولكنها شغلتهم عن تفهم الحقائق القرآنية ، ولقد صدق قبال حين قال: «ان دراسة عميقة للقرآن ولمختلف المدارس الكلامية الناشئة تحت تأثير التعاليم الاغريقية ، تكشف لنا عن شيء غريب وهو ان الفلسفة اليونانية وسعت الى حد كبير آفاق نظرة المفكرين المسلمين ، ولكنها جعلت فهمهم للقرآن مبهما . فسقراط قصر اهتمامه على عالم الانسان ، لانه يعتقد ان احسن دراسة تليق بالانسان هي المتعلقة بالانسان ، ولا يريد ان يهتم بعالم النبات والحشرات والنجوم ، ولكن القرآن ينبهنا الى عوالم كثيرة ، كالنحلة التي تتلقى من وحي الله ، والرياح المسخرات بامره ، والنجوم والكواكب التي تسبح في عالم لا نهائي . وافلاطون يرى ان الحواس لا قيمة لها ، وان العبرة انما هي بالفكر ، ولكن القرآن يرى ان العين والسمع لهما قيمة كبرى ويجب ان يسخرا للعمل في سبيل الخير لانهما سيحاسبان على ما انتجها لرؤيته او سماعه .

لقد ضيع الطلبة المسلمون كل هذا في دراستهم الاولى ، مكتفين بمناقشة المنطق الصوري اليوناني . »

وحقا ان هذه الملاحظة من اقبال ، ترشدنا لنرى اليوم ماذا نضيع بعدم دراستنا للقرآن وعوالمه التي يرشد اليها ، حينما نكتفي بتحليل ديكارت او تجميع ماركس او هجرة سارتر الوجودية .

لقد احتفظ اسلافنا بالعقيدة واسندوها بدراسة الانسان فحسب ، ولكننا نحن نضيع الانسان ونضيع العقيدة ، لاننا نتهافت على تبني آراء وعقائد لا يتاح لنا الوقت حتى لتحليلها او ربما حتى الى فهمها على الوجه المطلوب .

ان القرآن يفتح لنا آفاق النظر والوعي بالاتصال الموالي بالاله وبالكون ومن هنا نستوحي مرة اخرى عقيدتنا التي تدفعنا الى العمل البناء المثمر في غير تفريق بين المادة والروح.

ولكننا نجد انفسنا امام عوالم متراكمة من التاويلات المختلفة وحتى من الخرافات احيانا ، لان عصورنا المظلمة قد ضيعت اكثر من الحقائق وبلبلت في معرفتنا كثيرا من المفاهيم ، وازاء الكسل العقلي الذي يهمنا في هذا الوقت ، نرفض التعمق والدرس وننتقل الى كتابات جديدة اوضح واقرب لترضية كبريائنا الذي يابى الاعتراف بعدم الفهم او القدرة على تعمق الاشياء ، وهكذا عوضا عن دراسة تراثنا الذي نضطر احيانا للقيام بحفريات عنه ، نكتفي بدراسة ما يكتبه آخر المشهورين في الغرب لنقنع انفسنا اننا اصبحنا من التاثرين الذين يقفزون بسرعة الى آخر طراز الفكر والادب .

هل يكفينا هذا النوع من المعرفة السريعة ؟ وهل يرفعنا هذا التشبه بالغرب الناهض لمستواه ؟ .

اني اشك في ذلك ، واعتقد انه لن يؤدي بنا الا الى تضييع عصور كثيرة في التقاط فتات الموائد الاجنبية ، والمساهمة في خدمة الفكر الغربي الذي لن يكون فكرنا ولن يعترف لنا بمقام الصدارة فيه .

هنالك فرق بين ان ناخذ من الغرب كل ما نستطيع من علم وحكمة وتقنية لندعم بها تراثنا وعقيدتنا مع الاحتفاظ بثقافتنا الخاصة وعقيدتنا التي هي كياننا وبين ان نكفر بانفسنا ونحاول التحول الى غربيين ولن نستطيع .

لو كان في الاسلام ما يمنعنا من النهوض او يحول بيننا وبين المعرفة ، او يعرقل تقدمنا لتحقيق عدالة اجتماعية ، ينقطع فيها استغلال الانسان لاخيه الانسان ، ويتم بها اتاحة الفرص للجميع ، لو كان شيء من ذلك موجودا في الاسلام لكان لنا عذر في البحث عن علاجات من غير صيدليته . اما وهو يفتح لنا كل الافاق الموجودة عند غيره والتي لا توجد الا عنده ، فكيف نسمح لانفسنا بعدم فهمه والاستجابة لندائه ؟

ابرز ما يجب ان يعدنا عن التيارات المعاصرة ، انها اذا اعتنت بالروح اهملت المادة . واذا اعتنت بالمادة اهملت الروح ،

ولكن ظروف التطور التي طرأت عليها في مختلف عصورها جعلت طائفة منها وهي دول اوربا الغربية والشرقية تدخل في تجربة خطيرة هي رباط الجامعة البابوية او الارثوذكسية ، فاصبحت بحكم طبيعة الاشياء ، مستعبدة لتحكم اكليروسي وفيودالية مستندة عليه ، وطبعا فان ذلك استوجب جمودا فكريا في وسط المستعبدين من ذلك النظام من قسس ورهبان وحكام واشراف ، فتبلورت فكرة التمرد على هذه الاوضاع السيئة في فكرة القومية ، التي تعني توحيد الوطن وتحريره من الخضوع لسلطة الكنيسة العليا ، وتبعا لذلك الى حركة الاصلاح الديني التي رمت الى الرجوع لمصدر الديانة ، في بريطانيا والمانيا والتمرد على الكنيسة مع الاحتفاظ بالمسيحية التقليدية كما هي ، وتبعا لذلك الى فصل السلطتين الدينية والدنيوية عن بعضهما كما وقع في فرنسا ٠

ولست بحاجة لان اسجل ظروف الصراع الذي قام من اجل تحقيق هذه الاهداف بين رجال الكنيسة والفيودالية من جهة وبين الشعب والقادة من جهة اخرى ، لان ذلك ما هو معروف للجميع ، لانه التاريخ الذي يعلم في مدارسنا قبل تاريخنا ٠

وهذا الصراع ضد الكنيسة هو الذي تحول في الاسلوب الماركسي الى صراع ضد الدين من حيث هو ، وهو الذي تبنته روسيا في سبيل تحرير الشعب الروسي من سيطرة القياصرة وآباء الكنيسة الارثودوكسية الجامدة ٠

اما في الصين فالجمود الذي صاحب الفهماء الصينيين طيلة تاريخهم والناتج عن صوفية انسانية اختلطت بها حكمة كونفشيوس مع فدادية بوذا اوقع في الشعب خمودا استغلته طبقة ذكية تمالات على امتلاك الارض واستعباد الفلاحين فكانت عقيدة العدالة الاجتماعية التي اقرها الدكتور سن ، والتي انبثقت تلقائيا من رد الفعل المتعقل عنده ضد الفيودالية الصينية ، خميرة الاشتراكية العلمية التي علمت الثورة الصينية الاخيرة ، وهكذا كان بالنسبة للصين ، كما ركس بالنسبة للاشتراكيين الاوربيين ، واصبح « ماوتشي تونغ » بمثابة لينين عند الروس٠

فالعبرة اذن هي في ان الجمود وعدم الحركة يقتلان العقيدة ويجعلانها تبرز في صورة اخرى ، كعقيدة مستجدة لرسل جدد ٠

اما الاسلام كحركة ثقافية فهو يرفض مبدئيا كل رأي جامد للكون ويومن بروءية حركية (ديناميكية) فعقيدته ليست مجرد روءيا شعرية تقف امام غوامض الكون موقف الشاعر الذي يبحث في عاطفته عن الجانب السحري الذي يغرقه في احدية مع المرائي دون ان يفكر في مصيره او مصير الكون الذي يريد ان يستمد منه ، وليست مجرد فلسفة تتسم بطابع الفرد الذي يتفلسف بها وقد يسبح ممتطيا صهوتها في عماء لا يتميز فيه السلب من الايجاب ؟ ولكنها تنقل نفسها من اطار الفرد الى اطار الجماعة لانها تخرق حدود الفرد وتوسع ميدان مطالبه ، وتضعه امام مرآة يبتصر بها الواقع نفسه ، وهي لذلك تضفي على المعتقد لها المطبق لاوامرها قوة تقتلع بها جذور اخلاقه واخلاق مجتمعه لتضع مكانها ما توءثره هي من اخلاق ومن صفات ٠

ليست العقيدة الاسلامية انعكاسا لاحوال المجتمع ، ولكنها حركية لتغيير المجتمع وكل مجتمع ليس على صورتها ليصطبغ بالصبغة التي تعكسها العقيدة عليه فهي حينما اعلنها الرسول ، في الوسط العربي المتسم بسمة الجاهلية العربية لم تنتظر من ذلك الشعب الصحراوي الساذج البعيد عن مظاهر الحضارة الراقية وعروق الثقافة الانسانية ، ان يتطور تدريجيا ليصل الى الدرجة التي يمكنه ان يتمتع بالحقوق الذي اعطته او يقوم بالواجبات التي فرضت عليه ٠

لم يكن في العرب من يطلب من الحاكمين ان يحترموه فضلا عن ان يستشيروه في امور الدولة ولا يعملون شيئا بدونه، ومع ذلك فقد رفعهم الاسلام في الحين حتى اصبحوا « وامرهم شورى بينهم) وهكذا في كل شوءون العدل وفي كل ضروب الاحسان ٠

واذا كان المجتمع العربي قد تحول حتى اعطى رجلا مثل عمر ابن الخطاب الذي لا مثيل له في الحاكمين وآخر مثل عمر ابن عبد العزيز وغيرهما من ابطال الحكم والسياسة والمعرفة ٠ فقد ابت طبيعة الاشياء الا ان ينبثق من هذا المجتمع نفسه من يقومون برد فعل يعتبر (ضد ثورة) وياخذ بالمسلمين وجهة غير الوجهة التي ارادتها العقيدة ورسولها ٠

وليس ذلك بدعا من الانسان ، فقدا اعتاد ان ينحرف عن الفطرة زمنا ثم يهتدي بوساطة مرشدية الى الحق والى الصراط المستقيم ٠ ولكن العقيدة الاسلامية ظلت المتحكمة مع ذلك في توجيه معتنقيها وظلت وحدها الضمان لازالة الانحراف والعودة الى الطريق ، لانها لم تعتمد على العاطفة وحدها ولكن على العقل ايضا ، فهي تحيا بقدر ما يعود للعقل مكانه في المجتمع ، وبقدر ما يميل الناس للتفكير والبحث عن ادراك الحقيقة والثورة والانحراف والتصرفات المختلفة ، ليست في نظر الاسلام الا تجربة انسانية يدخل فيها الفرد كما تدخل فيها الجماعة ولكنها سرعان ما تبرز تناقضاتها بنفسها للعقل الذي يحاول ردها لاقوم السبل ، ولكنه لا يفعل الا ان يمهد البعث للعقيدة التي تعود للمجتمع الذي آمن بها لتقوم معه بنفس الدور الاول الذي قامت به يوم خالطت بشاشتها قلبه ، (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة)

حياة الإسلام في قواعده الخمس

للأستاذ: محمد بن تاويت الطنجي

تفضلت وزارة الشؤون الاسلامية ، فاهدت الينا كتاب « الاعـلام ، بحـدود قواعد الاسلام » تأليف القاضي عياض المتوفى 544 .

وهذا الكتاب مظهر من انواع النشاط الذي تقوم به الوزارة في ميدان التأليف والنشر ، ويعتبر كتاب « الاعلام » الحلقة الاولى من السلسلة الدينية التي تنـوي الوزارة القيـام بطبعهـا .

و « الاعلام » كتاب الفه القاضي عياض للمتعلمين من اطفال المغرب وقصد فيه الى تفسير « قواعد الاسلام » الخمس ، في لغة واضحة سهلة ، ابتعد فيها عن كثير من التعابير والجمل الاصطلاحية ، بحيث اصبحت غير بعيدة عن مدركات الاطفـال الذيـن الـف لهـم .

وقد قام بتحقيقه وتقديمه الاستاذ الكبير المطلـع الثبت ، السيد محمد ابن تاويت الطنجي ، الذي عالج في مقدمته العناية بالنشء من لدن علمائنا وسلفنا ، وما كانوا ينعمون به من فهم واسع ، وتقدير للمسئولية العلمية تجاه الناشئة المغربية مما دعا علماء هذا المغرب الاسلامي منذ القديم البعيد الى العناية بموضوع تعليم الاطفال.

ولقد ابى ملكنا العظيم صاحب الجلالة امير المومنين الحسن الثاني سدد الله خطاه الا ان يحي هذه السنة الحسنة التي جرى عليها سلفنا الصالح ، وحماها ملوك المغرب عامة ، واجداده العلويون الميامين خاصة ، فأولى جلالته اطفال مملكته عنايته السامية ، وحرص ـ والله يمده من عونه ـ على ان يتزودوا للحياة بتربية اسلاميـة تمكنهم من اداء واجباتهم التـي ورثوهـا عن سلفهـم .

ويسر مجلة « دعوة الحق » ان تتحف قراءها المحترمين بمقدمة هذا الكتـاب التي ذبجها فضيلة الاستاذ البحاثة الثبت السيد محمد بن تاويت الطنجـي ..

فرض الله على كل مصل ان يقرأ سورة « الفاتحة » في صلاته ، فـ « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » (✱) .

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث علم الاعرابي كيفية الصلاة وقال له : « .... ثم افعل ذلك في كل ركعة» (✱) كان يعني ان كل مسلم يجب عليه ان يقرأ « الفاتحة » سبـع عشرة مرة في كل يوم ، بعدد ركعات الصلوات المفروضة عليه .

ولا مجال للتردد في ان دين الاسلام ـ حين اختار سورة « الفاتحة » دون ما سواها من سور القرآن ، واوجب على المسلم، كلما توجه الى ربه يناجيه في صلاته (✱) ، قراءتها ، قد عنى ـ فيما عناه ـ انها تشتمل على معنى رئيسي من معاني الاسلام الكبرى ، يجب على المسلمين ان يلتزموه ويتمسكوا به ، وحكمة بالغة من حكمه ، عليهم ـ كذلك ـ ان يتمثلوها ويهتدوا بهديها

(✱) رواه البخاري (1 : 148 ، فتح الباري 2 : 200) ، ومسلم (مع شرح النووي 2 : 11) .

(✱) شرح النووي على صحيح مسلم 2 : 15 ، فتـح الباري 2 : 201 .

(✱) صحيح البخاري 1 : 108 .

ونحن لا نعتقد انه يمكننا ان نحيا باجسامنا فحسب ، ولا نتصور ان نتحرك في هذا العالم بروحنا فحسب ولذلك لن نطمئن الا اذا سددنا جوعة الروح والعقل الى جانب جوعة الجسد ، وهذا ما لا نجده الا في منبع العقيدة الاسلامية التي آمنا بها .

وفي هذه العقيدة اذا تفهمناها ما يدفعنا الى البحث عن الهامات ذاتية تكشف لنا كما كشفت لاسلافنا طرق التقدم الى الامام لبناء عالم افضل يتفق وروحانيتنا وحاجاتنا الوقتية .

ان مجتمعنا يشكو من البلبلة ومن الفوضى في شؤونه . كما يشكو من عدم المساواة في فرص الكسب ، وذلك ما يستوجب اعادة النظر في انظمة حياتنا وفي وسائل معاشنا ، وفي اعادة توزيع الثروة عن طريق العمل المتاح للكل وهذا كله لا يتأتى الا اذا آمنا بوجودنا وحققنا ذاتيتنا الاسلامية عن طريق تفهمنا للتعاليم واقتناعنا بها . لان احدا غيرنا لا يستطيع ان ينقذنا من آفات الانحطاط ويصعد بنا الى درجات الرقي والتقدم .

والشباب الذي يتطلع اليوم ليقوم بدوره في حياة الوطن ، والذي لا يمكن ان يقع شيء في هذا البلد بدونه ، لانه عماد العمل والبناء ، يجب ان يتجه الى النبع الذي يستقي منه العقيدة الحق الى ثقافة الاسلام التي تفتح آفاق ذهنه لتصور الواقع وتصديقه ، حتى لا يبقى في جو يظهر فيه التمرد بمظهر الثورة والتقليد الجديد بمظهر التطور .

لقد قطع الغرب اشواطا اوقعته زمنا في عالم اللاشيئة او العدمية لانه كان يرى في ذلك سبيلا الى ابتكار الادب وارغام الفكرة على البروز ، ولكنه اليوم عاد يرقب من بعيد ، تلك الحقائق التي غابت عنه ، واخذ يشتاق الى معرفة الواقع ، ليتحقق بوجود نفسه . لقد آثر التصويف ، وهو يعود اليوم الى التصوف ، وكفر بالغيب ولكنه استبدله بالغموض ، اما اليوم فهو ينشد الوضوح ويتطلب الاقتناع ولا يجد اليه سبيلا .

تجارب انسانية نعيشها ليس من حقنا ان نتغاضى عنها ، وتكرر للاحداث التي نشأت من قبل ، ليس من حقنا ان لا نربطه باسبابه ، تجددات وقعت في العالم ، وتقدم كبير في شتى الميادين وصعود الى الاعلى ، ولكن العالم مع ذلك يبحث عن المصير ؟ .

تساؤلات توجه الى العلماء هل تريدون تخريب العالم ؟
واخرى ترد من قبلهم احذروا فناء الاقوات ؟
وجاهلية تنادي ، ستزدحم الارض بالسكان فلا تجدون لانفسكم مقرا .

جهود تبذل لحصر النسل ، واخرى لافناء الموجود ؟

ونحن في غفلة عن هذا الجانب من الحضارة المادية التي لا تزيد على ان تكرر ارجافات الجاهلية الاولى .

ونحن مع ذلك كله في بداية السير في بعثنا الجديد ؟

علام نرمي بانفسنا في احضان الهاوية التي يحفرها هؤلاء الذين بلغوا من الحضارة درجة اسأمتهم الحياة واياستهم من الوجود ؟

علام لا نتامس الارض قبل ان نضع اقدامنا ؟

ليس من الضروري ان نتخلى عن سلاحنا ونحن ندخل في عالم الكفاح ، عالم لا حياة فيه لمن لا يملك سلاحا .

سلاحنا هي العقيدة ، هي ايماننا بتراثنا الاسلامي ، وبصلاحيته لمساعدتنا في هذه الرحلة التي نريدها للاستفادة من معرفة غيرنا وتجاربه ، سلاح اذا حافظنا عليه ، فسندخل كل الميادين ونخرج منها سالمين غانمين ، وسيكون اثرها قويا في دفعنا للعمل لتغيير مجتمعنا الى مجتمع اسلامي متحضر كامل الوعي .

علال الفاسي

« غموض العلم »

الحق ان هذا الغموض في العالم ، مصدر كبير من مصادر اللذة للعقول الكبيرة ، وان حياة العلماء كانت تكون تافهة لولا هذا الغموض والالغاز .

« احمد امين »

وبالكون :

يدله على انه — بسمائه — وبارضه ، وبما بينهما — قد خره الله له ، فيأمره بالاستفادة منه ، وبتسخير مواهبه معارفه لاستخلاص خيراته والانتفاع بها ، وايصالها الى سائر ـي جنسه .

وبالحياة :

يحضه على ان يحيا الحياة الكريمة ، وان يتمتع بزينة لله التي اخرجها لعباده وبالطيبات من الرزق — دون ان يبسط بده كل البسط فيسرف ، ودون ان يجعلها مغلولة الى عنقه يقتر ، بل ينهج في قبضه وفي بسطه النهج الوسط ، بحيث لا يخرج عن « الصراط المستقيم » في سلوكه وتصرفاته .

★ ★ ★

تلك هي الخطوط الرئيسية الكبرى التي يعنى الاسلام بهداية المسلم اليها ، وارشاده الى سبل الخير والنجاة فيها .

★ ★ ★

والحديث الذي صدر به القاضي عياض كتابه ، واتخذه اساسا لتقسيم مباحثه وفصوله ، يتضمن اركان الاسلام وقواعده التي عليها يقوم بناؤه ،وهي ، كما في الحديث ، عقيدة يعتقدها الانسان بقلبه ، وعمل تؤديه — على الوجه الذي حددته تعاليم الاسلام وشريعته — جوارحه .

وهو مشتمل على الاتجاه الاول لهداية الاسلام ، الذي مر ان شرحناه ، وعلى بعض مسائل الاتجاه الثاني لها .

أما العقيدة :

فانها تقوم — اول ما تقوم — على التوحيد الخالص لله سبحانه ، بحيث لا يقبل اي لون من الوان الشرك ان يشوبه ، وبحيث ينفي نفيا باتا شاملا كل من عساه او ما عساه ، ان يضع نفسه او يضعه غيره موضع الوسيط او الشفيع ، بين المسلم وبين ربه .

فلا مكان في عقيدة الاسلام للاصنام — من الناس ومن الجماد ، مهما كان الوضع الذي تتخذه ، ترفضها معبودات مستقلة ترجى وترهب لما لها من التأثير على حياة الناس ، ولا تقبلها شفعاء تتوسط للمتقرب بها عند الله ، وتردها كذلك اذا ما اتخذت وسيلة من وسائل التقريب او التمثيل او الرمز .

فالله — وحده ، وبدون واسطة — هو الذي يتقرب اليه المسلم بعبادته وبخضوعه .

ومن الله — وحده ، ولا واسطة ايضا — يستمد المسلم العون ويطلب الهداية .

هذا هو المعنى الذي يعنيه ، او الذي يجب ان يعنيه ، المسلم كلما قرأ قول الله سبحانه :

« اياك نعبد واياك نستعين »

على هذا الاساس المتين الواضح من صراحة التوحيد ، وخلوصه من شوائب الشرك ، تقوم صلة المسلم بربه في الاسلام، وعلى هذا الاساس نفسه — فيما يقرر الاسلام — قامت دعوة الديانات السماوية قبله ، واليه دعا جميع الرسل والانبياء اممهم منذ كانت الرسالة والنبوة .

والقرآن جد حريص على ان يذكر المسلمين بان ما شرعه الله لهم من الدين ، قد شرعه ، منذ الازمنة البعدى ، للامم السابقة .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (★) .

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وانه في الآخرة لمن الصالحين ، اذ قال له ربه اسلم ، قال : اسلمت لرب العالمين ، واوصى بها ابراهيم بنيه ، ويعقوب يا بني ان الله اصطفى اليكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ، ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي ؛ قالوا : نعبد الاهك والاه آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الاها واحدا ونحن له مسلمون »(★)

« واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء » (★) .

والذين يختارهم الله لتبليغ اديانه الى الناس وتبيينها لهم ، وتطبيقها على حياتهم ، وهم الانبياء والرسل ، هم اول من يؤمر بالايمان بعقيدة اتوحيد ، وتفهم حقيقتها .

« قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ، ولا تكونن من المشركين » (★ .

(★) سورة الشورى 13 .
(★) سورة البقرة 130 — 132 .
(★) سورة يوسف 38 .
(★) سورة الانعام 14 .

وحديث مسلم عن ابي هريرة (*) الذي يقول : « سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : قال الله عز وجل : قسمت الصلاة (*) بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فاذا قال : « الحمد لله رب العالمين » ، قال الله تعالى: حمدني عبدي ، واذا قال : « الرحمان الرحيم » ، قال الله تعالى : اثنى علي عبدي ، واذا قال : « مالك يوم الدين » ، قال : مجدني عبدي ، او فوض الي عبدي ، فاذا قال : « اياك نعبد واياك نستعين » ، قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ، فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ، قال : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل » .

هذا الحديث يحدد ــ باعتباره تفسيرا للفاتحة صادرا عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المعنى الذي قصد الاسلام لفت نظر المسلم اليه ، وتنبيهه على اهميته ، ويشير الى الحكمة في تكرار قراءتها ، فالحظ الذي تعود ثمرته مباشرة الى المصلي من آياتها هو قوله داعيا ضارعا : « اهدنا الصراط المستقيم » ، اما بقية آياتها فهي ثناء وتمجيد وتفويض لله سبحانه ، ثم اعتراف بوحدانيته التي من اوائل آثارها انه وحده مصدر العون والهداية .

الاستقامة واتباع « الصراط المستقيم » ــ اذن ــ هي حظ المصلي من سورة الفاتحة ، وهي عسيرة المنال ، عزيزة المطلب، فلا بد للبشر من تقصير يقف بهم دون درجة الكمال ، او ملال يصرفهم ، او يقطعهم ، عن متابعة السير .

ومن هنا جاء الالحاح في طلب الهداية اليها ، وكرر المصلي دعاءه وطلبه ــ كلما وقف امام الله ــ ان يلهمه اتباع سبيلها ، ويمده بالعون ، ويجنبه سبل الضلالة والغي .

وهذه الاستقامة ــ التي تعني تقويم النفس، وحملها، فيجميع تصرفاتها على القصد والتوسط ، ومجانبة التفريط والافراط ، ورياضها على التزام ذلك حتى تمرن عليه وتألفه ، وتصدر عنها افعال الخير في يسر وفي سهولة ، كأنها سجية من سجاياها ، وخلق جبلت عليه من اخلاقها .

نقول : هذه الاستقامة تشغل حيزا واسعا من تعاليم الاسلام ، وقلما يجد المتأمل في اسرار التشريع الاسلامي قاعدة من قواعده لا تتصل من قريب او من بعيد بمبدأ « الاستقامة » وآيات القرآن ، واحاديث رسول الله (ص) ، التي تشير الى تقرير معناها وتحض على التزامه ، قد بلغت من الكثرة بحيث يعسر استقصاؤها هنا ، غير ان ايضاحا نبويا آخر لمكانة « الصراط المستقيم » في تعاليم الاسلام ، ولأهميته . يحسن ــ فيما نرى ــ ان نضيفه الى ما سبق ان قلناه ، روى ابن ماجة (*) عن جابر بن عبد الله انه قال : « كنا عند النبي، صلى الله عليه وسلم ، فخط خطا ، وخط خطين عن يمينه ، وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال : هذه سبيل الله ، ثم تلا هذه الآية : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (*) .

★ ★ ★

وتوجيه الانسان الى « الصراط المستقيم » ، وهدايته اليه، ودلالته عليه ، وحمايته من شعب الضلال وبنيات الطريق ــ هو هدف الاسلام الذي ما فتئ يسعى الى تحقيقه ، ويوجه اليه جهده ، ويختصه ببالغ عنايته .

وسلوك المسلم وافعاله التي اتخذها هذا التوجيه الاسلامي ميدانا له ، اما ان يكون سلوكا يصل الانسان بربه ، وتلك هي العبادات ، واما ان يكون سلوكا يتصل فيه بأخيه الانسان في معاملاته المختلفة فردا كان او جماعة .

ومن هنا انحصرت هداية الاسلام في الاتجاهين التاليين :

اولهما : توضيح الصلة التي بين المسلم وبين ربه ، وتتمثل في الواجبات الدينية الشخصية ، من عقائد وعبادات ، فيحددها ، وينظمها ، ويوقف المسلم على حقيقتها ، وكيفيتها ، ويعين له الزمان ، والمكان ، والمقدار ، ان احتاج فهمها وتحقيقها الى بيان ذلك وتعيينه .

هذا الاتجاه ــ في كلمة موجزة ــ يتولى هداية المسلم الى « الصراط المستقيم » في علاقاته الشخصية بالله .

والاتجاه الثاني : يعني بتنظيم صلته :

بالانســـان :

ينظم سلوكه ، مع اسرته في بيته ، ومع قرابته في محيطه الخاص ، ومع اخوانه المسلمين في المجتمع الاسلامي الكبير ، ومع اخيه الانسان في المحيط الانساني الاوسع .

(*) صحيح مسلم (مع شرح النووي) 2 : 15 ، عن ابي هريرة
(*) المراد بالصلاة ، هنا : « الفاتحة »
(*) سنن ابن ماجة 1 : 5 .
(*) سورة الانعام 153 .

غيره . فكيف ، وهو مثل بقية الناس ، يكون رسولا مبلغا عن الله رسالته ؟ وهكذا اصبحت وساطته بشرا رسولا بين الله وبين الناس موضوعا احتدم فيه الجدال وطال .

وما كان للنبي الكريم ان يلبس في امره على الناس ، او يتقول على الله الذي ارسله ، فيضفي على شخصيته لباسا غير لباس الرسالة ، فانه نفسه الذي بلغنا عن الله هذا الوعيد القاسي الذي وجه ايه

« ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين » (★) ، ما كان له — عليه السلام — وقد عرف بين قومه قبل مبعثه بالامين — الا ان يقول في وضوح لا رمز فيه ولا التواء : « انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الاهكم الاه واحد » (★) .

وضل الناس ايضا في فهم طبيعة رسالته ، وتصوروا مهمتها على غير حقيقتها، فطلبوا منه — بناء على ما فهموا من مهمة النبوة — الخوارق للعادات ، والمعجزات التي ليست من صنع البشر ، فصحح الوضع في فهم النبوة والرسالة في الاسلام ، انها هداية الضمير الانساني الواعي المدرك الى الصراط المستقيم .

وقال : وما اجل ما قال !

« سبحان ربي ، هل كنت الا بشرا رسولا » ؟ (★) .

هكذا كان فهمه لمهمته ، وعلى ضوء هذا الفهم قدم نفسه للبشرية . وهكذا ايضا كان يفهم مهمة الانبياء والرسل قبله ، فهذا نوح عليه السلام قبله يقول لقومه : « ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك » (★) ، وهؤلاء قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم قد طلبوا من رسلهم معجزة تؤيدهم في دعواهم وتسند اقوالهم ، فكان جوابهم ان « قالت لهم رسلهم : ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله » (★)

وما كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليخرج عن صفات الرسل قبله : « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيئين من بعده » (★) ، ولا ان يبتدع شيئا لم يأت به سلفه منهم : « قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ، ان اتبع الا ما يوحى الي » (★) .

وهذا الفهم الواضح الدقيق لطبيعة الرسالة على انها وساطة بين الحق والخلق لا تمنح الوسيط صفة تخرجه عن بشريته ، ولطبيعة الرسول على انه انسان اختير للرسالة فأوحي اليه من غير ان يفقد صفاته البشرية .

نقول هذا الفهم ، قد فرضته طبيعة التوحيد في دين الاسلام، فما لله — عز وجل — من قدرة عامة على المعجزات والخوارق ، وما له — سبحانه — من علم محيط شامل ينفذ الى المغيب والمحجوب ، يجب — في منطق التوحيد الخالص — ان ينفرد به الله ، ولا يشركه فيه الانسان ، فهو — وحده — القادر على كل شيء ، وهو — دون غيره — عالم السر والعلانية :

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » (★) ، « عالم الغيب فلا يظهر (★) على غيبه احدا الا من ارتضى من رسوله » (★) ، فيطلعه الله على ما شاء من غيبة بتعليمه اياه ، ووحيه اليه به .

« تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » (★) .

★ ★ ★

وفهم طبيعة الرسالة والرسل على هذا النحو من الوساطة ، يسلمنا الى الحديث عن الوحي وعن اتصال الانسان المادي بالعالم المجرد عن الماديات ، وتلقيه التعاليم والشرائع عنه — في صورة تقربه ، بقدر الامكان الى افهام الناس .

(★) سورة الحاقة 44 — 46 . والوتين : عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه .
(★) سورة الكهف 111 ، وفصلت 6 .
(★) سورة الاسراء 90 — 94 .
(★) سورة هود 27 — 33 .
(★) سورة ابراهيم 10 — 11 .
(★) سورة النساء 163 .
(★) سورة الاحقاف 9 .
(★) سورة الانعام 59 .
(★) يظهر : يطلع .
(★) سورة الجن 25 — 26
(★) سورة هود 49 .

« قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به ، اليه ادعو ، واليه مآب » (★) .

« قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ، ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين»(★)

حتى ما اذا ما ملكت هذه العقيدة عليهم سمعهم وابصارهم، وامتلأت بها قلوبهم وعقولهم ، ومثلت لهم واضحة بينة ، صدعوا بما امروا به ، وقاموا يدعون الناس اليها « مبشرين ومنذرين ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (★) .

وعلى سنة الله هذه ، جرى رسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقضى ما شاء له ان يقضيه في تأملاته وخلواته يتبين معالم المهمة التي كانت عناية الله تهيوءه لادائها ، « وحبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث (يتعبد) فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء » (★) ووضحت له معالم هذه المهمة ، فنودي من قبل الله جل شأنه .

« يأيها المدثر قم فأنذر » (★) .
« وانذر عشيرتك الاقربين » (★) .
« يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك » (★) .

فصدع بالحق ، وجهر بالقول الذي ارتفع — ما امتدت به السنون — على كل الاقوال ، وبلغ الناس عن ربهم قوله :
« يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : ان لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » (★) .
« واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا (★) .
« ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (★) .

فكان ما امر به — عليه السلام — في نفسه ، وما امر بتبليغه للناس ، صورة بلغت الغاية القصوى في صفاء التوحيد ونقائه ، والبعد به عن شوائب الشرك وعوارض التشبيه ، وفهم الالوهية وتقديرها حق قدرها ، وانزالها منزلتها بعيدة عن البشرية وعوارضها .

ورسول الله (ص) ، حين انتدب لتبليغ رسالة الاسلام التي تحتل منها حقيقة التوحيد هذه المكانة ، قد حددت حقيقته وبشريته ، فالقرآن قد عنى في كل مناسبة بان يزيل كل لبس او اشتباه من شأنه ان يعلق بحقيقة الالوهية او بحقيقة النبوة فيسيء الناس — كما اساءوا قبل الاسلام — فهمهما ، او يسيئون فهم حقيقة التوحيد الذي هو اساس الاسلام » .

ومن هنا كانت « بشرية » الرسول موضوعا عنى القرآن ببيانه وتأكيده ، فرسول الاسلام ولد وعاش تحت اعين التاريخ وسمعه ، معروف الاب والام والاسرة ، ومعروف الشرف والمكانة بين قومه ، وحياته ليستظلالا يكتنفها الابهام، ويخفى قسماتها الغموض ، بل هي تاريخ حقيقي واضح المعالم، لا مجال فيه للخيال والتفسير والتاويل .

وقد حظيت حياته — عليه السلام — من المسلمين الاول بالعناية البالغة ، فدونوا دقائقها وتفاصيلها بصورة لم تحظ بها حياة نبى من الانبياء قبله ، ولها — فوق هذه العناية — في قلوب المسلمين صور حية ، وذكريات ناضرة مشرقة ، تتفاوت درجاتها قوة وضعفا ، تبعا لحظ كل مسلم من تمثل رسول الاسلام ، ومباديء الاسلام والائتمار بها .

وما يمضي على المسلم ، في اي بقعة من بقاع الارض المسلمة ، يوم بليلته دون ان يسمع المؤذن خمس مرات في اليوم يذكره برسول الاسلام ، وبأكبر تعاليم الاسلام .

واختاره الله للرسالة ، وهي اثقال لا ينوء بحملها الا ذوو القوة والعزم من صفوة البشر ، ومباديء دعوته غريبة على الناس مخالفة لما تأصل في نفوسهم من عقائد وعادات وتقاليد ، واغرب ما فيها ان مبلغها اليهم ، والداعي اليها : رجل معروف منهم ، بينهم نشأ وربى ، وابتغى سبل العيش مثلما ابتغاها

(★) سورة الزمر 11 .
(★) سورة الزمر 63 — 64 .
(★) سورة النساء 165 .
★ صحيح البخاري 1 — 7 .
(★) سورة المدثر 2 .
(★) سورة الشعراء 214 .
(★) سورة المائدة 67 .
(★) سورة آل عمران 64 .
(★) سورة النساء 36 .
(★) سورة النساء 48 .

وروى ابن سعد (✶) من طريق عبد العزيز بن عبد الله ابن ابي سلمة الماجشون عن عمه انه بلغه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه علي كما يلقى الرجل على الرجل ، فذلك يتفلت مني ، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي ، فذاك الذي لا يتفلت مني » .

وفي حديث « غار حراء » : « فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما انا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني (✶) حتى بلغ مني الجهد (✶) ثم ارسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما انا بقارىء ، فأخذ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال : اقرأ ، فقلت ما انا بقارىء ، فأخذني الثالثة ثم ارسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (✶) الخ .

فهذه الاحاديث تشير جميعا الى حقيقة واحدة هي :

ان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كان — كما في التجارب السابقة — يوحى اليه بعد ان تنعزل حواسه الظاهرة عن الادراك ، وتقف عن العمل ، ويحال بينها وبين ما ترى وما تسمع ، وبذلك يتم لقلبه الاتجاه التام الى جهة الحق الذي يصدر عنه الوحي اليه ، والاتصال بالملأ الاعلى والاقبال الكلي عليه ، فيتلقى ما يتلقى من امر الله .

ولم يكن هذا الانعزال بالامر الهين عليه ، بل كان يلقى منه شدة بالغة ، احوجته الى المعين الخارجي يقويه على هذا التوجه ويسنده ، فكان ضغط الملك الشديد المتكرر له ، ينبه قلبه ويوجهه الى حيث الاشعاع والفيض ، وكانت الاصوات المجلجلة الشديدة المتلاحقة التي تشبه صوت الجرس — تملأ عليه حواسه جميعا وتمنعها من العمل ، فيتفرغ القلب للادراك فيخالطه الوحي ويثبت في فؤاده .

هكذا اوحى الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بتعاليم الاسلام التي بلغها الى امته ودانوا بها فكانت :

عقيدة اجملت القول في المهم من اهدافها ، وتولى تفصيلها القاضي عياض في كتابه « الاعلام » .

وعملا يتقرب به المسلم الى ربه وهي : صلاة وصوم وزكاة وحج .

(يتبع)

محمد بن تاويت الطنجي

✶) طبقات ابن سعد 1 — 197 ، وعنه فتح الباري 1 — 18 .
✶) غطني : ضمني اليه وعصرني .
✶) الجهد : النصب والاعياء .
✶) صحيح البخاري 1 — 7 .

الدنيا تفسد الأخوة

حكى ابن قنفذ في « انس الفقير وعز الحقير » عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه قال : جاء رجلان الى ابي عبد الله التاودي وكان رجلا صالحا من صلحاء فاس — يزورانه فابصرا بين يديه هرين جعل كل واحد منهما رأسه على الآخر ، فقالا له : هكذا ينبغي ان تكون الاخوة « فأخذ التاودي لقمة من خبز ورمى بها اليهما فوثب كل واحد منهما على الآخر ليأخذ اللقمة فقال أبو عبد الله : « هكذا كانت الأخوة حتى دخلت الدنيا فأفسدتها » .

مثل كريم

كان امير المومنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ينظر ليلا في شؤون الرعية في ضوء سراج فجاء غلامه يحدثه في شأن من شؤون بيته ، فقال له عمر : اطفىء السراج ثم حدثني ، لان هذا الدهن من بيت مال المسلمين ولا يجوز استعماله الا في صالحهم .

والوحي في معناه الديني ـ هو : تلقى الرسول شريعته وتعاليمه عن الله ، وهذا التلقي ـ كيفما كانت صورته ـ ينقل الرسول المتلقى من عالم مادي محسوس اعتاده والفه ، الى عالم آخر مجرد عن المادة غريب عنه مخالف لما عهد ان يراه ويسمعه ويحسه .

ولأجل هذا كان لا بد له من مرحلة وسط بين عالمه الذي عهده ، والعالم الذي تفرض عليه طبيعة التلقي للوحي ان ينتقل اليه ، فهذه المرحلة تمهد له وتنقله بصورة تدريجية من هذا العالم الذي انس به وتعوده ، وكانت حواسه فيه تكفيه لان يدرك ما حوله ـ الى عالم آخر لا عهد له به ، ولا اثر للمادة فيه ، تتخلى فيه حواسه عن الادراك والمعرفة ، وتقوم بافهامه وتعليمه وسائل اخرى ، لم ترها في عالمه المادي عينه ، ولم تسمعها اذنه ، ولا خطرت فيه على قلبه .

ففي اثناء هذه المرحلة يألف هذا العالم الغريب ، ويتقوى على مواجهته ، ويتثبت في الذي القى اليه ، ويعيه قلبه ، ويبلغه الى الناس في لغتهم المعهودة كما تلقاه وكما امر .

ومن هنا ـ فيما نرى ـ كانت الرؤيا ، يراها الرسول في منامه ، اولى مراحل الوحي ، وكان « اول ما بديء به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » (✶) .

فالحواس ـ في حالة النوم ـ متوقفة عن الادراك ، معطلة عن العمل ، وبذلك تصبح النفس في عزلة عن هذا العالم الخارجي عالم الواقع ، ويبقى المجال فسيحا لمجموعة من القوى الباطنية ، فتعمل وتدرك ، وهي في نشاطها بعيدة عن ان تتقيد بحدود الحواس ، وعن ان تخضع في تصوراتها وادراكاتها للانسجام مع العالم الخارجي ، لقد اصبحت هذه القوى ، في حريتها وسعة مجالها ، قادرة على ان ترى النائم مرئيات لم يألف ان يراها في يقظته ، واتخذت من الرمز والاشارة وغيرهما ـ وسائل للتعبير على الاشياء والحقائق والمعاني التي تريد افهامها للنائم ودلالته عليها .

وبهذا انتقل الرائي الى عالم لم يألفه ، ومكن له ان يعتاد رؤية ما لا يراه ، وعلم ما لا يعلمه في عالم اليقظة والشعور ، وان يتدرج في فهم اسلوب الرمز في التعبير والشرح والدلالة .

وكان تعبد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غار حراء (✶) ، وانعزاله فيه ، وبعده عن الناس الليالي ذوات العدد المرة تلو المرة ـ كأن ذلك نقل الى تهيئة اخرى في حالة اليقظة ، وتمكين للفكر ـ بعيدا عن عالم الاصوات والالوان والابعاد والاجسام ـ ان يستعرض تلك المعاني والرموز والاشارات التي رآها في رؤياه ، ويجيد فهمها ويحدد دلالتها تحديدا يبدد كل ابهام او غموض يحيط بها ، ففي اعقاب مرحلة التأمل والانفراد هذه ، جاءه الحق في غار حراء ، وانتقل الى مرحلة تتلوها ثالثة ـ تلقى فيها اوامر الله عن الملك مباشرة ، واتصل به ، سواء تمثل له في صورة رجل ، ام جاءه في اي صورة اخرى له .

اما الآن ، وقد تهيأت نفسه بما مر به من تجارب ، فقد اصبح بحيث يمكنه ان يتلقى الوحي من الله سبحانه ، وهي الحالة التي غلب عليه ان تلقى فيها الوحي .

ومن حسن الحظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذي تولى شرح الكيفية التي كان يتلقى عليها الوحي في هذه المرحلة، فما كان لغير رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ان يجيب عن معنى الوحي ، ان الذي تكرر الوحي اليه ، فعقل معناه ، واتضحت له كيفيته هو ـ وحده ـ الذي يمكنه ان يتحدث للناس عنه ، ويشرح لهم حقيقته ، وكيفية حصوله له ، وهو كذلك وحده ، الذي يمكنه ان يجد الكلمات المناسبة للتعبير عما وجده في نفسه، لان الوحي تجربة شخصية وجدانية ينفرد بها الذي حبيها ، ووجدها ومر بها ، فهي حالة قاصرة عليه لا تتعداه الى غيره ، ولا يفهمها ، ولا يوضحها سواه .

لقد سأله الحارث بن هشام المخزومي فقال « يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس (✶) وهو اشد علي (✶) ، فيفصم (✶) عني وقد وعيت عنه ما قال » (✶) .

(✶) فلق الصبح : ضوؤه وانارته . والحديث في صحيح البخاري 1 ـ 67 ، فتح الباري 1 ـ 20 ـ 22

(✶) حراء بكسر الحاء : جبل من جبال مكة ، وحديث الغار في صحيح البخاري 1 ـ 7 ، وفتح الباري 1 ـ 21 ـ 22 .

(✶) الصلصلة : صوت الحديد اذا وقع بعضه على بعض ، والجرس : الناقوس ، وهو يحدث اصواتا ملاحقة شديدة .

(✶) جاءت شدته من حيث انه كان يقتضي من الرسول ان يتخلى عن عمل حواسه فيعطلها ، وان يستجمع قلبه ليكون اوعى لما القى اليه .

(✶) فيفصم : فيقلع عني وينجلي ما يغشاني .

(✶) صحيح البخاري 1 ـ 6 ، فتح الباري 1 ـ 19 ـ 20 .

ثروة ، ومن رصيد ، ومن طاقة – مع التوجه بكل نشاط فيها الى الله .

« وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » ذلك انهم كانوا خائفين لا يأمنون ، ولا يضعون سلاحهم ابدا حتى بعد هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – الى قاعدة الاسلام الاولى بالمدينة – قال الربيع بن انس عن ابي العالية في هذه الآية : كان النبي عليه السلام واصحابه بمكة نحوا من عشر سنين يدعون الى الله وحده ، والى عبادته وحده بلا شريك له ، سرا وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى امروا بعد الهجرة الى المدينة ، فقدموها فامرهم الله بالقتال – فكانوا بها خائفين ، يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح ، فصبروا على ذلك ما شاء الله لهم أن يصبروا . ثم ان رجلا من الصحابة قال يا رسول الله : أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما ياتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال الرسول الاكرم صلوات الله عليه : « لن تصبروا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم ليست فيه حديدة » وانزل الله هذه الآية ، فاظهر الله نبيه على جزيرة العرب فامنوا ووضعوا السلاح . ثم ان الله تبارك وتعالى قبض نبيه عليه الصلاة والسلام فكانوا كذلك ءامنين في امارة أبي بكر وعمر وعثان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فادخل الله عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة والشرط وغيروا فغير بهم .

« ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » الخارجون على شرط الله ووعد الله وعهد الله لقد تحقق وعد الله مرة ، وظل متحققا وواقعا ما قام المسلمون على شرط الله « يعبدونني لا يشركون بي شيئا » لا من الآلهة ولا من الشهوات ، ويؤمنون – من الايمان – ويعملون صالحا ، ووعد الله مدخور لكل من يقوم على الشرط من هذه الامة الى يوم القيامة .

انما يبطيء النصر والاستخلاف والتمكين والامن لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة او في تكليف من تكاليفه الضخمة .

وها هو تعالى يعقب على هذا الوعد بالامر بالصلاة والزكاة والطاعة وبألا يحسب الرسول صلى الله عليه وسلم – وامته حسابا لقوة الكافرين الذين يحاربونهم ويحاربون دينهم الذي ارتضى لهم قال سبحانه : « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبيس المصير » .

فهذه العدة التي يجب على المؤمن الكامل والمسلم الصادق أن يعدها بين يديه تلك هي الاتصال بالله ، وتقويم القلب باقامة الصلاة ، والاستعلاء عن الشح ، وتطهير النفس والجماعة بايتاء الزكاة وطاعة الرسول والرضى بحكمه وتنفيذ شريعة الله في الصغيرة والكبيرة ، وتحقيق النهج الذي اراده للحياة : « لعلكم ترحمون » في الارض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال .

فاذا استقمتم على النهج فلا عليكم من قوة الكافرين فما هم بمعجزين في الارض وقوتهم الظاهرة لن تقف لكم في طريق ، وانتم أقوياء بايمانكم ، اقوياء بنظامكم ، اقوياء بعدتكم التي تستطيعون وقد لا تكونون في مثل عدتهم من الناحية المادية ، ولكن القلوب المؤمنة التي تجاهد تصنع الخوارق والاعاجيب « ان لم يكن فبقوة الايمان » الا وان وعد الله قائم ، الا وان شرط الله معروف ، فمن شاء الوعد فليفم بالشرط ، ومن أوفى بعهده من الله.

وقد اصبح مدلول هذه الآي الكريمة يتحقق اليوم في غير ما قطر من اقطار الاسلام المستقلة الشاعرة بما دب في نفوس ابنائها من وعي ويقظة ، وشعور بالحاجة الملحة نحو التمكن من الارض – والعمل جديا على اصلاح اطرافها وترميم ما انصدع من أجزائها ولم شعث ما افترق من جموعها وانطمس من معالمها ، والضرب على ايدي الفتانين والمشاغبين .

ولا ادل على هذا الفحوى الفاخر السعيد مما اخذ يجري في مغربنا الحر من فلح الاراضي وتوزيع موات قطعها وهكتاراتها في رجالها العاملين على الاستثمار والانتاج بعد ما كان الانتفاعيون والاقطاعيون واعوان الاستعمار يستغلونها في مصالحهم الخاصة ، اضف الى هذا ما اخذنا نراه ينشأ من ءاونة لاخرى من بناء وتأسيس قرى ومدن وشق طرق وتعبيد حزون وتنمية الاقتصاد ، والعمل بنوع خاص على تربية النشء وتهذيب النفوس . كل هذا وما اليه قد اصبح المغرب الفتي الجديد يعمل له بكل ما يملك من طاقة ويتوفر عليه من جهد – جمع الله القلوب ، وهدى الكل لربط الاواصر ولحم الوسائل بالمقاصد ، حتى يصبح هذا الشعب المغربي الكريم يسير وقد استنار بنبراس القرءان ، واستضاء بدستوره وهديه الصالح المقدس .

الداعي للترابط والوحدة – في تعاون واخاء تحت ظل رمز هذه الوحدة الملك الشاب الحسن الثاني ايده الله .

الرباط : عبد الله الجراري

وعد الله الذين آمنوا منكم

للأستاذ: عبد الله الجراري

يقول الله تعالى من سورة النور:

« وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر من بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » ؟

بعد ان بين الله تبارك وتعالى من اطاع الرسول فقد اهتدى الى الحق ومن اهتدى الى الحق فجزاؤه دار النعيم — أردف ذلك بوعده الكريم بانه سيجعل المؤمنين المطيعين له ولرسوله خلفاء في الارض، ويؤيدهم بالنصر والاعزاز، ويبدلهم من بعد خوفهم من العدو أمنا فيعبدون الله وحده وهم ءامنون، ومن جحد هذه النعم من بعد ذلك فقد عصى ربه وكفر انعمه.

وعد الله الذين ءامنوا. ووعده حق واقع « ولن يخلف الله وعده ».

فما حقيقة الايمان ايها المسلم المؤمن ؟ — ان حقيقة الايمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة مقدسة تستغرق النشاط الانساني كله، وتوجه النشاط الانساني كله فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وانشاء موجه كله الى الله لا يبغي به صاحبه الا وجه الله، وهي طاعة لله واستسلام لامره في الصغيرة والكبيرة لايبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة الا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم — من عند الله.

فهو الايمان الذي يستغرق الانسان كله بخواطر نفسه، وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعا يتوجه بهذا كله الى الله — يتمثل هذا في قوله جلت عظمته في نفس الآية تعليلا للاستخلاف والتمكين والامن: « يعبدونني لا يشركون بي شيئا »

ونحن نعلم ان الشرك مداخل والوان، والتوجه الى غير الله بعمل أو شعور هو لون من الوان الشرك بالله.

والايمان يتضمن كل ما امر الله به، ويدخل فيما امر الله به — توفير الاسباب، واعداد العدة، والاخذ بالوسائل. والتهيؤ لحمل الامانة الكبرى في الارض — امانة الاستخلاف.

انها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم، انما هي هذا كله، على شرط استخدامه واستعماله في الاصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه، وتصل عن طريقه الى مستوى الكمال المقدر لها في الارض، اللائق بخليقة اكرمها الله.

ان الاستخلاف في الارض معناه: القدرة على العمارة والاصلاح، لا على الهدم والافساد، والقدرة على تحقيق العدل، ونشر الطمانينة، لا على الظلم والقهر، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري لا على الانحدار بالفرد والجماعة الى مدارج الحيوان.

هذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعدهم الله ان يستخلفهم في الارض — كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم — رغبة في تحقيق النهج الذي أراده الله، ويقرروا العدل الذي اراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم انشأها الله.

فاما الذين يملكون فيفسدون في الارض، وينشرون فيها البغي والجور، وينحدرون بها الى مدارج الحيوان — فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الارض، انما هم مبتلون بما هم فيه أو مبتلى بهم غيرهم ممن يسلطون عليهم.

ءاية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى: « وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم » وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في مجريات الحياة وتدبيرها.

فقد وعد الله الانسان ان يستخلفه في الارض، وان يجعل دينه الذي ارتضى له هو الذي يهيمن على الارض ودينه يأمر بالاصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء والترفع عن شهوات الارض التي هي الى البهيمية أمس منها بالانسانية الكاملة — يأمر بعمارة هذه الارض، والانتفاع بكل ما أودعه الله فيها من

واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله . الرحم معلقة بالعرش تنادي كل صباح اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني) .

5) جويرية المصطلقية ، كان المسلمون اسروا من قومها في غزوة بني المصطلق مائتي بنت بالنساء والذراري فراى عليه السلام ان من صالح الاسلام وهو لا يزال في طور التاسيس والبناء ان يعتق المسلمون اولئك السبايا فتزوج بسيدة من سيداتهم جويرية ، عند ذلك قال المسلمون اصهار رسول الله لا سبيل الى سبيهم واعتقوهم فاسلم لهذا العفو العام الذي هو الاول من نوعه قومها واصبحوا عونا وانصارا كغيرهم من المسلمين بعد ان كانوا حربا من الد الاعداء للاسلام والمسلمين ، وهذا من السياسة التي لاينهجها ولا يهتدى اليها الا من يتلقى من احكم الحاكمين امثال ما يلي من الغرر والدرر : (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم — وانك لعلى خلق عظيم — وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ، تلكم سياسة من كان جادا في بناء مجتمع ما لبث ان تعانق فيه الشرق مع الغرب من الهند الى المحيط الاطلسي شهد له بهذه العبقرية حتى علماء العجم في مختلف العصور اخص منهم بالذكر الفيلسوف لامرتين في كتابه تاريخ تركيا وها نص ما قال : (ما فعلته الدولة الرومانية في مآت السنين بملايين الجيوش وقناطير الذهب فعله نبي العرب في عشر سنوات بشرذمة من اتباعه ولكن بمشعل الايمان) .

6) زينب بنت خريمة ، تزوجها بعد مقتل زوجها في احد كانت تدعى ام المساكين ماتت في حياته عليه السلام . أفلا تكون زوجة من مات روجها في احد يوم الفرقان يوم التقى الجمعان جديرة بهذه الصيانة والحيطة في حظيرة البيت النبوي .

7) ام سلمة واسمها هند ، كان زوجها ابو سلمة اول من هاجر الى الحبشة وكانت تحبه وتجله حتى ان ابا بكر وعمر خطباها فامتنعت ، ولما قال لها رسول الله (ص) : سلي الله ان يوجرك ويخلفك خيرا قالت ومن يكون خيرا من ابي سلمة من هنا تعرف مصاب هذه المراة ، فراى عليه السلام انه لاعزاء لها الا به فخطبها فاعتذرت بانها مسنة وام ايتام فتزوجها خصوصا ما سبق منها من حسن الراي بعد صلح الحديبية وذلك انه عليه السلام دخل عليها وشكا اليها ما لقيه من الناس حين امرهم ان يحلقوا وينحروا بعد ان صدهم المشركون من الدخول الى مكة امتنعوا لما بهم من الغيظ امام ما تضمنه عقد الصلح مع سهيل ابن عمر مثل الفصل الذي قضى على ان من لحق من قريش بالمسلمين يرد اليهم ومن لحق من المسلمين بقريش لا يرد اليهم فقالت ام سلمة يا رسول الله اخرج اليهم ولا تكلمهم وانحر واحلق فانهم اذا راوك قد فعلت لن يخالفوك وكذلك كان حلق ونحر عليه السلام وتبعه الناس لم يتخلف منهم واحد .

8) ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان كانت عند عبيد الله ابن جحش وهاجرت معه الى الحبشة الهجرة الثانية فتنصر هو هناك وبقيت هي على اسلامها ايمكنها الجمع بين البقاء على الاسلام والرجوع الى بيت ابيها سفيان وهو من هو في عداوة الاسلام والمسلمين أمن الحكمة ان تذهب هذه المسلمة ضحية بين فئتين فئة مسلمة وفئة كافرة ، هذا مع ما كانت عليه الحال الاجتماعية من سوء الحال وعدم الاستقرار .

يستخلص من هذه التراجم المختصرة لامهات المومنين ان تزوجه بهن عليه السلام كان في ظروف تقرب من حالة الطواريء التي يلجأ فيها الى الاحكام الاستثنائية المبنية على قاعدة تقديم المصلحة الراجحة على المصلحة المرجوحة .

بقي الآن التعليق على ما جاء في الجريدة في حق الرسول الاعظم وانه يحب النساء والمرح والفناء بهذه العبارة التي هي هتك لحجاب التعظيم والتوقير الذين امرنا بهما بنص الكتاب العزيز : لتومنوا بالله وتعزروه وتوقروه . عبارة استوى في استنكارها كل من سمعها او قرأها اشد الاستنكار وابشعه حسبي فيما يخصني ان اكل امر هذه العبارة الى من نسبها مع من نسبت اليه على اني استبعد كل الاستبعاد ان يصدر مثل هذا الكلام من شريف في حق عنصر الشرف ومعدنه ، وتكون الرواية على حد ما قيل : فما آفة الاخبار الا رواتها او كما يقول احد علماء الافرنج : « اعطوني اربعة سطور من كتابة من شئتم وانا اتكفل لكم بشنقه » ، يريد ان ياخذ من تلك السطور من هنا ومن هنا حتى يستخرج ما يصح ان يطلق عليه اسم جريمة يقدم صاحبها الى المحاكم .

وكيفما كان الحال قالها او لم يقلها من نسبت اليه فان الرسول الاعظم لو كان يحب النساء بالمعنى

أمهات المومنين

للأستاذ : أبو العباس أحمد التيجاني

جاءني بعض الطلبة الى منزلي ، وامارات القلق والامتعاض تبدو على وجوههم ، وبعد تبادل التحيات، قال لي احدهم « فلان » انك تكتب فى المجلات الدينية، لذلك جئناك نرغب منك ان تكتب لنا بما علمك الله في سر تعدد الزوجات فيما يخص نبينا عليه الصلاة والسلام . فقلت للسائل : لاباس ان تخبرني عن الداعي الى هذا السؤال . فأجاب بان الداعي هو ما نشرته بعض الجرائد في موضوع تعدد الزوجات . فشكرتهم على هذا الشعور الديني الذي دفعهم الى المجيء ، ودعوت الله لهم ان يزيدهم توفيقا على ما هداهم اليه من فتح باب للحوار فى موضوع هو من اشرف الموضوعات عند جميع المسلمين . والجواب :

ان الجمهور يفهمون من كلمة الزواج حتى في حقه عليه السلام ما يفهمونه في العرف الجاري ولا يفكرون فيما وراء ذلك من المقتضيات والاسرار وشرح الحال فيما يخص امهات المومنين :

1) اما السيدة خديجة روجته الاولى فالامر فيها واضح تزوجها عليه السلام على المتعارف اذ ذاك وجدت فيه الشاب الذي استوى فيه السر والعلانية ، طاهر القلب جميل الظاهر ، اطمانت اليه نفسها وسكن اسمعته قلبها في زمان لا زال الاسلام يلتمس فيه طريقا بين ادغال الشرك ، وفوضى الجاهلية المطبقة .

2) بعد وفاتها عقد على سودة بنت زمعة ، توفى عنها زوجها بعد الرجوع معها من هجرة الحبشة الاولى فلم يبق لها سبيل للالتحاق بأهلها لانهم باقون على كفرهم فكفلها عليه السلام وكافأها احسن مكافأة بهذه المنقبة العظمى التي تضمن لها سعادة الدارين لقائل ان يقول هلا زوجها للبعض من خاصته ؟ الجواب ان تزويجها للغير ناقص من جهة لانه ضمان فيه فيما اذا توفى عنها الزوج كيفما كانت منزلته وربما بقيت تحت رحمة تكاليف الحياة وتقلبات الزمن بخلاف دخولها في حظيرة رسول الله فان حاضرها ومستقبلها مامونان معا لامجال فيهما للحيرة ، لايضاجعها فيهما هم ولا حزن ، ما هناك الا السعادة في اوسع واكمل معانيها وهذا يقال في حق جميع الامهات الطاهرات .

3) بعد شهر عقد على عائشة بنت الصديق صاحبه في الغار والحكمة في ذلك كالحكمة فى تزوجه بنت الفاروق حفصة بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة فى غزوة بدر اكراما لصاحبيه ووزيريه كما اكرم عثمان وعليا ببناته عليه السلام وهؤلاء اعظم اصحابه واجلهم فى خدمة دينه .

4) زينب بنت جحش ، الحكمة فيما يخصها تعلو كل حكمة الا وهي ابطال تلك البدعة الجاهلية بدعة التبني ، التي يقول فيها سبحانه : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ـ وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم ـ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ـ فكانت رضي الله عنها السبب في القضاء على بدعة التبني اعلاما بالمباديء والاسس الاجتماعية التي جاء بها الدين الجديد ومن اجل هذه المباديء طهارة النسب وقداسة صلة الرحم : (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ـ

مناقشات

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 2 -

3 ـ قوله : اما تطوير الايمان بسيطرة الفريزة فهو يجتاز ازمة عميقة في بلداننا العربية ، نتيجة العلم الذي بدأ يشرح بعض الظواهر الطبيعية الغامضة، والتي ساد الاعتقاد الخاطيء انها وظيفة الله .

تقدم الرد على صدر هذه العبارات ، وبقي عجزها ، وهو قوله (والتي ساد الاعتقاد الخاطيء أنها وظيفة الله) . هل هذا الكاتب لايعرف اللغة العربية، ولا ندري هل يعرف اللغات العجمية أم لا ، ويضاف الى جهله باللغة العربية عدم الاخلاص في البحث والدرس وسوء القصد وارادة الاستفزاز باطلاق العبارات الخارجة عن الموضوع ليرضي بها من اشلوه المعض والنباح ، والا فكيف يطلق على الله خالق السموات والارض ومدبر شؤونهما ، أن له وظيفة . قال الفيروزابادي في القاموس و (الوظيفة) كسفينة ما يقدر لك في اليوم من طعام او رزق ونحوه والعهد والشرط . ج وظائف ووظف بضمتين . والتوظيف تعيين الوظيفة ، انتهى . فكل موظف بالفتح له موظف بالكسر ، وهو الذي يقدر له وظيفته ، والله رب العالمين وخالقهم ورازقهم ، وهو الذي يحيي ويميت بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، ويحكم ولا يحكم عليه . ولولا سوء القصد والجهل باللغة العربية لقال بدل تلك العبارة ، لقد كشف العلم امورا كان بعض الناس يظن انها خاصة بالله لا يقدر عليها غيره ، وذلك كالقضاء على بعض الامراض المعدية، كالجدري وحصر الاوبئة في مكان معين ، ثم القضاء عليها بالعلاج ، والتزود بالهواء والطعام والآلات التي تصل بالمراسلة والمحادثة الخارج من جو الارض بأهل الارض . وهذه الامور نفسها هي من فعل الله ايضا ، لانه هو الذي خلق العقول التي اخترعتها ، وهو الذي وهب الحياة والقدرة للقائمين بها . وقد ظهرت امور كثيرة ، كالراديو والتلفزيون والطيران والمكالمات التلفونية ، كان الناس يظنونها من خوارق العادات ، ثم اصبحت عادية . ولا يوجد في الكتاب ولا في السنة ما يدل بأي نوع من انواع الدلالة على أن تلك الامور خارجة عن طاقة الانسان . بل جاءت الاشارة الواضحة اليها في الكتاب العزيز في قوله تعالى في سورة النحل8 (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لاتعلمون) يعني ويخلق ما لاتعلمون من المركوبات كالطائرات والسفن الهوائية والبواخر المواخر للبحور والسيارات والقطر . ومما قد ذكره أمثال هذا المهوس، ما كان العامة يظنونه ، من ان الارض غير كروية وينسبونه للقرآن في قوله تعالى في سورة الغاشية 20 (والارض كيف سطحت) هذا لا يعتقده الا العامة . اما العلماء كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والغزالي ، وابن رشد ، والنيسابوري ، فقد صرحوا واقاموا الحجج على ان الارض كرة . وقد يذكر بعض المهوسين ، اكتشاف دوران الارض على نفسها وحول الشمس ، ولم يتعرض له القرآن بنفي البتة ، بل اشار اليه في قوله تعالى في سورة يس بعد ذكر الارض والشمس والقمر : (وكل في فلك يسبحون) 40 . اما ما صرح القرآن بأنه خاص بالله تعالى كخلق السموات والارض بانسانها وحيوانها ونباتها وما أودع في ذلك من الاسرار ودقة الصنع والتدبير الذي يستحيل عند كل من كانت له ذرة من العقل أن يكون وليد المصادفة والاتفاق . قال الله تعالى في سورة الحج في الرد على المشركين 73 : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ، ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب » هذا هو

الذي جاء في الجريدة لكان اختياره ينساق بحكم الطبيعة البشرية الى الابكار ومن يا ترى من لا يسارع الى اجابة مثل هذا الخاطب العظيم القدر في عشيرته وعند املاك من اختاره لحمل رسالته .

وكيفما كان الامر فيما يرجع المسئولية فان النعوت المنسوبة اليه عليه السلام بتلك العبارة وذلك الاسلوب لا يستسيغها مسلم له وعي ، ان الكلام في حق الرسول له منهاجه الخاص بينته الآيات تصريحا او تلويحا : (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ــ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) ؛ معناه لا تجعلوا مخاطبته بينكم لخطاب بعضكم لبعض ولكن كلموه وتكلموا فيما يخصه بتوقير وتعظيم وكامل التواضع . كما قال جل ذكره : (لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) ويقرب منه قوله عليه السلام : (احبوا الله لما يغذيكم به من النعم واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي) على هذه المباديء المقدسة قامت واستقرت التربية الاسلامية على توالي الاجيال والقرون .

بقيت ملاحظة اخرى لها مكانتها من التقدير والاعتبار وهي انه صلى الله عليه وسلم ارسل للناس كافة : (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ــ قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) .

الرباط : ابو العباس احمد التيجاني

« الاستقامة ، حفظ اللسان »

« روى الزمخشري في « الكشاف » : قال سفيان بن عبد الله الثقفي ، قلت : « يا رسول الله ، اخبرني بأمر اعتصم به . » قال : « قل : ربي الله ، ثم استقم » فقلت : ما اخوف ما تخاف علي ؟ ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه ، فقال . هذا .... !

عين متصفة بصفة . فمن السخافــة تصور شيء ، وصفته بالتعالي . ثم الحكم عليه بانه مجهول ، ومـا معنى الاغلاق هنا ، انما يتصف بالاغلاق الباب ، والمعنى الغامض ، ولعله يريد هنا المعنى الاخير ، فان كـان الامر كذلك : ففكره هو المغلق ، وتعالى الله وتنزه ان يكون مجهولا او مغلقا ، وقد عرفه اهل السموات واهل الارض وشهدوا بربوبيته وكماله المطلق وهيمنتــه وقيوميته . ولماذا أبهم وهرب الى الصفة ، ولم يقـل الاله أو الله كما صرح بذلك فيما بعد بغاية الوقاحـة والنذالـة . وليس ذلك من شأن الباحثيـــن ، لان الشتم والسفاهة سلاح الدساسيـن . وأي علاقـة للغريزة بالاعتقاد ، فان الاعتقاد خـاص بالعقـلاء ، والغريزة مشتركة بين الناطق والناهق ، ولكن مـن فقد نصيبه من العقل وغلبت عليه الغريزة كالبهائـم ينسب كل شيء اليهـا .

اما قوله ، وكلما ازداد خوف الغريـزة مـن امر ، الخ . تقدم ان الغريزة لا شأن لها بالاعتقـاد ، وانما الاعتقاد يكون بالعقل ، والمعتقد هـو الانسان . وصحيح ان الانسان اذا خاف من أمر آمن به وعبده ، فعباد الاوثان والاصنام يعتقدون ان لتلك الاوثـان والاصنام أرواحا متلبسة بها تضر وتنفـع وتقضي حاجات من يخضع لها ويذبح لها ويطوف بهـا ويهتف بأسمائها اذا حز به امر ، فهم يخافونها ويرجونهـا ، والكن المؤمنين بالله ليسوا كذلك ، فانهم آمنـوا بالله بعد ما نظروا في خلق السموات والارض ورأوا كـل شيء من المخلوقات يدل دلالة واضحة قاطعـة على خالقــه .

وفي كل شيء له آيـة ❋ تدل على انه الواحـد

قال تعالى في سورة آل عمـران 190 — 191 (ان فى خلق السموات والارض واختـلاف الليـل والنهـار لآيات لأولي الالباب . الذين يذكـرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكـرون فى خلـق السموات والارض) . وسأفصل القول فيما بعـد فى الادلة والبراهين القطعية التي تدل على وجود الخالق وربوبيته وعلمه وحكمته وتدبيره لملكتـه العظيمـة بحول الله وحسن عونـه .

6 ــ ثم قال : فبعد ان افترضنا ان فكـرة الله يجب ان تشرح كل ما يبدو لنا غامضا ومغلقا فى ظواهر الطبيعة ، وبعد ان رأينا العلم الحديث يشرح هـذه الظواهر عينها ، شاع الاعتقاد بأن ذلك انما هو انتصار للعلم على الايمان الديني .

هذا الكاتب ليس من اهل العلم ولا من اهـل الدين ، فهو جاهل بهما جميعا . ولو كان من طـلاب المعرفة لعرف واعترف بأن الانسان لايزال في غايـة الجهل بنفسه وبما حوله من حيوان ونبات وجمـاد ، ولم ينكشف له من اسرار ذلك الا شيء ضئيل جدا . فما يعلمه بالنسبة الى ما يجهله كنقطة في بحر ، فهو لا يعلم على الحقيقة والتدقيق مستقر العقل والادراك الذي فضل به الانسان على الحيوان الاعجم . والادراك انواع ، فأين يستقر كل نوع منها ، كالحفظ والنسيان والذكر والذهول والتفكير ، وأين خزانة المعلـومات من جسمه . وأين تستقر الحياة ، وما هي الحيـاة ؟. وأين يكون عقله حين ينام ؟ وهل هناك عقلان ، عقـل باطن وعقل ظاهر ، وهذه الامور التي يراهـا فى المنام باي قوة يراها . ؟ ثم ان العلـم بأمـراض الانسان وعلاجها لايزال ضئيلا ، والمجهول منه أكثر من المعلوم، والمعلوم منه يقينا أقل من ذلك . ثم ما هي جاذبيـة الارض التي تؤلف بين أجزائها ، وتجذب اليها كـل ما هو في الغلاف الهوائي المحيط بها ، وأين هي هذه الجاذبية ؟ . ومن ادعى العلم بكل شيء فهو جاهـل بكل شيء . ثم ان العلم والايمان بالله متلازمان ، لاينفك احدهما عن الآخر ، اذ لا يمكـن ان يعـرف الانسان دقائق المصنوعات واسرارها وعجائبها ويشتد اعجابه بها ، وهو يجهل الصانع جهلا تاما ، بل ينكر وجوده .

7 ــ ثم قال ــ فض فوه ــ وعـاش من يجفوه ــ ما نصه بالحرف : وان الله لن يلبث ان يتقهقر يومـا بعد يوم حتى ينبذ نهائيا . وبما أننا نسبنـا الى الله وظيفة ليست له . الله ليس ظاهرة لا متناهية الصغر، او متناهية العظمة . اردنا ان نصلحه هـو بانكـاره نهائيا ، بدلا من ان تصلح ذواتنا . انتهى هذيانه .

« البراهين العقلية التي تضطر كل عاقل ان يؤمن بالله »

قبل ان أبدأ في سرد البراهين اريد ان انقـل كلاما لبعض العلماء المعاصرين الناصحين لامتهم الذين هم سرج هداية وهـداة الى الحـق . قال الاستاذ محمود صالح الفلكي فى مقدمة كتابـه (العلم يدعـو للايمـان) ما نصـه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد يبدو غريبا ان رجلا درس العلوم الاقتصادية والمالية وشغل منصب وكيل وزارة المالية والاقتصاد ، ومركز نائب المحافظ لصندوق النقد الدولي بواشنطون . والان هو سفير مصر في باريس ، يعمد الى ترجمة كتاب كهذا الكتاب،

التحدي المخزي ، فهل وجد في هذه القرون الطوال منذ نزول هذه الآية الى الآن من استطاع ان يخلق ذبابا فضلا عن غيره . وقال تعالى في سورة الانبياء 35 « كل نفس ذائقة الموت » فهل استطاع العلم المزعوم ان يخلد احدا من الناس او من الحيوان او من النبات. وقال تعالى في سورة الانعام 59 : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » وقال تعالى في آخر سورة لقمان « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي ارض تموت ، ان الله عليم خبير » قال الامام ابن كثير في تفسير هذه الآية :

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها فلا يعلمها احد الا بعد اعلامه تعالى بها ، فعلم وقت الساعة، لايعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، لايجليها لوقتها الا هو ، وكذلك انزال الغيث ، لا يعلمه الا الله ، ولكن اذا امر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا يعلم ما في الارحام مما يريد ان يخلقه تعالى سواه ، ولكن اذا امر بكونه ذكرا او أنثى او شقيا او سعيدا ، على الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها واخراها . وما تدري نفس بأي ارض تموت في بلدها ام في غيره من اي بلاد الله كان ، لاعلم لاحد بذلك . وهذه شبيهة بقوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو) الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب .

اخرج البخاري بسنده الى ابن عمر قال ، قال رسول الله (ص) : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله . ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي ارض تموت ، ان الله عليم خبير » .

فهل يستطيع العلم المزعوم ان يعلم شيئا من هذه الخمس ؟ لعل قائلا يقول ، ان الناس في هذه الايام يعرفون ان المطر سينزل غدا او لا ينزل ،وان السماء ستكون مصحية او غائمة . فأقول : ان هذا العلم مكتسب بآلات وامارات ، ولو سألنا العالم الفلكي عن وقت نزول المطر بعد شهر من يومنا الحاضر لايستطيع ان يجيب بشيء . اذن لايعلم متى ينزل المطر الا الله ، وعلمه لا يحتاج الى آلات ولا أمارات ، فهو يعلم متى ينزل المطر ، والمقدار الذي ينزل من المطر بعد عشرة آلاف سنه ، بل علم سبحانه أوقات نزول المطر ومقاديره قبل ان تخلق الارض الى أن تفنى . وسيقول قائل ، ان الطبيب يعرف ما في بطن الحامل أذكر أم أنثى ، والجواب عن هذا كالذي قبله ، انما يعلم ذلك بالاشعة او بأمارات ، ولو سألناه عن طفلة في العاشرة من عمرها ، ماذا ستلد من الاولاد ، بعدما تبلغ وتتزوج لما وجد جوابا . وهكذا يقال في كل امر اخبر الله سبحانه انه استأثر بعلمه أو بخلقه في كتابه العزيز أو على لسان نبيه الكريم (لاتبديل لكلمات الله) واظن ان هذا القدر كاف لتكذيب دعوى الحبشي المدعي انه عربي ، ولا تعترف به الحبشة ولا العرب ، لان الحبشة نصارى ، والعرب أكثرهم مسلمون ، وقليل منهم نصارى ، ولا يستطيع أن يصرفهم عن دينهم الدساسون المجهولون ، فهم يضربون في حديد بارد .

4 ــ قوله : ان الايمان بشخص بشري ، أو بالله ، يستهدف، طلب الكائن الذي يستحق هذا الايمان . الخ

هذا كلام ركيك فاسد لا طائل تحته . وقد انحط في الركاكة والتعمية الى حد لا يستحق ان يقرأ ولا ان يجاب عنه ، وعلى ذلك نجاريه فنقول ، ما معنى الايمان بشخص بشري ؟ ، هل معناه أن يعتقد فيه أنه الله كما يدل عليه قوله ، يستهدف صلب الكائن، فكأنه يعرض بعقيدة النصارى في الاقانيم الثلاثة ، وعقيدة الصلب والفداء . فان كان الامر كذلك نترك الجواب عنه للمسيحيين ، لاننا معشر المسلمين لا نعتقد في البشر كلهم ، الا انهم مخلوقون لله ومفتقرون اليه ، والله غني عنهم ، ليس له ند ولا كفؤ ولا شبه ولا نظير ، ولا نعتقد صلبا ولا فداء .

5 ــ قوله : فالمتعالي بالنسبة للفريزة هو المجهول والمغلق . وكلما زاد خوف الفريزة من امر ، ازداد اعتقادها بانه يستحق الايمان .

قوله ، فالمتعالي بالنسبة للفريزة هو المجهول والمغلق ، كلام فاسد لامعنى له ، لان المتعالي صفة لايتعين موصوفها ، فان اراد به اسم الله تعالى ، فان من اسمائه المتعالي ، فانه ليس مجهولا الا عند الجهال امثاله ، ومن عرفه حجة على من لم يعرفه . واذا كان يجهله ، فكيف يحكم عليه ، فان الحكم على الشيء فرع تصوره . فهو وصف شيئا بالتعالي ، ولم يعين الموصوف ، ثم حكم عليه بأنه مجهول ومغلق . والصفة في اللغة العربية وفي غيرها تدل على امرين ، على

العلوم ، وجمعه معا في هذا الكتاب الذي يفتح الاذهان ويضيئها بشكل يدعو الى العجب ، منله في ذلك مثل صانع الساعة الدقيقة الجميلة ، اذ يبحث عن عجلة صغيرة او ترس هنا وهناك ويضم اداة دقيقة الى مسمار ، حتى يتم صنع تلك الساعة .

وقد استعان المؤلف بأمثلة من علم الفلك والجيولوجيا وعلم الحشرات وعلم النبات وعلم الاحياء وعلم الطبيعة وعلم النفس والفلسفة . وقد جمع هذه المادة بعناية بالغة ، وعرضها بدقة وبراعة .

واشتق من هذه العلوم المختلفة المتشابكة ، حقائق عجيبة مرتبطا بعضها ببعض فى انسجام كامل بشكل يؤدي بالضرورة الى ايمان كل انسان مفكر سليم التفكير بوجود الله .

ان بعض المؤمنين يؤمنون على اساس الشعور ، والبعض الآخر على اساس تعاليم يحفظونها دون تفكير . ولا يصلح هذا الاساس ولا ذاك ، وانما يصلح الايمان القائم على العقل ، ليقي الانسان فى هذا العصر الذري المدهش .

ومن كلام الشيخ احمد حسن الباقوري في الاعجاب بالمؤلف المذكور :

وبعد ، فهذا المؤلف ثمرة عقل كبير ناضج ... عقل وسع ثقافة العصر واحاط بالكثير من دقائقها ، حتى صار صاحبه رئيسا للمجمع العلمي بأمريكا ، وذلك منصب لا يرقى اليه الا العباقرة الافذاذ من العلماء .

وغاية المؤلف من هذا البحث ، الوصول الى الله عن طريق العقل وما يتكشف له بالعلم والمعرفة من أسرار الكون وعجائبه . فكلما تكشفت له حقيقة من الحقائق هتف من اعماقه ، سبحان الخالق المبدع ، اعترافا منه بأن الانسان وما سخر له العلم والمعرفة من وسائل القوة والاقتدار ، أضعف من أن يبلغ من أسرار هذا العالم شيئا مذكورا .

« يا ايها الناس ضرب لكم مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه — ضعف الطالب والمطلوب » لم يكن المؤلف عالما وحسب، ولكنه كان ايضا شاعرا ، كلما تناول عقله حقيقة من الحقائق اشرق قلبه بها ، فسرت في كيانه هزة الاكبار والاجلال لخالق الكون ومبدعه ، وتلك هي دعوة الفطرة السليمة الى الله وطريقها اليه . ومن هنا كان هذا البحث جديرا بأن ينظر فيه المسلم بعين الاعتبار ، وأن يجعل من مباحثه دروسا نافعة يرى من خلالها قدرة الله وعظمته ، فيقوى يقينه ويزداد ايمانه .

كلام الدكتور احمد زكي مدير جامعة القاهرة سابقا في التعريف بهذا المؤلف :

فى الاشتغال بمطالب العيش ، والاغتمار فى غمرة الحياة ، ينسى الناس ان يفكروا فيتساءلون : من الغاية من هذا الوجود ؟ وما اشتغال بعيش ، وما اغتمار حياة ؟ وقد ينتبه الناس من غفلة ، او يستيقظون من نومة ، اذ اصابهم مرض ، أو اصابهم عجز ، أو نابتهم نائبة . وشر النوائب عندهم الموت ، ينزل بقريب او ينزل بحبيب . ففي هذه الفترات السوداء ، البارقة فى سوادها ، يتوقف الناس يستخبرون ، من اين جئنا ، والى اين المصير ؟ ولكنها فترات لاتطول . فحوافز العيش تعود فتحفز ويشتد حفزها ، والحياة تعود تهتف بحاجاتها ويشتد هتافها. والانسان منا يلبي جبرا لا اختيارا ، ويتركز على يومه، وينسى امسه الذي كان ، وينسى يومه الذي سوف يكون . الا من حيث ما يطعم ، ويلبس ، ويلذ ، ومن حيث ينعم او يشقى بالحياة .

ولكن مع كل هذا ، فمن تحت صخب النهار ، ومن بين الاصوات الصارخة في معركة العيش ، يحس الانسان منا صوتا خافتا يحاول دائما أن يصل الى الآذان . وهو يصل اليها عندما يتعب القائم فيحتاج الى القعود ، وعندما يجهد الجاهد فيتصبب عرقا، فيأوي الى ركن هادىء يجفف عن وجهه عرقه الصبيب . او هو يصل اليه فى هداة من الليل ، وهو قاعد في العراء ، يرعى اشياء هذه الارض ، ويرعى على الاكثر اشياء هذه السماء .

وهو اذ يرعى هذه السماء ، يرعى اشياءها ، يرعى نجومها . يزداد هذا الصوت الخافت فى آذانه ثم يزداد ، حتى يصير صراخا . هذه السماء ما هي ؟ وهذه النجوم ما اعدادها وما ابعادها ؟ وما فتات من النور مبعثر في هذه القبة البلقاء ، بعثرة الرمال في الصحراء ؟ وكيف تحور هذه القبة وكيف تدور ؟ وما شروق لها وما غروب ؟ وما نسق وانساق تجري عليها ومواعيد تضربها فلا تختلف ابدا ؟ .

ويأخذ ينعم النظر رافعا بصره ، وهو اذ يملأ بالذي يراه عينا ، يملأ به فكرا ويملأ به قلبا . وعندئذ

يتكلم في الفلك والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء والطب وعلم الوراثة ، ومثل ذلك من العلوم ، التي لاتمت الى عمل المترجم ، ولا الى دراسته ، بسبب من الاسباب .

ولكن الواقع اني حين قرات هذا الكتاب أثناء اقامتي فى امريكا — ضمن ما قراته من كتب فى موضوعات شتى — قد اعجبتني الغاية السامية التي توخاها المؤلف الكبير من تأليفه ، الا وهي اثبات وجود الله ووحدانيته بأدلة من العلم المادي الحديث .

وكان العهد بدعاة الالحاد ان يحتجوا لدعوتهم بأدلة يحسبونها علمية ، حتى لقد ظن البعض ا ن العلم والايمان نقيضان لا يجتمعان . بل الف احد العلماء الغربيين ، وهو جوليان هكسلي ، كتابا فى ذلك سماه (الانسان يقوم وحده) (Man stands Alone) زعم فيه ان العلم ينكر وجود الله . ولكن ها هو ذا عالم من اكبر العلماء الامريكيين ، وقد شغل حينا مركز رئيس المجتمع العلمي فى امريكا ، قد تصدى له ورد عليه ، وبين له وللناس جميعا ان العلم الحديث يثبت وجود الله وينتهي الى الايمان به وبوحدانيته بما لا يحتمل الشك او الجدل . وقد سمى كتابه (الانسان لايقوم وحده(Man does not stand Alone) اثبت فيه بمختلف العلوم ان الله باريء الكون وهو خالق كل شيء .

لذلك وحده عنيت بترجمة هذا الكتاب لعله ينتشر بين قراء العربية كما انتشر فى امريكا حيث كان له اثر كبير في صد موجة الالحاد تثبيت قوة اليقين

وقد وجدت كثيرا من آيات القرآن الكريم تؤيد ما ذهب اليه المؤلف فوضعتها في مواضعها من فصول الكتاب . والله الهادي الى أقوم سبيل .

التعريف بمؤلف كتاب : الانسان لا يقوم وحده

وضع العلامة الامريكي كريسي موريسون هذا الكتاب للقاريء العادي ، سواء أكان شابا أم شيخا ، رجلا ام امراة . وبينما يعالج مسائل علمية جديدة ، تراه يطلعك على غرائب فى الكون ما كانت تخطر لك ببال .

وهو كتاب علمي قبل كل شيء ، اذ يعالج مسائل تختص بالفلك والجيولوجيا والطبيعة والكيميا والطب وعلم الاحياء ونحوها . ولكنه بسط هذه المسائل العلمية لدرجة يقربها الى ذهن كل قاريء . ومن عجب ان يستوعبها كلها فى هذا الحيز الصغير ، وان يعرضها بشكل جذاب .

اما ما كشفه المؤلف في هذا الكتاب من حقائق جدير بأن يثير خيال الانسان ، غير ان النتائج التي انتهى اليها هي ثمرة (تكييف) الانسان ، كي يلائم الطبيعة بشكل ظاهر ، كما هي ثمرة تكييف الطبيعة لتلائم الانسان بشكل خفي ادعى الى الدهشة . ولا ريب ان هذا الكتاب سيكون موضع التقدير من جميع المفكرين الذين يروقهم ان يجمعوا التأمل والتفكير الى الايمان والدين .

وقد برهن المؤلف بالبراهين القاطعة على ان عجائب علاقات الانسان بالطبيعة ، ووجود الحياة نفسها ، تتوقف كلها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، وعلى وجود قصد من خلق الكون ، ويتمثل هذا القصد في اعداد روح الانسان للخلود .

وهذه الغاية التي توخاها المؤلف هي غاية جليلة بلا ريب ، ولا تعارض بينها وبين الاديان على اختلافها، بل انها على العكس تؤيدها ، اذ تثبت الايمان بالله الذي هو اساس كل دين . ومن ثم يروق هذا الكتاب العالم العصري ، والعالم الديني ، والواعظ ، ويرضي المتدين ، كما يقنع الذي بنفسه شك .

ولا ريب ان الموضوع الذي عالجه هذا الكتاب هو موضوع اليوم . فقد انتشرت فكرة الالحاد فى كثير من البلدان ، وزعم الملحدون انهم ينكرون الايمان على اساس من العلم . ولكن ها هو ذا عالم كبير يؤيد الايمان ببراهين من احدث العلوم .

هذا والعلامة كريسي موريسون ، هو الرئيس السابق لاكاديمية العلوم بنيويورك ، ورئيس المعهد الامريكي لمدينة نيويورك ، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة ، وزميل في المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي ، وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي لبريطانيا العظمى .

وقد قرظت هذا الكتاب صحف ومجلات امريكية عدة . ومن ذلك ما نشرته مجلة (هارتفورد كورانت) ضمن مقال طويل ، اذ قالت :

ان المؤلف الذي هو رئيس سابق لاكاديمية العلوم فى نيويرك ، قد اشتق الوقائع من مختلف

ثقافتنا الإسلامية المعاصرة

للأستاذ : الحسن السائح

نجد انفسنا امام مشكلة تحديد كلمة « الثقافة » وكلمة « الاسلامية » فلم يعد من السهل وقد اتسعت مدلولات الكلمات الادبية وتنوعت الالفاظ المعبرة عنها ان تعطي بسهولة تحديدا جامعا مانعا لكلمة ثقافة ، وكلمة اسلامية ، فما هي الثقافة اليوم؟ وقد حاول كثير من الكتاب ان يعطوها تحديدات دقيقة فعجزت المقالات واضطروا الى كتابة تآليف في موضوع الثقافة ، ولعل آخر ما ظهر هو كتاب Bodin الذي نشره في سلسلة ما ذا اعرف ؟

ثم ما هي الاسلامية التي نعيشها الآن ، هل الاسلامية السلفية او الاسلامية بعد شرحها في عصور النهضة الاسلامية او الاسلامية في العصور المظلمة ، ام الاسلامية في العصر الذي نعيش فيه وهي تقف ثائرة حبه لها موقف صارم وتارة ملاطف من التيارات الفكرية التي ظهرت في العالم الجديد .

لعل اختلاف هذه المفاهيم يوجب ان تحدد الثقافة ، وتحدد الاسلامية ، قبل القاء النظر على ثقافتنا الاسلامية المعاصرة .

فما هي الثقافة التي نعيشها ؟ ، يظهر ان تحديد الثقافة يجب ان يبدأ من نقطة انطلاقها فقد عاش الانسان الاول في تجربة دائمة ، انصهرت عن واقعه الذي يعتمد على تفكيره العقلي ومشاعره العاطفية ، كانت هذه التجربة زاخرة بحركة المفاجآت وما تعوده فانتهت الى ان يكون له رأي او حكم في كل موضوع عالجه ، كما انتهت في تعبيره عما يذكره او يعاهده اما بطريق الرسم او التصوير او التعبير السمعي ، فبدأت الثقافة التي تطورت الى مجموعة من المدارك الحسية والمعنوية المسيرة لسلوك الفرد عند ما يعيش في ذاته ، ولسلوك الجماعات عند ما يتحد فيها مجموعة من الافراد .

وكان هذا السلوك يحدو الانسان نحو البقاء والخلود ، او نحو المثل العليا القادرة على بقائه وخلوده ، والتي تعطيه مفهوما لكل عمل وتوضح كل غاية ، وهكذا اصبحت (الثقافة) نتيجة عمل الانسان ، واصبحت في نفس الوقت هي الخلق الحر المنتج المتسلسل ، تخلق التفكير المنتظم وتخلد شخصية الانسان في عمله ، واذ فقد تولدت الثقافة عند الانسان عند ما استعمل فكره لمعالجة مقتضيات الحياة ، وتفهم مظاهر الطبيعة والكون ، محدده بالبيئة وزمان الانتاج ثم لم تلبث ان اصبحت تتطور بما يمدها به الشخص الانساني من تجربة ووراثة ومقتضيات فسيلوجية وما يمدها به ايضا بالتاريخ – من خبره لانه مركز تسلسلها سواء في الماضي وما فيه من تجربة ، او الحاضر ، وما فيه من طاقة وحيوية او المستقبل الذي يعتبر هدفها الحافل لنمو العقل والتفكير .

وبذلك اصبحت الثقافة تصميما خلاقا مبدعا ينطلق منه الانسان لتحقيق الاهداف الكبرى ، واصبحت تتناول شؤون الفكر والعاطفة وتبرز في كل عملية فكرية ، في فهم الانسان للدين ، وللعلم ، وللتقنية ، وللفن .

وعنها نشأت الحضارة التي هي ثمار التفكير المثقف ، فالحضارة وليدة الثقافة ، ولا تنحرف عنها فأية حضارة الا وهي نتيجة الثقافة .

وكما تنحرف الحضارة تنحرف الثقافة ، غير ان الحضارة تظل منحرفة اما الثقافة فأصالتها هي المثل الاعلى ، وسرعان ما تاخذ طريقها لان الثقافة تمس الفرد وتمس الجماعة ، اما الحضارة فهي عمل الجماعة ويسهل ان يعود الفرد لصواباته ، اما الجماعة فيقتضي ذلك تعبير الجذور الاولى ، فالاصل صلاحية الفرد المثقف ، والعرب اصدق الشعوب حين عبروا عن المستقيم غير المعوج في فكره وذوقه (بالمثقف) من التثقيف اي تقوم الرمح ، فهي عملية داخلية في الانسان ، اما الغربيون الذين استعاروا كلمة (كيليتور) Culture لأداء « الانتاج » الفكري للانسان .

ومن هنا يتضح لنا ان الثقافة ليست مجرد قواعد ومفاهيم اذا ادركها الانسان وتعلمها اصبح مثقفا .

يرى تلك الصور وهي تجري في أزمة يجمعها آخر الامر زمام واحد ، ويرد تلك المعاني ، وهي مختلفة كاختلاف الوان الطيف من احمر واصفر وأزرق ، ثم تجتمع كما يجتمع الطيف ، فيكون منه لون أبيض واحد ، ويرد كل هذه المعاني ، ويرد كل هذه الصور وكل هذه المباني ، الى يد صناع واحدة ، تحركها ارادة عاقلة منسقة هادية واحدة .

فتلك يد الله ، وتلك ارادة الله .

على هذا جرى الاقدمون واهتدوا الى كشف حقيقة الله . وما أعسره كشفا كان ، عند قوم ، لانه كشف مخلوق تستر وراء مخلوقاته ، وما أيسره كشفا كان ، عند أقوام ، لانها مخلوقات عجيبة رائعة ، ما أسرع ما رقت فنفذ اليها الفكر الانساني العاقل ، فشفت عما وراءها . وكان الفكر احد اعاجيبها .

ثم جرى الزمان فجاء العلم ، اشرق على الناس العلم الحديث منذ ثلاثة قرون . وهو بعد ما بلغ الضحى .

وكشف العلم عن عجيب ما صنع الصانع . كشفه في النبات ، وهو صنوف لا عداد لها . وكشفه في الحيوان ، وهو اجناس لاحصر لها . وكشفه في الانسان ، أسمى حيوان . وكشف عن أنساق واحدة في كل هذه الصنوف والاجناس جميعا . وكشف عن قوى في كلها تعمل واحدة ، على اختلاف في درجات، ولكن على اتحاد في غاية . وهدى ، وهدى المنطق ، وهدت الفطرة ، الى ان صاحب هذه الانساق لابد واحد ، ومجري هذه القوى لتعمل على هذه الاساليب الواحدة ، لابد واحد . ونسق العلم ما بين الارض الجامدة وما عليها من احياء . ونسق ما بين الارض ، جامدها والحي ، وبين هذه الشمس وذاك القمر ، وأثبت ان المعدن واحد ، والاصل واحد ، واثبت ان الذي صمم عين الانسان بعدستها ومائها ، وما وراء الماء من شبكة تلقي عليها الصور ، هو هو لابد الذي صمم هذه الشمس واخرج منهاتلكالاشعة ووجهها الى الارض . فهذه العين تكون عبثا لولا هذا الضياء .

وجاء العلم ، وجاء العلماء بألف الف دليل على وحدة الارض ، وما عليها ، ووحدة السماء . ومن هذه الوحدة درج الناس والعلماء الى وحدة رب هذه الارض ورب السماء .

ومع هذا بقيت في العلماء بقية تقول بالخلق والتخلق طبعا ، وتنكر وجود الله . ومن هذه البقية العالم الانجليزي ، جوليان هكسلي فكتب في ذلك كتابا اسماه : الانسان يقوم وحده) (Stands Alone) وهو في ذلك يسير على درب سار عليه جده من قديم . فجده توماس هكسلي 1825 — 1895) ، صاحب داروين وناصره في القرن الماضي .

وظهر هذا الكتاب لهذا العالم فانبرى له عالم آخر ، فكتب كتابه هذا ، الذي بين يدينا ، وأسماه (ان الانسان لا يقوم وحده) (Man does not stand Alone) اراد بذلك أن يقول انه يقوم في هذه الدنيا ومعه الله .

والكتاب يعدد ، في ايجاز جميل ، هذه الانساق التي تجمع بين الخلائق جميعا ، وبين الحي والحي ، وبين الحي والجامد . وعبر حدود الارض ، واتجه الى السماء ، بربط ما بينها وبين الحياة على هذه الارض. وهو يدال من صفات هذا الشيء وهذا الشيء ، على ان صانعها لابد واحد ، فهما كالمفتاح وقفله اتساقا ، لايمكن ان يكون ابندعهما ودبرهما الا عقل مبتدع مدبر واحد .

فالكتاب عون على الايمان الذي عماده الفكر والفطنة : كبير . ا هـ .

قال محمد تقي الدين : فتامل ايها القاريء النبيل في كلام هؤلاء الجهابذة الذين هم اقطاب الادب العربي والاوربي معا كيف أقاموا البراهين القاطعة على مقام الربوبية الاعلى وحاجة المخلوق الى خالقه المتعالى . وسيرد عليك في المقالات الآتية بحول الله وقوته ما يثلج صدرك ، ويملأ قلبك يقينا وايمانا ، فتغمرك سعادة المؤمنين . وتنقشع عنك سحائب الغافلين . واين هؤلاء الفحول من ذلك الكويتب المجهول (ريني الحبشي) هيان بن بيان ، وضل بن صل .

وابن اللبون اذا ما لز في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

وموعدنا المقال التالي . بحول الله وقوته .

الدكتور تقي الدين الهلالي

ويركز المستعمرون طريق الاجهاز على الحضارة بتحطيم القنطرة التي تصل الانسان بعمق حضارته ، ولقنطرة هي اللغة المحلية ، او على طريق دفن المفتاح ، ومفتاح الحضارات هو اللغة ، وان الكلمة التي قالها احد علماء الاجتماع الانساني ستظل قوية لم تفقد بعد مدلولها فاذا استعبدت امة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها ... لان اللغة هي التي تكون الفكرة وهي التي تعبر عن الشيء ، والافكار هي التي تحدد العمل من قبل المفردة اللغوية المحددة للمعني ، وفكرة الانسان وعمله لا بد ان يكون لهدف وان يكون معتمدا على سبق تجربة، ثم ان اي مواطن انما ينبت في الارض التي يعتبر مقدودا منها ، وتتكلم باللغة المركبة من حروف ابدعتها لهاته ، مناسبة لما يرى وما يسمع ، تصور افكاره بدقة ، وتعبر عن داخله بعمق وتطور شعبيته بوضوح ، ـ فالانسان ـ وقد تساعده الثقافة الاجنبية على خلق ثقافة محلية صنعها تاريخ اجنبي ومعطيات اجنبية كذلك ، واذا كان المستعمر يضع تاريخ دولة مغلوبة على امرها فذلك على اعتبار تمديد حضارته وتاريخه فهو يعمل عن وعي يمده به تاريخ بلاده لتصبح الدولة المستعمرة جزءا من تاريخ بلاده وحضارته وعلى طريقة تفكيره ، ولا يعرف غلطه الا حينما يقف المواطن الصادق المثقف فيضع حدا لتياره ، ويقول له انك غريب عني ويعرفه باخطاء احكامه وآرائه ثم يمحي الاحكام الاجنبية الخاطئة في اعماقه ويعوضها بربط الصلة الحقيقية بين ماضيه وحاضره .

والواقع ان انحراف الثقافة يثير النوايا السيئة ويزيف الاخلاق ، فيرتكب الانسان المفاسد على اعتبار انها اخلاق وكما يقول ايمانويل مونيه (ان كل خطيئة تاتي من التفكير السيء والمعيار الصحيح لوزن الثقافة هو مدى التزامها لخدمة الانسان والانسانية ، فليست الثقافة ترف انما هي التزام وكما ان الوردة لا تكون وردة الا اذا كانت متناسقة وذات رائحة فان الثقافة المأخوذة من ثقف لا تكون مجدية الا اذا كانت ذات رائحة اي مؤمن بها ملتزم لها فالثقافة المنحرفة المستعارة Pseudonyme اشد من الجهل ، وكما يقال الكاتب جونه : (اولى بكثير ان يكون ظلم من ان يكون اخلال بالنظام) فالثقافة المنحرفة هي التي لا تعمل للانسان وتبرر الاغلاط تبريرا قدريا ولنهوض اي مجتمع كيفما كان لا بد ان يعتمد على ثقافته الخاصة ولذلك لا بد له من معرفة نوعيه ثقافية الاصلية ومظاهرها ومصادرها الذاتية والخارجية كما انه لتخطيط مستقبل توجيهي لاية امة لا يمكن الاستغناء عن دراسة الماضي الثقافي وما يزخر به الانتاج المحلي من روائع الفكر ، ومبدعات الفن ولتحقيق توجيهالامة والافراد لا بد من معرفة دقيقة بمطالب البيئة وامكانية الفرد العقلية والعاطفية لاحداث تجاوب بين الشخص وبيئته وذلك لئلا يظل التوجيه عفويا بعيدا عن التخليط المحكم والتناسق الطبيعي معطيات البيئة وشخصية المواطن فقد يكون من الممكن اذا دققنا عملية التاريخ ان يكون التوجيه اقرب الى الفروض الرياضية منه الى الصدق ، فالعملية اذن معرفة نوعية الثقافة التاريخية ، ونوعية الثقافة التوجيهية ، والبحث عن امكانيات تحقيق ذلك عن دراسة التاريخ السلالي واثره في تكوين طبيعة الفكر الفردي والجماعي وما يمكن ان يستجيب له من توجيهات تتفق وميوله وعواطفه وبفكره لان المثل العليا في كل شعب من الشعوب مستوحاة من مطالب البيئة واهداف استمرار الحياة ، وهذا المثل الاعلى هو العنصر المحرك لخلق صراع بناء للحضارات مناسبة البيئة والزمان وتطور الانسان .

ولكن قبل ان نساهم في الثقافة العامة ، والحضارة الانسانية ، يجب ان نعرف ثقافتنا بدقة ... وتؤمن برسالتها ايمانا قويا غير متعصب اعمى ، ينكر مزايا الثقافات الاخرى بل ياخذ عنها ويعطيها ، واحيانا لا ياخذ منها وانما يقدر عملها تاريخيا او في بيئتها الخاصة وقد اصبح الانسان المتمدن اليوم ليسهم في البناء الحضاري العام يهتم بثقافته هو فيضع لها مقاييس وتحديدات ويفرغها في عقول الناشئة ليرتبطوا بقوميتهم وانسانيتهم وتركزت هذه العملية تتابع مراحل النشوء من طفولته الى شبيبته في المدرسة والكلية ولهذا اصبح التعليم اليوم هو النواة الاولى للتكوين الثقافي وسياسة توجيه الامة جمعاء نحو المثل الوطنية والانسانية والاقتصادية ايضا .

ولا يمكن ان تعرف طريقة توجيه التعليم ومذهبيته الا بعد الرجوع الفاحص الى ثقافتنا التعليمية الاولى ، لان فيها تكمن نقطة الانطلاق .

فالتعرف على سيكلوجية الافراد والجماعات والادوات المادية التي حركت التاريخ ودرجة سمو العقلية الفردية والجماعية وصلابة الشخصية ضرورية لتحديد التوجيه وتقريب الهدف .

والثقافة التي ينشدها المفكرون انما تنبعث عن واقع الامة وتجديد ثقافتنا المغربية الاسلامية يقضي دراسة واسعة للماضي الثقافي الذي تبنى عليه ثقافتنا اليوم ، وهذه الثقافة هي نقطة الانطلاق اذ انها الحقيقة الشاعرة والحية المتكدسة في العقل الباطن والواعي ، وهذه الحقيقة لا تفخر الا بأداة اللغة القديمة التي عبرت عنها ، واللغة الحية المعاصرة ، ذات الكلمات المشروحة بالمعاني المشعور بها ، فاللغة كاداة لن تعبر الا عن شيء حي (وهو الثقافة) ولذلك فالثقافة هي التي تخلق اللغة الحية .

واذا كان للثقافة جانب حي متحرك يساير العصر الحديث فلها جانب تاريخي في حاجة الى الجلاء ليظل ممدا للفكر المعاصر النابض بالحياة ، والمشحونة بالمعطيات التي في حاجة الى الامداد التاريخي والامداد المعاصر في نفس الوقت واذا

وانما هي في اسلوب التفكير والتعبير والحياة المعاشة متجهة لتكوين اجتماعي يتقدم دائما ، وحتمية الارتباط بين الانسان وثقافته هي الوسيلة الوحيدة لانماء الذاتية والسمو بها الى قمة الانسانية . ولا يمكن لاية حضارة ان تنمو الا على اساس تسلسل ثقافتها المحلية ولذلك كان المستعمرون عند ما يغزون حضارة ما ان يحاولوا جهدهم لاجتثاث اصولها ، وقد عشنا هذه التجربة كما عاشتها اغلب البلاد المغلوبة على امرها وكادت الصلات ان تنقطع بين الماضي والحاضر ، وقد يكون من نتيجة قطع الصلات الثقافية او تقادم عهدها ان يعيش الانسان في الفترات الاولى من الاستقلال في ادراكات ليست صحيحة ، وليست سليمة عن حضارته وثقافته العريقة بعد ان بعد عنها وبذلك يعبر بناء ثقافة وحضارة معاصرة الا بعد عملية تفهم الثقافة الاصلية واحياء تراثها .

ولا يمكن لاية امة ان تبلور ثقافتها وحضارتها في الوقت الذي تكون فيه مغلوبة على امرها لان « الحرية » ضرورية لاظهار الصورة الحقيقية للثقافة والحضارة .

فحرية الفرد والشعب ضرورية للتعبير عن مقتضيات الثقافة .

ولا يمكن ان تفهم الثقافة على وجهها الصحيح الا عند ما تكون تعبيرا صادقا حرا عن طبيعة الفرد والشعب واذا استعبد الفرد او الشعب ، فمن العسير ان يعبر عن ثقافته بصدق ، لان القوى الموجهة الخارجية عنه ترغمه ان يفكر مقلدا او منحرفا نتيجة مرض مركب النقص الذي تكونه العبودية ، ومن طبيعة المغلوب الخضوع لنظام الغالب كما يقول ابن خلدون حتى في تفكيره واسلوب معالجته للمقتضيات ... واذن فالحرية ضرورية لشحذ الثقافة وهي بدورها ضرورية لتقديم الحرية .

وقد اتضح في تاريخ الاستعمار سعيه لمحاربة الثقافة المحلية التي تحول دائما دون سيطرته ، واهم مظاهر هذه الحرب اهمال الثقافة الجماعية لذلك فقد انكر المستعمرون ثقافتنا وحاربوها في شتى المظاهر ، وفي مظاهر هذه الحرب ايضا التقليل من شأنها وتحريف الثقافة المستوردة .

ولتحقيق هذا الهدف ، يفرضون لغتهم الاجنبية على المواطنين ، وبالاخص الذين يختارون تعلم اللغة الاجنبية وايثارها على لغتهم وثقافتهم الاصيلة فيحرمون انفسهم من ميرات امتهم الروحي والاجتماعي الذي لا يمكن الاتصال به الا عن طريق اللغة .

وهكذا يستطيع الاستعمار ان يذوب الثقافة القومية التي عند ما تضعف وتمحى تذوب معها الشخصية وتنمحي ايضا ، ويستطيع في هذا الفراغ ان يخلق عالما جديدا مستوردا من ثقافته اجنبيا عن التفكير المحلي ، ويستطيع به ان يصير الامة المغلوبة على امرها فاقدة لذاتيتها وشخصيتها ، وما دامت الشعوب المغلوبة على امرها تتنكر لثقافتها اللسانية والذوقية فهي بعيدة عن اصالة شخصيتها وفضائل نموها ، وستظل طريقها غير مؤمنا بنفسها وتفكيرها وقوتها ، واذا تحررنا من الاستعمار ، وكان لزاما علينا ان نبني مستقبلنا فلا بد من الرجوع الى ثقافتنا الاولى الاسلامية وخطوطها البارزة لنبني عليها في المستقبل المؤمل ثقافة تناسب واقعنا الجديد ، لان عدم الرجوع الى اصول هذه الثقافة يجعلنا دائما ضالين السبيل الذي خطته ثقافتنا الجذرية الوطنية الانسانية بل سنظل فريسة لرواسب الاستعمار الذي يسعى الى ابادة ثقافتنا ، وكما تزدهر الثقافة وتنضج بالحرية فانها تنمو في رحاب تجديد قوة التفكير الانساني واستغلاله لمعارفه وتجاربه التلقائية والخارجية التعليمية والغريزية ... وليس من السهل ان نفهم اصول ثقافتنا اليوم كما يبدو ذلك اول وهلة لان عملية فصلنا عن ثقافتنا مدة نصف قرن ساعدت على تكوين فراغ نشأ فيه جيل اجنبي عن اصول حضارته .

والجيل والاجيال التي تنشأ في فترات الاستعمار تتكون من ثلاثة طوائف (الاولى) تتحجر على ثقافتها الاصلية وتصم اذنها عن ما جريات التاريخ ، وهذه عيبها الجمود ، (والثانية) تنساق مع الثقافة والحضارة الجديدة وتنسى مكانتها وبيئتها وماضيها ، وهذه تصبح غريبة عن مجتمعها ، (والثالثة تحاول ان تاخذ من الطرفين ، وهذه اما تتجزأ شخصيتها او تظل في حيرة وقلق دائم .

لان الطريق الوحيد لنمو الثقافة هو الحرية ، ومن هنا نرى ان الامة المغلوبة على امرها لا بد ان تعاني ازمة الحضارة مهما حاول افرادها التغلب عن ذلك ، سواء بطريق الصمود او بطريق الفرار او بطريق مسك الحبل من طرفيه .

اما المستعمرون من جهتهم فهم يسعون بجد لبناء اسس ثقافتهم اما بطريقة نزيهة لتحل مكان الثقافة الاصلية او بطريقة توجيه مغلوط لخلق بلبلة فكرية وعقد حضارية .

وقد عاش العالم الافريقي بصفة عامة هذه الازمة الحضارية فقد لقن المستعمرون ثقافتهم الذاتية الكارتيزية للمغلوبين ، وكونوا اجيالا عارفة بحضارتهم جاهلة بحضارتها الاصلية او متمسكة بصورة مشوهة عن اديولوجية البلاد وجغرافيتها الانسانية وتنظيمها الاجتماعي على اساس تقديس حضارة الغرب التي ينتقدها ابناؤها ... وتبعا لذلك فقد اهملوا الدراسات الاسلامية ، فجمدت وتحجرت ، لان الثقافة كالشجرة اذا لم تتعهدها بالري لا تلبث ان تتقلص اغصانها ، وتتساقط اوراقها وتفقد ثمارها وكادت افريقيا ان يتم فيها التفويت الثقافي والحضاري .

ارتسامات حول اللغة العربية وفعاليتها في الحقل العلمي

للدكتور: المهدي بن عبود

ليست المسألة مسألة لغوية وانما هي مسألة نفسانية تتصل بنظرتنا الى وجودنا وكياننا وعقيدتنا وفلسفتنا في الحياة وايماننا بنفسنا وتحقيقنا للرسالة الملقاة على كاهل البشر الاحرار في موكب الحضارة العام السائر الى تحقيق حكمة الهية في الوجود ، وهو تغليب الحق بعد اظهاره على الباطل ، وفوز النور على ظلمات الجهل المركب في النفوس المنحرفة ، والتقريب بين المرء ونفسه وبين الفرد والكل ... والا لكانت قضية اللغة قضية تافهة لا تستحق هذا الوقت ، وهذا المجهود المكرس لها ، انه لمن اليسير ان تتغلب اي لغة كانت على الصعوبات اللفظية للحصول على مسميات ، مثل الآلات الميكانيكية والمواد الكيميائية والظواهر الفيزيائية والتعابير النظرية ولكن من الصعب جدا ان تقنع رجلا غافلا ان يهب من غفلته ويربح وقتا ثمينا يضيع سدى ويدافع عموما عن لغة كتب لهـا ان تكون لغة حضارة ، ولغة رسالة عظيمة ، وثقافة معينة بها يزدهر التراث الانساني ، كما فعل في الماضي في تكوينهـا التاريخي على اسس الثقافات العظيمة ، والحضارات العميقة المدلول .

هذا هو الموضوع ولو كان شائكا متعقدا من الوجهة الفنية ـ خصوصا وانه جاء في مرحلة الانتقال التي تواجه الامم الناهضة حيث تتراكم المشاكل ، فلا اشد على الامم عبر تاريخها من اطوار الانتقال ، اذ لا يتمخض القديم عن الجديد ، الا بعد آلام وضحايا ، وعقبات ترثها الاجيال اللاحقة عن الاجيال السابقة ، وبما ان الزمان ليس الا صورة ذهنية لا وجود لها في الواقع ، فان القديم والحديث ما هي الا مرآة لقيمة الانسان فردا كان او مجتمعـــا .

عصر النهضة عبارة عن حالة نور اجتماعية يرتقي اليهـا الانسان ، وعصور الانحطاط ما هي الا حالة الانحلال والجهل المعنوي الذي يـرد الانسان اسفل سافلين ـ وبين النهضـة والاضمحلال تمتد مرحلة الانتقال ، كصراع طويل ، انكى ما فيه هو سوء التفاهم بين الناس .

وهذه النظرة الى التاريخ صادقة على الحياة البشرية جملة وتفصيلا ، اذ ان الوعـي يشمـل الامـة في العادات والمعتقدات والصناعات،والانحطاط ايضا يظهر جليا فيها على صورة الاحوال والاقوال والافعال والمظاهر ومن بينها اللغة .

ولا ادل على هذا من تقدم اللغة او تاخرها لانها صورة للعقل والنفس ، فلما تقدم العرب تقدمت معهم لغتهم حتى صارت منتشرة الاستعمال في العالم الشرقي والغربي خصوصا في ميدان العلوم والتجارة ، ولما تأخروا وقف تطورها لكـن من حسن حظها وحظ العرب انها كانت سابقة لغة حضارة خلفت لنا تراثا لغويا عظيما ، فلما وصل العالم العربي الى درجة التخلف الذي تركهم فيه الاضمحلال كانت الشعوب العربية احط مستـوى من لغتهم المحفوظة في الذخائر العلمية والادبية والفقهية وخصوصا في القرآن الكريم الذي جعل منها لغة سمو عقلي وروحي لا يعاد له اي انتاج بشري .

الى حد ان مسألة لا في المبدان العلمي ولا في غيـره مسألة لغة في واقع الامر وانما هي مسألة امم ، عليها ان تنهض بنفسها ، وتستعمل التراث المدفون بين ايديها وتضيف اليها ما يتطلبه تطور كل لغة عربية كانت او غير عربية فانه لا يوجد على وجه الارض لغة لا تتطور من شعوبها على مر الزمان .

ولكن نظرا للعوامل المختلفة التي تؤثر على حياة اللغات فان الاتهامات التي تلحق لغة الضاد هي في الحقيقة كما سنراه في غير محلها وينبغي بالاحرى ان توجه الى الجهلاء من ابنائها

وليس هذا الموضوع المقترح من طرف المكتب الدائـم لمؤتمر التعريب بالبحث الهين الواضح الجوانب ، لا ولا هو في مأمن من الجدال الطويل ، فالخاص والعام على خبرة من تداوله على رؤوس الالسنة والخوض فيه في المجامع العلمية والدوائر المدرسية ، والهيئات السياسيـة ، منذ انبثـاق الوعي في العالم العربي وقيام النضال ضد الاحتلال الاجنبي وخصوصا الاحتلال الفكـــري .

كانت الثقافة اليوم واقعا وليست ترديدا فان هذا الواقع لن ينفصل بتاتا عن الماضي اذ الثقافة ليست مجرد حياة ، ولكنها معرفة الحياة والتأثر بها والتأثر عليها وهي وعي عميق للسلوك الحياتي والتعبير عنه بمختلف الادوات الفكرية والبيانية واليدوية ، فالشعب عند ما يعبر وهو غير مثقف يظل تعبيره باهتا وعند ما يعبر تعبيرا ثقافيا يكون وصل الهدف ، ولهذا فالثقافة القومية ضرورة لتطور تعايش الامم في الخلايا الانسانية بعد ان تكون لكل امة معرفة عميقة بشخصيتها .

ومن يكون الفكر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الا الثقافة ؟ وكيف يمكن ان تكون الثقافة متغذية من المبادىء العلمية الصحيحة والجذور العميقة الاصلية ، ومحصنة ضد العادات الخاطئة في التفكير اذا لم تكن مبنية على الاسس المتينة ، ان الثقافة القومية الحق هي التي تعتمد على الجذور الصحيحة العريقة وهي التي تربي الاحساس الشعبي وتسمو به الى قمة الانسانية المتعالية ، ان الثقافة عملية هضم وتمثل ولا تؤثر الدراسة فيها الا بمقدار ما تعطي من صقل للمدلول ووضوح للفكرة وابراز التعبير ، اما مجالها الحق فهو الحياة المعاشة الذائبة والحركة الاجتماعية المنطلقة ، هذه الحياة الصاخبة التي اذا مارس واقعها اي انسان يصبح اداة فعالة للفكر والحركة الدافعة فهي اذا لابد ان تكون تعبيرا عن (شيء) حي كيفما كان وضعه في المجتمع ، وليس من اللازم ان يكون (شيئا عظيما) او (شيئا تافها) لان العظمة والتفاهة انما تنبعث عن الانسان نفسه فهي نسبية المعنى .

اذ كانت الثقافة حسب تعبير احد الكتاب الفرنسيين هي ما يتبقى في الذهن بعد نسيان كل شيء فان هناك عقولا لم يكن في عقلها ما يتبقى ، ومع ذلك تمارس التجربة الانسانية بمهارة، فنسبية الثقافة ليست في اختزان المعلومات ولكن في عملية الخلق والابتكار ومواجهة المشاكل بداهة فالفوارق الطبقية الثقافية لا يمكنها ان تكون ذات اثر فعال في كينونة الثقافة وانما لها اثر واضح في الصقل والتنظيم واضافة تجربة التاريخ الى تجربة الذات ... فالثقافة تصبح اسلوب الحياة المعاشية وتقنية السلوك، والثقافة الحق هي اكتشاف الحياة كما يقول كلودروا Claude Roy اي التمازج مع الآخرين وعدم الانعزالية او الشعور بالتعايش الانساني وهذا التمازج من الفرض ان يكون امتزاج المعرفة الذي ينتج عنه التنافس الذي يحرك العقل ويقدم الانسانية الى الامام .

من خلال تحديدات الثقافة ، وضرورية محليتها يمكن ان نتساءل عن ثقافتنا وحضارتنا ، ومن السهل ان نقول ان حضارتنا عربية اسلامية وثقافتنا عربية اسلامية كذلك .

فما هو تحديد الاسلامية في موضوعها ؟ .

اننا جميعا نؤمن عن عقيدة وعن دراسة علمية ان (الاسلام) دين عقيدي واجتماعي اوحى به على النبي (ص) من عند الله تعالى فليس (الاسلام) مرحلة تطويرية ، ولكنه مع ذلك لم يكن منعزلا عن التيارات الفكرية الحضارية التي سبقته ، والتي عاصرته وانما كان عقيدة حية يساير عصره ويساير العصور التي تلت ظهوره كما كان ذا نظام اجتماعي وسياسي واضح الخطة سواء في بيئة او في البيئات التي وصلت اليها دعوته ، وكان يتأقلم بسهولة ومرونة فائقتين تظهران من معجزته وعند ما دخل العقل في شرح نصوصه والاستفادة منها اعرب عن تفتحه وقوته على المناقشة والاخذ والعطاء لا على حساب مبادئه الجوهرية وعقائده الثابتة ولكن على حساب النظريات الثانوية التي تشرح الاسس وتنظم المجتمعات ويمكن ان نصف الحركة الفكرية الاسلامية في القرن الاول والثاني والثالث بانها بلغت اوج التلاقح الحضاري في دمشق وبغداد وقرطبة ، والقيروان ، وفاس حيث استوعب الاسلام الفلسفات الاغريقية والرومانية والهلينية والتيوتونية الهندية والفارسية .

(يتبع)

((بستان الكتب))

اذا كان زهر البستان يجلو الابصار ، ويمتع بحسنه الالحاظ ، فان بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوي القريحة ، ويؤنس في الوحشة ، (وخير جليس في الزمان كتاب)

اللاتين والاغريق والاقبال على لغة المسلمين فيقول (ان ارباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الادب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها ، وساء ذلك معاصرا كان على نصيب من النخوة الوطنية اوفى من نصيب معاصريه فاسف لذلك مر الاسف وكتب يقول : ان اخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب واقاصيصهم ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لادحاضها والرد عليها بل لاقتباس الاسلوب العربي الفصيح . فاين اليوم من غير رجال الدين من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل؟ واين اليوم من يقرأ الاناجيل وصحف الرسل والانبياء ؟ وا أسفاه . ان الجيل الناشيء من المسيحيين الاذكياء لا يحسنون ادبا او لغة غير الادب العربي واللغة العربية ، وانهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة باغلى الاثمان ، ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية في حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الاصغاء اليها محتجين بانها شيء لا يستحق منهم مؤونة الالتفات .

فيا للاسى . ان المسيحيين قد نسوا لغتهم فلن تجد فيهم اليوم واحدا في كل الف يكتب بها خطابا الى صديق . اما لغة العرب فما اكثر الذين يحسنون التعبير بها على احسن اسلوب ، وقد ينظمون بها شعرا يفوق شعر العرب انفسهم في الاناقة وصحة الاداء ...) انتهى كلامه .

نرى من هذا الوصف الذي لو طبق في ايامنا هذه على ظروفنا وابدلنا في هذا النص اللغة العربية باللغة الفرنسية والبلاد الاسبانية بالبلاد العربية كان صادق المدلول كامل المطابقة حيث التاريخ يعيد نفسه .

ونرى ايضا من هذا انه ليست حالتنا الحاضرة حيث ينهافت الجيل الفتي على لغة الغالب وينظر الى لغته بعين الاهمال والتنقيص هي الحالة الاولى من نوعها في التاريخ، بل نستخلص مما سبق ان التاريخ يفيدنا ببعض القواعد كدروس لا بد ان نستفيد منها ونعتبر بها كأثمن عبرة في حياتنا :

1) الاولى هي ان الروح البشرية لا تتجزأ ، فخصائص رقيها او انحطاطها وخذلانها يتجلى دفعة واحدة في سائر مظاهر الحياة وخصوصا في اللغة كما سبق لنا الكلام عنه .

2) الثانية ان اللغة العربية كانت كما لا زالت لغة حضارة منذ قرون عديدة فلا يصدق عليها ما يقال عن اللغات البدائية مثل اللهجات الافريقية او بعض اللهجات الاسيوية المختلفة او غيرها . فهي لغة رسالة سماوية ولسان حضارة بفضلها قامت القارة الاوربية من غفلتها ، وهي احدى اللغات التي تناط بها وتسمى بها الثقافات الكبرى مثل الانجليزية للثقافة الانجلوسكسونية واللغات اللاتينية للثقافة اللاتينية وهلم جرا ، فالعربية هي لغة الثقافة العربية الاسلامية وعقلية الامة الاسلامية في سائر القارات لا سيما في الوطن العربي حيث علاوة على ذلك لقد قام الدليل في سوريا مثلا على ان اللغة حية يجري بها العمل في سائر فروع التعليم والادارة والعمليات العامة .

3) الثالثة ان اللغة روح ووعاء للحضارة فمن اراد ان يرتقي سلم الرقي لا بد له ان يحافظ على لغته في الآداب والفنون والعلوم على السواء لان اللغة واحدة والادواج شيء سطحي ومؤقت واصطناعي لا اساس له في التاريخ ولا في النفوس عند مجموع الامة .

فاللغة وعاء للحضارة والشخصية وهي كبطاقة تعريف للثقافة وللامة بحضارتها وثقافتها فاذا غلبت عليها لغة اخرى ذابت شخصية الامة وذهبت ريحها . وهي كروح اهم من كونها وعاء للحضارة او وسيلة تعبير .

فانها ما سميت باللسان تقريبا عند كثير من الامم الا لانها ترجمان العبقرية الخاصة بالامة وبمشاعرها ونظرتها للوجود وهوية نفسها وقيمة الهيكل الاجتماعي باكمله .

ثم انها كروح هي اجلى وافصح صورة لبشرية الامة بلطفها وصفائها ونورها حسب مفردات عمر ابن الفارض التي تتميز بها روحانية الاجيال سابقها ولاحقها ، فعبقرية الامة وروحانيتها سر يكشف على الدوام لزخارة الحقائق ومرونتها ورقيق معانيها ولطفها وتجديد مفاهيمها المستمر في ابتكار متواصل وتطور منمر وحركة لا تنقطع عن طريق الادب والفلسفة .. الخ ...

كل هذا كامن في النفس لا ينقب عنه الا ساعد اللغة الاصيلة التي تكون وحدها قادرة على التبليغ بامانة ونفوذ وتوافق مع المعنى .

ولهذا نرى الناس يدافعون عن لغتهم بنور بصيرة اذا كانوا من زمرة المتبصرين بادراكهم لعظمة الدور الذي تلعبه اللغة في هذا المضمار .

فهم يحنون اليها لانها تتكلم وتختلج مع نفوسهم وافئدتهم وارواحهم وبفضلها يلمسون الوجود ذوقا وادراكا .

فاللغة الاصيلة نقطة وصل بين الانسان والوجود اصدق واتم من اي لغة اجنبية دخيلة التي تفيد طبعا علميا وعمليا ولكن لا تصلح الا لربط العلاقات لا كصلة روح بروح ، ومن جهة اخرى يقول كالينين احد رؤساء الجمهورية السابقين في الاتحاد السوفياتي في كتابه المسمى (حول التربية الشيوعية) متوجها الى التلاميذ في الصف التاسع والعاشر : (يجب قبل كل شيء ان تتقنوا معرفتكم للروسية . انني ارى ان معرفة : اللغة الروسية عامل مهم لتطور الانسان العام وذلك لان جميع العلوم التي

وليست هذه اول مرة نسمع باللغة العربيـة تشتكـي من خصومها الاجانب الذين لا زال جيشهم الثقافي يوطد الاحتلال المعنوي حسب الستراتيجية القديمة من عهد بدايـة الاستعمـار والمبنية على قتل الشخصية العربية الاسلامية بمحاربة اللغة ومحاربة الكتاب الحافظ لها وهو القرآن ، وذلك لغزو الافكار تسهيـلا للاستغلال الاقتصادي واستعباد العقول ، وليست هذه اول مرة نشاهد فيها التنكيل باللغة العربية حتى من طرف ابنائها انفسهم مبررين بذلك آمال الاستعمـار من جهـة ومخاوف الامـة على الثقافة الاصيلة ، والحضارة العربية التي بحمد الله استطاعـت وحدها ، وبفضل تعاليم الاسلام الثابتة ان تميز بين الاحـرار والعبيد والسيد والمسود ، وليست هـذه اول مـرة نسمع بعض المثقفين بلغة اجنبية شبوا عليها حسب تخطيط الاستعمار وجهلوا بذلك لغتهم جهلا يكاد يكون كاملا يصدرون حكما قاسيا وزعما جائرا على عجز لغتهم عن اداء رسالتها العلمية وحتى غير العلمية فيقعون في خطأ مركب مزدوج : خطأ من يحكم على الشيء وهو لا يتصوره لجهله به وخطأ من يصدر حكما في حد ذاتـه حكما خاطئا سواء كان له علم بالموضوع ، او لم يكن وذلك ايضا من اثر نفوذ الاجنبي على العقول .

واخيرا ليست هذه اول مرة نـرى الاحرار من العـرب يشمرون على سواعدهم ويحاولون جمع شتات الافكار بهـذا الصدد ويطرحون على بساط البحث مسألة اللغة بالنسبة لحياة المجتمع كوسيلـة من وسائـل النهضـة العامة لمسايـرة الزمان والتطور ، وللمحافظة على شخصية الامة وكيانها وعبقريتهـا واستمرار رسالتها وتواتر حضارتها واتساع ثقافتها حتـى لا تذوب الامة ومآثرها في شخصيـة الغالب وتصبـح من الاتباع المغلوبين عليهم اقتصاديا ومعنويا .

ولكن هذه اول مرة تنتصب الامة العربية كرجل واحـد تجمع شملها وتوحد جهودها من اقصى الشرق الى اقصى الغرب مؤمنة بان قيمة اللغة صورة لقيمة الامة وان حياة اللغة تابعـة لوعي الفكر في المجتمع وان مواتها نتيجة لموت الامة كشخصيـة معينة ذات رسالة في الوجود بفضل استقلال العقول منبع حريـة الافراد . غير ان هذه النهضة العامة التي تبرز ايضا في ميدان اللغة لا زالت تلوح عليها بعض علامات التشكك وضعف الثقة بنفسها في بعض الاحيان وفي بعض الدوائر ، لا سيما بعض الحركات السياسية منها بوجه اخص ، ومن جملـة تلـك الاعـراض ، التساؤل عما اذا كانت اللغة العربية ذات فعالية في الحقـل العلمي ، وهل هي صالحـة لاداء رسالتها فيـه والقيام بالوظيفة المنتظرة منها في مختلف العلوم والصناعـات ، وما يتجـدد من نظريات فيزائية وكميائية وطبيعية ونفسية وطبية واجتماعية الى غير ذلك من انواع المعرفة والتطبيق الداخلة ضمن مدلول كلمة العلوم بالمعنى الحديث ؟ ؟

فموضوع فعالية اللغة في الحقل العلمي مسألة ذات وجهين : وجه مبدئي ووجه عملي .

1 الوجه المبدئي معناه هل اللغة العربية قادرة كلغة متمدنة على ان تكون لغة علوم بالمعنى العصري ؟ فالجواب بسيط وهو ان السؤال هذا ينبغي ان يوجه للامة لا للغة ، لما كانت اللغة العربية لغة امة ذات رسالـة حضـارة استطاعـت ان تقوم بوظيفتها في سائر الميادين العلمية والطبية وغيرها مثلما نراه في شخص اكابير العلماء كالبيروني وابن الهيثم وابن سينـا وغيرهم حتى تتلمذ العالم اذ ذاك عليهـم ، ولما انهـارت الى المستوى الذي تبع تلك العصور الذهبية انحط كذلك قدر اللغـة في نفوس الاعداء والخصوم واصبـح القصـور الفكري وضعف الشخصية الاجتماعية هو مسألة المسائل وصارت اللغة سجينـة نطاق ضيق في استعمالها الادبي والفقهي والتاريخي وفي بعض العلوم كالحساب البسيط والنجوم وهلـم جرا ، كما عهدناه في العصور المتأخرة في بلادنا .

ففي ايام النهضة والازدهار ترتفع اللغة الى مستوى يوازي رقي الامة وغزارة الفكر والعلوم فيها ، وتكون لسان حال تلك النهضة اذ تبرز كصورة صادقة للدرجة العظيمة التي ارتقت اليها الجماعة في سلم الحضارة ، فتكون اللغة في نفس الوقت منبـع الافكار ، وترجمان المعرفة ، وسجل الانتاج الثقافي ، وتكون ايضا نتيجة لتلك الافكار ، وتلك الحركة الخصبة الدالـة على الحيوية الفكرية للامة وعلى ابتكار القرائح الخلاقة .

وبما ان النهضة يمكن ان تعتبر كائنا حيا ذا وحـدة لا تتجزأ فانها عند ما تظهر في عصورها جلية ، فان ذلك يكون في سائر مرافق الحياة وجزئياتها : تظهر في الروح الجبارة القادرة على الخلق والابتكار والاستقامـة والتضحيـة والعـدل واحترام القانون والشورى وحسن التدبير والنظافة والتعمير ، وازدهار العلوم والصناعات واستقلال النفس ومهابة الدولـة والتاثير في الغير ... الخ ..

واذ ذاك تكون قيمة اللغة وقدرتها او فعاليتها كقيمـة الامة ومسيريها سواء بسواء ، فالقول المأثور عن الامام علي كرم الله وجهه : « ان المرء مخبـوء تحت لسانه » يمكننـا ان نطبقه على الامم والحضارات كذلك ، وهذا بالضبط ما وقـع للغة العربية في عصر الازدهار العربي .

جاء في كتاب (اثر العرب في الحضارة الاوربية) لعباس محمود العقاد ما يلي : (... كان شيوع التعليم بالعربية سببا لاهمال اللاتينية والاغريقية وخطوة لا بد منها لاحيـاء اللغـات الشعبية وتداول الشعر والبلاغة والعلم من طريـق غير طريـق القسوس والرهبان المنقطعين للمباحث الدينية . ويروي لنـا دوزي في كتابه عن (الاسلام الاندلسي) رسالة ذلك الكاتـب الاسباني ــ الفارو ــ الذي كان ياسى اشد الاسـى لاهمال لغـة

حتى يعتزوا بشخصيتهم بواسطتها ويحافظوا بفضلها على معنويتهم وثقافتهم وخصوصا برسالة الحياة التي تضمنها القرآن الكريم وعبر عنها ببيان اللغة العربية وعبقريتها .

فالايمان بها يرجع في الواقع الى الايمان بالنفس، وهنا يتميز الاحرار من العبيد كما وجدنا هذا المعنى جليا عبر التاريخ

وهذا الايمان بدوره يخلق ارادة قوية لاستعمال اللغة في الحقل العلمي والعملي على السواء من ارادة ومعاملات كما هو الحال في ليبيا مثلا في المغرب العربي ومنها الى سائر الدول العربية خصوصا سوريا حيث وصل التعريب الى درجة قامت برهانا على الفائدة العظمى للارادة والعزم وروح الشرف .

بل لم يضع هذا المجهود العربي وانما جاء رصيدا ثمينا ساعدت على الاحتفاظ به الذخائر المدفونة في التراث القديم من طب وكيمياء وفيزياء ورياضيات وما اضيف الى هذا التراث القديم .

فاللغة العربية لغة حضارة عريقة كانت ولا زالت حية يسهل استعمالها بفضل استمرار العمل بها لانه كما يقول بعض المفكرين : « ان افضل وسيلة لتعلم الضرب على العود هو الضرب على العود نفسه » .

الاستعمال يكشف عن قدرة اللغة وعن حيويتها وغزارة ثروتها المجهولة ، اننا نرى اللغات الاوربية العالمية مثل الانجليزية والفرنسية موضوع اعتناء ابنائهما بهما بكيفية لا تنقطع لا يعرقلها توان ولا هوادة ولا كبرياء بل ان الاصطلاح العلمي في اللغات الغربية كله مستعار تقريبا من اللاتينية واليونانية وبعض اللغات الاخرى ومنها العربية التي لا ينبغي ان يعتبرها الجهلاء محض لهجة ضعيفة .

فلا بد اذا من الاقتباس عند ما تدعو الضرورة اليه في الحقل العلمي اما بالتعريب وهو اقتباس المعنى واما باخذ الكلمات على ما هي عليه في الاصل وهذا ما قد جرى به العمل واصبح عاديا في الدول العربية .

ثم ان عدد القواميس والكتب الموجودة الان في الحقل العلمي والمستعملة في بعض الجامعات العربية لدليل على خصوبة اللغة وقدرتها على اداء رسالة وعلى استعدادها للتطور والتحسين وقبول الاقتباس والاضافة ومسايرة الحركة العلمية العالمية .

وهذه المجهودات في التاليف والترجمة مبادرة مباركة تشجع على مواصلة الاجتهاد والكد والمثابرة . وطبعا لا ينبغي لهذه المجهودات ان تبقى حبرا على ورق كخرافات التسلية ولكن من الواجب ان يجري بها العمل في التدريس الجامعي .

وكل ثورة من اجل الحرية لا تتم الا اذا ما استأصلت الداء الاستعماري من جذوره الفكرية واللغوية والقضاء على السم في الدسم الذي يدسه من وراء الستار بواسطة البعثات والمستشارين وهم ثعابين موظفة ، يهيئون العقول لاعتناق فكرة ضرورة اللغات الاجنبية في الميدان العلمي وعدم صلاحية اللغة العربية التي يضمرون لها كلفة العروبة والدين ما قد صرح به قريبا احفاد الحروب الصليبية ، فدعاة الازدواج هم في الواقع يساعدون على سياسة الاستعمار الجديد اما عن علم واما عن جهل، وغفلة ، والنتيجة واحدة مع الاسف ، فمن المستحيل ان يتم تعلم اللغة واتقانها عن طريق استعمالها اذا ما اقتصر على تدريس نصفها الادبي والكلامي العادي وارغام الناس كرها على اقتناء العلوم بلغة اجنبية ، فان المآل هو طمس القرائح والجري على عكس مجرى التاريخ .

تصور طفلا ذكيا اهلته طبيعته الى الادب والانتاج فيه ، فانه لا محالة يجد لغته مشلولة عرجاء ناقصة يعوزها الالفاظ والتراكيب العلمية والتكوين الفكري العلمي لاستعمال هذا القسم العلمي من اللغة ، ونحن نرى من الان الصبيان في البيت ينطقون بجملة عربية ويدخلون فيها الفاظ الحساب والعلوم بالفرنسية وذلك في ابسط المحادثات اليومية .

وتصور طفلا آخر اهلته طبيعته الى التفوق في العلوم ، واراد ان ينتج فيها ويكتب او يقول محاضرة علمية للعموم بلغته العربية فانه يجد نفسه عاجزا عن ذلك متألما مجروح النفس كما يعبر عنه بكل صراحة بعض الناس في نوع من الجد والصدق والعمق المجروح المتألم .

وخلاصة القول ان مسألة اللغة في الحقل العلمي هي مسألة اللغة كلغة بتمام حذافرها وحياتها ، بجانب هذا ان وجوب تعلم اللغات الاجنبية شيء لا جدال فيه وهذا موضوع آخر فقد قيل كل لسان بانسان وان التقدم والتفاهم الدولي لا يتأتى الا باتقان اللغات الاجنبية المهمة ، هذا شيء مفروغ منه ، ان ما يهمنا هو ضرورة استعمال اللغة الاصيلة .

فقد اقام القدماء البرهان على كون اللغة العربية كما اسلفناه قادرة لا على ان تكون لغة علوم مثلما نراه في امهات الكتب الهندسية والطبية والجغرافية والفلسفية في عصور الازدهار فحسب وانما هي قادر على ان تكون لغة عالمية من جملة لغات الحضارة ايضا .

هي كلسان عربي نزل به القرآن مضمونة المستقبل رغم كيد الجهلاء ، فلقد تولى الله سبحانه حفظ القرآن وبواسطته حفظ اللغة العربية ولو كره الغافلون . وهي بفضل القرآن لغة رسالة حضارية ثقافية وصل وقتها وحان من جديد عصر ازدهارها نظرا لتطور التاريخ الى ترجيح كفة التعارف المعنوي بين الشعوب على كفة الاستغلال الاقتصادي .

ليست اللغة الا لسان العقل الحي ينشد الحقيقة والنور ، وهذا اللسان يقارن انتاج القرائح في العالم مع ما ينتجه ابناء اللغة الاصيلة ليتم سير التاريخ الى نشر النور والحق في الدنيا.

فالامر عظيم والمهمة جليلة وواجب العقول المستنيرة هو الارتقاء الى هذا المستوى الرفيع الذي تمثله عبقرية اللغة الاصيلة.

سلا — الدكتور المهدي بن عبود

تستطيعون ان تدرسوها ، ولا سيما اذا دخلتم في المعاهد غير التكنيكية ، وجميع نواحي النشاط الاجتماعي ، تتطلب معرفة جيدة للروسية ...

ان دراسة اللغة القومية الاصيلة مهمة جدا وان اسمى منجزات الفكر البشري واعمق الافكار واشد العواطف ستبقى مجهولة اذا لم يعبر عنها تعبيرا واضحا مضبوطا بالكلمات ...) انتهى كلامه .

فهو يوصي اطفال الاتحاد السوفياتي بثلاثة اشياء : 1) قبل كل شيء اتقان اللغة القومية الاصيلة 2) ثم الرياضيات 3) ثم الرياضة البدنية ، وهو يعلم ان اللغة القومية هي الوسيلة الحية الغير الدخيلة لجعل الافكار والمشاعر مفروغة في قالب صادق واضح .

4 والفائدة الرابعة التي نجنيها من عبر التاريخ هي تنازع البقاء بين اللغات . كلما احتلت امة ارض امة اخرى يسعى الغالب في تقويض كيان المغلوب وتحطيم شخصيته تحطيما يفنى معه وجود المغلوب ، فيصبح عبدا مكسوبا لسيده الظافر الذي يفرض تدبيره ولغته ونظرته للكون .

ولا يألوا الغالب جهدا لا في الحسيات ولا في المعنويات حتى يستولى عليها كلية .

ففيما يتعلق ببلادنا ، جاء المستعمر فحاول ان يحمي اثر اللغة والدين ،لارغام الناس على نسيان شخصية قومهم واندماجهم في شخصية الغالب ،فقر رأيه على تكسير وحدة البلاد بهدم الدين الذي لا يتم هدمه الا بمحاربة القرآن ، وذلك كان هو السبب الاساسي للسياسة البربرية التي ما زال الى يومنا هذا يطمع في نجاحها من وراء الستار .

فاستولى على التعليم بعد ان نشر نفوذه السياسي والعسكري على البلاد ، وحارب اللغة العربية بنفس الروح التي تأصلت من الحروب الصليبية التي افتضح وجودها لما اجاب وزير الخارجية الفرنسي السابق جورج بيدو بعد ان سئل لما نفي الملك محمد الخامس بقوله : (لن اسمح للهلال ان يتغلب على الصليب)

والغاية من ذلك هو استمرار الاستغلال الاقتصادي واحتلال المراكز الستراتيجية في العالم ونشر النفوذ المعنوي واللغوي القاتل لشخصية المغلوب والمعبد لطريق القوة والتمتع المادي .

وهنا يتميز الرجل الحر ، من العبد الراضي عن سيده الذي يدخل في زمرة المغرضين الجبناء فمن كان له شعور بكرامته وباستقلال شخصيته وحرية روحه وقيمة عقله لا بد ان يثور على القاهر الجائر ويعاكس خططه ويحافظ على لغته التي ليست لقيطة مرتجلة بل لغة رسالة عظيمة في الوجود الكوني .

وبهذا الصدد يقول الحافظ ابن حزم في كتابه (الاحكام في اصول الاحكام) : « ان اللغة يسقط اكثرها ويبطل بسقوط دولة اهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم او بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم ، فانما يقيد لغة الامة وعلومها واخبارها قوة دولتها ونشاط اهلها وفراغهم . واما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة اعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان انسابهم واخبارهم ويبود لغتهم ، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة » انتهى كلامه .

كل ما مر بنا يكفي لاقناعنا ان الناحية المبدئية من مسألة اللغة تتلخص في كلمة واحدة : الارادة . فاللغة كسائر العوامل الاجتماعية يعادل وزنها وقيمتها وزن الامة وقيمتها في حظيرة الامم . فان اللغة العربية لا تحتاج الا لشيء واحد لا في العلوم ولا في الفلسفة ولا في الاداب وهذا الشيء الواحد هو الاستعمال فهي موجودة لكن الامة معنويا مفقودة ، اذا صح هذا التعبير التقريبي .

فالاعتزاز باللغة دليل على عمق الفكر وبعد النظر ، ومعرفة حكمة التاريخ ، وصدق النية وروح الغيرة ، ورفض الاستعباد ، والذل والشعور باستقلال الشخصية ، وجمال اللغة الاصيلة وسهولة متناولها على النشء مثلما فعل اليابان والصين وروسيا واليونان وشعوب اوربا الوسطى وحتى ما يسمى اليوم باسرائيل حيث الاعتزاز بالنفس والدفاع عن الشخصية التي يرغب في تكوينها الصهيونيون فيدفعهم الى احياء لغة ميتة من قبرها وهم يستعملونها في كل عمل من اعمال الحياة في الشؤون اليومية والانتاج الفكري ، والعلوم التطبيقية والتدريس في الجماعات رغم كونهم اقلية ضئيلة لا زال اكثرهم مقطعين في الارض ، كل هذا بفضل ارادة اصحابها .

واليابانية رغم صعوبتها وانحصارها ضمن حدود بلادها لا غير صارت مع مر الزمان وقطع مراحل التطور الى ما صارت اليه اليوم لغة شعب بلغ من التقدم والرقي ما جعله يزاحم سائر الدول الصناعية الكبرى بل واصبح من ناحية التدبير والعمران مرجعا من اثمن المراجع يقلده الامريكان وغيرهم في بعض الميادين خصوصا في التعمير واساليب التجارة . الخ . هذا من الناحية المبدئية .

2) اما الناحية العملية فانها ترتكز — اذا امعنا النظر — كلها على الناحية المبدئية ، لان اللغة العربية لا تحتاج اول الامر وآخره الا الى شيء واحد كما سلف وهو ايمان ابنائها بها وتشبعهم بروح الحرية التي لا غبار عليها ولا نفاق فيها

وقوبل هذا الكتاب بترحاب شديد في الاوساط الادبية ولا سيما ان طلبة الدراسات العربية في ذلك الوقت كانوا في مسيس الحاجة اليه لعدم وجود مراجع وافية كاملة في هذا الحقل الادبي ، وذكر استاذ الجيل احمد لطفي السيد في خطاب له الى الرافعي انه قضى اسبوعا يخطب عنه في مجالس العاصمة كما كتب عنه يقول : (ان الكتاب يدل على ان المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاما ، واخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، واما اسلوب الرافعي في كتابه فانه سليم من الشوائب الاعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتأخرين فكاني وانا اقراه اقرأ من قلم المبرد في استعماله المساواة ، والباس المعاني الفاظا سابغة مفصلة عليها ، لا طويلة تتعثر فيها ولا قصيرة عن مداها تودي ببعض اجزائها) .

تلك كانت شهادة استاذ الجامعة ومديرها الاسبق في كتاب الرافعي حامل الابتدائية ، وانها لشهادة جديرة بالتسجيل ، تدل على علو كعبه في ميدان الادب وتاريخه وقد حققت الايام نبوءة الاستاذ لطفي السيد فظلت الجامعة القديمة وظل طلابها القدامى ، ينتهلون من هذا الكتاب انتهالا حتى قامت غير واحداث ، وكلف الطلاب دراسة غيره من الكتب، الا اننا لا بد ان نقولها كلمة للتاريخ وهي ان كتاب الرافعي هذا وكتاب جرجي زيدان مؤسس دار الهلال فى تاريخ آداب اللغة العربية قد سدا نقصا كبيرا في هذا المحيط لا يمكن لمؤرخ الادب ان يغفله بحال من الاحوال .

وكتب الرافعي قصة حبه في (اوراق الورد) وهي مجموعة من الرسائل العاطفية المتدفقة التي تصور لواعج قلبه وتباريح هواه وتوضح اسلوبه ولهفته وصبابته ، وتعرض نفسه على القاريء ساطعة ناصعة لا تحجبها حجب ولا تواريها استار ، كما تبين المعاني الكامنة وراء لغة الحب في اللفتات والنظرات والابتسامات .

وسمى الرافعي كتابه (اوراق الورد) لان صاحبته كانت تحدثه دائما عن الورد وعمر الورد وتحذره ان تكون حياته متهدلة كالوردة وقد وضعت وردتها النادية على صدرها ولكن على معان في القلب كأشواكها .

وعلى هذا النحو كتب الرافعي (رسائل الاحزان) وتضم عواطف ثارت وقتا ما ليحدث منها تاريخ ، وسكنت بعد ذلك ليحدث منها شعر وكتابة ، ويؤخذ من رسائله انها من وحي رجل وامراة كانما كانا ذرتين متجاورتين في طينة الخلق الازلية ، وخرجتا من يد الله معا ، هي بروعتها ودلالتها وسحرها ، وهو باحزانه وقوته وفلسفته ، وقد سماها (رسائل الاحزان) لا لانها من الحزن جاءت ولكن لانها الى الحزن انتهت ، ثم لانها كانت من لسان كان سلما يترجم عن قلب كان حربا ثم لان هذا التاريخ الغريب كان ينبع كالحياة ، وكان كالحياة ماضيا الى قبر ..

وكتب الرافعي كتاب (السحاب الاحمر) وضمنه خواطر اخرى في الحب والمراة والقضاء والقدر كما كتب (تحت راية القرآن) وهو مجموعة من المقالات فى الادب العربي والرد على كتاب (الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين وسجل في هذا الكتاب رايه في التجديد ودافع عنه في ارادة وتصميم .

وكتب الرافعي كذلك كتاب (المساكين) ونشر فيه فصولا عن الفقر وماهيته لا لمحوه ولكن للصبر عليه ، ولا من اجل البحث فيه ولكن للعزاء عنه ، وعن الغنى وما اليه ، لا رغبة في افساده على اهله ، ولكن لاصلاح ما يفهم منه غير اهله ، وقد تجلت روحه الرفيعة الرفيقة في مقالاته عن الشيخ علي والفقر والفقير وما اليها ، ومن نجواه الى القبر قوله :

« وواها ايها القبر لاتزال تقول لكل انسان مقالا ، ولا تبرح كل الطرق تفضي اليك فلا يقطع باحد دونك ، ولا يرجع من طريق راجع ، وعندك وحدك المساواة ، فما انزلوا ، قط ، فيك ملكا عظامه من ذهب، ولا بطلا عضلاته من حرير ، ولا اميرا جلده من ديباج ، ولا وزيرا وجهه من حجر ، ولا غنيا جوفه خزانة ، ولا فقيرا عاقت في احشائه مخلاة ...) .

ومن اروع آثار الرافعي ايضا كتاب (وحي القلم) وهو مجموعة من المقالات والقصص والاحاديث الدينية وكان قد نشرها في الصحف والمجلات مثل مجلة الرسالة والمقتطف ، ثم عن له ان يجمعها في كتاب ومنها ما يتناول مشاكل الاسرة والمجتمع او يتعرض للتاريخ او اوراق ورد لم يلحقها بالكتاب الاول .

والف الرافعي بعض القصص مثل (الدرس الاول في علبة كبريت) التي نشرها عام 1905 وقصة سعيد ابن المسيب التي نشرها في الرسالة عام 1934 .

ويؤخذ من هذه القصص ان اغلبها ذو اصل تاريخي او واقعي ، على انها تلتزم الفن القصصي

مصطفى صادق الرافعي

للدكتور: جمال الدين الرمادي

كان مصطفى صادق الرافعي اديبا رائعا بادق معاني هذه الكلمة واوسع مدلولات هذا اللفظ عاش فى فترة كثر فيها الجدال الادبي واشتد فيه النقد حتى استحال الى نقد وتجريح واستطال الى لوم وتقريع واصبح وسيلة الى الشهرة ، وتحطيم الاصنام ، وبلوغ الرفعة وهدم الكيان ، ومن هنا اغمط حق الرافعي وغدا ادبه موضع الشك والارتياب حتى قال اديب كبير عن الرافعي وهو الذي كتب عشرات الكتب في الادب الرفيع انه لم يكد بكتب شيئا .

لم يكن الرافعي على حظ كبير من التعليم المنظم والدراسة ، بل عكف بنفسه على استيعاب امهات الكتب العربية ، وذخائر الفكر القديم ، ونشأ فى أول امره في الريف اذ ولد فى يناير عام 1880 على الارجح في قرية بهيتم من اعمال مديرية القليوبية احدى مديريات الاقليم الجنوبي والتحق بكتاب القرية ثم انتقل الى احدى المدارس الابتدائية وشرع يستأنف الدراسة الثانوية بيد ان لمرض الم به فلزم الفراش ولم يلبث ان ادركته حشرجة في صوته ولم هذا الصوت ان احتبس ، واذا هذا الصوت ينبعث خافتا باهتا فيه بحة ملحوظة وفيه انين مكتوم . وتشاء الاقدار بعد ذلك ان يصاب الرافعي في اذنيه فيدركه الصمم ، وتحول هذه الكوارث بين الرافعي وبين الدراسة المنتظمة فى المدارس ولكن اليأس لم يقعده عن التعمق فى القراءة والتلهف على الانتهال من موارد العلم ، وفي هذا يقول صديقه الاديب الاستاذ محمد سعيد العريان : (وفي القهوة وفي القطار وفي الديوان لاتجد الرافعي وحده الا وفي يده كتاب وكان في اول عهده بالوظيفة كاتبا بمحكمة طلخا فكان يسافر من طنطا كل يوم ويعود وياخذ معه في الذهاب والاياب ملازم من كتاب أي كتاب ليقراها في الطريق وفي القطار بين طنطا وطلخا وبالعكس .. استظهر كتاب نهج البلاغة في خطاب الامام علي وكان لم يبلغ العشرين ....).

وهكذا ظل مصطفى صادق الرافعي يطلع على ذخائر الكتب القديمة في الادب والفقه والدين حتى استطاع ان يهضم محصولا وافرا منها .

هذه كانت ثقافته العربية اما بالقياس الى ثقافته الاجنبية فالحق انها كانت محدودة اذ كان على حظ ضئيل من الفرنسية والانجليزية ولم يقرأ من الادب الغربي الا ما ترجم عنه ، ولم يكن اغلب الكتب المترجمة فى هذه الفترة التي عاش فيها الرافعي يتوخى الامانة العلمية والدقة المتناهية في ايصال المعنى الغربي الى القارىء العربي انما كان المترجم يضرب صفحا عن النص ثم يترجمه من ذاكرته وبمقدار ما انعكس على صفحة ذهنه من معان وافكار .

ولو ان الرافعي اوتي قدرا من الثقافة الاوربية للحق تارة بالكتاب الرومانسيين وتارة بالكتاب الرمزيين في اسلوبه وخياله ، على ان المعاني على حد تعبير ابي هلال العسكري مشاعة بين العجمي ، والحضري ، والبدوي ، ولا نستبعد ان نجد في بعض رسائل الاحزان او السحاب الاحمر او غيرها افكارا رومانسية ، وتعبيرات رمزية ، ولا سيما ان الرافعي امتحن بالحب ، واكتوى بناره ، واصبح قلبه رائده وامامه في تفكيره وتعبيره وتصويره ، كما أولع برنين الالفاظ وجرس الكلمات .

الف الرافعي مجموعة قيمة من الكتب الادبية ، نذكر منها كتاب تاريخ آداب العرب ، الذي انقطع لتأليفه في منتصف عام 1909 الى آخر عام 1910 ثم نشره عام 1911 وهو في الثلاثين من عمره .

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

المنجد في اللغة للاب لويس معلوف معجم لغوي شهير ظهر منذ اكثر من نصف قرن ولقي من الرواج والانتشار ما لم يلقه اي معجم لغوي آخر ظهر في العصر الحديث ، وذلك لاختصاره وجمعه وتزيينه بالصور والرسوم التي كثيرا ما تقوم مقام الشرح الطويل ، مع اعتماد الطريقة السهلة في ترتيب المواد اللغوية على الحرف الاول والثاني كما هو صنيع الفيومي في المصباح ... وهكذا سد المنجد فراغا في ميدان المعاجم اللغوية المتوسطة كان يشعر به الطالب والمعلم والصحفي وغيرهم ... ومنذ ظهوره واقلام العلماء والنقاد تتناوله بالنقد والتقريظ بحيث اخذ كفايته من الدراسة والوزن العلمي الصحيح .

وقد ظهر في السنوات الاخيرة ملحق له يسمى المنجد في الآداب والعلوم نحا به مؤلفه الاب فردينان توتل منحى المنجد اللغوي في الترتيب على أوائل حروف الكلمة والاختصار مع توخي الفائدة وتزيينه بالصور واللوحات الموضحة وقصره على ما تهم معرفته من مطالب العلوم والآداب ليكمل غرض الباحث المستعجل في هذه الناحية التي لم يلم بها المنجد اللغوي ، وكان مؤلفه الاب لويس معلوف كثيرا ما يحدث نفسه بوضع ملحق له في ذلك على ما ذكر الاب توتل ، وقد طبع منجد الآداب والعلوم مع المنجد اللغوي ، فكان ذيلا له وتكميلا محققا لتلك الفكرة وموفيا بالمرغوب .

أن المنجد بهذه الضميمة اصبح يحكي في العربية معجم « لاروس » الصغير في الفرنسية ولا يبعد ان يكون هذا المعجم الفرنسي الشهير هو الذي اوحى بالفكرة لصاحبينا ، وهي على كل حال فكرة سديدة وخدمة جليلة للغة العربية وابناء العرب ولا سيما الناشئون منهم ، وبقدر ما يقتضينا من الشكر والاعتراف بالجميل لمنفذها الفاضل الاب توتل فانها تتطلب منا ان نقدرها قدرها ونضع معطياتها تحت منظار التقييم العادل الذي لا يجور ولا يحيف .

اننا نعرف حق المعرفة ما يتطلبه تاليف معجم من هذا القبيل ، من الجهود المضنية ، ومن المصادر الكثيرة المتنوعة ما بين قديمة وحديثة ، عربية واجنبية ، ومن التسلح بسلاح العلم والثقافة الواسعة، والاستعداد للنظر في المعلومات المستفادة من تلك المصادر وصهرها في بوتقة البحث والنقد النزيه حتى تصير صالحة لتقديمها الى الجمهور في معجم يوضع بين ايدي عموم الباحثين والناشئة المتعلمة بالخصوص، ولهذا فان عمل المعاجم قل ان يتعاطاه الا جماعة من اهل الاختصاصات المختلفة في ضروب المعرفة ليكون عملا تاما او قريبا من التمام ويحقق الفائدة المرجوة منه لكل طالب وكل راغب ولعل هذا هو السبب في قلة المعاجم الحديثة في اللغة العربية ، فاننا نرى العشرات من الكتب العلمية والادبية بل المئات التي تصدر في مختلف البلاد العربية ولا سيما مصر ، ومنها كتب قيمة حقا ، وذلك منذ فجر النهضة العربية الحديثة اي اوائل هذا القرن ولا نرى منها في فرع متن اللغة والمعاجم اللغوية بخاصة الا بضعة مؤلفات وغالبها من صنع علماء لبنانيين ، ما ذلك الا لتهيب الاقدام على هذا العمل الخطير من طرف رجال العلم والادب في حالة الانفراد ، وعدم اهتمام حكومتنا بجمع اهل الكفايات على مثل هذا العمل ، اللهم الا ما كان من هذه البادرة الوحيدة التي ظهرت على يد مجمع اللغة العربية بالقاهرة في اخراج المعجم الوسيط .

وبهذا الاعتبار فاننا اذا نظرنا في منجد الآداب والعلوم ورأينا انه بحاجة الى اعادة النظر في كثير من مواده ومعلوماته ، يجب ان لا ننسى انه عمل

التزاما ، ويمكن الحاقها بالاثار القصصية الكبرى في الادب العربي ، بيد أن الرافعي فى حديث لطائشة استطاع ان يجلو نفسية فتاة من فتيات الليل فى صورة خلابة جذابة ، معجبة عجيبة ، استطاع ان يغوص الى اغوار نفس هذه الفتاة ، ويرسم للقاريء صورة عن هذه الحياة الآثمة التي انزلقت اليها هذه البريئة انزلاقا ، وجعل يستدر عليها الرحمة بدلا من ان يصب عليها اللعنات .

والواقع ان هذا اللون من الادب انتشر في اوربا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وظهرت هناك طائفة كبيرة من الكتاب الفرنسيين الذين يتخذون هذا اللون من النساء مادة قصصهم ويظهر ان هؤلاء الكتاب الفرنسيين ارادوا بذلك ان يردوا على القساوسة ورجال الدين الذين صبوا جام غضبهم على هذه الفئة من النساء .

ونظم الرافعي الشعر صبيا وشابا ، وعندما نشر حافظ ابراهيم ديوانه لاول مرة عام 1903 عكف الرافعي على كتابة مقدمة ديوانه ، وجلس في غرفة داره بعد ان تخفف من الملابس واقتعد البلاط بلا فرش ، وبسط اوراقه على الارض لكتابه وهو يقول لصاحبه : (اني لاحب ان احس الرطوبة من تحتي فتنشط جسمي) .

وقال الرافعي عن نفسه في مقدمة ديوانه ان هذا الشاعر ــ يقصد نفسه ــ يمتاز بولعه الشديد بالغزل ، وبلوغه فيه اسمى ما يبلغه النظم ، وله مزية اخرى وهي غوصه على المعاني في الاغراض التي لم تطرق وكثيرون يعدونه (شاعر مصر) .

ويبدو من مقدمة الرافعي انه اسرف فى الاعتداد بنفسه ، والاعتزاز بشعره ، وكان حافظ ابراهيم لا يكاد يقول « انا » حتى يقول الرافعي « انا » و « أنت » وذهب الرافعي الى انه شاعر الحس ، وبان حافظ لايقول فى الغزل ولا النسيب .

وهذا القول يحتاج الى نظر طويل ، فمهما اوتي الرافعي من روح حساسة ، وشاعرية فانه لا يرقى فى شعره الى مستوى حافظ ابراهيم ، صحيح ان حافظ لم يقرض الا طائفة معدودة من القصائد فى الغزل ، بيد ان هذا لايجوز ان يكون دليلا على امتياز الرافعي على حافظ فى الشعر ، فان التقصير فى ميدان لايستوجب القصور فى كل الميادين .

على ان الرافعي استطاع فى كتبه ان يخلق لونا جديدا من رسائل الحب فى الادب العربي ، ويصور فلسفة عذبة حلوة تمس النفس وتصل الى اغوار الفؤاد ، وهو لا يحب الا لثلاث : ليعرف ويحس ويتخيل ، ولا يهلك للحب الا لثلاث : ليوجد فى نفسه ويبقى فى نفسه ويضم نفسه الى نفسه .

وكان يعتقد ان الحب ضرورة لقلب الفنان ، ومتى قدمت الجميلة على قلب الرجل اضاءته ، فيضيئها نوره بالوان من الحس لايراها ولا يدركها ولا يصدق بها الا صاحب هذا القلب .

وكان يرى ان تحية الفكر هي رد كلمة بكلمة وتحية النفس هز يد بيد ، وتحية القلب لمس شفة بشفة .

ومن اجل ذلك كتب الرافعي رسائل في (القبلات) اضفى عليها كوامن مشاعره ، وخلجات احساسه .

وكانت روحه الاسلامية تسيطر عليه فى افكاره وكتابته حتى عندما يكتب عن الحب والهوى ، والعشق والجوى ، فقال في زجاجة العطر التي اهداها الى صاحبته : (ايها العطر لقد خرجت من ازهار جميلة وستعلم حين تسكبك هي على جسمها الفاتن انك رجعت الى اجمل ازهارك ، وانك كالمؤمنين تركوا الدنيا ولكن نالوا الجنة ونعيمها) .

وقد جاء الرافعي بكثير من المعاني الطريفة كقوله : (القمر نراه رفاف من الحس كانه اغتسل وخرج من البحر او كانه ليس قمرا بل هو فجر طلع في الليل فحصرته السماء فى مكانه ليستمر الليل ، فجر لا يوقظ العيون من احلامها ولكن يوقظ الارواح لاحلامها) . وقوله : (واشعر بالقرطاس وكانه علم انه سيحمل اشواقي واسرار قلبي فلم يعد صحيفة ورق تموج بالالفاظ بل صحيفة صدر ملأها جو من التنهد) . واعجب الاديب سعيد العريان بتعبير طريف للرافعي هو قوله :

(واصبحت السماء صافية كأنما غسلتها الملائكة بالليل ....)

هذه نظرات في ادب مصطفى صادق الرافعي الذي انتقل الى جوار ربه في 10 مايو 1937 فترك فراغا كبيرا فى الادب العربي بموته .

القاهرة : الدكتور جمال الدين الرمادي

العلوية المالكة بالمغرب وهو بدون هذا الوصف لا يتعرف لان اسم مولاي علي كثير في المغرب والمشرق، ومن العجيب ان هذا الوصف مذكور في دائرة المعارف الاسلامية التي يظهر ان المؤلف اعتمدها في هذه المادة ولكنه حذفه وقد وقعت الدائرة في خطأ التردد بين ابوام وبوعام ومنها سرى هذا الخطأ للمؤلف .

7 — في ص 6 جاءت هذه المادة ، « الاثر الشريف والذخيرة ، وهو بعض مخلفات يقال انها لمحمد مثل شعره واسنانه وقطع من ملابسه ونماذج من خطه وبعض ادواته وطابع اقدامه بنوع خاص ، وهذه الآثار مجموعة في بعض الاماكن يكرمها المسلمون . »

ونقف وقفة قصيرة عند هذه المادة فنقول اولا ان هذه المخلفات في جملتها لا وجود لها واذا كانت بعض شعراته (ص) توجد في زمن مضى عند بعض الناس فانها لم يبق لها اثر الآن ، فضلا عن اسنانه وقطع من ملابسه ، وبردته التي كساها كعب بن زهير ، وكانت قد صارت الى خلفاء بني امية ومن بعدهم الى بني العباس قد فقدت الآن ولم يبق لها أثر ايضا ، اما عن نماذج خطه فهذا ما لا يصدقه احد لانه (ص) كان اميا لا يكتب ولا يقرأ وذلك معلوم عند المسلمين بالضرورة ، بقي نمثال نعله الكريمة وهذا موجود في بعض الكتب وهو مما لا خلاف فيه ، ونقول ثانيا اين هي هذه الاماكن التي توجد فيها هذه الذخيرة او الاثر الشريف كما ذكر المؤلف والتي يكرمها المسلمون ؟ انها اذا كانت موجودة فلا بد ان تكون معروفة وحينئذ كان على المؤلف ان يبينها لقرائه ، ونقول ثالثا ان مادة لغوية اسمها الاثر الشريف او الذخيرة لا وجود لها في معاجم اللغة العربية التي الفها المسلمون فأحرى من عداهم فكيف اقحمها المؤلف في كتابه ؟ . . .

8 — ص 8 ذكر المؤلف احمد بن حائط (حابط) من المعتزلة ، قال بالتناسخ وبألوهية المسيح استنادا على القرآن ، واخذ على محمد تعدد زوجاته وغير ذلك مما دفع بعضهم ، ومنهم المقريزي الى اتهامه بالخروج عن الاسلام ، ليت شعري ما المراد باقحام هذه الترجمة في معجم مدرسي كالمنجد ، هذا مع عدم تحرير اسم صاحبها هل هو حائط او حابط ؟ ونسي المؤلف قولا آخر فيه وهو خابط الذي به ذكره ابن حزم ، اما استشهاده بالقرآن على الوهية المسيح فذلك من قوله تعالى (فتنفخ فيها فتكون طائرا) ونذكر الآية كاملة لحضرة الاب المحترم ليرى انه ليس فيها ما يشهد له فيخف تحمسه لهذا المعتزلي الخابط ، وها هي كما جاءت في سورة المائدة (اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير **باذني** ، فتنفخ فيها فتكون طائرا **باذني** ، وتبرىء الاكمه والابرص **باذني** واذ تخرج الموتى **باذني** ، واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) (سورة المائدة الآية 110) . فمن الذي يقول بألوهية المسيح استنادا لهذه الآية وهي تعدد نعم الله على المسيح وتذكر في كل معجزة ءاتاه الله اياها انها انما وقعت باذنه تعالى ، وما قول الاب توتل في آخر الآية الذي يفيد انه عز وجل كف بني اسرائيل عن المسيح لما هموا به فلم يقتلوه ولم يصلبوه كما ينص القرآن في آية اخرى ، هل ياخذ ببعض الآية ويترك بعضها الآخر ؟ الغالب انه سيتركها جميعا وياليته فعل وترك هذا الخابط فلم يملأ به الفراغ الذي كان عليه ان يملأه بشخصية محترمة يزيد ذكرها في معرفة قارىء معجمه ، ولا بأس بذكر الآية على الوجه الذي وردت به في سورة اخرى وهي سورة آل عمران اذ قال تعالى : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (45) — ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين (46) — قالت ربي انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون (47) — ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل (48) — ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم ، اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طائرا **باذن الله** وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتى **باذن الله** وانبئكم بما تاكلون ما تذخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مومنين (29) — ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله واطيعون (50) — ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » (51) — فهل بعد قوله ان الله ربي وربكم من كلام ؟

اما اخذ هذا الخابط على محمد (ص) تعدد زوجاته فذلك كلام فارغ قد نفض الناس ايديهم منه بعد ان اثاره غير واحد من الطاعنين على الاسلام ونبيه عليه السلام وبينوا ما في ذلك من الحكمة الشرعية وانه ابعد ما يكون عن النزعة الجنسية ، وانه اذا عيب

فردي وانه مشروع كان يتحتم ان يقوم به جماعة من اهل العلم ليخلو من المآخذ ، وبذلك نكون قد التمسنا لمؤلفه من العذر ما يكافيء همته وشجاعته ، وفي نظرنا ان المسؤول عن الاخطاء الكثيرة التي يحتويها هذا المعجم هو المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، فهي جميعا مصادر غير اصيلة لانها تتراوح بين مصادر أجنبية ومصادر محدثة ، واليك قوله في هذا الصدد :

« فأخذنا بالتأليف مستندين خاصة الى دائرة المعارف الاسلامية لكبار المستشرقين مع ترجمتها العربية (الى حرف الدال) ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس ومجاني الادب للاب شيخو وتاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان وتاريخ الآداب العربية لبرو كلمان (بالالمانية) وتاريخ الآداب العربية المسيحية لفراف (بالالمانية) والانسيكلوبيديات الغربية الكبرى » .

فها نحن نرى انه ليس من بين هذه المصادر مرجع اصلي من الكتب العربية القديمة المعتمدة فى كثير من المواد التي يشتمل عليها المعجم ، اضف الى ذلك ان الترجمة من المصادر الاجنبية كثيرا ما يغير بها لفظ الشيء المترجم وخاصة اذا كان اسم محل او شخص غريب لا علم للمترجم به فلا ينفع فى هذه الحالة الا الرجوع للمصادر الاصيلة التي تورده على وجهه .

ولا يقال ان هذه هي اهم المصادر ، وثم مصادر لم يذكرها المؤلف ومن المحتمل ان تكون من الصنف الاصيل ، لانه لو كان شيء منها معتمدا عنده لاشار له او لبعضه على الاقل .

على اننا انصافا للمؤلف لا ندعى اننا سننظر في كتابه نظرة عامة فذلك ما ليس في طاقتنا ، وانما سنلقي نظرة على المواد الاسلامية والعربية والمغربية منها بالخصوص ، وذلك ما نقدر انه بحكم ثقافته المسيحية وبعده عن بلادنا يمكن ان يغلط فيه ، هذه النظرة نفسها سوف لا تكون مستوعبة لاننا لسنا على احاطة بعلم هذه المواد كلها ، وغايتنا هي التعاون والتآزر على خدمة العلم وهذه اللغة العربية الشريفة كل بما يستطيع وعلى قدر جهده .

هذا وسنتبع ترتيب المؤلف فنسجل ملاحظاتنا على مواد الحروف اولا بأول وابتداء من حرف الالف :

حرف الألف :

1 — في ترجمة ابن آجروم النحوي المعروف ذكر المؤلف ان المترجم اخذ عن ابن حيان في القاهرة والصواب ابي حيان ، وللفائدة نقول : عندنا ابو حيان التوحيدي الاديب العربي الكبير ، وابو حيان النحوي الغرناطي نزيل القاهرة وهو المعنى هنا ، وابن حيان وهو مؤرخ اندلسي شهير ، وزاد المؤلف قائلا : وآجروم بلغة القبائل معناها الصوفي، فأي قبائل يعني ؟ انه ولا شك يتبع الاصطلاح الفرنسي فى اطلاق القبائل على برابرة الجزائر وكان الصواب ان يقول معناها بلغة البربر .

2 — أسفي ص 2 ضبطها المؤلف بسكون السين وهو النطق العامي ، وفيه اجتماع الساكنين فالصواب ضبطها بفتح السين ، وفي جغرافية الادريسي ما يلمح الى ان هذا الاسم مأخوذ من قولهم يا أسفي فهو مفتوح السين بكل وجه .

3 — في ص 3 ذكر ابان بن عبد الحميد وابان بن عثمان مضبوطين معا بتشديد الباء ، وهما مخففان .

4 — ص 4 ترجمة لابراهيم بن عبد الله العلوي المعروف بالنفس الزكية وهذا خطأ فان هذا اللقب هو لاخيه محمد بن عبد الله القائم على المنصور العباسي وكان اخوه ابراهيم بمعيته وهو الذي ارسله الى اهل البصرة مستنجدا بهم .

5 — ابرهة الحبشي ص 4 جاء في ترجمته ما يلي : حاكم اليمن ، حارب الفرس (570م) مستخدما الفيلة في القتال ، وتسمى سنة هذه الحرب عام الفيل ، ومنها يؤرخون مولد محمد ، واي مناسبة بين محاربته للفرس وميلاد محمد (ص) ؟ فالخطأ متأت من ان هذه الحرب التي استخدم فيها ابرهة الفيلة كانت مع قريش عرب مكة ، والقصة معلومة ، ومن ثم أرخ بها مولد النبي الكريم .

6 — أبوام او بوعام ص 5 ذكر المؤلف هذا الاسم اولا على الشك في انه ابوام أو بوعام وقال انه عاصمة تافيلالت الخ ثم عاد فقال وبالقرب من ابوام قبر مولاي علي وهو مزار ، وهذا من ادلة ما قلناه من ان الترجمة كثيرا ما تحرف الاسم عن اصله ، فالاسم هو بوعام لا ابوام ، ثم ان مولاي علي الذي ذكر ان قبره يوجد بقرب بوعام هو مولاي علي الشريف ، جد الاسرة

مواليه ، وكانت قريش تقـول لزيد والد اسامـة لا لاسامة : زيد بن محمد فنزلت الآية (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله) فقيل له يومئذ زيد بن حارثة .

22 ـ على ع نى من هذه الصفحة تعريف باسبانيا ذكر فيه اسم مدينة مالقة هكذا (ملقـة) بدون الـف بعد الميم ولم تكتبه العرب الا بها حتى انهم الحقـوه بالاسماء القليلة التي جاءت على وزن فاعل بفتح العين.

23 ـ في ص 18 ع نى ترجمة لاسد بن الفـرات جاء فيها تولى القضاء في (قيروان) وحمل في الحرب على صقلية ، توفى في حصار سرقسطة .. والصواب القيروان بالتعريف وان يقال فتح صقلية لان عبارتـه لا تفيد انه فتحها ، واما وفاته فكانت في حصـاره لسرقوسة بصقلية لا بسرقسطة فان هذه فى الاندلس وكان من المستحسن ان يقال انه مؤلف الاسديـة في الفقه وهي اصل المدونة المشهورة في فقه المالكية .

24 ـ في ص 21 ع ل ذكر الاسكندرون ، والاكثر ان يقال فيها الاسكندورنة على انها ميناء في تركيـا على البحر المتوسط (25000) يعني من السكان ولا زائد، والمعروف ان الاسكندرونة لواء عربي كان تابعا لسوريا واقتطعته منها فرنسا ايام الانتداب وسلمته الى تركيا ففي معجم عربي كان من المتعين الاشارة الى ذلك .

25 ـ على العمود نى من الصفحة نفسها فى تعريف الاسلام ما يلي : واركانـه خمسة الصـلاة والصـوم والزكاة والحج والجهاد ، فحذف الركـن المهم وهـو شهادة التوحيد : لا الـه الا الله محمـد رسول الله ، وجعل بدلها الجهاد ، وهـو ليس بركـن ولا واجب عيني الا اذا فاجأ العدو البلاد .

26 ـ في ص 22 ع ل ترجمة لاسماء بنت ابي بكر الصديق وفيها انها لقبت بذات النطاقين لانها شقت (زنارها) قطعتيـن الخ . والزنـار هـو مما يختـص بالرهبان المسيحيين فلماذا العدول عن قولـه شقت نطاقها كما عند غيره وهو المناسب للفظ اللقب .

27 ـ في المكان المشار اليه ترجمة لمولاي اسماعيل ابن (شريف) والصواب الشريف بالتعريف ذكـر انه من سلالة العلويين والفيلاليين الحسينيين الثانيـة والصواب القول انه من سلالة العلويين الحسنيين فان نسب الفيلاليين انما هو لاقليم تافيلالت فلا يصـح جعله في مقابلة نسب الاسرة ، وهؤلاء الاشراف هـم حسنيون اي ابناء الحسن بن علي لا من ابناء الحسين فلا يصح القول فيهم انهم حسينيون ، أمـا قولـه الثانية فلم نعرف ما يقصد بـه .

28 ـ على ع نى من نفس الصفحة ترجمة للاسنوى جاء فيها : تعلم على ابن حيـان في القاهـرة ، ولعـل الصواب على ابى حيان الذي تقدم ذكـره ، ثم قال : من مؤلفاته رسالة في عدم استخدام وعدم (تبليتهم) عموم المسلمين ، ولا ندري معنى هذه التبلية ؟ !

29 ـ في ص 23 ع نى اثنـاء التعريف باشبيلية قوله : « فتحها العرب (712) واخذها عليهم فرديناد 3 (1228) » وهذا التعبير : « اخذها عليهم » غريب فلا هو فصيح ولا عامي فالصوب ان يقـال واخـذها او انتزعهـا منهـم .

30 ـ في المحل المذكور ترجمة للاشعث بن قيس ابن معد كرب ، والصواب معدى كرب بالياء جاء فيها: ولقب بعرف النار لخيانته عليا ، والاشعث لم يخـن عليا وإن اخذ عليه قبول التحكيم على ان هـذا اللقب لم نجد من ذكره من مترجميه .

31 ـ فى المحل المذكور ايضا ترجمة لابي الحسن الاشعري جاء فيها انه مؤسس علم الكلام اي استعمال القياس بالجدال ، وهذا لا يصح فان علـم الكـلام اسس قبل الاشعري ، نعم هذبه الاشعري على اصول اهل السنة بالنسبة لاكثر الاقطار كخرسان والشـام والعراق واما بالنسبة لما وراء النهر فيرجع الفضـل في ذلك الى ابي منصور الماتريدي ويصح ان يقال ان الاشعري هو مؤسس مذهب الاشعرية فى علم الكلام ، ثم أن علم الكلام ليس هو استعمال القياس بالجـدال كما قال المؤلف بل هو علم التوحيـد وعلم اصـول الدين وانما سمي علم الكلام لان مسألة كلام الله تعالى من اهم مباحثه فهو من باب اطلاق البعض على الكل.

32 ـ ص 24 ع نى ترجمـة للاصفهانـي محمـد البغدادي يعني ابا بكر محمد بن داود الظاهري جـاء فيها انه شاعر له كتاب الزهـرة وضبطه بضم الزاي وسكون الهاء ثم قال جمع فيه 5000 شعر مع شروحها وفيها ابدع نشيدا (كذا) بذكـر الحب العـذري او الافلاطوني ، وزيادة على عدم تعريف الشخص باسمه المتميز به فان وصفه بكونه شاعرا فقط فيه اجحـاف بحقه ، وقد كان من مشيخة العلم الكبار ثم ان الصحيح ضبط اسم الكتاب بفتح الزاي ، واما كونه ذكـر فيه 5000 شعر فان ذلك مما يحتاج الى توضيح لان الشعر يصدق بالبيت الواحد وبالقطعة والقصيدة ، والمقصود

على محمد (ص) فلأن يعاب على من سبقه من النبيئين والمرسلين وفيهم من كانت له 99 زوجة اولى واحرى ولكن لماذا لم يات المؤلف بغير هذين الرايين الفائلين من تخبطات ابن خائط او ابن حابط ؟ الانه يثبت بأحدهما الوهبة المسيح وينال بالآخرين من سيرة نبي الاسلام ؟ اذن فما احبط هذه الحجة التي يقدمها ابن حابط . . . !

9 — في نفس الصفحة : ذكر المؤلف مدينة احمد اباد وقال عنها : انها اجمل مدن الهند بآثارها الاسلامية . ثم قال عقب ذلك : صناعة الاقمشة الحريرية المقصبة ، هكذا بدون ربط ولا ذكر ما يشعر بأن ذلك مما تمتاز به ، وليس هذا من اساليب العربية وخصوصا في معجم .

10 — وقع في ترجمة الاخضري ص 9 تسمية كتابه او بالاحرى نظمه الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون بتحريف صدف الى صدق وقد يكون ذلك خطأ مطبعيا .

11 — في ترجمة الاخطل الشاعر ص 9 ايضا جاءت هذه العبارة عند ذكر ديوانه : واهتم في نشر مخطوطاته الاب انطون صالحي ، والصحيح واهتم بنشر ديوانه بالباء .

12 — في ترجمة ادريس الاول مؤسس الدولة الادريسية بالمغرب ص 10 انه كان شيعيا وهو ان كان يعني تبعيته لمذهب من مذاهب الشيعة المعروفة فان هذا لا يصح ، وان كان يعني انه علوي قام بدعوة آبائه في المغرب ولقي من اهله الذين كانوا يتشيعون لهم نصرة ، فذلك صحيح ، ولم يذكر احد من المؤرخين المعروفين ان الادارسة كانوا شيعة ، على ان الثابت في تراجم وزرائهم وقضاتهم انهم من اهل المذاهب السنية وانه لما قامت دولة الفاطميين الشيعية حاربت الادارسة بكل قوة .

13 — في ترجمة ادريس الثاني بنفس الصفحة والعمود انه بويع في جامع اليلى وهو خطأ صوابه وليلى وهي مدينة فولوبيليس المعروفة بقصر فرعون، وكانت عاصمة الدولة الادريسية قبل بناء ادريس الثاني لمدينة فاس .

14 — ورد فى ترجمة الادريسي الجغرافي المعروف بنفس الصفحة والعمود ايضا انه ولد في سبتة (الاندلس) ، ومدينة سبتة ليست من الاندلس بل هي من المغرب في شماله على شاطيء البحر الابيض المتوسط ولننظر الخريطة .

15 — في المحل المذكور كذلك ترجمة للادريسي المغربي (احمد بن ميمون) تحتوي على اغلاط ، منها تسميته احمد والمعروف ان اسمه علي ويكنى بأبي الحسن ، ومنها قوله من اصل بربري وهذا مما يتنافى مع ما وصفه به من النسب الادريسي ، والحقيقة انه شريف حسني من السلالة الادريسية ومنها قوله كان اميرا على بني رشيد (كذا) في جبل غمارة (المغرب) فتنازل عن وظيفته لعدم امكانه منع شرب الخمر في قبيلته ورحل من فاس الى المشرق ، وليس شيء من هذا بصحيح فهو لم يكن اميرا وانما كان قاضيا في مدينة شفشاون في أيام اميرها علي بن راشد ، ومن هنا جاء الفلط في جعله اميرا على بني رشيد ، وانتقل الى فاس لخلاف وقع بينه وبين هذا الامير وما نسب اليه من كتب غربة الاسلام بواسطة صنفى المتفقهة والمتفقرة من اهل مصر والشام صحيح ، وهو يدل على ان ثورته كانت على الاحوال الفاسدة بالمشرق .

16 — في ص 12 ذكر اسم ابى عمرو بن الصلاح مصحفا الى ابن الصالح وهو تصحيف يفتقر الى التصحيح .

17 — في ص 13 ثبت لفظ القرباذين والمراد به علم الصيدلة بالزاي وهو بالذال .

18 — فى ص 16 ذكر الازرقي مؤرخ مكة هو وجده باسم الازرق والمعروف انه منسوب الى جده الاعلى ابى عقبة الازرق الفساسي كما لابن الاثير في اللباب .

19 — على ع ن من الصفحة نفسها في مادة ازمور ما يلي : فيه قبة سيدي (شعوب) وغيره من الاولياء فيه جرت الوقائع الحربية بين البرتغاليين وبني (مرن) في القرون الوسطى ، والصواب سيدي بوشعيب وبني مرين .

20 — في ص 17 ترجمة للشيخ خالد الازهري النحوي المعروف ، ذكر من تآليفه المقدمة الازهرية وتمرين الطلاب والمقدمة الجزرية ، وهذه الاخيرة ليست له بل هي لابن الجزري واسمها دليل على ذلك ولكن الشيخ خالد شرحها ، ولم يذكر من تآليفه التصريح وشرح الاجرومية وهما اشهر كتبه .

21 — فى المحل المذكور ترجمة لاسامة ابن زيد ، جاء فيها انه من مواليد محمد ، ولعله يريد انه من

نجيب محفوظ
أو الكاتب العربي الذي يكتب عن مجتمعه

للأستاذ : محمد زنيبر

- 3 -

جانب الف ليلة وليلة

اراد نجيب محفوظ أن يصور لنا حياة أسرة مصرية والتطورات التي طرات على اجيالها الثلاثة منذ بداية القرن العشرين حتى أواسطه . ورغم أن الموضوع عصري يتعلق بابناء زماننا ، فاننا نجد في ثنايا فصول الرواية نفحة من ألف ليلة وليلة ، كما اشرنا من قبل الى ذلك .. ولعل بعض القراء يستغربون مثل هذا الاكتشاف ويستبعدونه ، محتجين بأن الف ليلة وليلة مجموعة من القصص تعتمد على الخوارق والغرائب والمصادفات العجيبة بينما نجيب محفوظ يظل قريبا من الواقع يستوحي احداث رواياته من الحياة اليومية العادية ويجتنب الانغمار وراء الخيال الراكض .

لكن هذا الاعتراض لا ينبني فى الحقيقة الا على نظرة سطحية وعجلى . فاذا سلمنا أن الف ليلة وليلة تحتوي على احداث غريبة بعيدة عن المألوف ، فاننا لا ننسى مع ذلك أنها تصور لنا جوا اجتماعيا تجري فيه تلك الوقائع . ففيها صور مختلفة عن تقاليد المشارقة ومشاعرهم ومثلهم ، بحيث نرى كيف يتصورون السعادة في الحياة وما هي الاخلاق التي يحمدونها في المرء وما هي العيوب التي يمقتونها ، وكيف يتصورون حياة الانس ، وما هو الحب الحقيقي، وما هي روح المخاطرة ، وما هو الكرم والشجاعة ، وما هو الغدر والخيانة ، الى غير ذلك من المعلومات التي لاتدخل تحت الحصر . فألف ليلة وليلة قبل أن تكون سرد احداث ، جو عميق ، ساحر ، قوي بألوانه وانغامه وعطوره .

وهنا لست أرى من غير المفيد ان أورد فقرة من فصل ممتع كتبه « اندري جيد » عن الف ليلة وليلة حيث يقول ،

« في الف ليلة وليلة ، كما في التوراة ، يبرز لنا شعب بأكمله ويكشف لنا عن حقيقته ؛ والقصة ليس لها اي صبغة ادبية شخصية ، اللهم الا ما كان من الفقرات الشعرية التي تدلنا على أن رجلا كان يتغنى هنالك . فالقصة صادرة من صوت الشعب نفسه . فهي كتابه وكل كتبه . وهي أدبه وحاصل علمه » .

هذا الجو الخاص الذي تنقلنا اليه الف ليلة وليلة هو الذي نجد له آثارا واضحة في ثلاثية نجيب محفوظ . وحيث كان النقد الادبي يعنى بصورة خاصة بالبحث عن المؤثرات التي انطبع بها الكتاب فى مؤلفاتهم ، فلا بد لنا من الوقوف عند هذه الظاهرة نحللها ونقدم عنها امثلة ونبحث هل كان هنالك تأثر حقيقي أم تلاق فى خط واحد كما يحدث أحيانا .

عند ما تثير في نفوسنا قراءة الثلاثية اصداء من الف ليلة وليلة ، لا نشعر بأن الكاتب اندفع نحو المحاكاة والتقليد . بل انه يسير في اتجاه طبيعي ، تلقائي مرتبط مع حوادث القصة . ومن حين لآخر ينبع مشهد او حوار او تصوير يذكرنا بألف ليلة وليلة ، دون ان يكون التشابه ماسا بالجزئيات او بسير الاحداث ، ولكنه يتصل قبل كل شيء بالنوع والجو .

ونحن لو اردنا أن نبحث عن أوجه الشبه باحاطة واستقصاء ، لوجدنا لها مواطن كثيرة . ولكن سنقتصر

على ما هو مبين في مقدمة الكتاب البيت الواحد من الشعر ، على انه حسبما قال المؤلف يحتوي 10.000 بيت اذ ذكر انه استودعه مائة باب ضمن كل باب مائة بيت ، يذكر في خمسين منها جهات الهوى واحكامه وتصاريفه واحواله ، ويذكر في الخمسين الثانية افانين الشعر الباقية فهو ليس كله في الحب او ما يسمى بالغزل ، هذا ولا بد من التنبيه على ان قوله مع شروحها ليس المراد به الشرح المعلوم للابيات الشعرية من حيث تفسير الالفاظ اللغوية وبيان المعاني الدالة عليها وانما هو تنزيلها على الموضوع والملاءمة بين مضامينها في ذلك فعبارته موهمة ، واما قوله : وفيها ابدع نشيدا بذكر الحب العذري الخ فهو تعبير قلق كما لا يخفى ، ونزيد على ذلك بان شعر الكتاب ليس كله من باب الحب العذري او الافلاطوني كما ذكر .

33 — في المحل نفسه ذكر حركة الاصلاح الدينية المسيحية التي قام بها لوثر وكالفان وكانت سببا في ظهورالمذهب البروتستاني فقال: حركة دينية اصلاحية باشر بها لوثر الخ ولم يذكر مفعولا لباشر فمراده قام بها او باشرها ، ونحن ننبه على هذه الاغلاط اللغوية لان ناشئتنا يرونها في معجم لغوي فينقلونها فتفسد اساليبهم ويخرجون بها عن الاوضاع العربية المتعارفة في التعابير الفصيحة .

34 — فى ص 25 ع ل ذكر المؤلف كتاب اصول الفقه للشافعي وقال اول مصنف وضع فى الاصول ، وهذا صحيح ولكن اسم الكتاب الرسالة لا اصول الفقه ، وتعرف برسالة الامام الشافعي في اصول الفقه .

35 — في ع نى من هذه الصفحة ذكر اسم اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ راغب الطباخ مضبوطا بمهمزة مفتوحة ونظن ان الصواب كسرها على انه مصدر لاعلم لا جمع علم .

36 — فى ص 26 ع ل ذكر اسم اكادير المدينةالمغربية المنكوبة بالزلزال منذ قريب ، مكتوبا بغين منقوطة ثلاث نقط من فوق ، وهذا هو السبب الذي يوقع اخواننا الشرقيين فى وهم قبيح فيجعلونها اغادير بغين خالصة ويظنون انها جمع غدير او نحو ذلك ، والصواب كتابتها بكاف منقوطة بثلاث نقط من فوق او بجيم .

37 — فى ع نى من‌هذه الصفحة ذكرت الاغواط على انها واحة في بلاد الجزائر وهي مدينة .

38 — فى ص 29 ع نى عند تعريف الاكاديمية قال : والاكاديمية البريطانية فى لندن لتشجيع دروس‌التاريخ والفلسفة (والالسنية) ولا ندري ما هذه الالسنية فهي وصف لماذا ؟ ثم هي نسبة للجمع وامرها معروف . والمراد من المؤلف الفاضل ان يراجع هذه العبارات فى طبعة كتابه القادمة ، احتفاظا على الاساليب العربية الصحيحة .

39 — فى ص 32 ع نى كلام على مدينة البيرة من اسبانيا جاء فيه : ازدهرت ثم خربت بالحروب الاهلية (1009) ولا يبقى منها الا الاطلال ، وهذه العبارة لاتليق بمعجم لغوي والصواب فيها ان يقال ولم يبق.

40 — على ع نى من نفس الصفحة تعريف بألفية ابن مالك انشد المؤلف ابياتا منها وقد جاء هذا البيت:

ترفع كان المبتدأ اسما والخبر
تنصبه ككان سيدا عمر

محرفا الى « مكان سيدا » بالميم بدل الكاف ، وهو من خطأ الطبع .

41 — فى ص 34 ع نى ترجمة لامريء القيس‌الشاعر جاء فيها : قتل ابوه فهم فى المطالبة بالثأر وهذا تعبير عامي لا يليق بمعجم لغوي وصوابه ان يقال فاهتم بالمطالبة .

42 — فى ص 34 ع نى كلام على بني امية استطرد المؤلف فيه ذكر خلفائهم واحدا بعد واحد ولما ذكر عمر ابن عبد العزيز جعل عليه رقم 2 اشارة الى انه عمر الثاني كما جعل في يزيد والوليد منهم ولم يكن في الامويين من ولى الخلافة واسمه عمر الا ابن عبد العزيز ولعله راى ما يوصف به من كونه ثاني العمرين في العدل الحاقا له بعمر بن الخطاب فوضع له رقم 2 بهذا الاعتبار ثم انه لم يذكر فى عدادهم مروان بن الحكم وان كان وضع على مروان بن محمد آخر خلفائهم رقم2 فلعل الاول سقط من الطبع .

43 — فى ص 40 ع ل ترجمة لابي اسمعيل الانصاري من الصوفية قال ان له كتابا اسمه مناجات هكذا بتاء مطلوقة والصواب ربطها .

44 — فى ص 43 ع نى تعريف بتفسير البيضاوي المسمى انوار التنزيل ، جاء فيه : لخص‌فيه من‌الكشاف ما يتعلق بالاعراب والمعاني والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن التفسير مايتعلق بالاشتقاق الخ . فاي تفسير هذا الذي‌اخذ منه مايتعلق بالاشتقاق ...؟ انه تفسير الراغب ، فصواب العبارة ومن تعبير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق ، هذا واصل التعريف لصاحب كشف الظنون .

طنجة : عبد الله كنون

نرى شابا تاجرا اتى الى مصر ببضاعته وباعها للتجار بالنسيئة على يد الصيرفي وصار يأتي الى دكاكين التجار عند حلول اجل القبض . ولننصت اليه يروي لنا ما جرى له :

« ذهبت الى دكان تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه . فبينما نحن كذلك واذا بامراة جاءت وقعدت بجانبي وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب . فسلبت عقلي بحسنها وجمالها ورفعت الازرار ، فنظرت الى احداق سود . ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها . فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي . فقالت لبدر الدين :

« هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب ؟ فأخرج لها تفصيلة . فقالت للتاجر: « هل آخذها واذهب ، ثم أرسل اليك ثمنها ؟

فقال لها التاجر :

— لايمكن ، ياسيدتي ، لان هذا صاحب القماش وله علي قسط .

فقالت :

— ويلك ، ان عادتي أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم واربحك فيها فوق ما تريد ، ثم ارسل اليك ثمنها .

فقال :

— نعم ، ولكني مضطر الى الثمن في هذا اليوم . فأخذت التفصيلة ورمته بها فى صدره وقالت :

— ان طائفتكم لا تعرف لاحد قدرا . »

ثم قامت مولية وظننت ان روحي راحت معها . فقمت ووقفت وقلت لها :

— يا سيدتي ، تصدقي علي بالالتفات وارجعي بخطواتك الكريمة .

فرجعت وتبسمت وقالت :

— لاجلك رجعت . »

ونجد موقفا مماثلا في نفس القصة فى حكاية الشاب المقطوع الابهام وفي قصة علي بن بكار مع شمس النهار وغيرها من قصص الف ليلة وليلة .

ولا يقتصر هذا التشابه على قصة السيد احمد عبد الجواد مع زبيدة العالمة . بل هناك فصول اخرى تتعلق بمغامرات غرامية ثانية ، مثل قصة السيد احمد عبد الجواد مع زنوبة العوادة ، وهي تصور لنا كيد النساء على غرار ما نشاهد في قصة دليلة المحتالة وزينب النصابة . وكذلك المغامرات المتتالية التي عاشها ياسين مع أم مريم ، ومريم وزنوبة ، ففيها تحليلات نفسانية تذكرنا في كثير من الاحيان بما نقرأه في الف ليلة وليلة من تصوير لنشوء عاطفة الحب في قلب بطل لازال في ريق شبابه .

بيد انه من الواجب الاعتراف بأن نجيب محفوظ تناول موضوع الحب من جهات مختلفة ونظر اليه نظرة موسعة ومتنوعة ، فاذا كانت الامثلة التي اوردنا تنبيء عن تقارب مع الف ليلة وليلة ، فهنالك امثلة اخرى تنم عن تصورات اخرى لعاطفة الحب . ويكفي ان نذكر منها تلك القصة العجيبة ، التي افرغ فيها الكاتب مجهوده الفني ، قصة حب كمال مع عايدة . ففيها صورة لهذا الغرام العصري الذي بدأ يعرفه الشاب الشرقي وهو في صراع بين التقاليد القديمة والنزوع الى الانطلاق والانعتاق .

على أن الالتقاء بين الثلاثية والف ليلة وليلة لا ينحصر في المواقف الغرامية وحدها ، بل انه يتجاوزها الى مظاهر مختلفة من الحياة . وهو يبدو فى ثلاثة مواقف تبلغ في عمقها اختيارا ميتافيزيقيا .

وأول هذه المواقف الاستسلام للقدر . فاذا القينا نظرة عامة على الف ليلة وليلة ، نجد ابطالها يعيشون في عالم كله اسرار وخبايا ، عالم متفتح على سائر الممكنات ، فهم لا يعرفون في صباحهم ماذا سيلقون في مسائهم . وهم يسيرون في طريقهم منقادين سلفا لما ستجابههم به الاقدار ، فلا الحادث السعيد يدهشهم كثيرا ، ولا المصاب الاليم ينزع عنهم الرغبة في الحياة . الصعود الى القمة السميكة او النزول الى الحضيض الاوهد كلاهما امر مقبول ومنتظر ، لان الحياة كلها ساعات تختلف عن بعضها ، وكل شيء يعاد فيها . فكم مرة عاين السندباد الموت ، وكم مرة اضاع كل شيء وعاد فقيرا ، وكم مرة عاد فركب البحر بعد ان قاسى من اخطاره واهواله ، ولكنه بعد كل هذا يدرك السعادة والالتقاء بالاحباب والغنى.

ونحن نجد شيئا من هذا الجو فى ثلاثية نجيب محفوظ ، فهذه الجماعة التي تحيط بالسيد احمد

في هذا المقال على بعض اللمحات ، مكتفين بوضـــع الاساس لبحث يكون اكثر تدقيقا وشمولا .

يظهـــر لنا الالتقاء بين ثلاثية نجيب محفـــوظ والف ليلة وليلة في بعض الفصول الغراميـــة . ففي قصة السيد احمد عبد الجواد مع زبيدة العالمة ، مثلا، ثم مع زنوبة العوادة ، ندخل في جو وحوار وشعـــور ومواقف تذكرنا آنـــا بقصة الحمال مع البنات وطورا بحكاية مزين بغداد وآخـــر بقصة دليلة المحتالـــة . ولنورد هنا فقرتين تتعلقان بأول لقاء بين المتحابين في المتجر ، الاولى من الثلاثية والثانية من الف ليلة وليلة

ففي الثلاثية نجد التاجر السيد احمـــد عبـــد الجواد جالسا في متجره اذ تقبل زبيدة العالمـــة اي المغنية بالاصطلاح الشعـــبي ·

« وقطع عليه أفكاره وقوف « حانطور » أمـــام مدخل الدكان فمد بصره مستطلعا فرأى العربة وهي تميل ناحية الدكان تحت ضغط امراة هائلـــة مضت تفادرها في بطء شديد على قـــدر ما تسمح طيـــات لحمها وشحمها وقد سبقتها الى الارض جارية سوداء. فمدت لها يدها لتعتمد عليهـــا في اثنـــاء نزولها . وكالمحمل وقفت مليا وهي تتنهد كأنها تستجم من عناء النزول ، وكالمحمل راحت تتمايل وتخطو الى ناحيـــة الدكان بينما علا صوت الجارية في لهجة شبه خطابية لتعلن عن مولاتهـــا :

— وسع يا جدع انت وهو للست زبيدة ملكـــة العوالـــم

وندت عن الست زبيدة ضحكة مسجوعة وقالت تخاطب الجارية بلهجة تنم عن زجر كاذب :

— الله يسامحك يا جلجل ... ملكة العوالم مرة واحـــدة ! .. هلا عرفت فضيلة التواضع !

وهرع اليها جميل الحمزاوي مفتر الثغر عـــن ابتسامة عريضة وهو يقول :

— اهلا وسهلا ، كان حق علينا أن نفرش الارض بالرمـــل ..

ونهض السيد وهو يتفحصها بنظرة تنم عـــن دهشة وتفكير ثم قال متمما تحية وكيله :

— بل بالحناء والورد . ولكـــن ما حيلتنا والحظ يقبل اذا ما اقبل غير مسبوق ببشير .

وراى السيد وكيله وهو يتجه الى كرسي ليأتي بـــه ، فسبقه اليه بخطوة واسعـــة بدت كالوثبـــة ، فتنحى الرجل جانبا وهو يداري ابتسامة . وقـــدم السيد لها الكرسي بنفسه وهو يومىء براحته مرحبـــا كأنه يقول لها « تفضلي » ...

وشكرته المراة بابتسامة من وجهها الذي اسفر حسنه بغير حجاب . وجلست وهي تشع بزوافهـــا وحليها نورا ، ثم التفتت الى جاريتها وخاطبتها قائلة وهي تعني بالخطاب غيرها :

— الم أقل لك يا جلجل انه ليس ثمة ما يدعونـــا للتخبط هنا وهناك لابتياع حوائجنا وعنـــدنا هـــذا الدكان الفاخر ؟

فأمنت الجارية على قول سيدتها قائلـــة :

— صدقت كعادتك ، ياسلطانـــة ، لمـــاذا نذهب بعيدا وعندنا السيد الكريم احمد عبد الجواد

فتراجع راس الست كأنما هالها ما صرحت بـــه جلجل والقت عليها نظرة استنكار ثم رددت عينيها بين السيد والجارية لتشهده على استنكارها وقالت وهي تداري ابتسامـــة :

— واخجلتاه ! ... حدثتك عن الدكان ، يا جلجل لا عن السيد احمـــد

وشعر فؤاد السيد الذكي بالجو الودي الـــذي بنفثه حديث المراة ، فاندمج فيه بفريزته المتوثبـــة وتمتـــم باسمـــا :

— الدكان والسيد احمد شيء واحد ياسلطانة . فرفعت حاجبيها في دلال وقالت بعناد لطيف :

— ولكنا نريد الدكان لا السيد احمد ...

— قضى الله جلت حكمته أن يكون الجماد اسعد حظـــا من الانســـان .

فقالت بلهجة ذات معنـــى :

— اراك تفالي ، لن يكون الجماد اسعد حظـــا من الانسان ، ولكنه كثيرا ما يكون اجل فائدة .. »

ويمضي الحوار على هذا النسق . فيذكرنا بدور الدكان والتاجر في كثير من مغامـــرات الحب التي تزخر بها الف ليلة وليلة . ويكفي هنا ان نورد الفقرة التالية المأخوذة من قصة الخياط والاحـــدب ، حيث

هل خير للعالم العربي أن يتجه الى العلم أو الى الأدب؟

للدكتور: زكي المحاسني

بدات بالادب ثقافة الانسان ولم تبدأ بالعلم ، فهو منذ استهلال الخليقة ، حين سكب الخالق في اعصابه الشعور ، وفي عينيه النور ، استجاب لمفاتن الطبيعة ، ففنى كالطير بايدي النسيم ، وحين اخذ يفيد من شعوره ويحس بنوازع قلبه ، قال الشعر على انغامه التي ابتدعها . وبهذا يقول نقاد الادب المعاصرون في مولد الادب . ولا يخالفهم علماء الاجتماع الذين يتخذون من الامم البدائية العائشة فى عصرنا اشباها ونظائر للامم البدوية الغابرة والسحيقة . فعند هذه الاقوام الجوالة البوهيمية آداب فيها شعر وقصص وفيها اساطير وفأل ، وفيها رقص عجيب وموسيقى بارعة . وقد راح الادب يغري الشعوب كلها في الشرق والغرب لانه كان سبيلا الى تفتح المشاعر ، وتأنق الخواطر ، وكان مرايا تنعكس عليها هواجس الافكار ، وسوانح القلوب .

اما العلم فان الفلاسفة يثيرون قضيته منذ بدء الخليقة ايضا ، فيقولون ان الانسان منذ كان على الارض التفت التفاتة علمية . اي تساءل عن علل الاشياء تساؤلا ساذجا . وكانت مرحلة هذا التساؤل بعد ان علل الانسان العوامل الطبيعية تعليلا دينيا واعتقاديا ، فنسب الى الآلهة ظواهر الحادثات في الكون . ويعد العلماء بدء العلم من اداة الاستفهام (لم ؟ كيف ؟ وماذا ؟) .

ان اداة الادب النظرة الطابعة والحس المنسرح والخيال المجنح ، واداة العلم العقل الواعي والفكر المبدع ، وقد اختلفا بالوسيلة فيسرها الزمن للادب ، حتى لم يكن للادب الا ان يغمس القلم بالمداد ، ويملأ الطرس بالسواد ، ليجيء منه الادب . وليس أمام العالم هون ولا سهولة ، فلا بد من الحديد والنار ، والمرجل والدولاب . ونهاية جولة الادب استراحة فى كتاب . ولا اجد للعلم نهايةيستريح فيها ، الا ضجيج المعامل ، وقرقعة الآلات .

ومضى الادب يشق طريقه خلال العصور ، مخلفا وراءه العلم في تاريخ المعارف الانسانية . ان اليونان عاشوا طويلا يقولون الشعر ، ويلعبون التمثيليات ويقلبون المعارف ، قبل أن يصلوا الى اختراع النار الفريفورية ، يرمون بها حصون اعدائهم، عن مقاذف المنجنيق .

وكذلك كان شأن سائر الامم التي تحضرت ، ورقيت ، ووصلت بعد ادبها الى آفاق العلم ، حتى ادركت القرن التاسع عشر . وكان هو وحده العصر الاعظم الذي حمل الانسانية مجموعة كبرى من الحضارة العلمية ، بوفرة ما اخترع فيه . بل كانت قوة البخار والكهرباء هي اجل الامور الحديثة ، في حياة العلم المعاصر ، حتى كان عصرنا هذا ، وانطلقت فيه القوة الذرية من معاقلها ، ليكون مصير العالم رهنا بها ، اما الى العمار ، واما الى الدمار .

اما اين يكون العرب من كل ذلك ، فهو ما اقول هذا المقال من اجله ، فهم قد وفوا قسطهم او زادوا عليه في حياتهم الادبية ، منذ اقدم شعر في الجاهلية الى ايام شوقي . وشاركوا في تراث الامم بالثقافة الروحية مشاركة شاملة حتى عد ادبهم من الآداب الحية الراقية ، بل كان في الرعيل الاول من الآداب الاممية الخالدة . ولكن اين علمهم ؟ ان لهم علما قديما افادت منه الامم في كبواتها ، يوم كان العرب في قمة مجدهم . فقد خدموا الطب والفلك والصناعات ،

عبد الجواد وتسمر معه ، كلهـــا تعيش في نـــوع من الاستسلام . انها قانعة مرتاحـــة من الكيفيـــة الروتينية التي تعيش عليها ، لاتحاول ان تغير منهـا شيئا . وحتى اذا دبت في عروقها حمية الوطنيـــة ، فهي لا يتجاوز شعورها حد الكلام والتعليق الساذج ، بل تظل ترقب الاحداث من بعيد في لون من الفضول البريء دون أن تحاول التأثير عليها . وامينة زوجـة السيد احمد عبد الجواد هي ايضـا تعطينـا صورة فريدة من الاتكالية المطلقة في دؤوبها اليومـــي وفي التفكير في مصالح اسرتها وفى مواجهة الاحداث العائلية على اختـلاف انواعهـــا .

والموقف الثانـي يتعلق بالاقبـال على الملـذات الحسية التي تهبها الحياة من طرب وشراب وهيـام بالجمال . وما الف ليلة وليلة الا انشودة طويلـــة او ملحمة صيغت لتشيد بملذات الدنيا وزخارفها ، مما أكسبها شهرة جعلها مضرب الامثال في هذا الباب . وفي الثلاثية ، نرى حياة اللذة تملأ خيـال عـدد مـن ابطالها فتصير هي هدفهم الاول ومفزعهم الاخيـر . فالسيد احمد عبد الجواد ورفاقه لايجدون انفسهـم الا في تلك الساعات الليلية التي يخلون فيها لبعضهم، فيسمرون في طرب وشراب وتبادل النكت ، وكانهـم توصلوا الى غايتهم القصوى . ونخرج بنفس الانطباع ونحن نتتبع ياسين الابن الاكبر لاحمد عبد الجواد ، في مغامراته وحياته اللاهية .

والموقف الثالث يتمثـل في التشبث بالديـــن والفزع اليه كلما المت مشكلة او نزلت شدة . بل ان الدين يقوم يوميا بدوره في تطهير النفوس من الخطايا والآثام المرتكبة . فهو يتيح للابطال المتدينين العـودة في كل وقت الى بداية جديدة قد يرون فيهـا نقطـة انطلاق نحو سيرة اكثر سموا وروحانية ، ولكن سرعان ما تخور العزائم امام المغريات ، فتتكون الصورة وهكذا دواليك . فالقاعدة الوحيدة التي تتصف بشيء مـن التحديد والمنطق في هذا العالم الذي تجرفه الاهـواء والعواطف والشهوات ، هو الدين بأوامره ونواهيه . ولذلك تجده يحظى بحرمة لا تتناهى . ويترك الباب دائما مفتوحة للتوبة والعودة إلى الصراط المستقيم ، مما يسهل على العاصي ان يوغل في عصيانه ، ما دام سيلتحق في يوم ما بركب المؤمنين التائبين . وفى هذا الباب ايضا نجد بعض التقارب بين الثلاثية والف ليلة وليلة . فالسيد احمد عبد الجواد عندما يجلس فـي بيته وبين ذويه يضع حياته اللاهيـة بين قوسيـــن ويرجع للعبادة في خشوع وايمان واخـلاص . ولا تشعر في هذا التقلب بوجود قطرة من نفاق او تصنع، بل هو عودة طبيعية الى سلوك يؤمن به ويجله وانمـا ينحرف به عنه كـل يوم طغيان الهـــوى وسلطـــان الشهـــوة .

والواقع أن التشابه بين « الثلاثية » و « الـف ليلة وليلة » يكمـــن في تصوير هذا الجـــو الملـــيء بالمتناقضات الذي يتحرك فيه ابطال الروايتين . واذا كان التناقض البشري لا يخلو من اي رواية ، فانـــه هنا يكتسي صبغة خاصة ، لانه تناقض لا يخلـــق اي اي مشكلة داخلية او موضوعية لاصحابه . فهو تناقض بريء لان الذين يعيشون فيه لا يكادون يشعرون بـه ويتجاوزونه في هذا القرار الذي اجمعوا عليه بكيفية لا شعورية ، الا وهو ارادة الحياة .

تلك بعض اللمحات المقتضبة عن مواطن الالتقاء بين الف ليلة وليلة والثلاثية . ويحق لنا بعد هـــذا التحليل أن نلقي على انفسنا سؤالين : الى اي حـــد يمتد هذا الالتقاء في رواية نجيب محفوظ ؟ وما هـــو السبب الحقيقـــي لهذا الالتقـــاء ؟

في مقدورنا أن نجيب الآن على الســؤال الاول تاركين الثاني الى مقال مقبل . اننا عندما نتحدث عن الالتقاء ، فلا ينبغي أن يفهم من ذلك تشابه كلي يجمع بين الرواتين في سلك واحد . بل ان التشابه ينحصر في نقط معلومة وفصول معينة وهي التي حللناها في هذا المقال . والثلاثية لا تقف عند هذا الحد ، بل هي تصور لنا اجواء واحداثا ومشاكل أخرى تبتعد بنا عن محيط الف ليلة وليلة لتعود بنا الى العصر الـــذي نعيش فيه . كما انها تقدم لنا نوعا آخر من الابطـال لا ينسجم في شكله وصفاته مع ابطال الف ليلة وليلة، لانهم يمثلون هذا الجيل الجديد من شباب الشرق الثائر على القيم القديمة والمتعطش لقيم جديدة .

واذن ، فالتشابه نسبي ، ولكنه ، على نسبيته ، ذو اثـــر عميـــق .

ســلا : محمـد زنيبــر

صدى الرد

للأستاذ محمد بن تاويت

لما قرات رد السيد الحلوي على (العناصر القرآنية في قصيدة قفا) خيل الي ان السيد من اولئك الذين يحسبون انهم يناضلون « تحت راية القرآن » كما حلى للرافعي رحمه الله ان يسمي كتابه، على حين ان ذلك ليس كذلك ، نضالا تحت راية القرآن: بل هو نضال مع اولئك الحاملين لهذه الراية المقدسة ، فاعجب لقوم يناضلون تحت راية حامليها والمستميتين في سبيلها (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)

هكذا خلت الكاتب الفاضل ، مندفعا عن اخلاص حاد ، وغيرة شيبت النواصي واخذت بالاقدام ، وحب لا يرى ولا يسمع ، الا ما رآه وسمعه ، فتمكن من قلبه الخالي ، وعلى هذا فان نضاله لايتعدى ذلك الميدان الشريف ، وسيفه لا يسل الا تقربا من الله اللطيف ، لكني فوجئت حينما وجدت السيد يطاردني ويتعقبني — كما قيل — ايضا في « شواهد الانتحال فى شعر المهلهل » ، فأدركت حينئذ ان الكاتب مخلص كل الاخلاص في دحض فكرة الانتحال من حيث هو انتحال او ادعي انه انتحال واجره على الله .

ومع هذا فاني حينما قرات هذا التعقيت أو الرد ، شعرت شعورا قويا بحاجة بعض الناس أو بحاجتنا نحن معظمين انفسنا ، الى « الموضوعية » . ومن قبل كان شعوري غير قوي فى هذا ، بل ما كنت أفهم هذه « الموضوعية » فهمها الحق ، حتى قرات لصاحبنا الحلوي ما قرات ، وايم الله ، « وليس وراء الله للمرء مذهب » كما قالت الجاهلية ، زعموا ...

شعرت بذلك بعمق أولا وبأعمق من العمق نفسه اخيرا او آخرا ، وتخيلت السيد في هذا الرد بالذات « مفتيا » من أولئك « المفتين » الذين يطلبون الطول فى التسطير ، ويطيلون الانفاس فيما لا يستفيد منه الا هم ، وقد رضي عن صنيعهم « المستفتون » فرضوا هم ورضوا عنه ... اما غيرهم والحقيقة المجردة هدفهم ، والحق من ورائهم يحدوهم ، فلا يستفيدون الا صلصلة الكلام ، وجلجلة النقاش ان احتدم ، وما هو في الواقع بنقاش ولا هراش ، ونعود بالله من سجع الكهان ...

انا — مع الاسف — من اولئك الذين لا يعجبهم حتى جمال الانشاء ، ان كان هذا الانشاء الجميل قد عرض في غير معرضه . فمسألة العرض والوضع عندي مسألة جوهرية ، وان حسبها غيري عرضية ، واعتقد انها كذلك فى نظر بعض الناس ...

ولهذا فان مقدمة الحلوي ، كنت أرجو لها أن تكون من روائع الكلام ، لا أن تكون من كلام « الروائع » وكنت أرجو أن تقع مني في معرضها ووضعها الجميل، لاتمتع بهذا الجمال حق التمتع ، لا أن تتبرج أمامي « تبرج الجاهلية الاولى » ...

وبالاختصار كنا نريد ان يكون لها محل من الاعراب والاغراب ، حتى يستفيد المستفيد وينتشي المنتشي ، وحتى نكون من هذه « الموضوعية » في محيطها او نحوم حوله على الاقل ، ولا نبتعد عنه فيحجبنا السراب .

ونحن في اطمئنان منا الى مدارك الناس ، واعتماد منا على اذواق ذوي الالباب ، وفيهم السيد الحلوي ، وقد رجع الى تلك « الشواهد » وقراها قراءة تثبت وامعان ، فلا يسجل حينئذ تلك « الملاحظات العابرة » الا بعد أن يستريح ويستعد للعبور ، ان اتعبه ذلك المرور .. — نجد انفسنا مع ذلك مضطرين الى العودة ، لنناقش لا لننافس السيد ...

وكانوا في ذلك من أساتيذ النهضات العلمية في أواسط العصور . لكنهم في عصرنا هذا الذي هو عصر التسابق العلمي بين الامم ، ما زال علمهم تالبا أو تابعا ، بل اكاد أقول لا علم لهم ، بالمعنى المصطلح عليه في هذا العصر لكلمة العلم .

كان الفيلسوف امين الريحاني يرحمه الله اول عربي قال هذه الكلمة الواعية الثائرة في صدر هذا الزمان : « أنا الشرق ، عندي فلسفات وعندي قصائد ومعلقات ، فمن يبيعني بها دبابات وبواخر وطيارات ؟ »

كذلك أثير قولة قالها الريحاني ، ذلك المفكر الذي انضم الى صف الادباء ، وكان يتوق أن يكون عالما ، لكنه كان مثل نطاسي وضع يده على جرح العرب في عصرهم الحديث . افهمهم بأسلوبه السافر اللاذع ، ان عليهم أن يستيقظوا ، فقد كفاهم التطواف في آفاق الادب ، وحدائق الشعر . وعليهم أن يجتازوا اليوم الى معامل العلم ، ومختبرات الصناعة .

واحسبهم الآن ، مؤثرين لهذه الآفاق ، وتلك الحدائق ، لانهم وجدوها أقرب لارواحهم واوفق لطباعهم الشرقية . ولقد استساغوا الادب بأشتات فنونه ، ومباهج تلاوينه . فلو أحصينا عدد شعرائنا وكتابنا منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم ، لوجدنا كل مائة شاعر أو أديب يقابلهم عالم واحد .

وهؤلاء العلماء لم يكن لاحد منهم حتى اليوم فضل في اختراع آلة عالمية ، الا ما ندر من براعة الاطباء بينهم ، فان لقليل منهم الفضل في اكتشاف عقاقير نافعة . ولا يجد المتبحر في علم الاجتماع مهما يفعل في تبحره ، تعليلا صحيحا لمحبة الشرق للادب وتفاني الغرب في العلم . هل هو أمر من عوامل البيئة ؟ ما ارى ذلك . فان العرب الاندلسيين ، وكانوا في الشرق ، لم يغير الغرب منهم شيئا . بقيت مشاعرهم شرقية وبقي شعرهم امويا وعباسيا . وهل هو الدم ؟ وكذلك لا اقول بالدم ، في هذا الامر ، فان الساميين ومنهم العرب ، أهل ادب ، وكذلك اجد الآريين . فهذه الهند وفارس والصين ، كلها تموج في محبة الادب والفلسفة ، وتكاد تكون هذه النوازع في اعراقها مخلدة . اذن لم يبق امامي الا ان اقول آن على العرب ان يبدلوا تكوينهم العقلي ، ومزاجهم الروحي ، ان كان في طوقهم ذلك ليصلحوا لما صلحت له الاقوام الغربية العاملة ، مع رعايتها للآداب ، حملة مشعل العلم صعدا في تاريخ الانسانية الحديثة . ولا بد في ذلك من تغيير المفاهيم العقلية على نحو يتلاءم مع زماننا وما تقتضيه العصور القادمة . وأول ما ينبغي تبديله من مفاهيمنا العقلية أن لا ننساق مع طبائعنا ، التي الفت الخيال وتجافت عن الواقع . وان نفهم معنى القوة فهما مكشوفا .

وهو يتلخص في أن الارض يرثها الاقوى . والى هذا أشار القرآن الكريم في معنى الآية بأن الارض يرثها العباد الصالحون للحياة . وفي القرآن زواجر واوامر لو اتبعها العرب اتباعا حرفيا لكانوا اليوم سادة البر والبحر وبأيديهم مقاليد الهواء . ففي قول القرآن « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » أمر بالتسلح الحربي الدائم والسعي لتكون امتنا في أول الامم قوة وعدة وسلاحا .

وما كان يجوز للعالم العربي ، وهو اليوم في بحران من المخاطرات والصدمات ان يغفل عن قيمة العلم الذي به وحده تكسب المعارك ، فلقد مضى الزمن الذي كان الادب فيه وسيلة الدفاع عن حوزة الوطن ، ولقد كان ادبنا يقف مشاهدا أمام الحادثات ، فما عرف تاريخنا عهدا كان فيه ادبنا مجددا من أجل نهضة أو بعث ، بل كان على الدوام مثل مهر جميل مربوط ليجري وراء فرس السياسة .

وليست هذه دعوة مني الى هجران الادب واهماله ، والعكوف على العلم فحسب . فالادب حلاوة الاذواق الرفيعة وبلسم القلوب الكليمة . لكني ادعو الى الانبعاث العلمي الذي نحن بأمس الحاجة اليه ، ليستطيع العرب ان يجدوا لهم مكانا في صف الامم الكبرى التي تملك العالم . ولئن جاز لامريء القيس أن يقول في غابر الدهر ، وقد هم أن يغير مجرى حياته : « لا صحو اليوم ، ولا سكر غدا ، اليوم خمر وغدا أمر » فيجوز لي أن أقول : « لا علم اليوم ولا أدب غدا ، اليوم أدب وغدا علم » .

دمشق : الدكتور زكي المحاسني

هذه الحياة الفانية وارتحل الى عالم البقاء ، بما كـن يودعن بـه في عالم الفنـاء ، « لا تبعـد » واصبحت الكلمة تقال في الموت ، وتقال من المراة للرجل خاصة ، وما سمعت لهذا ولا قرات « لاتبعـدي » خطابا مـن رجل او امراة لامـراة .

كما اني لا اتصور من رجل يقول لآخر في وداعه ما معنى هذا ، واتصوره كل التصور ، وسمعته مرارا من غير الرجل للرجل ، وكنته وانا الرحلة النقلة .

وما بال السيد الحلـوي يغض الطرف عما ورد في اختيارات ابي تمام لابيات حماسته ، ومنها البيت الـذي سكت عنـه عمـدا :

ما كان ينفعنـي « مقـال نسائهـم »
وقتلـت دون رجـالها لا تبعـد

أما أولئك الرجال الذين اتى بهم الكاتب الفاضل، فاننا حتى لو سلمنا لهم ذلك التعبير ، وهم متأخرون عن عصر المهلهل بمآت من السنيـن ، فان كـل ما في الامر ان التعبير وقد استعمل في وداع الميت تنوسي معناه الوضعي ثم التنزيلي المجـازي وفقدت العبـارة حرارة معناها او كـادت فلاكها ابو حنش الهلالـي والرياحي وابو نواس وابو العتاهية والبحتري ، وادى الينا عنهم ذلك كاتبنا الفاضل والزمنا اياه ، وسكت عما عداه ، ولو استفتى ادراكه وانصف مواهبه لسكت عن هذا ايضا ، وكان سكوته انفع واجدى من سكوته عن ابي نواس وقد نسبنا اليه بيتا وهو منـه براء ، واذا كان الرجوع الى الصواب فضيلة فاننا نرى من هـذه الفضيلة أن ننبه القراء الى أن البيت الـذي سبق أن نسبناه لابي نواس وهو :

ليس مـن مات فاستـراح بميـت
انمـا الميـت ميـت الاحيـاء

ليس هو من أبي نواس في شيء ، ونسبتنا لـه كانت خطأ محضا ، بل البيت نسب لعدي الغساني

وتسائلني ياسيدي ، اذا كانت العبارة نسوية في اصلها ، فكيف استعملها غير النساء فيما بعد ؟

والجواب على هذا في منتهـى البساطـة ، فان الامم في فطرتها تختلف تعابيرهـا بيـن الجنسين ؛ رجالا ونساء ، وعلى حسب صعودهـا في مـدارج الحياة المتحضرة في مجتمعها ، تصير هذه الفـروق تختفي شيئا فشيئا ، حتى تلك التعبيرات التي كانت فيها ملحوظات خاصة بجنس دون جنس .

ونجد لذلك التعبير الفصيح تعبيرا شبيها لـه في عاميتنا الفاسية بالخصوص ، جرى على هذا العامي ما جرى على ذلك الفصيح ، وهو « يشويني فيـك » كناية عن الدعاء بالموت ، فمن الذي كان يوصف بكونه مشويا في هذا على فقيده ؟ لاشك انه المراة ، اذ المراة هي التي نصفها بل يصفها جنسهـا ، بأنها مشويـة حينما يلذعها الحزن بآلامه ، اما الرجل فلا يصف ولا يوصف بذلك ، ولكن لما نظر الى المعنى المكنى عنه بهذا التعبير ، صار الرجل يدعو أيضا بما تدعو به المـراة الفاسية « يشويني فيك » وربما وصل هذا التقليـد بصاحبه حتى صار ينطق الشين سينا كمـا تفعلـه السيدة الفاسية .

وهكذا يفعل التقليد حينمـا تضؤل الفـروق ، فالهمزة تنطق همزة والجيم زايا والتاء تهمس ، عنـد رجال كما فعلت نساؤهم وبالعكس ، وقـد اصبحت المراة تزاحم الرجل في عمله وتناكبه في كفاحه ، فانها صارت تنطق القاف القحة والراء المرعدة ، وعما قريب ينزع هذا الجنس عنه لباس « لطفه » وينازع الجنس الآخر جبة « خشونته » ، بعد ما صار فعلا ينازعه في « البنطلون » و « الجكيط » وغيرهما ...

نعم هكذا تصير الفروق اللغوية الى الامحـاء ، وقد حدث ذلك في كثير من اللغات الحية ، وما اظن الدارسين واجدينهـا في الانجليزية او الالمانيـة أو الفرنسية أو الاسبانية في اغلب اقاليمها

على ان استعمال اولئك الشعراء الذكور لتعبير النساء لا يكون دليلا ، على كونه اصبح للرجال ايضا ، ومن قديم اخذ على ابي تمام أهل البلاغة قوله :

قـد قلـت لمـا لـج فـي صـده
اعطـف على عبـدك يا قـابـري

فقال الامير ابن سنان تعليقا على البيت : « غايـة في السخافة ، لان (قابري) من الفاظ عـوام النساء واشباههـن » .

وهنا اتخيل السيد الحلوي يتصدى فيقول : اذا حصل هذا لابي تمام واخذه عليه الناس من رجـال البلاغة ، فلم لا نجيزه للمهلهل نفسه ، ونقـول انـه استعمل تعبيرا نسويا ، ولا يكون استعماله هذا مـن دواعي الشك في شعره أو ادعاء الانتحال فيه ؟

ونجيب بما اشرنا اليه ، وهو ان عصر المهلهل ، ان كان هناك مهلهل ، لا يسمح بهذا ، ولكن عصر ابـي

فهل وضع حقيقة امامه قصيدة المهلهل ، وقابلها حقيقة مع قصيدة الخنساء ، وهي موضوعة امامه كذلك ؟

اما انا فقد فعلت ، واعود الآن فأفعل ، ثم استسمح القاريء اذا ما رجوته مرة اخرى أن ينظر فيما بين هذه الابيات ، يقول المهلهل ، فيما زعموا :

اهاج قذاء عيني الادكار
هدوءا فالدموع لها انهمار
وابكي والنجوم مطلعات
كأن لم تحوها عني البحار
وبت اراقب الجوزاء حتى
تقارب من اوائلها انحدار
أصرف مقلتي في اثر قوم
تباينت البلاد بهم ففاروا
دعوتك يا كليب فلم تجبني
وكيف يجيبني البلد القفار
لدى اوطان أروع لم يشنه
ولم يحدث له في الناس عار
ابت عيناي بعدك أن تكفا
كأن غضا القتاد لها شفار
فلا تبعد فكل سوف يلقى
شعوبا يستدير بها المدار

وتقول الخنساء ، وليس في قولها مراء :

قذى بعينيك أم بالعين عوار
ام ذرفت أن خلت من اهلها الدار
كأن عيني لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار
فبت ساهرة للنجم ارقبه
حتى اتى دون غور النجم استار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت
ودونه من جديد الترب أستار
يا صخر وراد ماء قد تناذره
اهل الموارد ما في ورده عار
تبكي خناس فما تنفك ما عمرت
لها عليه رنين وهي مقتار
لابد من ميتة في صرفها غير
والدهر في صرفه حول واطوار

وبعد هذا نسائل القاريء : الا ينظر هذا الشعر بعضه الى بعض ؟ أم الامر فيما بينهما من عفو الصدف؟
أما انا فأجيب ببلى ، فى الاول ، وبكلا ، فى الثاني.
ولا يصل بي حسن الظن الى أن أقول بوقع الحافر على الحافر ، كما يقول القوم ، ولا أن ذلك وقع قضاء وقدرا ، كما يقول الاتراك ...

وانما أقول بما قلت به ، وبأن النظر كان من هذا « المتهلهل » الى الخنساء ، ولا يمكن ان يكون العكس، اذ الخنساء معروفة في التاريخ بهلعها الصادق ، وبشعرها الذي كان يقبل عليه حتى النبي عليه السلام ، ويستزيدها منه بهيه يا خناس ...

ولم تكن خناس هذه وهي الصادقة في حزنها ، لتبكي بدموع غيرها وتتظاهر بجزعه فى تعبيراتها . ولو فعلت وكان حقيقة قد قيل ما قالت ، لما سكت عنها النقاد ، وفيهم عمر وحسان ، وعشرات من عمر وحسان وغيرهما من المشركين قبل المسلمين .

على ان ظاهرة السرقات لم تظهر تماما الا في اواسط العصر الاموي ، وازدادت قوة ظهور في العصر العباسي ، لان السرقة التي تدعو اليها الحذلقة انما تتجاوب أصداؤها فى الحضارة التي يقلد فيها الناس وتجتر فيها الفنون ، اما في البداوة فلا . وما قصد القوم الى ذلك في قولهم : « ان هذا الا أساطير الاولين » ، ولا كانوا بتلك البداوة التي كانت عليها الخنساء واضرابها .

وبقي الرجوع الى الابيات المهلهلة والامعان فيها بما سبق ان امعنا به ، وبأكثر مما أمعنا به .

وما زلنا عند القول بأن « لا تبعد » من تعبير النساء فى أصلها ، وانها تنافي صدورها عن رجل ، خصوصا في وقت عاشه المهلهل ، كما يقول أصحابه ، وقت ما كانت الكلمة حية في دلالتها ، فطرية في افتها ، أو قريبة من ذلك

كانت الزوج تقول لبعلها « لا تبعد » عندما يهم بمغادرتها في سفرة ينوي العودة منها ، ومن شأنه فى الاسفار التي ينوي العودة منها ، أن يترك قعيدته في بيتها ، فتودعه « لا تبعد »

ولا شك أن السيد الحلوي متزوج ، ولا شك انه قد سمع شيئا كهذا من حليلته وهو يودعها فى سفراته

نعم : هكذا كان التعبير في أول الامر ، ولما ارتقت الاذواق وعز على الازواج الفراق ، جنحن الى اعتبار هذا الفراق الابدي فراقا معتادا لهن فى تطواف بعولتهن بهذا العالم وعودتهم اليهن ، فودعن من فارق

لعصور الحديثة ، وكذلك المكتب والمكتبة لم يعرفا الا بعد كتب والكتاب بزمن طويل ، واما المطار والمحطة والمخبز والمطعم وما شابه هذه فلم يعرف الا بعد آلاف السنين من الطيران والحط والخبز والطعام (*)

ولهذا فوجود دارة الدائرة أو الدوائر ليس حجة على وجود « يستدير بها المدار » فالكلمات حبالى لا تلد الا عندما تزف ساعة الطلق مثل غيرها من الاحياء ، وهذه لا تكون الا عند ما يحس الناس بزحمة الحاجة ، وما اكثر ما عندنا من كلمات حبالى منذ آلاف السنين ، وهي تنتظر اليوم الذي (يسهل) الله عليها فيه ، فتضع مولودها أو مواليدها . . .

ونستغرب استغرابا يشدهنا حينما يتحفز السيد ليرد على تعليقنا حول هذا البيت :

نكب القوم للاذقان صرعى
وناخذ بالترائب والصدور

قلنا فيه : قال تعالى « يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للاذقان يبكون » لاحظوا في هذا الاستعمال ان اللابمعنى على ، وحاولوا أن يثبتوا ذلك ببيت ادعوه — منتحلين — لامريء القيس من قصيدته « قفا نبك » ، فقالوا :

فأضحى يسح الماء حول كتيفة
يكب على الاذقان دوح الكنبل

واترك للقاريء أن يتصور للادواح أذقانا

وقال تعالى : « يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام » وقال : « من بين الصلب والترائب » فبعيد جدا ان يكون هذا غير متعمل في البيت الواحد ، الذي جمع استعماليين قرآنيين وكلمة لغوية كذلك

هذا ما قلناه ، أما السيد الحلوي ، فقد استل سيفه الخشبي ، وجعل يلوح به وكانه «دون كشوط» يقاتل الاشباح ونسب الينا قولنا لم يكتف هؤلاء المنتحلون بما اخذوه من الشعراء ، فعمدوا الى القرآن واخذوا منه المعاني ثم صاغوها ونسبوه اليه » الخ الخ ويدبج هذا بالشواهد الدائرة وغير الدائرة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ويكون مسك الختام تعليقا على قولنا : « ان الانتحال هنا (في شعر المهلهل) لم يكن له من داع الا الناحية الفنية في القصة ، لسد ما كان فيها من فجوات، كان لا بد للشعر ان يتحمل عهدتها ففعل (و) لا يفهم من القصة ما هي عليه الآن ، بل كانت عنصرا هاما في كتابة التاريخ ، ولهذا نجد اغلب شعر المهلهل في كتاب الكامل لابن الاثير ؟؟؟) فنتناول شعر المهلهل الذي تشبه قصته الى حد ما قصة سهراب ورستم ، الواردة في الشهنامة »

أن يقول السيد الحلوي : فأين هي هذه الثغرات التي اضطلع الشعر بسدها في قصة الرجل التي امتدت مع حرب دامت مناوشاتها أربعين سنة ، وانى لبيت (كذا) منتحل من الشعر أن يسد فجوة أو يملأ فراغا لا تملأه الا القصائد الطوال ؟ ؟ ؟

واترك القول للقاريء ، ولا ازيد على ما سبق ان كتبت ، وارجو الكاتب الفاضل أن يعود الى ما كتبت فربما يغير أو يتزحزح عن موقفه كما ارجوه — مخلصا — الا يترك خياله يجمح به كثيرا ، فينتهي به الى معرض التشبيهات التي يكون منها صندوق عطار ، فان خيالنا المعيد لا يسعفنا الا بحانوت عطار لابن شهيد الاندلسي ، وصندوق الدنيا لابراهيم المازني .

وليقبل منا ان نذكره بأن من دواعي الانتحال العصبية ، ولا محل لاستغرابه أو استبعاده بعد ، ونحن لو كنا نعيش في قبائل الكلام ، لوجدنا اشعارا لزعيم الحلويين واخرى لزعيم بني تاويت أو تويت

لكن قبائل الكلام قد انتهت وصم صداها ، وعلينا أن نعمل لنصل الى لذة الحق والحقيقة ، متجردين من أهوائنا ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، ومستعملين في طرق بحثنا الوسائل التي تلائم طبيعة البحث وتناسبه ، فلا نبحث في الادب بوسائل غير الادب نفسه ، ولا ننس منطقا حتى نامن على انفسنا من الوقوع في مهاوي الخطأ أو الخطل ، ان كنا غير راغبين في ذلك الخطأ ولا هذا الخطل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد بن تاويت

(*) ومن قبل بثلاثين سنة فقط لم يكن لكلمة « مقهى » عندنا وجود ، وما عرفت في فاس الا بعد ما كانت المنشورات تنشر بافتتاح مقهى باب الجيسة، وما زالت هذه الكلمة غريبة علينا ، واغلبنا يؤنثها ، لان القهوة التي سبقت هذه بمآت السنين مؤنثة ، وانها ظلت كذلك وقد وصلنا كما وصل الى العالم النظام التركي للمقاهي ، فسمي المكان قهوة أو كهوة كما ينطقها الشعوب السلافية ، قريبا من النطق التركي (والواو مشربة بالفاء ، التي حلت محلها تماما فيمن نطقها كفي)

تمام والبيئة التي كان بها ابو تمام ، كلاهما لم يكـن يقي الانسان من الانزلاف في مثل هذه المزالق

ونحن لا نفترض الفروض المجردة ، وانما نذوق قبل ان نقول ، وما زالت كلمة شيخنا سيدي العباس بناني ترن في اعماقنا ، اذ كان بعد ما يشرح مسألـة عويصة ، يسأل تلميذه : ذقتني ؟ فما اجملها من كلمة تركت فينا دويا دونه دوي ابي الطيب في الدنيا .

ولعل السيد الحلوي رأى في منامـه ردي على رده الاول ـ قبل أن ينشر وبعد تسليمه لكتابة المجلة ـ وما ان استيقظ من منامته تلك حتى تنـاول القلـم ، وكتب عبارة ابي هلال العسكري ، وساقها « باللفـظ الكامل » كما يقول ، وهي : « وقد اطبق المتقدمـون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ، الا اذا أخـذه بلفظه كله او أخـذه فأفسده » .

ونحن لا نرى لزوما لسوق هذا النص ، فنحـن « نسلم ان مطلق التشابه في المعاني والتوارد عليهـا وعلى الصيغ في بعض الاحيان لا يعد اخذا بين الشعراء المتعاصرين بله المتباعدين » ولم نقل بغير هـذا ، ولا تعرضنا لهذه القضية في تلك الجزئية ، وقصـارى ما فعلنا اننا قابلنا بين النصين ، ولمحنا لاوجه التشابه بينهما ، واحتكمنا في ذلك الى اذواقنا فحكمت بمـا به رضينا . وبقـي ان نستفتـي أذواق غيـرنا وان نستنصفها في كلمة اصحابها .

اما نص ابي هلال الذي اجهد الكاتب نفسه في الاتيان به ، فله موقع خاص ، ليس وصفيا لما يحدث ، بل حكميا على ما يحدث فعلا او يمكـن ان يحدث ، وبعبارة فانه يصدر الاحكام على حسن الاخذ وقبحه ، فيقول ان المعاني ، كما قال الجاحظ حق مشاع بيـن الناس ، وأن الذي يعاب بالاخـذ من غيره هو مـن (اخذ التعبير بلفظه كله أو اخذه فأفسده) . ونحـن كما رأينا في واد غير هذا الوادي . .

واظن ان السيد الحلوي (لم يسق) هذا النص من كتاب ابي هلال مباشرة ، والا لوجـده في الباب السادس ـ الذي عقده (في حسن الاخذ وحل المنظوم) وجعله فصلين « الفصل الاول من الباب السادس في حسن الاخذ » ـ هكذا :

« وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تـداول المعاني بينهم ، **فليس على أحد فيه عيب** ، الا اذا أخذه بلفظه كله او اخذه فأفسده »

واذن فالمسألة مسألة « حسن الاخذ » و «عيبه» وعبارة « ليس على احد فيه عيب » بها يستقيم النص ويسلم من التشويه الذي طلعت علينا به خلقته فـي التعقيب . ولا نتهم الاخ الحلوي بأنه تعمد ابعاد هـذه العبارة قصد تحريف الكلم وانما نقول انه لم يرجـع الى « الصناعتين » مباشرة ، او انه رجع الى نسخـة عنده مشوهة محرفـة مصحفة ، اعاذنا الله من خبثها .

ولسنا في حاجة الى الادب المقارن حتى نـدرك « وحدة الشعور وادراك المعانـي بين مختلف الامـم والاجناس » ولا ان نتساق مع الكاتب حتى نصل الى ما نقل عمن قال لدعبل يوما وقد كان يتهم ابا تمـام بالاخذ منه : « ان كان سبقك ابوتمام بهذا المعنى فتبعته فما احسنت ، وان كان اخذه منك فقد اجـاد وصار أولـى بـه منك » .

فما سجله الادب المقارن هنا قد لز في قرن هو وأبناء اللبون من المتعلمين ، وأما ماقاله مخاطب دعبل فقوله في واد! وقولنا كان في واد آخر ، وكان منتظرا من الكاتب الا يزج به في هذا المضيق ، والنص هذا أيضا وما تلاه هو وما اتصـل به اتى به ابو هـلال في نفس الفصل الذي خصصه لحسن الاخذ ، اي انه في الفصل الاول من الباب السادس المذكور

وليعفنا الكاتب مما بسطه بعـد هـذا ، فالله يعلم أننا في غنم من ذلك ، وأن كلامنا لم يكن كذلك . .

ونقول ان « مطلق التشابه في اللفظ او المعنى بين شاعرين لا يجيز لاحد الحكم بأن احدهما ماخوذ من الآخر » وما قلنا غير هذا حتى نلزم القول بهـذا ونرجع عن ذاك ، وخير الكلام ما قل ودل ، والطبـع موكل بمعادة المعادات .

وقلنا ان الابيات المعينة التي ادعيت للمهلـهل ، انما هي ماخوذة من قول الاعشى او الخنساء أو فلان أو علان ولم نعكس فنقول ان هؤلاء اخذوا من المهلهل، وقد تقدمهم بقرن ونيف كما يقول أخونا ، للاسبـاب التي ذكرتها ولا داعي لاعادتها بالذكر

ولسنا على جهل من أن المدار ما يجري أو يدور عليه الامر ، ولكننا نقول ان التعبير « يستدير بهـا المدار » تعبير علمي في أصله ، وليس أشبه بقولهـم «دارت عليهم الدوائر» ، فدارت الدوائر غير « يستدبر بهـم المدار » ، وقد عـرف « العاملون عليها » ثـم « العمال » ولم تعرف آنذاك « العمالـة » ، وعرفت كلمات الحكم والحكم والحاكمين ، والحكام والحكيم والمحكمة (اسم مفعول) اما المحكمة فلم تعرف الا في

العربية « الشرقية » مثل كتاب (كليلة ودمنة) و (ومقامات الحريري) و (قصص شهرزاد) و (الف ليلة وليلة) و (السندباد) و (قصة حي بن يقظان) .

ولقد بدأ اثر (كليلة ودمنة) في قصاصين اسبان ، مثل: ضون خوان منويل وارثرست ده سيتا وغيرهما ، وكان للمقامات الحريرية اثر في تطور الفن القصصي الاسباني ، وقد اتفق جل الدارسين على وجود شبه شديد ، قوي ، بين مقامات الحريري وبين القصة التي تصور حياة الصعاليك Novela picaresca واما كتاب (شهرزاد) فقد اغترف منه كبار الادباء الاسبان مضامين اقاصيصهم ، مثل مكيل دي سرفانتس الذي التقط منه موضوع قصته (الغيور العجوز) ، ومن كتاب : (الف ليلة وليلة) اخذ بعض المسرحيين الاسبان موضوعات مسرحياتهم ، مثل المسرحي الفذلويي دي فيكا الذي نسج من قصة (الجارية تود) مسرحية من مسرحياته الرائعة ، ومثل المسرحي العظيم كالدرون دي لابار كا الذي اخذ من احدى قصص (الف ليلة وليلة) مسرحيته الخالدة : (الحياة حلم La vida es sueno واما كتاب (السندباد) الذي يعرف في اللغة الاسبانية بعنوان: (خدع النساء وكيدهن) ، فقد نسج على منواله كثير من الكتاب الاسبان ، من بينهم : خوان دي التاسلفا ، وكذلك كان (لقصة حي بن يقظان) اثر جلي في بعض المؤلفين الذي كتبوا على نمطه ، ويتحدث عنه الاستاذ مننديث ايلايو بانه يغوص من ناحية بالشخصية الاسبانية الى بحار الاكسير الالهي ، ثم هو يعد من ناحية اخرى اجراء بحث في التربية الذاتية التي لا يتدخل فيها المبدأ الاجتماعي .

وقد تعقب بعض الباحثين الاثر العربي في القصة الاسبانية والاوربية عموما ، وانتهوا الى التأكيد بان (الآداب الاوربية تنبض بموضوعات قصصية وفدت اليها من الشرق ، لا تخطئها العين البصيرة ، ولكنها لا تستطيع (احيانا) ان تحدد الطريق الذي سلكته) (✱)

والواقع ان ابحاث دوزي وليفي بروفنصال وبعض المستشرقين الاسبان مثل : خليان ربيرا تراجو ، ومكيل آسين بلاثيوس ، واميليو كارسيا كومس (✱) ، اماطت اللثام عن الحضارة العربية في اسبانيا المسلمة ، وابرزت معالم الثقافة والادب العربيين وتأثيرهما في الثقافة والادب الاسبانيين خاصة ، والاوربيين عامة .

وهكذا نرى اننا لم نكن قط امة تتأثر ، وانما كنا ايضا نوءثر ونترك آثار بصماتنا وطابعنا في التراث الثقافي والمعرفي والاجتماعي لمختلف الامم مشرقا ومغربا ، ولكن بصماتنا وطابعنا انما تجلت بشكل واضح في تراث اسبانيا باعتبارها كانت تمثل حلقة الاتصال بين دنيا العروبة والاسلام ودنيا المسيحية باوربا .

وبرغم ذلك فان كل مشتغل ، اليوم بالادب والشعر والثقافة بصفة عامة في طول البلاد العربية وعرضها يلحظ ان جناح الفكر والادب المترجمين في مكتبتنا العربية الحديثة يخلو او يكاد من عناصر اسبانية اللحم والسدى ، على الرغم مما في هذه العناصر من حياة دافقة ، واشراق متألق ، وعمق شديد بشهادة عمالقة النقد في اللغة الفرنسية والانجليزية والايطالية وغيرها .

وقد لفتت هذه الظاهرة نظر بعض الكتاب (✱) فكتبوا يقولون بأنه (يمكن الجزم بان الادب الاسباني اقل الآداب الاوربية انتشارا في الاقطار العربية وان تاريخ الادب الاسباني يكاد يكون مجهولا كل الجهل حتى بين الطبقات العربية المثقفة)

وليس معنى هذا الكلام اننا ننكر وجود اي نفس ، اي عبير ، اي اريج ، من ربوع اسبانيا ، يرتعش في خمائلنا وينبض ، فهنالك محاولات للترجمة من ذلك الادب ، وهي محاولات لم تضم بين دفتي كتاب ، بل هي ما تزال منثورة في كتابنا ، في طليعتهم الاستاذ عبد اللطيف الخطيب ، ولكنها محاولات لم تضم بين دفتي كتاب ، بل هي ما تزال منشورة في صحف ومجلات ، بعضها انقطع عن الصدور ، وبعضها الآخر ما زال يواصله (✱)

لقد ترجمت روائع الادب الاسباني : قديمه وحديثه ، الى لغات متعددة ، وسبقت الاشارة الى ان كبار النقاد في اللغات الحية يعترفون بأن هذا الادب يضم بين دفتيه اعمالا فذة ، خالدة ، تتدفق بالحياة ، وتشرق صفحاتها بسحر الفن الرفيع ، ونضيف هنا ، الى ذلك شهادة اولئك النقاد انفسهم بان هذا الادب كان ، في عصره الذهبي ، وهو اليوم ، من الخصب والقوة والروعة والعمق بحيث استطاع ان يترك تاثيره ، واضحا ، عميقا ، في الآداب العالمية ، ونضيف الى ذلك كله ان اللغة التي يكتب بها لغة تتمتع بانتشار عظيم وذيوع جليل ، بحيث اضحت تزاحم الانجليزية والفرنسية . (✱)

✱) الدكتور لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ص 137 ، الناشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1958 .

✱) نعد بحثا حول : الاستشراق والمستشرقون في اسبانيا) .

✱) هما الاستاذان نجيب ابو ملهم وموسى عبود في مقدمة كتابهما عن : (سرفانتس ، امير الادب الاسباني) .

✱) من تلك المجلات : « الانوار » و « المعتمد » و « دعوة الحق » .

✱) الاسبانية هي اللغة الرسمية لعشرين دولة في امريكا الجنوبية ، وهي اللغة الرسمية في دولة الفلبين ، وهي بالاضافة الى ذلك ، اللغة الثانية بعد الانجليزية في الولايات المتحدة .

أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

بين يدي الموضوع :

ان بيتا موصد الابواب ، مغلق النوافذ ، لا شك ان الحياة فيه ليست تحلو .. بل لا تطاق ، على حين ان بيتا يعمد اصله الى فتح ابوابه ونوافذه حتى يتسلل الى زواياه فيض من نور ، ويتسرب اليها دفق من دفء ، لا شك ان الحياة فيه تحلو وتروق ، وبالتالي : تطرو وتشرق وتتألق ..

ونحن ، كما يحكي تاريخنا ، كنا امة متحررة ، فتحت نوافذ بيتها وابوابه على كل الجهات الاصلية منها والفرعية كما يقول الجغرافيون ، فاتيح لها ما لم يتح لغيرها من الامم .. اتيح لها ان تستنشق كل هواء ، وتستمتع بكل نسيم ، وتستحم في انطلاقات كل ضياء وتمرح ...

لقد نقل الاجداد ، ما اكرمهم ، لكلمتنا العربية علم وفكر وادب امم كانت قد قطعت اشواطا بعيدة في حلبة الثقافة والمعرفة ، وكانت لها جولات وصولات في مضمار التقدم والحضارة .. اتجه اولئك الاجداد الى التراث الفارسي واليوناني والسورياني يأخذون منه جميعه ما يتلاءم وذوقنا في الحياة ، وما يتفق ومنطقنا في مجال البحث والدراسة ، فاستطاعوا بذلك ان يشيدوا مجدا عقليا رائعا ، ويقيموا نهضة فكرية فذة ، يبلى الزمان ولا تبلى معالمها .

وكذلك فعل آباؤنا الاقربون ، لقد نقلوا ، ما اروعهم ، الى بيادرنا بذور فكر وقلب من مشارق الدنيا ومغاربها ، في فجر نهضتنا الحديثة ، وكان ان اقبلنا ، نحن الابناء والاحفاد ، لنفتح عيوننا على فلسفات مختلفة ، ونزعات متباينة ، ومذاهب متضاربة ، غربية وشرقية .. ثم جعلنا نزين زهرياتنا بباقات طاغار ودانتي وشكسبير وغوته ودي موسي وفاليري وبول جيرالدي وفيكتور هوجو والبير كامي وجان بول سارتر ، وغيرهم لا يحصيهم عد !

ولكن ، ليس يعني ذلك اننا كنا نتأثر ولا نؤثر ، ننقل ولا ينقل عنا ، فان الآداب الاوربية في العصور الوسطى انما لقحت بآدابنا العربية ، فالغنى الذي اصاب الشعر الايطالي انما كان لتأثر شاعر ايطاليا العظيم دانتي اليجييري (1265 _ 1321 » بما كتبه شاعرنا الخالد ابو العلاء المعري ، والثراء الذي ظفر به الشعر الاسباني انما كان نتيجة حتمية لتأثر الشعراء الاسبان بالشعر العربي الاندلسي ، بل اننا لنجد من يذهب الى التأكيد بان « الشعر الاسباني واد محاكاة للشعر العربي ، اذا كان مقتضى الاتصال المستمر بين المسلمين والمسيحيين الادنى للاعلى) وبأن الشعراء الاسبان اخذوا من الشعر العربي القافية والصورة ، ويمكن التماس ذلك بالدرجة الاولى في الشعر البروفنسي الذي اثر بدوره في الغنائية الايطالية . (✶)

واذا كان بعض الدارسين الاسبان يتجاهلون التأثير العربي في الادب الاسباني ، ويغضون الطرف عن العناصر العربية التي كانت بين اسباب نهضته وازدهاره في عصره الذهبي، فان طائفة اخرى منهم تعترف به وتتحدث عنه ، ومن بين هؤلاء الاستاذان الكبيران : رامون منينديث بيدال Ménendez Pidal Ramon ومنينديث ابلايو Ménendez y Pelayo فالاول في كتابه : Poesia arabe y poesia europea (الشعر العربي والشعر الاوربي) يؤكد وجود اصداء للشعر العربي في الشعر البروفنسي ، وينقض كلام خصوم نظرية التاثير العربي بايراده شواهد لا تدع مجالا للشك في ان الشعر الاسباني قد وجد في الشعر العربي منبعا ثرا اغترف منه واستقى، واما الثاني فهو يتحدث في كتابه Origines de la novela (اصول القصة) عن التأثير العربي في القصة والمسرحية الاسبانيين وكيف لقحتا بما ترجم الى الاسانية من كتب القصة

(✶) انظر كتاب : (اللغة العربية في العالم) للدكتور زكي علي ، وكتاب : (دور المسلمين في بناء المدنية الغربية) للاستاذ حيدر بامات ، وكتاب : (الاسلام في اسبانيا) للدكتور لطفي عبد البديع .

اغلبها ، ومن اشهر ما بقي منها : (مخادع اشبيلية) El burlador de Sevilla ولم يكن طيرسو مسرحيا فقط بل كان الى جانب ذلك ناثرا ممتازا ، خلف آثارا رائعة في الوصف والتاريخ .

هـ) كالدرون دي لا باركا Calderon de la Barca (1600 _ 1681) ، ويصفه النقاد بانه احسن ممثل لمسرح (Barroco) في اسبانيا ، وقد كتب زهاء مائتي مسرحية ، اشهرها : (عربة السماء) El carro del cielo (واكبر وحش) El mayor monstruo و (قائد ثلميا) El alcalde de Zalamea (الحياة حلم) La vida es sueno وقد تحدث عنه الناقد رامون دي ميكيل ، فقال (ان الشاعر المسرحي الذي احسن الفكرة القومية ادق احساس ، والذي كانت ملهمته التاريخية والادبية ان كشف في كتبه عن روح الشعب الاسباني في عصر ازدهار آدابه) .

و) خوان رويث دي الاركون Juan Ruiz de Alarcon (1581 _ 1639) ، ويقول عنه النقاد بانه يعد اول مبتدع للرواية الخلقية التي ازدهرت ، بعده ، عند المسرحيين الفرنسيين ، وتحدث عنه رامون دي مكيل فقال بانه يعني في مسرحياته بالجانب المعنوي من الحياة ، وبقراءة اثريه : (الصدق المشكوك) و (الجدران تسمع) يتأكد لدينا ذلك ، فالاولى ضد الكذب ، والثانية ضد الغيبة والنميمة .

نعم ، الى جنب هذه الاسماء والاعمال التي تمثل عبقرية اسبانيا في الادب والمسرح ، وتبرزها ممتازة ، فذة ، عظيمة . هنالك اسماء اخرى ظفرت ، هي الاخرى ، بشهرة واسعة النطاق مثل : خوان ديل انثينا الذي يعد المرصص الاول للمسرح الاسباني ، وفرناندو دي روخاس الذي قال النقاد عن مسرحيته: الراهبة La celestina (انها تعتبر عتبة للقرن الذهبي في الادب الاسباني) ووصفوه بانه المكتشف للمنبع الذي تدفق منه المسرح الاسباني واعمال سرفانتس (✱) ، وممن اشتهروا ايضا: المركيز سانطيانا وخوان بوسكان وفاسكو دياث وخورجي مانريكي ولويس دي كونكورة وبريث دي اليفا وفرانسيسكو دي فيالو بوس وردريكس بادرون وبريث دي كوثمان (✱)

ولقد المحنا فيما تقدم ، الى ان الادب الاسباني كان ، خلال عصره الذهبي ، من القوة والعمق بحيث استطاع ان يترك طابعه في الآداب العالمية ، فاين يمكن التماس ذلك الطابع ؟

يذكر الباحثون (✱) ان اغلب كتاب المسرح الفرنسي ، تنحلوا _ بشكل وقح _ المؤلفين المسرحيين الاسبان ، ومما يؤكد ذلك ما يقوله نقاد الادب الفرنسي وكتابه انفسهم ، فهذا واحد منهم يقول : (ان مسرحنا الزاخر بالاساطير القاحلة وجد في بعض الاحيان في كالدرون دي لاباركا ، ومي لوبي دي فيكا ، وخاصة في رويث دي الاركون وطيرسو دي مولينا ومن جاء بعدهم كتابا فطاحل عالجوا العادات) ، وهذا الكاتب الفرنسي الشهير فولتير Voltaire يعترف بالتأثير الاسباني في المسرح الفرنسي اذ يقول بان فرنسا تدين لاسبانيا باول تراجيديا وباول كوميديا ايضا انشأهما كتابها .

ولعل اكثر الكتاب المسرحيين الفرنسيين تأثرا بالمسرح الاسباني ، هو موليير Molière (1622 _ 1673) ، فلقد تعقب بعض الدارسين لتطور النشاط المسرحي في الآداب العالمية اعمال موليير المسرحية فلاحظوا انه تنحل مسرحيات لكاتب المسرح الاسباني الخالد لوبي دي فيكا ، منها : مسرحية (المحبة الكتوم) La discreta enamorada ، ومسرحية (كلب البستاني) El perro del hortelano ، ومسرحية (اكبر مستحيل) El mayor imposible ، كما تنحل مسرحية من مسرحيات الكاتب الكبير طيرسو دي مولينا .

ويذهب جان جوفط (✱) الى القول بان موليير كتب مسرحية شديدة التشابه بمسرحية (الاستخفاف) Desolen للكاتب الاسباني اكوسطين مورطو Agustin Moreto (1618 _ 1669) ، وعنون مسرحيته (الاميرة اليدي) La princesa Elide وقد ترجمت مسرحيته (الاستخفاف) الايطالية بعنوان : (الاميرة الفيلسو La princissa filosofa

ولسنا نريد ان يفهم مما تقدم ان موليير كان هو الكاتب المسرحي الوحيد الذي تأثر بالمسرح الاسباني ، فهنالك كتاب آخرون لم يملكوا بعد اطلاعهم على ذلك المسرح ، الا ان يعجبوا بروعته وعمقه ، فحاولوا تقليده والنسج على منواله ، ففولتير الذي يعد اول مؤلف مسرحي فرنسي خرج يتلقى تصفيقات الجماهير ويرد على هتافها كان ، كما يؤكد جان جوفط في كتابه : المسرح وتاريخه El teatro y su historia يقلد فيما كتب وانشأ من ادب مسرحي الكاتب الاسباني رويث دي الاركون ، وكورنييل Corneille في كثير من مسرحياته _ كما يلاحظ كثير من النقاد _ يبدو مقلدا للمسرحي الاسباني كيلين دي كاسطرو Guillen de Castro

(✱ R. José Rogerio Sanchez : Sintesis de la litera tura espanola, p. 142.

(✱ انظر كتاب : Abilio F. Ruiz de Ojeda y Emilio Lopez de Larrinzar : Lengua y literatura (antologia) - Madrid, 1961.

(✱ انظر كتاب : Jean Jouvet : El teatro y su historia, p. 62-63 - Barcelona, 1963.

(✱ المصدر السابق ، ص 63 .

ولعل من شأن ذلك ما يبعثنا على محاولة التعريف ببعض رواد ذلك الادب المحدثين ، ونقل ملامح وصور منه الى كلمتنا العربيـــة ٠

واذن ، فمحاولتنا انما تستقطب في فتح نافذة من نوافذ بيتنا ، نطل منها على حقل من الفن خصيب ، ونشرف منها على جمر من الشعر متوهج ، في ارض اسبانيا ، ارضنا ، نحن فـــي القرون الخوالي ، حيث ينبت الشعر والجمال متمردين ويولـــد الحب والخيال عاصفين ٠٠ حيث الآصال والاسحار تعطي للكلمة الاسبانية حريرا من ضوء ، وعطر ، وأريج !

اننا ، بهذه المحاولة ، سنلتقي بعمالقة الادب الاسبانـــي المعاصر : روبن داريو Ruben Dario (1867 ــ 1916)
ومكيل دي أونامونو Miguel de Unamuno (1864ــ1936)
ومنويـــل ماتـــــادو Manuel Machado (1874 ــ 1947)
وانطونيو ماتادو Antonio Machado (1875 ــ 1939)
وخوان رامون خمنيث Juan Ramon Jimenez (1881ــ1958)
وفدريكو كارسيا لوركا Federico Garcia Lorca
(1899 ــ 1936) ٠

سنسلط اضواء على حياة هؤلاء الكتاب العظام الذين يفخر بهم الادب الاسباني الحديث ، وسنقف عند اعمالهم الادبيـــة وقفات ، نترصد ــ خلالها ــ روعة الفن وعمقـه في طياتهـــا ، ولسنا نزعم بان تلك الاضواء وهاتيه الوقفات ، ستكشف لنا عن كل زواياهم ، ولكننا نؤكد بانها ، في مكنتها ، ان تهدي ٠ من تتشوق نفسه لدراستهم دراسة مستفيضة ، الى النجوم التي من ارتعاش ياسامينها ، استمدوا ضياءهم ، والى الزهور التي من رهو نفورها رشفوا عطرهم ، وهي بالتالي ــ لا شك يخالجني ــ ستتيح لنا فرصة للجولة في آفاق بهية ، مشرقة وجديدة ، كانت، ولا تزال ، مجهولة لدينا ، بل ولدى القارئ العربي على العموم٠

لكننا ، قبل اللقاء باولئك الكتاب والشعـــراء ، نـــود ان نمهد لذلك بحديث ، نلقي من ثناياه ، نظرة خاطفة على ماضي الادب الاسباني ابان عصره الزاهر ، ثم نلم المامـــة بالوحـــدة التي تحدر اليها بعد ذلـــك ، ومن ثم ننتقـــل الى فترة البعـــث والاحياء بالنسبة لهـــذا الادب ، محاولين التعـــرف على ابـــرز شخصيات تلك الفترة ، وبعدها نقف وقفة غير قصيرة عند حركة ثورية ، كان لها شأن خطير في تاريخ الادب الاسباني الحديث هي الحركة التجديدية في الشعر الاسباني المعاصر ، تلك التي ظهرت على يد شعراء اندلسيين ، وبلغت اوجها على يد الشاعر النيكاركوي العظيم روبن داريو ، ثم نقف ــ اخيرا ــ وقفـــة غير قصيرة ايضا عند جيلين ادبيين عظيمين في تاريـــخ الادب الاسباني المعاصر ، هما : جيل 98 ، وجيل 1918 ، واليهما ينتمي اصحابنا الذين نسعى الى التعرف عليهم ٠

الادب الاسباني بين التقـــدم والانتكاس

اذ نحاول القاء نظرة خاطفة ، لعجلى ، على ماضي الادب الاسباني ، لابد من ان نتساءل : ما هي المكانة التي يحتلها هذ الادب بين الآداب الاخرى ؟ من هم افذاذه وعمالقته ؟ ما هي اعمالهم ؟ اين يتجلى تأثيرهـــم في الآداب العالميـــة ؟ ، ثـــم ــ اخير ــ كيف انحدر هذا الادب من القمة الى السفح ، فغدا فقيرا بعد غنى ، وضعيفا بعد قوة ؟

ان ماضي الادب الاسباني ، خلال القرنيـــن : الســـادس عشر والسابع عشر ، ليحتضن بين صفحاته اسماء واعمالا ، اشرقت وتألقت ، وذاع صيتها ذيوعا قليل النظر ، وطارت شهرتهـــا مطارا نادر القرين ٠ فالى جانب هذه الاسماء :

أ) مكيل دي سرفانتس Miguel de Cervantes (1548 ــ 1616) ، الذي اجتاز عتبة الخلود برائعتـــه : (ضـــون كيخوطي دي لامانتـــا Don Quijote de la Mancha التـــي وصفها بعض النقاد بانها مشحونة بقوة الروح العربية ، وتحدث عنها اللورد بيرون فقال : لدى لذة قراءة الكيخوطي في لغتـــه تضمحل باقي اللذات ، ووصف بعضهم صاحبها بانه (انتزع مع هوميروس وشكبير كل ما دفن في صدر الفن الرحـــب من نثر وشعر ومسرح) ٠

ب) لوبي دي فيكا Lope de Vega (1562ــ1635) ، ويتحدث عنه مؤرخو الادب الاسباني بانه يعد اخصب كتابـــه على الاطلاق ، وهو نفسه ، يقول بانه في سنة وفاته كان قـــد كتب نحوا من ثمانمائة والف مسرحية ، ومن اشهرها : (نجمة اشبيليـــة) La estrella de Sevilla وسيـــد المـــدو El caballero de Olmedo والمحبة الكتوم La discreta enamorada وغيرهـــــا ٠

ج) فرنسيسكو دي كيبدو Francisco de Quevedo (1580 ــ 1645) وهو يقف على الذروة بجانـــب سرفانتس في تاريخ الادب الاسبانـــي ، ومن اشهـــر تواليفه كتاب : الاحلام Los Suenos وقد وصفه احد النقاد بانه آية باهرة من آيات ادب اسبانيا الكلاسيكي ٠

د) طيرسو دي مولينـــا Tino de Molina (1584 ــ 1648) ، كتب عددا ضخما من المسرحيـــات ، ضـــاع

ونستطيع ان نذكر من كتاب فترة البعث والاحياء : ضون وان فاليرا Don Juan Valera (1824 — 1905) ، بدرو انطونيو دي الاركون Pedro Antonio de Alarcon 1833 — 1891) ، وخوسي دي بردا José de Pereda 1833 — 1906) ، وبنيطو بريث كالدوس Benito Perez Caldos (مات سنة 1920) ، واميليا ي باردو باثان Emilia de Pardo Bazan (1851 — 1921) ليوبلدو ألاس (كلارين) « Clarin » Leopoldo Alar 185_1901) ، والاب لويس كولوما Padre Luis Caloma (1851 — 1915 ، وختام الواقعية (Realismo) والطبيعية (Naturalismo) أرماندو بالاثيوس فالديس Armando Palacio Valdès (1853 — 1938) وفنتنطي بلاسكو ابانييث Vicente Blasco Ibanez (1867 — 1928) .

ومن فاليرا الى ابانييث توالت ، على الاقل ، ثلاثة اجيال ادبية ، الى آخرها ينتمي ، ولو تاريخيا ، الكاتب العملاق مكيل دي اونامونو الذي ليست له صلة تربطه بجماليات فترة البعث والاحياء ، ويشبهه في ذلك الكاتب الشهير كانيفط (1865 — 1898) (✱) .

ويرى الاستاذ الناقد كونثالو طورنطي بايسطير (ان فاليرا والاركون اقل واقعية من بردا وكالدوس ، وانما كان فاليرا ، بالخصوص ، كذلك ، لا لعدم معرفته او تأخر احتكاكه بالواقعية ، ولكن لان مبادئه الجمالية التي تبدو تماما واضحة ، واصيلة ، لا تسمح له بذلك (✱)) .

اما باثان فهي التي ادخلت النزعة الطبيعية الفرنسية الى الكلمة الاسبانية ، وفتحت النوافذ على العالم القديم ، وبفضلها — يقول احد النقاد — اعتادت اسبانيا التطلع الى الخارج لتتلقى تأثيرات جديدة ، ويصف جان كامب رواياتها بانها (تبدو مسنوية من ناحية الفكرة ، ونسائية جدا من ناحية غنى الانشاء) اما بايسطير فهي عنده حاكية اكثر منها قاصة (✱) .

ويذهب بعض النقاد الى الزعم بان باردو باثان تمتلك مع « كلارين » كثيرا من وجهات نظر مشتركة ، لكن قصصهما ليست تتشابه في شيء ، والواقع ان الامر يبدو اكثر دقة اذا حاولنا ايجاد علاقة بين كلارين وكالدوس ، وبين باردو باثان وبرد الذي يسميه النقاد (الناثر التقليدي) اثناء فترة ترميم هيكل الادب الاسباني .

اما موقف بلاسكو ابانييث المقاوم للطبيعية المنهارة فانه لا يمكن شرحه بعلل تاريخية ، وانما ، فقط يمكن شرحه بخشونتة الجوهرية ، المتأصلة ، وفي رأي الاستاذ بايسطير ان الاب كولوما لم يكن الا قصاص مناسبات ، واما بالثيوس فالدوس فلا يمكن (تسميته ، بدقة واقعيا) كما يقول بايسطير .

وكما كان للنثر الاسباني رواد في فترة البعث والاحياء ، كذلك كان لصنوه الشعر رواد ، ما تزال آثارهم ملء العين ، ملء السمع ، لقاريء الادب الاسباني الحديث ، ومن اشهرهم :

ا) خوسي ثريا José Zorrilla (1817 — 1893) ، كان يمثل آخر قيمته للرومنطيقية التقليدية في الادب الاسباني ، وعند ما توج في غرناطة شاعرا وطنيا (1889) كانت جماليته الرومنطيقية ، وكذلك موضوعاتها تلفظ آخر انفاسها ، (✱) وكان الاسبانيون ينظرون الى ثريا كرمز للروح العظيمة ، والاسباني المخلص الذي تعلق قلبه بحب وطنه ، فهو يتحدث عنه ، باستمرار ، فيما ينشيء من ادب ، ويناجيه دائما فيما تسيل به يراعته من شعر ، ويعرف به دوما ، فيما يكتب من اساطير ، ويتحدث ناقد عن ادبه فيذكر بان البساطة كانت سمته البارزة ، الواضحة ، وكان شعره يمتاز بعنصرين هامين هما : اللون والنغم .

ولم يكن ثريا شاعرا او كاتب اقاصيص واساطير فقط ، وانما كان كذلك في طليعة المسرحيين الذي حققوا انتصارات باهرة في ميدان المسرح الاسباني خلال القرن التاسع عشر ، فلقد الف تراجيديات رائعة ، منها : الاسكافي والسلطان El zapatero y el rey ، والخائن Traidor ، والشعبي ضون خوان طونوريو El popularismo Don Juan Tenorio

ب) غوستافو ادلفو بيكير Gustavo Adolfo Becquer (1836 — 1870) ، وهو يعد اعظم غنائي واعمق رومنطيقي شهده القرن التاسع عشر ، ولقد كان لمرضه العضال وازمته النفسية اثر في اضفاء مسحة الحزن والكآبة والخوف من المبهم على انتاجه الادبي ، الذي كان يغترف موضوعاته من ينابيع غنية، رائعة وبسيطة .. من الحب والضياء من ا من الموجة والظلال، من المعزف والقمر .. والموت (✱) .

وكل التركة الادبية التي خلفها بيكير تستقطب في كتبه: (القوافي) (Las Rimas) والاساطير (Las Leyendas)

(✱) انظر كتاب : Ganzalo Torrente Ballester : Panorama de la literatura espanola contemporanea, p. 29 - Edicion Guadarrama - Madrid, 1961.

(✱) نفس المصدر السابق ، ص 29 .

(✱) نفس المصدر السابق ، ص 72 .

(✱) المصدر السابق ، ص 34 .

(✱) انظر مقدمتنا لقصائد له ، في (دعوة الحق) — العدد السابع — السنة السابعة — ابريل 1964 .

(1569 — 1631) ولوبي دي فيكا وريث دي الاركون ، وكذلك راسانط Rarant ، فهو في احدى مسرحياته يبدو متأثرا بمسرحية من مسرحيات اكوسطين مورطو ، واما هاردي Hardy ، فان اغلب مسرحياته استقاها من المسرح الاسباني .

واذا كان التأثير الاسباني قد بدا لنا ، مما تقدم ، واضحا ، جليا ، في اشهر المسرحيين الفرنسيين ، فان مؤرخي المسرح قد اكدوا ذلك التأثير في كثير من المسرحيين الايطاليين والانجليزيين ، وعلى رأسهم ويليام شكسبير (✱) William Shakespeare (1564 — 1616) الذي يعد بحق المنشئ الاول للمسرح الانجليزي .

وكل الذين تصدوا بالكتابة عن تاريخ المسرح الاسباني، يؤكدون بان هؤلاء الكتاب المسرحيين الاسبان : ماطوس فراكوسو ، وانطونيو مولين ، وخوان دي لاهوس ، وخيمنيس دي انثيوا ، وانطونيو (✱)هورطادو دي مندوثا وهو ممن نسج على منوالهم موليير ، ولويس دي بلمونطي ، وكثيرا غيرهم ، استطاعوا ان يلتفوا اليهم الانظار خارج حدود اسبانيا ، وكانت مسرحياتهم ، وفي مقدمتها مسرحيات كالدرون ، تمثل على خشبات اعظم المسارح الاجنبية يومئذ .

وللدلالة على مدى الانتشار والذيوع الذي ظفر به الادب المسرحي الاسباني في عصره الذهبي ، نورد هذه العبارة للاستاذ الناقد جان جوفظ : (في سنة 1630 كانت مسارح لندن تقدم درامات اسبانية ، وفي فرنسا ، وايطاليا ، والمانيا . وفي اوربا قاطبة . كان المسرح الاسباني موضع عناية وتقدير في ذلك القرن) .

ويذهب كثير من النقاد الى القول بان اسبانيا تقاسم انجلترا شرف السبق الى ايجاد المسرح القومي ، وان عصرها الذهبي في تاريخ الادب يقارن بالعصر الاليزابثي في تاريخ الادب الانجليزي وعصر لويس الرابع عشر في تاريخ الادب الفرنسي .

ولقد ظل الادب الاسباني يؤثر تأثيره العميق ، البعيد، في الآدب العالمية حتى القرن الثامن عشر ، حيث ظهر فيكتور هوجو Victor Hugo (1802 — 1885) ،الكاتب الفرنسي الشهير ، الذي حمل بريق الرومنطيقية الاسبانية الى الربوع الفرنسية .

على انه بعد الايام المشرقة ، الباهرة ، التي عاشتها الآداب الاسبانية في القرنين : السادس عشر والسابع عشر عصفت بها دوامة من الانحطاط والانتكاس قبيل القرن الثامن عشر ، فتقهقر المسرح الى الوراء ، وقمط في ثياب رثة بالية . ونضب معين الشعر والنثر ، واصابهما من الركود والتفاهة والضعف ما اعدمهما ثراء صورهما وغناء اخيلتهما ، وهكذا انحدرت الآداب الاسبانية من القمة الى السفح ، فذبلت بعد تفتح واشراق ، وضعفت بعد قوة وسلطان ، واصبحت مجرد تقليد اعمى للقوالب الفرنسية الادبية .

وكانت اسبانيا ، يومئذ ، تعود القهقرى ، ولا تتقدم الى الامام ، فلقد تكومت على نفسها وحلالها العيش في عزلة شبه تامة عن كل بلدان اوربا ، ولعل انعزال اسبانيا وزهدها في اللحاق بركب الحضارة التي كانت بعض بلدان اوربا كفرنسا وانجلترا تسير في مقدمته ، لعل ذلك هو الذي حدا بكاتب فرنسي الى ان يرسل كلمته المشهورة : (ان افريقيا تبتدئ من جبال البرانس (✱)) .

فترة البعث والاحياء في الادب الاسباني واشهر اعلامها

حمل القرن التاسع عشر الى اسبانيا ازمات عنيفة ، شديدة، في ميدان الحرب والسياسة ، فلقد عانت ، خلاله ، نكبة الاحتلال الفرنسي الذي تم على يد نابليون ، كما عانت محنة الحروب التحريرية التي كان يشنها الامريكيون عليها من اجل استقلالهم وسيادتهم .

ويبدو ان تلك النكبات والازمات التي صدمت اسبانيا ، في القرن التاسع عشر ، كانت عاملا قويا على ايقاظها من سباتها ، وانقاذها من الوهدة التي تحدرت اليها ، فهبت تحاول ان ترمي بنفسها في غمار التيارات العالمية سواء في ميدان الادب او السياسة ، ففيما يخص ميدان الادب نجد ان القرن التاسع عشر امتاز ، في اسبانيا ، بانتشار المذاهب والجماليات الاجنبية وذيوع الرومنطيقية الفرنسية والانجليزية .

ونتيجة لذلك تألقت بعض الاسماء في صفحات الادب الاسباني في القرن التاسع عشر ، تشهد على ان هذا القرن قد شهد بعثا واحياء وترميما لماضي ذلك الادب ، بكل روعته وعظمته .

(✱) انظر كتابي : Jean Jouvet: El teatro y su historia y Shakespeare un hombre solitario.

(✱) انظر كتاب : José Rogerio Sanchez: Sintesis de la literaturaespanola, p. 190.

(✱) انظر كتاب : Dr José Rogerio Sanchez: Sintesis de la literaturaespanola, p. 225

(✱) كانت قارة افريقيا ، يومئذ ، تحيا في ليل اليل من الجهالة والانحطاط ، وقصد الكاتب من عبارته ان اسبانيا لا تعد من دول اوربا الناهضة ، وانما يجب ان تعد من اوطان افريقيا المتأخرة ، المتدهورة .

دراسات حول الأدب المغربي الحديث

للأستاذ : عبد العلي الوزاني

يتناول هذا البحث المسائل التالية :

1) متى يكون الادب مغربيا ؟
2) واقع الادب فى المغرب .
3) مستقبل الادب في المغرب .
4) مصاعب تواجه الادب المغربي الحديث .
5) كيف نبعث الادب المغربي ؟

1) متى يكون الادب مغربيا ؟

يذهب بعض ادبائنا الى ان كل من يزاول الانتاج الادبي هنا في المغرب يجب ان ياخذ مادته الخام من البيئة المغربية في حيزها الطبيعي وحيزها الاجتماعي ، وان يحاول المشاركة في احياء التراث المغربي القديم في الادب والفن والحضارة بصفة عامة ، معتقدين — عن خطأ او صواب — ان كل ادب يكون خارجا عن هذا النطاق ، لا يمكن ان يكون مغربيا بوجه من الوجوه ، وعليه فانت مثلا عند ما تتناول قضية من قضايا النقد الادبي العامة ، او تبحث مشكلة فلسفية شاملة ، او تتحدث عن ادب اللامعقول ، او الوجودية في الادب ، او ما الى ذلك من مواضيع الدراسة ، فانت قد انتجت ادبا يمكن ان يكون كل شيء الا ان يكون مغربيا ، واذن فلنخرج جل ما يكتب المغاربة في مثل هذه الموضوعات من نطاق الادب المغربي ، لنتيقن بضع مقالات نشرت هنا وهناك ، ولعمري انه لخطأ فاحش ، وسوء فهم لحقيقة الادب المغربي ومقوماته الاساسية .

ان المشاركة في احياء الادب المغربي القديم ، وبعثه حيا نابضا ، والكشف عن كنوزه واسراره العظيمة وكذلك تناول البيئة المغربية بالتصوير والنقد الاجتماعي ، ليعد عملا له اهميته واعتباره ، ولا بد ان تتعرف اليه جمهرة من ادبائنا ممن يملكون الاستعداد الحسن الذي يؤهلهم لهذا الامر ذي الخطورة الكبرى ، لكونه يميط اللثام عن مدى مساهمة المغرب في حقل الثقافة الاسلامية ، والادب العربي ، ولكن هل يتعين علينا جميعا ان ننهج هذا النهج عند ما نكتب ؟ وهل مدلول (الادب المغربي) قاصر على هذه الزاوية وحدها دون غيرها ؟ . وهل المشاركة في الاحتفال للقضايا الادبية والفلسفية الكبرى العامة التي تصطرع حولها الاقلام في الشرق والغرب ، يجرد الادب عندنا من خصائصه المغربية ؟ هل يفرض علينا ان نبقى بمعزل عن كل التيارات الادبية السائدة في عالم اليوم ؟ لنعيش منكمشين على انفسنا نجتر ادبنا اجترارا ونمضغه لنلفظه من جديد، واخيرا هل من مصلحة ادبنا الا يزج به في معترك الحياة الادبية الصاخبة في ملتقى الآداب العالمية ؟ تلك تساؤلات يثيرها في نفسي موقف بعض ادبائنا الذين يضيقون من مدلول (الادب المغربي) تضييقا تأباه طبيعة الادب القومي .

ونبادر الى القول بان (الادب المغربي) في مدلوله الواسع الشامل لا يتنافى مع اي موضوع صالح للمعالجة الادبية ، فقد تستطيع ان تكون مغربيا حتى وانت تعالج موضوعات مستمدة من الشرق او الغرب ، وقد لا تستطيع ان تكون مغربيا حتى وانت تعالج موضوعات من صميم البيئة المغربية ، العبرة هنا بطريقة شعورك بالموضوع ، واسلوب تفكيرك فيه ، والمقياس الذي تقيسه به ، والعقلية التي تعملها فيه ، فاكبر ما يحدد طابع اي ادب ، شعور الاديب وذوقه ومنظاره الخاص ، فنحن في صميم الادب المغربي حينما نتناول قضايا ومشاكل ادبية عامة، فنناقشها ونعطي وجهات نظرنا فيها ، صادرين عن تفكيرنا

و (الرسائل Las Cartas) ، ويمكن القول بان الاسلوب البكيري في كل الآثار يتسم بالشفافية والعذوبة ، والبساطة والسهولة ، ولعل هذا هو ما دفع باحد (✱) النقاد الى وصف شعره (بانه شعر صادق ، وفي اللحظة ذاتها ، موجز وبسيط من الناحية التعبيرية والادائية)

واذا كانت مخالب الموت قد امتدت تنشب اظفارها فيه وهو ما يزال غضا كالزهرة الفواحة ، اخضر كالحلم الشفاف ، لم ير بعد انتاجه تتناوله الايدي ، ولما يسمع اسمه يتردد على الشفاه ، فان اعماله الادبية خرجت الى الوجود .. لتعيش بعده وتحيا .. ولتصبح نغمات ، ليس احلى وهمسات ليس اروع على شفاه الحالمين من العشاق ، على ضفاف الوادي الكبير ، او في اعطاف قرطبة ، وابهاء الحمراء بغرناطة ، وحدائق اشبيلية الارجة ، وبجانب حياض الحبق ، وتحت اشجار الليمون والبرتقال والزيتون البيلكي ، وتحت السنديانات الظليلة ، في كل ربوع الاندلس ...

ان بيكير وصف اشعاره « القوافي » بانه قد حب اليه ان يكتبها :

بكلمات ، غدا ، تصبح ..
زفرات وبسمات ، والوانا وسمات ...

وكان يؤمن بالشعر كمطلق ، كماهية ، لا تنقرض . لا تفنى ، لا تنعدم :

قد لا يوجد شعراء ، لكن دوما ،
يوجد شعـــر .

وهذا كله ، خلق من بيكير شاعرا عملاقا يسبر غور النفس الانسانية ، ويغوص في اعماقها ، ليغني ، بعفوية وبساطة ، كما العندليب ، آلام تلك النفس وآمالها ، وليعزف بعنف قيثار ، سكونها واضطرابها ، ذلك هو ما دعا ناقدا الى ان يصفه بانه (اعمق واصدق شاعر غنائي تفخر به الرومنطيقية الاسبانية ، وذلك ايضا ، هو ما دفع بناقد آخر الى القول بان (الانسان في اية بقعة من العالم ليعثر في الشعر البيكيري على احاسيسه وشاعره التي تفيض بها نفسه) .

اما الاستاذ بايسطير فانه يتحدث عن غوستافو ادلفو بيكير بانه (اعظم غنائي في القرن التاسع عشر ، هو حالة عجيبة ، وكان في ظهوره كثيرا من المعجزة (✱)) على انه يرى انمكاناته وتاثيره في الشعر الاسباني ليس موازيا لتأثير بودلير Baudelaire في الشعر الفرنسي ، فاعمال بيكير لها مقلدون ، وليس لها من اخذها حيث تركها صاحبها، ثم انطلق ، من ثم ، ينتجع آفاقا بعيدة ، لم يمهل القدر بيكير لارتيادها .

ج) روساليا دي كاسطرو Rosalia de Castro (1837 ـ 1885) ، كانت ذات شعور رقيق ، واحساس شفاف ، وكانت تنظر الى الكون والوجود بمنظار اسود ، قاتم ، احبت الحقول الرطبة ، والجبال الخضر ، والصنوبر والبحر ، ومن اجل هذا كان (الحزن والكآبة والنبرات الرمادية في وصف الطبيعة ، هي العناصر الرئيسية التي تسيطر على اعمالها الادبية على حد تعبير الكاتب الكبير الاستاذ خوسي مارتينث رويث (اتورين) .

وكانت روساليا تكتب القصة ، وتقرض الشعر ، ويعتبر ديوانها الرائع : (في ضفاف السر En las orillas del Sar) اجمل فجر تنفس عنه الحرف الاسباني ، وقادها اشراقه ، الى القلوب والنفوس الحساسة ، الشاعرة ، ولقد تحدث عنها بايسطير في كتابه : (شاشة الادب الاسباني المعاصر Panorama de la literatura espanola contempo anea فقال عنها بانها (صوت غنائي ، اصيل وقوي) ، وتحدث عنها احد النقاد ، فقال : (ان روساليا دي كاسترو قد سميت (بيكير الانثى) ، وبجانب مؤلف « القوافي » تعد هي ابرز شاعر غنائي في القرن التاسع عشر)(✱)

د) كاسبار نونييث دي ارثي Gaspar Nunez de Arce (1834 ـ 1903) ، وهو في نظر بايسطير ، شاعر عظيم ورائع، اما الاستاذ الدكتور خوسي روخر يوسانث فهو يعترف في كتابه : (مختصر الادب الاسباني) بالبصمات التي تركها نونييث دي ارثي على صفحة الادب الاسباني اثناء فترة البعث والاحيـــاء .

والى جانب اولئك ، وقفت طائفة اخرى من الشعراء ، تركوا لهم دويا ، في عالم الادب والشعر يومئذ ، اشهرهم : رامون دي كاميو امور (1817 ـ 1901) ، وينظر اليه بايسطير نظرته الى عصريه نونييث دي ارثي ، فهو عنده ، شاعر عظيم ورائع ، ويعده الاستاذ سانتيس من زعماء التجديد في الشعر الاسباني الحديث ، وياتي بعده : كابريل كارسيا طاسارا (1817 ـ 1875) وفيثنطي ونثسلو كيرول (1830 ـ 1889) ، وفنطورا رويث دي اكليرا (1820 ـ 1881) ، وميكيل دي لوس سانتوس الفريس (1818 ـ 1892 ، وخوسي دي سالكاس وكاراسكو (1824 ـ 1882) ، واميليو فراري (1850 ـ 1907) ومنويل رينا (1857 ـ 1905) وسلفادور رويدا (1857ـ1933)، وهذان الاخيران يعتبران ، في رأي كثير من مؤرخي الادب الاسباني المعاصر ، قطبين في الحركة التجديدية للشعر المعاصر .

تطوان : حسن الوراكلي

(✱) انظر مقدمة الاستاذ : ف . كونثالس لدسما F. Gonzales Ledesma في كتاب (Becquer : Sus mejores poesias)

(✱) انظر كتاب : G. T. Ballester : Panorama de la literatura espanola contemporanea, p. 34.

(✱) انظر كتاب Abilio F. Ruiz de Ojeda y Emilio Lopez de Larrinzar : Lengua y leteratura (antologia)

يشخصوا حسناته وسيئاته ، ليعضوا أيديهم على اصل الداء ، ومن ثم يقترحون الدواء .

ونحن في هذه النقطة من البحث بصدد تشخيص واقع الادب المغربي ، وبلورة مشاكله ، بالقدر الذي يسمح به حديث سريع كهذا ..

والحديث عن واقع الادب في المغرب لا يخلو من بعض الصعوبة ، ذلك لان ادبنا الحديث ما زال غامض الملامح ، لا يعرف له اتجاه معين ، ولا حدود خاصة ، ولم تتضح لنا شخصيته بعد ، ولكن مع ذلك نحاول ان نثير هذا الموضوع علنا نعرف بعض مشاكلنا الادبية الحاضرة ، فنستعين بها على معرفة طريق المستقبل ، ولست ادعي هنا الاحاطة بجوانب الموضوع كلها ، ولكن حسبي الاشارة الى بعض المشاكل والظواهر .

اول مشكلة تواجه هذا الادب ، انه يبحث عن نفسه بين شتى الاتجاهات ، بحيث يعجزك ان تجد لهذا الادب اتجاها معينا على الاطلاق ، فادبنا غالبا هو ادب الكتب نقرأها ، اكثرها هو ادب الحياة التي نحياها ، وما دامت هذه الكتب ليست من وضعنا وخلقنا وانما هي منتمية الى شرق وغرب ، فان خريجيها من ادبائنا يختلفون اختلاف هذه الكتب نفسها ، وانا لست انكر تاثر الاديب بنوع الكتب التي يقرأ فيها كثيرا ، فما كان المثقفون الا نتاجا لما قرأوا ودرسوا ، وذهنياتهم وعقلياتهم تصوغها عوامل مختلفة اهمها : الكتب . ولكن يجب ان نفهم جيدا ان الادباء من هذه الناحية قسمان : قسم يتخرج من الكتب التي قرأها ، ولكنها لم تتحول عنده الى دم يجري في العروق ، وحركة ينتفض بها الفكر ، وعاطفة تجيش بها النفس ، وانما تبقى مجرد مرجع يرجع اليه الاديب — ان صح ان يسمى اديبا — لياخذ منه الافكار والاتجاهات الجاهزة ، وقسم تخرج من تلك الكتب نفسها ، ولكنه استطاع ان يخضعها لتفكيره الخاص،واستفاد منها بتلك الطريقة التي تتناسب وعقليته الخاصة ، واستطاع بكثير من المرونة ان يفلت من سلطانها ، حتى لا تجور على شخصيته .

وثاني تلك المشاكل ان ادباءنا لا يزاولون الكتابة باستمرار ، ولا يهبون انفسهم للقلم ، في صوفية تجعلهم يزهدون في كل مغريات الحياة المادية ، ويحسون ان الكتابة ضرورة يومية لا غنى لهم عنها ، وان الادب رسالة مقدسة ، تتطلب كل ما تتطلبه الرسالات السامية من تضحيات كبيرة ، وصبر طويل ، ونكران للذات ، واستعداد لمشاركة ابناء الانسانية احزانهم وآلامهم ومسراتهم .

وكثيرهم المغاربة الادباء الذين انصرفوا عن الميدان الادبي جريا وراء مطلب مادي ، بعد ان كانوا بلابل صداحة في روض الادب الانيق ، ونحن لو خسرنا واحدا او اكثر من رجال الاعمال ، لا نكون شاعرين بالخسارة بقدر ما نحس بها اذا خسرنا اديبا يمتعنا برائع بيانه ، وانت عند ما يتاح لك ان تناقش احدهم رأيه في انصرافه عن الادب ، يبادرك بهذه الحجة التي لا يمكن ان تصرف اديبا عن عمله الفني ، متى كان ذا ثقة بالنفس ، عظيم الايمان بقدسية رسالته في الحياة ، وتلك الحجة هي كساد السوق الادبية عندنا ، وكون اديبنا لا يتمتع بمركز اجتماعي محترم ، ولا يجد من عمله ما يكفل له العيش الكريم ، ولو انت ضربت لهم مثلا احد الادباء الشرقيين او الغربيين الذين قاسوا الشدائد في سبيل فنهم ، مضحين بالمتعة المادية في سبيل المتعة الروحية ، لما اعجزهم ان يردوا عليك بان هذا اذا كان في امكان بعض عباقرة الفكر والروح ، فهو ليس في امكان غيرهم من الناس ، ولسنا نستطيع كلنا ان نكون مثلهم ، طالما ان بيننا وبينهم فوارق في نوع الاستعداد وفي المزاج العقلي .

ولكن نفسك لا تطمئن الى هذه الحجة الواهية ، ما دام في وسعهم ان يلائموا بين مطالبهم المادية وبين الحياة الفنية ، فكثيرا من ادباء الشرق العربي استطاعوا ان يجمعوا بين الوظيفة والعمل الادبي ، مع بعدها عن جو الادب ، فالرافعي رحمه الله، احد ادباء الطليعة في مصر في مطلع هذا القرن ، كان موظفا باحدى المحاكم ، وعبد السلام العجيلي ، ويوسف ادريس ، الطبيبان يكتبان القصة ويصبحان من كتابها المرموقين ، وغير هؤلاء كثير .

اما عند ما ننظر الى الفنون الادبية ، فاننا نجد الشعر ما زال في عمومه يكرر النغمات القديمة ، ويردد التشبيهات والاستعارات المألوفة ، ولا يخرج عما يسمى عند القدماء بعمود الشعر ، فهو شعر سلفي شكلا ومضمونا ، نعم قد تجد عندنا الشاعر المبدع ، ولكنه لا يكاد يخرج عن تقاليد القصيدة العربية القديمة فهو يبتكر ويولد ، ولكن في داخل هذه الحدود ، ولم يوجد عندنا بعد ذلك الشاعر الذي يخترق هذا الحصار ، ويخرج الى الهواء الطلق ، والى الافاق الرحيبة ، وانا لا اعني بالطبع رمي القواعد والاصول جانبا فتلك هي الفوضى الادبية التي تبلبل الافكار ، وتنسف اصول الفن الرفيع ، وانما اعني فقط اننا نفتقر الى ذلك الشاعر الجريء الذي يطور من مفهوم الشعر بان يجعله مسايرا للعصر ، ومستجيبا لمطالب حياتنا الحاضرة ، ومن شكله بحيث يتجنب الكليشهات القديمة ويعطيه طابع الاصالة، ويبعد به عن التعلق بالحيلة اللفظية ، من اصطياد تشبيه جميل ، او استعارة مستملحة ، والغريب هو اني قرأت لبعض شعرائنا مقالات تناولوا فيها بعض مسائل الادب ، فوجدتهم قد كونوا عن الادب عموما والشعر خصوصا افكارا مركزة تقدمية ، ولكن عند التطبيق لا اجدهم يحاولون ان يجعلوا من تلك الافكار حقائق ملموسة تتخذ شكلا عمليا تطبيقيا .

ففي التطبيق يظهر مدى اقتناع الشاعر بالاراء التي ينشرها ويذيعها بين الناس ، وفيه تتجلى قدرة الشاعر على ان

واذواقنا ، وكل مقوماتنا الثقافية ، ونحن بعيدون عن الادب المغربي كل البعد حينما نتناول موضوعات من صميم بيئتنا ولكن بعقلية غير عقليتنا ، وتفكير غير تفكيرنا ، ومنظار غير منظارنا، ولو كانت الموضوعات وحدها هي التي تحدد صبغة الادب الخاصة لكان ما كتبه المشارقة والغربيون عن المغرب ادبا مغربيا ، وهذا ما لا يقول به عاقل .

ثم ان القضايا والمشاكل الادبية العامة ، وكذا كل التراث العربي القديم ليس ملكا لاية بلاد عربية وحدها ، وانما هو من صنع كل الاجيال والشعوب العربية ، اذ هو ثمرة عبقريتها ، وخلاصة مشاركتها في حقل الادب والثقافة ، ومن ثم فهو ليس من اختصاص بلاد عربية دون اخرى ، وانما هو ملك مشاع بين العرب جميعا ، يردون حياضه ، وينهلون من ينابيعه الثرة الغنية ، ويتناولونه بطريقة او باخرى من طرق البحث والدرس ، واذن فلنكتب عن المتنبي او ابي العلاء او الشريف الرضى او البهاء زهير او القلقشندي ، او غيرهم من نوابغ الادب العربي ، فسننتج ادبا مغربيا صميما يستمد مغربيته من عقليتنا وتفكيرنا وذوقنا .

فالمغربية في الادب والفن بصفة عامة هي ان نكون نحن بكل خصائصنا ومقوماتنا الفكرية والشعورية والذوقية ، بقطع النظر عن الموضوعات التي نتناولها ، بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك، فارى ان شخصيتنا الادبية تتعرض لامتحان اخطر عند ما نتناول موضوعات غير مغربية ، فان تحقق ذاتك به غير محيطك الخاص اشق من ان تحققها في مجالك الحيوي الذي الفته والفك .

وما بالنا يراد لنا ان نبقى بعيدين عن الحياة الادبية في محيطها العام ؟ لماذا لا يكون لنا رأي في المشاكل والخلافات الادبية التي تطلع علينا بها مجالات الشرق والغرب ؟ ان عدم ادلائنا بهذا الرأي يعتبر دليلا على غربتنا الفكرية ، ويقيم الدليل على اننا قد نقرأ ما يرد علينا من هنا وهناك من انتاج ادبي ، ولكننا لا نتفاعل معه ، ولا يجد عندنا تلك الارض الخصبة المثمرة ، التي تساعده على مد الجذور ، وارسال العروق، وانما يجد ارضا مواتا ، ما ان تتلقاه حتى تحيله الى مادة ميتة ، ونحن في عصر من خصائصه انه عصر السرعة ، فالافكار والآراء الادبية والعلمية تسير بسرعة البرق ، وتجوب العالم طولا وعرضا في وقت وجيز ، فلا تبقى ملكا لقوم معينين ، وانما تصبح ملكا للانسانية كلها ، من حقها ان تناقشه ، وتدلي برأيها فيه .

ويمكننا ان ناخذ العبرة من عرب الاندلس الذين كانوا يتتبعون الحركة الادبية والفنية والفكرية في الشرق العربي ، ويتفاعلون معها ، ويجاهدون للتفوق عليها ، بالرغم من صعوبة طرق المواصلات ، فكيف بنا نحن وقد تبدل الحال غير الحال ؟ .

وان الخير كل الخير للادب المغربي ان يخرج عن اقليميته، ومحليته من حيث موضوعاته ، ليأخذ ويعطي ، ويتأثر ويؤثر، فيكون ادبا مغربيا في نطاقه الواسع ، الذي يسمح له بالمشاركة في الحياة الادبية العامة ، ويكون بناء راسخا قويا في هيكل الادب العربي ، وان اغنى الآداب الانسانية ذلك الادب الذي يتناول القضايا المشتركة بين ابناء البشر جميعا،ويناقش المشاكل الانسانية العامة ، ويساهم مساهمة فعالة في محاولة اسعاد الانسان ، والارتفاع بمستواه الفكري والخلقي ، ويعمل على نشر الفضائل الانسانية ، ويحقق المشاركة الوجدانية بين الانسان واخيه الانسان ، والادب لا يستطيع ان يحقق كل هذه الاغراض ما لم يفتح نوافذه على العالم المحيط به ، وما لم ينس اقليميته ولو الى حين .

صحيح ان تاريخنا الادبي ما زال غامضا ، يحتاج الى تضافر الجهود لتوضيح مراحله ، والكشف عن عبقرياته ، واثبات شخصيته ، وصحيح كذلك ان هذا العمل هو واجبنا في هذا الطور من تاريخ الادب المغربي ، وانها امانة في عنقنا ستحاسبنا عليها الاجيال المقبلة اذا لم نحطها بالصيانة والرعاية ، ولكن هل يلزم من هذا ان نتجه جميعا هذا الاتجاه ؟ هل اذا قرأت مسرحية لتوفيق الحكيم ، فاثارت عندي بعض الخواطر فسجلتها ، يتعين علي اني لم اكتب ادبا مغربيا ، وكان الاولى بي ان اكتب عن اديب مغربي من القدماء او المحدثين ؟ وهل توفيق الحكيم ملك للمصريين وحدهم ، او ادبنا ملك لنا وحدنا ؟ ان مجرد وقوع مسرحية الحكيم بين يدي ، كاف وحده ليعطيني الحق في مناقشتها ونقدها ، وابداء وجهة نظري فيها ، وهل توفيق الحكيم الا ثمرة من ثمرات هذه الثقافة العربية الاسلامية التي سواء شرقت او غربت فهي شيء مشترك بين العرب اينما وجدوا ؟ .

ان النظر خارج الذات ، ولكن بمنظارها ومقاييسها ، هو علامة تحرر وتفتح وانطلاق لاستقبال اضواء جديدة ، واقتباس عناصر جديدة ، تزيد الذات قوة وعمقا ، وتهبها نوعا من المرونة التي تجعلها قادرة على التكيف والاخذ والعطاء .

2) واقع الادب في المغرب :

كل امة تنشد الازدهار والتقدم به مستقبلها الادبي ، لا بد ان تنظر الى حاضر ادبها وواقعه ، متفحصة دارسة ناقدة ، مقدرة الخطوات التالية لخطواتها الماضية والحاضرة ، مستعينة بالحاضر على معرفة سبيل المستقبل ، واضعة يدها على اوجه العجز ونواحي النقص ، لتتلافاها فيما يستقبل من ادبها وثقافتها ، وكثيرون منا يهملون هذه القضية الهامة ، ويوجهون كل عنايتهم الى التفكير في مستقبل الادب المغربي ، وفي اقتراح الطرق الصالحة لمستقبل ادبي افضل ، وهم في الوقت نفسه يهملون التفكير في مشاكل الحاضر ، وقلما يحاولون ان

ورابعا : ان الادب عندنا يعوزه الجو ، والجو هنا معناه النشاط الادبي الناشيء عن الاخذ والرد والنقاش ، ففى هـذا الجو تولد الاتجاهات ، وتتضح الطرائق ، وتتبلور الافكـار ، ويجد الادباء مادة غزيرة تغني الادب وتغذيه ، فكم من مذاهب نقدية ، وملكات فنية ، ومدارس ادبية ، كانت هبة من هبات ذلك الجو وحسنة من حسناته .

واما الادب المسرحي فحظه عندنا من العناية ضئيل جدا ، فمسرحياتنا المكتوبة بالفصحى تكاد تعد على رؤوس الاصابع ، ولهذا فهي ليست كافية لتكوين هيكـل للادب المسرحي عندنا .

ونخلص الآن الى الفن الادبـي الذي فاز عندنا بحصـة الاسد ، وهو فن المقالة ، فنحن عند ما نتصفح المجلات والصحف المغربية ، تطالعنا المقالة بجـل انواعها ، تجد فيهـا المقالـة السياسية والاجتماعية والاخبارية والفنية ، وقد تجد المقالة التي تستطيع ان تقارنها باحسن ما يصلنا من مقالات ادباء الشرق العربي . ولعل ازدهار فن المقالة في المغرب راجع الى العوامل الآتيـــة :

اولا : كون المقالة بقالبها وشكلها وحدودها الضيقـــة سهلة التناول بالقياس الى الفنون الادبية الاخرى ، اذ كانت هذه متشعبة المناحي ، معقـدة الاصول والقواعد ، الامر الـذي جعلها ابطأ من المقالة استجابة للافكار المستعجلة ، والخواطر العابرة ، والاراء السريعة . ولهذا كانت المقالة فنا مبكرا في بيئات الادب الشرقية ، فقد فاضـت بها المجلات والصحف ، في الوقت الذي كانت فيه الفنون الادبية الاخرى ما زالت ترسف في اغلالها وقيودها الثقيلة .

ثانيا : ان الاحداث السياسية التي عرفها المغرب سواء بعد الاستقلال او قبله ، قد استدعت نشاط هذا الفن ، اذ هو بحكم منهجه التقريري السريع ، اقرب القوالب الادبيـة والاشكـال الفنية ، للتعبير عن وجهات النظر المختلفة ، وقرع الحجة بالحجة، والرأي بالرأي ، فهي سلاح حورب به المستعمر ، وتطاحنت به الاحزاب والهيئات ، واتخذ وسيلة للنقد السياسي والاجتماعي ، وجنى الادب المغربي الحديث من ذلك اطيب الثمرات هي هذه المقالات العديدة ، التي طالعتنا وتطالعنا بها صحفنا كل يوم .

ثالثا : كون المقالة بطبيعتها سريعة التطور ، بحكم انها نثرا اولا ، والنثر اسرع استجابة لعوامل التطور من الشعـر ، لانه متحلل من قيود هذا الاخير ، ثم بحكم انها اوسع الفنون النثرية حرية ثانيا ، وكانـت كذلك لكونها تتناول الافكـار بطريق مباشر ، في قالب خفيف ، وبدون التزام قواعد معينـة تفرض على الكاتب ، الا ما يمليه عليه طبعه ومزاجه الخاص ، ولذلك تنوع فن المقالة هذا التنوع الكبيـر في مختلف البيئات الادبيـــة .

وليس معنى ما تقدم ان المقالة عندنا قد وصلت اقصى ما يرجى لها من قوة وعمق ، فالذهاب الى هذا الرأي هو الغرور الذي يعصمنا منه رغبتنا الصادقة في النهوض الحقيقي ، وشوقنا الى غد ادبي افضـل ، نتبوأ فيه مكانة لائقة بماضينا الادبـي المجيد ، المقالة عندنا مخلوق غير متكامل ينقصـه ما يمكن ان ينقص فنا ادبيا حديث النشأة ، وما زال امامه طريق طويل ، قبل ان يصل الى ابعد اهدافه .

ويمكن تلخيص مآخذي على المقالة في المغرب فيما ياتي:
اولا : تتسم غالبا بسمة التحليل ، وقل ان نراها تاخـذ بطريقة التركيب ، فنحن عند ما نكتب مقالاتنا نتناول طائفة من الافكار لنحلها الى لفائفها وعناصرها التي تتركب منها ، ولكننا قل ان نجمع طائفة من الجزئيات والعناصر البسيطة لنركبها على نحو ما حتى تتادى بنا الى نظرية شاملة ، او قانون عام ، او قاعدة كلية ، والتحليل مهما كان دقيقا ومفيـدا ، لا يقوى قوة التركيب في الدلالة على اصالة الفكر ، وهذا هو السر في كون اكثرية الادباء الناشئين تحلل ولا تركب ، طالما ان التركيب فيه خلق وابتكار ، شبيـه بانسجام الانغـام ليتكـون اللحن ، وائتلاف الالوان ليتم الرسم ، وانضمام الاحجار ليصعد البناء .

ثانيا : يغلب على مقالتنا الاسلوب الخطابي ، اي اننـا نكثر من الجمل المعبـرة عن معنى واحـد ، فتفتقر كتابتنا الى الدقة في استعمال الكلمات ، والقصد في العبارة . حتى لا يجيء الثوب فضفاضا بالنسبة الى الجسد .

ثالثا : التسرع في اصدار الاحكام قبل اعمال الفكـر ، وتقليب وجهات النظر ، والاحاطة بجوانب الفكرة ، والتثبت من صحة الادلة والحجج ، فالكلف باصدار الاحكام ظاهرة شائعة في جل مقالاتنا ، لا اكاد استثني منها الا القليل ، حيث ترى الكاتب ما إن يجيل فكره في الموضوع قليلا ، حتى يبادر الى اصدار حكمه القاطع الفاصل،قبل ان يمكن القارىء من الالمام بعناصر الاقتناع، ولكن مهما يكن من امر ، فالمقالة عندنا بخير ، ووضعها الراهن يبشر بان امامها غدا زاهرا ان شاء الله .

فاذا ولينا وجهنا شطر التأليف ، فاننا نلاحظ ان جل ما صدر عندنا من كتب ، انما كان عبارة عن مقالات نشرت متفرقة ثم جمعت بين دفتي كتاب،ولا زالت فكرة التأليف بمعناها الدقيق لم تتخذ طريقها الى حياتنا الادبية ، وهي تناول فكرة ضخمة او عدة افكار ، وتقسيمها الى فصول متتابعة يرتبط بعضها ببعض ، ارتباط المقدمات بالنتائج والاسباب بالمسببات ، بحيث تتساوق في نظام مطرد لتؤدي الى نتائج عامة يرتـاح اليها الفكـر ، واعتقد اننا سنبقى في اطار المقالة مدة ليست بالقصيرة ، قبل ان نتمكن من التاليف بمعناه الصحيح ، فمرحلة المقالة هي التي تعد لفكرة الكتاب المؤلف ، لان المسألة هنا هي مسألة ترويض الفكر ، وتدريب القلم ، واختبار الملكات ، حتى اذا قوى الفكر

يمنك السيطرة على تلك الاراء وانتفاعه بها ، فاذا كان هناك تناقض ، بان كان الشاعر داعية الى شيء بصفته باحثا مقررا ، او ناقدا دارسا ، ولكنه يعجز عن ان يجعل شعره في مستوى آرائه عن الفن الذي يزاوله ، فقد اقام الدليل على ان موهبته الشعرية ليست في مستوى ملكته النقدية وتلك مأساة الشاعر الذي يقف هذا الموقف الحائر بين ملكة النقد وملكة الخلق .

والشعر بطبيعته بطيء التطور ، نظرا لكون قيوده اثقل من قيود النثر ، ومن ثم فهو يتمرد على من يحاول ان يجدد فيه ويبتكر ، ولهذا كان محتاجا الى المواهب العالية والملكات الجبارة ليجدد من ازيائه ، ويرود الطريق المجهول ، ليكشف عن عالم جديد ، تتكشف فيه كنوز بعد كنوز .

فاذا انتقلنا الى القصة لنرى حظ المغرب منها حاليا ، فاننا نرى عدة محاولات ، ولكن يلاحظ على اصحابها انهم يوجهون كل عنايتهم الى الاسلوب ، من رشاقة العبارة وتناغم الالفاظ ، ومائية التصوير ، وقل ان نجد ذلك القاص الذي يراعي اصول الفن القصصي ، فما كل من كتب يصف حادثه او يسرد اخبارا يسمى قاصا ، ويسمى عمله هذا قصة . القصة اليوم لها جدرانها الاربعة ، ولها كيانها الخاص ، وهذا شيء معروف عند من يزاولون كتابة القصة عندنا احيانا ، ولكننا نصطدم هنا بمشكلة التطبيق كما اصطدمنا بها عند حديثنا عن الشعر ، فهم يعرفون جيدا قواعد كتابة القصة ، ولكنهم لا يخرجون من النظر الذهني الى التطبيق العملي .

والقصة عندنا في المغرب ليس لها رجالها المختصون ، انها فن ضائع بين الفنون الادبية ، وما دامت كذلك ، فهي لن تتقدم قيد انملة ، حتى يقيض الله لها اولئك القصاص الذين يهبونها حياتهم ، ويقفون كل جهودهم الادبية عليها ، فلا تبقى مجرد استراحة يلقي فيها بعضنا اعباء البحث والدرس عن كاهله ، كما يرى في ذلك بعض من يكتبون القصة عندنا ، اذ القصة اخطر من ان ننظر اليها هذه النظرة ، انها فن يحتاج الى المران الطويل ، وقد يكتب الاديب مائة قصة فاشلة . قبل ان يكتب قصة واحدة ناجحة .

وعندنا صنف ممن يكتبون القصة بين حين وآخر ، كل همهم من القصة وغايتهم منها التنكيت ، والتنكيت ياتي مقبولا ومستملحا في القصة اذا كان قليلا ، ويصدر عن الكاتب بكيفية عفوية ، ولكنه لا يقبل ولا يرتاح اليه الذوق السليم اذا كان يستغرق القصة كلها ، هو بمثابة الملح بالنسبة الى الطعام ، فهو اذا زاد على مقدار معين يتفق وكمية الطعام ، اصبح باعثا على الزهد في الطعام والاعراض عنه ، والنكات اذا تلاحقت ، واخذ بعضها برقاب البعض ، ضعف اثرها في نفوس القراء او السامعين ، فاجمل النكات تلك النكتة التي تاتي على غير ترقب او انتظار من القاريء او السامع ، حتى يكون لها مغزاها المطلوب ، اذ النكتة المقبولة ما كانت تلفت الذهن الى المفارقات، فاذا كانت القصة كلها تنكيتا لم يبق هناك معنى لوجود المفارقات ومن ثم جاءت النكتة باردة لا تثير ضحكا ، وانما تثير اسمئزازا منها ، ورغبة عنها .

وعندنا من يديرون القصة على افكار مذاهب مستوردة ، تمثل في افطار بعيدة عنا مفاسد الحضارة الاوربية ، هذه التي ضاعفت من العقد النفسية ، وصادرت الشخصية الانسانية ، حيث جعلتها فريسة الالة ، وشككت الانسان في عقائده ومثله العليا ، وابطلت حتى سحر الاماني والاوهام بالنسبة اليه ، فكثرت حوادث الانتحار ، واضطربت علاقات الناس بكل شيء حتى بانفسهم ، فجاء الادب الذي يصور هذه الحالة مظلما ، قاموسه : الحيرة ، والقلق ، والتمزق ، والضياع . الى ما هو من هذا القبيل ، ويؤسفني ان اسجل على بعض ادبائنا انهم يستعيرون المشاكل النفسية ، والامراض العقلية التي ليس في ظروف الانسان الافريقي ما يشعر بها ، فيتبنونها ، ويصدرون عنها في قصصهم ، لا لشيء ، الا لانها راقتهم ورأوا فيها نوعا من الطرافة ، مع العلم بان الطرافة لا تقصد لذاتها ، وانما اذا كان هناك ما يدعو اليها، اما الطرافة الداخلية فهي بغيضة الى النفس.

فاذا عرجنا على النقد الادبي ، فاننا تقريبا لا نجد له وجودا ، فباستثناء بعض الاعمال النقدية التي لم تراع فيها اصول النقد الصحيحة ، وانما كانت مهاترات لا اقل ولا اكثر ، لا نجد للنقد الادبي مكانا في حياتنا الادبية ، واختفاء النقد الادبي او قل عدم وجوده عندنا معناه :

اولا : ان بيئتنا الادبية يعوزها اساس من اسس كل نهوض ادبي ، وهو التجاوب بين الادباء ، ذلك التجاوب الذي في ظله تصحح الاوضاع ، ويكشف الزيف ، وتوضع الامور مواضعها ، وينزل كل اديب منزلته التي يستحقها ويقوم على الادب حراسه الذين يذوذون عن حماه ، ويصدون عنه الادعياء والمتطفلين .

ثانيا : اننا بعيدون عن سن الرشد الادبي ، تلك السن التي يحاسب فيها الادب نفسه ، ويصبح واعيا لكل ما يصدر عنه قادرا على ان يعرف لكل خطوة موضعها .

وثالثا : ان الاعمال الادبية عندنا — بعد ان يفرغ منها منتجوها — تبقى رهينة بطون الكتب ، او المجلات ، اي انها لا تعيش ولا تعاش ، لا تعيش مشعة معطية ، ولا تعاش من طرف النقاد الذين يستطيعون ان يستقطروها ويستنطقوها ويحيوا ما تتضمنه من تجارب وافكار ، والعمل الادبي ما لم يعش على هذا النحو ، لا يتاح له ان يكون قوة دافعة فى الحياة الادبية ، اذ انه مجهول القدر ، منحوس المكانة .

سائر القوى الادبية الحية ، وهذا من شأنه ان يبعث على التشاؤم ، بيد انه يلطف من حدته ما يخامر النفس من تفاؤل بمستقبل الادب في المغرب ، مصدر هذه الروح المتوثبة التي تطالعنا في اعمال بعض ادبائنا سواء كانت مقالات متفرقة او كتبا ، فانت لو قرأتها لمست فيها ميلا قويا الى التحرر من ربقة التقليد ، والمحاكاة ، ونزوعا قويا الى اثبات الذات ، وان كتاب الموسم في هذه السنة للاستاذ غلاب (في الثقافة والادب) ليؤكد هذه الحقيقة .. فانك واجد فيه من المقالات والبحوث الرصينة ، ما تستطيع ان تقارنه باي انتاج ادبي شرقي محترم ، دون ان تحس غضاضة في ذلك .

وكفى ان يحس جل ادبائنا ومثقفينا باننا نجتاز ازمة ادبية ، ليكون هذا الاحساس باعثا على التفاؤل ، فما احس الناس بانهم في ازمة ، الا كان ذلك ايذانا بقرب انفراج الازمة ، ما دام الشعور بالازمة يدفع الى التفكير في حلها والخروج منها ، التشاؤم المظلم هو ان تكون الاوضاع الادبية فاسدة الى اقصى حدود الفساد ، ومع ذلك قل ان يحس احد بذلك ، وهذا وحده كفيل ببقاء الاوضاع على ما هي عليه ، واذن فالذي يبعثنا على شيء من الاطمئنان هو ان جلنا يشعر بكوننا نعيش ازمة ادبية ، وفي هذا الشعور بعض الصمانة للخروج من هذه الازمة ، وحسبك هذا باعثا على تفاؤل غير قليل بمستقبل الادب المغربي .

4) مصاعب تواجه الادب المغرب الحديث :

(يتبع)

فاس : عبد العلي الوزاني

حرية الرأي

« هذا الذي نحن فيه رأي لانجبر عليه احدا ، ولا نقول : « يجب على احد قبوله ، فمن كان عنده احسن منه فليأت به » .
(ابو حنيفة)

« كل امريء يوخذ منه ، ويرد عليه الا صاحب هذا المقام » .
(مالك)

واستقام القلم ونضجت الملكات بكثرة الاستعمال اصبحت رحاب الادب واسعة ، وآفاقه شاسعة ، وحينئذ تمس الحاجه الى فكرة التأليف ، استجابة للمطالب الفكرية الضخمة التي تستدعي قالبا يناسبها ضخامة ٠

3) مستقبل الادب في المغـرب :

عند ما ينظر مثقفونا وادباؤنا الى واقع الادب في المغرب ويرجعون الى انفسهم يسألونها الرأي ، ينقسمون قسمين : المتشائمين الذين لا يعترفون لهذا الادب باي تقدم ، بل يرونه جامدا كالحجارة او اشد صلابة وجمودا ، فهم يعنون الحياة الادبية في المغرب بالعقم المطلق ، ويرمون ادباءنا بالتقصير الشديد ، ولا يلوح لهم في الافق ما يبشر بمستقبل زاهر ينتظر هذا الادب ، والمتفائلين الذين يرون الحياة الادبية في المغرب بخير ، ويعترفون لادبائنا بالنشاط الموفور ، رابطين بين واقع الادب المغربي وبين مقتضيات الظروف ، وما تسمح به في ميدان الادب والثقافة ، ومن ثم فهم متفائلون جد التفاؤل ، يتنبأون للادب المغربي بمستقبل حافل رائع ٠

ولعل اهم عامل في تشاؤم المتشائمين انهم يتعجلون الامور قبل حلول مواعيدها ، ويريدون نهضة ادبية سريعة تكون كفاء لحياة ما بعد الاستقلال ، ناسين او متناسين ان الادب ليس من طبيعته ان يتطور بكل هذه السرعة التي يريدون وان له نواميس خاصة في التطور لا بد من مراعاتها عند ما يراد تقييم الادب ومراقبة اسلوب تطوره ، والا فان التعسف في هذا الصدد يخرج الادب عن طبيعته التي لا يمكن ان يسير الا على مقتضاها ٠

وهناك عامل آخر في تشاؤمهم لا يقل خطورة عن العامل الاول ، وهو انهم يقيسون الادب المغربي بمقاييس ليست منتزعة من طبيعته ، وانما هي مستوحاة من ادب اجنبي ، وهذا من باب وضع الامور في غير مواضعها ، فمقاييس هذا الادب قد لا تصلح لتطبق على ادب آخر ، ذلك لان كل ادب له واقعه الخاص وظروفه الخاصة ، وطبيعته الخاصة ، واذا كان الادب يختلف من شخص الى شخص ، داخل المجتمع الواحد فمن باب اولى ان يختلف من شعب الى شعب ، ومن مجتمع الى مجتمع ، ولكن اصحابنا هؤلاء ـ عفا الله عنهم ـ عند ما يخضعون ادبنا الحالي لمقاييسهم المجردة او المستوحاة من ادب اجنبي ، فيجدون هذا الادب لا يخضع لها ، بل يبتعد عنها كل الابتعاد، ينفضون ايديهم منه ، ويرمونه بالجمود المطلق ، ويتشاءمون بمستقبله ، اذا اردت ان تضع ادبا ما في الميزان ، فلا تقسه الى غيره ، ولا تـرده على ان يلبس ثوبا اكبر من قامته ، وانما انظر اليه في حدود امكانياته التي تسمح بها ظروفه الخاصة ، وهذا ما لا يحسب له حسابه اولئك المتشائمون ٠

واما المتفائلون فتفاؤلهم مرده الى تعاطفهم مع المحاولات الادبية التي تظهر في بلادنا بين حين وآخر ، فهم يفرحون بها فرحة الطفل حين تقدم له قطعة من الحلوى ، وهم يلمسون فى تلك المحاولات كثيرا من مظاهر النقص والتشويه ، ولكنهم يتغاضون عنها ، ويتساهلون مع اصحابها ، وحجتهم في ذلك ان المغرب الان في حاجة الى تعبئة الجهود الادبية حتى تزدهر الحياة الادبية ، ويقوى الاخذ والعطاء ، اما دور النخل فياتي من بعد ، ليضع الامور في نصابها ، ويرتب اعمالنا الادبية حسب قيمها ، وما تنطوي عليه من مضامين ، وما تزدان به من صور ٠ والمتفائلون هؤلاء يشفقون على الاديب الناشيء من قسوة النقد تاركين الازهار تتفتح ، حتى تملأ الجو عطرا ، وتكون متعة للنفس ، وفتنة للشعور ٠

ولعل الباعث الثاني على تفاؤلهم انهم يلتمسون الاعذار للاديب المغربي اذا كان قليل الانتاج او ضعيفه ، ويرون ان هناك موانع كثيرة من شانها ان تصرف اديبنا المغربي عن مزاولة الانتاج الادبي ، ومع ذلك فهو يتغلب على تلك الموانع ، كلما اتيحت له الفرصة ، ليطلع على القراء بعمل من اعماله الادبية ، وعندهم ان لو سكت اديبنا سكوتا مطلقا لكان له عذره، نظرا للعوائق الكثيرة التي تقف في وجهه فتقهره وتقتل فيه كل ميل الى الانتاج ٠

بيد ان المتفائلين من مثقفينا في هذا الصدد اقل بكثير من المتشائمين ، ذلك لان عوامل التشاؤم اكثر من عوامل التفاؤل، بالنظر الى واقع الادب المغربي ، والظروف التي تحيط به ، والصعوبات التي تواجهه ، ولان عوامل التشاؤم تلقى استجابة ، اكثر عمقا وفعالية عند بعض المثقفين ، لانهم يعيشون في اجواء ادبية عالمية ، مع كبار الادباء من الشرق والغرب ، فاذا هم رجعوا الى ادبنا ليروا ما ذا عساه يستطيع ان يقدم لهم ، الفوه بعيدا كل البعد عن عالم المثال الذي كانوا فيه ، فتخيب آمالهم فيه ، ومن ثم يتسرب التشاؤم المظلم الى نفوسهم ٠

واما موقفي انا من اولئك وهؤلاء ، فهو موقف وسط ، وان كنت اغلب جانب التفاؤل على جانب التشاؤم فلست متشائما مائة في المائة ، ولا متفائلا مائة في المائة ، ولكني بين بين ، ويمكنك ان تقول عن موقفي : انه موقف التفاؤل المتشائم ، او التشاؤم المتفائل ، لان عندي من البواعث ما يجعلني انظر الى مستقبل هذا الادب بشيء غير قليل من الشك والحيرة والقلق والخوف من سوء المصير ٠ كما ان عندي من البواعث ما يجعلني ارى بصيصا من النور يلوح في الافق البعيد ، فنحن لا نرى في بلادنا جهودا واعمالا جريئة للتغلب على مصاعبنا الادبية ، نعم نرى بعض الادباء يستميتون في تدعيم كياننا الادبي ، بما ينشرون من ابحاث ومقالات ، ولكن هذا الجهد الفردي لا يغني غناء الجهد الجماعي الذي تتضافر فيه

تتفتح بعد ... بينما نضج بعضها نضجا يثير الاعجاب والتقدير في شعر اعلام التجديد الهادف .

واول ما نلاحظه من مظاهر نامية . هو ان الشعر العربي الجديد عرف طريقه الى الطبيعة والحياة بعد ان ظل يتعثر في منعرجات واوحال آسنة طيلة اجيال . واستطاع ان يعطيناـــا اكمل تعبير ممكن عن الطبيعة والحياة ... في ظرف من الزمان وجيز ... واستطاع شعراء التجديد الحقيقي ان يعرفوا واجبهم الطبيعي في عالم لا يستغنى عنهم ...

ولنسمع ــ نوح العندليب ــ من شعر الشاعر السوري شفيق جبري استاذ الجيل ...

دع العنــــدليـــب علـــى غصنـــــه
يــــردد علـى الغصـــن احزانـــــه
فلـــم ار فــي لحنـــه كلفـــــة
تهجــن ــ ان نـــاح ــ الحـانـــه
لئـــن دون النـــــاس اشعارهــــم
لقـــد جعـــل الارض ديـوانـــه
وان قيـــد الـــوزن افكـارهـــم
لقـــد اطلـق الشـدو اوزانـــه
كتمــت الشجــون لـدى العندليـــب
فـــراح يبثــك اشجــانـــه
واخفيـــت عنـــه دمـوع الجفـــون
وقـــد بلـــل الدمـــع اجفانـــه
فهـل شـط عـــن وكـــره جـــاره
فاصبـــح ينـــدب جيـرانـــه
ام البـــــاز اودى بخـلانـــــه
فـــودع بـالنـــوح خـلانـــه
ام الريـــح هبـــت بـأفنـانـــه
فـزلـزلـت الريـــح افنـانـــه
فيالـــك مـن ممعـــن فـي الحنيـــن
الـــم يشهـــد النـــاس امعانـــه
اتبكـــي العنـــادل اوطـانهـــا
ولا ينـــدب المـــرء اوطـانـــه ..

فالشاعر المجدد هنا عاد الى الطبيعة ينبوع الشعر عاد اليها ليعكس صورة العندليب الشجين وهو يبث الافنان شجونه . وقد ابى الشاعر الا ان يربط شجونه الخاصة في حياته بهذه الصورة الطبيعية التي لا تكلف فيها ولا تصنع وانما هي ــ شعر ــ

ولنسمع حديث ــ يوم الظنون ــ من شعر المرحوم عباس محمود العقاد فقيد الفكر العربي ...

يـوم الظنـــون حطمـت فيـك تجلـدي
وحملـت فيـك الضيـم مغلـول اليــد
وبكيـت كالطفـل الذليـل انـا الـذي
ما لان في صعـب الحـوادث مقـــودي
وغصصـــت بالمـاء الـــذي اعددتـــه
للـــري في قفـر الحيـــاة المجهـــد
لاقيـت اهـوال الشدائـــد كلهـــا
حتـى طغـت فلقيـت مـا لـم اعهـــد
نـار الجحيـم الـي غيـــر ذميمـــة
وخـدي اليـك مصارعـي في مرقـــدي
حيران انظـر في السمـاء وفي الثـرى
واذوق طعـم المـوت غيـر مصـــرد
اروى واظمـا عـذب ما انـا شـارب
فـي حالتـي نقيـع سـم الاســـود
ولنسمع من شعره ايضا ــ عالم الذرة ــ
دعـــوا الـــذرة تطغـــى فـــي
زمــــان يعبـــد الـــذره
صغيـــر كـــل مـــا فـــي الار
ض مـن جـــاه ومـــن شهـــره
ومـــن خيـــر ومـــن شـــر
ومـــن رأي ومـــن فكـــره
فلـــو قيســـوا بـــلا جســـم
لمـــا ضاقـــت بهـــم ابـــره

فالعقاد هنـا يعيش بين ظلال الحياة عيشة المفكر .. يعرف ما فيها ومن فيها ويعكس هذه المعرفة على شعره فتبدو صورتها ويبدو معها قويا في ضعف ... وضعيفا في قوة ...
واذا اخذنا ديوان الشابي ــ اغاني الحياة ــ وقرأنا فيه شعر البراعم الارجة ... التي عطرت الجو الشعري في الادب العربي الحديث استطعنا بذلك ان ندرك الاجواء التي خلقهـا شعر التجديد والمكاسب التي حققهـا لمن يريد المضي بخطوات واقدام ثابتة لا اضطراب فيها ولا التواء ...

والاستعراض هنا لا يعني الاستقصاء وانمـا يعني الاشارة الى نوعية التجديد ومظاهرها الاولـى في الرجوع الى الطبيعـة والحياة . مع الملكة الذاتية .. التي هي الشاعرية . والاداة . التي هي الثقافة الشعرية ...

ولننتقل الآن الى المظهر الثانـي من مظاهـر التجديـد النامية في الشعر العربي الحديث وهو الارتباط بالحياة العامـة جدها وهزلها . نعيمها وبؤسها مسراتها واحزانها ففي الصحيفة والمجلة وفي الافراح والمآتم اخذ الشعر نصيبه من ذلك كلـه باعتباره فنا واداة ولا تتم معاني هذه الاشياء بدونهما ...

وكان لهذا المظهر اثره ــ النفسي ــ في تقويم شخصيـة الشعراء واشعارهم بالعزة والاستقلال الشخصي والطمـوح ... كما كان له ابعد الاثر في الشعر العربي الحديث نفسه حيث

الشعر الحديث وأبعاده في المعنى والأسلوب والاتجاه

للأستاذ : عبد القادر زمامة

اذا كانت الطبيعة : الصامت منها والناطق . هي المجال الواسع الذي يمرح فيه الشعور الانساني الخصب ..

واذا كانت الحياة : اللذة منها والالم هي الحافز الاساسي الذي يكيف التفكير والتعبير ويمدنا بالكلمة ملونة ومعبرة ومؤثرة ... فان الشعر لن يكون الا مرآة تنعكس على صفحتها اشباح الطبيعة ، الجميل منها والرهيب ، واصداء الحياة الناعم منها والناشز ، ولكل من هذه الاشباح والاصداء اطارها وابعادها وظلالها في نفس الانسان سواء كان ـ شاعرا ـ منشدا معبرا ... او ـ شاعرا ـ سامعا متأثرا متذوقا ...

والشعر كان وما يزال بين هذين يحيا في خيال هذا صورا ومشاعر والوانا ليجد طريقه الى قلب ذاك اصداء عاطفة . واطياف ذكرى .. والحان موسيقى . ونبضات شعور .. ومن هنا جاد خلود الشعر في كل اللغات لانه مرآة الطبيعة والحياة..

والشعر العربي الحديث الذي نقيس ابعاده اليوم فى المعنى . والاسلوب ، والاتجاه جدير منا بذلك . دراسة وتمحيصا لانه المرآة التي تعكس مشاعرنا افرادا وجماعات وتصور مسراتنا ومآسينا في هذه الحياة ، كما تصور الهزات الخفيفة والعنيفة التي زعزعت الكيان والمقومات ، عند ما بدأ دولاب الحضارة والثقافة يسير سيره المجنون غير متباطىء ولا منتظر ولا رحيم .. !

وقصة الشعر العربي الحديث بدأت يوم بدأت نهضة الادب العربي في مطلع القرن العشرين ... فاتجه الشعراء الى ـ القديم ـ الخالد في روائع البحتري والمتنبي وابن الرومي ، والشريف الرضي وابن الفارض وابن زيدون وابي نواس ...

كما اتجهوا الى ـ الجديد ـ المترجم في روائع شكسبير وملتن وهوجوو لامرتين ...

وكان هذا الاتجاه هو الذي سموه ـ تجديدا ـ في شعر شوقي وحافظ وصبري .. وشعر العقاد وشكري والمازني وابي شادي وشعراء ـ ابولو ـ .

لكن ابعاد هذا ـ التجديد ـ لم تكن متساوية . لا في المعنى ولا في الاسلوب ولا في الاتجاه . والفرق بين تجديد شوقي وتجديد العقاد كالفرق بين تجديد حافظ وتجديد شكري.

وكانت ـ الثقافة ـ التي يتلقاها الشاعر هي ميزان تجديده . ومقياس ابعاده . كما ان ـ نوع ـ هذه الثقافة عربية او انجليزية او فرنسية يضفي على شاعريته الذاتية ظلالا من شعراء اللغة التي يدرسها ويتادب بادبها ...

ومن هناك يمكننا ان نفسر الضجات الادبية التي كانت تثور دفاعا عن ـ التجديد ـ او حربا عليه ... لكن الشيء الذي كان منتظرا من هذه الضجات ان تتمخض عنه هو تحديد معنى التجديد في الشعر العربي الحديث تحديدا يرسم الخطوط الاولى للشعر العربي ويفصل في قضايا الوزن والقافية على الاقل .. ! وشيء من هذا لم يقع ...

وجاءت مدرسة المهاجر الامريكي لتظهر لنا ـ تجديدها ـ وابعادها المختلفة حينا والمتفقة آخر ... وكانت ـ الثقافة ـ عند هذه المدرسة هي المحرك الاساسي لابعادها في الوزن والقافية والاسلوب الشعري والموضوعات الشعرية مع عبقرية ذاتية لا مجال لانكارها عند اعلام هذه المدرسة كجبران وابي ماضي والشاعر القروي وميخائل نعيمة ...

وظلت قصة التجديد في الشعر العربي قصة غامضة الاهداف والاساليب عند اصدقائها وخصومها على السواء ... واستغل ذلك استغلالا مزريا عابثا ... ظهرت بوادره هنا وهناك .. !

ولكن رغم عبث العابثين واستغلال المستغلين ... كان هناك جد الجادين وهدف الهادفين في بناء صرح الشعر العربي الجديد والسير به نحو الغاية المتوخاة من كل تجديد يرمي الى التشييد لا الى التحطيم ...

وبحثنا هنا يرمي الى دراسة الابعاد الهادفة في الشعر العربي الحديث وابراز مظاهرها التي ما يزال بعضها براعم لم

ما هو من خصائص الشعر العربي في الوزن والقافية والموسيقى الشعرية بكل ما هو — اجنبي — عن خصائص هذا الشعر واوزانه وقوافيه وموسيقاه ... !

وهذا اغرب ما في هذه القضية واعقد ما فيها واخطر ما فيها ...

فبالنظر الى المادة الشعرية هناك — ثورة — عارمة يرسم الثائرون خطوطها العريضة بقولهم :

— سجنتم المعاني والاخيلة والافكار في قفص ضيق شائك من الاوزان وقيدتموها في سجنها هذا بقيود من القافية ... ! !

وبالنظر الى الصورة الشعرية في التعبير . هناك — تمرد — يرسم المتمردون خطوطه العريضة بقولهم :

— حرمتم الادب العربي نعمة السهولة والليونة اذا تحكمتم في اساليب الشعراء .. فاتركوهم وما شادوا من صور التعبير ... ليكون الشعر طبيعي اللغة لا تكلف فيه ولا تحكم .

وفي ظل هذه الثورة ، وهذا التمرد ، نشأت قضية الشعر المنثور او الشعر الحر كما نشأت عدة اساليب معتدلة ومتطرفة دفاعا عنهما او حربا عليهما ...

والمادة الشعرية كالصورة الشعرية لا يمكن للثائرين ولا للمتمردين ان يمحوهما بجرات اقلام ولا بصيحات هتاف لا في جدهم حينما يجدون ... ولا في هزلهم حينما يهزلون ..

والشعر المنثور او الشعر الحر .. لا يمكن ان نرمي به لجج البحر لانه غير خاضع للاساليب الشعرية المعهودة في لغة الضاد وسواء احببناه او كرهناه فانه اصبح — فنا — من فنون التعبير و — تجربة — تنتظر امتحان الايام ...

كل هذا يجب ان نعرفه لنجيب عن سؤالنا :

— ما هي ابعاد الشعر العربي الحديث في الاساليب ؟

والجواب ان المادة الشعرية ما زالت قوية في شعر المجددين الذين عرفوا طريق التجديد الحقيقي واستقامت لهم ثقافتهم الشعرية فاختاروا من الاوزان والقوافي ما لا يصدم الموسيقى الشعرية في الشعر العربي وكانت ابعادهم هنا ابعاد اختيار وانتقاء تجلت في اعطاء الموضوع وزنا وقافية يسهلان على كل من الشاعر والقارىء والسامع تتبع الصورة او الفكرة او العاطفة التي تحملها الابيات ...

وعملت هذه الابعاد عملها في — تعطيل — بعض الاوزان و — تجميد — بعض القوافي وستغلال — الضرورات — والعلل والزحاف في عدة مناسبات استغلالا مفيدا دل على براعة ودقة في مراعاة الهيكل الشعري في الاوزان والقوافي عند هؤلاء .

اما بالنظر للشعر الحر فهناك ثورة وتمرد اشرت اليهما سابقا وكان ينبغي تمشيا مع طبيعة الاشياء وقوانين الحياة ان نطرح هذا السؤال :

— هل نعتبر الشعر الحر داخلا ضمن الشعر العربي ام نعتبره — فنا — خارجا عن هذا الشعر ... ؟

واذا كان الجواب ايجابيا فلا محيص لنا عن سماع كلام النقاد في الحكم على هذه — الثورة — وهذا — التمرد — باعتبار الشعر الحر لحنا ناشزا في الحان الشعر العربي .. !

واذا كان الجواب سلبيا فيجب ان يكون للشعر الحر — خليل — آخر يرسم لهذا الفن الجديد اطارا ولا اقول — وزنا — ليكون بمعزل عن الانتقاد والتهجم من طرف النقاد المعاصرين .

وبقاء الوضع هكذا من دون جواب ليس في صالح الشعر الحر .. ولا في صالح الشعر المقيد ... ولا في صالح الادب العربي على العموم ...

والغريب في الموضوع ان بعض انصار الشعر الحر بل ومن — شعرائه — رأيناهم اخيرا يتمنون ظهور هذا — الخليل — لانهم ادركوا تهافت كل ذي قول على الشعر الحر لينال لقب شاعر جديد ! وليسمى قوله شعرا جديدا ... !

والحقيقة التي يجب الا تغيب عنا هي ان هذا — الفن — الجديد في الادب العربي يجب ان نفسح له المجال ليخوض معركة البقاء فى الوجود الادبي ...

كما انه يجب على انصار الشعر الحر ان يعرفوا الحد الفاصل بين فنهم وبين الفنون الاخرى التي خاضت معركة البقاء في الوجود الادبي منذ قرون ... فلا كبت ... ولا محو .. ولا رجعية .. ولا تطرف .. وفي الميدان الفني متسع للجميع ...

ولنختم هذا البحث بالحديث عن ابعاد التجديد في الاتجاهات .. ونعني بها الاتجاهات التي يسير الشعراء في طريقها نحو هدف معين من اهداف الحياة .

وتاتي هنا قضية — الفن للفن — وعكسها — الفن للحياة — كما تاتي قضية تطور الاتجاهات منذ نصف قرن تقريبا .

فهناك الاتجاه القومي . والوطني والاجتماعي والفني .. كما ان هناك الاتجاه — العقائدي — وابعاد التجديد في هذه الاتجاهات سطحية حينا .. وعميقة احيانا فهي سطحية حينما تردد النغمة الواحدة .. وهي عميقة حينما تتعدى النغمات المكررة الى تناول جذور الموضوعات بايمان العقل . وحرارة القلب . وانفعال الوجدان وصدق التعبير باللسان ...

وعلى كل فهناك الثمار الناضجة وهناك البراعم ... والشعر كان وما يزال مرآة الطبيعة والحياة وعلى صفحتها تظهر صورهما العابس منها والضحوك .

فاس : عبد القادر زمامة

اصبح سجلا حافلا لحياة الشعب العربي التي عاشها مصارعا في معركة البقاء والوجود والكرامة والانطلاق ..

والغريب في هذه الظاهرة انها تلقائية لم تحركها – مذاهب – اجتماعية ولا – افكار – تقدمية وانما هي مشاعر وعواطف تجدها في الشعر العربي الحديث : تجدها في الشعر الوطني كما تجدها في الشعر الاجتماعي ...

والذي ينكر هذه الظاهرة ويزعم ان الشعر الحديث يعيش في (برج عاجي) او (برج خشبي) بعيدا عن الحياة ودولابها المتحرك المتجدد ... انما ينكر واقعا لا مجال لانكاره ... وان كان ولا بد فهناك – شعراء – اختاروا لانفسهم عالم الابراج حينا من الدهر ... لكن الحياة لم تمهلهم ولم تصف لهم ولم يلبثوا ان انسجموا مع واقع الحياة بشره وخيره ... او دخلوا في خبر كان .. !

وهناك المظهر الثالث من مظاهر التجديد النامية وهو اكتمال العناصر الفنية في الشعر العربي الحديث ونعني بذلك ان الحضارة التي نعيشها والثقافة التي نفكر بها اضفت كلتاهما على الشعر حلة فنية براقة جعلت الشعراء لا يكتفون في – شاعريتهم – بما جاء عن طريق الفطرة والذوق وحدهما بل اصبحوا ينمون ثقافتهم الشعرية تنمية رجحت بعضهم كما انها شالت بآخرين ..وازرت بطائفة ثالثة حسبت انها لا تحتاج الى عناصر فنية زائدة على – الشاعرية –

واكتمال العناصر الفنية ليست مسألة ثانوية بالنسبة للشعر الحديث الذي يعيش في ظل ثقافة قسمت المعارف الانسانية الذاتي منها والموضوعي كما ربطت بين الفنون الجميلة – ومنها الشعر – وبين الحياة برباط متين من التفاعل والانسجام والتاثير ...

وقد ودع الادب الى غير رجعة شعر القوالب الجوفاء ... والقصائد العصماء ... والموضوعات المبتذلة .. كما اغلق – سوق – الشعر فلم يجد العارضون ما – يبيعون – ولم يجد المشترون ما يشترون .. ! الا في غفلات ومناسبات يمشي اصحابها على وجل واستحياء .. !

بعد عرض هذه المظاهر النامية التي هي في الحقيقة وسائل لا غايات . ولكنها وسائل فعالة لخلق الابعاد في المعاني والاساليب والاتجاهات ... ننتقل الى قياس هذه الابعاد لننظر عمقها وسطحيتها وما ذا ننتظر من الاستمرار فيها او التوقف عند حد محدود من حدودها ...

فالابعاد في المعاني الشعرية ابعاد عميقة من جهة وغنية من جهة اخرى ...

فعمقها جاء من عمق ثقافة الشعراء انفسهم فنستطيع في دراستنا للدواوين المختلفة في الشعر الحديث ان نلمس المعاني العلمية والفلسفية والفنية والاجتماعية التي عمقت المعاني الشعرية وسبكتها سبكا يتلاءم مع ما في نفس الشاعر من ظما لتوليد المعاني وتجديدها والبحث لها عن سند تستند اليه من ثقافته الواسعة ثم ابرازها بعد ذلك في قالبها الشعري الذي يبعدها بخياله وصوره والوانه عن موضوعية العلم الى ذاتية الشعر ...

ولنقرأ ديوان الشاعر الزهاوي لنرى عمق معانيه الشعرية الجديدة التي كانت صدى لثقافته العلمية واثرا من آثارها في نفسه وعقله وعواطفه الذاتية .

ولنقرأ دواوين العقاد لنرى معانيه وهي تتجاذبها الحياة اليومية والتفسيرات العلمية والفلسفية للسلوك والاخلاق والمشاعر وملابسات الحياة شقاء وسعادة وتفاؤلا وتشاؤما واستقامة وشذوذا ...

ولنقرأ ديوان مطران لنرى الهيام بالحرية تتراقص المعاني في التعبير عنه مع احتفال بديباجة تجذب الشاعر وشعره الى الاقدمين لكنها لا تلبث ان تطلقه ليمرح بمعانيه الجديدة في ميدان المجددين ..

والمعاني الانسانية الطليقة في آفاق شعر ايليا ابي ماضي عريضة الخطوط تفيض بالاشراق وتطفح بالاشعاع ، وجلها من المعاني التي لا تردد صدى الماضي ولكنها تبلور تجارب النفس في البحث عن السعادة والطمانينة والاندماج في الحياة اندماج الجزء في الكل ، والذرة في الكون ، والنقطة في البحر ...

وهل كان بامكان ابي ماضي وبعض رفاقه في المهاجر ان يحتل شعرهم هذه المكانة ؟ لولا المعاني التي لا اقول انها تمتد في عمق ، ولكنني اقول ، انها تمتد في عرض وتتسع حتى تحتضن الانسان في ابعاد عقله وروحه وعواطفه وسلوكه الخاص والعام في هذه الحياة .

ولعل الشعر العربي كان سعيد الحظ الى ابعد حد بهذه الثروة من المعاني التي امده بها الشعراء الجدد ... ومن هنا كانت ابعاد المعاني اعمق من ابعاد الاساليب والاتجاهات .

ولن اضرب الامثلة ولن اقدم منتقيات من دواوين الشعراء الذين ذكرتهم او الذين طويت الحديث عنهم ... لان المفروض في قارىء هذا البحث انه على خبرة بالدواوين الشعرية الحديثة .. وعلى اطلاع كاف على النماذج والامثلة ...

ولننتقل الى الحديث عن الاساليب ونعني بها شيئين :

— المادة الشعرية في هيكل الاوزان والقوافي

— الصورة الشعرية في التعبير الجزل القوي او الركيك المائع ... او السهل المقبول .

وهنا ايضا تأتي قضية الثقافة وقضية الذوق الشعري واللغوي عند الشعراء المحدثين كما تاتي – مشكلة – ربط كل

استقام هذا الاسلوب وتجرد مما علق به منذ زمان من تعقيد وتشعب وطلاسيم في بعض الاحيان ـ لامكن للمبادىء الاسلامية أن تعرف على حقيقتها ، وأن تكون أكثر تأثيرا وأقوى فعالية في تقويم السلوك ، وتهذيب الاخلاق ، ومقاومة الانحراف والتعريف بالاسلام تعريفا تتفتح لـه الصدور المغلقة وذلك عن طريق عرض صور اسلامية من تاريخ الاسلام وتأليف الاقصوصة السلسة في اسلوبها والمفيد في عبرتها وبواسطة الدراسة المركزة المرتبة التي « تنظف » الموضوع الاسلامي من كل ما قد يكون عالقا بـه مـن حشو واستطراد وخلافات وتأويلات وأساطير في بعض الاحيان .

واني افضل الاكتفاء بهذا التعقيب على كل ما يحتوي عليه بـاب الدراسات الاسلامية من مقـالات وابحـاث موثـرا وسيلـة « الجملـة » على وسيلـة « التفصيل » ، ثم انني لا ادري هل ان كلمة الاستاذ الرحالي الفارق في العدد الماضي كان يمكن ادراجها في باب الدراسات الاسلامية أم انه كان من الاولى أن تاخذ مكانها في باب الابحاث والمقالات .

وننتقل الى باب الابحاث والمقالات وهو يبتديء بمقال « الثقافـة في خدمة الجميـع » لكاتب هـذه السطور ، ولا يجمل بي أن أزن لنفسي بنفسي حتـى لا اكون مثل ذلك الثقيل الذي روي عنه انه قال فـي يوم من الايام وهو يفخر بقومه وبنفسه :

ومنا الكريم ومنا الفني ✽ ومنا الشجاع ومنا « انا »

وثاني الاثنين في هذا الباب مقال للدكتور عبد الله انيس الطبـاع وهو يتنـاول موضـوع العنصـر الاسلامي فى الكوميدية الالاهية ، والموضوع قديم يرجع تاريخه الى ازيد من عشرين سنة خلت ، ولئـن صح ما في ذاكرتي فان المرحوم الاستاذ عبـاس محمـود العقاد كان أول من بحث في هذا الموضوع وذلك فـي دراسة نشرت في بعض الطبعات التي انجزت لرسالة الغفران ، ولئن صح ما تزال تعيه ذاكرتي كذلك فـان الاستاذ العقاد كان قد جزم بأن الشاعر الايطالي دانتي تأثر بالعنصر الاسلامي في الكوميدية الالهية ، مستدلا على ذلك بأكثر مما استدل به الدكتور انيس .

ويأتي بعد هذا بحث « ولا اقول مقال ـ للاستاذ زنيبر في موضوع : نجيب محفوظ الذي يعد بحق كاتبا موضوعيا في مجتمع كالمجتمع العربي ، ما احوجه الى الواقعية والموضوعية ، وانه اذا كـان من الاحسن تأخير « وزن » هذا البحث الى ان ينتهي به كاتبه الى نهايته ـ فانه لا يفوتني أن أنوه هنا « بحسن الهضم » ـ ان صح هذا التعبير ـ الذي يبدو من خلال القسمين اللذين نشرا لحد الان من هذا البحث القيم .

والاستاذ عيسى فتوح اسهم في العدد الماضي من دعوة الحق بمقال « الالهام في الادب » وابى الا ان ينص في حاشية مقاله على انه يعتبر كلمـة الالهام مرادفة لكلمة الوحي ، ولا أعتقد شخصيا ان في هـذا الترادف بعض الصواب ، ذلك لان الوحي وحي يوحى، اي يجب أن يكون هنالك ملقن وملقن كمـا ورد فـي تعريف الاستاذ فتوح نفسه للوحي ، اما الالهام فانـه يحدث من غير تلقين ، لانه عبارة عما يمكن أن نسميـه بخلوة فكرية تنتهي بالهام ، وذلك حينما يتفتح الذهن عن الفكرة التي يكون في خلوة من اجلها .

وكلمة الالهام في اعتقادي أنسب للادب من كلمة وحي ، لان الالهام لا يلقن في حين ان الوحي يلقن ان لم يكن لغة فاصطلاحا . ومن تم يكون مقال الاستـاذ عيسى فتوح تناول الالهام في الادب وبقـي عليـه أن يسوق بعض الحالات من جولات الملهميـن .

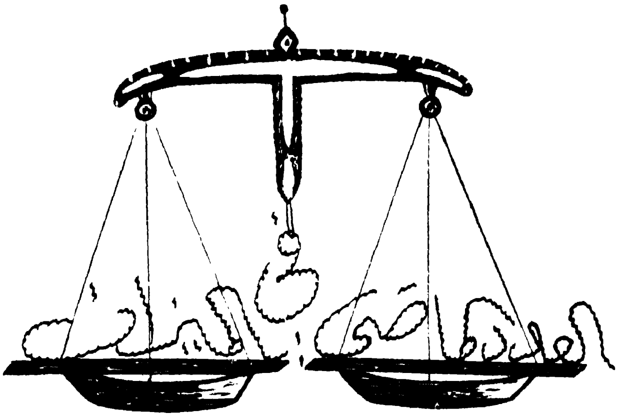
وننتقـل مـن الالهام في الادب الى الدراسات الادبية وأهميتها للاستاذ عبد اللطيف احمد خالـص ، ويتراءى لي ان الصديق الكريم قد خلط في مقاله فيما بين الدراسات الادبية والتأليـف الادبـي ذلك لان التأليف هو غير الدراسة ، ولان جمع الانتاج هو غيـر تحليله تحليلا مستفيضا وعميقا ويبدو هذا الخلـط من الامثلة التي ساقها الاستاذ خالص على انها تدخل في باب الدراسات الادبيـة ، بينما هـي في الواقـع ينبغي أن تنضوي تحت باب التأليف .

واني غير متفق مع حضرة الكاتب فيمـا ذهب اليه من أن دور الدراسات الادبية قـد « ينحصر في احياء فضول الاطلاع في نفوسنا ودعوتنا الى الرجوع الى هذه المآثـر الخالـدة » .

ذلك لان مثل هذه الدعوة يمكن القيام بها عـن طريق الاحياء والجمع والتأليف وعن طريق الدراسات المركزة والمفصلة التي تمارس في نطـاق الاسلـوب العلمي ، الذي يحلل ويعلل ويستنتج ويضع المآثر في الغـربـال .

وكتب الاستاذ عبد المنعم خفاجة عن شاعـر الاندلس ابن هانيء ، والمقال المشار اليه عبارة عـن ترجمة لهذا الشاعر ، اكون على حـق ان قلت انهـا لا تحمل عنصرا جديدا .

ولم يخل العـدد الماضي من العنايـة بشأن التصوف وذلك بفضل « النظرة » التي القاها السيـد عبد الحق حموش على تائيـة ابن الفارض ، وبهـذه المناسبة أخذ الاستاذ عبد الحـق يبحث عن أصـل واشتقاق كلمة « التصوف » تلك الكلمة التي وقـع حولها شيء غير قليل من التأويل والتضارب في بعض





للاستاذ : احمد زياد

طلع سهمي بأن تكون مشاركتي في هذا العدد من مجلة « دعوة الحق » تتسم بشيء غير قليل من ثقل المسؤولية . اذ لا اصعب من أن يعهد الى كاتب بأن ينصب الميزان ليوفي المكيال والميزان بالقسط ، وذلك من غير ان يبخس الناس انتاجهم ، غير ان المسؤولية حين ما توضع كتكليف فلا بد من قبولها كمسؤولية .

وها انا احاول ان اوفي المكيال والميزان بالقسط من غير ان ابخس الناس انتاجهم حتى لا اكون مندرجا في عقد اولئك المطففين الذين اذ اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون .. اولئك الذين اوعدهم الله سبحانه مهددا اياهم بالويل .

لقد كان العدد الماضي من « دعوة الحق » اجمالا واختصارا دسما في دراساته وابحاثه ، موضوعيا في مقالاته ومناقشاته ما في ذلك من شك. واذا كانت هنالك ملاحظات يمكن التعقيب بها على مختلف المواضيع التي يتألف منها ذلك العدد ، فان هذه الملاحظات لاتتعدى الشكليات في اغلب الاحيان ، كما انها لا تتعدى جانب « الاخراج » على حد تعبير المسرح والسينما ، وذلك في احايين اخرى .

ولنبدا بما ينبغي البدء به ، وهو المقال الافتتاحي، فالموضوعان اللذان تناولهما ذلك المقال يعدان من قضايا اليوم واحاديث الساعة ، الا انه كان يحسن أن يكون الحديث عنهما متساويا ، **اذ الملاحظ أن الكلام عن حدث الاستقلال كان اقل بكثير من الحديث عن** قضية الكتاب العربي في حين أن موضوع السيف ، كان ينبغي أن يكون مساويا لموضوع القلم على أقل تقدير ــ والا فان السيف أصدق أنباء من الكتب كما قيل .

وياتي بعد الافتتاحي باب الدراسات الاسلامية ، وبالمناسبة : فانني لا أعد متحيزا في القول بأن « دعوة الحق » تكاد تكون هي المجلة الوحيدة في المغرب العربي وفي افريقيا التي تعنى بمثل هذه الدراسات الا أن هذه الدراسات يكون تأثيرها أقوى ومفعولها أجدى لو أن الاسلوب الذي تكتب به كان هو غير هذا الاسلوب الفقهي المعقد في بعض الاحيان ، والمليء بالنصوص والشواهد الجافة في احايين اخرى ، فمبادىء الاسلام كاصول ، تحتاج الى التصرف فيها وتكييفها واخراجها بأسلوب سلس في شكل صور وأقاصيص اسلامية من مثل هاتيك التي كان ينشرها الاستاذ علي الطنطاوي في « رسالة » الزيات أو من مثل ما كان ينشره الاستاذ الرافعي في نفس المجلة ، وما يزال كتاب « وحي القلم » للرافعي يحتفظ بهذه الصور الرائعة والمؤثرة التي تتبلور فيها الروح الاسلامية بمثلها وقيمها .

واقترح على أسرة « دعوة الحق »تقديم نماذج من هذه الصور الى قرائها ليستشفوا من خلالها روح الاسلام وعظمته وقيمه ومثله العليا وليستشف من خلالها كذلك الكتاب المختصون الاسلوب الذي ينبغي ان يهيمن على الدراسات الاسلامية ، واعتقد أن ازمة التبشير بالاسلام آتية من أسلوب هذا التبشير ، فلو

واسبابـه » ، وهو مقال تربوي مبسط الا انـه كـان من الاحسن الا ياتي عند ترتيب مواد المجلة في أعقاب الكـلام على الـذرة .

وبعد هذا ينفتح أمامنا باب « ديـوان المجلـة » محتويا على مختارات من شعرنا القديم ، وعلى ثلاثـة قصائد من شعرنا الحديث ، وأولى هـذه القصائـد للشاعـر محمد البوعنانـي ، اسماها « الضميـر السكران » واختار لها قافية « عاريـة » والواقع ان القصيدة تعتبر لغة واسلوبا من الشعـر الرصيـن الاصيل وهي بين التشاؤم والتفاؤل .

وتأتي بعدها القصيدة الثانية للشاعـر ادريس الجاي في عيد الاستقلال ، وادريس الجاي شاعـر بطبعه ما في ذلك من شك وهو من « قدماء المحاربين » الا اني اقترح عليه أن يجنب قصائده كلمات : الركـل واللطم والصفع حتى لا يتغلب مشهـد الملاكمـة على الصورة الشعريـة .

اما ثالثة القصائد فهي « غريب على الاحبـاب » للشاعر محمد العلمـي ، ويبـدو أن السيد العلمـي تشاءم اكثر من اللازم ، حتى انـه تنبأ لنفسه بأنـه سيشوى وذلك حينما قال :

اعيـش على جمـر الفضـا متقلبـا
وفي لهب الذكرى القريبة قد اشـوى

وانه ليعـز علينـا ان يشوى بعض شعرائنا، فلتشو الخرفان بدلهم ، وفداء لهم .

وننتقل من ديوان المجلة لنعرج على « معـرض الكتب فيهـا » وفيه يقدم الاستاذ عبد القادر زمامـة كتابين ، احدهما عن شعر الخوارج ، والاخـر عـن الامثال ، وكنت أود أن ينتهز الاستاذ زمامة فرصـة الحديث عن بلاغة امثال العربية فيقدم نماذج منها من « كتاب الامثال » للميداني ، وبعد ذلك نصل الى قصة العـدد أو اقصوصة العـدد أو صورة من حياتنـا الاجتماعية بأصح تعبير ، وفيها يقدم السيد احمـد عبد السلام البقالي صورة عادية عن الحياة الاجتماعية في البادية المغربية ، وياتي بعد ذلك باب « فتـاوي دعـوة الحـق » وهو يتناول موضوعا خطيرا لا يمكن اشفاء الغليل فيه بفتوى عابـرة ، وانما بواسطـة دراسات اجتماعية معززة بالاحصائيات والمقارنـات تبين ما لتحديد النسل وما عليه ، وايهما اكثر استئذانا من المجتمعات وخصوصا منها المتخلفة ، ثم يختتم العدد الماضي بالبريد والانباء الثقافية التي تقدم دعوة الحق فيها الى القراء أهم الاحداث الثقافية في العالم كله .

وبعد فأرجو أن اكون قد قدرت المسؤولية فـي عملية الوزن ، وارجو ان اكون قد وزنت وبالقسطاس المستقيـم .

الرباط : احمـد زيـاد

فـوضـى ! ! !

اجمعـوا امـرهـم عشـاء فلمـا
اصبحـوا ، اصبحـت لهـم ضـوضـاء
مـن منـاد ، ومـن مجيب ، ومـن تصـ
ـهـال خيـل ، خـلال ذاك رغـاء

الحارث بن حلزة

الاحيان . انا شخصيا ، فاني اختار التعريف الذي وصف الرجل الصوفي بأنه « من لبس الصوف على الصفا وتبع طريق المصطفى وكانت الدنيا منه على القفا »

ونلتقي بعد ذلك مع ابي الفتح الاسكندري بطل المقامات البديعية في مقال للدكتور فيكتور وابو الفتح الاسكندري شخصية تشبه شخصية ابى زيد السروجي في المقامات الحريرية .

اما الاستاذ محمد بن تاويت فانه اختار ان يكتب مقاله في « سوف لا ، وهل لا » وهو مقال يندرج فيما كتبه الحريري في « ذرة الغواص فى أوهام الخواص » على انني لا ادري هل ما يزال العصر والظروف تسمحان بمثل هذه الصرامة في اللسان العربي أم لا . ولعله من الاحسن ان نتساهل في هذا الباب ما دام الامر لا يمس جوهر اللغة العربية ، حتى لا يجد خصوم التعريب مبررا من هذه الصرامة يشنعون بواسطته على اللسان العربي ، ويقولون عنها ما يقولون من انها « غول » وبعد هذا نكون قد وصلنا الى « ساحة الميزان » في العدد الماضي ، وقد تولى عملية الوزن فيه الاستاذ العربي الخطابي حيث سلك فيه مسلك علل النحويين فشم ولم يفرك ، الا انه ـ مع ذلك لم يفته أن يسجل بعض الملاحظات القيمة على ما نشر في ذلك العدد .

والاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ خصص مقاله في العدد الماضي لبعض الوثائق التي اكتشفت في الاعوام الاخيرة ، وظهرت الى الوجود والتي يرجع تاريخها الى عهد الموحدين وهذه الوثائق تتمثل في بعض الرسائل التي كتبها اشهر الكتاب وفي طليعتهم جعفر ابن عطية الذي يتميز نثره بطابع خاص يشبه احيانا في اسلوبه طريقة ابى حيان التوحيدي .

ثم يقدم الينا الاستاذ البحاثة محمد المنوني « الامبراطورية الموحدية في دور الانحلال » ولئن كان هذا الموضوع يكون موضوع بحث منفرد ومستفيض فان سعة الاطلاع التي عرف بها الاستاذ المنوني كان من الممكن معها اختصار هذا الموضوع ولو فى مقال .

ان معركة وادي المخازن تكون حدثا بارزا ومهما في تاريخ المغرب ، فاذا راينا الاستاذ عبد الله العمراني يخصها بهذه الدراسة التحليلية التي نشرت على قسمين في « دعوة الحق » فلانها اصبحت حدثا بعد عن جدارة من « امجادنا الوطنية » ، ويبدو ان الاستاذ العمراني قد سلك سبيل الدراسة العلمية الذي ميز بحثه القيم عن سبيل نقل النصوص المجردة وكما هي .

وتناول الاستاذ ابراهيم حركات « نظم الحكم على عهد الوطاسيين » وقد أحسن صنعا حينما بوب هذه النظم وركزها ثم اختصرها ، وتلك هي الطريقة الكفيلة بغربلة تاريخ المغرب وتجريده من الحشو الذي يشوش ويمل ولا يفيد .

ثم نلتقي بعد هذا مع الاستاذ مصطفى الغربي فى مقاله عن « الحمايات الاجنبية ، واثرها في ماضينا القريب » وهو اثر كان فظيعا في بعض الاحيان ، كما أنه كان يبدو سخيفا في احايين اخرى ولئن كان من الطبيعي التنديد بسماسرة الاجناس الذين كانوا « يبيعون » هذه الحمايات فان دواعي الانصاف تقضي كذلك بتوجيه اللوم بل والتوبيخ الى اولئك المواطنين الذين كانوا يشترون الفطرسة الاجنبية بثمن التخلي عن قوميتهم .

ونعود بعد هذا المقال الى شؤون الحديث .

وذلك في مقال الاستاذ حسن السائح عن « خصائص المدرسة الحديثية في المغرب » ، والواقع أن الاستاذ السائح قد تناول في مقاله موضوعين اثنين ، هما منهاج المدرسة الحديثية المغربية ، ومنهاج السيرة النبوية ، في حين ان الاستاذ محمد بن عبد الله يتناول شخصية الاستاذ محمد السائح والد الاستاذ حسن السائح ، والفقيد يعد من خيرة الائمة المشاركين ، وفيما كتبه الاستاذ محمد بن عبد الله صورة حية لهذه المشاركة واسعة الارجاء .

وهنا نصل الى الصفحة الواحدة والثمانين من مجلة دعوةالحق لنطلع على « شؤون الوقت » والاستاذ المهدي البرجالي هو الذي تعود أن يتناول « شؤون الوقت » في هذه المجلة ، وبحثه في العدد الماضي عن « الجامعة الذرية الاوربية واصولها الدولية وتطورها وآفاقها المستقبلة » .

وكان بودي أن يقع التعريف بالجامعة الاوربية الاقتصادية قبل الجامعة الذرية لما اصبح للاولى من تأثير ملحوظ في اقتصاد القارة الافريقية ، ثم ان الاقتصاد ، قبل ذلك هو الذي اصبح الآن الموجه الحقيقي للشؤون الدولية ، بل وحتى للذرة نفسها .

ومن الذرة ننتقل الى الاسرة وذلك في مقال السيدة فاطمة التهامي عن « تطور وظائف الاسرة

مدن وحصون ، زيادة على القرى والبروج التي تزيد على 300 (12) ، وكان الحد بينه وبين المملكة النصرية هو حصن ذكوان بمقربة من مالقة (13) .

كما ان يوسف بن يعقوب بسط نفوذه على نواحي كثيرة من القطر الجزائري (14) ، وفي بعض ايام ابي الحسن توحد المغرب العربي تحت قيادته من السوس الاقصى الى مسراته قرب الحدود المصرية ، زيادة على انفساح هذه المملكة الى (رندة) بالاندلس (15) .

وفي ايام ابي عنان بن ابي الحسن برقت بارقة لاستعادة وحدة المغرب العربي ثم سرعان ما خبت (16) .

أما الفترة الواقعة بعد عهد ابي عنان الى نهاية الدولة فلم يحدث فيها امتداد منظم نحو شرق المغرب ، ولا يستثنى من هذا سوى غارات عابرة ارتجلها ملوك وحكام مرينيون (17) .

* * *

وقد امتدت قوة الدولة المرينية حتى ايام ابي الحسن ، ثم اخذت في التراجع تأثرا بعدة عوامل: فهناك الضعف الذي نزل بالجيش بعد موقعتي طريف (18) والقيروان (19) ، حيث انقطع العبور المريني الى الاندلس ، وفشلت محاولة استعادة الامبراطورية الموحدية في شمال افريقيا .

وهناك ــ بدأ تفوق دولتي اسبانيا والبرتغال في القوى البحرية والبرية (20) ، وهناك ــ مرة ثالثة ــ العواقب الخطيرة التي نجمت عن وباء 749 / 750 ــ 1348 ، وفي المقدمة (21) وصف دقيق لاثار هذا الوباء الذي اصاب المغرب والشرق معا ، وفيما يخص عواقبه في الامم الغربية ، يذكر ابن خلدون انه « تحيف الامم ، وذهب باهل الجيل ، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها ، فقلص من ظلالها ، وفل من حدها ، واوهن من سلطانها ، وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها ، وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر ، فخربت الامصار والمصانع ، ودرست السبل والمعالم ، وخلت الديار والمنازل ، وضعفت الدول والقبائل ، وتبدل الساكن ! » .

هكذا يصف ابن خلدون عواقب هذا الوباء التي ساوقت ــ بالمغرب ــ ضعف القوة المرينية وتفوق جيرانها ، فكان من ذلك كله التراجع الذي نزل بالدولة ، والذي لم يظهر كثيرا في ايام ابي عنان ، وانما ظهر بعد وفاته ، حيث دخلت الدولة في فترتها الثانية .

وقد كان من نتائج ضعف الدولة في هذه الفترة ان تعرض عدد من الملوك المرينيين للحجر من طرف الوزراء او الحجاب (22) ، كما صار للملك النصري محمد الغني بالله تدخل في سياسة المغرب الداخلية اثناء هذا الدور (23) ، مما ادى الى اضافة سبتة

---

12) « الذخيرة السنية » ص 98 .
13) « روض القرطاس » ص 284 .
14) المصدر الاخير ص 284 .
15) « العبر » ج 7 ص 270 .
16) المصدر الاخير ج 7 ص 296 / 298 / 301 / 302 .
17) نفس المصدر ج 7 ص 302/303/311/328/348/349/361/362 .
18) هي موقعة « ريو سالادو » التي يقول عنها ابن الخطيب في الاحاطة : (وبالجملة فهذه الواقعة من الدواهي المعضلة الداء والارزاء ، التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب وقرت لها عيون الاعداء) « شذرات الذهب » ج 6 ص 128 ، ومن بين المصادر التي تحدثت عن هذه الموقعة « العبر » ج 7 ص 261 / 262 .
19) من المصادر التي تحدثت عن موقعة «القيروان» « العبر » ج 7 ص 273 / 276 .
20) الاستقصا ج 2 ص 155 / 156 .
21) ص 27 .
22) انظر العبر ج 7 ص 299 / 312 / 317 / 336 مع الاستقصا ج 2 ص 144 / 150 .
23) العبر ج 7 وبالخصوص : ص 349 مع الاستقصا ج 2 وبالخصوص ص : 134 .

تعريف بالدولة المرينية

للأستاذ : محمد المنوني

لم يتوفر المرينيون على القوة والنظام اللذين كانا لدى الموحدين ، وهذا من الاسباب التي جعلت بني مرين لا يستطيعون استعادة المملكة الموحدية بشمال افريقيا والاندلس ، وانما توزعت هذه الامبراطورية – حسب المقال السابق (1) – بين الحفصيين بتونس وبني عبد الواد بالجزائر .

اما في الاندلس فقد تقاسم معظم القواعد الاسلامية بها القشتاليون والقطلانيون ، وآلت رقعة صغيرة في الجنوب الى بني الاحمر ابتداء من سنة 629 (2) – 1231 .

وبهذا لم يبق قارا للمرينيين سوى المغرب الاقصى الذي ابتدا ظهورهم به اواخر سنة 613 / 1216 (3) ايام الامير الاول عبد الحق بن محيو ، ثم قامت الدولة بصفة حقيقية سنة 616 – 1219 ، في عهد عثمان بن عبد الحق (4) ، وفي ثاني محرم 668 – 1269 ، استولى يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش حيث انقرضت الدولة الموحدية (5) ، ومن بعد هذا الحادث اخذ يعقوب يتلقب بأمير المسلمين بدل لقب « الامير » الذي كان يدعى به (6) ، لما كان هو ومن تقدمه من المؤسسين الاولين يقيمون الدعوة للموحدين ثم للحفصيين القائمين بتونس (7) .

ثم تابع يعقوب الاستيلاء على ما تبقى من الجهات خارجا عن نفوذه الى ان اتسق له سائر المغرب الاقصى ، بما في ذلك المغرب الشرقي والساقية الحمراء (8) ، مع سبتة التي ابقاها في ولاية العزفيين مقابل ضريبة سنوية للخزينة المغربية (9) ، ثم اندمجت – بعد – في حظيرة الوطن الكبير اواخر عهد ابي سعيد الاول سنة 728 / 1328 (10) .

وقد امتدت المملكة المغربية ايام ابي سعيد هذا في الجنوب الى معاقل الصحراء وقصور توات وتيكورارين وتنمطيت (11) .

كما امتد المرينيون في فترات خارج المغرب الاقصى ، فامتلك يعقوب الاندلس 53 مسورا ما بين

---

1) « دعوة الحق » العدد الثاني ، السنة الثامنة .
2) « العبر » ج 7 ص 190 – « روض القرطاس » ص 197 .
3) « الذخيرة السنية » ص 25 – «روض القرطاس » ص 205 .
4) « الذخيرة السنية » ص 35 – « روض القرطاس » ص 207 .
5) « الذخيرة السنية » ص 133 .
6) المصدر الاخير ص 134 .
7) « المقدمة » لابن خلدون – المطبعة البهية بمصر ص 200 .
8) « الذخيرة السنية » ص 98 – « روض القرطاس » ص 214 – « العبر » ج 7 ص 206 .
9) « الذخيرة السنية » ص 98 – « روض القرطاس » ص 214 .
10) « العبر » ج 7 ص 247 .
11) المصدر الاخير ج 7 ص 244 .

وايضا تتجلى قيمة هذا العصر في العمل القيم الذي اسهم به المغرب ـ حكومة وشعبا ـ في بعث الحضارة الاسلامية بعد ما كادت تقضي عليها عواصف الحروب الصليبية فى الغرب (39) ، وفي الشرق الذي اصيب ـ اكثر ـ بكارثة النسف التتري لسائر مظاهر الحضارة والعمران في اكثر جهاته (40) .

وان هذه العواصف التخريبية التي طافت بالمغرب والمشرق معا كانت احد الاسباب لقصور الحضارة المرينية عن الحضارة الموحدية .

ومن مزايا العصر المريني انه استطاع ان يؤخر كارثة الاندلس بنحو قرنين من الزمن لما بذل المغرب من دفاع مجيد عن الاندلس .

وبعد هذا فان المغرب مدين لعظماء المرينيين بما قاموا به من انعاشه بعد الخراب والفوضى اللذين خيما على ربوعه في اعقاب العصر الموحدي حيث انتكست الحضارة المغربية انتكاسا .

وقد كان اول ما بداوا به هو اعادة اقرار الامن بالمغرب ، قال في « البيان المعرب » (41) لما ذكر قيام بني مرين :

« ... فما قدموا عملا من الاعمال قبل تمهيد البلاد ، والضرب على ايدي اهل الضرر والفساد ، فأمنوا السبل ، وسدوا الخلل ، فاتسعت احوالهم ، وانبسطت آمالهم ، فصار اهل تلك البلاد يعظمونهم غاية الاعظام ، ويعاملونهم بالبر والاكرام » .

وبعد استقرار الامن بالبلاد اخذوا في تنفيذ برامجهم في الدفاع عن الاندلس ، وقد كان نجاحهم ـ اكثر ـ فى تشجيع العلم واقامة معالم العمران . وبذلك كله حققوا كثيرا من الآمال التي كان المغاربة يعلقونها على هذه الدولة الجديدة ، والتي عبر عنها الشاعر المغربي الكبير مالك ابن المرحل اثناء قصيدة (42) قدمها ليعقوب بن عبد الحق في التهنئة بفتح مراكش ، وقد بث فيها الآمال التالية :

من سنة الله ان يحيي خليقته
على يديك وان يكفيهم النقما
وان يقيم بك الاسلام من اود
وان يديم بك الاحسان والنعما

الرباط : محمد المنوني

---

39) في خصوص الكتب العلمية يسجل في « الذيل والتكملة » اثناء ترجمة ابي المطرف ابن عميرة : ان المسيحيين ابتذلوا ذخائر دواوين العلم اثناء استيلائهم على قرطبة وكثير من بلاد الاندلس سواها « نسخة المكتبة الملكية » بالرباط ج 1 رقم 269 .

40) من المصادر التي تحدثت عن غارة التتر وآثارها « الكامل » لابن الاثير ج 12 ص 137 / 139 / 145 . وقد عاصر مؤلفه هذه الحادثة ، وانظر ـ ايضا ـ الذخيرة السنية ص 55 ، وتاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي ص 26 .

41) ج 4 ص 408 ـ الطبعة الاولى بتطوان .

42) القصيدة واردة في الذخيرة السنية ص 135 / 137 .

قال : « العتبي » لرجل من البادية (يا أخي ، اني لاعجب من أن فقهاءكم أظرف من فقهائنا وعوامكم أظرف من عوامنا ، ومجانينكم أظرف من مجانينا)

فقال الرجل : (وما تدري لم ذاك ؟) فقال : (لا) قال : (ذلك من الجوع ، الا ترى ان العود انما صفا صوته لخلو جوفه) .

للاندلس واقتطاعها من المغرب (24) الذي استطاع ان يسترجعها — بعد — لحظيرته (25)، وفي هذه الفترة — ايضا — تنازل الوزير المتغلب عمر ابن عبد الله الياباني عن مدينة رندة بالاندلس لفائدة الغني بالله ابن الاحمر وقت عزله عن الملك وفراره، وذلك اواخر سنة 762 — 1360 (26)؛ وبعد هذا تم للغني بالله — بعد عودته الى ملكه — الاستيلاء على جبل طارق فمحا بذلك دعوة بني مرين مما وراء البحر (27).

ومن العواقب الوخيمة لهذا الانحلال ان تعرض المغرب اواخر العهد المريني لاحتلال بعض شواطئه فاستولى البرتغال على مدائن سبتة 818 / 1415 (28) وقصر مصمودة القصر الصغير (29) 863 — 1458 ثم طنجة 869 — 1364 (30) وهو التاريخ الذي انتهت فيه الدولة المرينية في 27 رمضان بعد ما استمرت 253 عاما.

* * *

وكانت عاصمة الدولة المرينية هي فاس التي ابتنى يعقوب بن عبد الحق غربيها المدينة البيضاء « فاسا الجديد (31) » مقر الجهاز الحكومي للدولة.

والى جانب العاصمة المركزية توجد مدن اخرى بمثابة عواصم ثانوية، ولهذا ابتنى بها الملوك المرينيون قصبات خاصة، فقد اسس يعقوب بن عبد الحق القصبة المرينية شرق مدينة مكناس (32)، وبالاندلس ابتنى نفس الملك البلد الجديد على الجزيرة الخضراء (33) وهو الذي يسميه ابن مرزوق (34) « البنية » وبنى يوسف بن يعقوب مدينة « المنصورة » بجوار تلمسان (35) ثم بنى ابو سعيد الاول على سبتة: القصبة المسماة « افراك (36) »، وجدد ابو الحسن بنيتي تلمسان وسبتة حيث اطلق على كل واحدة منهما اسم « المنصور » (37).

* * *

اما اهم المدن المغربية في العهد المريني فهي حسب مركزها الاقتصادي انذاك:

فاس ومراكش، سجلماسة، مكناس، سبتة، اسفي وانفا، وسلا والرباط، طنجة وتازى، اغمات، ازمور (38).

وبالرغم من كون المرينيين لم يوفقوا في تحقيق كل برامجهم فان اهمية عصرهم تبدو في الطابع القار الذي طبع به المغرب في كثير من مظاهره:

فالى العصر المريني يعود التنظيم الجديد لشمال افريقية حيث تأسست الدولة المغربية تاسيسا جديدا. والى هذا العصر يرجع استقرار كثير من العادات والتقاليد المغربية وتنسيق التشريع المغربي.

24) العبر ج 7 ص 350.
25) المصدر الاخير ج 7 ص 354.
26 نفس المصدر ج 7 ص 317.
27) نفس المصدر ج 7 ص 339.
28) الاستقصاء ج 2 ص 147.
29) المصدر الاخير ج 2 ص 149.
30) نفس المصدر ج 2 ص 150.
31) الذخيرة السنية ص 186 / 187 — روض القرطاس ص 232 — العبر ج 7 ص 195.
32) الذخيرة السنية ص 188 — روض القرطاس ص 295.
33) روض القرطاس ص 264 / 273.
34) « المسند الصحيح الحسن » الباب الاول.
35) روض القرطاس ص 254 — العبر ج 7 ص 221.
36) العبر ج 7 ص 247.
37) انظر المسند الصحيح الحسن — الباب الخمسون.
38) قطعة من « مسالك الابصار » لابن فضل الله العمري تشتمل على قسم الممالك من الكتاب، وتقع اول مجموع، ورقة 106 ب — « نسخة خاصة ».

اما اهم مركز استقر به الموريسكيون ، فهو الرباط وسلا ، حيث قاموا بنشاط عظيم في غزو البواخر الاجنبية والاستيلاء عليها .

وكان المغاربة يطلقون على جميع المسلمين واليهود القادمين من الاندلس ، نسبة الاندلسيين . وعلى أي حال ، فان الموريسكيين كانوا على جانب عظيم من الحضارة ، وكانوا متفوقين في الميدان العسكري والعمراني . وقد قدموا الى المغرب وغيره من الاقطار الاسلامية يحملون شعورا مزدوجا بالحنين الى وطنهم الاصلي ، مع التمسك بدينهم وتقاليدهم وكان اختلاف الاوضاع الاجتماعية عما ألفوه في اسبانيا يحدو بهم الى حب الانعزال والتكتل وكراهة الخضوع لغيرهم . وكانت لهم مهارة خاصة في الفلاحة والصناعة ، وبفضلهم ، نمت حاصلات اسبانيا الزراعية ، ومنتجاتها الصناعية من ثياب واوان وزجاج وزيت وغير ذلك مما كانت هذه البلاد تصدره الى الخارج ، حتى ان اسبانيا بعد طردها للموريسكيين قدتأخرت كثيرا فيزراعتهاوصناعتها ، ولولاالذهب الذي درته عليها امريكا لازدادت انحطاطا . ومهما يكن من شيء ، فقد استمرت في تقهقر ملحوظ الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث لم تنهض من سباتها الا بفضل الموارد التي جنتها من حركة السياحة كما هو معلوم .

وقد استخدم الملوك السعديون كثيرا من الموريسكيين في الجيوش المحاربة في السودان والمغرب ، على الرغم من انهم لم يقيموا على اخلاص دائم للدولة .

نشأة جمهورية أبي رقراق

كان القادمون من الموريسكيين الى البلاد الاسلامية :

1 من بلنسية وهم اول من قرر في حقهم الطرد سنة 1609 .

2 من قشتالة ، واسترامادور . وكان من القادمين الى المغرب من هذه الناحية الاخيرة موجة وردت من حرناشو Hornacho وهي مدينة صغيرة في الجنوب الشرقي لماردة . وكانوا يزورون العملة الاسبانية وغيرها . ولما خشوا من معاقبة محاكم مدريد ، هاجروا طواعية الى الرباط فاستقروا به اواخر سنة 1018 (1609 م) ـــ 3 من ارغون وجنوب الاندلس سنة 1019 (1610 م) ـــ 4) من قطلونيا سنة 1020 (1611 م) ـــ 5) من مرسية 1023 (1614 م) .

وقد استقر الحرناشيون بقصبة الأوداية ، وانضموا بذلك الى الجالية الاندلسية التي هاجرت اليها من قبل ، ثم استقدموا موريسكيين آخرين من مختلف نواحي المغرب ، وعمروا مدينة الرباط كما استقر عدد منهم بسلا .

وكان الحرناشيون ذوي ثروة ضخمة ، ومهارة في استعمال الاسلحة النارية ، مما جعل زيدان ابن المنصور ، يجند منهم حوالي اربعمائة ، لمحاربة أبي حسون في ناحية درعة . وبما انه ابطأ في اداء رواتبهم، فقد فروا من الجيش عائدين الى الرباط وسلا . وقد بدأوا يباشرون القرصنة في المحيط الاطلسي بمجرد استقرارهم ، ويقدمون عشر مواردهم الى السلطان زيدان الذي اعترف لهم بهذه الطريقة ، بمباشرة القرصنة ، ولكن عدم مساعدتهم له عسكريا ، جعلته يلجأ الى تسليط أبي عبد الله العياشي عليهم .

وفيما يخص طريقة الحكم بالرباط ، فقد كان الاندلسيون قبل قدوم الحرناشيين يقبلون سلطة القائد الذي تعينه الدولة ، دون ان تكون له سلطة حقيقية عليهم ، ثم طردوا القائد ، واختلف الحرناشيون سكان القصبة مع سكان سلا . وكونوا في الاخير مجلسا للحكم ، نصف أعضائه من الرباط والنصف الآخر من سلا ، بعد ان كان الحرناشيون مستبدين وحدهم بالحكم . وهكذا تشكلت جمهورية حقيقية بحوض ابي رقراق ، ابتداء من سنة 1614م (1023هـ)

على أن الحديث عن التطور السياسي لهذه الجمهورية غير ممكن ، الا بالحديث عن شخصية العياشي ودوره ، بالاضافة الى تدخل الدلائيين .

شخصية العياشي

محمد بن احمد المالكي الزياني المعروف بالعياشي ، ينتمي الى بني مالك بن زغبة من قبائل بني هلال التي استوطنت الغرب . وهو تلميذ الولي عبد الله بن حسون أحد صلحاء سلا . وفي سنة 1013 بعيد وفاة المنصور السعدي ، استقر بناحية آزمور ، حيث شاع هناك فضله ورغبته في الجهاد حتى ولاه زيدان قيادة آزمور وناحيتها بناء على طلب السكان . وهناك تصدى لحرب البرتغال الذين كانوا يقيمون بالجديدة فوفق في الحصول على غنائم كثيرة في حروبه معهم ، كما كان يبعث بالاسرى منهم، الى زيدان السعدي ، ولكن حاشية السوء ، أوعزت الى السلطان بالقضاء عليه ، حتى لا يتسع نفوذه ،

جمهورية أبي رقراق

للأستاذ: إبراهيم حركات

هجـــرة الموريسكييــن

منــذ دخلت امارة غرناطـــة تحت الحكـــم الاسباني سنة 898 في اوائل عهـد الوطاسييـــن ، استمر المسلمون يؤدون طقوسهم الدينية في عيـــن المكان ، مع شيء من الحرية . على ان عددا منهم كانوا يعيشون في كنف الممالك الاسبانية منذ عهد المرابطين. وكان الاسبانيون يسمونهم يومئذ بالمدجنين الذين كانوا ارقى حضارة من المسيحيين . أما امارة غرناطة ، فقد اطلق الاسبانيون على مسلميها ، اسم الموريسكيين ثم اصبحوا يطلقونه على كل مسلمي اسبانيا .

الا أن الموريسكيين لم ينعموا طويـلا بالحريـــة الدينية التي خولتها لهم شروط تسليم غرناطة فقـد عرف القرن السادس عشر الميلادي أفظـع مظاهـــر الاضطهاد الديني ، ليس فحسب في اسبانيا بل حتى في معظم البلاد المسيحية التي تطور التناحر فيها بين الكاثوليكية والبروتستانية الى حد ان امتدت الحروب في بعضها نحو اربعين سنة . واخيرا ، كان التحمس للكاثوليكية يكتسي طابـــع التعصب المفرط فى البلاد الاسبانية التي قرر ملكها فيليب الثانـــي ان يشهـــر الحرب ضد جميع الامم التي لاتتمذهب بالكاثوليكية ، وأحرق من أجل ذلك في اسبانيا حوالي عشرة آلاف شخص فى مدة ثمان عشرة سنة ، واحدث محاكـــم التفتيش التي كان ضحيتها المسلمون أيضا ، فقـــد اتهموا بالتآمر على الدولة ، والزمـــوا بالدخول قهـــرا في المسيحية . وفي غمرة هذا القمع ، كان معظمهـــم يحتفظ بتقاليده ودينه الذي يضطـــر الى ممارسة شعائره خفية ، على الرغم من أنهم قد تركوا مكرهين اللغة العربية التي احتفظوا منها بالخط ، وكانوا يكتبون به الاسبانية أو اللهجة العامية . ففي سنة 1568 م أمر أسقف غرناطة ، أن يلزم أبناء المسلمين ، ابتـــداء مـــن الخامسة من عمرهم ، الى ســـن الخامسة عشرة ، بتعلم اللغة الاسبانية ، وتلقي تعاليم الديانة المسيحية. وظلوا مع هذا ، متمسكين بحبهم لوطنهم بشكل غريب حتى انهم حاولوا بعد أن أهينوا في انفسهم ودينهـــم وأموالهم ، أن يشهروا الحرب على النصارى فتكتلـــوا تحت زعامة محمد بن أمية الذي يحتمل أن يكون مـــن سلالة أمويي الاندلس وكانت ثورتهم بضواحي غرناطة بجبل البوشرات ، ولكن حب الرئاسة أعمى أحدهـــم، وهو المدعو ابن عبو ، الذي اغتال ابن أمية ، ليتفـــرد بزعامة المسلميـــن . ومن ثم أصبحوا اكثر تعرضـــا للاضطهاد الدينـــي والسياسي ، خصوصا بعـــد ان استغاثوا بالاتراك فلم ينجدوهم ، وكانوا هم انفسهم في حرب مع الاسبان في حوض البحر المتوســـط . وهكذا ارغموا على مغادرة الاندلس في هجرات متعاقبة فيما بين 1609 و 1614 ، وكان معهم عدد كبير مـــن اليهـــود .

وقد تقاطر الموريسكيون على عدد من الاقطـــار الاسلاميـــة بما فيها مصر والشام وتركيا . ولكـــن افريقيا الشمالية استقبلت اكبر عدد منهم ، وخصوصا النواحي الشمالية من المغرب وتونس . وقد تعـــرض كثير منهم للنهب وسبي بناتهم من طرف الاعـــراب ، قبل ان يتمكنوا من الاستقرار نهائيا بالمراكز التي اختاروها. وقد توجهت فئة منهم الى تطوان التي كانت بها جالية اندلسية قدمت في عهد الوطاسيين وباشرت نشاط القرصنة منذ مطلع القرن العاشر . وكانت تطـــوان توجه حملاتها في نفس الوقت الى البرتغال المجاورين لها بسبتـــة وطنجـــة واصيـــلا .

فقد اكتفى بتخريب نواحيهما ، واعترض جيوش السلطان التي لم تتمكن من تجاوز فضالة . وفي سنة 1046 (1637) انقسم قراصنة ابي رقراق الى ثلاث فرق ، احداها مستقلة بزعامة القصري ، والثانية تناصر السلطان ، والثالثة تناصر العياشي . واخيرا، اعترف القراصنة جميعا بسيادة السلطان الذي عفا عن القصري ورده الى قيادته . أما العياشي فقد اشتبك في حروب مع نصارى الجديدة ، وقتل حاكمهم في احدى المعارك سنة 1640 ، ثم عاد الى محاربة الموريسكيين الذين التجأوا الى الاستنجاد بالدلائيين

وبعد محاولات سلمية قام بها الدلائيون لاقناع العياشي بالعدول عن قتالهم ، اشتبكوا معه فى حروب متواصلة ، الى أن هزموه بأزغار ، فالتجأ الى الخلط الذين اغتالوه سنة 1051 (1641) ، واصبحت سلا والرباط تحت سلطة الدلائيين الى ان خضعتا للدولة العلوية ، ومع ذلك ، فقد استمر الموريسكيون يباشرون القرصنة الى أواسط القرن التاسع عشر .

ولقد باشر الاندلسيون القرصنة في مراكز اخرى غير ابى رقراق ، ولا سيما أهل تطوان الذين كانت لهم علاقات دبلوماسية وتجارية مع عدة دول اجنبية الا ان القضاء على حكم اولاد المنظري ثم اولاد النقسيس لم يمكنهم من الاستمرار في نشاط القرصنة على غرار اندلسيي ابي رقراق الذين كونوا رأس مال القرصنة ، بفضل الثروات الطائلة التي قدموا بها من اسبانيا .

قوة القراصنة البحرية

لم تكن لدى قراصنة ابي رقراق فيما ترويه بعض الوثائق اكثر من اربع بواخر سنة 1026 (1617) ثم اصبحت في سنة 1036 (1626) تبلغ الستين . وقد اقترح قائد اسطول فرنسي على ريشيليو وزير فرنسا المشهور ، ان يسمح باغراق باخرة فرنسية في حوض ميناء أبي رقراق ، حتى يضطر السلطان الى عقد اتفاق مع فرنسا ، من شأنه أن يوقف القرصنة الموريسكية التي كانت حسب هذا القائد ، تستولي على اكبر عدد من البواخر الفرنسية ، بالقياس الى مراكز القرصنة الاخرى . وهكذا يضطر القراصنة الى تحرير الاسرى الفرنسيين . وعلى الرغم من أن الاسطول الفرنسي طبق هذه الخطة فعلا ، فانها لم تؤد الى نتيجة .

ثم نزل عدد البواخر الاندلسية الى 22 سنة 1044 (1635) ، والى عشرين سنة 1058 (1647) وكانت بواخرهم تجلب فى الغالب من اروبا ، كما كانوا يصنعون عددا منها بمساعدة الهولنديين فى عين المكان وكانوا يصلون في مغامراتهم الى الشواطي الانجليزية، ويهاجمون السفن الاجنبية على غرة لانها تأمن جانبهم حيث كانوا يرفعون الاعلام الاسبانية ايهاما .

علاقة القراصنة بالنصارى

كان للقراصنة علاقة دبلوماسية مع كل من هولندا وفرنسا وانجلترا ، وقد كان لليهود دور في السمسرة التجارية بين القراصنة وهولندا ، وكان القراصنة يضايقون أشد المضايقة ، سائر المراكب التي تخرج للصيد في عرض المحيط الاطلسي ، حتى ان فرنسا فكرت في عهد لويس الثالث عشر ، ان تضمن سلامة صيدها بحراسة قوية كل سنة ، لتمنع خروج القراصنة من سلا ايام الصيد ، الا انها لم تستطع تحقيق هذه الخطة ، اذ اضطرت الى عقد اتفاق في عهد لويس الثالث عشر سنة 1038 (1629) و1039 (1630) ، يقضي بارجاع كل باخرة احتجزها احد الطرفين من الآخر ، وان تفتح مواني‌ء كل من الفريقين، لتجارة الطرف الآخر ، ويسمح باستقرار قنصل فرنسي بالرباط ، ولا يباع الاسرى الفرنسيون بسلا .

وفي سنة 1626 قدم مبعوث عن البلاط الانجليزي ، واسمه جون هاريسن ، بقصد الاتصال بقراصنة ابي رقراق حول القيام بهجوم مشترك ضد اسبانيا . وكان ملك انجلترا في ذلك الوقت ، هو جاك الاول . وكان ضمن شروط الاتفاقية ، تحرير الاسرى الانجليز ، وتسليم أربعة عشر مدفعا مع ذخيرة الى القراصنة ، وقد عاد المبعوث في السنة الموالية ، يقدم ستة مدافع مع كمية من الذخيرة ، ولكن قضية الحلف ضد اسبانيا لم تقبلها الحكومة البريطانية التي لم ترتح اذ ذاك لمساعدة القراصنة ، الذين كانوا قد قطعوا علاقتهم مع السلطان زيدان وحينئذ ، تم تحرير أسرى الانجليز ، بعد أن توصلت جمهورية ابي رقراق في مقابل ذلك بالاسلحة المتفق عليها .

وفي عاشر ماي 1036 (1627) تم الاتفاق بين الجمهورية وجون هاريسن على أن تفتح كل من مواني‌ء الطرفين لترويج بضائع الطرف الآخر ، مع عدم التعرض لسفن اي منهما والتزام انجلترا بتحرير

فبعث بأربعمائة فارس لمحاربته ، بقيادة محمد السنوسي ، ولكن القائد اشفق عليه ، فأشار عليه بالافلات ، وحينئذ انسحب العياشي الى سلا من جديد ، فاجتمع عليه سكانها ، وحثوه على ان يقود حركة الجهاد ضد البرتغال الذين كانوا يحتلون المعمورة ، ويجراون على التحرك بناحية الغرب حتى وادي المخازن ، كما كانوا ينبثون بالغابة المجاورة ، يقتطعون خشبها ويستصلحونه لحاجياتهم كصناعة السفن وغير ذلك . ووفق في حملته الاولى الى ان يقتل منهم عددا كبيرا ، فلم يجراوا على مغادرة المعمورة ، وحينئذ ، أمر زيدان قائده الزعروري بالقبض على العياشي ، ولكن الزعروري لم يعجل بذلك ، بل اطلق عليه الجواسيس لتتبع حركاته ومعرفة نواياه . واثناء ذلك جرى نزاع بين الجالية الاندلسية وقائد سلا ، حيث رفض هؤلاء المشاركة في حملة جديدة وجهت الى درعة ، ونهبوا دار القائد، ثم قتلوا خلفه عجيبا . اما العياشي ، فقد انسحب الى داره ملازما للصمت ، فتواردت عليه الشكايات من التجار والمسافرين الذين صاروا عرضة للنهب، وكانت سلا قد اصبحت بدون وال ، فطلب منهم العياشي ومن رؤساء القبائل الوافدين ان يوقعوا له ميثاقا يلتزمون بموجبه ، بمساعدته وترشيحه عن طواعية لتدبير شؤونهم . وهكذا ضمن العياشي لنفسه وجودا قانونيا كحاكم سياسي واداري يمتد نفوذه من تامسنا الى تازا ، ثم هاجم البرتغال بالمعمورة، كما هاجمهم بالعرائش والجديدة وطنجة .

العياشي يحارب القراصنة

ومعظم حملاته ، كان يساعده فيها قبائل العرب . أما الموريسكيون فقد عملوا في أغلب الاحيان لحسابهم في عرض البحر ، حتى تفاقم خطرهم على السفن الاجنبية ، واضطر القبطان الانجليزي ماين وارين ، الى ان يفاوضهم في فداء كل اسرى المسيحيين . وكانوا يبلغون في تحركاتهم شواطىء اسبانيا ويحملون الاعلام الاسبانية فيخدعون السفن التي تصادفهم

وكانوا يعطون عشر مواردهم واسراهم الى السلطان زيدان الذي كان معجبا بنشاطهم ، حتى لقد فكر ان يعهد الى احدهم ، وهو يوسف بسكاينو ، بقيادة تافيلالت او السودان ، ثم رغب ان يستفيد من مواهبهم العسكرية ، فجند منهم كما تقدم حوالي اربعمائة لمحاربة ابي حسون ، ولكنهم رفضوا التجنيد في حملة ثانية ، وعمدوا الى قائد سلا فقتلوه سنة 1034 (1624 م) ، حتى اذا اصبحوا سادة البلد ، طردوا سكانه الاصليين ، وكونوا مجلسا سموه بالديوان ، وعينوا حاكما ينتخب لمدة سنة . وكانت انجلترا اول من اعترف بالجمهورية الجديدة ، مما جعلهم يحررون ازيد من 190 اسير انجليزي . وكان دور الحرناشيين كما سلف ، بارزا في نشاط هذه الجمهورية . وقد رحب العياشي بثورتهم على السلطان زيدان ، بينما ساعدوه من جهتهم ، على مهاجمة الاسبان مدة ، ثم ملوا مواصلة الحرب الى جانبه ، واختاروا البقاء مستقلين .

وفي سنة 1039 (1630 م) توصل الحرناشيون والاندلسيون الى اتفاق يقضي بأن يقطن القائد المنتخب بالقصبة ، وأن ينتخب كل من الطرفين نصف أعضاء الديوان ، على أن يجتمعوا كافة بالقصبة .

وأثناء مهاجمة العياشي المعمورة ، تأكد له أن الموريسكيين لم يكونوا متحمسين لمحاربة النصارى، وانهم على العكس من ذلك ، كانوا يبطلون خططه ، ويقدمون اليهم المؤونة ، حتى استصدر فتوى بجواز قتالهم ، بعد أن لاحظ خيانتهم . وكان ممن افتى بذلك، الشيخ العربي الفاسي والشيخ عبد الواحد بن عاشر، الذي لمس عن كثب موقفهم . وهكذا اضطر الى أن يعلن عليهم الحرب خصوصا بعد أن رفضوا أن يمدوه ببعض المدافع لمهاجمة المعمورة . وحينئذ ، اقتحم سلا القديمة سنة 1040 (1631) ، وبقي يحرس الميناء ، بينما استقر ولده بشالة ، دون ان يكون لتدخله نتائج ايجابية . على انهم فضلوا الخضوع لسلطة الوليد بن زيدان الذي كان هو نفسه من أم اسبانية ، ولكن حصار العياشي للموريسكيين لم يزدهم الا عنادا . وقد امدهم الاسبان بالمؤن مما جعل العياشي يخفف من ضغطه عليهم شيئا فشيئا ، بينما كان يعمل على استرجاع ثغور أخرى .

وفي سنة 1045 (1636) حدث نزاع بين الحرناشيين والاندلسيين الذين طردوا هؤلاء من القصبة ، فالتجأوا عندئذ الى العياشي ، ولكنه كان مشغولا في جهات اخرى ، مما جعل حاكم سلا الجديدة ينتهز الفرصة للاستيلاء على سلا القديمة . واثناء ذلك قدمت بواخر انجليزية لحصار القراصنة ، بعث بها ملك انجلترا شارل الاول ، لفك عدد من اسرى بلاده ، ثم زحف محمد الشيخ الصغير في نفس السنة المذكورة متجها نحو الرباط وسلا . اما العياشي

نظرة عابرة

حول مشاكل البحث والاستنتاج التاريخي في العصر الحاضر

للأستاذ : المهدي البرجالي

البحث التاريخي بين النظرة العلمية والنظرة الذاتية ـ العوامل التي تتحكم في توجيه البحث التاريخي على المستوى الدولي والعالمي ـ هل يمكن التحكم في هذه العوامل ، والاتجاه بها اتجاها ايجابيا صحيحا ـ المحاولات الدولية المحدودة في هذا المضمار : مؤتمرات البحث التاريخي من سنة 58 الى 63 وهل هي كافية لافتتاح آفاق مبدئية من هذا النوع ؟ سعة المشاكل والقضايا المتعلقة بموضوع التدوين التاريخي على المستوى العالمي ـ بعض الاعتراضات المحتملة ـ وجهة التطور الذي يمكن ان يتخذها البحث التاريخي بهذا الصدد والحتميات التي من شانها ان تؤثر في ذلك .

هل من الضروري ان تؤثر الخلافات السياسية بين الدول على وجهة تفكير العلماء والباحثين الذين ينتسبون اليها ، وذلك في موضوع التاريخ ، والحقائق التاريخية ، وما يتصل بذلك من توجيه للمسائل ، وتقييم لمدلولاتها ، ثم تخريج ذلك والاستنتاج منه على نحو او غيره ؟ ان البت في مسألة من هذا النوع ، يقتضي قبل كل شيء ، التمييز فيما بين الجانب العلمي والجانب السياسي في الموضوع ، فمن وجهة النظر العلمية لا يبدو ان هناك ضرورة منطلقة ، لتكييف النظر التاريخي بحسب الخلافات الدولية القائمة ، واخضاعه للاعتبارات الطارئة والمتناقضة ، التي تخلقها مثل هذه الاحوال بين الدول ، والكتل الدولية المتنافسة ، وذلك لا يعود فقط الى مجرد احترام مبدأ الحفاظ على الحقيقة الذي هو من اولى مقومات الروح العلمية الصحيحة ، بل يرجع كذلك الى ان الغموض الذي تلقيه حالة اخضاع التاريخ للنزوات السياسية الطارئة ، من شأنه ان يؤدي الى حالات غموض اشد واشمل ، ويعرض المفهومات التاريخية لكثير من الاضطراب والتدهور هي في غنى عنه ، ومن شأن كل هذا الا يساعد على تقدم الدراسات العلمية الانسانية ، بالصفة المطلوبة اي بالصفة التي تستهدف القاء المزيد من الاضواء ، على حقيقة التطور البشري ، وعوامله وملابساته ونتائجه المتفاعلة ، والمتسلسلة خلال العصور ، كما ليس من شأنه كذلك ان يجعل جميع الحقائق التي يمكن التوصل اليها في هذا المضمار ، ذات جدوى علمية حقيقية ، اي ان تؤدي الى تكوين استنتاجات وتقريرات لها قيمة مضمونة ، ومما لا ريب فيه ان على الالمام بهذه الحقائق ، وتقرير امرها على النحو العلمي المنشود ، تتوقف علاقتنا بالموضوع التاريخي من اساسه ويتوقف كذلك مصير معرفتنا بهذه الانسانية التي ننتسب اليها جميعا على السواء ، والنظرة العلمية الى التاريخ على هذا النحو ، هي النظرة الغالبة التي تميز فلسفة التاريخ ، ووجهته العامه في العصر الحاضر ، الا ان الضرورة العلمية في المنهج التاريخي لا تقتضي ـ حتما ـ نبذ كل عامل بحثي آخر ، والاستغناء عن جميع الادوات المساعدة الاخرى التي قد تؤدي بنا الى ادراك جانب او آخر من الحقيقة ، ان هناك نوعا من رد الفعل ضد هذه الروح العلمية المغالية التي يمكن ان تسيطر على طبيعة المنهج التاريخي اي هذه الروح التي لا تحفل باية طريقة اخرى ، او مسلك من مسالك البحث ووسائله الا ما كان من قبيل الطريقة العلمية الدقيقة التي من شأنها ان نجعل من التاريخ علما يشبه العلوم الرياضية والطبيعة في اعتمادها المطلق على المقاييس المحسوسة والحتميات المسبقة ، وخلو ميدانها من الاهتمام بالمؤثرات النفسية والعاطفية التي لها بالفعل شان كبير في تكييف وتوجيه كثير من الاشياء في هذه الحياة ، ولها بالتالي قيمتها في ادراك وتفسير كثير من الوقائع والظواهر التاريخية والانية ، ويقول « اندريان دانسيت » في هذا المعنى : (ان هناك جيلا من المؤرخين قد بدأوا يعنون في ابحاثهم بالانسان اكثر مما يهتمون بالحادث التاريخي ، مجردا من عنصره الانساني ، انهم

جميع الاسارى الموريسكيين بمملكتها ، وتعهدجمهورية ابي رقراق بمساعدة انجلترا حربيا على اعدائهـا . وكان الذي امضى الاتفاق عن الجمهورية « ابراهيم بركاش » ، ومحمد باركو . غير ان شارل الاول رفض توقيع الاتفاق ، ولم يمض قليل حتى استولت السفن الانجليزية على باخرة للقراصنة ، ورد الموريسكيون ، بالاستيلاء على عدد من البواخر الانجليزية وعلى الرغم من ان « جون هاريسن » عاد الى المغرب يؤكد باسم ملكه ، انه يتبرا من مسؤولية تصرفات السفن الانجليزية التي استولت على الباخرة الجمهورية ، فان القراصنة قد اشتد غضبهم على المبعوث ، حتى رفضوا ان يسمحوا له بالنزول من باخرته . وقد قضى « جون هاريسن » ست سنوات في التردد بين ابي رقراق وبلاده بين (1626 — 1631) حتى يعمل على تحسين العلاقات بين الجانبين ولكنه لم يوفق الى ذلك كثيرا .

ولقد وصف قبطان انجليزي يدعى « جون سميث » ، في رحلة له عن المغرب ، ما كانت تعانيه السفن الانجليزية من قراصنة ابي رقراق ، حتى لقد كان لكثير من العائلات الانجليزية اقارب واصدقاء في الاسر لدى هؤلاء . وكانت تقام صلوات عمومية من اجلهم ، وتلقى الخطب استدرارا للعطف عليهم .

وقد كانت القرصنة في هذا العصر دولية ، فكان القرصان لايراعي مصلحة وطنه في اي بلد كان ، فهو كما يقول دوكاستري ، يعتز بانتمائه الى اسرة القراصنة ، اكثر مما يعد نفسه انجليزيا او هولنديا او فرنسيا او اسبانيا ، بل حتى مسيحيا او مسلما .

ومن المؤكد مع ذلك ، ان القرصنة المغربية ، قد حمت السواحل الشمالية والغربية من المغرب ، بشكل غير مباشر ، من اطماع دول أروبية اخرى غير البرتغال واسبانيا .

سلا : ابراهيم حركات

« المنابر في الاسلام »

ان المنابر في الاسلام ما رفعت
الا لترفع ذكر الحق في الناس
فاختر لأعوادها ، من لا يلين له
في الحق عود ، ولا يصغي لخناس
ومن اذا ريع سرب الحق ، خف له
ولم يكن لعهود الناس بالناسي

محمد البشير الابراهيمي

الصلة بموقف المؤرخين من الاحداث التاريخية وطبيعة حكمهم عليها سواء من هذا الجانب او ذاك .

* * *

يثير الموضوع التاريخي — منذ ان اصبح هناك تاريخ مدون — منقوشا او منحوتا او مكتوبا — يثير قدرا كبيرا من الاهتمام ، عند اغلبية الشعوب الواعية او شبه الواعية ، ولا يختص عصرنا الحاضر بهذا الاهتمام الذي يولي للتاريخ في ابعاده المختلفة ، اي ما يتعلق منها بتاريخ الفكر او تطورات الحكم والسياسة ، او تفاعل المجتمعات بعضها مع بعض ، لكن الملاحظ — مع ذلك — ان هذا الاهتمام قد تضاعف كثيرا وتشعب في هذا العصر الى حد جعل الموضوع التاريخي من اهم ما يسترعي النظر عند المعنيين بقضايا التخطيط والتسيير سواء في نطاق تربوي او ايديولوجي او ما له صلة بذلك من سياسة وحكم وغيرهما ، فقد كان من اولى الاهتمامات التي تستبد بتفكير المشرفين على الاوضاع الاستعمارية في افريقيا وآسيا وغير ذلك : العمل على اغفال القيم التاريخية المتعلقة بماضي الشعوب المحكومة وحضارتها في مختلف الميادين ، وتعويض الفراغ الناشيء عن هذا الاغفال بنشر تاريخ الامة الحاكمة ، وما تيها في الماضي والحاضر ، وفي نطاق الاوضاع الوطنية نفسها ، اي عند ما يستقل القطر المستعمر (بالفتح) ويصبح ذا اهمية للتصرف في مقدراته ، فان التاريخ القومي حينئذ يستعيد مكانته في الاذهان والمشاعر ، اما طفرة او تدريجيا ، ولكن الموضوع التاريخي مع ذلك يبقى — كما هو ملحوظ في عدد من الحالات الموجودة بشتى الاقطار النامية — يبقى خاضعا لنوع الفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعتنقها اولياء العهد الجديد ، وما يتلاءم مع مفاهيمهم ومعتقداتهم ، والاسس الفكرية والايديولوجية التي يرون من الانسب ان يقوم عليها الوضع الذي يتولون شؤونه ، ففي عدد من بلدان الشرق الاوسط التي تعاقبت عليها تقلبات سياسية ، تتناول طبيعة الحكم واتجاهاته القومية والدولية ، واختياراته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، في هذه الاقطار ، كثيرا ما تعرضت كتب التاريخ — وخاصة المدرسية منها — لسلسلة من التحويرات ، التي تهدف من جهة الى ما يعتبر تصحيحا لروايات تاريخية غير صحيحة ، او تاويلا لصور من التاريخ ، وجوانب منه ، قد ينظر اليها على انها تعكس جملة من المفاهيم والقضايا والاتجاهات غير مرغوب فيها ، لانها تناقض محتوى الفلسفة السائدة ، كما يمكن ان ترمي هذه التحويرات ايضا الى ادخال اعتبارات جديدة على فهم التاريخ القومي والعالمي ، وادراك معطياته الانسانية والمادية ... وتكييف هذه الاعتبارات بشكل يساهم في تدعيم نظرية سياسية ، او مبدأ اقتصادي ، واستخلاص الشواهد له من خلال التطورات والتفاعلات التي ينطوي عليها الموضوع التاريخي من ناحيته الاقليمية والعالمية ، وتاخذ مثل هذه المبادرات التحويرية صورة اوسع افقا ، واكثر اهمية ، وذلك في بعض البلدان ، كالاتحاد السوفياتي مثلا ، حيث تثير الاعتبارات التاريخية حساسية عميقة جدا ، وذلك — اولا — لما للاستنتاجات التاريخية من صلة جوهرية بمذهب كالمذهب الماركسي ، يقوم في اسسه على نظرية اساسية وهي نظرية المادية التاريخية وما تقتضيه من افتراضات وتفسيرات تتناول عموم التاريخ الانساني المعروف ، هادفة في الاساس الى استخلاص العوامل العميقة والشاملة التي ما برحت تحرك ميكانيكية هذا التاريخ ، وما زالت تؤثر في سلسلة التفاعلات والحتميات التي كان من شأنها دائما ان تقوده الى الصورة التي عليها اتجاهه اليوم ، وثانيا ، لان روح التخطيط والتقنين التي تسود اقطارا هي بصدد القيام بمراجعة جذرية لكل شيء ، هذه الروح تتناول المادة التاريخية ، كما تتناول غيرها من قضايا الثقافة والتوجيه العام ، الى جانب التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ، وما في نوع ذلك ، وفي كثير من الحالات ، يقتضي التخطيط اجراء بعض المراجعات والقيام بنوع ما من التحوير والتنقيح كلما بدا ذلك امرا ضروريا ، لا تتناول هذه المراجعات محتوى الكتب المدرسية فحسب ، بل تتناول ايضا المظان الجامعية ، والمصادر العامة ، كدوائر المعارف مثلا ، وقد تسببت الستالينية — باديء ذي بدء — ثم اللاستالينية بعد ذلك تسبب كلاهما في اقرار اعتبارات تاريخية معينة ، ثم تعديلها او نقضها بالمرة بعد ذلك ، فمثلا في موضوع اهمية الدور الذي اداه ستالين خلال الحرب العالمية الاخيرة ، فقد كان ينظر الى هذا الدور — كما تسجله المدونات التاريخية الموضوعة في عهد الرئيس السوفياتي السابق — كان ينظر الى هذا الدور باعتبار انه يكتسي اهمية خطيرة واستثنائية ، وانه كان ذا تأثير مباشر وحاسم في وجهة الحرب الجرمانية الروسية ، وما آلت اليه هذه الحرب ، من تحقيق هزيمة الجيش النازي ودحره اخيرا في مجمل جبهات العراك بالقطاع الاوربي الشرقي ، لكن هذا التوجيه في تقدير الحوادث وتحديد صورها وعواملها قد داخله في السنوات الاخيرة قدر من التعديل له اهميته ، وقد وقعت غداة اشتداد الحملة ضد الستالينية بعد ارفضاض المؤتمر الشيوعي العالمي سنة 1960 ، وما رافق هذه الحملة من توسع في عمليات تحديد انتشار الصيت الستاليني وقع بعض التباين في وجهات النظر بين المعنيين بالسياسة والتاريخ حول « العواقب » التاريخية المحتملة ، لاستبدال اسم مدينة كـ « ستالينغرد » اقترن اسمها باحدى المعارك الفاصلة في مجرى الحرب العالمية الثانية ، ومن غير شك فان عددا من اولئك الذين احتفظوا بوفائهم للاسم القديم ، لم يكن يحذوهم الى ذلك ، مجرد الحنين للشخصية الستالينية ، او العهد الستاليني ، بقدر ما كان يحذوهم — اكثر من ذلك — الحفاظ على كامل العناصر التاريخية ، والمؤثرات السيكولوجية التي تكون ذكرى المدينة الشهيرة — بما في ذلك عناصر الاستذكار الاسمي ، الذي له في الذهن رنين قد تنال منه عملية التغيير

اذا ما اهتموا بمادة الاحداث فلكي يدركو مغزاها الانساني ، وشعارهم يتلخص فيما يلي : « ان وراء الاحداث ، هناك عالم الناس ، والاسرار التي تحيط بهم ، وامام هذه الاسرار كثير من التاويلات ممكنة » .

وغني عن البيان ، ان علاقة المؤرخ بالمادة التاريخية ، هي علاقة مادة قارة ، بمادة متغيرة ، اذ ان الاحداث اذا كانت هي هي في حد ذاتها ، فان نظرة الناس اليها ــ بما فيهم المؤرخون ــ تتغير بحسب الدهور والاجيال ، ولهذا ، فان ادراك الماضي ــ بصورة دقيقة ــ علميا ــ هو شيء يمكن اعتباره غير ممكن اجمالا ، الا انه يمكن الاقتراب منه ، اذا ما استطعنا ان نستفيد من المزج بين الطريقتين العلمية والوصفية ، وان نعير اهتمامنا للمادة الانسانية ، اكثر مما نعني بمجرد منهج البحث وشكلياته ...) لكن ، ما ذا تعنيه المادة الانسانية في هذا المضمار ؟ وهل اذا جارينا هذه الوجهة من الرأي التي ياخذ بها عدد من رواد البحث التاريخي الحديث كـ « لوش » و « لوفيفر » ومن اليهما ، واذا ما ادخلنا في عموم المادة الانسانية ما يدل عليه هذا المفهوم من ضرورة اقامة الاعتبار في البحث التاريخي لجملة الظروف العقلية والسيكولوجية والبيئية ، اي مجموعة النزوات والافكار ، والعلاقات الانسانية التي تتحكم في تكييف كثير من صور الاحداث التاريخية ، وتؤثر ــ بالتالي ــ على وجهة التاريخ وتحولاته ــ اذا ما وضعنا في الاعتبار مجموع هذه العوامل الانسانية المؤثرة في التاريخ ، فهل نسلم كذلك بمبدأ تدخل المؤرخ نفسه في تصوير الاحداث التاريخية ، والاستنتاج منها ، وذلك بتحكيم مشاعره وافكاره الخاصة والانفعال بالمادة التاريخية ، والاندماج في جوها اندماجا شخصيا يساعد المؤرخ على استبانة الحقائق من خلال تجاربه ومعاناته للحياة والناس ؟ ، وبتعبير آخر : هل يجوز للمؤرخ ان يخضع البحث التاريخي للمقاييس الخاصة التي يكونها ، باستمداد من ظروفه العقلية والبيئية ، ام ان عليه ــ عوض ذلك ــ الا يخضع الا لما تمليه المقاييس العلمية المردة ، ملتزما في مثل هذه الحالة ، درجة مطلقة من الحياد ، تقطع الصلة الشخصية وبين المادة التاريخية التي يعالجها ؟ .

يقول « فليب كونطامين » بهذا الصدد : (ان التاريخ لا يقبل الانفصال عن الشخص الذي يدونه ، ولهذا فان على المؤرخ ان تكون له عن الحياة تجربة مباشرة وعميقة اكثر مما يمكن ، واية مغامرة يصادفها ، او يخوض آفاقها ، فلا بد ان تكون مفيدة له ، والى ذلك فان من المعقول ان يحس نحو عصره ــ اذا كان يؤرخ له بنوع من الفضول المنودد ، ذلك انه لا ينبغي له ان ينسى انه المندوب عن مجتمعه ، لتحضير قطاع خاص من قطاعات العلم ، ولكن يجب ان يعرف ــ في نفس الوقت ــ كيف يحايد مشاعره المتطرفة ، نحو مشاكل الساعة ، وبالنسبة للماضي ، فان عليه ان يضع بين قوسين ، سواء وجوده الشخصي او الجماعي ، اي صلته بالجماعة ، وذلك ليعرف الماضي في نوعيته ، وبالاجمال فان عليه ــ في نفس الوقت ــ ان يكون ملتزما وغير ملتزم ...)

والظاهر ان هذه النظرة لموقف المؤرخ وعلاقته بالمادة التاريخية التي يعالجها ، لا يمكن تقبلها تقبلا بسيطا اي بصورة لا تقبل النقاش والمراجعة ، فالمؤرخ لا يستطيع دائما ــ وان كانت هذه الاستطاعة ممكنة مبدئيا ــ ان ينفصل نهائيا عن المادة التي يفحصها ، ويحاول الخروج من خلالها بمواقف وتقييمات جزئية او شاملة ، ذلك ان المؤرخ لا يسعه في كثير من الحالات التي يتناول فيها ظواهر الماضي ــ الذي هو المادة الجوهرية في بناء التاريخ وتشكيله ــ لا يسعه ــ وهو يتناول هذه الظواهر ــ الا ان يفحصها ويقلبها على مختلف الاوجه والمناحي ، ويقارن فيما بين بعضها البعض ، مستعينا في ذلك بالعلوم المساعدة ، والوسائل المرتبطة بها ، سواء مرئية او مسموعة او معقولة ، لكنه لا بد ان يخرج من مركب العمليات هذه التي قد ينغمر فيها سنين وعقودا متطاولة ــ باستنتاجات ومواقف ونظريات ، يستنتجها حقا مما يفحصه من وثائق مكتوبة ، او آثار منحوتة او مرائي حية او شواهد جامدة ، ولكنه يستعين في استخلاصها ايضا بما يعمله من فكر ، ويصطنعه من مقاييس ،وبما هو متوفر له من قدرة على الاستفسار والاستشعار والتخمين والتقييم ، اي بما له من طاقات عقلية ، ووجدانية وما في نوعها ، فتدخل المؤرخ اذن يكاد ــ في كثير من الحالات ــ يكون ضرورة محتومة ، اذا كان من اللازم ان تقيم الاحداث التاريخية ، ويتحرى عن حلقاتها المفقودة ، ليتم النفوذ ــ هكذا ــ الى ما وراء الظواهر السطحية ، والصور البراقة ، ومن ثم كان عمل المؤرخ شاقا ، وعلى درجة عالية من الصعوبة والحرج ، لان عليه كما تقدم عن « كونطامين » ان يكون في نفس الوقت ــ « ملتزما وغير ملتزم » ــ ملتزما للحقيقة التاريخية ، يتتبعها من مختلف مظانها الممكنة ، ويفحصها على ضوء العقل والتجربة والاحساس ايضا محاولا من وراء ذلك ــ استخراج اكثر ما يمكن من الاستنتاجات والمكتشفات الصحيحة الثابتة ، الا انه وهو يستعين ــ هكذا ــ في تحرياته هذه بعقله وتجربته الذاتية ومجموع مواهبه ومكتسباته ، فان عليه ــ مع ذلك ــ الا يكون ملتزما لاية عاطفة او اتجاه مسبق او يمزج فيما بين تأثراته الذاتية هذه التأثرات التي تاتي مما يمكن ان ينفعل به من عوامل سياسية او اجتماعية او مذهبية او غيرها، ان يمزج فيما بين ذلك وبين مجرد الحقيقة التي يتخذها الحدث التاريخي بكل ملابساته ونتائجه ، واتجاهاته الطبيعية الحتمية ، وهناك كثير من الحالات التي يقع فيها المؤرخ تحت تأثيرات ذاتية وبيئية من هذا القبيل ، وتتعدد الحالات هذه بتعدد العوامل والمؤثرات الكامنة وراءها ، بيد ان من اشد هذه العوامل ، واكثرها اهمية على الاطلاق ، العامل السياسي الذي له كبير

هدا الجانب او الاخر ، والحقوق والامتيازات التي يمكن ان يخولها ذلك للدول المتسابقة ، ثم علاقة ذلك بالحقوق المبدئية لبقية دول العالم التي لا تشارك عمليا في برامج الارتياد الفضائي ، الى جملة من القضايا على هذا النحو ، تتعلق بتنظيم العلاقة القانونية بين سكان الارض وبين بقية الاجرام الفضائية، الممكن ارتيادها في امد قريب او بعيد ، ومن المؤكد ــ كما تدل عليه القرائن الموجودة ، ان بنود القانون الفضائي الجديد الذي سيعرف ولا شك توسعا كبيرا يتلاءم مع احتمالات التوسع الارتيادي المنتظر ــ لا بد ان تضم هذه البنود ــ في جملة ما تضم ــ صيغة قانونية دولية ، تقر علينا مبدأ جعل الفضاء منطقة مشاعة بين سكان الارض ، مع تحديد المقتضيات التنظيمية المتعلقة بذلك ، وتعلن ــ الى هذا ــ تحريم استخدام المجال الفضائي لاية اهداف حربية ، سواء كانت صبغة ذات ستراتيجية او عملياتية ، وواضح ان مجرد نشوء فرع معين من فروع القانون او غيره ، هو قضية عادية تقتضيها حالة التوسع في العلاقات الانسانية من جهة ، والعلاقة بين الانسان والطبيعة من جهة اخرى الا ان الروح التي تحاول تكييف بعض المسائل المتعلقة بالقانون الفضائي الناشيء ــ والتي ترمي الى تحرير هذا القانون من سيطرة الديكتاتورية العلمية ، اي جعله قائما على مرعاة حقوق كافة الدول لا حقوق الدول المتسابقة فقط ، وتلافي الوقوع هكذا في محذور جديد من محاذير اخضاع الطاقة العلمية والتقنية ، لعامل التناقضات السياسية الدولية ، لا لخدمة من الاهداف الجماعية الدولية ، ان روح العمل هكذا من اجل تدويل السياسة الفضائية وتقنينها اي اخضاعها لمقتضيات قانون دولي معترف به من قبل شعوب الامم المتحدة كافة ، هذه الروح، يعود وجودها في الدرجة الاولى الى تدخل الدول الصغرى في الشؤون العالمية ، وتأثيرها المتزايد في الترويج لجملة من الافكار المتفتحة التي تتخذ مكانتها في العالم الدولي اكثر فاكثر، وافساح المجال هكذا امام احتمالات تطور فكري مهم ، هو الذي تلمح آثاره اليوم من خلال الحوار الواسع الذي يدور الان باطراد بين الاطراف الدولية المختلفة ، وبالاخص بين الدول الكبرى والدول الاخرى الصغيرة والمتخلفة ، وموطن الاهمية في كل ذلك ان هذا التحول الملحوظ في ميدان الاستغلال العلمي يمكن ايضا ملاحظته مظاهر اخرى له في ميدان البحث التاريخي ، والمشاكل المتصلة بذلك على النحو الذي المعنا الى بعضه فيما تقدم ، ولا يعني هذا ان هناك اتجاها ملحوظا لـ « تدويل » البحث التاريخي ، واخضاعه هكذا لنوع من الرقابة المشتركة بين مختلف المؤرخين والباحثين ، ورجال التربية والتوجيه في الشرق والغرب ، اي ان هناك اتجاها ممكنا لـ « تقنين » البحث التاريخي على الصعيد الدولي وصياغة بنود ، تحدد مبادىء وترتيبات لذلك ، على الوجه الذي يمكن ان يتم به الامر في بعض قضايا الاستغلال العلمي ، كالتوسع الفضائي ــ كما تقدم ــ فالواقع ان هناك فرقا كبيرا في هذا المضمار بين العلوم التطبيقية التي من الممكن ان يخضع الانتاج او الاستكشاف في بعضها ، لنوع من المراقبة الدولية او التقنين الدولي كلما كانت هذه الرقابة ، او هذا التقنين يشكل ضرورة اساسية ملحة ، وبين العلوم الانسانية التي ليس من اليسير دائما ان تخضع لتقنين من هذا النوع ، بصرف النظر عن الفائدة التي يمكن اجتناؤها من ذلك ، انما القاسم المشترك في مثل هذه القضايا سواء منها ما يتعلق بالعلوم التطبيقية ، او ما يتصل بالتاريخ او غيره ــ هذا القاسم المشترك ، يتمثل في النزوع الذي اخذ يشتد بين الدول لاقرار نوع من التعاون في هذا المضمار ، وان كان مظهر هذا التعاون ونتائجه يختلفان باختلاف الموضوع والملابسات التي تحيط به ، فاذا كان الامر في مضمار العلوم التطبيقية يمكن ان يصل الى حد اقرار صيغ قانونية ومقتضيات للرقابة المشتركة ، وما في حكم ذلك ، فان الموضوع التاريخي لا يتطلب ــ على الاكثر ــ الا اقرار نوع من التعاون حول المشاكل التي تعترض سبيل التدوين والاستنتاج التاريخي ، وعلاقة هذه المشاكل بقضايا التفاهم ، وسعة الادراك بين الناس ، ومثل هذا التعاون بين الاوساط الدولية ، المعنية بالتاريخ هو من بين المهام التي تحاول الاضطلاع بها بعض المنظمات الثقافية الدولية كـ « الاونيسكو » مثلا ، وبغض النظر عن النتائج التي امكن الحصول عليها بهذا الشأن ، داخل هذه المنظمة او غيرها ، فقد بدا يتكون في الفترة الاخيرة اتجاه جديد بهذا الصدد يهدف الى استخلاص بذور للتعاون في موضوع التدوين والاستنتاج التاريخي وتقريب الشقة التي تفصل بين المعنيين بالتاريخ وقضاياه في الشرق والغرب ، وذكر الشرق والغرب في هذا المضمار ، لا ينبغي ان يفهم منه افاق الارض جميعا بل ان المراد به فقط الاصطلاح السياسي المتعارف عليه حديثا ، على اساس التمييز بين عالم الدول الرأسمالية في الغرب ، وعالم الاقطار الاشتراكية في الشرق الاوربي والاسيوي ، فالاتجاه الجديد هذا هو اذن ، اتجاه محدود يقتصر على قطاع معين من قطاعات الارض ، ولا ينزع الى استيعاب المشاكل الموجودة ــ في هذا المجال ــ على مستوى الدول كافة ،هذا بالاضافة الى ان المواضيع التاريخية التي بدا الاهتمام بمعالجتها هي كذلك مواضيع خاصة ومحدودة ، ومنذ بضع سنين ، وبالضبط منذ سنة 1958 بذلت المحاولات الاولى ــ بهذا الصدد ــ وذلك عند ما انعقد في « لييج » ببلجيكا المؤتمر الدولي الخاص بدراسة « تاريخ المقاومة السرية ضد قوات المحور باوربا » ثم تلاه بعد ذلك مؤتمرات على نفس المستوى ، الاول بمدينة ميلانو بايطاليا (1961) والثاني ب « كارلوقي فازي » بمقاطعة بوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) وقد تم عقده في اوائل خريف السنة الماضية، واهمية هذه المؤتمرات لا تعود فقط الى الاهداف القريبة المتوخاة منها ، اي تناول مواضيع تاريخية معينة بالبحث والدرس وانما تعود هذه الاهمية اكثر من ذلك الى ان هذه المؤتمرات قد هيأت الفرصة للجمع بين مؤرخين من الشرق الشيوعي

المقترحة ، والشيء الذي يبدو ــ بهذا الصدد ــ موكدا او في حكم المؤكد ، ان الازمة الشيوعية الدولية الجديدة ، لا بد ان تكون لها انعكاسات مهمة على وجه التدوين التاريخي عند الشيوعيين ، وطبيعة التقييمات والاستنتاجات التي يذهب اليها المحللون والنقاد هنا وهناك ، وبالاخص ما يتعلق من ذلك بتحديد بعض المفاهيم والاطلاقات ، وتقرير الامثلة الصالحة لها من خلال اتجاهات الشيوعيين ، محافظين او معدلين ، فالتعديلية الحديثة هي مفهوم شيوعي « انحرافي » يكاد يكون الاتسام به مستكرها عند اغلبية الشيوعيين في هذا الجانب او الاخر ، لكن ما هو المدلول الحقيقي للتعديلية سواء عند هؤلاء او اولئك ؟ ان كل معسكر من المعسكرين الشيوعيين ، يرى ان المعسكر الاخر هو الممثل الكامل لمفهوم التعديلية بكل ما تدل عليه من مروق وانحراف ، والمهم في هذا ان كل جانب يجد في سياسة الاخر وسلوكه على المستوى الدولي والداخلي ما يؤكد وقوعه تحت تاثير التعديلية على خط مستقيم ، والاهم من كل ذلك ان المدونات التاريخية والمعاجم والمصادر الجامعية ، لا بد ان تتأثر محتوياتها بهذه التناقضات في التقدير والتوجيه ، فتصبح هي كذلك متناقضة تحير الباحث التاريخي في المستقبل ، زيادة على ما تركزه في اذهان الطلبة من معلومات غير قارة ، وعلى اي حال ، فاين الموضوع التاريخي من كل هذا ؟ وهل من اللازم ان نعتبر ان مثل هذا التناقض هو حتمية ضرورية الوقوع ، لا سبيل الى تلافيها على نحو جدي وعملي ؟ وبتعبير آخر اذا كان التناقض في التدوين والاستنتاج التاريخي كنتيجة لاخضاع هذا التقييم للظروف والاعتبارات السياسية ، وحسب الموقف المتخذ في خضم الاختلافات المذهبية ــ اذا كان هذا النوع من التناقض ــ والمشاكل الناشئة عنه ــ هو محط انكار من طرف الجميع ، ولا يبدو ان هناك اختلاف ــ من ناحية مبدئية ــ في وجوب اجتنابه ، والعزوف عنه ، فلما ذا تستمر اذن روح هذا الاتجاه سائدة ، في كثير من اوساط المؤرخين والمعنيين بالقضايا التاريخية وخصوصا هؤلاء الذين يقعون اما اسرى العواطف والارتجال الفكري ، او اولئك الاخرين الذين يوجدون رهن العمل على تنفيذ تخطيطات مسبقة لا تبيح لهم كثيرا من القدرة على التقييم والاستنتاج غير المقيد ؟ لا شك ان القضية هذه ككثير من القضايا من هذا القبيل ، تحتمل اكثر من وجه ، بحيث يظهر ان هناك جوانب متناقضة في شانها تبدو هذه ممكنة ، والاخرى غير ممكنة ، وتبدو هذه مجدية من ناحية معينة ، والاخرى غير مجدية من ناحية اخرى ، وهكذا ، واذا ما قلبنا النظر في موضوع القضية الماثلة امامنا ، اي حول موضوع الالتزام للحقيقة التاريخية في حد ذاتها ، او الالتزام ــ عكس ذلك ــ لمقتضى الاعتبارات السياسية والمذهبية التي تفرض نفسها في ميدان او آخر من ميادين الحياة الانسانية ، واخضاع التحليل والتقييم التاريخي لوجهة المذهب السياسي وما تفرضه من مواقف ونظريات ومبادىء معينة ، اذا قلبنا النظر هكذا في موضوع من هذا النوع ، فاننا نجد ان جانب الالتزام للحقيقة التاريخية ــ وان كان غير ممكن دائما لانه لا يتفق احيانا مع ما يستهدف من خدمة افكار قومية ، او مساندة قيم مذهبية ، او اتخاذ سياسة داخلية او خارجية ــ فان فكرة هذا الالتزام ــ مع ذلك ــ لا بد ان تفرض نفسها اكثر فاكثر تحت تأثير اتجاهات التفاهم التي تجتاح العالم باطراد ، ومن الصعب ــحقاــ الاستدلال على امكانية تحرير التدوين والاستنتاج التاريخي من مؤثرات المذاهب والمصالح المتناقضة ، فالواقع ان طغيان التناقض بين النظريات والاتجاهات وتأثر الموضوع الفلسفي والتاريخي وغيرهما من مجالات العلوم الانسانية ، بهذا التناقض الواقع ، ان كل ذلك هو من ابرز المظاهر واكثرها صراحة في عصرنا الحاضر ، بل ان القضايا التاريخية والفلسفية ، وكذلك الآداب والفنون وما في حكمها ، لا تختص وحدها بالوقوع تحت طائلة التناقضات السياسية بين الدول ، والتأثر بهذه التناقضات تأثرا يطول مداه او يقصر ، فهناك عدد من العلوم الاخرى كالعلوم القانونية والاجتماعية مثلا تتلون هي كذلك بهذا التناقض وتخضع محتوياتها لدواعيه خضوعا غير معقول احيانا ، لكن الجدير بالملاحظة ان هناك حالات من رد الفعل بهذا الصدد ، ورد الفعل هذا قد بدأ يعترض ــ في بعض الصور ــ سبيل الاتجاه التقليدي الذي ساد الحياة العلمية طويلا ، وبمقتضاه لم يكن هناك من تنظيم دولي فعال يتولى امكانية العمل على تنسيق بعض النشاطات العلمية والفكرية على اساس عالمي شامل اي على قاعدة انسانية مطلقة ، يراعى فيها الا تبقى معرفة للتأثر الدائم بالاحوال السياسية والمذهبية المتناقضة في مختلف ربوع العالم ، وذلك من اجل حماية الانسانية من عواقب الديكتاتورية العلمية والتقنية التي يجوزان تخضع العلم ومنجزاته للاغراض الخاصة بدولة او مجموعة من الدول المتقدمة ، وابقاء الاخرين في الاقطار المتخلفة تحت وطأة التفوق العلمي الساحق عند الاولين ، ان رد الفعل ضد احوال واحتمالات من هذا النوع ، هو الذي ادى الى ما لا يزال يؤدي اليه ، من تدخل عالمي ضد التوسع النووي الموجه للاغراض الحربية ، وضد اتخاذ الفضاء مجالا لاية خطط عسكرية او شبه عسكرية ، اي ضد حالة اخضاع العلم والمجريات العلمية لخدمة اهداف التناقض المذهبي ، والنزوات السياسية عند الدول ، وضد جعل الكلمة العليا هكذا لهذه النزوات تستغل الجهود الانسانية في ميدان الاجتهاد النظري ، وفي حقول العلوم والتيكنولوجية استغلالا سلبيا وضارا ايضا ، وعلى هذا بدأ يتفرع عن العلوم القانونية فرع جديد ما زال في طور النشوء والتطور ، وهو ما يمكن ان يدعى بالقانون الفضائي الذي يهدف في اساسه الى معالجة المشاكل القانونية التي لا بد ان تنشأ عن اتصال الانسان مباشرة بالفضاء ، واتجاهه الى ارتياد الاجرام الفضائية الاخرى ، مع كل ما يمكن ان يثيره ذلك من قضايا تتعلق بعواقب التسابق ، وما يشمله ذلك من امكانيات احتلال للمناطق الكوكبية من طرف

التاريخي في العصر الحاضر ليس من المعقول ان ننظر اليها فقط من هذه الزاوية المحدودة ، المتعلقة بحالة الدراسات التاريخية عند الاوربيين بالاخص ، وعما اذا كان من الممكن اقامة تعاون في هذا المضمار بين الشيوعيين والغربيين ان الضرورة العلمية والعملية تقضي — على النقيض من ذلك — بتوسيع مدى هذه النظرة واعتبار المسألة دلخل نطاقها العام الشامل اي ضمن المحيط العالمي بدون تخصيص ، واذا كان الغربيون يرون في المؤرخين الشيوعيين انهم لا يعالجون موضوعاتهم بروح علمية حقيقية ويذهبون دائما الى بناء استنتاجاتهم على جملة فرضيات مسبقة يتحكم فيها العامل الدعائي الاعتباطي قبل غيره ، واذا كان الشيوعيون — من جهتهم — يرون في المؤرخين الغربيين كونهم لا يذهبون في القضايا التاريخية التي يتناولونها مذهبا متحررا من قيود الرأسمالية والاستعمارية التي تسود المجتمع الصناعي الحديث في الغرب ، وانهم لا يحاولون فهم قضايا العالم، وادراك القوى العاملة في محيطه الا من خلال مقاييس ومفاهيم ينقص من قيمتها الجهل بحقائق الشعوب الاخرى ، واغفال نواميس التاريخ وتسلسلاته الحتمية — كما ترى من خلال النظرية الماركسية اللينينية وما يقاربها — اذا كان المؤرخون شيوعيون ورأسماليون قد دابوا طويلا على تبادل مؤاخذات وانتقادات من هذا الباب او غيره،واذا كانت الندوات التاريجية في « لبيج » و « ميلانو » و « كارلوفي فاري » قد هدفت فيما هدفت اليه ، محاولة التقريب بين جهود المعنيين بالتاريخ في الشرق والغرب ولو في نطاق محدود يتعلق بالحرب العالمية الاخيرة وتيسير سبل التعاون بين الجانبين بشكل يجعل المؤاخذات المتبادلة بينهما ، اقل شدة واضيق مدلولا ، فان مشكلة البحث التاريخي — كما تقدم — لا يمكن ان تجد — رغم ذلك — حلها بمثل هذه السهولة ، ولو مع الافتراض بان المؤرخين الشيوعيين والرأسماليين ربما يجدون في جو الانفراج الدولي الحالي ، ما قد يؤدي بهم — كما يقال — الى امكانية تحقيق نوع من التفاهم في موضوع المادة التاريخية،والبحث والاستنتاج منها ، ذلك ان المشكلة بهذا الصدد — ليست — كما تقدم — مشكلة شرق وغرب ، تختص بهما وتتأثر — على انفراد — بعوامل التوتر والانفراج المتجددة بينهما آنا بعد آخر ، وعلى اساس التسليم بنظرية من هذا النوع ، فان ذلك يعني ان القضية هنا ، قضية سطحية عابرة ومظهر فقط من مظاهر التجاذب السياسي المتأثر — في عدد من حالاته — بعامل الاهواء والنزوات، لكن في مسألة البحث والاستنتاج التاريخي يختلف عن ذلك بدرجة عميقة جدا ، ومن الممكن اعتبارها ذات ازمان مستحكم من الصعب تصفيته بالكيفية البسيطة الذي قد تلوح في بعض الاحيان، والامر في ذلك يعود الى اعتبارات مهمة ، نجمل معطياتها فيما يلي :

أ) من ناحية المادة التاريخية : المعرفة بالتاريخ عند اكثر الامم المتقدمة تكاد تنحصر في الاطلاع على تاريخ الحضارات اليونانية والرومانية وفترة الانحطاط القروسطي باوربا ثم النهضة الاوربية والامريكية الحديثة ، ثم نشوء بوادر الصراع البروليتاري في شكله الحديث ، وقيام العهد الشيوعي بروسيا وما اليها ، اما الحضارات العالمية الاخرى من صينية وهندية وعربية وغيرها ، فان التعرف عليها يوجد محدودا جدا، ولا يبلغ عشر معشار المعرفة الاولوية التي يلم بها الجمهور الاوربي والامريكي عن الحضارات اللاتينية والاغريقية ، ولا يقصد بهذه الاشارة طبقة الجامعيين المتضلعين،وكذا الاختصاصيون في مثل هذه الفروع من المعرفة ، بل المراد فقط ، مجموع العناصر التي هي حاصلة على درجة ما من المعرفة ، وتشكل في جملتها ما يمكن ان يعتبر كرأي عام ثقافي في البلد ، وحتى اذا ما كان الافراد العاديون من هذا القبيل ، يلمون بشيء من تاريخ وحضارات الشعوب التي تعتبر اليوم متخلفة ، فان هذه المعرفة يكاد يكون ضررها في تكوين نظرتهم الى هذه الشعوب اكثر من نفعها لانهم يحصلون عليها ضحلة محرفة ، او على الاقل مجردة من محتوياتها الاساسية التي تمكنهم من ادراك القيم الحضارية والافاق الانسانية عند الشعوب المتمدنة في القديم .

ا) توجد قطاعات مهمة من التاريخ تستوعب حياة وتطور كتل ضخمة من النوع البشري تكاد تكون مجهولة من طرف الرأي العام المثقف في العالم ، وذلك كموضوع التاريخ الحضاري لافريقيا السوداء مثلا ، او حتى اذا لم تكن مجهولة بالمرة ، فان المعرفة بها لا تعد من قبيل المعرفة المشاعة التي تساعد على التقارب بين الشعوب ومعرفة بعضها لبعض ، ولا شك ان موضوع التطور التاريخي والحضاري لشعوب الشرق الاقصى واقطار جنوب شرقي اسيا يبرز كمثال مهم في هذا المضمار .

ب) فيما يتصل بذلك ايضا إن الواضعين للمدونات التاريخية التي تعالج جانبا او آخر من جوانب حضارات الامم المتخلفة اليوم — هؤلاء الواضعون لا تتوافر لهم جميعا الادوات العلمية الكافية لتشرب روح هذه الامم ، واكتناه جوهرها الحضاري ، وذلك عن طريق الالمام ببعض جوانب ثقافاتها الخاصة ولغاتها المكتوبة والمسموعة ، وادراك ما يعتمل في كيانها الحضاري من عوامل عقلية وروحية ومؤثرات ثقافية وحضارية لها في بعض الحالات صفة مفردة وذات اهمية بالغة وثمة — حقا— في الغرب وغيره ، متضلعون من هذا المستوى ، ولكن المصادر التي يضعونها توجه عادة للاستهلاك الخاص اي في دائرة لا يقبل عليها في الغالب الا طبقة من الاختصاصيين وذوي الثقافات العليا ، وهم لا يمثلون بالقياس لعموم الرأي العام المثقف في كل بلد الا نسبة محدودة جدا ، اما الكتب الموجهة للاستهلاك العام وخاصة الكتب الدراسية فيمكن ان يضعها اختصاصيون واساتذة كبار ، ولكن اختصاصهم — من ذلك — لا يقتضيهم دائما محاولة الاشراف المباشر والشامل على حياة الشعوب ذات الحضارات العريقة ، التي يؤرخون لها ، ذلك اما لان تخصصهم

والغرب الرأسمالي بين فرنسيين ويوغوسلافيين وايطاليين وروس وانجليز ، ووفود كثيرة من دول اوربا الشرقية ، وغيرهم كثيرون ، هذا كله مع اعتبار ما يوجد بين نظريات الجانبين ومفاهيمها التاريخية ، من فروق ذات صبغة جوهرية في بعض الاحيان وقد يخال المرء لاول وهلة ، ان مؤتمرا من هذا النوع تتحكم فيه الاعتبارات العلمية في الدرجة الاولى ، قد يختلف لذلك في وجوه ونوع السلوك المتخذ في حظيرته عن جملة المؤتمرات الاخرى ، ذات الصبغة السياسية والديبلوماسية، بيد ان الواقع يختلف عن ذلك بكثير فمؤتمرات « البحث التاريخي التي التأمت بين سنة 1958 و 1963 ـ وان كانت مؤتمرات علمية من حيث المبدأ ـ الا انها لم تكن تختلف في جوها عن جو المؤتمرات السياسية التي تجمع بين ممثلين للشرق والغرب وتحتد في حظيرتها العواطف وتتصادم النظريات بشكل يهددها بالفشل في احيان كثيرة ، فقد اثيرت في خلال المؤتمر الاول ب « ميلانو » قضايا تاريخية ذات حساسية شديدة وكان من ابرز هذه القضايا موقف الحلفاء الغربيين من حركات المقاومة السرية ضد النازيين في اقطار اوربا الشرقية ، وكذا موضع حكومة « فيشي » الفرنسية ، وقضية التناسق الحربي والستراتيجي بين القوات الحليفة الغربية والقوات السوفياتية ، هذا الى جملة مواضيع على هذا النحو ، لكن المسألة التي كان من شأنها ان تحدث قدرا من الحساسية والانفعال اكثر من غيرها ، هي قضية المعاهدة الجرمانية الروسية ، التي اثارت في حينها موجة من الاندهاش في العالم ، ولا تزال النظريات تتعدد في شأنها ذاهبة مذاهب شتى في التعليل والتحليل ، ونفس الجو من تناقض الراي في مثل هذه القضايا ساد مؤتمر سنة 1961 وساد بصورة اقل حدة المؤتمر الاخير الذي انعقد في اواخر سنة 1963 ومن الظواهر التي برزت في غضون هذه المؤتمرات ظاهرة الاختلاف الشديد بين ابناء البلد الواحد تبعا لما يعتنقونه ـ كل على حدة ـ من اراء سياسية ونظريات مذهبية ، تتلون عند البعض منهم باللون الشيوعي ، وتتأثر عند البعض الآخر بمؤثرات المناوأة للشيوعية ، على نحو او غيره ، فقد انعدمت كل امكانية طيلة هذه السنوات التي بذلت خلالها جملة هذه المحاولات الثلاث ، للتعاون الدولي في مضمار البحث التاريخي (من 58 ـ 1963) انعدمت كل امكانية خلال كل ذلك ، للجمع بين المؤرخين الذين ينتسبون الى اقطار اوربا الشرقية ولو كانوا من بلد واحد وذلك بسبب ما يوجد بينهم من تناقض في النظريات السياسية ، والاختبارات المذهبية ، ولادراك ذلك يجب التذكير بوجود عدد من رعايا اوربا الشرقية يقطنون في اقطار الغرب ، وخاصة في فرنسا ، وقد هاجر العديد منهم الى الغرب بسبب ميولهم اللاشيوعية،ويوجد من بين هؤلاء المهاجرين عدد من رجال الجامعات يختص بعضهم بفنون التاريخ والقضايا التاريخية وقد كان من الطبيعي ان يحدث قدر من الاختلاف في وجهات التقدير التاريخي بين هؤلاء المؤرخين ذوي الاختيارات السياسية المتباينة ـ غير ان مثل هذه المواجهة « العلمية » لم تحدث بالفعل طيلة هذه السنوات ، وذلك لعدم امكانية الجمع بين المؤرخين الشيوعيين واللاشيوعيين من اوربا الشرقية ضمن مؤتمرات مشتركة ، ولو ان هذه المؤتمرات تنعقد تحت شعار البحث عن الحقيقة التاريخية ، وهذه « الحالة » الملحوظة وغيرها من شأنها ان تدل على خطورة الموضوع التاريخي ، وعلى طبيعة المواقف الصعبة التي يفرضها البحث التاريخي على المشتغلين به ، اي ان موقف المؤرخ من الحقيقة التاريخية ، لا يزال دائما ـ ولو في عصر العقلانية والمنهجية ـ يتسم بكثير من المحذورات السيكولوجية والفكرية والاجتماعية ، وتحف به جملة من الملابسات التي لا تكاد تساعد على تنظيم التعاون في نطاقه على مستوى عالمي ، وتوشك بالتالي ـ ان تبقى عليه ـ في كثير من الحالات ـ كمادة غير علمية ، اي غير دقيقة وغير مضمونة الدلالة والاستنتاج ، على انه بصرف النظر عن هذه الافاق السلبية ، فان مجرد حدوث هذه المبادرة التي جمعت فيما بين الشرق والغرب ضمن حلقات دراسية مشتركة ، تتناول فترة من احرج الفترات واكثرها حساسية واثارة في مجال التاريخ الحديث ، مجرد وجود هذه المبادرة له اهميته التي لا تنكر ، وذلك فيما اذا اتبعت بمبادرات دولية من هذا القبيل ، تستهدف ـ في اطار اوسع اختصاصا ، واشمل افقا ـ تنظيم عمل دراسي دولي في مادة التاريخ ، يقوم على اسس جديدة واكثر علمية ، وبذلك تعين مثل هذه المبادرات ، على اتاحة قدر من التفاهم والتعاون بين المؤرخين هنا وهناك في مختلف آفاق العالم ، وقد استخلص البعض ممن عنوا بتتبع الندوات التاريخية التي شهدتها السنوات الخمس الاخيرة ـ استخلصوا بعض الاستنتاجات المتفائلة بهذا الصدد ، وراوا من خلال ذلك آفاقا ممكنة ، لتحقيق نظام من التعاون في الدراسات التاريخية بين الشرق والغرب بل انهم راوا ـ الى ذلك ـ ان المرحلة الجديدة التي اصبحت تجتازها العلاقات الدولية ، والتي تتميز بما يتكاثر فيها من محاولات الانفراج والتقارب ـ من شأنها ان تعين على تحقيق امكانيات من هذا الباب ، ولو بشكل تدريجي ومحدود ، لكن هل يكفي ظهور آفاق من هذا المستوى للاعتقاد بان المسألة ـ مسألة البحث التاريخي وما يحيط به من ملابسات فكرية واخلاقية متناقضة ، وما يؤثر على توجيهه وتكييف استنتاجاته من عوامل خارجة احيانا عن نطاق الاعتبارات العلمية والدراسية ، هل يجوز الاعتقاد بان هذه المسألة ، قد اصبحت لا تكتسي صبغة المشكلة مطلقا او ان هذه الصورة ـ صورة المشكلة ـ هي آخذة طريقها الى التلاشي على نحو او غيره ؟ لا يبدو ان هناك حاجة للاستدلال بان قضية مهمة كهذه لا يمكن ان ينتهي امرها على هذا النحو البسيط ، وانه ـ وان كان هناك اتجاه للتعاون في هذا الموضوع ـ فان هذا التعاون ليس من شأنه ان يؤدي الى تصفية التناقضات المبدئية بسرعة ، ذلك ان المشاكل والعقد التي يعاني منها الموضوع

التقدم الديني والدنيوي من ناحية ، وروح الجمود والطقوسية السلبية من ناحية اخرى ، الا ان الحقائق المجردة التي تتعلق بوجود الاسلام في حد ذاته ، والاصلاح المضاد للطقوسية الذي يمكن تطبيقه في هذا المجال كل ذلك يختلف كثيرا عما يحيط بالنظام الكهنوتي من حقائق وملابسات تكاد تعتبر الان من مميزاته الجوهرية وهذا الاختلاف بين الحالتين ، يقتضي بالتالي وجود فرق كذلك بين نتائج الصراع ضد الجمود الديني هنا وهناك ، ومن ثم فلا مجال اذن لفرض حتميات في هذا المضمار ، تستهدف تعميم الاحكام والاستنتاجات ، قياسا على ما تم في محيط التاريخ الاوربي خلال العصر الوسيط ، وقبيل عصر الانبعاث الحديث ·

3) واما اذا ما نظرنا الامر ، امر التدوين والاستنتاج التاريخي ، من زاوية الملابسات السيكولوجية والعقلية التي تؤثر في توجيهه وتكييفه فان امامنا حينئذ مجالا لاستعراض بعض الظواهر نجمل البعض منها فيما يلي :

ا) حالة التأثر ببعض الفرضيات المسبقة ، التي لا تقوم على اسس نظرية وتجريبية نهائية مثل الفرضية القائلة ، بان الشعوب الملونة هي اقل استعدادا طبيعيا للتطور والابداع من الشعوب البيضاء ، ومن المعروف ان هناك من ينطلق من هذه الفرضية الى معالجة تاريخ الشعوب الملونة معالجة سطحية مستنتجا من ذلك احكاما ومفاهيم مجانية ، تؤول في مجموعها الى القول بان حضارات هذه الشعوب القديمة ليست ذات شأن في التقدم الحياتي الذي عرفته البشرية اذ ان هذه الحضارات — في جوهرها — هي مجرد حضارات لفظية ونظرية تقوم على الاستبطان النفسي والتحليق الخيالي والتنسيق اللفظي الامر الذي يتفق مع طبيعة شعوب كالشعوب السامية وغيرها ، من التي ليس لها استعداد فطري للتفكير على اسس عقلية متكاملة ، واحتذاء سبيل التجربة والانجاز العملي ·

ب) حالة التأثر ببعض الرواسب النفسانية التي لعل بعضها ينحدر من القديم اي حينما كان الشرق الملون والغرب الابيض يعيشان دائما — خلال القرون الوسطى واوائل عصر النهضة — في حالة ارتياب متبادل ، كل منهما يتوجس من الاخر ، وقد يعبر البعض عن الطريقة التي يعالج بها مؤرخون من هذا النوع مواضيع التاريخ الشرقي والحضارات الشرقية ، قد يعبرون عن هذه الطريقة بانها طريقة المتأثرين برواسب الحروب الصليبية وليس من الضروري ان يجاري المرء هذا التعبير دائما بيد انه من السهل ان يلاحظ المرء — مع ذلك — ان هذه الرواسب — وان لم تكن ذات اصول صليبية — الا انها ملاحظة على اي حال في عدد من المؤرخين المعروفين ، مستمدة وجودها من اصول اخرى ، لعلها اقرب عهدا من العصور الصليبية اي انه من الجائز ان تكون لهذه الرواسب صلة بعهود النظام الاستعماري التقليدي ، الآخذ الان في الافول وما احاط بنشوء هذا النظام وتطوره ، واستفحاله من ملابسات فكرية وحساسيات نفسانية متشعبة المناحي كثيرا ·

ج) وثمت حالة ثالثة يمكن ملاحظتها في هذا المقام ، وهي حالة المتأثرين ببعض الاوهام والصور الاسطورية المتعلقة بالشرق والحياة الشرقية ، وخصوصا من حيث الماضي القديم ؛ ان جو « الف ليلة وليلة » يكاد يشكل — في كثير من الحالات — الصورة الاكثر تمثيلا للشرق القديم في ذهن الكثيرين باوربا وغيرها ، واذا كان المؤرخون لا يصلون هناك من التأثر بهذه الاوهام ، الى درجة ان يخضعوا معالجاتهم التاريخية لمنطق الحريم واسراب القيان ومجالس الحشيش والشراب ، واجواء السحرة والبسط الطائرة فانهم مع ذلك ما زالوا مخفقين احيانا في تصحيح مفاهيم كثير من الناس حول هذا الموضوع ، وتحديد مدلول هذه الصورة التي تمتزج فيها الحقيقة بالخيال والتي تلون نظرة الكثيرين في اوربا عن الشرق على الاقل ، اذهان اولئك الذين ينزعون بطبعهم الى مسارح الخيال ، ولا يرون الشرق الا من خلال هذه المسارح التي تعكس بحق جانبا ما من حقيقة الحياة الشرقية القديمة اما الجانب الآخر ، الجانب الايجابي من حياة الشرق القديم ، فعلمهم به قليل ، او لعل هذا العلم غير موجود اطلاقا ·

★ ★ ★

ان المشاكل المتفرعة عن التدوين والاستنتاج التاريخي لا يمكن ان تجد حلها بسرعة ، وعلى النحو الذي تفرضه المثالية المجردة التي يقرها الجميع مبدئيا ولكن دون ان يستطيعوا اتباعها في مستوى التطبيق العلمي ، والمراد بذلك هذه المثالية التي تقتضي تحرير الباحث التاريخي من مؤثرات العاطفة والفعالية السياسية والمذهبية ، وقد ادلوا — منذ بعيد — بحلول في هذا المضمار ، ترمي — مثلا — الى اعادة النظر في الموضوعات التاريخية ، وتجريدها نهائيا مما تحتويه من مصادمات واحقاد وحسابات متراكمة تنتظر التصفية وهناك مقترحات من هذا الباب ما فتئوا يدلون بها — على هذا الاساس — بين الحين والآخر ، والواقع انه ليس من الضروري القيام بهذا النوع من التجريد لان ذلك يؤدي الى اختزال صلب التاريخ وافقاده حالة التسلسل والتفاعل التي يقوم عليها بناؤه ، وانما المهم — عوض ذلك — هو عدم استغلال الاحداث استغلالا سلبيا اي تركيز النظر فيها ضمن بؤرة الاحقاد التي لا حد لها ، بل توجيهها توجيها ايجابيا ، يستهدف التقارب الانساني ، قبل اي شيء آخر ، واستخراج مفاهيم وصور معقولة ، لها قيمتها في هذا المضمار ، واذا كان البعض يرى في ذلك نوعا من التدخل الشخصي في تدوين التاريخ ، والاخلال بمبدأ حرية المؤرخ في النظر والاستنتاج ، فان هذه المحاذير حاصلة ايضا في حالة تطعيم

محدود المدى ضيق الافق واما لانهم يجارون الذوق العام والمفاهيم الغالبة او يتقيدون بروح برامج دراسية يتطلب منها ان تعد لغايات تربوية معينة ، اي لغايات تستهدف تكوين نشء يومن بقيمه وحضارته القومية والقارية ، بينما تبدو الحضارات الاخرى له في مستوى اقل اهمية واضأل اسهاما في ميدان التطور البشري العام . هذا من حيث المادة التاريخية .

2) اما من ناحية المفاهيم والمقاييس العامة التي يقوم عليها التفكير التاريخي عند الكثيرين ، فثمت مجال لابداء بعض الملاحظات في هذا المجال منها :

ا) ما يلاحظ من ان بعض الظواهر التاريخية الخاصة يعمم مدلولها بصورة اعتباطية وتتخذ كقاعدة وكمقياس عام ، ثم تستخرج من ذلك الاحكام استخراجا حيث ترسخ في الاذهان كانها حقائق غالية لا تقبل المراجعة ، ومن امثلة ذلك : اخضاع التقسيمات التاريخية المتعلقة بتحديد مراحل التاريخ العام ، وابراز ميزة كل مرحلة على حدة - اخضاع كل ذلك لماجريات التاريخ الاوربي فقط ، ومراحل التطور الخاصة عند الاوربيين الامر الذي ادى الى اعتبار العصر الوسيط في المفهوم العالمي اليوم على اساس انه يمثل سيادة التأخر والرجعية والظلام ، بينما الحال ان العصر الوسيط كان غير ذلك في العالم الاسلامي، حيث ان الحضارة العربية في خلاله - ممتزجة بالحضارات الشرقية الاخرى ، وبقايا التراث الاوربي القديم كان لها اشعاع مهم حينذاك في الافق العالمي ، اي في كثير من المناطق الارضية التي كانت معروفة عندئذ ولا يدعي بهذا ان الحضارة العربية كانت خالية من عوامل النقص ومظاهره ، بحيث انها كانت متكاملة سواء في معناها او مبناها ، فقد شابت هذه الحضارة - بالفعل - كثير من النقائص الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ايضا ، وما زج المجتمع العربي في غضونها من عناصر الانحلال الخلقي ، والتفكك الاجتماعي ، والاستبداد السياسي ، وعدم التوازن الاقتصادي ، واحيانا ايضا مظاهر من الجمود الفكري والانتاجي ، ما لا يمكن نكرانه ، وكل هذه الادواء ، كانت تعود في كثير من اسبابها الى ان العرب فقدوا بعد حين من الدهر حاسة التاصيل الحضاري ، الذي كان من الممكن ان يستمدوا ينابيعها من معين الطاقة العقلية والوجدانية الضخمة التي اكتسبوها نتيجة التزامهم بنشر الاسلام واقبلوا عوض ذلك على الاقتباس المتهافت في بعض الاحيان الاقتباس من الاوضاع التي كانت سائدة عند الفرس والروم ، ومجمل الافكار التي تروج عند الهنود والمجوس وغيرهم ، وبدون استعداد كاف للهضم هضموا ذلك ، فكان منه ان الحضارة الاسلامية كانت - من حيث وجهها الاجتماعي والسياسي على الاقل - غير ما كان من الواجب ان تكون عليه بالفعل وخامرتها النقائص والعاهات التي لا يمكن تجاهلها على وجه من الوجوه ، ومع ذلك وعلى الرغم مما يمكن ذكره في هذا المجال ، فقد كان البون شاسعا بين صورة العصر الوسيط في اوربا وبين صورته المتحضرة جدا في ربوع الشرق الاوسط ، والاندلس ، وحواضر الشمال الافريقي ، وبذلك فلا معنى لهذه الاطلاقات الاصطلاحية في التاريخ التي لا تكاد تقيدها قيود في اذهان الرأي العام الثقافي في الغرب الا اذا ما افترضنا ان الوضع في اوربا خلال كل العصور يصلح ان يكون مقياسا تقيم به جميع الظواهر والحقائق التاريخية بغض النظر عن ملابساتها الزمانية والمكانية الخاصة ومن امثلة هذا النوع من التقييم ايضا : اعتبار ان بداية الانطلاقة الفكرية الاساسية في التاريخ تعود خاصة الى ما بزغ في الارخبيل اليوناني من آيات الحكمة والفن ، والحال ان هناك ظواهر حضارية مهمة اخرى في اقطار الشرق الاوسط برزت قبل النهضة الاغريقية (بلاد ما بين النهرين وسوريا : السومريون ، الاكاديون ، الاموريون ، الفينيقيون ، حضارة جزيرة كريت وبحرايجه قبل اليونان) ومع ذلك لا يعتد بها في التقييم التاريخي بصورة كافية على الاقل فيما هو شائع عند عموم المثقفين المختصين في الاقطار الاوربية والامريكية .

ب) ويلحق بذلك ايضا الاعتقاد المتركز عند البعض ان التطور الحضاري العظيم الذي تمخض عنه عصر الاحياء ، كان فقط كنتيجة للتفاعل المباشر بين الفكر الاغريقي - اللاتيني ، والفكر الاوربي الحديث ، وان اية حلقة في السلسلة - يمكن ان تسمى حلقة عربية ولها اي اسهام في هذا المجال - كل ذلك لا يذكره مثل هوءلاء الا عرضا ، وبصورة لا تثير اي اقتناع كيفما كان شانه ، وقد تجد مطلق الناس في الغرب الذين تلقوا مسكة ما من المعرفة يجهلونه او لا يلمون عنه بقدر ما يجب ان يلم به ، وذلك كنتيجة بسيطة لطبيعة المنهاج التي تسير عليها الكتب المدرسية في كثير من الاقطار الاوربية وغيرها والطريقة التي تسير عليها هذه الكتب في تقييم ماضي الشعوب المتخلفة .. وخاصة منها الافريقية والاسيوية ، وما هو موقع هذه الشعوب من تاريخ التطور الحضاري عند الانسان .

ج) ومن القضايا التاريخية ذات الشان في موضوع التاريخ الاوربي ظاهرة الصراع بين العلم والكنيسة وما يتصل بهذا الصراع ونتائجه وظروفه من حقائق بارزة، تتعلق بالانظمة السائدة في النظام الكنائسي او ارثودوكسيا او كاثوليكيا او غيره ، وقد كان من نتائج الصراع الذي طال كثيرا بين الجانبين : الكهنوتية من جهة والعقلانية من جهة اخرى ، كان من نتائجه تبلور الموقف اللائكي كما يشاهد فعلا في كثير من الانظمة الدولية (نسبة الى الدولة) الموجودة ، واستقطابه مختلف الجوانب غير الكهنوتية من حياة الانسان بالغرب وخارج الغرب الا ان الملاحظ في هذا الموضوع ، ان المسألة هذه مسألة اللائيكية كما يعرفها الغرب تكاد تتخذ الآن مقياسا للحكم على جميع الشعوب ، وتقييم درجة التطور الذي نالته الاقطار المتخلفة عبر التاريخ ، والصفة التي تستحقها الآن باعتبارها متقدمة فكريا او انها عكس ذلك ولا ينكر ان العالم الاسلامي عرف كذلك - كما لا يزال يعرف الآن صراعات حادة بين اندفاعية

مختارات

من الشعر العربي القديم

القصر البديع

قَدْ تَمَّ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَتِمَّ إِلَّا بِالخَلِيفَةِ جَعْفَرِ ١
عَالٍ عَلَى لَحْظِ العُيُونِ كَأَنَّمَا ... يَنْظُرْنَ مِنْهُ إِلَى بَيَاضِ المُشْتَرِي ٢
مَلأَتْ جَوَانِبُهُ الفَضَاءَ وَعَانَقَتْ ... شُرُفَاتُهُ قِطَعَ السَّحَابِ المُمْطِرِ ٣
وَتَسِيلُ دِجْلَةُ تَحْتَهُ، فَفِنَاؤُهُ ... مِنْ لُجَّةٍ غَمْرٍ، وَرَوْضٍ أَخْضَرِ ٤
شَجَرٌ تُلَاعِبُهُ الرِّيَاحُ فَتَنْثَنِي ... أَعْطَافُهُ فِي سَائِحٍ مُتَفَجِّرِ ٥
مَلِكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ أُنْشِئَتْ ... وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرِ ٦
مُخْضَرَّةٌ، وَالغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ ... وَمُضِيئَةٌ، وَاللَّيْلُ لَيْسَ بِمُقْمِرِ ٧

البحتري

شرح الكلمات .

1 يصف البحتري قصر المتوكل العباسي المسمى بالجعفري . –
2 المشترى : كوكب عظيم من الكواكب السيارة شديد اللمعان .
3 شرفات القصر : ما ارتفع من بنائه .
4 دجلة : نهر بغداد المشهور ، وهو بكسر الدال وفتحها .
اللجة : معظم الماء . – غمر . كثير . – الفناء . ساحة امام البيت .
5 أعطافه : جوانبه . – سائح . ماء جار على وجه الارض . متفجر : سائل جار .
6 تبوا . اقام بها . – يشاب ، يخلط . –
7 لان عندها دجلة ترويها . ولان غرفها وساحاتها مضاءة بالمنارات والشموع . –

البحث التاريخي بالاحقاد والعقد المختلفة ، وفي امكان المؤرخ على اي حال – ان يوفق بين ضرورة الامانة العلمية وبين استخلاص العناصر الايجابية من التاريخ التي تبلور مفهوم الوحدة الانسانية هذه الوحدة التي لا تعتبر الحروب والخصامات الا ظواهر ثانوية وسطحية بالنسبة اليها ، ومن البديهي ان هذه الروح روح التوفيق بين الامانة العلمية والاهداف الانسانية الايجابية – يجب ان تسود – بصورة خاصة – ميدان التأليف المدرسي في مادة التاريخ ، وذلك بالنسبة لجميع اقطار العالم وحتى في حالة ما اذا لم يكن ذلك ممكنا بالنسبة للمدونات التاريخية الموجهة لعموم القراء او المعينة لخاصة رجال البحث والتنقيب العلمي المتعمق وقد يقال ان مثل هذا الاتجاه الانساني في تدوين التاريخ ، ربما يكون من نتائجه ان يفضي الى التقليل من اهمية الفكرة القومية وتقليص مدى تأثيرها الايجابي في انفس الافراد والجماعات سواء بالنسبة لهذا الشعب او الآخر ، والواقع انه لا يبدو ان هناك تعارضا جوهريا بين الاتجاهين : الاتجاه القومي ، والاتجاه الانساني في تدوين التاريخ والاستنتاج منه ، وذلك راجع الى وجود عدم التعارض بين الفكرة الانسانية ، والفكرة القومية ، ولكن شرط ان تكون هذه الاخيرة مجردة من مؤثرات « الشوفينية » والعنصرية والانطوائية ، ومجمل الانحرافات الخطيرة المنبثقة عن مثل هذه العوارض ، ان امام المؤرخين في العالم الرأسمالي والشيوعي ، في افريقيا وآسيا وامريكا الجنوبية ، مجالا واسعا للتوفيق بين هذه المقتضيات التي تبدو متناقضة من حيث المظهر ، ولا شك ان التدوين والاستنتاج التاريخي ، المراعاة فيه كل هذه الاعتبارات والحقائق ، من شأنه ان يقدم خدمات مهمة لقضية التعارف والتفاهم الانساني في مختلف الابعاد التي يقوم عليها هذا التعارف والتفاهم ، وكما هو واضح فهذه قضية ذات اهمية قصوى في مجال التطور الذي ما برحت الحياة الانسانية تعرفه طوال النهضة الحضارية الحديثة ، ذلك ان هذه النهضة – وقد اوشكت ان تبلغ وسائل الاتصال فيها سرعة قياسية ، نتيجة التوسع في صنع الصواريخ والاقمار المصطنعة – فان هذه السرعة والاتصال الواسع الذي تتيحه ، ما زال يخلق مشاكل انسانية معقدة على الصعيد الفكري والروحي وما في مستواهما ، وهذا ما يقتضي – بالطبع – اهتماما متزايدا بتحسين عوامل هذا النوع الاخير من التواصل بين الناس ، اي التواصل الفكري والروحي وما في معناه ، وتوسيع مدى ذلك اكثر ما يمكن ، والذي لا اخال انه يثير اختلافا واسعا في الرأي ، ان الموضوع التاريخي اذا ما حسن تدوينه ، والاستنتاج منه ، وجرد من عناصر السلبية والانتهازية التي تؤثر في محتوياته ، ووجهات النظر في محيطه ، فان من شأنه ان يؤدي لقضية التفاهم الانساني خدمات لها شان يذكر ، ويسهم بالنتيجة لذلك – في التلطيف من حدة المشاكل الناجمة عن ازدياد التناقض الفكري والتباين الروحي بين الناس هنا وهناك في مختلف ربوع المعمور .

سلا : المهدي البرجالي

اسباب ارتقاء المسلمين

ان اسباب ارتقاء المسلمين كانت عائدة في مجملها الى الديانة الاسلامية . فعندما دانت قبائل العرب بديانة الاسلام تحولوا بها من الفرقة الى الوحدة ومن الجاهلية الى المدنية ومن عبادة الاصنام الى عبادة الواحد الاحد ، وتبدلوا بأرواحهم الاولى ارواحا جديدة صيرتهم الى ما صاروا اليه من عز ومنعة وفتحوا نصف كرة الارض في نصف قرن ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم لكانوا اكملوا فتح العالم ولم يقف في وجههم واقف .

شكيب ارسلان

سوى الاله من الطين الجسوم ولكن(م) ... من شعاع رسول الله سواه
لم يسع الا لخير الشعب آونة ... لذا ، فما يرتضيه : الشعب يرضاه
العدل يعرفه ، والظلم ينكره ... والله يأمره آنا ، وينهاه
كل ابن آدم ذو سيما تميزه ... والحق، والصدق ، والاخلاص سيماه
من اهتدى بسناه لا يضل ومن ... لم يهده نوره ، فالنور اعشاه !

* * *

لا يعجبن احد ، فالدر معدنه: ... في القيروان ، وفي بنزرت ذكراه!
كم من كوارث كانت أمس ترقبنا ... وتلك محرابها يزهو بتقواه
هذي ، قواعدها تزهو بهمته ... من كان يدرأ عنا الخطب لولاه ؟
ولاتسل عن جماهير الشعب كم هتفت ... آل الشريف ، ورب العرش يرعاه
عاد المليك ، فلله الذي تركت ... والله بين بني الاحرار أشباه

* * *

أبناء عمي في الخضراء ، ما لكم ... بمن اعاد لنا التاريخ أحياه !
بجلتم (الحسن الثاني) فلا تربت ... ايد له صفقت ، لافض افواه
متى يزور (أبو ركيبة) الذي حمل(م) ... النعش المقدس ، لما العز ناداه ؟
متى سنرفعه ، وكلنا كتف ، ... ونحن نصرخ : حيا (بوركيبة) الله (م)؟

* * *

عاد الملك ، فقرت أعين ، وصفت ... أذن ، ورف فؤاد في حناياه ...
عاد المليك ، وعين الله ترعاه ، ... بشرى بما حملت للشعب يمناه

الرباط : ادريس الجائي

« الحمل يهون اذا تحمله كثيرون »

اذا العبء الثقيل توزعته
أكف القوم هان على الرقاب

السري الموصلي

عاد المليك

للشاعر: إدريس الجاي

عاد المليك وعين الله ترعاه — بشرى بما حملت للشعب يمناه
ما أشرقت بالاماني أرض مغربنا — الا التفتنا فألفينا محياه
يسر سمع اذا تروى محامده — ويفرح العين بعد القلب مرآه
ان غاب عنا قليلا ، بالكثير أتى — لذا نهلل دوما حين لقياه
رباه ، بارك لنا فيمن أبوه أبونا (م) — (ابن يوسف) للأمجاد رباه
ما طار عاهلنا الا لمكرمة — ما زار الا الذي للعز يلقاه
مثل الحبيب ابو ركيبة أخيه وان (م) — الطير والطير اشباه واشباه
يبني مع الحسن الثاني لمغربنا الكبير (م) — وكرا تردى من تحداه
كلاهما ان يحلق ، فالسماء له ، — ما تاه ان غيره فوق الذرى تاهوا
كذا نسور بلادي في مساربها — ما فوقها في علاها الا الله
عاد المليك ، وليت الشعب كان يرى — كم اكرمت تونس الخضراء مثواه
ما ظنكم ببني حفص عشيرتنا — ودمهم دمنا ، والمجد زكاه
من يوم ان كان هذا مغربا احدا — من قبلما قيل اقصاه وادناه ؟
ما ظنكم بحبيب مكرم حسنا ؟ — مجدا لمن كان سماه ، وسماه

* * *

يامن حياتهما عمر النضال اطال (م) — الله عمركما ، أبقاك أبقاه
لسوف ينسى الذي استعلى على جثث — أما جهادكما ، من ذا سينساه ؟
حييت يا تونس الفيحاء من بلد — الحسن مرتعه ، والفن مرعاه
ان لقبوك بخضراء فقد صدقوا — أو لقبوك بفردوس فمعناه
جلباب زيتونك الليمون زركشه — يا ما أحيلاه جلبابا وأبهاه
والنخل مياس ، أنسام تهدهده — من شاطئ البحر كاد النوم يغشاه
حتى استفاق فحيى ركب سيدنا — وكان يرقب نورا من محياه
هو الذي تعرف الخضراء نفحته — والنخل والنحل والريحان رياه
عطر النوءة لايخفى وان ستروا — الله اظهره ، ما كان اخفاه

وهيهات ان تستقيم الامور … اذا اجتمع الذئب والحمل
ومهما تطل شدة الازمات … فربك في حكمه يعدل
فينجاب ليل ، ويشرق صبح ؛ … كذا كل شيء له اجل
وقد اذهب الله عنا الشقاء … فلم يبق خوف ولا وجل
فسبحان من هو حي قديم … به أينع البلقع المحل

* * *

اعدت لشعبك امجاده … وانت الجواب لمن يسأل
فكم كربة انت فرجتها … فحل بك المشكل المعضل
فأنت جهاد وعزم وطيد … ومجد به ضرب المثل
ورايك راي سديد بعيد … يروق به مجدنا المقبل
بنيت لمجد العروبة صرحا … منيعا ، وانت له الهيكل
اذا نودي الاسد لحت لنا … وانت لهم سيد أول
وفي المغرب العربي الكبير … انيرت بحكمتك السبل
واخوانك الغر عاشوا كراما … واعداؤنا اللد قد زلزلوا
فذرهم فأحلامهم كاذبات … ويكفيهموا كل ما أولوا
اذا أفلت في السماء النجوم … فنجمك في العز لا يأفل
اذا شئت افلحت فيما تشاء … ففيك لوحدتنا جحفل
وانت الضمان لها كل حين … ففيك مطامحنا تجمل
بذلت فكنت الجواد الاصيل … فلله ما انت قد تبذل
و (فاس) العزيزة بـ (القيروان) … لها صلة ليس تنفصل
واصواتنا تلك أصداؤها … بتونس ضج بها المحفل
ففي كل ناد (عكاظ) يموج … ثناء عليك ، وآياته تصقل
وفي كل حفل نشيد جميل … وفي كل زاوية بلبل
فمرحى باخواننا في النضال … وطوبى لهم حيثما انتقلوا
عواطفهم اصبحت كالرحيق … يذوب بها العطر والعسل
فكم اترعوا من كؤوس الاخاء … وما انقطع الورد والمنهل
لقد كنت من بينهم كالهلال … وكنت بأهدابهم تحمل
قد استقبلوك بكل اشتياق … فهم بسناك قد اكتحلوا
قد استقبلوك بكل حنان … وملؤهم البشر والجدل
وهم رحبوا بك ، بل رحبوا … بنا ، بالاخاء وما يشمل
وتونس صارت فراديس خلد … يروق بها السهل والجبل
وولدانها ، كاليواقيت قد … أتتت وهي من شعبها قبل
و (بنزرت) بعد الجلاء تبدت … وعنها لقد زالت العلل
فصارت عروسا تسر العيون … وفوق رباها أزدهت حلل.

تهنئة للملك بعودته المظفرة من رحلته الميمونة

إلى تونس الشقيقة

للشاعر : محمد العلمي

هنيئا بعودك يا بطل   ففيك لقد أشرق الأمل
فأنت حفيد الرسول الامين   وفضلك في الكون لا يجهل
وقومك قوم سراة ، على   صنوف العلا ، كلهم جبلوا
فلم يخضعوا للدخيل ، ولا   تراهم لاحكامه قبلوا
وكانوا دواما على يقظة   فما نبذوا الحق أو غفلوا
فأنت المرجى الوحيد لديهم   عليك جميعا لقد عولوا
يطيعك شعبك طاعة حب   وتأمر حينا فيمتثل
وعرشك في خفقات القلوب   ومثواك من شعبك المقل
وحاشا يخيب المحب الوفي   وحاشا مطيعك ينخذل
رعاياك قوم كرام أباة   فلو سئلوا الروح ما بخلوا
وشبل (ابن يوسف) أحرى بأن   يقود البلاد لما تأمل
كسرت بعزمك كل القيود   وعزمك بالمجد متصل
وحطمت بالحب كل الحدود   فطاب لك الحمد والموئل
وفي كل ناد تركت عظات   بها العظماء قد اشتغلوا
وشعبك يحيا بكل أمان   ويحلو له عيشه الخضل
تسير بنا للامام ، وفي   يمينك من حبنا مشعل
تريد النهوض لامتنا   فما راقك الداء والشلل
وسعيك يشكر في كل حين   وأنت لوحدتنا تعمل
رفعت مقام البلاد عليا   وقد خسيء الكاذب المبطل
فتونس مثل الجزائر أخت   وفي ليبيا مجدنا يكمل
أرى الاتحاد ضمان الفلاح   به دائما سادت الدول
هنا وهنالك أوطاننا   فما شط أهل ولا منزل
وكان الدخيل يفرقنا   وتلك عهود له حنظل
ومن نام عن صون حوزته   فلا ريب يهدمها المعول
اذا الظلم صال بصولته   فربك يمهل ، لا يهمل

حوار...

للشاعر: عبد المالك البلغيثي

الشاب :

الى أين تذهب يا سيدي ... وفي يدك القفة الهائله ؟

الكهل :

الى السوق ، حيث الاقي الذي ... تطلبه الدار والعائله

الشاب :

اتترك زوجك ، يا سيدي ... شريكة عيشك ، في القابعات ؟
فانت أحق بذاك الجلوس ... لأنك لا تعرف الواجبات
فحواء في السوق سائرة ... وءادم في الشغل منغمر
الست ترى السوق زاخرة ... بهن ، ولا رجل ينكر ؟

الكهل :

صدقت بني ، ولكنني ... اغار على زوجتي وابنتي
وتبلغ بي غيرتي مبلغا ... فامنع من هرهم هرتي
فكيف ، واني كما قد سمعت ... تريد اسامح في زوجتي؟

الشاب :

تعديت ، يا سيدي واجبا ... وسرت مع الظن في جانب
وافرطت في غيرة مالها ... بعصر الحضارة من راغب

الكهل :

أ اتركها بين هذي الجموع ... تغازلها اعين الخائنين ؟
فدعني من السخف يا ولدي ... فاني من نمط الغابرين

الشاب :

فلو كنت يا كهل في منزلي ... وقد جمعت شملنا المائده
وكل نديم تحادثه ... حليلة صاحبه الناهده
وحثت مشعشعة في الكؤوس ... وهب السرور من النافذه
لما عدت ذا غيرة أبدا ... وخلفتها جثة هامدة
فهيا معي ، سيدي عاجلا ... الى منزلي متعة الناظرين
لتفعل مثلي وتحيى سعيدا ... ولا تبق في كتلة الجامدين

وابطالها في الكفاح اسود … فهم في النضال قد استبسلوا
فللمجد من منهمو سلموا … وللخلد من منهمو قتلوا
وتحقيق ما نرتجي من منى … بدون المتاعب لا يعقل
وكنا جميعا هناك ، وفي … وجودك من حبنا رسل
واني ارى الجاحدين بما هم … قد راوه هنالك قد قنبلوا
فنحن هنا قد اقمنا احتفالا … واخواننا مثلنا احتفلوا
ونحن بأوطاننا قد حللنا … وفيها هنالك نستقبل
فلم يبق في راينا خطل … ولم يبق في خطونا زلل
ونحن مضينا بعزم وطيد … الى المجد نسعى ونسترسل

* * *

خطابك اثر في كل قلب … فهش له الصخر والجندل
فلله درك يا ابن البيان … فمرحى بما انت ترتجل
وانت لشعبك مفخرة … تشرفه حيثما تنزل
وايقظت همة شعب ابي … فما راقه النوم والكسل
وما المجد الا لكل قوي … على غيره ليس يتكل
ومن عرف القصد سار حثيثا … وما راعه الشك والملل
فبالعزم تدرك كل المنى … وكل عسير به يسهل
وكل الحياة عراك شديد … وليس يخوض الوغى اعزل
أرى القوم خاضوا الحياة بجد … وللمعجزات لقد وصلوا
فعاشوا كراما كما رغبوا … ونالوا نتيجة ما استأهلوا
فما قد راينا وما قد نرى … يحققه العلم والعمل
وما كان من جنسنا من يهون … ومن شأنه الذل والخجل

* * *

امولاي شعبك غايته … حياة كما ترتجي أفضل
بنصرك شعبك أصبح طرا … الى الله يدعو ويبتهل
سلمت هنا وهناك فقد … صفا لك حل ومرتحل
فدم للعروبة حصنا حصينا … وعش للعلا أيها البطل !

الرباط : محمد العلمي

وكم للفرائز من ثورة   اذا لم تراجع ولم تكبح
اما للحيا فيكم وازع   اذا وازع الدين لم ينجح ؟

الشاب :

اما ءان يا شيخ أن ترعوي   وتسلك مثلي طريق الصواب؟
لعل بنيك يلاقون منك   لنهج الجديد ، صنوف العتاب
فهم بك ، لاشك ، في عيشة   من الغم والكرب لا تستطاب
اتزري بنا بالمساوي التي   نراها محاسن ، ليست تعاب ؟
فترك الصلاة واشباهها   ترى من خصائص يوم الحساب
تسيرون يا ناس للقهقرى   ونحن ، نعادي ركاب الاياب
تحيطون بالدين اعمالكم   فيوصد في وجهكم كل باب
ويؤسفني ان يكون بنوك   ينالون منك شديد العقاب
لانك بالطبع يا سيدي   تعادي تطور هذا الشباب

الكهل :

بني ، على حالة مرضيه   وليسو كحالتك المضنيه
اذا ما رايت صفيرهم   بكيت لأحوالك المزريه
واكبرهم من رجال الحقوق   ويهفو ، بطبع ، لنيل المزيد
واوسطهم ضابط الطيران   وسوف يرى قائدا للجنود
وبنت تدرس طب النساء   وتبذل للفوز اقصى الجهود
وتذهب للدرس سافرة   وتكره صبغ اللما والخدود
مثالية في سلوك الفتاة   تفوق رفيقاتها وتسود
يهيمون ، حقا ، بكل جديد   اذا كان فيه لنا ما يفيد
ولا يصدم الدين في حاجة   وبالخير عنا وعنهم يعود
وهم يقدرون تراث الجدود   وءاثاره في مجال الوجود
فلا يستسيغون تشويهه   وكم يعملون لكيلا يبيد
يقومون بالدين خير قيام   وفي الذود عن وطن كالاسود
طرابيشهم فوق هامهم   خلاف النصارى خلاف اليهود
وكم يكرهون بطبعهم   ميوعة بعض الشباب العنيد
كذاك التكسر عند الكلام   وتغبين الاوجه مثل القرود
وكل مكان به ريبة   كمرقص دارك حيث تجود
يعادونه ، فهو ركن الفساد   وهل يرتضيه الفيور الرشيد؟
لان المروءة رائدهم   فهم دائما في سلوك حميد
وليس لهم عن عروبتهم   وان حذقوا السنا ، من صدود
وشاهدهم في احاديثهم   كتاب الالاه الحميد المجيد
فهم ، بالحياة معي سعداء   كما انني بهم لسعيد

سلا : عبد المالك البلغيثي

الكهل :

عجبت بني ، لما قلته   لعلك تمزح يا ابن الأباة
لأن اباك له غيرة   على عرضه ، فله الرحمات
واربأ يا ولدي بك عن   سلوك يشين ذوي المكرمات
فان المروءة ، يا ولدي   تعادي وتمقت تلك الهنات

الشاب :

كفى سيدي من هزيل الكلام   ومن رجعة ، سفلت ، للوراء
فنحن شباب الزمان الذي   بذرته سوف يغزو الفضاء
ولفظ المروءة ليس له   بقاموسنا ، غير معنى الغباء
وهل نظرة الغير فيمن تحب   ، ستنقصها حاجة في النساء ؟
فبالعكس ، تزداد معرفة   باشياء تغدو بها في غناء
فماذا جنيت وزوجك ، في   حياة حجاب ينير الحياء ؟
يعز علي سلوكك ذا   وفيك للون الشباب رواء
فها السيدات ملأن الفجاج   ابحن الجمال بكل سخاء
فهل ضاع منهن يا سيدي   عزيز ، وهل شانهن العراء ؟
فما نظرة البعداء لهن   بأخوف من نظرة القرباء
تعال الى دارنا سيدي   لأمحو عنك مساوي القديم
وترقص مع غادتي رقصة   وتعرف كيف حياة النعيم
فانك عندي مثل ابي   اريد انتشالك من ذا الغرور
فلو قمت ترقص مع غادة   وقد ضمخت جسمها بالعطور
وبالمعصم الرخص قد ساورتك   وانت تميل بها وتدور
تغازلها برقيق الكلام   وتجني من الحسن خير الزهور
لما عدت تلبس زي القديم   وقلت : ليحيى دعاة السفور

الكهل :

بني ، كفى ، انني ءاسف   على ما تفوه به من كلام
فشرب الخمور وكشف النحور   وضم الخصور ، حرام حرام
فديني ينافي الذي قلته   ومالي في غيره من مرام
اخذتم عن الغرب كل مشين   نسيتم صلاتكم والصيام
وكل حرام غدا عندكم   حلالا ، بمرآى جميع الانام
وفرطتم في تقاليدكم   وفيها لكم حرمة لاترام
فياضيعة الدين بينكم   اقد كان من قلبكم في احترام
اذا ما الحديث جرى بينكم   فلا ذكر لله عند الكلام
كذاك النبي واصحابه   عليه الصلاة وازكى السلام
بربك قل لي : اما تستحي   وانت واختك في المسبح ؟
ترى عورة منك ناتئة   وناظرها عنك لم يبرح
وتنظر منها ومن غيرها   مفاتن ، في الشرع لم تبح

المغرب

للشاعر: محمد البوعناني

عرفته شامخا كالطود توجه ... بالشمس من اخصب المرعى لراعيا
يمتد كالبحر في صدر الخلود وما ... يفوته البحر لا عنفا ، ولا لينا !
تسلم العام فيه خير اربعة (*) ... وانشد الليل فيه خلف حادينا
اهدت اليه عيون المجد بؤبؤها ... والصين لؤلؤها . ما ابعد الصينا !
لكن اذا دوخ الدنيا بنوه فما ... كانت هناك هدايا لا توافينا
فمن قبائله اجدادنا بعثوا ... الى الملوك المزايا والقوانيا
على سواحلنا نامت بضاعتهم ... وفي سواحلهم قامت مراسينا
وفي سواعدنا غنت حرائرهم ... ومن سواعدهم فرت مواشينا !
اي سيدي ! واخي ! يامغربي ! وأبي ! ... امي ! وسكان دربي ! والبعيدينا ..
شربت من كل نبع ، ثم ما لقيت ... نفسي كنبعك حلوا ، في مجارينا

محمد البوعناني

(*) الأربعة بكسر الباء : جمع ربيع

الإنسان والمرض

للشاعرة: جليلة رضا

نقدم هذه القصيدة للشاعرة العربية الكبيرة «جليلة رضا» التي نال شعرها اهتمام جميع النقاد والادباء في العالم العربي، والتي تحتل منزلة الصدارة في الشعر النسوي المعاصر.
و «دعوة الحق» اذ ترحب وتحتفي بقصائدها المبدعة ترجو ان تبعث لها من ديوانها حتى يطلع هذا الجناح المغربي على ما ينتج في الجناح الشرقي.

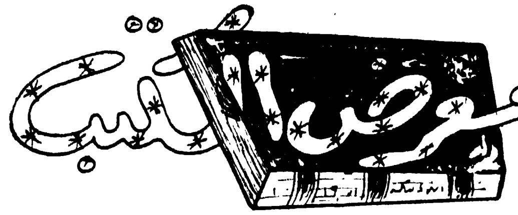
توقف عن سيره متعباوسمر رجليه فوق الصخور
ولكن صاحبه شده وصاح به ان يحث المسير
اجاب : حنانك كلت خطاي وليلي ضرير ودربي عسير
الى اين تدفعني هاربا وما منتهاي ؟ واين المصير؟
الا ايها الشيخ قف برهة لاشهد خلفي الضياء المنير
اما كنت من قبل لي طائعا سريع الرضاء، عطوفا، صبور!

فما بالك اليوم تسخر مني ومن أدمعي ؟
وتصرخ : سر . سر .. وصوتك يعصف في مسمعي
ويطعن ظهري خنجرك المستبد العنيد
وتلهو براسي فيبيض شعري مثل الجليد
بانفي فتنفخه كالكرة
بكل عروق يدي النافرة

ويالك من زمن ظالم نشيع الفناء على ارضنا
وتمتم صاحبه في استياء وقطب جبهتيه في اكتئاب
ونادى : ايا نك من جاحد ظلمت زمانك يابن التراب

اذا ما حرمتك عز الشباب وفخر الجمال
فاني وهبتك تاج الوقار وعرس الخيال
وهدات اعصابك الثائرات
وبدلت طيشك بالذكريات
وبالصبر قلق الهوى والمجون
بروح القناعة ضيم السنين
ومن ضوء الهام معرفتي
غمرتك بالوعي والخبرة
فاما هرمت واصبحت مثلي
فحسبك اني وهبتك .. عقلي

للشاعرة : جليلة رضا



الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الفكرية

تقديم وتعليق للأستاذ : عبد السلام الهراس

تفضل – مشكورا – الاستاذ الاديب السيد انور الجندي باهدائي كتابه الجديد « الفكر العربي المعاصر .... » وقد كنت فى اشد الرغبة لقراءته لموضوعه الخطير الذي يعالجه ، ومن الغريب والمؤسف ان نحرم من كثير من الانتاج الفكري والثقافي العربي في عصر السرعة والمواصلات والتبادل الثقافي الدولي ، وكم من كتاب نسمع به صدفة او نقرأ عنه من حين لآخر في بعض الجرائد ولكنك ان بحثت في المكاتب لا تعثر على اي اثر عنه ، في حين تتوفر في السوق الكتب والمجلات الاجنبية .

وبهذه المناسبة اريد ان اشير الى ان مما يحول بين القاريء المغربي والكتاب العربي الغلاء الفاحش الذي « يتمتع » به هذا الكتاب ببلدنا ، ونظرة سريعة لثمن الكتاب الحقيقي ، والثمن الذي يباع به هنا تطلعك على مدى الاستغلال المؤسف للعلم والثقافة .

والاستاذ انور الجندي ليس جديدا على القاريء المغربي فقد عرفه كاتبا في اشهر المجلات العربية ، ومن الذين يسهمون بحظ وافر في الكتابة « بدعوة الحق » .

والمؤلف الكريم ممن يعيشون « للفكرة » ويلتزمون بها ، فعنها يصدر في مؤلفاته وكتاباته . وفي هذا الكتاب تتجلى اتجاهات المؤلف الاسلامية والعربية .

ويقع الكتاب في 650 صفحة ويشتمل على ابواب ثلاثة وفصول كثيرة ومتنوعة ، وكل فصل مجزأ الى فقر متعددة ، والمؤلف يبسط القول بسطا في بعض تلك الفصول ويستقصي الجزئيات للفكرة التي يستعرضها ويعالجها .

والكتاب على كثرة صفحاته يستبد بالقاريء ويفرض نفسه عليه لانه يتناول موضوعا خطيرا ومهما بالنسبة للمسلمين والعرب ، وان كل فصل فيه ليدعوك لقراءة الفصل الذي يليه ، وهو مع ذلك مرجع مهم عن فريد الكتابة في موضوع الفكر العربي المعاصر ، والصراع الثقافي العربي والاستعماري .

فالكتاب ذو موضوع خطير في عرض شيق ، يعرض علينا اخطر معركة عاشتها الامة العربية ، تلك المعركة الفكرية والثقافية التي ما زلنا نعيشها اليوم ، بل قد اشتد اوارها وحمى وطيسها في البلاد العربية القريبة العهد بالاستقلال ، وان السير المعوق الذي نسيره ، والحركة المشلولة التي نتحركها ، ليست سوى احدى نتائج تلك المعركة القاسية الضروس التي لم نقدرها حق قدرها بعد .

قسم المؤلف الكتاب الى ابواب كبيرة ذات فصول كثيرة :

1) الفكر العربي في مرحلة اليقظة .
2) الفكر العربي ازاء الغزو الثقافي .
3) مرحلة التحدي ورد الفعل .

وقد تحدث في الباب الاول عن يقظة الفكر العربي ، ويرى ان النهضة العربية لم تبتديء بحملة نابليون على مصر سنة 1798 او بوصول البعثات التبشيرية الفرنسية سنة 1847 والامريكية سنة 1868 الى بيروت بل ان بداية هذه اليقظة الفكرية كانت قبل ذلك بأمد طويل ؛ انها تبتديء بدعوة محمد ابن عبد الوهاب الذي قام بها حوالي 1740 ومعنى ذلك ان بداية اليقظة كانت اسبق من البعثات التبشرية بمائة عام (ص 21 / 22) . ويعقد المؤلف فصلا



لِلشاعر: محمّد طريبق

ينشد الشعر والمعاني تلقاها من الحب قلبه الموهوب
هو يبكي مع الدجى ، واذا أدبر يشدو كأنه عندليب
باكرت روحه الصبابة حتى عاد من فرطها حشاه يذوب
حبه خالد كأنه نور سرمدي عن الدنى لا يغيب
سهر دائم ، وفكر شرود ، وعذاب مقدر مكتوب
هو روح مجنح ، وهو قيثار ولحن به الحياة تطيب
يكشف الستر عن جميع الذي يجهل أسراره الذكي اللبيب
ويناجي الربى وينبت للناس ربيع الحياة وهو كئيب
ويمد الوجود بالسحر والفتنة والقلب تعتريه الكروب
هو مثل السراج يعطي ضياء لسواه وفيه يسري اللهيب
في معانيه رقة وجمال ، وبألفاظه هوى ونسيب
يجعل الحرف نجمة ، والقفار الجرد روضا تضوع فيه الطيوب
فيه سر الوجود ، فيه جلال الحب .. فيه الحبيب والمحبوب
دينه الروض ، والشحارير ، والألحان ، والفجر ، والربيع الخصيب
حظه أسود ، وقلبه كالبحر ـ على الرغم من أساه ـ رحيب!

العرائش : حسن محمد الطريبق

الاستعمار الذي تقاسم تركة الرجل المريض ، ومزق بلاد العروبة شر تمزيق ، وبعد اخذ كل دولة حصتها من التركة ابتدات حملة الغزو الثقافي لتركيز اقدام الاستعمار ، وقد بين المؤلف اسس هذا الغزو وادواته، وكلها تتفق في تمزيق الفكر الاسلامي العربي ، وبث العنصرية الدينية والقومية ، والاستعمار ينوع اساليبه حسب مصلحته وقد يدعو الى الطائفية الدينية حيث يجد العنصر الديني مادة للاستغلال ، فاذا وجد امة متحدة العقيدة والدين ، اثار العنصر القومي والقبلي كالكردية والبربرية ، وقد ينبش في التاريخ القديم لاستخراج عنصر الاستغلال كالفرعونية والفينيقية ، ولكان يعلم من التاريخ ابعد من ذلك لاتى بالعجب العجاب .

وفي رايي ان من اكبر وسائل التغريب والتخريب الجهاز التشريعي والقضائي الذي اقامه الاستعمار فى البلاد الاسلامية ، وما زلنا نرعاه الى اليوم بل نجعله اساسا للتحاكم بيننا ومنوالا تسبح عليه كل قوانينا .

وقد ابان الاستاذ المؤلف عن مدى تأثر الفكر العربي بالنظريات والمذاهب والآراء الغربية المادية ، ومظاهر ذلك التأثر والصراع الذي حدث بين انصار فكرة واعدائها كالمعارك التي ثارت حول النشوء ، والارتقاء ، والمادية التاريخية لماركس ، ونظرية الشك لديكارت ونظرية فرويد في الجنس ، ومذاهب الفاشستية والنازية ... الخ .

كما تحدث عن الاستشراق وبين انه اداة طيعة في يد الاستعمار وفضح المؤلف بعض نواياهم ومؤامراتهم ، وقد كان للمستشرقين « ابناء » رددوا آراءهم وحملوا لواء التحدي للفكر الاسلامي وللتراث الديني ، وذكر المؤلف اسماء بعض هؤلاء الابناء مثل: منصور فهمي ، واحمد ضيف ، وطه حسين ، وزكي مبارك ، واسماعيل مظهر .

فقد اعد منصور فهمي رسالة الدكتورة في باريس تحت اشراف المستشرق الاسرائيلي ليفي بريل عن « حالة المراة في التقاليد الاسلامية وتطوراتها » ومما جاء فيها « ان محمدا شرع لكل الناس واستثنى نفسه ... » وسار على هذا الدرب..

كما حضر طه حسين رسالة الدكتوراة في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحت اشراف اليهودي دركايهم ، ولم ينس ان يهاجم كفاح المغاربة ضد الاستعمار الفرنسي ، « واستعصاءهم على رسالته التحضيرية » .

واستسمح القاريء الكريم اذا انا وقفت عند هذا الحد من استعراض ابواب وفصول هذا الكتاب القيم . فما تزال هناك فصول عن مواجهة الغزو ومعارك المقاومة .

ومما يحمد عليه الاستاذ انور انه ذيل كل فصل بذكر المراجع وبذلك يقدم لنا مكتبة عربية مهمة عن هذا الموضوع الخطير لمن اراد استزادة البحث فاذا اضيفت اليها المصادر المكتوبة بالاجنبية تكونت لدينا مكتبة ضخمة عن هذا الموضوع الخطير .

والكتاب يصلح لان يكون نواة لموسوعة تبحث فى علاقة الفكر العربي الحديث وصلته بالاستعمار ، وان الكتب التي تناولت هذا الموضوع قليلة جدا ومن ابرزها : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار للدكتور البهي ، والتبشير والاستعمار في البلاد العربية لفروخ والخالدي ، وفصول من كتب مالك بن نبي وكتابه : الصراع الفكري ... واننا لفي حاجة شديدة لمثل هذه المؤلفات .

وان تكن لي ملاحظة فهي اقتضاب المؤلف حديثه عن المغرب العربي الذي كان مسرحا خطيرا ، وما يزال ، للتغريب والتبشير والغزو الثقافي ، وما تزال المعركة على اشدها هنا في الجناح الغربي لبلاد العروبة ، وان كانت هذه الملاحظة لا تعفينا ، نحن كتاب المغرب من مسؤولية التقصير فى واجب القيام بالبحث في هذا الموضوع .

وبعد ، فانا لنرجو من الاستاذ المؤلف مزيدا من الانتاج في هذا الميدان لان شباب العرب في امس الحاجة لمن يكشف لهم عن حقائق الامور ويبصرهم بمواطن الخطر ، ويطلعهم على ماضيهم ومجادهم ، ويحضهم على بناء مستقبل وطنهم في ظلال من حرية الفكر والضمير ، وتحت راية القرآن .

تطوان : عبد السلام الهراس

لتيارات الفكر العربي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، ويصنف هذه التيارات فيما يلي :

1) تيار التجديد الديني .
2) التيار الثقافي .
3) التيار السياسي .
4) تيار الاصلاح الاجتماعي .

ويتمثل تيار التجديد الديني في محمد بن عبد الوهاب ، الشوكاني ، الالوسي ، السنوسي ، المهدي، محمد عبده . ولم يذكر الاخ المؤلف من يتمثل فيهم بوضوح هذا التيار في المغرب العربي ما عدا السنوسي

وفي فكرة التيار الثقافي عن فكرة المزج بين الثقافة العربية والاجنبية وعن المدارس التي اسست في فجر النهضة بالبلاد العربية وعن الترجمة والطباعة ، كما ابرز دور الازهر في المجال الثقافي ، وكذلك دور التربية والتعليم ، وقد فصل القول في هذا التيار وبين اهدافه بدقة ومعالمه بتحديد .

وقد اسهب بعض الشيء في التيار السياسي وضمن ذلك تحدث عن تيار الجامعة الاسلامية وبين الدوافع للمناداة بذلك ، واول من دعا الى هذه الجامعة هو جمال الدين الافغاني (ص 91) .

وفيما يتصل بالقومية العربية يرى المؤلف بانها كانت كرد فعل للقومية الطورانية ، وتركزت في الشام (سوريا ولبنان) واحتضنها اول الامر العرب المسيحيون الذين تاثروا بالثقافة الغربية عن طريق الجامعات الامريكية والفرنسية التي انشئت بلبنان، والتي حملت لواء الدعوة الى القومية كوسيلة للقضاء على الخلافة الاسلامية وتمزيق كيان الامبراطورية العثمانية ، وقد اعتبر هذا التيار الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي تراثا عربيا .

ويشير المؤلف الفاضل الى ظاهرة اخرى خطيرة، وهو تحويله نحو التغريب كمحاولة للتشكيك في مقدار العرب والمسلمين (ص 100) .

واعتقد ان من اكبر المؤامرات على الفكرة الاسلامية وعلى المسلمين هذه الدعوة الجاهلية الجديدة التي تدعي ان كل عبقرية اسلامية مصدرها «العروبة» حتى ان **الاسلام مظهر من مظاهر هذه العبقرية** ، وانهم يتخذون ذلك وسيلة للتشكيك في بعثة رسول الله الذي يصفونه بالعبقري العربي وبعض هؤلاء يقول بان رسالة العرب كانت دينية ، ولما استنفد الدين اغراضه وتغير العصر اصبح لزاما ان تتغير هذه الرسالة الى ناحية غير دينية الى غير ذلك من الافكار التي تستهدف تحطيم الاسلام .

فالمؤلف الفاضل يكشف لنا بان « القومية » نشأت في احضان مؤسسات تبشيرية استعمارية وهذه المؤسسات اقامها الاستعمار لتزييف الفكر العربي الاسلامي ، ومسخ القيم ، وتفتيت الكيان الروحي والطاقة النفسية للامة الاسلامية .

وان المطلع على حقائق الامور وما يدبر لهذا الاسلام من مكائد باسم دعوات مختلفة ومؤتمرات مختلفة ومؤسسات كثيرة ليعلم الاستعداد الهائل لتخريب العقيدة الاسلامية .

ان المؤلف قد اصاب في نصه على هاتين الظاهرتين :

1) نشوء القومية في احضان المدارس التبشيرية
2) تحويلها نحو التغريب .

والواقع ان منشأها كان اساسا محاولة للتغريب والبلبلة والاضطراب لتجريد الشباب المسلم من الوجهة الصحيحة ، والهائه بالضحالة والشعارات التي لاتكون حصانة ولا تنقذ من تأخر .

وان الاحداث الجارية في بعض بلاد المسلمين والعرب لتطلعنا على مدى رزء هؤلاء في افكارهم ووحدتهم الروحية ووجهتهم الاسلامية .

وفي فصل « تحرير المراة » عرض السيد المؤلف آراء بطرس البستاني والشدياق والطهطاوي ، وفصل القول في دعوة قاسم امين .

والجميع يعرف ان هذا الكاتب قد اثار ضجة كبيرة في الشرق حول تحرير المراة ، ولكن الذي لا يعرفه الجميع هو ان هذا الداعية الجريء قد تراجع عن افكاره بعد (*) وهذا التراجع يسجله السيد المؤلف بتثبت وتحر (ص 125) .

وفي الباب الثاني تحت عنوان « الفكر العربي إزاء الغزو الثقافي بعد الحرب العالمية الاولى » يتحدث المؤلف عن وقوع البلاد العربية تحت سيطرة

(*) اما المرحوم الدكتور منصور فهمي فقد اعلن تراجعه في صحف القاهرة كما سمعت ذلك منه مشافهة عند اجتماعي به في بيت المرحوم الامير محمد عبد الكريم الخطابي وقد نشرت حديثه في حينه ....

اقل حجما من هذه البذرة . ولقد سمعت من ابي ان السلت في عهده كان اجود وكان يعطي بذورا اضخم ، فاسال أبـــي .

واستدعى القيصر ابا الشيخ فأتى وكان بلا عكازة ، خفيف المشي ، حاد العينين ، قوي السمع ، واضح الصوت ، فقدم له القيصر البذرة ، فأخذها وفحصها وقوم وزنها ثم قـــال :

ــ منذ سنين لم ار سلت العصور القديمـة .

وبعد ان عض عليها ومضغها بين اسنانه تابع كــلامـــه :

ــ انها تماما بذرة تلك العصور .. فسأله القيصر:

ــ ستقول اذن أيها الاب أين ومتى زدع مثل هذا السلت ؟ وانت ؟ اما كنت تشتريه وتزرعه في حقولك؟

فأجاب الفـــلاح المسـن :

ــ في عصرنا لم نكن نعرف سلتا غير هذا . انه نفس السلت الذي كنت آكله واعطي للآخرين ليأكلـوا منــه . بل هو السلت نفسه الذي كنت أبذره واحصده وارسله الى الطاحونة .

فسأله القيصر من جديد :

ــ وهل كنت تشتريه ؟ ام كنت تبـذره بنفسك في حقـولك ؟

فقهقه الشيـــخ ثم قـــال :

ــ في عصرنا ، لم يكن احـد منا تراوده حتـــى مجرد الفكرة في اقتراف مثـــل هذا الذنب ، ذنب ان يشتري الخبز او يبيعه ! . فالنقود لم تكن موجـودة ، وكل واحد عنده من الخبز ما يكفيه ليعيش .

فسأله القيصر :

ــ قل لي ايها الاب اين كنت تزرع حبـا من هذا النوع ؟ وأين كان حقلك ؟ فأجاب الجد :

ــ كان حقلي هو ارض الله ، فالتربة كانت حرة ولم يكن احد يسمي الارض ارضه . العمـــل وحده الذي نسميه عملنــا .

فمضى القيصر يسأل :

ــ والآن ايها الاب اريد معرفة شيئين آخريـن : أولا : لماذا كانت هذه الحبة تنمو في عصركم ولا كذلك في عصرنا ؟ وثانيا : لماذا يحتاج حفيدك الى عكازتيـن ليمشي ، وابنك الى واحدة بينما انت نشيط خفيـف الحركة ؟ عيناك تبصران بوضـــوح ، واسنانك تعض وتمضغ ، وكـــلامك صريـــح بشوش .. لماذا اذن ايهـــا الاب ؟ .

فأجاب الفلاح فـــورا :

ــ لان اناس هذا العصر تخلوا عن طلب خبزهـم من عمل أيديهم ، وأصبحوا يؤثرون العيش من عمـل الغير . اما نحن فلم نكن نعيش بهذا الشكـــل فـي عصرنا . لقد كنا نتبع شريعة الله ونعيش قانعيـــن بالكفـاف دون ان نحسـد أحـــدا .

القنيطرة : ابراهيم السولامي

« الا انـــه اســـد ! »

عيـــر ثعلـــب لبـــوءة ، بأنهـــا انمـا تلـــد فـي عمـــرهـــا كلـــه شبـــــلا واحـــــدا .

فقالـــت : نعـــم ، الا انـــه اســـد ! ! .

قصة العدد

حبة السلت

قصة ليو تولستوي ترجمة: إبراهيم السولامي

عثر اطفال ذات يوم في حفرة على شيء في حجم بيضة دجاجة يخترقه خط ؛ وتوهم الجميع أن ذلك الشيء هو حبة قمح ، فمر احد الناس ورآها بين ايدي اطفال فاشتراها منهم بخمس كوبيات وحملها معه الى المدينة وباعها الى القيصر على اعتبار انها شيء غريب .

فأمر القيصر باحضار الحكماء وعرض عليهم ذلك الشيء طالبا منهم ان يتعرفوا على طبيعته ، فقلبه الحكماء على وجوهه دون ان يستطيعوا استكناه حقيقته .

ولما عجزوا عن معرفة الكنه وضعوا ذلك الشيء على حافة نافذة وتركوه ، واذا بدجاجة تمر حذاء النافذة فتنقره وتخلف به ثقبا ، فتأكد لدى الحكماء أن ذلك الشيء هو بذرة وساروا الى القيصر واخبروه بأن ذلك الشيء هو حبة سلت ، فبهت القيصر لذلك وطلب من الحكماء ان يبحثوا اين ومتى امكن لحبة سلت من ذلك الحجم ان تنمو ، وعاد الحكماء ليغرقوا في تأملاتهم ويستشيروا اهم كتبهم ، ولما لم ينتهوا الى نتيجة ساروا الى القيصر وقالوا له :

— ليس في امكاننا ان نطمئنك . ان كتبنا لم تهدنا الى معرفة هذه الحالة ، وعليك ان تسأل الفلاحين فربما كان بينهم من سمع بالمكان والزمان الذي استطاعت هذه الحبة أن تنمو فيه .

فأرسل القيصر يطلب اكبر الفلاحين سنا فجيء بفلاح عجوز ذي وجه اخضر ، وفم خال من الاسنان فدخل وهو يستند الى عكازتين . فعرض عليه القيصر حبة السلت ، لكن العجوز لم يكن يبصر بوضوح وكان عليهم أن يساعدوه ليتفحصها بعينيه ويديه فسأله القيصر :

— هل تقدر يا أبتاه على معرفة اين يمكن ان تكبر هذه البذرة ، وهل اتفق لك أن زرعت منها في حقولك أو اشتريت مثلها من مكان ما ؟ .

كان الشيخ من الصمم حتى انه كان يجد صعوبة كبرى في السماع ، لكنه أجاب آخر الامر :

— لا ، لم أزرع قط مثلها ولا حصدت ولا اشتريت سلتا من هذا النوع ، فالقمح الذي كنت اشتريه أو ازرعه لم يكن بأكبر من قمح هذه الايام . وعليك ان تسأل ابي ان مر بسمعه المكان الذي يمكن أن تنمو به هذه البذرة .

فأمر القيصر باحضار اب العجوز فجيء به وكان فلاحا طاعنا في السن يمشي مستندا على عكازة واحدة ؛ فعرض عليه القيصر حبة السلت قائلا :

— أتعرف أيها الشيخ أين يمكن أن تنمو بذرة من هذا النوع ؟ وهل زرعت مرة مثلها في حقولك أو اشتريتها ؟

كان سمع الشيخ ثقيلا الا انه كان احسن حالا من ابنه فأجاب :

— لا . لم ازرع مثل هذا السلت ولم احصده ولم اشتر قمحا من نوعه . لقد كانت النقود مجهولة في عصرنا ، وكان كل واحد ياكل من قمح حقله ، والذين يملكون حقولا اكثر يقتسمونها مع الذين لا يملكون . اني لا اعرف أين يمكن ان تزرع مثل هذه البذرة . ففي عصرنا وان كان السلت أضخم حبا منه اليوم لكنه

(*) السلت : نوع من القمح لكنه اعلى منه ينبت في الاماكن الباردة .

اجمع الفقهاء على ان الرضاع داخل الحولين يحرم اخذا من الآية الكريمة « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة »

والرضاع فيما زاد زيادة يسيرة على الحولين هو كحكم الرضاع داخلهما لان ما قارب الشيء يعطى حكمه ، وحددت الزيادة اليسيرة عند الامام مالك بالشهر او الشهرين او ثلاثة اشهر حسب روايات مختلفة عنه اقتصر منها الشيخ خليل في مختصره على الشهرين . ونصت مدونة الاحوال الشخصية الفصل 28 على ان الرضاع لا يمنع من الزواج الا اذا حصل في الحولين الاولين . وظاهرها ان الرضاع خارج الحولين لا يحرم ولو كان في زمن يسير بعدهما .

2) شروط عدم فطام الرضيع داخل الحولين .

هل يشترط في كون الرضاع محرما ان لا يكون الرضيع قد فطم واستغنى بالطعام ، او يقع التحريم بالرضاع كلما كان داخل الحولين ولو كان الرضيع مفطوما يكتفي بالغذاء ؟

مذهب الحنفية والشافعية ، ان الرضاع تترتب عنه الحرمة اذا وقع داخل الحولين ولو بعد فطام الرضيع واستغنائه بالطعام استنادا الى ما في الصحيحين (انما الرضاعة من المجاعة) بتاويل ان المراد الرضاع الواقع في سن المجاعة اي سن الرضاع . وسنه حولان كما في الآية (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة) وفطام الولد قبل انتهاء الحولين لا يخرجه من سن الرضاعة .

ومذهب الامام مالك ان الرضاع لا ينشر الحرمة اذا كان بعد فطام الولد واستغنائه بالطعام ولو وقع داخل الحولين ولو لم تمر سوى مدة يسيرة على فطامه على المشهور . وذلك على اساس ان المراد بالحديث (انما الرضاعة من المجاعة) الرضاع الذي يسد جوع الرضيع . فاذا فطم الولد داخل الحولين وصار مستغنيا بالطعام فان رضاعه بعد ذلك لن يسد من جوعه وبالتالي لا يترتب عليه اثر التحريم . وبناء على ذلك فان المذهب المالكي يتفق مع المذهبين الحنفي والشافعي في نشر الحرمة اذا كان ارضاع الطفل داخل الحولين يكفيه عن الطعام ولو بعد فطامه كان يرضع بعد فطامه بزمن يسير نحو اليوم واليومين .

ويعلم مما تقدم ان الرضاع داخل الحولين لا يحرم اذا توفر فيه امران : (1) ان يقع بعد فطام الولد (2) ان يكون الولد قد الف التغذي بالطعام وصار يستغنى به عن الرضاع بحيث لو ارضع بعد ذلك لما سد جوعه . فان تخلف الامران او احدهما وقعت الحرمة بالرضاع . لكن مدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28) اخذت بمذهب الحنفية والشافعية حيث اطلقت في التحريم بالرضاع اذا حصل في الحولين الاولين فظاهر اطلاقها ان الرضاع يحرم فيهما ولو كان الرضيع مفطوما واستغنى بالغذاء . وبه قال بعض المالكية كمطرف وابن الماجشون وهو خلاف المشهور في المذهب المالكي المشار اليه بقول خليل (الا ان يستغنى ولو فيهما)

رضاع الكبير :

اما رضاع الكبير فان جل المذاهب على عدم التحريم به اعتمادا على الآية والحديث المتقدمين وآثار كثيرة اخرى .

ففي سنن ابى داود لا رضاع الا ما شد العظم وانبت اللحم وفيه ايضا انما الرضاع ما انشز العظم وفتق الامعاء .

وفي موطا الامام مالك عن عبد الله بن دينار قال رجل الى عبد الله بن عمر وانا معه عند دار القضاء يسأله عن رضاعة الكبير فقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال انى كانت لي وليدة وكنت اطوءها فعمدت امرأتي اليها فارضعتها فدخلت عليها فقالت دونك ، فقد والله ارضعتها — تريد انها حرمتها عليه لانها صارت ابنته من الرضاع — فقال عمر اوجعها وائت جاريتك فانما الرضاعة رضاعة الصغير .

وفيها ايضا ان رجلا سأل ابا موسى الاشعري فقال انى مصصت من امرأتي من ثديها لبنا فاذهب في بطني . فقال ابو موسى اني لا اراها الا حرمت عليك . فقال عبد الله بن مسعود انظر ما ذا تفتى به الرجل فقال ابو موسى فما ذا تقول انت ؟ فقال عبد الله بن مسعود لا رضاعة الا ما كان في الحولين فقال ابو موسى : « يا اهل الكوفة لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين اظهركم . »

اما الظاهرية وعطاء والليث فقالوا بان الرضاع ينشر الحرمة ولو كان المرضع (بفتح الضاد) رجلا كبيرا مستندين في ذلك على اطلاق الآية (وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) وعلى الحديث الذي اخرجه مالك والشيخان وغيرهم ان سهلة بنت سهيل امرأة ابى حذيفة ، وكان تبنى سالما كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة ، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان نزل قوله تعالى (ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم) فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علي وانا فضل — اي غير متسترة بما تتستر به المرأة عن الرجل الاجنبي — وليس لنا الا بيت واحد وان سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوه وانه يدخل علينا وانى اظن ان في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا . فما ذا ترى في شأنه ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعيه خمس رضعات تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس ابي حذيفة . فقالت كيف ارضعه وهو رجل كبير فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال : قد علمت انه رجل كبير ، فرجعت اليه وقالت انى قد ارضعته فذهب الذي في نفس ابي حذيفة وكانت تراه ابنا من الرضاعة .

حول سؤال متعلق بالرضاع

للأستاذ : الطيب البواب

بعث السيد العلمي الطيب الشاوني من مدينة شفشاون الى مجلة « دعوة الحق » السؤال الآتي :

تزوج رجل بامراة فولدت معه ، ثم بلغ الى علمه ان زوجته هي اخته من الرضاع فاصابته حيرة شديدة ولم يدر ما ذا يفعل .

فما هو الحكم في هذه النازلة ؟

1) فهل يستمر مع زوجته ام يفارقها ؟

وهل في حالة الفراق ينتسب الاولاد لابيهم ام لامهم ام لهما معا ؟

وقد التمست المجلة من الاستاذ السيد الطيب البواب المستشار بمحكمة الاستيناف بالرباط والكاتب العام للمجلس الاعلى للقضاء ، وهو من المحرزين على شهادة العالمية من القرويين وشهادة الليصانص في الحقوق ، ان يتولى الاجابة على هذا السؤال مع اعطاء البيانات الوافية التي قد يقتضيها المقام ، فتفضل مشكورا بالجواب الآتي :

من المتعذر الجواب بالدقة الكافية على السؤال اعلاه نظرا لما يحيط به من الغموض . فلئن كان من السهل الجواب بانه لا يجوز ان يتزوج الرجل اخته او بنته مثلا من الرضاع ، فانه على العكس من ذلك يصعب في هذه النازلة القول بالتفريق بين الزوجين او عدمه ، لان ذلك يتوقف على بيان عدة فصول كان ينبغي تحديدها في السؤال . واهمها كيف بلغ الى علم الزوج اشتراكه في الرضاع مع زوجته وكيف كا هذا الرضاع ؟ .

فالفقه لا يكتفي في التفريق بينهما باي طريق بلغ ذلك الى علمه . كما ان الرضاع المحرم له شروط اذا لم يتوفر وجودها لم يكن له اثر في التحريم .

ولعل ادارة مجلة «دعوة الحق» قد استشعرت هذا الغموض الذي يكتنف السؤال الوارد عليها وتنقصه بعض البيانات ، وهذا ما حدا بها ، فيما اعتقد ، الى طلب اضافة بعض الايضاحات في الموضوع تلافيا لذلك النقص .

واياما كان ، فانني جمعا بين الرغبتين : رغبة السائل من جهة ، ورغبة مجلة « دعاة الحق » من جهة اخرى والتي هي في الواقع تكملة ضرورية للسؤال ، رأيت من الافضل ان يكون الجواب محتويا على :

اولا – شروط الرضاع المحرم للنكاح

ثانيا – طرق ثبوته

ومن بيان هذين الفصلين يمكن للسائل ان يتحقق بما اذا كانت الصورة التي يسأل عنها تتوفر فيها شروط التحريم وثابتة ثبوتا كافيا فتترتب على ذلك جميع آثار التحريم ام تنعدم فيها بعض الشروط فلا يلزم فيها تحريم .

ثالثا – آثار التحريم . واتناول في هذا الفصل بيان حكم وضعية الزوجين المحرم نكاحهما ووضعية اولادهما .

وابادر هنا ببيان معنى كون الرضاع محرما فاقول باختصار كل رجل وامراة يحرم نكاحهما بسبب قرابة النسب او المصاهرة ، يحرم كذلك نكاحهما بسبب قرابة الرضاع . لقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما اخرجه الامام مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحهما وغيرهم من المحدثين (الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة) وفي رواية اخرى « يحرم في الرضاعة ما يحرم من النسب » .

وسياتي بيان ذلك بعد بيان شروط الرضاع المحرم وطرق ثبوته .

اولا – شروط الرضاع المحرم للنكاح

1) شرط الرضاع في الحولين وما قاربهما .

2) ان يبلغ عدد الرضعات خمسة على الاقل
3) لا عبرة بالرضعة الا اذا عدت رضعة كاملة في العرف
4) ان يحصل اليقين بوصول اللبن الى جوف الرضيع

ثانيا ــ طرق ثبوت الرضاع

1) شهادة رجلين ــ لا خلاف بين الايمة بان الرضاع يثبت بشهادة رجلين عدلين فان لم يكونا عدلين فلا تقبل شهادتهما ولو كان الرضاع فاشيا عند الناس على ما قاله اللخمي وقال ابن رشد تقبل شهادتهما ولو لم يكونا عدلين ان كان فاشيا وهو الراجح ٠

2) شهادة النساء ــ اشترط الشافعي وعطاء شهادة اربع نسوة على الاقل جريا على ان عديل كل رجل امرأتان ٠ وقال مالك تقوم شهادة امرأتين مقام شهادة الرجلين جريا على ان ما لا يمكن فيه عادة حضور الرجال يكتفي فيه بامرأتين ويكونان بمنزلة الرجلين بشرط فشو الرضاع عند الناس قبل شهادتهما والا لم يعمل بشهادتهما وياتي هنا ايضا الخلاف المتقدم بين اللخمي وابن رشد في شرط العدالة او عدمها ٠

3) شهادة رجل وامرأتين فاكثر ــ حكمها كحكم شهادة رجلين

4) شهادة رجل وامرأة ــ حكمها كحكم شهادة امرأتين

ويضاف الى ما تقدم من صور الثبوت اعتراف الزوجين وتصادقهما على وجود قرابة رضاع محرمة بينهما ، كما يثبت باعتراف الزوج وحده ٠ اما اعتراف الزوجة وحدها فلا يواخذ به الزوج لاتهامها على ارادة فراقه الا ان تقع الشهادة بسماع ذلك منها قبل العقد ٠

واعتراف ابوي الزوجين المتراضعين (ابواهما الذكران او ابو احدهما وام الآخر) حكمه كحكم شهادة الرجلين الاجنبيين اذا كان الزوجان كبيرين ٠ فان كانا صغيرين او سفيهين فيعمل باعتراف ابويهما قبل العقد ولو لم يكن فشو كما يعمل باعتراف ابى احدهما فقط اذا كان ولده غير بالغ ٠ اما بعد العقد فلا قيمة لهذا الاعتراف في الصورتين معا ٠ واما اعتراف الامين فكشهادة المرأتين الاجنبيتين ٠

ومما يثبت به الرضاع ايضا شهادة السماع باقرار احد الزوجين به قبل العقد ٠ غير ان شهادة السماع يعمل بها قبل العقد فقط ولا يعمل بها بعده لان الزوجة تعتبر محوره للزوج وفي عصمته بمجرد عقده عليها وقاعدة بينة السماع ان لا ينتزع بها من يد حائز ٠

ويعلم مما تقدم انه لا تقبل شهادة الرجل الواحد او المرأة الواحدة ولو كان الشاهد منهما عدلا ولو كان هناك فشو قبل العقد على المشهور ٠

ومما تجب الاشارة اليه انه يتعين على الشهود الذين لهم علم برضاع اثنين يحرم نكاحهما ان يبادروا باداء شهادتهم لمنعهما من النكاح فان سكتوا حتى دخل الزوج بزوجته المحرمة عليه في علمهم ثم قاموا بعد ذلك باداء شهادتهم فانها لا تقبل منهم ان لم يكن لهم عذر قاهر ٠

وهذه قاعدة في كل من راى حقا من حقوق الله تعالى يغير عن سبيله ويتصرف فيه بما لا يحل وامسك عن القيام به فان شهادته لا تقبل فيما شهد به كما قاله ابن هلال وغيره ٠

ثالثا ــ آثار التحريم

اذا ثبت باحدى طرق الاثبات المشار اليها اعلاه اشتراك في رضاع جرت عليه احكام النسب لانه بمنزلته لقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعناكم واخواتكم من الرضاعة) وقد عمم الحديث هذا الحكم بقوله صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب) فلا مفهوم لخصوص الامهات والاخوات في الآية ٠ ومثل النسب المصاهرة ٠

وبناء على ذلك فمن ارضعته امرأة يعتبر ابنا لها وبالتالي تجري عليهما احكام النسب من تحريم النكاح وجواز النظر والخلوة والسفر معها دون احكام الميراث والنفقة كما يعتبر ابنا لزوجها صاحب اللبن ٠

والضابط في ذلك ما اشارت اليه مدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28) بقولها : (يعد الطفل الرضيع خاصة ــ دون اخوته واخواته ــ ولدا للمرضعة وزوجها)

واذا كان يعد ولدا لها ولزوجها فان كل من يحرم نكاحه نسبا يحرم نكاحه رضاعا ، ومثل النسب المصاهرة ومحرمات النسب والمصاهرة معروفة فلا نطيل بذكرها ٠

غير انه تجب الاشارة الى ان الرضيع لا يعتبر ولدا لزوج المرضع الا اذا كان لبنها له اي ناشئا بسبب وطئه ٠ والى ذلك اشار الشيخ خليل بقوله : (ولصاحبه اي صاحب اللبن من وطئه لا نقطاعه ولو بعد سنين)

فلو ان امراة توفى عنها زوجها او طلقها وهي ترضع ولدا له او كانت حاملا فوضعت ثم تزوجت بآخر وبتدييها لبن فان هذا اللبن محكوم به للزوج الاول ولا يعد الرضيع في هذه الحالة ولدا للثاني ما دام لم يقع منه وطء فان وقع فان اللبن يشترك فيه كل من الزوجين وبالتالي يعتبر الرضيع ولدا لهما معا واليه اشار خليل بقوله (واشترك مع القديم) فلو تعدد الازواج تواليا ووقع منهم وطء ولم ينقطع منها لبن الاول كان الرضيع ابنا للجميع على الاشتراك ٠

وبهذا قالت ايضا ام المومنين عائشة رضي الله عنها فكانت تامر اختها ام كلثوم وبنات اخيها عبد الرحمن ان يرضعن من احبت ان يدخل عليها من الرجال .

وبعض العلماء اخذ به في رفع الحجاب خاصة ولم ياخذ به في تحريم النكاح .

لكن باقي ازواجه صلى الله عليه وسلم لم يعملن بذلك ولو في رفع الحجاب وكن يرون ان رضاع الكبير لا اثر له مطلقا ولا يصير به المرضع محرما للمرضع ، وابين ان يدخل عليهن بتلك الرضاعة احد من الناس وقلن لعائشة « لا والله لا نرى الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل الا رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسم في رضاعة سالم وحده . لا والله لا يدخل علينا بهذه الرضاعة احد » .

وهذا هو مذهب الجمهور حتى قال الباجي كان الخلاف اولا في تحريم رضاع الكبير ثم انقطع وانعقد الاجماع على انه لا يحرم .

3) قدر العدد المحرم من الرضعات .

هل يشترط في الرضاع المحرم ان يبلغ عددا معينا من الرضعات ام لا يشترط في ذلك قدر محدد ؟

أ — ذهبت جماعة الى ان التحريم لا يقع الا بعدد معين من الرضعات :

فعند ابى عبيد وابى ثور وداود لا تحريم الا بثلاث مصات فاكثر لما في صحيح الامام مسلم عن عائشة مرفوعا (لا تحرم المصة والمصتان) وحديث ام الفضل مرفوعا ايضا (لا تحرم الرضعة والرضعتان)

وعند آخرين اقل ما تقع به الحرمة عشر رضعات .

وقال الشافعي لا يقع التحريم الا بخمس رضعات فما فوقها اعتمادا على حديث سهلة المتقدم وعلى حديث عائشة ايضا كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرأ من القرآن (★)

ب) وقال مالك وابو حنيفة وجماعة كبيرة ان قليل الرضاع وكثيره سواء ، فيقع التحريم ولو بمصة واحدة . اخذا باطلاق الآية (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) فظاهرها يقتضي التحريم بكل ما يصح ان يطلق عليه اسم الرضاع دون تقييد بقدر معين . وتؤيد ذلك الاحاديث المتقدمة الواردة في تحريم الرضاع من غير تقييد .

قال الزرقاني على الموطا ومن المقرر انه اذا كان علماء الصحابة وائمة الامصار وجهابذة المحدثين قد تركوا العمل بحديث مع روايتهم له ومعرفتهم به كهذا الحديث اي حديث عائشة المتقدم فانما يتركونه لعلة كنسخ او معارض يوجب تركه، وللقاعدة التي تعتبر اصلا في الشريعة وهي انه متى حصل اشتباه في قصة كان الاحتياط فيها ابرأ للذمة ومتى تعارض مانع ومبيح قدم المانع لانه احوط .

وقد شنع الشافعية على المالكية والحنيفة وغيرهم اهمالهم العمل بحديث عائشة الذي هو صريح بان التحريم كان بعشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس . ولئن سلم بان ظاهر الآية القرآنية وبعض الاحاديث الاطلاق فان هذا الحديث قد قيد فوجب العمل بمقتضاه .

وقد اخذت مدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28) بمذهب الشافعي فاشترطت في التحريم ان يقع الرضاع خمس مرات على الاقل . وهذا ايضا مما خالفت فيه المدونة مذهب مالك .

كما نصت المدونة ايضا على ان الرضعة لا تحسب الا اذا عدت في العرف رضعة كاملة .

4) شرط تحقق وصول اللبن الى جوف الرضيع

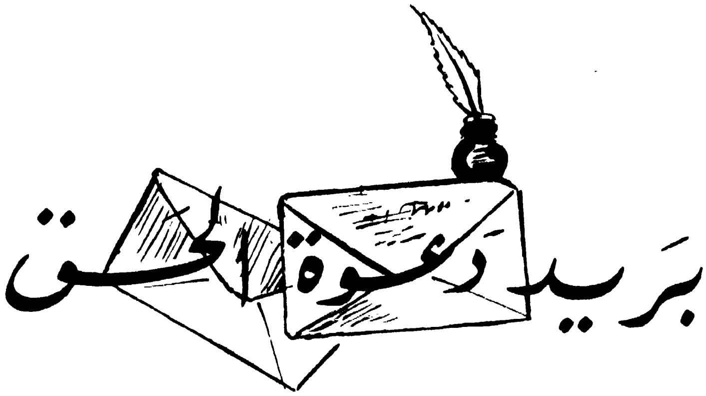
وهذا الشرط يوخذ من الحديث الشريف المتقدم (خمس رضعات معلومات) قال القرطبي وصفها صلى الله عليه وسلم بمعلومات تحرزا عما شك في وصوله . والذي قال به المالكية ان تحقق وصوله غير مشترط وان الظن كاف في التحريم وكذا الشك احتياطا .

ومدونة الاحوال الشخصية (الفصل 28 نصت صراحة على عدم التحريم الا بحصول اليقين وهو موافق لما قاله القرطبي لكنه مخالف لمذهب مالك كما رأيت

هذه هي شروط الرضاع الذي يحرم به ما يحرم من النسب او المصاهرة . ويتلخص مما تقدم ان المعمول به حسب مدونة الاحوال الشخصية ان الرضاع لا ينشر الحرمة الا اذا توفرت الشروط الآتية :

1) وقوعه داخل الحولين سواء كان الرضيع مفطوما واستغنى بالطعام ام لا حسب ظاهر لفظ المدونة .

(★) قال الزرقاني في شرحه للموطا ان العشر نسخن بخمس ولكن هذا النسخ تاخر ولم يبلغ بعض الناس فبقي يتلوه قرآنا حتى بلغه النسخ فترك تلاوته فالعشر منسوخة الحكم والتلاوة والخمس منسوخة التلاوة فقط ، كآية الرجم . وليس المراد ان تلاوتها كانت ثابتة فتركوها لان القرآن محفوظ .



القى الينا بريد هذا الشهر طائفة من الكتب والمجلات والنشرات والرسائل في مختلف المواضيع : فمما ورد علينا من الكتب : « **الاعلام بحدود قواعد الاسلام** »

فقد بعثت الينا وزارة الشؤون الاسلامية (كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام) تأليف القاضي ابي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي بتحقيق وتقديم الاستاذ الكبير محمد بن تاويت الطنجي

ويعتبر كتاب (الاعلام) السلسلة الاولى من مطبوعات وزارة الشؤون الاسلامية ، وقد طبع هذا الكتاب بأمر من امير المومنين صاحب الجلالة نصره الله ومعلوم ان وزارة الشؤون الاسلامية لها ادارة تختص بالثقافة الاسلامية كالتاليف والترجمة والنشر ، والنشرات الثقافية والمحاضرات والندوات ، وكل ما يتعلق بالاعلام .

ولقد انجزت هذه الوزارة عدة كتب سواء منها المخطوط او التآليف الحديثة ، فقد طبعت منذ تاسيسها :

1) مختصر العين : لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي .
2) الاربعون حديثا في اصطناع المعروف : للمنذري .
3) الاسلام دولة نظام : عبد الحي العمراني .
4) بقيت وحدي ' ابو بكر اللمتوني
5) ماضي موريطانيا المغربي : بالفرنسية .
6) الاعلام بحدود قواعد الاسلام : القاضي عياض

ويوجد تحت الطبع « ترتيب المدارك » للقاضي عياض ، وكتاب « التمهيد » لابن عبد البر ، « والاحكام الصغرى » لابن عبد الحق الاشبيلي . كما تعتزم الوزارة طبع الكتب التالية :

البيان والتحصيل : لابن رشد .

كتاب العلل لمعرفة الرجال : احمد بن حنبل .

شرح حديث ام زرع : للقاضي عياض .

والكتاب الذي بين ايدينا عبارة عن جواب من القاضي عياض لسائل طلب منه جمع « فصول سهلة المأخذ ، قريبة المرام ، مفسرة حدود قواعد الاسلام »

وهو مشكول بالشكل التام حتى يسهل على القاريء العادي تناوله فى ابسط عبارة ، فقد الفه للمتعلمين من اطفال المغرب وقصد فيه الى تفسير « قواعد الاسلام » الخمس ، في لغة واضحة سهلة ، ابتعد فيها عن كثير من التعابير والجمل الاصطلاحية بحيث اصبحت غير بعيدة عن مدركات الاطفال الذين الف لهم .

ويمتاز الكتاب بالمقدمة الهامة التي كتبها فضيلة الاستاذ الثبت الحجة السيد محمد بن تاويت الطنجي بعنوان : (حياة الاسلام في قواعده الخمس) وقد اثبتناها كاملة في هذا العدد .

ونحن اذ نشكر قسم الثقافة الاسلامية على هديته اللطيفة نرجو من الله ان يوفقه على انجاز ما تبقى من اعمال يقوم بها خدمة للفكر المغربي والثقافة الاسلامية .

وقد اتفقت المذاهب الاربعة وجمهور الائمة خلافا لربيعة وداود واتباعه على ان لبن الفحل يحرم . والاصل في ذلك ما جاء في موطا مالك والصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابن القعيس جاء يستاذن عليها وهو عمها من الرضاعة (كان ابو القعيس زوجا للمرأة التي ارضعت عائشة فهو ابوها من الرضاع واخوه افلح عمها منه ايضا) بعد ان انزل الحجاب (اي آيته) فابت ان تاذن له بالدخول عليها فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته بالتي صنعت فقال لها انه عمك فاذني له فقالت يا رسول الله انما ارضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل فقال انه عمك فليلج .

فدل الحديث على ان الرضاع تثبت به القرابة من جهة صاحب اللبن فيكون بمنزلة ابن الرضيع كما تثبت به من جهة المرضع فتكون بمنزلة امه لان لبن المرأة سببه ماء المرأة وماء الرجل معا .

واذا كان يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب كما تقدم فانه يحرم ابتداء ودواما نكاح من تجمعهما قرابة رضاع اذا كان مثلها نسبا محرما واذا وقع ان تزوج رجل بامرأة وكشف الحال اشتراكهما في رضاع وتوفرت فيه شروط التحريم التي بيناها سالفا وثبت ذلك باحدى طرق الاثبات المتقدم ذكرها فان نكاحهما يفسخ قبل الدخول وبعده لانه نكاح فاسد لعقده . ولا يكون هذا الفسخ طلاقا لانه نكاح محرم بنص القرآن والسنة واجماع الامة . وكل نكاح مجمع على فساده فانه يفسخ اي يفرق بين الزوجين من غير احتياج الى طلاق فكان نكاحهما لم يكن وهو والعدم سواء واذا توفى احد الزوجين قبل الفسخ فلا يرث الحي منهما الميت .

واما حكم الاولاد الناتجين عن هذا النكاح الفاسد فانهم اولاد للزوجة مطلقا واما بالنسبة للزوج فان ثبت انه كان يعلم قبل العقد حرمتها عليه ومع ذلك تزوج بها فان الاولاد لا يلحقون ولا ينسبون اليه لانهم من محض زنا وان لم يعلم بحرمتها عليه الا بعد النكاح فان الاولاد اولاده ونسبهم اليه ثابت شرعا نظرا لحسن نيته وسلامة قصده والى ذلك اشارت المدونة في الفصل 37 (كل زواج مجمع على فساده كالمحرمة بالصهر منفسخ بدون طلاق قبل الدخول وبعده ويترتب عليه تعين الاستبراء وثبوت النسب ان كان حسن القصد)

واعتقد ان ما عرضت اليه من بيانات واوضحته من احكام يفي بحاجة السائل ورغبة مجلة « دعوة الحق » . فان كانت الصورة التي يسال عنها تتوفر فيها شروط الرضاع المحرم التي اشرت اليها وثبت الرضاع باحدى طرقه المتقدمة فتترتب على ذلك آثار التحريم المذكورة وان لم تتوفر كل الشروط او توفرت ولم يثبت الرضاع فانه يلزمه فراق زوجته .

الرباط : الطيب البواب

الصدى

سال الفضا عنه ، واصفي للصدى
كيما يجيب ، فقال : مثل مقاله
ناداه : اين (ترى) محط رحاله ؟
فأجاب : اين (ترى) محط رحاله

ناصح الدين الارجاني

ج ـ العمل لبعث وبث الروح الاسلامية ، وتربية النشء تربيـة اسلاميـة .

د ـ حماية المقدسات الاسلامية مـن كـل عبث والدفاع عنهـا .

هـ ـ ربط الاتصال مع رابطة العلماء ، وكذا رابطة التجار بالمغرب ، وبجميع الهيـآت الاخلاقيـة والتربوية والثقافية والتجارية والصناعيـة والرياضية والفنية وغيرها في نطاق لاسياسي، وتسهيل التعاون معهـا .

و ـ الدفاع في كل الظروف لدى كـل السلـط والهيآت عـن المصالح الروحيـة والمادية سعيـا وراء تحقيق غاية تنعكس في تحسين الوضع الدينـي والاخلاقي والاجتماعـي للبـلاد .

و « دعوة الحق » لايسعها الا ان تـآزر هـذه الجمعية الفتية الاسلامية بالعون ، وتوثرها بالعطف ، مقدرة في افرادها هذه الغيرة الدينية التي تستهدف خدمة البلاد من الناحية الاخلاقيـة والاجتماعيـة ، وستفتح صدرها لكل النشاطات التي تقوم بها هـذه « الرابطة » حتى تعم الدعوة الاسلامية المحمدية فـي هـذه الربـوع المغربيـة .

عـواطـف وتحيـات ....

مـن دمشـق :

القى الينا بريد المجلة رسالة رقيقة من فضيلـة الدكتور زكي المحاسني مدير التراث القديم ، ودائرة المعارف في وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقطـر السوري يثني فيها على مجلتنا ومن جملـة ما جـاء فـي رسالتـه :

« .... طربت ولعب نظري على الالوان الجميلة الزاهية ، في عدد نوفمبر 64 من دعوة الحق فى حلتها القشيبة الجديدة ولست اشك في ان هذا اثر من آثار التوثـب فيهـا .... »

وسوف نضيف الى سرور الدكتور ما طلبه منا في رسالة خاصة باذن الله ، واننـا سنعمل ان شـاء الله على نشر بحوثك التي وصلتنا في اعدادنا المقبلة . ودعوات لكم بالتوفيق والنجـاح .

من دمشق ايضـا :

بعث الينا الاستاذ المحترم السيد نعيـم قـداح رسالة يطلب منا فيها ان نحيطه علما بموضوع كتاب يقـول عنه بان ادارة مجلتنـا قد تسلمته بتاريـخ 24 / 10 / 1964 عن طريق احـد اعضاء السفـارة السورية بالرباط .

ونجيب الاستاذ الجليل باننا بحثنا فى الموضوع ، واتصلنا فعلا باعضاء السفـارة السورية المحترمين ، واخبرونا بانهم لم يتسلموا اي كتـاب ...

واننا من جهتنا سنبعث لكم جريا على عادتنـا باعداد مجلتنا « دعوة الحق » في الاشهر المقبلـة ان شـاء اللـه .

مـن اباذان ـ نيجريا :

كتب الينا الاستاذ الحاج كامل حسين الاووي رئيس المركز الاسلامي ، ومديـر مركـز الدرراسات العربية الاسلامية رسالـة مؤرخـة بهذا التاريـخ 31 / 12 / 64 جـاء فيهـا :

الى المسؤول عن مجلـة « دعوة الحق » المكـرم بعد التحية والتقدير والاحترام

يسرني جدا ان انهي الى حضرتكم بان اعـداد مجلتكم القيمة التـي تتشرفون باصدارهـا لخدمـة الاسلام الحنيف ، وبث دعوته في ربوع العالم العربي والاسلامي ، والتي تزودوننا بعدد من نسخها الشهرية، قد قوبلت في مكتبة مركزنا الدراسي كل الاقبال لدى مثقفي اللغة العربية في هذه البلاد ،وما زلتم تواصلون هذه الخدمة تجاه الاسلام واحياء تراثه المجيد الـى الغاية المثمرة والى الاهداف المطلوبة ، ولا سيمـا لمـا رأيت بأم عيني نسخة منها في (مكتب رابطة العالـم الاسلامي) حينما تشرفت بزيارتها في مكة المكرمة ، وذلك في نطاق زيارتي للبلا العربية على راس وفـد نيجريا لتعزيز علاقات مسلمي نيجريا بالعرب ...

هذا ، ويسرني جدا لو تفضلتم بنشـر اعـلان مركزنا الاسلامي في مجلتكم القيمة حتى يتفضل جميع محبي الدين الاسلامي ونشر اللغة العربية بان يبعثوا الينا المساعدات المادية لكي نتمكن من بناء مدرستنـا الاسلامية في الوقت المناسب ، وكذلك بان يمـدوا مكتبتنا ومركزنا الاسلامي بالكتب العربية .

كمـــا تسلمنا هذا التقرير من المكتب الدائـــم للتعـريـــب :

حـــول المعاجـــم العلميـــة

بعد الملاحظات التي توصل بها المكتب الدائـــم لتنسيق التعريب في العالم العربـــي على معاجـــم الرياضيات والفيزياء والكيمياء التي وضعهـــا بتعاون مع خبراء الشعبة الوطنية المغربية (المركز الوطنـــي للتعريب) ، تلك الملاحظات التي ابدتها شخصيـــات وهيآت علمية مرموقـــة وخصوصا بعـــض وزارات التربية في البلاد العربية ولجنة الكيمياء والصيدلـة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجلس الاعلى للعلـــوم بسوريا الشقيقة وقسم التعريـــب بوزارة التربيـــة بتـونـــس :

وبعد تاجيل ندوة الرياضيات التي كـان مـــن المقرر ان تنعقد في أواخـــر شهر دجنبر (بنـــاء على مصادقة معالي وزير التربية بالجمهورية التونسيـــة وندوة علم الاحياء بالقاهرة اوائل سنة 1965) بنـــاء على اقتراح معالي وزير البحث العلمي بالجمهوريـــة العربية المتحدة وذلك تلبية لطلب الادارة الثقـافيـــة بجامعـة الدول العربية التي اقترحت تأخيرها حتى تقوم المنظمة العربية التي ستخلفها بناء على توصيات مؤتمر وزراء التربية العرب أواخر يبراير الفارط ، اما معجم علم الاحياء فان المكتب الدائم قد جرد جميـــع الكتب العلمية في الاسلاك الثلاثة وتوصل الى 300 14 كلمة بالفرنسية احالها على معاجمنـــا الموقـــرة وعلى الاتحاد العلمي العربي لوضع المقابل العربي لها اعدادا لتنسيق مناسب بين هذه المصطلحات وقد توصلنـــا باجوبة من هذه المجامع تؤكـد أنهـــا أحالت الالفاظ المذكورة على لجان مختصة لوضع مقابلها العربـــي ، وقد سبق لجامعة الدول العربية ان نظمت بعاصمـــة الجزائر مؤتمرا لتوحيد المصطلحات المعربة بين 12 و 15 يبراير 1964 وقدم المكتب الدائم معاجمه بمـــا ادخل عليها من الملاحظات التي نسقتها تنسيقـــا أوليا بالرباط حلقة علمية ضمت كثيرا من اساتذة التعليـــم الجامعي العرب غير ان مشكل التوحيد لم يدرس في الجزائر ووصى المؤتمرون بترك ذلك للمكتب الدائـــم لاندراجه في اختصاصاته وعزز وزراء التربية العرب ببغـــداد هـــذا الاقتـــراح .

وان المكتب الدائم ــ نظرا لحالة الاستعجال التي عليها اقطار المغرب العربي فيما يخص تعريب مـــواد العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء الذي دخل في حيز التطبيق وللصلاحية المخولة له من لدن مؤتمرات الرباط والجزائر وبغداد ونظرا للطلبات الكثيرة الواردة عليه من الاقطار العربية الاخرى التي تطالبنا بنســـخ وافرة من المعاجم العلمية التي لايمكن توزيعهـــا مـــن جديد الا في طبعة منقحة مصادق على كثيـــر مـــن عناصرها (ومن جملة من طلب ذلك المجلس الاهلـي للتعليم الثانوي بلبنـــان وقسم التخطيط بالقاهـــرة ووزارة التربيـــة في المملكـة السعوديـــة .

قـــد كون لجانا للخبراء العرب في شعب العلوم لتقوم بمهمة تنسيق المشاريع المعجمية مع الملاحظات التي نتوصل بها من الهيآت والشخصيات العلمية من اجل اعداد طبعة أولى لهاته المعاجم تكون نواة اولـــى لكتب علمية موحـــدة يسهـــل استعمالها من طـــرف الاساتذة والطلبة والتلاميذ على السواء .

وستكون هاته الطبعة الاولـــى قابلـــة للتنقيـــح والتعديل وتشير اللجنة في أسفل كل صفحة مـــن المعجم الى الدول العربية التي تنفرد بوضع مصطلـــح يخالف ما ارتاته هذه اللجنة على أمـــل أن يتم نهائيـــا وضع المعاجم الموحدة في العلوم والرياضيات والفيزياء والكيمياء في اقرب وقت ممكن حتى تكتمل وحـــدة المصطلح العلمي في كافة انحاء العالم العربي ، وتنتفي تلك البلبلة التي طالما تذرع بها اعداء التعريب الداعين الى ابطاله وتأجيله الى عشرات من السنين حيث تزداد اللغة الاجنبية تمكنا من نفوس الاقطار التـــي ما زالت مبتلاة بها ويعسر اذ ذاك اي علاج لرد الحق الى نصابه والمياه الى مجاريها الطبيعية .

ومعلـــوم ان المكتب الدائم يعمل في نفس الوقت على استكمال الاداة العربية حتى يكون المصطلح العربي موحدا من جهة وموازيا لمجموع ما توصل اليه الفكـــر العلمي الحديث من جهـــة أخـــرى .

رابطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

توصل بريد المجلة برسالة من جمعية اسمـــت نفسها « رابطة الامـــر بالمعروف والنهي عن المنكـــر » وهذه الجمعية انبثقت عن رابطـــة التجـــار للملابس العصرية والثياب وتجار الصناعة التقليدية بالرباط ، وهي تعمل لتحقيق الاهداف التالية :

أ ــ العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والسعـــي في تطبيقهما في جميع مرافق الدولة .

ب ــ التحكيم بكتاب الله وسنة رسولـــه فيمـــا يحدث من خلافات دينية .

أنباء ثقافية

❊ شارك الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس ورئيس المجلس التنفيذي لمنظمة اليونيسكو في الحفلة الافتتاحية للجنة المكلفة باعداد قاموس عربي وانجليزي التي انعقدت مؤخرا ببيروت والتي تضم خبراء من لبنان ، والعراق ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، والمغرب .

❊ ترجمت الى الصينية احدى قصص الاستاذ عبد المجيد بن جلون (عائشة) اخذت من مجموعته (وادي الدماء) وقد نشرت القصة في احدى المجلات الشهيرة مقدمة بترجمة للاستاذ ابن جلون .

❊ ستقام في تونس احتفالات بمناسبة ذكرى ميلاد الشاعر التونسي المرحوم ابي القاسم الشابي ، وستقام هذه المهرجانات الثقافية ما بين 24 و 28 فبراير القادم ، وقد دعت الحكومة التونسية نخبة من رجال الادب في مختلف انحاء البلاد العربية .

وسيقوم بتمثيل المغرب في هذا المهرجان الاستاذان عبد الكريم غلاب ، وعبد الله كنون .

❊ مثل الاستاذ السيد محمد ابراهيم الكتاني ، رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط ، المغرب في الدورة السادسة لمؤتمر العالم الاسلامي ، الذي عقد بمدينة موقاديشو عاصمة جمهورية الصومال ، وذلك من 26 دجمبر 1964 الى 2 يناير 1965 . وقد افتتح هذه الدورة السيد عبد الله عدر عثمان ، رئيس جمهورية الصومال .

❊ تم في أواخر شهر نوفمبر تدشين الخزانة العمومية في « الحاجب » من لدن رئيس جامعة محمد الخامس الاستاذ محمد الفاسي . وقد كانت من قبل كنيسة .

❊ نظمت وزارة الشبيبة والرياضة حلقة دراسية في موضوع « الطفولة المنحرفة بالمغرب » وقد ضمت هذه الحلقة قضاة الاحداث ، ورجالا عن الامن الوطني، وادارة السجون ، وكذا مديري مراكز التربية ، والمندوبين الدائمين التابعين لهذه المراكز وبعض الشخصيات التي تهمها شؤون الطفولة .

❊ صدر للاستاذ السيد عبد الله كنون كتاب جديد بعنوان : « مفاهيم اسلامية » عن دار الكتاب اللبناني ببيروت .

❊ صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « البيان المغرب لابن عذارى » قام بتحقيقه وتقديمه الاستاذان : ابراهيم الكتاني ، ومحمد بن تاويت .

❊ عقد لاول مرة بالرباط مؤتمر الرسامين المغاربة ، درست خلاله اهم المشاكل الفنية ، واتخذ المؤتمر عدة قرارات لصالح الفن والفنانين المغاربة .

❊ (الجامع الكبير في احاديث البشير النذير) الذي جمع فيه الامام السيوطي سيرة النبي محمد (ص) ، تولى تصويره الدكتور عبد الحليم محمود مع علي عبد العظيم وتقرر طبع هذا المرجع الاسلامي الكبير الذي لا توجد منه في العالم غير نسختين احدهما في تونس .

❊ افتتح مؤخرا السيد جومو كينياتا رئيس جمهورية كينيا معهد العلوم السياسية الذي يحمل اسم الشهيد « لومومبا » ، وسيكون المعهد مركزا للدراسات كما يعتبر كذلك مركزا للابحاث على نطاق افريقي .

كما نرجو اعلامنا فيما اذا كنتم تنشرون لنا جميع مقالاتنا حول الاسلام كما نبعث بالمقالات الى المجلات الاسلامية في العالم الاسلامي .

ونود منكم ان لا تجعلوا كلامنا هذا سجينا في قفص ، او رقما على الماء ... ! !

لبيك وسعديك ، ومجلتنا تفتح صدرها لجميع ما يرد عليها من اقطار العالم الاسلامي ، وسنزودكم بجميع المعلومات الضرورية التي طلبتموها ، كما سنبعث لكم باعداد منها في اوقاتها المناسبة .

ومن المغرب :

كتب الينا فضيلة الاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المحترم رسالة تتضمن احصائيات عن المسلمين والحياة الدينية في الولايات المتحدة وهذه الرسالة تتميم لما يكتبه فضيلته من ردود حول مقال « نقد العوائق النفسانية للتخطيط » الذي يرد به على مقال كان قد نشره الاستاذ رينه حبشة في صحيفة « التخطيط التربوي في البلاد العربية » .

ولقد تلقى فضيلته هذه الرسالة من مكتب الاستعلامات الامريكية بالرباط وهذه صيغة الرسالة:

« عزيزي البروفيسور الدكتور تقي الدين الهلالي ارجو من فضلكم المعذرة في تاخير الجواب عن سؤالكم المتعلق بالحياة الدينية في الولايات المتحدة ، فان هناك امورا مستعجلة منعتني من مراجعة الاحصاء الذي التمستم معرفته .

تفضلوا فانظروا في الاحصاء اسفله تجدوا العدد الذي تهمكم معرفته :

« مجموع عدد الاشخاص الذين اعلنوا عدم انتسابهم لاي دين في احصاء سنة 1960 ثلاثة ملايين ومائة وخمسة وتسعون 3.195 000 من مجموع السكان البالغ عددهم مائة وتسعون (190) مليونا ،

والعدد الاكبر من هؤلاء هم بلا شك من المتوقفين اللاادريين ، او غير المتمسكين بالمسيحية تمسكا عمليا لا من الملحدين المنكرين (لوجود الباري) .

المخلص : « مالكولم ماكونيل » مساعد ملحق الشؤون الثقافية .

مقالات واحاديث وقصائد وقصص

كما يحمل بريد المجلة كل يوم طائفة من المقالات والبحوث العلمية والادبية قصد نشرها على صفحات مجلتنا .

ونظرا لوفرة ما لدينا من مواد ، فان كل بحث سياخذ مكانه حتى ياتي دوره للطبع .

كما اننا نتسلم « مقالات » وقصائد بمناسبات خاصة كالحديث الذي بعثه السيد محسن عبد الله والذي يحمل عنوان : « رمضان هل هلاله » فهذا ندخره الى فرصة اخرى ، والكلمة التي بعثها الينا الاستاذ السيد محمد العلمي الملحق الصحفي للمكتب الدائم لمؤتمر التعريب ، بعنوان « ماذا بعد مؤتمر بغداد » يظهر انه قد فاتت مناسبتها ، ونرجو من الاستاذ العلمي ان يزود مجلتنا بابحاثه العامرة .

وبعث الينا الاستاذ السيد الراجي التهامي الهاشمي مقالا بعنوان (لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب) وهو يرد به على ما نشر بمجلة « الاديب » البيروتيه في ركن « بريد الاديب » على مراسلة الاستاذ عبد الخالق عبد الرحمن في تعقيبه على مقال للاستاذ حسن الكرمي ، الذي نشر في عدد يوليو 1964 من نفس المجلة .

والحقيقة ان الرد الذي قدمه الاستاذ السيد الراجي التهامي الهاشمي ممتع وعميق ، وسنعمل على نشره حينما نتسلم بقية الحديث .

والى فرصة اخرى في عدد مقبل ان شاء الله .

المرحوم عباس محمود العقاد . وانتهى عبد الرحمن من تسجيل ذكرياته الفنية والادبية مع العقاد وقد نشر فيها فصولا وآراء وقصائد كتبها العقاد كانت مطوية .

* تقوم وزارة الاوقاف في العربية المتحدة الآن بتنفيذ مشروع تزويد المساجد بمكتبات تضم الكتب الجامعية مساهمة منها في التخفيف عن الطلبة الذين يعجزون عن شرائها وستزود هذه المكتبات الى جانب الكتب الجامعية بالكتب الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، ويتكلف تنفيذ هذا المشروع ثمانية آلاف جنيه وستصرف الوزارة اعانات تاسيسية لكل مكتبة مقدارها 500 جنيه واعانات بصفة دورية مقدارها 150 جنيها . كما تعمل الوزارة على نشر وترجمة الكتب الاسلامية الى لغات الدول التي ينتشر فيها الاسلام ويتكلف مبلغ 7 آلاف و 500 جنيه .

* يصدر قريبا كتاب (مستقبل الاسلام) وهو آخر مؤلفات المرحوم الاستاذ محمد سعيد العريان .

* اوشكت مكتبة الاسكندرية من اعداد فهرس جديد موحد لمحتويات المكتبة وفق أحدث النظم العالمية فى تنظيم المكتبات .

* في 400 صفحة صدر كتاب فرنسيس فرجسون ترجمة وتعليق جلال العشر وراجعه دريني خشبة . والكتاب، يتضمن دراسات تطبيقية لروائع المسرح العالمي .

* الاخطل الصغير سيصدر له كتابان هما : « كبرياء واصفيا » مشتمل على قصائد و « في الادب والسياسة » . وهو مجموعة مقالات .

* يقوم عدد من كبار الفنانين الايرانيين فى مدينة اصفهان بصنع ضريح من الذهب والفضة الخالصين ليوضع فوق مرقد الامام العباس بن ابي طالب الذي استشهد في القرن السابع الميلادي مع أخيه الامام الحسين في واقعة كربلاء ، ويوجد مرقد الامام العباس في مدينة بجنوب العراق .

* انعقد في الشهر الماضي ببغداد المؤتمر الهندسي العربي التاسع . وقد درس هذا المؤتمر التعليم الهندسي ، واستثمار الثروات المعدنية في البلاد العربية ، والتخطيط للخدمات العامة ، والتطور العمراني ، والفن في البلاد العربية .

* اكتشف بالقرب من بيزيناس محافظة الهيرو ، مقبرة جديدة تعود الى حوالي 700 سنة قبل الميلاد ، وذلك في هضبة سام سيمون .

* عقد في بغداد مؤتمر الموسيقى الشرقية . وقد اشترك في هذا المؤتمر الذي انعقد برعاية منظمة اليونيسكو والجامعة العربية ممثلو عدد من الدول العربية من بينها المغرب ، وممثلون عن الاتحاد السوفيتي ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، والمانيا الشرقية ، واسبانيا ، وتركيا ، والهند ، وخلال المؤتمر استمع الحاضرون الى تسجيلات ذات قيمة فنية ، وخاصة من الموسيقى المغربية والعراقية .

* يصدر قريبا للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية الدراسات العربية بجامعة الازهر كتاب عن (الجاحظ) في سلسلة اعلام العرب في نحو 400 صفحة .

* وافق المجمع العلمي العراقي على تقديم المساعدة لطبع ديوان السيد عبد الرزاق الهاشمي تحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .

* في سلسلة مكتبة الثقافة الاسلامية التي تصدر عن دار « الاضواء » في النجف الاشرف صدر كتابها الاول وعنوانه : (القرآن والاحوال المناخية ـ دراسة قرآنية كليمتولوجية) بقلم الاستاذ محسن عبد الصاحب .

* صدر عن دار منشورات البصري كتاب بعنوان « 200 كلمة للامام علي بن ابي طالب عليه السلام » جمعها ونشرها الاستاذ علي البصري .

* صدر مؤخرا للاستاذ كامل السامرائي مدير المكتب الفني بمحكمة تمييز العراق مجموعة (المرافعات المدنية والتجارية وتعديلاته بصورة موحدة) . وقد اشرف عليها وقدم لها بمقدمة توضيحية .

* باشرت مطبعة دار المعارف طبع معجم للمخطوطات العراقية يتضمن القسم الاول منه : الادب ، والشعر ، والتاريخ ، للاستاذ علي الخاقاني .

* على اثـر الاجتمـاع الذي عقدتـه اللجنتان التنفيذيتان لاتحاد وكالات الانباء الافريقية بياوندي علم أنه تم تأليف مكتب لتنسيق الانبـاء في القـارة الافـريقيـة .

* تنوي الحكومة التونسية ان تقـوم بمسـاعـدة اليونيسكو بانشاء مركز لتدريب المكتبيـين وذلـك بالاضافة الى انشاء مكتبة عامة في تونس يقصد اليها الطلاب لمواصلة دراستهم العلمية ، وسيكـون هـذا المشروع بمثابة نموذج يحتذى به في مختلف انحـاء البـلاد .

* منح الدكتور وليام الميري التفرغ لمـدة سنـة لوضع دراسة عن المرحوم العقاد .

* انهى السيد نصوح طاهر ، من وضع كتاب باسم « اصـول القبائـل العـربيـة » .

* تقاسم جائزة شوقي للشعر اثنان من الشعـراء هما : محمد التهامي عن ديوانه « من الشعر القومي » وعبد العليم القباني عن ديوان « أشعار قومية » .

* صدر في القاهرة كتاب « عثمـان بـن عفـان » للاديب الراحل محمد حسنين هيكل ، كما صدر لـه كتاب الامبراطورية الاسلاميية والاراضي المقدسة .

* صدر لانيس منصور كتاب جديد عن دار القلـم بالقاهرة ، عنوانه « قالـوا » وقد جمع فيه اقـوالا كثيـرة من المفكـريـن والشعـراء .

* صدرت طبعة جديدة من حديث عيسى بن هشام للمرحوم محمد المويلحي في سلسلة مؤلفات المكتبـة العـربيـة .

* تصدر قريبا للشاعر محمـود حمى اسماعيـل ملحمة « رياح المغيب » وكان الشاعر قد نظمها منـذ اكثـر مـن عشـر سنـوات .

* (الاخطاء العامية الشائعة في الاندلس وصقليـة وبغـداد من القرن الرابع الى السادس الهجـري) موضوع رسالة الدكتوراه التي تقدم بها عبد العزيـز مطر في كلية دار العلوم بالقاهرة وناقشها الدكتـور ابراهيم انيس ، وعبد السلام هارون ، وحسن عون .

* اصدرت الجامعة العربية مجموعة من الوثائـق والنصوص عن الدساتير وقوانين العمل والجنسيـة فـي البـلاد العـربيـة .

* (النقد الادبي عند الدكتور طه حسين) موضوع رسالة ما جستير قدمها الى كلية آداب القاهـرة سامي البدراوي مدرس اللغة العربية في الجامعـة الامريكية تتناول تاريخ اسرة الدكتور طه حسين مـن ايام جده الذي يقال ان اصله يوناني (! ؟) ثم انتقـل سامي الى الاشخاص الذين اثروا في حياتـه .

* صدر الجزء الاول من (رسائل الجاحظ) تحقيق عبـد السلام هـارون .

* اعلنت الجامعة العربية مقاطعتها (لندوة البحر الابيض المتوسط) التي يرأسها البروفسور لابيرا نظرا لخضـوع النـدوة للتوجيهـات الصهيونيـة .

* اول جمعية فلسفية تم تكوينها في مصر يراسها حسن ظاظا . اول نشاطها هو اصدار مجلة شهرية .

* شكل مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة هيئـة علمية لاصدار موسوعة عن العلوم الاسلامية تشمـل دراسة الفقه الاسلامي المقارن بالقوانين الوضعية كمـا تشمل وضع دائرة معارف الاعلام الموجود بالقـرآن .

* يصدر قريبا اول ديوان شعر لكامل الشناوي .. يضم 30 قصيدة رسمها الفنان يوسف فرنسيس .. كتب كامل الشناوي مقدمة للديوان عرف فيها معنـى الشعر بقوله انه لايكفي ان ينبض الشعر في قلـب الشاعر ، وانما يجب ان ينقلـه الى قلوب الناس .. وهو لا ينتسب الى مدرسة معينة في الشعر ، فهـو ليس واقعيا ولا رمزيا رومانسيا ، ولكنه فنان يتساءل عن مصير الانسان .

* امير الكويت اهدى الى دار الكتب المصرية كتاب (التاج المكلل لابي الطيب الشنيطي القنوجـي) .. الكتاب عبارة عن تراجم علمـاء المسلمين من سنـة 1832 الى 1890 .

* الشاعر عبد الرحمن صدقي المدير السابق لدار الاوبرا والمدير الحالي لفرقة القاهرة الاستعراضيـة يقوم في الوقت الحاضر باعداد كتاب عن ذكرياته مع

وقت الذي هم الملك جوستاف السادس ملك السويد سليم الميداليات الذهبية للفائزين بالجوائز قام دكتور آنذريسو من الاكاديمية السويدية بقراءة خطاب التالي :

« ان جائزة نوبل للآداب قد منحت هذه السنة لكاتب الفرنسي « جان بول سارتر » لكتبه الغزيرة المليئة بالافكار ؛ ذلك الكاتب الذي له أكبر الاثر على عصرنا بنزعته التحررية وبحثه الدائم عن لحقيقة » .

* انتخب المؤتمر العام لليونيسكو الذي عقد بباريس في العشرين من اكتوبر الماضي الاستاذ نوايير باريس سيساكيان عضو اكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي رئيسا للدورة الثالثة . وبهذه المناسبة القى الاستاذ المذكور خطابا قيما .

* انعقد اخيرا في جاكارطا مؤتمر اسلامي حضرته وفود من الاتحاد السوفيتي ، والباكستان ، والجمهورية العربية المتحدة .

* انتهى الاستاذ انور الجندي من تحرير كتابه القيم عن « الفكر الثقافي العربي المعاصر في المغرب » . وقد قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة طبع هذا الكتاب وسيصدر قريبا في نحو 300 صفحة من القطع الكبير .

* افتتح بواشنطن معرض الفن الافريقي تحت شعار الشخصية الافريقية . ويضم هذا المعرض مائتي قطعة اثرية منحوتة من 18 دولة .

* قرر المؤتمر العام لليونيسكو انضمام الملاوي الى الدول الاعضاء بالمنظمة ، وبها يصبح عدد هؤلاء الاعضاء 116 دولة كما قرر المؤتمر أيضا ضم مجموعة الانتيل البريطانية الشرقية ، بصفة اعضاء متضامنين.

* باشر الاستاذ علي الخاقاني تحقيق وطبع ديوان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي المتوفي 673 وهي نسخة فريدة ظلت مجهولة ثمانية قرون . وكذلك قام بتحقيق ديوان السيد عبد المطلب الحلي .

* صدر للاستاذ كامل السامرائي مؤخرا كتاب « مجموعة قانون العقوبات البغدادي » بتعديلاته وذيوله الاخيرة ، كما صدر له كتاب : « قانون اصول المرافعات المدنية والتجارية » مع ذيله .

* اعاد مشروع الكتاب العربي طبع بعض كتب الغزالي : « مشكاة الانوار » و « المنقذ من الضلال » و « التبر المسبوك » و « القسطاس المستقيم » .

* افتتح في دمشق « اسبوع العلم الخامس » القيت فيه عدة محاضرات علمية وعرضت فيه كتب جديدة .

* نشر الدكتور جورج روهو طبيب فرنسي يعيش ويعمل في لندن كتابا بالانجليزية اعتبره النقاد اول كتاب جامع لتاريخ العراق السياسي والثقافي والاقتصادي منذ قبل التاريخ حتى اوائل العهد المسيحي .

* صدر اول ديوان باسم « اغنيات الصمت » لعبد الرحمن عمر .

* علم بان الدكتور احمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا تلقى مؤخرا شهادة الدكتورة الفخرية في فقه الاسلام ، وذلك اثناء احتفال جرى في قصر الحكومة في جاكارطا .

* اعلنت وكالة انباء الصين الجديدة ان العلماء الصينيين اكتشفوا قرب « سيان » جمجمة للانسان الاول في حالة جيدة ويقدر بان تاريخها يعود الى ما قبل 500.000 سنة 600.000 سنة ، وقالت الوكالة انه يعتقد بان الجمجمة التي عثر عليها مع اشياء اخرى متحجرة تعود الى أوائل العهد الجليدي المتوسط .

* في بيروت صدر الجزء الثاني من كتاب « مصادر الدراسة الادبية » ليوسف داغر ويشتمل على ترجمات ادباء النهضة الراحلين من عام 1880 الى 1930 .

* اعلنت السفارة الايرانية بلندن في بلاغ نشرته بان ثمانية دول قد وافقت على اقتراح ايران المتعلق بعقد مؤتمر عالمي في طهران يضم وزراء التهذيب الوطني في تلك الدول لاتخاذ القرارات اللازمة لمقاومة الجهل في العالم . وهذه هي اسماء الدول التي اعطت موافقتها حتى الآن : فرنسا ، وسويسرا ، والاتحاد السوفياتي ، وايطاليا ، وتونس ، وروواندا ، والكامبودج، والسويد ، والدانمارك ، والمجر ، والنمسا ، وفينلاندا ، والحبشة ، والاردن ، والصومال ، والطوغو ، والشيلي

* صدر احصاء في روسيا يشير الى أن أكثر من 40 كتابا عربيا قد نشر في الاتحاد السوفياتي في غضوان السنوات العشر الماضية . وتشتمل هذه الكتب على روايات ، وقصص ، ومجموعات قصص قصيرة . وقد ترجمت الى الروسية روايتان كبيرتان لتوفيق الحكيم : (عودة الروح) و (مذكرات نائب فى الارياف) وكتب لنجيب محفوظ ، وطه حسين ، ومحمد ديب .

* اكتشف علماء الآثار الامريكيون مدينة سيباريز التي يعود تاريخها الى 500 2 سنة الواقعة في جنوب ايطاليا .

* في 20 اكتوبر الماضي افتتح في معرض اليونيسكو معرض « خاص » بالحملة الدولية لانقاذ آثار النوبة ، وذلك بمناسبة افتتاح الدورة الثالثة عشر للجمعية العمومية لليونيسكو .

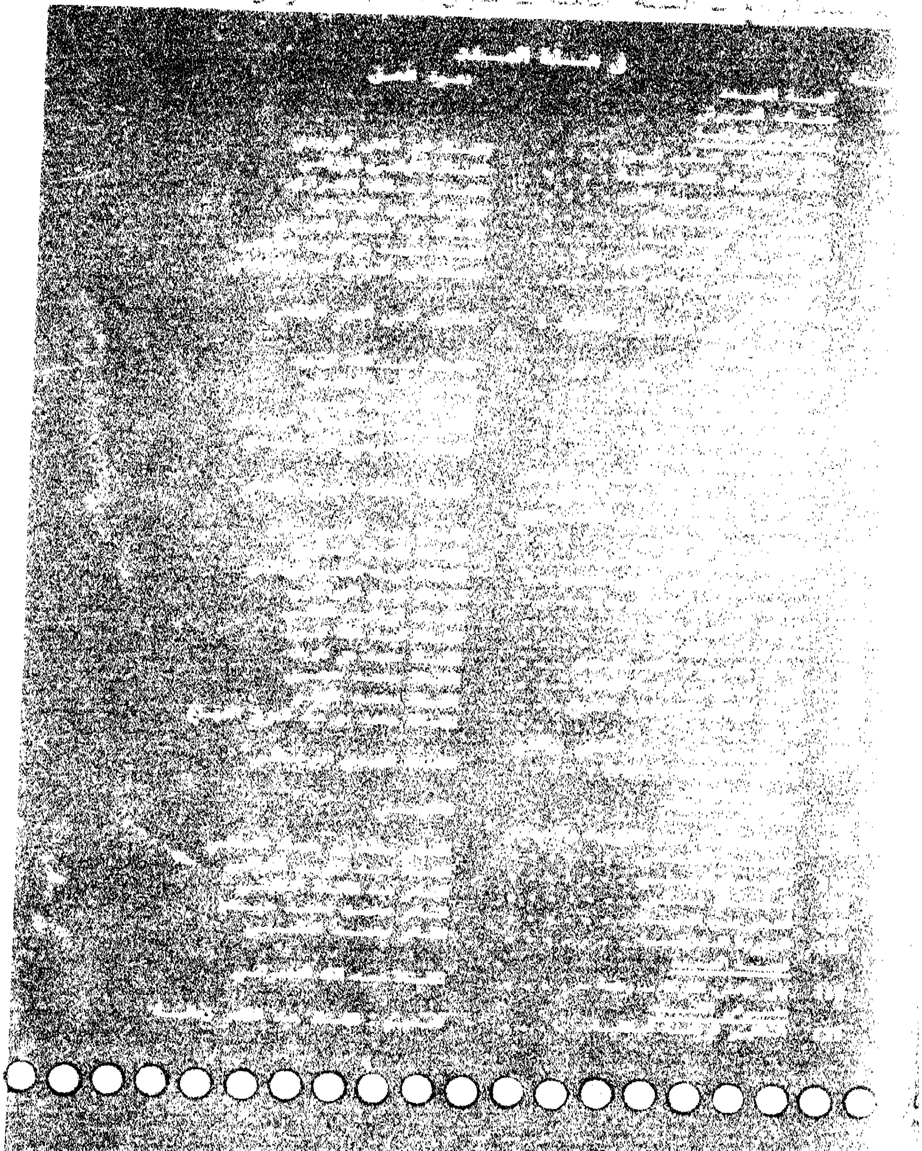
* « السلام العالمي ايضا يمكن الوصول اليه » هذا هو الموضوع الذي تخيره اتحاد المحاربين القدماء العالمي للمسابقة الدولية للتصوير الفوتوغرافي . وقد حددت خمس موضوعات لتناول الفكرة الفنية : حقوق الانسان . نزع السلاح . التنمية الاقتصادية . اعادة تأهيل المصابين والتعاون الدولي . التفاهم المشترك . وتتوج المسابقة بجائزة كبيرة تشاركت في اعدادها عدة منظمات ومؤسسات دولية .

* مسؤولية الصحفي في عالم اليوم ؟ كان هذا موضوع ندوة شهر اكتوبر التي نظمها في مدينة ستراسبورج المركز الدولي للتعليم الصحفي العالمي .

* تم في منتصف شهر دجنبر توزيع جوائز نوبل سنة 1964 في غيبة « جان بول سارتر » ، وفي

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



ثمن العدد درهم واحد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
والشؤون الإسلامية
المملكة المغربية



تتقـدم أسرة تحرير مجلة ((دعوة الحق)) الى مقام حضرة صاحب الجلالـة الملك الهمام قائد الامـة مولانا الحسن الثاني والى ولي عهـده سيدي محمد والى الاسرة المالكـة والى الشعب المغربي النبيـل باسمى عبارات الولاء والتبريك بمناسبة ذكرى جلوس حضرته على اريكة اسلافه الامجـاد ، طالبة من الله العلي القدير ان يحقـق على يـده كـل خيـر وازدهـار لشعبـه الوفـي المخلـص ...

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف
بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الرابع - السنة الثامنة
شوال 1384 - يبراير 1965
ثمن العدد درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :

مجلة ((**دعوة الحق**)) ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنــة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فــأكثــر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :

مجلة ((**دعوة الحق**)) رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة ((**دعوة الحق**)) ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

((**دعوة الحق**)) ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفــون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط

كلمة العدد

أدب العرش

عـــاش المغرب عيدا قوميا رائعا يوم 3 مارس بمناسبة الذكرى الرابعة لاعتلاء جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده على اريكة اسلافه الامجاد ...

ولقـــد اظهر الشعب المغربي النبيل عواطفه المشبوبة ، ومشاعره المتقدة ، وعبر عن فرحته ـ التي تنم عن مدى تعلقه بملكه وقائده ـ بوجوه هشة ، وثغورباسمة ، وعيـــون تشرق بالامـــل والرضـــى .

وان احتفال الشعب بهذه الذكرى المجيدة ، ليذكرنا بالكفاح البطولي الذي بذله العرش العلوي في الحفاظ على كيان المغرب وسيادته ، وما قام به الرواد الاولون من ابناء هذا الوطن الغالي ، الذين تفتحت بواكير الوعـي في نفوسهم ، فاعلنوها حـــربا عوانا لاهوادة فيها ولا لين ، على الطغيان الفاحش ، والبغـــي الصارخ ، والخلـــق المريـــض ....

واتخـــذ الشعب المغربي من عيد العـــرش ـ في وقت توالت الخطوب على جوانبه ، وتفاقمت النوازل في احشائه ـ مناسبة للتعبير عمـــا يعتلـــج في صدره المكلوم من آمـــال وآلام ، فكان يستقبله بقلب مغتبط ، ورأي جميع ، اذ يقيم لـــه حفلات يعبر فيها عن ولائه ، وتعلقه بملكه الذي تتجسم فيه سيادة البلاد ، كما يجعل من ذكرى عيد العرش متنفسا لعواطفه الجائشة ، وفرصة لاظهار الالتحام الذي يقع مجسما بين الشعب والملك ، وسبيلا لبعث الوعي والتمرد في الغافل الخاضع ، الذي يئن تحت وطأة المستعمر القاهرة الذي اذاق الشعب لباس الجوع والخوف ، فخنق الحريات ، وعوق النهضة ، وثبط العزائم ، واصبح الشعب معه كمن تتخطفه الطيـــر او تهوي بـــه الريح في مكان سحيـــق .

ولم يكن الادب الثائر في هذه الاونة الا هاديا ومرشدا ، فقد انطلـــق الفكـــر المغربي من عقاله ، وفاضت القرائح تنشد اغاني الشرف ، واناشيد الحمية ، معبـــرة عـــن آمـــال الامـــة وامانيهـــا .

وبـــرزت الثورة الفكرية على السنة الشعراء والكتاب الذين نقلوا صرخاتهم وزفراتهم التي انبعثت في رحاب البغي والفسوق والفجور والفساد ، منظومـــة في قصائد ، او مصورة في مقالات ، فساعدت على ثـــورة الشعب والهاب حماســـه ، واخرجته من السكون والكمون الى دنيا الواقع المر .. الى عالم الجهاد المقدس ...

وهكـــذا كان ادب الثورة المغربي هاديا ومرشدا ، ومتفاعلا مع الامة ومستجيبا معها ... وقد يحلو البعض ان يلمزه بنعوت قد تقلل من قيمتـــه ، فيسمونـــه بادب المناسبات ، وهو ـ لعمر الحق ـ ظلم صراح لهذا الادب الثائـــر ....

لقـــد ظلت الثورة المغربية مشبوبة بين الجوانح في اكثر ايام الحماية بين حق اعزل ، وباطل مسلح ، وضد الذين عوقوا نهضة الامـــة ، وفرقوا كلمتهـــا ، وبددوا

خطاب العرش

الحمد لله ،

والصلاة والسلام على رسول الله

اننا لنشعر في هذا اليوم الاغر بعاطفة المسرة والابتهاج ونحن جميعا نحتفل بذكرى تربعنا على عرش اسلافنا المنعمين جريا على العادة المسنونة ورعيا للتقاليد المصونة ، نربط الماضي بالحاضر ، ونتطلع الى المستقبل الزاهر ، يغمر قلوبنا الايمان الراسخ بمصيرنا ويقوى عزمنا ، التجاوب العميق بينك وبيننا .

ومنذ اناط الله بنا عهدة شؤونك وتولينا تسيير امورك ، ونحن ننهج السياسة المثلى ، ونسلك المحجة القويمة التي رسمها لنا والدنا ، نحفظ عهدك ونرعى كرامتك ونحرص اشد ما يكون الحرص على مصالحك وحقوقك

ان الاحتفال بذكرى عيد العرش كان ولا يزال البرهان الساطع والدليل القاطع ، على ما نكنه لك من حب وعطف ، وما تكنه لنا من ولاء واخلاص اعربت عنه في شتى الاحداث والمناسبات ، فكان بين مشاعرك ومشاعرنا ، وعواطفك وعواطفنا ذلك التجاوب القوي ، والتماسك المكين والوفاق الخالص المتين .

لقد ابت همة وحكمة والدنا المقدس رضوان الله عليه الا ان تجعل من يوم الذكرى عيدا قوميا تتجه فيه الهمم نحو المجد تبنيه ، والوطن تحميه ، والتاريخ تصنعه وتحليه سبيلها الى ذلك الاخلاص للبلاد ، والتعلق بالامجاد ، ووسيلتها العمل المتواتر ، والسعي المتوافر ، والجهد المتضافر .

وها نحن نعود في يوم الذكرى لنلتقي على صعيد المحبة الصادقة والوطنية الحقة والوفاء المتبادل ، نحدثك عن السياسة المنتهجة ، والخطوات المتبعة ، وقد غمرت قلبك آيات الولاء والاخلاص ، وبدت على محياك مظاهر العزم والقوة ، وانارت سريرتك ، اشعاعات الايمان بحاضر سعيد ومستقبل مجيد ، نبذل في سبيله قصارى جهودنا ، ونجند له كامل قوانا .

التصميم الثلاثي اعطى الاسبقية للمجالات التي نستطيع ان تؤتي جهودنا فيها احسن الثمرات .

الفلاحة – السياحة – تكوين الاطارات

ومنذ اناط الله بنا عهدة شؤونك ، وتولينا تسيير امورك ، ونحن ننهج السياسة المثلى ، ونسلك المحجة القويمة التي رسمها لنا والدنا ، نحفظ عهدك ، ونرعى كرامتك ، ونحرص اشد ما يكون الحرص على مصالحك وحقوقك اضطلاعا بمسؤولياتنا ، واداء لواجباتنا ، واخلاصا لشعب ولي وفي ، بر حفي لا ينثني لنا عزم ، ولا تهن لنا ارادة ، ولا تقف في عضدنا العراقيل والصعاب ، نصل العمل الليل والنهار، لنبني صرح هذا الوطن ، وننسج خيوط تاريخه بعواطف المحبة المشتركة ، والاهداف الموحدة التي قامت على تقوى من الله ورضوان .

ولقد كان من اعز رغائبنا ورغائبك واغلى امانينا وامانيك ان يستند نظام الملكية الدستورية على اقوى الدعائم ويرتكز على امتن القواعد .

ثروتها ، وتركوها تندب حظها العاثر ، فعم السخط ، وانتشر القلـق .. ولم يكـن الادب الثائر الا هاديا في تلك المتاهات ، التي تحار فيها القطا ، ينير السبيل ، ويرسم الاتجاه .. ولم تكن مناسبة عيد العرش المجيد ، والتعلق برمز الوحدة وأمل الامـة صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس نـور الله ضريحه ، الا متنفسا للعواطف المكروبة المضغوطة ، وابراز هذا اللون من الادب الذي كانت الحمايـة تسمح بـه ، وانفهـا راغـم ...

وهكـذا ، فقد رسم هذا الادب معالم الطريق وسجل صور الكفاح الذي قام به الملك والشعب ، وابرز السمات التي امتاز بها عن غيره ، ولم يترك حدثا دقيقـا او جليلا الا سجله مما لايزال محفوظا الى الان .

فادب العرش هو الذي دق ناقوس الخطر ، وايقظ النائمين ، والهب الحماس، ونبه المشاعر ، وفتق الوعي ، وعمق الشعور وقواه ، وقاد الجماهيـر الى باحـات الشرف ، ووضع اصابع الامة على الخطر المحدق ، والداء العضال .

ولقـد كانت خطب العـرش التي كان ينثرها صاحب الجلالة مولانا محمد الخامس — طيب الله ثراه — على مسمع الدنيا ، ويستعرض فيها نشاطه وكفاحـه ، ويلهب بها حماس الشعب ، سجلا للاحداث الجارية ، وادبا فذا رفيعا للثورة المغربية، ضد المستعمر الغاشم ، من الطراز الممتاز ، تلهمه العزة ، وتمليه الكرامة ، اذ كـان — رضي الله عنه — يصب في كلماته روحه الثائر الذي يزخر بطاقات ذات قوة خارقة تقع من القلوب الصادية موقع الانداء المنعشة في الارض الموات .

ولقـد ادرك — رحمه الله — قيمة هذا الادب الثائـر الذي يصدر في هـذه المناسبات الفذة عن قلوب مكلومة برح بها الشوق والالتياع لليوم الموعود ، والحـدث الخطير المنتظر ، فتهتز اريحيته ، فيرصد الجوائز الادبية ، ويقيم لها حفلات خاصة يحضرها اعلام الادب والفن ، علما منه — رضوان الله عليه — بان الادب هـو الـذي يعمـق نوعيـة الشعب ، ويفتـح بصيرتـه .

ولقـد درج مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله على سنن ابيه ، فشجع الادباء ، ورفد الشعراء ، ونفقت في ايامه سوق العلم ، وحبيت بهديه امـة ، واصطلـح على عهـده تاريـخ :

وهل ينبت الخطـي الا وشيجـه ✻ وتغرس الا في منابتهـا النخـل

فاذا ما احتفل الشعب اليوم بعيد تتويج مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني ادام الله عزه ونصره ، فانما يحتفل بعيد من اجل اعياده خطـرا ، وابلغه في حياتـه اثرا ، وابلجه في نفسه دلالة ، وتاريخ حافل بالاعلاق والامجـاد ، مليء بجلائـل البطولات ، اينع فيه الغرس من اشلاء الضحايـا ، فاصبح امة على وجـه الدنيـا تنشـيء الحيـاة وتبنـي ....

وان الامة المغربيـة العريقة في المجد ، الراسخـة في المدنية والحضارة التي بكرت تفصح عن وجدانها فاحتفلت بالذكرى الرابعة المجيدة لمولانا صاحب الجلالـة الحسن الثاني لتجدد العهد وتؤكده ، فتسير على النهج الذي يخطه جلالته الـذي ادخره الله لحاضر البلاد ومستقبلها ، وتعاهد الله على طاعته وولائـه في المنشط والمكره حتى يتحقق على يده رخاء العيش المطمئن .

نسأل الله ان يديم عصرك ، الذي اشرق اشراق الشمس، واقبل اقبال الربيع ، ويعز عصرك ، ويتم نعمته عليك ، ويهـديك صراطـا مستقيمـا ، وينصـرك الله نصـرا عـزيـزا .

وان الله على نصركـم لقـديـر

دعوة الحق

وكان من الضروري ازاء تجاوز بعض موظفي الدولة حدود ما رسمنا لهم من السهر على مصالح المواطنين بروح الاستقامة والنزاهة وتلاعب بعض آخر منهم بالاموال العمومية واستغلال ما خول لهم من نفوذ ، ان نهيب بحكومتنا الى مقاومة هذه الافات الخطيرة ، فالتقت رغبة الامة برغبتنا في هذا الصدد عندما صادق البرلمان على مشروع القانون الذي عرضته حكومتنا المتعلق باحداث محكمة تختص بزجر جرائم الرشوة والشطط في ممارسة السلطة واستغلال النفوذ .

ومن اهم المنجزات البرلمانية في هذه السنة ، المصادقة على القانون المتعلق بتوحيد القضاء ومغربته وتعريبه ، وكان صدور هذا القانون استرسالا للعمل الذي بداه والدنا المقدس منذ نحو عشر سنوات ففداة استرجاعنا لحريتنا واستقلالنا ، شرع ملكنا الراحل في ادخال اصلاحات جذرية على الجهاز القضائي تناولت القوانين التي يحكم بها والرجال الذين يحكمون ففصل السلط وجدد القوانين وشرع في توحيد المحاكم وانشأ المجلس الاعلى ، والمجلس الاعلى للقضاء ومنح القضاء سلكا اساسيا وكان القصد من ذلك كله توفير العدالة للمتقاضين وتقريبها منهم وتبسيطها لديهم من جهة وضمان استقلال القضاء واختيار الكفاة لتوليه من جهة اخرى ، علما منه قدس الله روحه ، ان العدل اساس الملك ومطية العمران وانفة من الظلم الذي حرمه الله على نفسه وعباده ، وسرنا نحن على هديه من بعده ، ولم نقف عند هذا الحد بل اكدنا تلك الاصلاحات واقررناها في الدستور الذي وضعناه وجعلناها من قواعده واحكامه ، وها نحن نوحد اليوم المحاكم العادية والمحاكم العصرية توحيدا يجعل مقاليد القضاء بأسرها بين ايد مغربية ويحل العربية لغة البلاد الرسمية وحدها محل اللغات الاجنبية المستعملة في المحاكم وذلك ما كنا نكد لبلوغه ونجد فيما نكون ونوفر من اطارات وطنية كفيلة بان تضطلع بالمهام التي ستسند اليها على الوجه الاكمل ، ونحن عازمون ، على ان يتم تطبيق هذا القانون في الاجل المحدود ، مع المحافظة على سلامة الجهاز القضائي ومستوى القضاء بتوفير الكفايات لتسييره .

الحوار الذي يدور بالبرلمان ليس حوارا سطحيا بل هو حوار عميق المقاصد ، بعيد الغايات ، يستهدف البحث عن الاصلح واقرار الانفع وتلبية مطامح الامة ، وتستهدي به حكومتنا في معالجة الاحوال وتصريف الامور .

واذا كانت اعمال البرلمان في السنة الاولى من حياته تبعث على الامل ، فلنا اليقين بأن نواب المملكة ومستشاريها سيواصلون دراسة القضايا المعروضة عليهم بما عهد فيهم من حكمة وتبصر ، وواقعية وتجرد ، ليبرهنوا بذلك على ان المغرب وجد طريقة وسط عالم تصطرع مذاهبه وتتلاطم مناهجه ، وما زال بعض شعوبه يبحث عن نفسه ، ويلتمس الى التنظيم والتقويم سبيلا ، وان من واجبنا كملك لهذه البلاد ان نحوط هذا الصرح الذي اقمناه بالرعاية ، ونتعهد غروسه بالعناية ، ونقيه من الاعاصير الهوجاء، والتيارات الجارفة ، حتى نضمن لبلدنا الاستقرار الذي لا يكون بدونه ازدهار اقتصادي ، ولا رقي اجتماعي ، ولا تصان كرامة لفرد ، ولا حقوق لجماعة وان مما يسهل قيامنا بهذا الواجب محافظة نواب المملكة ومستشاريها على صفاء القلوب وطهارة الضمائر واخلاص النيات .

شعبي العزيز :

لقد سبق لنا في غير ما مناسبة ، ان عرفنا في الداخل والخارج ، بمدلول الديمقراطية التي ننشدها ونتوخاها ، فأوضحنا ان الديمقراطية التي لاتستهدف الا وضع ورقة في يد الناخب ، ومنح المواطن حقوقا مجردة هي ديمقراطية جوفاء لا تقوى على البقاء ولا تلبث ان ينفر منها الاتباع ، ويهجرها الانصار ، والمعنا الى ان الديمقراطية الحقة هي التي تستهدف تمتيع الافراد والجماعات بالحريات السياسية مثلما ترمي الى اقرار عدالة اجتماعية واقتصادية تصان في ظلها كرامة الناس ، وتكفل لهم اسباب العيش الرغيد ، والامن والطمأنينة .

ولهذا حرصنا قبل الدستور واثناء وضعه على اعطاء اعتبار مماثل للحريات السياسية والحقوق الاجتماعية ، والاقتصادية ، ليمكن للجهود ان تتضافر وللخطى ان تتوازى ، فيطمئن الفرد على حريته اطمئنانه على قوته وقوت اهله .

شعبـي العزيـز

لقد اعتدنـا فى مثل هذه المناسبة السعيدة ، ان نوجه اليك الخطاب ، دالين على اهم ما بذلنا من جهود، وحققنا من اعمال ، وقطعنـا من اشواط فى سبيـل تقدمك ورقيك ، ورفع مستواك ، واعلاء قدرك .

هدفنـا هو رفع شان هذا الوطن وبناء صـرح نهوضه وازدهاره وتوفيـر السعادة والرخـاء لابنائـه وسدل أردية العدالـة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، عليهم بدون تمييز

ولقد كان من اعز رغائبنا ورغائبك واغلى امانينا وامانيك ان يستند نظام الملكية الدستورية على أقـوى الدعائم ويرتكز على امتن القواعد ، وانه لمـا يمـلأ النفس فرحا وسرورا ، ويغمر القلب انشراحا وحبورا، ان نرى الديمقراطية التي اتخذناها للحكـم نظامـا ، وجعلناها للعمل اسلوبا ، تنمـو غروسها ، وتترعرع افنانها فى السنة الرابعة من عهدنا الميمون ، وتؤتـي ثمارها المطلوبة وقطوفها المرغوبة ، ولما يمض علـى اقرارها نظاما للحكم فى المغرب زمـن طويل ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الملكية الدستوريـة التي سعينا نحن وشعبنا الوفي لانشائها ، تنسجم تمام الانسجام مع تقاليدنا الاصيلة ، وطباعنـا السليمة ، التي تهيم بالحرية والعدل والمساوات وتابى نوع مـن انواع القهر والكبرياء فاضطلع البرلمان بمهامـه وادى النواب والمستشارون واجبهم ، وساهموا باقتراحاتهم ، واستجواباتهم ، ومناقشاتهم فى توجيه الحيـاة الوطنية ، وسير الشؤون العامـة متبثيـن بذلـك كله ان الحرية فى هذه البلاد مدلـولا حقيقيـا ، وان الحوار الذي يدور بالبرلمان ليس حوارا سطحيا ، بـل هو حوار عميق المقاصد ، بعيد الغايـات ، يستهـدف البحث عن الاصلح ، واقرار الانفع وتلبية مطامح الامة ، وتستهدى به حكومتنا فى معالجة الاحوال وتصريـف الامـور ، وهذا ما قصدناه واردنـاه عندما سطرنـا ابواب الدستور واقسامه ووضعنا فصوله واحكامـه .

ومع ان السنة المنصرمة كانت بالنسبة لبرلماننـا الفتي سنة تجربة وتمرين ، فلقد شهدت نشاطا ملحوظا وسعيـا موفورا اذ مارس النواب والمستشارون مهامهم ممارسة دلت على مدى فهمهم لمهمتهـم وتقديرهـم لمسؤوليتهم واظهر الحوار والنقاش الذي يكتسـي احيانا شيئا من الحدة رغبتهـم الملحـة فى تحقيـق اكثر ما يمكن من الخيـر لامتهم والتعجيل باصـلاح اكثر ما يمكن اصلاحه من اجهزة الدولـة ومرافـق الحياة القومية بصفة عامة .. وكانت الرغائب التـي اعربوا عنها ، والغايات التي حاولوا بلوغها تتلقى مـع رغائب الحكومة واهدافها اذ ليس لملـك هذه البـلاد وشعبها وحكومتها الا هدف فريد وحيد هو دفـع شأن هذا الوطن وبناء صرح نهوضه وازدهاره وتوفير السعادة والرخـاء لابنائه ، وسـدل اردية العدالـة السياسية والاقتصاديـة والاجتماعية ، بدون تمييز .

ولقد درس برلماننا الميزانية العامة وناقش ابوابها وفصولها مناقشة دقيقة فقبـل منها ما بدا لـه ان يقبل ، وعدل منها ما اراد ان يعدل ، وقدم وزراؤنا لنـواب المملكة ومستشاريها التوضيحات التـي طلبوها ، واجابوا على الاسئلة التي طرحوها . وتقـدم فريق من النواب بملتمس رقابة عرض بسياسة الحكومة وكانت المحاورات التي جرت بشانه على ما سادهـا احيانا من نقد لاذع دليلا جديدا على ما يتحلى بـه شعبنا من حكمة ورزانة ، وحجة بالغة ، على اعتـدال طبعه ، واستواء مزاجـه .

ولما نشأ الخلاف بين نوابنا حول مداول الفصـل الاربعين من الدستور المتعلـق بالدورة الاستثنائيـة لجأوا الى حمانا متحاكمين ، لفض النزاع وحسـم الخلاف استنادا على ما اناطه الدستور بنا من واجب السهر على احترام نصوصه وتنفيذ احكامه ، وبعدمـا رجعنا الى انفسنا واستفتينا ضميرنا وفقنا الله الـى حسم الخلاف ، فامكن عقد الدورة الاستثنائية وكـان رائدنا فى ذلك صيانة الدستور وعدم تعطيل احكامـه والمحافظة على حق من له الحق قل عدده او كثـر ، وان مما تقر به العين ان نواب الاكثرية البرلمانية لـم يجدوا فى أنفسهم حرجا من قضائنا وهل هم الا جزء من هذا الشعب الوفي الذي اعتاد الالتجاء الى حمـى ملوكه ، والتسليم لاحكامهم ايمانا بعدلهـم ، وثقـة بتجردهم ويقينا فى ايثارهم جانب الحق والصواب .

ولقد استعملت حكومتنا حقها فى تقديم مشاريع القوانين الى البرلمان ، مثل ما استعمل النواب حقهم فى تقديم مقترحات بها ، وكانت المشاريع والمقترحـات كلتاهما تستهدف اما الزيادة فى اسبـاب التحسـن والاستقرار فى الاوضاع المالية والاجهـزة الادارية ، واما الزيادة فى ابراز الشخصيـة القوميـة ، وتوفيـر الازدهار والرخاء بهذه البلاد .

مواطنين صالحين يتوفرون على ألوان مختلفة من التكوين ، سواء في ذلك التكوين العام ، او التكوين الفني والمهني ، على انه لا خير لبلادنا في تكوين اطارات مقطوعة الصلة بما لنا من قيم ومقومات ، ولهذا اصدرنا اوامرنا بان يكون تعليم ابنائنا قائما على تلقينهم ما يجب ان يعرفه المغربي ، من تعاليم دينه ، وقواعد لغته وامجاد وطنه .

ومن اهم المنجزات البرلمانية في هذه السنة ، المصادقة على القانون المتعلق بتوحيد القضاء ومغربته وتعريبه ، وكان صدور هذا القانون استرسالا للعمل الذي بدأه والدنا المقدس منذ نحو عشر سنوات .

ايها الشعب العزيز :

لا يفهم من اعطاء الاسبقية لهذه المجالات في التخطيط ، ان الدولة حصرت العناية فيها وصرفت النظر عما سواها من المجالات، فالدولة ما زالت مصممة العزم على العناية بسائر الميادين منفردة بالعمل ، ومتعاونة تارة اخرى ، مع المؤسسات والافراد الراغبين في التعاون معها في هذا المضمار ومن هذه الميادين التي تشغل حظا وافرا من اهتمامنا ونشاطنا تصنيع البلاد اعتقادا منا بان الازدهار يستلزم من بين ما يستلزم تصنيعا يستجيب للحاجيات وييسر الشغل لليد العاملة وينمي الموارد الوطنية ، ويرفع بالتالي الدخل ومستوى العيش على اننا اذا كنا نعتبر التصنيع وسيلة من وسائل التطور الاقتصادي ، فان مما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام ، ان الدولة لا تنوي ان تنفرد وحدها بالتصنيع ، او تحتكر انجاز المشاريع ، لان معتقداتنا الدينية ، ونظمنا السياسية والاجتماعية ، والمحافظة على توازن الثروة القومية ، كل ذلك يقضي باحترام تصرفات الافراد والجماعات وصيانة ما لهم من اموال وممتلكات ، لذلك ترحب الدولة بالمبادرات الفردية ، وتشجع القطاع الخاص على ما يرغب في انجازه من اعمال مثمرة مفيدة ، ويكفي ان تكون المشاريع المرغوب في تحقيقها محكمة الوضع منسجمة مع مصلحة البلاد، ومتطلبات التنمية لتظفر من الدولة بالمعاضدة والتأييد والتشجيع .

مما تقر به العين ان نواب الاكثرية البرلمانية لم يجدوا في انفسهم حرجا من قضائنا وهل هم الا جزء من هذا الشعب الوفي الذي اعتاد الالتجاء الى حمى ملوكه .. والتسليم لاحكامهم ايمانا بعدلهم وثقة بتجردهم ويقيننا في ايثارهم جانب الحق والصواب .

وستواصل الدولة اعمالها بشأن التجهيزات الاساسية التي هي دعامة الاقتصاد مطية النهوض والعمران ، كشق الطرق وتعهدها ، وتجهيز المراسي والمطارات والسكك الحديدية، وتوسعةشبكة المواصلات السلكية واللاسلكية وتقوية الطاقة الكهربائية ، متممة ما بدأته ، او محدثة ما لم يكن منها محدثا ، مما تدعو التنمية الى انشائه ، مولية الاسبقية للمشاريع ذات الفائدة المحققة ، والدخل الثابت متجنبة كل مشروع عديم الفائدة او بعيدها مبتعدة عن كل عمل من اعمال التعاظم او التهريج .

شعبي العزيز

ان رخاء بلادنا وازدهارها في مختف الميادين ورفاهية شعبنا ، كل هذا لا يمكن ان يتحقق بتحقيق المشاريع في مخطط بلغ ما بلغ من الدقة والاحكام ، اذ كل مشروع يهدف الى تحقيق غاية من هذه الغايات يتطلب رصيدا من المال كفيلا بانجازه وجعله محقق الفائدة ، حسن العائدة وليس يخاف عليكم ان امكانياتنا لتمويل ما نود تمويله من هذه المشاريع ، قليلة ضعيفه ، لا تفي باقلها شأنا - ولا غنى لنا عن طرق ابواب المنظمات الدولية ، ومؤسسات السلف لتمتين ما رسمناه من خطة واخذنا انفسنا بتحقيقه وانجازه ، وليس في هذا من غضاضة علينا ، فقد سبقنا الى هذا الميدان ، من هو اقل مناحاجة واوسع منا مقدرات وامكانيات بيد انه يتعين علينا ان تتسم المشاريع التي نلتمس تمويلها عن طريق المساعدة والسلف بطابع الجد ، وان تكون الفائدة المطلوبة من ورائها لا جدال في قيمتها ولا شك فيما ينشأ عنها من ازدهار ، وتخلفه من رفاهية ، على انه يتعين علينا فوق هذا كله ان يتصف تسييرنا وتدبيرنا لشؤون الدولة اية ما كانت مرافقها ، بصفات الحزم والجد والقصد ، اجتنابا لكل تبذير وتلافيا لكل ازمة ، واستدرارا للوسائل الحاليةاللازمة ، وقد اصطدمنا كما اصطدم غيرنا بصعوبات منها ما هو ناشىء عن تحرير

ولقد اصبحت الدول على اختلاف مذاهبها ، وتعدد مشاربها ، تلجأ الى وضع مخططات محكمة ، تنجز مستنيرة بها ، مهتدية بهديها من المشاريع فى مدة من الزمن محدودة ، ما تقضي الضرورة بانجازه ، وتدعو الحاجة الى تحقيقه سعيا منها وراء التنمية الاقتصادية الكفيلة بازدياد الدخل الفردي والوطني ورفع مستوى العيش والقضاء على البطالة ، ولم نكن لنغفل فى دستورنا هذا الاسلوب المجدي فى العمل ، فقد نص الدستور على انشاء مجلس اعلى للانعاش الوطني والتخطيط واسند اليه تحت رئاستنا مهمة وضع التخطيط الراسم للاهداف المرغوب فى ادراكها واناط به تحديد مبلغ النفقات اللازمة لانجازه ، وقد قدمنا فى شهر دجنبر الماضي ، الى هذا المجلس مشروع التخطيط الذي سهرنا على اعداده ، مراعين فى وضعه امكانياتنا وما يستلزم الاسبقية من مشاريعنا .

وقد تم اعداد المخطط الذي يستمر مفعوله مدة ثلاث سنين فى احوال مالية وظروف اقتصادية عصيبة ، فقد بعدت الشقة بين الانتاج والاستهلاك اذ لم يسجل الانتاج الداخلي ،خلال السنوات العشر الماضية الا ارتفاعا ضئيلا تبلغ نسبته السنوية 1,6 فى المائة بينما ازداد عدد السكان بمعدل 3 فى المائة كل سنة ، الشيء الذي اذا استمر يعرض مستوى عيش السكان للتقهقر ، والانحطاط . ومن جهة اخرى ارتفعت نفقات الدولة ارتفاعا كبيرا منذ استرجاع الاستقلال ولم تعد الموارد العمومية قادرة على مواجهة التكاليف ، كما عرفت اموالنا الخارجية منذ سنة 1962 نقصانا مستمرا وتضاءلت وسائلنا للاداء بالعملة الصعبة ، كل هذا جعل المخطط الثلاثي يتسم بطابع التقتير والتقشف ، وحدا الى اعطاء الاسبقية فيه للمجالات التي تستطيع جهودنا فيها ان تؤتي احسن الثمرات وتعجل بخلق ازدهار ينتظم جميع الاقاليم ولا يقتصر على ناحية معينة من البلاد .

ومن البديهي ان تكون الفلاحة فى طليعة ما يعنى به التخطيط لانها المورد الاساسي لعيش معظم المواطنين ولان تقدم البلاد وازدهار الصناعة خفيفة كانت او ثقيلة رهن بما يحصل فيها من تجديد وما تدره على الامة من انتاج وفير .

ولقد اصبحت تنمية الانتاج فى هذا المجال ضرورة حتمية لا تمليها فقط تقلبات الطقس التي تحدث احيانا خسائر جسيمة يترتب عنها بالتالي نقص فى المحصول بل عليها ايضا مواجهة الزيادة المضطردة فى عدد السكان التي تستلزم توفير الغذاء والشغل لمئات الالوف من النسمات تولد كل سنة . واننا لن نكتم شعبنا الذي ما تعود منا الا الصراحة ان منتوجنا الفلاحي الحالي لا يفي بالغذاء الضروري لمجموع السكان وان بلادنا التي كانت الى عهد قريب تصدر كمية وفيرة من محاصيلها الزراعية ، صارت اليوم مضطرة ان تستورد من القمح ما تدعو الحاجة اليه .

وتلافيا لهذه الحالة ، وسدا لهذه الخلة ، فان الاستثمارات الفلاحية ستوجه بمقتضى التصميم الثلاثي توجيها يرتفع معه الانتاج سواء فى المناطق التي تستفيد من السقي ، او المناطق الاخرى ، وقد اصدرنا تعليماتنا بان يتسع نشاط الانعاش الوطني فى المناطق التي لا تتوفر على وسائل السقي ، كما اصدرنا اوامرنا بان يصبح السلف الفلاحي عاملا من اهم العوامل على تشجيع الفلاح وتقوية انتاجه ورفع مدخوله ومستواه فاذا ارتفع هذا الدخل وهذا المستوى ، وتحققت التنمية الفلاحية التي حرصنا على ان تكون من اهدافنا المرموقة وغاياتنا المنشودة ، امكن للصناعة ان تستقر دعائمها وتتوطد اركانها بما سنكون قد حققناه للفلاح من قدرة شراء ويسرنا له من اسباب استيعاب واقتناء المنتوجات الصناعية .

وقد حظيت السياحة هي الاخرى بالاسبقية فى فى المخطط الثلاثي ، فلقد كانت بلادنا وما زالت ولله الحمد ، مقصدا للسائحين من مختلف الاقطار والامصار ، يفدون عليها لما تتوفر عليه من مؤهلات طبيعية تستهوي السائح الذي ينشد الراحة والمتعة والاكتشاف والتسلية ، بيد ان من الضروري ان تتعزز هذه المؤهلات الطبيعية بتجهيزات تكفل للوافدين على بلادنا ما يرغبون فيه من ترفيه عن النفس وطيب مقام ، فاذا نحن كفلنا لهم ذلك ، وفرنا لهم ما يرغبون فى مشاهدته او اقتنائه وقابلناهم بما اثر عن المغاربة من كرم الضيافة وحسن الاستقبال ، وعززت جهود الموسرين منا جهود الحكومة فى تكثير المرافق السياحية ، فلن يلبث المغرب ان يستفيد من السياحة التي اصبحت ظاهرة عالمية ما تستفيده الاقطار السياحية الكبرى وتطير شهرته فى الافاق وتقوى صلات التعارف والتقارب بينه وبين غيره من الشعوب، ومنح التخطيط ايضا الاسبقية لتكوين الاطارات ، ادراكا لما لهذا التكوين من الاهمية ، واستجابة لما يتطلبه النمو المطرد وتضاعف الاحتياطات ورغبة فى تشييد صرح النهضة المنشودة وتسيير مرافق البلاد بايدي

الشعبين المغربي والسينغالي واسفرت على عقد اتفاقيات تطبع تضامنهما وتعاونهما بطابع ايجابي واذا كنا مؤمنين بما لقيام الوحدة الافريقية من فعالية وجدوى فاننا نعتقد ان قيام الوحدات الاقليمية في قارتنا خير سبيل لتحقيق الوحدة الشاملة واختصار المراحل الضرورية للوصول اليها ، وهذا ما يجعلنا علاوة على الروابط الخاصة التي تربط اقطار المغرب العربي نولي عناية فائقة لقضية تشييد المغرب العربي الذي تتوق اليها شعوبنا في الشمال الافريقي .

وفي هذا الانطاق لبينا دعوة اخينا فخامة الرئيس السيد بورقيبة لزيارة الجمهورية التونسية ، حيث اتيحت لنا الفرصة لتبادل الرأي مع فخامته في سائر الميادين التي تهم علاقات بلدينا والميادين التي تستاثر باهتمامنا معا ، واسفرت هذه الزيارة عن عقد اتفاقيات نعتبرها اساسا مهما من اسس تشييد المغرب العربي وقد اقترحنا في خطاب القيناه امام مجلس الامة التونسي عقد اجتماع يضم الاقطاب المغاربة الاربعة . البحث عن احسن الوسائل لاخراج الفكرة الى حيز الوجود . وتخطيط سياسة محكمة رشيدة ، تلتزمها الاقطار المغربية في تعاملها مع الخارج ، وفي بعضها البعض .

وفي طريق عودتنا من تونس عرجنا على باريس واجتمعنا بصديقنا فخامة الجنرال دوكول رئيس الجمهورية الفرنسية الذي تربطنا واياه صداقة خاصة . وتباحثنا في القضايا التي تهم البلدين ودار الحوار بيننا في جو من الصراحة والثقة ، ايقنا معه بعمق المودة التي تربط الشعبين المغربي والفرنسي ، وان كان التغلب على المصاعب التي تبدو في الافق احيانا دون ان يكون لها تاثير على علاقاتنا المرضية التي يرغب كلا الطرفين في تعزيزها ، وتوسيعها لخير البلدين ، كما لبينا في الشهر الماضي دعوة كريمة من صديقنا الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية . فقمنا برحلة خاصة الى اسبانيا مكنتنا من الاجتماع بفخامته ويسرت لنا ان نتبادل واياه وجهات النظر في كثير من المشاكل والقضايا التي تشغل بال شعبينا الصديقين المتجاورين ، وسجلنا واياه بمزيد الارتياح تحسن العلاقات بين بلدينا واستحكام روابط المودة والتعاون بينهما في شتى المجالات .

وانا لنعتزم القيام في القريب العاجل بزيارات رسمية الى بعض الاقطار الصديقة رائدنا في هذه الزيارات والاتصالات ، توطيد علائق المغرب باصدقائه ، واحلاله المكان اللائق به على الصعيد الدولي ، وخدمة السلم والحضارة والثقافة والدعوة للتقارب والتعاون المثمر النزيه بين الدول والحكومات والشعوب .

شعبي العزيز

هذه الجهود التي بذلناها وصرفناها والاعمال التي زاولناها وباشرناها خلال السنة المنصرمة اوردناها بايجاز واختصار وسقناها مقتصرين على ابرز ميادين نشاطنا ومساعينا ، مكتفين بالقليل الذي يدل على الكثير والنزر اليسير الذي يهدي الى الجم الوفير ، ولو عرضنا عليك الجليل والصغير من شؤون مملكتنا التي استرعت انتباهنا واستاثرت بالحظ الاوسع من اهتمامنا وعنايتنا ، لادركت مدى فهمنا لاداء الواجب الملقى على عاتقنا ولتبينت فوق كل ذلك قوة الاصرة التي تصلنا بك ولعلمت ان الوشائج التي تجمع بيننا وبينك والروابط التي تربطنا واياك وشائج عريقة وشيقة وروابط متينة مكينة يكمن فيها سر ما نجد في نفسنا من قوة واستعداد للسعي في اسعادك والعمل على اصلاح احوالك واشارك بالسهر والحدب والسعي والطلب مستهينين بما نلقى في سبيل ذلك من تعب ونصب ، فلقد انصرفت جهودنا الى تحقيق ما رأينا في تحقيقه الفائدة لبلادنا والخير لشعبنا ، لم ننقطع عن العمل المثمر البناء ولم نحد عن المحجة البيضاء لم تهن لنا ارادة ولم ينثن لنا عزم مستلهمين من الله فيما نأتي ومانذر الهداية والرشاد والصواب والسداد متوخين بلوغ الاهداف التي رسمناها والغايات التي اوضحناها وسلوك المسالك التي آثرناها بعد استعمال الروية والتفكير واختيار احسن سبل التسيير والتدبير سواء في ذلك ما يتصل بشؤوننا الداخلية او ما له مساس بشؤوننا الخارجية وقد حبانا الله في توفيقه وتسديده وتأييده وتعضيده فاستوجب منا في كل آونة وحين الشكر الجميل والحمد الجزيل وسنواصل المساعي والجهود ونوالي السير الحثيث والعمل المعهود رغبة منا في استكمال ما بدأناه وحرصا منا على استنفاد كل وسيلة من شانها ان تيسر بلوغ المرام وتسهل الوصول الى ما نتوق اليه باستمرار من عزيز المقاصد وسنى الاهداف .

سيادة البلاد ، وارتفاع التكاليف الناجمة عن الاستقلال ومنها ما هو ناتج عن قلة الكفاءة ، وضعف الخبرة ، فراينا والحالة هذه ان نتولى بنفسنا معالجتها ووضع حد لما كان من المتوقع ان تؤول اليه من استفحال ، فاصدرنا اوامرنا باتخاذ التدابير الصارمة للتقليل من الانفاق الذي لا تدعو اليه حاجة ماسة ، وقد اخذت هذه التدابير تؤتي ثمارها ، وتسفر عن نتائج وان كانت تسر من جهة ، فانها غير كافية من جهة اخرى ، ويتعين علينا ان نلاحق ما بذلنا من جهود ، وفرضنا على نفسنا من فروض لنصل الى الهدف الذي توخينا بلوغه وادراكه ، ولهذا فان من آكد واجباتنا كأمة تسير في طريق النمو ، وتتطلع الى حل ما يستتبعه هذا النمو من مشاكل ، ان نتغلب على ما يعترض سبيلنا من عقبات ، بصدق في العزيمة وقوة في الارادة ، وتجرد واستقامة ومراعاة للصالح العام فعلينا ان نعمل جميعا حيث ما كنا في ميدان العمل وان نضاعف الجهود لخلق الازدهار ، الكفيل بسد حاجياتنا المتصاعدة ولايجاد الشغل للمواطنين الذين يزداد عددهم سنة بعد سنة ، وعلينا ان نسعى السعي المحمود لاستثمار امكانياتنا ومقدراتنا استثمارا لا يوفر لنا ولذوينا القوت اليومي فحسب ، ولكنه يخلق الثروة والغنى لنا ولمن يخلفنا من اجيال .

سعبي العزيز

اذا كانت تلك بعض مظاهر النشاط الذي نبذله في الداخل وألوان السياسة التي ننهجها فيه فان عناية مماثلة واهتماما متواصلا أوليا الميدان الخارجي بغية دعم مركز المغرب الدولي واحلاله المكانة اللائقة به بين الشعوب وانك لتعلم اننا ننهج منذ استرجاعنا للاستقلال في هذا الميدان سياسة واضحة المعالم قويمة المبادىء بينة وتتلخص الاسس والاركان التي تقوم عليها هذه السياسة او ترمي اليها في المحافظة على السيادة الوطنية واستكمال الوحدة الترابية والدفاع عن حوزة البلاد والتعامل مع الدول بروح الثقة والود على اساس المساواة والوفاء بالعهود والالتزامات واجتناب التدخل فيما لغيرنا من شؤون داخلية وفض المشاكل بالوسائل السليمة وعن طريق المفاوضات وعلى ضوء هذه المبادىء التي اصبحت ميثاقا لسياستنا الخارجية والطابع الذي تتسم به زاولنا ما زاولنا من اعمال ، على الصعيد الدولي فلقد اسهم المغرب في اطار منظمة الامم المتحدة اسهاما فعالا في معالجة وحل المشاكل المستعصية التي كانت مطروحة امامها وقام بدور ايجابي في مجلس الامن الذي انتخب عضوا فيه فتميزت مواقفه بالحكمة والتبصر استنادا الى المبادىء القارة لسياستنا الخارجية وكانت هذه المواقف عاملا على ابراز شخصية المغرب في نطاق الاسرة الدولية ونال المغرب ثقة مجلس الامن وتقديره الامر الذي جعل المجلس يعينه عضوا في اللجنة المكلفة بوضع تقرير عن الحالة في افريقيا الجنوبية وتقديم اقتراحات لحل الميز العنصري كما اسند اليه رئاسة المنبثقة عنه والمكلفة بالحالة الخطيرة التي نشبت بين الكامبودج والفيتنام الجنوبية ، ولم تكن مشاركة المغرب في المنظمات التابعة للامم المتحدة اقل فعالية من مشاركته في المنظمات ذاتها مثل اليونسكو الذي انتخب عميد جامعة محمد الخامس رئيسا للجنتها التنفيذية الشيء الذي يدل على ما يحظى به بلدنا من عطف وتقدير .

وفي جامعة الدول العربية واصل المغرب سياسته الرامية الى دعم هذه المؤسسة التي تضم العرب كما واصل مشاركته في الجهود المبذولة من اجل تصفية الجو العربي وعودة الوئام بين الشعوب العربية وتقوية التضامن بين قيادتها وقام المغرب في المؤتمرات العربية بدور فعال في هذا السبيل ، ولم يتوان في مساندة قضية فلسطين العربية وتأييد حقوق شعبها ، وانه ليسرنا ان ينعقد مؤتمر القمة العربي المقبل في المغرب ونرحب بالذين سيشاركون فيه سلفا .

وبما ان المغرب قطرا افريقي يعنيه ما يعني سائر الاقطار الافريقية من قضايا وشؤون فانه واصل نشاطه في حظيرة المنظمات الافريقية المنبثقة عن ايمان قارتنا العميق بجدوى تكتيل الجهود وتوحيد الصف للنهوض بشؤوننا واخراجها من حالة التقدم والرقي وحضرنا بنفسنا في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد بالقاهرة مغتنمين الفرصة السانحة لتجديد الاتصال والتعرف على كثير من رؤساء دول قارتنا والتذاكر معهم في القضايا التي تهم افريقيا بالدرجة الاولى مثل تصفية الاستعمار ومخلفاته وقطع دابر الميز العنصري لان ذلك شرط اساسي لانطلاق افريقيا نحو التقدم والرخاء وتحقيق ما تطمح اليه شعوبها من وحدة تنتظم بها الصفوف ويلتئم الشمل وتشاد صروح العز والمجد . وفي نطاق نشاطنا الافريقي لبينا دعوة صديقنا الرئيس ليوبولد سنغور لزيارة جمهورية السينغال زيارة اكدت روابط الاخوة التي تربط

واجب الشباب المسلم اليوم

للأستاذ: أبو الأعلى المودودي

(هذه محاضرة القاها الاستاذ ابو الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية في باكستان ، امام جمع من الشباب الاسلامي في مسجد الدهلوي بمكة المكرمة ايام الحج عام 1381) وقد توصلنا بها في الايام الاخيرة ، فاحببنا ان نقدمها لقراء مجلة ((دعوة الحق)) تعميما للفائدة ...

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين . وبعد ، اخواني الكرام ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يسرني في هذه اللحظة المباركة التعبير عن عظيم شكري وغبطتي بهذه الفرصة السعيدة التي اتيحت لي اليوم لان القي كلمتي المتواضعة امام مجموعة طيبة من الشباب المؤمن المخلص الذين جاءوا الى هذا البلد الامين من كل فج عميق ليذكروا اسم الله في ايام معلومات ويشهدوا منافع لهم ، وبتعبير اشمل لحضور اجتماع المؤتمر الاسلامي السنوي الكبير . والهدف من كلمتي هذه هو احاطة الشباب المؤمن علما بمنهاج الدعوة الاسلامية الذي تقتضيه الظروف الحاضرة في العالم الاسلامي . وسانتهز هذه الفرصة الثمينة لاخراج كل ما يضمره قلبي ويخفيه صدري ، لتكونوا على بصيرة تامة ومعرفة دقيقة بالوضع الراهن في البلاد الاسلامية ، ثم تبادروا الى اللجوء الى كل وسيلة تصلح ـ الى حد علمي ـ لاعادة المياه الى مجاريها ، بكل حكمة وتبصر وجرأة وصمود . واذا وجدتم ، ايها الاخوان ، في كلمتي هذه ما ترون فيه نفعا للاسلام والمسلمين فاسمعوا وعوا وليبلغ الشاهد الغائب ، لعني لا اجد في المستقبل مثل هذه الفرصة السعيدة ، في مثل هذه الايام المباركة ، في مثل هذا المقام الكريم . وادعو الله تعالى ان يوفقني واياكم لما فيه مرضاته وان يجعل كل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

ايها الاخوة الكرام ... ان الامر الذي يجب عليكم ان تعلموه قبل كل شيء هو ان العالم الاسلامي ينقسم الى قسمين : قسم ، المسلمون فيه اقلية وازمة الحكم فيه بايدي غيرهم . وقسم ، المسلمون فيه اغلبية وهم الذين يقومون فيه بحكم انفسهم .

ومما لا جدال فيه ان القسم الثاني من هذين القسمين هو اكثر اهمية من القسم الاول بحكم الطبيعة ، اذ ان مصير المسلمين في الدنيا يتوقف في ازدهاره او اضمحلاله ، الى حد كبير ، على ما يختاره القسم الثاني من المنهاج في حياته الاجتماعية . ولا انكر ما للقسم الاول من الاهمية والمكانة في حد ذاته ، بل اقيم له وزنه . وذلك لان مجرد وجود المؤمنين بفكرة وعقيدة ونظام للحياة في سائر انحاء العالم ، بحيث يتجاوز عددهم آلافا مؤلفة ليكون اكبر وسيلة واقوى عامل لتشجيع الذين يؤمنون بتلك **الفكرة والعقيدة والنظام للحياة فعلا** ويرفعون لواءها . الا انه من الظاهر البين ان تلك العقيدة وتلك الفكرة وتلك الدعوة اذا صارت مغلوبة الشان ومهانة المكانة في عقر دارها فان المؤمنين بها المتفرقين في شتى بقاع العالم لن تقلهم الارض ولن تظلهم السماء الى اجل غير مسمى والى امد غير قصير ... ولذلك لا نكون مخطئين اذا قلنا : ان المصير الذي ستلقاه الامة الاسلامية في الدنيا انما هو نفس المصير الذي ستواجهه البلاد الاسلامية التي تتسع رقعتها من اندونيسيا والملايو شرقا الى مراكش ونيجيريا غربا . هذا هو منطق الفكر وهذا هو ما تشير اليه الاسباب الظاهرة . اما ان كان هنالك من الحوادث الخارقة للعادة ما يتوارى عن عيوننا ولكن الحكمة الالهية والقدرة الربانية تريد الاتيان به فليس ذلك من المستبعد عقلا والمستحيل وقوعا ، لان الله تعالى قادر على ان يفجر الانهار من الاحجار الصم ويبدل الصحاري القاحلة الجرداء حدائق جميلة غناءة رنانة في لمح البصر . وسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

فبناء على ما فرضنا آنفا بصدد مستقبل الامة الاسلامية حيث قلنا ان مستقبلها مرتبط في خيره او شره بمستقبل البلاد الاسلامية ، نستعرض الآن : ما هي الاوضاع التي تسود اليوم

ويضمنه هذا الاتحاد من تعاون بين مختلف الكفايات وتعدد المواهب على ما يعود على الامة جمعاء بالفضل الكريم والخير العميم ولذا ندعو الى تحقيق هذه الوحدة وانجاز اجتماع الكلمة وتوحيد الصفوف لاننا نعتقد ان هذه هي انجع الطرق واجداها لحماية المكاسب الوطنية والسير قدما بالبلاد نحو ما نبتغيه لها من عز ورفاهية .

والله نسأل ان يهدي الامم والشعوب الى ما فيه صلاحها ويوفقها الى الصراط المستقيم ويضفي عليها نعمة الامن والطمأنينة ويسبغ عليها الوية الوئام والسلام كما نسأله جل وعلا ان يديم بيننا وبينك ما سعدت به بلادنا عبر القرون منذ اعتلاء آبائنا واجدادنا المقدسين عرش وطننا العزيز استمرار كيان الدولة ومناعة حوزتها وسببا من التئام بين الشعب ومكانه الذي كان سببا من اسباب رفع شأنها واعلاء قدرها بين الامم والدول ومنه نلتمس جل وعلا ان يلهمنا جميعا مزيدا من التوفيق والسداد ويشد ازرنا ويوطد خطانا وينجح اعمالنا ومساعينا ويمد اسباب الحضارة بين قاصي الامة ودانيها حتى يكون غدها احسن من يومها ومستقبلها احسن من حاضرها نفتخر بها ونباهي ونعتز ونضاهي .

شعبي العزيز

ان من اعظم ما تتجه اليه رغائبنا وتطمح اليه نفسنا ان تجتمع الكلمة وتتحد الصفوف اتحادا يجعل منها صفا واحدا وطيد الاركان ثابت البنيان لا تنال منه الاهواء وان عظمت ، ولا تعصف به النوازع وان اشتدت وقويت ولئن كانت هذه الرغائب والمطامح مما تنطوي عليه القلوب فان ملككم الساهر على مصالح شعبه الحامي لحمى امته الواعي بحكم ما هو مقلد به من رعاية لها ، لما يحز بها من امور ويضنيها من شؤون ان ملككم اشدكم احساسا بضرورة اجتماع الكلمة واقواكم ايمانا بوجوب وحدة الصف واكثركم اقتناعا لما يكلفه هذا الاجتماع وحتى تكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتومن بالله .

والى الله نبتهل فى الختام ان يتغمد والدنا منقذ الامة ومحرر البلاد جلالة الملك محمد الخامس ان يتغمده الله برحمته ورضوانه ويسبل عليه شئابيب فضله ورضوانه ويوفيه اجر العاملين المخلصين ويبوئه رفيع الدرجات فى اعلى عليين سلام عليكم بما صبرتم فنعم اجر العاملين .

والسلام عليكم ورحمة الله

ان لتاريخ الاستعمار منذ توغله في البلاد الاسلامية الى توليه عنها وبداية عهد الاستقلال والحرية عدة نواح ، لا بد لنا ان نضعها امام اعيننا خلال دراستنا للاوضاع الراهنة في البلاد الاسلامية ، اذ لا يمكننا دراسة تلك الاوضاع وتحليلها بكل دقة بعد صرف النظر عن تلك النواحي . فهاكم بعضها :

الاولى : ان المستعمرين لم يتمكنوا من ازاحة عامة المسلمين من طريق الاسلام طول مدة استيلائهم على البلاد الاسلامية على رغم جهودهم في هذا الغرض . لا شك ان المستعمرين قد اطبقوا عليهم الجهل وعكروا صفو اخلاقهم الزكية ونفذوا فيهم قوانينهم المستوردة بدلا من احكام الاسلام ، وجعلوهم متعودين على حياة غير اسلامية . الا انهم ما استطاعوا اثارتهم ضد الاسلام وتقاليده . والدليل على ذلك هو ان عامة المسلمين حتى الساعة ما زالوا مولعين بالاسلام ، كما كانوا في الماضي ، وستجدهم مؤمنين به من صميم قلوبهم واخلاص في نيتهم وصدق في عزيمتهم ، حيث لا يرضون بدونه دينا ولا نظاما للحياة ، مع انهم لا يعرفونه كل المعرفة ولا يتفقهون في احكامه وتعاليمه . ولا جدال في ان اخلاقهم قد انهارت وعاداتهم قد ساءت واذواقهم قد فسدت الا انهم لم تتبدل لديهم مقاييس القيم للاخلاق . نعم .. من الممكن ان يأكلوا الربا ويقترفوا الزنا ويتعاطوا الخمور ، بل وهم يفعلون كل ذلك فعلا ، الا انك لا تجد فيهم من يؤمن بحلة هذه المحرمات ما عدا الشرذمة القليلة من المتفرنجين الذين احلوا ما حرم الله وحرموا ما احله الله . ان عامة المسلمين لم يعتبروا الرقص والغناء والسهرات بالملاهي والفجور من اصل الثقافة وصميم الحضارة – وان لم يستطيعوا ترك الاستلذاذ بها وتثاقلوا الى الارض عند ما دعوا الى تزكية انفسهم – كما انهم ما زالوا يعيشون خلفا عن سلف تحت القوانين الغربية ، ولكنهم لم يرسخ في اذهانهم ان هذه القوانين في شيء من الحق والصحة وان قوانين الاسلام قد اكل عليها الدهر وشرب ، ولم تعد تصلح لمسايرة العصر الحاضر . ان الاقلية القليلة من المفتتنين بالحضارة الغربية قد اخذوا ببريقها وآمنوا بالقوانين الغربية والنظم الوضعية الا ان عامة المسلمين لا يؤمنون الا بالاسلام ولا يطالبون الا بتطبيق قوانينه في بلادهم .

الثانية : ان رجال الدين في البلاد الاسلامية لهم احتكاك مستمر بعامة المسلمين ومخالطة دائمة معهم ، في افراحهم واتراحهم ، حيث لا يتكلمون الا بما يتكلم به عامة المسلمين ولا يمثلون الا بما يعتقدونه من دين ... الا ان هؤلاء الناس – اي العلماء – بحكم بقائهم مبعدين عن ازمة الحكم منعزلين عن مزاولة الشؤون السياسية والاجتماعية ، الى امد غير يسير لم يعودوا يصلحون لتوجيه المسلمين من ناحية السياسة . ولهذا السبب نفسه ما استطاعوا التربع على مناصب الزعامة لحركات الكفاح والتحرير التي قامت في السنوات الاخيرة في كل قطر من الاقطار الاسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار . كما انهم لم يتمكنوا في عهد الاستقلال من الاسهام المباشر في ادارة الدولة . وان مهمتهم في حياتنا الاجتماعية الحاضرة لا تعدو وظيفة (الفرملة) في جهاز السيارة حيث يحاولون ، الى حد ما ، دون سرعة سيارة الحياة الاجتماعية . غير ان هذه (الفرملة) قد تكسرت في بعض الاقطار الاسلامية . اما السائق – وهو الفئة الحاكمة المولعة بالغرب – فقد يهوى بها الى الدرك الاسفل ، بسرعة مدهشة ، ومع ذلك انه يظن انه يعرج بها الى الجهة العليا ويحسب انه يحسن بذلك صنعا .

الثالثة : ان الحركات التحريرية التي قامت في الاقطار الاسلامية وان كان يتولى قيادتها الفئة المتفرنجة . الا انه من الجدير بالذكر انها لم تستطع تحريك عامة المسلمين وتشحيذ هممهم واذكاء مشاعرهم لدفعهم وراء حركاتهم وجعلهم يستميتون فيها الا باسم الدين وباسم استعادة المجد الاسلامي ، فلم يدخروا وسعا في مناشدة الشعوب الاسلامية باسم الله ورسوله، ومن اثبات دعوتهم صراعا بين الاسلام والكفر ، استمالة قلوبهم لدعوتهم وتحريضا لهم على افراغ جهدهم وبذل مهجهم في سبيلها . وذلك ، لانهم ما رأوا نجاحهم في اشراك المسلمين في ركبهم وحثهم على استجابة دعوتهم واتباع خطواتهم والانضواء تحت لوائهم بدون الالتجاء الى هذه الوسيلة الناجحة .

ومن ادهى الدواهي وافجع الكوارث انه لما تحقق لهم المقصود ، وتم للبلاد استقلالها نبذوا عهودهم وراء ظهورهم وتناسوا كل ما كانوا يدلون به من التصريحات والبيانات اثناء معركة التحرير ، بل الاسلام كان اول ضحية لخيانتهم بعد الاستقلال – ذلك الاسلام الذي باسمه كانت هذه الفئة تقيم الدنيا وتقعدها ، وبفضله تكللت معاركهم بالنجاح . اليس هذا – ايها الاخوان – من اكبر الخيانات التي شوهدت في تاريخ الاسلام ، واعظم اكذوبة ظهرت في مضمار السياسة ، وابشع انحراف رأته عين السماء .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
ان كان في القلب اسلام وايمان

الرابعة : الاخيرة ... ان الاستقلال الذي حصل للبلاد الاسلامية ، تحت زعامة هذه الفئة وبجهود عامة المسلمين ، انما هو استقلال سياسي فقط . وانما الفرق كل الفرق بين الاستعمار الغابر والاستقلال الحاضر هو يتلخص في ان السيطرة التي كانت للاجانب فيما مضى اصبح يتمتع بها الاقارب في الحاضر . حيث لا اختلاف بينهما ، في ميولهما واتجاهاتهما وفلسفتهما للاخلاق والاجتماع والاقتصاد ، كما ان موقفهما من الاسلام متقارب ، حتى ان الاسس التي وضعها المستعمرون لنظام التعليم والتربية تحقيقا لمصالحهم الخاصة لا يزال ياخذ بها المستعمرون الجدد ، وان القوانين التي وضعها المستعمرون الاجانب لا تزال تطبق ، بل اضف الى هذا ان التشريع الجديد لا يزال ينتهج نفس المنهج الذي كان ينتهجه في عهد الاجانب، من جهة اسسه وفكرته ونظمه . وزاد الطين بلة ان الاحوال

البلاد الاسلامية ؟ وما هي اسبابها ودواعيها ؟ وما هو المنهاج الذي ينبغي ان يسلكه العاملون للاسلام فيها ؟ ·

مما لا يخفى عليكم ، ايها الاخوان ، ان البلاد الاسلامية قد وقعت في براثن الاستعمار آخر الامر ، بعد ان بقيت مصابة الى مدة غير يسيرة بالتدهور الفكري ، والجمود العقدي ، والانهيار الخلقي ، والاضطراب السياسي · وكان الاستعمار قد القى عصاه في البلاد الاسلامية في القرن الثامن عشر للميلاد ، وبلغ اوجه في اوائل القرن الحاضر ، حيث قد سيطر على البلاد الاسلامية كلها ما عدا النزر اليسير الذي بقي بمنجاة من الاستعباد المباشر للمستعمرين · الا ان الهزائم تلو الهزائم التي اصابته قد جعلته لا يختلف في ذله واستكانته عما آل اليه امر من حوله من البلاد الاسلامية ، بل صار اكثر شعورا بالنقص واشد ذعرا من الذي سلبه الاستعمار حريته سلبا كليا ·

وان من افظع النتائج التي انتهينا اليها على يد الاستعمار الغربي هو ما تردينا فيه من الانهزام الفكري والانحلال الخلقي والتبعية الثقافية للغرب ·

ايها الاخوة الكرام ··· ان المستعمرين الغربيين لو سلبوا اموالنا سلبا ونهبوا ثرواتنا المادية نهبا وقتلونا تقتيلا وابادوا اولادنا عن بكرة ابيهم ودمروا بيوتنا تدميرا لما كان هذا الظلم اشنع نوعا ، واشد قسوة ، وافدح نتيجة ، من الظلم الذي اقترفوه نحونا ببث سموم حضارتهم المادية وثقافتهم الالحادية ، واخلاقهم المنهارة في مجتمعنا · وكان من سياستهم الاستعمارية ، انه كلما تمت لهم السيطرة والانتصار في قطر من الاقطار الاسلامية قضوا على نظامنا التعليمي والتربوي نهائيا — ان امكن لهم — او جعلوا المتخرجين منه من سقط المتاع وشيئا لا مقام له الا في سلة المهملات · كما انهم ، حسب خطتهم المدروسة لم يدعوا للغات الشعوب المسلمة المنهزمة مكانتها المرموقة بل طردوها من دوائر التعليم والتربية ولم يبقوها اداة لادارة الحكومة ، واقاموا على انقاضها صرح لغتهم وجعلوها هي الاخرى اداة التعليم وادارة الحكومة · وطبق هذه الخطة البشعة في البلاد الاسلامية جميع الفاتحين الغربيين ، من الهولنديين والانجليز الى الفرنسيين والايطاليين وكأنهم كانوا على اتفاق فيما بينهم في هذا الشأن ·

ثم ان المستعمرين الغربيين انشأوا في الشعوب الاسلامية ، طبقا لخطتهم المرسومة ، جيلا جديدا يجهل الاسلام بمعظم تعاليمه السامية وعقائده الاساسية وشرائعه السمحاء وتاريخه المجيد وتقاليده الذهبية من ناحية ، ومن ناحية اخرى قد صيغ من جهة عقليته واسلوب تفكيره ونظره الى طبائع الاشياء في القوالب الغربية المادية · ثم بدأت تتولد من هذا الجيل المتفرنج اجيال متعاقبة كان كل لاحق منها ابعد تمسكا بالاسلام من سابقه ، واكثر اندفاعا وراء الحضارة المادية واشد شغفا بالثقافة الغربية واخلص ايمانا بفلسفة الغرب للحياة الانسانية · وقد بلغ هؤلاء من الانهزام الفكري مبلغه حيث عادوا يعتبرون التحدث بلغتهم القومية وصمة عار في جبينهم بينما يعتبرون التحدث بلغة الفاتحين مفخرة من المفاخر · وكان جبين احدهم يندى بسبب كونه فردا من افراد المسلمين بينما المستعمرون كان متعصبين لدينهم المسيحي ومعتزين باعتناقه · وكذلك كان المتفرنجون من المسلمين يفتخرون بمروقهم عن الدين واستهتارهم باحكامه ويكيدون لتقاليدهم الذهبية كل سبة ويعتبرون كل ذلك وسيلة لازدياد كرامتهم وعلو مكانتهم وارتفاع شانهم في المجتمع بينما احتفظ الفاتحون الغربيون بكرامة تقاليدهم البالية المبتذلة واعتصموا بحبل عقيدتهم الواهية· ان الفاتحين لم يرضوا ولا ليوم واحد التزي بازياء المسلمين وانتهاج طرازهم للحياة العامة — رغم بقائهم في البلاد الاسلامية مدى حياة احدهم — · اما القوم المتفرنجون فحدث عنهم ولا حرج ، انهم ما ادخروا جهدا في تقليد الغربيين في كل صغير وكبير من اساليبهم في الاكل والشرب الى عاداتهم للنهوض والقعود · واخيرا قد دخلوا كل جحر دخله الغربيون — رغم كونهم في بلادهم وفي بيئتهم وبين بني جلدتهم· وليت الامر وقف عند هذا الحد · ولكنهم ، اندفاعا وراء سنن الغربيين واقتفاء لكل اثر من آثارهم ، قد نهلوا من سموم افكارهم المادية والالحادية — كالعصبيات الجاهلية والاباحة الخلقية والمجون والخلاعة — حتى الثمالة · وقد رسخ في اذهانهم ان كل ما يجيء من الغرب حق وصواب ، والايمان به واجب ، والعمل بمقتضاه من امارات التقدمية ، والاعراض عنه تخلف ورجعية وحماقة وسفاهة · الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ·

ايها الاخوة الاحباء ··· كان من خطط الاستعمار المدروسة ضد المسلمين ان كل من كان منهم يحوز قصب السبق في اصطباغه بالصبغة الغربية وابتعاده عن السمات الاسلامية يحوز المكانة المرموقة في المجتمع والدوائر الرسمية ، المدنية منها والعسكرية · كما اصبحت لامثال هؤلاء الناس الاهمية كل الاهمية في الميادين السياسية والمجالات الاجتماعية ، ثم هم الذين تزعموا الحركات السياسية وهم الذين وقع عليهم الاختيار للتمثيل في المجالس النيابية ··· وختام القول انهم هم الذين كان قد خلا لهم الجو في الحياة الاجتماعية فباضوا فيها وافرخوا·

ثم ان البلاد الاسلامية لما رفعت فيها حركات التحرير رأسها كان من المحتوم بحكم الطبيعة ان ترجع ازمة زعامتها الى ايديهم،اذ انهم هم الذين كانوا مضطلعين بلغة القوموعارفين بطبيعتهم بسبب كونهم اقرب الناس اليهم · فلذلك لما بدأت البلاد الاسلامية ينكمش فيها ظل الاستعمار وتتحطم فيها اغلاله وتتمتع بالاستقلال والحرية انتقلت اليهم ازمة الحكم وسلطات الحل والعقد · فصاروا خلفاء المستعمرين في الارض ·

المعسكرات وبالدبابات والمسدسات والرشاشات . وان تعجب فعجب ان الجيوش ايضا لا تتفق كلمتها على زعيم واحد او قائد بعينه بل ينتهز كل ضابط من الضباط فرصة لتمهيد السبيل لفرض دكتاتوريته والاستبداد بكرسي الحكم بعد تحطيم غيره . ومن المضحكات المبكيات انه اذا تم لواحد منهم السيطرة على البلاد فهو يعتبر ضالة الشعب ومنقذ الشعب والزعيم الاوحد ورجل الساعة حتى اذا واجه مصيره المحتوم اصبح اكبر خائن واشد اعداء الشعب . اما الشعوب الاسلامية فشأنها اليوم شان الدمى في ايدي الاطفال لا دخل لها في شان من شؤون بلادها .

والامر الوحيد الذي يتفق عليه كل من الدكتاتوريين السياسيين والعسكريين مع تضارب مصالحهم واختلاف اغراضهم هو انه كلما اتيحت لاحد منهم الفرصة للسيطرة على البلاد واستخدام وسائلها لم يتأخر في بث سموم الالحاد والفجور واطلاق سراح الدعاة الى الخلاعة والمجون ليلعبوا دورهم في طمس معالم الفضيلة وصرف الشباب عن الاهداف السامية في الاخلاق وعن الدين الى متعة العيش والشهوة الدنيئة .

ايها الاخوة الكرام ...

ان هناك بارقة امل ، في هذا الظلام الحالك تلمع في جونها حقيقتان : اولاهما ، ان الله تعالى اذاق انصار الالحاد والفسوق ودعاة الاباحية والمجون وبال امرهم فالبسهم شيعا يذيق بعضهم بأس بعض . وهذا من فضل الله على الامة (ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) اذ لو انهم كانوا يرمون عن قوس واحدة لاصبحوا للامة الاسلامية داء عضالا لا علاج له . ولكنهم اتخذوا الشيطان وليهم . وان كيد الشيطان كان ضعيفا .

ثانيهما : ان قلوب عامة المسلمين لا ينقصها التحمس للدين والفضيلة ولا يروقهم ما يقوم به الزعماء والقادة المصطنعون من عملية الهدم والتخريب . وان هناك لشواهد تدل على انه اذا قامت جماعة راشدة تتوفر فيها شروط الاهلية والكفاءة للقيام بدور الزعامة والتوجيه في جانب ، وفي الجانب الآخر تكون على ايمان راسخ بالاسلام وعلى عقيدة قوية بمبادئه وعلى عزيمة صادقة للتضحية بكل غال ورخيص في سبيله . فلا شك ان هذه الجماعة هي التي سيؤول اليها زمام الشعوب الاسلامية آخر الامر ، وهي التي سيكتب الله لها الانتصار في المعركة الفاصلة بين الحق والباطل ، وهي التي ستتولى تطهير تلك الشعوب من ادناس الالحاد والفسق والفجور وترجع بها الى ما كانت عليه في القرون الماضية من الفضيلة والسعادة والرفاهية (ولا تيأسوا من روح الله ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) .

ويهمني ، في ختام كلمتي ، ان اخص للشباب المؤمن ، ولا سيما المثقفين منهم ثقافة عصرية ، الامور التي يجب عليهم الاخذ بها للقيام بالعمل الجدي للاسلام في الظروف الحاضرة

اولا : لا بد لكم ، قبل كل شيء ، من معرفة دقيقة بحقيقة الاسلام ، لتكونوا مسلمين علما وتفكيرا كما انتم مسلمون قلبا وعاطفة ، ولتكونوا على قسط كبير من القدرة الكافية والكفاءة اللازمة لتسيير الشؤون الاجتماعية في العصر الحاضر وفقا لاحكام الاسلام ومصالحه وقواعده .

ثانيا : عليكم ان تبادروا الى تقويم ما اعوج واصلاح ما فسد من اخلاقكم وعاداتكم حتى تشهدوا بذلك شهادة عملية للاسلام الذي شهدتموه من قبل شهادة قولية ولتعلموا بان التناقض في قول الانسان وعمله يزرع بذور النفاق في القلوب ويزيل ثقة الناس به . وان نجاحكم ليتوقف على الاخلاص في النية والصدق في العزيمة ، وعلى ان توافق اعمالكم اقوالكم . ان الرجل الذي يقول ما لا يفعل انما يضر بدعوته اكبر ضرر . (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

ثالثا : ان لا تدخروا جهدا في بذل كل ما تستطيعون من قوة فكرية وعملية اودعها الله اياكم في سبيل الدعوة بالكتابة والخطابة ، وان تقوموا بدراسة اسس الحضارة الغربية وانتقادها وتمييز خبيثها من طيبها حتى تحرروا بذلك عقول المسلمين وقلوبهم من التبعية للغرب ، وحتى تحطموا اصنام النظريات الغربية التي استحوذت على قلوب جماعة من المسلمين من زمن طويل . هذا في جانب ، وفي الجانب الآخر عليكم ان تقوموا بتدوين وعرض قوانين الاسلام للحياة الانسانية بطريقة علمية ترغم الجيل الجديد على الاعتقاد بصحة هذه القوانين وتقنعه بان نظام الاسلام من شانه انه اذا اخذ به شعب من شعوب العالم لا يتقدم فحسب ، بل يسبق الآخرين في كل ناحية من نواحي الحياة . ان هذا العمل بقدر ما يتسع نطاقه ويتجه الى خطوط مستقيمة يزداد عدد العاملين للدعوة الاسلامية وانصارها والمتأثرين بها في كل شعبة من شعب الحياة . ولا بد من اطالة هذا العمل لمدة غير يسيرة حتى ياتي على الدعوة يوم ينضوي تحت لوائها مجموعة كبيرة من المومنين بها ، الذين نحتاج اليهم لتشييد صرح البلاد على دعائم النظام الاسلامي . من العبث ان نتوقع انقلابا اسلاميا شاملا قبل ان تسبقه عملية الاعداد والتحضير . واذا حصل ، بطريقة صناعية وبدون اعداد كامل فلن يدوم ولن تتأصل له في الارض جذور .

رابعا : ان تضموا الى اسرتكم كل من يتأثر بدعوتكم الاسلامية ، وتكونوا منهم جماعة قوية ذات نظام متين ودستور محكم حتى لا يمكن للضعف والخور ان ياخذا الى صفوفها سبيلا . ان مجرد تكوين جماعة من الناس الذين ابدوا اتفاقهم على مبدأ معين دون تنظيم دقيق محكم يقوم امره على السمع والطاعة عمل مبتور لا يجدي بشيء — هذا ما تؤكده التجارب الماضية ، ولا ينبئكم مثل خبير .

خامسا : عليكم ان تهتموا كذلك بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تبددوا ظلام جهلهم وتجعلوهم على بينة من امر دينهم ، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب . كما يجب

الشخصية التي لم يقدر الاجانب من التعرض لهـا ، نرى الآن محـولات مشؤومة لنقضاء عليها او ادخال التعديلات عليها باسم التقدم ومسايرة الحاجات العصرية ، في عهد الاستقلال ... عهد الاستعمار الجديد .

اما الحضارة الغربية والاسس الخلقية المادية ، التي خلفها المستعمرون الغربيون بعد مغادرتهم البلاد الاسلاميــة ، فهؤلاء المتفرنجون من المسلمين لا يعضون عليها بالنواجد فحسب ، بل قد شمروا عن ساق جدهم لتعويد شعوبهم عليها اكثر مما تعودت عليها في عهد الاستعمار . ان هؤلاء المساكيــن لا يقــدرون ان يتصوروا نظاما للحياة الاجتماعية لا تقوم على اسس القوميـة والوطنية وما الى ذلك من النظم الحديثة وقد انتهى بهم الامـر الى انهم شتتوا شمل المسلمين باسـم القوميــة ومزقوا جمعهـم وفرقوا كلمتهم باسم الوحدة القومية فجعلوهم يقتل بعضهم بعضا ويأكل قويهم ضعيفهم كل ذلك باسم القومية . كما قد بلـغ الالحاد من اذهانهم مبلغه واشربوا في قلوبهم العلمانية ، وعادوا ينتهزون كل فرصة سانحة لافساد الجيل الحاضر وتعكير صفـو اخلاقه ودينه والانحراف به عن جادة الاسلام وتعاليمه ، بـل وتشجيعه على الاستهتار بالعقائد الاسلامية من البعـث والنشور والجنة والنار والثواب والعقاب . ونشطوا في اشاعة الاباحيـة — التي هم منغمسون فيها الى آذانهم — تحت اشرافهم ورعايتهم تحت ستار الاصلاح والحرية الفردية والتقدم وتنويـر الرأي العـــام .

ان الذي لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان هــو ان هؤلاء المتفرنجين مهما ناصبوا للاستعمار العربي عداءهـم ، ومهما اثاروا ضده الضجات . الا ان المستعمرين احب لديهم من كل شيء . بدليل ان كل بادرة من بوادر الغرب تاخذ بمجامع قلوبهم وكل ظاهرة من ظواهره تبهر عيونهم وكل ما ياتـي اليهم من الغرب يعتبرونه مقياسا للحق ومعيارا للتقدم ، ويقلدونه في كل صغير وكبير مسنطر وغير مستطر ، مع الفارق ان الغرب مجتهد فيما يعمل وهم مقلدون لا رأي لديهم ولا تفكير ، وان الغرب يهلك عن بينة وهم يهلكون عن عمى . خسروا الدنيـا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ايها الاخوة الكرام ...

ان هذه النواحي التي عرضتها عليكم يمكنكم في ضوئهـا دراسة الاوضاع الراهنة في البلاد الاسلامية على اكمل وجـه ويسهل عليكم معرفة موطن الداء فيها ووصف الدواء له .

الا ترون ان جميع الحكومات الاسلاميــة في الدنيا قــد طرأ عليها الوهن وتغلغل فيها الضعف وصارت كأنها خشـب مسندة . فما السبب في ذلك ؟ انما السبب الوحيد في ذلك هــو انها تعارض ضمائر المسلمين وعواطفهم وعقائدهم ... يريد المسلمون الرجوع الى الاسلام وشريعته السمحة ونظامه المحكم بينما الحكومات ترغمهم على الاستمساك باذيال الغرب والالتحاق بمعسكره . ومن نتائج هذا الصراع المستمر ان عامة المسلمين لا يسايرون حكوماتهم بقلوبهم . ومن الواضح منطقيا وواقعيا ان اية دولة لا يمكن ان يتوفر لها اسبـاب القـوة والسلطـان وعوامل الرقي والنهوض اذا كانت حكومتها في واد وشعبها في واد آخر لا يتكاتفان في تحقيق مطالب الرقي واسباب الوصول الى ذروة المجد : لا الحكومة بأيديها الامينة وتصرفاتها الصحيحة ولا الشعب بقلبه النابض وعزيمته الصادقة . واذا كان الامـر كذلك — وكان الصراع على قدم وساق بين الحكومة والشعـب او بين الايدي والقلوب اذا صح هذا التعبيـر — فمن المحـال البتة ان تخطوا الحكومة خطوة الى الامام وتتقدم البلاد ولو قيد شعرة . لان سائر الجهود والطاقات بسبب هذا الصراع الداخلي تذهب ادراج الرياح وتصير هباءا منثورا .

ومن جراء هذا الوضع المؤلم ، الذي بينته لكم آنفا ، فان البلاد الاسلامية لا تزال تصيبها كوارث الدكتاتوريات . واذا سبرت غور هذه الكوارث يتبين لك : ان الفئة المتفرنجة التـي جعلها المستعمر خلفاءه في البـلاد تعلم علم اليقين با الحكـم اذا قام على اساس الانتخاب العام فان زمامه لن يبقى في ايديها الخائنة الى مدة طويلة ، بل سينتقل عاجلا او آجلا الى الذين يطالبون باقامة نظام الحكم على ما يختاره الشعب من عقيدة وما يحمله من فكرة وما يرثه من مقدسات . فنظرا لذلك فان هـذه الفئـة لا تسمح لنقيم الديمقراطية ان تظهر ولا تدعها تكتمل وتسير سيرها الطبيعي ، بل هي تبادر الى فرض الحكم الدكتاتوري محـــل النظام الديمقراطـي . ولكنها تسمـى دبكتاتوريتهـا باسـم الديمقراطية لخـدع النـاس واظهـار نفسهـا بمظهر انصـار الديمقراطية . وهم في الحقيقة لايخدعـون الا انفسهـم ومـا يشعــــرون .

وكانت هذه الدكتاتوريـات قـام بها في بداية الامـر الزعماء السياسيون من الفئة المتفرنجة ثم تطورت الامور تطورها الطبيعي وسارت الاشياء الى طريقها المحتوم وتنبهت الجيوش في البلاد الاسلامية لحقيقة القضية ورأت ان النظـام الدكتاتوري لا يقوم الا على اكتافها وتنفيذ مخططه لا يتم الا بسلاحها فجـاء هذا الشعور بالضباط العسكريين من معسكراتهم وثكناتهم الى ميادين السياسة وبدأوا يحيكون خيوط المؤامرة لقلب نظـام الحكم وبدأوا يفرضون على الشعب الدكتاتارية العسكرية بدلا من الدكتاتورية السياسية بعد ازاحة الزعمـاء السياسييــن من الحكم والزج بهم في السجون او تحديد اقامتهم في دورهــم . وها نحن اولاء نر اليوم ان الجيوش في البلاد الاسلامية صارت بلاء على شعوبها وآفة في حق بلادها ولم تعد وظيفتها الدفاع عن الوطن وجهاد الاعداء بل صار شغلها الشاغل فتح بلاد نفسهـــا عنوة . واستعملت ، لذلك الغرض ، نفس السلاح الذي سلمـه الشعب المسكين للدفاع عنه وحمايته ، وسيلة لاستعباده واخضاعه . وها قد اتى على البلاد الاسلامية حين من الدهر لا تحل فيـــه قضاياها الخطيرة ومشاكلها الشائكـة في البرلمـان والمجالس النيابية وبالانتخاب العـام او الاستفتاء الشعبـي بل تحـل في

ثقافة القرآن ثقافة عالمية

للأستاذ : التهامي الوزاني : عميد كلية أصول الدين

الاستاذ الكبير السيد التهامي الوزاني عميد كلية اصول الديـن بتطـوان ، له عدة مؤلفات تاريخيـة واجتماعيـة ، وله نظرياته ، وأفكاره الخاصة .

والبحث الذي يلم بأطرافه فى موضوع « عالمية الثقافـة القرآنية » قد ابتعـد فى بعض جوانبه عـن النظريات المعروفـة سواء فى احتمال نبوة أفلاطـون وارسطو ، واضرابهما او فى استعمال القرآن لمنطق ارسطو بذاتـه ، وفى كـون ذي القرنيـن المذكور فى القرآن هو الاسكندر المقدونـي او كون الحكمة المذكورة فى القرآن هـي حكمة الاغريق او غير ذلـك من نظرياته القابلة للبحث .

واذا كانت الحقيقة بنت البحث كما يقولون ، فان مجلـة : « دعـوة الحق » على استعداد لنشر ما يرد عليها فى موضوع عالمية الثقافة القرءانية ساير الاستاذ الكبير الوزاني او خالفـه مع شكرها للجميـع ..

مـن الناس من يولدون ويكبرون ويقضـون الاعمـار المعتادة او الطويلـة . ومع ذلك فانهم لم يتمتعوا بمعرفة جوانـب البيئات التـي عاشوا بين احضانها ، شأنهم شأن الحمـار يحمـل اسفـارا يتناول المهتدي سفرا منها فيتوجه بمعرفة ما اشتمل عليه الى الوجهة التي خلقه الله ليتوجه اليها ؛ اما الحمار فمهمته تنتهي بكونه حاملا اسفارا ينقلها من وجهـة الى وجهة . ومن آتاه الله الوعي فقد آتاه خيرا كثيرا، وقد امرنا الله عز وجل بصورة غير مباشرة بان ننعم النظر فيما خلقه في سماواته واراضيه ، فقال منددا باقوام ضاقت عقولهم وعجزوا عن مسايرة سنـن الله في خلقه فقال جل من قائل (وفي انفسكـم افـلا تبصرون ؟) قال هذا حينما كان المشركون يطلبون ان يروا المعجزات والخواريـق للعادات . وأولـى الناس بالتفكر المومنون واولاهم بذلك النبيئون والمرسلون . وليس من الحق ان نضع حدود مفاهيـم القـرآن الكريم حيث وصل بهـا المفسرون القـدماء وكذلك المحدثون فان المفسرين انما فسروا القرآن داخـل حدودهم الضيقة وايام عزلتهم عن بقيـة اطـراف العالم . اما اليوم وقد اتصلت حلقات سلسلة الخليقة واصبحت الدنيا متقاربة المكـان والزمان والتفكيـر واصبحت لنا الوسائل التي تمكننا ان نوسع نطـاق افكارنا الى الحـد الذي وصلته السـاعـة ، دون ان ندعي ان هذه هي النهايـة ، فانما نحـن في وسط الطريق ، لسنا ندري ماذا قطعناه منها ولا ما بقـي امام البشرية ان تقطعه ، ولنا ان نسجل معطياتنـا ومكاسبنا في هذه المرحلة الحلوة التي نقطعها . وانما نحن ادركنا الفرق بين حاضرنا وماضينا لاننا عشنـا في الماضي وكانت ثقافتنا طيلـة السنيـن العشرين الاولى من حياتنا كلها ماخوذة عن الانتاج المتأثـر الى اقصى الحدود بثقافة القرون الوسطى . فلما هاجمتنا اوربا وغزت بلادنا واحتلت افكارنا ووجهت وعينـا ، مثل ما اخذتنا معارفها وحضارتها فاذا بنا نتحول من امة معصوبة العينين الى امة سميعة بصيرة ، ودفعنا الاعجاب بالجديد ــ بالنسبة الينا ــ الى ان نكتشـف ان العالم كان موجودا قبل الاسـلام ، وان الاسـلام نفسه احالنا في ترغيب وترهيب على ان نسيـر في الارض لننظر ماذا انتجـه الاقدمـون ، وما كانـت

عليكم ان تهتموا باصلاح اخلاقهم ورفع مستوى تفكيرهم ووعيهم الاسلامي ليقفوا سدا منيعا في وجه السيل العارم من الالحاد والفسوق الذي ينتشر بسرعة في البلاد الاسلامية بمساعدة وتشجيع من حكوماتها الفاسدة . وذلك لان الشعوب التي الهتها شهواتها وملذاتها لا يمكنها ان تكون ارضا طيبة لان تقوم فيها دولة اسلامية ، ولانه بقدر ما تفشو الميوعة وتنتشر الخلاعة بين بين عامة الناس يصبح من المستحيل اقامة نظام اسلامي فيهم . وان الكذابين والخونة والفسقة والفجرة قدر ما يصلحون لنظام كافر لا يصلحون لنظام اسلامي .

سادسا : لا تحاولوا اقامة نظام اسلامي على اسس غير سليمة وعلى دعائم ضعيفة وقواعد متزلزلة ، بل يجب عليكم الصبر في هذا الشان ، لان الاهداف التي نريد تحقيقها انما هي اهداف ضخمة كبيرة تهدف الى تصحيح القيم الانسانية في افهام الناس والى اعادتهم الى حظيرة الاسلام بعد الردة التي هم عليها منذ زمان طويل . ومثل هذا العمل الجليل يحتاج الى مثابرة ومصابرة والى تفكير عميق . كما انه يجب عليكم ان تخطوا كل خطوة بحساب وبحكمة وتبصر ، ولا تخطوا خطوة جديدة الا بعد ان تراجعوا نتائج خطواتكم السابقة وتدرسوا ثمارها : هل هي سارت في الطريق المرسوم وهل جاءتكم بالنتائج المرجوة ، ومن المشاهد المسلم ان الاستعجال امر غير مامون العاقبة . فاشتراكنا – مثلا – في وزارة غير صحيحة وغير مؤمنة بمبادئنا ، على رجاء ان مشاركتنا فيها خطوة تقربنا الى غاياتنا لامر خاطيء لان التجارب العامية تؤكد بان مثل هذا العمل لا تجني منه الثمار الطيبة ، اذ ان الذين يسيطرون على الحكم هم الذين يتولون رسم سياستهم الداخلية والخارجية ويقومون بتنفيذها حسب ما توحي اليهم مصالحهم واهواؤهم . واما الذين يشاركونهم بغية تحقيق الاهداف النبيلة التي يضعونها نصب اعينهم ، لا بد لهم من مسايرتهم . ومعنى ذلك انهم يصبحون آخر الامر ابواقا لهم وآلة في ايديهم يفعلون بهم ما يشاؤون ويستغلونهم كما يريدون .

ايها الاخوة الكرام ...

اود ان اوجه اليكم نصيحة ، في الختام ، وهي : ان لا تقوموا بعمل جمعيات سرية لتحقيق الاهداف ، وان تتحاشوا عن استخدام العنف والحرب والسلاح لتغيير الاوضاع ، لان هذا الطريق ايضا نوع من الاستعجال ، الذي لا يجدي بشيء ، ومحاولة للوصول الى الغاية باقصر طريق . ان هذا الطريق اسوأ عاقبة واكثر ضررا من كل صورة اخرى . وان الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي – وسيحصل كذلك في المستقبل – بعمل علني ونشاط واضح وضوح الشمس في رابعة النهار . فعليكم ان تنشروا دعوتكم علنا وتقوموا باصلاح قلوب الناس وعقولهم على اوسع النطاق وتسخروا الناس لغاياتكم المثلى بسلاح من الخلق العذب والشمائل الكريمة والسلوك الحسن والموعظة الحسنة والحكمة البالغة ، وان تواجهوا كل ما يقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الابطال . هذا هو الطريق الذي سيمكننا من عمل انقلاب عميق الجذور راسخ الاسس قوي الدعائم كبير النفع في حق هذه الامة المسكينة ومثل هذا الانقلاب لا يمكن لاي قوة معادية ان تقف في وجهه . واقول ان هذه الامة لا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها . اما اذا استعجلتم في الامر وقمتم بعمل الانقلاب بوسائل العنف ، ثم نجحتم في هذا الشان الى حد ما ، فسيكون مثله كمثل الهواء الذي دخل من الباب ليخرج من النافذة . هذه هي النصيحة التي احببت توجيهها لكل من يقوم بامر الدعوة الاسلامية . وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . واقول كما قال الشاعر :

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس صدقوا فيهم ظنوني

واسأل الله تعالى ان يسدد خطانا ويلهمنا السداد والرشاد ويوفقنا لاعلاء كلمته بالطريق الذي يرضيه لنا . انه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

اسلام عمر

ويوم اسلمت عز الحق ، وارتفعت — عن كاهل الدين اثقال يعانيها

حافظ ابراهيم

اسلامه للدين كان عزا — رنح عطف المصطفى وهزا

شوقي

القران بمنظارها وقد تدهشهم بعض التعابر القرآنية لانها في صميم خضم الحياة البشرية العامة فقد قراوا قول الله (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) فاما الكتاب فقد عرفوه وهو الوحي واما الحكمة فاختلفوا فيها لانهم غفلوا عن دراسة نفسياتهم وما اصطفت به من انتمائها الى عالم الكتاب . ولو ساروا على طرق التفصيل وانتقوا من تاريخ الحضارة اساليبها لما عسر عليهم ان يجدوا المفهوم الاجتماعي لعبارة الحكمة . ذلك ان العالم باعتبار الهداية والعمل الصالح يقسم الى عالم الكتاب وعلى راسه بنو اسرائيل ؛ والى عالم الحكمة وعلى راسه الامم اليونانية . فلما نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء قرآنا جامعا بين الكتاب والحكمة باعتبار ان الامرين معا تراث انساني ، للمسلمين ان يستفيدوا من احدهما كما يستفيدون من الآخر . وبحسب النظرة السطحية يبدو ان القرآن اخذ من عالم الكتاب – بني اسرائيل – اكثر مما اخذ من عالم الحكمة – اليونان – وليس الامر كذلك بل الكفتان متساويتان ، فقد نقل القرآن لنا من الحكمة ما لا يقل عما اخذه من الكتاب مع الزيادات القيمة والتعليقات الموجهة والتعديلات القويمة « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » فحيثما كانت الحسنى اخذ بها القرآن الكريم ومثل ما هيمن على الكتاب هيمن على الحكمة ، فاستعمل المحاورات السقراطية في نحو قوله سبحانه (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) والمنطق الارسطاطاليسي في مثل قوله (ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض) ومثل لنا جانبا من ترف الرومانيين حين قال : (ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا) وتأمل في قوله سبحانه (وسررا عليها يتكئون) وتذكر ان مجالس لهو الرومان كانت ذات اسرة فخمة يشرب عليها المترف ويداعب القيان ، ونرى في هذه المعجزة العظمى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علما بانه عليه الصلاة والسلام لم يطلع على هذه المجالس ولا يمكن ان يحدثه بتلك البطاصيل احد ممن عرفهم فبقى الامر وحيا صرفا . وفي هذه الآية مزيج من الثقافات بحيث علم ان التمدد على الاسرة في مجامع اللهو كان شأن الارستقراطية الرومانية ، عرف الى جنب ذلك انهم كانوا يتنافسون في زخرفة الابواب وتطعيمها بالنقوش وتصفيحها بصفائح ومسامير الذهب والفضة ، ففي ذكر الابواب يجد الفكر نفسه منجذبا الى اعتبارين ، اما ان الكلام من باب حذف النعت كقول القائل : فلم اعط شيئا ، ولم امنع ، يعني لم اعط شيئا كثيرا ولم امنع شيئا قليلا ، فالابواب غير الموصوفة لفظا موصوفة معنى بانها ابواب مبالغ في زخرفتها ، واما ان السياق سياق حديث مع العرب بصفة مباشرة ، وكانت بيوتهم بمكة والمدينة ليست لها ابواب اكتفاء بابواب الدور لان المعمارية العربية الماخوذة عن الهندية والفنيقية كانت الدور فيها عبارة عن حصن صغير قلما توجد له نوافذ الى الخارج ، واذا وجدت النوافذ فانها غير مفتقرة الى الالواح الزجاجية حيث يوجب اغلاقها حالة شبيهة بحالة الاختناق لشدة الحرارة وانحباس الاهوية في اكثر الاحيان ، فكانت ابواب البيوت في الداخل انما ترخى عليها الستور ولا تتخذ لها المصاريع ، حتى ان التشريع نص على الادب في دخول هذه الحجر حيث يقول الله سبحانه : (ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) فلو كانت الحجر ذات مصاريع خشبية لكانوا أمروا بان يغلقوها عليهم بالمزاليج ولكنها كانت ذات ستائر ليس الا . والمعتاد ان الخدم والاطفال في الدار يلجون الحجر كلها من غير استئذان فأمروا ان يستأذنوا في الاوقات المعهود فيها ان يفضي الرجل الى اهله اذا استيقظ لصلاة الصبح فانه سوف يغتسل للانصراف الى المسجد ، والبلاد الحارة يشتد فيها الميل الجنسي فقبل ان يغتسل المسلم يربد – في اكثر الحالات – ان يفضي الى اهله ، وقد تدخل الخادم او الطفل فيجد سيد البيت داخل سريره لقضاء أربه من اهله فكان النهي عن الدخول الا بعد استئذان واذن وكذلك عند راحة وسط النهار فلقد كان الانصار اصحاب اعمال وملاك آبار فاذا كانت الظهيرة عادوا من اعمالهم الى بيوتهم وقد تدعوهم الحاجة الى الخلوة بأهلهم فمنعت الخادم والطفل من رفع الستر عن باب الحجرة التي فيها سيد المنزل الا بعد اذن واستئذان ، وكذلك الشأن بعد صلاة العشاء . وفي هذا تنبيه للرجل بان لا ينساق الى شهوته في كل وقت وحين لانه يتعرض بذلك الى هتك حجاب الوقار بينه وبين خادمته وولده وبنته ، لانهن ماذونات في ان يلجن دون اذن فيما عدا الاوقات الثلاثة . وانما

تصرفاتهم ، وما بلغوه من المجد والشموخ ، وكيف كانت عاقبة الذين من قبلنا كنتيجة النهج الذي انتهجوه في تاريخهم ان خيرا فخير وان شرا فشر . واختلفت قراءتنا للقرآن هذا اليوم عما كنا نقرؤه في ربيع عمرنا ، فاذا اخذنا نقرأ عن تاريخ الاقدمين ثم نتلو بعد ذلك اورادنا القرآنية نجد تقاربا شديدا بين ماضي البشرية وحاضرها ، وان ما كنا نعده بعدا بين حضارة الاغريق والرومان ومن سبقهما من البابليين والاشوريين والاقباط والفنيقيين والعبريين وبين الحضارة القرآنية الاسلامية لم تكن له من وجود الا في ثنايا عقولنا الضيقة ، والا فان القرآن يمثل الدرة الغالية وسط عقد اللؤلؤ المكنون الحضاري . وقلما فكرنا في النماذج الانسانية الشاملة التي يرددها القرآن الكريم .

وكان البعض منا يحسب ان القرآن لم يعرف الا ما اشتملت عليه التوراة والانجيل وغاب عنا ان نفكر في ذي القرنين ، فانه اغريقي يوناني مقدوني ، فهذا الملك العظيم الذي قاد الامة الاغريقية الى ارقى امجادها التاريخية رقيا كان ثمرة لما بذله من جهود في سبيل العلوم والفنون ، وما بنته من حضارة جذرية قررت الاطار العام للحضارات التي أتت بعدها . ليس ذو القرنين سوى الاسكندر الاكبر المقدوني . فهذا الملك الذي اثنى عليه الحق بقوله (انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا) ونوه القرآن باعماله الاصلاحية في حماية الامم المتحضرة من جاهلية رحل الاسيويين المسمين في التوراة جوج وماجوج ، وفي القرآن ياجوج وماجوج لهو عرض لمظهر نبيل من مظاهر الحضارة اليونانية . وكان له ابن خالة – حسبما ذكره المفسرون – وهو الذي رحل اليه للأخذ عنه موسى وفتاه يوشع بن نوح عليهم السلام وقال الله في ذلك (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) والقرآن الكريم بهذا العرض النزيه يفهمنا ان البشرية ليست بين ابعاضها فواصل ولا حواجز ، ولا طبقات ، فهذا موسى عاهل العبرانيين ومن اولي العزم من الرسل ، يرحل للاقاة رجل اغريقي ، لياخذ عنه علما لايعلمه . وهذا هو التعليم الصحيح في اعلى مستوياته ونقل لنا القرآن الكريم بعض تصرفات الخضر الاغريقي عليه السلام واصبح في التاريخ الاسلامي شيخ مشايخ المسلمين ، ومشعل الصوفية بسلوكه وهديه صفحات من المجد والكرامة. ولسنا الآن في معرض تحليل الجزئيات ، وانما قصدنا ان نثبت اعتراف الاسلام بفضائل الحضارات القديمة والاعتناء ببعض فروعها ، وهي التي تناسب الاسلوب القرآني الذي يتناول الشؤون من ناحية عرض امجد الاعمال ، وامجد الاشخاص ، وهنالك شخص ثالث يوناني يسميه القرآن (لقمان) ونقل لنا القرآن بعض وصاياه لابنه واعتبرناها عناصر اساسية في التربية الاسلامية . فلنعلم الان انها وصايا يونانية اقرها الاسلام بنفس القيمة التي كانت لها في امة الاغريق . وصورة الحج الاسلامي لاتختلف كثيرا عن مواسم الاغريق في زيارتهم (الاكربول) وانما لم لم ينفذ الحكم على سقراط في الوقت المحدد ، لانه كان في الاشهر الحرم التي كان اليونانيون يحرمون فيها ازهاق النفوس . واذا قال الله سبحانه (وان من امه الا خلا فيها نذير) فانه يعني من بين هذه الامم اليونان . وهذا يونس عليه السلام وهو ذو النون كان من (نينوى) وهي قرية في صميم العالم اليوناني الواسع القديم وسماه القرآن نبيا ، ولكن اليونانيين لم يسموه بهذا الاسم حيث كانت لهم دول غير الدول السامية ، فكانوا يسمون رجالاتهم حكماء ، وكانوا يسمونهم ابطالا ولم تكن النبوة بمعناها السامي معروفة لديهم ، رغم انهم كانوا يعرفون السدانة والكهانة ، والسحر ، لكن هذه المراتب كانت وثنية ، أما الموحدون فكان لهم عالمهم ، ولهم فلاسفتهم ، يدافعون عن الافكار الصالحة ، وكانت الطبقات الممتازة منهم ذات ديانات خاصة تختلف عن الديانات الشعبية ، ومن ذلك عقيدة التوحيد وما اجدر افلاطون وارسطاطالس واضرابهما ان يكونوا انبياء ورسلا . لكن العالم اليوناني الحكيم لم يكن يقبل النبوآت بالصوره التي كانت عليها في بوادي بابل حيث عاش ابراهيم عليه السلام ، ووجه الفكر السامي توجيها ساميا له طابعه النبيل ، اما الرسالات في العوالم المتحضرة الاخرى من مصرية وبابلية واشورية فكانت الحكمة والحجة وهي التي مهدت الطريق النصرانية لما اخذت بين طرفي الثقافتين السامية والآرية . وذكر القرآن الكريم الفنيقيين حيث خاطبهم رسولهم بقوله (اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين) ونوه القرآن بالسفن والمواخر ، وما كانت الرواسي في البحر كالاعلام من سفن امم البحر الاحمر ، وانما كانت سفنا اغريقية ورومانية وفنيقية ، ذلك لان القرآن يرى في البشر انهم بنوا رجل واحد ، وانهم متجاورون متبادلون للمنافع ، ولم يعترف بغير الفارق العقدي . ان القرآن لايعيش في عزلة وانما البسه حلتها رجال صالحون كانوا في عزلة فنظروا

ونخوتهم الخارقة دون ان يتأثروا بالحضارة الرومانية البزنطية ، ومن غير شك انها كانت هي المقياس ، وهذا عبد الله بن جدعان كان يصنع الفالودج ليطعم ضيوفه من افضل ما يطعمه الرومان ، وليست مجالس القيان بمكة واتخاد آلات الطرب واللهو واشاعة الترنم بالغناء الا اخذا عن حضارة الروم فى جوانب من جوانبها ، واذا اخذ الذين يكفرون بالرحمن من الحضارة عيوبها فان الاسلام اخذ بمزاياها ، ومنها الثياب الضافية الفضفاضة السقراطيات وكل المسلمات ارستقراطيات لانهن يشكلن طبقة واحدة هي طبقة المراة المسلمة دون بحث في لونها ولا في اصلها وفصلها ، فهي بنت الاسلام وكفى . وظلت سمية وهي امة سوداء مضرب الامثال في الجهاد والتضحية ما دام القرآن يتلى ايام نزوله وبعد نزوله الى يومنا هذا والى ما شاء الله . نعم لقد كان اخذ العرب عن الروم وفارس والقبط وبني اسرائيل مشوها حتى نزل القرآن فرد الاشياء الى اصولها ، واستخدم نفس القواعد الراقية التي استخدمها الروم ، ولو نزل بلغة لاتينية لادرك اسراره اللاتينيون . لكنه نزل عربيا لمخاطبة العرب في الدرجة الاولى ، وهم وان لم يكونوا من المعرفة في مستوى الروم فهم من الناحية الخلقية والنفسية اعلى كعبا منهم ، وانما ينظر الله الى القلوب ولا ينظر الى المظاهر التي لا ترتكز على دعامة الايمان فقد استخدم القرآن المنطق الاغريقي فرد على السفسطائيين اقوالهم بعد ان حكاها عنهم ، كقوله سبحانه حكاية عنهم (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) فهذه سفسطة محضه. لان قائليها انفسهم لا يومنون بهذا القيل ، لانهم لا يمكن ان يكونوا مثل آبائهم في كل شيء ، ولان كل جماعة لابد ان تعترض بعض افكار من تقدمها ، لكن لما احرجوا استعملوا لغة المغالطة ، فرد الله عليهم ردا منطقيا سهلا على رسولهم ، فقال له (قل اولوا جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وحكى عنهم نوعا من الخطابة ـ وهي ما نسميه في وقتنا الحاضر بالديماغوجية ـ وهو اسلوب من الكلام لايزين الفكرة بالالفاظ وانما يجندها بطريقة انتقاء الالفاظ ورصها رصا موجبا كقوله تعالى حكاية عن الدهريين (هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) فاذا حللت هذه الالفاظ عن طريق الاسناد اللفظي لا يوجد فيها ما يخبر بانكارهم للبعث ولكن تفصيلهم لتمزق الاشياء وتاكيدهم بقولهم كل ممزق تبرعا دون ان يطلب منهم ، فيه ايماء بان هذا غير ممكن ، والخطابة تختلف عن الشعر ، في ان الشعر يزيد على ذلك تشويقا الى الفكرة المرادة بطريقة الاغراء او تنفير من فكرة يرغب فى معارضتها بالالتجاء الى الاستهجان باحدى طرقه كقولهم (اراغب انت عن آلهتنا يا ابراهيم) فانهم في حوارهم هذا يوحون الى المستمعين بأن ما يتركه ابراهيم آلهة حقيقية لهم ، ولو رغبوا في الاسلوب الحيادي الذي لا تكييف فيه لقالوا : اراغب انت عن معبوداتنا ، فرد عليهم في بعض محاوراته مع ابيه بطريق برهاني شعري في آن واحد فقال : (يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) وفي الجدال بقوله (لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين) الى قوله (انما اعبد رب هذه البلدة التي حرمها ، وله كل شيء) وقد اشتمل الجدل هنا على شعر ايضا . وبعد ان اثبت عظمة معبوده خطا معهم خطوة الى الامام فقال : (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) ثم يلقي بها صريحة فيقول (وما قدروا الله حق قدره) فقد استخدم القرآن المنطق الاغريقي في اروع صور التطبيق . كل هذا على لسان الصادق المصدوق الذي لم يتقدم له ان تعاطى العلوم (وما كنت تدري من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك)

فاخذ القرآن من كل امة احسن ما عندها وفسح صدره للفنون الجميلة الى الحد الذي ارتضاه ، وبينما نجده يندد بالوثنية اذا به يلتقط لنا صورة بالغة في الروعة لو قدر لمنصف ماهر ان يسجلها لاخذت بمجامع الالباب . ففي موطن بالغ من الجدية كل مبلغ يزف لنا سلوى للترويح والادكار ، فان من اصعب المواقف المعنوية موقف النشر والحشر . فاذا نشروا من قبورهم ونودوا بان يقصدوا مكان الحشر ياخذون

تكبد المجتمع العربي هذه الصعوبة لانه مضطر لاقتصاد ثمن المصاريع الخشبية ، ولانه في حاجة الى شم الهواء . وكانوا يرون الابواب ذات المصاريع نوعا من الترف الذي تتوق اليه نفوسهم . فلذلك سيق مساق الكفاف والتقشف وعدم الانسياق الى متاع الدنيا . واما المعارج فكانت تلك المعارج العريضة البالغ عرضها اربعة امتار فاكثر المقامة من الرخام القليلة الارتفاع فيما بين الدرجة والدرجة ، وهي تشمل نوعين : نوعا يتمثل في المدرجات الدائرية المحدقة بميادين صراع اللهو (الكالسيوم) فانها معارج تشكل مظهرا من مظاهر الترف المجموعي ومعارج مستطيلة في صدر قاعات الاجتماع عند الرومانيين ، يقوم عليها الخطباء ومندوبو الامة ويجلس في اعلى درجاتها الامبراطور وحاشيته وكلا المعراجين يعبر عن الرخاء والحضارة والترف اما سقف الفضة فلسنا ندري ماذا دعا العرب الى ان يجعلوها حلما من احلامهم وامنية غالية من امانيهم .

وفي كثير من المناسبات يقول الله سبحانه : (اولم يسيروا في الارض فينظروا) وهذا معناه ان اتساع الفكر بالسياحات وكسب المعلومات يساعد الدعوة الاسلامية ويجعل فهم الناس ميسورا لما يقصه عليهم القرآن من حقائق الكون . والدنيا لله يجبي منها ما يشاء فيرضاه ، ويمقت ما لا يرضيه ويحث على الاعراض عنه . وجاء الاسلام فوجد الدنيا عند اهلها طبقات ، والناس في مراكزهم الاجتماعية درجات ، وفي اكثر الحالات كانت احسن الانظمة لارفع الطبقات ، واسخفها للطبقات المنحطة ، هكذا وجد الاسلام وضعية الناس فرفعهم دفعة واحدة الى اعلى المستويات ، لانه لم يشأ ان ينزل بالراقين الى درجة المنحطين ، بل عمل على الحاق المستويات المنخفضة بالمراتب السنية . فقد كان بمكة اصناف من الزواج منها ما هو سفاح محض ، وكانت طبقة الاشراف تتزاوج على الطريقة التي اقرها الاسلام وحدها واعتبر ما سواها سفاحا حراما ، وكانت الشريفات يتمتعن بميزة الحجاب واكثر مامدح الشعراء ذوات الخدور اللائي كن لا يطلن المكث حتى فى نواحي الخيام بل كانت اقامتهم في خدر خاص ، فاذا حان وقت الرحيل انيخت لهن المطايا ليركبن الهوادج ، فينقلن من الخدر الى الهودج الى ان ينزلن في خدر لائق بشرف محتدهن ، في حين كانت فيه المراة العربية من الطبقات الواطئة تعتبر من التبرج ان تطوف بالبيت عارية البدن الا من سترة شبيهة بـ (بالبكين) في وسطها دون صدرها ، فكره الاسلام الاسفاف بالمراة الى حد ان اصبح المتنطعون يلتجئون الى واد بناتهم دون ان يجدوا من ذوي الاحلام من يردعهم ، ووضع المراة في نصابها كانسان دي حرمة وبايع المراة كما بايع الرجل . واكرم الله عقائل من مختلف القبائل فتزوجهن عليه الصلاة والسلام ورضي عنهن وبواهن اسنى ما كانت تطمح اليه اجل امراة في الدنيا ، وكان المقياس الحضاري في يد الروم فكانوا يتخذون للرقيق والاسيرات اللباس القصير ، اما الارستقراطيات والمحجوبات عند بعولتهن من الاشراف ، وقد يمكن القول بان اللباس الطويل الفضفاض المجرور الذيول لم يكن بالمباح ان تلبسه امراة من الطبقات الوضيعة مثل ما كانت الشريفات يتنزهن عن اللباس القصير ولا سيما في الحفلات والاجتماعات المختلطة . ورضى الاسلام للمراة اللباس الطويل ، فامر بان يكون لباس عامة المومنات ، واقرا ان شئت قول الله سبحانه (يا ايها النبيء قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين) وترى السياق المرتب هنا ترتيبا خلقيا انسانيا ، فازواج النبي عليه السلام يجب عليهن ان يتسترن اعلانا لخلة الوقار والحياء ، وسترتهن لا يعني البطالة والفراغ ، فقد كن قائمات بواجب التبليغ فى البيت وبواجب المهنة ايضا ، فهذه سودة رضي الله عنها كانت تحترف الدباغة على ما تقتضيه هذه الحرفة من تقشف وعناء ، ولكنها في وقت الصلاة كانت تلبس لباسها الطويل المنسحب على الارض لتصلي في الصفوف الاخيرة خلف الرجال ، وما كان الاسلام ليخص بالفضل فريقا من المومنات دون الأخريات ، فكان التكريم في الدرجة الاولى لازواج الرسول وبناته ثم شاركهن غيرهن من شاء من المومنات . وهنا نجد ايضا رائحة التاثير الحضاري الروماني مثل ما لمسناه في الحياة القرشية المتأثرة برحلتي الايلاف ، رحلة الشتاء الىاليمن فىجنوب شبه الجزيرة العربية ، ورحلة الصيف الى الشام شمال شبه الجزيرة ، فان اليمن بلاد الرمال ومواطن الاحقاف يسهل فيها السير ايام الشتاء ، لان الامطار تثبت الاقدام في الرمال ، بخلاف الشأن في الصيف فانها تكون مهيلة منهالة ، اما طريق المكيين الى الشام فاغلبها في ارض متربة تفسدها الامطار والسيول ، ويصلحها اليبس والحر ، وليس من المعقول ان يتردد تجار قريش باحلامهم الثاقبة واحاسيسهم المرهفة

شرح آيات من سورة النور

للأستاذ : عبدالله الجراري

يقول الله تبارك وتعالى من سورة النور « ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا ، فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

الحرج : ـ الضيق ويراد به هنا وفي الدينيات الاثم ، ما ملكتم مفاتحه ـ اي ما كان تحت تصرفكم من عقار وأثاث بطريق الوكالة او الحفظ ، والصديق من يخلص لك المودة ، ويهمه ما يهمك ويطلق على الواحد والجمع ـ وانى لنا به فقد اصبح اعز من بيض الانق بل رابع المستحيلات ـ جميعا : مجتمعين ؛ اشتاتا : أي متفرقين ، واحدهم شتيت . على انفسكم : أي على اهل البيوت ، طيبة : أي تطيب بها نفس المستمع .

بعد ان ذكر سبحانه ـ ان المماليك والصبيان الدخول في البيوت في غير العورات الثلاث بلا استئذان ولا اذن من اهل البيت ـ ذكر هنا انه لا حرج على اهل هذه الاعذار الثلاثة في تركهم الجهاد وما يشبهه ، وذلك يستلزم عدم الاستئذان منه صلى الله عليه وسلم ، فلهم القعود عندئذ من غير استئذان، ولا اذن ، كما لا حرج عمن ذكروا بعدهم في الاكل من البيوت المذكورة في الآية يقول الزمخشري في كشافه هنا ـ والكلام على هذا التفسير صحيح لالتقاء الطائفتين في ان كلا منهما منفى عنه الحرج ، ومثاله ـ ان يستفتي مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق عن النحر فتقول :

ليس على المسافر حرج أن يفطر ، ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر .

قال الحسن : نزلت الآية في ابن ام مكتوم وضع الله عنه الجهاد وكان أعمى ، وقال مقاتل ـ نزلت في الحارث بن عمرو ، وكان قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا وخلف مالك بن يزيد على اهله ، فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال : تحرجت أن آكل من طعامك بغير اذنك .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ ان المراد من الحرج المنفي في الآية الحرج في الاكل ذلك انه لما نزل قوله تعالى : « ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل » تحرج المسلمون عن مؤاكلة الاعمى لانه لا يبصر موضع الطعام الطيب ، والاعرج لانه لا يستطيع المزاحمة على الطعام ، والمريض لانه لا يستطيع استيفاء الطعام ، فانزل الله هذه الآية ، والمعنى على هذه الرواية : ليس في مؤاكلة الاعمى ولا ما بعده حرج .

فقد كانت حساسية هؤلاء النفر مرهفة حتى كانوا يحذرون ان يقعوا فيما نهى الله عنه ، ويتحرجوا ان يلموا بالمحظور ولو من بعيد ، اولئك الناس ، والناس هؤلاء ، فانزل الله هذه الآية ، ترفع الحرج عن الاعمى والمريض والاعرج ، وعن القريب ان ياكل من بيت قريبه ، وان يصحب معه امثال هؤلاء المحاويج، وذلك محمول على ان صاحب البيت لا يكره هذا ولا يتضرر به ـ استنادا الى القواعد العامة في انه « لا ضرر ولا ضرار » والضرر يزال والى انه لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس »

فان الآية آية تشريع ، فقد نلحظ فيها دقة الاداء اللفظي والترتيب الموضوعي والصياغة التي لا تدع مجالا للشك والغموض ، كما نلمح فيها ترتيب

في قصده كل السبل والطرق كما قال الله سبحانه (وهم من كل حدب ينسلون) فهذا تعبير لا غموض فيه وجاء في نفس الموضوع (يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون) ولا يمكن ان يضرب لتفهيم العرب مثل ابلغ من هذا المثل ، ويجوز ان يضرب لهم باقبالهم على موسم الحج او سوق عكاظ لكن الذين لا يحجون ولا يذهبون الى عكاظ عددهم كثير جدا فتبقى الصورة غامضة في اذهانهم . اما النصب والصنم ففي كل قبيلة له مكان يقصد في مواسم معينة فياتيه اهل القبيلة ومن في حلفهم من القبائل الاخرى ليقضوا حوائجهم ويتزاوروا قرباؤهم ويقررون الحرب او الهدنة معللين ذلك كله بانه من مراسيم النصب او الصنم او البيت . واذا علم ان من شانهم فى اجتماعهم بالنصب ان نساءهم يرقصن مرجرجات الارداف استنادا لقول امريء القيس :

فعن لنا سرب كأن نعاجه

عذارى دوار في ملاء مذيل

وهذا منظر اخاذ للشباب وللرجال والنساء عموما فاذا وقع التمثيل به اسرع محبه الى الخاطر اسراعا لا يضاهيه اسراع . وهذا تبجيل لاحد الاوضاع الجاهلية مما يتدرج في الثقافة العربية بصفة عامة . وهناك اعتبارات استثنائية تتمثل في قوله سبحانه (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) وهكذا يزخر القرآن بالامثال والحكم والمواعظ والاحكام . وهو يخاطب البشر تارة ويتوجه الى العرب تارة ويشير الى العجم حينا بعد حين . « ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مومنين » ثم يصب هذه الثقافات كلها في قالب واحد بعد ناكيد ما يتاكد منها والازدراء بما يزدري ، في اسلوب رائع وهيمنة لا تحدها الحدود (ولو كان من غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .

تطوان : التهامي الوزاني

السنة الخامسة التي قاسى المسلمون فيها أمر الصعوبات في حفر الخندق الذي عمل فيه الرسول الاكرم بنقل التراب متمثلا بشعر ابن رواحة .

اللهم أنت لولا ما اهتدينا
ولا نصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
وان ارادوا فتنة أبينا

فلما سمع الرسول ما اجمعوا له من الامر — ضرب الخندق على المدينة وكان في اختطاطه للخندق وحفره مقتبسا من الخطط الحربية بفارس اذ دله على ذلك سلمان الفارسي الذي قال فيه عليه السلام: (سلمان منا اهل البيت) ، ولا حرج ان ياخذ الانسان عن غيره ما تدعو الحاجة اليه وتقتضيه المصلحة العامة اقتصاديا واجتماعيا وحربيا كما هنا

وكان (كما علم) من العاملين ترغيبا للمسلمين، وتحريضا لهم على المشاركة والعمل ، نعم أبطأ عن الرسول واصحابه رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ، ويتسللون الى أهليهم بغير علم منه عليه السلام ولا اذنه .

وجعل الرجل من المسلمين اذا انابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير واحتسابا له .

فانزل الله تعالى في اولئك المومنين « انما المومنون الآية . ثم قال تعالى يعني — المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير اذن من النبي صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الآية .

وايا كان الحال في سبب النزول فالآيات تتضمن الآداب النفسية التنظيمية بين الجماعة وقائدها — هذه الآداب التي لا يستقيم أمر الجماعة الا حين تنبع من مشاعرها وعواطفها واعماقها ثم تستقر فى حياتها فتصبح تقليدا متبعا وقانونا نافذا ، والا فهي الفوضى التي لا حدود لها . « انما المومنون الذين ءامنوا بالله ورسوله » لا الذين يقولون بأفواههم ثم لا يحققون مدلول قولهم ، ولا يطيعون الله ورسوله .

« واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه » والامر الجامع الذي يقتضي اشتراك الجماعة فيه لراي او حرب او عمل من الاعمال العامة ، فلا يذهب المؤمنون حتى يستاذنوا امامهم ، كي لايصبح الامر فوضى بلا وقار ولا نظام ، والحالة ان روح الامم والشعوب التي تريد السير في ركاب الحضارة فنيا وثقافيا واقتصاديا ضاربة في نفس اللحظة امثالا رائعة برجال سلفها الصالح ، روحها النظام ، وهجيراها التنسيق والترتيب كما يقول الاديب الحضاري في مطلع قصيده :

فما نيل المعالي بالتواني ✻ ولكن بالعزيمة والنظام

الرباط : عبد الله الجراري

نور الله لايهدى لعاصي

شكا رجل الى وكيع ابن الجراح سوء الحفظ ، فقال : استعينوا على الحفظ بترك المعاصي ، فانشأ يقول .

شكوت الى وكيع سوء حفظي
فارشدني الى ترك المعاصي
واخبرني بان العلم نور
ونور الله لايهدى لعاص

وقرأ : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » .

القرابات ــ فهي تبـــدأ ببيـــوت الابناء والازواج ولا تذكرهم بل تقول الآية « من بيوتكم » فيدخل فيهـــا بيت الابن وبيت الزوج ــ فبيت الابـن بيت لابيـــه ، وبيت الزوج بيت لزوجته ــ وتليها بيـــوت الآبـــاء ، فبيوت الامهات ، فبيوت الاخوة ، فبيوت الاخـــوات ، فبيوت الاعمام ، فبيوت العمات ، فبيوت الاخـــوال ، فبيوت الخالات ــ ويضاف الى هذه القرابات والخازن على مال الرجـــل فله ان ياكـــل مما يملك مفاتحـــه بالمعروف ، ولا يزيد على حاجة طعامه والمراد بالخازن كما جاء عن ابن عباس وكيله وقيمـــه في ضيعتـــه وماشيته فله الاكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخـــر .

ويلحق بها بيو تالاصدقاء لربط صلتهم بصلـــة القرابة ، عند عدم التأذي والضرر ، فقد يسر الاصدقاء أن يأكل أصدقائهم من طعامهم بدون استئذان . ولله در بعض طلبة الحديث من الشباب مخاطبا ابن فارس وقد استأذنه في الكتب من قرورته ــ دواته قال : من انبسط الى الاخوان بالاستيذان فقد استحق الحرمان

وبعد ما انتهى سبحانه من ذكـــر البيوت التي يسوغ الاكل منها ــ بين الحالة التي يجوز عليها الاكل. فقال عز ذكره : « ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعـــا أو أشتاتا » ذلك انه كان من عادات بعضهم فى الجاهلية الا ياكل طعاما على انفراد ، فان لم يجد من يؤاكلـــه عاف الطعام ، فرفع الله هذا الحـــرج المتكلف ، ورد الامر الى بساطته بلا تعقيد ، وأباح ان يأكلـــوا أفرادا أو جماعـــات .

ولم يقف الكتاب الكريم هنا بل زاد في تهـــذيب النفوس وتزويد الافكار ، وتنوير الاذهان وتغذيتهـــا بحر الآداب والاخلاق الرفيعة ــ فذكر آداب دخـــول البيوت التي يؤكل فيهـــا : قال : « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة » وهو تعبير لطيف عن قوة الرابطة بين المذكورين فـــي الآية ، فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه ، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية مـــن عند الله تحمل ذلك الروح ، وتفوح بذلك العطـــر ، وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها .

وهكـــذا ترتبط نفوس المؤمنيـــن بربهـــم في الصغيـــرة والكبيـــرة .

« كذلك يبين الله لكم الآيـــات لعلكم تعقلـــون » تدركون ما تنطوي عليه المناهج الالهيـــة من حكمـــة وتقـــديـــر .

وهنا نرى الكتاب العزيز مرة اخرى ينتقل مـــن تنظيم العلاقات بين الاقارب والاصدقاء الى تنسيقها بين الاسرة الكبيرة ــ اسرة المسلمين ، وعلى راسهـــا رئيسها وقائدها محمد عليه الصلاة والسلام ، والـــى ءاداب المسلمين في مجلس الرسول الاكرم . قـــال الله تعالى : « انما المومنون الذين ءامنوا بالله ورسوله، واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذيـــن يومنـــون بالله ورسوله ، فاذا استاذنـــوك لبعض شأنهم فاذن لمـــن شئت منهم واستغفر لهم الله ، ان الله غفور رحيم » الى ءاخـــر الســـورة .

أمر جامع ــ اي خطب جلل يستعـــان فيـــه بالمجربين من ذوي الخبرة والآراء كقتـــال عـــدو أو تشاور في حادث عرض ــ والتسلل : الخروج من البيت تدريجيا وحفية ، واللواذ والملاوذة التستر ، يقـــال ــ لاذ فلان بكذا اذا استتر به ، والمخالفة : ان ياخذ كـــل واحد طريقا غير طريق الاخـــر في حاله او فعلـــه ، فتنة : اي بلاء وامتحان في الدنيا ، عذاب اليم ــ مؤلم موجـــع في الاخـــرة .

بعـــد ما امر الله المؤمنيـــن بالاستئذان عنـــد الدخول ــ أمرهم جلت عظمته بالاستئـــذان حيـــن الخروج ولا سيما اذا كانوا في امر هـــام جامع مـــع الرسول صلوات الله عليه ــ كتشاور في قتـــال او في حادث عرض وبين أن من يفعل ذلك في امتثـــال فهو من كامل الايمان اذ يكون ذلك كالمصداق لصحتـــه والمميز للمخلص فيه عن المنافق الذي ديدنه وعادته التسلل والفرار ، ثم أمر رسوله ان ياذن لمن شاء منهم اذا استأذنه ، ثم أمر المؤمنين أن يوقروا نبيهـــم ولا يسموه باسمه بل يقولون يا نبي الله ، ويا رسول الله وليحذروا أن يخالفوا أمره وسنته وشريعته بل عليهم أن يزنوا أقوالهم وافعالهم بأقواله وأفعاله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على فاعله وقائلـــه كائنا من كان ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من عمل عملا ليس عليـــه امـــرنا فهـــو رد » .

روى ابن اسحاق في سبب نزول هذه الآيات ــ انه لما تجمع قريش والاحزاب في غزوة الخندق فـــي

وانا واثق من ان هذا التيار سيزداد قوة بمرور الايام وبعمق ، ويصل الى ابعد مدى ولا شك في صدق ما ذهب اليه الذين انتقلوا الى عقيدة الاسلام من ان هناك عشرات قد آمنوا بالاسلام ولم يتح لهم ان يجهروا به وان من يستمع الى حديث لاحد الدعاة العاملين في هذا الميدان كالمهندس محمد توفيق احمد صاحب مجلة « بريد الاسلام » والذي يحمل لواء التبشير الاسلامي بالبريد منذ ثلاثين عاما ليدهش كيف ان كتابا بسيطا صغير الحجم في اربعين صحيفة يستطيع ان يكسب عقلا جديدا كلما بلغ انسانا .. متعطشا الى فهم الاسلام ، وان هذا العمل قد حقق لمئات من المثقفين في اوربا وامريكا الاقتناع العميق بجوهر هذا الدين .

وهكذا يعمق هذا التيار ويتسع نطاقه .

فاذا عدنا الى الصورة الاولى لوجدنا ان الفكر الغربي قد كان حفيا بان يضع حجابا كثيفا على العقل الانساني بحملته على الاسلام ، هذه الحملة التي يصورها (م. ر. كويت) في كتابه « الاسلام والدولة البريطانية » (✱) حين يقول :

« ان الكثيرين منا شبوا على كراهية الاسلام ، وارتضعوا ذلك مع لبان امهاتهم ، هذا فضلا على ان ما لدينا من المعلومات عن الاسلام يزيد في بعدنا عن معرفة حقيقته خصوصا لعدم امكاننا الوقوف على اصوله من اللغة العربية » .

ومن عجب انه ما تكاد تمر فترة لا تزيد عن ستين عاما حتى يجد الاسلام مجالا واضحا في الفكر الانساني يستطيع به ان يواجه حماة الفكر الغربي عليه .

فاليوم تزخر مكتبات اوربا وامريكا والشرق بعشرات من الكتب ، متفقون من غير اهل العالم الاسلامي يصورون فيها مشاعرهم ازاء الاسلام ويكشفون فيها عن مفاهيم له ، ولا بد ان تحمل هذه الكتب بعض الاخطاء او الاضطرابات ولكنها في جوهرها صادقة ، فقد قرأ هؤلاء ما كتبه الغربيون المتعصبون ومنه — في الاغلب — نفذوا الى الحقيقة ، وتجربة الدكتور خالد شلدريك (✱) البريطاني المسلم واضح فيه يعترف بانه لم يتلق هذا الدين اول الامر من كتبه الاصلية وانما تلقاه من كتابات الطاعنين ، وان البحث والتأمل دفعه الى دراسة البوذية والبرهمية وسائر الاديان ويجد في مكاتب بريطانيا كتبا منصفة عن كل الاديان ما عدا الاسلام فقد وجد كتبه مملوءة بالتحامل والمطاعن ، وهي تقول انه دين لا اهمية له ، وقال الدكتور شلدريك لنفسه : اذا كان الاسلام لا اهمية له الى هذا الحد فلما ذا يبذلون كل هذه الجهود للتحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه يقول : « وقد وقر في نفسي انه لولا ان الاسلام دين يخشاه هؤلاء الناس ويحسبون له حسابا كبيرا لما فيه من القوة والحيوية ، لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته والطعن فيه وتشويه سمعته » .

وهكذا استطاع الاسلام عن طريق الكتب المشوهة عنه ان يشق طريقه وان يبدأ غزوة جديدة للفكر الانساني ، لا شك سيكون لها مدى كبير واثر لا حد له ، هذا الاثر الذي يكشف عنه كل الذين عرفوا الاسلام وآمنوا به .

ان الذين كونوا هذا التيار الجديد الذي يعد غزوة جديدة من الاسلام للفكر الانساني يمثلون ثلاث جبهات :

✱ معجبون هزهم الاسلام بحقائقه الدامغة فقالوا فيه كلمة الحق وهم امثال توماس كارليل وجوستاف لوبون وجورج سارتون وهورتن الالماني وهرجودنج وديفونويب وكلود فارير ومرتبه وتريتون وبرناردشو ولوتروب ستودارد وول ديورانت ولفرن كابتول سميث واميل درينجم والبارون كارادي فو والدكتور بول ديركلا وسيديو .

وهؤلاء بين مؤرخين وصحفيين وكتاب قد وصلت اليه الحقيقة فاعلنوها معترفين بفضل الاسلام واثره في الحضارة الحديثة وقيمه الحية النابضة ومدى ما يمكن ان تقدمه للانسانية .

✱ قادة وكتاب وسياسيون قالوا الحقيقة لقومهم لتضع حكوماتهم ومؤسساتهم الخطط التي تمكنها من رسم طريق صحيح مع العالم الاسلامي ومن هؤلاء : هنري دي كاستري والقس اسحق طيلو وليس ماسينيون وجب وريخه مليه وكريستان سنوك هيروجرونجيه وسير رينشارد ورد وشاتليه واوجين يونخ .

✱ مؤمنون بهرهم الاسلام حقيقة فآمنوا به امثال اللورد هدلي واتيان دينيه وليون دوش والدكتورة لورامنيشيا فاليري وليوبولد غابس وعبد الله كوليام وتنكينايا وهبايا وهاري هينكل وخالد شلدريك .

وهناك مجموعة اخرى من كبار المفكرين استطاعوا ان يصححوا آراءهم في الاسلام بعد مراجعة لافكاره امثال رينان واكوست كونت ومن عجب ان ترى ديفو تويب يؤلف كتابا يطلق عليه اسم « اعتذار الى محمد والاسلام » او تسمع قصة لبون روش الذي عمل كاتما لاسرار الامير عبد القادر الجزائري وجاسوسا عليه لفرنسا واستطاع بعد ثلاثين عاما ان يجذبه اليه .

وامامي اكثر من ثلاثين مرجعا واكثر من مائتي فكرة عن كتاب غربيين وشرقيين اعترفوا للاسلام بالفضل ، ومن بين هؤلاء الكتاب ابرز كتاب الانسانية امثال : كارليل وتوينبي وبرنادتشو ويلز وجب ودرمنجم وسيديو في وثائق ثانية ،

(✱) مجلة « الفتح » — 13 صفر 1357 م 12 .

فجر الإسلام

للأستاذ: أنور الجندي

في يقيني ان « الاسلام » في غزوة جديدة للفكر الانساني ولا اقول الغربي ٠هذههي الغزوة الثانية ، اما الغزوة الاولىفهي تلك التي جاءت اثر القرون الوسطى المظلمة لاوربا ، والتي **كانت اساسا لعصر النهضة في القرن الخامس** عشر الميلادي ٠

تلك الغزوة الاولى كانت اساس الحضارة الحاضرة ، فقد تلقى المسلمون دينهم الذي هو في الواقع « دين ومجتمع وحضارة » والذي استطاع بامتزاجه بعصارات الفكر الانساني المتمثل في ثقافات اليونان وفارس ان يقيم تلك الحضارة الضخمة التي عاشت الف عام ، وما تزال قيمها في مجال الفكر والثقافة والادب واللغة والتشريع والتاريخ قائمة حية متفاعلة لم تمت ، ولم تضعف ولم تتخلف ، وقد مرت بالغرب فترة عصبية تنكر فيها لفضل الثقافة الاسلامية والاسلام ذاته ، واعلن تجاهله الكامل لها، وسجل بان الحضارة الغربية الحديثة هي ثمرة الحضارة الرومانية القديمة وبينهما الف عام وانه ليس بين ارسطو وديكارت غير **معبر الزمان** ٠

وقد عنى عنى كثير من الباحثين بان يكشفوا عن حقيقة الدور التاريخي لثقافة والحضارة الاسلاميتين ، واثرهما ، في **حضارة الغرب القائمة الان** ٠

وهذا ليس مجال البحث اليوم ، فقد مرت السنون الطويلة منذ بدأ الغرب حملته الضخمة على الاسلام عن طريق ترجمة القرآن وتحريفه وتصوير النبي محمد (ص) بصورة مزيفة **ومهاجمة اصول الاسلام** ومقاصده في عشرات المواضع واعطاء **صورة مظلمة مضببة له** ، وقد شنت هذه الحملة تحت تأثير **عاملين (1) سيطرة الكنيسة ومحاولتها اقصاء الاسلام عن طريقها (2) سيطرة النفوذ الاجنبي الذي كان يرى في الاسلام قوة معترضة امام اطماعه وتوسعه ، ومن هنا جاءت (الحملة على الاسلام)** على عنفها مضطربة مهلهلة ، ليست قائمة على منهج البحث العلمي **الصحيح وانما ابرز معالمها تلك العبارات الطائشة وتلك الاتهامات التي تبدو منها روح التعصب والحقد** ٠

ولقد كان اصحاب هذه الحملة يهدفون الى امرين :

الاول : اغراق الفكر الغربي بدراسات ومراجع عن الاسلام تحول بينه وبين الدراسات الاصلية والاساسية **النابعة من** كتابة المسلمين او المنصفين على الاقل ٠

الثاني : تشويه الاسلام في نظر اصحابه ومعتنقيه واثارة الشكوك والشبهات في نفوسهم لصرفهم عنه ، وتحطيم قيمه في انفسهم مما يعين الاستعمار على خلق طائفة من المثقفين المؤمنين بالقيم الغربية التي تعاطف النفوذ الاجنبي وتقبله ٠

* * *

غير ان هذه الحملة المضببة لم تحل بين الاسلام وبين النفاذ الى القلوب والعقول ، فلم تلبث مقاصده وقيمه الى ان بلغت الى عشرات من طلاب الحق واثرت فيهم ، فانبعثت بضوء جديد تطور من بعد الى « تيار » قوي يحمل الحقيقة الى ما سوى العالم الاسلامي شرقا وغربا ٠

ولا نعتقد ان هذا التيار التي عنينا برسم صورة له **في هذه** الدراسة يمكن ان يدفع الاتهام عن الغرب المتعصب **ازاء الاسلام** ، او يعطي وثيقة يمكن ان يعتبرها بعض انصار **الفكر الغربي** انصافا له ، ذلك لان حملة التحدي والتعصب **ما تزال مستمرة** في تيارها القوي ، اما هذا التيار الجديد فانني اعده **تيارا في الفكر الانساني العالمي استطاع ان يشق طريقه بالرغم من كل** القوى التي قاومته او وقفت في طريقه ، وتسجل **النصوص كيف** ان كل هؤلاء الذين واجهوا الاسلام **بعقل مفتوح وقلب سليم** قد لقوا من قومهم مزيدا من الاضطهاد وان بعضهم **جرد من املاكه (الدكتور خالد شلدريك مثلا) او حمل عليه حملا سخيفة** كالكاتبة الايطالية ٠

او اضطر ان يمضي خمسين سنة قبل ان يعلن اسلامه خوفا من اضطراب حياته العملية كاللورد « هدلى » ٠

يقول اللورد هدلي : (✶) ان اعظم ما تركه الاسلام في نفسي ما تجلى له من البساطة والحقيقة بحيث وجدته يمتاز على غيره ببساطته وخلوه من كل مغالطة او ايهام • الدين الذي ليس فيه اي اثر للاحتمالات والخيالات والذي يدعو الانسان الى الثقة الكاملة بعدل الله ورحمته » •

حادي عشر : صدق محمد

يقول كارليل : افيقوى مدع زائف على ايجاد دين ، ان الزائف لا يستطيع ان ينشيء شيئا ولو كان هذا الشيء بيتا من الطوب » •

ويقول دوزي « لو صح ما قاله القساوسة من ان محمدا نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره ، ما بال فتوحات اتباعه تترى وتتلو احداها الاخرى ، وما بال انصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد ، وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول » •

ومن رأي برناردشو ان يدعى محمد « منقذ الانسانية » وعنده انه لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته •

ويقول الدكتور ماردوس المستشرق الفرنسي ان اكثر الكتاب ارتيابا وشكا قد خضعوا لسلطان تأثير محمد • ويقول ولز : ان محمد كان من انجح الانبياء ، واكثرهم توفيقا •
ويقول غوته : اننا اهل اوربا بجميع مناهجنا لم نصل الى ابعد مما وصل اليه محمد وسوف لا يتقدم عيه احد • ويقول وليم موير : ان محمدا قد امتاز بوضوح كلامه ويسر دينه ، وقد اتم من الاعمال ما يدهش العقول ولم يعهد التاريخ مسلحا ايقظ النفوس واحيا الاخلاق في زمن قصير كما فعل محمد •

ثاني عشر الاسلام له مرتدون وهو مسيحية وزيادة •
يقول الكونت هنري دي كاستري : ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي ليس له مرتدون ، ويقول (ايتان دينيه) ان للاسلام على النفوس طابعا لا يمحى والذين يعتنقونه من الاوربيين والامريكيين دائما من الخاصة واسلامهم شائبة فيه لانهم ابعد ما يكونون عن الاغراض المادية •

ثالث عشر : الاسلام ليس عدوا للعلم :

وقد اعترف بذلك (البرت هويك) حين قال : حينما تعمقت في قراءة القرآن اندهشت لعصرية القرآن في علاقته بالعلم ، ففي الاسلام من المستحيل وجود مثل حادث (جاليلو) والتعاليم الاسلامية لن تعارض البحوث العلمية الحديثة ولم تقف في وجه مقتضيات العالم الحديث •

وقال تريتون : ان الاسلام يكبر من شأن العلم اكبارا لا شائبة فيه فهو فريضة على كل مسلم ومسلمة •

رابع عشر : توقف الاسلام اظلم اوربا :
اعترف بذلك كلود فارير استاذ اللغات الشرقية ، وهنري دي شامبيون وجيمس برستد •

قال كلود فارير : ان فاجعة عام 732 كانت اشأم الفجائع التي انقضت على الانسانية في القرون الوسطى ، هي معركة « بواتيه » ، برابرة المحاربين من الافرنج بقيادة شارل مارتل• ما ذا عساها ان تكون بلادنا الفرنسية لو انقذها الاسلام العمراني المتسامح •

ويقول هنري دي شامبيون : ان انتصار كارل مارتل على تقدم الاسلام في فرنسا اخر سير المدنية ثمانية قرون وانه هو الذي اوقع اوربا في ظلمات القرون الوسطى ومكابدة المذابح الاهلية الناشئة عن التعصب الديني •• والمذهبي •

وقال جيمس برستد : ان العصر الاسلامي في اسبانيا كان اكبر عامل من عوامل المدنية في اوربا وان انخذال المسلمين في اسبانيا كان بمثابة انهزام المدنية امام الهمجية •

القاهرة : الاستاذ انور الجندي

(✶) المنار م 29 ج : 5 عن مجلة « اسلاميك رفيو » •

> **كنا في الحرب اذا اشتد البأس ، واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يكون أحد أقرب الى العدو منه •**
>
> **« علي »**

يكشفون فيها عن رأيهم الذي كتبوه دون اي ضغط او اكراه . فما ذا يعني هذا .

ما الذي دفع هؤلاء الى ان يقولوا كلمة الحق في الاسلام ؟ .

اذا كنا نتهم بعض الكتاب الذين حملوا على الاسلام انهم كانوا متصلين بالكنيسة او بوزارات المستعمرات في دولهم، فما ذا نقول في هؤلاء وليس للاسلام سلطان في اوربا يستطيع ان يغري كتابا لهم مثل هذا النفوذ الفكري يقولوا كلمة الحق ، اذن فليس سبيل الا ان الاسلام بقوته الذاتية الدافعة ومقاصده القوية ، وتعاليمه الصادقة ، وقيمه الاساسية هو الذي استطاع ان ينفذ الى هذه القلوب والعقول .

واذا كان الاستعمار والتعصب قد شق في قلب الفكر الغربي تيارا قويا ضد الاسلام فان الاسلام استطاع ان يقوم بغزوة جديدة في الفكر الانساني كله ويحفز تيارا لا شك في اصالته وقوته ، برز فيه كتاب من الاعلام في مجال الفكر الغربي وكتاب تدل كتاباتهم على الصدق والايمان بالحقيقة ، وقد واجه هؤلاء جميع ما وجه للاسلام من اتهامات في حملة التحدي الضخمة الضارية واستطاعوا ان يكشفوا عن حقائق هامة .

اولا : ان الكتاب الغربيين لم يعتمدوا المذهب العلمي اساسا لآرائهم او ابحاثهم .

ثانيا : ان الاسلام (بوصفه دينا وثقافة ومجتمعا وحضارة » يكشف في تعاليمه عن سلامة وبساطة وشمول يمكن ان يعطي الانسانية الحائرة الان حاجتها .

ثالثا : ان الاسلام لا يقف عقبة في سبيل الفكر فقد يكون المرء صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر الفكر (✱) .

رابعا : ان الاسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والاجناس ، كذلك لكل انواع العقليات وجميع درجات الحياة على حد تعبير ناصر الدين دينية الذي يقول :

« وبينما تجد الاسلام يهيج في نفس الرجل العملي في اسواق لندن حيث مبدأ القوم « الوقت من ذهب » اذ هو ياخذ بلب ذلك الفيلسوف الروحاني وكما يتقبله عن رضا ذلك الشرقي ذو التأملات ورب الخيال اذ يهواه ذلك الغربي الذي افناه الفن وتملكه الشعر » (✱) .

خامسا : قدرة المسلمين على تمثل اراء الغرب والفكر الانساني في تطوره ، يقول كازانوفا : يعتقد الكثيرون منا ان المسلمين لا يستطيعون تمثل آرائنا وهضم افكارنا ، يعتقدون ذلك وينسون ان نبي الاسلام هو القائل بان فضل العلم خير من فضل العبادة .

سادسا : صدق القرآن وتأكيد رسالته من الله وانه ليس من صنع محمد ، يقول سانت هيلر في كتابه تاريخ النبي : « انه كان يشك في صدق النبي في رسالته حتى قرأ في جميع السير انه لما نزلت آية الحفظ ووعد الله نبيه بانه سيتولى حراسته وقال « والله يعصمك من الناس » بادر محمد بصرف حرسه ، والمرء لا يكذب على نفسه ولا يخدعها فلو كان لهذا الوحي مصدر غير الله لا بقى محمد حرسه » .

سابعا : الاعتراف بفضل « الاسلام » على الحضارة الحديثة حتى ان نيتشة (✱) يقول : لقد حرمتنا المسيحية من ميراث العبقرية القديمة ثم حرمتنا بعد ذلك من الاسلام فقد ديست بالاقدام تلك المدنية العظيمة مدنية الاندلس المغربية ولما ذا لانها نشأت من اصول رفيعة وغرائز شريفة ثم من غرائز رجال تلك المدنية لم تنكر الحياة بل اجابتها بالايجاب وفتحت لها صدرها ، لقد قاتل الصليبيون تلك المدنية وكان اولى بهم ان يسجدوا لها على التراب ويعبدونها ، وما مدنيتنا في هذا القرن التاسع عشر الا فقيرة وانية بجانب مدنية الاسلام في ذلك الوقت .

ثامنا : مسايرة الاسلام للمدنية :

وهذه عبارة ولز ، كل دين لا يسير مع المدنيه في كل طور من اطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به ، وان الديانة الحق التي وجدتها تسير مع المدنيه انى سارت هي المدنية الاسلامية ، واذا اراد الانسان ان يعرف شيئا عن هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية وقوانين وانظمه لربط المجتمع واذا طلب مني احد ، ان احدد له الاسلام فاني احدده بهذه العبارة « الاسلام هو المدنية » (✱) .

تاسعا . انتشار الاسلام بالاقناع :

يقول اللورد هدلي ص 262 لا اظن ابدا ان المسلمين اجتهدوا في حين من الاحيان ان يحشروا افكارهم ومعتقداتهم الدينية في حلوق الناس وصدورهم بالقوة او الفظاعة او التعذيب ولم يشهر محمد السلاح الا حين الحاجة القصوى لحماية البشرية، وان اعداء الاسلام لأعجز من ان ياتوا بدليل او مثل من الامثلة التي اثرت فيها الحرب على هداية قبيلة واحدة او شخص واحد.

عاشرا . بساطة الاسلام ووضوح حقائقه :

(✱) اشعة كتاب ناصر الدين دينية – ترجمة اسعد رستم .

(✱) مجلة « المستقبل » 24 / 5 / 1914 ترجمة لسلامة موسى عن نيتشة .

(✱) « موسوعة الحديقة » لمحب الدين الخطيب ج : 7 ص 262.

(تنمو) في اطار خاص مما يعمق الهوة بينها وبين الدول الاخرى (الشقيقة) ، ويبدد احلام المسلمين في الوحدة تحت لواء القرآن، هذهظاهرة ، اما الظاهرة الثانية فهي:

ان الاستعمار لم يمنح ((الاستقلال)) لهذا العالم ، الا بعد ان كان قد هيأ له قيادة ثقافية صنعها بعينيه ، وزودها بروحانية خاصة ، وصوفية متطرفة ، فاصبح مستريحا على مصيره ، ومسرورا بمستقبله ، وصاحب الحظ الاوفر في هذا ((الاستقلال)) والحق ان هذه القيادة قد افلحت في كثير من البلاد الاسلامية في القيام برسالتها التي هيئت لها .

والظاهرة الثالثة وهي نتيجة للظاهرة الثانية وتتمثل في اشاعة الثقافة الاستعمارية والقوانين الاجنبية وخنق كل محاولة جدية لنشر الثقافة الاسلامية ، بل ومقاومة الحركات التحريرية المبنية على الفكرة الاسلامية بكل شراسة وقساوة ، وان اعداء الاسلام لا يخشون بناء جامعه او تاسيس مصنع او تغيير وزارة بمقدار ما يخشون بناء أمة وتاسيس عقيدة وتغيير نفوس ، ولذا فان الثقافة الاستعمارية تعمل على خلق توجيه خاص يتيح بقاء فعليا للاستعمار واستمرار البلاد في التخلف والتبعية الروحية والفكرية ، وانشغالها بامور جزئية ومشاريع تانوية ، وصرف هممها على الالتفات الى منبع القوة ومفتاح المشاكل .

الظاهرة الرابعة ان مشاكل هــذا العالم تتزايــد باستمرار وبشكل مخيف ، وتتعقد كلما طال بها الزمن ولم تعد ((القيادة)) ، عموما ، قادرة على ايجاد الحلول لان الحل غالبا ما يكون ناشئا عن تقريرات ودراسات فنية لا تمس جوهر المشكل ، لان العقلية التي ابدعته لا تتصل نفسيا واجتماعيا وحضاريــا بمحيط المشكــل

والظاهرة الخامسة شيوع الاضطرابات والانقلابــات على الاوضاع وسيطرة القلق النفسي على الشباب ، مما جعلهم هدفا لافكار غريبة ومثل مختلفة منها المستورد ومنها المصنوع محليا ، وقد ساعدت الاوضاع الثقافية على تعميق هذا القلق ، وتنشيط ذاك الاضطراب .

الظاهرة السادسة : خمود جــذوة الحمــاس في الشعوب الاسلامية لما اصبحت تضمره من سوء الظن نحو قياداتها الثقافية والسياسية التي عملت على انهاك هذا الحماس واستهلاكه دون ان تربطه بفكرة خالــدة تلهبه دائما ، وتمده بالقوة والاصرار .

وقد تحول سوء الظن الى نوع من الحقد والسخــط والاستهتار احيانا مما زاد في الهوة عمقا واتساعا بيــن ما يسمى بالقاعدة والقيادة .

والظاهرة السابعة وجود فراغ عقائدي مخيف يدفع بهذا الذي يطلق عليه العالم الاسلامي الى الابتعاد شيئا فشيئا عن الفكرة الاسلامية واعتبارها فكرة تاريخيــة انتهى دورها من مسرح التاريخ ، اذ لم تعــد صالحة لعالم الذرة والصاروخ ، ومن ثم فان الافكار الراسمالية والماركسية اصبح لها دورها الفعالفي مخيلة الاجيــال الحالية ، وان كانت الافكار الاشتراكية اكثر جاذبية ولمعانا من غيرها .

وهكذا ينتقل العالم الاسلامي فيقلقمستمر منتجربة الى اخرى ومن دواء الى آخر دون ان يعثر على حقيقة الدواء الناجع ، لانه لم يعثر بعد على حقيقة المرضالذي اصابه ، وهكذا سلخ قرنا من عمره دون ان يتخلصمن التخلف والسيطرة والتبعية الثقافية ، لانه لم يلتفت الى مفتاح مشكلته والى سر دوائه : الى نفسه فيغيرها والى روحه فيطهرها على اساس من الفكرة الاسلامية التي من طبيعتها ان تقضي على جميـــع الامــراض والمشاكل لانها رسالة حضارية ، ولو نحناتخذناها نقطة انطلاقنا لكان للعالم الاسلامي كيان غير هذا الكيان ، ولحقق اضعاف أضعاف الانتصارات التي تحققت لــه بانطلاقتــه الاولــى .

وان الاعتراف بفشل الانطلاقة الاولى لا يعني قدحا او تجريحا ، وانما يعني قبل كل شيء محاولة مخلصة لتصحيح الانطلاقة بكل موضوعية وبدون عقد ، وان كل محاولة للاستمرار في خط السير الاول ــ ان كان ثمة خط ــ انما هو تضليل لهذا العالم الاسلامي عن حقيقة مشكلته وابعاد له عن دوره الطبيعي في القيــام برسالته الانسانية في هذا العالم المضطرب :

ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها .

تطوان : عبد السلام الهراس

الانطلاقة المنحرفة

للأستاذ : عبد السلام الهراس

(ان اعداء الاسلام لا يخشون بناء جامعة او تاسيس مصنع او تغيير وزارة بمقدار ما يخشون بناء أمة وتاسيس عقيدة وتغيير نفوس)

مر على العالم الاسلامي حين من الدهر طويلا ، كان يعاني خلاله امراض التخلف الحضاري واشتدت به تلك الامراض ، ودفعته بعنف نحو الانهيار والقهقرى ، ولكنه مع ذلك لم يحس بالالم ولم يشعر بالحاجة الى تغيير اوضاعه ، وقد كان لهجوم الاستعمار على بلاده ، وتدهور الخلافة العثمانية ، اثر كبير فى يقظته من كابوس الغرور والاستسلام للاحلام ، وشعوره بالاخطار المحدقة به ، وقد حاول المصلح محمد بن عبد الوهاب، ان يقوم بتجربة اصلاحية بالجزيرة العربية فاحيط بها من كل جانب ، ولم تستطع تأسيس الدولة التي كان يريد ، كما اطلقها جمال الدين الافغاني صيحة جدية ، عبر هذا العالم النائم ، وقام بنشاط جبار لاسماع الاذان اصوات الخطر ، فاستيقظ اناس مستجيبين للصيحة ، فتكونت قيادة جديدة لتجارب فى واجهتين ، الفساد الداخلي المتمثل فى المتئامرين على مصالح الامة، والاستعمار الخارجي ، ولكن هذه القيادة لم تكن فكرتها مبنية على ايديولوجية تستهدف تكوين امة متحضرة ذات رسالة ، وانما غلب على تلك القيادة النزعة السياسية ، وذلك نفسره مبدئيا بعاملين :

1) العامل الاول : ان الضرورة الملحة كانت تقتضي مكافحة الاستعمار ومقاومته ، لانه اصبح خطرا واقعا فى بعض البلاد الاسلامية ، ومهددا للبعض الاخر ، وهذه الظروف فرضت على البعض القيام بالعمل المسلح وعلى الاخرين بالعمل السياسي ، او على حد تعبير احد السياسيين : ان السياسة هي الوسيلة التي بقيت لدينا بعد فشل السلاح ، وهكذا تأسست احزاب سياسية ، منها المتطرف ، ومنها المعتدل ، ومنها المتعاون، ووضعت شعارات للشعوب الاسلامية ، كالجلاء ، والاستقلال ، والحرية ، والبرلمان ، والوطنية ، وتجمعت حول هذه الشعارات عواطف الشعوب المغلوبة على امرها ، تستجمع قواها ، وتتحمس لتحقيق تلك الشعارات ، فى جو من الاخلاص ونكران الذات ، وقد بين الواقع ان تلك الشعارات كانت غامضة . تحتمل تفسيرات (معينة) وان كانت الشعوب الاسلامية قد فهمتها فهما متطرفا متصلا بالعقيدة التي تحملها .

2) العامل الثاني : ما يسميه استاذنا الجليل مالك ابن نبي بالنزعة الى السهولة ، فبدلا من التغيير الجذري للنفس الذي هو اساس الحضارة ، نرى اصحاب النزعة الى السهولة ، يلجأون الى نوع من التعويض ، كالخطب الرنانة ، والمظاهر التي الفها العالم الاسلامي منذ قرن من الزمن ، فلم تغير ما به ، وان التغيير النفسي لاعظم واجل من الجهاد بالسيف والسخاء بالدم ، ولذلك كان مفهوم الاسلام : الجهاد الاكبر .

وقد حققت النزعة السياسية للعالم الاسلامي بعض الشعارات على النحو الذي فهم هنا وهناك ، كما انشات له مدارس وجامعات ونشاطا فى الميدان الصحافي والفكري ، والفني ، ولكن مع ذلك ، فقد اصبحت ترفرف على هذا العالم الاسلامي اعلام مختلفة الالوان ، اعطت للمأساة مظهرا آخر ، لا يقل خطورة عن المظهر الاول ، فقد تعددت الاتجاهات واختلفت الاهواء ، وتناكرت اشد ما يكون التناكر ، واصبحت كل دولة

من ان الانسان محسوبة عليه اعماله ، مسؤول عن سلوكه — يقرر ان العدالة الاسلامية ترقبه ، فتحاسبه الشريعة في الحياة الدنيا عن سلوكه ما استطاعت وسائل البشر ان تمكنها من محاسبته ، وتستعين بضمير المسلم — الذي ينبهه الى واجبه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء — ان يمكن الشريعة من تحقيق العدل بين الناس ، فلا يكتم الشهادة ، ويقول الحق ولو على نفسه او الوالدين او الاقربين .

فاذا ما عجزت وسائل البشر ، والتوت مسالك تطبيق هذه العدالة ، وخفيت المعالم ، او اخفيت ، عن اعين الناس . تولى احقاق الحق واقرار العدل ، من لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء ، فتم العدل الاسلامي في اكمل صوره .

أمـا الزكـاة :

فقد تولى الاسلام — بصورة دائمة — توجيه الحياة الانسانية الوجهة التي يراها تكفل الحياة السعيدة الكريمة للانسان ، في دينه وفي دنياه معا ، يوجهه في معتقده ، وقد اريناك هدى الاسلام في عقيدة المسلم ويوجهه في اعماله الدينية الاخرى ، سواء منها التي يتصل الانسان فيها بربه ، ام التي نصله بالانسان اخيه .

وعناية الاسلام بحياة الناس ، وصلته بها وبتوجيهها ، تتطلب ان تكون له مبادىء ثابتة واضحة يسير الناس عليها ويحتكمون اليها عند ما تحوجهم الحاجة الى ذلك ، فكانت شريعة الاسلام استجابة لما تطلبته العناية ، وتمثلت هذه الشريعة في القرآن الكريم ، يرسم خطوطها الكبرى ، وفي افعال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، توقف المؤمنين على كيفية تطبيقها، وفي افواله التي تمثلها الحديث النبوي ، تفصل المجمل ، وتوضح المبهم ، وتبين الغامض .

والقرآن الكريم قد كرر الحديث في تبيين منزلة الانسان في هذا الكون (✱) ، فهو خليفة الله في الارض (✱) ، خلقه ليعمرها (✱) ، والمكونات بما فيها من مختلف العوالم ، انما خلقت لهذا الانسان ليتصرف فيها ، وينتفع بجميع ما يمكنه الانتفاع به من خيراتها (✱) .

وهذا الحديث — مهما اختلف الصوغ فيه — يرمي الى الابانة عن كرامة الانسان والاشادة بمنزلتها في التعاليم الاسلامية وسمو مكانته فيها ، فهو رفيع المنزلة في حديث الاسلام عما يجب ان يعتقده الانسان وكيف يجب ، وهو كريم معزز عند الحديث عما يجب عليه ان يعمله .

وكرامة الانسان ومنزلته السامية هذه ، لا يختص بها — في الاسلام — انسان دون انسان ، بل هي حق له كانسان من غير ان تدخل في الاعتبار تلك العوارض التي تلحقه من مال وجاه ولون ونسب ، وغيرها ، فاذا ما فضل انسان آخر ، وتفاوتت المنازل وتباعدت الدرجات والمراتب ، فان ذلك يرجع الى ما يقدمه الانسان لربه ، ولاخيه الانسان من اعمال الخير ، والى حظ كل انسان من التشبث بمبادىء الاسلام وتمثله لها .

وحق الانسان في هذه الكرامة محتاج الى قاعدة تحميه من الطغيان والاعتداء ، وهنا نفهم المركز الاسمى الذي يشغله « العدل » في الاسلام ، فهو الذي يعطي كل انسان حقه في الحياة الكريمة التي تليق به ، ويحمي هذا الحق من ان يطغى عليه طاغ او يستبد به مستبد .

والاسلام — في تقديره الواقعي للانسان — لم يجد في اختلاف درجات بني الانسان في ارزاقهم واموالهم وممتلكاتهم (✱) مخالفة لسنن الكون ، فالانسان ، في عرف واقع الحياة ، ليس له الا ثمرات سعيه ، وهو سعي تختلف نتائجه باختلاف القدر والمواهب والكد .

ومن هنا كان من مسلمات مبادىء العدل ، في تعاليمه : ان يحمي مال المسلم مثلما يحمي عرضه ودمه (✱) ، فمال المسلم — في تشريع الاسلام — في حمى من ان تمتد اليه ، بغير حق ، يد لا تملكه ، ولكن هذه الحماية — في هذا التشريع ايضا — يجب ان لا تمس كرامة المسلم الفقير ، ويجب ان لا تنتهي بالاثرياء الى الطغيان واستعباد الناس .

(✱) سورة الانبياء 47 .
(✱) سورة الاسراء 70 .
(✱) سورة البقرة 30 ، الانعام 165 ، فاطر 29 .
(✱) سورة هود 61 .
(✱) سورة ابراهيم 32 — 33 ، النحل 12 ، 14 ، الحج 65 لقمان 20 ، الجاثية 12 ، 13 ، سورة ص 36 .
(✱) سورة النحل 71 . آل عمران 37 . النور 38 . البقرة 212 . الاسراء 30 . القصص 82 . العنكبوت 37 ، 62 . سبأ 36 . الزمر 52 .
(✱) سورة الحجرات 12 ، صحيح مسلم 1 — 58 .

حياة الإسلام في قواعده الخمس

للأستاذ: محمد بن تاويت الطنجي

- 2 -

أما الصلاة :

فالعبادات في الاسلام ، لها ــ فوق انها حقوق الله ، وعبادات يتقرب بها المسلم الى الله ــ معان ذات اثر بعيد في الحياة الدنيا للمتعبدين .

ومن هنا جاءت عناية الاسلام بهذه المعاني ، يبرزها ، ويوجه اليها انظار المسلمين ليعقلوها ، ويفهموا اهدافها ومراميها ، واتخذ من القيام بهذه العبادات وتطبيقها ، وتكرار بعضها مرات في اليوم بليلته ــ وسيلة لربطها بمعانيها وبروحها وبأهدافها ، ولتثبيتها في عقول المسلمين وقلوبهم ، بحيث يصبح سلوكهم ، تجاه ربهم وتجاه الناس ، جاريا وفق مقتضياتها ، وحسب توجيهاتها .

وهذه المعاني يعود نفعها الى المسلم في حياته الدنيا هذه ، فضلا عما يجنيه من ثمراتها ــ كعبادات ــ يثيبه الله مالك يوم الدين على القيام بها يوم الجزاء في الحياة الاخرى .

والصلاة ، اول الواجبات الدينية التي فرضها الله على المسلمين ــ بعد الايمان ، اصدق ما يقال في الترجمة عنها : انها صلة بين العبد وربه ، ودين الاسلام ، حين فرض على كل مسلم ومسلمة اوامنها خمس مرات في كل يوم وليلة (✶)، وفصل ما بين الصلاة والصلاة منها بمدة ، قصد بتكرارها ، وبتقسيمها على اليوم والليلة ــ ان تكون هذه الصلة دائمة ، وان يقف المسلم بين يدي الله بين الحين والحين في كل صلاة من صلواته يجددها ، ويشهد الله ، وهو يعلم سره ونجواه ، على انه وفي لعهده (✶) ويستعينه على اداء الامانة التي حملها ، ويستهديه الى الصراط المستقيم .

والمصلي ، اثناء وقوفه بين يدي الله ، ينصرف عن شؤون دنياه الى ما هو اكبر من امور حياته ومن دنياه ، وهنا نقف على حكمة الاسلام في اختياره لكلمة « الله اكبر » مفتتحا للصلاة، وللنداء للصلاة عند الاذان .

ينصرف عن حياته ومهامها ، الى لحظات قدسية يقفها امام ربه ، ويتأهب لها بطهارة بدنه وثوبه ، فيستقبل ــ عند ما يستقبل القبلة ــ وجه ربه (✶) ، ويأخذ في مناجاته (✶) متأدبا ، في كل ذلك ، بهدي الاسلام ، فيما فرضه عليه في صلاته من قرآن يقرأه ، وفيما علمه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من تشهد ودعاء يدعو به ، فيعرض على ربه روحه وقلبه وعقله ، وكل جزء مدرك فيه ، يرجو لها الهداية الى الصراط المستقيم ، فيما تعقل وتفهم وتدرك وتتذوق ، ولحواسه وجوارحه ان يكون ما تحسه وما تعمله في دائرة هذه الهداية .

ويعرض على ربه ايضا لب دين الاسلام وخلاصته ، من ايمان بالله ، وبنبوة رسول الله ، وتصديق بما جاء به عن الله، وايمان باليوم الآخر . والله الكريم جل جلاله من جانبه « لا يزال مقبلا على العبد وهو في صلاته (✶) » .

والايمان باليوم الآخر ، وما اليه من محاسبة على الاعمال، والدقة البالغة التي يفيدها ان الله الذي يحيط علمه بالجليل والدقيق من اعمال الناس ، هو مالك يوم الدين الحاكم بين الناس الذي يفصل بينهم يوم القيامة ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (✶) ، « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة اتينا بها وكفى بنا حاسبين » (✶) .

نقول : هذا الايمان باليوم الآخر ، الذي يكرر المصلي الاعتراف به في كل صلاة ــ فوق انه يؤكد ما قرره الاسلام

(✶) سنن ابي داود 1 ــ 102 .
(✶) سنن ابي داود 1 ــ 112 .
(✶) سنن ابي داود 1 ــ 112 .
(✶) شرح الزرقاني على الموطأ 1 ــ 167 .
(✶) سنن ابي داود 1 ــ 209 ، مسند احمد 4 ــ 202 .
(✶) سورة الزلزلة 7 ــ 8 .

المعنى الذي يشير اليه الحديث : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به » (✶) .

فمن ، غير الله عالم السر والنجوى ، يدرك حقيقة الامر في الصيام ؟

والناحيــة الثانيــة :

ان آيتين من كتاب الله هما :
« انا انزلناه في ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلــة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر » (✶) .
و « شهر رمضان الذي انزل فيــه القرآن هدى للنــاس وبينات من الهدى والفرقان » (✶) .

وحديثا من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو :

سأل ابو قتادة رسول الله فقال : « أرأيت صوم يــوم الاثنين ويوم الخميس ؟ قال : فيه ولــدت ، وفيه انــزل علي القرآن » (✶) .

تشير ــ كلها ــ الى ان الاسلام حريص على تخليد ايامه الكبرى ، فالقرآن حبل الله المتين ، وعروته الوثقى ، ونعمتــه الباقية ، ومصدر الهداية الى السبيل الاقــوم في شــؤون الدين والدنيا ــ هذا القرآن ، وهذه تعاليمه السامية ، وهذا شأنــه الرفيع ، واثره البعيد في حياة الانسانية ــ نزل على رسول الله اول ما نزل في ليلة القدر من شهر رمضان ، وهو حدث جديــر بان يخلد الاسلام ذكراه ، وان يجددها شهرا كاملا من كل عام، فيحفظ عليها حيويتها واشراقها في قلب كل مسلم ، ويحميها ان يلحقها الذبول ، او يضعف من نورها طول السنين .

ومن هنا ارتبطت فريضة الصيام بشهر رمضان الذي اختير لبدء رسالة الاسلام ، فكانت هذه الفريضة احيــاء سنويا لذكرى بــدء النـــور .

وأمــا الحـــج :

ففي السنة التاسعة من الهجرة النبويــة الكريمــة فرضــت عبادة الحج ، فكان خاتمة الاركان الخمسة التي يقوم عليها بناء الاسلام ، وكان آخر ما فرض على المسلمين من هذه القواعد .
وقد حدد لأدائه زمان ومكان لا يتعداهما : الزمان شهر ذي الحجة ، والمكان جبل عرفة والبيت الحرام .

وقبل ان يلحق الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بالرفيق الاعلى بنحو من ثمانين يوما حج حجته الخالدة التي عرفت في تاريخ الاسلام بحجة الوداع وفيها ــ عند وقوفــه عليه الســلام بجبل عرفة ــ نزل قول الله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (✶) .

فكان لبنة اخيرة تم بها بناء صرح الاسلام ، وكانت ايذانا بختم الرسالة ونهاية المطاف .

في اثناء حجة يودع فيها رسول الاسلام العظيم امة الاسلام بعد ان جاهد في سبيل هدايتها وسعادتها .

وفي جبل عرفة وقريبا من البيت الحرام حيث ولد الاسلام وترعرع ونما ، وحيث ولد رسول الاسلام وشب واكتهل، وأدى رسالة الله في صبر وعزيمة وايمان كانت مثلا عالية في تاريخ الجهاد في سبيل العقيدة .

هناك ، في زمن عز وجود مثله بين الازمان ، وفي مكان شهد من الاحداث ما يفخر به على كل مكان ، كانت خاتمـــة البنــــاء .

ما اجدر هذا الزمان بخلود الذكرى ! وهذا المكان الذي شهد هذا النور بالزيارة ، وان تشد اليه الرحال !

للمسلم ان يصلي اينما كان ، وله ان يصوم حيثما حــل عليه شهر الصيام ، وله كذلك ان يزكي ما له حيث وجد ، ولكن على المسلم ان يؤم ، مــرة واحدة في عمــره ، البلاد المقدســة ليشاهدها فيرى فيها مشرق النور ، ويقف ، في اجلال وخشوع، امام من بلغه عن الله عز وجل هذا النور .

تلك حكمة من حكم الله في فرض « الحج » وربط هذه العبادة بتلك البقاع ، وتخصيصها بشهر ذي الحجة من كل عام .

جزى الله عنا نبينا محمدا افضل ما هو اهلــه ، وهدانا للتي هي اقوم .

محمد بن تاويت الطنجي

✶) صحيــح البخــاري 3 ــ 26 .
✶) سورة القدر 1 ــ 4 .
✶) سورة البقرة 184 ــ 185 .
✶) سنن ابي داود 1 ــ 565 .
✶) سورة المائــدة 3 .

وبناء مجتمع اسلامي على دعائم ثابتة ، يسوده الاخاء والتعاون على البناء واعمال الخير (✱) ، وخدمة الصالح العام — من اهم الاهداف التي يقصد الاسلام الى تحقيقها ، وفي سبيل ان يتم له هذا البناء وفي سبيل ان يحميه من الانهيار ، ساغ له ان يتدخل في اموال المسلمين وممتلكاتهم ، فهداهم الى صراط الله المستقيم فيها،ونبههم الى حق اخوانهم الضعفاء والفقراء والمساكين في اموالهم (✱) ، ففرض الزكاة ، واوجب على المسلم الغني ان يخرج في كل سنة جزءا من ماله لاخيه الضعيف المحتاج ، وهكذا حمى كرامة المسلم الفقير من طغيان صاحب المال عليه ، ومن استبداده به .

وبلغ من عناية الاسلام بهذه الكرامة الانسانية ، ان رفع حق الفقير في مال الغني الى درجة العبادة ، فالزكاة هي القاعدة الثالثة من قواعد الاسلام ، (✱) ووضعها في عداد الاسس التي يقوم عليها الاسلام ، يجعلها — فوق انها خدمة اجتماعية — حقا من حقوق الله تتولى الدولة جبايته وتحصيله وحمايته ورعايته ، وتجبر على ادائه من امتنع ، وتحاربه من اجله ان دعت الحال الى محاربته ، كما تتولى — بعد ذلك — ايصاله لمن انبت لها تحريها النزيه انه يستحقه .

فعل دين الاسلام كل هذا صونا لكرامة المسلم المحتاج ان تمتهن ، وحماية لشرفه ان يخدش ، وحفاظا على ماء وجهه ان تذهب به كدوح المسألة اذا ما تولى اخذ حقه من الاغنياء بنفسه .

أما الصيام :

فقد رأينا ، في ايضاح المغزى الذي يحققه الايمان باليوم الآخر ، ان الاسلام يستعين بضمير المسلم في تحقيق العدالة ، حين تعجز الوسائل الظاهرة ، او تلتوي عن تحقيقها .

ونقول هنا : ان هذه الاستعانة جزء من عملية التوجيه الذي يقوم الاسلام به لجوارح الانسان وحواسه ، وقلبه وعقله ، وهي استعانة بأمين صادق ، وحكم عدل ، فاذا ما نبه قلب الانسان وضميره الى طريق الخير ، ودل عليها ، وملأه اليقين، اعان ، وصدق في عونه .

سأل وابصة بن معبد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن البر (والبر ، اسم يجمع انواع الطاعات واعمال القربات)، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « استفت قلبك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب . والاثم ما حاك (✱) في النفس ، وتردد في الصدر (✱) وان افتاك الناس وأفتوك (✱) .

والقرآن عند ما كرر ، وفي صيغات متنوعة : ان « الله بكل شيء عليم » (✱) وانه « يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » (✱) كان بصدد تهيئة قلب المسلم لقبول المثل الاسلامية العليا ، وائتمانه عليها وعلى حمايتها ، وكان الى هذا، بما وصف من علم الله المحيط الشامل ، يحذره عاقبة الانحراف عن هذه المثل .

وفرض على المسلمين صيام شهر رمضان ، والصيام عبادة ، وهي تعني معاني كثيرة سامية تتولى تهذيب الانسان وتصفية روحه ، وتقوية ارادته .

والذي يتصل بموضوعنا من معاني الصيام ناحيتان :

الاولى :

انه امتحان لامانة هذا « الضمير » الذي تولت التعاليم الاسلامية تهيئته وتربيته وتوجيهه ، وسبر لمدى اقتناع قلب المسلم وضميره بهذه التعاليم والتوجيهات التي القيت اليه ، ومحاولة لمعرفة ما اذا كان قد بلغ اليقين بقلبه درجة من القوة بحيث تنبعث عنه الاعمال الخارجية محققة للاهداف التي وجهه اليها الاسلام .

ان قواعد الاسلام ، من اعتقاد وصلاة وحج وزكاة — كلها اعمال ايجابية ، تراها العين ، وتسمعها الاذن عند القيام القولي او الفعلي بها ، اما الصيام فهو امتناع عن الاكل والشرب من من الفجر الى الغروب ، هو عمل سلبي ، هو كف عن العمل وليس عملا يرى او يسمع ، وبهذا اصبح تركه والخيانة فيه — في غفلة عن اعين الناس — ميسرا سهلا ، فاذا ما اداه المسلم وحفظ فيه الامانة ، كان معنى ذلك ان هذا الضمير قد اصبح حارسا امينا على تعاليم الاسلام ، ومن هنا يمكننا ان ندرك

(✱) سورة المائدة 2 ، صحيح مسلم 1 — 49 .
(✱) سورة الذاريات 19 ، المعارج 24 ، التوبة 103 ، النساء 34
(✱) صحيح مسلم 3 — 94 . فتح القدير 6 — 450 .
(✱) لم تنشرح له النفس .
(✱) لم يستقر بل ظل مترددا مضطربا .
(✱) الاربعين النووية ، شرح السعد 80 ، والفتح المبين لابن حجر الهيتمي 190 .
(✱) سورة البقرة 29 ، 231 .
(✱) سورة غافر 19 .

ساعة هزيمة الجيش الروماني فانسحب تاركا من ورائه عددا من الاسرى وكميات من الغنائم ، فلما بلغ الخليفة عمر هذا النصر ، الذي لم يكن فى الحسبان يرجع الفضل فيه لخالد الذي تمكن من جلب العدو لبطاح الشام وسهوله حيث يفسح المجال للخيل كتب من حينه ، الى ابي عبيدة بان يولي الجيش وجهه شطر بيت المقدس بدلا من حلب واقليمها كما كان تقرر فى اول الامر فزحف الجيش الى ناحية بيت القدس وكان اول الواصلين (خالد) على راس الخيالة ومن ورائه ابو عبيدة على راس المشاة معظم الجيش وسرعان ما طوت المدينة خالد من جهة الشمال وابو عبيدة من جهة الجنوب واستمر القتال طيلة اربعة اشهر ، المسلمون يبذلون ما فى طاقتهم لاجل احتلال المدينة والدخول اليها والمسيحيون هم كذلك مستميتون فى الدفاع على قبر المسيح بتحريض من بطريقهم (صفرونيوس) صابرين فى المأزق الذي اصبحوا فيه بعد ان تم تطويق المدينة وضرب الحصار عليها امام شدة وطأة العدو واليأس من النجدة لم يسع (صفرونيوس) الا النزول على حكم الواقع والرضى بالاستسلام لكن على شرط اشترطه وهو ان بيت القدس بلاد الانبياء لا تبرأ ذمته وضميره الا بتسليمها لنبي ، وبما ان نبيكم وجده الحال انتقل الى الملا الاعلى فان مفاتح المدينة لا تدفع الا لخليفة نبيكم لا الى عسكريين . وبعد ان استشار مع الاساقفة اتفق الجميع على ان تكون المخابرة فى امر الاستسلام مع ابي عبيدة لا مع خالد ، لانه انسان عسكري تغلب فيه القساوة والصرامة فاجابهم ابو عبيدة الى طلبهم وطير الاعلام بذلك الى عمر ، ذلك الخليفة الذي انشأ مدينة البصرة على الخليج الفارسي وهزم الرومان فى سهول الشام فلبى الدعوة من حينه وخرج على راحلته من المدينة بدون حامية تخفره ولا اصحاب ولا رفيقا واحدا وبعد ان وقع على المعاهدة فتحت له ابواب المدينة فدخلها فى رفقة البعض من قواد جيشه ، وعليه معطف من وبر الابل فطلب بادىء ذي بدء الدخول الى هيكل سليمان ليحوله مسجدا لدينه الجديد فلما وصل الى كنيسة القيامة جلس فى وسطها والبطرس (صفرو نيوس) يحرق الارم ويردد الحسرات على هذا المشهد ولم يتمالك ان همس باللغة اليونانية لاصحابه هذه هي النكبة العظمى والفاجعة الكبرى التي ذكرتها احبار النبي (دانيال) ثم ان عمر شعر بقرب وقت الصلاة ، وهو لا يزال داخل الكنيسة فاستشار الرهبان ليشيروا عليه بالمكان الذي يمكنه ان يؤدي فيه هذه الفريضة فاشار عليه (صفرونيوس) بان يصلي حيث هو داخل الكنيسة فاجابه عمر بهذا الجواب : (ان كنت امتنعت من الصلاة فى كنيسة مسيحية فذلك فى صالحكم لاني ان صليت هنا ما كان اسرع المسلمين للاستيلاء على هذا المعبد ولا من يقدر ان يمنعهم من الصلاة فى محل صلى فيه خليفة نبيهم) . ثم ولى وجهه الى وجهة مكة وكبر وكبر قواده وكل من وجدهم الحال معه ، وبعد السلام سأل البطريق ان يدله على محل يبني فيه مسجدا يؤدي فيه المسلمون واجباتهم الدينية من غير تشويش على المسيحيين ، وبدون مزاحمة لهم ، فدله البطريق على المحل الذي رأى فيه يعقوب رؤياه المشهورة، وكانت فيه صخرة يعرف بها فضرب عمر الضربة الاولى بالفاس ليقتدي به من انتدبهم لهذا العمل ثم طلب الدخول لكنيسة بيت لحم وفيها انعم على النصارى تلبية لالتماس تقدم به البطريق بامتياز قل ان يجود به غيره من المحاربين يقضي هذا الامتياز بالتحجير على المسلمين ان لا يصلوا فى المكان الا فرادى لا جماعة وكتب بهذا عهد امضاه الخليفة بخط يده ، وهنا تم فتح بيت المقدس احدى القبلتين، نقلا بالترجمة من تاريخ ديفرجي المشار اليه فى فاتحة هذا المقال .

هذا التسامح الذي ظهر على يد عمر وهو الذي لا تلين له قناة فى الدين وهذه الروح الشريفة التي اوحت اليه بتلك المنقبة الخالدة هي التي اذابت الثلوج المتجمدة بيننا وبين القوم وايقظت ظمائرهم ، الى ان فى العدوة التي تقابلهم اناسا كذلك لهم دستور جدير بالاحترام ومزيد التقدير ، وفعلا بمثل الشهامة والرحمة التي عامل بها امثال عمر اعداء هم فى المواقف التي يرويها التاريخ الى أن اصبحت ترى كثيرا من مشاهير مفكري الاوربيين يشيدون بمحاسن الاسلام وشرف مقدساته من بينهم على سبيل التمثيل الكاتب الانجليزي (روبرصوه) فى كتابه تاريخ (شارلوكان) والمؤرخ اوريان فى كتاب (تسامح الاسلام) (كوسطاف لوبون) المعروف فى الاوساط الاسلامية والبطريق (ميشو) فى كتابه : (جولة فى الشرق) والى حضرات القراء فقرة جاءت فى هذا الكتاب : (مما يؤسف له فى حق الدول المسيحية ان التسامح الديني الذي هو قانون التراحم العام بين الامم علمه لهم المسلمون) .

ويقول ربرصوه من جهته : (المسلمون هم وحدهم الامة التي جمعت بين نشر دعوتهم بالسيف مع السماح لمن لم يدخل فى دينهم ان يبقى على دينه وعوائده) .

لما دخل عمر بيت القدس لم يمس مسيحيا بسوء ولما دخلها الصليبيون امعنوا فى قتل المسلمين واحرقوا اليهود ، وفى تعليقه على ترجمة قوله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من آمن منهم

فتح بيت المقدس وتسامح عمر

للأستاذ : أبي العباس أحمد التيجاني

وعدت قراء المجلة فى عدد الشهر المتصل بالكتابة فى قضية فتح بيت المقدس احدى الجواهر التي ازدان بها عقد الفتوحات الاسلامية .

طبعا القضية تناولتها اقلام المؤرخين والاخباريين من المسلمين بما تقتضيه وضعيتها ومنزلتها فى المقدسات الاسلامية ، وعليه فان الباعث لي على الكتابة انما هو عرض المسألة على ما هي عليه عند الاوربيين زيادة فى ثروة مجتمعنا الاسلامي وبالاخص جيل اليوم الجامع بين الثقافتين الاسلامية والغربية ، ولمزيد النفع ، واثبات صحة ما اكتب ، اعلم القراء بان سائر الحوادث التي اذكرها مصدرها كتاب (دي فرجي) احد اعضاء الجمعية الاسيوية التي تعنى بدراسة تاريخ الامم فيما يرجع لدياناتهم واخلاقهم وعوائدهم سمى كتابه هذا تاريخ الجزيرة ، طبع الاخوة (فرمان ديدو) اصحاب مطابع الجامعات .

بعد هذا التمهيد اقول : بعد ان تم للمسلمين فتح الجزيرة وتقاربت الديار من ديار الامبراطورية الرومانية قرب الديار الشامية ، اخذت المناوشات يتطاير شررها من حين لاخر ، خصوصا ، والدولة الرومانية ما كانت تجهل ظهور الدين الجديد ، فى الجزيرة ، الامر الذي أقض مضجعها ، خصوصا ومعظم رعاياها فى هذا القسم ، من امبراطوريتها ، أغلبهم مسيحيون ، يضاف الى ذلك عشائر اليهود المجاورين لهم ، فالصدمة بين الديانات الثلاث اصبح امرا متوقعا ليل نهار ، وفعلا اخذت المناوشات تتكرر وتتسع دوائرها فى شبه الدوائر فى الماء اذا القيت فيه حجرا الى ان صارت دائرة واحدة ، اعني حربا عوانا اصبحت فيها العرب والروم وجها لوجه الركاب يحك الركاب من جهة العرب خالد بن الوليد وابو عبيدة على راس الحملة الاسلامية ومن جهة الروم ابن هرقل خليفة قيصر رومة فى تلك الديار على راس جيش اجتمعت فيه الحامية الرومانية واليونان وحلفاؤهم من عرب غسان المتنصرة تحت قيادة جبلة ابن الايهم يبلغ عددهم على ما رواه المؤلف ما يقرب من مائتي الف مقاتل ، بينما كان عدد المسلمين لا يتجاوز الثلاثين الفا فدارت رحى الحرب سجالا بين الفريقين وبعد ثلاث كرات واشتباكات ملتهبة حمية وحماسا من الطرفين) هؤلاء تدفعهم الغيرة على دينهم الجديد ، واولئك يدفعهم واجب الدفاع عن حرمة المسيحية وحرمة الامبراطورية . ولما رأى خالد عدد العدو يتكاثر من القبائل المجاورة اشار الى ابي عبيدة بالتزام خطة التراجع الى الوراء اما لانه خشي ان يحاط به ، واما لمكيدة اوحت بها الظروف وراءها ما وراءها تراجع اغرى العدو الى شن حملة تزيد فى نظره فى توهين عزائم المسلمين ، وعهد بهذه الحملة للقائد اليوناني فاندفع هذا الاخير بجيشه مقتحما للنهر الفاصل بينه وبين العدو باشارة من احد من ذويه ، اكد لهم انه سهل العبور فكان هذا التهور نكبة لقي فيها عدد كبير حتفهم وزاد فى رعب المهاجمين ما ابصروه من طلائع العرب برزت من سفح جبل فاشتبكت طلائع العرب مع مؤخر الجيش الروماني وحمي الوطيس حتى ان خالدا انكسر سيفه نصفه فى مبارزة مع قائد الجيش اليوناني فنزل من على فرسه واحتضن الخصم بين ساعديه وقتله خنقا (بالحرق) وتبع النكبة التي حلت بالجيش اليوناني ما زاد فى خطورة الموقف وذلك ان جبلة ابن الايهم لما شاهد ما شاهد من ثبات العرب وشهامتهم الحق بهم واسلم هو وقواده والقبائل التي تحت حكمه الامر الذي فت فى عضد الجيش الروماني لان عرب غسان كانوا الركن الذي عليه المعول لكونهم من جنس العدو فهم لذلك من اعلم الناس بدهائهم ومكائدهم فى الحرب ، وهنا دقت

مناقشات

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 3 -

قبل ان ابدأ هذه الحلقة اريد ان اجيب عن اعتراض تقدم به الي مشافهة نفر من طلبة الجامعة . وينحصر انتقادهم في امرين : احدهما ما قرأوه في المقال الاول من الكلمات الجافية الحسنة الموجهة الى المدعو ريني الحبشي . والثاني قالوا كيف نحتج بالقرآن والحديث على خصمك ، وهو لا يؤمن بهما ، فأجبتهما عن الاول بأن الجفاء والشتم والبذاء كانت ابتداء من الحبشي ، ولم تكن موجهة الي ، ولا الى ابي ، ولا الى شخص احترمه ، بل كانت موجهة الى خالق السموات والارض الذي اعبده ويعبده جميع المؤمنين به فلو ان شاتما شتمني فأجبته بشتم مثل شتمه لرأيتم انني معذور ولم تعيبوا علي ، بل كنتم تلومونه لابتدائه بالظلم والشتم . وهكذا ، لو شتم شخصا محترما عند قومه فعوقب على ذلك بعقاب شديد كالسجن والقتل لقلتم انه يستحق ذلك ، فهل ذلك الشخص في نظركم اعظم من الاله ، ام تريدون ان اغضب لنفسي ولقومي ولرؤسائهم ، حتى اذا جاء شخص دسه اعداء قومنا ودينا واغروه بشتم الاعمـال واهانة مقدساتنا ، حينئذ نعفو ونصفح ، هذا شأن المنافقين الذين لا مبدأ لهم ولا ايمان . واما ايراد الآيات والاحاديث ، فلم اوردها للاحتجاج بها عليه ، وانما اوردتها تحديا له ان يجد فيها مطعنا ، على ان القرآن لا يفرض على الناس ان يؤمنوا بلا دليل ولا برهان ، وانما امرهم بالنظر في البراهين التي عرضها وبسطها بأسلوب بليغ ، لا ينظر فيه ناظر عاقل منصف الا كان مضطرا للايمان والتصديق .

« من اين سرق الحبشي ذلك الرأي السخيف ؟؟ »

بعد ما كتبت ما تقدم وجدت النص الذي سرقه الحبشي وتظاهر بانه رأيه الخاص الذي وصل اليه بتفكيره العبقري ، واراد ان يقدمه هدية للتربية العربية تبرعا منه دون ان يلتمسه ملتمس او يسأله سائل .

من حسن المصادفة اني بعد ما فرغت من كتابة الحلقة الثانية ، وذكرت فيها تأليف جوليـان هكسلـي الانكليـزي Julian Huxley الذي اسمـاه Man Stands Alone اي الانسان يقوم وحده .) ورد العالم الامريكي كريسي مورسن Cressy Morrison بكتـابـة الـذي اسمـاه Man Does Not Stand Alone الانسان لا يقوم وحده . ومعنى الاسم الاول ان الانسان مستقل بنفسه لا يحتاج الى الـه يدبر شؤونه . ومعنى الرد عليه ليس الانسان قائما بنفسه ، بل هو محتاج الى خالقه . وقفت على ملخص لكلام هكسلي في مجلة البعث الاسلامي الهندية في الجزء الرابـع والخامـس من السنة التاسعة للدكتور وحيد الدين خان ، بعد ما لخص كـلام المؤلف الانكليزي عاد عليه بالنقض واورد عليه ردا مفحمـا لعالـم امريكـي آخر اسمـه (سيسيـل بيـس هامـن . Cecil Bayce Hamann وسألخص كـلام هكسلـي ليتبين القارىء العربي ان الحبشي سرقه ليتحف به العرب ، ولم يذكر الرد عليه طبعا ، لانه سارق يقصد الهدم والتخريب . وهذا كلام هكسلي مختصرا بعد الترجمة :

ان الديانة لدى مفكري العصر الحديث لا تحمل قيمـة ، بل وانها غريزة الانسان التي تدفعه الى تأويل هذا الكون . ان الداعي الى البحث عن التاويل ليس خطأ في نفسه ، غير ان قلة المعلومات هي التي دعت آباءنا الاولين الى ردود خاطئـة تعبر عن الاله او الديانة ، والانسان الذي عثر على اخطائـه القديمة في كثير من امور الحياة بفضل نهضته العلمية وتقدمـه الثقافي بلغ اليوم الى موقف يستطيع فيه اصلاح اخطائه الفاحشة حول تاويل هذا الكون .

وبناء على هذا النوع من التفكير تصبح الديانة تاويـلا غير حقيقي لحقائق غير ثابتة ، وبما ان الانسان كان محـدود العلم والثقافة قديما لم ينجح في تاويـل الوقائـع والاحداث ، فاضطر الى اختراع فروض خاطئة باسم الدين ، ولكن قانـون التقدم العلمي العام اخرجه اليوم من ظلمات الاوهام الى نـور العلوم الحديثة ، فامكن له في ضوء المعلومات الجديدة ان يطاع

بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول الدكتور بيرون ما يلي : ((سورة القرآن طافحة بثايات التسامح الديني فى معنى هذه الاية الا ان كثيرا من علماء المسلمين حملتهم نشوة انتصارات الاسلام وسرعة انتشاره على ابطال حكم هذه الايات تارة بضروب من التاويل وتارة بادعاء النسخ)) . ذكر المؤلف هذا التعليق على وجه المقابلة بين التسامح الذي جاء به الاسلام والتعصب الذي نقراه فى اسفار المزامير عند بني اسرائيل وما جاء فى معناه عند المسيحيين فى الانجيل الثالث للقديس متى . (نقلا عن كتاب تحليل القرآن لجول لابوم صفحة 425) .

هذا التسامح الذي صدر من عمر هو اصدق واجمل تمثيل للعفو عن قدرة اوحى به خلقه الديني الذي جعله فى تصرفاته ينظر الى اللب لا الى مجرد الالفاظ والاصطلاحات المتواضع عليها ، والى الحكمة المتوخاة من التعاليم الدينية كما ترشد اليه روح القرآن: « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)) — ((ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر ، من آمن بالله ، واليوم الاخر ، الى آخر الاية)) — من هذه الروح استمد الخليفة مقياس اعماله ومعاملاته مع نفسه ومع الناس ، من ذلك ما رواه سالم عن ابيه ان غيلان بن مسلمة طلق زوجاته على عهد عمر وقسم ماله بين بنيه واراد التبتل والانقطاع للعبادة فاستدعاه عمر وقال له اني لا اظن ان الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فنعاه اليك ولعلك لا تمكث الا قليلا وايم الله لتراجعن نساءك ولترجعن فى مالك اولا ورثتهن منك ولامرت بقبرك فيرجم كما رجم قبر ابي رغال)) والامر بخلاف ذلك عندنا اليوم ، الفقيه عندنا قصارا ، ان يقول ((ان العصمة بيد الزوج له ان يطلق متى شاء)) يروي ايضا ان عمر كان فى جماعة من الصحابة فى المسجد ينتظرون الصلاة فالتفت الخليفة الى ابي موسى وقال له : ((اسمعنا شيئا من كلام ربنا)) . فاخذ ابو موسى فى التلاوة الى ان تجاوز الوقت المختار فقال احد الصحابة: ((يا امير المومنين خرج وقت الصلاة)) فكان الجواب من عمر (نحن فيها)) ومن هذا الباب ايضا موقفه رضي الله عنه فى مسألة قطع يد السارق انه لا قطع فى مجاعة .

من امثال هذه المشكاة السلمية شعت الاضواء على الائمة يشهد لذلك ان المذهب المالكي ولا مفهوم للمذهب المالكي يعتبر في القضاء الظروف ومقتضيات الاحوال لا يقتصر على تطبيق النصوص جافة

الرباط : ابو العباس احمد التيجاني

فكان ايضا فاتح القلوب

وفتحت مكة للاسلام	وحل فيها ظافر الاعلام
ورفق الغالب بالمغلوب	فكان ايضا فاتح القلوب
اطلقهم ، ومن بالامان	« فالطلقاء » هم على الزمان

شوقي

البيضة ، انما توقفت على القرن الصغير الذي يحمله الفرخ . اما كسر الفرخ البيضة بقرنه فحلقة متوسطة للواقع ، وليس ذلك سببا له . فان السبب يتضح عند ما نعلم كيفية ظهور القرن على منقار الفرخ . وبعبارة اخرى ، يجب ان نبحث عن السبب الاخير الذي كان يعرف بحاجة الفرخ الى شيء خشن على منقاره للخروج من جوف البيضة . فامر المادة بان يظهر على منقار الفرخ كقرن صغير بتمام 21 يوما ثم يسقط بعد ولادة الفرخ بنفسه . فكأن المسألة تحولت من كسر البيضة الى خلق القرن . والمعلوم انه ليس هنا فرق نوعي في الحالتين كليهما . واكثر ما يسمى ذلك مشاهدة واسعة للحقيقة ، دون ان نسميه تاويل الحقيقة . كان الناس فيما مضى من الزمان ينسبون عمل هضم الغذاء وتحلله في الجسم الى الاله ، ولكن العلم الحديث اثبت ان ذلك نتيجة تأثير كيميائي ، فهل كان ذلك نفيا لوجود الاله ؟ ولي ان اسأل ، ما هي تلك القوة التي اوحت الى الاجزاء الكيميائية ان تبدي مثل هذا التأثير النافع ؟؟ . والغذاء عند ما يدخل المعدة ويمر بمراحل متعددة عن طريق نظام متحرك يبدو جليا ان هذا النظام المدهش الغريب ليس مصادفة من المصادفات ، ولم يأت الى حيز الوجود بنفسه ، والحقيقة ان هذه المشاهدة تحتم الايمان بوجود اله يقوم باملاء ارادته على الخلق بواسطة قوانينه العظيمة التي خلق الحياة من اجلها .

وبذلك نستطيع ان ندرك حقيقة الاكتشافات الحديثة . ومما لا يسعنا انكاره هو ان علم الطبيعة زاد من معلومات الانسان حول الكون ومشاهداته فيه ، انه استطاع ان يقدم له ثبات القوانين الطبيعية التي تحكم الكون وتحركه . واضرب لذلك مثلا وهو ان الانسان في قديم الزمان لم يكن يعرف عن المطر سوى انه ينزل من السماء ، ولكنه عرف الان جميع مراحل المطر التي يمر بها من بخار البحار يصعد الى السماء وينزل الى الارض امطارا ، ولكن هذه الاكتشافات كلها صورة للواقع . وليست تاويل الواقع ، لان علم الطبيعة لا يعلم الانسان عن قوانين الفطرة كيف اصبحت قوانين ، وكيف هي مستمرة في عملها بشكل نافع في السماء والارض ، وبصورة صحيحة يقوم عليها اساس القوانين في علم الطبيعة . والحقيقة ان الطبيعة التي اطلع عليها الانسان فبدأ يدعي انه تمكن من اكتشاف ناوين . مثلا اذا سألت طبيبا عن لون الدم وقلت له ، لم يكون للرد على السؤال الحقيقي ، وتعبير خاطيء عن الحلقة الاخيرة للواقع .

ان الطبيعة لا تؤول الكون ، وانما هي في حاجة الى تاويل . مثلا اذا سألت طبيبا عن لون الدم وقلت له ، لم يكون لون الدم احمر ؟؟ يرد عليك فورا ، ان الدم يحمل كرات صغيرة حمرا ، وهي التي تسبب له لونا احمر . صحيح ، ولكن ما الذي جعل هذه الكرات الصغيرة حمرا ؟؟ . ان هذه الكرات تحمل مادة اسمها (هيموجلوبين Haemoglobin) وعند ما تدفعها نبضات القلب داخل شبكة شعيرات الرئة الهائمة تتصل كل كرة منها بأوكسجين الهواء الجوي وتتحول الى لون احمر قان .

صحيح ، ولكن من اين جاءت هذه الكرات الحمر التي تحمل مادة (هيموجلوبين ؟؟ انها تتكون في الكبد . فهمت قولك ايها الطبيب ، وهو يثير الاستغراب بدون شك ، غير انني لم اتمكن من ان افهم ذلك القانون الذي يجعل الدم والكرات الحمر والكبد الى غير ذلك من اشياء كثيرة مما يحمله جسم الانسان مرتبطا في نظام دقيق لا يتخلف عن وظيفته في حال ما ؟؟ انه قانون الفطرة .

ما ذا تعني بقانون الفطرة ؟؟

ان معناه ، وظيفة القوة الكيميائية والطبعية الخرقاء . ولكن ما الذي يجعل هذه الطاقات الخرقاء تعمل عملها بوجه معلوم على الدوام وتدفعه الى مصير معلوم ، وكيف تنظم نشاطها بطريق يوحي الى طائر ليطير ، وسمك ليسبح ، وانسان ليظهر على مسرح الكون بمواهبه الخاصة وكفاءاته المدهشة ؟؟ . وانزعج الطبيب وقال :

لا تسأل عن هذه الحقائق ، فان عالم الطبيعة انما يخبرك عن شكل الواقع وكيفية وجوده في الكون ، ولكنه لا يستطيع الاخبار عن حقيقة الواقع وعن السبب الذي يدفعه الى حدوثه في ذلك الشكل .

ان هذا الحوار يكشف لنا القناع عن وجه الاكتشافات العلمية ، بالرغم مما اعطانا اياه علم الطبيعة من آلات ومرافق وزاد في معلوماتنا زيادة قيمة ، ولكنها لا تنوب عن (الدين) ولا تغني الانسان عنه في اي حال ، وانما هو في حاجة اليه في كل لمحة من حياته مهما تضخمت هذه الاكتشافات وتكدست العلوم الحديثة وتضاعفت ملايين الاضعاف مما هي عليه الان . وذلك لان هذه الاكتشافات تخبر بالواقع الموجود ، ولكنها لا تجدي علما بالسبب الاخير الذي يبعثه الى الوجود ومصدره الذي ينبع منه .

ان الاكتشافات التي تحملها العلوم الحديثة ، انما هي حلقة متوسطة للواقع والحوادث ، على حين الدين حلقة اخيرة لها . وكل شيء يريد ان يحتل محل الدين يجب ان يكتشف الشرح الاخير والكامل للواقع . واضرب لذلك مثلا :

اذا كانت هناك ماكينة مغطاة بغطاء نعلم عنها انها تتحرك فقط ، ولكن اذا رفعنا الغطاء عن وجهها نرى العجلة التي في خارجها كيف تتحرك بعجلة اخرى في داخلها . ثم تلك العجلة الصغيرة كيف تتحرك بقوة آلات كثيرة في داخلها . وهكذا نستطيع ان نطلع على جميع آلاتها وحركاتها ، ولكن ذلك لا يعني اننا كشفنا السر عن وجودها وصانعها . وهل الاطلاع على عمل ماكينة وآلاتها ، يعني وجدت بنفسها وبدون ان تكون وراءها يد صانعة ؟؟ .

على حقائق الاشياء عن طريق التجربة والمشاهدة بدلا من ان يؤمن بعقائد لا صلة لها بالحقيقة اصلا . ولذلك فان الاشياء التي كانت نتيجة اسباب ما فوق الطبيعة في الزمن القديم اصبحت اليوم حقيقة ملموسة مصدرها الاسباب الطبيعية . وقد اثبت الاسلوب الحديث لدراسة الاشياء ان الايمان بوجود الاله لم يكن اكتشافا حقيقيا ، وانما كان ذلك تخمين العهد الجاهلي الذي قضى عليه نور العلم الحديث .

لقد اثبت (نيوتن) انه ليس هناك اله يحكم دورة الافلاك والكواكب ، كما ان نظرية (لابلاس) تصدق ان النظام الفلكي لا يحتاج الى اله يسيره بانتظام . وقد قام (دارون) و (باسجر) باثبات هذا المبدأ في المجال البيولوجي . ان تقدم علم النفس ، وزيادة المعلومات التاريخية في القرن الحاضر ازاح الاله عن مقامه المفروض ليحكم الحياة الانسانية وسير التاريخ .

ان بطل هذه الثورة في عالم الطبيعة انما هو (نيوتن) الذي قدم نظرية ان الكون مرتبط بمبادىء غير قابلة للتغيير والحدوث . وهناك قوانين ثابتة تشرف على حركة الاجرام السماوية كلها . وظهر في الاخير كثير ممن قاموا بهذا التحقيق حتى بدا لهم ان جميع ما بين السماء والارض من الاحداث ، انما هي طوع اشارة لنظام خاص محكم يدعى باسم قانون الطبيعة (Law of nature) وهذا التحقيق يقضي طبعا على وجود اله قادر وراء هذا الكون قائم بتسيير نظام الكون الدقيق . واكثر ما يقال في هذا الصدد هو ان هناك الها حرك جهاز الكون مرة في البدء ، ولذلك كان الناس قديما يؤمنون باله كأول محرك للكون . ويقول (والتير) ان الاله يشبه في تكوين نظام الكون صانع الساعات الذي يركب الآلات الدقيقة في شكل خاص ثم يتركها للناس يستعملون ، دون ان تبقى له علاقة بها . وجاء (هيوم) فقضى على هذا الاله العاطل بقوله : اننا رأينا الساعات تصنع ، ولكننا لم نر الاكوان تصنع وتكون ، فكيف يمكن لنا ان نؤمن باله قام بصنع هذا الكون .

تقدم العلوم الطبيعية وتوسعها مكن الانسان مما لم يكن يحلمه من قبل . فقد كنا لا نعرف حادثة كيف حدثت لعدم اطلاعنا على اوضاع الوقائع والاحداث ، ولكنها اصبحت اليوم شيئا معلوما لظهور اوضاعها . واضرب لذلك مثلا ، وهو ان الانسان عند ما لم يكن يعرف كيف تطلع الشمس وتغرب ، كان يعتقد بوجود اله يامر بطلوع الشمس وغروبها . وهكذا نشأت فكرة قوة ما وراء الطبيعة التي كانت تحول كل شيء تجهل مصدره الى تلك القوة . ولكننا الآن حينما عرفنا ان طلوع الشمس وغروبها انما يحصلان بدوران الارض حولها لا نحتاج الى فرض اله ينظم طلوع الشمس وغروبها . وهكذا كل شيء كان مصدره غير معلوم ، وكان يحول الى قوة خفية اصبح اليوم نتيجة عمل القوى المعلومة ورد فعلها في ضوء دراسة العلوم الحديثة . كأن العلوم باسباب الاحداث الطبيعية قضى على حاجة فرض اله ، او قوة ما وراء الطبيعة التي كان الناس قد سلطوها عليهم . ان تسميه قوس قزح علامة الله فوق الشمس ظن خاطيء اذ كان ذلك ينشأ من انعطاف اشعة الشمس على المطر النازل .

رد العالم الامريكي « سيسيل بيس هامن » على هكسلي :

كيف يحتج هكسلي على مبدئه بمثل هذه الافكار ، يقول : ان كانت الاحداث تصدر من اجل اسباب طبعية ، فلا شك ان قوة ما وراء الطبيعة لا تستطيع ان تكون مصدرها . وينبغي ان نبحث الآن عن الحجة التي عرضت في ضوء دراسة الطبيعة . وهي ان دراسة الكون تعطي فكرة ان الوقائع لا تحدث الا وفق مبدء الفطرة . اذن لا حاجة لتاويلها الى فرض اله ، لان المبدأ المعلوم انما هو دليل على وجود الوقائع والاحداث .

وقد رد على هذا النوع من الاستدلال احسن رد العالم الامريكي سيسيل بيس هامن (Nature is a Fact Not an Explanation) يعني ان مبدأ الفطرة حقيقة الكون ، وليس تاويل الكون . سلمنا انكم اطلعتم على مبدأ الفطرة ، ولكن الذي اطلعتم عليه ليس جوابا لتلك المسألة التي يحتج فيها بالديانة . ان الدين يعطي فكرة عن تلك الاسباب والعوامل التي تعمل عليها وراء هذا الكون . على حين ، الاكتشاف العلمي يتعلق بمسألة الكون وهيكله الخارجي . ان العالم الحديث يفسر لنا تفاصيل الاحداث فقط ، وليس هو تاويلها الحقيقي . ان العلوم الطبعية كلها تدور حول الموجود وماهيته . وهي لا تقدر على ان تبحث عن الموجود ، كيف ظهر الى حيز الوجود ولما ذا ؟؟ بالرغم مما يعلم الجميع ان علاقة التاويل ، انما هي بهذا الجانب الآخر .

ولكي نفهم ذلك جيدا اضرب لكم مثلا كلنا يعلم ان فرخ الدجاج يتربى في جوف البيضة وبانكسارها يخرج الى العالم الخارجي . فكيف يحدث هذا الواقع ، وكيف تنكسر البيضة ويخرج الفرخ الذي لا يعدو ان يكون مضغة لحم ؟ . لقد كان الانسان يجيب على هذا السؤال قديما بان الله هو الذي يفعل ذلك ، ولكن اليوم بعد المشاهدة الآلية بدا ان مدة (21) يوما لا نكاد نتم ، اذ يبدو على منقار الفرخ شيء خشن مثل القرن الصغير ، وذلك هو الذي يساعد الفرخ على كسر البيضة ، والخروج منها . واما هذا القرن الصغير فيسقط بنفسه بعد ولادة الفرخ بايام .

هذه المشاهدة تكذب الوهم القديم بوجود اله يامر بخروج الفرخ لدى جاحدي الدين اليوم ، لان الآلة تبين لنا بكل وضوح ان هناك قانون 21 يوما يحدث خلالها كل ما يساعد الفرخ في خروجه من جوف البيضة ، ولكن ذلك مغالطة صريحة لا غير لان المشاهدة الجديدة تفسر لنا عدة حلقات الواقع ، وبعض اشكاله فقط ، دون ان توضح السبب الاصلي للواقع . ان الفرق الذي حدث بعد هذه المشاهدة الجديدة هو ان مسألة انكسار

والطباع ، فمن الذي اوجدها ، ومن الذي نوعها ، وعين لكل نوع منها ما يصلح له ويلائمه على احسن وجه . ومن هنا ننتقل الى هضم الغذاء كل شيء يتصف بالحياة من انسان وحيوان ونبات،لا بد له من هضم وتعويض ، وذلك التعويض هو الغذاء، فان مادة الحي يتحلل جزء منها دائما ويستعاض عنه بتكون جزء جديد بواسطة الغذاء ، حتى قيل ، ان الحيوان عموما ينعدم في سبع سنين ويجدد بناء جسمه . وسواء أكان هذا كما قيل ام لا ، فالغذاء والهضم ضروريان لكل حي . وقد اكتشف العلم الحديث ان الجسم الحي مركب من عناصر مختلفة ، وكل ما ينحلل منها يعوض بمثله من الغذاء . وانتقال الغذاء من حاله كاللحوم والخضر والحبوب بالنسبة الى غذاء الانسان الى ان يصير لحما وعظما وعصبا وغضاريف وغيرها ، ثم الى ان يتحد كل عنصر بما يماثله في الجسم يمر بأطوار كثيرة دقيقة ، ويحتاج الى آلات ومعامل كيماوية ، كل منها يقوم بما يخصه في تناسق وتضامن مع الآلات الاخرى . وقد بسطت القول فيما ترجمته وعلقت عليه من كلام كريسي موريسن في رده على جوليان هكسلي الذي سرق الحبشي كلامه . ونشر في المقال السادس عشر تحت عنوان (دواء الشاكين وقامع المشككين) في الجزء الثاني من السنة الخامسة من مجلة « دعوة الحق » . في الفصل الذي عقده المؤلف المذكور للبحث في الهضم تحت عنوان (اكبر معمل في العالم) فارجع اليه ايها القارىء ان اردت تفصيل القول في الغذاء وهضمه ، والاستدلال بذلك على ان لهذا الكون مدبرا حكيما عليما . والحاصل ان نظام الهضم يدل على منهاج موضوع من قبل ، وتطبيق دقيق ناشىء عن علم وارادة وحكمة ، ولا يقبل العقل غير هذا ابدا .

المثل الثالث ، نزول المطر .

عوام الناس قديما وحديثا لايعرفون من حال المطر الا انه ماء ينزل من السماء لري الارض واعداد ثمارها وحاصلاتها ، وهو مقدر بقدر ، وموقت باوقات تناسب حاجة الناس اليه . اما الباحثون فيعلمون ان المطر يتبخر من البحار بسبب الحرارة ويصعد الى الطبقات العليا من الجو فيبرد وينقلب ماء فينزل على الارض مطرا وبردا وثلجا وجليدا . وقد عرف الناس هذا منذ زمان قديم . قال ابو ذؤيب يصف سحابا .

شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج

قال العيني في شرح الشواهد : قاله ابو ذؤيب يصف به السحاب من قصيدة من الطويل . الضمير في شربن يرجع الى السحب ، وضمن معنى روين ، فلذلك وصلت بالباء ، وقيل شاذ . وترفعت اي توسعت . والشاهد في متى لجج ، فانها حرف جر هاهنا بمعنى من ، وهي لغة هذيل . ولجج جمع لجة ، وهي معظم الماء . ونئيج مبتدا ، ولهن خبره ، من نأجت الريح تنأج نئيجا تحركت ولها نئيج ، اي مر سريع مع صوت . انتهى .

يعني شربت السحائب من ماء البحر ثم ارتفعت من معظم ماء البحر وهي لجحه يسمع لمر الريح فيها صوت . وهذا يثبت ان العرب كانت تعرف ان اصل المطر من البحر . قال الخضري في حاشيته على ابن عقيل . والصبان في حاشيته على الاشموني: تزعم العرب والحكماء انها (اي السحائب) تدنو من البحر الملح في اماكن مخصوصة ، فتمتد منها خراطيم عظيمة كخراطيم الابل فتشرب من مائه بصوت مزعج ، ثم تصعد في الجو فيلطف ذلك الماء ويعذب باذن الله تعالى في زمان صعودها في الهواء ، ثم تمطره حيث شاء الله تعالى . انتهى . وقال المتنبي :

كالبحر يقذف للقريب لآلئا
ابدا ويبعث للبعيد سحائبا

وهذا يدل على ان المتنبي كان يعرف ان السحاب من البحر ، والمطر من السحاب . ومعرفة ذلك ليست جوابا عن سؤال ، لما ذا بخرت البحار وصعد بخارها الى اعالي الجو ، ثم وزع نقط مطر او حبات برد ، او ثلج ، كل ذلك بقدر معلوم . ولما ذا ينزل في اوقات معلومة ولا ينزل في اوقات اخرى ، وما الذي جعل فيه الحياة بخلاف الماء الذي يبخره الانسان من ماء البحر فيصير عذبا صالحا للشرب ، ولكنه لا ينبت شيئا . وما احسن قوله تعالى في سورة الزخرف 9 ــ 11 (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم . الذي جعل لكم الارض مهادا ، وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون . والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون » .

المثل الرابع مناظرة الطبيب في حمرة الدم

وهي واضحة لا تحتاج الى تعليق . وما مثل الذي يكشف قوانين الكون ونظمه ، يقنع بذلك ويزعم انه بلغ الغاية في العلم باسرار الوجود وينفي ما عدا ذلك الا كمثل بدوي دخل السينما لاول مرة فرأى فيها اشخاصا يتحركون ويتحدثون ، ورأى فيها معامل ورجالا يشتغلون فيها، وبحورا وجبالا وغيرها من المناظر فنعجب منها كل التعجب ونفى ان يكون هناك احد قد صورها ورتبها واخرجها بتلك الصور . هذا على سبيل التقريب ، والا فان عجائب السموات والارض واحكام صنعها لا مناسبة بينها وبين السينما ..

هذا وموعدنا المقال الرابع حيث نذكر اقوال الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين في هذه المسألة ان شاء الله .

الدكتور تقي الدين الهلالي

كذلك اذا تسنى لنا ان نكشف بعض اسرار هذا الكــون ، لم يتسن لنا ان نقوله ان الكون وجد بنفسه ، وهو مشتغل بوظيفته بدون ان تكون هناك يد خالقة قوية . وما اصدق قول (هريز): ان قانون الطبيعة ، انما يوءول وجــود مظاهر الحيــاة الجميلة ، ولكنه لا يخبر عن تلك الحياة كيف وجدت . انتهى .

حاصــل كلام جولين هكسلــي

يقول هكسلي : ان الاقدمين كانوا جاهلين بحقائق الكون واسباب مسبباته ، فبحثوا عن تاويل يفسرون به تلك الحقائق والمسببات ، والبحث في نفسه لا يعاب عليهم ، غير انهم لما كان علمهم باسرار الطبيعة قاصرا افترضوا ان هناك الها هو الــذي يعمل تلك الاعمال ويظهر تلك المسببات ويوجدها بلا اسباب ، وظنوا انهم بذلك قد حلوا المشكلة . ولما ظهر العلم الحديــــث الذي اكتشف حقائق الكون وعرف لكل حادثه سببها لم يعبأ بذلك الافتراض . وبعبارة اخرى ، ان الاقدمين كانــوا يخافون من كل ظاهرة تبدو لهم فقدروا وجود الاله ونسبوا اليه كل شيء من شدة فزعهم . فاذا سمعوا الرعد يجلجل قالوا ، ان الله هو الذي خلق تلك الجلجلة ، واذا رأوا المطر ينزل قالوا ، ان الله رأى حاجة الارض الى المطر فخلق المطر وانزله عليها . واذا رأوا البرق يلمع قالوا انه نور خلقه ، ونار يخوف بهــا الناس . واذا شهدوا زلزلة فسروها بان الله هز الارض بهــم ليعرفهم قدرته . واذا رأوا قوس قزح ، قالوا ، هذه علامة الله فوق الشمس ، الى غير ذلك .

اما في عصرنا هذا ، فكل هذه الامور قد عرف منشأها وحقيقتها واسبابها، فلا حاجة بالناس الى افتراض وجود الاله . ثم نقل كلام والتر الذي قال : ان الاله يشبه في تكوين نظــام الكون صانع الساعات الذي يركب الآلات الدقيقــة في شكــل خاص ثم يتركها للناس يستعملونها ، دون ان تبقى له علاقة بها .

قال محمد تقي الدين كاتب هذا المقال : والعجــب من هكسلي امام الملحدين في هذا العصر كيف نقل قول والتــر ، مع انه ينقض مبدأه ويأتي على بنيانه من القواعد ، لانه اثبت الصانع للساعات ، ثم زعم انها تستغني عنه بعــد ذلك ، ولــم يحسب حسابا لاختلالها وفسادها وحاجتها الى الاصلاح وادارتها وتسييرها ، ثم انها لا تخلد آلاف السنين ، بل ياتي عليهــا الفناء فيحتاج الناس الى ساعات جديدة ، ويزيد عدد المستعملين للساعات ، فاذا مات صانعها بقي من يخلق من الناس بعد موته بلا ساعات . وهذا اسفاف من القول ينزه عنه كل من عنده ذرة من العقل . وكيف تشبه السموات بكواكبها وشموسها واقمارها ، والارض بحيواناتها ونباتها ، فضــلا عن الــذرة واجزائها التــي اكتشفت في هذا العصر بنظام دقيق ، يستحيل ان يكون صنيعة الاتفاق ووليد المصادفة بلا خالق قدره بعمله وحكمتــه وسيــره بقــدرتـــه .

ثم نقل كلام (هيــوم) الــذي قال ، انــه شاهد صانع الساعات يصنعها ، ولم ير صانع الاكوان يكونها ، فاين الحواس الاخرى غير البصر ، واين العقل الذي كــرم الله بــه الانسان وفضله به على من سواه من الحيوان والنبات والجماد ، وسخر له به كل شيء ، وجعله سيــدا مطاعــا متصرفا بــه في غيــره من المخلوقات . فالحمد لله الذي حــرم الجاحدين من نور العقــل وفضحهم بهذه الاقوال السخيفة المتهافتة المتناقضة ، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون . فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم، والله لا يهدي القوم الظالمين .

بيــان رد العالــم هامن على هكســـي

افتتح هامن رده بان الطبيعة هي حقيقة ، وليست تفسيرا للحقيقة . ثم ضرب لذلك امثلة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . الاول ، الفرخ في جوف البيضة عند ما يناهز ثلاثة اسابيـــع يخلق له شبه القرن على منقاره فينقب به البيضه ويخرج ، ثــم يزول ذلك القرن . فمن الذي خلقه وصوره من سائل في البيضة الى عظم ولحم ، واعطاه كل ما يحتاج اليه من ساقين يمشي بهما ، وجناحين يطير بهما ، وسمع وبصر ومنقار ، وجهاز للتنفس ، وآخر للهضم ، وآلة للتناسل الى غير ذلك من بدائع الصنع . ولما ذا لم ينبت له ذلك القرن الا عند ما احتاج اليه ليكسر بــه البيضة ، ثم لما ذا زال عنه بعد ان لم تبق له حاجة اليه ، فهل هذا كله وقع بدون قصد ولا تخطيــط على حد لغــة الحسي ولا منهاج ولا تدبير ولا علم ، وانما هو اتفاق ومصادفــه ، فاين تذهبون ، وانى توءفكون وتأفكون ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

المثل الثاني ، هضم الغذاء . من المعلوم عند جميع الباحثين في نشأة الارض انها كانت في اول امرها غازا ، ثم اخــذت تتجسم في ازمنة متطاولة . وحين كانت غازا ، كانت حرارتها اثنى عشر الف درجة مئوية كما حققــه رئيس المجمع العلمــي الفلكي الامريكي « كريسي مورسن » في كتابــه (الانسان لا يقوم وحده » المتقدم الذكر ، واخذت تبرد بانقلاب الغازات الى امطار ، وتكتل مادة الارض وتجمدها في احقاب واحقاب . ولم يكن هنالك مجال لوجود الحياة فيها بأي شكل من الاشكــال حتى بردت ، ثم دحيت وتميزت جبالها من سهولها واوديتهــا في المقدار القليل الذي هو اليابسة ، واستقرت البحور في اماكنها بعد الطوفان المتكرر الذي كان يغمر وجهها ، وحينئذ تهيأت لوجود الحياة فيها .

واتفقوا ايضا على ان اصل الحياة كلها واحد ، وهو ذرة لا ترى بالبصر ، ولكنهم عجزوا ان يعرفوا كيف نشأت هــذه الذرة ، ومن اين جاءت امن داخل الارض التي كانــت نــارا حامية ، ام من كوكب آخر ، وكيف تنوعــت الحيــاة من تلك الذرة الى انواع لا تعد ولا تحصى مختلفة الاشكــال والحجــوم

بايزيد او ابوزيد ولعله اراد ان يقول ابو يزيد، والتعريف الصحيح هو ان يقال ابو يزيد او بايزيد بالتخفيف ،واما ابو زيد فلم يقلها فيه احد على ما نعرف .

53) فى ص 65 ع ، ني وقع ضبط بجاية من مدن الجزائر بضم الباء وتشديد الجيم وهو غير صحيح قال فى معجم البلدان ، بجاية بالكسر وتخفيف الجيم والف وياء وهاء .

54) فى المكان نفسه تعريف بقبيلة بجيلة العربية ، ضبط فيه اسم القبيلة بضم ففتح وهو خطا ، فانها بفتح الباء وكسر الجيم ، والنسبة اليها على القاعدة بجلي بفتحتين وجاء فى التعريف ان هذه القبيلة حطت فى جبال سراط بالقرب من الطائف ، وفى دائرة المعارف التي يستمد منها المؤلف انها نزلت جبال سارات بالقرب من الطائف ، وكلا اللفظين خطأ فانها جبال السراة .

55) فى ص 66 ع ، ل ترجمة للعلامة يحرق اليمني وضع فيها ضبط اسمه بضم اوله ،وثالثه والمعروف بفتحها وذكر اه مؤلفا سماه النبضة المحررة هكذا بالضاد وهي النبذة .

56) فى ص 68 ع ، ل ذكر وقعة بدر المعروفة بين المسلمين والمشركين من اهل مكة ، فقال فيها بدر او بدر حنين ولا ندري ما معنى اضافها لحنين ومن اين جاء بذلك ، ولعله رأى او سمع الكلام على وقعتي بدر وحنين فظنهماوقعةواحدة تضاف احداهما الىالاخرى

57) فى ع ، ني من الصفحة المذكورة ترجمة للبراء بن عازب الصحابي ،وقد ضبط اسمه بفتح الباء وتشديد الراء : قال النووي فى تهذيب الاسماء واللغات : فهو بتخفيف الراء وبالمد ، هذا هو الصحيح المشهور عند طوائف العلماء من اهل الحديث والتاريخ والاسماء واللغات والمؤتلف والمختلف وغيرهم ، وحكى فيه القصر ، انتهى ومثله يقال فى البراء ابن معزور المذكور بعده يليه فى العمود نفسه .

58) فى ص 71 ع ، ل ترجمة لابن بري المقريء وقع وصفه فيها بالرباطي بفتح الراء ، والصواب كسرها مع العلم بان هذه النسبة الى رباط تازة لا الى رباط سلا الذي هو عاصمة المغرب اليوم ، ولذلك يجب التنبيه عليها او وصفه بالتازي كما هو المتبع فيه عند الاطلاق.

59) فى ع ، ني من الصفحة نفسها تعريف ببراغوطة منقول عن دائرة المعارف الاسلامية مع اختصار مخل ، وهو هذا · مجموعة قبائل المصمودة قديما كانت تقطن اقليم تامسنا وهو اليوم اقليم شادية (المغرب) وكانت من الخوارج ، والذي فى الدائرة ان برغواطة اسم كان يطلق فيما سبق على مجموعة من قبائل المصمودة ، كذا والمراد المصامدة ، على ان ما ذهب اليه ابن ابي زرع هو انهم لا ينتمون الى اب واحد وانما هي أخلاط من البربر وقوله فى اقليم تامسنا هو اليوم اقليه شادية تصحيف والصواب الشاوية بالواو كما جاء فى الدائرة وكانت برغواطة خارجية فى اول الامر ثم وضع لها زعيمهاصالح ابن طريف ديانة خاصة ، وقد قاتلهم عبد الله ابن ياسين زعيم المرابطين سنة 450 هـ فذهبت ريحهم .

60) فى المحل المذكور ذكر اسم برقة من ولايات طرابلس الغرب او ليبيا المعروفة فرسم بالف هكذا البرقا والصواب رسمه بتاء مربوطة .

61) فى ص 75 ع ، ل ترجمة لابن بسام مؤلف الذخيرة اثبت فيها اسم الكتاب بالزاي وهو تصحيف

62) فى المحل المذكور تعريف بمدينة بسطام ضبط فيه اسمها بضم الباء وهو بالكسر ، هذا وقد اعاد المؤلف بعد التعريف ببسطام ترجمة ابي يزيد البسطامي من غير ان يكنيه ، فقال فيه : (البسطامي (بضم الباء، وهو خطأ كما علمت) طيفور ، ولد ببسطام وتوفى فيها (874) من مشاهير صوفيي زمانه ، ففيه (كذا) تعلم التوحيد والحقائق ونظرية الفناء على ابي علي السندي ، يسمى تلاميذه الطيفوريون ، وظاهر ان الغناء هنا المراد بها الفناء كما تقدم فى ترجمته السابقة ، وأن قوله يسمي تلاميذه (الطيفوريون) صوابه (الطيفوريين) .

63) ج ع ني من الصفحة المذكورة ذكر اسم بسكرة الواحة الجزائرية هكذا بسكرى والمعروف فى كتابتها بسكرة بالتاء المربوطة .

64) فى المحل المذكور ايضا تعريف بالبسوس ، ضبط فيه هذا ان رسم بضم الباء ، وهو بفتحها وجاء فى التعريف انها شاعرة جاهلية استحثت قومها على الحرب التي سميت باسمها ، ولم تشتهر البسوس بالشعر ،وان كانت الحرب بين قومها بنى تغلب وبني بكر قامت بسببها ونسب لها فى ذلك شعر لا يصح .

65) فى ص 76 ع ، ل ترجمة لبشر بن ابي عوانة ، جاء فيها انه من صعاليك العرب يغور على احيائها ، اخباره اسطورية .. والصواب يغير من اغار ، ثم ان بشرا نفسه على التحقيق شخص اسطوري اخترعه بديع الزمان وبنى عليه المقامة التي تحمل اسمه فى مقاماته المعروفة.

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

- 2 -

حـــرف البـــاء

45) فى ص ع ل ، ذكر باب المندب وضبط بكسر الدال وهو بفتحها .

46) وفى هذا المحل ايضا ذكر الشيخ احمد بابـــا السوداني فقال حبسه السلطان احمد فى مراكش ، ولم يبين من هو السلطان احمد ، وذكر ان من مؤلفاته : ((تكملة الديباج لابن فرحون كذا)) ولم ندر لماذا زاد كذا هذه ، ولتمام الفائدة ، كان ينبغي ان يقال حبسه السلطان احمد المنصور الذهبي ، فاتح السودان من ملوك الدولة السعدية (956 / 1012) واما عن مؤلفات المترجم فله حقيقة تكملتان لكتاب الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب يعني مذهب الامام مالك لابن فرحون ، واحدى التكملتين مطبوعة بهامش الديباج واسمها نيل الابتهاج ، والاخرى اسمها كفاية المحتاج ولا موجب لكلمة كذا فى هذا التعريف .

47) فى الصفحة نفسها ع ، ني ذكرت مدينة بابليون وضبطت بفتح الباء الثانية والمعروف كسرها .

48) فى ص 57 ع ، ني ترجمة لابن باجـة الفيلسوف الاندلسي المعروف جاء فيها : « انه ولد فى سرقسطة وانتقل الى فارس ، ولاشك ان المراد فاس عاصمـــة المغرب ، فهي التي انتقل اليها الفيلسوف وعاش بها الى ان مات مسموما بتدبير خصومه من الاندلسيين ، وما اشار اليه الكاتب من اتهامه بالالحاد وايهام ان موته كان بسبب ذلك لا اصل له ، كما ان ما قاله من انه حامى عن الفلاسفة ضد الغزالي لا يعرف ، والذي رد على الغزالي وانتصر للفلاسفة هو ابن رشد على ما هومعلوم

49) فى ص 58 ع ، ل ترجمة لباديس بن حبوس ملكة غرناطة ورد فيها انه حارب العباسيين فى اشبيلية محاولا احتلال الاندلس ، والصواب ان يقال : حارب العباديين ملوك اشبيلية طمعا فى ضمها الى مملكته، والمؤلف يستقي معلوماته هنا من دائرة المعارف الاسلامية (الترجمـــة العربية) وهي ايضا قد اشتبه عليها اسم العباديـــين بالعباسيين .

50) فى ص 61 ع ، ل تعريف بباقل الذي يضرب به المثل فى العي ، وصف فيه بالربعي بسكون الباء نسبة الى ربيعة والصواب فتح الباء على القاعدة المعروفة فى هذه النسبة .

51) فى المحل نفسه ترجمة لعبد الرحمن باكثيـــر الخضرمي ، جاء فيها ما يلي : ((الف (نحو 1670) كتاب كشف الغبار على الاشارات فيما بقي من هذه الـــدار ، والعبارة توهم ان تاليفه بلغت ذلك العدد والصواب ان يقال : ((توفي حوالي 1670 والف كتاب (كشف الغبار) الخ .. ثم ان اسمه ضبط بسكون الكاف ونظـــن ان الصواب هو الفتح ليلا يجتمع ساكنان ، هذا والتصحيح من كتاب هدية العارفين لاسماعيل البغدادي .

52) فى ص 64 ع ، بي ترجمة لابي يزيد البسطامـــي المتصوف المعروف جاء فيها : ((انه اول من قال بمذهب الفناء وتاليفه الكل ، وهذا من زيادات المؤلف فان الذي فى دائرة المعارف الاسلامية — وهي مصدر الترجمة انه كان يقول بوحدة الوجود وانه ربما كان اول من قـــال بمذهب الفناء ، وذلك اخذا من الكلمات التي تنسـب اليه) ومعلوم ان وحدة الوجود ليست هي تأليه الكل الذي عبر به المؤلف ، وان كونه اول من قال بمذهـب الفناء انما هو استنباط من كلمات نسبت اليه ولا يمكن الجزم به بمجرد ذلك وقد احتاطت الدائرة فقالت انه ربما كان اول من قال بمذهب الفناء واطلق المؤلف الكلام فى ذلك اطلاقا ، هذا وقد قال المؤلف فيه :

فاتك الرومي

للدكتور زكي المحاسني

لطالما ترنمت بقصائد المتنبي لكي اجد روحا خاصا حين انشد من هذه القصائد الخوالد شعره في فاتك الرومــي . ابــي شجاع ، الذي كان يسمى بالمجنون .

ولقد كان فاتك احد افــذاذ القــواد في جيش كافــور الاخشيدي ، اواسط القرن الرابع للهجرة .

ولا بد من ان اتقصى اصل الاول ، على منابته واثرهــا في نفسه وحياته فاجيء ايام الغزاوة العربية للديار البيزنطية ، فاجده قد اخذ وهو صغير ، في سبي من السبــاء . والظاهــر في اخباره انه لم يكن وحده الذي اخذ في السبي ، وانما كان مع اخ له واخت ، حين كان المحاربون الروم يدهمــون الثغــور الشامية فيسبون ويقتلون ويفوزون بالغنائم ، فيرد عليهم العرب بمثل ذلك ، مترفقين ، اذ كانوا كما يشهد التاريــخ الشرقــي والغربي ، ارحم الفاتحين ولغوستاف لوبون مقولــة في ذلــك وهي : لم يعرف التاريخ ارحم فاتحا من العرب .

ولعل فاتكا واخاه واخته ، اخذوا انقاذا واستحياء ، في هجمة عربية على هاتيك الديــار ، من سهــول الاناطــوليــات البيزنطية ، في موضع قرب حصن كان يعرف باسم « حصن ذي الكــلاع » .

وكان الاسرى وبخاصة الصغار منهم تتقاذفهم ايدي الاغنياء فيباعون من بلد الى بلد ، فكان حظ « فاتــك » ان وصــل الى فلسطين ، وهو ناشيء صغير الى رجل من سراة مدينة « الرملة » وكانت الرملة يومئذ باقطاع الاخشيد ، فاعجب بفاتك احــد اعوانه ، فاخذوه من سيده الذي كان عنده بلا ثمن ، اقتــدارا وكرها ، ولما عاين الذي اخذه ذكاءه ، ورأى مخايــل النبوغ فيه ، اعتقه ، فملكه نفسه ، وجعله في عديد جنده . ولم يمهــل فاتكا قدره ، حتى ظهر منه ما ادهش صحابه ، من كرم النفس وبعد الهمة ، فاذا هو يدخل المعارك ، ويخرج منهــا مظفــرا ، وحين تكرر منه ذلك ، اطلق عليه المعجبون به لقب (فاتــك) ومن معاني الشجاعة والاقدام في لغة العرب الفتك،وكان من اقدامه واندفاعه في الحروب جنونه في القتال ، فسمي (المجنون) لا لفقد العقل ، وانما لفقد الخوف ، وللتهور والاندفاع بشجاعته بغير احتساب . وهذه الحالة كانت تعتري الخوارج في حروبهم وهي مزية لا يؤتاها كل مقاتل الا من اخلص وجهه لله ابتغاء النعيم ، بعد هذه الحياة الدنيا ، او من تفانى في حب وطنه ، وآثر الموت على الحياة في سبيل الكرامة الانسانية .

وكان كافور صديقا لفاتك ، خدمــا معا صاحــب مصــر الاخشيد ، فكان كافور من مستشاريه المقدمين في قصره ، وكان فاتك من قواده الشباب المتفوقين في الجيش ،ولم تكن تلك الصداقة الا في سبيل ما وظف لهما من العمل في قصر السلطان وجيشه . وقد حدثت حادثة جليلة في حياة فاتك وكافور معا ، وهي موت الاخشيد ملك مصر ، وكان ابنه (طغج) حدثا صغيرا ، لا يجوز توليه الحكم ، فاستوصى به رجال القصر كافورا ، اذ كان اقرب الحاشية الى ابيه ، واخلصهم في العمل . ولم يطل الامر بوصاية كافور على الملك اليتيم ، اذ غدا هو الحاكم فوجــد فاتــك في نفسه ما يبعده عن كافور ، فآثر التجافي ، فابتعد عن القاهرة ، وسكن « الفيوم » ، وكانــت اقطاعا له وما والاها ، وكانــت الفيوم وبئة لا تصلح مسكنا ، فمرض فيها واعتلت صحته اعتلالا كثيرا . حتى استحكمت العلة في جسمه ، واحوجته الى دخول مصر للمعالجة ، فجاء القاهرة ، وكان يومئذ فيها ابو الطيــب المتنبي ، يعاني من كافور ورجال قصره ما يعاني من خوفهــم منه وحسدهم اياه ، اذ كان ابو الطيب في تاريخنــا السياســي والادبي مرهوب الجانب ، لما كان يملك من الشعر الخالد الذي كان بوسعه ــ ولا يزال حتى اليوم على الرغم من ترادف العصور ــ ان يميت الشخوص وهم احياء وان يحييهم وهم اموات .

ويشاء القدر ان يجمع قلب فاتك على قلب ابي الطيب في الوقوف حيال كافور وقفة يوثق بينهما ، فيها الكــره لــه ، والاحتقار للنفس في خدمته ، وكان ابو الطيب قادما من خيبة حظه في حلب عند سيف الدولة ملتجئا الى حمى كافور ، فخشي كافور ، بوسوسة من حاشية ، هذا الشاعر العظيم الذي اتهم يوما

66) فى المحل المذكور ترجمة لبشر المرسي بفتح الميم وتخفيف الراء وقد تشدد ، والمؤلف جعله المنريسي بزيادة نون بين الميم والراء وهو غلط .

67) فى ص 80 ع ، ل ترجمة للبغوي ، الامام المحدث المفسر ، ضبط فيها اسمه بسكون الغين وهو بفتحها .

68) فى الصفحة نفسها ع ، ني تعريف ببقع الغرقد او مقبرة البقيع المعروفة فى المدينة المنورة ، ضبط الاسم بضم الباء وفتح القاف على صورة التصغير وهو مكبر بفتح الباء وكسر القاف ، وقال ان اول من دفن فيه الزاهد عثمان بن مظعون صاحب النبي وولده ابراهيم وزوجاته ، وهذا ربما اوهم ان ابراهيم ولد عثمان بن مظغون فى حين انه ولد النبي (ص) ، ولم يتوف من زوجاته (ص) بالمدينة فى حياته الا زينب بنت خزيمة الهلالية فعلى تسليم انها من اول من دفن فى البقيع فكيف يقال وزوجاته بالجمع ؟ . .

69) فى ص 81 ع ، ل ترجمة لابن بكرة الصحابي واسمه نفيع بالتصغير وهو عنده مكبر بفتح الفاء .

70) فى ص 82 ع ، ل ترجمة لبلال الصحابي ضبط فيها اسمه بضم الباء وهو بالكسر ، وقال هاجر صحبة النبي الى المدينة ، اما انه هاجر الى المدينة فصحيح واما كونه هاجر صحبة النبي (ص) فلا ، وذلك انه من المعروف انه لم يكن فى صحبة النبي (ص) حين هاجر الا صاحبه ابو بكر (ض) .

71) فى ص 84 ع ، ني ترجمة للبلوي صاحب كتاب الف باء ضبط فيها السلام من البلوى بالسكون وهو بالفتح نسبة الى قبيلة بلى على القاعدة ، وقال ان كتابه مخطوط فى برلين وهو مطبوع بمصر منذ ما يقرب من قرن .

72) فى ص 85 ع ، ني تعريف بمدينة بنغازي جاء فيه: بلدة فى القيروان (ليبيا) والقيروان فى تونس لا فى ليبيا فلو قال بلدة فى ليبيا وحذف القيروان لكان اخصر واصح .

73) فى ص 87 ع ، ل تعريف بقرية البهاليل المغربية جاء فيه : قرية فى جبل قندر والصواب كندر بالكاف ، ثم قال : قيل انهم ينتسبون الى اصل مسيحي ومن اجل ذلك لقبت قريتهم بالبهاليل ، ولا ندري ما العلاقة اللغوية بين معنى البهاليل ، واصلهم المسيحي لو كان مسلما ، على ان الذي زعمه بعض البحاث الاوربيين هو أن اصلهم من اوربا وبالضبط من بلدة شقوندا ، ولا يلزم من ذلك ان يكونوا مسيحيين ، فان مهاجرة الاندلس الذين قدموا المغرب كانوا كلهم ملسمين ولو كانوا مسيحيين لما هاجروا من بلادهم ، والحق ان البهاليل يرجعون فى اصولهم الى اجناس مختلفة عربية وبربرية واندلسية مثل سكان المغرب على العموم .

74) فى ص 90 ، ع ، ل : بوشرون مدينة فى شمال المغرب الاقصى (000 35) مركز زراعي (واسم بوشرون فرنسي اطلقه المستعمرون على مركز (المذاكرة) وانتهى امره مع انتهاء الاستعمار الفرنسي الى حيث الفت .

75) فى الصفحة نفسها ع ، ني : «بوالعون بلدة شمال المغرب الخ)) صوابه بولعوان .

76) فى ص 91 ع ، ل : « بولهوت قرية فى شمال المغرب الخ)) يقال فيه ما قيل فى بوشرون ، والاسم العربي للقرية : ابن سليمان

77) فى ص 93 ع ، ني تعريف لبيت جبرين جاء فيه : مدينة واقعة جنوبي غربي اليهودية (فلسطين) الخ ومثل هذا جاء فى تعريف بيت لحم بل فيه انها : بلدة فى اليهودية (فلسطين) فهل فى قاموس عربي يوضع للعرب تسمى فلسطين باليهودية ويصير اسمها الاصلي مذكورا بين هلالين على حسب التبعية للتفسير فقط ؟ اخشى ان يكون الاب، توتل ليس عربيا . يضاف الى هذا ما فى قوله: (جنوبي غربي) من الركاكة ، وكان عليه ان يقول جنوب غربي او جنوبي غرب .

78) فى ص 94 ع ، ل تعريف ببيت المال جاء فيه ما يلي : ((واهم موارده الخراج والجزية والجالية والزكاة والخمس والمواريث الحشرية ، ولم نعرف ما مراده بالجالية ولا ما معنى هذا الوصف بالحشرية للمواريث؟

79) فى الصفحة المذكورة ع ، ني تعريف ببئر السباع نصه : (بلدة فى فلسطين (3356) اخذها الجنرال اللنبي (Allenby) الانجليزي من الاتراك فى وقعة 31 تشرين الاول 1918) لم يجد المؤلف ما يذكر من التعريف ببئر السباع الا هذه الواقعة التي تسلم فيها الجنرال الصليبي هذه البلدة من الاتراك بمساعدة العرب الذين انضموا الى الحلفاء فى الحرب العظمى رغبة فى تحقيق استقلالهم ، ومع ذلك فقد خرج منها النبي وضربت الوصاية على فلسطين ، فماذا يعني التنصيص على تلك الواقعة بالذات يكاد المرء يقول : ان مصيبة العرب من بعض طوائفهم اعظم من مصيبتهم بالانجليز او غيرهم من المستعمرين .

طنجة : عبد الله كنون

وما شكرت لان المال فرحني
سيان عندي اكثار واقلال
لكن رأيت قبيحا ان يجاد لنا
وانا بقضاء الحق بخال

ويدلني هذا البيت على ان المبادرة كانت من نحو فاتك الى ابي الطيب ، اذ كان مثله في عظمة منزلته الحربية وشجاعته وقيادته يشوقه التخليد في شعره كشعر المتنبي الذي خلد سيف الدولة ، وحق لمثله التخليد ، بقوله في هذه القصيدة :

كفاتك ودخول الكاف منقصة
كالشمس قلت وما للشمس امثال
القائد الاسد غذتها براثنه
بمثلها من عداه وهي اشبال
تغير منه على الغارات هيبته
وما له باقاصي الارض اهمال
يريك من مجده اضعاف منظره
بين الرجال وفيها الماء والآل

وكانت كلمة المجنون التي نبذ بها فاتك لشجاعته الخارقة، لا تكاد تنقصه ، وان تكن دالة على فتكه ، وقد تعود الحاسدون في كل عصر ومصر ان يصموا النوابغ بكلمات الاذى ، فالصقوا بفاتك الشجاع كلمة المجنون ، فجاء المتنبي المرصود لازالة هذه الوصمة عنه ، فقال فيه :

وقد يلقبه المجنون حاسده
اذا اختلطن وبعض العقل عقال

والضمير في اختلطن يعود الى الرماح السمر والسيوف البيض .

وفي هذه القصيدة نار رمى بها المتنبي ،خص بها كافورا، معرضا في مدحه لفاتك عند قوله :

اذا الملوك تحلت كان حليته
مهند وأصم الكعب عسال
ابو شجاع ابو الشجعان قاطبة
هول نمته من الهيجاء اهوال

وهل كان كافور ذلك اليوم الا عليه التاج ، وبيده الصولجان تحلية وزينة ، عرض بها الشاعر .

وفي هذه القصيدة وضع ابو الطيب بيتين يسايران الكواكب علوا وبهاءا ، فهما على كل لسان ذي بيان :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال
ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته
ماقاته ، وفضول العيش اشغال

وهذا البيت الثاني لجماله وحلاوة حكمته اغرى الشاعر احمد شوقي ، وكان المتنبي يغريه كثيرا بفرائده فيغير عليها ، فقال في رثاء البطل السياسي مصطفى كامل :

فارفع لنفسك قبل موتك ذكراها
فالذكر للانسان عمر ثان

ولم يمهل القدر فاتكا حتى ملأ المتنبي شعره به ، فيكون سيف الدولة ثانيا ، في ديوانه الكبير ، فوافته المنية في ليلة من ليالي شوال سنة خمسين وثلاثمائة ، فرثاه المتنبي ، وكان قد خرج من مصر وفارق كافورا الاخشيدي ، واول قصيدة رثائه فيه

الحزن يقلق والتجمل يردع
والدمع بينهما عصي طيع
النوم بعد ابي شجاع نافر
والليل معي والكواكب ظلع
لم يرض قلب ابي شجاع مبلغ
مثل الممات ولم يسعه موضع

ولاب عليه ملتاعا مفؤودا ، فبان في شعره اثر اللوعة والشجون التي لا تفنى ، وكان ابو الطيب – كما ارى في كل حياته ، رثى ثلاثة شخوص كانوا اعز الدنيا عليه ، وهم جدته التي كانت له امه ، ومحبوبته « خولة » اخت سيف الدولة ، وفاتكا حبيب السلاح والوجود .

وقد اندلع الشجو ينضح بالنار في قوله فيه :

برد حشاي ان استطعت بلفظة
فلقد تضر اذا تشاء وتنفع

وقد دل شعر المتنبي وان لم تدل اخبار التاريخ ، ان فاتكا مات في عزه وسلطانه ، ورفعة مقامه ، في الجيش ، فكان له يوم مأتم حافل ، خرج له الاجناد في موكب كالذي نجده في عصرنا ، وبكى عليه الجيش بالدموع . وقد انتزعت هذه الصورة من قول المتنبي في رثائه :

بأبي الوحيد وجيشه متكاثر
يبكي ومن شر السلاح الادمع

ثم اطلقها ابو الطيب – كما نقول في مطلع الكلام بعصرنا العشرين – قنبلة مدوية تقع على كافور ، وقد نجا من مخالبه وبراثنه :

قبحا لوجهك يا زمان فانه
وجه له من كل قبح برقع
ايموت مثل ابي شجاع فاتك
ويعيش حاسده الخصي الاوكع
ابقيت اكذب كاذب ابقيته
واخذت اصدق من يقول ويسمع

بادعاء النبوة ووجد فيه المطالبة بالاشتراك في الحكم تصريحا لا تلميحا ، بقوله له

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية
فجودك يكسوني وشغلك يسلب

وكان الشاعر الاعظم قد يئس من انتظار الجود ، اذ يقول قبل هذا البيت ، وهو يدعو كافورا « ابا المسك » :

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله
فاني اغني منذ حين وتشرب

وهذا كناية بالغة اراد بها المتنبي ان يعرب عن ذلك الانتظار ، وتراخي كافور ، وكان يجد بينهما التباعد ، حتى قال الشاعر الغريب ، وكان يسكن في ضفاف النيل بجيزة الفسطاط على مقربة من صاحب البلاد ويبيت طويلا متقلبا على الهم دون ان يدنيه ممدوحه ، وشهد على ذلك قوله في شعره :

ارى لي بقربي منك عينا قريرة
وان كان قربا بالبعاد يشاب

فكانت هذه العوامل جامعة بينه وبين فاتك ، ابي شجاع ، وكان فاتك موسرا كريما يبذ الاجواد بعطاياه ، فاغرى كرم نفسه ، وجود يده شاعرنا ، فراح يمدحه ، فكانت اول قصيدة في مدحه اياه مثل صاعقة نزلت على كافور ، اذ احس — لا بد — ان هذ الضرب من المديح لفاتك خصمه المبطن جاء من الشاعر مدحا صادقا نابعا من القلب ، وواقعا في القلب . وكان كافور يعلم — بينه وبين نفسه ان مدائح المتنبي له لم تكن الا صنعا ، وان كل كلمة فيها كانت تمشي الى سمعه مثقلة بالكلفة ثقل الرصاص ، ولست ادري كيف كانت حال كافور بعد ان فارقه المتنبي وانقلب مدحه له هجاء مقذعا عنيفا كل العنف ، وكيف كان وقع هذا البيت على سمعه ، لا سيما اذا كانت في يده مرآة يتمرى بها ويرى وجهه حيث يقول شاعر ، بعد ان فارقه هاربا منه ، وقد اتخذ الليل جملا :

وشعر مدحت به الكركدن
بين القريض وبين الرقى
وما كان ذلك مدحا له
ولكنه كان هجو الورى

وهذه الحالة النفسية التي كان فيها ابو الطيب حين قال هذا الهجاء العجاب ، كانت حالة تعتري كل بائس ضيع آماله ، وآب من الغنيمة بالفشل والخسران ، واذا لم يعرب الشاعر عن آلامه ومواجده فمن يقوم عنه بالاعراب عنها ؟ فكانت البشرية باجمعها مدينة لشاعر العرب الاعظم ، اذ الجأته في حياته الى ان يمدح ملكا ككافور ، فهو يقول انه بهجاه له ، هجا الدنيا ومن فيها — سامحه الله — .

وكانت العيون والارصاد مبثوثة على الشاعر والقائد ، فهاج نفس الشاعر مدح القائد، لكثرة ما بلغه من شجاعته وكرمه، لكنه لم يجسر على مدحه خشية من السلطان ، وكان فاتك يسأل عن ابي الطيب ويسعى للاجتماع به ، فقامت المراسلة السرية بينهما بادئة بالسلام والاعجاب ، ومنتهية باللقاء ، وكم احب ان اذكر فيها شوقيا شاعر العصر ، حين قرر في الحب مبدأ النظرة والسلام ثم الانتهاء الى اللقاء :

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء

كذلك التقى ابو الطيب بفاتك بالصحراء ويذكر المؤرخ الادبي ابن خلكان ان ذلك اللقاء كان مصادفة ، وانني لمن وراء العصور ، معتمدا على التحليل النفسي ، ازعم انه كان قصدا وتعمدا ، جرت في سبيله المراسلة ، فجرت بين فاتك والمتنبي مفاوضات ولم يفصح ابن خلكان عن ماهية هذه المفاوضات لكن الكلمة وحدها دالة على ذاتها ومعناها ، ولعلي ازعم ان ابا الطيب بيت مع فاتك امرا بشأن كافور .

ابو شجاع فاتك

ولم يكد المتنبي يصل الى داره حتى وصلت اليه هدايا فاتك واحماله ، في ساعته ، بقيمة الف دينار ، ثم اتبعها فاتك بهدايا وتحف .

وقامت العقبة امام الشاعر ، اذ كيف يقدم على مدح قائد في جيش كافور ، فلم يجد بدا من استئذانه بذلك ، فدخل عليه مستأذنا في مدحه .

وكان كافور داهية ، علا به دكاؤه حتى ملك ، فاذن للشاعر في مدح خصمه ومبغضه ، وما كان ذلك الا ليكتشف السر عن الاثنين معا ، فاقدم المتنبي على مدح فاتك بالقصيدة اللامية ، وهي اول امدوحة له فيه ، في التاسع من جمادي الآخرة ، سنة ثمان واربعين وثلاثمائة ، وما كان المتنبي في يوم من ايامه خانعا ولا ذليلا ، ولطالما ركب الدروب سيوفا ، وهو ابو الحربة والبأس ، ومعلم المنطق المبين ، فبدأ قصيدته ببيت يفوح هجاء بكافور ، وهو الذي يقال له فيه :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

واخذ يعتذر عن الافصاح والاندفاع في مديحه ، فشبه بطنه بجواد قد احكم قيده ، فلم يستطع ان يجري ، لكنه اخذ يعبر عن رغبته في الجري والاتجاه اليه بالصهيل ، فقال :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني
ظهور جري فلي فيهن تصهال

نجيب محفوظ

أو الكاتب العربي الذي يكتب عن مجتمعه

للأستاذ : محمد زنيبر

- 4 -

رواسب الماضي في المجتمع

ليس من الممكن ان يكون كاتب من درجة نجيب محفوظ مجرد مقلد يأخذ عند الغير ويجتره من جديد. فقد رأينا بعض مواطن الالتقاء بينه وبين الف ليلة ، ولكن هل يمكننا ان نحكم بأنه اندفع بكل سهولة نحو محاكاة الرواية العربية القديمة ؟ هل ينحصر عمله فى كتابة الف ليلة وليلة اخرى باسلوب جديد ؟ السنا نجد عنده شيئا آخر ، بل اشياء اخرى تختلف عما فى الف ليلة وليلة ؟

التقليد شيء والالتقاء شيء آخر . التقليد ينبني على نية سابقة فيها اعتراف ضمني بتفوق النموذج المتبع . والمقلد يتخلى فى قرارة نفسه عن الدعوى التي ترافق مجهود الفنان المبتكر ، ويستسلم للمثال الذي وضعه نصب عينيه . وقد يتوفق فى عمله فيكون لانتاجه قيمة فنية ، كما وقع لبعض الشعراء الذين قلدوا هو ميروس فى ملحمتيه الالياذه والاوديسا ، او كما حدث للروائيين المسرحيين الفرنسيين ، امثال راسين وموليير ، حينما قلدوا الدرامات اليونانية القديمة ، فاستطاعوا ان يخرجوا من طور المحاكاة الآلية الى درجة الابداع والتجديد .

اما الالتقاء ، فهو يحدث بطريقة عفوية . فقد تختلف اتجاهات الكتاب واذواقهم ومقاصدهم ، وتتباين نقط انطلاقهم ، ولكنهم يتلاقون فى بعض المواطن مدفوعين بمنطق تفكيرهم ، او منجذبين نحو نفس المشاهد والحقائق . انهم لم يحاولوا الاخذ عن بعضهم او السير على نهج واحد ، ولكن افكارهم وحاستهم الفنية تشابكت فى ملتقى لم يكن منتظرا او – بالاصح – لم يكونوا هم يتوقعونه .

ولعل هذا ما حدث بالضبط لنجيب محفوظ . فلست اعتقد انه قرر فى نفسه ان يضع نصب عينيه الف ليلة وليلة كنموذج يستوحي منه وينسج على منواله . بل لربما كانت الف ليلة وليلة بعيدة عن تفكيره حينما كان يكتب ثلاثيته ولا غرو ، فان مقصده يختلف كل الاختلاف عن مقصد الف ليلة وليلة . فهو روائي عصري بكل ما في الكلمة من معنى يحاول ان يصور المجتمع الذي يعيش فيه ، بمئاسيه ومهازله ، ويريد ان يكشف لنا من وراء العادات والتقاليد عن الانسان فى حقيقته العميقة التي تخضع للتاريخ وتسعى فى ءان للسطو عليه .

وهو فى هذا التصوير للواقع الذي يقبل عليه بنزاهة واخلاص ويرصد له كل مجهوداته ، يحدث له بصورة طبيعية ، كما رأينا فى بعض الفصول ان ينطلق من نبع الف ليلة وليلة . ونشعر نحن معه ان هذا الالتقاء ناتج عن منطق الاحداث التي يقصها والبيئة التي يصورها .

ومعنى هذا ان المجتمع المصري فى النصف الاول من هذا القرن لو لم تكن فيه طوائف من الناس يعيشون كما يعيش ابطال الف ليلة وليلة ، لما رأينا اثرا لهذا الالتقاء عند نجيب محفوظ . فالتشابه قائم فى الاساس بين جانب من المجتمع وبين الف ليلة وليلة ، وما الكاتب الا مسجل امين لهذه الظاهرة .

ونحن نكتشف هنا احدى مزايا نجيب محفوظ ، حيث انه لم يتعثر فى التفاصيل والجزئيات ، وكشف عن الحقيقة العميقة للمجتمع المصري ، وهي انه

وههنا يفلسف ابو الطيب الموت والحياة ، شأنه حين يجود بحكمته التي حيرت الامثال ، بمثل قوله في هذه القصيدة :

تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فنطمع

ولم تبرد حنناه بعد طويل المفارقة ، اذ كان اثر فاتك في نفسه عميقا ، وحين بلغ الكوفة عائدا الى دياره ، ضمه الصحراء في الليل ، فرفع رأسه الى السماء ليرى الكواكب سواطع والنجوم ترف كالجفون على العيون ، فاهتاجت بلابل احزانه ، وفاض فؤاده بالوجد على فاتك ، فقال في رثائه ميمية ما ارى في الحزن على الابطال اصدق منها ، انها كأنشودة ملحمة ، قالها بعد وفاته بسنتين ، وقد استفتحها بقوله :

حتام نحن نساري النجم في الظلم
وما سراه على خف ولا قدم

ومشى في النهار تحت الشمس وهو يذكر فاتكا ، وكان المتنبي يومئذ قد شاب ، بل ملأ رأسه الشيب ، وكان لا يلزم شعره الا لونه الصحيح ، فعجب للشمس كيف تسود الوجوه ولا تسود الشعر

تسود الشمس منا بيض اوجهنا
ولا تسود بيض العذر واللمم

واخذ يذكر في هذه القصيدة مصر وفاتكا ، فيقول :

لا فاتك آخر في مصر نقصده
ولا له خلف في الناس كلهم
عدمنه وكأني سرت اطلبه
فما تزيدني الدنيا على العدم

وقد غاص في البيت الثاني على فلسفة الوجود والعدم ، بأن الانسان مهما يمعن في ادراك الوجود ، واجد نفسه ممعنا في ادراك العدم .

واصاب المتنبي في هذه المرثية الرائعة الادباء والكتاب ، واصحاب الاقلام جميعا بخيبة امل ، في حظوظهم في الحياة ، حيث جعل الاقلام خوادم للسيوف ، فقال وقد رجع من سفرة عمره :

حتى رجعت واقلامي قوائل لي
المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابدا بعد الكتاب به
فانما نحن للاسياف كالخدم

وراح يدحض التهم التي كان يروجها حساده ، من ان عجزه وعجز فاتك عن الوصول الى السلطة قرب بينهما ، وقد عدر المتنبي ذلك الارجاف ، فقال :

توهم القوم ان العجز قربنا
وفي التقرب ما يدعو الى التهم

وقد ختم ابو الطيب هذه المرثية ، التي اعدها من فرائده، بحكم تتالى ، كل واحدة منها تعيش عمر الدهر ، ولا تكل في التداول ، كعملة ادبية خالدة في سوق من اسواق الوجود . واخذ يأسف ان جاء في زمنه ، وكانت روحه تتوق لو تجيء في سالف العصور ، فقال :

وقت يضيع وعمر ليت مدته
في غير امته من سالف الامم
اتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرهم واتيناه على الهرم

الدكتور زكي المحاسني

كن قويا ، وأبيا ، كيلا تظلم

متى تجمع القلب الذكي . وصارما .
وانفا حميا ، تجتنبك المظالم

عروة بن براقة الهمداني

الاستعمار ، فكانت صورهم حماسية بطولية تقوي النفوس وتبعث الايمان . وتحدث هو ايضا عن هذا الكفاح ورسم عن مظاهرات الشعب واحتجاجاته لوحات رائعة ، الا انه لم يندفع وراء العاطفة والخيال محاولا ان يقدم لنا اناسا ارتفعوا فوق حدود البشرية ليرتادوا مواقع الكمالات . بل انه ، بالعكس ، حرص كل الحرص على ان يظهر لنا الجانب البشري ، الجانب الذي ينطق عن واقع كل يوم والذي يواكب الفورات الحماسية ويتناقض معها .

ولنقف قليلا عند الحادثة التاريخية ، حادثة تكوين الوفد المصري برئاسة سعد زغلول عقب الحرب العالمية الاولى وما اثارته من ردود فعل لدى ابطال الرواية . فنحن هنا امام مشهد رائع تتراءى فيه نبضات شعب باكمله حيث نرى الجمهور بروحه الثائرة ، والشباب المندفع المتحمس الطامح لقيادة الجماهير وتنظيمها ، والفرد في عزلته وهو يتأرجح بين الشؤون الجماعية ومشاكله الشخصية ، وما تكتنف هذه المواقف من اخلاص وصدق وشجاعة او من نفاق وجبن ومكر .

فهذا احمد عبد الجواد ، حينما يقدم له صديقه احمد عفت عريضة لتأييد سعد زغلول وصحبه يوقع بدون تردد ويعلن عن ارتياحه وسروره لهذا العمل ويقول : « كأني لشدة سروري بهذا التوكيل الوطني ثمل بعل الكأس الثامنة ..

ويعلق الكاتب : « ثم عاد الى مكتبه واثر المزاح منبسط في اساريره ، وانفعال الحماس في قلبه لا يخمد ، شأنه في كل ما يعرض له من مهام الحياة بعيدا عن داره ، فهو يجد الجد كله كلما دعا الداعي الى الجد ، ولكنه لا يتردد عن تلطيف جوه بالمزاح والدعابة كلما لاحتا له صادرتين في ذاك عن طبع لا يملك معهما حيلة وان بدا ذا قدرة عجيبة على التوفيق بينهما ، فلا جده بقاهر مزاحه ، ولا مزاحه بمفسد جده » .

ثم يشرح الكاتب فهمه للوطنية : « ليكن اذن وقته خالصا لحياته ، وللوطن ما يشاء من قلبه وعواطفه بل وماله كلما تيسر اذ لم يكن يضن به اذا وجب التبرع لفرض من الاغراض ، والى ذلك فلم يشعر مطلقا بانه مقصر في واجبه على نحو ما . وعلى العكس عرف بين صحبه بالوطنية ، اما لان قلوبهم لم تسخ بعواطفها كما سخا قلبه ، واما لان الذين سخت قلوبهم لم يذهبوا الى حد التبرع بالمال مثله ، فتميز بوطنيته . وعرف هو ذلك فأضافه الى بقية مزاياه التي يباهي سرا في اعماق قلبه » « انظر : بين القصرين ص 292 – 293 »

ولكن الى اي حد ينساق مع عاطفته الوطنية؟ هل يماشيها في منطقها الى النهاية ؟ ذلك ما يظهر لنا في فصل آخر ، حينما اكتشف ان ابنه « فهمي » من الشبان الذين يشتركون في تنظيم المظاهرات وقيادتها ضد الانجليز . دعا ابنه وسأله : « دعوتك لاعرف كل شيء ، اريد ان اعرف كل شيء ، ماذا قصد صديقك بقوله انك من « الاصدقاء المجاهدين » وانكما تعملان في لجنة واحدة ؟ .. صارحني بكل شيء دون تردد ..

– الامر بسيط جدا يا بابا ، لعل صديقي بالغ في قوله كي ينتشلنا من ورطتنا .

فقال السيد وقد نفد صبره :

– الامر بسيط جدا ... عال ... ولكن اي امر هو ؟ .. لا تخف عني اي شيء ..

– سماها لجنة وهي لا تعدو ان تكون جماعة من الاصدقاء يتحدثون كلما اجتمعوا في الشؤون الوطنية

فهتف السيد مفيظا محنقا :

– ألهذا استحققت لقب المجاهد ..؟!

– يحدث احيانا ان نقوم بتوزيع بعض النداءات الحاثة على الوطنية ..

فتساءل السيد بانزعاج شديد :

– المنشورات !.. هل تعني المنشورات ؟! ..

– ليست الا نداءات تحث على حب الوطن

ترك الرجل السبحة تسقط من يده الى حجره ، وراح يضرب كفا على كف ويقول وهو لا يتمالك نفسه من الانزعاج :

– انت من موزعي المنشورات ! .. انت !.. الا تعلم ما جزاء الذي يضبط وهو يوزع منشورات ؟..

– اني اقوم بالتوزيع بين الاصدقاء من الزملاء فقط ، ولا شأن لي بالتوزيع العام .. فليس ثمة مخاطرة او خطر .. فهتف السيد بغلظة وكأنه يداري خوفه على ابنه بحدة الغضب :

مجتمع لم يتغير كثيرا عما كان عليه منذ مئات السنين فى عقليته ورد فعله امام الاحداث ومواقفه ، بحيث ان جوه لا يختلف كثيرا عن جو الف ليلة . ونشعر فى نفس الوقت بان هذا التصوير يكاد ينطبق علينا ، نظرا لما بين المجتمعين من التشابه المتين ، وان تباعدت الديار ، وقلت عوامل التفاعل فى سالف الايام .

فهو لم يفتر بمظاهر المدنية العصرية التي بدأت تنتصر فى مصر ، ولم يعتبر ان مصر هي هذا الطلاء البراق الذي تميزت به طبقة قليلة من المصريين ، تكاد تعيش على هامش الحقيقة الاجتماعية ، ولم يحاول ان يخدعنا بالصور السطحية . بل انه توغل داخل المجتمع حيث تظهر حقائق شعب عارية من كل تمويه ، فنرى فى قصة هاته العائلة المتوسطة المحترمة المشاكل الانسانية التي يعانيها المصريون ، بصفة عامة .

نعم ، ان مزيته الاولى هي انه استطاع ان يحدثنا عن المصري الحقيقي الذي يمثل ملايين المصريين ، المصري الذي يعيش بفطرته وبعقليته الحقيقية . وهذا ما يكسب روايته اصالة شعبية . فهذا الجيل الاول الذي يمثله السيد احمد عبد الجواد ، وان كان يعيش فى القرن العشرين ، وسط مظاهر الحضارة العصرية ، لا زال يعيش فى جو الف ليلة وليلة . فهو، كما رأينا ، سواء فى موقفه العام من الحياة او فى اذواقه وميوله او فى الطريقة التي يفهم بها الحب ، او فى تمسكه بالدين ، او فى الطريقة التي يعبر بها عن الشعور القومي ، يظل وفيا للصورة الخالدة التي رسمتها لنا الف ليلة وليلة عن الرجل الشرقي .

ولنتأمل قليلا شخصية السيد احمد عبد الجواد لنراه تارة فى مجلسه بالعائلة وهو يثير حواليه الاحترام والاجلال ، وطورا فى مجلسه مع اصدقائه وهو يبرز عليهم بكرمه وظرفه ودعابته ، وطورا فى حديثه مع الشيخ المتدين عبد المتولى عبد الصمد وقد طفحت نفسه بالعاطفة الدينية وبالرغبة فى التنسك والتوبة ، الا تذكرنا بعض الشيء بشخصية هارون الرشيد الاسطورية كما تتراءى لنا من صفحات الف ليلة وليلة ؟

فالواقعية ، اذن ، هي التي دفعت نجيب محفوظ الى الالتقاء مع الف ليلة وليلة مثل ما حدث به فى فصول اخرى من روايته الى الابتعاد عنها، لان الاحداث والاشخاص والظروف اكتست صبغة اخرى .

بين الماضي والمستقبل

الا انني لا اشك فى ان نجيب محفوظ حينما انغمر فى تصوير المجتمع بهذه الطريقة ، كان مدفوعا بنية اخرى . وهذا ما لا يدركه القارىء الا بالتأمل العميق فى روايته من الاول الى الآخر . فهو يتحاشى ان يتخذ موقفا شخصيا فى القصة ، ويجتهد فى اخفاء آرائه تاركا للقارىء مهمة الاستنتاج والتعليق . وهذا مبدأ فني يتقيد به الروائيون الواقعيون فى الغالب ، اقتناعا منهم بان الاحداث تحمل الدلالة الكافية عن نفسها وان كل تدخل من طرف الكاتب فضول يمس بالصياغة الفنية وبحرية القراء .

ومع ذلك ، فنجيب محفوظ ككل الروائيين الواقعيين ، مهما تجرد ومهما حاول ان يكون موضوعيا ، فانه لم يختر موضوع قصته بصورة اعتباطية ، ولم يتجه الى جانب من الواقع الاجتماعي والانساني الا لانه يحمل دلالة بالنسبة اليه . وليس من الممكن فهم الرواية ونقدها من الناحية الفنية الا اذا استطعنا ان نكشف عن مقاصد الكاتب الخفية .

لقد اراد كخبير اجتماعي ان يبين الداء الذي تعانيه الامة المصرية فى مرحلة دقيقة من حياتها ، فصور التباين وانعدام التناسب الموجود بين العقلية التي يعيش عليها المصريون والمهمات الجسيمة التي تنتظرهم . فهنالك مقتضيات الساعة التي يواجهها ابناء مصر : عليهم ان يتحرروا من الاستعمار ، عليهم ان يقضوا على الفساد فى المجتمع ، عليهم ان يشقوا طريقهم نحو التقدم . وهنالك الشعب المصري الحقيقي بمزاياه وعيوبه وبقوته وضعفه .

فهذا الجيل الاول الذي يمثله احمد عبد الجواد يعيش ظروف الحرب العالمية الاولى ثم الكفاح ضد الانجليز من اجل استقلال مصر . فهل نجده فى مستوى الاحداث ؟ وهل هو واع بالمعركة القائمة ، مدرك لمغزاها ؟ ذلك ما يجيبنا عنه نجيب محفوظ حينما يصور لنا عقلية الجيل ويقابلها بالواقع الاستعماري والمخططات الاستعمارية ، فنرى عالمين متباعدين فى نوعهما ، عالم القرون الوسطى بشعره واوهامه وخيالاته ، وعالم القرن العشرين بعلمه وواقعيته وتنظيمه .

لقد تحدث المصريون قبله عن هذه الصفحة المجيدة من تاريخهم ، صفحة الوطنية والكفاح ضد

كانت من الناحية الفنية ، وحتى الانسانية اكثر أصالة، ولكننا فى الواقع ننجذب اليها كما ننجذب لشخصية «دون كيشوط » فى رواية « سيرفانتس » . ومن منا يريد ان يكون « دون كيشوط » او يتمنى ان يكون الناس حواليه فى المجتمع يشبهون دون كيشوط ؟ وهنا لا يجب الخلط بين مقاييس الحياة التي نعيشها مع الفن والخيال والشعر ، ومقاييس الحياة الاخرى التي نواجه فيها الواقع اليومي ونكدح فيها ونرنو الى المستقبل .

وبهذا المعنى ، يمكننا ان نقول ان نجيب محفوظ قام بدوره كناقد للمجتمع ، فهو حينما صور لنا تلك الشخصيات الطريفة الجذابة اراد فى الحقيقة ان يبين لنا التباين العريض بين عقلية الجيل الذي تجسمه ومقتضيات العصر والتطور وما يتطلبه زماننا هذا الصعب المعقد من وعي وحيوية . انه يعرف مفاتن الشرق القديم وسحره حق المعرفة ، ولربما يعيش تحت تخديرها ، ولكنه فى نفس الوقت يرى ان تقدم مجتمعه يتطلب من المصريين ومن العرب ان ينفمروا فى هذا القرن العشرين بكليتهم . ففي الماضي احلام جميلة ولكن يجب ان نصحو منها فامامنا هذا المستقبل الذي يجب ان نفرغ له كل مجهوداتنا .

ولكن ، على أي شكل سيكون هذا الانفمار في القرن العشرين ؟

سنرى فى المقال المقبل ما هو جواب نجيب محفوظ.

سلا : محمد زنيبر

حريص

وذى حرص تراه يلم وفرا
لوارثه ، ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو
فريسته لياكلها سواه

ابن يونس المنجم المصري

لك الحمد ... !

الك الحمد ، اما من نحب ، فلا نرى !
وننظر ما لا نشتهي ، فلك الحمد !!

ابو العلاء المعري

— ان الله لا يكتب السلامة لمن يعرض نفسه للهلاك ، وقد امرنا سبحانه بأن لا نعرض انفسنا التهلكة .. « نفس المصدر ص 372 »

ويأتي بعد هذا مشهد آخر نرى فيه احمد عبد الجواد بمتجره وقد اقبل عليه الشيخ متولي عبد الصمد ، ذلك الرجل الاشيب الذي يعتقد في بركته ، فيقول له في وسط الكلام :

« انت الخير والبركة يا شيخ متولي .. لقد نجاني الله من شر كبير ، ولكن ثمة شر لا يزال يتهددني ويقض مضجعي .

مال وجه الشيخ نحو السيد في عطف مرة اخرى وتساءل :

— ماذا بك يا بني عفا الله عنك ؟

فرنا السيد اليه بطرف واجم وغمغم في ضجر :

— ابني فهمي .

فرفع الشيخ حاجبيه الاشيبين متسائلا او منزعجا ثم قال برجاء :

— محفوظ ، باذن الرحمان .

فهز السيد رأسه بأسى وقال :

— عقني لاول مرة والامر لله .

— معاذ الله ، فهمي ابني ، وأنا أعلم علم اليقين أنه طبع على البر .

فقال السيد احمد متسخطا :

— يابى حضرته الا ان يفعل كما يفعل الشبان في هذه الايام الدامية .

فقال الشيخ في دهش واستنكار : !

— انت أب حازم ما في ذلك شك ، ما كنت أتصور ان ابنا من ابنائك يجرؤ على ان يرد لك امرا ..

— لم يجرؤ على هذا صراحة طبعا ولكني دعوته الى ان يحلف على المصحف بالا يشترك في أي عمل من أعمال الثورة فبكى ، بكى من دون ان يجسر على قول : لا ، ما عسى أن اصنع ؟ لا استطيع ان احبسه في البيت . ولا يسعني أن اراقبه في المدرسة واخاف ان يكون تيار هذه الايام أقوى من ان يقاومه شاب مثله ، ماذا أصنع أأهدده بالضرب ؟ ..

أأضربه ؟ ولكن ما عسى أن يجدي التهديد مع شخص لا يبالي تعريض نفسه للموت ؟

— وهل القى بنفسه في المظاهرات ؟! ..

— كلا ولكنه يوزع المنشورات ..

— ما له ولهذه الاعمال ! .. انه الوديع ابن الوديع ولهذه الاعمال رجال من صنف ءاخر ، الم يعرف أن الانجليز وحوش لا تتطرق الرحمة الى قلوبهم الفليظة ؟ .. وانهم يتغذون صباح مساء بدماء المصريين المساكين ؟ .. كلمه بالحسنى ، عظه ، بين له النور من الظلام ، قل له انك ابوه وانك تحبه وتخاف عليه . اما انا فسأعمل من ناحيتي على اعداد حجاب من نوع خاص ولادعون له في صلاتي وخاصة صلاة الفجر ، والله المستعان من قبل ومن بعد ..»

ويختم المشهد بهذه النصيحة التي يوجهها الشيخ الى « فهمي » عن طريق ابيه :

« قل لفهمي : ان الشيخ « متولي » ينصحه بالابتعاد عن موارد التهلكة ، قل له سلم الى الله ربك فهو القادر وحده على اهلاك الانجليز كما اهلك الذين من قبلهم ممن شقوا عصا طاعته .. « ثم مال الشيخ نحو عصاه ليتناولها فاشار السيد الى جميل الحمزاوي فجاءه بالهدية ، ووضعها في يده ، ثم ساعده على النهوض . صافح الشيخ الرجلين ومضى وهو يقول :

— غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون .. صدق الله العظيم »

لكل هاته المشاهد التي اوردنا جانبها الانساني الذي يفرض علينا ان ننظر اليها بعطف وتفهم . ولكن الكاتب حين يعرضها علينا يلفت في الحقيقة نظرنا الى ما كان يغلب على ذلك الجيل من رواسب الماضي . فالسيداحمدعبدالجواد والشيخمتوليومنعلىشاكلتهما يمثلون عهدا تاريخيا انقرض . فهم شهود القرون الوسطى في القرن العشرين . انهم لا يفهمون هذا الواقع الجديد الذي بدأ يسري في المجتمع ولا يستطيعون ان يماشوا هذه المرحلة الجديدة التي دخل اليها الشعب العربي ، مرحلة التجديد والتطور .. فهم كالاغصان اليابسة في الشجرة المورقة .

حقا ، ان شخصية احمد عبد الجواد والشيخ متولي لها طرافتها وجاذبيتها التي لا تنكر ، ولربما

ثم بعد ذلك كنا ناخذ كل يوم درسا ، ثم انتهى الامر الى اننا تعلمنا الخط ، فانقطع عنا معلم الخط ، اما الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم نزل نشتغل بها حتى سهل الله علينا بالرجوع ، ومكثنا جميعا في بيت واحد دون سنة ، نقرأ معا فى اللغة الفرنساوية ، وفي هذه الفنون المتقدمة ، ولكن لم يحصل لنا عظيم مزية الا مجرد تعلم النحو الفرنساوي ثم بعد ذلك تفرقنا في مكاتب متعددة كل اثنين او ثلاثة او واحد منا في مكتب مع اولاد الفرنساوية أو فى بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم في نظير الاكل والشرب والسكنى والتعليم).

ووصف رفاعة الطهطاوي الحياة الاجتماعية والعلمية فى فرنسا وصفا شائقا بديعا فقال انه اذا قيل فى فرنسا هذا الإنسان عالم فلا يفهم من ذلك انه يعرف في دين بل انه يعرف علما من العلوم الاخرى ، ثم يضيف قائلا : (وسيظهر لك فضل هؤلاء النصارى في العلوم عمن عداهم ، وبذلك تعرف خلو بلادنا من كثير منها . وان الجامع الازهر المعمور بمصر القاهرة وجامع بني امية بالشام وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بفاس ، ومدارس بخارى ونحو ذلك كلها زاهرة بالعلوم النقلية ، وبعض العقلية : كعلوم العربية والمنطق ونحوه من العلوم الالية ، والعلوم التي فى مدينة باريس تتقدم كل يوم ، فهي دائما فى الزيادة فانها لا تمضي سنة الا ويكشفون شيئا جديدا ، فانهم قد يكشفون في السنة عدة فنون جديدة او صناعات جديدة او وسائط او تكميلات) .

وقد سجل رفاعة الطهطاوي فى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » صورا من حياته فى مدينة النور ، ورسم أمام اعيننا لوحات حية عن الحياة الاجتماعية في فرنسا في القرن التاسع عشر .

ومن الطريف انه رسم لنا في كتابه صورا لباريس فى جدها وهزلها وعلمها ولهوها ووصف لنا المسرح الفرنسي وما يدور على خشبته من تمثيليات: فالنساء اللاعبات والرجال يشبهون العوالم فى مصر ، واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس ارباب فضل عظيم وفصاحة ، وربما كان لهؤلاء الناس كثير من التآليف الادبية والاشعار ، ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الاشعار وما يبديه من التوريات في اللعب ، وما يجاوب به من التنكيت والتبكيت ، لتعجبت غاية العجب .. كما صور رفاعة الطهطاوي صحف باريس، والوانها واصنافها ، وايثارها للصدق حينا وللكذب احيانا ، وتخصص بعضها في المعاملات ، وبعضها فى الطب ، وبعضها في امور المملكة ، وبعضها في غير ذلك من الامور .

وتناول بعد ذلك وسائل التوفير عند الفرنسيين وتدبير المصارف ، وحبذ الاقتصاد عندهم ، وانتقد الاسراف عند المصريين فقال : (فان الوزير مثلا ليس له ازيد من نحو خمسة عشر خادما ، واذا مشى فى الطريق لا يعرف من غيره ، فانه يقلل اتباعه ما امكنه داخل داره وخارجها . فانظر الفرق بين باريس ومصر ، حيث ان العسكري فى مصر له عدة خدم ... »

وهكذا يعد كتابه « تخليص الابريز في تلخيص باريز » صورة ناطقة لحياة الطهطاوي فى هذه المدينة، وقد ترجم اثناء اقامته هناك اثنى عشر كتابا تتراوح بين الكبر والصغر وهي :

1) كتاب اصول المعارف . (2) كتاب دائرة العلوم في اخلاق الامم وعاداتها (3) مقدمة جغرافية طبيعية (4) اصول الحقوق الطبيعية التي يعدها الفرنج اصلا لاحكامهم (5) نبذة من تاريخ اسكندر الاكبر ماخوذة من تاريخ القدماء (6) تقويم سنة 1244 من الهجرة الفه الاستاذ جومار لمصر والشام متضمنا سذرات علمية وتدبيرية (7) قطعة من كتاب ملطبرون في الجغرافيه (8) نبذة في علم هيئة الدنيا (9) نبذة من الميثولوجيا ، يعني فى جاهلية اليونان وخرافاتهم (10) نبذة في علم سياسة الصحة (11) قطعة من عمليات ضباط عظام (12) ثلاث مقالات من كتاب لاجندر في علم الهندسة .

كما قام فضلا عن ذلك بترجمة دستور فرنسا ، ومقال سياسي عن حرب الدولة العثمانية لروسيا عام 1828 ، ومقال عن التاريخ ، وعدة رسائل وتقريرات، وترجمة « مسائل علمية وسياسية » .

وقام رفاعة الطهطاوي الى جانب الاعمال السابقة بترجمة ابيات من قصيدة لشاعر مصري استوطن فرنسا وذكر رفاعة الطهطاوي انه ترجمها عام 1242 هـ (1827 م) اي بعد وصوله الى باريس ، واعتقد ان ترجمة الشعر تفقده جماله وروعته فقال معقبا على ترجمته في النهاية : (وهذه القصيدة كغيرها من الاشعار المترجمة من اللغة الفرنساوية ، عالية النفس في اصلها ، ولكن بالترجمة

رفاعة الطهطاوي

للدكتور: جمال الدين الرمادي

احد العلماء المصريين الذين ارتفع اسمهم في القرن التاسع عشر ، واحد المبعوثين المصريين الى اوربا الذين كان لهم اثر محمود في حياة العرب الثقافية ، والنهضة الفكرية في البلاد .

ولد في طهطا في صعيد مصر ، وتنقل في مدن الصعيد ، وحفظ شيئا من القرآن الكريم ثم وفد الى القاهرة حيث التحق بالجامع الازهر وتلقى العلم على شيوخه : كالشيخ الفضالي الذي قرا عليه صحيح البخاري ، والشيخ حسن القويسني الذي تولى مشيخة الازهر ، وقرأ عليه كتاب « جمع الجوامع في اصول الفقه » وغير ذلك من كتب الفقه والدين وحضر شرح ابن عقيل على الشيخ الدمنهوري من علماء الازهر .

وظل رفاعة في الازهر حوالي ثمانية اعوام ولما تخرج فيه اشتغل بالتدريس في الجامع ، وكان في هذه الاونة يسافر الى بلده حيث يلقي بعض الدروس على الطلاب ، وقيل انه درس ببلده شرح الملوي بحاشية الامير على السمرقندية البلاغية وقرأ في شهر رمضان في بعض السنين على عادة علماء هذه البلدة ، درسا حافلا ، فسر فيه سورة القدر بشرح الامير عليها ، واجتمع في هذا الدرس علماء المدينة من اخوانه وغيرهم ، واعجبوا به لحسن القائه ، وفي ذلك يقول المرحوم صالح مجدي احد ادباء عصره « وكان رحمه الله حسن الالقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من اخذ عنه ، وقد اشتغل في الجامع الازهر بتدريس كتب شتى حتى في الحديث ، والمنطق والبيان ، والبديع ، والعروض ، وغير ذلك ، وكان درسه غاصا بالجم الغفير من الطلبة وما منهم الا من استفاد منه ، وبرع في جميع ما اخذه عنه .. لما علمت انه كان حسن الاسلوب ، سهل التعبير ، مدققا ، قادرا على الافصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة ، بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقة ولا تعب ولا كد ولا نصب .

وفي عام 1240 هـ (1824 م) عين رفاعة الطهطاوي اماما وواعظا في الجيش ثم اختير من بين علماء الازهر اماما للبعثة بعد ان وجد فيه الاهلية واللياقة .

ولا شك ان الحياة العسكرية التي عاشها الشيخ الازهري في الجيش قد علمته لونا جديدا من الحياة قوامه حب النظام ، والكفاح في سبيل الوطن ، ومواجهة الاخطار في جلد وصبر وارادة وتصميم ، مما كان له ابعد الاثر في حياته العامة فيما بعد .

وقد سافرت هذه البعثة عام 1242 هـ (1826م) على ظهر سفينة حربية فرنسية قطعت بها البحر الابيض المتوسط من الاسكندرية الى مرسيليا في ثلاثة وثلاثين يوما ، ثم هبطت البعثة ارض مرسيليا في يولبو 1826 م ثم توجهت البعثة بعد ذلك الى باريس.

ويصف رفاعة الطهطاوي في كتابه « تخليص الابريز » هذه الفترة من حياته فيقول : (ثم لما ذهبنا الى باريس ، مكثنا جميعا في بيت واحد ، وابتدأنا في القراءة ، فكانت اشغالنا مرتبة على هذا الترتيب : وهو انا كنا نقرأ في الصباح كتاب تاريخ ساعتين ، ثم بعد الفداء نتعلم درس كتابة ومخاطبات ، ومحاورات باللغة الفرنساوية ، ثم بعد الظهر درس رسم ، ثم درس نحو فرنساوي وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب والهندسة ، وفي مبدا الامر كنا ناخذ في الخط درسين يعني في معرفة الكتابة الفرنساوية ،

والاصول النحوية بطريقة مرضية ، وحاول رفاعة في هذا الكتاب ان يبسط القواعد النحوية ويخلصها من الشوائب والتعقيدات المختلفة ، حتى يتمكن الطلبة من حفظها وفهمها .

كما الف رفاعة كتابا في تعليم المراة ، اطلق عليه : « المرشد الامين للبنات والبنين » وتناول فيه فكرة تعليم المراة بالتحليل والتفصيل ، وضرب النماذج والامثلة من التاريخ في وضوح وجلاء وروى لنا اخبار كثير من النساء الشهيرات ، وكتب فصلا عن تشريك البنات مع الصبيان في « التعلم والتعليم وكسب العرفان » جاء فيه : (ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معا ، لحسن معاشرة الازواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك .. فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف اهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي فيعظمن في قلوبهم ، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش) .

بهذه الروح طفق رفاعة الطهطاوي يدعو الى تعليم المراة والتحرر من قيود الجهل ، والخروج الى نور المعرفة اذ اعتقد انه اذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء فان المراة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها وفيما ياكلون وفيما يشربون ويلبسون ويفرشون وفيما عندهم وعندها ... وهكذا .

وقد احصى السيد صالح مجدي احد شعراء عصره في كتابه (حلية الزمن بمناقب خادم الوطن) مؤلفات رفاعة الطهطاوي فوجدها تربو على سبعة عشر كتابا في مختلف الوان المعرفة : من رحلات الى تاريخ ، الى جغرافية ، الى ادب ، الى نحو وبلاغة ، الى فقه وقانون ، الى غير ذلك .

القاهرة : الدكتور جمال الدين الرمادي

الشتاء

ان الشتاء على شتامة وجهه لهو المفيد بشاشة المصطاف

ابو تمام

قال الخشب للمسمار : لقد فلقتني !! فقال له المسمار : « آه ! لو سمعت الدق فوق رأسي ، لعذرتني !! »

نفع الغيث في ابانه

واعلم بان الغيث ليس بنافع ما لم يكن للناس في ابانه

البحتري

تذهب بلاغتها ، فلا يظهر علو نفس صاحبها . ومثل ذلك لطائف القصائد العربية ، فانه لا يمكن ترجمتها الى غالب اللغات الافرنجية من غير ان يذهب حسنها، بل ربما صارت باردة) .

وقد شكلت لجنة لاختبار الشيخ رفاعة الطهطاوي او « مسيو الشيخ رفاعة » على نحو ما جاء في القرار ، ونظرت في اعماله السابقة ، بل انها رات ان تمتحنه امتحانا شفهيا لتتأكد من قدرته على التاليف والترجمة ، واتضح للجنة اثناء الاختبار ان بعض ترجماته ضعيفة والاخرى جيدة بيد انها التمست العذر له ، لان الترجمات الضعيفة قام بها عقب وصوله الى باريس وقبل تمكنه من دراسة اللغة الفرنسية .

وعاد رفاعة الطهطاوي من باريس بعد ان قضى نحو خمس سنوات في الدراسة والتحصيل فولاه محمد علي منصب الترجمة في مدرسة الطب التي كان قد انشأها عام 1242 هـ في قرية ابي زعبل قرب القاهرة وقد رحبت شتى الدوائر العلمية والثقافية بتوليه هذا المنصب لان عدد الذين كانوا يتقنون اللغة الفرنسية بل اللغات الاجنبية يعد على الاصابع .

وبعد عامين نقل الشيخ رفاعة الطهطاوي من مدرسة الطب الى مدرسة الطوبجية واشتغل مترجما فيها مدة عامين (1249 / 1251 هـ) (1833 / 1835 م) وحدث اثناء ذلك ان انتشر وباء ذريع في البلاد فهاجر رفاعة الى طهطا حيث قام بترجمة صدر من جغرافية ملطبرون في ستين يوما ثم عاد الى مصر ، وقدمه الى محمد علي الذي كافأه مكافأة مالية سخية .

وعندما انشئت مدرسة الالسن عين رفاعة الطهطاوي استاذا بها ومديرا لها ثم الحق بالمدرسة (قلم الترجمة) وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمها خريجو المدرسة ــ كما قدره احدهم الفي كتاب .

وجاء في الخطط الجديدة وصف للنهضة الثقافية التي انتعشت في هذه المدرسة ووصف للجهود الجبارة التي بذلها رفاعة الطهطاوي في هذه المدرسة ، نقتطف منه هذه الفقرة : (وكان دابه في مدرسة الالسن وفيما اختاره للتلامذة من الكتب التي اراد ترجمتها معهم ، وفي تاليفاته وتراجمه خصوصا ، انه لا يقف في ذلك في اليوم والليلة على وقت محدود . . . فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء او عند ثلث الليل الاخير ومكث نحو ثلاث او اربع ساعات على قدميه في درس اللغة او فنون الادارة والشرائع الاسلامية والقوانين الاجنبية وله في الاول مجاميع لم تطبع وكذلك كان دابه معهم في تدريس كتب الادب العالمية بحيث امسى جميعهم في الانشاءات نظما ونثرا ، اطروفة مصرهم وتحفة عصرهم ومع ذلك كان هو بشخصه لا يفتر عن الاشتغال بالترجمة او التاليف) .

وقد قام قلم الترجمة بدور كبير في نقل الكتب الغربية الى اللغة العربية مما كان له اثر كبيرا في النهضة الفكرية في القرن التاسع عشر وتدرج رفاعة الطهطاوي في الرتب حتى وصل رتبة اميرالاي سنة 1262 هـ فصار يدعى رفاعة بك بدلا من الشيخ رفاعة .

وظل رفاعة مديرا لمدرسة الالسن حتى اغلقت في عهد عباس الاول ونفي الى الخرطوم بحجة انشاء مدرسة مصرية في الخرطوم فسافر رفاعة الى المدرسة المصرية في الخرطوم وكان تلاميذها لايزيدون على واحد وثلاثين تلميذا وزادوا سبعة بفضل جهود حاكم السودان وقضى رفاعة الطهطاوي ثلاث سنوات في السودان قام خلالها بترجمة الرواية الفرنسية المشهورة (مغامرات تليمات) .

وعاد رفاعة الطهطاوي الى مصر بعد موت عباس وتولية سعيد الحكم فعين وكيلا للكلية الحربية ثم مديرا لها فمديرا لمدرسة الهندسة ومدرسة العمارة ولكن هذه المدارس لم تلبث ان الغيت جميعا فظل رفاعة بدون عمل حتى عهد اسماعيل فعين عضوا في المجلس الاعلى الذي كان يشرف على التعليم في البلاد .

وقد ساهم رفاعة الطهطاوي في ميدان الصحافة بجهود كبيرة فقد اسند اليه تنظيم جريدة الوقائع وقد حاول ان يرفع من مستوى اسلوب تحريرها فاستعان بالمحررين المتازين .

كما قام رفاعة الطهطاوي بالاشراف على مجلة اخرى تصدر مرتين في الشهر بيد انه كان يقوم بجهود اخرى في ميادين اخرى منها ميدان التربية والتعليم فقد لاحظ ان كتب النحو المستخدمة في المدارس جارية على الاسلوب العميق ولا تصلح للعصر الحديث فوضع كتابا اسماه التحفة المكتبية في القواعد والاحكام

وهو ينقسم الى قسمين : « الانثربولوجيا الطبيعية » ، و « الانثربولوجيا الاجتماعية » .

الانثربولوجيا الطبيعية تهتم بدراسة السلالات وفروعها والقياسات ، وتدرس الانسان كاحدى العائلات الحيوانية من ناحية التطور . أما الانثربولوجيا الحضارية فهي تعنى بدراسة الحضارات البشرية ، بالمعنى الواسع للحضارة ، فتدرس التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... كما تحلل نشاط الانسان العقلي وعاداته .

وقصدنا من هذا البحث ، هو التعريف بالقسم الثاني من الانثربولوجيا . وقد اقتصرنا على نعته بالانثربولوجيا اختصارا لا تعميما ، كما ان اختيار هذا الاسم يعني عدم الالتزام بمنهج خاص أو بمدرسة من المدارس ، التي تكاثرت فتكاثرت مسميات واسماء هذا العلم ، ففي المانيا والنمسا ، فتعرف الانثربولوجيا الحضارية بالاثنولوجيا احيانا وبعلم الشعوب احيانا اخرى . اما الانثربولوجيا فتعني دراسة السلالات . وفي انجلترا وامريكا ، تعني الانثربولوجيا دراسة الاجناس ، أما القسم الحضاري منها فيعرف فى انجلترا بالانثربولوجيا الاجتماعية ، بينما في امريكا يعرف بالانثربولوجيا الحضارية ، وبالاثنوغرافيا أو الاثنولوجيا في فرنسا ، وبالاثنوغرافيا في روسيا ، وبالانثربولوجيا الاجتماعية (علم الانسان الاجتماعي) فى الجمهورية العربية المتحدة .

والواقع ان هناك اجماعا على تقسيم الانثربولوجيا الى قسمين : القسم الاول هو الاثنوغرافيا وهي الدراسات الخاصة العملية التي ينجزها العلماء فى المجتمعات القبلية ، بحيث يتناول البحث دراسة القبيلة فى نواحي حضارتها وتنظيمها الاجتماعي ، ومن خير الامثلة لهؤلاء العلماء العالم ايفانز بريتشارد الذي درس قبائل النوير السودانية . اما القسم الثاني فهو عبارة عن تحليل المعلومات وتجريدها بدون تجسم مشاق الاقامة بين القبائل ، فهذا القسم نظري بحت ، ويعتمد على الدراسة المقارنة ، والمتخصص فيه يطلق عليه براون « قعيد المكتب » ومثاله فريزر صاحب الكتاب العالمي (الغصن الذهبي) . ويطلق فرنس بوس على هذا القسم اسم الاثنوغرافيا ولو انه في بعض الاحيان يطلق عليه اسم الاثنوغرافيا ، واحيانا اخرى يطلق هذه التسمية او تلك على القسمين سويا . اما براون ، فيطلق عليه اسم « علم الاجتماع النظري » او الاثنوغرافيا .

وهذا الخلاف الشديد على التسمية ليس اعتباطا وليس اصرارا او عنادا ، وانما هو خلاف يخفي وراءه تاريخا حافلا بمدارس ومناهج انثربولوجية ، كل منها تعتبر منهجها ووسيلتها — دون المناهج والنظريات الاخرى — الوسيلة الوحيدة لفتح مغاليق الحضارة .

ان الانثربولوجيا ، اول ما ظهرت كعلم ، اتجهت لبحث التكوين الطبيعي للانسان اي ما يعرف الآن بالانثربولوجيا الطبيعية ثم تطورت في القرن السابع عشر لتفهم طبيعة النفس . ولقد حددت دائرة المعارف البريطانية سنة 1822 الانثربولوجيا على انها « العلم الذي يبحث الطبيعة البشرية » وفي سنة 1876 وصف توبينارد الانثربولوجيا على انها فرع في التاريخ الطبيعي يعالج الانسان وسلالاته . اما قاموس اكسفورد المختصر فيذكر انها علم الانسان عامة ، علم الانسان في ناحيتين : الفسيولوجية ، والنفسية ؛ ودراسة الانسان كاحدى عائلات الحيوان . بيد انه نتيجة تطور المعرفة وتشعبها فيما بعد ، قسم علم الانسان الى اقسام عديدة اهمها علم النفس ، وعلم الآثار ، وعلم تاريخ ما قبل التاريخ ، وعلم اللغة ، وعلم الاجتماع ... وبقي علم واحد ، وهو الانثربولوجيا ، يربط بين هذه العلوم ، ويعمل على التكامل بينها ، ويوضح المراحل الحضارية المتعاقبة ، ويصل الى اغوار التاريخ الانساني ، ثم يستنبط ؛ ويستدل على هذا التاريخ لا من التاريخ المكتوب او غير المكتوب بل من دراساته المقارنة على الحضارات الراهنة والتاريخية وما قبل التاريخية ، انه علم يعمم الحقائق الخاصة ليستنبط قوانين التطور الحضاري .

ولقد مرت الانثربولوجيا الاجتماعية — اثناء ذلك بل وقبله — بمراحل مختلفة تبتديء بعصر النهضة ، حيث بدات تتكون معلومات كثيرة ، عن طريق الرحالة والمبشرين ، عن المناطق الجديدة التي ارتادوها ، وعن سكان هذه المناطق . وكان لغرابة

الانثربولوجيا

للأستاذ : العربي الزنايدي

شعوب عالم اليوم في حاجة الى ان ينفتح لها على المصراع باب التعارف بينها ، لتزداد اكتناها وعيا بالاختلافات الاساسية بين مقومات حضارات الارض ، تلك الاختلافات التي تجهد الانثربولوجيا لابرازها في اطار موضوعي ، واذا أدرك ووعى كل شعب الفروق بين حضارته وبقية الحضارات ، وتسامى بذلك الادراك ، عمت الدنيا اتجاهات نفسية ايجابية متحررة ، وانتفى الشعور بازدراء واحتقار الحضارات الاجنبية .

الانثربولوجيا علم قديم وحديث في آن واحد ، قديم لان الموضوعات التي يتناولها تكلم عنها الفلاسفة القدامى ، ومن هذه الموضوعات الدين وفكرة الاله ، فقد بحثتها مدرسة ديموقريط التي اتسمت بالطابع المادي ، ومدرسة افلاطون التي نحت منحى نفسيا ، ثم مدرسة ارسطو التي اتجهت اتجاها عقليا في تفسير الظواهر الطبيعية والحياة الانسانية ... وواضح ان هذه المدارس لم يمح اثرها تماما ، بل لا زال لها صدى في العصر الحديث ، فنجد الفيلسوف هيوم قد احيى نظرية ديموقريط المادية ، كما اتبع ديكارت النظرية الافلاطونية ، كما اخذت المدرسة الالمانية ــ النمساوية في الانثربولوجيا بنظرية ارسطو في اطار علمي جديد .

اما عن اعتبار الانثربولوجيا علما حديثا ، فلان العلم بشكله الحالي لم يمض عليه اكثر من قرن واحد، وهو للآن لم يتبلور ويكتمل في بعض موضوعاته ، اذ لا زال المنهج الانثروبولوجي لم يستقر بعد ، كما ان أسس التصنيف فيه لا زالت غير ثابتة وطيدة . ويتجلى هذا في خطاب العالم « براون » أمام الجمعية البريطانية الانثربولوجية سنة 1931 حيث قال : « انه من المستحيل التوفيق بين النظريات المختلفة ، أو حتى التوصل الى أسس منهجية تجمع عليها الآراء ... ان كل مدرسة تخط طريقها وحدها وتبني تركيبها النظري بمفردها ، دون محاولة تقصي النقط التي يمكن أن تلتقي فيها بالمدارس الاخرى ، لقد تحول أصحاب هذه المدارس الى حواريي عقيدة ولم يعودوا تلامذة علم » .

على انه من المسلم به ان تعدد المذاهب وحرية اقامة النظريات من الامور الجوهرية لتطور أي علم ، ولكن كثرة المداخل ــ من جهة اخرى ــ يفترض سلفا مبدأ مشتركا ، والا لما قامت دراسة مشتركة مقارنة ، بعيدة عن الفوضى والخلط . وأهم ما يتضح فيه الخلاف هو تحديد ميدان « الانثربولوجيا » ومنهجها ، بالاضافة الى الاختلاف حول تعريف العلم واطلاق أسم واحد عليه . ويعزى ذلك الى اتجاهات المدارس المختلفة .

ان الاختلاف على التعريف لم يحدث في أي علم كما حدث في الانثربولوجيا ، فهي تعني علم الانسان ،

تطور المغرب الثقافي والاجتماعي في القرون الوسطى ونصيب المرأة في هذا التطور

للأستاذ: محمد جميل بيهم

يتألف المغرب من أقاليم ثلاثة : مراكش . والجزائر ، وتونس . وهو في طبائعه وخصائصه يختلف عن الشرق الادنى والاندلس تبعا لاختلاف العناصر القومية التي تسكن في كل منها . فحين الفتح العربي كان المغرب مأهولا بالبربر ، وظل هؤلاء اصحاب الكثرة في ارجائه ، ولكنهم تعربوا تدريجيا حتى اصبحوا مع مواطنيهم العرب ، لا يعرفون جامعة لهم الا جامعة الاسلام .

والبربر كانوا يعتمدون على نظام القبائل والبطون ، فتغلب عليهم البداوة ، بما فيها من صلابة وبسالة ، وقسوة في سبيل الحفاظ على الاخلاق المرعية عندهم ، وعلى تقاليدهم . لذلك فان المغرب، وان تأثر قليلا بالحضارة الاندلسية بفعل الجوار من حيث الثقافة والعمران ، ثم ازداد تأثرا بعد ان اختلط ببلاد الاندلس اثر اجتياز المرابطين والموحدين والمرينيين العدوة اليها ، الا انه لم يتأثر كثيرا من الناحية الاخلاقية ، فحافظ على عاداته العشائرية وعلى مقاييسها ، وخصوصا في ناحية الحفاظ على الاعراض ، والغيرة على الحرم . ولما شرع أهل المغرب يقتبسون من حضارة الاندلس شيئا من نعيمها فرفعوا القصور ، واجتلبوا الجواري من الاندلس والشرق ، حرصوا على أخلاقهم العشائرية فلم يطلقوا لانفسهم العنان فى ارتكاب الموبقات ، ولم يجاروا الاندلسيين فى اطلاقهم حرية المراة . بل حجزوا عليها فى دور الحرم ، واقاموا على خدمتها وحراستها الخصيان من ارقاء الصقالبة وسواهم . وكانوا يحظرون عليها الخروج من الدار . واذا اعوزها الامر ففي جنح الليل ، على أن تكون محجبة .

واما الناحية الثقافية فقد تأخر نضجها في مراكش والجزائر لان البربر كانوا علاوة على اكتفائهم بالعلوم الدينية واللسانية ، يعزفون عما عداها حرصاء على لغتهم القومية . ومنذ انحلال دولة بني الاغلب في تونس وغيرها ، فى اواسط القرن السابع للميلاد ، الى زمن احتلال آل عثمان شمالي افريقيا ، وذلك في القرن السادس عشر ، استمر المغرب تحت ربقة حكومات من سلالات البربر تتوزعه فيما بينها ولم تحسن الادارة ، ولم تعن كثيرا بالشؤون العمرانية والثقافية . بيد ان دولة واحدة هي الدولة الرستمية، التي قامت في طاهرت الجزائر (271 م) ، شاءت ان تتمثل بدولة بني الاغلب العربية التي كانت في تونس، والتي احتلت اجزاء كثيرة من شمالي افريقيا وجزر البحر المتوسط . شاءت تلك الدولة ان تتشبه بها فى تعزيز الثقافة ، بيد انها حرصت على أن يتم هذا البعث الثقافي على لغتها البربرية . فظهر في عهدها وبلغتها طائفة من الادباء ، وكان على رأسهم أبو يزيد الرستمي . اما وان مؤسس الدولة الرستمية عبد الرحمن بن رستم كان فارسيا فقد تجلى السبب فى انفرادها دون الدول الاخرى في العناية عناية حقيقية بالعمران والثقافة ، ولكن الذي بقيت اتساءل عنه هو : لماذا أظهر هذا الفارسي تعصبه للغة البربرية دون العربية؟ أكان مصدر ذلك النكاية بالعرب ؟ أم تأليفا لقلوب البربر حوله ؟ أم للامرين معا .

على ان البربر لم يستطيعوا في النهاية الصمود طويلا تجاه التيار العربي والحفاظ على لغتهم كلغة علم وسياسة . بل لم يلبثوا ان سايروا النهضة خلال أيام الموحدين والفاطميين في المغرب وبني زيري والصنهاجيين ، فظهر علماء كثيرون فى المغرب باللسان

تلك المعلومات رد فعل في اوربا تبلــور في كتــاب جان جاك روسو « العقد الاجتماعي » الذي كتبه بعد ان استوعب معلومات بعض اولئك المبشرين وخاصة كتاب الاب لافينــو . ثم بظهور نظرية التطور لداروين اخذت العلوم تتسابق لتبلور لنفسها منهجا تطوريا ، كما بدات الحركة الرومانسيـــة التي جعلت اساسها الرجوع الى دولة الطبيعة كما صورها روسو ، وقــد قامت هذه المدرسة الرومانسية ودافعها شعور عميق بان هناك ماضيا يختلف اختلافا كيفيا عن الحاضر ، وان كانت صورة هذا الماضي باهتة او غير واضحــة المعاني ، الا أن الاساطير والفلكلور والقصص الشعبي كانت تبرز فيها على عهود التنظيم العشائري القديم ، وعلى هذا الاساس بدأ الرومانسيون الالمان ابحاثهــم عن الادب والقصص الشعبيين عساهم ان يستخرجوا من الماضي السحيق نموذجا له ، ولكي يؤسسوا معالم التطور الحضاري . وقد قام في برلين أول متحــف الحضارات ، كان في حد ذاته يحمل معنــى جديــدا النظرة الرومانسية الى العادات والخرافات والطقوس الدينيــة والسحـــر ... والحضارة بوجه عــام .

(يتبــــع)

العــربـــي الزنايـــدي

تعليـــل عاطفـــة النقـــد

... يرجع الى غريزه الاثرة ، وحب النفس ، كأن الانسان يـــرى ان القول بعيوب الناس ، يتضمن القول ، بتفوقه ، والتشهيـــر باغلاطهــم ، اقـــرار سلبـــي بنبـــوعـــه ...

الحجيـــــج ومكــــــة

سيســأل قوم : ما الحجيج ومكـــة كما قال قـــوم ماجديس وما طسم

ـ ابو العلاء المعري ـ

القانون بين المذهب الفردي والمذهب الجماعي

للأستاذ : عبد الغني ميكو

الناس يسعون الى تحقيق مصالحهم وهم في سعيهم يتصارعون ويتخاصمون لان كل واحد يريد ان يستاثر بالخيرات دون الاخرين ، وعلى هذا الاساس كان من اللازم وجود القانون ، إذا ، فهو ظاهرة اجتماعية وضرورة لازمة لكل مجتمع بشري يرعى حقوق الناس ويحافظ على حرياتهم ويوازن بين مصالحهم . ولكن ما هو نطاق القانون ؟ ما هو المدى الذي يجوز فيه للقانون ان يتدخل ؟ أيجب عليه ان يقف موقف الحياد من علاقات الناس فلا يتدخل الا عند الضرورة ام انه يجوز له ان يتدخل كثيرا في علاقات الناس ؟ الواقع ان نطاق القانون او مدى ما يجوز للدولة ان تتدخل فيه يختلف باختلاف البيئات والازمان وذلك تبعا لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعليه فلا نستطيع ان نعطي تحليلا واضحا عن مدى سيطرة القانون . اذ هذا يختلف كثيرا باختلاف الشعوب . ولكن يمكن حصر مدى تدخل الدولة ، او مدى تدخل القانون ، في مذهبين ، او نزعتيين ، هما النزعة الفردية والنزعة الجماعية ، الاولى لا تبيح ان تدخل الدولة الا عند الضرورة . والثانية ترى وجوب تدخل الدولة كثيرا ، بل تذهب في بعض الظروف الى حد ان تصبح الدولة هي كل شيء وبالاخص يوجد هذا في البلاد التي تمذهبت بالمذهب الاشتراكي وعلى هذا الاساس فسنتحدث عن النزعتين الفردية والجماعية مبادىء كل منهما ، محاسن وعيوب النظريتين ، النظرية التوفيقية ، النظرية الاسلامية .

المذهب الفردي والمذهب الاجتماعي :

يرى المذهب الفردي ان الجريمة الفردية هي الهدف ، وان الفرد هو قلب المجتمع النابض وان هدف كل جماعة بشرية هو حماية حقوق الفرد وان مصلحة الفرد فوق مصلحة المجموع وانه يمكن التضحية بمصلحة الجماعة في سبيل المصلحة الفردية ، وان هذه الحقوق الضيقة بالانسان لا يمكن التنازل عنها ولا سقوطها بالتقادم . وهذه الحقوق وجدت قبل وجود الجماعة ، والجماعة لم تقم الا لرعايتها ، وحمايتها ، اذ هي سابقة على وجودها . وهذه النظرية عرفت بالنظرية الفردية او الذاتية ، وقد وجدت اولا في انجلترا حيث دافع عنها اولا « جون لوك » وذلك عندما شرح نظريته في « العقد الاجتماعي » وآمن بأن الناس كانوا يعيشون منعزلين قبل قيام الجماعة ولم تكن حياتهم فوضى وا نماكانوا يعيشون في أمن وسلام ، ولكن حياتهم في بعض الظروف ، كان يعتورها الغموض ، وينقصها عدم وجود القاضي المنصف ، ولذا قرروا الخروج من حياة العزلة الى الحياة الاجتماعية ولكن الذي أصبح يلي شؤون الجماعة لا بد من ان يرعى حقوق الافراد لانها سابقة على وجوده . وقد انتقلت النظرية الفردية من انجلترا الى فرنسا فبررت عند « مونتسكيو » في كتابه « روح القوانين » 1748 و « جان جاك روسو » في كتابه « العقد الاجتماعي » وأثرت هذه النزعة على الوثائق الدستورية التى صدرت في امريكا الشمالية وذلك بمناسبة استقلال المستعمرات الثلاث عشرة 1776 وقد تضمنت ديباجة ، جاء فيها : « ان الناس خلقوا سواسية ، متمتعين بحقوق خالدة ، لا تنتزع ، ولقد نشأت الحكومات لصون هذه الحريات » .

والرجال الذين قاموا بالثورة الفرنسية كان لهم الفضل في وضع افكار فلاسفة المذهب الفردي موضع التطبيق . فالوثيقة التي اقرتها الجمعية الوطنية

العربي المبين . ثم تعاقب على شمالي افريقيا منذ القرن الحادي عشر الى الخامس عشر شعراء وكتاب مرموقون . أشهرهم ابن خلدون وابو علي التميمي : معري المغرب ، وابو حسن علي المراكشي فيلسوف المغرب . وساهم معهم فى ذلك بعض السيدات وكانت اشهرهن عائشة الشريفة . وقد نوهت دائرة المعارف للبستاني (ص 788) بسيدة اخرى ، وهي زينب بنت اسحاق النفزاوية التي تزوجها السلطان يوسف بن تاشفين (453 — 500 هـ) وهو من دولة المرابطين .

غير ان الذي يقال عن مراكش والجزائر لاينطبق على تونس . فهي كانت ، ولا تزال ، قنطرة بين المشرق والمغرب تتأثر بالمشرق مثلما تتأثر بالمغرب فتبدو وسطا بينهما . وهي اشبه شيء بلبنان الذي يلتقي فيه كل من الشرق والغرب .

والى هذا فان تونس توفر لها باكرا ، ما لم يتوفر لسواها من بلاد المغرب : توفر لها ولاة احتضنوا الثقافة ورعوها ، وعملوا لنشرها . وكان أول من رفع لواء الادب العربي فيها عبد الرحمن بن زياد المعافري ، الشاعر الفحل ، الذي ولي قضاء القيروان (94 — 161 هـ) . ثم سرعان ما قامت فيها دولة الاغالبة العربية (184 — 296 هـ) التي جرت مجرى العباسيين في تعزيز الثقافة واهلها ، واوفدت البعثات الى الشرق لطلب العلوم والآداب . وقد اشتهر فيها علي ابن زياد العبسي ، وهو أول من أدخل كتاب الموطأ ، ومذهب مالك الى شمالي افريقيا ، كما اشتهر عبد الله ابن قطن . وكان يعتبر اماما في اللغة والآداب . وكان للنساء نصيب من تلك النهضة ، واشهرهن مهرية الاغلبية الشاعرة المطبوعة . وكان كل من جامع الزيتونة في تونس الذي شيد سنة 141 هـ . وجامع القيروان منارة للعلوم الدينية والادبية تشع انوارها حولها فتهدي السبل .

غير ان تونس اصيبت بنكسة بعد الاغالبة ، واصيبت اللغة العربية فيها وآدابها بصدمة اشد قضت على ازهارها . ذلك بأن بني زيري البربر الذين خلفوا الاغالبة على القيروان (362 — 543 هـ) تعصبوا لقوميتهم وللغتهم فترجموا اليها الكتب العربية التي يحتاجون اليها ، واهملوا لسان العرب . حتى اذا قام بنو حفص في تونس (625 — 941 هـ .) خلال عهد دولة الموحدين ، نهجوا نهجهم في الاعتماد على العربية ، وفي تنشيط الحركة العلمية الادبية . فعادت النهضة العربية سيرتها الاولى .

وفي ايامهم استأسد الاسبان وانصارهم ، واضطروا المسلمين في الاندلس للجلاء تباعا عنها . فهاجر اكثرهم الى شمالي افريقيا ، ولا سيما الى تونس . وكان بينهم العلماء ، والادباء ، والفنانون . كما كان بينهم الصناع ، والتجار والزراع .

وكان هؤلاء المهاجرون يمثلون الحضارة الاندلسية على أسمى مراتبها ، فافادوا تونس وغيرها فوائد جمة في جميع نواحي الحياة . وكان لهم في تونس على ماروى الشيخ محمد بيرم (صفوة الاعتبار 127 ج) مدينة خاصة ابتنوها كانت تمتاز عن غيرها فى الهندسة وانتظام الشوارع . فاذا بتونس تشهد فى عهد بني حفص ، نهضة عامة ، واذا ببعض التونسيات يساهمن في هذه النهضة اسوة بأخواتهن الاندلسيات ولا بدع فعند التونسيين من المرونة والاستعداد للتطور ما ليس عند كثير من الاقطار العربية الاخرى

على أن المغرب الاقصى وان لم يتأثر باللاجئين اليه من الاندلس بمقدار ماتأثرت بهم تونس فى النواحي الثقافية والاجتماعية والفنية الا انه امتاز على الامصار المغربية الاخرى بحفاظه على الطابع الاسلامي العربي الاصيل خلال القرون الوسطى وبعدها ، ولا سيما في الناحية الاخلاقية .

واني وان لم احظ حتى الآن بزيارة هذا القطر الشقيق الا أن الفرصة أتاحت لي التعرف الى بعض أهله في اوروبا منذ مطلع هذا القرن ، كما أتاحت لي سماع الثناء على اخلاقهم الطيبة ففي زيارتي الاولى لانكلترا سنة 1913 اسعدني الحظ بالاجتماع في مانشستر ببعض التجار المراكشيين ، وبسماع الثناء الكثير من الانكليز على استقامتهم فى المعاملات وصدق لهجتهم . زد على ذلك انهم كانوا فى انكلترا يحافظون على زيهم المغربي وعلى تقاليدهم الاسلامية حتى انهم كانوا اذا جاء العيد يعيدون وكأنهم فى المغرب فيقيمون الولائم الوطنية ، ويدعون اليها الجالية الاسلامية لتشاركهم في افراحهم وشعائرهم الدينية .

على ان الاحوال العامة في المغرب وان تبدلت فيما بعد خلال الاحتلال الفرنسي تبدلا كثيرا شمل اقسامه الثلاثة على السواء الا ان المغرب الاقصى اعرب عن مناعة اشد من سواه ، وهو رغم كل ما اصابه من فتن استعمارية لا يزال يحتفظ بطابعه الاسلامي العربي اكثر من البلاد العربية كلها .

ومن حسناته انه وان كان يبني الآن صرح مستقبله على قواعد جديدة فهو لم يقطع صلته بماضيه المجيد . وفقه الله لما يحبه ويرضاه .

محمد جميل بيهم

3) ادى المذهب الى تكديس الثروات وتجمعها فى ايد قلة قليلة من البشر ونزول الفئة الوسطى من المنخبين الى طبقة العمال وقامت الشركات الكبرى التي احتكرت الانتاج وتدخلت كثيرا فى السياسة لحساب الراسمالية وكثر العمال وتضخم عددهم وتجمعوا فى المصانع وساءت حالهم لتفاهة الاجور التي كانوا يتقاضونها والبطالة التي كانت تسيطر عليهم خصوصا فى ظروف الازمات الدورية وازدادت حالتهم سوءا نتيجة اهمال المشرع لهم وايمانه بمبدأ سلطان الارادة وشعور العمال بالظلم ادى بهم الى ان يتجمعوا ويكونوا طبقة خاصة بهم هدفها حماية صالح الامة كلها لا حفنة كما يريد ذلك المذهب الفردي وان المذهب الفردي يجب ان يزول .

4) آمن المذهب بان مجموع المصالح الفردية يكون الصالح العام وهذا خطأ اذ الناس يجرون وراء مصالحهم ولا يهمهم صالح الجماعة بل قد يحققون مصالحهم على حساب مصلحة الجماعة والثابت عمليا فى المذهب الفردي ان مجموع المصالح الفردية لا يكون الصالح العام اذ ان مجموع المصالح الفردية يستحيل فى النهاية الى تحقيق مصالح قليلة من الافراد والسبب فى ذلك هو انه يعتقد ان الافراد متساوون فى المراكز القانونية وبذا يخطيء خطأ فادحا اذ ينسى الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية التي توجد بين الافراد . والخطأ الذي وقع فيه هذا المذهب فى الناحية الاقتصادية هو نفس الخطأ الذي وقع فى الناحية القانونية ذلك ان مبدأ سلطان الارادة وحريتها يقضي بالمساواة المطلقة فيما بين المتعاقدين فى حين ان هناك فوارق كثيرة يجب اعتبارها بل الادهى من ذلك ان المذهب يغالي غلوا غير مقبول عندما يقول ان الارث مبني على وصية مفترضة فالصبي لا يستطيع ان يترك وصية صريحة فاحرى وصية مفترضة . او ان المجرم ارتضى توقيع العقوبة عليه فى حين ان رأي مجرد بقول خذوني . وهكذا فان مساويء المذهب الفردي كانت تحمل بين طياتها قيام مذهب جديد هو المذهب الاجتماعي الذي يعتبر رد فعل عنيف المذهب الفردي .

المذهب الاجتماعي :

ان الفرد ليس هو الهدف وان الهدف هو الجماعة وان مصلحة المجموع يجب ان تقدم على مصالح الافراد وان مراعاة مصلحة المجموع ليس فيها ضرر على الافراد اذ ان الصالح العام يوزع على الافراد . وهذا المذهب اصبح يبصر بالفوارق الكثيرة الموجودة بين الافراد وان حرية المتعاقدين وسلطان الارادة ليس كفيلا بتحقيق العدالة بين الافراد ، واخذ بمبدأ تدخل الدولة لحماية الظرف الضعيف فى العقد. وبالاخص عقود الاذعان وولدت نظرية التعسف فى استعمال الحق ونظرية الظروف الطارئة وتدخلت الدولة فى عقود العمل واقامت نظرية الغبن وغالت بعض المذاهب الاجتماعية الى حد القضاء على الملكية الفردية بصفة مبدئية ونقلها الى الدولة فتصبح الدولة هي المنتجة الوحيدة وهي رب المصنع وصاحب المتجر تستخدم الافراد حسب حاجياتهم فهم يعملون في مصانعها بعد ان قضوا طفولتهم فى دورها ومدارسها ونالوا التربية والتوجيه الذي تريده وعلى هذا فهم يولدون ويحيون ويموتون ولا يعرفون خلال كل هذه المراحل غير وجود الدولة ، وظهر هذا الغلو فى المانيا الهتلرية وايطاليا فى عهد موسوليني وروسيا السوفياتية ، ولكن الملاحظ حتى في الدول الاخذة بالمذهب الفردي هي نفسها اصبحت تنظر بعين الاعتبار الى الفوارق الموجودة فيما بين افراد الجماعة وانه من اللازم حماية الانسان من استغلال اخيه له . بل حمايته حتى من نفسه والملاحظ ان النزعة الجماعية ليست حديثة عهد بالوجود بل هي قديمة جدا فهناك كثير من القبائل لم تكن تعترف بأي حق لافرادها وانما كانت ترى ان الفرد يجب ان يفنى فى الجماعة .

النظرية المعتدلة :

والواقع انه اذا كانت النزعة الفردية قد غالت فى الاعتداد بالفرد وتقديسه واعتباره غاية كل جماعة وهدفها الاسمى فان المذهب الاجتماعي قد غال في تقديس الجماعة والاستهانة بالفرد فاذا النزعة الفردية لاتبصر الجماعة ولا تحترمها وانما تبصر الفرد فتقدسه وهذا غلو فان النزعة الجماعية تدوس كرامة الفرد ولا تعترف له بحريته ولا تحفظ له استقلاله من غيره من الكائنات البشرية ولا ترعى فيه غرائزه الفردية ، وعليه فان المذهب الفردي لايرى فى الانسان الا انه كائن فردي والمذهب الاجتماعي لايرى فى الانسان الا انه كائن اجتماعي .

1789 واعتبرت جزءا من الدستــــور الصادر 1791 جاء فيها : « ان هدف كل جماعة سياسية هو صيانة حقوق الانسان الطبيعية الخالدة وان صيانة حقــوق الانسـان والمواطن تقتضي قيام سلطة عامة ولــذا فان هذه السلطة تقوم لصالح الجميع لا لصالح من يعهــد اليهم بها » ، والحرية هي فعل كل ما لا يضر بالغيــر وليست هناك قيود تنال حرية الافراد الا تلك التــي تكفل لباقي الاعضاء فــي الجماعـــة التمتـــع بنفس الحقوق ، فالحرية هي الاساس والتقييــــد ما هو الا استثناء ، ولذا كان القانون هو علم الحرية ، وهدفــه صيانتها ، ولم يبح المذهب للدولـــة بان تتدخـــل الا للتمثيل الخارجي والامن الداخلي ، وصيانة العدالــة وقد شبه بعضهم الدولة بشرطي المرور الذي ينظــم السير فهو يوقف البعض ليمر البعض الآخر ولكــن عليه ان يحافظ على حقوق المارين جميعـــا .

ولكن النزعة الفردية ليست حديثة عهد بالوجود بل هي قديمة ، فهي تعود الى أيام الرومــان حيث ان القانون عندهم كان فردي النزعة ولكن الذي يميــز القرن الثامن عشر والتاسع عشر هـــو الاغــــراق فى الفردية حتى اتــت وثيقـــة استقـــلال المستعمرات الانجليزية ودستور الثورة الفرنسية معبرة عن هــذه النزعة وذلك بتسويد الحق على القانون واعتبار الحق سابقا في وجوده على القانون بل ان هدف القانون هو حماية الحقوق ورعايتهـــا .

وعلى كل فان النزعة الفردية تجلت في الميدان السياسي والقانوني والاقتصادي ، ففــي الميــدان السياسي ، ساد مبـــدأ حريـــة الانسان وتقديسه والايمان بان استقلاله هو الهدف ، وانه مطلق الحرية في تقرير مصيره بنفسه ، وساد الاعتقاد بان القانون هو علم الحرية ، وانها هي الهدف الذي ينبغـــي ان يقصده كل نظام قانوني عادل . وفي الميدان القانونــي تجلى فى ازدهار مبدأ سلطان الارادة وحريتها ، وان رضا المتعاقدين شريعتهما وانه لا يمكن لاي من المتعاقدين ان يقــرر بارادته المنفردة انهاء العقــد مهمــا كانــت الظروف التي تبعث هذا الانهاء ، لانه يكفي ان تكــون ارادته اتجهت الى احداث اثر قانوني وهي تامة التنور، وامام مبــدأ سلطان الارادة تضاءلت ارادة المشـــرع واصبحت ارادة الفرد تعلو على ارادة الدولة بــل ان النظم القانونية اصبح اساسها عند انصار هذا المذهب الارادة ، والارادة الفردية وحدها ، فالملكية عندهـــم هي المظهر المادي لمبدأ سلطان الارادة والميراث ما هــو الا وصية مفترضة ، والمجرم الذي ينفــد فيه حكــم الاعدام ارتضى هذا الحكم عن طواعية ، لانه قبــل هذا القانون سلفا لان القوانين كلها وليدة ارادة الشعب . وفى الميدان الاقتصادي اعتقدت ان الحرية الشخصية هي الهدف وان المنافسة هي الاساس وان الفرد لايمكن له ان يعمل الا بوازع ينبعث من اعماقه وان غريزة حب التملك غريزة اصيلة فى الانسان وانــه لا ضرر مــن المنافسة على الصالح العام اذ ان مجموع المصالــح الفردية يكون الصالح العام . هذه هي فلسفة المذهب الفردي حرية سياسية وتسويد للحــق على القانــون ومنافسة فى الاقتصــــاد .

تقـديـــر النزعـــة الفـرديـــة :

ادى المذهب الفردي الى الاعتــــراف للانسان بكرامته كانسان والايمان بانه مستقل عن غيره مـــن الكائنات البشرية وبان له حقوقا يجب صيانتها وكــان له اكبر الاثر فى تحرير الفرد من استبداد الحكـــام والاعتراف بمساواة الناس وهذا معناه القضـــاء على النظام الطبعي الذي كان يشكل تهديدا خطيرا لحريات الافراد ولكنه لا يخلو من عيوب سنتولى عرضها :

1) ان المذهب الفردي قـــام على اساس نظرية العقد الاجتماعـــي وهي نظرية خيالية اذ الانسان لم يعش قط منفردا وانما عاش فى الجماعة وبالجماعــة ولم يثبت لنا التاريخ ان الانسان كان يعيش منفـــردا ثم قرر ان يجتمع بغيره فتكون المجتمع ، ونتيجة لهذا فانه لا يمكن تصـــور ان هناك حقوقا يكسبهـــا الفـــرد وهي سابقة على وجود الجماعة ، والجماعة لم توجــد الا لحمايتها ورعايتها اذ الحقوق كلها اجتماعيـــــة ولا يمكن ان تنسب الا لانسان يعيش فى الجماعة اذ عندما نتصور حقا فلا بد من وجود صاحب للحق وآخــر أو آخرين ملتزمين باحترامه . واذا كانت الحقوق كلهـــا لا توجد الا فى جماعـــة وانه ليس هناك حـــق اذا لم تعترف به الجماعة كان معنى هذا ان الحق ليس سابقا فى وجوده القانوني بل ان القانون هو السابق فى وجوده على الحق بدليل ان كل حق لا بد من ان يحميه القانون

2) ان المذهب الفردي يؤدي الى سيـــادة الانانية ويعلم الانسان ان يطالب ويتمتـــع بحقوقــــه دون ان يتحمل واجبات ، واعـــلان حقوق الانسان هو نفسه تحدث عن الحقوق واغفل الواجبات .

ثقافتنا الإسلامية المعاصرة

للأستاذ : الحسن السائح

الثقافة وعي حضارة ، لابد لها من الحرية والتعبير المحلي المعتمد على اللغة ، ولا بد أن ترتكز في حاضرها على الماضي وتسير في تصميم محكم ، والاسلام دين سماوي ، وهو مفهوم عقلانيا ، ومزود بفلسفة قوية ، استطاع ان يستوعب ما سبقه من حضارات ..

- 2 -

وهنا اظهر الفكر الاسلامي طاقته الجبارة ، ومرونته العظيمة ، حيث استوعب كل ما سبق من انتاج الفكر ، ثم اعطى كل ذلك للحضارة الغربية بواسطة ابن مسرة وابن سينا ، وابن رشد وابن ميمون ، فاستمدت الحضارة الغربية في عصر النهضة كل مقوماتها من الحضارة الاسلامية ، ولو انصف التاريخ او لو كتب المسلمون تاريخ الغرب لا ظهروا الاثر البارز للثقافة الاسلامية في عصر النهضة بفضل الاسلام اعظم بكثير من فضل اليونان على الغرب ، ذلك لانه انما عرف الحضارة الافريقية بواسطة علماء الاسلام الذين لم ينقلوها بل شرحوها واضافوا اليها عدة اضافات وعلقوا عليها من فيوض الالهامات الشرقية غير ان العالم الاسلامي اصيب بنكسة فتجمد ، وبالتالي عجزت الثقافة الاسلامية ، والمسؤولية في ذلك تحدد بعدة عوامل سياسية واقتصادية وفكرية ، وفي الوقت الذي تجمدت فيه الحضارة الاسلامية كانت الحضارة الغربية في بداية الانطلاق ، وتطورت بسرعة لعوامل اقتصادية واجتماعية ، ولم تسر في تطورها السريع صوب ذاتها ، بل توسعت في العالم الاسلامي على حساب الحضارة الاسلامية ، وبذلك تحدتها وحاربتها في عقر دارها ، وكان هناك فرق بين تحدي الحضارة الاسلامية للغرب ايام نهضتها حيث كانت متسامحة ، عاطفة روحية ، وبين تحدي الحضارة الغربية للحضارة الاسلامية حيث كانت ظالمة متعننة خطيرة . وبينما سعت الاولى لتطوير التفكير الغربي ، والاخذ عن حضارته سعت الثانية مدفوعة بالتعصب لتكتسح الثقافة الاسلامية في عملية جينوسيد للثقافة الاسلامية .

وما يزال العالم اليوم في معركة صامتة بين الثقافة الاسلامية ، وبين الثقافة الغربية ، ونزال نعاني ازمة الثك في قيمة حضارتنا المغلوبة على امرها .

لقد اعطي للغرب فرصة من الزمان ، والقوة المادية ، وتنظيم ثقافته وحضارته ، وتدوين تاريخه وفرض ثقافته بالقوة مما جعل ثقافته تظهر دائما في صورة (ذات الفكر المنظم) او في صورة (الثقافة الرسمية) و (الحضارة القانونية) او الثقافة العامة المعترف بها ، اما الثقافة الاسلامية ففي وضع معاكس تماما لا تحسد عليه، فهي مفرقة متنابذة تفتت شخصيتها الحضارية او اشرفت على التفتت ، والمسلمون اصبحوا يكونون مجالا للتجارب الحضارية شاعرين بانهم اصحاب مجد دارس وثقافة محنطة ، يتلقون الحضارة الغربية بالقوة حينا ، والحيلة مرة اخرى ، توهم الكثير منا اننا مضطرون اذا رغبنا في التطور الارتماء في احضان التفكير الغربي والحضارة الغربية .

وانتهى هذا الغزو المنظم الى فل شنات الالتحام الاجتماعي الاسلامي ، وحيوية الضغط العائلي لمقاومة عوامل الضعف والانحلال ، فتضاءل الوازع الديني الموقظ للضمير الذي ينمي الحاسة الدينية في الفرد والمجتمع ، وبذلك اخذت شخصية المسلم في التفتت ، وكان في اثر ذلك في المجتمع ان فقدت العائلة حفاظها على التراث ، كما كان من اثر ذلك في الفكر العلمي المسلم ان خلد الى الراحة والسكون وفسح المجال لظهور صنفين (احدهما) يتنكر للدين ويروج الالحاد ، مستهزءا

والحقيقة اننا لانستطيع ان ناخذ بالنزعة الفردية التي لاترى فى الانسان الا انه كائن فردي وتملى البؤس لاكثر الناس ولا تراعي الفوارق الاجتماعية والاقتصادية والانسانية فيما بين الناس ولا النزعة الجماعية التي لاترى فى الانسان الا انه كائن اجتماعي والتي تهدر فيه كرامته ولا تحترم فيه شخصيته ولا غرائزه التي تدفعه الى الابتكار ثم هي نظرية خطيرة اذ انها تقوم على اساس الصالح العام ولكن لايبين لنا من سيحدد المصلحة العامة وباسم من سيضحي الافراد بمصالحهم الخاصة ان لم يكن باسم الحاكمين وما هو المعيار الذي سيتخذ لتحديد نطاق الصالح العام والاغلب ان يكون هذا المعيار سياسيا .

وعلى هذا الاساس فلا بد من ازدواجية النزعتين فى الحياة الانسانية النزعة الفردية والجماعية ، فالانسان كائن فردي وهو فى نفس الوقت كائن اجتماعي فمن اللازم ان تحفظ له كرامته ، ويعترف له بحقوقه ولكن فى الوقت نفسه يجب الاهتمام بصالح الجماعة واعتبار الفوارق الموجودة بين الناس.

ويلاحظ فى الاخير ان الاسلام اقرب الى النزعة الاشتراكية منه الى الفردية فهو لم يهمل الجانب الفردي فى الانسان ولا الجانب الاجتماعي فيه وان كان الى هذا الاخير اقرب فالحق لا يملكه الفرد الا اذا خولته الجماعة اياه وهو لايملك التصرف المطلق فيما تخوله الجماعة اياه اذ ان تصرفه مقيد بالصالح العام للجماعة فلا يمكن ان يتصرف تصرفا يضر بالصالح العام ويحمي القانون هذا التصرف .

وسنتولى عرض موقف الاسلام من النزعتين الفردية والجماعية باسهاب فى مقال خاص .

قيل .. وقالوا ...

قال الرازي :

لقد تاملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن. اقرأ فى الآيات : « الرحمن على العرش استوى » و « اليه يصعد الكلم الطيب » واقرأ فى النفي « ليس كمثله شيء » و « لايحيطون بعلمه الا بما شاء » ... الى ان قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل تجربتي .

نهاية اقدام العقول عقال
وغاية سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى ان جمعنا فيه : قيل وقالوا ! ..

تلك الثقافة في عمومها ، (ثانيا) ان قوة النقاد لاي اشعاع ثقافي تكون على نسبة عكسية للقيمة الثقافية لذلك الاشعاع ، (ثالثا) ان قبول عنصر من ثقافة اجنبية يجري وراء سائرها ، (رابعا) ان هذا العنصر المفرد قد يكون اكثر ازعاجا للمدنية القابلة فيما لو تبنت الثقافة كلها، هذا رأي توينبي في الاستمداد الثقافي ، ولا شك انه يجب ان يؤخذ بكثير من الحيطة بالنسبة للثقافة الاسلامية ، ذلك لان الثقافة الاسلامية ثقافة قوية معتزة بنفسها ، شاملة لكل مرافق الحياة ، والحضارة الاسلامية انما نطبق ما نراه في الغرب على ما اكتسبته خلال تجربتها التاريخية وانه لمن السهل على مؤرخي الحضارات ان يردوا الكثير من اصول الحضارة الغربية ومظاهرها اليوم الى اصولها الاسلامية الاولى ، وطبعا في غير مجالات (التقنية) التي تسلم للغرب بالتقدم فيها والتي لا تخضع لشعب من الشعوب لعالميتها .

وانما تظهر في الآداب والاخلاق ، وقد يجوز ان تطبق نظرية توينبي على بعض الحضارات الاسيوية والافريقية ، اما بالنسبة للعالم الاسلامي فله قصة اخرى ، واذا فلا نخشى من الاستمداد الثقافي بل ان الاستمداد الثقافي اصبح ضرورة حتمية في هذا العصر ، وليس هناك خطر الحتمية اذا استمرت وفق شروطها الطبيعية كذلك ، وقد مر الاسلام بهذه التجربة في القرن الثاني فقد اخذ من اليونان والرومان والهند وفارس ، واذا كان الاسلام في ذلك الوقت في (موقف هجوم) او في (موقف انتصار) وهو اليوم في (موقف دفاع) فكل ما يقتضيه الموقف اليوم هو التبصر لمواجهة الموقف ، ويجب لتحصين الدفاع ان نحيي تراثنا احياء تاما ، وان نعيه بقوة ونرعاه باخلاص وان نوحد الصف الفكري في العالم الاسلامي ، وان نعرف ثقافة خصوم حضارتنا معرفة تامة ، ثم يجب ان لا ننسى ان الذاتية الحضارية في هذا العصر يجب ان تسبق او تصاحبها مكتسبات اقتصادية ما نزال نكدح لتحقيقها بعد الاستقلال السياسي .

واذا فالضرورة تحتم عملية خلق وعي ثقافي اسلامي واحياء تراثنا العلمي والانساني ، وهذا يتطلب عملا منظما لخلق جو ثقافي في المدرسة والكلية والنادي والمسرح والسينما ، والفن والموسيقى ، والاقتصاد والمجتمع والادارة ، مع اعطاء دراستنا صبغة البحث العلمي الرزين وتنويع البحث واحياء تراثنا وما يتطلبه ذلك من تكوين لجان فنية لتمحيص عملية الانبعاث ووسائله ويقتضي التخصص في طريقة البحث العلمي وفي الدراسات الدينية والعلمية والادبية والفنية ، على اساس احيائها ومقارنتها وشرحها واخراجها في اسلوب واضح حتى تستطيع من جديد ان تعطي للغرب المترهل اثرنا الخالد ، واخوف ما نخشاه هو الارتجال الذي تضيع به عناصر القوة ، التي تسم ثقافتنا الاسلامية مما يعرضها لا قدر الله لخطر عظيم ، ان العالم اليوم يعيش منقسما بين ثلاثة اتجاهات ، اتجاه الغرب واتجاه الشرق ، واتجاه العالم الثالث ، واذا كان الغرب واضح الاتجاه كما اذا كان الشرق ظاهر الايديولوجيات ، فالعالم الثالث الذي يعيش واقعا خاصا لا يزال لا يعرف نفسه اولا يؤمن بمعرفته ، فلهذا يجب ان يكون لواقعنا فلسفه وان يكون لنا موقف اسلامي واضح من الشرق والغرب ، فمن الواضح بالنسبة الينا كمسلمين ان نظام الشيوعية ليس الا تعبيرا علميا عن وجهات نظر لاصلاح اجتماعي ، ولا يعتقد ان الرأسمالية اصل كل مشاكل العالم ، وان القضاء عليها سيصل بالانسان الى الفردوس الارضي وان الثورة البرولتاريا هي طريق الخلاص ، لان الاسلام يرفض الرأي القائل بان عدم توازن المجتمعات هو الراسمال ، ولكن الاسلام الذي يوافق على مبدأ الملكية ، لا يسمح بالاستغلال وبمبدا القوة والرباويات لصالح الافراد ، فهو له مآخذ على الرأسمالية كذلك ، والاسلام يرى ان التربية الاسلامية لضمير الفرد والجماعة هي اساس كل خير ، كما يرى ان تربية الضمير تستمد وعيها من وحي السماء ، وان احوال البشر تصلح اذا اقيم التوازن الصحيح على اساس الحقيقة السماوية فالعالم الثالث له ثقافته او على الاقل للعالم الاسلامي ثقافته وحضارته ، وهي في حاجة الى بلورة ، وهي ثقافة انسانية غير انانية ، هادفة الى تحقيق الخير تعطي وتأخذ ، مرتكزة على ضمير حي ، يقظ ، يستمد قوته من دستوره الخالد المتجدد الذي لا يبلى ... وهو دستور واضح للمسلمين كافة ، ثقافة ديمقراطية تأبى الاستعلاء الفردي او الجماعي فلا تفرق الا بالتقوى ، وخدمة الصالح العام .

ترتكز على المعرفة الضرورية العامة بين البشر غير جامدة ولا متحجرة فهي تشكو لتترك الشك الى اليقين الثابت ، وهي ثقافة تتكامل بين عقيدتها وخلقها وفكرها الاجتماعي غير خاضعة للتضليلات والخرافات .

هي ثقافة شعبية هادفة لتوحيد جهود الانسان والسمو به لا تعترف بين جوازية الفكر ولا تستأسد على الضعفاء فكرا وخلقا لا تعير العنصرية في مختلف اشكالها اللونية والدموية ، بل تحاربها عقائديا واجتماعيا بدون هوادة .

ان العالم اليوم ، وقد مزقت وحدة الانسان المصالح والنزعات والايديولوجيات يجب ان يتصور الوحدة الحقيقية الجوهرية للحياة كما اسسها الاسلام .

وان العالم اليوم المتشائم ، المتحارب ، الحائر ، الباحث عن السلام وترع السلام لفي حاجة الى دوخرو الروحية الاسلامية وان السياسة العالمية ، الباحثة عن جوهر الديمقراطية التي لا تعترف بالطبقة ، ولا باللونية ، ولا بالمال ، ولا بالقوة . لفي حاجة الى ديمقراطية الاسلام .

ثم ان الغرب الذي اعطيناه بالامس حضارتنا ونحن راضون كل الرضى ليجب عليه اليوم ان يرد دينه ، فلا يستعمل الجنوسية لثقافتنا المكافحة ، ولا يصوب اسلحته الهدامة لاكتساح ثقافة لم تخدم الا بالانسانية .

الرباط : الحسن السائح

بالمعطيات الحضارية الاسلامية ، متخذا من تاريخ المسلمين مجالا للنقد (وثانيهما) ادعاء المحافظة على الدين في روتينية كهنوتية لا يقرها الاسلام تستغل المجتمعات وتقيم فوارق طقوسية زاوية لا تنسجم مع زوايا المربع الكامل ، لان الاسلام دين اجتماعي يتساوى فيه الجميع ، ويعبيء الطاقة العقائدية لجميع ، حتى وقر في نظر الذين لم يحظوا بالدراسة الاسلامية تشبيه الاسلام بالمسيحية التي تعتمد على الاكلروس للقيادة الدينية ، وهذا الافساد لطهارة الدين وبساطة نظامه ووحدة المؤمنين اضعف كل وسائل قوة الدعاية الاسلامية ، وحتى الارشاد الديني فقد مفعوله بتوالي الايام ، فالارشاد والوعظ في الاسلام يؤديه كل مسلم قادر على ذلك آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وبذلك ظل قوي التأثير حمسي الدعوة صادق اللهجة ، يواجه الواقع المنحرف المذبذب بقوة واقناع صادرين عن حماس طبيعي لا عن احتراف ، ولا شك ان ظهور حماس جديد كفيل ان يعيد ذلك المجد الحضاري الذي نعتز به لبناء مستقبل باسم نهدف الى تحقيقه بكثير من الجهد ، وقد دلت التجربة التاريخية اننا كنا على رأس الحضارة الانسانية وان نجاح هذه التجربة نتيجة اخلاصنا لعوامل تقدم الحركة الاسلامية لان الحضارة الاسلامية عانت تجربة ممضة وكابدت غزوا منظما ، ولكنها على اي حال ولله الحمد نعصت عن الاذابة والانصهار في بقة الحضارة الغربية ، وخرجت سالمة من المعركة واذا تضافرت قوانا من جديد لبعثها سوف تكون اقوى مما كانت عليه ، وحسب قول الشاعر القديم :

القني في لظى فان غيرتني
فتيقن ان لست بالياقوت

فان الحضارة الاسلامية القيت في اتون من نار ، فلم تتغير ، ونحن اكثر ايمانا من اي وقت مضى بفعالية خدمتها للانسانية والتاريخ ... وان المعركة التي خاضتها الثقافة الاسلامية في مواجهة الغرب جعلتها تتأثر بصفة مباشرة وبصفة غير مباشرة بثقافة الغرب وحضارته ، وآن لنا ان نخضع لعملية (نقد ذاتي) عما يجب ان نحتفظ به وما يجب ان ننبذه ، كما آن الوقت لصع كل الجهود (في الميزان) واذا كان ليس من السهل ان نفعل ذلك فليس من السهل الا نفعل ذلك الابصار فليس منا من ينكر تأثير الغرب في حضارتنا الاسلامية المعاصرة اذ ان الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والاصداء السياسية في الغرب لها اثر حتمي وصدى عميق في التفكير الاسلامي المعاصر ...

واذا كان هناك بعض المفكرين المسلمين يؤثرون (الانعزالية) الثقافية وعدم متابعة الحضارة الغربية المعاصرة بالمعرفة والنقد ، فقد اظهرت الايام خطر فكرتهم على بناء حضارتنا المعاصرة اذ المعرفة الغربية تغزونا على اي حال ، وربما ناخذ عنها تصورات غير واضحة ، كما ناخذ صورا مشوهة عنها، مما يعسر معه مقاومتها ونقدها عن بصيرة ، والاستفادة منها اذا اقتضى الحال ، وهذا شيء يساعد على تجزئة الشباب المسلم الى قسمين . قسم ارتمى في احضان الحضارة الغربية — مضطرا او فوضويا جاهلا الثقافة الاسلامية ، وقسما ينقوقع حول نفسه لا يعيش في عصره ! اذا كان من الضروري مواجهة معضلات العصر فمن الواضح ضرورة كونها عن معرفة عميقة ، وهذا يقتضي القول بعملية (الاستيراد الثقافي) واذا كان السير الطبيعي يقتضي تبادلا ثقافيا فان الواقع المؤسف اننا لا نملك اليوم كثيرا مما نعطي ، بل اصبحنا في حاجة ماسة الى معرفة (حضارتنا) وانتهاء ونحن نتعرف اليوم على ابن رشد عن اللاتينيين ، فحضارتنا كادت ان تصبح مجهولة اكثر من غيرنا، غير ان التبادل اذا عصر شانه اليوم فسوف لا يضن به المستقبل ، واذا فالاختيار يحتم علينا ان ناخذ من الثقافة الغربية والاخذ الثقافي الذي اصبح ظاهرة هذا العصر بالنسبة لشعوب النامية ولا شك ان التطور (التقني) في الغرب تجاوز حدوده الطبيعية واصبحنا بالضرورة نتطلب (الاستيراد التقني) طلبا لا غنى عنه وهذا الاستمداد يحمل معه تأثيرات اجتماعية وثقافية وفنية واقتصادية ... وكل هذه التأثيرات ذات اثر في التفكير الاسلامي ، والاسلام لا يفزعه التقدم التقني الغربي ولا يخشى ان ناخذ منه ، لان الحضارة الاسلامية حضارة تقنية كذلك ، آمنت بالعلم ، ورعت العلم ، وقدمت العلم ، واول آية نزلت على النبي كان شعارها القراءة والتعلم .

وفي ممالك الاسلام ازدهر الفلك والطب والرياضيات والعلوم ولكن سبق الغرب لاكتشاف (البخار) طور الفيزيا في الغرب ، واعطاه فرصة للتقدم على العالم الاسلامي ، وبذلك وجدنا انفسنا منذ ثلاثة قرون ونحن ناخذ ولا نعطي ، كما بخل علينا الغرب بما يملك فلا يعطي الا بمقدار وبشروط قاسية ، اهونها الاستغلال الفظيع لطاقتنا ، ولهذا فنحن نواجه اليوم حضارته في ضيق وحرج ، وبكثير من التضحيات على حساب انظمتنا الاجتماعية والاسروية واللغوية والفكرية ... ومع التقدم التقني الذي يعتز به الغرب فحضارتنا الروحية ما تزال قوية منبعة ، وما يزال الغرب في حاجة الى عبقريتنا . وان اقبال ومحمد عبده انارا الافق الغربي باشعاعات روحانية الاسلام .

ونرجع الى ضرورة (الاستيراد الثقافي) وطريقة الاستفادة منه واذا رجعنا الى آراء توينبي مؤرخ القرن الحديث عن طريقة الاستمداد الثقافي نرى المؤرخ الانجليزي يقر ضرورته وخطورته في نفس الوقت (✱) ، وهو حسب رأيه يسير في اربعة مراحل (الاولى) ان الخصائص الفردية للثقافة تكون اكثر قبولا من

✱) عن : The Warld and the West ، ترجمة عن بحث للاستاذ جون جروبنام .

ونأخذ بيده نحو هدفه البعيد ، مخلصين في ذلك كل الاخلاص ؟ اننا لا نفعل ازاء ادبائنا الا شيئا واحدا ، هو التحطيم . . .

وثالثة صعوبة تواجه ادبنا ، هي ان ادباءنا الناشئين حين يريدون ان يجددوا ويبتكروا ، يجدون انفسهم يبنون على غير اساس ، اذ ليست وراءهم تجاريب طويلة قام بها ادباء مغاربة من قبلهم في ميدان القصة والمقالة والمسرحية ، فيضطرون الى الاعتماد على تجارب ادباء غير مغاربة ومن الشرق العربي بالذات ، وتكون النتيجة انهم يجنحون الى تقليدهم احبوا او كرهوا ، واذا بك تجد قصتهم او مسرحيتهم او مقالتهم لا تخلو من العناصر الشرقية ، التي لا يعجزك ان تردها الى اصولها من ادب فلان او فلان من اعلام النهضة الادبية الحديثة في الشرق العربي ، وهذا يشبه الى حد ما ، ما كان عليه الامر في مصر ، عند ما اراد ادباء مصريون ان يكتبوا القصة ، فاخذوا هيكلها واصولها وقواعدها ، بل وحبكها واحداثها وبيئاتها عن الغرب، عند ما لم يجدوا تاريخا قوميا وراءهم في هذا الفن ، يبنون على اساسه .

ورابعة صعوبة تواجه ادبنا الحديث ، هي انه يشق الطريق نحو النور ، في الوقت الذي بلغت فيه الآداب العربية الشرقية درجة عالية من القوة والنضج والتفوق ، سواء في الكيف او في الكم ، فالمطابع الشرقية تتبارى في الرمي بالاف الكتب من كل لون وفن ، وهذا الفيض الزاخر من الانتاج الادبي المتنوع يملأ مكتباتنا ويغزو اسواقنا ، وياخذ على قارئنا قلبه وعقله ويصرفه عن انتاجنا المحلي ، فاذا ظهر كتاب لاديب مغربي – وما اقل ما يظهر – جاء كقزم ازاء عملاق ، وكالنجم في حضرة القمر ، فتضاءل وانزوى على استحياء ، واين هو ذلك القارىء المغربي الذي تاخذه الغيرة على ادب بلاده ، فتمتد يده الى ذلك الكتيب المغربي الغريب في وطنه ، وليعرفه من زوايا النسيان والاهمال؟ وهكذا يظهر الكتاب المغربي فلا يكون له في اوساطنا الادبية ذلك الصدى الذي يشجع صاحبه على الاقدام على محاولة ثانية ، فاذا كان ذا عزيمة صادقة وثقة بالنفس ، استمر في عمله متحملا الصعاب في صمود وعزم ، والا انصرف عن الانتاج وعزفت نفسه عنه .

والادب الشرقي ماض في تطوره الجريء ، سخيا الى ابعد حدود السخاء ، ينشر رسالته في الحياة العربية ، ويروي غلة كل متعطش الى الآداب الرفيعة ، ونحن نبارك خطواته الجريئة ، ونهيب بانفسنا ان نغترف من منهله الزاخر ، ولكن يجب ان يكون هذا باعثا لنا على ان نتعهد وجودنا الادبي بالرعاية والعناية ، وان نلتفت الى انفسنا لنقول كلمتنا – مهما كانت متواضعة – في كل موضوع وفن ، مقتنعين بان النبتة الصغيرة لا بد ان تستحيل الى درجة عظيمة ، متى لقيت من يتعهدها بالسقيا ، وان الادب الشرقي نفسه اجتاز نفس المرحلة التي نجتازها اليوم في الادب والثقافة ، فلناخذ منه العبرة ، ماضين نحو اهدافنا البعيدة .

وصعوبة خامسة تواجه ادبنا المغربي الحديث ، وهي غموض تاريخ الادب المغربي في اذهان جل ادبائنا الناشئين بنصوص مبعثرة ، واكثرها مخطوط ، يحتاج الى من ينفض عنه الغبار ، ويحققه ويرفع به الى المطبعة ، كما يحتاج الى ذلك المؤرخ الذي يرتب فصوله ، وينظم مراحله ، ويعرف برجاله ويبرز العناصر التي ساهمت في تكوينه ، والعوامل التي اثرت في اتجاهاته ، حتى يكون اديبنا على بينة من تاريخ بلاده الادبي ، شاعرا بمدى مساهمتها في الآداب الانسانية ، واضعا يده على شخصيتها الادبية ، متبينا آخر وضع وصل اليه الادب المغربي في حقبته الاخيرة ، السابقة لعهده الحديث ، الامر الذي يجعله قادرا على ان يبدأ من حيث انتهى من سبقوه ، مستفيدا من تجاربهم وآرائهم ومحاولاتهم ، وبذلك يسير الادب المغربي في تسلسل تاريخي واعي خاضع لارادة موجهة ، ومن المعلوم ان معرفة تاريخ اي فن من الفنون ، تلقي ضوءا على طبيعة سيره ، واسلوب تطوره ، ومتى اتضحت مراحل الماضي ، امكن التغلب على مشاكل الحاضر ، ولا نهضة لجديد الا على اساس القديم ، بل لا بقاء للجديد اذا استند الى القديم ، واستفاد منه ، واتخذ منه نقطة انطلاق ، وقد رأينا ان النهضة الادبية الاخيرة في الشرق العربي كان من اكبر العوامل المؤثرة فيها احياء القديم ، وان اكبر ادباء الشرق العربي هم اولئك الذين درسوا القديم واستوعبوه .

5) كيف يبعث الادب المغربي ؟ :

مرت على الادب المغربي حقبة من تاريخه ، كان فيها من اقوى الآداب العربية ، وكيف لا وهو – علاوة على قوته الخاصة – الوارث الشرعي للآداب الاندلسية الرفيعة ؟ ولكن هذا الادب اصيب بنكسة فيما بعد ،واخذ يفقد حيويته وطابعه الاصيل، تبعا لتقهقر اللغة العربية بعد اعلان الحماية ، باستثناء بعض المعاقل التي تحصنت بها اللغة العربية ، والتي تتمثل في بعض الهيئات الوطنية ، حيث كان الادب المغربي يرسل شيئا من اشعته بين حين وحين ، وان كان هذا الادب بحكم انضوائه تحت تلك الهيئات يتسم باللون السياسي في غالب الاحيان .

واليوم نريد لهذا الادب ان يتصل حاضره بماضيه ، وان يواصل اداء رسالته الانسانية ، حيا نابضا واسع الخطوات ، حتى يواكب المغرب الحديث ، ويسايره في تطوره ، وجل المثقفين في المغرب يحسون بالازمة الادبية ويتوقون الى حياة ادبية افضل، وهذا كما قلنا سابقا فيه بعض الضمانة لانفراج ازمتنا الادبية ، ولكن يجب الا يترك الامر لمحض المصادفة ، وانما يجب ان نفكر جيدا في وسائل بعث الادب المغربي والنهوض به الى المستوى اللائق بماضيه الحافل الرائع ، واذا كانت المصاعب والمشاكل التي تواجه هذا الادب قد تكشفت لنا بما فيه الكفاية او بعض الكفاية ، فلم يبق امامنا الا ان نبحث عن اهم الطرق الناجعة

دِراسَات حَول الأدب المغْربي الحَديث

للأستاذ : عبد العلي الوزاني

- 2 -

4) مصاعب تواجه الادب المغربي الحديث .

يجتاز الادب المغربي اذن فترة دقيقة من تاريخه وذلك لكثرة المصاعب التي تواجهه ، وتعرقل نموه ، وتبطيء به عن التطور ، واللحوق بالآداب العربية الاخرى ، في بلدان عربية اخرى ، ومصدر دقة فترته هاته انه بسبيل ان يجد ذاتـه ، وان يكيفها حسب مقتضيات الشخصية المغربية ، وان يسلك بها سبيل التفتح ، لتلتقي مع الآداب العربية والغربيـة فتتفاعـل معها ، وتأخذ منها وتعطيها ، وبالتالي تشارك في الآداب الانسانية ، وتساهم في التخفيف من الام الانسان واحزانه ، وتساعده على حل مشاكله والخروج من ازماته ، فأدبنا اذن في مرحلة انتقالية، اذ ينتقل من طور الجمود والتفاهة والسطحية ، الى طور الحركة والتطور ولو بكيفية بطيئة وجزئية ومراحل الانتقال دائما تكون محفوفة بالمخاطر ، لانها بصدد استبدال وضع بوضـع ، وحال بحال ، وهذه عملية معقدة بالغة التعقيد ، يتجاذب فيها القديـم والحديث ثوب الادب ، وتقوى فنـون ادبية كانـت ضعيفـة ، وتظهر فنون جديدة لم تكن من قبل ، وهذه تحتـاج الى جهود متواصلة لارساء قواعدها ، والتمكين لها من التربـة الادبيـة ، المغرب الادبي يجتاز اليوم مرحلة شبيهة بالمرحلة التي اجتازتها مصر الادبية في مطلع هذا القرن ، عند ما اخذت تتنبه لشخصيتها وتجيل يد الاصلاح في اجهزتها الثقافية واوضاعها الادبية .

فلا عجب اذن اذا وجدنا مصاعب كثيـرة تواجـه الادب المغربي الحديث تعوقه عن السير الحثيث ، فما هي هذه المصاعب؟

لعل الصعوبة الاولى التي تواجـه ادبنا الحديث ، هـي الرقعة الضيقة التي يشغلها في حياتنا الثقافيـة ، اذ ان مثقفينـا ينقسمون الى قسمين : هناك من لا يقرأون ، مكتفين بالشهادات الجامعية التي يحملونها ، وهناك من يقرأون، ولكن في الآداب الاجنبية ، وهؤلاء يكونون الاغلبية ، وهناك اقلية هي التـي تقرأ في الادب العربي ، رغم ضآلتها تنقسم قسمين : طائفـة تقرأ قراءة مرتجلة خاضعة لمحض المصادفة وليست قراءة جادة هادفة ، وطائفة ــ وافرادها قليلون ــ تقرأ جادة مخلصة صادقة، بيد ان الآداب الشرقية تظفر بقسط كبير من اهتمامها ، وقليلا ما تلتفت الى الادب المغربي الحديث ، لتشجعه وتتجاوب معه ، وبذلك يكون ادبنا الحديث لا يشغل كما قلت آنفا الا حيــزا ضيقا من حياتنا الثقافية ، فحوله حزام من اللامبالاة ، ونطاق من الاهمال والصد والاعراض ، ومن المعلوم ان اي ادب لا يكتب له ان يتنفس بكامـل الحريـة ولا ان يتوثـب للنهوض بكـل قواه ، الا اذا فسح له في الطريق وخلي بينه وبين الانطلاق ، ولست اعني الانطلاق فيما يتناوله من قضايا ومشاكل وآراء فقط، بل اعني كذلك الانطلاق في مساحة واسعة من المجتمع ، لانـه بهذا الانطلاق يتـاح له ان يستفيـد من اكبر عدد ممكن من المواهب والامكانات ، فتغذيـه بلبن جديد ، وتمده بكثيـر من عناصر الحياة ، وتكون سنده في النماء والتطور .

وثانية صعوبة تواجه ادبنا الحديث ، هي النظرة التـي ينظر بها اليه من قبل اكثرية مثقفينا ، والطريقة التي يتلقونه بها ، والمقياس الذي يقيسونه به ، وخلاصة ما يقال عن نظرتهم اليه انها نظرة استخفاف واهمال ، ولماذا ؟ لعاملين اثنين : العامل الاول انه صادر عن مغاربـة ، على طريقة المثـل الذي يقول (مغنية الحي لا تطرب) فنحن لم نتعلم بعد كيف نحترم انفسنا،ويفوتنا اننا اذ نستخف باديب مغربي ، فنحن مسؤولون ـ احببنا او كرهنا ـ عن فشله وعزوفه عن فنه لو قدر له ذلك ، ويفوتنا اننا بهذا العمل نقتل المواهب وهـي في المهـد ، ولا نفسح لها في الظهور ، واما العامل الثاني فهـو اننا نريـد ان تكون اعمال ادبائنا ناضجة قوية تقف مرفوعة الرأس امام اعمال كبار ادباء الشرق ، والا فهي لا تحظى منا بادنى اهتمـام ، وكيف يستطيع اديبنا ان يصل الى هذا المستوى الذي نريـده بين غمضة عين وانتباهتها ، او بين يوم وليلة ؟ كيف يتأتى لاديبنا ان يكون قايا بارعا ناضجا في يوم ميلاده الادبي ؟ لماذا لا نشجعه اذا استحق منا التشجيع ، ونبارك اعماله اذا برهنت على حسن الاستعداد ، ونتوجه اليه بالنقد البناء ، لننبهه الى اخطائه

الطليعة والطليعة عندنا اقلية جدا ، ومعنى هذا ان الجوانب الكثيرة الاخرى من الفكر المغربي ستبقى مجهولة لا تعرف طريقها الى النور ، وبذلك تكون مجلاتنا لا تمثل منا الا حيزا صغيرا جدا لايمكن من يتصفحها من القاء نظرة شاملة على الفكر المغربي الحديث . نعم . في الوقت الذي تكون عندنا صحف ومجلات متعدد ومتنوعة تتسع لنشر الانتاج الادبي على اختلاف مستوياته ، اذ ذاك يتاتى لمجلة ان تصد عنها كل المحاولات الادبية العادية ، وان تكتفي بنشر الانتاج القوي الرائع ، اذ الفكر يجد متنفسا له في مجلات وصحف اخرى من الدرجة الثانية ، اما بالنسبة لبلد كالمغرب ما زال متخلفا من الناحية الادبية ، فلا معنى في نظري لارستقراطية المجلة . والاولى ان نتيح الفرصة لمثقفينا ان ينشروا انتاجهم ، بشرط واحد لا بد من مراعاته ، هو ان يكون ذلك الانتاج يدل على مجهود وعلى موهبة وحسن استعداد ، ومجلاتنا لا يمكنها ان تقوم بهذا العمل الا اذا تخلت عن جميع الاعتبارات الاجنبية عن الروح الادبي الاصيل ، عند تقديرها لما يرد عليها من انتاج ادبي .

وهناك وسيلة اخرى لا تقل اهمية عن سابقاتها ، وهي — بكل صراحة — ترك الكسل العقلي ، والاقبال على القراءة بكيفيه مستمرة ، ولست اعني بالطبع تلك القراءة السريعة اللاهادفة ، والتي نملأ بها اوقات الفراغ ، ولا القراءة الخاضعة للمصادفة وحدها ، وانما اعني القراءة التي لا تقل ضرورة عن الخبز اليومي ، وعن الهواء والشمس والنار ، القراءة التي تهز الاعماق هزا ، وتعيد خلق الانسان من جديد ، وتنقله من ارضيته الى آفاق رحيبة ، القراءة التي تصنع الرجال ، وتؤثر في الاحداث ، وتغير التاريخ ، وتعرف الانسان بنفسه وبالعالم المحيط به ، وبالدور الذي خلق ليلعبه على مسرح هذه الحياة ، هذا النوع من القراءة هو الذي نحتاج اليه ، لا تصفح الكتب والمجلات والصحف لدفع ملل ، او هروب من مسؤولية ، او التماس متعة موقتة رخيصة ، وان المتردد على مكتباتنا التجارية باستمرار ليلاحظ — والاسى يغمر قلبه — ان الكتاب القيم تمر عليه الشهور تلو الشهور ، وهو معروض للبيع ، دون ان تمد اليه يد ، فاذا استثنينا نخبة ضئيلة من مثقفينا ، نجد البقية التي تكون الاغلبية تنقسم الى قسمين : طائفة لا تقرأ وليست القراءة طلبتها وطائفة تقرأ ، ولكن قراءتها لا تكاد تتجاوز الادب الرخيص المتمثل في القصص الجنسية ، والنتيجة هي اننا لسنا شعب قارىء ، وكيف يتاتى للادب ان ينهض في وسط لا يقرأ ولا يعتبر القراءة ضرورة يومية كالغذاء والشمس والهواء ؟

وليس في وسطنا المغربي ما يدفع الفرد الى القراءة ، وهذه عة اعراض اكثريتنا عنها ، طالما كانت في الغالب عادة يكتسبها المثقف من الوسط الذي يعيش فيه .. ووسطنا ما زال لحد الان لا يشجع على تكوين هذه العادة ، سواء قصدنا بالوسط العائلي ، او الوسط المدرسي ، او الوسط العام الذي يشمل الاندية وما اليها ، فاذا وجدنا عندنا فردا يهوى القراءة ، ويقبل عليها باستمرار ، فذلك هو الانسان الذي استطاع بارادته ان يسمو على تقاليد البيئة ، ويتحداها في عزم واصرار ، وما كل الافراد يجدون من قوة الاكتفاء الذاتي ما يجعلهم يسمون على الوسط الذي يعيشون فيه .

وان مسؤولية المدرسة في هذا الصدد لخطيرة جدا ، فهي التي يجب ان تتولى عادة القراءة في ابنائنا ، ابتداء من الطور الابتدائي ، ويؤسفني ان اقول عن مدارسنا انها ما زالت لم تنهض بهذا الواجب بين واجباتها العديدة ، ففي الوسط الحي المثقف المتقدم يكون المجتمع كله مسؤولا عن تربية هذه العادة عند الفرد ، ولكن بالنسبة لمجتمع متخلف فان المدرسة هي التي تتحمل المسؤولية الكبرى ، لكونها تملك من الوسائل ما لا تملكه القطاعات الاخرى من المجتمع ، فاذا شئنا نهضة ادبية حقة، فعلينا بتربية عادة القراءة عندنا ، وتعهدها في ابنائنا حتى يتكون عندنا جيل قارىء ، ويجب ان نحمل انفسنا حملا على القراءة المتصلة الجادة ، بالرغم من عوامل الكسل العقلي التي تحيط بنا ، تلك العوامل التي يجب ان نتحداها بكل قوانا وما نملكه من الوسائل .

ومن وسائل بعث الادب المغربي ان يشعر مثقفونا مسؤولينهم نحو امتهم ، فمتى شعروا بهذه المسؤولية خرجوا من الطور السلبي الى الطور الايجابي من حياتهم الثقافية ، وجدوا في القراءة التي تؤهلهم للقيام بواجبهم ، دون ان يقرأوا لانفسهم فقط ، مستأثرين بمتعة القراءة وفائدتها ، وانما يحاولون ان يشركوا معهم الآخرين في تلك المتعة وتلك الفائدة ، ثم هم يشعرون بواجب التوجيه الملقى على عاتقهم ، فكل نواحي النقص في بيئتهم يرسلون عليها شعاعا من بيانهم ، حتى تظهر للجميع واضحة جلية ، ويكونون رواد المجهول ، يرسمون للامة سبلها الى مستقبلها المرموق ، وينشرون بين الناس الخير والحق والجمال ، هذه المثل العليا التي لا يكون اي شعب كريما فاضلا حيا بدونها . الاديب الشاعر بمسؤوليه عنصر حي في امته ، لا ينسى لحظة تبعات مسؤوليته ، حيث يجعل ثقافته في خدمة امته ، وقد آن الاوان ليشعر مثقفونا بمسؤوليتهم ، بوصفهم خلاصة عبقرية الامة وعنوان حضارتها الفكرية ، فتلك هي الضمانة لخروجهم عن سكوتهم وخوضهم معترك الحياة الادبية ، يكشفون المجهول ، ويوضحون الغامض ، ويقومون المعوج ، ويهدون الحائر .

ومن بين تلك الوسائل ايضا المزيد من الشجاعة الادبية، فعندنا من المثقفين من يملكون حسن الاستعداد ، بل ان بعضهم يملك مواهب غير عادية ، ولكنهم لا يجرؤون على ان يظهروا امام القراء بآرائهم وافكارهم ، ظنا بها الا تكون ناضجة قوية تستحق احترام القراء لها ، ولذلك فهم يرجئون مسألة النشر في الصحف والمجلات ،الى ان يتمكنوا من القدرة على انتاج ادب

لتغلب ادبنا على مصاعبه ، ليجدد ما بلى من ازيائه ، ويقوي ما ضعف من روحه ، وتكون الانطلاقة الكبرى التي ننشدها .

وبعد ، فما هي الوسائل الكفيلة ببعث الادب المغربي ؟

الوسيلة الاولى التي اراها جديرة بالاعتبار ، هي احياء الادب المغربي القديم بصفة خاصة ، والاتصال بالادب العربي القديم بصفة عامة ، فاذا كان الاطلاع على التاريخ السياسي القومي يذكي الروح الوطنية ، ويدعم المشاعر القومية ، فان الاطلاع على تاريخ الادب القومي ينبه الامة الى شخصيتها الادبية ، ويلهب في افرادها الشعور بالمجد الادبي القديم ، ومن ثم يشعرون بمسؤوليتهم الخاصة ، اذ يجدون انفسهم امناء على هذه الوديعة الغالية : ثمار قرائح الاجداد التي اسلموها الينا ، لتكون غذاء لعقولنا ومتعة لنفوسنا ، واساسا نبني عليه بناء رفيعا في الادب والثقافة ، الاديب اذ يلمس اثر مساهمة امته في الميدان الادبي والثقافي تستيقظ فيه اسمى المعاني القومية ، ويتوق الى ان يضيف تجاربه الخاصة الى تجاريب من سبقوه ، ويحسن بانه مدعو الى ان يقول شيئا يضاف الى محصول امته الادبي ، اما اذا كان الاديب يجهل هذا الجانب الهام من تاريخ امته فلا يعرف مدى مساهمتها في الآداب العربية ، فانه يشعر بكونه في نوع من الفراغ،وينعدم فيه الاحساس التاريخي بمجد امنه الادبي ، ولا تعيش في وجدانه الفني اطياف الادباء الراحلين من ابناء امته ، ولا تتخايل له تلك اليد التي تمتد اليه، حاملة تراث الاباء والاجداد ، لتسلمه اياه ، ومن ثم فهو يفتقر الى حافز مهم يدفع به ـ لو وجد ـ الى النشاط الادبي المتصل جيل الادب الجديد في كل امة ، يحتاج الى التعرف على جهود الجيل الذي سبقه ، ليشعر بمسؤوليته الخاصة ، ويتلقى عنه الشعلة ماضيا بها الى الامام في عزم وقوة ارادة ، وينطلق من حيث انتهى ، مواصلا اداء الرسالة الفنية ، التي هي رسالة خالدة تتعاقب الاجيال على ادائها ، كل جيل في حدود امكانياته الخاصة ، وتجاربه الخاصة ، وما قلناه بالنسبة الى الادب المغربي القديم ، نقوله بالنسبة الى الادب العربي القديم ، فالاطلاع على هذا الادب يضع ايدينا على التراث العربي المشترك ، لنخرج عن اقليميتنا الضيقة ، ويتسع صدرنا للحضارة العربية في مختلف اشكالها ومدارسها ، وبذلك نستطيع ان نجمع بين الاتصال بالاصول العربية العريقة ، والشعور بالشخصية المغربية الاصيلة .

لكن هذه النافذة وحدها لا تكفي في هذا الصدد ، فاذا شئنا نهضة ادبية رائعة ، فعلينا بفتح نافذة اخرى على الآداب الاجنبية ، سواء بطريق مناشر او عن طريق الترجمة ، حيث نجد انفسنا امام طرق في التفكير ليست كطرقنا ، وانماط في الذوق ليست كانماطنا ، واصناف في الشعور ليست كاصنافنا ، والوان في الاداء الفني ليست كالواننا ، فنطعم بكل ذلك ادبنا ونلقحه ونغذيه ، فاذا المدارك تتسع ، والافاق ترحب وتمتد واذا العناصر الانسانية تجد سبيلها الى ادبنا من طريق واسع ، لاننا خرجنا قليلا عن حدود الذات ، واتصلنا باناس من غير جنسنا ، فتعرفنا على مشاعرهم وعواطفهم التي لا تعدم ان نجد لها صدى في مشاعرنا وعواطفنا ،وذلك هو مبدأ الاخوة الانسانية التي تكون الآداب الرفيعة دعامتها الكبرى وسندها القوي ، ونحن لا نريد ان نذهب بعيدا في ضرب الامثلة ، فهذه النهضة الادبية الاخيرة في الشرق العربي ، لم تكن الا وليدة احياء الادب العربي القديم من جهة والاتصال بالآداب الاجنبية من جهة اخرى .

اما الوسيلة الثانية لبعث الادب المغربي ، فهي تقوية البرامج الادبية في مدارسنا الثانوية وفي كلية الآداب ، وفي سائر معاهدنا التي تخرج الطليعة من ابناء هذا الجيل ، فالمدرسة والمعهد والكلية هي العصب الحي في جسم الامة ، وهي التي لا اقول عنها انها تخرج الادباء وتكونهم ، ولكن اقول عنها هي التي تتيح الفرصة للمثقف ان يكون اديبا ، بما تهدف اليه من تعليم طرق التفكير ، وتربية الذوق الفني ، واعطاء القدرة على النقد والمقارنة والموازنة والبحث والاستنباط ، وكلها اسلحة لا غنى للاديب عنها ، ويؤسفني ان اسجل هنا على كلياتنا ومعاهدنا ومدارسنا الثانوية كونها لا تنهض بالجانب المهم من رسالتها وهو تعليم طرق التفكير ، وتربية القدرة على النقد ، ودقة الملاحظة . فالتعليم الجامعي في حقيقته ، لا يعني باعطاء الطالب كمية هائلة من المعلومات في شتى الفنون فقط ، فهو يعني بالدرجة الاولى بتكوين جيل قادر على الفهم الصحيح، والنقد الهادف البناء ، والتفكير العميق وليس المهم في البرامج الادبية ان تكون واسعة عميقة فقط ، فاهم من ذلك ان تكون مطبقة بكيفية دقيقة ، كفيلة بجعل الطالب يستفيد منها على احسن الوجوه ، والا فما جدوى برنامج طويل عريض يدرس بكيفية لا تربي ذوقا ، ولا تقوم تفكيرا ، ولا يحدث انقلابا في ذهن الطالب ، ويحمله على ان يعيد نظره في كثير من الاشياء ، على ضوء من المقاييس الصحيحة والقواعد الثابتة ؟ انا التمس العذر لكلياتنا لكونها تعاني ازمة في الاساتذة ، ولكن من واجبها ان تعمل لتلافي هذا النقص في حدود امكانياتها ، فان مسؤوليتها خطيرة امام الاجيال المقبلة .

ووسيلة اخرى اراها جديرة بالاعتبار ، لبعث الادب المغربي ، وهي ان تفتح صحفنا ومجلاتنا الادبية صدرها لقبول انتاج ينم عن موهبة او عن حسن استعداد ، والا تبقى موقوفة على حدود ضيقة تضم بضعة اشخاص ،فالمجلة اذ تفعل هذا يمكنها ان تكشف عددا من الادباء المغمورين ، وان تذكي شعلة الادب في كثير من النفوس الحائرة ، حتى تكون مدرسة لتدريب المتأدبين على عملية الانتاج ، ليكونوا من بعد ادباء يؤدون رسالتهم احسن اداء ، وقد اخذوا لها عدتها اللازمة ، والمجلة اذ تتوخى دائما الانتاج الرصين عندنا ، ذلك الانتاج الصادر عن تجربة طويلة ، لا تعطي نظرة صادقة عن حياة الفكر المغربي ، وانما تصور فكر

أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

- 2 -

وعي بها ذلك الاتجاه الادبي الذي اصطلح النقاد على تسميته بالـ « Modernismo » والذي ظهر في اواخر القرن الماضي نتيجة عاملين اثنين لا ثالث لهما : اولهما يتجلى في تهافت الشعراء على النزعات الغنائية الفرنسية عند الرمزيين والابداعيين والبارنسيين (★)،وثانيهما يبدو في استلهام اولئك الشعراء والادباء للادب الاسباني القديم في امثل صوره واروعها ابان عصره الذهبي .

وكان دافعهم الى ذلك ، مقاومتهم للتيار الواقعي في القرن التاسع عشر ، وكان قد استنفد جهده .

واذا كان روبن داريو ، الضوء الذي كان يتطلع اليه كثير من الشعراء مبهورين (★) ، قد سجل بكتابه : « نثر دنيوي،وقصائد اخرى، Prosas Profanas y otros poemas (1896) بداية ، او بتعبير ادق : نضج حركة التجديد في الادب الاسباني المعاصر ، فان هذه الحركة انما بدأت على يد ادباء من الاندلس (★) ، وياتي في طليعتهم منويل ريينا ، وسلفادور رويدا بوجه اخص ، فلقد نزع الى بعث الادب الاسباني القديم واسترداد مكانته في الحياة . فحاول ان يبث في الشعر حياة نابضة ، وروحا مشرقا ، لينتشله من بؤرة الركود والضعف والتقليد الاعمى ، التي كان مرتكسا فيها ، ويتحدث عنه احد النقاد فيقول بان هذا الشاعر المالقي ، كثير الاصباغ والالوان ، يمكن اعتباره مرصدا بالحركة الروبينية (نسبة الى روبن داريو) ، ويرى الدكتور خوسي روخريو سانتيث ان سلفادور رويدا ياتي في طليعة المجددين ، وانه شاعر لا يجارى ، فلقد كان في قرقعة اوزانه الرنانة يرسل اضواء جديدة ، تشرق بها آفاق الشعر الاسباني .

لقد كان سلفادور رويدا مشبوب العاطفة ، موقد الشعور ، فجاء شعره — وهو البليغ الذي يحسن ترجمة ما يعتلج في الوجدان — غنائيا ، مليئا بالظلال، منعما بالالوان (★)،ولم يكن رويدا شاعرا فحسب ، وانما كان قصصيا بارعا .

ان رويدا قد كتب اعمالا ادبية — شعرية ونثرية — فيها من روعة الاداء ، وجودة الفن ما دفع بكثير من النقاد الادب الى ان يعلنوا فيما كتبوه عن الشعر الاسباني المعاصر بان رويدا اب وامام ورائد ، قبل روبن داريو ، للنهضة الشعرية .

ومن اشهر الاعمال التي خلفها سلفادور رويدا : نجوم تائهة Estrellas errantes . وقصيدة امريكا Poema de América والسنة النار Lenguas de fuego وبلد الشمس El pais de sol ، وقصيدة وطنية Poema nacional ، وغير هذه الكتب مما لفت اليه انظار النقاد والدارسين ، فتناولوا اعماله بالدراسة والتحليل ، وحياته بالاستقصاء والمتابعة .

واذن فحركة ، التجديد او الـ « Modernismo » في الادب الاسباني الحديث انما كانت بدايتها على يد ادباء الاندلس ، وعلى رأسهم سلفادور رويدا ، ولكنها لم تدرك

★) انظر كتاب : Historia de la literatura espanola en cuadrosesquematicos - Madrid, 1961

★) انظر كتاب : Dr José Rogerio Sanchez, Sintesis de la literatura espanola

★) هذا الاسم اصبح علما ، فقط ، على جنوب شبه جزيرة جزيرة ايبريا واسبانيا والبرتغال ، وفيه عاش الحكم العربي عمرا اطول مما عاشه في اجزاء اخرى .

★) انظر كتاب Federico Carlos Sainz de Robles, Historia y antologia de la poesia espanola (en lengua castellana) del siglo XII al XX - Edicion Aguilar - Madrid, 1950.

رائع ممتاز يطابق الصورة التي ترتسم في خيالهم عن الادب كما يجب ان يكون. وانه لخطا هذا الذي يرونه، وذلك لسببين: السبب الاول ان الانسان لا يمكنه ان يعرف قيمة آرائه وافكاره، الا اذا عرضها على الآخرين، لياخذ رأيهم فيها، فقد تكون صائبة وهو يحسبها خاطئة، وقد يكون العكس، والسبب الثاني هو ان الكتابة مسألة مران، تتطلب زمنا طويلا حافلا بالانتاج، قبل ان يستقر القلم بين اصابع الاديب، نعم ليست الكتابة مجرد ان تكون عامرا بالاراء والافكار، ثم تسجلها على الورق، لتخلق منك كاتبا، الكتابة مران طويل وتجربة مديدة تستمر مدة طويلة، يمر خلالها الفكر والقلم بمراحل من التدريب والتجريب، واذن فخطأ كل الخطأ ان ينتظر المثقف ويهمل نفسه، حتى يستكمل جميع وسائل الكتابة الصحيحة الممتازة، ذلك ان الكتابة لا تستكمل وسائلها الا اثناء تجربة الكتابة نفسها، فكما ان السباحة لا تعلم الا في الماء، لا على الشاطيء، فكذلك الكتابة كفن، لا تتحدد طرائقها الا اثناء عملية الانتاج، خطأ كل الخطأ ان ينتظر بعض مثقفينا حتى يستطيعوا ان يظهروا فجأة ككتاب ممتازين، يبهرون القراء ويسحرونهم، وموقفهم هذا من شأنه ان يضيف عاملا آخر الى العوامل التي تؤخر ظهور النهضة الادبية في بلادنا.

ومن وسائل نهوض الادب المغربي ايضا، التشجيع المادي والادبي، فاديبنا لا يلقى عندنا ما يستحقه من عناية وتكريم، يعيش بيننا وكأنه ليس منا، يذكر اسمه مقرونا بالتفاهة والفضول وخفة الوزن، يقابل انتاجه من طرف اكثرية مواطنيه بالاستخفاف وغير قليل من الازدراء، يخرج له البحث او المقال او الكتاب فلا يكون له صدى، ان احسن لا يجد من يقول له احسنت، واذا اساء لا يجد من يقول له اسأت، قد يهب دمه واعصابه لعمله الفني، حتى اذا فرغ من تدبيجه اخذ يطوف به على الناشرين — وما اقلهم عندنا — يستجديهم ان ينشروا كتابه، وكثيرا ما لا يحالفه الحظ، فيرجع خائبا يجرر اذيال خيبته، وهذا بعض ما يعانيه اديبنا من الوان اللامبالاة، بل الازدراء ايضا، وهو ما دام في هذا الوضع، انطوى على نفسه، وداخله مركب النقص، الا اذا كان ذا عزم شديد، وهذه عرقلة اخرى تضاف الى العراقل التي تعرقل نهضتنا الادبية حياة الفن انما هي اعجاب وتقدير، والاديب شانه شان المغني كلما ازداد الجمهور اقبالا عليه، واحتفاء به، كلما تفتحت مواهبه للبذل والعطاء، وكلما صد واعرض عنه، كلما عزفت نفسه وانقبضت عن الامتاع والايناس، لا اقول يجب ان نخدع اديبنا عن نفسه، وعن حقيقة قيمته، وان ندخل عليه الغرور الكاذب، والنفخة الجوفاء، وانما اقول: يجب ان نشجع الادباء الصغار وان نكرم الادباء الكبار، والتشجيع ليس معناه مجرد المدح والثناء، فمن التشجيع ما يكون نقدا، ولكنه النقد البناء الذي يضع العمل الادبي في موضعه من غير تحامل ولا مداراة، بل ان ارفع الوان التشجيع ان تنقد الاديب المنتج، مظهرا لحسناته وسيئاته على السواء، فالعمل الادبي اذ يستحق النقد يكون متوفرا على قيم فكرية وخمالية اسلفتت نظر النقاد.

وتقف اللامبالاة في مقابل هذا النقد النزيه، اللامبالاة التي هي اقبح واشد ضررا بالاديب حتى من الاحتقار والازدراء، واديبنا المغربي ما زال يعاني كثيرا من هذه اللامبالاة الهدامة القاتلة.

فاس : عبد العلي الوزاني

ا) استلهام روادها لتـراث الادب الاسبانـــي في ابهى عصوره واعظمها ٠

ب) تأثر اولئك الرواد بالابداعية والرمزية وترسم الكتاب البرناسيين في الادب الفرنسي ٠

وكان الذي يدفـــع بهؤلاء الرواد الى هذيــن المبعيــن مقاومتهم العنيفة للتيار الواقعي الذي كان يلفظ انفاسه الاخيرة في القرن التاسع عشر ٠

واما مميزات الحركة التجديدية فانها تتجلــى في : ا) العناية بالشكــل والقالــب المرهف ، المصقــول ٠ ب) ادراج اشكال نغمية جديدة ٠ ج) احياء اشكال منسيــة ٠ د) اثــراء العناصر البديعية والموضوعات الشعرية ٠

★ ★ ★

ان رواد حركة التجديد ، وفي طليعتهم روبن داريــو ، بما اضاءوا من شمـــوع في دروب الادب الاسبانـــي الحديــث ، واناروا من نجوم في سمائه ، يعدون ارهاصا ، جميلا ، مشرقا لجيل ادبي عظيم ، هو جيل 1898 ، فما هو حديث هذا الجيل ؟ وما هي دواعي ظهوره ؟ ومن هــم افراده وزعماؤه ؟ ما هــي قاعدتهم المجتمعية ؟ ما هو مجباهم الثقافي ؟ ما اساليبهم الادبي ، وموقفهم من الثقافة الاجنبية ؟ وبعبارة موجهــة : ما هو الـــدور الذي لعبه هذا الجيل بالنسبة للادب الاسباني المعاصر ؟

تلك اسئلة ، الجواب عنها يشكلها الموضوع الآتي :

جيـــل : 1898

سبق القول بان القرن التاســع عشر حمــل الى اسبانيـــا ازمات عميقة تمثلت في ذلك التدهور الذى منيت به في ميادين الحرب ومجالات السياســة ، كما سبقــت الاشارة الى ان تلــك الازمات والنكبات التي عصفت باسبانيـــا ، كانــت في مقدمــة العوامل التي ايقظتها من نومها العميق ، ودفعت بها الى بــذل الجهد للحاق بركب الحضارة وقافلة التقدم ٠

ولقد كانت آخر تلــك النكبـــات سقوط الامبراطوريــه الاسبانية التي لم تكن تغيب عنها الشمس ، وانهيار آخر ما بقي منها في كوبا وبورتو ريكو وجزر الفلبين ، وبذلك خســرت اسبانيا اعظم مغامرة (★) خاضتها منذ سنة 1492 (★) ٠

بيد ان هذه الازمة التي طوحت باسبانيا وعصفت بكيانها لم تلبث ان تمخضت عن وثبة ادبية عظيمـــة ، تمثلت في هــذا الجيل الذي سمي : (جيل 98) ــ نسبة الى سنة 1898 التي انهارت فيها الامبراطورية الاسبانية ــ ٠

ولا احسب ان في ذلك ما يثير الدهشــة والعجب ، فهــذا سجل التاريخ الحضاري للانسانية مليء بظواهر النهضة الادبية والوثبة العلمية التي تعقب النكبات الحربيــة العظمــى ، وتلي الازمات السياسية الخطيرة ، وظاهرة هذه الوثبة الادبية التــي اعقبت سقوط الامبراطورية الاسبانية (تذكرنـــا في اسبانيـــا تلك النهضة الرائعة التي عرفتها الاندلس الاسلامية بعد انهيار الخلافة الاموية في اوائل القرن الخامس الهجري ، تلك النهضة التي قدمت الينا شخصيات يفخر بها الادب العربـــي كله ، بــل هي من ابرز معالم الثقافة العالمية ، من امثال ابن دراج القسطلي وابن حزم وابن شهيد وابن زيدون والشاعــر الملك المعتمــد ابن عبــــــاد) (★) ٠

ظهر هذا الجيل الادبـــي العظيـــم ، اذن ، اثر سقـــوط الامبراطورية الاسبانية الشاسعة الاطراف ، المترامية الابعاد ، وكانت اسبانيا ، قبل ظهوره ، تغط في سبات عميق ، يبدو منه انها اطمأنت الى السفوح بعد ما كانت تعشق القمم ، وسكنت الى الضعف بعد ما كان لها في حلبات القوة صولات،كما يبدو منها انها كانت تود ان تظل محتقرة ، بجهل اعمى ، لثقافات الشعـــوب الاخرى ، وجاهلة لماضيها المشرق الباهر ٠ (★)

على ان هذا الجيل ، غب ظهوره ، جعل يهز اسبانيـــــا بعنف شديد كما يوقظها من نومها ، ويشفيهـــا من سقامهـــا ، وينقذها من افيون الخبـــز ومصارعــة الثيران ، وكان هنالــك ملء يمسك بالروح الاسبانية ، التي اندفعت ــ كما يقول الكاتب الفرنسي جان كامب ــ تبحث عن اسبانيا اكثر حقيقة ، واكثر عمقا ، واكثر اصالة ٠

لقد سعى هذا الجيل بعمق وشغف وحماســة ايضـــا ، الى البحث عن ذاتية اسبانيا ونفسيتها ، ومن اجل ان يحقق له ذلك عمد الى قطع كل خيط يشد اسبانيا الى ماضيها القريــب الذي غرقت خلاله ، في خضم من الجهالة لثقافة الامم الاخرى ، وجعل، جاهدا ومخلصا ، يحاول ان يفسح لها ، بفكره وعاطفته ، مكانا مرموقا في اطار الثقافة والادب العالميين ٠

★) انظــر كتـــاب : G. T. Balleter, Panorama de la literatura espanola contemporanea, p. 107, tomo I.

★) هي السنــة التــي تم فيهـــا اكتشـــاف امريكا على يـــد كريستوف كولمب ٠

★) الدكتور محمود علي مكي ، مجلــة « الكاتب » العــدد الثالث عشر ، (ابريل 1962) ص 152 ٠

★) انظــر كتـــاب : M. Iglesias, Garcia Lorca, el cantor del hechizo gitano, p. 19

سمات النضج الا على يد الشاعر النيكاراكوي (*) العظيم روبن داريو ، وفي ذلك يحدثنا الاستاذ منويل اكلياس في كتاب له عن الشاعر الغرناطي كارسيا لوركا ، فيقول : « انه من الواقع ان الحركة التجديدية ، الحديثة ، بدأت بالاندلسيين : منويل ريينا وسلفادور رويدا ، لكنه ايضا ، من الواقع ان هذه الحركة بدأت تنضج وتظفر بشهرة عالمية على يد الامريكي روبن داريو (*) » .

ويبدو ان روبن داريو انما استطاع ان يوفر للحركة التجديدية مقومات النضج ، لانه كان اكثر اتصالا بالآداب الاجنبية من ريينا ، الامر الذي مكنه ، مهتديا بما قرأ من ادب اجنبي ووعي ، ان يرتفع بالشعر الاسباني الى درجة من الاستواء والنضج لم يرق اليها الاديبان الاندلسيان ، ومؤلفات روبن داريو تدعم هذا القول ، فهي ـ كما يرى جان كاسو ـ (تفتح النوافذ وتسجل الانفصال عن النزعة الاكاديمية ، وتتيح للشعر الاسباني ان يستعيد وعيه بنفسه وبتقاليده ومستقبله ، وان يفتح لنفسه طرقا جديدة) .

اضف الى ذلك ان تأثير الابداعيين « Preciossestas » والرمزيين « Simbolistas » الفرنسيين ، وخاصة منهم Teofilo Gautier اذا كان يبدو ، واضحا ، جليا ، فيما انشأه ريينا ورويدا من انتاج ، وكتباه من ادب وشعر ، فانه يظهر بشكل اوضح وصورة ابرز في كتابات روبن داريو ، ويؤكد الاستاذ خوان تاباس ان تأثير الابداعية والرمزية الفرنسية كان عميقا جدا في اعمال روبن داريو ، وتعليل هذه الظاهرة في ادب روبن راجع ، فيما نرى ، الى ان الشاعر الرائد اكب على قراءة الابداعيين والرمزيين الفرنسيين ، فقرأ جل اعمالهم ، ان لم نقل كلها قرأ هذه الاعمال بعمق ووعي شديدين ، ورغبة في الهضم والتمثيل شديدة ايضا ، فترسب منها في نفسه ووجدانه ، او في عقله الباطن ـ اذا اردت الدقة في التعبير ـ عناصر وملامح لم يستطع ان يتخلص من ظلالها فيما الف وكتب وانتج ، فجاءت شاهدا قاطعا على تأثره باصحاب المذهبين . الابداعي والرمزي في الادب الفرنسي .

واذا كان كل النقاد يسلمون بوجود التأثير (*) الفرنسي في اعمال روبن داريو الادبية فان طائفة منهم حاولت ان تحدد المنابع التي استقى منها روبن وتسمى الينابيع التي اغترف منها ، ويرى واحد من هذه الطائفة ان هذا التأثير انما وصله عن طريق قراءته الواعية ، بصفة خاصة ، لأعمال Verlaine, Leconte de Lisle, Moreas

وهذا في رأي الدكتور خوسي روخريو سانتث اشد الشعراء الفرنسيين تأثيرا في روبن داريو ـ ولكل انتاج الكتاب البرناسيين (*) .

ولسنا نحب ان يفهم مما تقدم ان الحركة التجديدية لم توجد الا نتيجة لتأثر الادباء الاسبان بالادب الفرنسي ، فاننا بذلك نكون قد طمسنا معالم حقيقية ناصعة البياض ، تتمثل في ان رواد النهضة وائمة التجديد ، وفي مقدمتهم روبن داريو ، اذا كانوا ، من جهة ، قد هرعوا الى الادب الفرنسي يستمدون منه اشكالا ومضامين جديدة فانهم ، من جهة اخرى ، قد عمدوا الى الحياة الادبية الاسبانية الصميمة ، فيما سلف من زمن وغبر ، يحاولون ان يجدوا ماهية الفنانية الحديثة عند شعراء الاغاني في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وعند Garcilaso, Arcipreste, Barceo والشاعر العظيم (*) Luis de Congora y argote

واذا كان روبن داريو يعد ، بحق ، رائدا للحركة التجديدية ، بمعنى ان ملامحها وسماتها ترتسم في اعماله ، فان الذين تتبعوا حياته وعنوا بتحليل ادبه وتقييمه يتفقون ـ على نحو ما سنبين في حديثنا عنه ـ على انه اطلع في بوكر شبابه على آثار الكلاسيكيين الاسبان (*) والرومنطقيين الفرنسيين والاسبان ، كما انهم يؤكدون بانه في تجديده ، للشكل والقالب ، يبدو متأثرا على نحو ليس يقبل جدالا او نقاشا ، بالكاتب العظيم والشاعر الفحل كونكورا ، كما يبدو مستجديا ومستنجدا بكتاب آخرين كسرفانتس ولوبي دي فيكاوفرنيكو دي كيبدو وبالطاسار كراثيان (1601 ـ 1658) .

وهكذا يتبين لنا ان حركة التجديد تدفقت من منبعين اثنين :

(*) نسبة الى نيكاراكو ـ Nicaragua وهو قطر بامريكا الوسطى .

(*) انظر كتاب : M. Iglesias, Garcia Lorca, el cantor del hechizo gitano

(*) انظر كتاب : Erwirnk Mapes : L'influence française dans l'œuvre de Ruben Dario - Paris, 1925

(*) انظر كتاب : Manuel Iglesias, Garcia Lorca : El cantor del hechizo gitano, p. 20 Madrid, 1962

(*) يرى المستشرق الاسباني اميليو كارسيا كومس في كتابه (الشعر الاندلسي) ـ ترجمة الدكتور حسين مؤمن ـ ان كونكورا (1561 ـ 1627) كان شاعرا معقدا ، عسير الفهم ، مثله كمثل الشاعر الاندلسي العربي ابن دراج القسطلي المتوفى سنة 421 هـ ـ 1030 م .

(*) انظر كتاب : Historia de la civilizacion - Tomo II, p. 556 - Editorial

واما الاستاذ الناقد Tenacio Elizalde فانه يؤكد في مقالة له عن الشاعر بريس دي ايالا ، بان كلا من ايالا وارطيكا ايكاسيط وخوان رامون خمينث وكابرييل ميروو كوس دي لاسرنا وخوليو كامبا واوخنيو دارس ، ينتمون جميعهم الى جيل جاء بعد جيل 98 ، ويعقب على ذلك بان هذا الجيل الذي ينتمي اليه اولئك الكتاب والشعراء لم يطلق عليه بعد اي اسم ، ويزعم بان افراده بورجوازيون اكثر منهم بوهيميون ، واما الاستاذ بايطير فهو ، في كتابه (شاشة الادب الاسباني المعاصر) يذهب الى القول بان هؤلاء الكتاب والشعراء الذين ينتمون الى جيل لم يسم بعد انما هم ظل ، ليس ينكر ، لجيل 98 .

ومهما يكن ، فان الدارسين والنقاد اذا كانوا يختلفون في الاسماء التي يجب ان تحويها قائمة جيل 98 ، فان الذي لا شك فيه هو انهم جميعا يتفقون على ان كل تلك الاسماء التي تقدم ذكرها ، تدفقت بطريق مباشر من آثار الكلاسيكيين الاسبان وكتاب (نثر دينوي) روبن داريو ، وانبجست بطريق مباشر او غير مباشر من الاحتكاك والاطلاع على الآداب الاجنبية ، وخاصة منها الشعر الفرنسي الذي انتجه القرن التاسع عشر انطلاقا من فيكتور هوجو ، مرورا بالبارنسيين حتى الرمزيين .

القاعدة المجتمعية لأفراد جيل 98 :

ان للبيئة والوسط المجتمعي الذي ينشأ فيه الكاتب ويشب اثرا ملحوظا فيما ينتج وينشيء من اعمال ادبية ، ومن اجل ذلك كان لابد ان نتساءل الى اي وسط مجتمعي ينتمي افراد جيل 98 ؟ وبعودتنا الى تراجم اولئك الافراد نرى انهم جميعهم بدون استثناء ينتمون الى طبقة متوسطة، عائلية اوراطية(✶)وليس منهم من ينتمي الى طبقة الارستقراطية ولا حتى الى البورجوازية Burgesia ، ويعلق جان كامب على هذه الظاهرة بقوله : (اما الشيء غير العادي في اسبانيا فهو ان الكتاب بكليتهم تقريبا ينتمون الى الطبقة المتوسطة ، وكانت بدايتهم سريعة التأثر ، فاستطاعوا بسيرهم على نسق بيردا وكلارين ان يروا الحياة تسير امامهم دون ان يمتزجوا بها) .

ويصح القول بان هذه القاعدة المجتمعية التي انطلق منها افراد جيل 98 ، هي التي حددت واطرت — اذا صح التعبير — مسبقا ، كثيرا من مميزات اعمالهم الادبية ، فكان ذلك الموقف الجدلي المشترك ازاء البورجوازية يدفع ببعضهم (بلاسكو ابانييث) نحو مواقف ومضامين يصلها بطبقة الفقراء الف سبب ، ويدفع بالبعض الآخر (فاييي انكلان) الى محاولة التحول الى ادب ارستقراطي ، ويلاحظ النقاد ان اكثر كتاب جيل 98 بورجوازية هو خاسنتو بنافنتي .

المحيا الثقافي لجيل 98 :

تختلف سمات هذا المحيا وتقاسيمه من شخص لآخر ، فاونامونو وكانيفط اللذان يعدان صاحبي سن الرشد بين افراد الجيل المذكور (ومعهما ديشنطا وابانييث) يبدو ان من ثنايا تواليفهما استاذين جامعين ، غزيري الثقافة والرصيد المعرفي ، حتى لكأنهما موسوعتان عظيمتان ، واما اعمال ديشنطا وابانييث فانها تكشف عنهما انسانيين ، لكن حظهما من الثقافة ضئيل ، ورصيد هما من المعرفة فقير ، ويرى الاستاذ ك . ط . بايسطير ان بنافنتي ليس الا سيدا جامعيا صغيرا ، سبق له ان اختلف الى مدارج وحجرات الجامعة دون رغبة منه في الدراسة ، بيد انه مع ذلك موهوب باضطراب وفضولية ادبية ، اما بايي انكلان فهو طالب كسول ، لكنه سريع البداهة والادراك بعمق ، ويبدو باروخا منساقا ، دوما ، الى قراءات علمية بلا دليل للاختيار ، وذلك ما كان يشكل تكوينه الفلسفي والادبي ، على حين ان اثورين يرغب ، بشغف وحب ، في معرفة القرن التاسع عشر الفرنسي ، واما انطونيو ماتادو فهو يتعمق ويتغلغل في عالم ثقافي لكنه صغير الرقعة ، قصير الابعاد ، وليس يعني هذا القول ان حظه من الثقافة كان ضئيلا ، بل العكس هو الاصح . واما ماينطو وايالا ، فان كلا منهما كان معجبا ، شغوفا بالادب الانجليزي ، لكن الاول ، راح الاتجاه الانجليزي عنده ، مؤخرا ، يتحول الى صفة « الاوربية » .

علاقاتهم بالانسان والمناظر :

اذا حاولنا اقامة معرض نفسي لهؤلاء الكتاب والشعراء ، ببرز علاقاتهم بالانسان والمناظر ، سننتهي ، لا شك ، الى ما يلي :

ا — العلاقة بالانسان :

اونامونو ، باروخا ، فاييي ابكلان ، كلهم شديد والتعلق بالافكار اكثر من تعلقهم بالتجربة ، وكل من بنافنتي وسيرافين وخواكين كنيطرو ، في قياس مختلف واتجاه مختلف ايضا ، بال مسلماته وادراك يقيناته في الملاحظة ، ولقد كانت كونتسا اسبينا ، بدورها تتعلق قبل كل شيء ، بالملاحظة ، ديثنطا

✶) انظر كتاب · G. T. Ballester, Panorama de la literatura espagnola contemporanea, T. I.

ومن ثم يمكننا معرفة الفرق الجوهري بين جيل 98 وبين الحركة التجديدية التي تزعمها روبن داريو ، فهذه انما عنيت في الدرجة الاولى بالشكل والحق ولم تعن بالمضمون والمحوى ، على حين ان جيل 98 الى جانب عنايته بالشكل عنى بالمضمون ، فسعى الى ابراز الايديولوجية الوطنية للشعب الاسباني (★) .

وهذا الاستاذ الناقد منويل اكلسياس يتحدث عن جيل 98 فيذهب الى القول بانه ، منذ البدء ، حاول ان يسلك طريقا ضيقا يفضي به الى عالم جديد وافق رحب من عبقرية الادب ، وعمق الثقافة ، يتسنى له بذلك الحاق وطنه بموكب الثقافة الاوربية ويسعفها في محاولة البحث عن نفسها في اعماق دانها واغوار جوهرها وكنهها .

ولكي يحطم هذا الجيل كل الصخور التي كانت تعرقل سير وطنه نحو التطور والرقي ، ولكي يهتك كل ما كان يحجب عنه نور الثقافة الاوربية وشعاعها ، لكي يتم له ذلك لم يجد بدا من سلوك اتجاهين مختلفين كل الاختلاف ، احدهما يتجلى في محاولة تطعيم الثقافة الاسبانية وتلقيحها بعناصر من ثقافات اخرى ، والآخر يبدو في محاولة اكتشاف اسبانيا وماضيها الباهر ، المشرق ، من جديد ، ومن هنا تنعت وتباينت الميزانيات في الادب الذي سيظهر فيما بعد .

افـــراد جيـــل 98 :

ظفر هذا الجيل ، كما لم يظفر جيل ادبي آخر ، سابقا ، كان اولا حقا بالدراسات الغزيرة الوفيرة ، فلقد عقد بعض النقاد مقارنات بين افراده ، وحلل بعضهم الآخر اعمالهم وانتاجهم ، نظيما ونثيرا ، وتتبع فريق ثالث تأثر افراده بمن سبقهم من كتاب فترة البعث والاحياء او بكتاب الآداب الاجنبية ومدى تأثيرهم في الاجيال التي تلت ، وترصدت طائفة منهم التنظيم الروحي لأشهر ممثلي هذا الجيل وابراز المحيا الثقافي لهـــــم .

ومن ثم تباينت نظرة الباحثين والنقاد الى قائمة الاسماء التي تنضوي تحت لواء هــذا الجيـــل ، فنحن لا نكاد نعثر على اتفاق بينهم في تحديد قائمة بتلك الاسماء ، ولكن عامل الزمن — كما يرى الاستاذ البحاثة ك . ط . بايطير (★) يجبرنا على ان نضم الى قائمة جيل 98 كل هذه الاسماء
ديثنطا Dicenta (1863 — 1917) — كانيفط Ganivet (1865 — 1898) اونامونو Unanismo (1864 — 1836) — ارنتيس —(1866 — 1943) بنافي Benavente ارنيت Arniches (1865 — 1954) — بلاسكو ابانييث Blasco Ibanez (1866 — 1928) — فايي انكلان Valle incalan (1866 — 1935) — باروخا Baroja (1872 — 1957) — سيرافين الفريس كينطرو Serafin Alvarez Quintero (1871 — 1938) وخواكين الفريس كينطرو Joaquin Alvarez Quintero (1873 — 1944) — انورين Azorin (ولد 1874) — منويل مانادو Manuel Machado (1874 — 1947) — انطونيو مانادو Antonio Machado (1875 — 1939) — بارمنو Parmeno (1875 — 1922) — خاثنتو كروا Jacinto Grau (ولد : 1877) — كونا اسبينسا Concha Espina (1877 — 1955) — فيا اسبيسا Villaespesa (1877 — 1936) — ميرو Miro (1879 — 1930) — ماطو Maezto (1876 — 1936) خوان رامون خمنيت Juan Ramon Jimenez (1881—1958) اميليو كريري Emilio Carrere (1880 — 1947) — الخندرو سوا Alejandro Sua — سيلفيريو لانتا Silverio Lanza

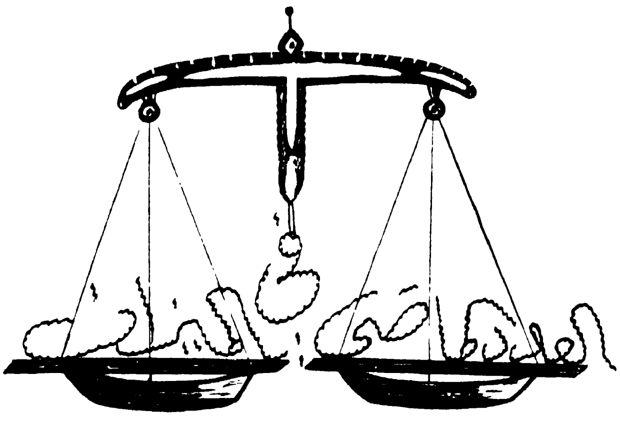
وبين دينتا ، اكبرهم سنا ، وكاريري ، اصغرهم سنـا . يوجد فارق زمني يقدر بنحو العشرين سنة ، واذن ، فالمقياس الزمني في هذا الصدد ، ليس دقيقا ومجديا بدرجة كبيرة ، وقد تكون هنالك مقاييس اخرى تتعلق بالجمالية والاسلوب والفكرة وما الى ذلك ، اصح منه لتصنيف اسماء تحت شعار واحد او اســم واحـــد .

ونتيجة لعدم دقة العامل الزمني وجدواه كان هذا الاختلاف الشديد بين الدارسين والنقاد حول تصنيف الاسماء التي يضمها جيـل 98 ، فهـذا الاستاذ الناقـد Lain Entralgo يرى في كتابه : (جيل 98 La generacion) ان اونامونو وفايي انكلان ممثلان طبيعيان للجيل المذكور ، بينما نجد نقادا آخرين يرون انهما — ارنامونو وفايي انكلان — ابعد ما يكونان عن جمالية جيل 98 ، على حين نجد الكاتب الكبير اورطيكا ايكاسيط يميل الى الرأي بان اونامونو وكانيفط ليس يمكن ضمهما الى افراد جيل 98 ، وانما يصح اعتبارهما عضوين في جيل سابق ، اما الناقد المعـروف جان كاسـو فانه يزعـم بان اونامونـو وكانيفط مرهصان حقيقيا لجيل 98 .

وفي كتاب (شعراء اسبان) Poetas espanoles ، نجد مؤلفه الكاتب الشاعر دامو الانسو يرى ان الممثلين الحقيقيين لجبل 98 ، هم : روبن داريو — منويل ماتادو — انطونيو مانادو — خوان رامون خمينث ، ثم مكيل دي اونامونو ، وهذا يصفـه روبن داريو بانه (لا صلة له باحد ولا بجيل من الاجيال) .

★) انظـر كتـاب Angel Valbuena Part, Historia de la literatura espanola - Quinta edicion, E. G. Gili, p. 368 y 369, III.

★) انظـر كتـاب : Panorama de la literatura espanola contemporanea, p. 110, T. II



للأستاذ ابراهيم الإلغي

قبل كل شيء الاحظ ان جملة الكتاب الذين اقترح عليهم ان يكتبوا تحت هذا العنوان ٠٠ كلهم يبدون اشفاقهم وتهيبهم للخوص فيه ٠٠ علما منهم بان زمرة الكتبة والباحثين الذين سيتعرضون لهم بالنقد والجمد مختلفو النزعات متعددو المشارب لا يجمعهم قرن واحد ولا سبب متصل ٠٠ وكذلك الموضوعات المعروضة فهي متباعدة تتناول جوانب شتى وترمي الى مناحي كبرى ٠٠ فكيف يستطيع عقل واحد ان يدرك شأو جملة عقول ٠٠ وكيف يقدر قلم واحد ان يسبر غور عدة اقلام ٠ بل كيف يحكم فرد واحد وهو عادة قصير على جماعة من الافراد وكل منهم قوي في نفسه بانفراده واحرى بانضمامه الى سربه ٠٠

لذلك فانا اقدم عذري مسبقا اذا لم ادرك شأو الذين اقترح علي ان اتعرض لانتاجهم بالنقد والتجسيد او الوزن والتقدير ٠٠ واصرح ان الذي حملني على تلبية رغبة مجلتنا العزيزة هو انني يعز علي ان ارفض المساهمة معها في اداء رسالتها الجليلة ولو كانت هذه المساهمة رمزية طفيفة ٠٠

فأدخل في الموضوع قائلا انني بدأت بفحص العدد من ناحية شكله وحجمه ومن ناحية ترتيبه وتبويبه واخراجه من الناحية الفنية فألفيته كسابقاته حسن الهندام جميل الشكل صقيل الورق بديع الاخراج والتبويب والترتيب كما وجدته من ناحية الموضوعات غزير المادة دسما قويا حتى ان القارئ العادي ربما كلفه وقتا غير قصير الاتيان على ما فيه ٠٠ فصرت اتساءل هل هذا عيب في العدد ام حسنة من حسناته ٠٠ ثم زعمت انه ربما كان عيبا بالنسبة لبعض القراء غير المتفرغين للقراءة امثالي وحسنة للمتفرغين ، وقليل ما هم ٠٠ واذا كان المقام يسمح لي بابداء ملاحظة على محتوى المجلة فهي انها باعتبار كونها تصدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية كان حريا بها ان لا تخلو ولو بصورة اخبارية من نشاط هاته الوزارة وهو نشاط عظيم الشأن متعدد النواحي ٠٠ وذلك بالاضافة الى ما اسست المجلة لاجله من الدراسات الاسلامية وشؤون الثقافة والفكر ٠٠ كما اسجل باستحسان تخفيض ثمن المجلة من درهم ونصف الى درهم واحد ٠٠ ولا شك ان هذا من باب التيسير المفروض دائما من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٠

واما الاستعراض العام للموضوعات المطروقة فانه افضى بي الى الوقوف على مزية كبرى لهذه المجلة وهي انها في هذه السنوات الثمان من عمرها المديد بحول الله استطاعت ان تضم اليها شرقا وغربا جماعة من الكتاب الباحثين والعلماء المختصين الذين يؤثرونها بنشر انتاجهم وآرائهم وقلما يغيبون عنها ٠٠ يقينا منهم بانها منبر من منابر الاسلام ولسان من السنة الحق ، وحير من يدعو دعوة الحق ٠٠ امثال هؤلاء الاساتذة الكبار : علال الفاسي ، محمد الطنجي ، عبد الله الجراري ، احمد التيجاني ٠ الدكتور تقي الدين الهلالي ، حسن السائح ، المهدي ابن عبود ، عبد الله كنون ، محمد ابن تاويت ، محمد زنيبر ، جمال الدين الرمادي ، زكي المحاسني ، عبد العلي الوزاني ، عبد القادر زمامة ، احمد رشاد ، محمد المنوني ، ابراهيم حركات ٠ المهدي البرجالي وغيرهم ممن لا احصي عددا ٠٠

ثم افضى بي هذا الاستعراض الى حيرة ٠٠ هل اتعرض لجميع موضوعات العدد وهي كما قلنا غزيرة وضافية ٠٠ ام امر على كل منها مر الكرام بالاشارة العابرة واللمسة الخفيفة ٠٠ ام اقتصر على بعضها الذي يعالج حالة خاصة من حالات مجتمعنا المغربي او حالة عامة من الحالات التي تشغل بال الرأي العام ؟

اخيرا وجدتني مضطرا الى الاقتصار على هذا البعض ٠٠ لكن لا بخسا لقيمة المباحث الاخرى وهي كلها موفية بالمراد

وبلاسكو ابانييث فانهما يحولان الملاحظة الى الفكرة ، وكان باروخا وفايي انكلان يشخصان اعمال الانسان وافكاره ولا يصفان دعاويه البسيكولوجية ، ويتحدث النقاد بان اونامونو كان يهتم بتحويل الانسان الى فكرة مريبة ، لكنها خالصة من كل شائبة ، ولم يكن الانسان ، عند بنافنتي ، الا مجموعة آراء .

ب ــ العلاقة بالمناظر

ان القدرة الفائقة للاغراق في وصف المناظر والاجواء انما كان يمتلكها باروخا ، فهو يبرز موصوفاته الطبيعية بشكل تاثيري ، شديد الفعالية ، وقصصه بالدرجة الاولى ليست تخلو ، مطلقا من تلك النكهة « الجوية » التي يعجب بها السينمائيون .

اما فايي انكلان ، فكان وصفه للمناظر لا يمتزج بنا؟ره الشخصي ، وبرغم ذلك فقد كان نثره يمتاز بطلال وموسيقية رائعة ، على ان اونامونو بالرغم من انه كان يمتلك ــ اذا جاز التعبير ــ احساسا شفافا بالمناظر فهو لم يعرف كيف يصفها ، بطريقة فنية ، في اقاصيصه ورواياته ، ولكنه على رأي اكثر النقاد ، استطاع ذلك فيما كتب من اعمال غنائية ووصفية .

وكان شاعر « مغبر » العظيم خوان رامون خمنيث ذا قدرة فائقة في الوصف ، ترفدها العناصر الغنائية الغزيرة التي كانت تتماوج في اعماق نفسه ، ومع ذلك ، فهو لم يشأ ، في وصف المناظر والاجواء ، شأو انطونيو مانادو الذي كان اروع من غنى باقليم كاستيا (★) Castilla ، ووضع له باغنياته عنه ، خريطة شعرية ، رائعة ، واما اثورين فقد كانت نظرته الى المناظر تمتزج دوما بالثقافة والتاريخ ، ولقد كان نثره يشف ، وتترقرق في اعطافه غنائية شعرية رقيقة اذ يصف المناظر .

موقف جيل 98 من الثقافة الاوربية :

اذا كان افراد جيل 98 ، كما رأينا ، قد اختلفت علاقاتهم بالانسان وتباينت اساليبهم في وصف المناظر ، فان موقفهم من الثقافة الاوربية يبدو شديد التشابه الا في استثناءات قليلة ، بيد ان وسيلتهم في محاولة الاتصال بهذه الثقافة والاطلاع عليها ثم الاستفادة منها ، بكل ذلك يبدو مختلفا ، متباينا من شخص لآخر ، فالثراء القالبي الادائي الذي كان يمتلكه كانييفط وايضا اونامونو مكن لهما شمولية وعمقا لا نلفيهما عند غيرهما ، واما اثورين ، وهو من المحافظين على روح اللغة الاسبانية ، فهو يبدو متشبعا بما كان يترجم من الفرنسية على حين ان بنافنتي ، كما يقول بايسطر ، ذهب بعيدا ، عبر قناة مانشا ، ثم توغل الى اخمص قدميه في الكنوز العظيمة التي كتبها الانجليزيون ، واما فايي انكلان فقد التقى بكتاب فرنسا في القرن الماضي ، وجالسهم ، واستمع لهم ، وتأثر بهم . وكذلك الاخوان مانادو ، فقد كان لهما احتكاك مباشر بالثقافة والادب الفرنسيين .

على ان الرائد العظيم في محاولة تلقيح الثقافة والادب الاسبانيين بالثقافة والادب الاوربيين او الفرنسيين على الاصح، هو روبن داريو ، الذي عد في تاريخ الادب الاسباني الحديث زعيما لثورة ادبية خطيرة ، حمل مشعلها في جنوب امريكا ، وشاد هياكلها وصروحها في ارض اسبانيا .

ذيـــوع صيت جيـــل 98 :

الحقيقة . . ان التأثير الثقافي والاجتماعي الذي خلفه افراد هذا الجيل لم يبد بسرعة ، فلقد تأخر ظهوره وذيوعه الى اعوام النصر من عمر الجيل التالي ، وحتى ذلك الحين كانت اصوات جيل 98 تبدد اصداوءها في اودية فقراء ، على انه ينبغي ان نستثنى من تلك الاصوات صوت بنافنتي ، فهو قد ارتفع مدويا ، مزمجرا ، يطبق الآفاق ، ويملأ الاجواء قبل ذلك الابان ، وانما تم له ذلك نتيجة الآراء المناقضة الشديدة التسرب الى نفوس الجماهير ، وشعبية القالب الذي كان يستأنس باعجابها .

اما الباقي من افراد جيل 98 فان شهرتهم لم تنتشر ولم يطر لها صيت الا بعد سنة 1920 ، اي في الوقت الذي بدأت فيه شهرة اورطيكا ايكاسيط ودأورس ، وغيرهما .

غير ان ذيوع صيت جيل 98 لم يبلغ اوجه ويتسنم ذراه الا في هذه الفترة التي شهدت المقاومة العنيفة التي ينهض بها جيل ثائر ضد حركة التجديد الروبنية ، وضد جماليات جيل 98 ، والواقع ان هذا الجيل الثالث ، الثائر ، المقاوم ليس الا غرسا من اغراس جيل 98 ، انه (جيل احفادنا) كما يسميه ميكيل دي اونامونو .

تطوان : حسن الوراكلي

(★) انظر كتابه : (حقول كاستيا) Campos de Castilla

حسن تقسيمه وترتيبه ثم شموله واستيعابه ٠٠ في اسلوب رصين وتعبير محكم طافح بافكار صائبة واحكام صادقة الى ابعد الحدود ٠٠ انه عند ما قال « اول مشكلة تواجه هذا الادب انه يبحث عن نفسه بين شتى الاتجاهات » صور واقع الادب المغربي اصدق تصوير ووصفه بالوصف الحقيقي الذي لا يمارى فيه منصف ٠٠ وعند ما قرر ان « الشعر بطبيعته بطيء التطور نظرا لكون قيوده اثقل من قيود النثر » ٠٠ كان ايضا صادقا وواجدا علة هذا البطء الشديد الذي سبب عندنا وعند غيرنا تأخر مواكب الشعراء عن اللحوق بقافلة الادباء الآخرين ٠٠ وعند ما قال « والقصة عندنا في المغرب ليس لها رجالها المختصون انها فن ضائع بين الفنون الادبية » ٠٠ نبه الى خطورة القصة والى ضرورة الانقطاع اليها ممن يحاول ان يدرك فيها الشأو الرفيع ٠٠ واما النقد الادبي « فاننا تقريبا لا نجد له وجودا » مضيفا ان « بعض الاعمال النقدية التي لم تراع فيها اصول النقد الصحيحة انما كانت مهاترات لا أقل ولا اكثر » ٠٠ فهذا ايضا قول صادق يعز علينا ان لا نجد ما نناقشه به ٠٠ ثم قال الاستاذ ان فن المقالة هو الفن الادبي الذي فاز عندنا بحصة الادب ٠٠ وذهب يشرح ذلك ويستعرض مراحل المقالة بالمغرب والمآخذ الموجهة عليها ٠٠ « فاذا ولينا وجهنا شطر التأليف فاننا نلاحظ ان جل ما صدر عندنا من كتب انما كان عبارة عن مقالات نشرت متفرقة ثم جمعت بين دفتي كتاب » ٠٠ اقول للاستاذ الوزاني ان هذه الظاهرة في التأليف ليست خاصة بالمغرب بل ان جل ما يصدر عن دور النشر بالقاهرة وبيروت انما جمع مما سبق نشره متفرقا او حوضر به في المجامع والجامعات او قدم اطروحات لنيل الاجازات والشهادات العليا او هيىء لدراسات مدرسية للطلبة ولصغار الاطفال ٠٠ غير ان الانصاف يدعونا الى ذكر بعض الاعمال الخالصة التي بها بعض المؤلفين الكبار هنا وهناك ولاسيما في العلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والتشريع ٠٠ واخيرا يعجبني قول الاستاذ « اننا بعيدون عن سن الرشد الادبي تلك السن التي يحاسب فيها الاديب نفسه ويصبح واعيا بكل ما يصدر عنه قادرا على ان يعرف لكل خطوة موضعها » ٠٠ وان كان بعض الادباء المتطلعين عندنا ربما لا يعجبهم ان يقال لهم انكم لم تبلغوا سن الرشد في الميدان الادبي رغم انهم بلغوا الاشد في المجالات الاخرى ٠٠ ثم ليسمح لي الاستاذ ان اوجه اليه مأخذا واحدا وهو قد اخذنا بعدة مآخذ ٠٠ وذلك ان بحثه القيم خال من ضرب الامثلة وعرض الشواهد ٠٠ فما هو الا نظريات يعوزها التشخيص والتنظير ٠٠ والمثل الوحيد الذي قدمه « في الثقافة والادب » للاستاذ غلاب دليل على ان الاستاذ الوزاني لم يلتزم في بحثه ترك الامثلة والشواهد جانبا ٠٠ كما نعلم من شمول نظرياته وصدق احكامه ان الشواهد لا تعوزه لو ارادها ٠٠ ولكننا نشعر ـ وان كان هو لا يشعر ـ بضرورتها في موضوعه العظيم ٠٠

وبعد ٠٠ فان بالعدد عدة دراسات اخرى بلغت من الجودة والاستيعاب ما يغرى بالتعليق عليها والوقوف عندها مدة اطول ٠٠ غير اني مرغم على الانصاف عنها اما لكونها ضافية يضيق المقام عن الخوض في احشائها ٠٠ كالبحث المستفيض « حول مشاكل البحث والاستنتاج التاريخي في العصر الحاضر » للاستاذ المهدي البرجالي ٠٠ وكالموضوع الهام « اضواء على الادب الاسباني » للاستاذ حسن الوراكلي ٠٠ واما لكونها حلقة من حلقات سابقة او اخرى لاحقة مما نشر بعضه في عدد سابق او بقي لعدد لاحق ٠٠ فتعذر علي لذلك تكوين فكرة عامة عن الموضوع باسره ٠٠ مثل ما نجده في مناقشة الدكتور تقي الدين الهلالي المعنونة « نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط » ٠٠ وفي نقد الاستاذ عبد الله كنون المنون « نظرة في منجد الآداب والعلوم » ٠٠ وفي بحث « ثقافتنا الاسلامية المعاصرة » للاستاذ الحسن السائح ٠٠ واني لم استثن من ذلك الا بحث الاستاذ الوزاني الآنف الذكر لكونه في حكم البحث الكامل وان كان فصل من فصوله ينتظر النشر ٠٠ راجيا لذلك قبول عذري ٠٠ والعذر عند كرام الناس مقبول ٠٠

الرباط : رضا الله ابراهيم الالفي

القهـــــوة

أنــا المحبــوبــة السمـــرا

واجلــى فــي الفنــاجيـــن

وعــود الهنــد لــي عطـــر

وذكـــري شاع في « الصيـــن »

« ماميــة الرومـــي »

مستحقة لعظيم الاعتبار .. ولا غمطا لحق اصحابها الاجلة الكرام .. وانما لكون القاعدة تقول : ما لا يمكن كله لا يترك جله .

وهناك ملاحظة عابرة لا ادري هل من الانسب ابدوءها ام هي من حق المجلة ذاتها وهي انه لفت نظري اثناء الاستعراض بعض موضاعات العدد سبق لي ان قرأتها او سمعت عنها في مجالات اخرى ..

وايا ما كان فان موضوع « اثر العقيدة في المجتمع » للاستاذ الكبير علال الفاسي كان بحق في مقدمة موضوعات العدد .. اذ ان الاستاذ على عادته عالج فيه بطريقته التحليلية وبتعمقه وشموله المعهودين واقع المجتمع المغربي وحالة الحيرة التي نعيشها اجيالنا الحاضرة .. فاستطاع حفظه الله ان يصل فيه بعد مقدمات وتمهيدات ابدع فيها كل الابداع الى ما يرمي اليه وهو انه « يجب على الشباب ان يتجه الى نبع عقيدة الاسلام التي تفتح آفاق ذهنه ليتصور الواقع ولا يبقى في جو يظهر فيه التمرد بمظهر الثورة والتقليد بمظهر التطور — ان احدا غيرنا لا يستطيع ان ينقذنا من آفات الانحطاط ويصعد بنا الى درجات الرقي — علام نرمي بأنفسنا في احضان الهاوية التي يحفرها هؤلاء (الغربيون) الماديون » .. حقا ان الاستاذ علال خير من يعالج مثل هذه المواضيع بما له من ايمان راسخ واطلاع واسع وفكر حر واسلوب رصين ومنطق محكم .. التي الذي نشكر الاستاذ عليه ونتمنى منه فيه المزيد .. غير اننا نستسمحه اذا لاحظنا على الموضوع انه كان غاية في العمق وجد مركز حتى انه اشبه بالنقط ورؤوس المسائل التي يسطرها المحاضر على الورق قبل ان يأخذ في بسطها امام الحاضرين .. لذلك كنا نتمنى ان لو اضفى الاستاذ مزيدا من حلية بيانه على هذا الموضوع العميق .. كما كنا نتمنى ان لا يجتاز بعض الكلمات والعبارات ويتركها من غير مزيد بيان .. ككلمة « فدادية » الواردة في قوله « فدادية بوذا » وكلمة « التصويف » الواردة في قوله « لقد آثر الغرب التصويف وهو يعود اليوم الى التصوف » .. اذ المفروض من القاريء المتوسط ان يكون دون المقروء ولا سيما اذا كان من مثل هذا الكلام العالي وانتاج الاستاذ الرفيع ..

وموضوع « امهات المؤمنين » للشيخ الاستاذ ابي العباس احمد التيجاني الذي كتبه فضيلته تلبية لرغبة بعض الطلبة .. ردا على ما نشر في بعض الجرائد .. دون ذكر اسم الجريدة ولا ذكر ما نشرت بنصه .. مما جعلنا نفترض انه ما جاء اثناء المقال من « انه صلى الله عليه وسلم يحب النساء والمرح والغناء» .. وان كان السطر الاول من هذه القولة « يحب النساء » ليس فيه ما يبعث على عظيم استنكار ما دام يتفق مع قوله صلى الله عليه وسلم : « حبب الي من دنياكم النساء والطيب الى آخر الحديث » .. وما دام لا يتبين من الفقرة وحدها فحوى ما ترمي اليه الجريدة من وراء هذا الحب ولا ما ذكرته في موضوع تعدد زوجاته صلى .. لذلك كنا نستحسن لو ان حضرة الكاتب العالم حكى قول الجريدة — وحاكي الكفر ليس بكافر — او المع اليه فقط بما فيه الكفاية .. حتى نستطيع ان نشارك الشيخ الجليل ونعيش معه في الموضوع .. وعلى اي حال فاننا نحمد لفضيلته هذه الغيرة الدينية التي عرف بها .

وموضوع « اللغة العربية في الحقل العلمي » للدكتور الطبيب المهدي ابن عبود .. حري بالملاحظة وجدير بالاعتبار .. لكونه موضوعا يشغل بال المواطنين جميعا في الظروف الراهنة ويشغل كثيرا من الاقلام والافواه من جراء معركة التعريب التي يخوضها الكل .. لقد صرح الكاتب الفاضل بانه موضوع مقترح من مكتب التعريب .. وهو بوصفه عالما نفسانيا اولا وعالما تقنيا ثانيا (ولا يخفى ما بين علم النفس وعلم الطب من ازدواج والتحام) ثم عالما مهتما بالدراسات الاسلامية ثالثا .. يستطيع بهذه الوسائل ولا شك ان يعالج الموضوع من اطرافه ويخرج منه بالنتيجة المرجوة وهي صلاحية اللغة العربية لسائر الحقول العلمية وغيرها .. او بالنتائج التي خرج بها حضرة الدكتور حيث قال « ليست المسألة مسألة لغوية وانما هي نفسانية تتصل بوجودنا وعقيدتنا وفلسفتنا في الحياة — والاتهامات التي تلحق لغة الضاد هي في الحقيقة ينبغي بالاحرى ان توجه الى الجهلاء من ابنائها — ان قيمة اللغة صورة لقيمة الامة — ان اللغة العربية كانت ولا زالت لغة حضارة فلا يصدق عليها ما يقال عن اللغات البدائية — ان العربية لا تحتاج الا لشيء واحد هو الاستعمال ، فهي موجودة ولكن الامة مفقودة— دعاة الازدواج يساعدون على سياسة الاستعمار الجديد .. واما علم اللغات فهو موضوع آخر .. » .. فنرى ان صديقنا الدكتور عالج الموضوع من الناحية النفسية اكثر من الناحية العلمية لشعوره بان العلة او النقص ليس في اللغة ذاتها وانما هو في نفوس بعض اهلها .. فما داموا لم يشفوا من وصمة هذا الجهل ومن مركب هذا النقص الذي ابتلاهم به الاستعمار فلا سبيل الى ادراكهم صلاحية اللغة العربية لسائر الميادين .. وبعد ذلك هل لنا ان ناخذ الدكتور على عدم تدعيمه الموضوع علميا ولغويا .. ؟

وننتقل الى موضوع « دراسات حول الادب المغربي » للاستاذ الموفق عبد العلي الوزاني .. فأبادر الى القول بانه بحث ادبي من النمط العالي الجامعي الذي يصح — في نظري — ان يقدم كصورة مشرفة لما وصل اليه البحث الادبي المجرد عندنا بالمغرب .. واني لا املك الا ان اشد بكلتا يدي على يد الاستاذ الوزاني مهنئا له على مثل هذا الانتاج الرفيع ومتمنيا ان اقرأ له الكثير من هذا النوع الممتاز .. فلقد اعجبني من بحثه اولا

على ما سبق ترجيحه ، ويزيدنا حديثا اخر من روايته وهو حديث الصحيح : اذا مات ابن آدم انقطع عملـــه الا من ثلاث ولم يتقدم فيما ابتناه من حديثه ، ويؤكد روايته عن ابي حنيفة كما ذكره الخطيب فى مشيخته.

ويروي لنا من شعره ثمانية ابيات من مشطور الرجز ، هي في الواقع من رجزية طويلة على ما يظهر بدليل قول الراوي عنه (حتى انتهـــى الى قولـــه) وباضافة هذه الابيات الى ما تقـــدم لنا روايته مـــن اشعاره يصير الجميع مائة وخمسة وستين بيتـــا .

ونلاحظ اعتراض مكحول عليه في البيت الآخر بقوله لا ، لما يشتم منه من رائحة الجبر .

وجاء فى خزانة الادب لعبد القادر البغدادي عند ذكر الشاهد : وللموت تغذو الوالدات سخالها ، البيت المتقدم في الكتابة الثانية ، ما نصه : وسابق البربري هو ابو سعيد سابق بن عبد الله ، له اشعار حسنـــة فى الزهد وهو من موالي بني امية سكن الرقة ، ووفـــد على عمر بن عبد العزيز وله معه حكـــايات لطيفـــة ، روى عنه مكحول وموسى بن اعين والمعافي بن عمران، وغيرهم ، والبربري نسبة الى البربر وهي بلاد كثيرة فى المغرب . قال ابن الاثير فى الانساب : ليس سابـــق منسوبا الى البربر ، وانما هو لقب له ، ويتضافر هذا النص مع ما قبله فى اسم الرجـــل وكنيته ، ويجـــزم بانه من موالي بني امية ، وهو ما سبق ذكره عن ابـــن عساكر نقلا عن المرزباني مع تعيين صاحب ولائـــه وهو الوليد منهم ، وبذلك قويت حجة من يقول انه غير عربي وفى هذا النص خطأ وهو قوله روى عنه مكحول والصواب ان مكحولا من مشيخته وان سابقا هو الذي روى عنه كما سبق مرارا ، ويؤيده ايضا اعتراضه عليه فى البيت الذي تقدم من رجزيته لما انشده اياها . واما قول ابن الاثير الذي اورده صاحب الخزانة فى نفـــي نسبة صاحبنا الى البربر فقد سبق لنا الكلام عليه .

وما ذكر عن ابن عبد ربـــه هو حكاية قيل ان سابقا اخذ معنى قوله : وللموت تغذو الوالدات سخالها من مضمونها وهي هذه :

« وفد عبد العزيز بن زرارة سيد اهل الكوفـــة على معاوية ، فخرج مع يزيد بن معاوية الى الصائفة ، فهلك هناك ، فكتب يزيد الى معاوية ، فقال معاويـــة لابيه زرارة : اتاني اليوم نعي سيد شباب العرب . . . فقال زرارة : يا سيدي هو ابني او ابنك ، فقال معاوية انه ابنك ، قال للموت ما تلد الوالدة ، اخذه سابـــق البربري فقـــال :

فللمـــوت تغـــذو الوالـــدات سخالها
كمـــا لخراب الدهـــر تبنى المســاكـــن »

هذا وفي طبقات الشعراء لابن المعتز ذكر لسابق فى عبارة تشبه عبارة الجاحظ المتقدمة عنه وعن صالح بن عبد القدوس من انهما اختصا بقول الشعـــر فى الحكم والامثال . وذلك اثناء ترجمته لمحمود الوراق . . وهي قوله : (وشعر محمود كثير . واكثره امثـــال وحكم ومواعظ وادب ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح ابن عبد القدوس وسابق البربري) .

طنجـة : عبد الله كنـــون

مـــن هـاهنـــا اتفقـــا ! !

رأى مالك بن دينـــار يوما حمامة مـــع غراب ! فعجب من اتفاقهمـــا وليس مـــن شكـــل واحـــد .

فلمـــا مشيـــا ، اذا هما اعرجـــان ، فقـــال :

« مـــن هـــا هنـــا اتفقـــا ! » .

سابق البربري ثالثة

للأستاذ : عبد الله كنون

كتبت عن سابق البربري فى هذه المجلة مرتين :
(الاولى) فى العدد الاول من السنة الثانية
(والثانية فى العدد المزدوج ، الثامن والتاسع من السنة السادسة .

وكلتا الكتابتين كانتا بحثا تناول جانبا من حياته الشخصية ، وجلى ادبه الحكمي الرائع الذي كان مغمورا بين اخبار الرواة ورجال الحديث واهل الزهد فى عديد من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، المظان وغير المظان .

ولم تكن الكتابة الثانية اعادة لشيء مما جاء في الكتابة الاولى ولا تكرارا لخبر او اثر او شعر ، بل الحاقا واستدراكا لما فاتني من ذلك ولم اذكره فيها لاني انما وقفت عليه بعد ، وتنسيقا له مع ما سبق ذكره حتى انني عددت ما زدته من شعره فى الكتابة الثانية ، تسعةوستين بيتا ، على ما تضمنته الكتابة الاولى وهو ثمانية وثمانون بيتا فكان المجموع 157 بيت او بيتا .

وقلت حينئذ ومن يدري لعلي اعود اليه مرة ثالثة اذا ظفرت بمعلومات جديدة عنه ، لا سيما وتاريخ الرقة للحراني قد طبع فيما بلغني ، وهو مظنة لان يحتوي على شيء من اخباره واثاره .

وها انا الآن اعود اليه بالفعل للمرة الثالثة بعد ان وقفت على ما ذكره صاحب تاريخ الرقة عنه ، وهو شيء قليل بالنسبة الى ما قدمته عنه نقلا عن غيره ولا سيما تاريخ ابن عساكر ، وما ذكره عنه ايضا صاحب خزانة الادب مشفوعا بخبر لابن عبد ربه فى العقد الفريد .

قال فى تاريخ الرقة : سابق بن عبد الله الرقي يكنى أبا سعيد ، حدثنا هلال بن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا موسى بن الحسن حدثنا سابق ابو سعيد — قال عمرو وكان امام الرقة ، قبل اجلح — عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابن هريرة ان رسول الله (ص) قال : اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث: الا من الصدقة ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له.

سمعت ابراهيم بن احمد بن عبد الكريم الحراني ابن ابي حميد يقول سالت محمد بن سليمان عن سابق البربري قال هذا كان قاضيا بالرقة ، حدث عنه محمد ابن سليمان بن ابي داود وحدث عنه عبيد الله بن يزيد ابن سنان الرهاوي عن ابي حنيفة .

وحدث عنه شجاع بن الوليد فقال : حدثنا ابو سعيد الجزري حدثنا علي بن عثمان النفيلي حدثنا ابو كامل مولى الفاز بن ربيعة قال سمعت سابق البربري ينشد مكحولا وهو في الغزو :

يا نفسي كل قابر مقبور
ويهلك الزائر والمزور
ويقبض العارية المعير
ليس على صرف الروا غمور
كم مر غني مكثر فقير
حتى انتهى الى قوله :
والصدق بر والتقى تطهير
والبر معروف به المبرور
وذو الهوى يسوقه المقدور

فقال مكحول لا .

هذا ما تضمنه تاريخ الرقة عنه ، ونجده فيما يتعلق باسمه يجعله سابق بن عبد الله ويكنى ابا سعيد

به ابا يحيى ابن المعلم الطنجي ، على انه اندلسي قرطبي لا يمكن ان يجود بــه المغــرب ، كما قلنا في ذالك الحديث . وبذلــك انصرف عنه دارسو ادبنا ، الى ان طلع علينا صديقنا العلامــــة الجليل سيدي عبد الله كنون ، بالحلقة الثلاثين ، التي نشرت في بيروت ، سنة 1961 او 1962 .

لقد علق الاستاذ كنون ، على الابيات السبعية بقوله :

فهذا المطلع كما ترى كله مقارنات يستعملها الشاعر على طريقته ، فيستخرج منها معاني اشباها في الفاظ اشباه تأنقــا في التعبير وتفننا في التصوير ، ولعله انما ضمنه هذه التعبيرات التي سلكها على نسق ، لمناسبة لم يذكرها لنا رواة القصيــدة » هكذا وقف الاستاذ كنون عند هذه « السبعيات » .

والواقع ان لها حظورة خاصة عند الشيعــه الاسماعيليــة بالخصوص ، اذ العدد « سبعة » يعتمد عليه هذا المذهب اعتمادا كليا ويعتبره سرا من اسراره الباطنية .

فهم على هذا العدد الخفي « سبعة » يبنون مذهبهم القائل بان هناك سبع فترات للانبياء والرسل هكذا :

آدم ، نوح ، ابراهيــم ، موســى . عيسى . محمــد . (عليهم الصلاة والسلام) محمد بن اسماعيل (المنسوب اليــــه المذهب) كما يزعمون . وبين كل نبي فترة ، يملأها سبعــه من الايمة ، فبعد النبي عليه السلام . علي ، فابنه الحسن . فابنه الحسين ، فابن هذا علي الملقب بزين العابدين ، فابنــه محمد الباقر ، فابن هذا جعفر الصادق ، فابنه اسماعيل .

وباسماعيل هذا بلغت الفترة السادسه نهايتها ، ثم جــاء دور ابنه محمد الذي سيعقبه كذلك سبعة من الائمة ، اولهــــم ابنه جعفر المصدق ، وثانيهم ابنه محمد الحبيب (والد عبيد الله المهدي كما قيل) .

على ان كل سبعة من هؤلاء الائمة يعقبه اثنا عشر نقيبا .

وقد اثر عن محمد الباقر ان الاسلام بني على سبع دعائم : الولاية ، وهي افضلها ، والطهارة والصلاة والزكــاة والصــوم والحج والجهاد » .

ولهذه الدعائم في التأويل الباطني امثال : فالولاية مثلها آدم ، لانه اول من افترض الله ولايتة ، وامر الملائكة بالسجود له . والسجود الطاعــة ، ولم يكلفهم غيــر ذلك ، فسجــدوا الا ابليس . فلا بد لجميع الخلق من اعتقاد ولايته ، ومن لم يتوله لم تنفعه ولاية من بعده ، لان الله اوجب ولايتــه ، فكان اصــل رسله وانبيائه وائمة دينه .

والصلاة مثلها ابراهيم ، فهو الذي بنى البيــت الحرام ، ورفع المقام ، فجعل الله هذا البيت قبلة ، والمقام مصلى ، وقال ابراهيم « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين » .

والزكاة مثلها موسى ، فهو اول من دعا اليها وارسله الله بها ، فقالى تعالى « وهــل اتاك حديــث موسى اذ ناداه ربــه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى » فكان اول ما امره به الدعاء الى ان يزكـــــــي .

والصوم مثله عيسى لانه نادى امه : « من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزي اليك بجدع النخلــة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقري عينا ، فامــا ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما » وبذلك يكون اول من دعا الى الصوم ، كما انه كان يصــوم دهــره ، ولا ياتــي النساء ، شأن الصائم الذي لايجوز له اتيانهن وهو صائم ، بل كان لا يجوز للصائم قبل الآية الناسخة ، اتيانهن ليلة الصيام ، وكان عيسى صوام الدهر ، كما سبق .

والحج مثله نبينا محمد عليه وعلى الانبياء الصلاة والسلام، فهو اول من اقام مناسك الحج ، وسن سننه كما هي ، وكانت العرب فيما قبل تحج الى البيت الحرام ، وتطوف عنده ، ولكنها لا تقيم شيئا من مناسك الحج ، بل كان طوافها كما حكاه الله تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » فكانوا يطوفون عراة يصفرون ويصفقون ، فنهى عن هذا النبي عليــه السلام ، فقال في العمرة التي اعتمرها قبل فتح مكة ، وقد وادع اهلها المشركين « لا يطوفن بعد هذا البيت عريان ولا عريانة » وكانوا قد نصبوا حول الكعبة اصناما يعبدونها ، فلما فتح مكة كسر تلك الاصنام ، وسن سنن الحج ومناسكه وفرض فروضــه بامر الله تعالى ، فكان الحج خاتمة الاعمال المفروضة ، فلم يبق بعده من دعائم الاسلام غير الجهاد وهو مثل سابع الايمة ، الذي هو صاحب القيامة .

ومما يجدر ملاحظته انهم اختلفوا في هذا القائم ، فمنهم من يجعله اسماعيل كما تقدم ، فيكون ابنه خلفا له بعد موته ، ومنهم من يجعله محمد بن اسماعيل ، ويسقط اسماعيل هذا .

وعلى كل فان العدد سبعة ، وقف عنده هؤلاء القوم ، والتمسوا له ظاهرا وباطنا ، وفرعوا عليه فروعا ، وكانـــت اسئلتهم هكذا :

لم خلق الله السموات والارض في سبعة ايام ؟
لم جعل الله السموات سبعا طباقا ؟
لم جعل الله الاضين مثلهن سبعا ؟
لم جعل البحار سبعــــا ؟
لم جعل لجنهم سبعة ابواب ؟
لم جعل الله المثاني من القرآن سبعا ؟

مبادئ التشيع في الأدب الموحدي

للأستاذ: محمد بن تاويت

في الاحاديث التي اذعتها سنوات 57 ، 58 ، 1959 ، عن الادب المغربي ، قلت بعد اتياني بنماذج من شعر ابي حفص السلمي – ما يلي بنصه :

« ومن هذه الابيات وغيرها من الشعر الذي قيل في هذا العصر ، ندرك ان الادب المغربي ، دخل فيه عنصر – ولو ان الفكرة فيه لم تكن غريبة عن المغرب نفسه ، فيما قبل ، منذ العبيديين ولربما منذ الادارسة الاول ، الا ان الاثر الادبي ، لم يسجل لنا شيئا عن ذلك من ذي قبل – هذا العنصر هو مبدأ الشيعة والاسماعلية منها بالخصوص ، في مسألة الخلافة ، وان صاحبها معين بالعين او بالوصف ، وانه الامام المعصوم المعلوم ، كما نجده في رسالة الموحدين ، ويخص هذا الامام بالصلاة عليه ، كما يصلي على النبي عليه السلام ، وكما نجده في نهاية هذه القصيدة ، التي ينهيها بهذه الابيات :

يا سامعين امادیح الامام الا
فاجثوا على الركب الاعظام او قوموا
خذ كأس لفظي دهاقا من مدائحه
فيها الحقائق لا لغو ولا تأثيم
ندعو له بدلا من مدحه لقصو
ر المدح عنه وفيه العذر معلوم
عز الامام فلا تضرب به مثلا
من ذا يقاس به والمثل معدوم
اعطى الورى فضل ما اعطاه خالقه
عليه من ربه بشرى وتسليم
صل بالصلاة عليه صدق مدحته
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم

وهكذا نجده يامر بالصلاة على ممدوحه الموحدي ، وهو التقليد الذي عرف بين الشيعة ، حينما يصلون على غير النبي عليه السلام » .

نعم : قلنا هذا وكنا اول القائلين به ، كما سنكون اول القائلين بمثله ، في غير هذا الادب الموحدي .

ولنعد الى هذه القصيدة التي مدح بها ابا يعقوب يوسف ابن عبد المومن ، والتي افتتحها بقوله :

الله حسبك والسبع الحواميم
تحوي بها سبعة وهي الاقاليم
سبع المثاني التي لله قمت بها
عليك من سرها معنى وتقديم
وانت بالسور السبع الطوال على
كل الورى حاكم بالله محكوم
وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
بوعد ربك هيهات التناجيم
تسمو بنفس على السبع الشداد سمت
فينا وثم لها زلفى وتحكيم

فقد سبق كذلك ان قلنا تعليقا على هذه الابيات :

« وبعد ما يستمر في ذكر السبع من السموات والشهب والايام ويستعمل كل ذلك بمهارة ، في مدح مخدومه ، ويطنب في اوصافه بالعدل والاستقامة ، يصفه بهذه الاوصاف فيقول :

فؤاده بضياء العلم منشرح
ووجهه بجمال النور موسوم
وكفه بطنها بالخير منهمر
وظهرها لعهود الله ملثوم
العلم فيمته والحلم شيمته
طابت ارومته والنفس والخيم ...

هذا ما قلناه في هذا الصدد ، وكنا اول من تعرض لهذا الادب بالدرس ، على انه من ادباء المغرب البارزين ، ومن قبلنا اهمل ذكره : لا لانه اديب تافه ، بل لان الشقندي فاخر

الدور السياسي للزاوية الدلائية

للأستاذ محمد حجي

قامت الزاوية الدلائية زيادة على تلقين الطريقة الشاذلية ونشر العلم في ربوع الاطلس الموسط بدور سياسي هام ايام انحلال الدولة السعدية ، وكان الذى تزعم هذه المرحلة في تاريخ الزاوية الرئيس محمد الحاج بن محمد بن ابي بكر الدلائي .

وقد ولد محمد الحاج في الدلاء عام 1588/997 ــ 1589 (★) ونشأ كسائر اخوته وبني عمه مكبا على الدرس والتحصيل في الزاوية البكرية . ونال اجازات عامة في مختلف الفنون الدينية والادبية من شيوخه احمد بن القاضي ، واحمد بن عمران السلاسي ، والعربي بن يوسف الفاسي . « وكان ذا وجه حسن . وذلاقة لسان ، حسن الشارة ، بارع الفهم والعبارة ، موصوفا بالرجولة والمروءة الفائقة » (★) وتوجه محمد الحاج الى البقاع المقدسة عام 1041/1631 ــ 1632 في موكب حافل ضم كثيرا من رجال العلم والفضل والدين ، من جهات مختلفة حتى من بلاد تواب . ولقي في رحلته الحجازية كثيرا من مظاهر العناية والتقدير ، وخطب الناس في عرفات ، ودرس بالمدينة المنورة ، وقدم فيها خطيبا واماما ، ولدى مروره بالقاهرة خرج لالقائه الامام احمد المقري ، واقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر علي الاجهوري مدة كان محمد الحاج خلالها يعقد مجالس علمية بالجامع الازهر ويلقي دروسا في التفسير والحديث وغيرهما .

وبدت كفاءة محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده الذي كان يعتمد عليه في المهمات . ويرسله على رأس جيش الدلاء الى ما وراء نهر ملوية والى بلاد الغرب فيرجع ظافرا منصورا . وقد انفرد ابو القاسم الزياني ــ فيما اعلم ــ بذكر اخبار غريبة عن نشأة محمد الحاج ، زعم نقلها عن الشيخ اليوسي فقال عن امير الدلاء : « انه كان في ابتداء امره طالبا صعلوكا مملقا ، طرده والده لاشتغاله بما لا يعنيه ومصاحبته للبطالين ، فكان يأوى الى كهف في جبل يدلا اوقد فيه النار ذات ليلة فرأى اثر باب داخله فنقبه واستخرج منه سبعة قماقم نحاسية في كل منها عشرة آلاف دينار مريني « فأصلح حاله وواسى اقاربه واصحابه . وولع بركوب الخيل ، واستركب الاقارب والاقران ، فلم تكمل عليه السنة الى ان كان يركب في مائة من الخيل من الاولياء والمصطنعين . واشتغل بتقويم الاتباع من قبيلة مجاط وغيرهم من صنهاجة آيت اومالو (★) ، وصار يشن الغارات عن من بملوية وتادلا من العرب فعلا صيته » (★) .

واخبار الصعلكة والبطالة والاملاق تناقض ما اجمع عليه المؤرخون واصحاب التراجم من حسن تربية ابناء الشيخ محمد ابن ابي بكر الدلائي جميعا ، وتنافي وتأثير البيئة الصالحة في نفوس الناشئين فيها ، خصوصا ونحن نعرف ما اوتي الدلائيون من بسطة في المال والعلم والصلاح . وكتب اليوسي بين ايدينا لم نعثر فيما قرأناه منها على هذه الاساطير ، بل بالعكس من ذلك نجد اليوسي في المحاضرات يخصص فصلا طويلا في نحو 18 صفحة يروي فيه مباشرة عن محمد الحاج كثيرا من الاخبار العلمية والادبية ويتحدث عنه بكامل الاجلال والتقدير .

نزوع محمد الحاج الى الحكم

بمجرد وفاة الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي عام 1040/1630 ظهر نزوع محمد الحاج الى الاستقلال بالامر ، وبدأت اعناق مختلف القبائل تشرئب اليه ، واحمال اعشارهم وزكواتهم تحمل لديه ، فامتلأت رحاب الدلاء بالوفود وتضاعف فيها عدد الاتباع والجنود ، ورأى ملك مراكش محمد الشيخ السعدي في ذلك الاداة الفعالة للقضاء الحتمي على ما بقي له من نفوذ ، فعمل على تدراك الامر بالحكمة ، وسلك نحو هذا الرئيس الطموح سبيل المجاملة واللين . فسارع في بادىء الامر الى بناء ضريح الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي ، وشيد عليه قبة انيقة بعث لاقامتها الصناع والادوات اللازمة من مراكش ، وانفق عليها بسخاء . وبعد ذلك بعث ملك مراكش قاضيه الشيخ محمد المزواري الى الدلاء ، ليستميل اليه محمد الحاج ويحضه على الطاعة والبيعة . ولكن نصائح القاضي ومواعظه ذهبت

(★) ابو القاسم الزياني ، الترجمان المعرب ، ص 362 . ويجعل مؤرخون آخرون ولادة محمد الحاج عام 1000/1591ــ1592

(★) سليمان الحوات ، « البدور الضاوية » ، ورقة 109 / ب

(★) آيت أومالو ومعناها بنو الظل هم سكان شمال الاطلس. يقابلهم آيت آسمار (بتشديد الميم) اي بنو الشمس وهم سكان جنوب الاطلس .

(★) ابو القاسم الزياني ، « البستان » ، ورقة 5 / 1 .

لم جعل في عنق الانسان سبع فقرات ؟ وجعل في ظهره اثنتي عشرة فقرة ؟

ما ذلك الا لان السبع تحمل الرأس ، فهي الائمة تلي النبي ، تساعدها الاثنى عشر نقيبا ، ترمز لها الاثنتا عشرة فقرة .

فهذه قصة السبعة عند الشيعة ، ولا شك ان ابا حفص تومىء اليها ويلم بها الماما مبهما في من غير ما يدخل في تفاصيلها ، التي تبرىء منها قاضينا الشاعر ، لانها غلو يفضي بصاحبه الى الالحاد ، في نهايتها . واذن فليس امعان شاعرنا في سبعة ، قائما على مجرد الاستغلال او الاستقراء الفني ، او التوليد القائم على التداعي ، لان ما بايدينا من شعر القاضي ونثره لا يطلعنا على هذه الوتيرة من المقارنات التي يستعملها ليستخرج منها معاني اشباها في الفاظ كذلك ، لمجرد التأنق في التعبير والتفنن في التصوير .

وقصة المهدوية و « السبعة » عرفها المغرب من قبل ما عرف دولة الموحدين بنيف واربعة قرون ، فلقد استغل هذه الدعوة البرغواطيون ، بل استغلها اولهم صالح بن طريف اوائل القرن الثاني ، وذلك انه حينما فارق المغرب عام ثمان وعشرين ومائة ، كان فيما وعد به ابنه الياس انه يرجع الى المغرب في دولة « السابع » منهم ، وانه المهدي الذي يقاتل الدجال ، وان عيسى سيكون من جنده ، ويصلي خلفه ، واما كانت دولة السابع منهم وهو اليسع بن اسماعيل ، في منتصف القرن الخامس جعل ينتظر ظهور جده صالح في حماس وايمان بالـغ .

ومع هذا فاننا لا ندعي ان ابن تومرت ، وقد استفاد من نظام الاسماعيلية ومنطقهم في الامامة ، كان اسماعيليا ، مائة في المائة ، كما يقولون — بل انه استفاد من هذا الى حد ، وكان واقعيا في تنظيم طبقات رجاله ، فالعشرة المهاجرون ، نظر فيهم ، بعد الامر الواقع الى المهاجرين العشرة ، من الصحابة ، ولم يجعلهم اثنى عشر نقيبا ، وحتى لو جعلهم كذلك ، لوافق موسى قبل ان يكون موافقا لهؤلاء الشيعة ، كما ان السبعين في طبقته الثالثة ، كانت بعد الواقع ايضا ، متابعة لموسى الذي اختار من قومه سبعين رجلا .

وكما استفاد من هذا كله الى حد ما ، فانه استفاد كذلك من هؤلاء الباطنية ، تلك الصرامة ، التي لم تكن تتورع في اراقة الدماء وازهاق الارواح ، آخذة بالظنة ، ومستعملة تلك الحيل التي كان يستعمل مثلها « الحشاشون » في الشرق ، وكان ابن تومرت قد خبر من شؤونهم ، حينما كان بالشرق ، فسمع عنهم او اتصل ببعضهم ، اذ كانوا منبثين آنذاك في كل مكان .

ومهما يكن ، فهذا لا يعنينا الآن ، بقدر ما يعنينا تفسير « السبعة » في شعر ابي حفص السلمي ، تفسيرا يقوم على فكرة شيعية ، كما وجدنا ذلك في شعر ناصر خسرو الاسماعيلي المتطرف ومثنويات نظامي الكنجوي المتصوف .

والمتصوف علاقة بالتشيع ، وكذلك انتهى شاعرنا وقاضينا السلمي الى هذا التصوف ، كما قلناه في الحديث الثامن من احاديث الادب المغربي ، التي اذيعت سنة 1957 . ولامر ما كان محيى الدين بن العربي يتمتع بكثير من التقديس بين رجال الشيعة في ايران .

على ان هناك حقيقة لا بد من ذكرها ، وهي ان التشيع لم يمس نفسا ما الا في ادباء البلاط ، وعلى رأس هؤلاء السلمي ، اما غيرهم فلا . والقصيدة التي اوردها صاحب المعجب في رثاء محمد بن تومرت ، لا تمثل التشيع بمعالمه الواضحة بل تشير اشارات اليه تقوى جدا عند فكرة المهدوية بالخصوص، ولم يرد صاحبها ان يظهر بها كما قيل ، وتنسب الى رجل من الجزائـر .

هذا ما يتصل بالشعر ، اما النثر فكان اقوى ترديدا لفكرة الشيعة في الامامة والمهدوية ، على عكس ما سنرى فيما بعد ان شاء الله عند تعرضنا للسبع في الادب السعدي ، فان الشعر فيه كان انطق وافصح بهذا الامر ...

محمد بن تاويت

تادلا (*) وفي ذلك يقول محمد بن الطيب القادري : « وفي عام 1048 ــ 1638 شرع امير المؤمنين السلطان سيدي محمد الحاج الدلائي في بناء قصبة الدلاء في منتصف يوم الاحد سادس وعشري ربيع الاول من العام ، وانتظر لذلك طالع سعيد » (*) وقد اخذت هذه المدينة الجديدة اسماء كثيرة ، فبعض المؤرخين دعاها قصبة الدلاء ، وبعضهم سماها مدينة الدلاء او مدينة ازغار او زاوية محمد الحاج ، والى ذلك كان يطلق عليها اسم الزاوية الدلائية او الزاوية البكرية ، لانتقال الدلائيين الى السكنى بها وهجرة العلماء والطلبة اليها ، حتى ان الزاوية الدلائية القديمة في عهد محمد الحاج لم تعد سوى قرية ثانوية يسكنها الفقراء والعجزة ويدفن فيها موتى الاسرة الدلائية كما سبق . واتخذ محمد الحاج لنفسه قصرا وديوانا عظيمين في وسط المدينة الجديدة كان يحيط بهما سور داخلي ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم . واسكن معه في العاصمة خمس قبائل بربرية من اكثر سكان الاطلس المتوسط عصبية وحمية ، وهي مجاط ، وآيت يمور ، وآيت نضير (بني مطير) ، وكروان ، وآيت اسحاق . فاستكمل الدلائيون بذلك مظاهر الابهة والسلطان ، وتكونت لديهم اهم قوة حربية بالبلاد سيصول محمد الحاج بها ويجول ، ويمتلك اهم اقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن .

ولما استتب الامر لمحمد الحاج ، وقضى على خصومه ومنافسيه ، ودان له وسط المغرب وغربه وشماله ، وكثر جنده وانصاره ، اخذ يفكر في اضفاء صبغة شرعية على موقفه ويعمل على نتصيب نفسه ملكا على البلاد لا سيما وقد كان تدهور السعديين في مراكش بلغ غايته ، واصبح من السهل التخلص من القائمين في الجنوب . فطالب الناس ببيعته والتزام طاعته ، وذلك في اوائل عام 1651/1061 . « فقام اهل المغرب بدعوة سيدي محمد الحاج وادعنوا لطاعته واوامره ، وجاءته البيعات من البلدان المغربية ، وبايعه اهل فاس الادريسية والعليا بالخلافة ، وكتبوا له البيعة بجامع القرويين ، وحضرها من هو اهل لذلك من الاعيان ، والجم الغفير من اهل الديوان ، في مهل ربيع الثاني عام 1061 وقدموا عليه بها للزاوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدها ، ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات اهل نواحي المغرب في خزانة كتب الجامع المذكور .. » (*) .

أعمال محمد الحاج الحربية

أ) الحملتان الدلائيتان الاوليان :

قضى محمد الحاج الدلائي السنين الاوليين في اعداد العدة وتنظيم الجيش ، وتأسيس العاصمة وترتيب القبائل ، ولم يتحرك جنده الا في عام 1638/1048 ، فقام في هذه السنة بحملتين كبيرتين ، على ضفاف نهر وادي العبيد وفي بسائط بلاد سائس . وقد ترأس محمد الحاج بنفسه الحملة الاولى ، عندما بلغه خبر تحرك جيش محمد السعدي من مراكش في اتجاه الدلاء . والتقى الجمعان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا ، في المكان المعروف بابي عقبة على بعد نحو 12 كلم من المركز الحالي لدار ولد زيدوح . وجرت معركة حامية الوطيس اسفرت عن انهزام محمد الشيخ السعدي ورجوع جيشه مفلولا الى مراكش . وانقطع بذلك نظر السعديين نهائيا عما شمله نفوذ الدلائيين من البلاد .

وكان سبب الحملة الدلائية الثانية هو استنجاد المجاهد العياشي بمحمد الحاج ، ليساعده في القضاء على فتنة الحياينة(*) وشراكة الذين قويت شوكتهم ، وامسوا يغيرون على الفاسيين ويسلبونهم اموالهم وامتعتهم ، ويختطفون اولادهم ونساءهم . وقد توجه وفد من علماء فاس واعيانها الى المجاهد العياشي بسلا (*)،ورجوا منه ان يخلصهم من بلاء القبيلتين المجاورتين. فأحالهم العياشي على محمد الحاج ، وبعث معهم بخطاب يشرح له الحال ويرجو منه الاغاثة والنجدة . فلبى امير الدلاء نداء الواجب ، وارسل الى العياشي جيشا قويا من البربر تحت امرة احد قواده المسمى شعتوع . ويمكننا ان ندرك مدى اهمية هذا الجيش اذا عرفنا ان المجاهد العياشي استطاع به ان يقضي نهائيا على القبيلتين المتمردتين ويلاحق فلولهما في فنن الجبال ، ويفرق بقاياهما في القبائل لتنحل عصبيتهما ، ويامن الناس شرهما ، وطالما عالج العياشي امر الحياينة وشراكة قبل ذلك فلم يحصل على طائل .

ب) مهاجمة المجاهد العياشي :

لم تطل مدة الصفاء بين الدلائيين والعياشي بعد ذلك ، اذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب ، بعد ان تركزت قدماه في ملوية العليا وبسائط تادلا وما والاهما من البلاد . وكان لا بد له اذا اراد تحقيق مطامحه من ان يتخلص من العياشي صاحب النفوذ في الثغور . ولا نظن حادثة الاندلسيين الا تعلة اتخذها محمد الحاج لتبرير موقفه العدائي من مجاهد

(*) تبعد مدينة محمد الحاج المعروفة اليوم بزاوية آيت اسحاق عن خنيفرة بـ 35 كلم ، وعن قصبة تادلا بـ 04 كلم .

(*) محمد القادري ، « نشر المثاني الكبير » ، ورقة 1/92 .

(*) سليمان الحوات ، « البدور الضاوية » ، ورقة 111/ب .
وذكر خبر قيام اهل المغرب بدعوى محمد الحاج في التاريخ المذكور ايضا محمد القادري في « نشر المثاني » ، ص 196

(*) الحياينة : قبيلة عربية في شمال شرق فاس ، مستقرة بين نهري سبو وورغة ، تشتمل على ثلاث عمائر كبيرة وعشائر كثيرة ــ (هامش العز والصولة ، ص 17 .

(*) اشار الى هذه الزيارة التي قام بها وفد علماء فاس للمجاهد العياشي بسلا محمد بن احمد ميارة في مقدمة « شرحه للمرشد المعين » ، 1 : وكان ذلك في اواسط ذي الحجة عام 1638/1047 .

ادراج الرياح ، فمحمد الحاج كان مصمما على ان يقبض على زمام الحكم في المغرب ، بعد ان تأكد من اضمحلال نفوذ السعديين واستبداد الثوار عليهم في كل مكان . ويذكر المؤرخون ان محمد الحاج اعتذر لقاضي مراكش بمسائل لم يفصحوا عنها ، ولعله افهم مخاطبه بان عجز السعديين في ذلك الحين عن القيام بمهمتهم ، افقدهم اهم اركان الخلافة الذي هو الكفاءة . فلم تعد لهم عصبية قبلية ، ولا سلطة روحية مستمدة من نسبتهم الشرفية ففدا بذلك جلوسهم على العرش غير ذي موضوع . اذ ليس من المعقول ان تشتعل نيران الفتنة في ارجاء البلاد وتاتي على الاخضر واليابس ، وينعدم الامن ويختل النظام ، في الوقت الذي يوجد ملك صوري قابع في قصره لا يحرك ساكنا وكأن الامر لا يعنيه !

وبالرغم من فشل القاضي لم ييأس محمد الشيخ ، وكتب رسالة مطولة الى محمد الحاج وعشيرته ، حاول فيها ان يكون لبقا يجمع بين الوعد والوعيد ، ويسلك سبيل اللين والتهديد ، ولكن قلم الكاتب جمح فأسهب في اختلاق المعايب والنقائص للدلائيين ، مما يتنافى وما يتطلبه الموقف من اجلاب قلوبهم والتودد اليهم . وقد جاء في هذه الرسالة : « ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عموم البرابر ، واقعدكم في القباب على الاسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر . عويتم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لكون عزيمة نهوضنا اليكم معطلة صعبة ، وان لا ندري اين تميل النفوس ، المنات الصحاري ام الى ايليغ السوس . وهذا المغرب لا يخلو ملآن من نواميس كل كاهن ومدع قرقار (★) تمسى فيه البومة حاملة وتصبح بالمخلب والمنقار » (★) واقترح محمد الشيخ في آخر هذه الرسالة على الدلائيين ان يتنازل لهم عن قسط من الجبايات ، يكفي شؤون الزاوية واهلها ، مقابل ان يعترفوا بسلطته ويكفوا ايديهم عما عدا ذلك ... فقال « وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من اطاع او عصى ، من وجدة الى حدود السوس الاقصى ، فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية واهلها ، بشرط ان تفيقوا من سنة الغفلة وجهلها ، وان امسكتم اقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد وقبول سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله » (★) وقد اجاب محمد الحاج عن هذه الرسالة باخرى بليغة من انشاء اخيه محمد المسناوي ، ظهر فيها استنكاف الدلائيين مما لمزهم به محمد الشيخ من النقائص واعتذروا عن عدم تجديد البيعة بامرين ، اولهما ان قبائل البربر لم تعد تعترف بسلطة السعديين ، فلو بايعهم الدلائيون لانفض البربر من حولهم ونزحوا عن ساحتهم . وثانيهما قيام محمد بن الشريف في الصحراء وتقويه ببرابرة صنهاجة وعرب دخيسة وتشوفه لامتلاك المناطق الخاضعة للدلائيين على ضفاف نهر ملوية ورباط تازا . وبعد ان ذكر الدلائيون ما هم عليه من المنعة وشدة البأس قالوا . « وحتى الآن ان قصدتم الغرب او حصن فاس ، فلا تنالكم من جانبنا مساءة ولا بأس ، فبعد ان يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة (★) قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار ، بين ان نومن لك او نترك لك الديار ، او نستصرخ بمن هو منك شريف حقيقي وسلطان ، له شغف اكثر منك في ضبط الاوطان ، وان قنعت بحوز الحمراء من مراكش ، ورفضت عنك معاناة الهرائش والمداوش ، فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وهمته اشتراء نفيس السياسة ، ضرغام غاب سجلماسة » (★) . والرسالتان خاليتان من التاريخ ، وقدر الناصري في الاستقصاء (★) انهما تبودلتا خلال عام 1046 . (1636 ــ 1637) والظاهر انهما كانتا في اواخر عام 1047 او في اوائل 1638/1048 لانهما تتحدثان عن الضريح الذي شيده السعديون للشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي المتوفى شتاء عام 1636/1046 . وتتعذر المواصلة في هذا الفصل ان لم نقل تنقطع بين مراكش والمنطقة الجبلية التي تقع فيها الزاوية الدلائية . وبذلك فان العمل في بناء الضريح لم يبتدئ الا في اواخر ذلك العام او مطلع العام الذي يليه . ولا يمكن عادة نقل المواد اللازمة للبناء من مراكش الى الدلاء ، وتشييد القبة وزخرفتها في اقل من سنة ، اضف الى ذلك شهرة مهارة الفاسي الزوار وعلى اي حال فان الرسالتين السابقتين كانتا آخر محاولة للتفاهم السلمي بين السعديين والدلائيين ، وسيتقابل الفريقان في معركة حاسمة على ضفاف وادي العبيد ليقررا المصير النهائي لعلاقتهما .

تأسيـــس مدينـــة الـــدلاء

عرفت الزاوية الدلائية القديمة في هذه الفترة تطورا كبيرا ، فتضخم عدد سكانها حتى ضاقت بهم الابنية والاخصاص ، وامتلأت السبل المؤدية اليها على وعورتها بالواردين والصادرين . ورأى محمد الحاج ان يؤسس مدينة جديدة واسعة في منبسط من الارض يسهل الوصول اليه . فارتاد لعاصمة امارته المكان الذي توجد فيه اليوم زاوية آيت اسحق في سفح الاطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة وقصبة

(★) القرقار : الذي يهدر كالجمل .
(★) احمد الناصري ، « الاستقصاء » ، 6 : 99 .
(★) نفس المصدر ، ص 100 .
(★) المراد بالمدينة البيضاء الجديدة، فاس الجديد ، وبالقديمة فاس الادريسية .
(★) الناصري ، « الاستقصا » ، ج 6 ، ص 102 .
(★) ج 6 ، ص 97 .

صيانة الوثائق وأهميتها في التاريخ

للأستاذ : محمد كليطو

لقد كان بودي ان اتابع البحث الذي نشر جزء منه بالعدد التاسع من مجلة دعوة الحق (الحلقة الثالثة) لاعطاء بيان كاف بقصد تنوير الفكر العام المغربي على ضوء ما شاهدته عن الوثائق وصيانتها والاعتناء بالمحافظة عليها في فرنسا رغم ان المطابع غزتها وجردت منها الشيء الكثير وتركتها كما يترك الخريف الاشجار مجردة من الاوراق فانها لا زالت تكتسي صبغتها التاريخية العريقة وتحتفظ بطابعها الاثري ، فضلا عما يوليها ذوو الفكر من عناية .

وفي هذا الفصل ارتأيت ان اطوي المراحل التي مر منها التاريخ العام للوثائق تاركا ذلك الى فرصة اخرى ، وان انطرق رأسا الى حديث الوثائق بالمغرب ، ولكم يطيب لي ان انال رضى من يهمهم هذا البحث ويقدرون اهمية الدور التاريخي الذي تؤديه الوثائق ، وبحثي هذا ليس الا مساهمة من جانبي للحرص على هذا الكنز الذي نضمن بواسطته الاحتفاظ على معالم التاريخ المغربي العريق ، ومتى حققنا هذه الامنية واقتدينا بالامم التي صانت تراثها فاننا سنحتل بذلك مكانا مرموقا بين صفوفها خصوصا وان وثائقنا لها اهمية عظمى من الناحية التاريخية اذ يعلق عليها المؤرخون املا كبيرا . ومتى استطاعت يد العناية ان تمتد اليها لانقاذها من هذا الاسمال المزري فان وجه التاريخ المغربي سيغير رأسا على عقب ، وبدون هذه الوثائق لا يمكن لاي باحث بالطبع ان يلم بالحقائق التاريخية مهما كانت درايته ، ومهما كان عمق معرفته في التاريخ والرجوع الى تلك المصادر التي وضعها الاجانب بايحاء من نزعتهم الاستعمارية قد لا تفيد الباحث في شيء وانما تسود الصفحة الناصعة البياض للتاريخ المغربي ، ومع شديد الاسف فان تاريخنا في العالم الحاضر لا تشكله الا هذه المصادر الاجنبية ذات اللون الاستعماري .

وقد يسأل سائل ما سر الاهمال الذي وصمت به وثائقنا وما سببه ؟

الجواب : هو ان الاهتمام بالوثائق يكاد يكون شيئا غير ذي وزن بالنسبة للطبقات المفكرة لدينا بل هو لديها نوع من الانواع التي لا نوليها ادنى شيء من الاهتمام ، وهذه الروح ناتجة عن تلك البذور التي غرسها الاستعمار في كل قطر كان يحتله حينما يبذل اقصى الجهود في تحطيم كل الوثائق قصد طمس الملامح لاعتقاده انه يقطع الصلة للامة بتراثها لان الوثائق هي المصدر الوحيد الذي تستمد منه الامم عزتها وكرامتها ، وكان الاستعمار يحاول كعادته ان يعلل ذلك بانه يحرص على ان لا يحشر انفه في المقدسات الدينية وتراث الاجداد .

والجدير بالقول اننا الآن قد اخذنا نشق الطريق الذي يؤدي بنا الى التفكير في الاعتناء بالوثائق وجمع شتاتها . وهنا اوجه سؤالي الى وزارة التربية الوطنية التي هي من اختصاصاتها هذا العمل : فلماذا تفكر حتى الآن في انشاء مشروع يحفظ هذا التراث من الضياع ويسعى في تنظيمه من الناحية الادارية والفنية معا ؟ فهل نعتبر نفسها هي المسؤولة او ننتظر من غيرها ان يقوم بهذه المهمة ؟

وانه لا يليق ببقاء هذه الذخائر تحت يد من لا يقدر لها اهمية (فيصونها ويحجبها عن العيون) بينما هي تعد منبعا من منابع العلم والعرفان وفي ابرازها تتمخض منها حركة فكرية في جميع الاوساط الثقافية والادبية ، وعلينا بالمبادرة اليها لان كل كاتب وباحث يتوقف على هذه الوثائق ، والطلبة يبحثون عنها بكل لهفة لكنهم تعوقهم عراقيل للوصول اليها وتذهب مساعيهم ادراج الرياح حتى ان الاضطرار يفرض عليهم ان يرجعوا الى المصادر الاجنبية فيجدون الحلقة المفقودة من تاريخ المغرب والتي تتنافى مع الواقع ويستندون عليها ثم يبلغوها من جديد باقلامهم وتصبح مصدرا موثوقا به عند الغربي ويذيعونه بصورة ابشع على لسان اهل الدار الذين هم اعرف باحوالها من غيرهم . ويكرر كل باحث عربي سؤاله : الى متى سيقع

سلا ، وفرصة اهتبلها للقضاء على منافسه من اجل التوسع وبسط النفوذ . وقد اتهم العياشي الاندلسيين المقيمين على الضفة اليسرى لنهر ابي رقراق بممالاة الاسبانيين على المجاهدين ، وأفتاه العلماء بجواز قتالهم ، فحاصرهم وضيق عليهم الخناق الى ان تمكن من مدينة الرباط ، وبقيت القصبة تقاوم الحصار مدة طويلة ، اذ كانت حاميها تتألف من الموريسكيين وجنود الملك السعدي صاحب مراكش ، يشد ازرهم الاسبانيون . ومما يؤكد الاتهامات الموجهة ضد الاندلسيين ما ورد في رسالة بعث بها دوراستان « DE RASTIN » القائم باعمال قنصلية فرنسا في سلا الى رئيس الوزراء ريشوليا « RICHELIEU » بتاريخ 16 يوليوز 1639 يخبره بان سلا الجديدة (الرباط) قد سقطت في يد العياشي ، وان الحصار قائم حول القصبة التي سوف بواسطة الاسبانيين (★) .

وقد اهدر العياشي دماء الاندلسيين في الرباط والقصبة واباح اموالهم ، وفرت طائفة منهم الى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وشفع لهم عند العياشي فلم يقبل هذا الاخير الشفاعة فيهم، وابى الا ان يستأصل شأفتهم . فكان رد محمد الحاج ان زحف بجنده على منطقة نفوذ العياشي ، في اوائل عام 1640/1050 وملك مدينة مكناس ، ثم اتجه الى فاس فاعترض العياشي طريقه ، ووقعت الحرب بين الصديقين القديمين ، واقتتل الجيشان المتحالفان الى عهد قريب . وكان النصر في البداية حليف محمد الحاج ، فتقدم الى فاس وحاصرها مدة ، ثم كر عليه العياشي في مجموع وفيرة من رجال الغرب فانهزم الدلائيون لاول مرة ورفع الحصار عن المدينة . وعرف محمد الحاج انه لا يستطيع القضاء على خصمة ما دام في عزة ومنعة بين قومه وانصاره من قبائل الغرب ، فرأى ان يبحث عن منافسي العياشي من بين رؤساء هذه القبائل ، وفي مقدمتهم الناغي والدخيسي ، فحالفهم وجذب بواسطتهم الى جانبه طائفة مهمة من الاعراب . واغتنم محمد الحاج فرصة تغيب العياشي في بلاد الفحص لقتال الاسبانيين في طنجة ، فحشد جموع العرب والبربر شمال نهر سبو ، وترصد وهو على اتم اهبة واكمل استعداد عودة خصمه من الجهاد . وفوجىء العياشي بهذا الجيش الجرار الذي اعترض طريقه ، ورأى الا قبل له به ، فجنح الى السلم والمهادنة لكن المجاهدين الذين كانوا معه ابوا الا الدفاع عن انفسهم ومواجهة خصومهم ، فوقعت المعركة الثالثة بين العياشي والدلائيين في ضواحي سوق اربعاء الغرب اواخر عام 6141/1050 وكان من الطبيعي الا يصمد المجاهدون الذين انهكتهم الاغارات على الاسبانيين ، خصوصا وهم قلة امام هذه الحشود المستريحة . وقتل فرس العياشي تحته في المعركة فالجأ الى قبيلة الخلط (★) وهو لا يعلم انها انحرفت عنه فيمن انحرف من الاعراب . فلم يستقر به المقام عندهم حتى اغتالوه في عين القصب التي تبعد عن مركز سوق اربعاء الغرب بنحو 20 كلم غربا ، واحتزوا رأسه وبعثوا به الى خصومه ، وذلك في 9 محرم عام 21/1051 ابريل 1041 . وبموت العياشي وتفرق انصاره خلا الجو للدلائيين وتساقطت في ايديهم المدن والاقاليم تباعا . فملكوا فاسا بعد حصار دام سنة شهور ، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد الغرب . وقد عدد ابو القاسم الزياني المدن والقبائل التي شملها نفوذ محمد الحاج فقال : « استولى الرئيس محمد الحاج بن الشيخ سيدي محمد بن ابي بكر الدلائي على وادي ملوية كيف جرى ، والريف ، وقبائل صنهاجة (★) والاخماس وغمارة (★) وتطوان ، وقصر مصمودة (★) والبصرة (★) وقصر كتامة(★) وقبائلهم ، وبلاد ورغة (★) وتازة ، ومكناسة الزيتون ، وبني يازغة (★) وقبائلها من الجبال » (★) .

وحاول عبد الله العياشي (★) ان يثأر لوالده المجاهد القتيل فحشد لذلك انصاره من قبائل العرب ، والتقى جيش الدلائيين بقيادة محمد الحاج على ضفاف واد الطين بالغرب من مركز احد كورت الحالي ، في اوائل ربيع الاول عام 1643/1053 وجرى بين الفريقين قتال شديد كان النصر فيه للدلائيين وطارد محمد الحاج انصار العياشي في مساكنهم ، وجاس خلال ديارهم، فعمت الفتنة قبائل الغرب وفشا فيهم القتل والنهب .

الرباط : محمد حجي

دو كاسري ، «مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب» ، وثائق فرنسا ، السلسلة الاولى 3 ، 584 .

(★) الخلط قبيلة عربية مساكنها بين سوق اربعاء الغرب وعرباوة .

(★) يراد بقبائل صنهاجة ما يعرف اليوم بآيت اومالو في الاطلس المتوسط، وتشمل زيان واشقرن وآيت نخمان بني مكيد

(★) الاخماس وغمارة من جملة قبائل جبالة . وديارهم في ضواحي مدينتي شفشاون وتطوان .

(★) قصر مصمودة ويقال له ايضا قصر المجاز والقصر الصغير يقع بين طنجة وسبتة .

(★) تقع البصرة بين عرباوة ووزان . وهي الان خراب .

(★) قصر كتامة ويقال له ايضا قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الشهيرة جنوب العرائش .

(★) نهر ورغة احد روافد وادي سبو ، يقع شمالي فاس ويقطن حوله قبائل جبالة .

(★) بني يازغة تابعة لدائرة صفرو ومن اشهر قراها المنزل .

(★) ابو القاسم الزياني ، « رسالة البلدين » ، ص 479 .

(★) عبد الله بن محمد العياشي عالم اديب وبطل مغوار اثنى عليه الشيخ محمد ميارة في مقدمة شرحه للمرشد المعين (1 ، 3) وحلاه بالقاب علمية عالية . كان عبد الله العضد الايمن لوالده في الحركات الجهادية ورسوله الى الدلائيين وغيرهم . توفي عام 1663/1073 ودفن على ساحل المحيط الاطلنطقي بالقرب من مولاي بوسلهام .

وختاما فاننا نامل من وزارة التربية الوطنية ان تفكر جديا في هذه القضية وان لا يغرب عن بالها ان هذا المشروع قد لا يتطلب قسطا كبيرا يعجز كاهل الميزانية ، وان انجازه لا يكلفها اكثر من اختيار عناصر يتصفون بارادة قوية ودراية واسعة في التاريخ ، والمام بنظام الترتيب وفي اسطاعتها تحقيق هذا كله دون اي تكليف او عناء مادي .

ومتى خامرت فكرة الشروع في التطبيق فلا يسعنا الا ان نقول بانه يوجد بالخزانة العامة مستودع ضخم مجهز بطراز عصري كاف لضم جميع ما هو موجود الآن من الوثائق التي هي بين جدران المؤسسات والمصالح الادارية والبيوت الخاصه .

ومن هنا يمكننا ان نعترف بصراحة القول بانه لم يبق لنا اي عذر نتذرع به ، وليس امامنا سوى التصدي للعمل وجمع ما تبقى من شتات الوثائق وبذلك سيتسنى لنا خلق مصادر تنطق بالحقائق ويتلاشى ذلك التزييف الذي شوه به المغرضون صفحة تاريخنا ، وفي انتظار تحقيق المنجزات فعلى الاستاذ الحبابي عميد كلية الآداب ان يفكر في حبك منهج ببرامج الكلية لتكوين اطر في هذا الميدان واننا على يقين من ان الثمرات ستصبح دانية القطوف بمجرد تنفيذ هذا العمل المشترك وسيتسلط ضوء ناصع على الميدان الثقافي والتاريخي عبر العصور التي مر منها تاريخ المغرب ، وسندرك ما خفي عنا من تراث ماضينا وتراجم اعلامنا ويعرف الخاص والعام مدى اهمية الوثيقة ونتيجتها بالنسبة للدولة والشعب ، ووزارة التربية الوطنية مفروض عليها قبل كل شيء تكوين اطارات في هذا المضمار لتسيير مصلحة الوثائق في المستقبل .

محمد كليطو

لذة الكتب

ما تطعمت لذة العيش حتى
صرت للبيت ، والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندي من العلـ
ـم ، فما ابتغي سواه أنيسا
انما الذل في مخالطة النا
س ، فدعهم وعش عزيزا رئيسا

عبد القاهر الجرجاني

الشروع في جمع الوثائق المغربية وتنظيمها كما هو الشأن في جميع انحاء العالم ؟ ايليق بنا ان نتركها نسيا منسيا !! بينما غيرنا قد صانها منذ عصور غابرة ولا زال يحتفظ بها الى حد الآن وفي ضمن هؤلاء الدول العربية الشقيقة فانها تحتفظ بدورها الشيء الكثير بالرغم من النكبات التي وقعت لها عند ما غزا هولاكو التتاري الشرق الاوسط ... والمغرب ايضا قد حفظ بدوره في الماضي على تراثه بعد انهيار الفردوس المفقود لكون الحروب المتوالية بعد هذه النكبة التي شنها البرتغال والاسبان وغيرهما على الوطن من العصر الوطاسي حالت بينه وبين هذا النظام ولولا هذه النكبات لكان تراثنا العربي والاسلامي يفوق كل دولة غربية في العالم .

والتاريخ يدلي ببيان في جميع مراحل العصور بان الامم التي تقدمت بحضارة كانت تعتني بالمحافظة على انتاجها الادبي والسياسي والاقتصادي ، فتتركه لغيرها تستفيد منه ، والاجيال المقبلة تستطيع ان تتحكم فيه ثم تقتطف منه ثمرات لتخرج من بدوره انتاجا خالصا من كل فن وعلم .

ونحن ابناء المغرب كلنا نعلم ان لمغربنا تاريخا حافلا بحضارة عريقة ومجد تلوءه البطولة والجاه . والمؤرخين في مسيس الحاجة لحدوث حلقة ربط اتصال بين الماضي العتيق والحاضر الزاهر في عصر جلالة الملك الحسن الثاني .

لكن تحقيق مشروع مثل هذا لا تنجزه سوى وزارة التربية الوطنية ، وفي قيامها بهذا العمل الذي هو جزء من مسؤوليتها فانها ولا شك ستحقق ما فعلته الامم ، ومتى كنا لا نفكر في ذلك ولا نعيره اي اهتمام فان هذه الكنوز ستكون مهددة بالخطر .

وليس يخاف على اي شخص ان بالمغرب خزائن لا زالت في طي الاهمال ووثائق لا تعد ولا تحصى لم يمط عنها القناع الى حد الآن ومن يملكها من الخاصة لا يقدر لها قيمة ويفضل بقاءها عنده ولو كانت على حالة مزرية بدلا من ان يسلمها لمن يعنيه امرها ومسؤول عن محافظتها .

والاوراق الجامدة تستغيث وتترقب في لهفة يدا شفيقة حنون تمتد اليها لتنقذها من الاخطار التي تهددها ، والرطوبة التي تهشم كيانها وتراكم بعضها على بعض وتخنق انفاسها الى الابد ، وتطوح بها الى الفناء والعدم .

وتاريخ المغرب يئن وليس له منقذ سوى احياء هذا التراث وبروزه الى الوجود لان الاطوار التي اجتازها الوطن اثناء فترة الحماية قد تجعل منا ان ننتفض ونسخر في حزم قوي ارادة صلبة لطاقتنا العقلية والبدنية فنمحو تلك الوصمة التي لطخنا بها الاستعمار حينما عكس الحقائق الجوهرية وشوه وجه المغرب الناصع بالاناقة والعزة والمجد .

اذا ، فعلى كل مواطن من حكومة وشعب ان يواجه هذه الحقيقة المرة التي هي واضحة كل الوضوح ويعتبر ان الواجب ينتظره ويتطلب بذل الجهود الجبارة ومد يد المساعدة الى الحكومة والامة معا ويسلم ما عنده من وثائق الى الدوائر المسؤولة (وزارة التربية الوطنية) تلك الوثائق التي ورثها عن آبائه واجداده والتي نعتبرها انها كانت عند اسرته تلك المدة بمثابة وديعة تجب صيانتها وقد حان الوقت بردها الى الحكومة لتنظمها له ولغيره ويستطيع كل مواطن ان يستفيد منها ويرد على كل من طعن في تاريخ المغرب .

ونود من وزارة التربية الوطنية ان تقدم بدورها ، فتبحث عن هذه الكنوز التي تطويها جدران البيوت الكئيبة ، فانها تشكو عنت الايادي التي تتقاذف بها من مكان الى آخر وتعلق امالها لتنجو من اهمال الدهر الغادر فتبعث من جديد ، واذا استجابت الوزارة لهذا النداء فانها ستحقق بذلك املا عظيما طالما كنا نصبو اليه .

وانه لا يليق بنا في عهد الاستقلال ان نترك هذا الكنز الدفين تفتك به الارض فتكا ذريعا وتزهب بمعالمه ، او تلتهمه النيران ويبقى تاريخ المغرب المفترى عليه على ما كان عليه .

لكننا اذا سعينا في انقاذه ، فانه سننبثق من وراء ذلك حركة مباركة تخول النشاط لكل من اراد الغمار فيه ويبزغ الى الوجود كل ما كان مجهولا من ادب وتاريخ ، تلك هي الوسيلة الوحيدة التي يمكننا ان نبطل بها ذلك التاريخ المصطنع والمزيف والذي يقصد منه الاستعمار تحطيم معنوية الامة وتشويه وجه الحضارة كتمهيد وتضليل لابقاء الامة تحت سيطرته ، وان جل المصادر التي كانت بين يد كل مروج من كتاب الدعاية المغرضة فانها قد وضعتها مكاتب الاستعلامات بالسفارة الاجنبية ، وكان القصد منها القضاء على الدولة والامة ، ومع شديد الاسف فقد استطاع ابالیس السياسة بافترائهم ان يجدوا لتلك الدعاية آذانا صاغية في الوقت الذي كان يلعب فيه عملاء الاستعمار دورا هاما يعزز هذا السلوك الشاذ مقابل وعودا او بعض فضلات يجود عليهم المستعمر بها .

والاسلام وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة من الفقه ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكماء شيئا كثيرا وكان ميله الى الحكمة والفلسفة اكثر من ميله الى الادب وبقية العلوم)) .

وقد كان لاهتمام هذا الملك بالعلم اثر فى ازدهار الحضارة وتعميم الثقافة وتنافس العلماء فى البحث وذلك أمر يقره نظام الاجتماع الذي طبع الناس على الاهتمام بالعلوم والثقافات اذا كان رؤساء الدول يعتنون بذلك ويهتمون بالعلم والعلماء .

ان للتشجيع اثرا كبيرا فى نشر العلم فهذا المامون العباسي كان يعطي حنين ابن اسحق زنة ما يترجمه ذهبا وهذا يوسف بن عبد المومن كان يجري الارزاق الواسعة على ذوي النبوغ من العلماء ليكفيهم مؤونة العيش وليجدوا الفراغ لتنمية مداركهم وليكون ذلك حافزا للاخرين على الاقتداء بهم فقد قال المراكشي فى كتاب المعجب عن ابن طفيل : ((وبلغني انه كان ياخذ الجامكية (*) مع عدد أصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والاجناد الى غير هؤلاء من الطوائف ..))

ورغم هذه العناية الكبرى بالعلم ورغم ما اشتهر به عصر هذا الخليفة من رخاء وازدهار فانه لم يهمل الجانب السياسي والعسكري .

فقد جابه أول الامر الازمة الداخلية التي نشأت بعد توليته فقد رفض طاعته بعض الاشياخ من الموحدين كما امتنع عن بيعته اخواه ابو محمد صاحب بجاية وابو عبد الله صاحب قرطبة ، والسبب فى هذه الازمة يرجع الى ان عبد المومن كان قد ولى العهد لابنه محمد ولكنه فى مرضه الاخير الذي أصيب به فى مدينة سلا حينما كان عازما على التوجه الى الاندلس ليحارب ابن سعد المعروف بابن مردنيش ارتأى ان يغير رايه فى تولية ابنه محمد وجعل البيعة لابنه يوسف .

لقد راى عبد المومن اثر الحزم يظهر على يوسف واثر الاستهتار يتجلى على ابنه محمد لذلك قرر ان يغير ما كان قد عقده من قبل دون ان يبالي بما سيعقب ذلك من نتائج ثقة منه فى ولي عهده الجديد الذي سيعرف كيف يقضي على جميع المشاكل .

وأظن ان أمر عبد المومن لم يبلغ الى جميع اشياخه او اعتمد هؤلاء الاشياخ كتمانه لامر فى نفوسهم لذلك واجه يوسف الموقف بكل حذر وحزم وعمل على القضاء على المعارضة ما يقرب من سنتين كانت نهايتها ان اقبل هؤلاء المعارضون وعلى رأسهم اخواه يبايعونه ويستسمحونه فقبل رجاءهم وعفا عنهم .

ان هاته الملاحظة تبرر ما عند المؤرخين من اختلاف فى شرح الاحداث التي أعقبت بيعة يوسف بن عبد المومن فجماعة تروي أن البيعة لم تنتقل الى يوسف الا بعد ان تولى الملك اخوه محمد ما يقرب من خمسة واربعين يوما واخرى تروي ان الملك انتقل مباشرة الى يوسف بعد موت ابيه .

فقد ذكر المراكشي ان محمدا قد تولى الملك بعد ابيه ولكن الموحدين اتفقوا على ابعاده لانهم راوا فيه امورا لا تصلح معها للخلافة فقد كان جبان النفس مختل الراي طائشا مدمنا على الخمر .

والظاهر ان هذا الاضطراب فى الانباء يرجع الى وسائل الدعاية التي كان يقوم بها كل جانب ليضفي مشروعية على موقفه ازاء الاخرين .

ورغم اختلاف المؤرخين على الطريقة التي وصل بها يوسف الى الحكم فان الاتفاق يكاد يكون تاما بين المؤرخين على انه كان أصلح للحكم من اخيه وانه كان اقدر على تسيير أمور الدولة وارهاب الاعداء واقوى ضبطا لنفسه وابعادا لها عن الانزلاق فى مهاوي الرذيلة .

وبعد ان استقر له الامر وهدات الاحوال الداخلية جددت بيعته وأجمعت الدولة عليها وتسمى آنذاك ((بأمير المومنين)) بعد كان يلقب ((بالامير)) فقط وهذا هو السبب فى ابتداء بعض الرسائل الموجهة منه بالامير وبعضها بامير المؤمنين .

ولما جددت بيعته اقبل الشعراء يمدحونه ويطرون موقفه ويندرون بأعدائه ومن اشهر الشعراء الذين وقفوا فى هذا اليوم العظيم القاضي ابو حفص الاغماتي قال المقري فى كتابه ازهار الرياض (*) : ((ومن نظم القاضي ابي حفص من مطلع قصيدة يمدح بها ابا يعقوب بن عبد المومن ويهنئه ببيعته الثانية :

---

* الجامكية لفظة دخيلة : مرتب خدام الدولة
* أزهار الرياض الجزء الثاني صفحة 365 .



- 2 -

يوسف بن عبد المومـــن

لم يكن يوسف بن عبد المومن خليفة عاديا فى تاريخ الموحدين ولكنه كان من ابطال التاريخ الذين لن ينساهم ولن يغفل عن ذكرهم مدى الوجود .

فهو خليفة اهتم بالجانب الحربي من جهة وبالجانب العلمي والحضاري من جهة أخرى بحيث لا يمكن للذين يتحدثون عن المغرب العربي والاندلس ان يغفلوا ذكره كما لا يمكن للذين يؤرخون التطورات الثقافية والعلمية ان ينسوا الادوار الرئيسية التي قام بها فى تشجيع العلم النظري والتجريبي وفى تقدير العلماء .

فقد جمع بين يديه اشهر الاطباء والفلاسفة وقربهم اليه واجرى عليهم الارزاق الواسعة وجعلهم كتابه وقضاته ووزراءه والمحافظين على خزائن كتبه وخزائن امواله كما جعل منهم سمراءه وندماءه يناقشهم فى الاحاديث ويحضهم على التاليف ويشجعهم على الاهتمام بالبحث ويكفيه فخرا تقريبه لابي بكر ابن طفيل ولابن رشد .

اما الاول فهو الذي الف رسالة ((حي بن يقظان)) تلك الرسالة التي حاول بها ان يبرز أثر الفكر المجرد فى توجيه الانسان الى الحقيقة .

واما الثاني فهو الذي ترجم فلسفة ارسطو وتتبع آثارها فى كتب الفلسفة العامة وفهمها فهما محكما ثم لخصها فى كتاب جمع فيه بين اصولها وتأويلها .

لقد كان ابن طفيل الواسطة فى اتصال الخليفة بابن رشد وكانت عادته ان يقدم الى الملك من حين لاخر بعض اساطين الفكر ونبغاء الحكمة .

وكان ابو يعقوب يعتز بابن طفيل كثيرا ويقدر مواهبه ويعرف كفايته العلمية لذلك جعله وزيره المحترم وطبيبه الخاص **فقد كان ابن طفيل من اهل الحذق بصناعة الطب والنظر فى الجراحات (*)**

ونحن اذا تتبعنا تاريخ الادب والحضارة نجد ان أبا يعقوب يوسف بن عبد المومن كان شبيها بالمامون العباسي فى الشرق وبالحكم المستنصر فى الاندلس .

وكلا هذين الخليفتين كان لهما شأن خطير فى تاريخ العلوم وتشجيعها فالمامون هو الذي كان قد انشأ بيت الحكمة وجمع بين يديه المترجمين والشارحين والواعين للعلوم التجريبية والفلسفية والحكم المستنصر هوالذي اشتهر فى التاريخ بجمع الكتب وتاليف خزانة كبيرة تضم اربعمائة الف مجلد كما كان يستميل اليه العلماء من كل صقع ويمكنهم من العطايا الوافرة .

ان هاته المقارنة بين يوسف وبين هذين الخليفتين كافية فى رفع هذا الخليفة الى درجة العظماء الذين استغلوا حكمهم للمصلحة الانسانية ولتقديمها ولتطوير الحضارة وانمائها فهو لم تلهه خلافته عن العلم والعلماء، قال ابن خلكان عنه : ((وكان رقيق حواشي اللسان حاو الالفاظ حسن الحديث طيب المجالسة ، أعرف الناس كيف تكلمت العرب واحفظهم لايامها فى الجاهلية

---

* الانيس المطرب بروض القرطاس الجزء الثاني صفحة 176

وعند انتصاره فى حروبه الافريقية كتب رسالة من تونس الى الطلبة والاشياخ ببلاد قرطبة قال (*) : ((وقد انتهى اليكم – وفقكم الله – ما سنى فى هذه الوجهة الميمونة من الامور الشريفة والفتوح الجليلة التي جاوزت مدى الافهام وفاقت بمبالغ الظنون والاوهام وقامت ازكى شهيد على مراد الله فى هذه الدعوة العزيزة التي هي نظام الاسلام والحافظة شمل الخيرات على الانام والسامية فى مراقي شرفها مدى الليالي والايام حتى تبلغ برحمة الله سبحانه الى دار اسلام وأعلمناكم ايضا – وفقكم الله – بما كان من صرف الموحدين اعزهم الله – الى هذه الجهات الساحلية بعد الغزوة المباركة التي اعلى الله بها منار الاسلام والايمان واخزى اهل الشقاق والنفاق والطغيان حرصا على ازالة نفوس اهل التوحيد من مشقات احتملوها فى طاعة الرحمن واجماما للسيوف حتى تتبين مواقعها من رؤوس اهل المرود والعصيان وخلال ذلك جمع أشياخ العرب واعيانهم والمشار اليهم من رؤسائهم ووجوههم وكبرائهم من جميع قبائل رياح – وفقهم الله – فذكروا بحقوق هذا الامر العظيم والائه الجزيلة ومننه الجسام ونبهوا على ما كان لسلفهم من العرب من كريم السوابق فى اول الاسلام .. وبين لهم انهم اذا استقبلوا هذا الغزو السعيد والغرض الحميد بنيات متجردة وعزائم فيه متجددة ونفروا اليه بجملتهم من غير استثناء واسصحبوا معهم من تتعلق به الخواطر من اهل وابناء ونعم وشاء وجعلوا ذلك كله وراءهم حيث ما يرسم لهم من بلاد الاندلس – مهدها الله – ثم صمدوا لعدوهم وتفرغوا لرواحهم فى سبيل الله وغدوهم كانت خواطرهم لغز واعدائهم افرغ ومصاعهم لاقرانهم أصدق ووطأتهم على اهل الشرك أثقل ..)) ثم قال : ((ولو لم يكن فى هذه الحركة السعيدة المباركة – وفقكم الله – الا ما كان من امر العرب وكف ايديهم عن هذه البلاد وصرفهم الى ما استنفروا اليه من الجهاد واجابتهم جميعا بنفوس على الطاعة مقبلة ووجوه ببشرى المتاب متهللة وقلوب على الخير مصفقة ونيات على اجابة داعي الله متفقة لكبر بذلك دليلا على ان هذا الامر العزيز لا ترتقي الى فهمه العقول ولا تنتهي اليه الخواطر والظنون ...))

وبعد انتصاراته فى افريقية رجع الى بلاد الاندلس مرة أخرى ليجدد الفتح ويوسع رقعة امبراطوريته وينشر لواء حكمه وليحافظ على التراث الذي خلفه العرب من قبله ولكنه مات قبل ان يحقق جميع مطامحه مات شهيدا على حدود البرتغال سنة 580 هـ بعد ان سجل لنفسه ولبلاده تاريخا مجيدا .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

* الرسالة السادسة والعشرون وهي من انشاء ابي الفضل بن محشرة .

جيـــش المنصـــور الذهبـــي

جيش الصباح على الدجى متدفـق	فبياض ذا ، لسواد ذلك ، يمحـــق!
وكانـــه رايـــات عسكرك التـــي	طلعت على السودان بيضا تخفـق!
جيـــش أوائلـــه ببـــابك سيلـــه	عرم ، وآخره بـ « كاغو » محـدق

((عبد العزيز الفشتالي))

الا هكذا تبنى العـــلا والمفاخـــر
وتسمو الى الامر الكبير الاكابـــر
نؤم لبيعات الرضا مطلع الهـــدى
وحيث الهدايا تعتلـــي والاوامـــر

ولما قضى ابو يوسف على هذا الخلاف الداخلـــي شرع فى تنفيذ التصميم الذي كان وضعه أبوه للقضاء على المخالفين بالاندلس فقد مات عبد المومن وهو متوجه الى الاندلس ليزيل حكم ابن سعد عن الجهة الشرقية .

ان ابن سعد اصبح خطرا على الدولة الموحدية يهدد الامن فى سواحل البحر الابيض المتوسط ويتعاون مـــع القشتاليين والليونيين لذلك يجب القضاء عليه أولاقبل التفكير فى القضاء على اعوانه وذهب يوسـف الـــى الاندلس سنة 560 هـ ،وهجم على ابن سعد فشتت جموعه وابعد عنه الانصار ولقي اشياعه النصارى حتفهـــم ، فاضطرب امرهم ، وتشتت جموعهم .

ورغم هذه الهزيمة التي مني بها ابن سعد ، فقد كان يوسف يحاول ان ينتهي امر هذا الخلاف بينه وبين أمير شرق الاندلس ليوجه عنايته الى حرب الاسبانيين والبرتغاليين لذلك وجه له رسالة قيمة طويلة من انشاء أبي الحسن ابن عياش (*) يدعوه فيها الى الطاعة والى الابتعاد عن المقاومة لان مقاومة الموحدين لا تجدي ولا تنفع ، ووعده اذا رجع الى الحق بالامان على نفسه وعلى اسرته وبالحياة فى منزلة سامية ، ،ورتبة زكية نامية .

ثم انتقل كاتب الرسالة من الترغيب الى الترهيب فقال : ((.. واذا ارسلتم أرشية أفكاركم فى قلب أذكاركم واطلقتم أعنة اعتباركم فى ميادين ما مر على ابصاركم تجدون أن من شغل نفسه بمكايدة هذا الامر ومكايدته وقطع مسافة عمره بمخالفته ومعاندته قد خـــاب مكدوحه واخفق مسعاه ولم يجل بطائل ولا حظى بنائل فاما صريع حتوف طعنا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف واما اخيذ حسرة واسف ووقيذ زفرة ،ولهف قد قطعت عنقه المطامع وتلاعبت به حياته اليلامـــع واليرامع وان وراء ذينك يوما عصيبا وهو لا يجعـــل الولدان شيبـــا وان من غلب على دينه وافتلت عـــن ايمانه وحجب عن ربه لغبين الصفقة خاسر المتجر وقلما سمحت بذلك نفس تبينت الغي من الرشد وعرفـــت الجور من القصد ..))

وبعد هذا العرض المهول رجع الى الترغيب فقال : ((.. وقد كان سيدنا امير المومنين ــ ايد الله امرهم ــ فى القديم ،ومنذ زمن طويل خاطبكم بهذه الدعوة وحملكم فيها على منهج النصيحة ولم يكن بلغ الكتاب اجله ونحن لاوامره العلية مراعون وللمدعاة الى ما دعاكـــم اليـــه داعون ولرأيه الجميل فى هداية الخلق مشيعون مشايعون فاقبلوها نصيحة تحرز لكم حظ السناء وتوجب لكم رتبة الخاصة من الاولياء وتقتضي منكم فى خير عمركم افضل المناب فى معونة هذا الامر واحسن الفناء وتجمع عليكم بهذا التلافي الفائت فى تلك الاوقات الماضية والاناء وتكونوا على هذه الرتبة كمن اجاب فى اول النداء ،والله تعالى يعينكم على تقبل هذه الوصايا ومقابلتها بأحسن التلقي وانفع الالتفات ويجعلكم ممن تنبه للعظات واذكر بالايات ..))

ورغم وصول هاته الرسالة فان ابن سعد استمر على مقاومته ولم يأبه بوعد أو وعيد أو بارغاء أو تهديد ولكن يوسف استمر فى الحرب والحصار الى أن مات ابن سعد حنف انفه واتفق ابناؤه واخوه على أن يتنازلوا عن المقاومة وان يمكنوا جميع المدن التي يحكمونها الى الموحدين بشرط معاملتهم بالحسنى واعزازهم فى الدولة فقبل شرطهم وعاملهم يوسف معاملة رشيدة وتزوج احدى بنات سعد كما تزوج ابنه بعد ذلك بابنة أخرى .

وهذه الظاهرة فى حياة الموحدين ــ اعني اكرام من يتنازل عن الحرب قبل ان يغلب ــ ظاهرة سياسيـــة كانوا يستميلون بها اعداءهم ليمهدوا بها طريـــق الاستسلام الى كل المعارضين وقد رأينا صورة مثلها فى المقال السابق حينما أكرم عبد المومن يحيى بن عبـــد العزيز الصنهاجي بعد أن حمله الى مراكش واغـــدق عليه المنح والهدايا .

وبعد الانتصار الهائل الذي ناله يوسف فى بـــلاد الاندلس رجع الى المغرب ثم ذهب الى تونس ليقضي على بعض المتمردين الذين استولوا على بلاد قفصة وقتلـوا عاملها فأرجعهم خائبين .

ولما رأى ان كثيرا من الفوضى الحاصلة فى افريقيـــة مرجعها الى بعض القبائل العربية استنفرهم للجهـــاد وحبب اليهم غزو النصارى فى بلاد الاندلس واخرجهم من بلاد افريقية ليستريح من القلاقل التي يثيرونها فى كل حين .

* الرسالة الخامسة والعشرون من الرسائل المنشورة .

مجتمع ما من المجتمعات ،والتي تساهم فى تخطيط سبيل مبدئي وسلوكي لهذا المجتمع وتستقطب مختلف الاعتبارات الاخلاقية والفلسفية التي لها اي مدلول مقبول عنده بصرف النظر عن طبيعة المحتوى الجوهري لهذه القيم والمبادىء وما اذا كانت تعكس حقيقة معنى الرفعة والنبل الجدير بالاحتذاء من الناحية الفلسفية المجردة ام لا تعكس ذلك ، فالمجتمعات البدائية لها هي كذلك مثلها الاجتماعية التي تستمسك بها ، وترى من خلال هذه المثل جملة الفضائل والمزايا الاخلاقية والسلوكية التي تعتنقها مثل هذه المجتمعات ولو انها تبدو لنا نحن من جهتنا تافهة بل ربما مجردة من معنى الفضيلة مطلقا ، واذا كان شان المجتمعات البدائية على هذا المنوال ، فالمجتمعات الاقل بدائية هي بالاولى والاحرى فافراد المجتمع العربي الجاهلي مثلا كانت تحذوهم ــ طوال مراحل التاريخ التي عاشوها ــ جملة من المثاليات والقيم التي كانوا شديدي الحرص عليها والاعتزاز بها الى حد كبير ، وهناك غير المجتمع الجاهلي امثلة عديدة من هذا النوع الا انه سواء فى حالة المجتمع العربي او غيره فان المثاليات الاجتماعية ــ وان كانت لا تتحول تحولا يمسخ جوهرها عند كثير من الشعوب فانها ــ مع ذلك ــ تتعرض لكثير من عوامل التعديل اما بتاثير دعوة اصلاحية مباشرة او بسبب تطور حضاري بطيء او بمجرد مرور الزمن ايضا وعوامل التعديل هذه تتناول فيما تتناول جانب المثاليات الاجتماعية السائدة فتنبذ منها ما لا يستقيم مع مفهوم المثالية الصحيحة والمراد بذلك جملة القيم التي تسود مجتمعا ما بتاثير التخلف الفكري والانحراف الاخلاقي وغيره ،وتبقى ــ من جهة اخرى ــ على ما يمكن ان يكون هناك من مثاليات معقولة من حيث الجوهر وذلك بعد ان تهذبها وتعدها للتلاؤم مع المقتضيات الاصلاحية والتطورية التي يتبناها التيار الجديد اما اذا كانت عوامل التعديل من نوع آخر بان كانت مثلا من نوع غير مباشر كعامل التطور العفوي الذي يحدث بمرورالزمن، وتقلب الافهام والافكار ، تلقائيا ، او بتاثر عامل حضاري غير مراقب (مثلا : التاثير الاخلاقي والفكري الذي تحدثه المدنية الحديثة على الشعوب المتخلفة) فان النتائج التي يؤدي اليها ذلك ، لا تكون دائما مضمونة الايجابية بالشكل الذي يامله المرء مبدئيا ، ذلك ان التعديل غير المراقب الذي يدخل على المثاليات الاجتماعية عند مجتمع ما بتاثير الزمن او نتيجة غزو حضاري اجنبي فينالها ذلك بالتحوير والتجديد او يقلبها تماما راسا على عقب ، مثل هذه التطور لابد ان يثير عند الاجتماعيين وغيرهم نوعا من الحذر والانتباه ويدعوهم الى مراقبة الاحوال والظواهر التي يمكن ان يسفر عنها ذلك انه ليس من الضروري ان تكون هذه الاحوال والظواهر حتميا حسنة او غير حسنة ، اذ ان العفوية النسبية التي يتم بها تطور من هذا النوع يمكن ان تؤدي الى تعديلات ايجابية مقبولة ، تتلاءم المثل الاجتماعية بسببها مع المقتضيات الاخلاقية والحياتية المجتمع المتطور أي المجتمع الذي تتعرض مثله الاجتماعية لمثل هذه التعديلات كما ان من الجائز كذلك ان يفضي هذا التطور الى اقصاء المثل الاجتماعية القائمة بما تشمله من معان ايجابية وغيرها وعلى انقاض ذلك يمكن ان تقوم احوال خلقية جديدة تفتقد الاصالة والمعقولية وتكون مجرد مظهر للتهافت على التقليد والاقتباس الاخلاقي الذي ليس له من هدف ايجابي واصيل ، ولا يجد تبريرا فلسفيا وحياتيا مقبولا .

*

عاش المجتمع المغربي طويلا وهو ياخذ بجملة من المثل الاجتماعية تتحكم فى تكييف عقلية افراده وتتبلور من خلالها لهم طريق الاخلاقية الصحيحة التي يجب الاستمساك بها لكي يعد الشخص من ذوي المروءة والفضيلة وجديرا بالا يعتبر من الدهماء الذين لا وازع لهم ، ولا هاد الى رشاد . والواقع اننا لم نرد مثل هذه العبارات بقصد التعبير فقط بل لانها كانت تعكس رأي النخبة الاجتماعية والطبقات الاكثر تهذيبا فى حظيرة المجتمع المغربي القديم غير انه يبدو ان مثل هذه الاراء والتقديرات كان مبالغا فيها الى حد ما ، فالطبقات الاجتماعية بالمغرب ــ بما فيها سكان البوادي والجبليون (والصحراويون) وحتى اولئك الاقرب الى البدائية النسبية هؤلاء كلهم لم يكونوا يعيشون ــ طوال عصور التاريخ بدون قيم ،ومثاليات اجتماعية تعطي لوجودها الاجتماعي معناه الخلقي الاساسي وتحدد له سبلا سلوكيا معينا وعلى الرغم مما كان يبدو من (فوضوية) كثير من سكان البوادي فى المغرب القديم ، ومن العشوائية الفكرية التي كانت تخيم على مجتمعات من هذا النوع فقد كانت تسود المجتمعات البدوية ــ مع ذلك ــ تقاليد وعادات خلقية وقيم فكرية وسلوكية تساهم كلها فى تحديد مزاج السكان البدويين عموما وتميز الجو العقلي الذي كان يسود حياتهم ويكيف تصوراتهم واستجاباتهم الاجتماعية على النحو الذي كانت عليه بالفعل ، بل ان بعض الظواهر الاخلاقية والسلوكية التي نستعرضها ضمن هذا الموضوع والتي يمكن ان نلاحظ آثارها بارزة على صعيد المجتمع المغربي

إلى أين يتجه تيار التطور بواقع المثل الاجتماعية التقليدية

للأستاذ : المهدي البرجالي

المثل الاجتماعية ودلالاتها الخلقية والسيكولوجية ـ المفهوم الموضوعي لهذه المثل والتعديلات التي قد تدخل عليها ـ المثل الاجتماعية القائمة فى المجتمع المغربي : اصولها التاريخية والاجتماعية ـ بعض المظاهر البارزة من هذه المثل الاجتماعية المغربية ـ التطور التدريجي الذي يقع فى حظيرتها باستمرار ـ الدلالة التي يمكن استخراجها من ذلك .

كل مجتمع من المجتمعات مهما كان متقدما فى المدنية او متدنيا كعبه فى مضمارها ـ فان لديه مثله الاجتماعية الخاصة به .. هذه المثل التي يستمدها من ظروفه التاريخية والعقلية والنفسانية ـ وتقوم بين افراده كنواميس واجبة الاحترام لا يقع الخروج عنها او التنكر لها الا ويثير ذلك استهجان المجتمع ويعتبر الامر كمروق اجتماعي لا يغتفر فى بعض الاحيان بل ان هذا التنكر للمثل الاجتماعية السائدة ، قد يثير من ردود الفعل المضادة ما يركز خطورة الموقف المتخذ من جانب المتنكر ، ويصبغ على هذا الموقف صبغة الخطيئة الاجتماعية التي لا يقبل فيها المهاودة او التجاوز فى كثير من الحالات . والمجتمع ـ اذ يستمسك بمثله الاجتماعية على هذا النحو ولا يقبل التسامح فى التنكر لها ـ فانه انما يفعل ذلك لانه يعتبر فى الغالب ان هذه المثل هي نوع من التعاقد المبدئي بين افراده أي انها دستور تلقائي بين عناصر هذا المجتمع يكرس طبيعة الصلات الانسانية فيما بينهم ويؤمنه نوعا من الترابط الاخلاقي والتماسك الروحي يصل بعضهم ببعض بحيث ان كل واحد يرى من خلال هذه المثل وجهة تفكيره بارزة وممتزجة بالوجهةالاخلاقية ـ السلوكية عند عموم الجماعة التي هو عضو فيها . على ان هذه الملاحظات والتأكيدات التي ترتكز عليها لا تعني ان المثل الاجتماعية هي التي تحدث دون غيرها ، حالة ترابط قومي معين، أي انها هي التي تخلق وضعية قومية مخصوصة ، وتوفر الشروط والمقتضيات الضرورية لنشوء هذه الوضعية ، وتركيزها على قاعدة انسانية اصيلة . فعوامل التكوين القومي الاساسية من دم ولغة وثقافة وحضارة وآمال مشتركة وغيرها ، هي معروفة متداولة ، وان كانت الافهام تختلف فى تقدير الاهمية التي يكتسيها كل واحد من هذه العوامل ، لكن المثل الاجتماعية ، وان كانت لاتعد فى ضمن العوامل الاساسية هذه ، الا انها تستقطبها كلها او الاهم منها على الاقل ، وتعكس بذلك مختلف الخصائص التي يقوم عليها البناء القومي من اساسه ، فهي تتاثر مثلا بالمقتضيات الدينية التي يعتنقها المجتمع وتتلون بنوع الحضارة التي ينتسب اليها هذا المجتمع والثقافة التي يكتسبها وتتراءى من خلالها فلسفة اي مجتمع فى الحياة ، ووجهته فى السلوك والاخلاق ، وطريقته فى تقدير الاشياء وتقييم المحسوس منها والمجرد ، وبالاجمال فان المثل الاجتماعية التي تسود مجتمعا ما يمكنها فى كثير من الحالات ـ انتعكس عددا من جوانب عقلية هذا المجتمع ، وما يؤثر فى تكيفه الذهني من عوامل ذاتية وبيئية اي العوامل السيكولوجية والفكرية من جهة والعوامل الاخرى المتاثرة بالمحيط الحضاري والتاريخي من جهة ثانية ومن ثم تستمد المثل الاجتماعية هذا القدر من الاهمية التي تتميز به فى نظر المجتمعات التي تاخذ بهذه المثل وتتاثر بها تلقائيا وتظهر ايضا (هذه الاهمية) متركزة واسعة المدى عند فحص الظواهر العقلية فى اي مجتمع ودراستها من طرف البحاث والدارسين .

على ان هناك ـ فى هذا الآن ـ حقيقة يجدر الالتفات اليها لما لها من قيمة فى ادراك الموضوع من اساسه وتقدير الملابسات المعنوية التي تحيط به من جانب او آخر وهي ان (المثالية) كما هي واردة فى هذا الموضوع لا يراد منها فقط المفهوم العادي المتبادر للذهن من اول وهلة أي للقيمة او القيم الرفيعة التي تعتبر كمثال يحتذى وصورة يقاس عليها بل ان المراد بالمثالية الاجتماعية هنا ، هو فقط القيم والمبادىء السائدة فى

1) **التماسك العائلي :** وهو من بين الخصائص المهمة التي اصبحت تميز بين المجتمعات الشرقية ، والبيئات الاجتماعية في الغرب وغيره من المناطق الصناعية المتقدمة ، وتتاثر فكرة التماسك الاجتماعي في المغرب والمجتمعات الشرقية الاخرى ، بنوازع خلقية متجذرة في في هذه المجتمعات ومن اهمها فكرة الشرف العائلي والتضحية العائلية واستمرار الحنين الى الاسرة الاصيلة ولو بعد الاستقلال عندها مبدئيا والرعاية الابوية الشاملة داخل العائلة هذا الى التعصب العائلي والوحدة الشعورية العائلية وحتمية الحفاظ على الكيان العائلي ادبيا وماديا وذلك بكيفية تكاد تطغى في بعض الصور ــ على النوازع المجتمعية والقومية .

2) **الكرم وحسن الضيافة :** وهذه الخلة كانت من اظهر مميزات المجتمع المغربي القديم ، ولا تزال توجد منها آثار واضحة في حظيرة المجتمع المعاصر ، وخاصة بالنسبة لكثير من الجماعات الريفية وبعض الجماعات الحضرية الفتية اي المدن الحديثة والمستحدثة ، وصفة الكرم هذه لا ينحصر مظهرها في مجرد الجود بالقرى ، وحسن الايواء ، وانما تتجلى آثارها ايضا في السخاء بالوقت ، وراحة البال ، في سبيل الغير وخصوصا المنكوب والمستجير وان كان هذا النوع من الجود والسخاء ياتي احيانا من مجرد عدم تقدير الوقت وارضاء نزوات فضولية في احيان اخرى (التدخل مثلا في المخاصمات الزوجية ، والنزاعات بين الجيران) .

3) **التسامــــح ،** والملاحظ عموما ان العقلية التي كانت تسود المجتمع المغربي قبل الان كانت تفرض هذه الصفة بكيفية مثيرة جدا تتحكم احيانا في تسيير القوانين وتطبيق الحقوق العامة داخل البيئة الاجتماعية فقد كان يكفي مثلا مجرد التشفع بمن هو اهل للاحترام او التقديس للعفو عن مجرم او التجاوز عن جريمة ، ولو كانت جريمة قتل متعمد مثلا وكان الفرد ــ اذا ما عن له ان يتعصب لحقه ولا يقبل فيه وساطة متوسط ، او شفاعة متشفع ، فانه لابد ان يتعرض لانتقادات المجتمع ، وينظر له بصفته عديم اللباقة الاجتماعية ، بل يعتبر احيانا وقحا شرسا ، ويغمز في نسبه ، والقيمة الاجتماعية والخلقية لعائلته وليس من الاكيد ان مثل هذا الاتجاه في السلوك ، وتقدير الاشياء قد كان يسود جميع المجتمعات المغربية بدون استثناء ، ان حالة التسامح على هذه الصورة او نحوها ــ تؤثر في وجودها وتكييفها كثير من العوامل الذاتية والبيئية زيادة على المؤثرات الدينية والاخلاقية في ذلك وليس هناك ما يؤكد ان جميع هذه العوامل والاعتبارات كانت متوافرة في جميع البيئات الاجتماعية بالمغرب القديم ، ففي البيئات البدوية مثلا ــ مثلما هو الشان كذلك في صعيد مصر ، وارياف العراق وبادية الشام وجبال لبنان ، وقبائل الجزائر ، ونجود اليمن وغير ذلك ــ ما فتئت روح الانتقام تمارس تاثيرا كبيرا على عقلية الافراد والكتل الاجتماعية بل وتظهر احيانا في صور طفولية لا يستسيغها العقل العادي بان يهدر الدم مثلا لمجرد نزاع بسيط حول استقاء ماء او انتهاك حيوان داجن لحرمة ارض مزروعة ، فاحرى ما يتعلق من ذلك بقضايا الشرف الحقيقي او حتى ما يتوهم انه مس بالشرف على صورة من الصور الامر الذي يصعب معه تقدير اهمية المظاهر الموجودة من التسامح كخلق اجتماعي في البيئات البدوية القديمة ، سواء هنا في المغرب او هناك في الاقطار العربية الاخرى او بعض الاقطار الشرقية التي تتفق بعض ملامحها الاجتماعية في البادية مع ملامحنا وخصائصنا المميزة كل هذا مع اعتبار ان الاتفاق بهذا الشان لا يعني التطابق المطلق في مختلف الصفات والنوازع الدقيقة وانما يعني ذلك ان الظاهرة الاجتماعية الملحوظة عندنا تشمل بيئات عربية وشرقية كثيرة وذلك من حيث المعنى العام (عدم التسامح) لا من حيث التفاصيل والصور الخاصة فقد لا تكون لقضية بقرة تنتهك ارضا مزروعة شان كبير، يؤدي الى النزاع، فاهدار الدم في بيئات اجتماعية اخرى داخل العالم العربي او خارجه ولكن هذه البيئات تحدث فيها بدورها مظاهر اخرى من عدم التسامح ــ قد تقع من خلالها الجريمة لمجرد كلمة نابية او الاشتباه مجرد الاشتباه في وجود خيانات عاطفية محتملة او غير هذا او ذاك من شتى الصور والظواهر ، غير ان الذي يمكننا ان نلحظه من خلال البيئة البدوية المغربية ولا يتردد المرء في تاكيده هو ان هذه البيئة ــ في ملامحها العامة التي كانت تتميز بها منذ القديم ــ لم تكن تخلو من مظاهر سماحة وتعفف في عدد من ميادين التعامل بين الناس والاتصال فيما بينهم ــ على الرغم مما يلاحظ من تعصب وضيق بصيرة في بعض العلاقات الاخرى كما رايناه من قبل ومن مظاهر التسامح والتعفف هذه ما يتعلق بالتعامل التجاري وتبادل المنافع المادية بين الناس فالمشاحة في وزن البضائع المباعة او في كيلها ، والتشدد في الطالبة باداء ديون مؤجلة او اقتضاء الضمانات على ودائع مؤمنة او مسلمة كل ذلك (اي جانب المشاحة والتشدد) لم يكن في حظيرة المجتمعات البدوية عندنا وحتى الحضرية القديمة ــ ملحوظا بالصورة التي عليها الامر في مجتمعات اخرى خارج المغرب ، وذلك مما قد

بعمومه — كثير من هذه الظواهر ، توجد متصلة — فى الواقع — عن طبيعة المزاج الملحوظ — فى المجتمعات البدوية بحيث يمكن القول ان عددا من العناصر المكونة لحالة المزاج المغربي العام ترجع — فى جوهرها — الى مؤثرات بدوية صميمة ، اما اسباب ذلك فهي ناشئة على ما يبدو — عن جملة من الظروف التاريخية والاجتماعية والحضارية وغيرها مما اسهم فى تركيب المجتمع العربي — الاسلامي بالمغرب وصهره فى البوتقة التي انصهر فيها بالفعل منذ نشأته الاولى ومن ابرز هذه الاسباب :

1) **من الناحية السلالية والتاريخية :** تماثل العنصرين الاساسيين العربي والبربري اللذين تكون منهما المجتمع المغربي الموجود الان : تماثلهما فى المزاج والخلق والصفات وطبيعة التفكير والسلوك ،والنظرة الى الحياة الامر الذي يؤكد — عادة — النظرية القائلة بانهما ينحدران — فعلا — من ارومة واحدة هي الارومة العربية — السامية ، ومن المعلوم ان القاعدة الاجتماعية سواء عند البربر او العرب هي قاعدة بدوية فى الدرجة الاولى ، والمعتبر فى ذلك ناحية الطبع والاخلاق بصورة اخص ، اما ما عدا ذلك فلا يتصل بسياق الموضوع وبما ان المجتمع المغربي يتشكل كيانه الاساسي من تفاعل الدم العربي والبربري فان من الممكن القول اذن ان التاثير البدوي فى تكييف الاخلاقية المغربية كان تاثيرا قويا وجوهريا على ان هناك — حقا — بهذا الشان — عددا من المؤثرات الاخرى الطارئة على المغرب والمنحدرة اليه عن طريق احتكاكه بالحضارة الاندلسية واتصاله بكثير من الجماعات القاطنة فى مناطق جنوب الصحراء بل انه من الجائز الاعتقاد بان المجتمع العربي الاندلسي — بعد تصفية وجوده فى اسبانيا واستقرار كثير من عناصره بالمغرب كان له بالفعل دخل مهم فى تكييف بعض جوانب العقلية المغربية وطبيعة السلوك الاجتماعي المغربي ، لكن هذا التاثير الاندلسي — اذا قسناه بتشعب المجتمع المغربي وتعدد اطرافه وخصوبة تركيبه الديموغرافي — فانه يبدو لنا محدودا بدرجة كبيرة لانه يوجد منحصرا فى بعض الحواضر الكبرى بشمال البلاد على الاخص ، ولا تزال بعض العوامل الاجتماعية المستمرة تختزل من فاعليته او تعدل منها على الاقل ومن بين هذه العوامل الاجتماعية الهجرة البدوية الى المدن ، وشدة التفاعل ،والتجاوب الموجود الان بين سكان الحواضر ، وقاطني البادية نتيجة التطور السريع فى وسائل المواصلات وادوات التفاهم هذا الى التحول الواسع الملحوظ فى كثير من الافكار والمفاهيم التي كانت سائدة فى المجتمع من قبل ، وتبلورها الان فى اشكال اكثر تحررا وانطلاقا الامر الذي ما برح يؤدي — باستمرار — الى مضاعفة فرص التمازج الاجتماعي بين المدن والارياف ويوثق مزيدا من الارتباط بين هؤلاء واولئك عن طريق التعامل والتزاوج ، وتبادل المنافع الاجتماعية ،والاقتصادية ، ولا جرم ان مايلحظه المرء من احوال مزاجية وسلوكية تطبع جو عدد من المجتمعات الحضرية الفتية اي المجتمعات التي تتكون داخل مدن حديثة كالدار البيضاء او فى قرى نامية (كالخميسات) مثلا ، ان ما يلحظه المرء من مظاهر المزاج والسلوك العام فى هذه المجتمعات الحضرية الناشئة ، من شانه ان يعكس له صورة عن التفاعل الاجتماعي الموجود حديثا بين الحواضر والارياف وما لذلك من تاثير على زيادة رسوخ المثل الاجتماعية البدوية فى المدن وهي المثل المنبثقة عن طبيعة العقلية العربية البربرية ، والمزاج المشترك بين العنصرين ، وهذا التفاعل بين السكان فى المدن ، والمدن الحديثة بصورة أخص ، التي تنحدر اغلبية قاطنيها من اصول بدوية عربية — بربرية — هذا التفاعل هو الذي لا يزال يميز كثيرا من جوانب الطابع الخلقي للمجتمع المغربي الراهن على الرغم من ان هذا الطابع قد بدا يفقد بعض خصائصه واصالته فى هذه المرحلة المهمة من مراحل التطور الاجتماعي الحديث بالمغرب .

*

يبقى هناك موضوع للتساؤل عن مظاهر الخلقية المغربية فى اطارها التقليدي الذي تحدثنا عنه ، وعن المثل الاجتماعية بالاخص التي تتحدد بها كثير من المفاهيم والاختبارات المغربية فى هذا المجال ، ثم عن التطور الذي بدا يلحق هذه المفاهيم والاختبارات، ويكاد يفقدها محتواها الجوهري الذي تتميزبه، ان استعراض مظاهر الخلق المغربي بما له من جوانب خاصة ومتشعبة تتناول آفاق الحياة من فكرية واجتماعية وغيرها ، وتتدخل فى شؤون الافراد والاسرة ،والمجتمع وتحدد — فى كل هذا كثيرا من معالم السلوك فى الصداقة ، والزواج ، والانجاب ، والطلاق والاتجار والاستهلاك والتعلم والصحة والمرض — مثل هذا الاستعراض — الذي عنى به كثير من المؤلفين الاجانب — من شانه ان يدعو الى افاضة فى القول ، لا يحتملها الحيز المتوافرالان بيد اننا سنعني بالتعرض لبعض المظاهر الخلقية البارزة — على سبيل الايجاز — وخاصة منها ما يتخذ صورة مثالية اجتماعية لا يزال لها بعض الاثر يقل او يكثر فى حظيرة المجتمع المغربي الراهن ، ومن بين هذه المظاهر الخلقية التي لها قيمة المثالية الاجتماعية عندنا:

فبمقدار قابلية الانسان لتحقيق التنمية وقدرته على استيفاء المقتضيات والشروط الكثيرة التي تتطلبها كل حركة تطورية من هذا القبيل بمقدار ما تكون حظوظ التنمية هذه اكثر توافرا ، وقواعد بنائها اشد متانة ، ومن ثم نجد امما ضعيفة الموارد فى الاصل قد استطاعت ان تحقق قدرا من النمو العام لم يكن يقدر لـــها ان تحصل عليه بالفعل بناء على ضئالة الممكنات المتوافرة لها فى هذا الميدان ، اما السبب فى ذلك فيظهر عند البحث عنه — فى فاعلية العنصر الانساني وما يمكن ان يكون قد توافر له من نضج فكري ،وخلقـــي من الطبيعـــي ان يساعداه على تحقيق الاهداف التطورية التي يجد نفسه ملزما بتحقيقها فى مختلف الميادين سواء تنظيميـــة او انتاجية او غيرها واذا كان العنصر الانساني بهـــذه الدرجة من الاهمية فى مضمار التنمية فان من موجبات التنمية اذن ان يعنى بالبحث عن الاحـــوال العقليـــة والخلقية داخل المجتمع على اساس النظر فيما اذاكانت هذه الاحوال تساعد الفرد والخلايا الاجتماعية ام لا على الاستجابة لشروط المجهود البشري الذي يجـــب ان يصرف فى هذا المجال اذ انالطاقة الابتداعية والتنظيمية والانتاجية التي تتطلبها التنمية يتوقف وجودها علـــى وجود عقلية منضبطة قد تتداخل احيانا فى توجيههـــا اوهام او اعتبارات خاطئة ولكن هذه الاوهام والافكار لا تصل الى حد السيطرة عليها والتحكم فى مقاليدها من الاساس ،ولاجل هذا يشتد الاهتمام عند كثير من الامم بتقويم عقليات افرادها وطبقاتها الاجتماعية معتبرة ان ذلك يدخل فى نطاق عملها من اجل التنمية الاقتصادية وبرامج التطوير بوجه عام ، واذا كان الامر كذلك فما هو الحال بالنسبة للعقلية الاجتماعيـــة التي تســـود مجتمعنا فى هذه المرحلة من مراحل تطوره العام الراهن؟ هل تتفق هذه العقلية مع ما تقتضيه مطامحنا فى تحقيق التنمية الشاملة ، ام انه من الممكن ان تكون عقبة دون ذلك ؟ ثم اذا كانت هذه العقلية تشكل اية صعوبة دون التطور الاساسي المستهدف فهل من العسير تذليـــل هذه الصعوبة وما نوع السياسة التي يمكن سلوكها فى هذا المضمار ؟

انه بصرف النظر عن نوع الاستنتاجات التي يمكـــن تكوينها فان الواقع هو ان الحالة التي عليها عقليتنـــــا الاجتماعية تختلف كثيرا — كما تقدم — عما كان عليه الامر فى عقود مضت ، فروح التغيير التي شملت المغرب كما شملت غيره من الاقطار نتيجة التفاعلات الحضارية المعاصرة قد تناولت — فيما تناولت — الجانب العقلي الاجتماعي وعددت كثيرا من ابعاده ومعطياته ، وقد كان للنظام الاستعماري السابق — كما اسلفنا — دورملحوظ بهذا الشان ولكنه دور بدائي لم تكن الغاية منه تتجاوز حدود الرغبة فى تجميد بعض الامكانيات الانبعاثية التي يمكن ان تتوافر للسكان بوجه او آخر . فالاهداف كانت اذن محدودة ومتاثرة بالاعتبارات السياسية سواء آنية او آجلة بيد ان هناك مجالا لاستبانة العامل الاخر الاكثر اهمية وهو عامل العصر الحديث والتقلبات الفكـــرية والاجتماعية التي ما برح يحدثها على مستوى العالم كله . فهذا العامل هو الذي يمكن ان نعزو اليه نسبـــة كبيرة من اصول التطور الهام الواقع فى مثلنا الاجتماعية والعقلية الصادرة عنها هذه المثل فمثاليات اجتماعية ذات شان كالبساطة والقناعة والتماسك العائلي وغير ذلك لم يعد لها — بالفعل — نفس القدر من الفاعليـــة العقائدية والسلوكية ، ما كان لها فى القديم وبغير كثير من التحليل نستطيع ان ندرك القيم والحقائق الجديدة التي ما زال الفكر العالمي الحديث يحملها بين تضاعيفه وينال بواسطتها من شتى القيم ،والمثاليات التقليدية التي سادت المجتمعات القديمة دهرا غير قصير — نستطيع ان ندرك ان هذه القيم والحقائق الجديدة لم يكن الا ان تحيل نسبة كبيرة من المثاليات الاجتماعية الى ما لـــم تكن عليه من قبل ، فمثلا نسبة التماسك العائلي والقيم التي ترتبط به قدمسها كثير من التغيير فى اذهانالناس وسلوكهم ، بحيث ان اعتبارات اخلاقية كالشـــــرف العائلي والعصبية العائلية ، كانت تعتبر حيوية فى هذا المقام ، ولكنها الان قد غدت ذات مدلولات نسبية لاغير وقد كان لتزايد السكان بالنسبة لحالة الموارد وظهـــور اخلاق اقتصادية جديدة — بسبب هذا او غيره — كان لذلك تاثير ملحوظ على صفة الكرم ونسبته التي كانت سائدة من قبل ولم يكن لروح القوانين الحديثة ودقتها وصرامتها ان تبقى على خلة التسامح كما كانـــت فى السابق وافضت التعقيدات الحضارية المتزايدة الـــى اصابة روح البساطة ،والفطرية التي ما زالت تســـود الطباع منذ امد غير محدود فهناك — على هذا الاعتبار — تحول اخلاقي مهم يجتازه كثير من الشعوب النامية وملاحظة هذا التحول فى اخلاق ومسالك الشعوب ذات الحضارات القديمة يثير بالفعل — قدرا من الجـــدل وردود الفعل فى اوساط المثقفين وذوي الفكر البعيد فى اقطار الغرب وغير الغرب ، بصرف النظر عن منطلق وجهة نظرهم لكانت موضوعية علمية او نابعة عـــن اعتبارات غير علمية . انهم يرون ان التحول الـــذي يصيب اخلاق الشعوب المتحضرة قديما من شانه ان يؤدي الى طمس كثير من معالم الحضارات العريقـــة ويحدث فى نفس الوقت حالة من التشابه فى حياة جميع

يساعد على الاعتقاد بان صفة التسامح يمكن ان تعتبر – في حدود معينة – صفة مشاعة بين كثير من المجتمعات المغربية القديمة، وان كانت تتخذ في هذا المجتمع صورة تختلف عنها في المجتمع الاخر، وتظهر في بيئة معينة، على نحو لا تظهر به في البيئات الاخرى فجوهر الصفة اذن كان موجودا ولكن مجال ظهوره وتبلوره لم يكن واحدا بسبب اختلاف العوامل المزاجية وتباين الملابسات الاخلاقية والقيم الاجتماعية – نسبيا – بين سكان البادية وقاطني الحاضرة على الرغم من التاثير الاصلي للبدو – عربا او بربرا – على عموم الاخلاق والمثاليات الاجتماعية المغربية.

*

هناك – في الواقع – مجال واسع لاستعراض كثير من الخصائص المزاجية، والظواهر الخلقية المغربية، التي يمكن ملاحظتها كالبساطة والقناعة والمحافظة وغير ذلك مما يتخذ صبغة مثالية اجتماعية في بعض الاحيان، ذلك ان مجتمعنا – وطراز حياته التقليدية هو وليد حضارة قائمة الكيان، لها وجودها التاريخي وفاعليتها الحياتية ذات الجذور العميقة – هذا المجتمع – وشانه هكذا – يبدو من اخصب المجتمعات موروثات وتقاليد ومن اشدها استمساكا بهذه الموروثات والتقاليد – وعلى الاخص كما تقدم – اذا كانت تتخذ – صورة مثالية اجتماعية واجبة الاتباع والتقليد. ومن الممكن جدا ان تكون لمثل هذه الاحوال العقلية – الاجتماعية تاثيرات من نوع او آخر على تكييف ظروف التاريخ المغربي في اطواره القديمة والحديثة، وصبغه بالصبغة المميزة التي تفرده عن تواريخ كثير من الشعوب الاخرى في افريقيا وغيرها (*)، وقد لاحظ المشرفون على نظام الحماية السابق وجود هذه الحقيقة وادركوا من خلالها ان الخصائص العقلية الاجتماعية بالمغرب ليست بسيطة سطحية وبالنتيجة فانها غير قابلة للتحويل والتكييف بالشكل الذي يمكن ان يتم عليه الامر – او تم عليه الامر فعلا – في مناطق اخرى من اقطار (ما وراء البحار) ومع ذلك لجأو لمواجهة هذه الحالة الى عدة اساليب منها:

1) تنمية بعض الموروثات التقليدية ذات الطابع السلبي والرجعي واعطاؤها مجالا واسعا للتطور والازدهار (ومثال ذلك الجانب التشريعي في السياسة البربرية التي اتبعت دون جدوى الى حين اعلان الاستقلال).

2) الابقاء على التقاليد والموروثات التقليدية، ولكن بعد افراغها من محتواها الايجابي او على الاقل – تشجيع الاتجاه التلقائي من جانب السكان لافراغها من هذا المحتوى الايجابي تحت تاثير الجهل والتخلف الاجتماعي او عند الاقتضاء اهمال الامر من اساسه، وترك الامور في هذا الشان تجري دون مراقبة تهذيبية او توجيه من اي نوع (ومن امثلة ذلك: ما كانت تجري عليه السياسة الاهلية من الفصل بين السكان وبين ان يمسهم تيار التطور الصحيح الذي يهز العالم).

3) محاولة القيام بعمليات تحويل تدريجي غير مباشر عن طريق افساح المجال لانتشار جملة من الاخلاق والمفاهيم والمثل غير المغربية بصرف النظر عما لها من تاثير سلبي او ايجابي على طبيعة المجتمع المستهدف من هذه العملية التحويلية، وكما تقدم فان التحويل بهذا الشكل قد تمت مقتضياته على النحو الذي نرى بحيث نجد الفرق شاسعا بين طبقة المجتمع المغربي في خلال القرن الماضي وبينه في خلال هذا القرن الا ان التحويل هذا لم يؤد الى الاهداف المهمة التي كانت تتوخى منه: أي تحويل مزاج شعب كامل ومفاهيمه تحويلا يجعل الصلة بينه ذاتيته الاصيلة وواقعه الماثل ضعيفة ان لم تصبح منعدمة مع مرور الزمن وعلى العكس من ذلك فقد نجحت الى حد كبير عمليات (تجميد) المفاهيم والاخلاق الموروثة بحيث ان جوانب كبيرة من مجموعة المثاليات الاجتماعية المغربية – وهي على ما هي عليه – بعد ان جمدت بتاثير عصور الانحطاط وسياسة الحماية السابقة – يمكن ان تصبح من بين العقبات التي تواجه حركة التنمية الاجتماعية والتطور الحضاري الجارية الان وهذا هو جانب الاهمية الملحوظة في قضية من هذا القبيل ذلك ان الامر هنا لا يتعلق فقط بالجانب الفلسفي من موضوع الاخلاق وانما تتصل – اكثر من ذلك – بصميم القضايا الحياتية التي تهم تطور المجتمع والاتجاه الذي يتخذه هذا التطور نحو هذا المصير او ذاك ان العنصر الاساسي – في مضمار التنمية – ليس فقط العنصر المادي الصرف – وان كانت له اهميته الحيوية، بل ان هناك ايضا جانب الانسان الذي هو موضوع التنمية ومحورها وموجهها في نفس الوقت،

---

* هذه القضية – التي يمكن ان نعود اليها بحول الله – يحتاج اثباتها الى كثير من الافاضة قد تخرج بنا عن الموضوع الذي نحن بصدده.

مختارات من الشعر العربي القديم

الدنيا

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا ... وَعَنَاهُم مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا

وَتَوَلَّوا بِغُصَّةٍ كُلُّهُم مِنْـ ... ـهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُم أَحْيَانَا

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيهِ ... وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا

وَكَأَنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدَّهْرِ ... حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً ... رَكَّبَ المرءُ فِي القَنَاةِ سِنَانَا

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ ... نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

غَيْرَ أَنَّ الفَتَى يُلَاقِي المَنَايَا ... كَالِحَاتٍ، وَلَا يُلَاقِي الهَوَانَا

وَلَوَ أَنَّ الحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

المتنبي

شـرح الكلمات

1) عناهم : اهمهم شغلهم
2) (تولوا) ذهبوا (الغصة) ما تتجرعه المرء من مرارات الزمان
3) (ريب الدهر) حوادثه المقلقة ، ان الذي اعان علينا الدهر كانه لم يرض بما يصيبنا من محنة حتى اعانه علينا
4) (القناة) عصا الرمح (السنان) حديد الرمح ، اذا سارع الزمان ا اى الاساءة بما جبل عليه صارت عداوة المعادي مددا لقصده نحوك فجعل القناة مثلا لما في طبع الزمان ، والسنان مثلا للعداوة
5) تتفانى) يفني بعضنا بعضا
6) كالحات) عابسات غير ان الذي يسبب هذا التعادي هو سعي رجل في اذلال آخر وسعي قوم في اذلال قوم ، والفتى الحر يفضل الموت على الذل والهوان
7) ولكن الحياة لاتبقى لشجاع ولا لجبان
8) الموت لابد منه والجبان لاينفعه جبنه ، والشجاع لايضره اقدامه فالجبن من عجز الهمة

سكان العالم من شانها انتقضي على مايمثله التنوع في هذه الحياة من خصب وراء غير محدود ، وليس من همنا ان نناقش هذه الاراء (الفلسفية) المدلى بها بين الحين والاخر ، وانما الاهم من ذلك هو ملاحظة التطور الحاصل وما اذا كان متفقا — كما تقدم — مع خطوط سياستنا في التنمية والتطوير ام لا ؟ ان القضية التي تطالع المرء اولا كجواب عن هذا السؤال هي انه من الصعب التوفيق دائما بين نتائج التحول الاخلاقي الحاصل وبين الاهداف الجديدة التي اصبحنا مطوقين بها في عهد الاستقلال كالتنمية الاقتصادية والتطوير الفكري والاجتماعي وغيره ، ذلك ان اكثرية مظاهر التحول الاخلاقي قد حدثت بالفعل خلال النظام الاستعماري اما بصورة عفوية نتيجة الاحتكاك المباشر بالغرب واما بكيفية مقصودة ، ومخطط لها نتيجةالاتجاه التجميدي الذي كانت تتبناه الحماية السابقة ، وهناك جانب كبير من هذه التحولات حدث فعلا في عهد الاستقلال ولكن حدث في غمرة الاهتمامات الكبرى التي تكتنفنا من كل جانب كدولة تعيد بناء كيانها السياسي من جديد ، وبالنتيجة لذلك فان الكثير من هذه التحولات يمكن ان يكون قد حدث بصورة غير مراقبة وبكيفية لا يبدو انها تخضع لمقتضيات سياسة تخطيطية طويلة الامد من نوع السياسة التي توجب التوفيق بين التحول الاخلاقي والتحول الاقتصادي ، والاستفادة من من واحد منهما لصالح الاخر ، واذا ما كان هناك من تخطيط بهذا الشان فانه لا يلوح انه كاف وواسع الاستيعاب لمختلف المشاكل الهامة التي يمكن ان تعرض بهذا الشان ومن ثم كانت حاجتنا الى مراجعة قضايا من هذا القبيل شديدة وملحة وهذه المراجعة لا تقتضي فقط مضاعفة عمليات التحول الاخلاقي بقدر ما تقتضي مراقبة هذا التحول وضبط وجهته واستغلاله استغلالا عقلانيا موزونا في مضمار سياسة التنمية والتطويرالعام فمن البديهي ان مبدا التحول ليس من شانه ان يثير فينا استغرابا او امتعاضا اذا لم يتجاوز الحدود المعقولة والضرورية فنحن بالفعل ملزمون بتجديد مواقفنا من كثير من المفاهيم والحقائق التي قادتنا طويلا وكانت من اسباب تخلفنا في أكثر الحالات غير اننا ايضا فيحاجة الى صيانة ملامحنا الحضارية التليدة التي تعكسها بعض المثاليات العريقة والمتاصلة فيطباعنا ومسالكنا الحياتية ، على الا تكون هذه المثاليات عقبة في سبيل التطور الايجابي الخير ، الذي نعتمده كهدف اساسي وحيوي ومن امكانياتنا الضخمة في هذا المجال اننا اذا عرفنا كيف نوفق بين مقتضى التاصيل الاخلاقي وحاجيات التطور السريع الذي يحتمه منطق الحياة المتجددة فان روح الدين الذي نعتنقه لا تتخلف عن مؤازرتنا في هذا الميدان بل وتقدم الينا الحلول الواسعة المجدية التي تجعل مهمتنا امرا اكثر سهولة يبقى اذن امر مراقبة التطور الاخلاقي والتحول الحادث في مضمار المثل الاجتماعية وهذه المراقبة لا تقتضي — في كثير من الحالات — العمل على الغاء المثل هذه واستبدالها بغيرها على نحو ساذج ومرتجل وانما تقتضي بالعكس الابقاء على كثير من هذه المثاليات ولكن على اساس تهذيبها وتطويعها لمقتضيات العملالتطويري الواسع الذي نتوخاه فليس من حاجة — مثلا — الى استئصال القناعة من النفوس واحلال النهم والشره محلها وانما هناك فقط ضرورة لتحديد تاثير هذه القناعة وعدم تركها تفعل فعلا سلبيا يدعو الى المس بمطامحنا ان نسابق الزمن ونغالب التحدي الحضاري القوي الذي يواجهنا به الغرب وغير الغرب ، وكذلك الامر بالنسبة للتماسك العائلي الذي لا يجب ان يتحلل لانه قاعدة بنائنا الاجتماعي الذي نحن متأكدون من صلاحيته لنا وللمجتمعات التيتماثلنا فيالرغبة والاتجاه ولكن هذا التماسك لا ينبغي كذلك ان يبقى ملتصقا بمفاهيم تقهقرية وسلبية كالتعصب العائلي والانانية العائلية وما يتصل بذلك من استحكام الفكرة الطبقية الضيقة ، المنحصرة في الاسرة الخاصة ، كما هو السائد في المجتمعات المتخلفة والقبائل البدائية وشبه البدائية .

*

ان البرنامج المدرسي يمكن ان يلعب دورا مهما في هذا المضمار ، بيد ان الصعوبة التي تبدو بهذا الشان هي ان البرنامج المدرسي ذو تاثير محدود ينحصر غالبا في الاجيال الصاعدة دون غيرها، ولهذا فان وسائل الارشاد والاعلام العمومية يمكنها ان تكون — بدورها — ذات اهمية قصوى — بهذا الصدد — وللكتاب والمسرحيين والسينمائيين والمحاضرين العموميين والشعراء والرسامين ، والموسيقيين ورجال الدين الواعين في المقدمة ، ما يجوز ان يقوموا به في هذا المجال ، من دور حيوي لا غنى عنه ، لكن كل ذلك لا يمكن ان يكون ذا جدوى اذا لم يعتمد على نوع من التخطيط المسبق ، يدخل في عموم التخطيطات التي يمكن وضعها وتطبيقها من اجل تحقيق مبدا التنمية والتطوير ومن المؤكد ان النهضة العامة التي تشمل مختلف البلاد النامية — بما فيها المغرب ، والعالم العربي والاسلامي — لابد ان تضع في الاعتبار جملة مقتضيات حيوية من هذا القبيل .

سلا : المهدي البرجالي

بمناسبة ذكرى 11 يناير

أشبان أرضي

للأستاذ: عبد الكريم التواتي

أشبان ارضي للفداء خلقتم ... فصونوا حمى أرضي وصونا حدوديا
دمي وشرايني ، حنايا ضلوعكم ... سكبت ، وغذيتم دمي ولبانيا
ومن دمكم اسقي خلايا ترائبي ... فتجري حياة ، هي أصل دمائيا
كلا بعضنا اصل لبعض ، وانكم ... فروعي ، ومنكم استمد بقائيا
وانتم جذوري في الحياة ، وما ارى ... اكم غير حضني فى النوائب حانيا

* * *

أشبان ارضي ، لا أرى الدهر سيدا ... بأرضي سواكم ، فلتصونوا وجوديا
فأنتم جنودي الأوفياء ، وانني ... بكم اتباهى شامخ الراس عاليا
جنودي انتم ، لو دعوت اجبتم ... صريخي ولبيتم سراعا ندائيا
سجية آباء كرام ، على العلا ... تواصوا ، وكانوا قدوة لشبابيا
اقاموا على هام الزمان مآثرا ... فهامت بها الدنيا وامست أمانيا
وما غيركم ، شبان ارضي ، يعيد لي ... شبابي ويجري فى عروقي دمائيا
وما غيركم يحمي الذمار ويبتني ... على المجد مجدا راسي الأس عاليا
وما غيركم ارجو ليوم كريهة ... وما غيركم يعلي ــ الدهور ــ مقاميا

* * *

اشباني الابرار ليس كمثلكم ... اباءا وعزا شامخا وتعاليا
تخذتم جليل المكرمات خلاقكم ... فعشتم لها حصنا وجندا فدائيا
وهمتم بها وجدا ، سرى فى دمائكم ... يقينا ، وايمانا ، ودينا سماويا
فناديتم كل الورى ، تغدقونهم ... من المكرمات الخالدات اياديا
ايادي توحي للقلوب بشائرا ... وتغمر اجواء النفوس امانيا

ذكرى وفاة فقيد العروبة والإسلام محمد الخامس

للشاعر محمد بن حماد الصقلي

من مقام يتم فيه الهناء   ورياض ينالها السعداء
من جنان الفردوس منبر الخيـ   ـر واصل النعيم فاض السناء
غمر النفس والشعور بنور   قدسي فالروح منه صفاء
نزلت بالشعاع من عالم الغيـ   ـب نفوس اصحابها الصلحاء
ان روح الابرار مشكاة نور   فبهم يقتدى ويرجى اهتداء
ان روح الابرار تمسي ملاكا   سابحا فى الاكوان كيف يشاء
ملكوت الالاه دار قرار   لهم هكذا يكون الجزاء
انهم بوئوا مقاعد صدق   ومع الانبياء كان اللقاء
رفرفت في الجنان في الخلد روح   لعظيم سما به العظماء
نبه الشعب للكفاح واعطى   مثلا يهتدى بها الكبراء
قد تخلى عن النعيم وعرش   وارتضى ان يعيش وهو عناء
لا حطام ولا سرير لملك   هو اجدى اذا يمس الاباء
ثم عاد المليك عودا حميدا   تاجه النصر والوشاح الوفاء
لو رأيت الالوف وهي تنادي   مرحبا بالحبيب غاب الشقاء
والايادي نشير والعين تبكي   من سرور وفي اللسان ثناء
والمليك الزعيم ينطق بالذكـ   ـرى يوصي بان يصان الاخاء
لكانى بهجرة هي للحـ   ـق ظهور وللجحود اختفاء
ما توانى ولم يعقه انتصار   انما خط كي يشاد البناء
بغتة غادر الوجود ولكن   كان في شبله العظيم العزاء
انه سيد الشباب زعيم   سلك الدين نهجه والوفاء
هو فى الحكم عادل ليس ياتي   غير نهج تخطه الخلفاء
هو في الحق قوة ليس يخشى   فذوو باطل هم الضعفاء
هو للعلم ناشر ومريد   عصبة الحق عنده : العلماء
انه قد اقام دار حديث   هي نهج الهدى وهي الرجاء
هي للنور منبع والى العلـ   ـم سبيل وللحديث اصطفاء
لم يعد للفخار عندك حد   فاياديك جلها النبغاء
كيف ياتي على مزاياك عد   عجز الكاتبون والشعراء
رب الهم امامنا سبل الخيـ   ـر وكن للامير نعم الوقاء
واجعل اللهم في الجنان فقيدا   في مقام يتم فيه الهناء

محمد بن حماد الصقلي

كارثة ...

للشاعر: عبدالمالك الباغيثي

قال لي صاحبي ، وقد طال شعري — وتدلى على القفا وترامى :
« قد تأخرت عن زيارة حجا — مك شهرا ، والشعر صار لماما !
فلنلج موقعا لاول حجا — م ، نلاقي مكانه قداما »
فاذا بي أمام قاعة حلا — ق ، انيق ،تفوح منه الخزامى ،
ودخلنا مستانسين فأبدى — بهجة وانحنى ورد السلاما
فشكرنا صنيعه بيننا سـ — ـرا ، وقلنا : (انعم به حجاما
ما راينا كلطفه وكترحيـ — ـبه ، للناس ينحني اعظاما
يستميل القلوب بالبشر حتى — ياخذ اللب خفة وانسجاما
مشرق الوجه ، باسم الثغر ، جـ — ـذاب المحيا ، وكامل هنداما)

* * *

قال لي ، بعد ما استرحت : « تفضل — فوق ذا الكرسي المقام اماما »
آخذا في ترتيب ما سوف يحتا — ج يوالي حفاوة واهتماما
وانبرى للحديث غير مبال — بعد ما التام بالهدوء التئاما
كان يجري حديثه عن مبارا — ة فريق قد نال فيها انهزاما
غاضبا ، حانقا ، على خصمه الغا — لب ، يبغى لو استطاع انتقاما
وكثيرا ماكان يضرب راسي — بيديه ، لكي يبين الكلاما
فحسبت المكان اصبح ميدا — ن مباراة بنت ريح ، ترامى
وتعالت اصوات اخذ ورد — من فريقين ، صار بعد خصاما
حين والى حديثه بعد وكز الـ — راس مني فكاد يدمى لكاما

* * *

قلت : ياذا ، بالله بالله ، رفقا — ذاك راسي ، رفقا به واحتراما
قال : (عفوا يا سيدي .. كنت احكي — لك ما راج ، فاحتدمت احتداما
غاب رشدي فخلت راسك هذا — كرة ، كم ارى بها مستهاما)

وايقنتم ان المحامـــد غاية الحيـــ ـــاة ، فبعتـم هـــذه ببقـــائيـــا
وقد بعتموها ، اذ بذلتـم نفوسكـم فــداء لمــا يعطي الحيـــاة معانيـــا
واي اعتبـــار للحيـــاة نقيمـــه اذا لم تكن حمـــدا ومجـــدا مثاليا

* * *

وآمنتم ــ شبان ارضي ــ بأنكـــم هداة الحيارى الضاربين الفيافيـــا
فاعليتـــم للحـــائريـــن منـــائـــرا تبـــدد ديجورا من الشك طاغيـــا

* * *

اشبان ارضي ، عشتم الدهر قـــدوة الشباب وظلتـم اســـوة واماتيـــا
نفـــدون بالارواح مجدا رفعتمـــو وتحمون بالايمـــان كـــل ترابيـــا
وما زلتم ــ والله يشهد ــ فتيـــة على الحـــق اهرقتم دمـــاء رجاليا
وما عـــرفت احناؤكـــم وقلوبكـــم ضلالا ، ولكن كنتم الحق هـــاديـــا
وحملتم مستبسلين امـــانـــة الو جود ، وكان الامر امـــرا الاهيـــا
وحملتموهـــا مـؤمنيـــن بأنكـــم لها خير أهـــل يقدرون المراميـــا
وحملتموها ما تضعضـــع عزمكـــم ولكـــن تحدى النائبات تساميـــا
ولقنتم الدنيـــا من الصبر والفـــدا دروسا ، بها اسمو ، وازهو مباهيـــا
ولا زلتم ــ والله يكـــلأ خطوكـــم ــ لكـــل المعالـــي ركنهـــا المتناهيـــا
فدتكم نفـــوس العالمين ، وانكـــم ظللتـــم لها دوما مـــلاذا وواقيـــا

فاس : عبد الكريم التواتـــي

الحـــديـــث المـــطـــول

قال احمـــد بن الطيب : كنـــا عند بعض اخواننا ، فتكلم ، وأعجبه من نفســـه البيـــان ، ومنا حســـن الاستمـــاع حتى افرط . فحصل لبعض من حضر ملل فقال : « اذا بارك الله فى الشىء لـــم يفـــن ، وقد جعل فى حـــديث اخينا البركة ..

قصص من الحياة

للشاعر: محمد أحمد حيدر

رحت أصغي لليل تمزقه أنـ … ـلحديث يعيش ملء شعوري
رحت ارنو للبؤس . لليتم . للحـ … ـرمان . للجوع . للشقاء المرير
رحت ارنو للنار . للحطب اليـ … ـابس . للجور . للظى . للسعير
رحت ارنو للفقر من عالم الحـ … ـس أجوب الآفاق في تفكيري
رحت أصغي للناب . للظفر في أ … شلاء طفل حلو السمات غرير
رحت اصغي لليل تمرقه أنـ … ـاة طفل في مخدع مهجور

* * *

رب طفل مكرم مسه اليتم … صغيرا يا لليتيم الصغير
صرع الموت أمه وهو لم يبلغ … من العمر غير بعض شهور
فاذا الطفل لقمة في يد الد … اء هزيل مكبل بسرير
يغمض الجفن ثم يرنو كأن الـ … ـطفل في العالم الاخير . الاخير
يتلاشى الانين حينا . وحينا … يتعالى بآهة وزفير
ايه ربي ماذا أقول وقد أعـ … ـرض عن زخرف الحياة ضميري

* * *

رب ذي اسرة عديم عديم … عاش بين الآمال والتقتير
عيشة تقتل الشعور وتودي … بالنهى . بالجمال . بالتفكير
رب يوم لم يغتنم عملا عند … غني ولا بحقل أمير
عاد للبيت يحمل الهم والحـ … ـرمان في الخافق الحزين الكسير
عاد للكهف . للدجى . للأسى . للبـ … ـؤس . للكوخ . للبناء الصغير
فاذا الزوجة الحزينة والاو … لاد بالباب بانتظار البشير
واذا البيت مأتم يقف الوا … لد في بيته وقوف الاسير
اسرة حطم الشقاء جناحيها … فمالت ولم تجد من مجير
انفس عضها الشقاء واجـ … ـسام خفاف كئيبة التعبير
ووجوه صفراء منهوكة تقرأ فيها … خير سفر لعالم نحرير
وعيون منهوكة اطفأ الجـ … ـوع سناها رغم الصباح المنير
قصص في الحياة تبعث في النفـ … ـس الاسى رغم حاليات العصور
قصص حية على ضفة الأيـ … ـام تروى على ممر الدهور

جبلة : محمد احمد حيدر

فنعمنـــا بالصمت وقتـــا قليـــلا بعـــد ما ضمـــد الكثيـــر كلامـــا
قلت :) يكفي) ، فقال : كلا ، وهـــذا جانـــب منـــه لم يســـو تمامـــا
قلت : اخشى تثور اخرى فأبقـــى دون راس ، يا رب سلـــم سلامـــا
فتسللت هاربـــا وهـــو يجـــري من ورائي يقول : لم ذا ؟ على مـــا ؟
جلم في يـــد ، واخرى بها المـــو سى : تعال : يقول ، ماذا حسامـــا :
(لاتخف سيدي ، فقد عاد رشـــدي لا تخف ـ بعد ان افقت ـ حمامـــا)

* * *

انـــا اجري والناس حولي تجـــري! وهو من خلفنا يصيح ... الى ما ؟
كـــل ماش غـــدا يهرول خوفـــا ! واختلال المرور ســـاد النظامـــا !!
وتوالى الصفير مـــن كـــل ركـــن لينجي ذاك الخليـــط ، الصدامـــا
ويهـــدي مـــن روعـــه المتناهـــي ورجـــال الانقـــاذ هاموا هيامـــا
لا حـــريقـــا ، ولا قتيـــلا ، رأوه في سبيل مدرجـــا ، او حطامـــا
غير حجامنـــا الذي لم يزل يصـــ ـــرخ في الشارع المليء ازدحامـــا :
« اين يلفى ؟ ؟ فلم أتم لـــه التـــز يين ، ردوه لي .. جزيتم كرامـــا »

ســـلا : عبد المالك البلغيثي

حجـــام !

اذا لمـــع البـــرق فـــي كفـــه
افـــاض على الوجـــه مـــاء النعيـــم
لـــه راحـــة ، سيرهـــا راحـــة ،
تمـــر على الوجـــه مـــر النسيـــم

قصة العدد

على هامش المعركة

رحلة

للأستاذ: عبد الله العمراني

اليوم يوم الاثنين رابع اغسطس 1578 م (30 جمادى الاولى 986 هـ) ، والوقت صباح ، والمكان قرية « نمسيلة » من فرقة الحايط السفلى من قبيلة بني مصور التي تجاور فحص طنجة من ناحية الجنوب ، وتقع في الوسط بين مدائن طنجة ونطاوين واصيلة ، فاذا رسمنا دائرة وجعلنا محيطها يمر بتلك المدائن الثلاث ، كانت قرية نمسيلة مركز الدائرة على وجه التقريب .

يتضح من السماء الصحو الصافية الاديم ، ومن اشعة الصباح المشرقة ، ان اليوم سيكون حارا مثلما تكون عليه — في العادة — ايام اغسطس المفرطة الحرارة ، التي تلفح الوجوه ، وتحيل الوانها ، وتضفي عليها دكنة او سمرة تنتم بها — في الغالب — وجوه القرويين سكان البادية ، الذين لا يجدون في حركاتهم ، وفي سعيهم من اجل شؤون الحياة ، ما يحتمون به ، او يظللهم في غدواتهم وروحاتهم ، مثلما يجده سكان المدن من الظلال الوارفة التي تضفها عليهم اشجار مزروعة متكاثرة ، وجدران منازل عالية ، تنشر ظلها مسافة معينة ، ولكنها كافية لحماية من يلجأ اليها من حرارة الاشعة اللافحة .

اصبحت قرية نمسيلة في هذا اليوم هادئة كالهدوء الذي يسبق العاصفة او يلحقها . ذلك انها في الايام القليلة الفارطة ، كانت مثل سائر القرى والمدن المغربية ، تعاني من القلق النفسي ، والاضطراب العاطفي ، ما يعجز القلم عن وصفه ، ويقف الفكر امامه حائرا لا يدري ما ياتي وما يدع من الافكار .

وقد ساعد على ذلك القلق النفسي ، والبحران الفكري ، ما احاط بالبلاد من ظروف صعبة ، ومن ازمات سياسية متلاحقة ، يشد بعضها بخناق بعض ، ويلاحق آخرها اولها فيلحقه ويكاد يسبقه .

واهم تلك الازمات ، بل اخطرها ، تلك التي كانت تكمن في مسألة وراثة العرش ، فقد كانت — وفي فترات مختلفة من تاريخ المغرب مثار جدال ونقاش ، بل كانت عاملا من عوامل النزاع المسلح ، والعراك المتواصل ، فلا يكف المعاركون الا حينما يتضح الصبح لذي عينين ، فينتصر الحق على الباطل ، او يتغلب القوي على الضعيف وان كان الحق بجانب هذا دون ذاك .

وآخر ازمة من هذا القبيل ، تلك التي تمحضت عنها ولاية محمد المتوكل على الله ابن محمد الشيخ السعدي ، عرش المغرب . فقد كانت ولاية لم يرض عنها عماه عبد الملك واحمد .

ان محمد الشيخ السعدي الذي اغتاله الاتراك ، كان يرى ان تكون الخلافة — امارة المومنين بالمغرب — للاكبر سنا من اولاده او عقبه . وهكذا تولى — بعد اغتياله — ابنه الاكبر عبد الله الغالب بالله ، وكان من الطبيعي ان يتولى بعد هذا الامير ، اخوه عبد الملك ، ولكن عبد الله الغالب بالله — وقد نسي فيما يظهر او تناسى فتنة الامين والمامون العباسيين عهد بالولاية لابنه محمد بدل اخيه عبد الملك ، فما كان من هذا واخيه احمد الا ان لجأ الى الخارج ، فذهبا الى الجزائر التي كانت آنئذ خاضعة لسلطان الدولة العثمانية ، ثم ذهبا بعد ذلك الى القسطنطينية ، عاصمة تلك الدولة .

ومنذ حلا بهذه البلاد ، وهما يسعيان بمختلف الطرق للحصول على تأييد السلطان العثماني ومعاضدته ، وعلى مساعدته لهما بالمال والرجال ، كي يستردا عرش ابيهما المغتصب .

وقد حظي الاخوان بالمساعدة التركية ، ودخلا المغرب ، فنازلا جيوش ابن اخيهما محمد المتوكل على الله ، وهزماه في كل المعارك التي خاضاها ضده وضد جيوشه .

وكان نصرا عجيبا قد يحار المرء في تعليله ، او في اختيار التعليل المعقول : فهل هو نتيجة كره عام لحكم المتوكل او

الوردة الذابلة

للشاعر محمد العلمي

عشت في خمر طيبها وبهاها   وهي مثل الملاك قدرا وجاها
كنت اهفو لها بكل وفاء   فأبانت صدودها وجفاها
كم بذلت النفيس من كل شيء   فاذا بالدلال فيها تناهى
زادها الفنج روعة وجلالا   وفؤادي لم يفتتن بسواها
ورأتني أذوب شوقا ووجدا   يالقلبي اذا بدت شفتاها !
خلتني كالخيال في مقلتيها   فاذا بي اشقى بحضن هواها
حبذا! اليأس في الغرام لأني   في الغرام المحروم قد أتباهى
وشظايا حشاشتي قد تهاوت   ليت محبوبتي تعير انتباها
خيبت في الحياة كل رجائي   وأنا الشهم لم أخيب رجاها
شمتت بي ولم تؤاس جواحي   وفؤادي يئن تحت خطاها
داست الود والوفاء بكبر   واعانت منافسي برضاها
كنت آلفتها فغرت وما كـ   ـت لأشقى بغدرها ونواها
كم أقاسي من قسوة القلب فيها   فالى الله أشتكي من جواها
قد غوتها الاطماع والروح عميا   ء ، مع الليل قد تمادى سراها
أنا أرثي لحالها في شحوب   وفؤادي في الذكريات بكاها
ان مأساتي الخطيرة صارت   آية منطق الزمان رواها
انني نغمة تنوح مع الذكـ   ـرى ، ولكن قد استمر صداها
رحم الله (طوفان) اذ قا   ل مقالا له أروم اتجاها :
(وردة تبهر العيون ، ولكن   كثرة الشم قد أضاعت شذاها)
شربت من دمي النقي كؤوسا   قانيات ضجت بها وجنتاها
عشت في لذة العذاب اسيرا   تحت معبودتي وظل حماها
صرت أشقى ليسعد الغير كالـ   شمعة ذابت لكي يلوح سناها
احرق المهجة البريئة بالشو   ق ، ونفسي حب الجميل هداها
كم اناجي في الورد من ذكريات   حالمات الأنفاس لذ لقاها
بينها وردة سكبت عليها   مدمعي كالندى يؤم صباها
توج النور هامة البدر ، لكن   قد أتى الليل قاتما فطواها
هكذا! أسدل الستار على المأ   ضي ، واشكو من دميتي وقلاها
نضب الكأس في يدي ، وبنفسي   نغمة تجهل الفنون غناها
انني تائه غريب فريد   وفؤادي في بأسه لا يضاهى
من مجيري من لوعتي غير من كا   ن قريرا بمهجتي فكواها ؟
ذبلت وردتي ، وهان شبابي   واعتراني من أمرها ما اعتراها
كان قلبي يهفو لها ، فتولى   يتوخى في الحلم أن لا يراها
انما الورد يعتريه ذبول   في أيادي لئيمة في عماها
ذبلت وردتي على يد غيري   حين ظنت أحبابها كعداها
كنت أسقي ترابها بدموعي   لكن الطيش في الربيع جناها
فأتتها عواصف ورياح   وطواها النسيان ثم رماها

الرباط : محمد العلمي

التراب المغربي ، بنزول جيوش اوربية يقودها ملك البرتغال ومحمد المتوكل ، الذي حاول بمختلف الوسائل ، ان يجمع الانصار من القبائل ، وان يلجيء سكانها — وخاصة في الشمال — الى الانضمام لفريقه الضال القليل العدد .

وتبع نزول تلك الجيوش ، عبثها بأمن البلاد ، وعيثها في الارض فسادا ، مما اضطر سكان هذا الجزء من القطر المغربي ان يجأروا بالشكوى ، ودفع باهل الحل والعقد أن يرفعوا شكواهم لسلطان البلاد ابي مروان عبد الملك ، الذي كان منهمكا في اعداد العدة ، وتهيء الحملة ، لملاقاة المعتدين ، ومنازلتهم ، ورد كيدهم في نحرهم .

وقد وجد سكان قرية تمسيلة في نفير الحرب ، ودعوة السلطان الى الجهاد المقدس ، وسيلة رسمية شريفة للتطوع ، ولغسل العار الذي لحق المغرب ، بوطء الجيوش الاجنبية لترابه المفدى .

حقا ان بعض المراكز الاجنبية او الجيوب ، كانت توجد في شواطيء المغرب ، لكن ، لعل هذه الفرصة السانحة للحرب المقدسة ، ستعيد المياه الى مجاريها ، وستجلي آخر جندي اجنبي وطئت قدمه شبرا من تراب المغرب .

الا ما احلى منظر هؤلاء المجدين القرويين الذين سلحوا انفسهم بالاسلحة الحديثة ، واخذوا ما يناسبهم من الذخيرة والمؤن ، وخرجوا من قريتهم متجهين صوب الجنوب ، نحو مدينة القصر الكبير !

كان اليوم الذي خرجوا فيه يوما مشهودا ، فقد كانت المساحة الواسعة التي تتوسط القرية ، مكانا للتجمع والوداع : وداع الآباء والامهات لفلذات اكبادهم ، ووداع الاخوة واهل القرية لاخوانهم واصدقائهم . لقد كانت الدموع تترقرق في مآقي الكثيرين ، ويحار المتأمل في تلك الدموع ، فيجد صعوبة في تفسيرها :

هل هي دموع الحزن لفراق الاحبة والاصدقاء والخلان ؟ ام هل هي دموع الفرح الذي يعتري الانسان عند ما يحس انه يقوم بالواجب ، ويستجيب لنداء الوطن ، ولرغبة السلطان ، فيرتاح ضميره ، ويطمئن باله ، ويحس بالراحة التي ما بعدها راحة ؟

هل هي دموع الامل في المستقبل المجهول الذي يقبل عليه اليوم ابناء المغرب قاطبة ، وابناء القرية خاصة ؟ ام هل هي دموع المفاجأة انهمرت تلقائيا ، ونتيجة لما اوحى به الموقف الذي كان ينضح اناؤه بكثير من معاني الاريحية ، والشهامة ، ونكران الذات ، وحب الدفاع عن الوطن ، ومقدسات البلاد ؟ ؟

مهما يكن الداعي فان الدموع ترقرقت في عيون ، وانهمرت من عيون ، وتعالت صيحات التشجيع والترتيل من جهات مختلفة ، فهذا ينادي ابنه ، وذاك يشجعه صديقه ، وذلك يدعو دعاء صالحا للجميع بالنصر والعودة بالسلامة .

والى جانب تلك الصيحات التي عبر عنها الشاعر الجاهلي اصدق تعبير اذ قال :

اجمعوا امرهم عشاء فلما
اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصـ
ـهال خيل خلال ذاك رغاء

الى جانب تلك الصيحات كانت تتعالى زغاريد النساء كلما قدم فوج جديد من شبان القرية المتطوعين ، او كلما خطب في الحشد قائد القبيلة او احد زعمائها الافذاذ .

وفي العادة ، كان يصحب مثل هذه التجمعات ، سباق الخيل واطلاق البارود المعروف بلعب « البواردية » ، غير ان وجود البلاد في حالة الطواريء ، دعا الى عدم اطلاق اية رصاصة ، حتى لا يحدث ذلك اي تشويش على سكان الجهات المجاورة ، وحتى يمكن توفير « القرطاس » الى وقت الحاجة ، وان الحاجة ماسة الى العتاد الحربي كيفما كان شكله ، ومهما تكن جدواه .

لقد كان المنظر مؤثرا للغاية في الواقع ، وقد استحال ابناء القرية كلها الى اخوان صادقي الاخوة ، بل تحولوا الى افراد اسرة واحدة ، يظلهم سقف واحد ، ويجمع بينهم هدف مشترك ، ويحدوهم امل واحد في النصر المؤزر ، والانتقام ممن بيتوا الاعتداء ، وشرعوا في الاغارة على اطراف البلاد .

وقد تأثر كثير من الحاضرين ، عند ما اصاخوا السمع الى القائد شاشون الذي وقف على نشز من الارض ليقول في الحشد المجتمع :

« ايها الناس ، احييكم تحية الاخ لاخوته ، واشكركم الشكر الجزيل على ما ابديتموه من روح التضحية والاقدام ، ومن التلبية الصادقة لنداء الوطن ، وللرغبة المولوية السامية .

« وليس هذا بدعا منكم ، فقد طالما شهد لكم العدو قبل الصديق ، بمواقف النبل والشهامة ، وبمواطن المجد والفخار . فما انتم الا ابناء بررة لهذا الشعب المغربي النبيل . انكم بما ابديتموه ، وما تبدونه من امارات التشجيع ، ومواقف البطولة ، لجدير بالانتساب الى هذه النبعة الكريمة ، وان الدر من معدنه كما يقال .

لشخصه ؟ ام هل هو نتيجة سعد وحظ كان يرافق عميه الاخوين عبد الملك واحمد ؟ ام هل هو ثمرة الايمان الصادق ، والحق الواضح الابلج ، الذي كانت تكتسيه قضية هذين البطلين ؟

مهما يكن من امر ، فان آخر ازمة ترتبت على هزيمة المتوكل ، وفراره الى الخارج ، هي لجوؤه الى احدى الدول الاجنبية ، يستعديها على المغرب ، ويسعى بوساطتها في استرداد عرشه ، ولو بالعوض الذي قد يكون فادحا ، وبالشرط الذي قد يخل بالسيادة الوطنية .

ان هذا العمل في حد ذاته ، منقصة تحط حتى من قيمة الشخص العادي ، فما بالكم بمن كان ملكا ، وصار يريد استرجاع ملكه باي ثمن ، فيعد الاجنبي ، ويهبه جزءا من تراب بلاده ، ويترك ولده رهينة في عاصمة البرتغال ، كبرهان على اخلاصه ، وصدق دعواه في انجاز الثمن !!

امام هذه الوعود المعسولة ، يقف المرء عاجزا ، فلا يستطيع ان يجزم بانها كانت صادقة او كاذبة لانه لا يدري ما اذ كان التاريخ سيلوي عنها كشحا ، ويختط نهجا آخر يسلكه ويغير مجراه ، فيحدث شيء آخر غير ما يتوقعه المتوقعون ، ويؤمله المؤملون .

ولم يكن احد يدري هل في الامكان ان يثمر استنجاد المتوكل بضون سباستيان ، ثمرته ، ويؤتي اكله ، فينجح — لا قدر الله — اعتداء البرتغال على بلاد المغرب ؟ في هذه الحالة فقط كان يمكن التفكير في صدق دعوى المتوكل او كذبها ، في اخلاصه في تنفيذ الشروط المعطاة ، والوعود المعسولة التي قطعها على نفسه ، او عدم اخلاصه .

اما اذا حدث العكس من ذلك تماما ، فلم يحقق الاستنجاد نتيجته المرجوة ، ولم يفلح الهجوم في القضاء على الروح المغربية العتيدة او قهرها ، فلا يبقى حينئذ مجال للتفكير في اي احتمال آخر مضاد ، وتنقلب اوضاع المتآمرين على المغرب رأسا على عقب ، وتبوء مؤامرتهم بالفشل الذريع ، ويمنى المغيرون بالهزيمة المنكرة ، ويخرج المغرب من المعركة عالي الرأس ، موفور الكرامة ، ويبقى المغاربة هم المغاربة دائما : ابناء « الامازيغ » احرار في بلادهم ، يأبون الضيم ، ولا يستكينون الى الهوان ابد الدهر .

كل هذه الافكار المتضادة ، او بعبارة اصح ، كلتا النتيجتين المتباينتين المترقبتين ، كانت تشغل بال اهل المغرب من ادناه الى اقصاه . وربما كانت تشغل حتى بال اولئك الذين هم خارج المغرب من سكان شبه جزيرة ايبيريا ، وبالاخص سكان البرتغال ، الذين ابدى ملكهم من الشجاعة والاقدام ، ومن الطموح والطمع ايضا ، ما اسرع بمقتضاه الى تلبية رغبة ملك المغرب المخلوع ، غير حاسب للامر حسابه العسير ، وغير معير لنصائح من اسدوا اليه النصيحة من علية قومه ، ما تستحق من الالتفات والاعتبار .

اننا اليوم — كما سبقت الاشارة — في صباح يوم الاثنين رابع اغسطس 1587 ، وفي قرية « تمسيلة » من قبيلة بني مصور الجبلية . وهي تكاد تخلو في ايام هذه « الحركة » — مثل سائر القرى الشجاعة اثناء سائر « الحركات » — من كل قادر على حمل السلاح . لقد جند هؤلاء جميعا ، وحملوا السلاح ، وتدربوا عليه تدريبا اوليا بسيطا ، فانتفع اولئك الشبان الذين كان ينقصهم مثل ذلك التدريب ، و « قبل الرمي يراش السهم » كما يقول المثل العربي القديم .

اما الذين تعدوا طور الشباب فحدث عنهم ولا حرج ، فهم لطول مرانهم على استعمال السلاح ، لا يحتاجون الى اي تدريب .

الا ما احلى تلك الروح التي حدت بالجميع ان يتوجهوا لميدان المعركة ، ويلتحموا بالجيوش الاجنبية التي يقودها سباستيان ، وببعض الفرق الضالة التي يقودها محمد المتوكل !! انها روح المدافع عن ارضه ووطنه وعن عرشه الذي ينبغي الا يبقى في مهب الرياح ، تتقاذفه الاهواء ، او تغتصبه الاعداء ، او يعبث به العابثون .

ان للوطن قدسيته التي لا يمارى فيها احد ، ولنعرش حرمته ، التي ينبغي ان تصان على الدوام ، وان الحرية التقليدية ، وحب الاستقلال اللذين يتسم بهما المغاربة ابا عن جد ، وخلفا عن سلف ، يجب ان يظلا شاهدين ابديين على انفة هذا الشعب ، وقوة عزيمته التي لا تلين ، وعلى عدم تساهله في كل ما يمس الحرية ، ويسيء الى العقيدة من قريب او بعيد .

الا ما احلى تلك الروح المثالية التي حدت بالعجائز من الآباء ان يسعوا الى قائد القبيلة السيد شاشون ، فيطلبوا منه ان يعبئهم ليوم الكريهة ! فكان القائد يستجيب للرغبة مكرها حينا ، ويكتفي حينا آخر ، باخذ ابن هذا العجوز او اخي ذاك ، وهكذا دواليك .

وحتى العجائز من النساء اقدمن على التضحية بصدر رحب . لقد رحبن بذهاب ابنائهن للدفاع عن حوزة الوطن ، واظهرن استعدادهن للقيام بكل الاعمال التي كان يقوم بها ابناؤهن او ازواجهن في العادة . وما اثقل هذه الاعمال ؟ وما اشقها في الصيف القروي ! فهي تتضمن الحصاد ، والدراس ، وجمع الغلال ، والتعرض للشمس المحرقة ، والصهد الشديد ساعات طوالا !!

★ ★ ★

في الايام القليلة الماضية ، تعكر صفو الهدوء النسبي بالمغرب ، واقلق راحة سكان الشواطيء الشمالية ، انتهاك حرمة

عرض الكتب

التفكير فريضة إسلامية

تأليف المرحوم عباس العقاد تعليق الأستاذ عبد القادر زمامة

هذا كتاب من نوع كتاب (حقائق الاسلام) وكلاهما من الكتب التي الفت باقتراح وتكليف من (المؤتمر الاسلامي) وكلاهما من الكتب التي تهدف الى تصحيح المفاهيم في شريعة العقل والدين بين انصارهما وخصومهما على السواء ..

ومن من المكرين المسلمين في العصر الحديث يستطيع ان يصحح هذه المفاهيم عرضا ومناقشة ونقدا ودراسة ؟

ومن من المفكرين المسلمين في العصر الحديث يستطيع ان يقبس ابعاد حرب الاديان التي شنت عليها منذ قرون ؟

ومن من المفكرين المسلمين صمد في مهب زعازع المذاهب والآراء دفاعا عن العقيدة الاسلامية والحضارة الروحية التي انبثقت عنها والثقافة الاسلامية التي كانت وما زالت الاداة الوحيدة لتناولها وفهمها .. ؟

ولكن الجواب لن يكون سلبا ولا ايجابا ولكنه – عمل – واضح وضوح الشمس و – عبقرية – حطمت سائر المقاييس ..

والكتاب الذي نقدمه اليوم احد هذه – الاعمال – واحدى هذه – العبقريات – التي ختمت يوم ختمت انفاس المرحوم عباس محمود العقاد . !

وهذا الكتاب صغير الحجم ولكنه زبدة الاسفار وخلاصة السجلات وعصارة الافكار . وهو يتناول قضية التفكير الانساني باعتباره الاداة والفضيلة الانسانيتين اللتين يملكهما الانسان ولا يعطلهما الا اذا تخلى عن انسانيته واصبح شيئا آخر .. !

ففي الفصل الاول من الكتاب يعرض المؤلف العقل الانساني في كتاب الاسلام – القرآن – عرضا وافيا في شتى الآيات التي تنطق بتمجيد العقل واعتباره حكما بين الناس ومقياسا لفهم المبادئ والعقائد وتصحيحهما .. وفي هذا الفصل يعرض المؤلف ايضا انواع العقل على ضوء البحوث النفسية والفلسفية .

– فهناك العقل الوازع ...
– وهناك العقل المدرك ...
– وهناك العقل الحكيم ...
– وهناك العقل الرشيد ...

واذا كان العقل يعم هذه الانواع كلها فان فضيلة الانسان تتجلى في تدرجه في مدارج العقل من درجة الى اخرى ...

فهناك من الناس من لا يملك الا عقلا بسيطا يكفه عن – الجنون – فحسب في حين انه لا يملك عقلا حكيما ولا رشيدا . ويفصل العقاد ذلك تفصيلا ويأتي بالآيات القرآنية الكريمة التي تشهد لانواع العقل ومدارجه وحظ الانسان منها وما يفرضه على المسلم من استعمال عقله من اي نوع كان ليضمن لنفسه فضيلة التفكير وفريضته ...

فالعقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد كلها مدعوة للتفكير وكلها مدعوة للفضيلة ، وكلها مدعوة لتحقيق الانسانية في الانسان .. وذلك بنصوص القرآن التي لا تحتمل الجدال ...

ويخرج المؤلف من هذا الفصل بخلاصة هي : « ان الجمود والعنت والضلال غير مسقطة للتكليف في الاسلام وليس لاحد ان يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه فانها لا تدفع الملامة ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير » .

وفي الفصل الثاني يتناول المؤلف : (الموانع والاعذار) ويعني بها العوائق التي تعوق العقل عن الانطلاق والحرية والتفكير وفي مقدمتها الاقتداء الاعمى باصحاب السلطة الدينية . والخوف المهين لاصحاب السلطة الدنيوية ... والاسلام حرب على هذا العائق فهو من جهة لا يعترف بأي مخلوق يفرض نفسه للوساطة بين العبد وربه .. فلا كهانة ولا هياكل ، ومن جهة اخرى لا يبيح لاي كان ان يظلم الناس او ان يحتقرهم او يهينهم او ان يسلط عليهم الرعب والفزاع والعذاب .

« اني باسم السلطة المحلية ، وباسم السلطة المركزيــة ، وعلى رأسها ملك البلاد المعظـم مولاي عبد الملـك ، اتوجـه بالشكر الجزيل لابناء قريتنا : شبانها وكهولها وشيوخهـا ، بناتها ونسائها وعجائزها ، على ما ابـدوه جميعـا من روح الامتثال للنظام وحسن الطاعة التي نجب على كل فـرد فرد في مثل هذه المواقف .

« اما انتم ايها المجاهدون الكرام ، فاني باسـم سلطان البلاد العظيم ، ادعوكم ان تتوكلوا على الله حـق توكلـه ، وتشرعوا في السير على بركة الله ، الى ميدان المعركة ، ميدان الشرف ، ميدان الجزاء الاوفى ، فمن مات منكم ، كتب عند الله من الشهداء والصديقين ، ومن بقي على قيد الحياة ، حاز شرف الدفاع عن حوزة البلاد ، ونال جزاءه يوم القيامة ، وانعم بـه من جــــزاء !! .

« فسيروا على بركة الله ، والى النصـر المحقـق ! الى النصر المبين ان شاء الله ! » .

وتعالت صيحات الوداع ، وزغاريد النسوة ، عند ما شرع هذا الجيش الصغير في المسير . كانت طائفة منه تمتطي صهوات الجياد ، يتقدمها القائد ، واخوه ، وبعض وجهـاء القبيلـة .

وكانت طائفة اخرى من المشاة تتقـدم في صفوف متراصـة . وكان يتخلل ذلك منظر البغال التي تحمل فوق ظهرها ما تيسر من الذخائر والمؤن .

وما ان خطت هذه الكتيبة بضع خطوات ، حتى شق عنان السماء ، النشيد التقليدي للمحاربين المغاربة : « صلى الله عليك يا رسول الله (يكررونها ثلاثـا) اجاه النبـي ، جـاه النبـي عظيم ، الجنة للصابرين ، والنار للقوم الكافرين ، الله ينصـر قوم النبـــــي » .

ان ترديد هذا النشيد او الدعاء ، بمثابة نفير عام للحرب ، يكرر المجاهدون بين الحين والآخر ، وخاصة عند الخروج الى الميدان ، او لدى التهيؤ للقتال .

كانت الزغاريد تتعالى عند آخر كل انشاد ، كما كانت المناديل تلوح للمسافرين . وظلت تلوح مدة من الزمن ، وهي تودعهم وتتمني لهـم الظفـر في الحـرب والعـودة الى مسقـط رؤوسهم سالمين غانمين .

(يتبـــــع)

تطـوان : عبد الله العمرانـــي

ـــ العمــــل المستمـــــر ـــ

قال ابو العلاء المعري : « العمل ـ وان قل ـ يستكثر اذا اتصـل ودام . لو نطقت كل يوم لفظة سوء لاسودت صحيفتك في راس العام ولـو كسبت كل يـوم حسنـة عـددت بعد زمن من الابـرار . ان اليوم ائتلف من الساع ، والشهـر اجتمـع من الايـام ، والسنـة من الشهـور ، والعمـر يستكمـل بـالسنيـــن »

الثانية : ان اضطهاد الفلاسفة ـ ان كان ـ فهم اضطهاد سياسي يهدف الى انتقام او تصفية حساب ، ولا شأن للدين بذلك لان اطار التفكير الاسلامي لا يضيق ولا يتحجر ولا يكبت العقول ولا يهدم الافكار بل على العكس من ذلك فهو ياخذ طريقه الى الناس عن طريق العقل الواعي والمنطق السليم ..

ومن هاتين النقطتين خرج المؤلف الى عرض الاصول الفلسفية للمذاهب والآراء التي دونها كل من ابن سينا وابن رشد .. كما عرض تفكير المعتزلة واخوان الصفا . وغيرهم لا في قضايا الفلسفة الطبيعية بل وفي قضية فلسفة ما وراء الطبيعة وكان عرضه يتسم بالتلخيص والاقتضاب والاحالة على كتبه ورسائله التي تناول فيها هذه الموضوعات من قريب او بعيد .

ويختم هذا الفصل بهذه العبارات :

« وموقف الاسلام اليوم كوقفه بالامس انه لا يضيق بالفلسفة . لانها تفكير في حقائق الاشياء : لان التفكير في السماوات والارض من فرائضه المتواترة ، ولكن المذاهب الفلسفية قد يظهر فيها ما يطيق بالاسلام ويخالفه حينا بعد حين. ولا تثريب على عقيدة يخالفها بعض العقول . لان العقائد لا تطالب بموافقة كل عقل على سواء او على انحراف . وحسبها من سماحة انها لا تصد عقلا على سواء ...

وفي الفصل الخامس يتناول المؤلف قضية العلم . وموقف الاسلام من العلم لا يحتاج الى بيان بعد ان نطق القرآن الكريم والسنة المطهرة بما لا يترك مجالا للشك او الطعن في ان الاسلام دين العلم . والعلم من اسسه ووسائله المعتمدة لفهم الحياة وما فوق هذا الكوكب الذي نعيش فيه ...

ولكن المؤلف على عادته يخط خطا فاصلا بين العلم المبنى على تجربة وخبرة . او بعبارة ادق المبنى على الكهانات والتخمينات والفروض ، فالعلم الذي يحبذه الاسلام ويجعله اساس سعادة المرء هو العلم المؤدي الى خير الانسان وخير المجتمع وهو في الوقت نفسه مبنى على يقين لا مجال فيه للفروض والاحتمالات والتكهنات ويضرب المؤلف لذلك امثلة من اقوال العلماء الذين يحاولون تفسير الظواهر الكونية في السماء، والنجوم والاجواء بتفسيرات ظنية فرضية ولا يقنعهم ذلك حتى يعمدوا الى آيات القرآن فيحاولون تاويلها ـ استنادا على فرضهم ـ تاويلا يبعدها عن المقصود منها .

ولا يخاف المؤلف ولا يخشى تلك الاسطورة التي يزعمها الزاعمون ، وهي ان العلم يسير سيرا يناقض الدين ..! بل ان المؤلف تحدى هؤلاء تحديا معقولا مبنيا على برهان لا جدال فيه ، وهو ان العلم ليس الا ثمرة من ثمرات العقل .. والعقل من الاسس التي ينبني عليها الدين فاي تناقض يعنون .. ؟ !

وفي الفصل السادس ياتي دور « الفن الجميل » والفن الجميل لا يعني في نظر العقاد ولا في نظر الواقع الفن المتهتك او الفن الوثني او الفن المائع الرخيص . ولكنه يعني تذوق الجمال وتفهمه والتمتع بطيبات الحياة وما اودع الله فيها من مباهج ومسرات ...

فالحياة ليست عذابا وليست جحيما وليست مفازة قفراء نلون فيها ولا جمال ولكنها مسرح الاعمال والاقوال ومضمار المواهب والكفاءات فهي جديرة بان يحياها الانسان وجديرة بان لا يحرم الناس من جمالها ...

ونظر الدين في الفن الجميل بهذا المعنى هو نظر الحكمة التي لا يلتوي مفهومها .. والواقع الذي لا تحجبه الاقاويل والترهات والشهوات المحمومة والافكار المنحرفة الشاذة ..

والعقاد متحرر في فهم التصوير والرسم وله في ذلك استناد على اقوال كثير من العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع من الناحية الشرعية ونظروا بسعة افق وتحرر وواقعية الى مقاصد الشريعة ومكارمها ...

وتتابع فصول الكتاب امامنا فنرى فيها فصول :

- المعجزة
- امام الاديان
- الاجتهاد في الدين
- التصوف
- المذاهب الاجتماعية
- العرف والعادات

وفي كل فصل من هذه الفصول نجد العقاد العالم المطلع الخبير الذي يسخر كفاءته وعلمه وفكره لاظهار الحقائق وعرض الحجج والبراهين لتدعيم العقيدة الخالدة في ضمير الانسان ، وهي عقيدة الاسلام وآداب الاسلام وانظمة الاسلام بما فيها الشخصي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي ..

ومنطق العقاد بعيد عن الجدل وحب الغلبة والافحام ،ولكنه رزين ومتعمق لا يفرض فرضا ولا يقلد قولا ولا ينساق مع العواطف ولا يدافع عن الحق الا بالحق ...

ولناخذ رأيه في المعجزة التي جاءت بها جميع الاديان.. فهو يقول : ان الاسلام جاء بالنواميس الطبيعية التي هي سنة الله « ولن تجد لسنة الله تبديلا » ولكنه يومن كذلك بامكان المعجزة لانها ليست باعجب مما هو حادث مشاهد امام الابصار والبصائر.

اذن فالاسلام يضع المعجزة في موضعها من التفكير ومن الاعتقاد فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخالق المبدع لكل شيء ولكنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيره ...

وبذلك كان الاسلام يحارب عوائق التفكير وموانعه من هذه الناحية وهي ناحية الاقتداء الاعمى والخوف المهين ..

- والطاعة في الاسلام طاعة الحق والايمان والعدل
- والاقتداء في الاسلام اقتداء واع منبصر عاقل مختار

له مقياس واحد وهو التفكير الصحيح الحر الذي لا ترسب فيه رواسب ولا تماكه الاعراف . ولا تقوده الاهواء .. ولا تفرضه الشهوات .

وفي الفصل الثالث من الكتاب يتناول المؤلف : قضية المنطق .

وهنا يجب ان نفرق بين المنطق والجدل ...

- فالمنطق بحث عن الحقيقة من طريق النظر المستقيم والتمييز الصحيح -
- والجدل بحث عن الغلبة والالزام بالحجة ، قد يرمي الى الكسب والدفاع عن مصلحة مطلوبة وقد يتحرى مجرد المسابقة للفوز على الخصم وافحامه في مجال المناقضة واللجاج -

وعلى ضوء هذه التفرقة سار المؤلف في بحثه عن المنطق اليوناني والجدل اليوناني والجدل البزنطي والجدل الاسرائيلي .

وقد قص المؤلف علينا قصة غريبة حقا نقلها عن السيوطي وكان السيوطي قد نقلها عن المقدسي في شأن انتقال كتب الجدل اليونانية من يد الروم الى يد المسلمين بطلب من يحيى بن خالد البرمكي لحاجة في نفسه للكيد للاسلام والمسلمين وشغلهم بالجدل عن الحقائق والاعمال المفيدة البناءة .

ولا مجال لسرد القصة هنا لطولها .. ولكن العقاد يعقب عليها بقوله :

« وهذه القصة تصح في التاريخ اولا تصح فلا شبهة على الحالين في سوء الاثر الذي اصيبت به الامة الاسلامية من آفة الجدل باسم المنطق المزيف فانها اشبه شيء بالنقمة التي يصبها العدو على عدوه او بالمكيدة التي يدسها عليه ليشغله بالشقاق والشتات عن مهام دنياه ومطالب دينه ، وهذه المحنة هي التي ارادها من ارادها بالخطر والتحريم من علماء المسلمين فمنعوا الاشتغال بالجدل سدا للذرائع واتقاء للتفرقة التي تبلبل الاذهان وتفسد القلوب وتجر الى هذه المشكلات اهل الفضول والبطالة فيوبقون معهم طوائف الابرياء من اهل الجد والاستقامة الذين لا طاقة لهم بالمنطق ولا بالجدال » .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى اعلام الاسلام الذين حاولوا نسف علم الجدل من الاساس وهم يعنون ولا شك « الجدل - الذي يبلبل الفكر والعقيدة . لا - المنطق » الذي يصحح احكام العقل ويتضمن فيما يتضمن القياس والبرهان الصحيح..وهؤلاء الاعلام هم :

- الامام ابو حامد الغزالي
- والامام ابن تيمية
- والامام السيوطي

وحملة هؤلاء كانت حملة لتصحيح الوضع الفكري لطلاب العلوم والمؤلفين فيها .. وكانت ايضا لرسم الحد الفاصل بين التفكير الاسلامي المستند على العقل السليم والتفكير الجدلي السفسطائي المستند على المغالطات والحيل وحب الغلبة ولو بقلب الحقائق والتدليس والخداع والافحام ..

ويخطيء من يزعم ان الغزالي وابن تيمية حاربا (المنطق) لمجرد كونه منطقا .. ولكنهما حاربا المناطقة والاصطلاحات التى اصطلحوا عليها ، وقد استعمل الامامان الغزالي وابن تيمية قواعد منطقية في كتبهما للدفاع عن آرائهما ولدحض آراء خصومهما ..

ويستخلص المؤلف من مناقشة آراء المسلمين في المنطق ان حرية العقل لا يقيدها في الاسلام حكم ماثور على مذهب راجح او على مذهب مرجوح ..

ولعل هذا الفصل من الكتاب اهم فصوله واجدرها بالدراسة لسببين :

- الاول ان المؤلف جعله نافذة اطل منهما على تاريخ التفكير الاسلامي وشاهد منه ما وراء المذاهب والآراء وهو مشكلة الجدل التي كانت السبب في افساد العلوم والعقائد معا .
- الثاني : ان المؤلف فرق بين المنطق السليم الذي هو من نتائج العقل الحكيم والعقل الرشيد اللذين هما من عماد الدين .. وبين الجدل العقيم الذي هو مقوض الافكار وهادم العقائد ومزيف العلوم والثقافات .

وفي الفصل الرابع من الكتاب يتناول المؤلف : الفلسفة ومدلولها قبل الاسلام ، وفي عصور الاسلام الذهبية حيث كانت من المواد الثقافية التي شغلت عددا كبيرا من المفكرين المسلمين ودخلت في اهم الابحاث الاسلامية في اللغة والدين والتشريع وعلوم الرياضة ..

وكان هدف المؤلف في هذا الفصل محددا في نقطتين :

الاولى : ان الفلسفة بمعنى البحث عن الحقائق ليست شيئا محظورا او محجرا في تاريخ الفكر الاسلامي .. وانى المؤلف هنا بامثلة من حياة الفلاسفة المسلمين الذين هضموا الفلسفة القديمة وزادوا في البحث اشياء استدعتها ظروف المسلمين الخاصة .

وجاء العصر الحديث عصر الدراسات والتحقيقات فبدا اساتذة الادب العربي يسلكون دروب التجربة التي سلكها من قبلهم من الباحثين في الآداب الاخرى ومن جملة تجاريبهم في البحث تجربة (فلسفة الحب عند العرب) وصاروا يتساءلون :

- كيف نظر الشاعر الى الحب ؟
- ما دور المرأة في الحب ؟
- كيف وقع في اسره ؟
- ما دور الجمال في الحب ؟

الى غير ذلك من الاسئلة وكلها بطبيعة الحال تطالب جوابا .. ولن يكون هذا الجواب الا عن طريق الفلسفة ..

والكتاب الذي نقدمه اليوم هو احدى الحلقات من البحث عن فلسفة الحب عند العرب في الجاهلية والاسلام ..

واول ما نلاحظ على الكاتب انه قدم لنا دراسته بمقدمة عاطفية اكثر منها موضوعية . مع ان الواجب كان يقتضي في (دراسة) ان تبتعد عن كل ما لا يمت الى الموضوع بصلة .. وهكذا كتب لنا المؤلف فصلين من كتابه بعيدين عن الدراسة وهما الفصل الاول والثاني ...

وكان الفصل الاول :

الحب والحياة العصرية

وكان الفصل الثاني :

معالم حضارة عريقة

اما الفصل الثالث الذي اختار له المؤلف عنوان :

شخصية المرأة العربية

فهو بداية البحث والدراسة على التحقيق ، وقد تحدث المؤلف فيه عن شخصيات نسوية احتفظ التاريخ باسمائها كان لها مجال كبير في الحياة الادبية في العصر الجاهلي والاسلامي وقد كان المؤلف الفاضل هنا ناقلا لا دارسا .. نقل من الاغاني .. والعقد الفريد وغيرهما .. ولكنه لم يفعل شيئا غير النقل والاختيار والتعليق المحدود الذي لا يتعدى الشرح والاستنتاج العادي من كل خبر يورده في هذا الفصل ...

وفي الفصل الرابع الذي جعل المؤلف عنوانه .

الحب في الجاهلية ابدى المؤلف تفهما حقيقيا لواقع المرأة في الجاهلية وواقع حياتها باعتبارها المصدر الاول للالهام الشعري عند الشعراء .. كما اعطانا ملاحظات قيمة عن حب الشعراء الجاهليين وفلسفة الكذب والصدق والاخلاص والخيانة في هذا الحب .

وكانت له آراء سديدة متكاملة الاسس في هذا الموضوع لا سيما عند ما اتخذ الشعر الجاهلي دليله للبحث عن عناصر جمال المرأة الحسي والمعنوي في نظر الرجال وما خلد هذا الشعر من قصائد تعد بحق لوحات فنية تنال من الناقد على ممر الاجيال كل اعجاب وتقدير لفلسفة الجاهليين او لمذهبهم في الحب على اصح تعبير ..

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا الفصل من الدراسة هو امتع مافيها شكلا وموضوعا .

وفي الفصل السادس يتحدث المؤلف عن الهوى العذري الذي خلد الحب العربي المثالي في الصفاء والهيام والطهارة والجمال .. وقد ضرب لنا عدة امثلة من اخبار المتيمين في الجاهلية والاسلام ، ولكنه لم ياتنا بشيء جديد كما فعل في الفصل الخامس ... وعلى الرغم من ذلك فقد كان عرضه شيقا ممتعا .. واسلوبه قويا جذابا امتزجت فيه ذاتية الادب بموضوعية البحث .. وذلك كاف في قيمة الدراسة التي قدمها لنا المؤلف الشاب .

وفي الفصول الباقية من الكتاب يعرض المؤلف الفروسية والغزل .. وفلسفة الحب وتعليلاته والحب والتصوف .. والرومانطيقية العربية والحب والعلم ...

ولا نريد في هذا الحديث ان نرافق المؤلف كل ما قال الا اننا نود ان نعرض الجوانب التي لفتت نظرنا فيها .

اولا : ان النزعة العاطفية في هذه الفصول اكثر من الروح العلمية الموضوعية وهذا ما جعلها غير معتمدة بالذات ..

ثانيا : التجوز الكثير في استعمال كلمة فلسفة في كل خطوة شعرية .. او عاطفية غرامية .. مع ان الفلسفة تعني فكرة منتظمة ذات مقدمات ونتائج ...

ثالثا : الاستنتاج اكثر من العرض وهذا يعني ان المؤلف مقتنع بفكرة لا يجد السبيل لاقناع القارىء بها ...

ومع هذه الملاحظات فان هذه الدراسة ممتعة ولا سيما في هذا الموضوع الجذاب ..

فاس : عبد القادر زمامة

ولناخذ رأيه ايضا في الاجتهاد والتقليد بعد عرض واف للموضوع قال :

« ان العجز عن الاجتهاد والعجز عن الحياة مقترنان ، وان المسلمين يحتفظون بمكانهم بين امم العالم ما احتفظوا بفريضة التفكير .. »

وفي التصوف نجد المؤلف يقسم اهل التصوف الى قسمين :

- اهل تصوف العقل
- واهل تصوف القلب

ولكل قسم آداب وآراء ومميزات ثقافية ونفسية ظهرت في الادب الصوفي الذي تركه اجيال المتصوفة في الشرق والغرب منذ قرون .. على ان الاسلام لا يقر .

- مذهب الحلول
- ولا مذهب وحدة الوجود
- ولا مذهب سقوط التكليف

ولكن التصوف بمعنى تطهير النفس ورياضتها رياضة شبيهة برياضة الجسم لا غنى للمجتمع عنه بشرط الا يتجاوز حده المطلوب .

والتصوف نوع من يقظة الضمير ادى ببعض الناس في القديم الى « الرهبانية » وادى بآخرين في العصر الحديث الى نوع من « الوجودية » المنطلقة من قيود الاعراف الاجماعية التي تضغط الوجدان تارة وتعذب الضمير تارة اخرى ..

والاسلام يفتح نافذة العقل والوجدان امام ذوي الضمائر الحية المستيقظة حتى لا تطوح بهم مشاعرهم المرهفة الى عالم الرهبانية ولا الى عالم الوجودية .

وفي الكتاب الى جانب هذا قضايا خطيرة في تاريخ الاسلام اعارها المؤلف خبرته واطلاعه ومنطقه فجاءت في ثوب قشيب . وكأنها قضية اليوم او الامس القريب .

فلسفة الحب عند العرب

تاليف عبد اللطيف شرارة

قيل عن ابن خلدون انه فلسف التاريخ ... وقيل عن الدكتور طه حسين انه ادب التاريخ .. وقيل عن الامام ابن حزم الظاهري انه فلسف الحب .. فالفلسفة اذن دخلت التاريخ فجعلت منه مرآة اجتماعية تنعكس عليها الاحداث والوقائع والادب دخل التاريخ فصيره مرآة تنعكس عليها المشاعر والاحاسيس والافكار والمذاهب والآراء . فلماذا لا تدخل الفلسفة الحب فتخضعه هو الآخر الى مقاييسها وتوجهه الى وجهتها ليكون رائدا لعواطف الانسان المدروسة سلفا ولوجدانه المليء بالاحاسيس المنفعلة والعواطف المتأججة ؟ .

حقا ان للحب فلسفة وهذا ما شاءته ارادة الفلاسفة والمتفلسفين ... منذ كتب الفيلسوف اليوناني ارسطو عن الحب ودرسه كما يدرس سائر الوجدانيات المنبعثة عن قلب الانسان واحاسيسه الخفية ...

وفي تاريخ الفكر الاسلامي نجد هناك من فلسف الحب على درجات في العمق والسطحية والواقع والخيال .. فابن داود الظاهري في كتابه (الزهرة) كان محبا اديبا ، ولكن تفكيره في الحب لم يكن من العمق بالدرجة التي يصح لنا معها ان نعتبره متفلسفا فيه ... اما ابن حزم الاندلسي فقد خطا في هذا الميدان خطوات ولكنه لم يخرج من كتابه الجميل (طوق الحمامة) بفلسفة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .. ولكنه على كل حال كان اعمق ممن سبقه في الكتابة عن الحب والمحبين والعشق والعاشقين ...

وجاء دور رجال التصوف وهنا اصبح الحب فلسفة عميقة حيث ان ابطال التصوف اخترعوا فكرة اتحاد المحب والمحبوب في روح واحدة حتى قال شاعرهم :

انا من اهوى ومن اهوى انا
نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرته ابصرتني واذا ابصرتني ابصرتنا

وقال ايضا :

روحه روحي وروحي روحه
ان عاش عشت وان عشت عاش

ولهم في هذا الميدان فلسفة معروفة لا مجال لتفصيل الحديث عنها الآن ... ولكننا نشير اليها كنوع من انواع الحب المفلسف ...

حياته ، ولم تكن حياته مجرد حياة اديب وكفى : « لقد اردت ان اضع مخططا لحياتي تحتل فيه الكتابة المكانة الرئيسية ، ولكنه يحوي كل انواع النشاط الاخرى التي تليق بالرجل » .

وقد اتى كتابه « عصارة الايام » حافلا بجميع الاسماء الرئيسية في المخطط ... فالفصول الاولى تعرض طفولة الكاتب وطبيعة الحياة من حوله ، ويلي ذلك الحديث عن مهنة الطالب التي كان مقدرا له ان يحترفها لولا انه نفذ المخطط الذي وضعه لنفسه دون ان يبالي بالعواقب ، ثم يصف رحلاته الى هيدلبرغ وجنوب فرنسا ، وفلورنسة ، وكابري ، واسبانيا . ويخلص من ذلك الى عرض تجربته في كتابة القصة والمسرحية ويخصص فصلا للحديث عن مطالعاته ، ولا سيما في ميدان الفلسفة ، ثم يشرح اراءه في كثير من القضايا التي تؤرق النفس الانسانية كالحق والخير والجمال والدين متابعا خلال ذلك سرد احداث حياته الحافلة بالمفاجآت والتجديد ...

البترول عامل وحدة وانماء في العالم العربي :

هذا الكتاب سلسلة من سلسلات تبسيط العلوم بقلم الدكتور نقولا سركيس ، والدكتور نقولا هو من خير من يمكنه ان يكتب عن البترول العربي .

فقد كانت اطروحته لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم الاقتصادية من جامعة باريس عن : (الاقتصاد العربي والبترول) وقد تمكن اثناء ابحاثه من التعمق في دراسة اوجه صناعة البترول المختلفة ، وقد نجح الدكتور نقولا في ان يقدم للقارىء باسلوب ممتع قضية البترول العربي وشرح مشاكله الفنية والقانونية والاقتصادية ، فشكرا للاستاذ نقولا سركيس .

جمعية قدماء الطلبة لجامعة القرويين

بعثت الينا هذه الجمعية نشرة عن نشاطها ، وقد اتخذت منها لسانا لها واداة لربط صلة الوصل بين اعضائها ، والمهتمين بشؤون الفكر والخير في هاته البلاد ...

وقد اشتملت هذه النشرة على المواضيع الآتية : دمعة على القرويين او القرويين المظلومة ، وكلمة بمناسبة موسم الكتاب العربي في المغرب ، ومسابقة ادبية ، وصرخة .

واهداف الجمعية تقوية التعارف بين قدماء طلبة القرويين وعقد صلات ودية بينهم ، والعمل على اصلاح برامج التعليم للمؤسسات التعليمية بالمغرب .

نشر اللغة العربية ، والثقافة الاسلامية ، وذلك بما ياتي :

1) تأليف كتب دراسية ونشر ذخائر المكتبة المغربية .

2) العمل على الاسراع بتعريب الادارة والمدرسة المغربية

3) العمل على نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية في الامم الافريقية بكل الوسائل الممكنة ..

وسوف نبعث لجمعيتكم الفتية اعداد مجلتنا تباعا ، وشكرا ...

في سبيل انشاء دائرة معارف مغربية

سبق للمكتب الدائم للتعريب ان وجه في الصيف الماضي الدعوة الى وزراء التربية والتعليم في اقطار المغرب العربي للعمل على توحيد جهودها في التعريب ووسائل الثقافة والتعليم كما بعث بوفد الى كل من الجزائر وتونس للتعريف بالفكرة والدعوة لها في الاوساط الفكرية والعلمية ، وقد صادفت هاته الدعوة قبولا حسنا من لدن الاوساط الشعبية والرسمية وخصوصا من لدن الطبقة المثقفة الواعية فقد رحبت بالفكرة ايما ترحيب ووعدت قادتها بالعمل على تحقيقها نظرا لما تحتوي عليه من فوائد في الحقل الثقافي والعلمي وقد توصل المكتب الدائم اخيرا من الاستاذ البحاثة الكبير عثمان الكعاك باقتراح انشاء موسوعة مغربية قدمه بهاته العبارات « لعل اوفق طريق لتحرير الثقافة المغربية وتصحيح اوضاعها وتبيين ملامحها ودراسة اتنياتها واشخاصها وعامة مواضيعها هي انشاء الموسوعة المغربية » للاقطار العربية الممتدة من الاسكندرية الى المحيط الاطلنطيقي . ويتضمن هذا الاقتراح تسع نقط وهي :

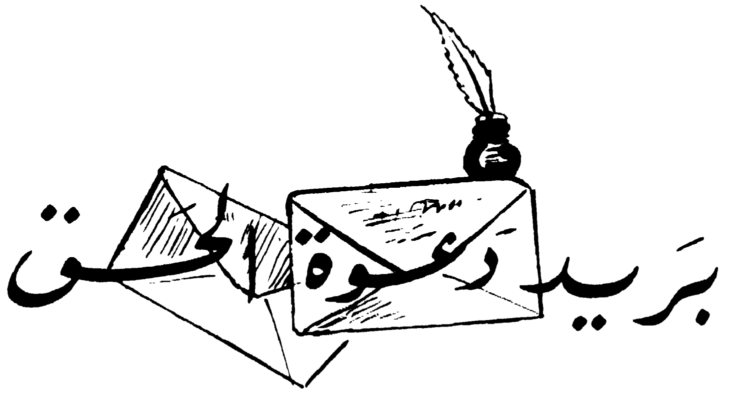
1) تحديد منطقة المغرب العربي جغرافيا وحضاريا بالقيام بابحاث دقيقة يتحقق منها وجه المغرب الحقيقي في كل المجالات .

2) التعريف بالاشخاص المغاربة من حيث مهمتهم وانتاجهم ومنتجاتهم في ميدان البناء والتعمير والسياسة والادب والعلم والدين ، وتقسم العصور الى تسعة : الحجري ـ البربري ـ الفنيقي ـ الروماني ـ الوندالي ـ البيزنطي ـ العربي ـ الاستعماري ـ واخيرا عهد الاستقلال . والترجمة لكل شخص ترجمة جامعة مركزة ووضع صورته ان امكن ـ وتذييل الترجمة بالمصادر الضافية .

3) التعريف بالمواضع والامكنة بغاية التوسع والتدقيق وذلك بايراد الوصف الحقيقي الجامع والتذييل بالمصادر ووضع المعادلات والمقابلات اذا كثرت اسماء المكان الواحد ، ويجب التنصيص على المسميات الجغرافية الاسبانية والصقلية والمالطية والسردانية باللفظ العربي مع مقابله الافرنجي .

4) ذكر العشائر المغربية (بربرية وعربية ورومانية) .

5) بيان اللهجات المغربية من الاندلسية الى الليبية باثبات اللفظ وامامه نقله الحرفي اللاتيني ، وبيان معناه الثابت او التطويري بالشواهد مع ذكر مختلف معانيه بحسب الامكنة وكذلك مفردات الحضارة مقسمة بحسب الجهات .



تلقى بريد دعوة الحق ، خلال هذا الشهر طائفة من الكتب ، والنشرات والرسائل .

كتب مهداة الى المجلة :

فقد حمل الينا البريد هدية من السيد محمد حجي الاستاذ المساعد بكلية الآداب بالرباط ، وهي عبارة عن كتابه : « الزاوية الدلائية ، ودورها الديني والعلمي والسياسي » .

وقد نوقش كتابه هذا امام الجمهور في 18 ابريل 1963 بكلية الآداب بالرباط ، فنال به المؤلف ديبلوم الدراسات العليا بدرجة حسن .

والكتاب يشتمل على بحث تام مفصل عن الزاوية الدلائية من حيث نشأتها وتعاليمها ، وعلاقتها بغيرها من الزوايا ، واهميتها العلمية بالنسبة الى غيرها من المراكز العلمية ، والدور الذي قامت به في نشر الثقافة الاسلامية في المغرب ، ولا سيما في ربوع الاطلس المتوسط وبلاد تادلا .

والكتاب فتح جديد في هذا الباب اذ ينم عن مجهود كبير بذله الاستاذ حجي ، وصبر وجلد في تحري الاخبار ، والحقيقة ان الاستاذ حجي قد اضاف في رسالته هذه الى الخزانة المغربية فائدة محققة في موضوع لم يسبقه اليه احد من الباحثين .

الاسلام والمرأة :

وهذا الكتاب مما حمله الينا بريد هذا الشهر ، وهو للاستاذ الكبير سعيد الافغاني .

والكتاب مفيد وممتع في آن واحد ، ويشتمل على ابواب تندرج تحتها فصول .

والباب الاول يتحدث عن المرأة العربية في نشأة الاسلام ، والباب الثاني عن امهات المومنين ، وفي ازواجه وسبب تعددهن ، وفي التشريع الخاص بامهات المومنين ، وفي اجمال سيرة الرسول معهن ، وفي منزلتهن الاجتماعية ، ومشاركتهن في الامور العامة ، ثم يحوي الكتاب على ملحق يتضمن الكلام على المرأة والسياسة والمرأة والجهاد .

كما تلقينا من الجمهورية العربية السوريه ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق دفعة جديدة من مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي .

ووزارة الثقافة والارشاد القومي انشئت في اواخر عام 1958 لتقدم الخدمات الثقافية والفنية للمواطنين ، وقد قامت بجهود لتعميم وسائل المعرفة خلال خمسة اعوام ونصف من انشائها .

من اجل هذا اصدرت كتابا يحمل عنوان : **وزارة الثقافة والارشاد القومي**، وهو عبارة عن خلاصة توضح فيها ما قدمته من جهود لتعميم وسائل المعرفة ليعرف القارىء على ما بذلته في هذا السبيل ، وعلى ما تعتزم القيام به من مشروعات ، تجعل الثقافة والفنون في متناول كل مواطن .

ولعل الوزارة اذ تقدم هذه المعلومات الى الجمهور ، يسرها ان يطلع كل مواطن على مختلف الوسائل التي اصطنعتها لبعث نهضة فنية وفكرية تسهم في تكوين مجتمع مثقف مطلع على تطور الحضارة الانسانية ، متفاعل معها .

عصارة الايام :

وهو ايضا من سلسلة روائع الادب الغربي تخرجه وزارة الثقافة والارشاد القومي .

وعصارة الايام تأليف سمرست موم ، وقد عربه الاستاذ حسام الخطيب ، وراجعه يوسف الخطيب . ولقد اجمع النقاد على ان عصارة الايام هو امتع ما كتبه موم ، وحين شرع في كتابه كان قد اوفى على الستين ورمى فيه الى عرض آرائه المتعلقة بالموضوعات التي حظيت باهتمامه الرئيسي خلال سني

وان المجلة ستفتح صدرها لجميع ما يرد عليها من صديق المجلة الاستاذ السيد انور الجندي ، وستغير العنوان استجابة لرغبتكم ، كما درسنا رسالتكم ، واحلناها على اللجنة المختصة .

ومـــن المغـــرب :

انبأنا المكتب الدائم للتعريب بما يلي : انعقد بالامانة العامة للمكتب الدائم للتعريب يوم الثلاثاء 12 يناير في الساعة الثانية عشرة زوالا اجتماع حضره بالاضافة الى السيد الامين العام للمكتب والملحق الصحفي ورئيس قسم النشر والتوزيع ، سيادة الاستاذ محمد علال الفاسي رئيس اللجنة المغربية التي ستقوم بتأليف موسوعة المغرب العربي التي اقترحها الاستاذ عثمان الكعاك الذي يرأس لجنة تونس في هذا المشروع ، والذي يدخل في حيز التطبيق ابتداء من هذا اليوم وستوالى اجتماعات الاعضاء الذين اختيروا من بين رجالات العلم والمعرفة ابتداء من يوم 25 يناير 1965 حيث يعقد اجتماع اول للجنة يدرس فيه جدول الاعمال وتوزيع المهام على الاعضاء ، ومن المعلوم ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي كان قد بعث الى جميع حكومات اقطار المغرب العربي ومصر من اجل المساهمة في مشروع تأليف موسوعة علمية عربية على صعيد المغرب العربي في حدوده الطبيعية من الاسكندرية الى المحيط الاطلسي تكون نواة اولى لدائرة المعارف العربية التي اوصى بتدوينها المؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب ببغداد في براير الماضـــي .

حيـــرة الشباب وواجبهم نحـــو الدين

كان هذا هو موضوع الندوة الرابعة التي نظمتها « جمعية الثقافة الطلابية » ضمن برنامجها الثقافي بمشاركة المكتب الدائم للتعريب ، وقـد نظمت هـذه الندوة تحت اشراف السادة : الدكتور المهدي بن عبود ، والاستاذ محمد العلمـي ، والاستاذ ابو بكر القادري .

وقد قدم الدكتور المهدي بن عبود موضوعه من الناحية الفلسفية حيث قارن بين حياة الاسـلام في عصوره الذهبية وحياة العرب المادية البهيمية ، ولقد تطرق كذلك الى اسباب الحيرة ، فقال انها ناتجة بالاضافة الى ما قاله الاستاذ ابو بكر القادري من الدعاية الواسعة التي تقوم بها الكنيسة ضد الاسلام . من الاستعمار المادي ، والغزو الفكري حيث اصبحنا ارقاء عبيدا قاصرين على التقليد فقط ، لا على الانتاج والتجديد .

كما ختم الاستاذ محمد العلمي عرضه بان القى الكثير من المسؤولية على الاسرة ، وعلى علمـاء الدين الجامدين ، وعن المسؤولين عن الشباب الذين يتظاهرون بالعناية بامره .

شكـــر ... واعتـــذار

يحمل البريد الينا كل يوم مقالات وابحاث وقصائد ونشرات وكتبا يرجو منا اصحابها نشرها في اعدادنا المقبلة ..

ونحن لوفرة المواد لا يسعنا ان ندرج كل ما يرد علينا من ابحاث في عدد واحد ، بل نحتفظ بالجميع حتى ياتي دوره معتزين بكل ما يرد علينا .

اذ تصلنا قصائد وابحـاث فـات اوان مناسبتها ، او ان مناسبة ملحة ترغمنا على تقديم ما يلائمها .

واننا نرجو ان لا يواخذنا اصدقاؤنا الكتاب والمفكرون ان رأوا منا تقصيـرا في ادراج ابحاثهم ، فذلك خارج عن ارادتنا ، وسنعمـل بحول الله على نشـر كل ما يصلنـا على شريطة ان تتوفر فيه العناصر الكفيلة بالنشر .

وختاما ، نرجو ان نكون قد ارضينا قراءنا الكرام

تنسمـــوا هـــذا النسيـــم

كانـــت امراة من العـــرب تاتي بصبية لها كل يوم ، فتقف بهم على تـــل عـــال ، وتقول : « اي ، بني ، خـذوا صفو هـذا النسيـــم ، قبل ان تكـدره الخلائـــق بانفاسهـــا » .

6) بيان العلوم المغربية وتقسيمها الى دينيـة ودخيلـة وفلسفيه وتصوفية وايرادها على الترتيب الابجدي مع التنصيص على مراحل النمو والتطور فيها .

7) بيان المعالم والآثار المغربية وايراد وصفها الدقيق المحكم والتنصيص على انواعها واجناسها .

8) الترجمة للادب المغربي في انواعه : ملحمة ــ موشح ــ زجل ــ مديح ــ ملزومة ــ الخ . وفي لغاته (بربرية ــ بونيقية ــ لاتينية ــ عربية ــ تركية) وفي امكنته : (اندلس ــ صقليةــ مالطة ــ جزائر ــ الخ) وفي رجاله مع الاحالة على اماكنهـم الابجدية وفي اغراضه (تاريخ ــ تفسير ــ ونقد ــ او وصف) وفي مقارناته تأثرا او تأثيرا .

9) ذكر الفنون المغربية من رسم ونحت وموسيقى ورقص وفولكلور وتسبيل الخ .

وتوخذ مصادر الموسوعة من كتب التاريخ باية لغة وكتب التراجم ــ والمجلات الاختصاصية والمعاجم على اختلافها ، كما تتألف امانة دائمة لانجاز هذا المشـروع من نواب عن شمـال افريقيا الشمالية الشرقي والغربي (مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ، ومن اعضاء مراسلين عرب ومستشرقين ، وتكون لهاته الامانة صلة وثيقة مع الجامعة العربية وهيأة اليونيسكو للمساعدة الفنية والمالية .

ولا شك ان هذا المشروع يشكـل احـدى قواعد توحيـد الاتجاهات الثقافية سواء منهـا القديمـة او المعاصرة في بـلاد المغرب العربي ... وستتشكل لجنة تحضيرية في نطاق المكتب الدائم لوضع الخطوط الرئيسية لمسطرة انجاز هـذا المشـروع تمهيدا لتكوين لجنة فنية من خبراء المغرب العربي .

مــن الجزائــــر :

رسالــة من مالــك بن نبــي

تسلمنا بكل اعتزاز رسالة كريمة من الاستاذ الكبير مالك بن نبي مدير التعليم العالي لوزارة الارشاد القومي بالجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، وقد جاء في هذه الرسالة :

الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد ...

تحية طيبة ، وبعـد ،

فردا على خطابكم المذكور في المرجع يسرني ان احيطكم علما باني قبلت دعوتكم ، وسأبعث لكم في المستقبل القريـب بموضوع لنشره على صفحات مجلتكم الغراء « دعوة الحق » .

اشكركم جزيل الشكر على عواطفكم النبيلة نحو شخصي ، واننا لنرجو ان يبعث الينا الاستاذ الكبير ما وعد به حتى يشبع رغبات القراء المتعطشين لانتاجه الناضج الممتع ...

مــن العــراق :

كتب الينا الاستاذ مرعي احمد خليل مرعي ، استاذ العلوم في جامعة ابن يوسف ، واحد اعضاء البعثة العراقيـة للتدريس في المغرب رسالة رقيقة نحو مجلتنا مظهرا استعداده لكتابة بعض المقالات العلمية التي تتعلق بالفيزياء ، وعن الراديو والتلفزيون، وعملية الذرة وبعض المواضيع التي تتعلق بالكيمياء ، او ان يعطي بعض المعلومات عن قضية فلسطين ...

والاستاذ مرعي احمد خليـل خريـج كلية العلـوم من جامعة بغداد ، ومدرس لمادة العلوم (الفيزياء والكيمياء) في جامعة ابن يوسف ، وفلسطينـي الاصل ، وقـد عاش مأسـاة فلسطين بلحمه ودمه .

واسرة التحرير لترجو ان تواتوهـا بطريف ابحاثكـم فمجلتنا تعنـى بشؤون الفكـر والثقافـة الى جانـب اعتنائها بالدراسات الاسلامية ...

مــن سوريــــا :

كتب الينا الاستاذ الشاعر محمد احمد حيدر رسالة رقيقة تنصص عواطف ومشاعر نحو مجلتنا ، ويقول :

« اني لفخور جدا بهذه المجلة لكونها ذات نزعة اسلامية صرفة معتدلة وقد حققت هذه المجلة للعالم العربي في مغربه ما يصبو اليه من نزعات دينية وادبية وعلمية وفكرية ... لذلك اطالع اكثر مقالاتهـا بشغف ، واشعـر في اكثـر الاحايين ، وكأني في ربوع المغرب العربي الحبيب اتنسم عبيره ، واتطلع الى جميع ما فيه كانما جمـع في لوحـة صغيرة واحـدة وهذه اللوحة معلقة في ذهني ، ويغلب عليها صفة التصور ... »

شكرا سيدي ، واننا قد نشرنا في هذا العـدد قصيدتكـم « قصص من الحياة » .

من الجمهورية العربية المتحدة :

الاستاذ الكبير اللامع المكثر السيد احمد انور الجندي من اصدقاء المجلة ، ومن العاطفين عليهـا ، كتـب الينا في الايـام الاخيرة رسالة يعتب علينا فيها بانه لم يتسلم المجلة ويريـد ان يطمئن على ما بعثه الينا من بحوث ومقالات ...

واننا نشكر الاستاذ على عنايته واهتمامه ونخبره باننا قد نشرنا له في اول عدد من هذه السنة مقالا له يحمل عنـوان « الاسلام ازاء الفكر الغربي » ولدينا بحثان هما : « مراجعات في التاريخ الغربي » ، و « الاسلام في غزوة جديـدة » وقـد نشرناه في عددنا الرابع من السنة الثامنة .

كما شرع في بناء مسجد عظيم بكليز بمدينـة مراكـش ويعتبر هذا المسجد استجابـة لحاجـة السكان الذين تقاطـروا للسكنى في هذا الحي العصري مما جعل الوزارة تستجيب لرغبات المومنيـن ·

ولقد بدا العمل في اقامة بناء مسجد بمدينـة الخميسـات التي اصبحت حاجتها ماسة الى بناء مسجد آخر لاقامة الشعائـر الدينية ، والتوجه الى الله عن طريق عبادته ·

مسجـد الحسـن الثانـي

ولقد دشن معالي الوزيـر السيد احمـد بركاش مسجـد الحسن الثاني بمدينة مكناس في شهر رمضان المعظم حيث صلى فيه صلاة العصر مع جموع غفيرة من المومنين ، ولقد تليت آيات بينات من الذكر الحكيم ، وتوجـه المومنـون الى الله العلـي القدير ورفعوا اكف الضراعة والابتهال في ان يحفظ مولانـا الامام ، ويبقيه ذخرا وملاذا لهذا الوطن الغالي ، حتى يقيم لهذا الدين اسسا متينة من التقوى ·

في نطـاق الابحـاث

وفي نطاق الابحاث التي تقوم بها وزارة عموم الاوقاف لمعرفة الحالة التي توجد عليها المغارسات القديمة ، وهل تعود فائدتها بكامل النفع على الاحباس ، فقد وقعت مقارنة بين ما كانت نتيجة بعض الاراضي الحبسيـة بصفـرو قبل تشجيرهـا باشجار الزيتون وما صارت نتيجة بعد ادخال هذه العمليـة في حيز التطبيق ، وتعتبر الارقـام الآتية كافيـة لابراز اهميـة الطريقة التي تتبعهـا الاحباس في استثمـار اراضيهـا باحسن الوسائل واصلحها ·

نـظـارة صـفـرو

قبيلـة مزدغـة السـوق

اسمـاء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعد الشروع في بيـع غـلالهـا
الصفـاري تعشعشـت المنقـاع	2ر50 2ر00 6ر50	175ر66 67ر77 30ر05

قبيلـة عـزابـة

اسمـاء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعـد تطبيق عمليـة التشجير وبيـع الغلـة
سـلا السفلى سـلا العليـا	13ر00 2ر50	106ر88 276ر58

قبيلـة البهـاليـل

اسمـاء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعد تطبيق عمليـة التشجيـر وبيـع الغلـة
مرجـع القلايـع فريـج الصفـاف	2ر50 11ر50	38ر88 41ر01

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

فـي بنـاء المساجـــد

في اقليـــم اكاديـــر

– وضع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الحجر الاساسي لخمسة مساجد في مدينة اكادير ، وتفضل حفظه الله فحبس ارضا لبناء احد هذه المساجد من ماله الخاص ، كما حبس على هذا المسجد ما سيساعد على القيام بالشعائر الدينيـة التـي ستقام فيـــه .

كما تفضل فأمر ببناء مسجد في مدينة كولمين ، ومسجدين باقليم طرفاية ، احدهما بمدينة طرفايـة ، والآخر بمدينـة طانطـــان .

– شيد المحسن الغيور السيد الحـاج علي بن الطاهـر الازموري مسجدا بدرب غلف بالدار البيضاء .

وقد توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش بعد ظهر يوم 05/2/12 الى مدينة الدار البيضاء لتدشين هذا المسجد حيث حضر في هذا الحفل الديني رجال السلطة المحلية ، والعلماء ووجهاء المدينة ، وقد القى معالي الوزير كلمة نوه فيها بدور المسجد في خلق المجتمع الصالح ، وتكوين المواطن ، وتربيته تربية اسلامية صحيحـة ، كمـا اشار الى اريحيـة هذا المواطن المحسن ، وايمانه الصادق الذي حمله على تشييـد هذا المسجد ، وتحبيس بعض الممتلكات عليه .

– لقد دشن معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش عدة مساجد في الشهور الاخيـرة : كمسجد الحسن الثاني الذي يوجد بمدينة القنيطرة حيث توجه معاليه وقام بتدشينه امام جمع غفير من المومنين حيث القى كلمة توجيهية اشار فيها ما للمسجد من اثر كبير في الاسلام حيث كان المسجد يعتبر الخلية الاولى لتربية المومنين المتقين ، وتمنى في الاخير ان يعاد للمسجد ما كان له من دور فعال في التهذيب والتثقيف .

كما سيدشن معاليه في الايـام القريبـة المسجد الجامـع العظيـم الـذي اسس بمدينـة وجـدة ، وهـو مسجـد يعتبر من اكبـر المساجـد ، تام البنـاء ، مفروش بالحصـر الضرورية مجهز بالمرافق الحيوية التي يحتـاج اليها الذين يؤمونه لاداء فرائضهم ونوافلهم وتلاوة كتاب الله وقراءة العلم .

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية جادة في العمـل لخلق المساجد وتعميمها وبعث روح الاسلام عن طريقها في ربوع المملكة فلقد اجريـت السمسـرة في 20 يناير الماضي في بنـاء مساجد في المدن الآتية : طنجة ، اصيلا ، اولاد سعيد ، والماس السعيدية ، عين الشعير .

كما تهتم الوزارة ببناء مدرسة سيدي الزوين ناحية مراكش لقراءة القرآن حيث يعتبر هذا المسجد دارا للاقراء يتلقى فيـــه الطلبة القراءات السبع ...

مسجـــد الشهــــاء

اعيد بناء هذا المسجد الذي يعتبر في مدينـة سـلا ، من المساجد العتيقة التي لعبـت دورا كبيرا في الحركـة الفكريـة والنشاط الديني .

وقد تداعت اركانه ، وتقوضت دعائمه في السنين الاخيرة ، فاتجهت نية الوزارة الى اعادة بنائـه على نمط عصـري جميل محكم ، ورفعت منارته ، فاصبحت تناغي السماء ، وهي تستقبل في شمم وشموخ القادم الى سلا عن طريق الرباط .

أنباء ثقافية

* انعقد في منتصف شهر رمضان بقاعة الغرفة الفلاحية بالرباط المجلس الاعلى لرابطة علماء المغرب في دورته الاولى لسنة 64–65 كما كان مقررا . وقد كان جدول الاعمال يتعلق بدراسة مذكرة خاصة بالتعليم تنوي الرابطة تقديمها لصاحب الجلالة بناء على تقارير واردة من مختلف الفروع الى جانب نقط اخرى .

* صدر عن الاذاعة الوطنية كتاب «7 ايام في تونس» يتضمن تسجيلا وافيا للزيارة الملكية لتونس التي كانت بتاريخ 5 دجنبر الى 12 منه مزينا بصور عديدة تمثل مراحل زيارة جلالة الملك لهذه الديار الشقيقة ، كما يتضمن باقة من القصائد التي قيلت في عدة مهرجانات تكريما للزيارة الحسنية . ويقع الكتاب في 140 صفحة .

* نظمت جمعية اصدقاء « المعتمد » بشفشاون مهرجانا كبيرا احتفالا بذكرى الشاعر التونسي ابي القاسم الشابي ، القيت فيه بحوث وقصائد تناولت حياة الشاعر وانتاجه .

* صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « مستودع العلامة ومستبدع العلامة » لمؤلفه ابي الوليد ابن الاحمر . قام بتحقيقها على نسختين الاستاذ السيد محمد التركي التونسي وراجعها وعلق عليها الاستاذ محمد بن تاويت التطواني ، كما صدر عن نفس المركز العدد التاسع من مجلة « تطوان »

* قدم وفد من قدماء تلاميذ القرويين عريضة لصاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله طرحوا لجلالته فيها الوضعية المؤلمة التي تعيش عليها جامعة القرويين وذلك في مقابلة بالديوان الملكي وقد اعرب جلالته لهذا الوفد عن اهتمامه بهذا الموضوع .

* زار المغرب في غضون شهر رمضان الشيخ الفاضل بن عاشور مفتي الديار التونسية وقد ساهم بالقاء درسين دينيين ضمن الدروس الدينية التي تلقى بضريح مولاي الحسن ويحضرها جلالة الملك والشيخ ابن عاشور من علماء تونس ومن الذين يسهمون في الثقافة العربية الاسلامية بحظ وافر

* اقام المركز الثقافي الاسباني بالرباط مؤخرا سهرة ثقافية تخليدا للذكرى المائوية الاولى لميلاد المفكر الاسباني ميكيل ذي اونامونو .

* « الثورة والعمل » لسان حال الاتحاد العام للعمال الجزائريين عادت الى الصدور بعد ان تولت ادار ةتحريرها لجنة جديدة من الكتاب والصحفيين القوميين .

* تأجل مهرجان ابو القاسم الشابي الذي كان مقررا عقده في تونس في اواخر فبراير الى 7 اكتوبر المقبل وذلك لان مؤتمر الادباء العرب سيعقد في اواخر هذا الشهر في بغداد .

* صدرت في القاهرة الكتب التالية : « فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة » للدكتور محمد علي ابو ريان . « اضواء جديدة على الحروب الصليبية » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » للدكتور محمد البهي « العامل الديني في الشعر المصري الحديث » للدكتور سعد الدين محمد الجيزاوي . « مدخل الفقه الاسلامي » للدكتور محمد سلام مذكور « طريق الانسان العربي الجديد » لمحمود الشرقاوي . « نساء القرن العشرين » لبرناردشو ترجمة الدكتور جمال الدين الرمادي . « الزواج والطلاق في الاسلام » لزكي الدين شعبان . « الاسد » للكاتب الفرنسي جوزيف كيسل ، ترجمة ميشيل تكلاه « حياة قلم لعباس محمود العقاد ، تقديم طاهر الطناحي « ادب امير البيان » لاحمد الشرباصي « مطلع النور

قبيلـــة الشادكـــــة

اسمــاء الاراضي	واجب الكراء قبل عملية التشجير	دخل الارض بعدغرسها والشروع في بيـــع غلالهـــا
الكـــوشـــــة	1د75ر	101د00ر
العزبـــة والمرجـــع	1د00ر	249د04ر
ابـــن عمـــــران	1د25ر	165د00ر

ادارة الشـــؤون الاسلاميـــة

— تهمك قسم الشؤون الاسلامية هـذه الايـام في الترتيبات اللازمة اتي سيتخذها هذا القسم في تنظيم موسم الحج لهذه السنة .

وهكذا فقد اتخذت الاجـراءات الضرورية فيما يخـص اثمان السفر عن طريق البر ، والبحر ، والجو ، ومواعيد خروج الطائرات ، والبواخر ، وكذلك القدر المالي المقرر من طرف وزارة المالية من العملة السعودية والاجنبية لكل حاج .

* عبد الله الطوخي صدرت له بالقاهرة مسرحية في اربعة فصول عنوانها : « طيور الحب »

* تفكر الحكومة الاردنية في انشاء وكالة اخبارية بها .

* يصدر في « اعلام العرب » بالقاهرة في الشهر الجاري كتاب عن : « عبد الله بن المعتز » الشاعر والعالم الاديب ، تأليف الدكتور احمد كمال زكي .

* انتدب المجمع اللغوي بالقاهرة الدكتور عبد اللطيف احمد علي ، عميد كلية ءاداب جامعة القاهرة خبيرا في لجنة الفاظ الحضارة .

* تصدر قريبا في بيروت دراسة في النحو للدكتور مهدي المخزومي الاستاذ في جامعة الرياض وقد قدم لها العلامة مصطفى السقا .

* صدر في بيروت ديوان الشاعر ميشال طراد باللغة الدارجة اللبنانية وعنوانه « ليش » .

* تعاقد احمد عويدات صاحب منشورات عويدات ببيروت مع البروفسور جورج سادول صاحب المؤلفات السينمائية العديدة على ترجمة وطبع وتوزيع كتاب « تاريخ السينما في العالم منذ نشأتها حتى ايامنا » والجدير بالذكر ان المؤلف وافق ، بناء على رغبة الناشر ، على اضافة فصل ضاف عن السينما العربية ، وكتابة مقدمة للطبعة العربية .

* اقيمت في الجامعة الامريكية ببيروت حفلة تكريمة لذكرى المربي واصف البارودي .

* صدر مؤخرا عن منشورات عويدات ببيروت كتاب « الناعقان » وهو احدى روائع الكاتب الفرنسي بلزاك الروائية . وقدم لها وراجعها الدكتور شكيب الجابري صاحب « قدر يلهو »

* توفي مؤخرا في لندن ادوارد عطية عن 61 سنة، وهو خريج جامعة اكسفورد ، ومؤلف كتاب « العرب » وذلك بعد اصابته باغماء فجائي ، وهو يلقي خطابا في اجتماع عقدته جمعية خريجي جامعة اكسفورد لمناقشة موضوع مقاطعة العرب للتجارة الاسرائيلية ، وكان الفقيد يدافع عن المقاطعة عندما وقع مغشيا عليه .

* صدر العدد الاخير من « مجلة شعر » في بيروت وبه ختمت المجلة عامها الثامن وتعلن توقفها عن الصدور بعد ان خدمت الحركة الشعرية اروع الخدمات ، ودفعت بالشعر العربي الى الامام . ومما جاء في بيان يوسف الخال صاحب المجلة عن اسباب توقفها ما يلي : « وهكذا اصطدمت الحركة بجدار اللغة ، فاما ان تخترقه او ان تقع صريعة امامه ، شانها شأن المجالات الشعرية التجديدية ، بما في ذلك التوشيح الاندلسي . وجدار اللغة هذا هو كونها تكتب ولا تحكى ، مما جعل الادب « وخصوصا الشعر لانه الصق فنونه باللغة » ادبا اكاديميا ضعيف الصلة بالحياة حولنا . على ان ما حققته حركة مجلة شعر حتى الان كان اساسيا وطبيعيا للوقوف وجها لوجه ، مرة والى الابد ، امام الجدار الحقيقي ، والفاصل بين الشعر العربي القديم ، وبين الشعر العربي الحديث . لذلك تنهي مجلة « شعر » السنوات الثماني من حياتها بالتوقف عن الصدور .

* تنوي حكومة المملكة السعودية عقد مؤتمر حول انشاء رابطة شعوب اسلامية خلال موسم الحج لهذه السنة .

* احتفل ميخائيل نعيمة في الشهر الماضي بعيد ميلاده الخامس والسبعين .

* صدر في بيروت ديوان «شميم العرار» للشاعرة السعودية غادة الصحراء ، ويقع في 172 صفحة مزدان بالرسوم بريشة رضوان الشهال وتقديم جورج غريب .

* فاز بجوائز جمعية اصدقاء الكتاب لعام 1964 « جائزة رئيس الجمهورية التقديرية » منحت للمؤرخ الدكتور اسد رستم « جائزة الدراسات اللبنانية » منحت لادفيك شيبوب عن كتابها « الحرف الشعبية في لبنان » . « جائزة المملكة العربية السعودية » منحت للدكتور شكري فيصل لتحقيق الجزء الثالث من كتاب «جريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الاصفهاني « جائزة مدينة بيروت » منحت للدكتور سابا جورج شبر عن كتابه « العلم وتنظيم المدن العربية » « جائزة الشعر » منحت مناصفة بين يوسف غصوب عن مجموعته « الابواب المغلقة » ورضوان الشهال عن مجموعته « جرار الصيف » « جائزة الكتاب اللبناني » منحت مناصفة بين الدكتور ادمون رباط عن كتابه

لعباس محمود العقاد . « الافيون » رواية لمصطفى محمود « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية» للقائد عبد الله التل . « شعراء الاسكندرية فى العصور الاسلامية » لعبد العليم القباني . « المصري فى ظل الحكم العثماني » لمحمد سيد كيلاني . « قصر على النيل » لثروت اباظة . « شاعرات عربيات » لروحية القليني . «الامام الادريسي وأثره فى الجغرافيا » لمصطفى محمد كامل . « من ادب الجريمة» للدكتور السعيد مصطفى السعيد « علم النفس الصناعي » للدكتور محمد عثمان نجاتي . « تاريخ الطبري » تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم . « ابن المعتز العباسي » للدكتور احمد كمال زكي .

* ستوفد دار الكتب المصرية بعثة الى الدول العربية تصور فيها مخطوطاتها النادرة .

* نوقشت بكلية حقوق القاهرة رسالة الدكتوراة التي قدمها عبد الغني سليم البشري موضوعها « اثر القوميات فى الحركة القومية العربية » وكانت لجنة الحكم مؤلفة من الدكاترة : سليمان الطماري ، وطعمية الجرف ، واحمد كمال ابو المجد .

* عين الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد عميدا لكلية الدراسات العربية بجامعة الازهر .

* محمد احمد محجوب وزير خارجية السودان سيصدر قريبا ديوانه الذي يضم قصائده تحت عنوان « النيل » .

* الشاعر السوداني محمد مفتاح الفيتوري صاحب ديوان « اغاني افريقيا » يعد للطبع ديوانا جديدا استمد موضوعه من تأريخ السودان فى فترة المهدية .

* صدر فى القاهرة ديوان « انغام حالة » وهو الديوان الثاني للشاعرة روحية القليني .

* رشح أعضاء المجتمع اللغوي الشاعر احمد رامي للجلوس على كرسي الشعر الذي خلا بوفاة عباس محمود العقاد .

* افتتحت بالقاهرة اول قاعة موسيقى فى مصر بمعهد الكونسرفتوار « 4 الاف كرسي » اطلق على القاعة اسم سيد درويش . تضم القاعة « أرغنا » ثمنه 10 الاف جنيه .

* اقامت رابطة الادب الحديث بالقاهرة ندوة لمناقشة كتاب «الشعر العربي الحديث فى مأساة فلسطين» تأليف كامل السوافيري وقد تحدث فى هذه الندوة كل من : انور الجندي ، طاهر الطناحي ، عبد الله التل، عبد الله عبد الجبار ، عبد العزيز الدسوقي ، محمد مصطفى الماحي ، مصطفى السحرتي ، ووديع فلسطين .

* يصدر قريبا عن الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة « فى المنقد المسرحي » للناقد فؤاد دوارة .

* كتاب الدكتور طه حسين « الايام » يجري طبعه الان على اسطوانات فى القاهرة .

* « نبضات » مجموعة شعرية للدكتور جمال مرسي بدر ، صدرت فى الاسكندرية وتقع فى 124 صفحة .

* توفى فى القاهرة محمد عبد الواحد خلاف مدير عام التعليم سابقا ، ورئيس لجنة التأليف والنشر .

* كتاب « فنانو الاسكندرية » الذي الفه الاديب السكندري فكري بطرس حصل على الجائزة الاولى « الف جنيه » فى مهرجان الكتاب العربي . والكتاب يتناول حياة جميع الفنانين البارزين ابناء الاسكندرية منذ 120 سنة ابتداء من سلامة حجازي ، وسيد درويش ، حتى ادهم ، وسيف وائلي .

* وافق الدكتور عبد العزيز السيد ، وزير التعليم العالي على اعادة 24 عضوا من هيئة تدريس جامعة الاسكندرية الى جامعة بغداد .

* الدكتور عبد اللطيف حمزة رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة ، والدكتور محمد غنيمي هلال انتدبا للتدريس بجامعة بغداد .

رئيسا ، ومحمود الحوت ، وعبد الرزاق ، البصير وغيرهم ، للاشراف على التخطيط لهذه المجلة .

* تهتم وزارة المعارف السعودية بمشروع تعميم التعليم فى كل مدينة وقرية ، وقد تقرر انشاء مدارس ابتدائية فى عد دمن المدن كخطوة اولى .

* فى الشهر الماضي انعقد فى باندونغ المؤتمر الاسلامي لدول افريقيا وآسيا .

* صرح الدكتور محمد المصدقاني مدير عام التعليم الصناعي بوزارة المعارف السعودية ، بان الوزارة ستوالي ارسال البعثات من خريجي المدارس الصناعية للدراسة فى الخارج لسد حاجة البلاد .

* تدرس وزارتا العمل والتجارة فى السعودية التقرير الذي وضعه الخبراء لانشاء معهد للابحاث والدراسات الصناعية ، تمهيدا لانشاء مختلف الصناعات الصغيرة .

* افتتحت الرئاسة العامة لمدارس البنات بالسعودية اربع مدارس ابتدائية جديدة للبنات فى مدينة الرياض .

* وافق جلالة الملك فيصل على انشاء معهد عال بالرياض للتخصص فى دراسة الفقه الاسلامي به . وقد خصص لانشاء المعهد مبلغ مليوني ريال كدفعة اولى لتغطية نفقات الانشاء والمستحضرات الضرورية .

* قررت وزارة المعارف السعودية افتتاح معهد ثقافي التعليم اللغة الفرنسية ، هذا وقد وصلت معدات المعهد اللازمة الذي سيكون التعليم فيه على احدث الطرق فى تعليم اللغات الحية .

* قررت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية السعودية افتتاح معهدين حديثين للتدريس المهني فى كل من جدة والدمام ، بالاضافة الى معهد الرياض وذلك لتخريج عمال فنيين . وتم الاتفاق بين وزارة المعارف للتعاون فى هذا المجال لتدعيم هذه المعاهد بالمدرسين السعوديين المتخرجين من المدارس الصناعية ، والذين تلقوا دراستهم العالية فى الخارج .

* عهد وزير المعارف السعودية الى وكيل الوزارة للشؤون التعليمية الموجودة حاليا فى باريس اجراء مباحثات مع الجهات المختصة بمنظمة اليونسكو حول امكانية التعاون مع الوزارة لانشاء معهد عال للزراعة بالملكة وايفاد خبير لدراسة المشروع .

* اجرت وزارة المعارف السعودية محادثات مع المسؤولين فى هيئة الامم المتحدة لانشاء معهد للتدريب الفني والتربوي تحت اشراف وزارة المعارف . وقد وافق الصندوق الخاص للامم المتحدة بالمساهمة فى المشروع بمبلغ 9 ملايين ريال مع بذل المساعدات الفنية والعلمية اللازمة لذلك . وقد تم تشكيل لجنة فى وزارة المعارف لمتابعة دراسة المشروع وتحقيقه .

* عين السيد فهد السديري وكيلا لوزارة الاعلام السعودية للشؤون الاعلامية .

* اقيم فى ادلب اول تمثال للزعيم ابراهيم هنانو نحته المثال الحلبي وحيد استانبولي .

* تجري الان مباحثات بين المسؤولين فى وزارة المعارف السعودية لتعديل المناهج الدراسية بكليتي التربية والشريعة .

* مرت فى الشهر الماضي ست سنوات على وفاة الشاعر المهجري ايليا أبى ماضي .

* بمناسبة الذكرى التسعين لميلاد الدكتور البير شوايتزر التي حلت اخيرا ، قررت وزارة البريد فى فرنسا ان تختم الرسائل الصادرة من مسقط راس هذا العالم بخاتم بريدي احتفالا بذكرى ميلاد العلامة الانساني الكبير . ومعلوم ان الدكتور شويتزر يقيم فى افريقيا ناذرا نفسه لمحاربة الامراض الفتاكة ، متطوعا ، باذلا من اجل ذلك ما يملك وما يجمعه من اكتتابات .

* الشمس صامتة » احدث ما صدر فى لندن للاديبة الفقيدة ريما علم الدين . والكتاب يضم روايتين قصيرتين ، ومجموعة من القصص القصيرة ، وقد رحب به النقاد فى بريطانيا .

* توفي فى لندن مؤخرا الشاعر الانجليزي الكبير اليوت ، وهو من اشهر شعراء القرن العشرين عن عمر يناهز 76 عاما . وقد ولد الشاعر اليوت فى الولايات المتحدة من عائلة معروفة فى بوسطن . وتجنس بالجنسية البريطانية . ونال اعلى درجات الشرف العلمية فى بريطانيا والولايات المتحدة . فاز بجائزة نوبل للآداب سنة 1948 . وتلقى الشاعر اليوت علومه فى جامعة هارفارد ، والسربون ، واكسفورد وكان يحمل شهادات دكتوراة فخرية فى الآداب من جامعة اكسفورد وكمبردج وييل ، وبرنتثون وليدز ، وشهادة فخرية فى القانون من جامعة انبره ، وانتخب فى سنة 1952 رئيسا لمكتبة لندن . وقد وضع اليوت عدة دواوين شعرية ، وروايات مسرحية واقتبست الدور السينمائية بعض مسرحياته .

« الوسيط في القانون الدستوري العـام » والدكتـور مصطفى خالدي عن كتابـه « الحمل والولادة » وقررت جمعيـة اصدقاء الكتاب حجب « جائـزة الكويت » و«جائزة العلم » واما جائزة صيدا فلم يتقدم لهـا اي كتاب .

* « ميخائيل نعيمـة الاديب الصوفي » تأليـف ثريا ملحس صدر مؤخرا في بيـروت ويقـــع في 208 صفحـات .

* امين الريحاني سيرته وادبـه » كتاب جديـد جديد للدكتور جميل جبر صدر مؤخرا في 200 صفحة

* اهدت الحكومة اللبنانية وسام المعارف الـى السيدة ايلين بوس عبود للخدمات الكبيرة التي قدمتها خلال 20 سنة في حقل التربية في المدرسة الانجليزيـة في صـور .

* صدر في العراق كتـاب « وادي السـلام في النجف » لعبد الصاحب المظفر ، وهو يبحث عن اوسع مقابـر العالـم .

* بوشر في بغداد بطبع كتاب « ابنية الصرف في كتاب سيبويه » للدكتورة خديجة الحديثي .

* يعد القاص الحلبـي جهاد الكاتب ، دراسـة مطولـة عن الشاعر الشهيـد عمر حمد .

* انهى العالم الحلبـي قاسم احمـد ، كتابـه « فجر العرب » وهو مقدمة ابحاثـه اللغوية التـي شغلتـه زهـاء 17 عامـا .

* قريبا يصدر في بغداد : كتاب « البلاغة عنـد عند السكاكي » للدكتور احمد مطلوب .

* انهى الاديب الحلبي نظار ب. نظاريان ترجمة « انشودة الخبز » للشاعر الامنـي طانييل فاروجان .

* باشرت مطبعة المعارف ببغـداد طبع معجـم للمخطوطات العراقية يتضمـن القسـم الاول منـه : الادب ، والشعر ، والتاريـخ ، لمؤلفه علي الخاقانـي .

* يقوم الدكتور يوسف عز الدين عضو المجمـع العلمـي العراقي بجمع ديوان الشاعر الفقيد عبـد الحسيـن الازري وتحقيقـه .

* يعكف عبد الحميد العلوجي وعبد الجبار محمود على تحقيق كتاب « مطالع السعود» بترجمة الوالي داود الشيـخ عثمان بن سند البصـري من علماء العراق في القـرن الماضـي .

* كامل السامرائي صدر له مؤخرا « مجموعـة قانون العقوبات البغدادي بتعديلاته وذيولـه الاخيـرة و« قانون اصول المرافعات المدنية والتجارية مع ذيله » وهما منشورات مكتبة « المثنى » ببغداد .

* وافق المجمع العلمي العراقي على تحقيـق ونشر كتـاب « المسجد المسبوك » الخزروجي وتحقيق شرح ابن جني على ديوان المتنبـي اعتمادا على النسخة المخطوطـة .

* صدر العدد الاول من السنة الثانيـة من مجلة « التراث الشعبي » في بغداد بشكـل جديد وقد خصص هذا العدد بموضوع « الحرف التقليدية » .

* صدر في بغداد كتاب « شعر المخضرميـن واثر الاسلام فيه » ليحيى الجبوري ، وهو رسالة الماجستير التي تقدم بها الجبوري الى جامعة القاهرة .

* توفي بعد مرض عضال الشاعر العراقي الشهير بدر شاكر السياب ، ويعتبر من افذاذ الشعراء المجددين في الشعر العربي المعاصر ، وقد تأثـر انتاجـه في السنوات الاخيرة بحالته الصحية السيئة التي تدهورت الى حد بعيـد نتيجـة اصابته بالسـل .

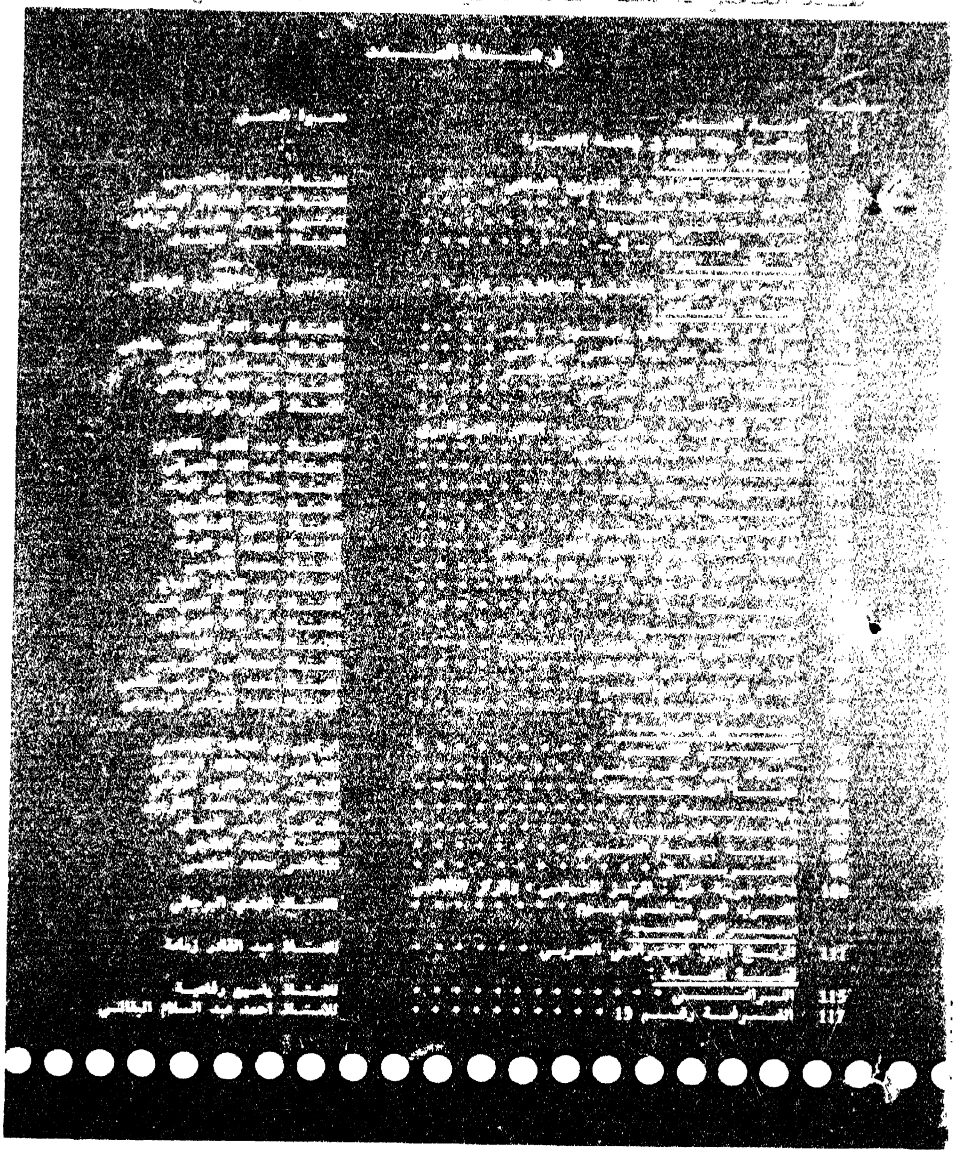
* توفي في بغداد الحاج محمد طه الفياض مؤسس جريدة « الفجر الجديد » البغداديـة . وكان الفقيـد خطيبا مفوها ، وكاتبا لبقـا ، واستـاذا موجها .

* مجلة « المعرفـة » التي تصدرها وزارة الارشاد في دمشق اصدر تعددا خاصا عن المسرح ، يقـع في 47 صفحـة .

* تشكلت هيئة تحرير لمجلة « الكويت » التـي تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية مـن صالـح شهاب وكيل الوزارة المساعد لشؤون الثقافة والنشر ،

دعوة الحق

العدد ... السنة الثامنة ... ذو القعدة ...



مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

كلمة العدد

مؤتمرات ....

تعتبر هذه المؤتمرات الاسلامية التي تنعقد في الاعوام الاخيرة في مختلف انحاء العالم ، مبادرة من الصفوة الممتازة من علماء الاسلام ، مناط الثقة ، ومعقد الرجاء ، الذين فيضهم الله للذياذ عن الاسلام ، وابراز معالمه ، ودلالة على تيقظ الروح الهاجد في كيان الامة الاسلامية ، وتعزيزا لاواصر القربى والالفة والوحدة ، مما يبشر بتجمع القوى الشتيتة في هذا العصر الذي يمتاز بتكتلات وتجمعات على مستويات مختلفة .

ولقد مرت على العالم الاسلامي كوارث دامية ، ومحن شداد ، وآلام فواتن ، تسببت عن جملة أسباب ، لولا مناعته الصامدة التي كانت تقيه عاديات الدهر ، لاصيب منها باسهم جارحة في الصميم .

وكان الله يبعث في كل حالة من يجدد لهذه الامة الاسلامية دينها عن طريق دعاة الاصلاح ينددون بما آلت اليه حالة البلاد الاسلامية من تخاذل وتواكل ، وانحلال وتاخر ، وفرقة وانقسام ، أو عن طريق مجتمعات تنعقد في مؤتمرات اسلامية تستهدف بعث فكرة الجامعة الاسلامية ، منتجع الخواطر ، ومهوى القلوب ، تقوم على الايمان المحض حتى لا يبقى المسلمون اشتاتا وأوزاعا لا تؤلف بينهم وحدة ، ولا يجمعهم نظام .

فلقد انعقد مؤتمر اسلامي في السنة الماضية بالقاهرة حضره ما يربو عن ثمانية وثلاثين دولة ، كما انعقد مؤتمر اسلامي عظيم خلال الشهور الاخيرة باندونيسيا ، وثالث انتظم عقده في القارة الافريقية ، وشهدت المملكة العربية السعودية في هذا الشهر مؤتمرا اسلاميا عالميا في مقر جمعية العالم الاسلامي ضم في رحابه نخبة من علماء المسلمين .

وهذه المؤتمرات الاسلامية تفرضها مبادىء الاسلام ، التي تطلب من ابنائها البحث عن حل مشاكلهم المادية والروحية ، استجابة لما يحتاج في العالم الاسلامي من اشواق نحو الوحدة الجامعة من ابناء الامة الاسلامية حتى يحددوا مكانهم ودورهم في بناء الحضارة الحديثة ، وموقفهم من الصراع العالمي .

فالاسلام في حاجة الى عملية توضيح عملية واعية وهادفة لاقرار السلام الدائم ، واختياره كنظام ملائم .

وهذا عمل يمكن تحقيقه عن طريق هذه المؤتمرات التي ستتمخض عن فكر منظم ، ووحدة جامعة يشع في جنباتها نور الله ...

فعدد المسلمين اليوم ضخم ، ويبلغ نحو ستمائة مليون نسمة ، يتحد في العقيدة والغاية والهدف ، ويتميز عن غيره من الدول بالتجاور في المكان ، والتركز في قلب العالم ، ولم يبق الا ان يعرف المسلمون مكانهم بالنسبة الى هذه التكتلات الموجودة .

العدد الخامس
السنة الثامنة
ذو القعدة 1384.
مارس 1965.

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :

مجلة «دعوة الحق» رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

«دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

محاضرة جلالة الملك بجامعة القاهرة أثناء الاحتفال بمنحه الدكتورة الفخرية في الاداب

« عاشت جامعة القاهرة يوما من اخلدأيامها حيث ربطت فيه ماضيها بحاضرها، واثبتت فيه انها تقـدر دائما العامليـن المخلصين من ابناء العـروبة ، وتعتـرف بفضل المناضلين الابطال ، وقـادة الامـة العـربيـة .

فقد استقبلت الجامعـة فى رحابهـا جلالـة ملـك المغرب الحسن الثاني وارث سر القائد العربي العظيـم الملك الراحل محمد الخامس ، حيث اقامت حفلا تكريميا كبيرا على شرف ضيف الجمهورية العربية المتحدة العظيم جلالة الحسن الثاني ومنحته ديبلوم الدكتورة الفخرية فى الادب تقديـرا لجلالته على الجهـود التي ما فتيء يبذلها حفظه الله لاشعاع نور الحركة الادبيـة ،واحياء التراث العربي ، ورعاية الدراسات الاسلامية ، وتقديرا لجلالته على السياسة الرشيدة التي يسلكها لتوثيـق عـرى التضامـن العربـي

وكان الطلبة يهتفون بصوت واحـدوبشعارات وطنية كانت كلها تفيض ترحابا بالقائد المغربي المظفر ، وتفيض كلها حماساوغيرة على الوحدة العربية والاخاء العربي

وقبل القاء المحاضرة المألوفة الاعتيادية ، والخطاب التاريخي القيم ، ارتجـل حفظه الله كلمة عامرة على الطلبة ، وممـاجـاء فيهـا :

« معشر الطلبة ، ان لقاءنا هذا ايقظ في لواعـج من الحنين الشديد وذكريات قوية وعميقة ، وانـنـي واقف بينكم ارجع بذكرياتي الى ذلك العهـد ، ذلك العهد الحماسي الذي اراد الله سبحانـه وتعالى ان يشرف به جيلي ، ذلك العهد الذي كنا فيه فى ءان واحد نسعى الى طلب العلم ونجاهد فى سبيل بلدنا ، وقـد ادركنا منذ ذلك اليوم نحن الطلبة فى المغرب ، مثـل ما ادركتم انتم الطلبة فى المشرق : ادركنا ان الحيـاة جهـاد مستمـر ، وانـه كمـا قـال الحكيـم العربـي « لا حـد للكمـال ولا نهـايـة للفضيلة » فلا شك ان جيلنا سوف يطبع تاريخـه ، وسوف يطبع وقته ، ولا شك من انه سوف يربـي الجيل القادم على احترام الشدات وعلى رفع المشعل، ذلك المشعل المقدس الذي من اجله فى مشارق الارض ومغاربها دفع الثمن غاليا .

وقبل ان القي عليكم المحاضرة المألوفة الاعتيادية اريد ان امنح نفسي حرية ، وهي ان اصبح معكم مثلكم وانا طالب فأقول : عاش طلاب العرب ، عاش طلاب العرب ، عاش طلاب العـرب

بسم الله الرحمـن الرحيـم

والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين

فخامة رئيس الجمهورية ، سيادة مدير الجامعة، حضرات الاساتذة والعلماء ، اخواني الطلبة .

ان الذاكرة لترتد بنا خمسة اعوام الى الوراء ، يوم جاء والدنا المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه، يوم جاء الى الحرم الجامعي ، ليتسلم فيـه شهـادة الدكتوراة الفخرية من هذه الجامعة ، التي طار بذكرها الركبان ، وعم اشعاعها القاصي والداني فى مختلـف

والاسلام يعيش اليوم فى حركة دائبة ، ونمو مطرد ، وكانه يبحث عن نفسه كقوة ذات تاثير سياسي فى العالم ، يشهد لهذا ، هذه المؤتمرات الاسلامية التي تعقد ، هنا وهناك ، فى اطراف المعمور .

وهذه المؤتمرات الاسلامية هي التي تبلور فكرة الاسلام في هذه المرحلة الحاسمة في عصرنا الحاضر .

فالاستعمار لم يلق سلاحه بعد ضد الاسلام والمسلمين ، فهو يناصبه العداء ، ويضمر له البغضاء ، ويحاول جاهدا تخدير حيويته فى المسلمين ، ويشجع البدع الطارئة عليه ، وينعش الرواسب التي كدرت صفوه ، وغايته من ذلك كله ، ان لايبقى للمسلمين من الاسلام الا عنوانه، وبعض رسومه مجردة من روحها وحيويتها ، أو حتى يصبح الدين كما يقال : ((قد أخلق لبوسه ، وأوحش مانوسه ، واقتلع مغروسه)) .

فرسالة الاسلام فى عالم اليوم منتزعة ومستمدة من جوهره ، وحقيقة مبادئه السامية العامة ، وهي تتغيى الدعوة الى الاخوة الانسانية المطلقة فى عالم اليوم ، المليء بالاحقاد والحزازات والسخائم ، وبالاسباب التي تهدد العالم الاسلامي فى كل لحظة ، كما تستهدف العمل من اجل ثقافة عصرية جديدة هادفة مثالية ، والكشف عن الحضارة واعمالها فى خدمة شعوب العالم ، ونشر مفاخر الاسلام ، ومواطن الامم الاسلامية ، ومسارح الثقافة العربية فى خدمة الشعوب التي تفيأت ظلاله ، وكل ما اسداه اليها الحكم الاسلامي من نهضة وتقدم ، ورقي وحضارة ، لان الاسلام بطبيعته ((نور من الله ، وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)) .

والاسلام لا عيب فيه ، ولا ينقصه شيء من مقومات الحضارة ، بل هو الموجد اليه من تطور وتقدم وحضارة ، ولا زالت اصوله الفكرية والروحية تحمل الى العالم الامن والرخاء والسلام .

والاسلام لاعيب فيه ، ولا ينقصه شيء ن مقومات الحضارة ، بل هو الموجد لأعلى أنواع الحضارات .

فاذا كان هناك انحراف ، واذا كان هناك تخلف ، واذا كان هناك تخاذل ، واذا كانت هناك عيوب ، فهي نتيجة تفكيرنا واعمالنا وسلوكنا نحن المسلمين وليست نتيجة الاسلام .

ــ والذنب للطرف لا للنجم في الصغر ــ

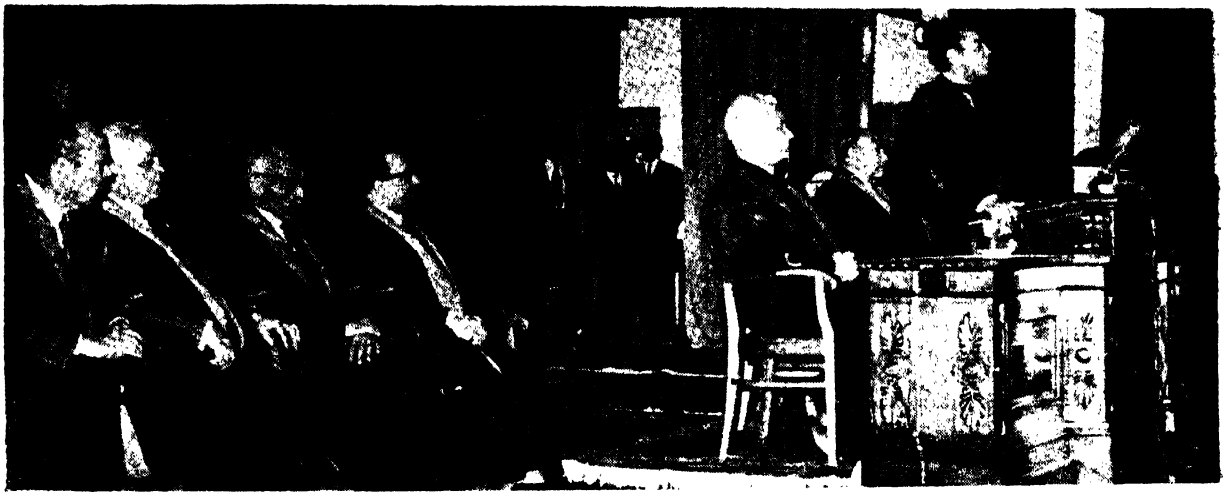
وعلينا اذا اردنا ان ناخذ مكاننا من جديد فى قيادة الانسانية ، ونملك زمام الدنيا ، وان نخرج من هذه المؤتمرات بنتائج عملية ايجابية ، ان نعتقد مومنين ما يراه شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال الذي يومن بان المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه ، ويملي عليها ارادته ، لانه صاحب الرسالة ، وصاحب العلم ، ولانه المسئول عن العالم وسيره واتجاهه ، فليس مقامه مقام الاتباع والتقليد ، ان مقامه مقام الامامة والقيادة ، ومقام الارشاد والتوجيه ومقام الآمر والناهي ، فاذا عصاه المجتمع ، وتنكب عنه الدهر ، وتنكر له الزمان ، وانحرف عن الجادة ، لم يكن له ان يستسلم ، ويضع اوزاره ، ويسالم الدهر ، ويركب فى القناة سنانا ، بل عليه ان يثور ، ويتمرد ، ويتعنت ، ويظل فى صراع معه ، وعراك مستمر مستديم ، حتى يقضي الله امرا كان مفعولا ....

ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ....

دعوة الحق

من العالم العربي بل ظلت جزءا من ترابهم ، وركنا في صرح ثقافتهم ومدنيتهم ، وكانت على بعد الدار ، وسعةالمزار ، اداة تأثر وتأثير ، فلم تنقطع صلات قوية بين علماء المشرق وعلماء المغرب اذ كانوا يتكاتبون ويتراسلون ويتحاورون ويتشاورون ويستفتي بعضهم بعضا فيما كان يعن من قضايا ، ويعرض من نتائج ، ويتهادون الدواوين ، ويتبادلون المؤلفات ويرحلون من قطر الى قطر للسماع والرواية والاخذ والدراية لا تقف دونهم حدود ، ولا تحول بينهم سدود ولا قيود . وبالاضافة الى ما لهؤلاء العلماء الاجلة الامجاد . والادباء النوابغ الافذاذ من فضل في الميادين العلمية واياد ناصعة بيضاء في المجالات الادبية فان فضلهم في الحقل السياسي وفير ، واثرهم في حفظ الكيان العربي كبير، ففي الوقت الذي تمزق فيه اديم الامة العربية ، وبليت جدتها،واستحالت اقطارها الشاسعة،وممالكها الواسعة، الى دويلات صغيرة ، وامارات ضيقة متصدعة البنيان متداعية الاركان . وفي الوقت الذي اضاع فيه العالم العربي سيادته ، وفقد حريته ، ولم يفلت منه من السيطرة الاجنبية غير المملكة المغربية ، اطال هؤلاء العلماء باللسان نفسا . وابقوا لثقافتهم رمقا ، وكانوا دوما في الطليعة يذودون عن الكيان العربي ويحرصون على مقاومة الكائدين له . والساعين في تقويضه . والقضاء عليه ، وانه لحلي لجامعاتنا ومعاهدنا واساتذتنا وعلمائنا ان يضاعفوا الجهود لدراسة اثار هؤلاء العلماء وبعثها من مرقدها واستكشاف ما فيها من نظريات قيمة وءاراء صحيحة راجحة لابراز فضل العرب على المدنية الحديثة وادراك الاسرار التي حفظ بها علماؤها كيان العرب من الانهيار . ولسانهم من الاندثار ، والاستعانة بها على توثيق العرى الجامعة بين الشعوب العربية وتوجيهها نحو الوحدة المنشودة ، وقد تيسر اليوم من الوسائل العلمية واسباب النشر والاعلان والاتصال ماهو كفيل بتقريب الابعاد ، وتذليل الصعاب، وتوحيد مناهل العرفان ، وسبل التهذيب والتكوين والتثقيف ، وما هو خليق ببعث الامة العربية من جديد متوازية الخطى ، متناسقة الجهود في هذا المضمار لا اختلاف بين مشرقها ومغربها ولا فرق بين قاصيها ودانيها ، وهذا ما دابنا من جهتنا في المغرب على العمل له والسعي فيه منذ استرجاعنا لحريتنا واستقلالنا بما ننشيء من مدارس ومعاهد ونشيد من كليات وجامعات ونبث من علم وعرفان في مدننا وقرانا ونربط حاضرنا بماضينا ونعد من شبابنا بالاضطلاع بنشر ثقافة امتنا العربية ولمواصلة اداء رسالتها السامية حتى استطعنا ان نحقق في هذا المجال اعمالا جليلة وننجز مشاريع مفيدة ، الا اننا الى جانب ما نقوم به في هذا السبيل كملك لشعب ورئيس لدولة له مسؤوليات وعليه تكاليف نقوم باعتبارنا مواطنا يعتز بانتسابه الى الامة العربية ويشعر بالواجب الذي عليه حيال تراث الاباء والاجداد وابراز محاسن ثقافتنا واظهار عبقرية امتنا وتقريب موارد المعرفة من الراغبين في ورودها والنهل من مناهلها وقد انشانا لهذا الغرض مطبعة خاصة تنشر نفائس الكتب ، وغرائب المؤلفات ، كما شرعنا في ترتيب كتب الخزانن الملكية ووثائقها ونظمها في سلك مكتبة ستكون في نهاية الصيف المقبل بفضل الله في متناول الباحثين والمثقفين يجدون فيها من التصانيف القيمة والدواوين النادرة المنسوبة الى اشهر العرب والمسلمين وادبائهم ما يضيف الى التراث العلمي العربي ثراء طريفا الى ثرائه التليد ويتحف جوانب لا تزال الى الان غامضة عن عبقرية امتنا ونبوغها .

فخامة رئيس الجمهورية ، سيادة مدير الجامعة حضرات الاساتذة والعلماء ، اخواني الطلبة : اشكر جزيل الشكر واسناد **مجلس ادارة جامعة القاهرة على تفضله لمنحنا الدكتورة الفخرية في الادب كما نشكر السيد مدير الجامعة على كلمات الترحيب وعبارات** التنويه المشفوعة بالاعتبارات التي حدت مجلس جامعة القاهرة الى اتخاذ هذا القرار والبواعث التي حفزت الى اقامة هذا الحفل التكريمي الذي ستبقى صورته ماثلة في ذهننا عالقة بذكرياتنا وان طالت الايام وامتدت الاعوام ، واذا كان خير الاثار اثر منمي الى العلم ويرتبط بالعرفان فان هذه الشهادة التي نتسلمها اليوم منكم بمزيد المسرة والابتهاج ستحتل مكانا مرموقا بين ذخائرنا وتكون لنا حافزا على مضاعفة الجهود وموالاة الخطى في الميدان الثقافي والعلمي بالقدر الذي نعتقد اننا ارضينا به طموحنا ونعتزم معه اننا حققنا امال السادة العلماء المحترمين الذين طوقوا جيدنا بهذه المنة وصدقنا من الوجهة العلمية والثقافية ما حسنوا فينا من ظنون والله نسأل أن يديم صرح هذه الجامعة سامقا ، وحرمها ءامنا ، ويبقيها مثابة لرواد المعرفة ، وعشاق الثقافة ، كما نسأله جل وعلا ان يحفظ امتنا العربية من كل مكروه، ويقيها كل محظور ، ويجمع كلمتها على الحق ، وياخذ بيدها في ما تنشده من عزة ومناعة ، وسؤدد وكرامة ، الى اهدى صراط ، واقوم سبيل ، والسلام عليكم اصدقائي ورحمة الله .



جلالة الملك يحاضر بجامعة القاهرة أثناء الاحتفال بمنحه الدكتوراة الشرفية فى الآداب

البلدان ، فتكريمكم اليوم لشخص ولده ، وخلفه في جهاده ، سلسلة عرفت فى هذا الحرم ، ومكرمة اثيرت بين هذه الرحاب الشريفة عن الحفيظ الاكرم ، وبالاضافة الى ما يخامرنا فى هذه اللحظة من عواطف المسرة والاعتزاز والافتخار ، فاننا لنشعر شعورا خاصا بما يعبر عنه هذا التكريم ، ويدل عليه هذا التقدير ، فاذا كان من تقاليد هذه الجامعة ان تزكي جهود الوافدين على هذا القطر الحبيب ، ممن عرفوا بطول الباع وضربوا بنوع من الانواع بسهم فى نشر الثقافة . وتثبيت دعائم العرفان ، فان التزكية التي تحظى بها اليوم جهودنا المتواصلة لا تنحصر فى شخصنا ، ولا تقف عند حدود ما اسهمنا به باعتبارنا ملكا لقطر شقيق ، فى ميدان المعرفة ومجالس العلم والتثقيف ، بل تشمل المغرب الاقصى بأجمعه ، ذلك الجناح من العالم العربي الذي كان وما يزال شديد الحرص على عروبته وتوثيق الصلة بشؤون الثقافة ايا ما كانت مصادرها ومنابعها ، قوي الرغبة فى الاخذ والعطاء الجميل فى الاستكشاف والاستجلاء ، محمود المسعى فى البذل والسخاء . لقد اعتنق المغاربة الاسلام طوعا واختيارا ، ورضى واستبشارا ، اذ حمل اليهم هذا الدين الحنيف من مكارم الاخلاق ، وسليم المبادىء ، وصحيح الاحكام ، وقويم النظم ، ما سعدوا به افرادا وجماعات ، واقبلوا على العربية لغة القرآن ، يتدارسونها ، وعلى فنونها يتعلمونها ، ويعلمونها ، وما لبثوا ان لمسوا ما فيها من المرونة والاقتدار على التعبير عن ادق الصور المادية والخلجات النفسية ، واستمسكوا بها لسانا قويما مبينا فاحبوها حبا مكينا، ولما وصلت اليهم من المشرق ثقافة الاسلام ، وعلوم العربية ، ومعارف الامم المتقدمة ، استوعبوها واتقنوها وتناولوها بآرائهم وافهامهم فأكملوا ناقصها ، واوضحوا غامضها ، وفصلوا مجملها ، وهذبوا حواشيها ، وزادوا ببحثهم وجدالهم وتخيلهم وافتراسهم فى غناها وثروتها ، لم يكتفوا بذلك ، بل اضفوا عليها من حلتهم، وطبعوها بطابعهم ، حتى صارت لهم مدارس مذكورة، ومذاهب مأثورة فى علوم الدين ، وفنون اللغة والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والتاريخ والفنون الشعبية ، وحتى صارت جامعة فاس ومراكش وسبتة ومعاهد الاندلس التي عاشت طيلة عصورها الاسلامية تحت حكم المغرب اي فى كنفه تضاهي جامعات اقطار الشرق العربي ومعاهده ، وهل يمكن ان يذكر اعلام فكرنا العربي وتراثنا الاسلامي دون ان يذكر من بينهم او فى طليعتهم الحافظ الجدلي ابن حزم والمؤرخ ابن خلدون ، والفيلسوف ابن رشد . والطبيب ابن زهر ، والرياضي ابن البناء ، والجغرافي الادريسي، والرحالة ابن بطوطة ، والمجازي ، والفساني ، والمفكر ابو حيان والمحدث ابن رشيد ، والفقيه عياض ، ام هل يمكن ذكر العربية وادبها دون ان يذكر : ابن مالك وابن اجروم ، وابن هانيء وابن زيدون ، وابن سبيه وابن المرحل ولسان الدين ابن الخطيب والفتح بن خلكان وابن سعيد وابن بسام والفشتالي والمقري ، والفزالي وغيرهم ممن يطول تعدادهم من كل عالم لبيب ، وشاعر اديب وضارب فى مختلف العلوم والفنون بسائر المتن ، على ان العلوم الاسلامية والفنون العربية وان صارت فى الجناح الغربي من العالم العربي ، تلك المدارس التي تعرف بها والطوابع التي تتسم بها لم تنقطع صلتها بالعلماء العرب والمسلمين وفنونهم فى الجناح الشرقي

كما يباح اكل الاموال عن طريق الهدايا والتبرعات والصدقات والوصايا ضمن الحدود التي اقرتها الشريعة الاسلامية، اما ما يقع تناوله عن طريق المعاوضات والتجارات فيجب ان يكون على طريقة عادلة وذلك بمراعاة حق المنتجين والمتاجرين والمستهلكين كما اسلفنا .

ومن توجيهات التشريع الاسلامي في هذا الموضوع منع الاحتكار اي حبس السلع عن البيع بعد جمعها من الاسواق حتى ترتفع اثمانها ، ومثل الاحتكار في اللغة الحكرة بضم الحاء وسكون الكاف كما في الحديث الذي رواه الحاكم واحمد عن ابي هريرة من احتكر حكرة يريد ان يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء اي آثم ، وروى الائمة احمد ومسلم وابو داود عن معمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يحتكر الا خاطىء ، وروى الطبراني في الاوسط والكبير عن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : من دخل في شيء من اسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله ان يقعده بعظم من النار يوم القيامة ، والعظم بوزن فقل اي بمكان عظيم من النار .

ومن المعلوم من هذا النص ان من ادخر لأهله قوت سنتهم وكسونهم لا يسمى محتكرا ، وقد كان النبي نفسه يفعل ذلك ولا ما بعمنه الا اذا كانت مجاعة بالناس فقد فنيت مؤونة المجاهدين في احدى سرايا الجهاد الا قليلا منها فجمع الصحابة ذلك القليل وصاروا يوزعونه ثمرات على كل شخص بانتظام .

وكذلك الشأن في الملبوس ، قال القاضي حسين وهو احد ائمة الاسلام : «اذا كان الناس يحتاجون الثياب ونحوها لشدة البرد او لستر العورة فيكره لمن عنده ذلك امساكه » ، قال السبكي ان اراد كراهة تحريم فظاهر ، وان اراد كراهة تنزيه فبعيد ، وهذا ظاهر في ان السبكي يرى تحريم امساك الثياب الفاضلة عن الحاجة وقت حاجة الناس اليها ، قال الشوكاني صاحب كتاب « نيل الاوطار » والحاصل ان العلة اذا كانت هي الاضرار بالمسلمين لا يحرم الاحتكار الا على وجه يضر بهم ، ويستوي في ذلك القوت وغيره لانهم يتضررون من الجميع .

ثم اذا منع ولاة الامور الاحتكار لانه يضر بالجمهور فهل تحدد الاسعار في جميع مرافق الحياة لان المصلحة العامة تقتضي ذلك ام يترك الناس احرارا في بيع امتعتهم وتحديد اجور اعمالهم وتقدير كراء امكنتهم . ؟ ؟

ظاهر الحديث الصحيح ان الناس يتركون احرارا من غير تسعير او تحديد ، ففي البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال : « غلى السعر على عهد رسول الله فقالوا يا رسول الله لو سعرت فقال : ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، واني لأرجو ان القى الله عز وجل ولا يطلبني احد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال ، والى هذا ذهب الجمهور وفي وجه للشافعية جواز التسعير في حالة الغلاء ، وذهب مالك الى جواز التسعير ، فقد يقال ان الحديث يرد على الشافعية في الوجه الذي ذهبوا اليه ، كما يرد على مالك في حالتي الرخاء والغلاء كما قاله ائمة الحديث الا اننا اذا نظرنا الى ما يعترض الحياة البشرية من اطوار اجتماعية تكثر فيها الرأفة بالناس والرفق بالمعاملات احيانا ، فلا يستغل الاغنياء والمتاجرون فيها اضطرار الناس والضعفاء ، وهذا ما نظن الحالة كانت عليه في عهد الرسول لشدة تمسك الناس بتعاليم الدين فيها .

كما تقل الرأفة والرفق في المعاملة احيانا اخرى فتستغل الرأسمالية الخبيثة حاجة الناس وتتكالب عليهم لترضي مطامعها وانانيتها ، وهذا ما نظن ان الحالة كانت عليه بعد ذلك حتى قال الامام مالك بجواز التسعير في حالتي الرخاء والغلاء ، بحيث لو كان النبي عليه السلام حيا وشاهد الرأسمالية تلعب ادوارا خبيثة في المجتمع البشري لشرع لها تشريعا حكيما يحد ويقص من بعض اطماعها وانانيتها ، ولرأى ما تغالت فيه هذه الرأسمالية من باب اكل اموال الناس بالباطل المنهي عنه في كتاب الله العزيز ، ويصح في هذا الموضوع الاستشهاد بالقاعدة الهامة التي نطق بها ذلك الخليفة العادل عمر بن العزيز حيث قال : تحدث للناس اقضية اي احكام بقدر ما احدثوا من الفجور .

واذا رأى العمال انهم مظلومون في عملهم حتى وقع تحديد اجورهم وعمات الحكومة على تحديد كثير من الاسعار في الامور الحيوية كما عملت في وقت الحرب على عدم الزيادة في اكرية محلات السكنى والتجارة واتى عملها في جميع ذلك بفوائد جمة ، افلا يكون من المناسب والاصلح تحديد الحد الاعلى لاثمنة الاشياء بالنسبة للمنتجين في الماكولات والمشروبات والالبسة وكراء البناءات وتحديد الحد الاعلى للربح بالنسبة للمتاجرين في جميع هذه الاشياء ، وتحديد رخص الجلب مع تعيين نوع السلع التي هي امتن واوفق في الثمن من البلدان الخارجية ويستعان على ذلك بما يشير به الملحقون التجاريون لمختلف السفارات المغربية في الخارج بعد الدراسات الوافية التي يقومون بها لمختلف السلع ومقابلة بعضها ببعض في الاماكن المعينة لذلك .

ان هذه الاجراءات هي ما تقضي بها مصلحة الامة العليا وترضاها هذه الامة المغربية المسلمة تحقيقا لقول الله تعالى « الا ان تكون تجارة عن تراضي منكم » والله ولي التوفيق .

الرباط : محمد الطنجي

دراسات إسلامية

توحيد المبادلة التجارية في التشريع الإسلامي

للأستاذ: محمد الطنجي

لعل تبادل الاشياء والمنافع من ظواهر التعاون الاولى بين افراد المجتمع البشري ، سواء بتبادل الناس ذوات الاشياء وممتلكاتهم من غير واسطة الدراهم والنقود ، كمباذلة الماكولات والملبوسات والاراضي والدور وغير ذلك بما يماثلها او يخالفها في جنسها او نوعها ، او تباذلوا المنافع بغيرها من ذوات او منافع ، كجعل صداق البنت مثلا عملا من الاعمال كما حكى الله عن نبيه شعيب حين اراد تزويج بنته من موسى عليهما السلام في قوله :«اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج » ، او كانت مباذلة الاشياء المذكورة تقع بواسطة النقود الذهبية او الفضية او النحاسية او بالاوراق البنكية المصرفية كما وقع في العصور الاخيرة ، حيث صارت كل الاشياء من الذوات والمنافع تقدر بالمال ، وحيث جعل المال قيما لها قال الله تعالى في النهي عن افساد المال وتبذيره : « ولا تاتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قيما » واذا انتقلنا من المباذلة الصغيرة بين افراد المجتمع الى التعاون الاقتصادي بين الامم نجده قائما على التباذل الضخم في المواد الخامة وكميات المصنوعات ومختلف الانتاج الحاصل من الثروة الحيوانية والنباتية والمعدنية .

ومن المعلوم ان لكل امة تشريعات خاصة تتعلق بالتجارة المحلية وبالتصدير والايراد في المبادلات الخارجية من حرية الجلب والبيع او تقييد ذلك كلا او بعضا حسب ما يراه ولاة الامة من مصلحتها ، فما هو التوجيه الصالح الذي يكفل مصالح العمال المنتجين واصحاب المعامل من جهة ومصالح المتاجرين والجالبين من جهة ثانية ، ومصالح المستهلكين من جهة ثالثة . لا يخفى ان العدالة بين الجميع لا تتحقق الا بمراعاة هذه الجهات الثلاث وما روعي جانب واحد دون غيره الا وقع الضرر بالجانب الذي لم تقع مراعاته في الغالب ، حيث ان جل الناس لا يراعون الا مصالح انفسهم . وما كان للشرائع السماوية او القوانين الوضعية ازاء هذه الحاجات الضرورية للمجتمع الا ان تقر هذه المبادلات المشروعة وتدخلها في اطار العدالة العامة وتترك لولاة الامور الذين بيدهم صيانة مصالح الجمهور كيفية السير بها في طريق تراعى فيه الظروف والاحوال ، لسن التشريعات المتممة لحفظ مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم .

والمسلمون يجدون في القرآن العزيز آيات توجههم وجهة صالحة في المعاملات التجارية ، منها الآية التي اشرنا اليها في عنوان هذا الحديث والتي ترسم الخطوط الكبرى في افق العدالة الاعلى للمعاملات العادلة بين المسلمين ، قال الله تعالى : (يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ، الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) ، فالنهي في الآية تعلق بالاموال لانها قيم الاشياء والمنافع ، ولا يبعد تعريف المتقدمين للمال عن تقدير المتأخرين ، فقد رسمه ابن العربي بانه ما تتعلق به الاطماع ، ويعتد به الانتفاع ، وقال انه يترتب عليه ان منفعة الرقبة في التجارة مال ومنفعة التعليم في العلم كله مال، اما الباطل فهو ما لم يكن في مقابلة شيء حقيقي يعتد به ، فالنهي يتناول في الآية كل ما يعده الاسلام من الباطل المحرم كحلوان الكاهن لحرمة الكهانة ، ومهر البغي اي اجر الزانية لحرمة الزنى ، وثمن الخمر والخنزير وربح الميسر او القمار لتحريم الاسلام لكل هذه الاشياء وما شابهها كالرشوة وهدية الشفاعة عند الحكام .

اما القسم الثاني مما اشارت اليه الآية الكريمة واخرجته من النهي فهو ما بعد الاستثناء في قوله : « الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » .

وذلك جميع الماكولات والمشروبات الحلال والملبوسات ومنافع السكنى والاجارات .

من الغريب ان يلتقي الغرب بالشعوب المنحطة في بعض تلك المظاهر الانحطاطية لانه منحدر نحو المصير المحتوم بعد ان وصل الى شوط بعيد في المرحلة الانتقالية من الحضارة الى التدهور . فانه لما يبعث على الحزن ان نجد شعوبا فتية تحاول ان تتخلص من الاستعمار فلا تكاد تستلم وثيقة استقلالها حتى تفتح قلبها له ، وتعلن في ذات الوقت استسلاما عاما لعاداته واخلاقه ، وتعتنق نظرياته في حل مشاكلها .

ان الرقص الجنسي المنحل الذي يشاهده المرء في سراديب وحانات بعض بلداننا ليشبه ذلك الذي يشاهده في حانات وسراديب اوربا وامريكا الا ان الفرق بين المظهرين : انه في الغرب نتيجة تطور طويل ، وعندنا قفزة من « انحطاط » الى « انحطاط » دون تطور او مقدمات .

وان القول بأننا في فترة انتقال ، واننا لا بد ان نجرب، وان هذه المرحلة ضرورية لشعب كان مغلوبا على امره فاصبح يشعر بالحرية ـــ ان هذا القول يدل على سطحيةواستهتار بالفكر، وانه يشبه القول بوجوب تعريض الشخص الى تجربة الموت . كي يستفيد من ذلك ان عاد للحياة . وهنا تحضرني طرفة معبرة : عند ما مثل مجرم خطير امام القضاء وسمع من القاضي الحكم عليه بالاعدام ، قال امام الجميع : ان هذه تجربة تنفعني في المستقبل

نحن امة شابة يجب ان تعيش شبابها لا ان تقلد مدنية قد دبت في جسمها عوامل الشيخوخة ، وتهرأت روحها فاصبحت لعنة على البشرية . ان مدنية تسهم في ابادة الشعوب وتتواضع على استعباد العالم عن طريق القروض « والفنية » ونفسو على الانسان لمجرد انه ملون ، وتتحلل فيها الاسرة تحللا مخيفا ، وترتفع فيها ارقام اجرام الاحداث ونسبة عدد الابناء غير الشرعيين لهى مدنية يجب تطهيرها والاجهاز على الجوانب الفاسدة منها وانقاذ اصحابها من شرورها وامراضها بله الاستسلام لها وتقليد تعفناتها .

اننا في بداية الطريق ويجب علينا ان تكون لدينا القدرة على الاختيار لنختار الطريق الذي يجب ان نسيره . وان الاختيار يفرض علينا بادئ ذي بدء التخطيط الثقافي والبعث الحضاري ، واثارة الاجواء النفسية والروحية لبث مضمون ذلك التخطيط وفلسفته في النفوس والارواح . هذا التخطيط يجب ان يكون منبثقا من ضمير الامة وتاريخها ومستلهما اساسا عوامل تفجير طاقاتها الروحية على ضوء تجاربها خلال حياتها . وان كل تخطيط او دعوة تتجاهل هذه الحقيقة وتتخطى هذه البداهة انما « تعوق » سير الامة وتضيع عليها الوقت وتساعد على امانتها ، وبالتالي على بقائها دائما في ركب المتخلفين .

ان اهمال الامة وتركها عرضة للتأثيرات الاجنبية ، دون ان تكون لها اية فكرة سليمة عن دينها وحضارتها ، معناه جعلها تواجه مصيرا ككل مصير المآسي .

وان المجتمع الذي كان ينطوي على خصائص الصمود ضد « الخارج » قد اصبح يندثر شيئا فشيئا بمحاسنه ومساوئه ، والمشكلة اليوم اننا امام مجتمع جديد ينشأ في ظروف جديدة ، ليست له حصانة آبائه ، كما انه لا يملك « ايديولوجية » فهو لذلك لا يستطيع الصمود كما لا يقدر على الابداع والتكوين لانه فاقد لعناصر الصمود والابداع معا . ولذلك فاننا مدعوون بالحاح الى التخطيط الثقافي على اساس فكرة هذه الامة والى اغتنام فرصة استعداداتها ...

اننا ان فعلنا ذلك ، سنكون قد اتجهنا نحو انطلاقة مستقيمة .

تطوان : عبد السلام الهراس

— الولد النبيه —

نظر المامون الى ولد له صغير ، وهو ينظر في كتابه فقال : يابني ، ما كتابك ؟

فقال : بعض ما يشحذ الفطنة ، ويؤنس الوحشة
فقال المامون : الحمد لله الذي رزقني ذرية يرى بعين عقله ، اكثر مما يرى بعين وجهه .

نحو انطلاقة ثقافية مشرقة

للاستاذ : عبد السلام الهراس

انه تمر بالامم ظروف وفرص مناسبة لتربية الاجيال في محيط ثقافي خلاق ، وفي تلك الظروف تزرع بذور النهضة والحضارة وهناك يتحدد مصير الامة ونوعه . والقادة الواعون هم الذين يحسون بابان تلك الفرص ، فيبادرون الى بناء الارواح والانفس والعقول ، ويشكلون الطليعة والجماهير في اطار من الفعالية والاندفاع البناء الخالد عن طريق اشاعة ثقافة قومية سليمة تستمد عناصرها من عقيدة الامة ونبع حضارتها الفياض .

ومن سوء حظ بعض الامم انها تبتلى احيانا بقيادات نسجت ثقافتها وافكارها على انوال وبخيوط اجنبية ، ولذا فهي لا تحس بمكامن القوة والاندفاع في كيان امتها وبالتالي تجهل ، الجهل كله مزاج ومشاعر شعوبها ، حتى اذا تهيأت لها فرصة بناء امتها ، اضاعتها بكل بلادة وغرور . وهكذا ، تزداد مشاكل الامة في ظل هذا النوع من القيادات ، وتتعقد ويضطرب سيرها ، فتتهرب هذه القيادات ، الغريبة عن امتها ، من المسؤولية ، وتبتدع « متهمين » عن هذه الاوضاع ، وقد يكون الشعب ، احيانا متهما في نظرها ، تعتقد ذلك مع نفسها وان لم يكن لها الشجاعة لاعلانه ، او قد تندفع ، تحت جنون الحماس او بمقتضى خطة التهريج ، الى الحملة على « الاستعمار » في وقت تكون ، في الحقيقة ، هي المتهمة (بفتح الهاء) . وكم بددت مثل هذه القيادات من فرص عظيمة فرزأت شعوبها في نهضتها وتطورها .

واذا كانت فرص الحمل واللقح تتكرر ، فان فرص اللقح الحضاري قلما تتكرر ، وكذلك تجديد ذلك اللقح . ومن ثم كان ضياع تلك الفرص من اشد انواع الكوارث التي تحل بالامم والشعوب .

وقد ينعم الله على امة ما ، بخصيصة دوام الاستعداد بتجديد نفسها ، وبظهور تلك الفرصة عبر تاريخها ، واستجاباتها السريعة للنهضة واستدراك ما فاتها ، ولعل الامة الاسلامية من هذه الامم ، فهي لم تستنفد بعد ، الاستعداد للنهضة ، واستعادة مكانتها التاريخية ، شرط ان تهيأ لها الظروف والاجواء التي تفجر طاقاتها . ومن المحزن حقا ، ان يكون الاستعمار واعداء الاسلام ادرى بهذه الحقيقة منا ، فيخططون لتخريبنا على ضوء تلك الحقيقة .

وان هذا الاستعداد ليبدو واضحا متوهجا نشيطا في بعض الفترات الخطيرة التي تمر بنا ، ولكننا نهمله او نستفيد منه بمقدار تافه ، دون ان ندرك مدى قيمته، وذلك ما يسمى بالسفه .

وضياع مثل هذه الفرص للبناء لا يعني بقاءنا نحن فقط بل يعني ، اخطر من ذلك ، تعريضنا لمضاعفات امراضنا الاجتماعية ، عن طريق تأثراتنا للجانب المرضي من المدنية الغربية التي اصبحت تحيط بنا من كل جانب ، وتحاصرنا في كل مجالات حياتنا وتهجم علينا عن طريق الصحافة والتلفزة في عقر بيوتنا .

ان محاولات « اكراهنا » على « نسخ » وتقليد الحضارة الغربية لبدل على الجهل المطلق بأبسط الحقائق الاجتماعية والتاريخية . ويزيد في نفس الوقت ، في تعقيد المشكلة .

اننا امة في بداية الطريق ، لم نعان ما عانته اوربا من مشاكل ، ولم نعش ما عاشته من تطورات . ولذا فان المظاهر الاجتماعية التي وصلت اليها عبر تاريخها لا تقبل بحال الانتقال « وحدها » مقطوعة عن تلك السلسلة الطويلة التي اسهمت في اخراجها على هذا النوع . وفرق ايضا بين امة في طريق النمو واخرى قد استنفدت امكاناتها ، وبلغت اوج نضجها ، واصبحت مستعدة للسقوط والتدهور ، وتفجرت في جميع انحائها دعوات الهدم في صور مختلفة من الاستعمار وبعض الفلسفات المنحرفة والموسيقى الصاخبة والرقص الجنسي الجنوني . وليس

مني الى عرفة . فاذا وصلوا اليها خطب الامام الناس بعد الزوال . ثم جمع بين الظهر والعصر في اول وقت الظهر — ووقف حتى تغيب الشمس ، والشرط ان يكون الوقوف بعد الزوال . والسنة ان يمتد الى غروب الشمس . ومن اقتصر على الوقوف والافاضة قبل الزوال لا يعتد بوقوفه . وعرفة كلها موقف الا بطن عرفة .

اما التلبية في الحج فكانت معروفة في الجاهلية . وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان المشركون يقولون « لبيك لا شريك لك » قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم — قد قد فيقولون « الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت » .

وذكر ابن حجر في الفتح نقلا عن ابن عبد البر قال جماعة من اهل العلم . معنى التلبية اجابة دعوة ابراهيم حين اذن في الناس بالحج . وروى البخاري ومسلم عن مالك عن نافع عن ابن عمر — رضي الله عنهما — ان تلبية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك .

وحكي مجاهد انه لما قيل له « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا . وعلى كل ضامر . » قال : رب كيف اقول ؟ قال قل : يا ايها الناس اجيبوا ربكم ، فصعد جبل ابي قبيس فنادى يا ايها الناس اجيبوا ربكم . فاجابوه . لبيك اللهم لبيك في صلب آبائهم وارحام امهاتهم فكان ذلك اول التلبية ، فمن اجاب منهم مرة حج مرة ، ومن اجاب مرتين حج مرتين ، وعلى هذا يحجون بعدد ما اجابوا ، ومن لم يجب لم يحج .

واتفقوا على ان تلبية الرسول — صلى الله عليه وسلم — كانت بلفظ : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك ، والملك . لا شريك لك . » واختلفوا في الزيادة عليها وفي تبديلها . ويروى بعض الائمة ان التلبية من اركان الحج . ويرى غيره انها ليست من الاركان . ولكن يلزم تاركها دما . وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — اذا اعجبه شيء ، قال : لبيك ان العيش عيش الآخرة .

وكان اهل الجاهلية يتقربون الى الله في الطواف بان يطوف احدهم ويده مقرونة بيد انسان آخر ، بسير او خيط فيسيران في الطواف مقترنين . وروى البخاري عن ابن عباس — رضي الله عنهما — ان النبي — صلى الله عليه وسلم — مر وهو يطوف بالكعبة بانسان قد ربط يده بانسان آخر فلطمه النبي — صلى الله عليه وسلم — بيده .

اما الطواف في الاسلام فهو الدوران حول الكعبة سبعة اشواط ويراعي فيه ما يراعى في شروط الصلاة من طهارة وستر عورة ، والطواف ثلاثة انواع : طواف القدوم على البيت ، وطواف الافاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ، وطواف الوداع . والواجب منها الذي يفوت الحج بفواته هو طواف الافاضة . وفي هذا المعنى يقول الله تباركت صفاته : « ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

قال ابن القيم في زاد المعاد « لا خلاف في انه لم يحج — صلى الله عليه وسلم — بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة وهي حجة الوداع . ولا خلاف في انها كانت سنة عشر من الهجرة ، والخلاف انما هو في حجة قبل الهجرة .

وتعتبر حجة الوداع من ابرز الحجات في حياة الرسول الكريم ، وفي حياة الاسلام والمسلمين اجمعين .

ففي شهر ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة (مارس 932 م) حج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حجة الوداع وخرج معه للحج خلق عظيم حتى اذا تتابع الحجيج من منى الى عرفات تجلت وحدة الاسلام ظاهرة جلية للعيان اذ مرع المسلمون من كل صوب وحدب لاداء هذه الفريضة ، لا تتوزعهم الاهواء ، ولا تفرقهم الاحقاد ، ولا تشتت شملهم او تبدد شعتهم الضغائن او الحزازات بل تظلهم راية واحدة هي راية الاسلام ، ويغمر قلوبهم ايمان برب واحد ، وهو الله الواحد القهار .

فلا عصبية ولا احزاب ولا تفاخر بالقبائل او الانساب ولا تنافر ولا تناحر . ولا زهو ولا خيلاء بالغنى والامجاد ولا تعلق بعبادة اللات او العزى او غيرهما من الاصنام والاوثان انما المعبود الله وحده . ولا رب لكنانة ولا معبود لهمدان . « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك » .

حتى اذا ما زالت الشمس امر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بناقته فرحلت ، فركب حتى اتى بطن الوادي ، وادي عرفة ، فوقف واجتمع الناس ليصغوا الى خطبته الخالدة التي استمع اليها التاريخ في هذا اليوم الحافل ، فحفظها ووعاها ورواها عبر السنين .

وبعد ان حمد الله واثنى عليه ، قال : « يا ايها الناس اسمعوا ، قولي فاني لا ادري لعلى لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا .

ايها الناس ، ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن اعمالكم وقد بلغت . فمن كان عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس اموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله انه لا رباء ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

ولم ينس الرسول — صلى الله عليه وسلم — ان يذكر النساء بالخبر في خطبته ، وهو الذي انقذهن من الوأد ، ورفع

حديث في الحج

للدكتور: جمال الدين الرمادي

لم يكن الحج فريضة مبتدعة في الاسلام انما كان الناس يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها، ويرمون الجمار، بيد ان الاسلام عند ما اشرق نوره على الاكوان وهدم معاقل الشرك والعدوان وقوض صروح البغي والطغيان. هذب هذه الفريضة ونقاها وطهرها من الرجس والاثم وصفاها، والغى عبادة الاوثان وتقديس الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني من جوع. ومن عهد ابراهيم الخليل الى عهد الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والناس يحجون عملا بسنة ابراهيم.

وفي ذلك يقول جل ثناؤه، وتعالت آلاؤه، في كتابه العزيز: « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود، واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميــــق ... ».

ومن شعائر الحج في الاسلام ــ السعي. وهو عبارة عن المشي بين الصفا والمروة سبع مرات، والصفا هو مكان شبيه بالمصلى في اصل جبل ابي قبيس ويقع جنوب المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى باب الصفا وهو مبدأ السعي. والمروة هي مكان مرتفع كالصفا في الشمال الشرقي كالمسجد الحرام على بعد منه في اصل جبل قعيقعان وهي منتهى السعي ومن الائمة من قال بوجوب السعي ومنهم من قال انه تطوع.

وقد شرع السعي بين الصفا والمروة لما فيه من تجديد الوقوف برحاب الله تعالى. وملازمة اماكن عبادته، واظهار النشاط فيها والاستمرار عليها والبعد عن مظاهر الكسل والتراخي في القيام بها.

وروى البخاري ومسلم عن الشعبي قال:

« كان صنم بالصفا يدعى اساف. ووثن بالمروة يدعى نائله. فكان اهل الجاهلية يسعون بينهما. فلما جاء الاسلام رمي بهما وقالوا: انما كان ذلك يصنعه اهل الجاهلية من اجل اوثانهم. فامسكوا عن السعي بينهما. فأنزل الله تعالى في سورة البقرة « ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ».

وروى البخاري عن عاصم قال: « قلت لأنس ابن مالك رضي الله عنه « اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ ، قال نعم، لأنها من شعائر الجاهلية حتى انزل الله: « ان الصفا والمروة من شعائر الله » الآية.

وكانت العرب في الجاهلية تحرم اربعة اشهر، وهو الذي كان عليه جمهورهم، وانما كانت الاشهر المحرمة اربعة ثلاثة سرد. وواحد فرد. لاجل اداء مناسك الحج والعمــرة ولذلــك لم يسم الله تعالى اشهر الحج في كتابه الكريم، انما قال تعالى في سورة البقرة « الحج اشهر معلومات ».

وروى البخاري عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالــت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة. وكانوا يسمون « الحمي » وكان سائر العرب يقفون بعرفات. فلما جاء الاسلام امر الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان ياتي « عرفات » ثم يقف بها. ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى « ثم افيضــوا من حيث افاض الناس ».

وقد اجمع العلماء في الاسلام على ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج. وان من فاته فعليه حج من قابل والهدي في قول اكثرهم لقوله ــ صلى الله عليه وسلــم ــ « الحج عرفــة » واتفقوا على ان الامام يصلي بالناس بمنى يوم التروية. الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصرا الرباعية ثم اذا كان يوم عرفة صلى الامام بالناس الصبح ومشى معهم بعد شروق الشمس من

فجر الإسلام

للأستاذ: أنور الجندي

- 2 -

واليوم تبدو حاجة الانسانية الى الاسلام ، وتبدو عالمية الاسلام نفسه ، ذلك ان الاسلام اليوم حين يفتح جبهة جديدة في الفكر الانساني ويغزوه من جديد على هذا النحو ، انما يثبت صلاحيته الحقيقية لحل مشاكل البشرية وليس قادرا اكثر منه على تحقيق هذا الامل للامم الحائرة بعد تجاربها الطويلة خارج نطاقه ، فقد انصرفت الحضارة الحديثة عن المسيحية عند ما عاقتها عن التقدم العلمي ، وبذلك انصرفت عن الدين كله ، وظنت حين واجهت الاسلام انه كالمسيحية سيقف في وجهها ونظرت اليه من نفس الزاوية ، وحكمت عليه قبل ان تكشف جوهره ، وحمات دعوة التغريب رأي الفكر الغربي في الدين الذي كونته عن طريق مفاهيمها في المسيحية ، محاولة ان تطبقه على الاسلام غير ان الامر يختلف كثيرا ، وامامنا هذه الوثائق التي قدمها نفس الاعلام المثقفين الذين قارنوا بين تجربتهم في الاسلام والاديان الاخرى تعطي الحقيقة ولا شك ان العالم يمر اليوم بازمة اساسية يضطرب لها كيانه كله ، في تهويماته الحائرة بين المذاهب والدعوات والافكار مما يصوره هارولد لاسكي حين يقول « منذ قرن مضى كان في مقدور الدين ان يتيح للكثيرين الامل في تعويض ما نالهم من الحياة وذلك في الحياة الاخرى ، اما الآن فقد اطفأ العلم انوار السماء ولا طريق للخلاص الا في ظل الحاضر العاجل . ومنذ قرن مضى رأى الناس بارقة امل في الصناعة الجديدة .

والآن وبالرغم من مزاياها الهائلة يتضح ان الطاقة المادية التي تستطيع ان تشكل الطبيعة لخدمة اعراضنا دون ان يساندها مبدأ ما . لم يصبح لها اي معنى الا اذا كان لهذه الطاقة هدف معروف ثم التمست في بعض المذاهب الكاملة شيئا يكون دينا او كالدين ، ولم تستطع القومية او الديمقراطية او الفاشية او الماركسية ان تسد في قرن او قرنين سد الدين الذي اشبع العقول والقلوب من قرون وقرون .

وعالجت الحضارة الغربية بعض ازماتها في ميدان علم النفس تحاول ان تسد الثغرة الروحية في بناء الحضارة المادية بعلم يسير على مناهج العلوم التجريبية البحتة ونجح علم النفس حيث تواضع واخفق حين جمع ينشد فلسفة نفسية كاملة او دينا جديدا، واشار في نجاحه واخفاقه الى الضمير الغائب ، الى الدين » .

ويعترف (سيمون وايل) في مقاله البحث عن الجذور بان للعلم الحديث والنظم الاقتصادية والسياسية قد فشلا في الاعتراف بحاجتها الى هدي الله مما اوجد هذه المساوىء وهذا التفكك والتشويش والقلق الذي يهيمن افكار اهل الجيل وساوكهم .

وتقول الكاتبة الفرنسية مدام « سنت بوانت » اتهم المدنية الغربية بأنها اقتصرت عن القيام بالمهمة التي تزعم انها القيت على عاتقها في الاجيال الاخيرة اعني المهمة التي ترمي الى نشر تعاليم الانسانية وتعميمها على وجه الارض وتؤدي الى الاتحاد ، قد اراد الغرب ان يوحد العالم ولكن تحت سلطانه ولمصلحته والعالم لا يساس الا بالعدل وبالحب والاخاء ويرد الحقوق الى اهلها ، ولكن الغرب لجأ الى القوة الغاشمة وعبث بالشرائع الدينية وخالف تعاليم المسيح عيسى الذي امر بمحبة الناس اجمعين » .

★ ★ ★

ومن هنا ياتي تقدير المنصفين الغربيين للاسلام كوسيلة لحل الازمة الانسانية العالمية يبدو هذا في كتابات الكثيرين منهم :

1 — فيرناردشو يقول « انا على يقين من ان دين محمد سيكون دين اوربا في غد ، كما انه قد اخذ الاوربيون يقبلونه من اليوم وفي القرن التالي سيكون اهل اوربا اكثر معرفة بفائدة اعتقاد محمد في حل مشكلاتهم » .

2 — وليون روش في كتابه (30 عاما في الاسلام) يقول: ولقد وجدت في الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا (الاولى) في قول القرآن (انما المؤمنون اخوة) فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية ، (الثانية) فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق اخذها غصبا اذا امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا .

3 — ويقول تويمبي : ان الاسلام قد قضى على النزعة العنصرية والصراع الطبقي بتقرير مبدا الاخاء الاسلامي والمساواة المطلقة بين المسلمين ، وعلى الغرب ان ياخذ بهذا المبدا الاسلامي لتنجو المدنية الحالية مما يدب فيها اليوم من عناصر العداء .

(★) ترجمة على ادهم — مجلة المجلة (ديسمبر 1958) .

منزلة كثيرات فاشركهن في الارث . ونصح الناس ان ياخذوا نصف دينهم مو الحميراء — اي عائشة عليها السلام — فقال : « اما بعد ، ايها الناس فان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا . لكم عليهن الا يوطئن فراشكم احدا تكرهونه ، وعليهن الا ياتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين لفهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا . فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانكم انما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

ولم يشأ الرسول الكريم ان يغفل عن تنبيه المسلمين الى ضرورة التعاون والتآزر والتكاتف والتناصر . فقال في خطبته الخالدة :

« فاعقلوا ايها الناس قولي ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به . فلن تضلوا ابدا امرا بينا . كتاب الله وسنة رسوله .

ايها الناس :

اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس ، فلا تظلمن انفسكم . **اللهم قد بلغت ؟** .. **فقال** الحاضرون نعم . فقال رسول الله . **اللهم اشهد** .

تلك هي الوصية الكريمة التي **القاها الرسول على المسلمين** في حجة الوداع . وهي التي ختم **بها الرسول** رسالته . **فما ان** اتم خطابه حتى نزل عن ناقته القصواء . **واقام** حتى صلى الظهر والعصر ثم ركبها حتى بلغ الصخرات **وهناك** تلا — عليه السلام — على الناس قوله تعالى : « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت** عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا .. »

وما ان سمعها ابو بكر الصديق حتى فاضت الدموع من عينيه وبكى ، اذ احس ان النبي وقد **تمت رسالته** ، قد دنا يومه الذي يلقي فيه ربه .

واتم الرسول حجة الوداع .. **تلك الفريضة** التي هذبها الاسلام .. وخلصها من شوائب **الجاهلية الاولى وطهرها** من الافك والاثم ، ثم جعلها من دعائم الدين **لمن استطاع اليها** سبيلا حتى يرث الله الارض **وما عليها ومن عليها** .

الدكتور جمال الدين الرمادي

الامـــام الزمخشري والشعـــوبيـــة

الله احمد على ان جعلني من علمـــاء العربية ، وجبلني على الغضب للعـــرب والعصبية ، وابى لي ان انفرد عن صميمهم وامتاز ، وانضوي الى لفيف الشعوبيـــة وانحاز ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم الا الرشق بالسنة اللاعنين ، والمشق بأسنـــة الطاعنيـــن .

حسن الحـــديث يزيدنـــي تعليمـــا

وضجـــرت الا مـــن لقاء محـــدث ❊ حسن الحديث ، يزيدنـــي تعليما

« ابراهيم بن العباس الصولي »

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

- 4 -

التدين والالحاد في اوربا وامريكا

من الامور التي شاعت وذاعت عند ادعياء الثقافة والمعرفة والتجديد والعصرية وانتقلت منهم الى عامة الناس ان الاوربيين والامريكيين ، وخصوصا الولايات المتحدة ، التي تساوي اوربا في الرقي او تفوقها ، قد تركوا دينهم ونبذوه نبذ النواة ، او نبذ الحذاء المرقع بعد حصول الجديد ، كما يقول الحريري ، قالوا : وبذلك تمكنوا من ادراك العلوم الكونية وتسخيرها في مصالحهم السلمية والحربية وقطعوا شأوا بعيدا في المدنية والحضارة ، وتركوا الامم المتخلفة بسبب تمسكها بالدين ، وما يسمونه بالتقاليد العتيقة ، تركوها تغط في نوم ثقيل وتتخبط في حهالة عمياء ، وزعموا كما يزعم ريني الحبشي ان هذه الشعوب لا تنهض ولا تحيىوتسير في طريق الرقي الا اذا تركت الدين . وانا لا تعجب من الذين يسمعون هذه الدعاية الاستعمارية الروحية فيتلقونها بالقبول والتصديق مثل ما اتعجب من الوف المتعلمين في جامعات اوربا وامريكا من العرب وسواهم من الاسيويين والافريقيين الذين يرون هذه الدعاية ولا يكذبونها ، بل قد يشجعونها (وقد ، هنا للتحقيق) ويبنونها بأنفسهم ، فاما ان يكونوا قد ذهبوا الى اوربا وامريكا واشتغلوا باللهو والعبث والحصول على الشهادات ، ولم يهمهم شيء من احوال سكان تلك البلاد فلم يطلعوا عليها ، واما ان يكونوا قد اطلعوا على الحقيقة وكتموها واخبروا بخلافها تدليسا وغشا لشعوبهم ، فهما خطتا خسف لا خير فيهما لمختار .

ومنذ اقمت في اوربا وخالطت اهلها ، اي منذ ما يزيد على ثلاثين سنة علمت علم اليقين ان الاوربيين متمسكون بدينهم، وكثيرا ما يبلغ بهم هذا التمسك الى حد الغلو والتعصب . وقد شاهدت من ذلك حوادث عجيبة ، لست الآن بصدد ذكرها ، ولكن مناقشتي لريني الحبشي وشيعته من معاول الهدم والتخريب اوحت الي بفكرة جديدة ، وهي ان اعمد الى سفارات الدول الاوربية والامريكية التي بلغت اعلى مستوى في الحضارة فأوجه اليها سؤالا عن عدد المتدينين وعدد الملحدين من سكان بلدانهم . وقد حصلت الآن على جوابين رسميين من سفارتين لدولتين في مقدمة الدول الراقية . وهما سفارة الولايات المتحدة بالرباط وسفارة الجمهورية الاتحادية الالمانية في الرباط عاصمة المغرب. وقد ترجمت الجوابين باللغة العربية ، واصلهما محفوظ باللغة الاصلية . فدونكم ايها القراء الاعزاء جواب سفارة الولايات المتحدة الامريكية .

جواب مكتب الاستعلامات بالسفارة الامريكية بالرباط في 25 نومبر 1964 .

عزيزي البروفسور الدكتور تقي الدين الهلالي .

ارجو من فضلكم المعذرة في تأخير الجواب عن سؤالكم المتعلق بالحياة الدينية في الولايات المتحدة ، فان هناك امورا مستعجلة منعتني من مراجعة الاحصاء الذي التمستم معرفته .

تفضلوا فانظروا في الاحصاء اسفله تجدوا العدد الذي نهمكم معرفته .

مجموع عدد الاشخاص الذين اعلنوا عدم انتسابهم لاي دين في احصاء سنة 1960 ثلاثة ملايين ومائة وخمسة وتسعون الفا (3 195 000) من مجموع السكان البالغ عددهم مائة وتسعين (190) مليونا . والعدد الاكبر من هؤلاء ، هم بلا شك من المتوقفين اللاادريين ، او غير المتمسكين بالمسيحية تمسكا عمليا، لا من الملحدين المنكرين (لوجود الباري) .

المخلص مالكولم ماكونيل مساعد ملحق الشؤون الثقافية.

فاذا كان العلم والتقدم في المدنية لا يكون الا بترك الدين، كما يزعم الافاكون ، كان ينبغي ان يكون عدد المتدينين في الولايات المتحدة الامريكية قليلا جدا ، وقد رأيتم ان عدد الذين لا ينتسبون الى الدين لا يزيد على واحد ونصف في المائة

4 — ويقول اللورد هدلي : لو ندبت لجنة من الانجليز الاكفاء لفحص الدين الصالح لان يتدين به العالم كله لاجمعوا على اختيار الاسلام .

5 — ويقول رينان : وما يدرينا ان يعود العقل الاسلامي الولود والكثير المواهب الى ابداع مدنية ارقى من زميلتها المندثرة ، ان فترات الازدهار والانحطاط مرت على رأس جميع الامم بما فيها اوربا المتعجرفة .

6 — ويقول هورتن الالماني : لا تجد في الاسلام سدا يمنع من نفوذ الثقافة الغربية اليه بل نرى ان له استعدادا بقبول الثقافة لاحد له .

7 — ويقول احد كتاب الغرب المنصفين ان العرب اول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين .

8 — وقد صور هذا المعنى الفيلسوف سبنسر في حديثه مع الشيخ محمد عبده حيث قال : محى الحق من عقول اهل اوربا ، واستحوذت عليهم الافكار المادية فذهبت الفضيلة وهذه الافكار المادية ظهرت في اللاتين اولا ، فافسدت الاخلاق واضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانجليز ، وقال انني اتهم المدنية الغربية بانها قصرت عن القيام بالمهمة التي تزعم انها القيت على عاتقها في الاجيال الاخيرة . (*)

وهكذا يكشف الفكر الاسلامي عن حقيقتين كبيرتين :

اولا : « عالمية الاسلام » وانه ليس دينا فقط بل دين وثقافة وحضارة ومجتمع .

ثانيا : حاجة الحضارة القائمة اليه وحاجة الانسانية لحل معضلاتها .

* * *

بقي ان ننظر الى الاسلام نفسه وموقفنا في العالم الاسلامي منه .

فنحن اشد ما نكون حاجة الى ان نؤمن به ونثق بحاجتنا نحن اولا اليه باعتباره المصدر الحقيقي لثقافتنا ، والاساس الاكبر لمقوماتنا الفكرية والروحية ، وعنده نجد القوة لمواجهة كل الاعاصير وحل كل مشاكلها ، ومقاومة كل التحديات .

وجوستاف لوبون (*) في حديث له مع مصري يدعى « توفيق يزدي » زاره سنة 1911 في منزله بشارع افيينو بباريس يكشف هذه الحقيقة ويجاهر بها حيث قال :

ان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين ، وتمسكه بالعقائد الباطلة ، فان قوة الدين قوة ادبية لا يستهان بها ، ومن الواجب عليكم ان تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر وان تحافظوا على تقاليدكم الحسنة وعاداتكم المرضية وعلى الطلاب الذين يأتون اوربا ان يجنوا من العلوم والفنون والافكار ما ينفع اوطانهم ويوافق اخلاقهم ، ان الشعب الذي يريد الرقي يجب الا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه » .

ونفس هذا المعنى يردده المستشرق (وامبري) حيث يقول : ان روح نظام المسلمين هو « الدين » ، والذي احياهم هو « الدين » ، والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو « الدين ليس الا » ..

والذي لا شك فيه ان الاسلام استطاع ان يقاوم كل ما وجه اليه من تحديات ، وانه قد خطا خطوة واسعة منذ استطاع ان ينفذ بروحه القوية الى الفكر الانساني فيكسب انصارا خارج العالم الاسلامي لا يعرفون العربية ولا يقرأون القرآن بها وهذه آية عظمته ، وقد اعترف له الجميع بانه لن يسقط امام الحملات العنيفة التي يشنها الاستعمار والنفوذ الغربي عليه وقد سجل ذلك الدكتور كريستيا سنوك هرجرنج الهولندي عام 1913 عند ما كان الاسلام يمر باقسى فترات التحدي والتعصب والمقاومة حين قال : « لا اعتقد ابدا ان الاسلام يسقط امام النصرانية او الغرب وقد تغلغلت الاقطار الاوربية في بلاد المسلمين ، ولكن لم يجد منها الشعور الاوربي مركزا ، لهذا اتجرأ على القول بان المسلمين سيستمرون على دينهم وكلما عشت بين المسلمين ازددت اعتقادا بان الاسلام سيجري في نشوئه على الطريقة التي سلكها ولا يمكن ان يقع انحطاط تدريجي في الاسلام لانه لا توجد بواعث خارجية تمنعه ، فالاسلام قوي ولم يضعف » (*)

وبعد : ففي يقيني ان هذه الصفحات قد كشفت حقائق واضحة عن الاسلام ، لم يكتبها المسلمون ، وانما كتبها مثقفون من الغرب والشرق من خارج نطاق العالم الاسلامي اتيح لهم ان يتصلوا بالاسلام قراءة او زيارة ومن خلال ركام ضخم من حملات التعصب على الاسلام اكتشفوا الحقيقة ، واستطاع الاسلام بقوته الذاتية ان يواجه نفوسا متطلعة الى الحقيقة ، فعرفته وآمنت به وآمنت بعالميته ، وحاجة الانسانية اليه .

وهكذا استطاع الاسلام ان يغزو الفكر الانساني مرة اخرى وان يحقق له تيارا قويا هو مقدمة اكيدة لتقدم خطير في مجال الايمان به ازاء ازمة البشرية الضخمة التي تواجهها الآن وما اصاب الانسان في العالم كله من قلق واضطراب وتقلب بين المذاهب والدعوات والنظم .

ولا سبيل له الى حل مشاكله والوصول الى الطمأنينة الفكرية والنفسية الحق الا عن طريق واحد هو :

« الاسلام » .

القاهرة : انور الجندي

(*) موسوعة الحديقة لمحب الدين الخطيب م 3 ص 152 .

(*) مجلة رمسيس السنة الثالثة ص 619 .

(*) 17 ج 3 المنار ص 212 .

في كل مكان ، ومحيطها ليس له مكان) وقال هو ايضا (كل شيء غير الله لا يشفي لنا غليلا) وقال شاتو بريان (لم يتجرأ على نكران الله غير الانسان) وقال لامنيه (الكلمة التي تجحد الخالق تحرق شفة المتلفظ بها) وقال هو ايضا (البحث عن شيء خارج عن الله هو البحث عن العدم المحض) وقال لوكورديو (الله هو الشمس الوحيدة التي تمد اشعتها الخالدة الموجودات) وقال فيو (الله عليم بكل شيء ، متصرف في كل شيء ، ومدبر لكل شيء ، ادارة الرب المطلق السلطة) وقال جوردان (الله هو الناموس الأزلي الثابت الذي تستمد منه الكائنات وجودها وترقيها) وقال هو ايضا (الله هو كل ما هوموجود) وقال كوتنيه (الجمال في حقيقة ، معناه هو الله .

وفي دائرة معارف القرن التاسع عشر قال العلامة الاقتصادي برودون (الله هو الكائن الذي لا يدرك ولا يوصف، ومع هذا فهو ضروري) وكقوله (ان ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل ان تكشفه لنا عقولنا) ونقلت عنه ايضا قوله (اني لا اعرف الها ، لان ذلك من الامور الغامضة ، وقال (كل من يكلمني عن الله ، انما يقصدني في دراهمي او حريتي) ونقلت عنه دائرة المعارف ما هو اشد في الالحاد مما يدل ظاهره على ان الرجل شديد العداء لهذه العقيدة ، فلما انتشر هذا الجزء الذي يشمل لفظة (الاله) ورأى اقواله ممثلة فيه كتب الى لجنة تحرير الدائرة يخبرها ، انه ليس ملحد بالله كما تدل عليه بعض الفاظه ، وانما هو يقصد ان رجال الدين يتخذون العقائد احابيل لصيد حطام الدنيا واستغلال عقول البسطاء ، فوافق ذلك ما روى عنه من العبارات المفيدة لايمانه) .

وقال لامارتين ان (ضميرا خاليا من الله كالمحكمة الخالية من القاضي) ، وقال بيلوتان (الله هو الحياة العامة ، فهي الاصل والمرجع لكل حياة) وقال توريه (الله كل شيء ، وكل شيء هو الله)

بعد هذا يحسن ان نورد براهين اشهر الفلاسفة اقدمين ومحدثين على وجود الخالق ثم نتبعها برأينا الخاص فنقول : (براهين سقراط) سقراط فيلسوف يوناني كان عائشا قبل عيسى عليه السلام بنحو اربعة قرون . قال المسيو بوشيت في كتابه المسمى (التذكرة في تاريخ البراهين على وجود الخالق) قال : ان اعتقاد الافراد والنوع الانساني باسره في الخالق ، اعتقادا اضطراريا ، قد نشأ قبل حدوث البراهين الدالة على وجوده.ومهما صعد الانسان بذاكرته في تاريخ طفوليته (كذا) . فلا يستطيع ان يجد الساعة التي حدثت فيها عقيدته بالخالق ، تلك العقيدة التي نشأت صامتة ، وصار لها اكبر الآثار في حياته . فقد حدثت هذه العقيدة في انفسنا ككل المدركات الرئيسية على غير علم منا . ولا شك انها تحت تأثير الاغاني الاموية (كذا) والدروس التهذيبية الاولى قد نمت تدريجيا ، وزادت نموا في ادوار الحياة ، سواء بالدرس والبحث او بالتغييرات التي تحدثها الاحوال على ارق عواطفنا . وكل ما يحدث في طفولة الانسان يحدث نظيره بالضبط في طفولة الامم ، سواء اعتبرنا ذلك في اول الخليقة او درسناها في الازمنة القريبة منا حيث تجتمع قبائل وثنية ذات تقاليد خرافية على ديانة جديدة . ففي الحالة الاولى يرينا التاريخ الناس حاملين عقيدة فطرية على وجود قدرة خالقة وحافظة للعالم ، وحاكمة بين الناس بالعدل ، تكافيء على الحسنة والسيئة ، سواء في هذه الدنيا او في الحياة المستقبلة .

في هذا الدور لم تظهر الشكوك باي مظهر من مظاهرها ، وعلى ذلك لم تك من حاجة تدعو الى ظهور البراهين المثبتة لوجود الله . وفي الدور الثاني ، لم تظهر الحاجة ايضا الى الاستدلال على وجود الخالق بالبرهان والعقل والفكر . والرجال الذين يتصدون لنشر هذه العقيدة جعلوها ارقى من ان يجادل فيها وايدوا دعاويهم باحداث المعجزات او بالانتصارات الباهرة.

من هذا القبيل كان في الازمة المقدمة زورووا سنر وموسى ومشرعو المصريين القدماء الخ . وقريبا منا عيسى ومحمد . ففي المسألة الخاصة التي تشغلنا اليوم لم تستمد البراهين على وجود الله سيئا من زورووا سنر ولا من موسى ولا من عيسى ولا من مشرعي المصريين ، فقد اكتفى الجميع باعلانهم انهم رسل الله الى خلقه . وقد خلفهم عيسى ناهجا خطة الاسرائلية (كذا) فقرر عقيدة وجود الخالق تقريره لامره لانزاع ، ولا يصح النزاع فيه . ولم يشك لحظة فى ان هذه العقيدة يقول بها جميع الذين ارسل اليهم على السواء . اما محمد فقد بنى العقيدة بوجود الله ووحدانيته على انقاض العقيدة المشوهة بتعدد الآلهة التي كان يدين بها العرب ، والتي اخذ على عهدته مكافحتها ، ولكنه في مواعظه المختلفة لم يظهر بمظهر من يريد ان يعطي على هذه المسألة البرهان الدقيق . فقرر الحقيقة وطالب بالاعتقاد بها ، وامر منها بما امر ، وفرض فيها ما فرض ، ولم يظهر منه او لم يكد يظهر منه انه مال لسد حاجة العقل منها بطريق منطقي او جدلي . انتهى كلام المسيو بوشيت .

التعليق على كلام بوشيت

يقول كاتب هذا المقال محمد تقي الدين : يفهم من كلام العالم بوشيت ان الانبياء والرسل الذين جاءوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم لم يقيموا دليلا على وجود الله وربوبيته ، ولا على توحيده في الهيته ، وانما قرروا الحقيقة دون ان يقيموا عليها برهانا . اما محمد (ص) فقد اقام البرهان على توحيد الالهية والعبادة ، ولم يقم دليلا على وجود الله وربوبيته بالطريق المنطقي . وانا اقول ، ان القرآن قد اقام البرهان المنطقي على وجود الله وربوبيته لكل من سواه . قال الخازن في قوله تعالى في سورة الطور 35 ــ 36 (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون.

تقريبا . وأكثر هؤلاء ليسوا ملحدين منكرين لوجود الله ورسله ، ولكنهم مهملون ومتكاسلون ، فهذا الاحصاء الرسمي يكذب مزاعم ادعياء التجديد ويأتي على بنيانهم من القواعد فينهار بهم في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

جواب السفارة الالمانية

وقد طلبت من السفارة الالمانية بالرباط ان تخبرني بعدد الملحدين من سكانها ، فجاءني الجواب التالي ، وهذه ترجمته : سفارة الجمهورية الالمانية بالرباط . في 11 فبراير 1965 .

سيدي الاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي مكناس . جوابا عن طلبكم ، لي الشرف ان اخبركم اسفله بالاحصاء الاخير فيما يتعلق باعداد الاقليات الدينية المختلفة في الجمهورية الاتحادية الالمانية .

1 — المسيحيون البرونستانتيون : 51،13 = 28.725.600 ثمانية وعشرون مليونا وسبعمائة وخمسة وعشرون الفا وستمائة وواحد وخمسون فاصلة ثلاثة عشر في المائة .

2 — المسيحيون الكاثوليكيون : 44،12 = 24.786.100 اربعة وعشرون مليونا وسبعمائة وستة وثمانون الفا ومائة واربعة واربعون فاصلة اثنا عشر في المائة .

3 — اليهود : 0،04 = 22.700

اثنان وعشرون الفا وسبعمائة وصفر فاصلة صفر اربعة في المائة .

4 — المسلمون واهل اديان اخرى : 4،05 = 2.272.100 مليونان ومائتان واثنتان وسبعون الفا ، واربعة فاصلة صفر خمسة في المائة .

5 — الملحدون الذين لا ينتمون الى اي دين ، اما اهمالا وتهاونا ، واما ادعاء انهم احرار الفكر : 0،66 = 368.400 ثلاثمائة وثمانية وستون الفا ، واربعمائة وصفر فاصلة ستة وستون في المائة .

هذا على مقتضى الاحصاء السنوي الثابت في مكتب الاحصاء الاتحادي لسنة 1964 . هذا وارجو ان تكونوا دائما بصحة طيبة وثقوا ياسيدي الاستاذ بمشاعري الطيبة نحوكم .

« فسترنك سكرتير السفارة الاول »

فانت ترى ان الملحدين في الشعب الالماني الاتحادي اقل من واحد في المائة . وهؤلاء الملحدون ليسوا كلهم ينكرون وجود الله ورسله ، بل بعضهم لا يعترف بالكنيسة ولا يريد ان يخضع لها ويؤدي الضريبة الدينية الشهرية ولا يتزوج الا باذنها ، ولا يطلق الا باذنها ، ولا يدفن الميت الا باذنها ، فلذلك حرمتهم وكفرتهم .

اما القسم الآخر فيزعمون انهم احرار الفكر وينكرون الدين كله . ومجموع الطائفتين لم يبلغ واحدا في المائة . فأين ما يدعيه ادعياء التجديد ؟ ومن اين جاءتهم هذه العلوم ، بل الجهول التي علموا بها ان التدين ينافي الرقي والتقدم ، وان الانحلال من جميع القيود الاخلاقية والاباحية والفوضى والتخنث والجبن والعبودية لداعي الشهوات وموت الارادة التي تكبح عن ارتكاب الدنايا ، وما اشبه ذلك من مساوئ الاخلاق هو الوسيلة الوحيدة للتقدم والرقي . فهذه الامم التي بلغت اوج المدنية والعلم والتقدم وذاقت ثمرة ذلك وسعدت شعوبها به متمسكة بدينها اشد التمسك ، ولم يمنعها ذلك من احراز ما احرزته من المراتب العالية والحياة السعيدة والعيش الرغد . وسأستمر في هذه الطريقة ان شاء الله من توجيه الاسئلة الى سفارات الدول الديمقراطية الحرة التي بلغت الغاية القصوى في العلم والحضارة . اما الدول التي تفضل الحكم الدكتاتوري الاستبدادي فسأؤخر الكلام عليها الى حينه المناسب ، ولا اترك لريني الحبني وامثاله معلقا يتعلقون به ، ولا ملجأ يلجئون اليه فيفتضح امرهم ويظهر مكرهم وينكشف دسهم . قال الله تعالى في سورة الانبياء 18 (بل نقذف بالحق الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون) .

((اقوال الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين وآراؤهم في وجود الباري عز وجل وفي تدبيره العوالم كلها)) .

يقول محمد تقي الدين سأذكر المصادر في آخر ما انقله من كلام الفلاسفة . قال العلامة الاستاذ محمد فريد وجدي في دائرة المعارف له :

ولما كان الانسان لا يقف من معقولاته عند حد تطرف بعض افراده من الفلاسفة والمفكرين فانكروا وجود الخالق ، وزعموا ان الكون قديم ، وان ليس فيه غير المادة ونواميسها الازلية الابدية ، وسرت تعاليمهم الى بعض الجهال فالحدوا بالله واستتبع الحادهم خروجا على نظام الخليقة ، وتعديا على حقوق الغير ، فتصدى الفلاسفة قديما وحديثا للرد على هؤلاء الملحدين . ولا بد لنا من ايراد الكثير مما قالوه في هذا الكتاب ليكون مرجعا يرجع اليه من يريد استعراض مواهب الحكماء في في هذا الامر الجدير بالعناية والنظر ، ثم نتبع ذلك بمذهبنا الخاص في هذا الباب ان شاء الله . ونحن قبل ان نخوض لجة هذا البحث الخطير نأتي على كلمات لكبار الفلاسفة في هذا الصدد فنقول . قال الفيلسوف اليوناني ابيكتيت :

(العقيدة بالله يجب ان تكون مستمرة كاستمرار التنفس) وقال الفيلسوف باسكال (الخالق كرة لا نهاية لها ، مركزها

قال الزمخشري : وفيه تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الاها ، وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال ، وان الهداية الى الحق بتوفيق الله تعالى ولطفه .

وفي (الانتصاف) : التعريض بضلالهم ثانيا اصرح واقوى من قوله اولا (لا احب الآفلين) وانما ترقى الى ذلك ، لان الخصوم قد اقامت عليه ، بالاستدلال الاول ، حجة فأنسوا بالقدح في معتقدهم ، ولو قيل هذا في الاول فلعلهم كانوا ينفرون ، ولا يصغون الى الاستدلال . فما عرض صلوات الله عليه بانهم في ضلالة، الا بعد ان وثق باصغائهم الى تمام المقصود، واستماعهم الى آخره . والدليل على ذلك انه ترقى في النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم ، والتقريع بانهم على شرك حين تم قيام الحجة ، وتبلج الحق ، وبلغ من الظهور غاية المقصود .

وقوله تعالى (هذا اكبر) اي اكبر الكواكب جرما ، واعظمها قوة ، فهو اولى بالالهية . وفيه تأكيد لما رامه عليه الصلاة والسلام من اظهار النصفة ، مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ، ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر .

(فلما افلت قال) صادعا بالحق (يا قوم اني بريء مما تشركون) اي من الاجرام المحدثة المتغيرة من حالة الى اخرى، او من اشراككم .

(اني وجهت وجهي) اي وجه قلبي وروحي في المحبة والعبادة ، بل جعلته مسلما (للذي فطر السموات والارض حنيفا) اي مائلا عن الاديان الباطلة ، والعقائد الزائغة ، (وما انا من المشركين) .

ثم قال ، قال الرازي : تدل هذه الآية على ان الدين يجب ان يكون مبنيا على الدليل لا على التقليد ، والا لم يكن لهذا الاستدلال فائدة البتة .

وقال تعالى في سورة الاعراف 54 (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين)

تلخيص واستدلال

لو اردت ان اورد من مثل هذه البراهين القرآنية شيئا كثيرا جدا لفعلت ، ولكني اقتصر على هذه النقول الاربعة واوضح وجه الاستدلال على الطريق الجدلي ليعلم من يقرأ كلام بوشيت ان القرآن لم يهمل الاستدلال على وجود الله تعالى ، وعلى كونه الخالق المهيمن على خلقه المدبر لجميع شؤونهم .

1 ــ آية الطور ، تقدم ان حبر الامة عبد الله بن عباس فسرها بقوله (ام خلقوا من غير رب خالق ، والاستفهام هنا انكاري ، فهو نفي لان تكون هذه العوالم المحكمة الصنع المتقنة وجدت من غير موجد يتصف بالربوبية ، وهي القدرة على التربية .

قال البيضاوي : الرب في الاصل مصدر بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا انتهى . وهذا هو الاستدلال بالمصنوعات الكاملة على الصانع الكامل . وقوله سبحانه (ام هم الخالقون) ينفي كون المصنوعات قادرة على صنع نفسها ، فضلا عن غيرها لما سبقها ويلحقها من العدم ، ولما يلازمها من التغير الذي اثبت لها جواز الوجود ونفى عنها وجوبه . وبهذا البرهان استدل جميع الحكماء على وجود الله تعالى واتصافه بصفات الكمال ، كما سترى ذلك صريحا في اقوالهم التي ننقلها بعد ان شاء الله .

2 ــ قصة ابراهيم مع نمرود ملك العراق ، فقول ابراهيم له في محاجنه (ربي الذي يحي ويميت) معناه ، الذي اوجدني واوجدك واوجد جميع العالمين ، ورباهم بقدرته ونعمته ان بلغهم كمالهم وحفظه عليهم ، وهو المتصرف فيهم بالاحياء والاماتة ، واظهار الشمس واخفائها ، ومثلها جميع الطوالع . وكل ما سواه مصنوع فان ، ويستحيل ان يوجد شيء منه بدون صانع ، او ان يقوم بنفسه ويدبر شأنه . وهذه حجة الفلاسفة بعينها بطريق اللزوم ، وهو فيما يقول علماء البلاغة ابلغ من دلالة التصريح .

3 ــ استدلال ابراهيم واحتجاجه على قومه بطريق لطيف لانهم كانوا عبادا للاجرام السماوية ، فبدأ باصغرها في عين الرائي واقلها ضوءا وهو الكوكب ، وقال على سبيل الفرض ايناسا للخصوم ودفعا لهم الى الامام (هذا ربي) فلما تغير النجم بالافول والاختفاء قال ، هذا لا يصلح ان يكون ربا ، اي صانعا ومدبرا ، لانه مصنوع ومدبر بفتح الباء . فلما طلع القمر وهو اعظم حجما وضوءا في اعين الناظرين قال مثل ذلك ، فلما تغير بالافول وظهر انه مصنوع ومسير قال ، لا يصلح ان يكون ربا . فلما طلعت الشمس التي هي اعظم ضوءا وحجما ، فضلا عما تعطيه من الحرارة والحياة باذن الله لما يتبعها قال مثل ذلك ، فلما اختفت وتغيرت قامت حجته عليهم فقال ، يا قوم ، اني بريء مما تعبدون ، اني وجهت وجهي بقلبي وكل حواسي ومشاعري للذي خلق تلك الاجرام السماوية والارض وسائر العوالم ، اذ لا يمكن ان تخلق نفسها ولا ان تسير نفسها ، بل هي متغيرة ، وتصرف غيرها فيها واضح . فالمتصرف فيها بالايجاد والامداد هو ربها ، وهو واجب الوجود وخالق كل شيء ، والحجة في قوله فطر السموات والارض ، استدلال بالصنعة على الصانع ، وهذا هو الطريق الجدلي المنطقي بعينه . ولا حاجة ان يكون على طريقة العجم ، لان اسلوب العربية يأباه ، والمعنى واحد .

ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) قال ابن عباس، من غير رب خالق . والمعنى ام خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق ، وذلك مما لا يجوز ان يكون ، لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (ام هم الخالقون) اي لأنفسهم ، وذلك في البطلان اشد ، لان ما لا وجود له كيف يخلق ، فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه .

وقال البيضاوي : ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر، فلذلك لا يعبدونه .

وقال محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره لهذه الآية . « الم تر الى الذي حاج » البقرة 258 ، اي جادل (ابراهيم في ربه) كيف اخرجه الطاغوت من نور نسبة الاحياء والاماتة الى ربه الى ظلمات نسبتهما الى نفسه (ان اتاه الله الملك) اي لان اتاه الله ، يعني ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر فحاج لذلك ، او حاجة لاجله . وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه الشكر . كما يقال : عاداني فلان ، لأني احسنت اليه . تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ، ونحوه قوله تعالى في سورة الواقعة 82 (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) .

قال الحرالي : وفي اشعاره ان الملك بلاء وفتنة على من اوتيه . (اذ قال ابراهيم) حين سأله من ربك الذي تدعونا اليه (ربي الذي يحيي ويميت) اي بنفخ الروح في الجسم واخراجها منه (قال انا احيي واميت) اي بالقتل والعفو عنه . ولما سلك الطاغية مسلك التلبيس والتمويه على الرعاع ، وكان بطلان جوابه من الجلاء والظهور ، بحيث لا يخفى على احد ، والتصدي لابطاله من قبيل السعي في تحصيل الحاصل ، انتقل ابراهيم عليه السلام ، ارسالا لعنان المناظرة معه ، الى حجة اخرى لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للطاغية ان يخرج عنها بمخرج مكابرة او مشاغبة او تلبيس على العوام . وهو ما قصه تعالى بقوله (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) اي اذا كنت كما تدعي من انك تحي وتميت فالذي يحي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود ، في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته . فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فان كنت الها — كما ادعيت — فأت بها من المغرب (فبهت الذي كفر) تحير ودهش وغلب بالحجة ، لما علم عجزه وانقطاعه ، وانه لا يقدر عن المكابرة في هذا المقام (والله لا يهدي القوم الظالمين) اي لا يلهمهم حجة ولا برهانا . بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد . انتهى

وقال تعالى في سورة الانعام 76 — 79 (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما افل قال لا احب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا اكبر ، فلما افلت ، قال يا قوم اني بريء مما تشركون . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين . »

قال القاسمي في تفسير هذه الآيات : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) قال المهايمي : لما رأى — يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام — الملكوت ، وايقن ان شيئا منها لا يصلح للالهية، اراد الرد على قومه في اعتقاد الاهيتها لخستها ، باعتبار افتقارها في افعالها الى اجسام لها دناءة الافول وان كانت علوية ، وكذا في اعتقاد الاهية تلك الاجسام ، كما رد عليهم في اعتقاد الاهية الاصنام ، فلتظهر ظهور الكواكب التي كانوا يعبدونها . انتهى

وبالجملة ، فالآية بيان لكيفية استدلاله عليه الصلاة والسلام ، ووصوله الى رتبة الايقان . ومعنى (جن عليه الليل) ستره بظلامه . و (الكوكب) قيل ، الزهرة ، وقيل ، المشتري.

اقول ، (الكوكب) لغة ، النجم . قال الزبيدي في شرح القاموس : وكونه علما بالغلبة على الزهرة غير معتد به ، وانما هي الكوكبة بالهاء . انتهى .

قال الزمخشري : كان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم ، وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ، ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الاها، لقيام دليل الحدوث فيها ، وان وراءها محدثا احدثها ، وصانعا صنعها ، ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها . وقول ابراهيم لقومه (هذا ربي) ارخاء للعنان معهم باظهار موافقته لهم اولا ، ثم ابطال قولهم بالاستدلال ، لانه اقرب لرجوع الخصم .

قال الزمخشري : قول ابراهيم ذلك ، هو قول من ينصف خصمه ، مع علمه بانه مبطل . يحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ، لان ذلك ادعى الى الحق ، وانجى من الشغب . ثم يكر عليه بعد حكايته ، فيبطله بالحجة .

(فلما افل) اي غاب (قال لا احب الآفلين) اي لا احب عبادة من كان كذلك ، فان الافول دناءة تنافي الالهية ، بل تمنع من الميل الى صاحبها ، فضلا عن اتخاذه الها او معبودا، فضلا عما يفتقر اليه .

(فلما رأى القمر بازغا) اي طالعا منتشر الضوء (قال هذا ربي) على الاسلوب المتقدم (فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) فان ما رأيته لا يليق بالالهية لدناءته بمحوه .

أبحاث ومقالات

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

- 3 -

حــرف التــاء

80) في ص 99 على ع . ل . تعريف بالتابعي ذكر فيه انه احد الذين عاصروا النبي ، ولم يلقوه لكنهم عرفوا احد اصحابه .. ومعاصرة النبي ليست شرطا في اطلاق صفة التابعي على الشخص وانما تذكر للتنصيص على انه اذا لم يلق النبي (ص) لا يقال له صحابي ولو عاصره ، ثم ان المؤلف قال : تابع وجمعه تابعون ، والغالب ان يقال تابعي لا تابع .

81) في الصفحة نفسها ع . ني . تعريف « بتاج العروس » شرح القاموس للشيخ مرتضى الزبيدي ، ضبط فيه الزبيدي بضم الزاي وفتح الباء وهو غلط والصواب انه بفتح الزاي وكسر الباء نسبة الى زبيد بفتح فكسر وهي بلدة باليمن .

82) وفي العمود المذكور ذكر تاجه Tage النهر الاسباني المعروف ، بفتح الجيم والصواب ضمه ، موافقة للنطق الاسباني Taio وعرب اسبانيا كانوا يلحقون بالكلمات المضمومة الاخر من الاسبانية عند تعريبها ، هاء للوقف لانه ليس في كلامهم اسم آخر واو قبلها ضمة فيقولون في شانسو شانجه وفي طاخو هذا تاجه .

83) في ص 100 ع . ل . تعريف بتادلا ، جاء فيه : ناحية في المغرب كانت على مدى العصور مسرحا للفتن وهــي شهيرة بزاوية بوجد .. ومع التسامح في انها كانت على مدى العصور مسرحا للفتن ، فان الزاوية التي قال انها اشتهرت بها هي الزاوية الشرقاوية بابي الجعد لا بوجد ، ثم ان دال تادلا مكسور بدليل النسبة اليها تادلي بكسر الدال وقول الجراوي الشاعـــر :

يا ابـن السبيـل اذا مـررت بتـادلا
لا تنـزلـن علـى بنـي غفجـــوم

اما تسكين الدال فانما هو من نطق العامة للتخفيف .

84) في المكان نفسه ذكر تارودانت فقال قاعدة السوس في المغرب (10.000) مرفأها اغادير ... واكادير ليست مرفأ لتارودانت بل هي مدينة مستقلة ومرفأ لاقليم سوس كله ، ثم هي بالكاف المعقودة او الجيم المصرية لا بالغين كما يكتبها بعض الشرقيين متوهمين انها جمع غدير .

85) في ص 101 ع . ل والمؤلف يستعرض اهم الوقائع التاريخية العالمية ، ذكر حادث الهجرة (622) وبعده حادث احد (625) يعني المعروفة ، ثم وفاة النبي (ص) (632) وما ندري لما ذا خص غزوة احد من بين غزوات الاسلام ولم يذكر غزوة بدر مثلا ، اوفتح مكة ، او هذه الغزوات الثلاث على الاقل لنفي التهمة المتوجهة بالاقتصار على ذكر غزوة احد ، ام هو التشفي حتى بانتصار الوثنية على الاسلام ؟ .

86) في ع . ني . من هذه الصفحة ذكر مدينة تازا فقال انها مدينة في المغرب شرقي فاس (10.000) مركز تجاري بين الجزائر وتلمسان وفاس ، فان كان يعني انها مركز للتجارة بين هذه المدن فقد يصح ذلك ، وان كان يحدد الموقع فان ذلك لا يصح ، وكان حقه ان يقول بين فاس ومدينة وجدة او يكتفي بقوله شرقي فاس . وضبط تلمسان هنا بفتح التاء واللام والصواب كسرهما .

87) في ص 102 ع . ل . ما يلي : تاشفين (بنو) دولة ملكت المغرب في اواسط القرن 12 وهم فرع من دولة المرابطين ، كان اولهم امير المسلمين يوسف ، وهذا كلام فيه خبط كثير ، فليس ثم دولة يقال لها دولة بني تاشفين ، ولا هي فرع من دولة المرابطين ، ويوسف ليس اولهم ، وهو ابن تاشفين المذكور عنده بعد سطرين .

88) في ع . ني . من هذه الصفحة : تائية في التصوف الفها ابن الفارض ، منها الكبرى .. والصغرى ، ولا يخفى ما في هذا الكلام من الركاكة : تائية في التصوف ، الفها ، منها

4 ـ من سورة الاعراف ، اكد القرآن بلفظ (ان) والجملة الاسمية كون الله ، وهو علم على الباري ، ربا لجميع العالمين . ولم ذلك ؟ لانه خلق السموات والارض في ستة اوقات ثم استوى على العرش ، وتصرف في خلقه تصرف الصانع في مصنوعاته . وعلى قدر كمال الصنعة يكون كمال الصانع ، ثم اخبرهم بتصرفه في مصنوعاته واحتياجها اليه بقوله (يغشي الليل النهار) اي يغطيه به فيتعاقبان متصلا ، وهو الذي يسخر الشمس والقمر والنجوم ويديرها في افلاكها بغاية الاتقان ، ثم عقب ذلك بالنتيجة المطلوبة ، وهي قوله (الا له الخلق والامر) فله وحده الصنعة والابداع ، والتربية والتسيير ، وله وحده الامر القدري الكوني والشرعي ، تبارك وتعالى رب العالمين .

وهذا ايضا احتجاج منطقي كامل لايمري فيه الا جاهل بالعربية او معاند .

خــــاتمــــــة

قد يخفى على العالم الفرنسي بوشيت وامثاله ، ان القرآن برهن على توحيدين اثنين ، توحيد الربية ، اي توحيد الصانع المدبر مع ما يلزم من صفات كماله ، وتوحيد الالهية ، وهـي العبادة ، وقد يخلط بينهما كثير ممن يدعي العلم ، او يدعي لـه من المسلمين ، فكيف بالاجانب ؟ ومن ذلك اتى مسيو بوشيت ، فظن ان محمدا صلى الله عليه وسلم ، انما خاصم المشركين واقام لهم الحجة على توحيد الالهية ، واهمل اقامة الحجة على توحيد الربوبية ، وقد علمت بطلانه .

وموعدنا المقال التالي لذكر اقوال الفلاسفة ، ان شاء الله .

الدكتور تقي الدين الهلالي

النملـــــة

(انظروا الى النملة فى صغر جثتها ، ولطافة هيئتها . لا تكاد تنال بلحظ البصر ، كيف دبت على ارضها ، وصبت على رزقها . تنقل الحبة الى مسكنها ، وتعدها فى مستقرها . تجمع فى حرها لبردها ، مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها ، ولو فكــرت فى مجاري اكلها ، فى علوها وسفلها ؛ وفى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الراس من عينها واذنها ، لقضيت من خلقها عجبا ، ولقيت من وصفها تعبا) .

نهج البلاغـــة

النون في النسبة اليها على القاعدة في النسبة الى فعل بكسر العين ، فلم يضبط هذا المؤلف لغة ولا نحوا .

100) في ص 116 ، ع . نى . بعد ذكر عاصمة تونس، ذكر تونس القطر او الدولة فسماها تونس الغرب ، ولا يعرف هذا الاسم لتونس ، ولعله اشتبه له بطرابلس الغرب التي تفيد بذلك فرقا بينها وبين طرابلس الشام ، ثم ذكر سكانها فقال منهم البربر والكرومير والعرب والاوروبيون ولا ندري هؤلاء الكروميون من يكونون، وبعد ذلك ذكر اهم مدنها فقال تونس قاعدتها صفاقس والقاعدة تعني العاصمة وهو قد سبق له فذكر ان تونس هي العاصمة فما هذا الخبط ؟ وزاد قائلا : بنزرت قابس ، قيروان ، السوس .. وصواب هذين الاسمين الاخيرين القيروان سوسة .

101) في ص 118 ع . ل . ذكر تيم الله ثعلبة فقال قبيلة عربية فخذ من ربيعة بن نزار الخ .. والمعروف فيها تيم اللات بن ثعلبة .

102) فيه ترجمة لتيمورلنك ذكر فيها انه فتح خوارزم وقشغار وخراسان وفارس وسوريا ومصر .. والمعروف ان تيمورا لم يدخل مصر ولا فتحها .

103) في ع . نى من الصفحة نفسها ذكر « توات » على انها واحة في الجزائر ، وهي اقليم مغربي كبير احتلته فرنسا سنة 1900 واضافته الى القطر الجزائري ، والمغرب لم يزل يطالب به الى اليوم ، واسمه كما ذكرنا توات بضم التاء وفتح الواو مع التخفيف ، والمؤلف كتبه تيوات وليس بشيء .

طنجة : عبد الله كنون

السحر الحلال

لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، قدم اليه وفود اهل كل بلد ، فتقدم اليه وفد اهل الحجاز ، فاشرأب منهم غلام للكلام .

فقال عمر : ياغلام ، ليتكلم من هو أسن منك .

فقال الغلام : « يا أمير المومنين ، انما المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبده لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد اجاد له الاختيار . ولو ان الامور بالسن ، لكان ها هنا من هو أحق بمجلسك منك .

فقال عمر : صدقت ، تكلم ، فهذا هو السحر الحلال .

فقال : يا امير المومنين ، نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة ، لم تقدمنا اليك رغبة ، ولا رهبة ، لانا قد امنا في ايامك ماخفنا ، وادركنا ما طلبنا .

الكبرى ، والصغرى ، والتعبير السليم ان يقال تائية التصوف قصيدة في هذا الفن من نظم ابن الفارض وهي كبرى .. وصغرى ، او نحو هذا .

89) في ص 103 ع . نى . ضبط تبسة المدينة الجزائرية المعروفة بفتح التاء والباء وتشديد الشين ، وضبطها ياقوت في معجم البلدان بكسر الباء .

90) في ص 104 ، ع . ل . تعريف بالشيخ احمد التجاني شيخ الطريقة التجانية المعروفة ، جاء فيه : « ومن كتبها جواهر المعاني في فيض الشيخ التجاني المعروف كذلك بالكناس ، وهذا الكناس لم نعرفه ولا ندري ان هذا الكتاب يعرف به .

91) في المكان المذكور شبه تعريف بالتجاني صاحب الرحلة ، جاء فيه ابو عبد الله محمد او محمد ابو عبد الله ولا شك انه يريد ان يقول او ابو محمد عبد الله ، لانه اختلف في اسمه هل هو محمد او عبد الله ، ثم قال : له الرحلة وصف فيها طرابلس الغرب ، والرحلة التجانية رحلة حجازية لم تقتصر على وصف طرابلس الغرب فقط .

92) في ص 107 ، ع . ل . ترجمة للحكيم الترمذي جاء فيها له 30 مؤلفا منها نوادر الاصول وختم الولاية يشرح فيها مسائل اللادراية ، اما نوادر الاصول فهو كتاب في الحديث معروف وما كتاب ختم الولاية فلا ندري ما هذه اللادراية التي ذكر المؤلف انه يشرحها فيه وفي بقية كتبه كما توهمه عبارته ، وان كان المذكور في ترجمته ان هذا الكتاب مما ذهب فيه مذاهب غلاة المتصوفة وانه اخرج من بلده بسببه، هذا ولم يذكره المؤلف بوصف الحكيم الذي يعرف به .

93) في ع . نى . من هذه الصفحة ذكر ترودنت مرة ثانية ولكن بهذا الرسم اي باسقاط الالف بعد التاء ، وبعد الدال ، وقال فيها مدينة في المغرب بعلو 250 م (8500) يعني عدد سكانها ، وكان قال في التعريف السابق ان عددهم 10.000 ومع التسامح في هذا العدد الذي هو اقل من نصف العدد الحقيقي لسكانها ، يظهر ان المؤلف لم يفرق بين الاسمين وظنهما لمدينتين اثنتين والا لم يخالف عدد السكان بهذا الشكل .

94) في ص 109 ع . نى . تعريف بتطوان جاء فيه : عاصمة المغرب الشمالي او الاسباني والوصف الثاني قد ذهب مع الاستعمار الى غير رجعة ، ولكن المؤلف لا يعيش احداث العالم العربي ولا غيره فما يزال يصف بلادا استقلت منذ زمان بانها مستعمرة او محمية لدولة من دول الاستعمار البائد ، ثم قال : اسسها ابو ثابت عمر بن عبد الله المريني (1310) وهذا الكلام يحتاج الى تصويب ، فابو ثابت اسمه عامر لا عمر والمريني بفتح الميم وكسر الراء مع تخفيفها وقد ضبطه هو مشددا ، ثم ان تاريخ تجديد تطوان على يد ابي ثابت هو عام 708 وموافقه من الميلادي هو 1308 لا 1310 .

95) في ص 111 ع . نى . تعريف بسعد الدين التفتازاني جاء فيه : من مؤلفاته شرح التصريف العربي ، وهو التصريف العزي ، الارشاد يعني شرحه ، المقاصد يعني شرحها ، المفتاح يعني شرحها ، وهكذا لم يحدد سرد مؤلفاته كما يجب .

96) في ص 113 ع . ل . وقع ذكر تلمسان المدينة الجزائرية المعروفة فضبطت بفتح التاء واللام معا وقد نبهنا سابقا على انهما بالكسر ، وقد وقع بعد ذكر العفيف التلمساني من المنتسبين اليها وضبط نسبه كذلك بفتحين خطأ .

97) في ع . نى . من هذه الصفحة ترجمة للتمبكتي (احمد بابا) وتقدمت ترجمته في حرف انباء باسم احمد بابا السوداني ، وبينهما مخالفة في تاريخي الميلاد والوفاة ، ولا شك ان المؤلف حسبهما شخصين اثنين في حين انهما شخص واحد ، اما تحقيق تاريخه فهو (1032/963) = (1622/1555) .

98) وفيه ذكر زاوية تمصلوحت بناحية مراكش وقد جعلتها الترجمة تمسلوهت وصوابها ما ذكرنا .

98) في ص 114 ع . ل . ذكر تميم بن المعز الصنهاجي فقال فيه : خامس امراء بني الزير والصواب بني زيري ، ثم قال غزا مدن افريقية وتعاطى القرصنة فحاربه الجنويون والبيزنطيون (زرين) الترجمة بصورة اختطاف فتاة بالقرصنة ، والذي يجب ان يعلمه الاب المحترم ان اعمال الجنويين والبيزنطيين في القرصنة لا يذكر بجانبها عمل تميم الذي كان اميرا عالما اديبا مهذبا ، ولم تكن غزوته الا دفاعا وردا لهجمات الجنويين والبيزنطيين المتوحشين وبالضرورة فانه لا يمكن ان يأسر هؤلاء من رعايا تميم بالقرصنة ما يأسرون ويقيمون سوقا لتجارة الرقيق في جنوة وصقلية وغيرهما من موانيء ايطاليا ، ويقف تميم مكتوف الايدي امام اعمال خصومه هذه .

99) وفيه ذكر مدينة تنس بالجزائر وضبطها بفتح فكسر وهي بفتحين مع التخفيف كما ضبطها يافوت في معجم البلدان ، وقد ذكر بعدها اديبا ممن ينسبون اليها وضبطه بكسر النون وهو حتى على ما ضبطها به من الكسر كان يجب فتح

— 3 —

وفي مقدمة « دلائل الاعجاز » يعرف عبد القاهر النظم بانه « تعليــق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبــب من بعض » (★) ، ويجعل وجوه التعلق ثلاثة : تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما ، ويشرح وجوه التعلق شرحا وافيا . . .

ويؤكد ان نظم الكلام يقتفي فيه آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس (★) ، وليس النظم في مجمل الامر عنده الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه فلا تزيغ عنها (★) فمداره على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شانها ان تكون فيه (★) وليس هو الا توخى معاني النحو في معاني الكلم (★) ، فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم (★) ، او فيما بين معاني الكلم بتعبير آخر (★) والفكر لا يتعلق بمعاني الكلمة المفردة مجردة عن معاني النحو او منطوقا بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النحــو وتوخيها فيها (★) .

ويشير عبد القاهر الى انه من الضروري في معرفة الفصاحة ان تضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلام (★) ، وان الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة ، وانما تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملاءمــة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما اشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ (★) .

وياخذ في تفصيل امر المزية ، وبيان الجهات التي منها تعرض ، فيتحدث عن وجوه النظم في التقديم والتاخير ، والذكر والحذف والتعريف والتنكير ، والوصل والفصل ، والقصر ، ويفيض في ذكر ضروب من تاكيد الخبر ، ويعرض للتشبيــه والتمثيل والكناية والاستعارة والمجاز مقررا ان المزية فيهـــا ليست في انفس المعاني التي يقصد المتكلم اليها بخبر ولكنهـا في طريق اثباته لهــا ، وتقريره اياهــا (★) ، واذا عرض للاستعارة في بيت ابن المعتز المشهور :

سالت عليــه شعــاب الحي حيــن دعـــا
انصـــاره بوجـــوه كالدنانيـــــر

اكد ان الاستعارة هنا على لطفها وغرابتها انما تم لهـــا الحسن بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، ونجدها قد صلحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها (★) ، وكذلك يفصل الكلام على مدخل النظم في بلاغــة الاستعــارة في قولــه تعالى : « واشتعل الراس شيبا » ، وقولــه « وفجرنــا الارض عيونا » ويتحدث عن التشبيه (★) في مثل : زيــد كالاســد ، وكأن زيدا الاسد ، وان في المثال الثاني زيادة في معنـــى التشبيه ليست في الاول ، وهذه الزيادة لم تكن الا بما توخى في نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام وركبت مــع « ان » . . كما يتحــدث عن ضروب من المجاز العقلــي او المجاز في الاسناد (★) وعن ضروب الكناية في التشبيــه (★) ومدخل النظم في بلاغتها .

بل انه ليقرر ان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائــر ضروب المجاز من مقتضيات النظم ، وعنها يتحدث وبها يكون لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهــي افراد (★) فاذا قلنا في لفظ « اشعل » من قوله تعالى « واشتعــل الرأس شيبا » ، انها في اعلى المرتبة من الفصاحة لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ، ولكن موصولا بها الرأس ، معرفا بالالف واللام ومقرونا اليهما الشيب منكرا منصوبا (★) ، فليست الفصاحــة صفة للفظ « اشتعل » وحده (★) .

— 4 —

ويقرر عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » ان المزية للكلام انما هي في نظمه باعتبار ملاءمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التي تليها (★) ، وليس الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في مجرد معناه (★) ، فالفصاحة والبلاغة عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها ، وزيادات تحدث في اصول المعاني ، كالذي اريناك فيما بين « زيد كالاسد » و « كأن زيدا الاسد » ، ولا نصيب للالفاظ من حيث هي الفاظ فيها بوجه من الوجوه (★) ، فانفس الكلم بمعزل عن الاختصاص والمزيــة (★) ، فليس للفظ من حديث هو لفظ حسن « ومزية » (★) ، اذ المزية ليست بمجرد اللفظ ، وانما تقع في اللفظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس (★) ويجعل عبد القاهر كذلك ذروة المزية والبلاغة، وهي الاعجاز القرآني ، في النظم وحده ، لا في شيء آخر (★)

وبذلك ينتهي عبد القاهر من عرض نظريته في النظم ، هذا العرض الجديد ، لتلك النظرية الجديدة ايضا ، وخلاصة ما يقرره عبد اقاهر .

(★) الدلائل — تعليق المراغي — نشر المكتبة المحموديه .
(★) 35 المرجع السابق . (★) 55 المرجع . (★) 60 المرجع . (★) 233 المرجع . (★) 237 / 250 المرجع .
(★) 256 / 333 المرجع . (★) 259 المرجع . (★) 27 المرجع . (★) 33 المرجع . (★) راجع 44 / 47 الدلائل .
(★) 68 المرجع . (★) 169 المرجع . (★) 191 المرجع .
(★) 199 المرجع نفسه . (★) 250 المرجع . (★) 255 المرجع . (★) 258 المرجع . (★) 33 المرجغ . (★) 167 الدلائل .
(★) 170 المرجع . (★) 233 المرجع . (★) 235 المرجع . (★) ص 2 اسرار البلاغة ، شرح محمد رشيد رضا ط 1959 .
(★) 246 / 257 — الدلائل .

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

للأستاذ : محمد عبد المنعم خفاجي

— 1 —

عبد القاهر الجرجاني علم من اعلام النقد والبيان في تاريخ الثقافة العربية ، بل هو ابو البلاغة العربية ومبتكر نظرياتها عند كثير من الدارسين (*) .

وقد عاش حياته كلها في جرجان وهي موطن كبير من مواطن الثقافة الاسلامية العربية في ايران في القرن الخامس الهجري (نحو 400 — 471 هـ) ، والف « المغني » في شرح الايضاح لابي علي الفارسي في ثلاثين جزءا ، ثم اختصره في كتاب سماه « المقتصد » (*) بمثابة شرح صغير على الايضاح ، والف مختارات من شعر المتنبي والبحتري وابي تمام ، وكانت ثقافته العربية والنقدية والبيانية اغلب عليه ، ولقب بالنحوي لتفوقه الكبير في النحو (*)واستقصائه لاحكامه وعلله ووجوهه .

وطارت شهرته في كل مكان ، وتصدر حلقات الادب والعربية في جرجان ، وقصده الناس للاغتراف من علمه ، والافادة من فضله ، وتتلمذ عليه علماء كثيرون منهم : ابو نصر الشجري (*) ، وعلي بن زيد الفصيحي (*) وسواهما ، وقيل عنه انه فرد في علمه الغزير ، لا بل هو العلم الفرد في الائمة المشاهير) (*) ، في العصر السلجوقي .

ومن آثاره الاخرى : « التكملة » وهو ذيل للايضاح ، و «الايجاز» وهو مختصر للايضاح ، والجمل في النحو ، والتلخيص وهو شرح لكتاب الجمل، والعوامل المائة ، وكتاب فن العروض، وكتاب العمدة في التصريف ، وشرح الفاتحة ، وله شرحان على اعجاز القرآن للواسطي (ت 306 هـ) احدهما كبير سماه « المعتضد » ، والآخر صغير ، والرسالة الشافية في الاعجاز وقد طبعت مع رسالتين اخريين بعنوان « ثلاث رسائل » علق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام وطبعت في القاهرة .

وله كتابان آخران : احدهما هو « التذكرة » ذكره مؤلف « انباه الرواة » ، والآخر هو « المفتاح » ذكره صاحب طبقات الشافعية .

واجل كتبه ، واعظمها اثرا ، واكبرها خطرا ، واخلدها على الايام كتابان هما : « دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة » ، وهما اعظم ما الف في البلاغة والنقد على مر العصور .

— 2 —

واذا كانت شهرة عبد القاهر بالبلاغة قد ذاعت وطارت في كل مكان ، فان شهرته بالنقد لا تقل في الحقيقة عن شهرته بالبلاغة ، وكتاباه يحتلان الذروة في كتب النقد العربي ويمثلان منهجا كاملا فيه .

وفي كتاب « دلائل الاعجاز » ، الذي الفه عبد القاهر ليحمل مقدمات في دراسة الاعجاز القرآني ، يتحدث عبد القاهر عن نظريته في النظم كاساس لفهم فضيلة الكلام وبلاغته ولفهم اعجاز كتاب الله كذلك ، وهو في قمة كتب البلاغة والبيان ، وفي كتابه « اسرار البلاغة » يتحدث عن المعاني الشعرية واقسامها ويخص التشبيه والتمثيل والاستعارة والمجاز والكناية وضروب التخييل بالشرح والايضاح والبيان .

(*) 210 بغية الوعاة للسيوطي ، 3 : 240 شذرات الذهب ، 3 : 242 طبقات الشافعية ، 2 : 188 انباه الرواة .

(*) مخطوط بدار الكتاب المصرية برقم 1103 .

(*) 443 روضات الجناب ، 2 : 242 فوات الوفيات . (*) 2 : 190 انباه الرواة . (*) نزهة الالبا لابن الانباري ص 434 / 436 . (*) 158 دمية القصر .

الدلائل ، وفي اسرار البلاغة كذلك في مبحث التشبيه عناية فائقة، ونقدها نقدا بيانيا ادبيا (✶) .

ان الادب عند عبد القاهر فن لغوي ، فاخضاع الفكرة او الاحساس للفظ هو ما يميز الادب عن غيره من الفنون ، وهذه النظرية الصحيحة هي موضع اعتزازنا بتفكير عبد القاهر (✶) ، الذي يبدا بنظرية فلسفية في اللغة ، ثم ينتهي الى الذوق الشخصي الذي هو مرجعنا الاخير في دراسة الادب (✶) ، وما النقد الا وضع مستمر للمشكلات البيانية ، فلكل جملة او بيت مشكمتـــه التي يجب ان تعرف كيف نراها ونصفها ونحكم فيها ، وهذا هو النقد الموضوعي كما رآه الجرجاني (✶) .

لقد اهتدى عبد القاهر الى كل تلك الحقائق ، التي اذا كان لها في تفكير اليونان القدماء ما يماشيها وفي علم اللسان الحديث ما يؤيدها ، فان الفضل الاكبر في الوقوع عليها يرجع الى مواهب عبد القاهر الفطرية المبتكرة الخصبة (✶) .

وبعد فهذه هي نظرية النظم التي يرجع الى عبد القاهـــر فضل ابتكارها والكشف عنها ، والتي تعد طليعة كاملة لعلـــم البلاغة العربية كما جمع اشتاته السكاكي من كلام عبد القاهر وآرائه في كتابيه الخالدين : دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة .

ليبيا : محمد عبد المنعم خفاجي

(✶) راجع 154 / 161 الفصل القيم الذي كتبه محمد مندور في كتابه في الميزان الجديد ـ الطبعة الثانية ـ في الموضوع .

(✶) 155 / 161 المرجع نفسه . (✶) 157 المرجع . (✶) 161 المـــرجـــع .

مـــا مـــات مجـــازه ، ومـــاتت حقيقتـــه

قـــال احـــد الشعـــراء يمـــدح اميـــرا في يـــوم عيـــده :

انـــت كالدلـــو ، لاعدمنـــاك دلـــوا
مـــن كثير العطـــاء ، قليل الذنـــوب
انت كالكلب في الحفـــاظ على الـــود
وكالتيـــس فـــي قـــراع الخطـــوب

قيل : فلما سمعه رجال الامير عمـــدوا الى سيوفهـــم ، وجردوها عليـــه ، فاستوقفهم ، وفهم من منشده انه يمدح كرمه ، وامانته ، وشجاعته . فشبهه بالدلو ، والكلـــب والتيـــس ! »

1) انه لا فصل بين الالفاظ ومعناها ، ولا بين الصورة والمحتوى ، ولا بين الشكل والمضمون ، في النص الادبي .

2) ان البلاغة في النظم لا في الكلمة مفردة ولا في مجرد المعاني ، والباحث عن الاعجاز عليه ان يتتبعه في النظم وحده .

3) ان النظم هو توخي معاني النحو واحكامه وذوقه ووجوهه فيما بين معاني الكلم .

4) ولذلك اخذ عبد القاهر في كتابه الخالد « دلائل الاعجاز » يعرض لوجوه تركيب الكلام وفق احكام النحو ، مستنبطا الفروق بينهما ، عارضا لاسرار المزية والحسن والبلاغة فيها .

— 5 —

فان الجديد عند عبد القاهر هو انه استخدم معاني النحو واحكامه استخداما جديدا بيانيا نقديا محضا .. والا لكان في النحو غنى عن كل ما قرره عبد القاهر والبلاغيون من احكام بيانية بلاغية ، وذلك ما يرده عبد القاهر ويؤكد نفيه له في كتابه ، كما يقرر في كل فصل من فصول « الدلائل » ان لا سبيل الى معرفة الاعجاز الا « النظر في الكتاب الذي وضعناه ، واستقصاء التامل لما اودعناه (★) ، وانه الطريق الى البيان والكشف عن الحجة والبرهان (★) ، وان لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن الا الوصف الذي كان له معجزا ، والطريق الى العلم به موجودا اي ممكن ، ويكرر في الكتاب انه يقرر امورا صعبة على الفهم ، وغير ذلك مما جعل عبد القاهر يشحذ ذهنه في تقريرها ، وذهن القاريء والسامع في تقبلها ، لوجه الجدة فيها ، وانه المبتكر لها

— 6 —

وهذه النظرية ، وهي نظرية النظم ، بما اشتملت عليه من تطبيقات وشروح واسعة ، جديدة كل الجدة عند عبد القاهر ، ولم يعرض لها احد قبله هذا العرض المتميز ، ولذلك جهد عبد القاهر في ايضاحها ، ورفع الشبه عنها ، والرد على من يعترضه فيها ، من اول « دلائل الاعجاز » الى آخره ... ففلسفة عبد القاهر البيانية تنهض على اساس فكرة النظم (★) ، واذا كان هناك من يذهب الى ان عبد القاهر لم يكن مخترعا لها ، وانما كان هو الذي بسط فيها القول ، واقام على اساسها فلسفة كتابه ، فقد سبقه اليها الواسطي صاحب كتاب « اعجاز القرآن في نظمه » ، وظهرت هذه الفكرة واضحة في الصراع الذي اثاره امتزاج الثقافات وتعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم ، ودفاع حملة العربية عن تراثهم وثقافتهم ومنها الثقافة النحوية (★) فان كتاب الواسطي المفقود لا ينهض حجة على ذلك ، وتعصب المثقفين بالثقافات المترجمة للمعاني ولمنطق ارسطو وعدم اهتمامهم بالالفاظ ودفاع علماء العربية عن الاساوب العربي وتنقصهم لمعاني ارسطو ومنطقه كل ذلك لاشبه بينه وبين نظرية النظم عند عبد القاهر ، وعلى اي حال فاننا لا نذهب الى ان رد البلاغة والاعجاز الى النظم هو الجديد عند عبد القاهر ، ولكن الجديدة عنده هو شرحه لنظرية النظم هذا الشرح الجديد حقا ، وتطبيقه عليها ، هذه التطبيقات النقدية البيانية الواسعة ، وفرق على اية حال بين اية نظرية في استنباتها ، وبينها في قمة ازدهارها ، واذا كان عبد القاهر لم يخرج بالنظم عن معاني النحو ، وكانت فكرة النظم عنده تقوم على معرفة هذا النحو وما ينشأ عن الكلمات حين تتغير مواضعها من المعاني المتجددة المختلفة (★)

ولقد اعتمد عبد القاهر على الذوق الادبي الخالص اعتمادا كليا في كل ما قرره من احكام ، مؤكدا انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من اهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بان لما يومىء اليه من الحسن واللطف اصلا ، وحتى يختلف الحال عليه ، عند تأمل الكلام ، فيجد الاريحية تارة ، ويعرى منها اخرى ، وحتى اذا عجبته عجب ، واذا نبهته لموضع المزية انتبه (★) .

وقد اثرى عبد القاهر البلاغة العربية والبيان العربي اثراء جليلا ، بما كتب في نقد الاساليب وتحليلها ، واستنباط الفروق والخصائص فيما بينها ، وبما عرض له من احكام نقدية دقيقة ، على الاساليب وضروب النثر والشعر .

انه ليس لنظرية عبد القاهر في النظم من القيمة ما لتطبيقاته فهناك يظهر ذوقه العربي السليم ، ذلك الذوق الذي لا يمكن ان يغني في الادب عنه شيء ، ونظرية عبد القاهر في رمزية اللغة ورد المعاني الى النظم ومنهجه في نقد النصوص نقدا موضعيا ، ما هي الا مراحل تنتهي به الى الذوق الذي يدرك الدقائق ويحس بالفروق ووجوه الكلام واسراره ، واحساس عبد القاهر الادبي السليم سابق دائما لعقله ، والحكم على النظم عنده هو النظر في المعنى منظوما ، والذوق هو الفيصل الاخير في الحكم على هذه الدقائق ، والى هذا فطن عبد القاهر بحسه الادبي الصادق ، فالذوق عند الجرجاني يتحكم في نظم المعاني التي نعبر عنها ، وتسوق فكرة النظم عبد القاهر الى تخطي الاعراب والجملة البسيطة الى الجملة المركبة ، التي عنى بها في

(★) 163 البيان العربي ، الطبعة الثالثة . (★) 164 المرجع السابق . (★) 167 المرجع . (★) مقدمة دلائل الاعجاز .
(★) مقدمة دلائل الاعجاز . (★)190 دلائل الاعجاز .

جنى على الادب في المغرب جناية كبرى ، بحيث اوشكت هذه الفكرة ان تتحول الى عقيدة راسخة .

ونعيد السؤال مرة اخرى ، ما سبب ندرة النبوغ الادبي في المغرب في الحقبة الاخيرة ؟

يجب ان نعرف اولا وقبل كل شيء ، ان النبوغ في ذاته ظاهرة فردية ترجع الى مزاج الفرد وطبيعته الخاصة ، وعوامله النفسية التي ما زال علم النفس لم يقل كلمته الجازمة فيها ، بالرغم من التقدم الذي حققه في هذا العصر ، ففي النفس الانسانية مناطق واسرار لم يخضعها العلم بعد لسلطانه ، النبوغ لا يعلل بتقدم اجتماعي او ثقافي او اقتصادي او سياسي ، فقد يكون هناك تقدم في كل هذه الميادين ولا نبوغ ، وقد لا يكون تقدم ما ويكون النبوغ ، العرب الجاهليون — مثلا — كانوا متأخرين في النواحي السياسيةوالاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وكان مع ذلك عندهم نبوغ في الميدان الادبي ، فما زهير زعيم مدرسة الصنعة ، وما عنترة صاحب الملاحم الشهيرة ، وما امرؤ القيس واضع اسس القصيدة العربية ، وما النابغة الذبياني سيد من اعتذر في الشعر العربي ، ما هؤلاء كلهم الا ابناء بيئة متأخرة من جميع الوجوه الا من الوجهة الادبية ، النبوغ اذن كما قلنا ظاهرة فردية محضة ، تخضع لمؤثرات ما زال الكثير منها غامضا لحد الآن ، يتجلى هذا الغموض في الحيرة التي تصيبنا عند ما نلقي على انفسنا هذا السؤال : ما السر في ان اديبين ينشآن في بيئة واحدة وعصر واحد ، ويتلقيان ثقافة واحدة ، ومع ذلك نرى احدهما فارعا السماكين ، بينما الآخر لاصق بالحضيض ؟ فعند ما نعجز عن معرفة السر ، نقول هذه الكلمة التقليدية التي لا تحقق شيئا : انه النبوغ . او انها العبقريـــة .

ولكن اذا كان الوسط لا يخلق النبوغ ، فانه يؤثر فيه وتوجيهه ، فهناك الوسط الذي يهيء الجو لموهبة النبوغ لتظهر وتفتح ، فهو يساعدها على النمو ، ويمد لها في اسباب النضج ، لتستحيل الى قوة دافعة في المحيط الادبي ، وعلى العكس من ذلك هناك الوسط الذي يقف حجر عثرة في طريق النبوغ ، فهو يحيطه بشتى العراقيل التي تصده عن البروز ، فيبقى مكبوتا في الفرد ، ليظهر في شكل انحراف ، والحقيقة التي يجب ان نقولها هنالك بكل صراحة ، هي ان الوسط المغربي لا يستثمر النبوغ ، ولا يحسن توجيهه ، ولا يمهد له السبل ، وانا استعمل هنا كلمة (الوسط) في معناها الواسع الشامل ، الذي تدخل فيه القطاعات الخاصة والعامة في الهيئة الاجتماعية ، بما في ذلك طرق التربية والتعليم ، ونوع الثقافة السائدة ، ونسبة المثقفين الى الاميين ، ووجهة الثقافة ، وكيفية تنظيم الصحافة ، ومقدار الصحف والمجلات والاغراض التي تخدمها ، وكذا النوادي الادبية ، ومبلغ تعطش منها غامضا لحد الآن ، يتجلى هذا الغموض في الحيرة التـي الجمهور للقراءة ، او مبلغ انصرافه عنها الى ما هـو من هـذا القبيـــــل .

نعم هناك نوع من النبوغ الجبار الذي يتغلب على الوسط العائق ، ويشق طريقه في اندفاع وقوة ، متخطيا كل العقبات التي تواجهه ، حتى يصبح شيئا مذكورا يعترف به الجميـع ، ويبسط سلطانه وهيمنته على الحياة الادبية ، والنوابـغ الذين من هذا النوع اقليه في جميع الاجيال ، ولو رزق جيلنا واحدا منهم لملأ الدنيا وشغل الناس ، ولو قامت في وجهه الف عقبة وعقبة ، انه الحظ السيء الذي حرم جيلنا من مثل ذلك النابغـة القوي الجبـــار .

ومما يستأنس به في الصدد ان الشكوى من ندرة النبوغ في الجيل قد شغلت الصحافة في مصر منذ وقت بعيد ، فتحضرني الآن تلك المناقشات التي دارت على صفحات (الرسالـة) بين الاستاذ العقاد والاستاذ احمد امين — ان لم تخني الذاكـرة — حول ندرة البطولة في جيلهما ، بالنسبة للاجيال الماضية ، وعند الاستاذ العقاد رحمه الله ان من الظلم ان نقيس الجيل الحاضر الى كل الاجيال الماضية ، والعصر الحاضـر الى كـل العصور الغابرة ، وان من اللائق ان ناخذ خمسين سنة — مثـلا — مـن العصور القديمة ، ونقارنها بخمسين سنة من العصر الحديـث ، فهذه المقابلة هي التي تصحح رأينا في تقدير الجيـل الحاضـر وحكمنا عليه بانصاف وقسطاس مستقيـم ، ذلـك هـو رأي المرحوم الاستاذ العقاد ، قال به منذ عدة سنين ، بما عهد فيـه من قوة العارضة ، ووضوح الحجة ، وهو رأي نستأنس به في هذا الصدد ، ليكون فيه مقنع لمن يخطـر بباله ان يقابـل بين احوال النبوغ في القديم والحديث .

وقد يعن لبعض الناس ان يتساءل : ما بال صاحب المقال يبحث عن اسباب ندرة النبوغ في الادب المغربـي الحديـث ؟ اليس النبوغ نادرا في ذاتـه ؟ انه معـدن نفيس ، والمعادن النفيسة تكون دائما نادرة ، وهذا اعتراض يحالفه التوفيق من جهة ، ويجانبه من جهة اخرى ، فالنبوغ نادر حقا ، ولكنـــه بالنسبة الى فترة محدودة من الزمن ، نقـدر بعشرين سنـة او بثلاثين سنة او نحو ذلــك ، اما بالنسبــة الى جيـل كامـل ، يستغرق عشرات السنين ، فاختفاء النبوغ او ندرته مما يبعـث على القلق ، ويدفع الى التساؤل عن الاسباب والعوامل ، فقـد عرفنا في تاريخ الادب العربي اجيالا حافلة كلها بالنوابغ من الادباء والشعراء ، واذا حدث هذا في الماضي ، فما المانع من حدوثه في جيل اليوم ؟ .

قد يكون من اسباب ندرة النبوغ الادبي في جيلنا الحاضر اننا نعبد علينا المنافع العاجلة ، ونكـل عن طلـب الاهداف البعيدة ، نميل الى انتهاز اول فرصة براقة تصادفنا ، ولا نصبر صبرا طويلا لكي نبني كياننـا الادبـي على اسس صحيحـة ،

ندرة النبوغ الأدبي في الجيل المغربي الحاضر

للأستاذ: عبد العلي الوزاني

نظرة عامة شاملة يلقيها الباحث على الانتاج الادبي في المغرب في الحقبة الاخيرة ، تتكشف له عن ندرة النبوغ في الادب المغربي الحديث ، الامر الذي يدعونا الى ان نسائل عن الاسباب التي وسمت ادب هذه الفترة بالضحالة ، وقعدت بادبائنا اثناءها عن اللحاق باخوانهم في البلاد العربية الاخرى ، فكل ظاهرة ادبية ليست الا صدى للمؤثرات الباعثة عليها ، والتي ترد اليها عند الدرس .

ونبدأ بنفي التهمة التي قد توجه الى المغربي من حيث طبيعته ، فهو ذكي حاد الذكاء سخي الطبع ، مستوفز الحس ، قوي الشعور ، سريع التطور ، شديد الاقبال على الجديد .

فالمغربي استجاب للحضارة الاسلامية الوافدة عليه من الشرق ، واندمج فيها ، وتفاعل معها ، وكيفها حسب طبيعه ، واحواله الاجتماعية ، وبيئته الطبيعية ، حتى اصبح المغربي يصدر الحضارة الى الخارج ، في فنونه وصناعاته اليدوية البارعة ، وهو قد ورث الحضارة الاندلسية فتبناها واحتضنها وحافظ لها على لونها الممتاز وطابعها الاصيل ، في الموسيقى والنقش والعمارة ، وفي الادب والعلوم ، فكان الفضل راجعا اليه في الحفاظ على التراث الاندلسي وصيانته من الضياع ، وفي ذلك دليل على حيوية المغربي وروحه الفنية ، فصيانة الفن كخلقه وابداعه ، كلاهما دليل على سمو المنازع وجمال الطبع ورقة الذوق ، وفي العصر الحديث نشاهد المغربي يهضم الحضارة الغربية ، باخذ منها احسن ما فيها ، ويحاول ان يوفق بينها وبين مطالب البيئة التي يعيش فيها ، وبينها وبين تراثه القومي . واذا كان البعض قد خانه التوفيق في هذا الصدد ، فاندفع وراء تلك الحضارة اندفاع الاعمى ، وتجاهل تراثه القومي ، فليس الامر كذلك بالنسبة الى المجموع ، والمغربي عاطفي بطبعه — والعاطفة مادة الادب الحية — سريع التأثر ، قوي الاستجابة لما يحيطه من المؤثرات ، بريء من جمود الطبع ومن برودة الدم ، وهذا علة كثرة الفتن والثورات والقلاقل الاجتماعية والسياسية التي كان المغرب مسرحا لها طيلة تاريخه .

وكما نفينا التهمة عن طبيعة المغربي ، فاننا ننفي تهمة اخرى عن طبيعة البلاد المغربية . فهي ليست بالجافة ولا بالقاحلة ، انها جنات تجري من تحتها الانهار ، جبال شامخة تملأ النفس بالعظمة ، ومروج خضر هي عبارة عن زرابي منوعة تكون فتنة للناظرين ، واودية تهب الخير والبركات عن يمين وشمال ، وبحيرات لو اختصر البحر لكان اياها ، سعة في جمال ، وتدفقا في نظام ، وثلوج تكسو قمم الجبال فتجللها ببياض ناصع نقي كنقاء القلب الطيب والنية الخالصة ، وغير ذلك كثير ، فهي طبيعة خليقة بالمنح والعطاء جديرة بان تلهم النفوس فوق الشاعرية ، وتقدم للاديب مادة لا تنفد ، لينبوع منها اروع آياته ، ولو استجيب لطبيعة بلادنا لكان لنا في كل خميلة شاعر ، وعلى كل غصن بلبل غريد .

واذن فما علة ندرة النبوغ الادبي في المغرب في الحقبة الاخيرة ؟ لقد عرفنا ان الامر لا يتعلق بجمود في طبع المغربي ، ولا بجفاف في طبيعة بلاده ، فما السبب اذن ؟ هناك بعض من يعللون هذه الظاهرة بكون المغاربة صرفوا كل عنايتهم الى الفقه ، على حساب الناحية الادبية ، الامر الذي اصاب الحياة الادبية في المغرب بالعقم ، وانا اشك كثيرا في قيمة هذا التعليل ، فالمغرب كان — ولا يزال — بلاد ادب ، كما هو بلاد فقه ، وملوك المغرب على اختلاف العصور كانوا يشجعون الحركات الادبية ، ويقربون الادباء الافذاذ اليهم ، ويهيئون لهم الظروف الحسنة ، ليتحفوا الناس بادبهم ، باستثناء بعض الفترات التي تصادف بدء تأسيس الدول ، اذ ان مشاغل رجال الدولة تستنفذ كل طاقتهم ، فلا يجدون متسعا من الوقت للاستماع الى تطريب القصيد ، وقد آن الاوان لينهض الباحثون عندنا بالكشف عن الحركات الادبية في تاريخ المغرب لدفع هذه التهمة الخطيرة ، وهي ان المغرب كان بلاد فقه ، ولم يكن بلاد ادب وان الفقه

واستطيع القول بان تلك الروح العصامية التي تهيىء للنبوغ الجو وتوثر في انبثاقه نادرة جدا عندنا في المغرب ، سرح الطرف في حياتنا الادبية على ضيق رقعتها ، تجد ان العصاميين منا اقلية ضئيلة جدا ، تكاد لاتذكر ، ولا يكون لها وزن بالقياس الى الاكثرية التي تاخذ الادب من اقرب موارده ومصادره ، وتكتفي منه بالشيء اليسير الذي لا يسمن ولا يغني من جـــوع .

ولكن لما ذا كانت عندنا العصامية بهذه الندرة النادرة ؟

لا ارى هناك سببا واضحا يمكن الاطمئنان اليه ، فالعصامية قد تظهر ولا باعث على ظهورها من تقدم علمي ونهوض ادبي ، وقد تختفي وبواعثها موجودة ، ولكن اذا توفرت بواعثها كانت فرص ظهورها اكثر ، وظهورها لا بد ان يقترن عادة بالطبائع القوية ، والقرائح المتفجرة التي توهب لبعض الافراد ، فنحن نرى ان مئات المدارس وعشرات المعاهد لا تطالع الا عصاميين قلائل من بين آلاف الطلبة ، بينما نــرى هناك بعض الاوساط التي كان التعليم فيها متأخرا وفي اضيق الحدود ، وبوسائل وطرق عقيمة ، ومع ذلك فقد برز منها العصاميون الذين تخطوا الرقاب وتربعوا على القمة ، ويحضرني الآن اسم المرحوم العقاد الذي يعرف القارىء الكريم عنه ما فيه الكفاية ، فهذا العملاق قد ظهرت عصاميته في وقت كانت فيه الاوضاع التعليمية والثقافية في مصر فاسدة عقيمة لا تساعد على ظهور العصاميين ، ولعــل التحدي الذي يجدي العصامي الجبار من محيطه ومجتمعه ، هــو الذي يحمله على مجابهة التحدي بتحد مثله ، فيصمد في موقفه ، حيث يكل العصاميون الذين يقلدن عنه عزما وقوة ارادة وموهبة، فلا ينقطعون عن مزاولة الانتاج ولكن يقصرون عن ادراك شأوه ومجاراته في خطواته الجبارة ، وهنا نلتقي بتلك الفكرة القديمة التي تقول بان الاديب النابغة انما هو ابن الشقاء والحرمان . فالالم ــ ذلك الزاد الالهي الذي تقتات منه الارواح على حد تعبير بعضهم ــ يعمق احساسه بالحياة ، ويضاعف من شعوره بما تفعله الايام ، فينعكس ذلك على ادبــه ، ويزوده بمادة غزيــرة من العواطف الجياشة ، والمشاعر المتدفقة ، وعندي ان هذه الفكرة ليست صادقة على الاطلاق ، فاذا صحت بالنسبة الى بعض الافراد الذين يكيف الالم طبائعهم ، فهي لا تصح بالنسبة الى آخرين جبلوا على طبيعة متفتحة متفائلة رضية ، وكثيرون هم الادبــاء الذين عاشوا في ظروف مواتية ، واحاطتهم النعمة من كل جانب، فبرزوا واجادوا في فنون القول وكانوا ملء السمع والبصر .

فاس ــ عبد العلــي الوزاني

« اللامعقـــول ... او الفـــن المريـــض »

اللامعقول ، دعوة متشائمة مريضة قام بها من اللاجئين المجتثين من اصولهـــم الاجتماعية والمقيمين الآن بباريس ، مثل يوجين يونيسكـــو الرومانـــي الاصـــل ، وصموئيل بيكيت الارلندي الاصل، وآداموف الارمني السوفياتي الاصل ، وهم قـــوم كفروا بالحياة فظنوا انها لم تعد تسير على منطق مفهوم أو قابل للفهم ، وان بديهيات العقل البشري قد انهارت ، ولم يعد هناك وجود لقانون السببية ، وقانون الهويــة الذاتية ، وقانون التناقضات الفكرية ، واخذوا يرسمون صورا لا معقولة يزعمون انها المرآة الصحيحة لحياة البشر المعاصرين ، وانــا ارفض هذه الدعوة اليائسة المتشائمة، وادعو الى التمسك بسلامة العقل البشري ، وقوة ارادة الانسان القادرة على المحافظة على مباديء العقل والفهم ، بل ، والسيطرة على الحياة .. . فانا مــن انصار ارادة الحياة ... بل وارادة القوه كما قال الشاعر الخالـــد :

اذا الشعب يومـــا اراد الحيـــاة ❊ فـــلا بـــد ان يستجيب القـــدر

« الدكتور محمد مندور »

ونقترب من المثل الاعلى ، ما زلنا لم نتعلم بعد التضحية من اجل غد ادبي افضل ، جلنا يضعف امام نفسه عند ما تواجهه المادة بوجهها البراق الخادع ، فينسى رسالة الادب ، ويرتمي في احضان المادة ، تلك الفاتنة اللعوب ، وتكون النتيجة هي خسارة الحياة الادبية في ابنائها ومعقد الامل فيها ، لا نظنن ان النبوغ الادبي نتيجة سهلة المنال ، انه موهبة غير مكتسبة ،ولكنها تحتاج الى التربية والتهذيب والتعهد بالسقيا ، لتتحول من قوة سلبية الى قوة ايجابية ، فهي تحتاج الى الدراسة المضنية ، والبحث المتصل ، والنضال الادبي الباسل ، والكتابة المثابرة الصابرة ، وكل نبغاء الآداب العالمية لم يكونوا الا خلاصة الدرس والبحث ، النبوغ نار تحت رماد، تحتاج الى من يحركها لتتوهج الجمرات ، وكنز مخبوء يحتاج الى المجهود الضخم ، ليهب افضاله وخيراته .

وكثيرا ما يكون النبوغ كموهبة كامنا في نفوس بعض الافراد ، ولكنهم لا يعرفونه ، ولا يكتشفونه في انفسهم الا بعد دراسة طويلة ، ومحاولات عديدة في الكتابة والانتاج ، الامر الذي يهدي المثقف الى مواهبه الحقيقية ، فلا يبقى ضالا عنها وهي كامنة في نفسه ، ذلك ان القراءة الدائمة ، والكتابة المتصلة، من شأنهما ان تجعلا نفسه تتفتح وتشرق من خلال تجارب الآخرين عند ما يقرأ ، ومن خلال تجربته الخاصة عند ما يكتب، رياضة الفكر والنفس هنا تشبه رياضة الجسم ، فعناصر القوة كامنة في الجسم الانساني ، ولكنها لا تظهر الا بعد تمرين رياضي شاق طويل ، تقوى به العضلات ، ودوافع الانماء والاخصاب كامنة في الارض ، ولكنها لكي تعمل عملها البارع تحتاج الى المجهود البشري من تقليب وتسميد ، وعناصر التغذية كامنة في اللحوم والخضر ، ولكن لكي تعمل عملها تحتاج الى التهييء والاعداد ، وكثيرا ما يخرج بها الاعداد السيء عن وظيفتها ، فتصبح ضارة لا نافعة ، وكذلك الشأن في قضية رياضة الفكر .

وكيف نريد لجيلنا ان ينبغ وهو يقتل اوقاته في الملاهي الرخيصة ، منغمسا في مباذله التي لا يتأتى له معها ان تكون له اهتمامات فكرية وادبية ؟ تلك الاهتمامات التي تخلق رجال الفكر ، وتعد الادباء ، وتفجر المواهب والعبقريات ، مجالسنا وانديتنا ومقاهينا ومنازلنا ليست مجالي للحديث المثقف ، والتجاوب الفكري ، بقدر ما هي مجالي للحديث التافه ، والاهتمامات الصغيرة ، ومن ثم كانت معقمة للفكر ، ومبلدة للشعور ، وقاتلة للمواهب .

وشبابنا المثقف يقرأ للشهادة لا لنعشق المعرفة ، ويدرس للحصول على وظيف ، لا للاستجابة لنزوع فكري محض ، فاذا حصل على الشهادة والوظيف ، تنكر للثقافة ، وطوى الصحف ، وجعل بينه وبين الكتاب حجابا كثيفا من المصالح العاجلة ، فاذا رأى احدا يكرس حياته للعلم ، ويهب نفسه للادب ، اعتبره شاذا عن عن القاعدة ، وغير صالح للحياة ، يعيش في الخيال ، وينعم بالاحلام ، وليس معنى هذا ان كل مثقفينا من هذا النوع فمنهم اقلية ــ ولكنها ضئيلة ــ تدين بدين الفكر ، وتصون قداسة المعرفة ، وتهيم بالاطلاع والتثقيف الذاتي الى حد بعيد .

ما زلت اكرر انه لا نبوغ يمكن ان يوجد عندنا اذا لم تكن لنا اهتماماتنا الفكرية ، التي تجعل منا مثقفين لا في مقدار ما نحفظه من القواعد ، وما نلم به من العلوم ، ولكن في نظرتنا الى الحياة وحكمنا على الاشياء ، وتقييمنا لما يحيط بنا من ظواهر واحداث .

الاهتمامات الفكرية تخلق القلق الفكري ، وتبعث على التأمل ، وتثير شتى التساؤلات ، وتدفع الى مزيد من الاطلاع ومن الدرس ، وبذلك يتسع الافق ، وتنمو القدرات العقلية ، وتتفتح المواهب الروحية ، ويبرز النبوغ ليحتل مكان الصدارة بالنسبة للافراد الذين ميزتهم الطبيعة بقوة الاستعداد ، ومتانة الطبع ، وصفاء الذهن ، وحيوية القريحة .

والنبوغ ظاهرة تبرز عادة في الاوساط الادبية التي تظهر فيها الروح العصامية ، هذه التي تكشف عن معدن النبوغ في نفوس الافراد وعقولهم ، فانت لو درست الاوساط التي ظهر فيها نبغاء الانسانية في الآداب والفنون ، للمست فيها هذه الروح العصامية التي تدفع بالفرد الى تعشق المثل الاعلى ، وتعبئة جميع ملكاته وكل طاقاته الفنية لخدمة الفن ، وعدم القناعة منه بسوى المستوى الرفيع والقمة العالية .

والروح العصامية لا تتنافى مع الدراسة الجامعية المنظمة كما قد يتبادر الى الذهن ، فالطالب ما لم يكن عصاميا اكتفى من الدراسة بالشهادة التي قد يحصل عليها ، وانصرف عن الدرس والمزيد من الاطلاع ، ولا تقدم لاي وسط ادبي الا اذا وجدت فيه هذا الروح العصامية ، ذلك لانها الضمانة الكبرى لتمكن حب المعرفة من القلوب ، وسيطرة الفضول الفكري على العقول ، وتجنيد الرأي العام الادبي للجهاد الفكري في سبيل الاقتراب من المثل الاعلى ، فالفرد عند ما تتمكن منه هذه الروح يستهين بجميع العقبات ، ولا ينتظر ان تتاح له الفرص للانتاج ، بل هو الذي يخلقها ويهييء لها الاسباب ، فاذا ضمت جهود الافراد العصاميين بعضها الى بعض ، خطا الادب خطواته الجبارة وارتفع في سماء الفكر عملاقا ضخما ، يبسط راحتيه ليهب هباته السخية الثمينة ، وكانت له اصداء تتجاوب بها رحاب النفوس ، وفي هذا المعترك ، وهذا الجو المفجر للطاقات الادبية ينبثق النبوغ ، وهذا لا يتنافى مع ما قلناه سابقا من ان ظهور النبوغ لا يتوقف دائما على رقي الوسط الاجتماعي ، ذلك اننا لا نزيد على القول بان الوسط اذا كان لا يخلق النبوغ ، فهو قد يوجهه ، ويساعد على دفعه نحو الظهور ، مهيئا له الجو المناسب .

الافكار البشرية التي ستهتم بوضعها . ومن هنا ستبدو لنا الصعوبة التي تلقاها بعض التجارب التي لا تتفق وعقلية الشعوب التي تجري بها والتي لا تجد اصداء شعبية تباركها لانها كثيرا ما تكون بعيدة عن روح هذه الشعوب مخالفة لآمالها العظيمة وامانيها الجسيمة متحدية لشعورها الوطني متناقضة مع ميولها الفطرية ومشاعرها الطبيعية .

وليس غريبا ان نرى بعض التجارب تخفق رغم اخلاص القائمين بها وتفشل بالرغم عن حسن النية عند اصحابها لانها كانت عبارة عن نقل اشياء من الخارج فتن بها الاغمار وحاولوا قسرا ، تطبيقها فى ارض اجنبية عنها .

وكثيرا ما يعتقد بعض المغفلين ان الانسانية طبيعة واحدة لا يشذ عنها الا سكان بعض النواحي النائية فى الكرة الارضية نظرا لوجودهم فى مناخ مخالف للمناخ العام وطقس عنيد متباين مع الطقس المعتدل الذي يشمل جل اركان المعمور ، وقد تبدو هذه الفكرة وجيهة فى حد ذاتها لان ربوعا كثيرة من العالم يشملها طقس مماثل ومناخ مقابل مع اختلاف غير قليل فى الحرارة والرطوبة وتباين لا يستهان به فى الارتفاع والانحدار اللهم الا ما كان من بعض الجهات النائية كالاقطار المجاورة للقطبين وبعض البلدان التي لا تعدو صحارى قاحلة وغابات متكاثفة والتي لم يستطع سكانها الاصليون الخروج من حياتهم البدائية الى حياة مدنية راقية رغم وصول اشعة الحضارة الانسانية اليهم وانوار المدنية البشرية الى جوارهم . ولكن نقطة الخلاف فى الموضوع هي ان هؤلاء المغفلين لم يعتبروا شيئا حسبوه يسيرا وما هو باليسير فى اختلاف هذه الشعوب وهو التباين الموجود فى العقلية والتباعد الواضح فى التفكير والتنافي الكامل فى الطباع ، فهل يعقل ان يطبق فى افريقيا ما يطبق فى آسيا او فى اوربا ؟ وهل يعقل ان تنفذ نفس السياسة فى كل من امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية ؟ كلا ثم كلا ! والله . .

لقد حاولت الصين ان تقتفي آثار روسيا السوفياتية فى السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع ولما وصلت الى نصف الطريق وجدت نفسها فى خلاف كامل مع قدوتها بل ان الخلاف ما عتم ان تقوى وتعزز حتى اصبح يهدد الكتلة الشيوعية كلها لان لكل من البلدين عقلية خاصة ولم يستطع احد منهما ان يتقمص شخصية الآخر ولا ان يطبق سياسته بالحرف فنشأ عن ذلك نزاع شديد وخصام عتيد قد يهدد النظام الشيوعي برمته .

وياليت المفكرين يعتبرون بهذا المثال الحي الذي مافتيء يصرخ فى وجوهنا جميعا مؤكدا ان لكل بلاد عقلية ذاتية يجب ان تحترم وتفكيرا محليا ينبغي ان يقدر ويعظم .

ولعل ميدان الفكر والثقافة اوضح ميدان يتعين فيه على الانسان ان يعتبر هذه الحقيقة ولا يعدو طورها . ولعل عدم وعينا لهذه الحقيقة هو السبب فيما يعترض تطورنا الثقافي من عقبات كأداء ما زلنا لم نستطع حتى الان ان نتخطاها وحواجز شائكة لم نقدر بعد على التغلب عليها . .

فقد احتكر النشاط الثقافي فى بلادنا فريقان تتنافى ميول الواحد منهما ميول الآخر وظن كل حزب منهما ان الصواب ما ارتآه افراده وطبقوه وان الضلال كل الضلال فى اتباع منهج الفريق الثاني .

اما احدهما فقد استمسك بالثقافة العربية الاصلية معتبرا انها خير مخرج لبلادنا من ظلمات الجهل والجمود الى نور المعرفة والحيوية ، فعكف المنتمون اليه على دراسة تراثنا العربي القديم وابراز اعظم جوانبه الخفية التي طمستها معالم الحضارة المعاصرة واشباح التيارات الفكرية الجديدة . وقد تخصص اصحاب هذا الفريق الاول او كادوا يتخصصون فى القيام بدراسات تاريخية قيمة وابحاث لغوية متينة واقتباسات فكرية قديمة ونظرات فى الادب الفكري الكامل تاركين ، ظهريا ، كل ما له مساس بحاضرنا الذي يهمنا امره وتجرنا عجلته معرضين كامل الاعراض عن كل انتاج حي يتلاءم ووضعنا الثقافي الحالي ويضع الخطط لمستقبل حضاري زاهر .

اما الفريق الثاني فقد اقبل على الثقافة الحديثة اقبال المتعطش الهيمان على الماء القراح وتهافت اشياعه واتباعه الكثيرون على كل ما تنتجه المطابع الغربية والاجنبية بالقراءة والدراسة والمطالعة والتمعن واللهفة والتذوق معتقدين انه احسن ما يتعين على مثقفي العصر ان يقراوه ويتدارسوه ويتمعنوه ويتفهموه بل ذهب الطيش والخطل ببعضهم الى اعتبار هذه الثقافة الحديثة وحيا منزلا وكتابا مقدرا وقضاء مقضيا من اخذ به نجا ومن خالفه غوى . اما الدراسات اللغوية والابحاث التاريخية فانها لا تخرج فى نظر اصحاب هذا الفريق عن اجترار اغذية قديمة ان لم تكن قد فقدت الطعم فانها قد فقدت على الاقل المواد المقوية التي كانت تحتوي عليها فى زمانها الغابر والفيتامينات التي كانت تتوفر عليها فى عهدها الماضي .

يتبع — الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

حاجتنا الى تفكير مغربي

للأستاذ : عبد اللطيف خالص

لا اريد ان يتسرب الى ذهن بعض القـراء اني اقصد من وراء هذا البحث ان اضع حـدودا للتفكيـر الانساني او ان ادعو الى « المحلية » فى الفكر والثقافة والعلم والادب . فاني بعيد من الذين يدعـون الـى التضييـق الفكـري بـريء مـن حزبهـم ولكـن غرضي الاسمـى هو ان لا نخرج بفكرنا نحـن المثقفين المغاربة عن الاهتمام بقضايا الوطن وشـؤون المواطنيـن وان لا نغوص فى احاديث لا تتجاوب مـع مطالب مجتمعنا وآمال قومنا ومتمنيات اخوانـنـا المواطنين كما ان الغاية القصوى من هذه العجالـة هي الدعوة الى عدم استيراد الافكار من الخـارج ومحاولة تطبيقها فى بلادنا رغم ما لبلادنا من حـدود لا يمكن ان تتجاوزها وطاقات لا تستطيع ان تفوقهـا وامكانيات بشريـة وطبيعية من الصعب حملها علـى مـا لا تستطيعـه واقحـام وطننـا فـي كل ما هو فى منأى عنه . وقـد عرف المغرب قبـل الاستقلال وبعده على الخصـوص محاولات كثيرة فى هذا السبيل كان قصد اصحابها بث بعض الافكـار الغربية والنظريات الاجنبية الجليلة فى حد ذاتها ولكن هذه المحاولات ذهبت ادراج الرياح لانها وان وجـدت من جماهيرنا آذانا صاغية وقلوبا واعية ، كانت مـن القوة والمنعة بحيث لم تستطع ان تلتحم مع شعـور المواطنيـن ولا ان تتجاوب مع مطالبهم ورغباتهم .

وقد ادرك جميع المثقفين ان هذه المحاولات لـم تستطع ان تنفذ الى اعماق المواطنيـن لانها كانـت كبيرة عليهم عظيمة بالنسبة لطاقة ادراكهم وتفكيرهم رغم محاولاتهم اليائسة للاخذ بارسانها والعض عليهـا بالنواجـد .

ولكن انى لهؤلاء المواطنيـن ان ينصهروا مـع افكار منتحلة بعيدة عن الطبيعة المغربية متباينـة وميول الجماهير فى بلادنـا متباعدة عن كل ما الفـه المواطن المغربي منذ عرف ان المغرب وطنه الذي نشـأ فيه وترعرع وتربى فوق ترابـه .

وقد اتفق علماء الاجتماع على حقيقة لا تقبـل الرد وهي ان المجتمعات البشرية لا تستطيع ان تهضم من المبادىء والافكار الا ما يوافق طبيعة اعضائها ومناخ اقطارها بل ذهب البعض من هؤلاء الـى اعتبار هذه الحقيقة قاعدة يقاس عليها فى كل شيء ، وادى حب التدقيق والايضاح بعضهم الى تعداد مميزات بعـض الشعوب وسماتها وخصائصها ومحاولة الموافقـة بينها وبين طبيعة هذه الشعوب الفيزيقية والجويـة والارضيـة .

وبلادنا التي تجتاز فى هذه الظروف مرحلـة دقيقة من تاريخ تطورها فى حاجة ماسة الى مـن يعتنـي بشؤونهـا فيعكف على دراسـة خصائصهـا ومميزاتها وينكب على التحقيق والعمل المتواصـل فى اطار ذاتيتها وفى نطاق اقليميتها . فالمغرب بلاد فتية لا زالت تجري فى عروق ابنائها دماء الفتوة والحيوية والنشاط وهو ينتظر من ابنائه فى هذه المرحلـة الحاسمة مرحلة البناء والتشييد سواعـد وطنيـة وعضلات مغربية تعرف طبيعة ارضها وفتوة ترابهـا وصفات احجارها ومميزات مائها وعلة هوائها حتـى لا يكون هذا البناء موضوعا على اساس غير متيـن ودعائم غير مرصوصة وحتى يضع اللبنات بناة وطنيون فكرة وعقيدة واساة مغاربـة يعرفون اسـرار الـداء وخفاياه حتى يسهل عليهم ايجاد انجع الدواء واطيبه .

والمغرب فى هذه الفترة الحاسمة يتطلب مجهودات جبارة لتحسين احواله الاجتماعية والاقتصاديـة والسياسية وهو امام اختيارات صعبة لانه يشاهـد التجارب التي تقوم بها عدد من الـدول والشعوب فى العالم ويراقب عن كثب النتائج التي ستتمخض عنهـا هذه التجارب فى مختلف الميادين وليس من الممكن ان تبقى بلادنا مشدوهة امام تجارب الغيـر بل لابد لها ان تخط لنفسها خطة وتضع منهاجا تسير على ضوئه ولكن نجاح هذه الخطة رهن بمن سيقوم بها ومتوقف على

وقد اقتدى بتيلور او مرغان عدد من العلماء ، والذين اتبعوا تيلور واشهرهم جيمس فريزر واندلاند انتهى بهم المطاف الى هتك الحجب عن العلاقات التاريخية بين الحضارات، بينما اولئك الذين تتلمذوا على مرغان واهمهم درلات وجورج طومسون انكبوا على دراسة نظام القرابة على اعتبار انه الاساس في التركيب الاجتماعي البدائي . ثم ظهرت ضرورة البحوث الانثربولوجية الميدانية (في عين المكان) ، فظهر عدد من البحاث الحقليين مثل بواس ونيلقون في امريكا ، وريفرز وهادون وسلغمان في انجلترا ، ولكن كل ابحاث هؤلاء العلماء النظريين منهم والعمليين ، لم تفلح في صياغة وتوحيد آراء تيلور ومرغان في نظرية مقبولة ومنهج عام محكم . وغدت المادة المتراكمة عن طريق مختلف البحوث تجسم الشعور بان الانثربولوجيا تعاني نقصا منهجيا يجعل اخضاع المعلومات الضافية للتحليل ضربا من المستحيل .

وكرد فعل للاتجاه الانثربولوجي الانجلوساكسوني ، قامت المدرسة الاجتماعية الفرنسية بزعامة اميل دوركيم (1858 — 1917) لتصب جام نقدها العلمي على محاولات العلماء الانجليز الرامية ، خطأ ، الى فهم الحضارات البدائية عن طريق مفاهيم ومصطلحات الحضارة البريطانية في العصر الفيكتوري . والواقع ان كتابات دوركيم اثرت بشكل عميق على العلم ووجهته وجهة جديدة بفضل ما ورد فيها من نظريات اجتماعية عامة ، طبقت على يد دوركيم نفسه او على يد فئة من زملائه وتلامذته الموهوبين ، في دراسة المجتمعات البدائية بمهارة واستبصار يدعوان الى الاعجاب والتقدير .

ويمكن تلخيص موقف دوركيم في انه لا يمكن تفسير الحقائق الاجتماعية في حدود علم النفس الفردي ، لان تلك الحقائق توجد خارج عقول الافراد ومستقلة عنها ، فاللغة مثلا تكون موجودة قبل ان يولد الفرد في المجتمع الذي يتكلم بها ، كما انها تظل موجودة بعد ان يموت ذلك الفرد ، بينما يتعين عليه هو ان يتعلمها كما تعلمتها من قبل كل الاجيال السابقة وكما ستتعلمها كل الاجيال اللاحقة ، فهي حقيقة اجتماعية ، او هي شيء قائم بذاته ولا يمكن فهمه الا في علاقته بالحقائق الاخرى التي من نفس النوع ، اي كجزء من نسق اجتماعي وفي حدود والفاظ وظائفها في المحافظة على ذلك النسق .

ويرى دوركيم ان الحقائق الاجتماعية تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال وعلى القهر . فكل اعضاء المجتمع لهم — على العموم — نفس العادات واللغة والاخلاق ، كما انهم جميعا يعيشون في نفس الاطار من النظم السياسية والاقتصادية ، وكل هذه الاشياء تؤلف بناء له درجة معينة من الثبات والاستقرار ، بمعنى انه يستمر في الوجود فترات طويلة من الزمن يحتفظ خلالها باهم مقوماته التي تنتقل من جيل الى جيل

اما الفرد فانه يمر فقط خلال ذلك البناء الذي يجد نفسه فيه ، فالبناء الاجتماعي لم يولد معه ولن يموت بموته ، لانه ليس نسقا فيزيقيا ، وهذا البناء يسوده شعور جمعي يختلف تمام الاختلاف عن الشعور الفردي . وتمتاز الظواهر الاجتماعية التي تؤلف في مجموعها البناء بانها ظاهرات ملزمة ، فالفرد الذي لا يذعن لها يتعرض للعقاب والمآخذ . والفرد في العادة لا يشعر باية رغبة — بل ولن يجد الفرصة — لان يفعل سوى ما تقضي به تلك الظاهرات ، فالطفل الذي يولد في فرنسا من ابوين فرنسيين لن يجد امامه الا ان يتعلم الفرنسية ، ولن يرغب في غير ذلك . ان مجموعة القيم والعقائد والعرف التي يتعلمها الفرد في المجتمع من المجتمعات ويقبلها ويحيا بها ثم يورثها لغيره هي في نظر دوركيم « تصورات جمعية » . وقد قام لوسيان ليفي بريل (1857 — 1939) بدراسة رائعة عن المحتوى الفكري او الذهني لتلك التصورات الجمعية في سلسلة من الكتب بين فيها ان المعتقدات والاساطير وعلى العموم كل الافكار التي تسود في المجتمعات البدائية تعكس البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات ، وهذا هو السبب في اختلافها من مجتمع لآخر ، وعلى هذا كرس بريل نفسه لتوضيح ان هذه المعتقدات تؤلف نسقا متماسكا يرتكز على مبدا منطقي يسميه « المشاركة الغيبية » . والحقيقة ان دراسته لهذا الموضوع كانت تحليلا بنائيا لا يقل شأنا عن ابحاث دوركيم . ولكن بينما يهتم دوركيم بتحليل انواع النشاط الاجتماعي المختلفة فان ليفي بريل يحلل الافكار المتعلقة بهذا النشاط .

هكذا اكدت المدرسة الفرنسية ان الحضارات البدائية تقوم على قيم مختلفة عن القيم الاروبية ، اساسها التماسك الاجتماعي وان اكبر مظهر في الحياة النفسية البدائية هو التمثيل الجماعي اي ان الفردية متهافتة ، وقد ذهب ليفي بريل الى ابعد من ذلك فقال : بان البدائيين يعيشون في عالم لا معنى فيه للمنطق . وقد لعبت موسوعة « الحولية الاجتماعية » دورا كبيرا في بلورة ونشر آراء علماء هذه المدرسة وخصوصا بعد وفاة عميدها مرسيل موس . وينتقد على الانثربولوجيين الفرنسيين عدم اهتمامهم بالفوارق الكبيرة بين مجتمعات العالم البدائي الا انه من جهة اخرى يعترف بفضل توجيه الاهتمام الى الدور الكبير الذي تلعبه الطقوس البدائية في حياة البدائيين وبوضع النظرية الشارحة لكيفية تمخض تلك الطقوس عن رموز هي ما تسميها المدرسة بالتمثيل الجماعي ، وهي ذات مدلول هام في الفن والدين لدى البدائيين .

(يتبع)

الرباط : العربي محمد الزنايدي

الانثربولوجيا

للأستاذ : العربي الزنايدي

- 2 -

وبازدياد حركة الاستعمار الاوربي توافرت كمية المعلومات عن القبائل البدائية واستفاضت ، وقد انبرى عالمان وهما تيلور ومرغان يحاولان سوق تلك المعلومات وتوحيدها في مجرى علمي ، وكلاهما كان متأثرا ، في محاولته هذه ، بنظرية داروين التطورية ، ولكن هناك اختلافا بينهما في اخضاع الدراسات الانثربولوجيا لمبدا التطور .

فمرغان حاول استخلاص المراحل التي مر بها التطور الاجتماعي ، واعتمد في ذلك على كتاب « حق الام » الذي نشره العالم السويسري باخوفن سنة 1866 ، كما قام بدراسات خاصة في بعض قبائل امريكا الشمالية ، وانصب اهتمام مرغان على بحث النظم القرابية والسياسية والاجتماعية ، وحدا به شغفه بذلك الى شد الرحال الى مواطن الهنود الحمر ، وارسال قوائم باسئلة معينة الى المبشرين والمغتربين في شتى جهات العالم البدائي ، والى جانب هذا فقد استوعب مرغان كتاب السير هنري مين « القانون القديم » . وتمخضت كل هذه الجهود العلمية عن ابحاث ضخمة نشرها مرغان في كتابين قيمين : الاول سنة 1870 تحت عنوان « نظم روابط الدم والمصاهرة بين العائلة الانسانية» والثاني سنة 1878 باسم « المجتمع القديم » .

واهم ما توصل اليه مرغان من نتائج ان المجتمع الامي اقدم من المجتمع الابوي ، وان ظهور اول عائلة كان بعد مرحلة من الشيوع الجنسي البدائي . لقد كان نظام الزواج أن تتزوج مجموعة من الاخوة والاخوات ، في طبقة العمر ، ونظرا لصعوبة تحديد الاب كان لا بد من اتباع النسب الامي ، وما يلحق هذا النسب من تنظيم اجتماعي خاص ، ولم يظهر النسب الابوي الا بعد تطور الحياة الاقتصادية وخصوصا نشوء الملكية الفردية والارث ، ثم انتهى تطور نظام الاسرة الى ما هو عليه الحال في اوربا الحديثة حيث الاسرة الابوية التي تتكون من اب واحد وام واحدة . وكان مرغان يعتقد ان تطورا سياسيا لازم تطور الاسرة والحياة الاجتماعية ويضع مرغان للبشرية ثلاث مراحل حضارية ، لكل مرحلة ثلاث درجات : مرحلة الهمجية ، فمرحلة التبربر ثم اخيرا مرحلة المدنية .

اما تيلور فقد دخل الميدان من باب آخر ، فنزع الى دراسة وتحليل المظاهر الحضارية بناء على مقياس عقلي ، وذلك قصد البرهنة على ان التاريخ الانساني جزء لا يتجزأ من تاريخ الطبيعة . كان تيلور يعتبر ان تفكير الانسان ورغباته وفعالياته تتفق وقوانين محددة كتلك التي تتحكم في حركة الامواج ونمو الحيوان والنبات . ولقد اراد تيلور في كتابه الشهير « الحضارة البدائية » المنشور سنة 1871 ان يبين ويثبت انه من الممكن اقامة علم للحضارة على اساس المقارنة . ولعل اهم ما اسفرت عنه بحوثه هو فكرته عن الحضارة او الثقافة بانها «ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والعرف وكل المقدرات والعادات التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في مجتمع » . وبالرغم من تفاني تيلور العلمي فان نتائج مجهوده العظيم جاءت ملغية للاختلافات الصارخة بين الثقافات بحكم نظريته التطورية البسيطة : يرى تيلور ان التطور يبدأ اولا بمرحلة الاعتقاد في الارواح وقوة الارواح ثم يتطور الى مرحلة الاديان والعقائد المختلفة ، وينتهي بالنظرة العامية . ويعتقد تيلور ان الظروف المتشابهة تخلق عقائد متشابهة ، وان كان في ذات الوقت يؤمن بانتشار الحضارات . ومن جهة اخرى فقد كان هذا العالم يعترف بالتدهور او الركود الحضاري ولكن هذا الاعتراف لم يكن ليغير من طبيعة نظريته البسيطة القائلة بان التطور التدريجي من اسفل الى اعلى ومن اللامعقول الى المعقول ، فالتطور الثقافي في نظره تطور ميكانيكي تسود فيه الاضافات الكمية والطرح الكمي دون الكيفي .

كان ادوارد تيلور يمثل الرجل الانجليزي المثالي في عهد بلغت فيه بريطانيا حد الكمال في التنظيم الاجتماعي والتقدم المدني ، كما كان معتقدا . اما لويس مرغان فكانت بلاده امريكا تعيش على عهده في طور بناء اسس دولتها ، وتتطور في قفزات هائلة ، وتتعامل مع القبائل الهندية ، لذا تلاحظ على كتابات تيلور روح متعالية ، وان كان يشوبها بعض العطف على بعض القبائل التي تحكمها بريطانيا ، في حين نلمس في كتابات مرغان تقديرا عميقا لقيم الحضارة لدى الهنود الحمر .

وسلم الامير عبد القادر الجزائري نفسه الى الفرنسيين على يد الجنرال لاموريسيير في 23 دجنبر 1847 م ، كما سلم الامام الشيخ شامل القوقاسي نفسه الى الروس في 6 سبتمبر 1859 م ، فسمح له قيصر روسيا اسكندر الثاني بالذهاب الى الديار المقدسة كما سمح امبراطور فرنسا لويس نابليون للامير عبد القادر الجزائري بالذهاب الى الديار الشامية ، فمكث فيها البطل الجزائري الى ان وافاه الاجل المحتوم عام 1883 ودفن بمقام الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي في الصالحية بدمشق ، كما مكث الامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقاسية في المدينة المنورة الى ان وافاه الاجل المحتوم عام 1871 م فدفن فيها .

واطلقت عليه الصحافة ابان معارك الثورة القوقاسية اسم عبد القادر القوقاسي ، وبذلك كان هذا الاخير سمي عبد القادر الجزائري .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الباب ان المقارنة التي نقلها « كاتب ياسين » عن المستشرق الفرنسي فانسان مونتيل صاحب كتاب « المسلمون السوفياتيون » حول المغرب وعزبكستان وحول مدن الدار البيضاء وفاس وطشقند وسمرقند من حيث عدد سكانها قد عول فيها على احصاءات عام 1952 لسلطات الحماية في المغرب لا على احصاءات المغرب وهو مستقل ، حيث ان عدد سكان الدار البيضاء وفاس قد ازداد زيادة ملحوظة في عهد الاستقلال ولا علم لنا هل الزيادة في عدد السكان قد وقعت كذلك في طشقند وسمرقند لقلة المصادر .

كما ان بلاد الجزائر التي حصلت على استقلالها في الاعوام الاخيرة بفضل ثورتها المسلحة وبفضل خروج فرنسا ودول اروبا الغربية منهوكة القوى في الحرب العالمية الاخيرة وبفضل انفصالها — اي الجزائر — عن فرنسا بحرا ، لان البحر له دور عظيم في احراز بلدان افريقيا وآسيا على استقلالها اخيرا كما كان له سابقا في اكتشاف امريكا واستعمار الجنس الابيض الاوربي لها ولافريقيا وآسيا ، اقول بفضل العوامل الثلاثة : الثورة المسلحة — الحرب العالمية الثانية — البحر ، التي ادت الى استقلال الجزائر وغيرها من بلدان افريقيا وآسيا ، استطاع احد كتاب الجزائر وهو كاتب ياسين القيام برحلة عبر اقطار آسيا الوسطى الاسلامية المنضمة الى الاتحاد السوفياتي وهي : عزبكستان — تركمانيا — تاجسكتان — قرغيزيا — قازاخستان — اذربيجان ، ونشر انطباعاته عن رحلته لتلكم الديار الاسلامية التي انجبت الامام البخاري صاحب الصحيح ، والزمخشري صاحب الكشاف ، ويوسف السكاكي صاحب المفتاح ، وعبد القاهر الجرجاني صاحب اعجاز القرآن ، والسرخي صاحب المبسوط ، والجوهري صاحب الصحاح ، والامام الترمذي ، والنسائي ، والتفتازاني ، والماتريدي ، والفارابي ، والفرغاني والبلخي ، وابن سينا ، والنسفي صاحب تفسير القرآن ، والامام الشيخ شامل القوقازي وغيرهم ...

فمتى يقوم احد كتاب المغرب بزيارة تلكم البلدان الاسلامية في الاتحاد السوفياتي لتاليف كتاب عنها بالعربية للتعريف بها لقراء لغة الضاد .

الرباط : عبد القادر القادري

وجوه التشابه بين الأمير عبد القادر الجزائري والإمام الشيخ شامل القوقاسي

للأستاذ : عبد القادر القادري



اخذت هذه الصورة الفريدة التي تمثل هذا اللقاء التاريخي ، في بور سعيد عام 1863 للامير عبد القادر الجزائري (رقم 1) والامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقاسية (رقم 2) في القرن الماضي . ويحف بهما خديوي مصر محمد سعيد ، وفيردناند دوليسبس حافر قنال السويس

نشرت مجلة « جون افريك » التونسية في عددها رقم 221 المؤرخ في 28 يبراير 1965 انطباعات الكاتب الجزائري « كاتب ياسين » عن رحلته عبر اقطار آسيا الوسطى الاسلامية المنظمة الى الاتحاد السوفياتي وزينتها بصورة شمسية نادرة اخذت في بور سعيد عام 1863 م للامير عبد القادر الجزائري بطل الثورة الجزائرية في القرن الماضي ، وللامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقازية في القرن الماضي ايضا ، يحف بهما خديوي مصر محمد سعيد وفيردناند دوليسبس حافر قنال السويس .

والصورة المذكورة من الصور النادرة التي قد توحي للمؤرخين المسلمين بكتابة المجلدات عنها ولشعراء الاسلام بنظم القصائد العصاء عنها ، وقد اوحت هي لمحرر هذه السطور بهذه المقارنة للعبرة ..

فالامام الشيخ شامل القوقاسي على نمط الامير عبد القادر الجزائري خرج من المشيخة الى الامارة وتناول السيف عن طريق القلم .

ورفع الامير عبد القادر الجزائري السلاح في وجه جيوش امبراطور فرنسا شارل العاشر عام 1832 م كما رفع ايضا الامام الشيخ شامل القوقاسي السلاح في وجه جيوش قيصر روسيا نيقولا الاول عام 1832 م .

فدامت الثورة الجزائرية بقيادة بطلها الامير عبد القادر الجزائري زهاء خمسة عشر عاما ، كما دامت الثورة القوقازية بقيادة بطلها الامام الشيخ شامل القوقاسي زهاء خمسة وعشرين عاما .

المحاضرات التي كان القاها على طلبة (دار العلوم) التي انشئت لاول مرة سنة 1871 ، فكان هذا العالم الضرير من الذين وقع عليهم الاختيار للتدريس بها الى جانب علماء من العرب والعجم ، ان هذا يثير الاعجاب حقا ، وقد بلغ من اعجاب المؤلف بالمرصفي انه صار يتلمس تاثيره فى تلاميذه امثال الدكتور طه حسين استاذ الدكتور مندور .

كل هذا جميل ، ويعتبر عرفانا للجميل ان يذكر التلميذ استاذه او استاذ استاذه بالخير والتقدير والثناء ، غير ان الذي يدهش قراء الدكتور مندور او يؤسفهم حقا ، هو ان ذلك الثناء والاعجاب الذي يصبه على الشيخ المرصفي ، لم يكن فى محله ، ذلك ان الاراء النقدية التي اتى بها مؤلف (النقد والنقاد المعاصرون) على انها للشيخ المرصفي ، لم تكن في الحقيقة للشيخ المرصفي ، بل كانت لغيره من فطاحل الامة العربية ، هو العلامة ابو زيد عبد الرحمن ابن خلدون صاحب المقدمة والتاريخ المشهورين .

لا اتوفر فى الوقت الحاضر على نسخة من كتاب (الوسيلة الادبية) لاعرف علة الخلط بين كلام المرصفي وكلام غيره ، بيد ان الكتاب ربما كان املاء مؤلفه الضرير على احد تلاميذه ، ولكن ، الم يكن فى مقدور الكاتب او الطابع ان يستعمل علامات الترقيم ؟ واذا لم تكن هذه غير مستعملة حينئذ ، افما كان للمؤلف او تلميذه ان يشير الى الاقتباس كما هي عادة القدماء فيقول مثلا : قال فلان . . . وانتهى كلام علان ؟ ؟ ثم الم يكن فى استطاعة الدكتور مندور وهو الناقد الحصيف ، ان يميز فى كتابه « النقد والنقاد المعاصرون » بين الكلام الجديد كل الجدة فى عالم الادب العربي ، وبين الكلام الذي مر على قوله مات السنين ، وتدارسه الكتاب والباحثون فى اقطار المشرق والمغرب ؟ الم يكن فى مقدور الدكتور مندور ان يتأنى قليلا ، ويرجع الى المظان والمراجع الاصيلة ، ويقارن بينها فيقع على الحقيقة الناصعة ؟ هذا ما اغفله للاسف ، ويظهر ان العصر عصر السرعة ، وان الفكرة المسيطرة كانت هي طبع الكتاب واخراجه ونشره كيفما كان الامر ، وحتى ولو كانت النتيجة نسبة كلام ابن خلدون الى الشيخ المرصفي .

يقول الدكتور مندور : (وايا ما كان الامر ، فان الشيخ حسين المرصفي ، يعتبر بلا شك من رواد البعث الادبي المعاصر ، ومن بناته الاصليين — على نحو ما نحس من قراءتنا لوسيلته الادبية الضخمة ، وبخاصة الفصول التي كتبها عن صناعتي الشعر والنثر ، وطريقة تعلمهما . . . . ومن اهم ما تحدث عنه الشيخ المرصفي فى وسيلته المنهج الذي رسمه لمعاصريه وتلاميذه لتجويد انتاجهم الشعري والنثري ، والسمو به الى مرتبة الادب العربي القديم البالغ الروعة والجمال ، فهو يوصي شداة الشعر مثلا بان يحفظوا اكثر ما يستطيعون من الشعر الجزل القديم مضيفا — وهنا موضع الجدة والطرافة (كذا) — ان ينسوا بعد ذلك ما حفظوه حتى لا يظلوا عبيدا له ، وحتى لا ينقلب شعرهم الى ترقيع من الذاكرة ، بدل ان يكون شعر حياة ومعاناة ، فيقول ص 468 وما بعدها من الجزء الثاني من الوسيلة : (اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا اولها الحفظ من جنسه ، اي من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الاساليب ، وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة ، وكثير ، وذي الرمة ، وجرير ، وابي نواس ، وحبيب ، والبحتري ، والرضى ، وابي فراس ، واكثره شعر كتاب الاغاني ، لانه جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية ، ومن كان خاليا من المحفوظ ، فنظمه قاصر رديء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ ، فمن قل حفظه ، او عدم ، لم يكن له شعر ، وانما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ، ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على المنوال ، يقبل على النظم ، وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ . وربما يقال : ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هي صادرة عن استعمالها بعينها ، فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها ، كانه منوال ياخذ بالنسج عليه لامثالها من كلمات اخرى) . انتهى كلام الدكتور مندور فى صفحتي 15 و 16 .

وما وضعناه بين هلالين (. . .) هو كلام ابن خلدون فى مقدمته الطبعة الازهرية سنة 1930 ص 505 بالحرف الواحد ، وليس — قطعا — بكلام الشيخ المرصفي . . . ثم استمعوا الى تعليق الدكتور على هذه الدرر : « وفي هذه العبارات جماع الاسس السليمة للبعث الشعري المعاصر ، بل لكل خلق شعري سليم . فالشعر لاتنمو ملكته فى النفس الا بكثرة مطالعة الجيد منه وحفظه ، كلما استطاع الشباب الى ذلك سبيلا .

للأستاذ : عبد الله العمراني

تقـــديـــم

الكاتب العربي الدكتور محمد مندور ، أديب فذ ، وناقد ممتاز ، وصحفي لامع ، كرس حياته داعيا الى سبيل تحقيق الادب الرائد الهادف الذي يسعى الى تطوير الحياة الشعبية دائما الى الامام بالكشف الدائم عن منابع الشر ... له آثار ادبية هامة فى هذا المجال .. ورسالة دكتوراه فى الادب ، هي الكتاب الذي اصبح الآن مرجعا اساسيا فى جميع الجامعات العربية والمعروف اليوم باسم : « النقد المنهجي عند العرب » الذي يعاد طبعه كل عام لحاجة الجامعات العربية اليه ، وله كذلك كتاب : « النقد والنقاد المعاصرون » الذي تناول فيه طائفة من النقاد المعاصرين ، وهذا الكتاب هو الذي يتناوله اليوم بالنقد الاستاذ السيد عبد الله العمراني ....

التحـــريـــر

يعتبر الدكتور محمد مندور من الباحثين والنقاد العرب المعاصرين ، وله آثار ادبية هامة فى هذا المجال ، مثل كتابه « النقد المنهجي عند العرب » ومثل « النقد والنقاد المعاصرون » . ويهمنا هذا الاخير الذي لا ادري متى صدر عن مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، لان الطبعة خالية من تاريخ الصدور ، وكل ما ادريه اني اشتريته امس وشرعت فى قراءة صفحاته الاولى ، فهالني ما وجدت فيها مما سأعرضه عما قريب على انظار القراء الكرام .

تناول الدكتور مندور طائفة من النقاد المعاصرين ، وجعل فاتحتهم الشيخ حسين المرصفي باعتباره واحدا من رواد النقد الحديث ، ولا ازعم اني قد قرات الكتاب كله ، ذلك اني فى الحقيقة لم استطع ، ووجدت نفسي مضطرا ان اتركه جانبا — والى حين — لكي احرر هذه المقالة التي عنونتها بنقد النقد ، وان كانت فى الحقيقة نقدا لبعض صفحاته الاولى التي عالجت موضوع الشيخ حسين المرصفي ذلك الاديب الجليل المتوفى سنة 1307 هـ 1889 م وليست نقدا للكتاب كله .

لايكاد القاريء يفرغ من قراءة مقدمة كتاب « النقد والنقاد المعاصرون » ، حتى يشعر بطابع الاستعجال — وربما الارتجال — فى طبع الكتاب واخراجه للوجود ، قبل التمكن من مواد الموضوع ، خصوصا ان الكتاب كتاب نقد ، وتمحيص ، وتمييز ، للغث من السمين .

والظاهرة الثانية التي تصادف قاريء الموضوع الاول من الكتاب هي اعجاب المؤلف بالشيخ المرصفي وبجهوده فى التاليف والنقد ، وخاصة فى كتابه الضخم « الوسيلة الادبية للعلوم العربية » الذي هو عبارة عن

حول ميزان زيّاد

للأستاذ : محمد بن تاويت

عرفت السيد زياد ، سنة 1950 ، يعمل بجريدة « العلم » ، فعرفته مرحا نشيطا ، حسن الاعتقاد فى الناس ، ورايته فى تطوان سنوات المحنة التي حلت بالمغرب ، اثناء اقصاء العاهل المقدس محمد الخامس ، عليه الرحمة والرضوان ، ثم غاب عني ولم التق به الا فى القاهرة أواخر سنة 1957

وما رأيت السيد زياد بعدها ، الا مرة واحدة ببناية الاذاعة فى الرباط ، واخيرا وجدتني ، التقي به على صفحات هذه المجلة وهو يزنني ويزن غيري .. وانه للقاء حميد ، جعلني أدين للسيد زياد ، فى اتصالي بكتاب طالما سمعت عنه ، ولم اقراه . ولكنني بوحي من السيد الفاضل ، اتصلت بهذا الكتاب ، وقرأته وشروحه ، واستفدت منه ومنها ، وكان الفضل في ذلك كله راجعا الى صاحبنا السيد ، كما قلت ...

هذا الكتاب هو « درة الغواص » للحريري ، فقد غصت فيه ، وما كنت قبله من الغواصين ، وصرت به من الخواص ، وما كنت ادري من قبل اني من هؤلاء الخواص ...

ومع هذا كله ، فاني ما وجدت فيه صدى لما كتبته ، بل ما وجدت فيما كتبت صدى لما فيه ، فلعل السيد زياد قرأ الكتاب فنسي ما به ، او لعله قرا المقال فنسي ما به ، وان كنت من المعتقدين انه ما قرا المقال ، وانما قرأ عنوانه ، وكأني به يتلفظ بهذا العنوان من ثناياه ، فى طراوة وندى ، ثم يتناول قلمه ، فيخط به تلك الكلمات المعدودات ، فى طراوة وندى كذلك ...

والا فكيف يتصور قاريء المقال ، ما ادعاه السيد زياد ، زاعما أنه قرأ المقال ؟

وما علينا من جناح ، وما على السيد من مؤاخذة، ولننتقل الى النقاش المجرد ، فنجد ان السيد يجعل تلك الاخطاء ، من طفيف ما يتغاضى عنه ويتسامح فيه ، لانه كما يقول : لايمس جوهر اللغة ، فهل بلغ به العلم ان يمكنهمن هذا الحكم ، وهو اي الحكم بعيد كل البعد عن « الجوازط » ولفاتها ، والمتمرسين بها من رجالها ؟ لا باسيدي ، انه العلم ، والمسألة ليست فوضى ، فان كنت تريد خوضه ، « فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس » ... ولا تترام ، فمصيبتنا ، في يومنا وفي امسنا القريب ، هي هذا الترامي ، على كل شيء ... على الماديات اولا ، ثم على المعنويات ...

ما هي المخاوف التي تتخوفها على التعريب ، من أن تعرف ما يجب أن تعرفه فى هذه اللغة ، ولا نقول ان نعلم ، لان هذا من البساطة المتناهية ، التي لا تكلفك الا ان تعرف « لن » وتقاطع « سوف لا » او « سوف لن » ، وتعرف « الا » في الاستفهام ، وتهجر « هلا » فيه ، والسلام والامان التام ، ولا ضير على اللغة ولا عليك ..

ثم قل لي بربك ، اتجد فى لغة من اللغات ، وفي لسان امة من الامم ، من يجخف بقواعدها من قومها ، ومن يهضم لها حقها منهم ، ويهدم حرمتها ، ويبيح حماها ، فيدعو الى ان يتكلم بأدوات استقبالاتها كما أريد ، وان يستعمل المتكلم بها والكاتب لها ما يريد فى غير هذه الادوات ، فنتقبل منه مثل ذلك فى لغتنا ، بل نشجعه فى ذلك ، فرحين مسرورين ، صائحين له بهيا وهات ...

وهذه هي الطريقة الوحيدة لتحصيل ملكة الشعر منذ اقدم العصور حتى اليوم وفي اللغات كافة .

« وبعد حصول هذه الملكة لابد من الدربة الطويلة على النظم ، والاكثار منه حتى تستحكم الملكة ، كما يقول الشيخ حسين بحق » (كذا) لا يستطيع المرء ان ينكر فضل الشيخ المرصفي وتبحره في العلم والادب ، ولكن مع ذلك ياخذنا العجب من انه او تلميذه لم يشر بتاتا الى انه اقتبس من ابن خلدون ، ثم ما اعجب امر الدكتور مندور الذي لم يدقق في النص فصار يضرب في حديد بارد ، على الرغم من ان اسلوب ابن خلدون معروف مدروس وينم عن صاحبه تماما ... ثم يضيف الدكتور مندور قائلا : « واخيرا يقرر الشيخ حسين (اي ابن خلدون في الحقيقة) المبدأ الثالث ، وان يكن لسوء الحظ اسهله بقوله : (ربما يقال) وكان الاجدر به ان يحذف حرف الاحتمال من هذا المبدأ ، وذلك لانه من الضروري ان يتحلل كل انتاج شعري اصيل من الذاكرة لكي يصبح شعر حياة ... » (ص 17) . ثم يبدي الدكتور اسفه لعبارة « ربما يقال » وانا ارى ان ذلك الاحتمال او التقليل الذي افادته « رب » له مغزى عظيم لم يغب عن ذهن ابن خلدون الجبار على الرغم من تقدم عصره ، ذلك ان تجارب المربين والنفسانيين في العصر الحديث برهنت على ان الانسان لا يستطيع التخلص تماما مما حفظ ، وان نحو العشر يظل عالقا بالذاكرة .

وقبل ان يختم الدكتور كلامه على هذا الرائد « الذي بعث النقد التقليدي ، وساعد في حركة البعث الادبي كله وطرائقه » نراه يقول : ان الشيخ المرصفي اهتدى بفطرته السليمة الى بعض ما تردى فيه بعض نقاد العرب القدماء مثل قدامة بن جعفر عند ما عرف الشعر في كتابه « نقد الشعر » بقوله (انه الكلام الموزون المقفى) وجاراه في هذا التعريف جميع من خلفه ، على حين نرى الشيخ المرصفي (يعني ابن خلدون) بفطرته السليمة يقول (وقول العروضيين في حد الشعر انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر (*(باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة ، فلا جرم ان حدهم ذلك ليصلح له عندنا ، فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول : الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف ، المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على اساليب العرب المخصوصة به) انتهى كلام الدكتور مندور من كتابه النقد والنقاد المعاصرون ص 24 وانتهى معه كلام ابن خلدون الذي وضعناه بين قوسين كبيرين (....) راجع المقدمة ص 504

ثم يعقب الدكتور مندور على هذا الكلام قائلا : « ويكفيه (اي الشيخ المرصفي) فخرا في هذا التعريف انه فطن الى خاصية اساسية تميز الادب عامة ، والشعر خاصة عن غيره من الكتابات ، وهي التصوير البياني بدلا من التقرير الجاف » . (النقد والنقاد المعاصرون ص 24) .

اجل ، يكفي المرصفي فخرا انه اتى بكلام ليس له فاستحق عليه التنويه من الدكتور مندور ، وعلى راي المثل العامي المغربي (سكسو الخادم وشنعة للاها) .

اما بعد ؛ فهذه كلمة عابرة اردت بها وجه الحق والنقد ، وليس لي من غرض غير لفت نظر الدكتور مندور ، كي يعمل على تلافي ذلك في المستقبل ، ولكي يسرع فيعيد تحرير الفصل الاول من كتابه « النقد والنقاد المعاصرون » على اساس الحقيقة الجديدة الباهرة النصاعة .

تطوان : عبد الله العمراني

---

1) هنا سقط اخل بالمعنى ، ولا ادري ما اذا كان يوجد في الوسيلة الادبية ايضا . وتمامه : الشعر الذي نحن بصدده ، ولا رسم له ، وصناعتهم انما تنظر في الشعر باعتبار .... الخ .

ميزانك الى جرابه ، ولتغمد سيف كتابتك فى قرابــه ، ولا تستله الا حينما تكون قد سعيت الى الهيجــاء ، وانت مزود بالعدة والعتاد ، ولتكن على ذكر من الآيــة الكريمة « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا » ، فاحسن ولا تقسط الميزان ، « احسن الله اليك » ، ولا تبغ الفساد فى لغتنا العربية ، وانت تريد لها من الصلاح ما كان مشرفا ، ومن السيادة ما كان مطلقا ، حتى تكون ياسيدي زياد ، من خير العباد ، وأن تكون ممن قــال فيهم ربنــا : « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » ، وما اجدر بالاحسان أن تستعمله فى عربيتنا المهضومة ، وما اجدرك فى عملك المثالي ان يحلك فى مصاف العباد ، وأن يبوئك منزلة الزهــاد ، فيما يتهافت عليه المتهافتون ولا اريدك أن ترانا فيما نكتب ، نقصد به جمهور العوام، وعوام الجمهور ، حتى نتملقه ، ونستمــد رضـــاه ، ونستميل هــواه ، بــل اننا نكتب لنخاطبك ونخاطب الزملاء منا ، ونحن بحمد الله فى مأمــن من سخطهم ، وفي بحبوحة من استحسانهم ، وفى غنى من شعــور الجمهور ، الذي لانعنيه ولا يعنينا ، بفضل الله وحسن عونه ، ومني عليك ايها الزميل ازكــى السلام ، ومــن لساني اطيب الكــلام ، والى اللقــاء فى فرصة قريبة ان شــاء الله .

محمد بن تاويت

آدم ... وأوادم

يذكر ابن العربي في كتابه « الفتوحات المكية » ما ثبت اليوم للعلماء المحدثيــن، من ان الجنس البشري ، قديم على سطح الارض ، وان وجود الانسان يرجع الى مئات الوف السنين ، فيقول ابن عربي معللا ذلك :

« قبــل آدم الصغيــر أبي البشر ، كــان هناك اوادم كثيـــرون ... »

وبهذا التعليل والتخريج المنطقيين سبق العلماء المحدثين بنحو سبعة قرون .

قــال ابــو العلاء المعــري :

وما آدم ، فى مذهب العقل واحــد ❊ ولكنـــه عنـد القيـــاس أوادم

ما هو التعريب الذي نحرص عليه يا سيدي زياد ؟

ليس المراد منه مجرد وضع كلمة محل كلمة اخرى ، فهذا ميسور ، حتى للغريب عن هذه اللغة ، وفى كثير من أمثلة هذا التعريب الذي تفهمه ، فالمعاجم بحمد الله كثيرة ، والآفاق على اللغات اصبحت جد واسعة ، ولكن التعريب الحق ، والتعريب الذي خلق الله له رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، هو التعريب القائم ، على اللفظ (العربي) المركب (تركيبا عربيا) المفيد (افادة معقولة) بالوضع (العربي كذلك) . فهذا هو الكلام « فى التعريب » لا الالفاظ الجوفاء ، والمظاهر الخداعة الكاذبة العرجاء ...

اننا ان كنا نتناول اغلاط غيرنا بالتنبيه عليها ، فلسنا فى ذلك نصور عربيتنا « بعبوعا » كما قال السيد زياد ، وانما نريد فى تبسيط وتيسير ، وزيادة فائدة ، أن ننظف اللغة التي لوثها الجهل ، وتقحمها الجهلاء ، نريد ذلك غيورين عليها ، حامين لحوزتها ، مدافعين عنها ، من يريد انتهاك حرمتها ، فى جهل منه تارة ، وعبث منه تارة اخرى . ولا نريد فى هذه اللغة من يتبناها ، ويحدب عليها ، ولكنه ينزع منها رجلها ، فيضعها مكان ذراعها ، وذراعها فيضعها ، حيث اوصت العربية ابنها ، للشهرة ... وللشهرة فقط ... ولو بالتعليق ، كما قالت ، ونعوذ بالله .. من ان نعلق ما للحمير ...

مما ادركنا عليه الناس ، أنهم يهزلون او يتندرون بقولهم : « الجبن سيد الاخلاق »

ولكن المتندرين الهازلين ، فى بعض المواطن ، قد يصبحون حكماء ، وهم لايدرون ، وقد تصبح كلماتهم توزن بالذهب ، ولا يفي لها الذهب حقا ، وللكلام مواطن ، فياتي ما كان هزلا جدا ، كما ياتي ما كان جدا هزلا ، ومن هذا : « الجبن سيد الاخلاق » ...

نعم ، انه سيد الاخلاق فى العلم ، وان فضيلة العالم لهي التثبت والتحري ، وعدم التسرع والتهور، فى مسائل علمه ، فالشجاعة فى ميدان العلم ، مهلكة واية مهلكة ، وما قضى على شخصيات العلماء ، الا كلمة ــ قد تكون ــ واحدة ، تشجعوا فيها ، او تهوروا فيها ، او كذبوا ــ سم ذلك ما شئت ــ فقال لهم العلم: « اخسأوا فيها ولا تكلمون » وقال لهؤلاء المتنطعين ، بقية الكلام ، وصدق فيما قال ... فان جبناء العلم « هم الفائزون » ...

وبعد فهذا كلام الوازن لمقالات العدد الماضي ــ وكان علينا أن نجعله قبل ــ ونترك للقاريء حكمه على السيد زياد ، زاد الله علم العلماء ، « شرفا وكرما ومهابة ورفعة وتعظيما ونعما » ، قال ، لافض فوه ، ولا كسر قلمه :

« اما الاستاذ محمد بن تاويت ، فانه اختار ان يكتب مقاله ، فى « سوف لا » و « هل لا » ، وهو مقال يندرج فيما كتبه الحريري ، فى « درة الغواص في أوهام الخواص » ، على انني لا ادري ، هل ما (كذا) يزال العصر والظروف تسمحان (كذا) بمثل هذه الصرامة ، فى اللسان العربي ام لا ، ولعله من الاحسن ان نتساهل فى هذا الباب ، ما دام الامر لا يمس جوهر اللغة العربية ، حتى لا يجد خصوم التعريب ، مبررا من هذه الصرامة ، يشنعون بواسطته على اللسان العربي ، ويقولون عنها (كذا) ما يقولون من انها (كذا) غول » هـ

ومعنى هذا ــ ونحن غاضون ــ ان نتنازل للمخطئين، كمايتنازل بعض الزعماء للتابعين، لا ان ننقذهم من ضلالهم ، كما يفعل الهداة من المصلحين ، حتى ولو كان هؤلاء المخطئون ، قد اصابوا اللغة العربية في صميمها ، وحطموا ذرة جوهرها ، ذلك الجوهر الذي هو كامن ــ لا كما يدعي السي زياد ــ فى مثل « لن » الاستقبالية ، و « الا » الاستفهامية ...

فما هكذا يكون « الكلام المركب المفيد » ، والا فما هو جوهر اللغة ؟ زدنا علما ياسيدي زياد ، واجرك على الله ، ولا تتركنا فى هذه الحيرة من امرنا وامرك ، وفي اية صفحة من صفحات الدرة ، وجدت منا تلك الفرة ؟ ، لا ياسيدي « ما هكذا تورد ياسعد الابل » ، فان كلماتك المضطربة المقتضبة فى آن ، لاتفيدنا شيئا ، بل لا تزيدنا الا بلبلة وهراء ، وفي لسان كل متجريء ، قدرة على لوكها والقذف بها ، « وصاحبها لا يلقي لها بالا » ، ولو حاول ان يحكم بها على كل كلام ، لما صده عن ذلك أي ملام ، بل قال له « اصنع ما شئت » وانت القاهر ...

ان المجلة التي فسحت لك ــ كما فسحت لغيرك ــ صدرها ، لتسجل على صفحاتها ما فى مكنونك، ولتجلى فيها عرائس افكارك ، لم تهدف في هذا كله ، الا الى افادة القراء وتقويم الكتاب ، او افادتهم هم كذلك ، وما أرى هؤلاء القراء ، ولا اولئك الكتاب ، قد استفادوا شيئا من احكامك « الابتدائية » ، فلتعد

عن امرىء القيس والمهلهل واحيانا ينكر حتى الوجود التاريخي للمهلهل « ان كان هناك مهلهل »

ومن الغريب ان ينكر «السيد» وجود المهلهل تاريخيا او ان يشكك فيه ثم يبدو اكثر ثقة وتصديقا بعدي الغساني عندما يصحح نسبة بيت من الشعر نسب خطأ الى ابي نواس وليت شعري من يكون عديا هذا ؟ واين هو من المهلهل ومن شهرة المهلهل الذي ينكر وجوده ؟ ..

وما زلت اقول واردد مع الاخرين الذين قد يتفق « الاستاذ » معهم يوما ما فيردد اقوالهم كذلك — ان وسائل النفي ليست اقوى من وسائل الاثبات .. وان انكار المهلهل وامرىء القيس .. يعني انكار شعراء الجاهلية عامة ، والغاء هذا التراث الادبي لفترة ما قبل الاسلام .. ومن التحكم ان نعتمد التاريخ وهو يحدثنا عن عمرو بن كلثوم والنابغة الذبياني ، ثم لا نطمئن اليه فيما يرويه عن المهلهل وامرىء القيس ..

لقد وضع « السيد » بين ايدي القراء قصيدة المهلهل فى رثاء اخيه كليب واخرى للخنساء فى رثاء اخيها صخر واحتكم فيهما الى اذواق القراء ، وهو لا يشك فى ان قطعة المهلهل موضوعة لانها تنظر بمعانيها الى مرثية الخنساء فبينهما اكثر من شبه ولا يمكن ان يكون اتفاقيا ولا قدريا تركيا كما يقول ، فلابد ان يكون شاعر ماهر نظر الى مرثية الخنساء ثم وضع القصيدة ونسبها الى المهلهل ولابد ان تكون قصيدة الخنساء هي الام والاصل المنظور اليه ، هذا هو افتراض الاستاذ الذي حكم فيه ذوقه واحتكم فيه الى القراء يقول به وهو يعلم ان المهلهل متقدم تاريخيا على الخنساء وان كتب التاريخ تناقلت قصة مقتل اخيه كليب وتفجعه مثلما روى قصة مقتل صخر اخي الخنساء ونفجعها عليه ، فاطمأن السيد الفاضل الى هذا الذي روي عن الخنساء من شعر فزكاه واعتبره الاصل الذي يوخذ عنه وشك فى المهلهل وفى هذا الشعر الذي رواه التاريخ عنه فاعتبره موضوعا واعتمد التاريخ كمصدر للادب والنقد عندما تحدث له عن الخنساء وزيفه عندما تحدث له عن المهلهل ووجوده بين الشعراء .

وعندي ان مرثية الخنساء لاتعدو ان تكون احتذاء وترسما لمرثية المهلهل الذي ذاق مرارة الثكل قبلها وبكى اخاه كليبا بأرق ما يبكي به الرجال على الرجال ، فنقلته الفاجعة وهو زير النساء من رجل اللهو والحسان الى فارس الحرب والميدان ، فلم لاتحكك الخنساء وهي امراة بشاعر رزيء قبلها فمهد لها طريق التفجع والرثاء ؟ ولم لا تترسم قوافي الحزن في مراثيه لتسكب فيها دموعها وتجسد بها عواطفها واشجانها ؟ لم لا تكون شاعرتنا هي التي نظرت الى مرثية المهلهل واعجبت بها فكانت لها مصدر الالهام لرائيتها ، ان الاعجاب بأي عمل فني كثيرا ما يدفع بالمعجب الى احتذائه ومعارضته والاستاذ لا يجهل ما للشعراء من معارضات اروع من القصائد التي عارضوها ، ان مرثية المهلهل ليست موضوعة ولا منتحلة وان هذه الملامح التي تتراءى في مرثية الخنساء انما هي ظلال عكسها الاحتذاء أو المعارضة اذا استساغها ذوق « السيد » الفاضل وما اظن انه يزكي ذوقا غير ذوقه او يغير حكمه القاسي على المهلهل ومرثيته .

على ان هذه القسوة على المهلهل لاتدخل فى نطاق عناصر « السيد » ولا افتراضاته ولكنها النظرية التي اثارت ضجة فى عالم الادب وانقسم الناس فيها بين متطرف ومتعصب ومتحفظ ، وما دام « السيد » قد حدد موقفه من هذه النظرية المثارة فاختار ان لا يكون من حملة (راية القرآن) ولا ممن يناضلون تحت راية القرآن فهو حر فى ان يتمذهب حتى بمذهب الشيطان ....

لقد كنت اتمنى ان لايبعدنا النقاش حول (المدار) (ولا تبعدن) ولا التندر (بيشويني فيك) (وبرزيني فيك) عن جوهر الفكرة التي من اجلها استنجد بالنصوص والمقارنات وكنت اتمنى ان نتعرف جميعا من خلال هذا الحوار المفتوح الى ما عند « الاستاذ » الرحلة النقلة من جديد وطريف فى موضوع ما يزال فى حاجة الى عناية وتمحيص .

اما وقد تنكب عن اسلوب الحوار الجاد الى السخرية والتندر ، اما وقد ابى الا ان يحرمنا من معينه الثر ، وادبه الفياض ، وسل علينا ونحن لانملك الا سيفا خشبيا سيفه العنتري .

فليعذر اخاه اذا لم يوافه بالرد وصد عنه صدود الكرام شاكرا له جهوده وفضله ...

فاس : محمد الحلوي

عودة الرد

للأستاذ: محمد الحلوي

عندما كتبت آرائي معقبا بها على استنتاجات السيد ابن تاويت فى عناصره القرآنية التي لمحتها فى ثنايا شعر امرىء القيس والمهلهل والخنساء لم اكن اقصد اثارة حفيظته او امتحان حلمه واحتماله لمناقشة آرائه ، فهذا ما لم اكن شاكا فيه ، ولكني قصدت فقط ان اسجل ما عن لي من آراء لا تتفق مع آرائه فى نطاق حرية الفكر ، وتبادل الراي ، وما كنت اظن ان السيد الفاضل بلغ به ضين العطن ، وحراجة الصدر ، الى حد لا يقبل فيه ان يناقش ، ولا يحتمل معه ان يعقب عليه ولا يرضى ان يجري معه فى الميدان كاتب ، ولا ان يتطاول على تصحيح افكاره متطاول ، لقد عقبت على السيد مرتين تجنبت خلالهما ما يند عن القلم فى هذه الحالات من فلتات جامحة او نكث لاذعة قد يوحي بها للناقد تعصبه او ثقته بوجاهة رايه ، فقد اكتشفت بالتجربة ما طبع عليه ادباؤنا على اختلاف مستوياتهم - الا القليل - من جماح فى الطباع ومهاترة فى الحوار حينما يتطاول ناقد على ارائهم فيناقشها فما ان تفتح بين اثنين منهما صفحة نقاش وحوار حتى يتحول الى ما يشبه مصارعة تيران وحتى يتعدى نطاق الحوار الهادىء المتزن الى السخرية اللاذعة والدعوى العريضة والانانيــة المريضــة .

ومن المؤسف ان لا يكون السيد ابن تاويت من ذلك القليل الذي يأخذ ويعطي ويناقش غيره فى حدود من الحكمة والمنطق لقد جعلني اشعر وانا اقرأ حواره انني جاوزت حدي وجازفت بنفسي حين ولجت على الاسد عرينه ، واصلت عليه سيفي الخشبي كما شاء سيادته ان نتظارف فينعتنا .

لقد كان احرى بالسيد الكاتب وهو الذي لا يقنع فى العلم « بالحسني ودرهم ونصف » كما قال ان يعطينا من نفسه مثالا لما يجب ان يكون عليه النقد من تجرد وموضوعية فيتجنب هذه السخرية اللاذعة التي زكمت الانوف ويمسك من غليان نفسه وثورتها الهادر ويكبح من جماح الغرور وطغيان العلم ولو قليــــلا . .

وكنت انتظر منه وقد عنون جوابه « بـــرد الصدر على العجز » ان يكون هذا الصدر حافـــلا بالجديد والمفيد فى موضوع اثاره بعد ان مله النـــاس وقتلوه ردا وتعقيبا وصدورا واعجازا . . ولكنه خيب الظن مرتين عندما جانب الموضوع وتعلق بالابيـــات وفضـــول الكلام وعندما ميع اسلوبه وتنكب به عـــن اسلوب الحوار الهادف الى التندر والاسفاف .

ولعل القارىء الكريم لم ينس ان روح النقـــاش بيننا ينصب على اسراف السيد فى تحكيم ذوقـــه وتصيد كل ما فيه من ملامح من القرآن لادراجه فيمـــا انتحل على الشعراء من شعر وضع لخدمة الديـــن والقرآن ، فحيثما وجدت هذه الملامح ومتى تقاربـــت الشعور او المعانـــي بيـــن المهلهـــل او الخنســـاء الا وتفسير ذلك عنده هو الوضع والانتحال . . وقد قلت اني لا انكر هذا الانتحال فى الشعر الذي شغل النـــاس بالحديث عنه فى القديم والحديث ، ولكني انكر علـــى الكاتب فقط اسرافه وتمحله فى الافتراض الذي يفرغ التاريخ من معناه ويفضي بنا الى الشكل فى كل ما بين ايدينا من تراث نعتز بانه عربي ويفصح كل مـــا يربطنـــا من هذا الادب بامـــة العـــرب .

تلك هي الفكرة التي ناقشتها ووقفت عندها طويلا اكثر من وقوفي عند النصوص والابيات التي استمد منها الكاتب عناصره وابتعد عنها فى « رد الصدر على العجز » ولم يـــزد على ان اكـــد انكاره للشعر المروي

وعمله التوجيهي ولا شك ان الانتاج هو الذي يقيم ذلك فمن الظلم الا نستعرض هذه الانتاجات المتعددة حتى نحكم لها حكما فنيا دقيقا ، وما دامت المجلة نفسها لم تنشر من ذلك فمن الفضول اثارة نقد موضوعات ليست بين يدي ، وحسبي ان ابدي جهد المقل في التعليق على كلمة التقديم .

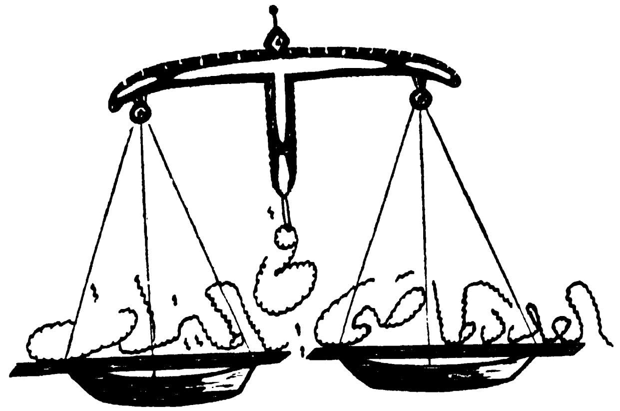
والاستاذ ابو علي المودودي ، يحدثنا واعظا عن واجبات الشباب المسلم اليوم ، وبما ان كلمة الاستاذ هي موعظة خطابية فليس من سبيل الى مناقشته ، وان كنت في غالب الاحيان اوافقه على تصوير المأساة التي تعيشها الامة الاسلامية ، واذا كانت مسؤولية المأساة تقع على الاستعمار ، فان الاستعمار لن يستيقظ ضميره في يوم من الايام ليعانق فريسته التقليدية ، وان الواجب ان نبحث عن اسباب المأساة في نفوسنا ، في اعماقنا لا في اعدائنا ، لاننا لا نطلب منهم اكثر من ذلك ، فهل نريد من المستعمرين ان يؤسسوا مدارس لتعليم اللغة العربية وتطويرها وتقويتها ، ويقفلوا ابواب مدارسهم ، وهل تريد من الرهبان ان يدرسوا القرآن ويفهموا اسراره . ان القضية هي عراك وكفاح واذا كان الاستعمار خلق في مجتمعاتنا ثقافة غريبة عنا على حساب ثقافتنا ، فمن الواجب ان نشعر بمدى مسؤوليتنا لمقاومة هذا التيار ، والا فسنعرض ثقافتنا للمحاق ونحن نشير الى ان المسؤول هم الذين مهمتهم ان يعرضوها للمحاق ، والا اخلوا بواجبهم . اننا كأمة اسلامية يجب ان نخلق لانفسنا ثقافة معاصرة وفلسفة قوية ، وعالما مليئا بالحياة والتقدم في ميدان العلم والادب والفن ، فلن ينصرف احد عن حضارة الا اذا بنيت له حضارة ، ولست متشائما من ان يحقق ذلك ، وقد اخذنا نسير في طريق التنفيذ .

بعد ذلك يتناول العلامة السيد التهامي الوزاني موضوع ثقافة القرآن العالمية ، والواقع ان البحث نظرا لاتصاله بمختلف فروع المعرفة فقد كثيرا من عناصر التركيز ، اذ ان تحديد مفهوم الثقافة ليس واضحا في البحث الذي يتناول موضوعا من الاهمية بمكان ، فالقرآن معجز بلفظه ومعجز باسلوبه ، ومعجز بما فيه من اخبار المستقبل ، وبصلاحيته لكل زمان ومكان ، وهو كتاب مقدس اصيل يعتبر علميا النموذج الاعلى للبيان والفكر الانساني ، ويأتيه الاعجاز مما ذكرنا حسب رأي علماء البلاغة ومنهم من يذكر ان الإعجاز انما هو « بالصرفة » ولكن لا يمكن ان يذكر من الاعجاز اخباره بما مضى من الحضارات الماضية .

ولا اريد ان اجاري العلامة الجليل في ان المفسرين القدماء انما فسروا القرآن داخل حدودهم الضيقة وايام عزلتهم عن بقية اطراف العالم ، فقد كان علماء التفسير في طليعة العلماء الاكاديميين ذوي الدراسات المختلفة في سائر شعب المعرفة وذوي الاقلام على مختلف مستويات الابحاث والنظريات ، لذلك لم يكن افقهم ضيقا فقد فسره القدماء على اسس مذهبية وفلسفية وصوفية وادبية وكانوا موفقين في ذلك ، ولا يفوتني ان اذكر ان القرن العشرين طلع علينا بتفاسير غاية في الاستجابة لروح العصر ، فمحمد عبده ورشيد رضا فسراه على اسس اجتماعية ، والشيخ الطنطاوي الجوهري على اسس علمية ويعتبر تفسير الشيخ المراغي ، وتفسير السيد قطب ، وتفسير السيد شلتوت ، وعشرات من التفاسير الاخرى التي ظهرت في المشرق او في المغرب آية في الاستجابة لروح العصر وتمكينا لمعجزة القرآن الكريم

ولا يفوتني ان اذكر ان القرئين القدماء يعرفون نسب ذي القرنين ، وماجوج وياجوج ، ولا شك انه يعرف كتاب المصباح الاجوج في اخبار جوج وماجوج ، وانه مطلع على ما تذكره دائرة المعارف حول لقمان ونسبته . ويحتاج قول العلامة الجليل عن نقل القرآن من الحكمة اليونانية بنسبة متساوية مما ينقل عن الديانات السالفة الى منهجية دقيقة ــ وان كنت لا اعتقد انه يحتفظ لكلمة النقل بكل دلالتها اللغوية ، كما احتفظ في خصوص التأثير اليوناني ، فالمنطق اليوناني والمحاورات السقراطية لم تكن تعتبر شيئا جديدا بالنسبة للفكر الانساني ، وانما هي اعطاء قواعد للفكر الانساني الذي منطق اقواله منذ ان فكر وتكلم ، كما لا اعتقد ان العرب لم يعرفوا شيئا عن الرومان ، وهم كانوا يجاورونهم في قصور الغساسنة بالشام ، ويعرف تاريخ الادب ما كان بين الروم والعرب من الاتصالات حدثنا بها الرواة في قصة امريء القيس ، وجاءت تفاصيل قرآنية عنها في سورة الروم وكتب السيرة والفت بهذه المناسبة قلم التحرير الى تصحيح كلمة (الكالسيوم) .

اما عن الاستاذ انور الجندي فتحت عنوان (فجر الاسلام) نقل آراء المفكرين الغربيين والمستشرقين عن الاسلام وكنت اوده ان يضع عنوانا آخر لبحثه غير هذا ، ويعلل في صلب مقاله سبب جهل الغرب بالاسلام لسببين كان في غنى عن الثانية لانها تعتمد على الاولى وهي نتيجة لها ، كما كان عليه ان يبسط الاهداف التي تسعى اليها الحملة التضليلية وان لا ينسى اسم



للأستاذ حسن السائح

ليس من رأيي ان انقد مقالات وابحاث وقصائد مجلة « دعوة الحق » ، فقد يحدث ان يهتم الناقد ببحث او بحثين ، ولكن لا يجوز ان يتناول مجلة بابحاثها كافة ، ذلك لان « دعوة الحق » لا تنشر ابحاثا من مستوى معين ، وانما تتناول بالدراسة مختلف القضايا والمشاكل الاسلامية وبمختلف الاقلام، وهي فوق ذلك تنشر الانتاج الفكري المغربي سواء اكان علما او ادبا او فنا لا يهمها الا ان يكون ذا طابع اسلامي ملتزم لقضايا الاسلام وما يتصل به ، وبذلك يعسر ان يكون الناقد مؤرخا وباحثا واديبا لينقد مختلف هذه الابحاث ، واذا كانت بعض المجلات تتأثر هذا النهج ، فهي صحف خالصة للادب او للقصة او للشعر او للبحث العلمي مما يجعل الناقد لمقالات المجلة وابحاثها يتناول موضعه من قريب او بعيد .

واذا كانت دعوة الحق قد تعودت ان تنقد العدد السابق فليس من شك انها تريد ان تعرف موقف القراء من مقالاتها وابحاثها ، وهي على اي حال خطة تفيد ولا تضر .

وقد كان نصيبي ان اتناول هذا العدد بالنقد كما اراد لي محرر المجلة صديقي الاستاذ السيد ... الامر الذي جعلني لا استطيع ان التزم ما قلته لكن على اي حال سأحاول ارضاءه وارضاء التزامي في نفس الوقت .

وما دام هذا العدد صدر في المغرب ، وفي سنة 1965 يحمل دعوة الحق الاسلامية فانا انقده كقاريء يريد ان يتعرف على القضايا الاسلامية والاتجاهات الفكرية المعاصرة من بين مقالات وابحاث دعوة الحق ، وعلى هذا الاساس ساحكم اذا كانت « دعوة الحق » قد استطاعت من خلال ذلك ان تبرز بوضوح التفكير الاسلامي المعاصر في المغرب الاقصى ، والتزاماته لخدمة الاسلام ، واداء الرسالة او هي مقصرة في ذلك وبهذا يجوز لي ان اتناولها كقاريء ناقد يبحث عن مدى التزام كتاب دعوة الحق لرسالتهم وتحملهم لمسؤوليتهم ، وشعورهم بجدية ما يكتبون لمجلة تحترم نفسها وتريد ان تشق طريقها . لا كناقد متخصص .

ان مجلة دعوة الحق ، دعوة اسلامية خالصة ، تنبض حروفها بالايمان والصراع النفسي العميق ، وكل ما فيها دعوة الى الايمان ، وليس هذا مدحا ولا تقريظا ، ولكنه تقرير لواقع فهي تفتح صدرها لنشر ما يتسم برسالتها وهي موضوعية في ابحاثها تعطي لمختلف الطبقات الفكرية ما تصبو اليه من معرفة ، هي مجلة الواعظ ، والفيلسوف ، والباحث ، والمؤرخ والشاعر وهاوي الانباء الثقافية ، تبرز في حلة قشيبة وحروف واضحة لا تعشي الابصار ، وان من الواجب يقضي ان نسجل لكل جهد اعترافا به .

والعدد الذي بين يدي يبتديء بمقدمة لجنة « دعوة الحق» وهو عن « ادب العرش » وآثره في بعث الروح القومية وتسجيل ما يعتلج في صدور المواطنين من صادق الاحساس ووحدة الامال في المعركة المغربية الخالدة التي التحم فيها العرش بالشعب دائما، وليس من شك ان الانتاج الذي قيل في الموضوع ليس ادب مناسبة ولكنه ادب تولد عن المناسبة وعبر عن احداث عاشتها البلاد في صدق وجمال ، ويختلف بين قوة المنتج القادر على الحفاظ على امانة الاداء وصدق التعبير وجمال الصورة ، وادبنا المعاصر يحتفظ بثروة من هذا الادب ستظل تمد المؤرخ والباحث الادبي والاجتماعي بمورد ثر ، وهذا هو اعظم دليل على ما اقول .

واذا جاز ان اعلق على افتتاحية قلم التحرير ، فانا ارى ان عليه ان يبرز في خطاب صاحب الجلالة الكلمات التي تتصل بالاسلام ، وهذا ما اهملته وما كان يجب عليها ان تظهره ، فخطاب العرش يعطي لكل قطاع ما صرف فيه من جهد وما يعتزم ان يقدم له من عناية ، ومن يتولى ذلك غير « دعوة الحق » الاسلامية .

وموضوع ادب المناسبة من الموضوعات التي يجب ان لا تثار بمثل هذه العجالة لان للادب اصنافا ، كما ان له اهدافا ، والادب الذي يسجل الملاحم التاريخية لم ينصف بعد في الادب العربي ولم يدرس بعناية توضح اثره الاجتماعي ودوره التاريخي

الى موضوع الاسلام ، والذي لا يسمي احكامه بقانون ، وانما تسمى (بشريعة) لانها تضم عنصر الضمير الواعي الى عنصر الحقوق الجماعية ، واثير انتباهه مسبقا الى ان القضية ليست ملاحظة موقف الاسلام من النزعة الاشتراكية او النزعة الفردية ، فالاسلام له رأي واضح وفلسفة مستقلة ، وليس من الانصاف في شيء ان ندخله في الموضوع كآراء تصلح للمقارنة .

فلست من الذين يقولون ان نظام الخليفة عمر كان شوريا، او كان ديمقراطيا ، وان الاسلام ينزع منزعا اشتراكيا ، او غير ذلك ، لسبب بسيط ، وهو ان الاسلام مذهب كامل نسميه (الاسلامية) ، له رأي واضح ، في كل ما يعرض له من مشاكل عظيمة او صغيرة ، ولذلك فليس من الانصاف ان تأخذ نصوصا مشوشة من كلام علماء الاسلام لنقارنها ثم لنقول وجدنا ضالتنا في الاسلام ، فلم ار الشيوعيين اليوم يقولون عن الشيوعية انها تشبه الاسلام في مواقف خاصة كما لم الاحظ ان الماديين او الاشتراكيين يقولون ذلك ، فلما ذا نظل دائما عند ما نعطف على الاسلام نشبهه بمختلف المذاهب ، ثم لا نبدي نظريته متكاملة في دقة وموضوعية .

والاستاذ حسن الوراكلي يلقي اضواء على الادب الاسباني، وهو عرض عن تاريخ الادب الاسباني في اجمال غير مخل ، غير انه يجب ان لا ننسى ان ادب (المودرنسو) الذي كان على يد الاديب الاسباني (سلفادور رويدا) كان يخضع لنقد اديب موريسكي لا يذكر التاريخ اسمه ، لان محاكم التفتيش كانت تقضي على كل ما يذكر بشعلة الفكر العربي وحيويته ، فالواقع ان ادب (الالخيمادو) له اثر واضح على الادب الاسباني اثناء تطوره .

بقي علي ان ادخل في نقد موضوعي مع الاستاذ حجي في بحثه عن الزاوية الدلائية ، ومع الاستاذ عبد العلي الوزاني حول دراسات حول الادب المغربي الحديث ، ولكنني تجاوزت ما خصص لي من صفحات ، والموضوعان يتطلبان كثيرا من التبسيط ، فلندعهما الى فرصة اخرى .

الرباط : الحسن السائح



جوته ودوفرجي وروبرصون كما كان عليه ان يقلل من النقط الاربعة عشر لتداخل بعضها في بعض وتكرارها .

والاستاذ الهراس من المؤمنين بالفكرة الاسلامية والوعي لقضاياها ، ويستند دائما على اقوال اساذه مالك ابن نبي واين في الناس اب مثل ابي ؟ ؟ ، والحق اني أؤكد ما يذكــــره الاستاذ مالك ابن نبي من نزوع المفكرين المسلمين الى السهولة بل ارى ان هؤلاء ينزعون الى اكثر من السهولة ، فقد نزعوا الى الخيانة السافرة ، وهل ينسى التاريخ مأساة انهيار غرناطة وتنصر بعض الوزراء ؟ او هل ينسى التاريـخ ملاحـم بعض المسؤولين في تاريخنا الوسيط من المسلمين مع المسيحيين ضـد العالم الاسلامي لمصالح شخصية بحتة ، فهل يا ترى آثروا السهولة او تعدوا السهولة الى الخيانة .

ان هذا هو سبب مأساة انهيار الثقافة الاسلامية ، وانهيار فلسطين ، وستظل دائما في خسارات اذا لم ننتبه للخطر المحدق

واني اذ اوافق الاخ الاستاذ على كثير من الاراء اتساءل دائما عن موقفنا في هذه الاحداث وما هي نقطة الانطلاق ؟ تلك هي المشكلة كما يقول شكير واعظم بها من مشكلة ! وكم اتمنى ان تتاح لي فرصة نشر تقرير عن القضية الاسلامية فيكون البحث متكاملا لا تند عنه حادثة مهمة او توجيه صحيح .

والاستاذ عبد الله كنـــون يعلـق على « منجـد الآداب والعلوم » ، ويصوب كثيرا من الاغلاط واذا كنت احبذ هـــذا الصنيع ، فمن الواجب ان انبه ان ما قاله صاحب المعجم عن ابن باجة يشابه ما في المعاجم الغربية ، وان ابن باجة في حاجة الى دراسة موضوعية ، فنحن نجهل الكثير عنه ولا نعرف عن حياته الا نتفا متفرقة في كتــب المترجمين ، وعن ملاحظـة الغنـاء ، فالاقرب ان يكون الغناء بدل الفناء الذي ارتآه الاستاذ عبد الله كنون ويعني الغناء الصوفي في حلقات الذكر ، كما ان البهاليل لم يهاجروا من الاندلس المسلمة حتى يكون الواجب افتراضهم مسلمين لا مسيحيين كما يقول الاستاذ ، بل هاجروا منها قبل الاسلام كما يؤخذ من الروايات المغربية .

اما عن ابي برى الرباطي ، نسبه الى رباط تازا فهو وهم وقع فيه بعض المؤرخين ، ومنهم ابو جندار في نسبــة بعض الاعلام الى رباط سلا ، ولا يضر عدم تعيين المدينة في شيء او وجود النسبة الى (تازا)

وآسف مع الاستاذ لاغلاط فاحشة في معجم عربي ككلمة (يغور) وضم باء (بلال) وتسكين لام (البلوي) .

وبعد ذلك اجدني مع الاستاذ محمد زنيبر في بحثه الرابع عن نجيب محفوظ والتقي معه في النقاء الكاتب القصصي مع كتاب الف ليلة وليلة،ولستاتصور هذا الالتقاء من الوجهة الادبية الفنية، لان الف ليلة وليلة تصور عقلية المجتمع الشرقي ولا نصــــور المجتمع المصري وحده بل تصور عواصم الشرق العربي كله ، ولم تكتب لتصور مجتمعنا او تخلق حياة في مجتمع ، اما القصصـي نجيب محفوظ فهو يصور المجتمع المصري في دقة تكتب لاسلوبه القصصي شخصية جديدة ، وهو يبعث في هذا المجتمع الذي يصوره وعيا ليلفته الى اشياء ويصرفه عن اشياء ، واذا كان ذلك ناتجا عن تطور الاحداث التي يقصها والبيئة التي يصورها فكفـــى ان يكون ذلك اعظم ما يباعد بين هذا الالتقاء ، وابطال الف ليلة وليلة ابطال شرقيين خياليين ، لا ابطال مصريين واقعيين ، ثم ما ابعد جو عالم الف ليلة وليلة عن عالم نجيب محفوظ .

ويحدثنا الدكتور جمـــال الديـــن الرمادي عن رفاعــــة الطهطاوي وهي ترجمة تاريخية أؤكد على كاتبها ان يراجع ما كتبه الرحالون المغاربة الى باريس في نفس العصر تقريبا وما سجلوه من اوصاف للمســـرح الفرنســي توافـق ما يثيـر الاستغراب عند كتاب اليوم .

والاستاذ العربي الزنايدي كتب بحثا عن الانتربولوجيـــا وكان عليــه ان لا يخشــى من تطويــل العنــوان ليكــون حــس (الانثربولوجيا الاجتماعية) لانها موضوع بحثه ، وكما اعتمد على مدرسة ديمقريط في التفسير التاريخـــي ، فمن واجبــه ان يرجع الى تفسيرات العرب وما كتبوه في الموضوع ، لبشعرنـــا بالعزة الفكرية دائما ، وهو شيء لن يعسر عليه .

ويحدثنا محمد جميل بهيم عن تطور المغرب الثقافـــــي والاجتماعي في القرون الوسطى والواقع ان الكاتب لم يرجع الى المصادر المغربية كعالمات المغرب ، ونفح الطيب ، وغير ذلك من المصادر الكثيرة التي تلقي ضوءا على حياة المرأة المغربية عبر التاريخ المغربي وخصائص الحضارة المغربية المتفتحة الوقورة في نفـــــس الوقـــت .

والاستاذ عبد النبي ميكــو ، بدأ في دراسـة موضـوع متعارف عن القانون بين المذهب الفردي والمذهـب الجماعـي ، والمهم عندي ان ينتقل في الفصل المقبل من هذه الصفحة الدراسية

واراد الله ان يكون الجلف وفيا لعياض ، فقد اختصه بالتاليف قوم وترجم له اقوام (✱) ·

وليس من غرضنا — في هذه الكلمة — ان نستقصي دقائق تاريخ القاضي عياض ، فانا ، لو قصدنا الى ذلك هنا ، لما وفينا به ، فحياته — من اي جانب نظرت اليها — غنية عامرة ، وهذه جهة ، والحديث عنها ، حديث — في الواقع — عن عصر من ادق عصور التاريخ في هذا البلد وتلك جهة ثانية ·

وانما هدفنا ان نسجل معالم عامة لحياته وخاصة ما يتصل بالجانب الفكري منها ، بغية ان نقف على ما لعله ان يكون قد اثر في منهجه في البحث والتاليف ، وخاصة في كتابه (ترتيب المدارك) الذي نقدم له بهذه الكلمات ·

نسبه :

نقل ابنه محمد (✱) ، وابو القاسم الملجوم (✱) ، كلاهما عن القاضي عياض انه : (عياض بن موسى بن عياض بن عمرون ابن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي)

وهو نسب يرتفع — كما نرى — الى يحصب بن مالك بن زيد (✱) ويحصب ، اخو ذي اصبح الحارث بن مالك بن زيد الذي ينتهي اليه نسب الامام مالك بن انس الاصبحي ·

وهكذا يمت القاضي عياض الى الامام مالك بصلتين :

صلة المذهب المالكي الذي دان به سكان المغرب وما يزالون وكان عياض من ابرز اعلامه واشهرهم · وصلة القربى والانتساب الى قبيلة حمير من عرب اليمن ، ذات الصيت الذائع في التاريخ الاسلامي ·

ومن المحتمل ، ولا نذهب الى اكثر من الاحتمال ، ان يكون لصلة القربى هذه — فوق ما للاسباب التي بسطها القاضي في مقدمته (ترتيب المدارك) (✱) ، وفوق ما لصلة المذهب — اثرها في توجيه القاضي عياض الى العناية البالغة بحياة الامام ، وابرازها في اطار من الجلال والبهاء ، وفي اصراره على ان يبعد عنها كل ما من شانه ان يشوب نصوعها ، ويخدش في بهائها ·

موطن سلفه :

وكان منزل اجداده بجهة بسطة (✱) التي تبعد 123 كيلومترا نحو الشمال الشرقي من مدينة غرناطة ، ومنها انتقلوا الى فاس ، ثم الى مدينة سبتة ·

وذكر ابنه محمد ان سلفه قد استقر بالقيروان غير انه لم يدر هل كان استقرارهم بها قبل نزولهم بالاندلس او بعده (✱)

ولم نعرف في عداد اهل العلم ، احدا من اجداده ، غير ان بيتهم كان من البيوتات النابهة بفاس وبسبتة ، وان جده عمرون الذي انتقل من فاس الى سبتة حوالي سنة 373 هـ ، كان من اهل الخير ، حافظا للقرآن ، حج احدى عشرة مرة ، وغزا مع المنصور ابن ابي عامر كثيرا من الغزوات ، وانه اشترى ارضا بسبتة من ماله جعل جزءا منها وقفا على المسلمين يدفنون فيه موتاهم ، وجزءا بنى فيه مسجدا ، وديارا جعلها حبسا على المسجد ، وانه لازم هذا المسجد للتعبد الى ان مات سنة 397هـ(✱)

وهي خلال كلها تمكن لنباهة الذكر ورفعة المكانة ·

مولده :

وبسبتة — حسبما كتب القاضي بخطه (✱) وعنه نقل ابنه محمد — ولد القاضي عياض في منتصف شعبان من سنة 476هـ (✱)

وسبتة قاعدة من قواعد المغرب ، هيأها موقعها الجغرافي لان تكون ملتقى العلماء ، سواء الواردون عليها من المشرق والمغرب ، بقصد العبور الى الاندلس ، ام القادمون اليها من الاندلس الى المغرب ، بقصد الرحلة او الاقامة ، وان تصبح — نتيجة لذلك — ملتقى لثقافات متنوعة متعددة ·

وهكذا انشأ العلماء المقيمون بسبتة ، والوافدون اليها ، مركزا ثقافيا بها ، له اهميته ، وله مميزاته وخصائصه ·

(✱) ذكرنا لائحة تتضمن مراجع لترجمة القاضي عياض ·

(✱) في كتابه الذي عرف فيه بابيه صحيفة 3 / 4 ، وانظر ازهار الرياض 1 / 23 — 25 ·

(✱) ازهار الرياض 1 / 24 ·

(✱) وقع في ازهار الرياض 1 / 27 : « يحصب بن مدرك » ، وهو تصحيف · ونسب يحصب في جمهرة ابن حزم 408 — 409 ، ونهاية الارب للقلقشندي 249 — 254 ، وانظر تاج العروس (حصب — صبح) ·

(✱) 1 / 4 ، 6 — 22 ·

(✱) التعريف 4 ، المعجم لابن الابار 294 ، الوفيات 1 / 497 ، الديباج 168 ، تاريخ الفكر الاندلسي 293 — 397 · وفي تاج العروس (حصب) ان اليحصبيين نزلوا بقلعة يحصب على بعد ست مراحل في الشمال الغربي من مدينة غرناطة وان هذه القلعة سميت بهم واليها ينسب القاضي عياض ·

(✱) التعريف 4 — 5 ، وانظر الديباج 168 ·

(✱) التعريف 5 ، وعنه ابن الخطيب في الاحاطة 182 · أ ، والمقري في ازهار الرياض ·

(✱) الصلة 447 ، المعجم لابن الابار 296 ·

(✱) بغية الملتمس 425 ، المعجم 294 ، الصلة 447 ، الوفيات 1 / 497 ، الاحاطة 182 — ب ·

مقدمة كتاب

ترتيب المدارك، وتقريب المسالك

لمعرفة أعلام مذهب مالك

تاليف : القاضي عياض

••• لا زال قسم التاليف والترجمة والنشر بوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية يولي نشاطا ملحوظا في ميدان التاليف •

فبعد كتاب : « الاعلام بحدود قواعد الاسلام » للقاضي عياض الذي طبع في الشهور الاخيرة والذي ابتهجت له مكتبتنا المغربية يعود اليوم هذا القسم لاصدار الجزء الاول من كتاب « ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة اعلام مذهب مالك » تاليف القاضي عياض ••

ولكتب القاضي عياض مكانة مرموقة في نفوس الاسرة المالكة العلوية •

فالمغفور له المولى محمد بن عبد الله كان شديد العناية والحرص بكتب عياض •

وقد عرف المولى عبد الحفيظ بعنايته ورعايته لكتب عياض، فقد طبع على نفقته « مشارق الانوار » كما عزم على طبع « ترتيب المدارك » بمصر، فعهد الى وكيل الدولة المغربية بها اذ ذاك، الحاج محمد بن العباس بن شقرون ان يطبعه ضمن المجموعة القيمة من الكتب التي طبعها جلالته على نفقته، هناك وبالقرب، غير ان مانعا حال دون تنفيذ ذلك •

وفي سنة 1330 بدا المولى عبد الحفيظ بطبع « ترتيب المدارك » بفاس على نفقته ايضا، فطبعت منه ستة عشر صحيفة ••• ثم توقف العمل •

وتابى الاقدار الالهية الا ان تقرن هذه المأثرة العلمية الخالدة بعهد جلالة الملك الحسن الثاني ـ حفظه الله ـ وتكتب هذه الحسنة المقبولة في صحفه •••

فلقد امر جلالته ـ حياه الله ـ بطبع « ترتيب المدارك »وتكرم بالاذن في الاستفادة من نسخة منه، تحتفظ بها الخزانة الملكية، وواصل جلالته اهتمامه بانجاز العمل فيه منذ بدايته الى نهايته •

وكتاب « ترتيب المدارك » من اهم كتب طبقات المالكية عموما يقع في خمسة اسفار، كما قدره ابن القاضي عياض وعنه ابن الخطيب، والمقري •

وقد عارضه باصوله، وعلق حواشيه، وقدم له البحاثة الثبت الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي رئيس قسم التاليف والترجمة والنشر بوزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية، الذي بذل جهودا محمودة في تقويم هذا الجزء الاول من ترتيب المدارك •••

ويسر مجلتنا « دعوة الحق » ان تتحف قراءها بالتقديم الضافي الذي دبجه يراع الاستاذ السيد محمد بن تاويت في ترجمة القاضي عياض لكتاب المدارك •••

لولا عياض لما ذكر المغرب (✱) :

هذه هي الكلمة التي اختارتها الامة المغربية للتعبير عن مكانة عياض في تاريخها •

وهي خلاصة لما تركته حياته الحميدة الحافلة، وعمله الواسع، وسلوكه الحميد، من آثار جميلة بعيدة الغور في قلوب مواطنيه •

وذكره المؤرخون والمشارقة من اهل العلم والمغاربة، سواء في اللهج بحمده، والاشادة بمآثره الخالدة •

وعياض في الشرق، وفي الغرب، وفي كل بلد من بلاد الاسلام، حق ان يخلد ذكره، وان ينشر فضله، وحري ان تتساند محافل العلم في كل بقاع الارض المسلمة على اجلاله وتقديره •

والقاضي عياض ـ حين يحدث، وهو يعني لم يحدث، عن بعض شيوخه، انه كان يقول : (ما لكم تأخذون العلم عنا، ثم تستفيدون منا ثم تذكروننا فلا تترحمون علينا (✱) » يعتبر الاعتراف بفضل العلم المفيد شكرا للعلم، ودينا يجب على الخلف المستفيد ان يؤديه، وهو للسلف ـ قبل وبعد ـ لسان الصدق في الآخرين- وقد قيل : «من ورخ مؤمنا فكأنما احياه(✱)» •

(✱) كلمة شاعت على السنة الجماهير في المغرب، من غير ان تنسب لقائل معين •

(✱) ابن بشكوال، الصلة 446، الغنية 128 •

(✱) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ 28 •

الذين تعلم عليهم الكلام واصول الدين ، وكثير من العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بعلم الكلام واشتهروا به ، وترجم لهم في « ترتيب المدارك » .

نقول هذه المدرسة كانت على علم تام بالجدل والمناظرة واصول الدين والكلام على مذهب ابي الحسن الاشعري ، وان كتب الاشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة انحاء المغرب .

ومن هنا نصل الى عدم صحة ما حيك حول مهدي الموحدين، من ان علماء المغرب في عهد المرابطين ، لم تكن لهم معرفة بالجدل والنظر ، وانهم ــ لذلك لم يستطيعوا ان يثبتوا له في مناظراته ، وان التجسيم كان غالبا عليهم في الاعتقاد ، فجاء ابن تومرت بعقيدة التوحيد ، ونشرها، وسمى اتباعه بالموحدين، الى آخر ما قيل وكرر (★) .

انه خدعة سياسية اذاعها ابن تومرت وانصاره لتوطيد نفوذهم في نفوس الجماهير ، واغتربها المؤرخون ، ومن العجيب ان يكون ابن خلدون الواعي من ضحاياها ، وبسبتة ايضا عن اعلامها ومحدثيها اخذ علم الحديث ، متنه وغريبه ورجاله ومصطلحه .

فقرأ الموطأ للامام مالك ، ومسند الموطأ لابي القاسم الجوهري ، وصحيح البخاري بروايتي الفربري والنسفي ، وصحيح مسلم ، وسنن النسائي ، وشرح غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام ، واصلاح الغلط على ابي عبيد لابي محمد ابن قتيبة ، وغريب الحديث لابي سليمان الخطابي ، وعلوم الحديث للحاكم ، وكتاب الطبقات لمسلم الحجاج صاحب الصحيح ، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ، وكتاب الطبقات له ، وكتاب التقصي لابن عبد البر (★) ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني (★) ، والمؤتلف في تكملة المؤتلف والمختلف للخطيب البغدادي (★) ، ومشكل الحديث لابن فورك (★) ، والاكمال لابن ماكولا (★) .

اما الفقه المالكي ، فدرس رسالة ابن ابي زيد (★) ، والمدونة (★) ، وتاليفا في الايمان اللازمة للقاضي ابي بكر ابن العربي المعافري ، قرأه عليه بسبتة عند مروره بها (★) .

وقرأ اصول الفقه على محمد بن داود بن عطية القلعي .

رحلتــــه :

بهذا المحصول العلمي الرائع رحل عياض الى الاندلس .

وقد عني مؤرخوه بتحديد مبدأ رحلته ومدتها (★) ، وهي عناية محمودة لها فوائدها ، ولكن مبدأ الرحلة ومدتها لا يهمنا ولا يفيدنا الفائدة التي تعود علينا من معرفة ما فعله القاضي في رحلته ، وما خلفته هذه الرحلة من آثار في معلوماته وفي تفكيره .

والرحلة في طلب العلم ، تعني ــ في ميدان التربية العلمية وتقويم اسس التفكير في الاسلام ــ امرين :

الاول : التأكد من سلامة المنهج النقلي ومن كماله ، ويتطلب ذلك تصحيح المتون المروية ، والبحث عن اصولها ، ووصل اسانيدها باصحابها ، والبحث عن اعلى هذه الاسانيد واقومها واصحها .

فهذه المادة المروية ، اذا لم تثبت بصورة صحيحة نسبتها الى اصحابها ، لا تصلح ان تتخذ اساسا للبحث والدرس وبناء احكام عليها ، سواء كانت هذه الاحكام دينية او علمية او ادبيــــة .

والحرص على اكمال المنهج النقلي وسلامته ، واضح في عناية القاضي البالغة بالتوسع في الرواية والقراءة ، فنراه يقرأ كتبا جديدة لم يقرأها بلده (★) ، وبمقابلة كتبه (★) بالاصول الصحيحة ، والبحث عن اصول العلماء الخطية المسندة(★) والتنصيص على الاصح والافضل من رواياتها الى اصحابها ، ان تعددت الطرق والروايات (★) وبالنص ــ كذلك ــ على انه قابل او صحح .

والامر الثاني : تصحيح منهج التفكير ، واقامة اسسه على قواعد ثابتة ، وتقول مصادر ترجمته : انه عني في رحلته بلقاء

(★) ابن خلدون ، العبر 6 ــ 226 ــ 229 ، 6 ــ 266 .
(★) الغنية 2 / 22 ، 146 ، 190 ، 191 . (★) الغنية 51 / 56 .
(★) الغنية 51 / 56 / 64 . (★) الغنية 135 . (★) الغنية 56 .
(★) الغنية 56 . (★) الغنية 22 . (★) الغنية 19 ، 119 ، 146 ، 40 ــ 42 . (★) في التعريف 9 ــ 10 ، وازهار الرياض 3 / 8 ــ 10 : انه خرج من سبتة سنة 507 هـ وعاد من رحلته سنة 508 هـ . (★) الغنية 142 ، 155 .
(★) الغنية 15 ، 27 ، 27 ، 172 . (★) الغنية 11 . (★) الغنية 142 ، 155 .

واتفقت مصادر ترجمة عياض على وصفه بالذكاء ، والفهم ، والحذق ، والفطنة ، والتيقظ ، والحرص على طلب العلم . وهي مؤهلات من شانها ان ترفع صاحبها الى مراتب عالية في العلم والفضـــــل .

وبهذه المواهب العقلية الممتازة ، وفي ذلك الجو العلمي الذي تهيأ له بمسقط رأسه سبتة ، بدأ عياض طلبه للعلم .

واذا كانت الكتب التي يدرسها طالب العلم ، تتدخل ـ مثلما يؤثر الشيوخ ـ في تكوين شخصيته ، فان ما قرأه عياض الطالب ، وقد حباه الله تلك المواهب العقلية ، من امهات الكتب على اختلاف موضوعاتها ، في بلده سبتة ، دال على ان شخصيته العلمية قد اكتملت قبل ان يغادر بلده ، وانه قد انتزع شهرته الخالدة على الزمن بسعيه ، دون ان يحابيه بها احد .

ففي بلده حفظ القرآن بقراءاته السبع ، برواية نافع ، وابن كثير ، وابي عمرو بن العلاء ، وابن عامر ، اخذ هذه الروايات بطرقها المختلفة المعروفة عن عبد الله بن ادريس بن سهل المقرىء (المتوفى سنة 515 هـ) (★) ، وبرواية حمزة بن حبيب الزيات ، عن عبد الله بن محمد النفزي (المتوفى سنة 538 هـ) (★) .

وقرأ اللغة العربية ، متنها وادبها ، في كتاب الفصيح لابي العباس ثعلب ، وكتاب الامالي لابي علي القالي ، والكامل لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ، وادب الكاتب لابي محمد ابن قتيبة (★) .

ودرس قواعدها في كتاب الجمل للزجاجي ، والواضح لابي بكر الزبيري ، والكافي لابن النحاس ، والمقتضب للمبرد ، والايضاح لابي علي الفارسي (★) ، وشرح الجمل لابن فضال (★) .

اما اصول الفقه ، واصول الدين وعلم الكلام (★) على مذهب ابي الحسن الاشعري ، والجدل والمناظرة (★) ، فقرأ اصول الدين على قاضي سبتة عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن قاسم اللخمي (المتوفى سنة 458 هـ) (★) ، وقرأ رسالة ابن ابي زيد القيرواني (★) على محمد بن عيسى التميمي ، وصحب عبد الغالب بن يوسف السالمي (المتوفى سنة 516 هـ) المتكلم على مذهب اهل السنة من الاشعرية مدة اقامته بسبتة ، وناوله كثيرا من مجموعاته (★) . وقرأ على يوسف بن موسى الكلبي ، المتكلم على مذهب الاشعرية ، ارجوزته التي الفها في الاعتقادات (★) ، كما قرأ كتاب المنهاج في الجدل والمناظرة لابي الوليد الباجي (★) .

واحتجاج عياض المتكرر في كتاب الشفا بآراء ابي الحسن الاشعري (★) ، والقاضي ابي بكر الباقلاني (★) وابي بكر بن فورك (★) ، وابي المعالي امام الحرمين الجويني (★) ، يثبت كل ذلك صلته الوثيقة بمذهب الاشعرية وبكتبهم ، وقراءته لمؤلفاتهم في الاعتقاد (★) ووصفه للباقلاني ، وابي بكر ابن فورك بقوله : (من ائمتنا) (★) ، دال على انه اشعري المذهب ، ومناقشاته العميقة لاراء المعتزلة (★) والفرق الاعتقادية الاسلامية ، على اختلاف مذاهبها (★) وللفلاسفة (★) والصوفية (★) والخوارج (★) تطلع الدارس لعياض على معرفته الواسعة بالمذاهب الاعتقادية وآراء اصحابها .

وصلة القاضي عياض بعلم الكلام وما يتبعه من جدل ومناظرة ، ومعرفته بدقائق آراء المخالفين لاهل السنة فيه ، تصل بنا الى ان المدرسة التي اخرجت القاضي عياضا وشيوخه

(★) الغنية 149 ، وانظر 173 .
(★) الغنية 148 ، وانظر 43 / 44 .
(★) الغنية 134 ـ 135 ، وانظر 43 ـ 67 .
(★) الغنية 135 . (★) الغنية 160 . (★) جاء في « التعريف» صحيفة 6 ان القاضي عياض كان متكلما اصوليا ، وكان لا يرى الكلام في ذلك الا عند نازلة ، وعلم الكلام ، منذ نشأته ، يعني الحجاج عن العقيدة والمناظرة عليها ، ثم اشتهر بين اهل السنة ـ استعماله في معنى الحجاج عن العقيدة السنية بالادلة البرهانية العقلية ، والرد على المخالفين لهم فيها . فالمحاجة والمناظرة جزء من مفهوم علم الكلام . (★) اما « علم الجدل والمناظرة » ، فيراد به الجدل في مسائل الفقه تارة ، وفي مسائل الاعتقاد تارة اخرى ، ومهما كان فهو صناعة الجدل . (★) الغنية 146 . (★) الغنية 22 . (★) الغنية 166 . (★) الغنية 215 . (★) الغنية 160 . (★) الشفا 2 / 277 . (★) الشفا 1 / 216 ، 2 ـ 263 ـ 267 ـ 276 .
(★) الشفا 1 / 216 ، 2 / 156 .
(★) الشفا 1 / 205 ، 311 ، 2 / 264 . (★) الغنية 166 / 215 . (★) الشفا 1 / 216 .
(★) الشفا 2 ـ 266 ـ 267 ـ 278 ـ 279 . (★) الشفا 2 ـ 268 ، 269 . (★) الشفا 2 ـ 269 . (★) الشفا 2 ـ 269 .
(★) الشفا 2 ـ 271 .

والعقيدة السنية تجيء في طليعة هذه المقررات ، وهي تقرر — فيما تقرر — ان لا عصمة لاحد من الناس غير الانبياء .

اضف الى قضية العصمة ، ما كانت تستلزمه من مظاهر التشيع .

وهناك الموقف الحذر او العدائي الذي اتفق عليه اعلام المغرب ، او كادوا تجاه مباحث واتجاهات في كتاب « احياء العلوم للغزالي » .

ويمكن حصر هذه المباحث التي رفضتها الاوساط الفكرية في المغرب في نقطتين .

الاولى : ذلك الموقف السلبي الخطير الذي يقفه الغزالي في كتاب الاحياء وغيره — من الاشتغال بالعلوم الاسلامية ، باستثناء التصوف .

والثانية : ما عرض للبحث فيه من « علوم المكاشفة » ، وما بناه عليه من نتائج واحكام .

وآمن عياض بما آمن به اهل السنه في المغرب ، وكان شديد النمسك بما آمن به ، وقرأ على محمد بن عبد العزيز التغلبي (المتوفى سنة 508 هـ) ردوده على الغزالي (✱) واغلب الظن — ولا شيء يمنع من — انه كان على علم بموقف المازري شيخه من كتاب « احياء العلوم » للغزالي .

فكان لعياض — من هذا جميعه — رأيه في كتب الغزالي وآرائه مماثلا لما رآه شيوخه ومعاصروه فيها ، كان عياض يرى ان الغزالي لو اختصر الاحياء واقتصر فيه على العلم الخالص، وهذه عبارته ، لكان كتابا مفيدا (✱) وغير الخالص من العلم في كتاب الاحياء — فيما يعني عياض — هو « علم المكاشفة » .

وحكي بن العماد الحنبلي (✱) والشعراني (✱) ان عياضا كان يرى ان كتاب الاحياء يجب ان يحرق ، وليس غريبا ما حكياه عنه ، فلعياض في كتاب الشفا (✱) حكم على ابي حامد الغزالي — رحمهما الله — في غاية القسوة .

وكان لعياض كذلك اعتقاده في العصمة التي وصف المهدي بها نفسه .

وجاء مهدي الموحدين فصدم اهل المغرب في اقدس ما لديهم وهي عقيدتهم السنية ، وسماهم مجسمين كافرين ، وقاتلهم قتال كفر ، وحصر التوحيد في اصحابه واتباعه (✱) .

واقام حركته على دعامتين :
عصمة الامام ، وهو كان الامام .
وعامه بالمغيبات ، وقد استفاده من كتاب الجفر الذي يتضمن علوم اهل البيت .

وعصمة الامام ، عند الامامية ، وعنهم ينقل ابن تومرت : تعني ان الامام لا يجوز ان تصدر عنه معصية صغيرة ، ولا يجوز ان يحصل منه سهو في الدين ، ولا يجوز ان ينسى شيئا من الاحكام (✱) .

ومن كرامة الامام عندهم ان يعرف ضمائر الناس وان يعرف ما يكون قبل كونه (✱) .

وموقف العقيدة السنية من عصمة الائمة انها لا تقبل عصمة احد من الناس غير الانبياء ، كما انها ترفض وصف الائمة بانهم يعلمون الغيب وما تكنه ضمائر الناس ، ويخفيه الغد .

وتعرض الغزالي لعلوم المكاشفة ، وافاضته فيها ، واعتماده عليها (✱) ، من الاسباب التي حدت بالعلماء في المغرب ان يقفوا من كتاب « الاحياء » موقفهم العدائي المعروف ، ومن اجل هذا ايضا كان موقف عياض ورأيه ، الذي رأى في الغزالي وفي كتبه .

ومن السهل — بعد هذا الذي اشرت اليه — ان يفهم الدارس لما ذا قاوم المغاربة في مكان دعوة الموحدين ، ثم لما ذا ثارت سبتة وكررت العصيان ، بزعامة عياض في وجه نظام الموحدين .

والموضوع لا يسمح لي بتفضيل القول في هذا هنا ، ولكني اريد ان اقول : ان عياضا لم يتنازل قط عن عقيدته السنية ، وما كان الظن به ان يفعل ، وان الموحدين لم يسامحوه قط ، ولذلك غربوه عن بلده ، فجزع — رحمه الله — لفراقها ، وكان يقول لمواطنيه عند وداعهم بسبتة : « جعلني الله فداءكم » ويبكي (✱) ونغضوا عليه اواخر حياته ، الى ان لقي ربه في سابع جمادي الاخيرة ، او في رمضان سنة 544 هـ .

وانطلقت في الفضاء بعده الرؤى والمنامات والقصص والحكايات ، له ، وعليه . وما اكثر ما تحاك الاقاصيص حول النابهين من الناس بعد ان يفارقوا هذه الحياة الدنيا .

(✱) الغنية 25 . (✱) التعريف 121 . (✱) الشذرات 139/4 . (✱) طبقات الشعراني 1 / 15 . (✱) 2 / 267 . (✱) ابن خلدون ، العبر 6 / 226 — 227 — 228 — 229 — 6 / 266 ، وابن زيدان اعلام الناس 1 / 87 — 88 . (✱) اوائل المقالات 36

(✱) اوائل المقالات 37 . (✱) فصلنا القول عن هذا في مقدمتنا لشفاء السائل لابن خلدون . .

(✱) التعريف 131

الشيوخ (✱) ، ولم يكن غرض عياض الاساسي من رحلته ان يرى وجوه الشيوخ ، وانما كان يعني — بعد ان سلم له المنهج النقلي — ان يقابل افكارهم ، فيزنها بما تعلمه في بلده من افكـــــــار .

وقديما قيل : (اذا اردت ان تعرف مقدار شيخك فجالس غيره) . ولقاء الشيوخ هو الذي اتاح لعياض ان يرصد عن كثب مناهجهم في التفكير ، ويرقب كيف يتناولون المسالك بالدرس والبحث ، يردون منها ما يردون ، ويقبلون ما يقبلون ، فينقله ما شاهد وما فهم الى ما تعلمه عن علماء بلده من اسس ومناهج ، يقارن بينها ويفاضل ، فيبقى في ذهنه — بعد الموازنة والعرض على ميزان النقد — ما يصلح ان يبقى وينفي ما يثبت للنقد .

وبعملية الاختبار والمفاضلة ، والتنقيح هذه ، تم له بناء الجهاز النقدي ، وتكاملت له اصول التفكير على اساس من المقارنة والاختيار .

شهادة اهل العلم له :

وعرف مكانه عند اشياخه اثناء رحلته وقبل ان يعود الى وطنه ، وقد اثرت عنهم كلمات تشير الى فراستهم فيه، وتقديرهم له واعترافهم بفضله وعمله .

قال له استاذه ابو عبد الله ابن حمدين ، وقت رحلته : (وحقي يا ابا الفضل ان كنت تركت بالمغرب مثلك) (✱) .

واراد الرحلة الى بعض الاشياخ بالاندلس للاخذ عنه ، فقال له الوزير ابو الحسن ابن سراج : « لهو احوج اليك منك اليـــه » . (✱) .

وقال ابو محمد ابن ابي جعفر : (ما وصل الينا من المغرب انبل من عياض) (✱) .

ولقيه بسبتة الوزير الكاتب الشاعر عبد المجيد ابن عبدون (المتوفى سنة 527 هـ) ، فاقسم له انه ما قصد سبتة الا للقياه (✱)

وفي رحلته كتب عنه ابو عامر محمد بن احمد بن اسماعيل الطليطلي اشياء من حديثه (✱) .

وعاد عياض من رحلته ، قبسا من النور يضيء ، ومعينا عذبا فياضا من العلم لا يلحقه النضوب ، وصوتا عاليا للحق ينادي — مرشدا ، وحاكما — فيسمع النداء ، وطاقة هائلة من الايمان والثبات والخلق .

والى هذا جميعا احساس واع بنفسه وبلده (✱) ، وبالمكانة التي تهيأت له ، بما ورثه عن سلفه ، وبما افاده بسعيه ، وتقدير للمسؤوليات الثقيلة التي تفرضها عليه تقاليد هذه المكانة ، من ارشاد وهداية ، وتوجيه وتنوير ، وحماية ان كانت السلامة في الكرامة الانسانية وفي المقدسات لا تحفظ الا بالحماية .

وفتحت له بلاده قلبها ، فاحبته واكبرته ، واسندت اليه قيادها ، فكان عياض في جميع ذلك الرائد الامين الذي لا يكذب اهلــــــــه .

حدث ابنه في « التعريف » ، وابن صعد في « النجم الثاقب » ، وعنه الافراني في « درر الحجال في سبعة رجال » في السمط الثاني منه : ان القاضي عياضا لما ولي قضاء بلده كانت الخصة والعامة على غاية من محبته واجلاله واكباره ، وكان له من الهيبة والجلالة عند الامراء والولاة ، ما جعلهم يقبلون قوله ، حين يطالبهم باداء حق من حقوق الرعية ، ويتنافسون في قضاء حقه والقيام بواجبه .

وحدثوا عن سيرة القاضي في قومه ، فقالوا : انه كان صلبا في الحق لا تاخذه فيه لومة لائم ، محبا في طلبة العلم ، محرضا لهم على طلبه (✱) ، كثير التواضع ، يقبل على المساكين والفقراء ، فيسألهم عن احوالهم ويكثر الصدقة عليهم (✱) ، ويعاشر الناس بالاخلاق الحسنة ، والجانب اللين ، ويؤثرهم بما يجد ، انفق في ذلك اكثر ما ورثه عن ابيه ، وباع فيه رباعه بسبتة واملاكه ، ومات مدينا بخمسمائة دينار (✱) .

اما صلة القاضي عياض بربه في عبادته ، فكان متين الدين ، مجتهدا ، كثير الصوم ، قوام الليل ، تاليا لجزء من كتاب الله — عز وجل — في الجزء الاخير من الليل ، لم يتركه — ما قدر على تلاوته — في اية حالة ، ملتزما لحدود الشريعة ، سنيا في عقيدته ، شديد التمسك بها الى حد التعصب (✱) .

ولم يصرفه واجبه الديني والاجتماعي عن الواجب العلمي المقدس ، فكان دائم الصلة بعلمه ، لايفارق كتبه ، يقرأ ويدرس ، ويبحث ويؤلف .

* * *

وتطورت الاحداث ، وارغمته على ان يخوض غمارها ، وكانت هناك مقررات سنية عقدية لا سبيل الى التخلي عنها ، آمن بها اهل هذا المغرب ، ومنهم علماؤه الذين جاهدوا في سبيل المحافظة عليها بكل ما كان لديهم من الوسائل .

(✱) الصلة 446 ، الوفيات 1 / 497 . (✱) التعريف 121 .

(✱) التعريف صحيفة 121 . (✱) التعريف صحيفة 121 . (✱) الغنية 167 . (✱) الغنية 59 . (✱) من مظاهر هذا الاحساس عنايته باخبار سبتة ، وتأليفه كتاب « العيون الستة » . والعناية بتاريخ المدن المغربية قديم ، فقد الف محمد بن يوسف التاريخي الوراق اخبار تاهرت ، والبصرة ، وسجلماسة ونكور ، وغيرها . . . (✱) التعريف 7 .

(✱) التعريف 7 . (✱) التعريف 128 . (✱) شذرات الذهب 4 / 139 .

وقد اختصره القاضي عياض ، حدث به عنه ابن خير اجازة ومشافهة واذنا ، وذكره في فهرست ما رواه عن شيوخه 489 ، 497 ، وذكره ايضا صاحب كشف الظنون ، 2 : 1045 .

وكان القاضي عياض كان يمهد لتأليف كتابه الشفا ، فاستطال كتاب شرف المصطفى فلخصه ليسهل رجوعه اليه ، واستفادته منه .

6) الاعلام بحدود قواعد الاسلام :

ذكره ابنه في التعريف 133 ، والاحاطة 183 ـ ا وكشف الظنون 1 : 127 ، وهدية العارفين 1 : 805 ، وقد طبعته وزارة الشؤون الاسلامية في سلسلة مطبوعاتها .

7) اكمال المعلم بفوائد مسلم .

وهو شرح على صحيح الامام مسلم بن الحجاج ، كمل به شرح ابي عبد الله محمد بن علي المازري المسمى بالمعلم بفوائد مسلم .

ذكره القاضي عياض في اول مشارق الانوار 1 : 7 ، وابن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه 196 / 494 ورواه عن مؤلفه ، وابنه في التعريف 132 والاحاطة 183 / ا وقدره كابنه بتسعة وعشرين جزءا ، وذكره في كشف الظنون 1 : 145 / 1 : 557 والوفيات 1 : 496 وهدية العارفين 1 : 805 ، وهو موجود بالخزانة العامة .

8) الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع :

ذكره ابنه في التعريف 133 ، والضبي في بغية الملتمس 425 ، والاحاطة 183 ـ ا كشف الظنون 1 : 158 هدية العارفين 1 : 805 تاريخ الفكر الاندلسي 397 .

وهو من الكتب التي كثر اعتماد المتكلمين في مصطلح الحديث عليه ، وقد وصلنا ، ففي كل من مكتبة الاسكوريال ، وايا صوفيا نسخة منه .

9) بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد :

وهو اوفى شروح هذا الحديث ، واغزرها مادة ، ذكره ابنه في التعريف 133 والذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97 وابن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه ، ورواه عن مؤلفه 197 ، 478 ، وابن خلكان 1 : 496 ، كشف الظنون 1 : 248 هدية العارفين 1 : 805 وفي الخزانة العامة ، وبرلين نسخ منه .

10) تاريخ المرابطين .

انتهى فيه الى سنة 540 هـ ذكره ابن خاتمة في « مزية المرية » ازهار الرياض 2 : 239 خ ، وانظر : الجامع في التاريخ

11) ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك :

ياتي الحديث عنه .

12) التنبيهات المستنبطة ، على الكتب المدونة والمختلطة :

قدره ابنه وعنه الاحاطة بعشرة اجزاء .

وكان عليه المعول في حل الفاظ المدونة وحل مشكلاتها ، وتحرير رواياتها ، وتسمية رواتها ، ويرجع السبب في ذلك الى انه جمع بين شرح المعاني وايضاحها ، وضبط الالفاظ ، وذكر من رواها من الشيوخ والحفاظ . ذكره ابنه في التعريف 132 والوفيات 1 : 496 ، وعنه الذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97، والاحاطة 183 / ا ازهار الرياض 3 : 21 كشف الظنون 1 : 493 ، 2 . 1644 ، هدية العارفين 1 : 805 ، وفي الخزانة العامة نسخة منه

13) الجامع في التاريخ :

يقول القاضي عياض في ترجمة عبد الله بن ياسين القائم بدعوة المرابطين : « وقد بسطنا اخباره في كتاب التاريخ » ، وذكر تلميذ عياض محمد بن حمادة البرسي السبتي ، وعنه الذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97 بعنوان (جامع التاريخ) والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ : انه تاريخ المرابطين ، انتهى فيه الى سنة 540 هـ وانه كتاب اربى على جميع المؤلفات فيه اخبار الملوك بالاندلس ، والمغرب ، منذ دخول الاسلام اليهما ، واستوعب اخبار سبتة وقطانها وفقهاءها ، وجميع ما جرى من الامور فيها ، واستوفى اخبار الدولة الحسنية ، وذكره في كشف الظنون 1 : 538 تحت عنوان (جامع التاريخ) وهدية العارفين 1 : 805 ولم يضيفا شيئا زائدا على هذا العنوان انظر : العيون الستة ، والفنون الستة .

14) كتاب (خطبه) :

في سفر ذكره ابنه في التعريف 133 ، وذكروا في ترجمة القاضي انه كان لا يخطب الا من انشائه .

15) سر السراة ، في آداب القضاة :

قال ابنه (التعريف 134) : رأيت ايضا هذه الترجمة بخطه ، ولم اجد من هذا الكتاب شيئا ، ولا وقفت له على خبر ، وذكره في الاحاطة 183 / ا وازهار الرياض 2 : 238 خ وقال : ومما تركه في المبيضة سر السراة الخ . وهو كلام لا معنى له بعد قول ابنه السابق .

16) كتاب سؤالات وترسيل :

انظر : غنية الطالب .

وما اسهل ان يقول فيها القائلون : انها خرافات لا تثبت للنقد ويبعدوها عن مادة التاريخ .

وهو صنيع خاطئ تسخر منه الخبرة بنفسيات الشعوب والامم .

ان هذه الجنود المجندة من الحكايات ، وهو التعبير الذي اختاره لها اسلافنا ، هي الاسلوب ذو المنطق الخاص الذي يبعد الزمان والمكان ، وكثيرا من مقررات وقواعد الاحاديث الرسمية من حسابه ، وهو الطريقة التي تختارها الشعوب للتعبير عن احساسها نحو من تريد ان لا تنساهم من الناس ، ولتسجيل رأيها فيهم .

ففي رؤاها واحلامها واقاصيصها واسجاعها وامثالها ، وفقرها القصيرة التي تشبه الامثال ، وتطير كالسهام — في هذه الصورة جميعا تصوغ افكارها ، وتسكب حبها او كراهيتها لاولئك الذين تستودعهم التراب ولامر ما قالوا : (لسان الخلق اقلام الحق) .

والذي دفنوا عياض — رحمه الله — فئتان من الناس : حكام الموحدين وسادتهم ، وامة المغرب ، وشعور الفئتين نحوه مختلف متباعد .

اما الموحدون فحكت اقاصيصهم ان الغزالي بلغه رأي عياض في كتبه ، فدعا عليه ، فمات فجأة في الحمام يوم الدعاء عليه (★) .

وقالت ايضا : ان المهدي هو الذي امر بقتله بعد ان ادعى عليه اهل بلده بانه يهودي ، لانه كان لا يخرج يوم السبت .. فقتله المهدي لاجل دعوة الغزالي (★) .

واما الامة المغربية ، فكانت اصابعها تشير الى الموحدين تتهمهم وتقول : (سم ابن العربي ، وخنق اليحصبي (★) . وتقول ، وهي تعده بقولها هذا ، في الشهداء : « سمه يهودي » (★) .

ورؤاها المتعلقة بعياض ، والتي تربطها ببلده حيث نشأ ودرج وافاد وارشد ، وبالجزيرة الخضراء حيث ازال عن اهلها مظالم بعض حكامها (★) ، ومراكش حيث قدم نفسه فداء لمواطنيه — هذه الرؤى (★) كانت تشير جميعا الى انه في الجنة منعما مكرما ، جزاءا لما قدمه من اعمال الخير يوم كان حيا يسعى ، واجابت امته عن كل ما من شأنه ان يمس ذكراه العاطرة بكلمتها التي رددتها الشفاه اعواما تتلوها اعوام : لولا عياض لما ذكر المغرب .

تآليفه :

وعياض الى هذه الحياة الحافلة ، مؤلف مجيد مكثر ، اثنى العلماء على مؤلفاته ، واستفادوا منها ، وعنوا بها .

وقد بلغت المؤلفات المنسوبة اليه الثلاثين او تزيد ، والذي وصل الينا منها قليل وقد حرصنا على احصائها وذكر اسمائها جميعا — مرتبة على حروف المعجم — رجاء ان يفيد ذكرها في الحصول على ما لم يعرف وجوده منها . وهي :

1) الاجوبة المحبرة عن المسائل المتخيرة :

وهو من الكتب التي لم يكملها القاضي عياض ، وذكر ابنه في التعريف 133 / 134 : انه وجد منه يسيرا فضمه الى ما وجده في بطائق ابيه ، او عند اصحابه ، من معان شاذة في انواع شتى سئل عنها — رحمه الله عليه — فاجاب عنها . جمع كل ذلك في جزء ، وقد ذكره ايضا في الاحاطة 183 ، وازهار الرياض 2 : 239 خ (المخطوط) وكشف الظنون 1 : 11 .

2) اجوبته فيما نزل في ايام قضائه من نوازل الاحكام :

لم يكمله ايضا ، واختلفت المراجع في تقدير ما ترك منه ، ففي الاحاطة 183 — ا ، والتعريف 134 انه جزء ، وفي ازهار الرياض 2 : 239 خ انه جزآن .

3) اجوبة القرطبيين :

قال ابنه : رأيت هذه الترجمة بخطه ، ولم اجدها عنده مبيضة ، غير اني وجدتها في بطائق فجمعتها مع اجوبة غيرهم . ذكره في التعريف 134 ، الاحاطة 183 / ا ازهار الرياض 2 : 239 خ .

4) اخبار القرطبيين :

ذكره في كشف الظنون 1 : 28 وفي هدية العارفين 1 : 805 وتاريخ الفكر الاندلسي 283 وقال : وله تاريخ لعلماء قرطبة يسمى اخبار القرطبيين . واخشى ان يكون « اجوبة القرطبيين » السابق ذكره .

5) اختصار شرف المصطفى :

(وشرف المصطفى) اسم كتاب لابي سعد عبد الملك بن محمد الواعظ النيسابوري الخركوشي المتوفى سنة 406 هـ ، وهو ثمان مجلدات ، ويسمى ايضا (شرف النبوة) .

(★) طبقات الشعراني 1 / 15 . (★) فهرس الفهارس 2 / 185 . (★) المرقبة العليا 95 .
(★) الديباج 172 . (★) التعريف 131 . (★) التعريف 129 — 131 .

وامهات حافلة من كتب الغريب واللغة ، واستعان بها على اخراج نص هذا الكتاب من مسودته ٠

وذكره ابنه في التعريف 133 ، وعنه الاحاطة 183 / 1 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ ٠ وقد روه بستة اجزاء ضخمة ، وابن جلكان 1 : 496 ، وكشف الظنون 2 : 1687 ، وهدية العارفين 1 : 805 ٠ وقد طبعه السلطان المولى عبد الحفيظ بفاس سنة 1328 هـ ٠

29) مطامح الافهام في شرح الاحكام :

ذكره في كشف الظنون 2 : 1718 ، وهدية العارفين 1 : 805 ٠

30) المعجم في ذكر ابي علي الصدفي واخباره وشيوخه واخبارهم :

وهو يتضمن نحو المائتي شيخ ، ذكره القاضي عياض نفسه في الغنية 123 ، وابنه في التعريف 133 ، والاحاطة 183 /1٠

31) المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان :

من الكتب التي لم يكملها ، قال ابن خاتمه : انه في سفرين ، ذكره ابنه 133 ، الاحاطة 183 / 1 ازهار الرياض 2 : 238 خ وقد تركه في المبيضة ايضا ، وهو في جزء ٠

32) نظم البرهان على صحة جزم الاذان :

ذكره ابنه 133 ، الاحاطة 183 / 1 ازهار الرياض 2 : 239 خ ، كشف الظنون 1 : 1961 ، هدية العارفين 1 : 805 ٠

★ ★ ★

اما ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة الاعلام مذهب مالك ، فقد قدره ابنه ، وعنه ابن الخطيب ، والمقري بخمسة اسفار ٠

وهناك ظواهر يلحظها القاريء لنسخ هذا الكتاب الخطية ، تلح في ايجاد تفسير لها ، يمكن اجمالها فيما يلي :

1) اختلاف النسخ في عدد اجزاء الكتاب ، ونعني الاجزاء التي نظن ان المؤلف جزء اليها كتابه ، وهي اجزاء يدل الموجود منها على انه كان يبتديء كل جزء منها بالبسملة والتصلية ، وينهيه بالتنصيص على نهاية الجزء ٠

ولم تلتزم النسخ التي بيدنا — بصورة دائمة — النص على بداية كل جزء ونهايته على الصورة التي ذكرناها بل تركته اكثر مما عنيت بذكره ٠

2) كثرة الفروق بين النسخ في الكلمات والجمل بلغت حدا يدعو الى البحث عن الوجه فيه ، بل وصل الامر فيها في بعض الاحيان الى ان كانت لكل نسخة رواياتها التي لا تشارك فيها غيرها من النسخ ٠

3) الاختلاف بين النسخ في ترتيب التراجم ، تقديما وتأخيرا ٠

4) تكرار التراجم ، بحيث نرد ترجمة الشخص الواحد في مكانين ، وهي مظاهر لا بد ان يكون وراءها ما انتجها ٠

وقد اتفقت المصادر المعتد بها في ترجمة عياض — على انه لم يسمع كتاب (ترتيب المدارك) في حياته لاحد من الناس، وهي اشارة فيها — فيما نظن — التفسير لهذه الاختلافات ، فهي على كل حال تعني ان الكتاب لم يقرأ الناس على مؤلفه فتحدد عند قراءته — بصورة علنية ونهائية — اجزاؤه ، وتتحد — بشكل جماعي — النسخ المسموعة منه على متن واحد ، وعلى ترتيب واحد ، وتحذف منه التراجم المتكررة ٠

لم يسمع الكتاب ، بل ظل في مسودة المؤلف (★) الى ان تداولته ايادي النساخ ، فاخرجوه من المسودة باجتهادهم ٠

ووصف خط عياض عند الحديث على مسودة (مشارق الانوار) من تأليفه ، فقيل : انه « في اتهى درجات التشبيج » (★) والادماج والاشكال واهمال الحروف » (★) ٠

وهي صفات وسعت المجال للاجتهاد ، فولدت المظاهر التي سبق الحديث عنها ٠ ومهما كان الامر فقد حدث الاختلاف، وكان له اثره في عملنا في نشر الكتاب ، فقد ارغمنا ، ازاء ذلك، ان نستكثر من النسخ بغية الوصول — او المقاربة — الى درجات الاطمئنان ٠

وكان علينا ان نختار من الفروق ما تتحقق دلالته على معنى صحيح ، غير انا آثرنا ان نضع بين يدي القاريء كل ، او جل الفروق ليكون له ان يختار ، اذا وجب عليه ان يختار ، ولم نجتهد الا في اختيار النص الذي اثبتناه ، فهو — حسب اجتهادنا — النص المرجح ، وما وضع من الروايات في اسفل المتن بين الفروق نص مرجوح ، في اغلب الاحيان ٠ وقد اعتمدنا في تقويم هذا الجزء على النسخ التالية :

(★) كانت هذه المسودة التي بخط المؤلف عند النباهي وقد اشار اليها مرات في المرقبة العليا ٠

(★) التشبيج : التعمية وعدم البيان في الخط ٠ (★) الديباج 292 ٠

17) السيف المسلول ، على من سب اصحاب الرسول :

ذكره كشف الظنون 2 : 1018 وهدية العارفين 1 : 805 .

18) الشفـــا بتعريف حقوق المصطفى :

وسماه الذهبي : الشفا في شرف المصطفى ، وهو اشهر من ان يعرف ، اقرأه القاضي في حياته واجاز به . ذكره ابنــه 132 ، وعنه الاحاطة 183 / ا وقد راه بستة اجــزاء ، وازهـــار الرياض 2 : 238 خ ، وتذكره الحفاظ 4 : 97 ، كشف الظنون 2 : 1052 / 1055 ، هدية العارفين 1 : 805 .

19) الصفـــا بتحرير الشفا للقاضي :

سبق هذا نص كشف الظنون 2 : 1079 ، وهي عبارة موهمة فهم اسماعيل باشا البغدادي منها ان « الصفا بتحريـــر الشفـــا » اسم كتاب لعياض ، فذكره له في ترجمته 1 : 805 .

وهو فهم خاطيء ، والصفا بتحرير الشفا من تأليف قطب الدين محمد بن محمد بن الخيضري المتوفى سنة 834 هـ كما في كشف الظنون عند الحديث عن شروح الشفا .

20) العيون الستة في اخبار سبتة :

هكذا ذكره كشف الظنون 2 : 1186 ، وهديـــة العارفين 1 : 805 ، وتاريخ الفكر الاندلسي 283 ، وانظر : الفنون الستة .

21) غريـــب المشهــــــاب :

ذكره كشف الظنون 2 : 1027 وهدية العارفين 1 : 805 .

22) الغنيـــة فـــي اسمـــاء شيوخـــه :

ذكرها ورواها عنه ابن خيـــر في فهـــرست ما رواه عن شيوخه 43 / 512 ، الاحاطة 183 / ا التعريف 133 ، كشف الظنون 2 : 1213 ، هدية العارفين 1 : 805 .

23) غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل :

هكذا اورده ابنه في التعريف 133 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ وبقية المصادر مختلفة في ايراد هذا الاسم ، ففي الكشف : (في صدور الرسائل) وفي الاحاطة : (... في الصدور او الرســائــل) وقال ابن خاتمـــة : كتاب في سؤالات وترسيل له ، في نحو اربعة سفار ، قال المقري : وانظر هـــذا الذي قاله ابن خاتمة هل هو غنية الطالب المذكور او غيره .

24) كتــــاب العقيـــــدة :

ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ 4 : 97 ، وهدية العارفين 1 : 805 وفي فهرس دار الكتب المصرية القديم 7 : 295 : (شرح بالقول لبعض الفضلاء على عقيدة الامام الاجل القاضي عياض) .

واظن هذه العقيدة هي كتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام الـــذي مـــــر ذكــــره .

25) الفنون الستة في اخبار سبتة :

هكذا سماه في الاحاطة 183 / ا وابنه في التعريف 133 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ وهو مما لم يكمله من تآليفه وعبارة الاحاطة : مما تركه في المبيضة ، انظر : العيون الستة ، والجامع في التاريخ .

26) القواعـــــــد :

هكذا ـــ مجردا عن الاضافة ـــ ذكره في هدية العارفين ، ولم يذكره غيره . وهو ، فيما ارجح : كتاب (الاعلام بحدود قواعد الاسلام) .

27) مسألة الاهل المشترط بينهم التزاور :

من الكتب التي تركها القاضي في المبيضة ، وذكره ابنه في التعريف 133 ، والمقري في ازهار الرياض 2 : 239 خ .

28) مشارق الانوار ، على صحيح الاثار :

وهو من اقوم ما خلف القاضي عياض رحمه الله ، درس فيه الموطأ وصحيح البخاري ، وصحيح مسلم : عمد الى كلمات المتن واسماء الاماكن ، والرجال وكناهم والقابهم ، فرتب كل ذلك على حروف المعجم ، ثم شرع في عمله ، فضبط متونهـــــا وصححها على الاصول ونبــه على رواياتها المختلفـة واشار الى الصواب او الارجح منها ، اعتمادا على المقارنة بين الروايات ، ومتون اللغة ، واستفادة من دراسات السلف التي سبقته ، بعـــد هذا كله ، على استقصائه وكثرة بحثه .

ثم افرد فصلا لاسماء الامكنة فضبطها ، وكذلك فعــل في الاسماء والالقاب والكنـــى والانســـاب الواردة في اسانيد هـــذه الكتب الثلاثة المذكورة ، وعاد فعرض الى ما وقع في كل فصل من هذه الفصول من تصحيف وتحريف يقومه وينبه على الصواب فيه ، وختم هذا العمل المعجز بشرح وجيز لغريب كلمات الكتب الثـــــلاثـــــة .

وقد ترك هذا الكتاب في مبيضته ، ووصف خط القاضي فيه بانه غاية في التشبيج ، (والتشبيج التعمية في الخط) والادماج والاشكال واهمال الحروف ، وجاء الحافظ المحدث ابو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطـي المعروف بالطـــرار ، فجمـــع اصولا

علاقات المغرب بالشرق في العصر المريني الأول

للأستاذ: محمد المنوني

مقدمة

من التقاليد التي انبعثت في العهد المريني. ربط العلاقات - على الصعيد الحكومي - بين المغرب والشرق، وفي صدد هذه العلاقات مع مصر بالخصوص. يقول ابن خلدون (★).

« ... ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد، يعرفون لملوك الترك بمصر حقهم، ويوجبون لهم الفضل والمزية، بما خصهم الله من ضخامة الملك، وشرف الولاية بالمساجد المعظمة، وخدمة الحرمين الشريفين، وكانت المهاداة بينهم تصل بعض الاحيان، ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الاحــوال ».

والمعروف ان العلاقات المرينية المملوكية انما ابتدأت في عهد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحين، الذي كان يعاصره بالمغرب - لاول دولته - : ابو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني كما سيذكر، ولكنا نجد اشارة عابرة تفيد قيام هذه العلاقات ايام المنصور قلاوون الصالحي والد الملك الناصر، فقد اورد ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري (★) » القصة التالية.

« انبأني غير واحد عن القاضي نور الدين ابن الصائغ الدمشقي قال: حدثني سيف الدين فليح المنصوري قال: ارسلني الملك المنصور قلاوون الى ملك الغرب بهدية، فارسلني ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها ... ».

فملك الغرب الوارد في هذه القصة، هو اللقب الذي كان عدد من مؤرخي الشرق الاوسط في هذه الفترة، يستعملونه في حق الملوك المرينيين (★)، وهكذا يكون احد هؤلاء هــو المعني بالامر هنا، وبالتالي يتضح ان العلاقات المرينية المملوكية ابتدأت من ايام المنصور قلاوون الذي استقل بالسلطة على مصر والشام والحجاز من سنة 678 هـ 1280 م الى سنة 689 هـ 1290 م(★)

وحسب هذا التاريخ فقد عاصره من الملوك المرينيين اثنان: الاول: ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني الذي صار ملكا للمغرب من سنة 656 هـ 1258 م الى سنة 685 هـ 1286 م. والثانــي: ابنه يوسف آتي الذكر.

ولسنا نستطيع ان نعرف - بالضبط - احد الملكين المغربيين المعني بالامر في هذه السفارة، ما دام النص الذي يوردها لا يحدد لها تاريخا، وسيبقى الامر مترددا بين الاثنين حتى يتسنى الوقوف على نص توضيحي في الموضوع.

اما هدف السفارة فقد يكون هو توسيط ملك المغرب في حل مشكلة تهم الجانب المصري، وتتصل بعلاقاته مع ملك الفرنج الذي يعني به ملك قشتالة، (★) وقد يدل لهذا قول رواية فتح الباري: فارسلني ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها.

في عهد يوسف بن يعقوب :

ازدهرت العلاقات المغربية المصرية ابتداء من ايام يوسف ابن يعقوب الذي بويع سنة 685 هـ 1286 م وتوفي سنة 706هـ 1307م وكان يعاصره في مصر الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحين الذي كانت دولته الثانية من سنة 698 هـ 1299 م الى سنة 741 هـ 1341 م.

وكثيرا ما كانت مهمة هذه السفارات حمل الهدايا الملكية الى سلاطين مصر مع رسائله مرينية في شأن هدايا البقاع المقدسة وفي التوصية بالحجاج، وفي هذه الحالة كانت تذهب في رفقة واحدة مع ركاب الحجاج، وهناك بعض سفارات كانت تذهب

(★) العبر ج 5 ص 479.

(★) ج 1 ص 42 ط مصر سنة 1300 هـ، ونقله في « التراتيب الادارية » ج 1 ص 157.

(★) انظر عن هذا « تتمة المختصر في اخبار البشر » لابن الوردي ج 2 ص 253، والنجوم الزاهرة ج 8 ص 225 و ج 9 ص 290 و ج 10 ص 329/251، مع السلوك للمقريزي ج 2 ق 1 ص 15.

(★) الاعلام للزركلي ج 6 ص 50.

(★) هذا التفسير مأخوذ من التراتيب الادارية ج 1 ص 162

ا ـ نسخة تحتفظ بها الخزانة الملكية ، وهي نسخة جيدة . وقد التزمنا ترقيم صفحاتها ، فالارقام المحصورة بين قوسين عن يسار المتن او يمينه ، تشير الى صفحات هذه المخطوطة ، وكذلك ارقام فهرس الموضوعات .

ب ـ نسخة محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم 2334 .

ت ـ نسخة خاصة بمكتبتنا .

ج ـ نسخة خاصة بمكتبتنا ايضا .

ط ـ نسخة محفوظة بالخزانة العامة ايضا تحترقم 2655

ك ـ نسخة محفوظة بالخزانة العامة تحت رقم 2633 .

وقد اغنانا القاضي عياض ـ بما بينه في مقدمة ترتيب المدارك ، عن الحديث عن منهجه في التأليف ، وتمثله للاصول العلمية المقررة في عهده وتطبيقها ، واستيفاء المراجع ونقدها ـ عن تكرار الحديث في ذلك ، فهو افصح منا لسانا في التعبير عن عمله .

★ ★ ★

وبعد

فلابي الفضل عياض ، ولكتبه مكانة خاصة في نفوس الاسرة العلوية المالكة منذ القديم ، فالمغفور له السلطان مولاي محمد بن عبد الله كان شديد العناية بكتب عياض ، يقرأها ويطلع على خفاياها ، وينقد ما لا يروقه منها ، لقد امر جمعا من العلماء ان يشرحوا مشارق الانوار للصاغاني فشرح الشيخ التاودي ابن سودة الثلث الاول منه ، وكان على الشيخ عبد القادر بوخريص ـ حسب الامر السلطاني ـ ان يشرح الثلث الثاني ، فكان السلطان مولاي محمد بن عبد الله يدل الشيخ على المراجع والمآخذ وكان من بينها شرح عياض على صحيح مسلم (★) .

وعنى بقراءة كتاب الشفا ، ولم يعجبه التفاصيل واستقصاء الجزئيات في قسم « حكم من سب رسول الله (ص) » فانتقد عياضا ، وبعث بانتقاداته الى علماء مصر يسألهم رأيهم ، فاجابه من علماء الازهر الشيخ الامير والشيخ عبد المعطي الحريري ، يؤيدان وجهة نظره .

والسلطان مولاي عبد العزيز ـ قدس الله روحه ـ انشأ قراءة لشفا للقاضي عياض في الضريح الادريسي بفاس عند شروق كل يوم ، وعين لذلك جماعة من جلة العلماء ، وخصص لكل واحد منهم راتبا يوميا لقاء القيام بعمله (★) .

وعناية السلطان مولاي عبد الحفيظ ـ اسكنه الله دار رضوانه ـ بعياض معروفة ، فقد طبع على نفقته كتابه (مشارق الانوار) وعزم على طبع (ترتيب المدارك) بمصر ، فعهد الى وكيل الدولة المغربية بها اذ ذاك الحاج محمد بن العباس ابن شقرون ان يطبعه ضمن المجموعة القيمة من الكتب التي طبعها جلالته على نفقته ، هناك وبالمغرب ، وارسل له النسخ الخطية ليشرع في العمل غير ان مانعا من الموانع حال دون ذلك .

وفي سنة 1330 هـ بدأ مولاي عبد الحفيظ بطبع ترتيب المدارك بفاس على نفقته ايضا ، فطبعت منه ست عشرة صحيفة ، ثم حال حائل دون الاستمرار في الطبع .

وفي ايام الاحتفال بالذكرى الالفية لجامعة القرويين ، حدثني بعض المقربين الى حضرة صاحب الجلالة الملك الخالد الذكر ، مولانا محمد الخامس ـ انزله الله مقعد صدق عنده ـ ان جلالته قد عزم على طبع (ترتيب المدارك) وانه امر بجمع نسخه لهذا الغرض ، غير ان هذه الامنية الغالية لم يكتب لها حينذاك ان تتحقق .

وهكذا ظلت العناية بترتيب المدارك عهدا يتوارثه ملوك هذه الاسرة العلوية الكريمة الاماجد لاحق عن سابق ، حرصا منهم جميعا على احياء مجد هذه الامة ، والحفاظ على مقدساتها .

وابت الاقدار الالهية ـ حين حالت مرارا دون ان تتحقق رغبانهم الكريمة ، وحين اختارت لتنفيذها وتحقيقها حضرة صاحب الجلالة مولانا امير المومنين الحسن الثاني نصره الله ـ الا ان تقرن هذه المأثرة العلمية الخالدة بعهده ، وتكتب هذه الحسنة المقبولة في صحفه .

فلقد امر جلالة الملك ـ حياه الله وايده ـ بطبع ترتيب المدارك ، وتكرم بالاذن في الاستفادة من نسخة منه تحتفظ بها الخزانة الملكية ، وواصل جلالته اهتمامه بانجاز العمل فيه منذ بدايته الى نهايته .

ففي نور هديه الرشيد سار العمل ، والى جلالته ـ بدءا وختاما ـ يعود الفضل في اخراج هذا الجزء من (ترتيب المدارك)

ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية يسعدها ان ترفع لجلالة العاهل العظيم الجوهرة الثانية من كنوز القاضي عياض وهي بمناسبة ذلك ترجو ان يسدد الله ـ جلت قدرته ـ خطاه ويرعاه حتى يصل بامته الى المكان الذي يليق بها وبامجادها وان يقر عينه الكريمة بولي عهده ويحفظه فيه فهو ـ جل جلاله ـ ولي الاجابة المتفضل بها .

وقسم التأليف والترجمة والنشر بهذه الوزارة يرى لزاما عليه ان يسجل لمعالي السيد الوزير الحاج احمد بركاش شكره الجزيل ازاء ما يلقاه من معاليه من تشجيع واهتمام دائمين فالله الكريم يجزيه على عمله احسن الجزاء .

اما انا فقد بذلت وحسبي انني بذلت ما في وسعي فان اصبت فبتوفيق ربي وان كانت الاخرى فلي اجر ما اجتهدت والله يهديني للتي هي اقوم .

الرباط : محمد بن تاويت الطنجي

(★) الدرر الفاخرة : 55 / 59 .

(★) الدرر الفاخرة 111 .

الوردي (*) الذي هو اقرب لهذا التاريخ من المقريزي لم يذكر هذا في سنة 704 هـ لما تحدث عن ركب المغرب الوافد في هذه السنة ، وابن خلدون (*) انما ذكر هذا المصحف في سنة 703هـ واقوى من هذا كله وثيقة معاصرة عن المصحف المعني بالامر ، وهي رسالة (*) صادرة عن يوسف المريني الى كبير اشراف آل أمغار ، يلتمس منه فيها ان يعين ثلاثة رجال من بينهم ، ليتوجهوا الى بلاد الحجاز المشرفة ، مع من يتوجه برسم حمل الربعة القرآنية ، وكسوة البيت الكريم ، وقد كتبت هذه الرسالة في 11 صفر الخير عام 703 هـ .

وتفيد هذه الرسالة — ايضا — ان يوسف اعلن عن توجيه الكسوة للكعبة المشرفة ، وهو شيء انفردت به هذه الوثيقة .

الثاني : جاء في الترجمان المغرب للزياني : ان يوسف هو الذي تولى بيده كتابة المصحف وتنميقه وهو سبق قلم ايضا ، ومخالف لما ذكره ابن خلدون وابن مرزوق ، وقد عاين هذا الاخير مصحف يوسف ، وقرأ فيه بنفسه ، واكد انه بخط ابن حسن .

وبعد هذا نذكر ان من مظاهر علاقات المغرب بشريف مكة في هذا العهد ، انه لما عاد هذا الركب في ربيع الاخير سنة 704 هـ وفد معهم على السلطان المريني الشريف لبيدة بن صاحب مكة ابي نمي نازعا عن الملك الناصر ، لما كان تقبض على اخويه حميضة ورميثة اثر مهلك ابيهم سنة 702 هـ .

وقد استبلغ يوسف في تكريمه ، وسرحه الى المغرب ليجول في اقطاره ويطوف على معالم الملك وقصوره ، واوعز الى العمال بتكريمه واتحافه كل على شاكلته ، ثم رجع الى حضرة السلطان سنة 705 هـ وفصل منها الى المشرق صحبة احد اعلام المغرب (*) .

سفارة سنة 704 هـ :

لم نعرف بالضبط غاية هذه السفارة ، وقد امتازت بالهدية الجليلة التي بعث بها السلطان يوسف للناصر بن قلاوون ، وكان السفير الحامل لها هو ايدغدي الشهرزوري علاء الدين ، من حاشية يوسف المقربين لديه (*) .

اما الهدية فكانت حافلة ، فيها عدد من الخيل والبغال والابل ، وكثير من ماعون المغرب وسائر طرفه ، مع جملة من الذهب العين (*) وقد بلغ عدد الخيل اربعمائة جواد من العتاق بجهازاتها برسم الجهاد (*) كما ان عدد البغال الفارهة كان اربعمائة ايضا (*) وممن ذهب مع هذه الهدية ابو الحسن التنسي ، كبير اهل الفتيا بتلمسان (*) .

وتوجهت هذه السفارة في رفقة ركب عظيم ، عقد السلطان على دلالتهم لابي زيد الغفائري ، وفصلوا من تلمسان الجديدة — مقر الملك اذ ذاك — في شهر ربيع الاول سنة 704 هـ (*) .

وقد اكرم الملك الناصر السفير المغربي ، وانزل بالميدان ، واجريت عليه الرواتب (*) كما قابل ركب الحجاج بابلغ وجوه التكرمة ، وبعث معهم امبرا لاكرامهم وقراهم في طريقهم حتى قضوا فرضهم (*) ومن صدى هذه السفارة والركب في الاوساط المصرية ما كتبه عنها ابن الوردي (*) :

(*) « تتمة المختصر في اخبار البشر » ج 2 ص 253 مصر المطبعة الوهبية سنة 1285 هـ .

(*) العبر ج 7 ص 226 .

(*) ورد نص هذه الرسالة في (بهجة الناظر في مناقب اهل عين الفطر) آل آمغار — نسخة خاصة لدى بعض الاشراف الامغاريين بمكناس .

(*) العبر 7 ص 226 .

(*) قال المقريزي في (السلوك) الجزء الثاني ، القسم الاول ص 9 : (وكان ايدغدي هذا لما قبض على يعقوب في الايام الظاهرية — ايام الظاهر بيبرس — فر في جماعة من الاكراد الى برقة ، وقدم على ابي يعقوب بهدية ، فقربه وقدمه حتى صار في منزلة وزير وحسنت سيرته عندهم الى ان بعثه ابو يعقوب بالهدية ليحج) .

(*) العبر ج 5 ص 420 .

(*) روض القرطاس ص 285 .

(*) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ص 337 .

(*) المصدر الاخير ص 337 ، هذا وفي بغية الرواد ج 1 ص 48 توجد ترجمة محمد بن يخلف بن عبد السلام التنسي من اكابر العلماء ، وجاء في ترجمته انه تصرف في الرسالة بين ملوك المغرب والمشرق ، وانه كان محترما لدى ابي يعقوب مالك المغرب ، فهل هذا هو الذي عناه ابن خلدون ؟ .

(*) العبر ج 7 ص 226 .

(*) السلوك للمقريزي — الجزء الثاني — القسم الاول ص 9 .

(*) العبر ج 5 ص 420 .

(*) تتمة المختصر في اخبار البشر ج 2 ص 253 .

(*) العبر ج 7 ص 226/227 .

في اغراض اخرى ونذكر هنا ثلاث سفارات ذهبت على عهد يوسف ، مع سفارة شرقية زارت المغرب في هذا العهد ، وسنتحدث ضمن هذه السفارات المغربية عن الركاب التي رافقت بعضها ، بما ان الحديث عنها يتمم خبر السفارة ٠

سفـــارة سنــــة 700 ه :

هذه اول سفارة ذهبت من المغرب المريني لمصر المملوكية ، وكان الذي قام بها وزير مغربي لم يذكر اسمــه ولا موضــوع سفارته ، والمصدر الوحيد الذي اشار لها ، هو العبــر (✱) في الكلمة التالية : (حضر في سنة سبعمائــة وزيــر من المغرب في غرض الرسالـــة) ٠

سفــارة سنـــة 703 ه :

توجهت مع ركب هذه السنة وكانت غايتها الوصية بحاج المغرب (✱) ولم يرد ذكر اسم السفير القائم بها ، اما الركب الذي سار معها فقد كان اول ركب جهزه المرينيون ، بعـد ما انقطع ذهابه مدة ، بسبب الفتن التي صاحبت نقـل الحكـم من الموحدين الى المرينيين ، وقد تحدث عن هذا الموقف مصدران معاصران تقريبا : احدهما شرقي،وهو «السلوك» (✱) للمقريزي، والثاني مغربي ، وهو « العبر » (✱) لابن خلدون الذي يسجل هذه الظاهرة هكذا : « ٠٠٠ واستجد اهل المغرب عزما في قضاء فرضهم ، ورغبوا من السلطان اذنه في السفر الى مكة ، فقد كان عهدها بعد بمثلهم » ٠

وتفيدنا هذه الفقرة ايضا ان احياء هذا التقليد كان مبعثه الاول رغبة شعبه وهو احد مظاهر شعبية السياسة المرينية (✱)

وبما ان هذا الركب اول ما بعثه المرينيون ، فقـد كان يكتسي اهمية خاصة ، ولهذا نظمه يوسف تنظيما استمد نموذجا اول للركاب بعده : فعين له قاضيا هو محمد بن زغبوش احـد اعلام المغرب ، وبعث معه فرقة عسكرية لحمايته تناهــز 500 من ابطال زناتة (✱) ، كما بعث معه اموالا كثيرة برسم توزيعها على سكان الحرمين الشريفين : مكة المكرمة والمدينة المنورة(✱)

وكان في الركب ـ ايضا ـ جماعة من رجالات الصلاح والعلم ، برسم حمل المصحف الشريف الــذي اهداه يوســف للحرم المكــي ، ومن هوٴلاء ابــو عبد الله القصار كبير علمــاء المغرب (✱) وابو عبد الله محمد بن ابراهيــم البقوري دفيــن مراكش ، ويظهر انه كان المكلــف الرئيســي بحمل الربعــة القرآنية ، فقد ذكر عنه في النفح (✱) : انه قدم الى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل ، بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة ، وقد تحدث في العبر (✱) عن هذا المصحف كما يلي :

« ٠٠٠ فامر يوسف بانتساخ مصحف رائــق الصنعــة ، كتبه ونمقه احمد بن الحسن الكاتــب المحسن ، واستوســع في جرمه ، وعمل غشاءه من بديع الصنعة ، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت ، وجعل منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكــلا وحسنا ، واستكثــر من الاصونة عليه » ٠

وقد وصل هذا المصحف للحرم المكي وهناك وقف عليــه ابن مرزوق حسب المسند الصحيح الحسن (✱) وقال عنه : « وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه المولى ابو يعقوب بخط ابن حسن ، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة ، فانتزع ما عليه وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا ، وقد قرأت فيه في اعوام » ٠

اما كاتب هذا المصحف فيظهر انه احمد بن حسن البلياني التلمساني وقد ورد ذكره في « المسند الصحيح الحسن » (✱) ٠

هذا ومن المفيد ان ننبه الى وهمين اثنين وقعا في شأن هذا المصحف ، الاول ما ذكره المقريزي في السلوك (✱) من ان يوسف بعثه مع ركب سنــة 704 ه وهو سبــق قلم ، فان ابــن

(✱) ج5 ص 416 ٠
(✱) ج 7 ص 226 ٠
(✱) الجزء الثاني ـ القسم الاول ـ ص 9 ٠
(✱) ج 7 ص 226 ٠
(✱) انظر عن هذه الظاهرة الشعبية : (نظم الدولة المرينية) مجلة البحث العلمي ، العدد الثاني ـ السنة الاولى ، ص 213 ٠
(✱) العبر ج 7 ص 226 ٠
(✱) روض القرطاس ص 284 ٠
(✱) (الترجمان المغرب) للزياني ـ نسخة خاصة ـ
(✱) ج 1 ص 353 ط مصر سنة 1279 ه وانظر الديباج المذهب ص 322/323 ٠
(✱) ج 7 ص 226 ٠
(✱) الباب 55 ـ الفصل السابع ٠
(✱) الباب 26 ـ الفصل الثاني ٠
(✱) الجزء الثاني ـ القسم الاول ص 9 ٠

ملوك ورسائل

للأستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ

- 3 -

« يعقـوب المنصـــور »

من اهم ما نلاحظه في تاريـخ الموحدين وحدة التصميـم الذي كانوا يهدفون الى تطبيقه وتنفيذه فمنـذ تأسيس هـذه الدولة وملوكها يعملون على توسيع رقعة البلاد وبسط نفوذهم على كثير من الارجاء والانحـاء ليوحـدوا بين اجزاء المغـرب العربي من جهة وبين المغرب والمشرق من جهة اخرى وليزيلوا التنافر بين المغرب والاندلس . فهم كانوا يسعون في تحقيق امبراطورية اسلامية كبرى يحيون بها الخلافة الاسلاميـة التـي كادت تنهار في الشرق .

فالموحدون كانوا يرون ان المسلمين في حاجة الى قائد عظيم يجمع بينهم ويوحد صفوفهم ويعيد لهم مجدهم . وقد لاحظوا ان الخلافة العباسية اصبحت لعبة في يد كثير من الوزراء والحجاب وان الهيبة الاسلامية ضعفت بسبب ضعف الخلافة الكبرى لذلـك ارتأوا ان يقوموا باعباء هذا الامر الجلـل وان يتحملـوا في سبيله كل الاخطار دون ان يبالوا بما سيكلفهم ذلك من جهـود جبارة ومقاومات عنيفة .

ومما لا ريب فيه ان هذا الامر لا يمكن ان يتـم دون ان تراق دونه الدماء وان تحاك ضـده الدسائس وان يصاب بـرد فعل قوي من المحافظين على الانظمة السابقة الذين كانوا يرون ان الخلافة العباسية يجب ان تظل مسيطرة على العالم الاسلامي ولو سيطرة صورية او من الذين كانوا يرون ان ضعف الدولة العباسية سييسر لهم طريق الحكم والسلطان .

لقد كان تصميم الموحدين حقيقة يثير كثيرا من الاحقاد ويبعث القلق في نفوس كثير من الملوك الذين كانوا يحكمون بعض الممالك الاسلامية ويضرم الغيرة في انصار الخلافة العباسية آنـذاك .

فالموحدون كما تقدم في المقال الاول كانوا يـرون ان عمرة البسيطة جميعا مطالبون بالرضوخ الى حكمهم وان يأتوا الى بيعتهم طائعين مهطعين ، وقد كان الشعراء يذيعـون هـذه الفكرة توددا الى الخلافة الموحدية او ايمانا بها ، ويبدو ذلك واضحا في النصوص الادبية الرائعة التي كانـت تصور موقـف الموحدين ازاء الاحداث وتبين تصميمهم السياسي العام وتدعـو لهم بما كانوا يرجون ، فهذا الشاعر الجراوي يخاطب احد ملوك الموحدين فيقول : (✱)

ستملـــك ارض مصــــر والعراقـــا
ونجـري نحـوك الامـم استباقـــا

وان استعمال السين الدالة على المستقبل القريب زاد المعنى تأكيدا وقوى الايمان بالنصر وبتحقيق هذه الخلافة الاسلاميـة التي كان يطمح اليها الموحدون ويودون ان تكون لهـم دون غيرهـــم .

وازاء هاته الخطة التي كان يود الموحدون تنفيذها والتي كان يذيعها شعراؤهم ويبنها في كل الاصقاع ممثلوهم ودعاتهم وتؤكدها حروبهم وفتوحاتهم قامت معارضة كبرى حمل لواءها بعض المرابطين الذين لم يرضخوا لحكم الموحدين واعانهم على الثورة صلاح الدين الايوبي الذي كان يعتبر حامي الاسلام في الشرق وزعيم المسلمين في الحروب الصليبية الشهيرة .

لقد عمل صلاح الدين على افساد خطة الموحدين وعلى احباط اعمالهم فاعان الفتن الداخلية في بلاد المغرب ليشتغل الموحدون باطفائها ولئلا يجدوا القدرة على فتح الشرق والاستيلاء عليه .

لقد رأى صلاح الدين ان الخطة السليمة هي ارسال بعض قواده الغزيين لاحتلال ليبيا وبعض اجزاء تونس فارسل قائده قراقوش الذي استعان ببعض الثوار في المغرب والاندلس .

فبنو غانية الذين كانوا يحكمون جـزر البليـار والذين استمروا على بيعة المرابطين رغم القضاء عليهم قد اتفقوا مع بعض بني حماد من سكان الجزائر ومع القائد قراقوش فكونوا جبهة لمقاومة الموحدين .

(✱) هذا البيت مطلع قصيدة للجراوي هنأ بها ابا يعقوب يوسف بن عبد المومن بابلاله من مرض. «النبوغ المغربي لعبد الله كنون ــ الجزء الثالث صفحة 854 الطبعة الثالثة .

« . . . ثم دخلت سنة اربع وسبعمائة فيها وصل من المغرب كثير ، « كذا » صحبتهم رسول ابي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك الغرب ، الى مصر بهدية عظيمة : خيل وبغال نحو خمسمائة ، بسروج ولجم ملبسة بالذهب المصري » .

ثم في شعبان من سنة 705 هـ عاد الركب ومعه الدليل ابو زيد الغفاري ، وتاخر السفير ايدغدي بمصر حتى ياتي مع وفد الهدية الناصرية ، ولم تخل هذه العودة من مفاجأة بشأن علاقات المغرب مع مكة المكرمة ، فقد كان دليل الركب يحمل معه بيعة اشراف مكة ليوسف المريني ، لما اسفهم الملك الناصر بالتقبض على اخوانهم ، واهدوا لسلطان المغرب مع البيعة ثوبا من كسوة الكعبة ، شغف به واتخذ منه ثوبا للباسه في الجمع والاعياد ، يستبطنه بين ثيابه تبركا به (✱) ، وان هذه البيعة مع وفادة لبيدة بن ابي نمي على مالك المغرب قبل هذا ، ليدلان على مدى الصيت الذي صار للمغرب المريني في الشرق العربي حينئذ .

هذا ويحسن ان ننبه هنا الى ان ابن خلدون وهم في تاريخ هذه السفارة في موضعين من العبر ، فجعله في ترجمة يوسف سنة 703 هـ وفي ترجمته التي ذيل بها الكتاب سنة 700 هـ وكلا التاريخين سبق قلم ، ومخالف لما سجله هو نفسه في ترجمة الملك الناصر من « العبر » ، من ان تاريخ السفارة هو سنة 704هـ وهو الذي اثبته كل من ابن الوردي في « تتمة المختصر » ثم المقريزي في « السلوك » .

السفارة الناصرية سنة 705 هـ :

حسن موقع السفارة والهدية لدى الملك الناصر ، فبعث للسلطان يوسف المريني بهدية عين لحملها من عظماء دولته علاء الدين ايدغدي التليلي الشمسي ، والامير علاء الدين ايدغدي الخوارزمي ، ومعهما ايدغدي الشهرزوري سفير ملك المغرب (✱)

وكانت الهدية جميلة ، فيها من طرف بلاد الشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوان ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما (✱) ولما كان الملك الناصر حديث العهد بالانتصار الذي احرزه ضد التتر في المصاف الثاني ظاهر دمشق سنة 702 هـ (✱) فقد جعل في الهدية الناصرية اشياء من مغانم هؤلاء اشهارا لامر هذا الفتح بالمغرب ، ولذلك كان صحبة الهدية عشرون اكديشا من اكاديش التتر ، وعشرون اسيرا منهم، وشيء من طبولهم وقسيهم (✱) .

وقد فصلت السفارة من القاهرة اخريات سنة 705 هـ ثم وصلت الى تونس في ربيع الثاني من سنة 706 هـ وفي جمادي الاخرى من نفس العام كان وصولها الى تلمسان الجديدة حيث السلطان المريني (✱) .

وقد اكبر مقدم هذا الوفد فاركب الناس الى لقائه ، واحتفل للقاء افراد السفارة ، ووفودهم ، واستبلغ في تكريمهم نزلا وقرى ثم بعثهم الى ممالكه بفاس ومراكش ليتطوفوا بها ويعاينوا محاسنها .

وفي اثناء هذا مات السلطان ابو يعقوب يوم الاربعاء 7 قعدة سنة 706 هـ وبعد ذلك انطلق السفيران الى فاس راجعين من رسالتهما ، فجهزهما ابو ثابت الملك بعد يوسف ، وبالغ في التكرمة والاحسان ، وبعث معهما للملك الناصر بهدية اخرى من الخيل والبغال والابل ، ثم شيعهما الى مصر في ركب عظيم من حجاج المغاربة (✱) .

هكذا سياق « العبر » لهذه الهدية ومرسليها . وفي « الاعلام » (✱) لابن الخطيب تحدث عنها كما يلي :

« وجرت بين الملك المنصور قلاوون « الصواب الناصر محمد بن قلاوون » وبين الملوك الكرام من بني مرين — قدسهم الله — المهادات ، فبعث اليه امير المسلمين ابو يعقوب هدية مشتملة على خيل عديدة ، وبغال رومية وغير ذلك من الامتعة زعموا ان الدواب بين فرس وبغل وجمل بلغت سبعمائة دابة ، وكان الذي تولى ايصالها رسول الملك المنصور « الصواب الناصر » عند قفوله بجواب رسالته اليه . . . ولما بلغت الهدية الى المدية من احواز تلمسان ، اتصل بهم خبر مهلك السلطان ابي يعقوب ، فسلبتها العرب بذلك الموطن ، ولحق الرسول بالمشرق بعد مشقة » (✱) .

— يتبع —

الرباط : محمد المنوني

✱) السلوك للمقريزي الجزء الثاني — القسم الاول ص 15 .
✱) العبر ج 7 ص 227 ، الاستقصا ج 2 ص 41 .
✱) انظر عن هذه الموقعة العبر ج 5 ص 418/417 .
✱) السلوك للمقريزي — الجزء الثاني — القسم الاول ص 15
✱) ان تحديد تواريخ هذه السفارة ماخوذ من العبر ج 5 ص 227 ومن رحلة التجاني ، نسخة خاصة ، وفي روض القرطاس ص 298 . تحديد تاريخ مقدم السفارة المصرية على يوسف سنة 705 هـ ، وهو سبق قلم لمخالفته لمن ذكر وبالخصوص التجاني التونسي ، الذي مر وفد الهدية على تونس قيد حياته ، وسجل ذلك اوائل رحلته ، محددا التاريخ بالعام والشهر
✱) العبر ج 5 ص 421 مع ج 7 ص 227 .
✱) نسخة الخزانة العامة بالرباط — رقم د 1552 ، ورقة 93 .
✱) انظر العبر ج 5 ص 421 مع ج 7 ص 227 ، والسلوك للمقريزي ، الجزء الثاني ، القسم الاول ، ص 49 .

يقتصرون في نشر بياناتهم السياسية واخبارهم العامة وتفسير عقائدهم على اللغة العربية وحدها وانما كانوا يمزجون بينها وبين البربرية ايضا .

ولم تكن الغاية من ذلك ، التضييق على اللغة العربية او عدم ثقتهم بمفعولها في الشعب ولكنهم كانوا يطمحون الى نشر نفوذهم في جميع اجزاء المغرب العربي وكان من بين السكان من لا يعرف اللغة العربية ويخشون اذا ما اقتصروا على نشر اخبارهم بها وحدها ان لا تصل عقائدهم وآراوءهم الى هوءلاء .

بل اننا اذا اردنا ان نحكم على العصر الموحدي في تاريخ الادب العربي والثقافة العربية لوجدناه من ازهى الاعصر التي يجب ان يفتخر بها المغاربة فهو عصر كثر فيه الحكماء والعلماء والادباء كتابا وشعراء .

واننا اذا اردنا ان نحكم على موقف ملوك الموحدين ازاء اللغة العربية لوجدناهم يشجعون الثقافة العربية والادب العربي بكل ما اوتوا من امكانيات ولهذا فان موقفهم ازاء البربرية ومشاركتها اللغة العربية في نشر الاخبار والعقائد انما كان لغاية هادفة الى تمكين عقائدهم من جميع البربر ليدافعوا عنها عن ايمان .

ولنعد الى اعمال المنصور مرة اخرى فان جنوده ظلت في زحفها الى ان بلغت الى بلاد قفصة تلك المدينة التي نكصت مرارا مختلفة عن حكم الموحدين وسببت لهم مشاكل عديدة فلما استولى عليها راءي ان حصانتها هي التي تدفع الثائرين الى التمرد لذلك قرر هدم سورها المنيع حتى ياءمن من شر النكوص والانقلاب .

واعلن المنصور بعد فتح قفصة انتصاره المطلق على الثائرين وذكر في احدي رسائله ذلك فقال : (★) « وبتملكها تمت هذه الحركة المباركة تماما على الذي احسن ، وظهر عظيم صنع الله فيها لاءوليائه الموءيدين وتبين ، وتحقق كل موءمن لطيف عناية الله بهم وتيقن . ولم يبق في هذه الجهات كلها من الاغزاز من ينفخ للفتنة في ضرم ، ولا من يستقل للسعي اليها على قدم » .

ولما تم النصر ببلاد افريقيا للمنصور فكر جديا فيما سيقوم به ازاء نصارى الاندلس .

وراءى من السدد ان يعمل على تشتيت جموعهم وان يسعى في فرقتهم لذلك اقام معاهدة مسالمة بينه وبين ملك قشالة كما جدد معاهدة هدنة بينه وبين ملك ليون فلم يبق امامه الا ابن الريق ملك البرتغال الذي كان قد قضى على يوسف وقتله .

لقد كان المنصور يريد ان يستغل التنافر الحاصل بين الدويلات التي كانت تحكم اسبانيا وكان عازما على الانتقام من البرتغاليين الذين لم يجدوا بعد تغلبهم على الموحدين من يناوشهم او يحاول الانتقام منهم ، فالمنصور كان يعمل على قمع الفتنة الافريقية ولم يكن يرى من السداد توزيع قواته خشية ان تنهزم وتقهر لذلك نراه بعد انتهاء الحرب الافريقية وجه عنايته الى اسبانيا فاءقام معاهدة السلم بينه وبين القشتاليين والليونيين ليجد الفرصة سانحة لحرب البرتغاليين فيتوجه اليهم بجنوده سنة سنة 585 هـ واكتسح ارض البرتغال تلك الارض التي شهدت مقتل ابيه وجال في انحائها يخرب ويحرق ويشتت الجموع ويوءدب العاصين ويهزم الطغاة ويذل الاعداء ، ولكنه رغم ذلك لم يستطع ان يتغلب على ابن الريق نفسه لانه كان قد استحصن ببلاد شنترين وصعب على جنود المنصور ان يطيلوا الحصار وخشي المنصور على جنوده من استمرار الحرب دون نتيجة فاعطاهم الامر بالرجوع الى اشبيلية ليستريحوا من ارهاق الحرب وهولها وكتب من اشبيلية رسالة الى عماله يخبرهم فيها بايامه الخالدة وبانتصاراته الرائعة وبتصرفاته المطلقة في اراضيها وبادخاله الرعب على جميع السكان الذين خذلهم اميرهم ابن الريق فانعزل عنهم وظل مستترا ببلاد شنترين ومما جاء في احدى رسائله بعد ان ذكر الهول الذي اصيب به البرتغاليون قوله : (★)« وملكهم ابن الريق بشنترين — اعادها الله — ملازم لانجحاره مستكن في وجاره مدرع جلابيب خزيه الطويل وعاره ، لا يبرز لمقارعة ولا يظهر لمصارعة ولا يبدي من جموعه الذليلة وجنوده القليلة احدا لمنازلة او مدافعة قد القى للحادثة بيده وطاء من احشاءه ذلا وصغارا على كمده وجعل الاستتار على قرينته المحصنة والالتجاء الى جدره المنعة اعظم معتمده في الابقاء على حشاشته النالفة واكبر مستنده ، وقد اقصدته جنود الحق وكتائبه وانتشرت بجهاته المستباحة حجافله ومقانبه وتدكدكت بوطء العساكر المنصورة والجيوش الموفورة ارجاوءه وجوانبه ، ولو اصحر الكافر لناله ادراكها وعلقت بحبائل الهلكة واشراكها وغشيه سيلها وحطمه عراكها . واقام الموحدون اياما يدرسون بلاده وينسفون رغده وثماده ويحملونه من اوق المضرة وثقل المخزاة والمعرة ما لا يستطيع حمله واوده والحمد لله رب العالمين»

وعاد المنصور سنة 587 هـ الى غزو البرتغاليين فنشر الرعب بين ربوعهم ولكنه لم يتيسر له تتميم هذا الغزو فقد اضطر الى الرجوع الى بلاد المغرب ليقضي على بعض الثورات الداخلية التي تزعمها بنو غانية من جديد .

(★) الرسالة الثانية والثلاثون وهي من انشاء ابن محشرة ايضا صفحة 208 .

(★) الرسالة الرابعة والثلاثون من انشاء ابي الفضل بن محشرة ايضا صفحة 226 .

وعمل علي بن اسحاق بن محمد بن غانية على تنفيذ الاتفاقية فارسل اسطولا الى بجاية ودخل اليها على غفلة من عاملها الموحدي ولم يلق من سكانها الا مقاومة ضئيلة ثم ارسل جنوده لاحتلال بعض المدن الاخرى فاستولوا على اجزاء من تونس ونحوا الموحدين عن قابس وقفصة .

ولكن هذه الثورة لقيت من الملك الجديد يعقوب المنصور مقاومة عنيفة لانه كان يرى في القضاء عليها تركيزا لحكمه وتثبيتا لخلافته .

فاذا كان مقتل ابيه على حدود البرتغال قد شجع هؤلاء على الفتنة وحرضهم على العصيان والتآمر فان زمام الحكم الذي اخذه المنصور قد غير الموقف وادخل الرعب في نفوس الذين ظنوا ان الساعة قد ازفت لاضعاف الدولة الجامحة ، فقد ارسل المنصور جيشا جرارا اشرك فيه جنود البر والبحر للقضاء على المتمردين والثائرين والمتآمرين واستطاعت جنوده ان تتغلب عليهم وان تعيد البلاد الى حكم الموحدين من جديد .

ورغم تمكن ابن غانية من الفرار فان جنود الموحدين استمروا في ملاحقته وقرر المنصور قرارا حربيا صارما بمتابعة الحرب الى النهاية وبر بوعده حيث استمر ما يقرب من اربع سنوات في القضاء على هذه الثورة التي كادت تؤدي بملك الموحدين .

وفي كبح جماح هذه الثورة اظهر المنصور حزما وعزما واذكى روح المقاومة في جنوده وصور لهم في جل خطبه بانهم سينالون النصر لانهم يدافعون عن الحق ، والحق لا يقهر ولا يغلب .

وكان يقوم بدعاية حربية كبرى بحيث كان لا يفتر عن نشر البلاغات الحربية التي تضفي جلالا على مواقفه وتظهر انتصاراته المتوالية بل كان دائما يصور اعداءه في صورة الجبناء الذين لا يستطيعون ان يثبتوا في مواقف الحرب والجلاد ويصور جنوده آخذين بزمام المعارك يخشى بطشهم ويخاف من عذابهم الشديد .

وكان يكتب بذلك الى عماله رسائل يدعوهم الى نشرها في عمالاتهم وقراءتها على الكافة حتى يطمئنوا الى النصر المبين

وفي هذه الرسائل كان الكتاب يتعمدون الاطناب ليبعثوا الامل في نفوس المواطنين وليدخلوا الرعب والهلع في نفوس الاعداء وكانوا ينتقون لاساليبهم الادبية ما يرفعها عن الابتذال حتى اذا ما سمعها من وجهت اليه اثرت فيه تأثيرا كافيا ولعبت بعواطفه فاصبح مأخوذا ببلاغتها وبيانها .

ومن هذه الرسائل رسالة كتبها عند محاربته للثوار بتونس يقول فيها : (★) « وكان هؤلاء الاشقياء والمتمردون، والكفرة المنخلعون ، من ثوب الاسلام المتجردون ، والجبناء المجرون بالخلاء وهم منفردون ، والاوباش المتظافرون ، على الحرابة المتعاقدون ، قد استنزلهم الشيطان واغواهم ، واستجرهم الطمع المهلك واستهواهم ، وصور لهم ن لا قامع يقمعهم فأضلهم وارداهم . ولما اذن الله تعالى بهلكهم وقضى بقهرهم على ايدي اوليائه المظفرين وعركهم ، واراحة هذه الجهات مما دهاها من زورهم وافكهم عزم الموحدون — اعزهم الله — على النهوض اليهم الى محال قرارهم ، وغزوهم في عقر ديارهم ، واسعانوا بالله تعالى على ابادتهم ومحو آثارهم ، فنهضوا من تونس — كلأها الله — ودلائل نجحهم صادقة واعلامهم بالفتح والتأييد خافقة ، والنفوس بنصر الله وعونه واثقة ، وتيسيراته سبحانه مضايفة للرجاء في فضله وموافقه ... وعند ما احس الاشقياء بحركة اهل التوحيد — اعزهم الله — اليهم واطلال راياتهم المظفرة عليهم ، وان اخذة الله الرابية قد اتتهم من ورائهم ، ومن بين ايديهم ، تحركوا من مواضعهم مخيلين بزورهم ، منجرين بحبل غرورهم ، منقادين بربق الصغار الى مصارع تدميرهم . وقدروا فكان حتفهم بحول الله في تقديرهم وتخيلوا ان كل بيضاء شحمة وكل سوداء تمرة ، وتوهموا ان تخيلاتهم الكاذبة تنفعهم كل مرة ، وانخدعوا بما املي لهم ليزدادوا اثما من امهال وتبرة ، فسقط العشاء بهم على سرحان ، وقادهم الحين المتاح لهم بارسان واشطان وعوضوا مما قدروه من انتهاب مقر الجلاد ومر الطعان ، واعمال ظبى القواضب فيهم وعوامل المران ، وصارت ضروح اشلائهم المزقة ، واوصالهم المفرقة ، حواصل الطيور وبطون الذؤبان »

ثم استمر في الحديث عن حروب الموحدين الى ان بلغوا الى بلاد قابس وهناك طلب المحاربون الامان وتنازلوا عن المدينة دون حرب او طعان وقد اشار الكاتب الى ذلك بقوله : « وكان من صنع الله الذي لم يدر في خلد ، ولا يسببه الا التوكل على الواحد الصمد ، ان لم يفقد من الموحدين — اعزهم الله — احد ولا انتقص لهم بفضل الله عدد »

وهكذا نجد ان هاته الرسائل كانت تقوي معنوية الموحدين وترفع نفوسهم فهي بمثابة الصحافة الموالية للحكومة تتحدث باسمها وتذيع انتصاراتها وتطري مواقفها وتفرط اعمالها وتشوه مواقف اعدائها .

كانت هذه الرسائل تقوي نفوس الاتباع وتدخل الرعب في نفوس الاعداء كانت تذاع على الخاصة والعامة وتلقى على الجمهور من المنابر في خطب الجمعة وتترجم الى البربرية لتعم فائدتها جميع المغاربة وتلك خطة الموحدين فهم كانوا لا

(★) من الرسالة الثلاثين صفحة 184 وهي من انشاء الكاتب ابي الفضل بن محشرة .

على هامش المعركة

رعق

للأستاذ: عبد الله العمراني

- 2 -

كل هذه الافكار والاحداث المتتالية كانت تراود ذاكرة سكان القرية الذين كانوا يستعيدونها ، فتشغل تفكيرهم ، وقد تلهيهم عن اشغال ضرورية لهم ، غير ان الوقت يمر ، والانسان يرجع الى نفسه يتحسسها ويبحث عن المكان او المكانة التي ينبغي ان يضعها فيها ، وهذه المكانة هي ما يمكن ان نسميه بالطبيعة او السجية التي من شأنها ان تعيد الحياة وظروف الحيـاة الى مجاربها الحقيقية العادية .

وهكذا افاق سكان « تمسيلة » صباح الاثنين رابع اغسطس ليسيروا في مناكب الارض ، وليدبروا شؤون معاشهم ، ويختطوا نهج حياتهم اليومية من جديد ، ولكنهم مع ذلك لا ينسون فلذات اكبادهم التي تمشي على الارض لتصل الى مكان النزال .

ها هي ذي امرأة نصف ، قامت تسابـق اشعـة الشمس البازغة ، لتبحث عن غذائها اليومي ، ولتهيء لابنائها الصغار ، تلك الفاكهة الصيفية المعروفة « بالهندية » ، وها هي ذي جارة لها اصغر منها سنا ، تلتقي معها لنفس الغرض ، ويتطرق بهما الحديث الى موضوع الساعة ، فتسأل الصغيرة الكبيرة :

ص ــ اراأيت يا اختي كيف ان الموقف يوم الجمعة الماضي كان مؤثرا للغاية ؟

ك ــ يتأثر له حتى من كان قلبه كالحجارة او اشـد قســـوة .

ص ــ كيف تجدين فراق ابنك الوحيد ؟

ك ــ ان هذه اول مرة فارقني فيها للجهاد ، ومع ذلك احس بالالم والرضى معا : الالم من اجل الفراق الذي نرجو الا يطول ، وان يعود بعده سليما معافى ، واشعر بالرضى لانه ذهب تلبية لنداء الوطن ، ورغبة في تنفيذ ارادة السلطان التي هي من ارادة الله والشعب . حقا ، قد كنا ضقنا ذرعا بمضايقات جنود العدو التي باتت تقلق راحة السكان في كل مكان ، فلعل هذه (الحركة) تضـع حـدا لتكالب العدو علينـا واستنسار البغاث في ارضنـــا .

ص ــ يقولون ان العدو جمع الآلاف المؤلفة من الجنود المنتمية الى اجناس مختلفة من بلاد النصارى .

ك ــ الله معنا ، والحق في جانبنـا والصبر والايمــان زادنا ، ولن يخذل من كان الله ناصـره ، والحــق رائــده ، والصبر والايمان زاده (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) ولــو اجتمعت عليكم شعوب الارض قاطبة .

ص ــ عسى ان يعود ابنك وابناء القرية اجمعون ، وهم يرفلون في حلل السلامة والعافية ويتغنون باناشيد النصر ان شاء اللـــه .

ك ــ ذلك ما نرجوه يا اختي ، حقق الله الامال .

ص ــ انتهيت من جني الهندية ، وعلي ان اذهب لاعد الفطور لزوجي المريض ، ثم بعد ذلك اذهب للحقل ، ان اشغالنا يا اختي تكاثرت في هذه الايام ، ولكن ينبغي ان نقوم بها عن طيب خاطر وبكل حماس .

ك ــ كلنا في هذا الامر سواء ، فاذا كـان ابناؤنـا واخواننا وازواجنا في جهادهم الاكبر ، فنحن هنا في جهادنا الاصغــــر .

ص ــ قلت حقا ، ونطقت صدقا ... الله يهنيك .

ك ــ مع السلامة يا اختاه .

وتمر ساعات هذا الصباح الهوينى ، وكانها حبالى بما تحمله في احشائها من حوادث الزمن التي ستذكرها الاجيـال على الدوام ، والتي سيكون لها تأثيرها البالغ في سياسة بعض الامم ، وستعمل على تغيير مجرى التاريخ لا محالة .

حقا ان اليوم الاول لمسير الفيلق الصغير الذي كونتـــه قبيلة بني مصور ، وودعته قرية تمسيلة اخيرا ، قد مر بهدوء ،

وبعد عودته الى المغرب فكر نصارى الاندلس في امرهم ورأوا ان تنافسهم على حكم بلاد الاندلس شجع الموحدين على غزوهم والقضاء عليهم لذلك فكروا في ان يكتلوا جهودهم وان يوحدوا صفوفهم لمحاربة الموحدين ، وارسل ملك قشتالة الى المنصور يستخف به وبسلطانه ويعلن انه نكث العهد الذي كان بينهما ويتحداه ويتطاول عليه ويدعوه الى حرب جديدة يصبح بها ملك قشتالة ملك الملتين او يصبح بها المنصور ملك الديانتين .

ولا شك ان هذه الرسالة قد اثارت غضب المنصور وجعلته امام الامر الواقع فاما حرب يتلوها نصر واما تغافل عن الرسالة يعلو به شأن نصارى الاندلس .

لقد رأى المنصور ان يذيع رسالة ملك قشتالة على الموحدين وان يجعلها سبيلا الى رفع معنوياتهم والى تحريضهم على القتال والجهاد .

وتعالت اصوات الموحدين وانصارهم في كل مكان بالدعاء للمنصور واعلنوا جميعا بالفداء للاسلام ونصرته ،وظهر التجاوب المطلق بين سكان المغرب وسكان الاندلس وبين البربر والعرب .

فلما رأى المنصور ذلك اعلن التعبئة العامة ونظم جيشا عظيما بقيادة ابي حفص الهنتاني وجعل قيادة الاندلسيين لعبد الله بن صناديد احد قوادهم المجربين فوضع خطة حربية موفقة عادت على المنصور وجنوده بالنصر المبين .

وكان موقع هذه الحرب بمكان يعرف بالارك بين قلعة رباح وقرطبة ، وقعت سنة 591 هـ فكانت فتحا جديدا للمنصور قوى هيبته بين معاصريه وثبت اركان دولته وجعلها بحق دولة العز والظفر .

لقد شجعته هذه الوقعة على توالي الايقاع باعدائه فغزا بعدها الاندلس مرارا واذاق اهلها قماءة وصغارا وتعددت فتوحاته وكثرت ايامه الظافرة التي خلدها الشعراء في قصائدهم وتنافسوا في تصويرها وفي اذاعتها من ذلك قول شاعره ابي يحيى بن عبد الجليل بن مجبر : (✱)

قضى حقوق الله في اعدائه
ثم انثنى والنصر تحت لوائه
بحر طما والبؤس من امواجه
صبح بدا والحق من اضوائه
عمد اقام به المهيمن حقه
والحق عمدة ارضه وسمائه
واباحه مهج العدا فكأنما
قد نصلت ارماحه بقضائه
اغزى بهم جيشا تضيق الارض عن
افواجه والوهم عن احصائه
لما رأى للشرك رسما مائلا
أوهى قواه وجد في اقوائه

واستمر المنصور بالاندلس يقضي على اعدائه الى سنة 594 هـ ثم رجع الى مراكش فلم تطل اقامته بها حيث مات سنة 595 هـ بعد ان ولى العهد لابنه محمد الناصر .

هذه صورة سجلناها لابي يوسف يعقوب المنصور لا تصور الا جانبا من ايامه وحروبه .

واما الجانب الاجتماعي والعمراني فان كتب التاريخ لا تني تذكر عن هذا الملك ما يقصر الوصف عن تحديده .

فهو الذي حرر الفكر من القيود ودفع المواطنين الى التفكير الجدي في امور دينهم وفتح لهم باب الاجتهاد وامرهم بالرجوع الى الكتاب والسنة وبعدم التقيد بكتب الفروع .

وهو الذي شجع العلم وقدره وقرب اليه كأبيه كثيرا من الاطباء والفلاسفة واغدق عليهم العطايا . وان ما يذاع عنه من نكبته لابن رشد لا يعود سببها الا لامور سياسية محضة فلما زالت تلك الاسباب قربه اليه وشجعه في نشر آرائه وكتبه .

وهو الذي كان يحرص على ان ينال رعاياه حقوقهم الاجتماعية فكان يحصي الفقراء والايتام ويمكنهم من عطايا تعينهم على احتمال الحياة بل كان ياخذ من الاغنياء ما وجب عليهم من الزكوات ويقدمها الى مستحقيها ، فمما جاء في احدى رسائله التي ارسلها من مراكش الى الطلبة والموحدين والاشياخ والاعيان والكافة باشبيلية قوله : (✱) « ادام الله كرامتكم بتقواه — تأمرون العمال هنالكم بدفع جميع ما تحصل في هذا العام من زكاة الفطر للشيخ الفقيه القاضي ابي المكارم — اكرمه الله بتقواه — يوزعه على الضعفاء والمساكين رفقا بهم وتوسعة عليهم، فاعتهدوا على ذلك ان شاء الله عز وجل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

هذا زيادة على ما خلده من البنايات العظيمة ومن الآثار التي ما زالت الى الآن تدل على عظمته ومجده فرحمة الله عليه وعلى كل بطل عظيم .

فاس — محمد بن عبد العزيز الدباغ

(✱) شرح مقصورة حازم للشريف الغرناطي ، الجزء الثاني صفحة 155 .
(✱) الرسالة الثامنة والعشرون صفحة 167 .

لكن بعد مرور اليوم الاول على الفراق ، وبعد مرور اليوم الثاني ، بدا الحنين والشوق يخالج نفس رحمة ، وصارت تبدي نوعا من القلق او الخوف على مصير والدها الذي يحبها وتحبه ، فبدأت تبكي للفراق ، وكانها صارت تخشى على حياة والدها ، وعلى مصيرها هي ، حيث ستبقى بعد استشهاده يتيمة الابوين ٠

لقد تصورت هذا ، فانهمرت الدموع من عينيها ، حقا ان لها اخا كبيرا صار والدها يعتمد عليه ، ويستخلفه في اموره العائلية الخاصة ، وفي الشؤون الادارية العامة ، ولكن الوضع يختلف ، فمكانة الاب غير مكانة الاخ ، لذا نرى بعض افراد العائلة يلتفون حول رحمة ، ويهونون عليها الامر ، ويواسونها وخاصة (الدادة فقد كانت تحاول بمختلف السبل ان تسليها وتدخل على نفسها السرور بما تاتيه من افعال ، وما تفوه به من اقـــوال :

ـــ سيدتي الصغيرة ، انصتي الى امتك الفقيرة « الدادة » الشهيرة ، ان رحلة سيدي الكبير لقصيرة ، وربما ياتينا بعد غد في الظهيرة ٠

= ما هذا يا دادة ؟ اراك ترجمين بالغيب ، وتنترين نثر الكهــــان ٠

ـــ نعم ، انا الكاهنة ، اكشف لك الحالة الراهنة ٠

= بل ، اراك تهرفين بما لا تعرفين ٠

ـــ هاتوا البخور ، لتروا كيف اتحرى الصدق في الامور ، فلا اكذب ولا اجور ٠

= اينوها بما طلبت ٠٠٠

وتقوم باشارات وحركات تمثيلية تحمل روحا من الفكاهة والمرح والحبور ، مما بعث السرور الى قلب رحمة ورسم ابتسامة عريضة على شفتيها الرقيقتين ، كادت تنفجر قهقهة او ضحكة عالية ، لو استمرت « العنبر » في القيام بما تقوم به في سبيل الترفيه عن سيدتها الصغيرة ٠٠٠ ولكن طرق الباب الخارجي للدار ، محا الابتسامة ، واوقف اللهو قلبه الى جد بدت اماراته على الملامح ، هبت احدى الخادمات لتفتح الباب ، فسألها الطــــارق :

ـــ اين سيدك ؟

= ليس هنا ، هل من خدمة نؤديها ؟

ـــ كنت اود مقابلته ومحادثته في امر هام ٠

= انتظر قليلا من فضلك ٠٠

ودخلت الخادم لتعلن اهل الدار بامر الطــارق فتلقتها رحمة متلهفة قائلة :

= هـــل مـــن جديـــد ؟

ـــ يبحث عن سيدي الصغير ، ويقول انه يريد محادثته في امــــر هــــام ٠

= قولي له ينتظر لنبعث من يبحث عنه ، فلعله يجده في الحيــــن ٠

ولم يطل الانتظار ، فسرعان ما قدم خليفة القائد ، لانه تلقى نبأ قدوم شخص على القرية ، تبدو على بزته انه احد التجار الذين اعتادوا الذهاب الى طنجة للمتاجرة ، ومن خلال الوصف الذي قدم لمحمد عن التاجر ، عرف ان هذا الاخير لا بد معرج على دار القائد اما للاستراحــة والتزود ، وامــا لتبليــغ رسالة ما ٠

وكان الامر كذلك ، فقد عرف محمد في شخصيــة هــذا الزائر ، انه التاجر علي الذي طالما مر بقرية تمسيلة وهو في طريقه الى طنجة او قادم منها ٠٠٠ ولم يكن علي مجرد تاجـر بسيط ، بل كان رجلا حاذقا لبيبا ، يتصل بالناس من مختلف الاوساط ، فيعاشرهم ويتاجر معهم ، ويتزود علاوة على ذلــك بكثير من الفوائد او المعلومات ٠

وسر ابن القائد من لقيا هذا الرجــل ، خصوصا عنــد ما عرف انه قادم من ناحية القصر الكبير ، ومنجه الى طنجة ، لقد كانت حالة التوتر التي سادت منذ نــزول الجيش البرتغالــي بطنجة ، كافية ان تحول دون التفكير في ذهاب التاجر علي وغيره الى طنجة ، ولكن هؤلاء التجار عادة يكونون ادرى بما يفعلون في مثل هذه الظروف ، وانهم لا قدر على التصرف في اوقات السلم والحرب معا ٠

دعا ابن القائد زائره الى الاستراحــة بدار الاضياف ، وبعد برهة بدأ معه الحديث هكذا :

= كيف تركت مدينة القصر الكبير ؟ يقــال ان الجيش المغربي قد عسكر هناك استعدادا للمعركة ٠

ـــ غادرت المدينة قبل ان يحصل فيها التجمع ، لقد حاولت الابتعاد عن طريق الجيوش لئلا اقع في المحذور او تحصل لــي اية عرقلة فلا انجح في مسعاي ، ولا ادرك مرامي التجاريــة ، ومع ذلك استطعت بوسائلي الخاصة ان اعلم ان عظمــة السلطان قد حل وجنده بمدينة القصر الكبير ، وان جنود العدو على رأسها سباستيان ومحمد المتوكل قد عسكرت على ماء وادي المخازن ، وقيل ان السلطان تحرك لمواجهتها ، وقد تنشب المعركة اليوم او غــــدا ٠

= الم تسمع شيئا عن عدد جنود العدو ؟

ـــ مائة الف او يزيدون ٠

= كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ٠

ـــ والذي يقلق البال حقا ، هو ما اشيع اخيرا من ان

وفي غير انتظار لمزيد من المفاجآت او الاخبار المثيرة ، نظرا لان الطبيعة والمنطق يفرضان ان يكون العمل المنوط بالفيلق ، انما هو مجرد السير الى ميدان المعركة الذي هو مجهول لحد الساعة ، وكل ما هو معلوم ان التجمع ينبغي ان يكون ــ حسب اوامر السلطان الشديدة ــ بمدينة القصر الكبير ، ومن يدري ؟ فقد تنشب المعركة الفاصلة هناك حول المدينة ، وقد تنشب قريبا منها او بعيدا عنها بقليل ، فما على الجيش المغربي ومتطوعي القبائل الذين هرعوا استجابة للنفير العام ، الا ان ينهمروا كالسيول الجارفة نحو المكان المعلوم ، فاذا تجمعت مياهها وتكاثرت ، انطلقت من جديد ، فاذا صادفت في طريقها شيئا ، اتت عليه وحملته غثاء او تركته كالرميم .

ويمر اليوم الثاني كالاول لا تنتظر فيه اية اخبار مثيرة ، وليس من شان الرجال الذين اعلنوها حربا شعواء على الظلم والاستبداد ، ومحاولة التسلط الاجنبي ، الا ان يسيروا نحو هدفهم المقصود ، لا يلوون على شيء ، ولا يثنيهم عن عزمهم اي ثان ، لم يكن يخطر ببال احدهم ان يسأل : ما ذا سيكون الموقف ؟ او ما ذا ستكون النتيجة ؟ انما كان يهمهم ان يتقدموا ويصبروا ويصابروا ويصمدوا لعدوهم ، وبعد ذلك لتكن النتيجة المحتمة .

لم يكن يدور بخلد شعب تمسيلة ان يحصل الالتحام في هذا اليوم الثاني ، لذا اطمأنت النفوس نوعا ، وصارت تتطلع الى اليوم الثالث ، اليوم الذي يحتمل ان تكون الجيوش المغربية كلها متجمعة في نقطة الارتكاز التي ستغدو في يوم ما نقطة الانطلاق في تاريخ هذه الامة ، ونقطة الانتكاس في تاريخ تلك التي بيتت العدوان .

وقبل ان نتطلع الى انباء اليوم الرابع ، يوم العراك المرير ، هيا بنا نطرق باب دار القائد شاشون ، ليفتح لنا ، ونرى ما يدور بداخلها من التعاليق على الانباء ، او ما سيرد عليها من اخبار ، ربما كانت هذه الدار خير موطن لها ، وكيف لا ، وهي دار قائد القبيلة وزعيمها المحترم ؟ .

تقع هذه الدار في مكان مشرف ومنفرد ، وهي واسعة تكاد تكون مربعة الشكل ، وتتوسطها ساحة مكشوفة تحيط بها بيوت ، لها ابواب وكوات تطل على الساحة ، ولبعضها ، ابواب وكوات تطل على الخارج ، ويشمل هذا البعض بيت الاضياف وبيوت الخدم والعبيد ، والاروى مأوى البهائم .

كانت دار القائد منطلق الحشد الى موطن المعركة ، لذا كانت مقصد الناس ، ومحجهم للاستفسار عن احوال المجاهدين ، ولتنسم اخبارهم ، ولمعرفة ما اذا كانوا قد تم لهم اللقاء بعدوهم الذي طالما اقلق راحة سكان الشمال وسكان بني مصور الذين ذاقوا الامرين من جراء تصرفات جنده الغاشمة .

لم تعد الدار تموج بمن فيها من الخلق كما كانت ، لان جل الرجال قد غادروها للدفاع عن حوزة البلاد ، فالقائد واخوه وبعض افراد العائلة ، والخدم ذهبوا في الطليعة ، ولكن بقي احد ابناء القائد لتسيير شؤون الدار وللقيام بالمهام التي يقوم بها والده في اوقات السلم ، اعني الفصال في كل ما يحدث من مشكلات قد تخل بالامن او تمسه من قريب او بعيد ، وبقي ايضا للاشراف على الحراسة (الادالة) فقد كانت البلاد في حالة طوارىء ، وكانت القبيلة مجاورة لمدينة طنجة الخاضعة للنفوذ البرتغالي .

كانت والدة محمد (ابن القائد) قد توفيت منذ مدة ، وكانت شريفة تنتمي الى البيت النبوي الكريم ، وتركت الى جانب محمد اختا له هي (رحمة) ، بنت جميلة اصغر سنا من محمد ، اكملت منذ قليل ربيعها الخامس عشر ، وهي الآن في سن السادسة عشرة ، سن المراهقة والتفتح كما تتفتح وردة جميلة عن شذاها البديع .

للقائد زوجة اخرى لم تترك له بنتا ، وانما اولادا ذكورا ومعظمهم صغار ، لان والدهم تزوج بامهم بعد وفاة زوجته الاولى ، وبما ان القائد لم يكن له من الاناث الا رحمة ، فانه كان يحبها ويعزها ، وكانت هي تبادله الحب والاعزاز ، ولولا نداء الواجب ما كان ليفارقها ، كما انها لم تكن لترضى عن فراقه ، لولا استهداف الوطن للخطر ، وتعرض سكان القبيلة منذ مدة الى استفزاز البرتغال وتعسفهم ، فكان من اللازم اذن ان يرد كيد هؤلاء في نحرهم ، وكان من اللائق او المحتم ان يطمئن الناس بالا ، ويرتاحوا الى شيء من التضحية والصبر الذي يتمثل في تحمل الفراق الى امد معين ، وعسى الا يطول .

كانت دار القائد تضم عبيدا واماء ، ذكورا واناثا ، ومن هؤلاء امة تسمى « العنبر » ، وكانت رحمة واخوها يدعوانها (الدادة) فهي لهما بمثابة الوالدة المتوفاة ، لقد ربتهما صغيرين ، وهما ما يزالان يرفلان في حنان والدتهما ، وصارت تعنى بشؤونهما اكثر بعد ان صعدت روحها الى الرفيق الاعلى .

لقد احست رحمة من نفسها الشجاعة ساعة الاستعداد والتهيؤ للقتال ، وربما كانت من اكثر الناس حماسا لمنظر الرجال الذين لبسوا « جلاباتهم » المزينة بانوار من الحرير المزركش وعلت هاماتهم عمامات « شرقاوية » بلونها الاصفر المذهب ، وشكلها المستدير الذي يشبه القمر البازغ في ليالي التمام ، وقد اخرج الكثير منهم احدى يديه من الفتحة العليا للجلابة ، واتشح ببندقيته من جهة ، و « بشكارته » من جهة اخرى ، وقد صنعت هذه الاخيرة من الجلد المنمق الجميل ، تزينها بعض الازرار الجلدية التي تهتز كلما تحرك صاحبها ، وكأنها ترقص فرحا للقاء العدو ، او تلهفا ليوم الكريهة .

= ستكون في انتظارك ... اتركك في امان الله يا امراة عمي ، والى اللقاء في دارنا يا طامة بعد قليل .

وخرج محمد ، وخلت المرأة بابنتها ، ولم تستطع ان تخفي عنها مشاعرها ومتمنياتها ان تصير زوجة لابن عمها ، انه شاب جميل ، ذكي ، وله مستقبل ، ولعل اباها لا يركب رأسه فيزوجها ممن قد يخطبها من الشيوخ ذوي الثراء ، واصحاب الكلمة والجاه .

ان المثال الذي اتاه القائد بقبوله تزويج ابنته الجميلة والجوهرة المكنونة رحمة من شيخ طاعن في السن ، قد يحتذيه زوجي هو الآخر ، ولكني ضد هذه الفكرة ، فالمال والجاه ، والكلمة لا تساوي شيئا امام سعادة ابنتي وهنائتها ، وعسى ان يكون هذا الشاب من نصيبها .

علت وجه طامة حمرة الخجل ، ولم تستطع ان تغالب حياءها فتطيل الجلوس ، لذلك اسبلت اهداب عينيها الطويلة ، فالقت ظلا خفيفا على خديها الجميلين ، ثم قامت وخرجت مهرولة ، وذهبت لغرفتها الخاصة تجهز نفسها للذهاب الى دار عمها .

استقبلتها رحمة هاشة باشة مرحبة ، وعانقتها عناقا حارا ، وكانها لم ترها منذ بعيد ، بل كانها رأت في زيارتها الآن معنى كبيرا وفضلا جزيلا يستحق الشكر ، قالت طامة :

— لا شكر على واجب ، ان اخاك زارنا منذ قليل ، فكيف لا اقتدي به وازورك ؟

= هل افهم من هذا ان زيارة اخي هي الداعي الوحيد لزيارتنا ؟

— لم اقل ذلك ، وانت يا رحمة تعلمين مدى ما احبك واعزك .

= ذلك ما عرفته ولمسته طوال معاشرتي لك وآمل ان يتم الله علينا نعمته ، ويزيد في علاقتنا الاخوية ، التي لا تنفصم عراها ، بان يوفق الله بينكما (ونطقت الكلمة الاخيرة ببطء وضغط ملحوظ على الحروف) .

— ما تعنين ؟

= اعني بينك وبين فتى احلامك ، وفارس غرامك ، ام اراك تسلكين معي اسلوب « تجاهل العارف » ؟ .

— فهمت ما تعنين ، آه لا اخفي عليك يا ابنة عمي ما اعانيه من انفعال وما احسه من رغبة في زيادة ربط اواصرنا بوشيجة من التصاهر زيادة على آصرة الدم التي جمعت بيننا منذ الازل .

= سأعمل جهدي ليتم عقد قران اخي بك ، وعسى الا تقعي في مثل ما وقعت فيه انا من تزويجي برجل في مثل سن جدي ، ان هذا امر لا تكاد تطيقه الواحدة منا ، اليس لنا معشر الفتيات رأي في الموضوع الوحيد الذي يهمنا ، ويقرر مصيرنا ؟

— لقد رأيت القائد عمار زازور في حفلة « الاملاك » فوجدته كبيرا وقد اشتعل رأسه شيبا .

= سميها محنة « الاملاك » لا حفلة .. لقد ملكه والدي بنته الوحيدة بغية كسب ود هذا القائد وقبيلته ، ونظرا لما يتمتع به من ثروة وجاه ، ولم يستشرني والدي ، فكان الامر لا يعنيني ، او كانه خاف — ان هو فعل — ان يعيب عليه الناس ذلك ، ويعدوه منه ضعفا في الادراك ولينا في العزيمة لا داعي له ...

وتنهدت رحمة ، وكانها وجدت في خلوتها بابنة عمها ، فرصة سانحة لتبث جواها ، ولتجأر بالشكوى التي طالما اعتملت في صدرها .

وهنا اكتملت المشط ، كانت طامة حين قدمت ، وجدتها تمشط شعرها الطويل الفاحم السواد ، فلم تشأ ان تكف عن عملها ، لان الكلفة مرفوعة بينهما ... وطلبت رحمة من طامة ان تظفر لها شعرها ليستمر الحديث بين الاثنين ، دون ان تستمع اليه اية من الخادمات او « الدادة » .

وامتثلت طامة للرغبة ، واخذت بين يديها شعرا ناعما كالحرير ، وشرعت تظفره ظفيرتين ربطت نهايتهما بشريطين حريريين ناصعي البياض ، يتلاءم بياضهما مع الرداء المنزلي الذي ارتدته رحمة في هذا الصباح .

— يتبع —

تطوان : عبد الله العمراني

السلطان قد سم ، وانه يعاني مرضا من اجل ذلك ، فقد تمكن ابن اخيه محمد المتوكل ان يدس له من جرعه السم .

= مهما كان نصيب الاشاعة من الصحة فان عملية التسميم اجرام متناه في الفظاعة .

ـــ نرجو للسلطان الشفاء والسلامة من كل داء .

وبعد تناول قرى الضيف ، استأذن التاجر من مضيفه ، فخرج هذا يشيعه الى مسافة معينة ، ثم عاد الى داره يصرف امورها ويدبر شؤونها ... ولم تلبث رحمة ان جاءت اخاها تستفسره ، وكان غرضها من وراء هذا ان تعرف شيئا جديدا عن « الحركة » وان تتنسم بعض الانباء عن والدها ، بيد ان اخاها طمأن بالها ، وانبأها ان التاجر لم ير والدها ، واطلعها على اهم التفاصيل التي حصل عليها من التاجر ثم اضاف :

ـــ ليس في وسعنا الا ان نطلب من الله ان ينصر المجاهدين ، وان يعيد والدنا وسائر المجاهدين في القريب العاجل ، وسيكون يوم العودة يوما مشهودا ، وعيدا من اعياد النصر معدودا .

ومر اليوم متثاقل الخطى ، بطيء السرعة ، يمشي « كما يمشي الوجي الوحل » ، وتلته ليلة كانت اكثر تثاقلا ، واشد بطئا ، فكان نجومها قد شدت بيذبل ، فلم تعد نفكر في الحركة ولم تعد تقدر عليها الا بمقدار ، ولكن مهما طال الليل فلا بد ان يصبح .

ولم تصبح بالقرية اية مشكلات او دعاوي يمكن ان تشغل بال الناس في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المغرب ، لذا لم يكن لدى ابن القائد ما يعمله في مجال فصل الدعاوي ، فقرر ان يتفقد احوال القرية ، ويواسي اهلها ، ويقدم المساعدة الى من يحتاجها منهم، وقد احس اهل القرية بانهم موضع عناية ورعاية، فطابوا نفسا ، ولا شك ان القائد شاشون كان يسر عظيم السرور لما قد احدثه تصرف ابنه ، وما ابداه من الحكمة في معاملة السكان ومواساتهم وتشجيعهم ، ولا شك انه كان متأكدا من كياسة ابنه وحسن سياسته ، ومن نضجه وذكائه وفطنته ، ولذلك تركه ليسوس القرية في غيبته .

كان واجبا على محمد ان يعرج في تطوافه على دار عمه ، هذا الذي ترك اسرته في عهدة ابن اخيه ، وراح للميدان قرير العين ، مطمئن البال ، وصل الى الدار ، وطرق بابها . فسمع صوتا يقول :

ـــ من بالباب ؟ اجاب :

= قريب لا غريب . وفتحت الخادم الباب ، ودخل فقالت له امرأة عمه :

ـــ امثلك يقف بالباب ويستأذن في الدخول ؟

= لم اجد وسيلة اخرى غير الطرق والاستئذان ؟

ـــ معذرة يا سيدي ، يظهر ان احدى بناتي اقفلت الباب، اصبحن يخفن حتى من ظلهن ، قال (مبتسما) :

= لم ذاك ؟ ليس في الامر ما يستدعي الخوف ، هل يداخلهن شك في مقدرتي الادارية ؟ واجابت مبتسمة :

ـــ قل لهن ذلك ، اما انا امن جهتي فلا اشك مطلقا في ان هذا الشبل من ذلك الاسد .

= شكرا على هذا الاطراء ، واود لو شاركتك بناتك هذا التفكير .

ـــ انه الواقع يا بني ، والواقع لا يرتفع .

= كيف امضيتن الليلة البارحة ؟

ـــ بخير ولله الحمد ، غير ان بنتي الكبيرة (طامة) باتت قلقة ، وكان افكارا مزعجة شغلت بالها ، حبذا لو سمحت لاختك رحمة بمعاشرتها وعدم مفارقتها طيلة هذه الايام حتى يأتي الفرج من عند الله .

ـــ اين هي ؟ اريد محادثتها .

ـــ طامة ، تعالى سلمي على ابن عمك ... ودخلت بنت ربعة القامة ، صبيحة الوجه مستديرته ، لونها ابيض مشرب بحمرة ، في مثل عمر اخته رحمة ، وتبدو على ملامحها آثار النعمة .

= كيف اصبحت يا طامة ؟

ـــ لله الحمد يا ولد عمي .

= ابتسمي للحياة ، ولا تقلقي ، وما هذه الا سحابة صيف، وان النصر حليفنا ، وسيعود آباؤنا واخواننا ، وقد زانت هاماتهم اكاليل الغار ، وتيجان الفخار .

ـــ رأيت هذه الليلة فيما يرى النائم ان والدي ــ الله يذكره بخير ــ قد تحلى بجلباب ابيض ، وصار يحتضنني ويقبلني وكانه يودعني الوداع الاخير ، فلم يسعني الا ان اذرف عليه دمعا ساخنا ، بينما كان هو باسم الثغر منشرح الصدر ، وما ادري لهذا الحلم تفسيرا ، جعله الله خيرا وسلاما .

= لن يكون الا خيرا وسلاما ان شاء الله .. تعالى الى دارنا مع الخادم لتعاشري اختي رحمة فلا تساورك الافكار السوداء .

ـــ سأفعل باذن الله ، اختك رفيقة صباي ، وهي اختي كذلك وارتاح لمعاشرتها .

تحققت نيته الاولى ـ واصبحت جوانبها تكتظ بالسكان ، وتزدحم عشرات الاحياء الجديدة بحمل الواردين عليها من اطراف المغرب وغيره ، كتوأمتها سلا ـ ذات الاثر الموحدي المتجلى في مسجدها الاعظم والمدرسة التي لم يبق عليها الدهر ٠ والاثر المريني الخالد بفنيته البارزة في المدرسة المرينية قرب المسجد ٠

فبعد وفاته انتقل اليها غالب اهل شالة (الاثرية) وعمروا بعضها ، ولم تتسع عمارتها بالمعنى الكامل الا عند استيطان اهل الاندلس بها لدى خروجهم من الجزيرة مشردين بنفي العدو ـ سنة 1017 هـ ـ 1602 م فتفرقوا في بلاد المغرب الادنى ، والاوسط ، والاقصى ـ وخرج منهم بسلا طوائف عبروا الرباط فحصنوه وبنوا فيه القصور والدور والحمامات ٠ وذلك ايام « فيليبس الثالث » وعددهم 6000 نزلوا بقياطنهم بحسان وبنوا سورا من سيدي مخلوف المطل على ابي رقرق الى باب الحد ، ثم بنوا دورهم بنواحي العلو من « لوبيرة » الى البحيرة قربا من البحر واستنشاقا لهوائه ٠ ثم جدد المولى سليمان العلوي باب السور المذكور لما بلغه ـ ان نابليون جاء الى اسبانيا ـ (*) فاصدر قدس الله روحه مكاتبه الى ولاة المغرب وعماله يحثهم على تجديد ابواب البلاد ودروبها ـ كما جاء بتاريخ ابن عبد السلام الضعيف ـ وهؤلاء جماعة من اهل الدار البيضاء تقدر بـ 600 عائلة اخرجهم البرتغال من ديارهم سنة 915 هـ 1510 م فنزلوا بالبحيرة من الرباط اذ انقذهم الله من شر العدو البرتغالي الذي هدم البيضاء وقتئذ وما ابقى حجرا على حجر ٠

ومن نوازل العلامة ـ عبد العزيز الزياتي الكبرى في ترجمة ـ نوازل الجهاد ـ من سؤال وجهه اندلس سلا الجديدة ـ يعني رباط الفتح ـ للعلامة ابي مهدي السكتاني في شأن نفارهم من طاعة محمد العياشي ٠ منه في وصف الرباط حين خروجهم من الاندلس اليه وكان هذا الثغر قبل دخول هذه الجماعة له وسكناها فيه ـ في غاية الاهمال ـ فبالغوا في تشييده وتحصينه وبناء مساجده واسواقه حتى صار حاضرة من الحواضر ، واصبح الناس يؤمونه من كل ناحية ، وكانوا في نحر الكفرة في البر في جزائرهم ، وكانوا يغزونهم في عقر ديارهم ، يغيرون عليهم في كل وقت ، ويسبون دراريهم ويأسرونهم حتى كان النصارى لهذا السبب يباعون بالبخس فاستعبدهم الغني والفقير ، واذ لهم العزيز والحقير ، وهم مع ذلك قائمون بحدود الشريعة تحت طاعة ملك البلاد ٠

نعم بلغ هذا الثغر الطيب ـ رباط الفتح ـ اوج العز والسؤدد عند ما جلس على كرسيه ملوك دولتنا العلوية الشريفة ـ فأتموا المرافق ، واكملوا ما كانت المدينة الرباطية في امس الحاجة اليه دينا واقتصادا واجتماعا ـ فهذا ابو النصر المولى اسماعيل جر اليها الماء من عين « عتيق » وقد تحدث عن ذلك الفقيه القاضي الحاج محمد مرين في قطعة شعرية توجد بخزانة الجراري ، كما ادخل الماء اليه السلطان المقدس المولى محمد بن عبد الله العلوي ـ لذا وجدت في المجرى ـ انبوبتان احداهما فوق الاخرى عند حفر الممر خارج باب العلو حسبما هو مثبت اسفل القطعة المشار اليها ٠

والمولى محمد بن عبد الله هو الذي اتخذ ابواب القصبة هذه ـ بيت ماله وخزينة اموال دولته التي كانت تبلغ احيانا = 30 مليون ريال ٠ وهو الذي اسس عدة مساجد بهذه العاصمة كمسجد السنة العظيم الذي نراه اليوم يوسع ويحسن ، ومسجد اهل فاس ، ومسجد القصر ، ومسجد « مولينا » الواقع امام مسرح رويال حيث لم تبق منه عدا صومعته وبعض جدرانه بالحديقة العمومية ٠ كما ان الكنيسة الكاتوليكية الكائنة قرب قصر العمالة ـ على انقاض احد المساجد اسست ويقال انه ـ مسجد سعيد بن صالح ٠

وهذا المولى سليمان الملك العالم رحمة الله عليه عمد الى اليهود الذين كانوا يسكنون داخل المدينة ـ بالسوق التحتي ـ شارع القناصل ـ ونقلهم الى حيث هم ـ بالملاح ـ كما فعل ذلك بيهود النوأمة سلا ٠ وكانت زاوية مولاي العربي الدرقاوي الواقعة بالحي الذي كانوا يسكنونه ـ بالحرارين ـ بيعة لهم ـ مسجدا والى عهد قريب كان بسقفها فوهة ينظر اليهود منها « اضناي » « الله » في زعمهم ٠ وكان هذا سنة 1222 ـ 1840 م كما انه جدد عدة مساجد كمسجد المولى سليمان الذي كان اسمه قبل ـ مسجد السوق ـ وبعد التجديد اعطى اسم المجدد « المولى سليمان » قدس الله روحه ٠

اما الدار الواقعة بالمدرسة المسماة ـ مدرسة الاوداية ـ وكانت حقا مدرسة بحرية ملاحية يتكون منها البحارة المغاربة ٠

فمن تأسيس المولى اسماعيل : والطرى الذي يشاهد بها ليس بمرقب ولا مرصد وانما هو مرتفع يشرف منه الملك على الجهات بدل ان يشاهد من خارج ـ والسور المحاط بالدار هو من بناء الاسارى الذين كان منهم ـ مويط الفرنسي صاحب التاريخ في سيرتي المولى الرشيد والمولى اسماعيل ، ومويط هذا بقي اسيرا بسجن القصبة عشرة اعوام حتى اعانه على افتكاك نفسه احد رهبان فرنسا على مال ٠

وهكذا استمرت اصلاحات الدولة للمساجد والمصالح والمرافق والعناية بها اكثر من المتوقع ، فهذا المولى يوسف طيب الله ثراه يقوم باصلاح المسجد الاعظم الواقع قرب باب شالة ٠ والزيادة في صومعته نحو السبعة امتار ٠ كما اسس الليسي المنسوب اليه والمستشفى ٠

اما ابنه الصالح محمد الخامس قدس الله روحه فحدث عن البحر ولا حرج ، فمآثره تفتقر الى مجلدات واوقات لا تفي بها هذه اللحظة الخاطفة ٠

(*) ومن اسبانيا كان يطمح ويطمع في الاستيلاء على المغرب فبعث اليه احد عيونه واقام به نحو الثلاثة اشهر حضر فيها معلومات كتبت باللغة الفرنسية تمهيدا لخطته ٠

رباط الفتح

للأستاذ عبد الله الجراري

وإذا كان العمران سبق في الضفة اليمنى السلوية وكانت الضفة اليسرى فضاء واسعا ليس فيه الا القصبة كانت اوفق محل لتدبير الحركة السياسية والعسكرية الى الاندلس لقربها اولا من بغاز جبل طارق والثغور البحرية التي يعبر منها الغزاة الى الجزيرة وكان عددهم يبلغ ازيد من المائة الف 100 000 ، ولقتال البرغواطيين ثانيا ، ولتوسطها ثالثا بين مخلاتي الغرب والحوز لهذه الغاية ـ اختط عبد المومن : « المهدية » ـ وهي القصبة التي كان ينزلها اذا اراد ابرام امر وتجهيز جيش .

وكانت همة الموحدين تطمح الى اعادة عظمة عصر بني امية ـ من علوم وفنون وصنائع ـ خاصة منهم المنصور فقد اشتهر بحب العلم وجمع الكتب بل كان يتناقش مع ابن رشد الفيلسوف الشهير ، وظهر لعهده جمهرة من العلماء والشعراء والفلاسفة ـ وكان يختار لاقامة تلك الآثار وتشييدها مدينتي العدوتين ومراكش بهذه العدوة ، واشبيلية بتلك العدوة .

وشيد جامع حسان بربوة تشرف على مصب النهر المزين بمنارة المسجد الاعظم المضروب به المثل في الشموخ وروائع الصنعة والهندسة ، وقد نقش حول احدى نوافذه من جهة البحر ـ صورة سيفين عظيمين مصلتين ، رؤوسهما الى السماء ـ وفي تخصيص تلك الجهة بهاتين الصورتين ـ ارهاب للعدو المهاجم من البحر ، ورمز الى التهيؤ والاستعداد .

مدينة رباط الفتح ـ العاصمة اليوم ـ ابتدأ تأسيسها يوسف بن عبد المومن الموحدي ، وشيدها ابنه يعقوب المنصور ـ واعطيت لقب ـ رباط الفتح ـ تذكارا للفتح الاندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه ولانه بني لغرض الجهاد والفتح وبه فتح على الموحدين ـ لهذا فهو رباط الفتوحات والفاتحين ، ومعترك الجهاد والمجاهدين ، ومعبر العساكر والجنود ، ومركز تجهيز الجيوش ونشر البنود .

قال ابن الاثير : بنى يعقوب المنصور مدينة محاذية لسلا من احسن البلاد وانزهها ، ويقول ليون الافريقي في تاريخه : ان المنصور لما اختط رباط الفتح سنة 593 هـ ـ جعل عليها من امناء المصامدة من ينظر في امر نفقاتها وما يصلحها من الفرق الاحتياطية والقوات العسكرية ، ولم يزل العمل فيها مدة 15 سنة ، وكان يقطن بها نحو الستة اشهر في السنة ، وقد وضع تخطيطها على تصميم الاسكندرية المدينة المصرية الجميلة الواقعة على شاطئ المتوسط ، ومن رأى هذا الشاطئ يؤمن بالتشابه والتقارب الواقع بين الشاطئين طولا وجمالا . واتساعا ، وحسن تقسيم .

وللشاعر الفحل قائلا :

رباط الفتح مأوى الفاتحينا
بكعبته يطوف الناس حينا
هو البلد الامين ومن بناه
عظيم من ملوك المسلمينا
الى المنصور نسبته واعظم
به نسبا يزكي الناسبينا

ويتصل بهذه المدينة ـ بقايا آثار مدينة شالة العتيقة حيث هناك اضرحة اشهر ملوك بني مرين وبعض آثارهم ـ كالمدرسة والمسجد .

ويقال ان البناء الاول الموحدي كان يتصل بابنية شالة ، اذ كانت الدور والاسواق والمرافق وما اليها في طول مارة على ما يعرف اليوم بشارع القناصل ووقاصة خارقة المرتفع المتصل بالمنزه والمشرف على شالة الاثرية ـ المنزه الذي كانت على شرفاته قصور الموحدين ، ومن هذا المعنى اتته تسمية المنزه .

واذ ندم المؤسس المنصور على تأسيس المدينة ـ كندمه على غيرها ـ حيث شاهدها فارغة حين التأسيس . فها قد

معالم التشيّع
في أدب الدولة السعدية

للأستاذ : محمد بن تاويت

حينما تعرضنا فى تفسير « السبعية » فى شعر ابي حفص السلمي ، وقلنا بخطورتها ، لما قامت عليه من فكرة هذه « السبعية » عند الشيعة ، لم نرد بذلك أن أبا حفص كان يعتقد بها فى تفاصيلها ، بل لعله لم يكن قد اطلع على تلك التفاصيل قط ، والا لكان يربأ بنفسه عما ورد فى نهايتها بالذات ، وانما كانت فكرة السبعية ، ممثلة فى ذهن القوم على الجملة ، شأنها فى ذلك شأن باقي المبادىء التي نزحت الى المغرب ، فاستفاد منها الى حد ، او اعتقدها وعمل بها الى حد كذلك . فالتطرف في الافكار والاستماتة فى جوهريتها والاعتناق لها كمذهب مجرد يجب ان يدافع عنه ، في حد ذاته ، هذا ما لم يعرفه المغرب ، كما عرفه غيره فى المشرق على الخصوص .

نقول بهذا الحكم ولا نخص به عصرا من العصور ، فمن قبل اعتنق المغرب المسيحية قبل ان يعتنقها العالم الغربي ، ولكنه اعتنقها فى ظروف أملت عليه هذا الاعتناق وسرعان ما ودع هذه المسيحية بدون اسف على فراقها — كما قيل — لما رآها غير محققة لآماله ولا مخلصة لرقبته من نير الظلم والعدوان وربقة العبودية والطغيان ...

فلو كان اعتناقه هذا عميقا كل العمق ومتجردا كل التجرد ، غير ملائم فيه بينه وبين حيثياته الخاصة ، لوجدنا المغرب لا يختلف عن الشرق فى شيء ، لايختلف عن مصر او الشام او العراق مثلا ، فالاسلام لم يطارد دينا من الاديان ، بل أبقى عليها فى الشرق ، كما أبقى على المسيحية بالاندلس ، أو الموسوية بالمغرب نفسه ، فى قومها من بني اسرائيل ..

وعلى كل حال فان التشيع طرق المغرب فى عهد مبكر ، ووجد له صدى به ، واعتنقه القوم ، لما كان يحيط بهم من ظروف اجتماعية ثم تدخلت السياسة واستغلت هاته الظروف وعملت عملها ، الذي سجله التاريخ ..

اما الادب فانه لم يسجل لنا الا صفحات ، كانت أولاها تقرأ فى القرن الخامس ، وبتلك الهاشميات التي خلدها لنا ديوان ابن دراج وقد نظمها هذا فى امراء بني حمود الادارسة ، اصحاب سبتة وطنجة وبلاد الاندلس ، وخصوصا منهم علي بن حمود واخاه القاسم وابنه يحيى الملقب بالمعتلي

فهذه هي المرحلة الادبية الاولى ، التي تنفس فيها التشيع المعتدل ، تنفسا قصيرا ، ولكنها سرعان ما خفت صوته بقيام دولة المرابطين

وبسقوط هذه الدولة العتيدة وقيام الدولة الموحدية ، وجدنا التشيع يطل علينا ، فى قوة وتطرف الى حد ما واكثر مما كان عليه ايام بني حمود ، وفي مبادىء معقدة استغلتها الدولة استغلالا عظيما .

وبسقوط هذه الدولة وقيام دولة بني مرين ، لم يعد للتشيع ذكر ولا مناسبة يستغلها ، لان ذلك لم يكن فى صالح الدولة نفسها

فلما جاءت دولة الاشراف السعديين ، كانت حريصة كل الحرص أولا على بناء دعائمها على هذا الشرف ، فانساقت بذلك الى فكرة المهدي ، وهي فكرة عمل بها المهدي ابن تومرت الذي ادعى أنه من الأرومة النبوية .

ووقف الامر عند هذا الحد ، أو لم يسجل لنا الادب شيئا اكثر من هذا ، فلما كانت نوبة المنصور ، تعقد الامر ، وتدخلت فى تعقده عوامل سياسية عنيفة ، مواجهة للخطر الطوراني الذي كان يهدد الدولة فى كل حين ، فكان لابد من درء هذا الخطر بكل الوسائل التي كان منها هذا التشيع الذي ظهر متحفظا فى شعر الدولة ، وفى بعض نثرها ، كما ظهر فى تشجيعها للتاليف الذي يكتسي صبغة التشيع ..

والواقع ان الاتراك ، كانوا متضايقين من الصفويين الشيعة فى الشرق ، والسعديين العلويين فى الغرب ، وكان هؤلاء بدورهم يمدون يدهم نحو الشرق ، فيتصلون فى مصر بآل البكري ويبثون تجارهم فى الشام وحلب على الخصوص للدعاية لهم . أما الصفويون فقد وقعت في يدي لهم وثيقتان سنة 1949 يحاولون بهما ربط علاقتهم بالمغرب . ولعل

وعلى هذا السنن نرى نجله الحسن الثاني ايده الله يسير بخطى سريعة في سائر الميادين واصلاحها ماديا وروحيا ، ولو لم يكن من مآثره الخالدة الا تأسيس دار الحديث لكان وحده كافيا ، اما واعماله تترى وتتابع يوما بما لا يكاد يحصره العد ابقاه الله لتحقيق اماني وآمال شعبه الوفي .

ومما عرضناه يتضح ان الرباط منذ نشأ العرش المغربي وهو مركز الدول القومية والامراء الفاتحين ترابط فيه وتصدر منه اوامرها السياسية والعسكرية كقاعدة اساسية بالقصبة في عهد المرابطين ثم في عهد الموحدين ، وكذلك في عهد بني مرين وفي عهد السعديين وفي عهد دولتنا العلوية الشريفة اذ تركت كل دولة اثرا لها سواء بالقصبة او بالمدينة كالقصور الملكية والحصون الحربية والمراكز الادارية التي هي من لوازم الدولة المستقرة في عاصمة من العواصم .

وهذا ما يؤكد ان العدوتين التوأمتين ــ الرباط وسلا ــ كانتا مهيأتين لهذه الغاية ، وليس ذلك جديدا في تاريخهما .

ثم مما ادخرته الاقدار لرباط الفتح انه صم رفات ثلاثة ملوك من ملوك الدولة العلوية الماجدة ملوك يعتبرون واسطة عقد هذه الاسرة الكريمة سياسيا واداريا وعلميا .

محمد بن عبد الله ، والحسن الاول ومحمد الخامس ــ قدس الله ارواحهم ــ .

وهناك شخصيتين عاشت احداهما في العصر الموحدي ، والثانية معاصرة :

1) ابو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي القاضي العالم المحدث الشاعر الناثر يعد ثاني رجل تولى القضاء بالرباط في القرن السابع للرشيد الموحدي ولاخيه ابي الحسن ترجمه ابن الخطيب في الاحاطة وصاحب الجذوة ، وصرحا معا بقضائه على الرباط ، عرف بقوة الادراك والتضلع في العلوم حديثا وتاريخا واخبارا ــ مع التبريز في الاصلين ، غزير المعاني والمحاسن ، شفاف اللفظ حر المعنى .

من شعره مفتتحا به رسالة :

يا غائبا سلبتني الانس غيبته
فكيف صبري وقد كابدت بينهما

دعواي انك في قلبي فعارضها
شوقي اليك فكيف الجمع بينهما

فكرة وجيهة ومشكلة في ذات اللحظة توقع في الحيرة لا محالة ، حبيب في القلب وبه امتزج ، وانت تتوق اليه وتتشوق .

له تآليف وكتابات تنبىء عن مقدرته وكفاءته الثقافية ، وتعطينا في ذات الوقت صورة حية عن رجالات المغرب وعلماء عواصمه : كالرباط وسلا ،مما لا ينفك يهدينا بأجلي وضوح الى الامتداد المتسلسل الحلقات منذ القرن السابع الهجري ــ الثالث عشر الميلادي ــ الى عصرنا الماثل ــ القرن الرابع عشر ــ (القرن العشرين) حيث هناك افذاذ وافذاذ لا يقلون معرفة عن تلك البذور الاولى .

2) المحدث الواعية الحافظ المحاضر الشريف محمد المدني بن الحسني الحسني الرباطي الذي قد لا نحتاج لتقديمه بأكثر من هذه التحلية ما دام الكل يعرفه شباب وكهول وشيوخ .

ومن ميميته التاريخية ، والموجهة للشباب في نهضته الاولى قوله .

ويعقوب ذو رباط الفتح لما
تمادى المعتدون في الانتقام
فكان جوابه ما قد رأوه
من البطش القوي المستدام
وقد سالت بطاح الارض طرا
بنبال وسياف ورام
وصب على الاعادي في البوادي
سياطا من عذاب كالضرام

وكم لهاتين الشخصيتين البارزتين ماضيا وحاضرا في عالم المعرفة من امثال وامثال .

الرباط : عبد الله الجراري

أبو حامد المكي البيطاوري وأثره في ميداني العلم والأدب:

للأستاذ: مصطفى الغرباوي

ان من الرجالات الافذاذ ذوي المواهب النادرة والذكاء الوقاد، الذي احتل الصدارة العلمية وتسنم المكانة الادبية وتربع كرسي مشيخة جماعة الرباط بحق بعد وفاة استاذه وعمدته وسنده العلامة ابي اسحاق ابراهيم التادلي، والذي لا يمكن لتاريخنا العلمي والادبي المعاصر ان يتجاهله لانتاجه الجم الفوائد، المتعدد الطرائف، المختلف الالوان، ولا ان يتناسى دوره الكبير الهام الذي قام به في سبيل بث العلم ونشره على اختلاف فنونه بين صفوف طلبة مدينة الرباط اوائل القرن الحالي — الحجة المشارك الاديب الكبير النابغة ابا حامد المكي البطاوري، فلقد استطاع لقوة عارضه، وسر شخصيته، المعززتين باطلاعه الوسيع ان يحدث تغييرا كبيرا ملموسا في سير التدريس بهذه المدينة لاسلوبه الساحر الجذاب، المتصف بالسلاسة والوضوح، الممزوج بسلامة الذوق وخفة الروح، امكنه به ان يكسب لمجالسه نخبة الطلبة كي يكون منها طبقة ممتازة من العلماء الكبار، والادباء النقاد، والشعراء الفحول، نبغت في جميع العلوم المتداولة في عصره من منقول ومعقول وفروع واصول حتى صارت تضاهي، لتمكنها الوثيق وتضلعها المتين، خريجي جامعتي القرويين واليوسفية المبرزين، وتفوقت في سائر الميادين العلمية والتاريخية والادبية، وارتقت في افق معالي العرفان بعقول نيرة ناضجة تغترف من ينابيعه باقتدار وكفاءة لتنتج لنا تراثا قيما في شتى الفنون ومؤلفات ذات اهمية تنم عن سمو مستوى اصحابها ودواوين شعرية تزخر بكثير من الشعر الجيد ذي الطابع القومي الاسلامي تشهد بما لمترجمنا العظيم من اياد بيضاء خالدة واثر عميق لا يستطيع ان يتنكر له الخصم فما بالك بالمنصف في خلق هذه النخبة التي تعد — دون ريب — احدى الطلائع الاولى لنهضتنا العلمية والادبية بهذا البلد، امثال المدني ابن الحسني، ومحمد بن عبد السلام السائح، ومحمد بن علي دينية، والتهامي الغربي، واحمد بن جلون، ومحمد الرندى واحمد الزبدي، ومحمد ملين، والجيلالي صندال، والصديق العوفير، والطاهر الرجراجي، ومحمد بوجندار، واحمد الزعيمي، والفاطمي الغربي، ومحمد الناصري، ومحمد الجزولي وابي بكر بناني، وغيرهم كثير ممن لم تحضرني الان اسماؤهم والذي كان لبعضهم — كما يسجل التاريخ — جولات مشكورة محمودة في صد جماح الدعاة المشعوذين، والضرب على ايدي ادعياء الصوفية المغفلين ورفع راية الاصلاح للقضاء على التقاليد والخرافات الزائفة من المجتمع بشعرهم ونثرهم والمشاركة الايجابية في غرس بذور صالحة من انواع القول الممتاز بالوعي الوطني ازهرت وايعنت فصائلها في حظائر الشباب، واثمرت فروعها بانتاج وفير في حقول عامة الشعب، كما انه بفضل جهود مترجمنا ومساهمة ثلة من معاصريه الاماثل تكونت بهذه المدينة في هذه الفترة وبعدها بيئة علمية محترمة تطفح بالنشاط والحيوية الكاملة وتزدهر مجالسها العامرة بافواج من الطلبة المعطشين — صباح مساء — للارتواء من مناهلها العذبة المحيية، تعززت وتقوت وتدعمت بها حركتنا العلمية والادبية — اذذاك — بالمدن الاخرى ذات المدارس الشهيرة والمعاهد الكبرى .

هذا واني اقدم لقارئي العزيز كلمات تصف استاذنا الكبير في حلقة دروسه نقلا عن احد تلاميذه النجباء محمد بوجندار في كتابه « تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط » وهي قوله : « فلقد تفرد بدماثة الاخلاق ولين العريكة وطلاقة الوجه وخفض الجناح للمستفيد مع ما اوتيه من حسن الالقاء واتقان اسلوب التعاليم وسعة الاملاء والحفظ وقوة الادراك والفهم الى ما حلي به من حلية البيان والايجاز البالغين حد الاعجاز ورشاقة العبارة الحائزة من النسيم لطافته ومن الشهد حلاوته ومن الماء سلاسته »

نعم، فوصف مترجمنا بسعة الاملاء والحفظ وحسن الالقاء ورشاقة العبارة كان لا يقتصر على مجالسه الخاصة بين طلبته فحسب، بل تجلى باكمل من هذا وامثل وابلغ في المحافل العامة التي كانت تضم كبار العلماء وشيوخ الامة — كما شهد الجميع في دروسه الحديثية باعتبار انها كانت — دائما — تتسم ببلاغة الالقاء وجودة التعبير وروعة البيان مع حسن الاختيار، تلك الدروس التي كان يلقيها في المجالس الحفيظية امام نخبة من علماء العدوتين وبعض علماء شنجيط الذين كانوا — حينذاك — بالرباط في ركاب المولى عبد الحفيظ لما كلف باعطائها سنة سنة (1330 هـ — 1912 م) مناوبة يوما بيوم مع قاضي سلا الفقيه ابي الحسن علي عواد فكان محل اعجاب ودهشة واحترام زائد من حاضريها لما ظهر عليه من كثرة الاستحضار وغزارة الاطلاع

تشاط « انطوني شرلي » بعيد وفاة المنصور ، فى هذا ، كانت له سوابق فيما مضى ...

نعم . وجدنا احمد المنصور ، العالم المجدد ، يثيب على احياء التشيع بالتاليف ، ويجيز سعيد الماغوسي بالآلاف من أوق الذهب الابريز ، ويجري عليه الجرايات السنية ، لانه شرح كتاب « درر السمط في مناقب السبط » لابن الأبار ، الذي نعي عليه فيه انه « كتاب تشتم منه رائحة التشيع » كما قال ابن الاحمر وغيره ...

اما النصوص الادبية فهي طافحة بهذه الكلمات المعروفة عند الشيعة ، من مثل السبط والوارث والوصي وابن البتول (1) وما الى هذه الكلمات التي وجدناها تروج فى اشعار رجال الدولة من كتاب وقواد وغيرهم ، كما وردت فيها وفى غيرها عبارة تومىء الى مباديء الشيعة فى بعض الاحيان ، وقد تحتج لتلك المباديء التي تتصل بالخلافة على الخصوص

فمن ذلك شعر وزير الدولة الكاتب ابي فارس عبد العزيز الفشتالي الذي يقول فى احدى مولدياته :

هذا الذي يجبي البلاد بعدله
ويعيدها نشرا وكن رماما
هذا الذي وعد الاله بأنه
يطوي البلاد ويفتح الاهراما

ويقول في احداى مدائحه للمنصور :

يروى عن المنصور فيه محمد
ما اسندته الى الوصي مناسب

ويقول في مدحه لولي عهده محمد الشيخ :

فاني بكم آل الوصي لفي حمى
يعز على الشعرى تسنمه رقيا

ويقول ايضا :

يحكي عن المنصور في عزماته
وعن الوصي أبيه في « صفين »

ومما كتبه هذا الوزير على قبر المهدي قوله :

... « وملأ الارض عدلا وطهرها من ادناس الجور »

وهذه لاشك ايماءة الى فكرة المهدي عند الشيعة

ومن هذا ما ورد فى شعر شيخ الجماعة عبد الواحد بن احمد الشريف ، من قصيدة له مولدية :

ياتاج رسل الله يا قطب الهدى
كادت تذوب لبينك الاعضاء
لكن دنو سبطك المنصور قد
زال العناء به وزال الداء
كل الملوك سواءه يخشى الوغى
والحرب وهو تخافه الهيجاء
فلو انه في « كربلاء » شاهد
ما عم فيها المسلمين بلاء

ومنه ما ورد في شعر الكاتب ابي عبد الله بن علي الهزوالي من احدى مدائحه للمنصور :

الى الملك الشهم الذي لقحت به
لقاح الحروب بكرها وعوانها
الى ابن البتول المجتبى من نجارها
وفرع العلا المعتام من خيراتها

ومنه ما ورد فى شعر الكاتب الحسن المسفيوي من احدى مدائحه للمنصور :

يقر بك المهدي عينا وقبله الـ
ـوصي بما اعقبت من طيب الذكر
بمن لو رمى « صفين » يوم جلاده
لحلت بجيش الشام فاقرة الظهر

ويقول في مرثية لبعض اولاد المنصور :

تناول شلوه رضوان كيما
يؤديه الى مهدى البتول

ويذكر له هذا البيت ، الوارد فى قصيدة يمدح بها المنصور :

لا بد من انجاز ما في الغيب من
ابراز موعود به ومدخر

ينسب له هذه القصيدة الفشتالي في مناهله ، وينسبها المقري للقائد ابي الحسن الشياظمي فى روضته . وابو الحسن هذا قد افصح تمام الافصاح عن الفكرة الشيعية فى الامامة او الخلافة ، وذلك اذ يقول من قصيدة له ميلادية :

ان الخلافة في ذؤابة هاشم
لا يعدها للغير قول وفاق
لهم الأحق ومن عداهم معتد
فلهم وراثتها بالاستحقاق
اصل رسا في المكرمات ونسبة
علوية في منتهى الاغراق

وهكذا فان أصداء التشيع كانت تتردد فى جنبات الدولة برجالها ، اما من عداهم من ادباء وغيرهم فلم نسمع لهم في ذلك ركزا ...

محمد بن تاويت

---

1) لاشك ان وصف فاطمة بالبتول مما يصلها بمريم ابنة عمران ، وقد قال لي استاذي الدكتور ابراهيم امين ، انه لما زار ايران وتردد على مساجدها ، كانت تواجهه لوحات فنية مؤثرة تمثل مصرع الحسين ، بمثل ما تمثل هذه اللوحات فى الكنائس تصليب المسيح ، كما يزعمون ...

لريش المستعرب الشهير ومساعدة الفقيه الجيلالي صندال احد تلاميذ مترجمنا مذكور في آخرها « وكان تمام تقييده بعد العشاء الاخيرة من يوم السبت عشر شهر رمضان المعظم عام تسعة وتسعين ومائتين والف في محروسة ثغر طنجة كلأه الله » فيظهر من هذا التاريخ ويلوح من مفهومه انه كان يقضي اوقات فراغه طول المدة التي قضاها بهذه المدينة وقبلها ايام بدايته في الطلب بالمقاصد الادبية وما تقتضيه من العلوم العربية كما نص على ذلك في مقدمة هذا الكتاب حيث قال « فلما من الله سبحانه علي واتم نعمته لدي بافضل النعم بعد الايمان به ، وهو النظر في العلم الذي لا مرية في جلالة منصبه ، اذ به يحصل التمييز بين افراد النوع الانساني ، ويدرك به من خير الدارين غاية الاماني ، كان من جملة ما تعاطيته نبذة من العلوم العربية وبعض المقاصد الادبية اذ هو من الوسائل التي لا غنى لطالب العلم عنها ولا محيد له عن التزود منها » حقا في هذه النصيحة التي تدعو لتكوين الطالب تكوينا ذاتيا فهي — كما يقول — مترجمنا المعلم المرشد لا يمكن لاي طالب في فن من الفنون الغنى عن الادب والعزوف عن الاهتمامات بمواضعه او الزهد في تعاطيه ولا محيد له عنه اثناء دراسته لخروجه من النطاق المحلي لتقبل المعارف على اختلاف المشارب وتباين المصادر ، فهو الوسيلة الكبرى والمفتاح الوحيد والعين النقادة لمن اراد ان يقتحم كنوزها ويقوى على امتلاك الجيد منها ويستطيع ان يتغلب على نبذ التافه منها والزائف ، وبها تتفتح المدارك وتتفتق الاذهان وتجود الاقلام للتعبير عن مضامين البيان ، وبفضلها تنتشر اعوص مسائل العلوم وتهضمها ابطأ الفهوم وتروج بين عامة المثقفين وانصاف المتعلمين .

ولما انقضت مهمته التي انيط به عملها لدى النائب المفوض بمدينة طنجة قفل لمدينة الرباط مقر نشأته واستقر بها مدة ثم بعدها اتخذ رحلة للمدن المغربية ذات المعاهد العلمية — استكمالا لما استفاده واعتبر به من رحلاته السابقة — زار مراكش وفاس ومكناس ، فاجتمع مع علمائها واستجاز بعض شيوخها ، وفي سنة (1304 — 1886 م) رغب ان يتم مقاصده في رحلته لبعض بلدان الشرق العربي وان يجعل مسعاه الاول اداء فريضة الحج فذهب اولا الى الاصقاع الحجازية فاتصل باهل العلم فيها واخذ عنهم واستجازهم ثم بعد ذلك رحل للبلاد المصرية فزار القاهرة والاسكندرية واجتمع برجالاتهما وتعرف بالمعالم والمآثر والمعاهد، وتطلع على نهضتها العلمية وحركتها التقدمية العمرانية ثم رجع لبلده مزودا بكل جيد من الطريف والتليد ومسلحا بما يغنيه ويزيد في معناه من كل معلوم مفيد ، ليتصدر التدريس ويتفرغ للتأليف ، وينقطع لبث العلم ونشره ، ولقد كانت رحلاته للشرق والغرب اثرا عميقا في نفسه وعاملا قويا في تفتح ذهنه واتساع مداركه وتحرره من الجمود الداعي للنفور من تقبل المعارف الحديثة ، فاعتاد مطالعة الصحف السياسية والمجلات العلمية وغيرها كما جعل ديدنه مطالعة الكتب العصرية ذات الجودة والمتانة على اختلاف فنونها واعطاها قيمتها واهميتها من بين كتبه الصفراء يعلق عليها ويلاحظ ، فلقد عثرت على نسخة كان يملكها — من كتاب « كنز العلوم واللغة » لفريد وجدي عليها تعاليق في هامشها بخط يده ، انقل لقارئي العزيز منها ثلاثة تعاليق تعطيه صورة مقربة لثقافة المترجم المتنوعة ، اولها تتعلق بتاريخ المغرب في العصر العلوي ، ففي مادة « الجزائر » ذكر وجدي ان سلطان المغرب اتحد مع الفرنسيين على محاربة الامير عبد القادر وصده عن الالتجاء الى الصحراء فاضطر الامير للتسليم وكان ذلك سنة (1848 م) فرد عليه بقوله لم يتحد معهم وانما ارتكب اخف الضررين هو عدم السماح للامير بالدخول للبلاد حفظا عليها لعدم وجود قوة كافية بها اذ ذاك ، وثانيها تدل على تشبته في تاريخ رجالات صدر الاسلام ، ففي مادة (ابن عمر) ذكر ان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما توفي سنة 63 هـ « فرد عليه بقوله فيه نظرا لانه ثبت في الصحاح ان ابن عمر بايع عبد الملك بن مروان والتاريخ المذكور هو زمن يزيد بن معاوية ، وثالثها تتعلق بالتحليل الكيماوي وللعناصر المركبة منها المعادن ففي مادة « الكيمياء » ذكر وجدي « ان الذهب معدن بسيط غير مركب لم توجد آلة ولا واسطة للآن لتحليله حتى تعلم مركباته فكيف يمكن تركيبه بل كيف يمكن تركيب ما لا تعلم اجزاؤه المركبة له » فرد عليه بقوله فيه نظر لان الحكماء اطبقوا على ان الحيوان والنبات والمعدن كلها مركبة ويسمونها المركبات الثلاثة في مقابلة البسائط التي هي العناصر الاربعة النار والهواء والماء والتراب ، فمن هذه تتركب تلك فالذهب معدن مركب قطعا وقصارى الامر انه لم يدرك تحليله ؟ !

واخيرا لست اخفي على القاريء الكريم ما لا استطيع انكاره ، او يمكن للتاريخ ان يسمح للمباحث باهماله ، ولا اراه يصح للفائدة المرغوبة من كتابة التراجم اغفاله ، وهو ان ترجمة استاذ جيل ماضينا القريب وشيخ جماعة علمائه بمدينة الرباط تنقصها عدة جوانب عدلت عن افادتك بها — الآن — اضطرارا واستيفاء لعناصر البحث ريثما اتمكن من معلومات زائدة كافية عنها تنير الي السبيل وتعد ما يعوق الوصول الى المقصد منها بنزاهة وموضوعية كقضية ولايته شئون القضاء بالرباط سنوات تبتديء من سنة (1323 هـ — 1906 م) وتنتهي عام (1332 هـ 1914 م) وابتلائه فيه ، ومنها تقديم صور دراسية وارتسامات استطلاعية عن جلساته الادبية والعلمية في بيته وغيره التي كانت تمتليء بنخبة تلاميذه وصفوة من اهل العلم والفضل ، وما وقع فيها من مطارحات ومساجلات ومناظرات في النقد الحصيف والادب العالي شعرا او نثرا مما يزري ويفوق كثيرا من «الاسمار والاحاديث » المعروفة عن الاوساط العربية الادبية المعاصرة ،

وموعدي معك بحول الله وعونه في ترجمته المفصلة ضمن مجموعة « رواد النهضة في العالم العربي » .

الرباط : مصطفى الغربي

وقوة الملكة وجمال سبك الكلمات ، وهو نفسه قد احس بهذا التقدير الذي كان يغمر المجلس وشعر بسحائب الارتياح تموج فيجوه وتملأه بثايات الثناء والتبجيل حيث عبر عن ذلك في كتابه « الدروس الحديثة في المجالس الحفيظية بقوله » حتى ظهر للحاضرين ما لم اكن اعهده من نفسي واستحضرت كل ما اطلعته وحصلت فتوحات زائدة حالة التقرير ، وكأن ذلك كان يجري على لساني على سبيل البديهة حتى ان بعض شيوخي ممن كان يحضر المجلس بعد فراغي يقوم الي ويقبل ما بين عيني » :

ودراينه واتقانه لاسلوب التعليم كان ذلك معروفا ايضا في الاوساط الخاصة العالية ، فقد كلفه الخليفة المولى رشيد بن الملك عبد الرحمان لتعليم اولاده كما انتدبه لهذه الغاية الملك الهمام الحسن الاول في تربية بعض انجاله بقبيلة امزاب ، وكان في حياته التدريسية الخاصة والعامة شغوفا بالاطلاع دؤوبا على المراجعة والتحقيق منكبا على عيون الامهات والمراجع والمصادر العليا يظهر اثر ذلك جليا للمستفيد في مجالسه المفعمة بغزير من المعلومات وكثير من الطرائف والنكات الحلوة والفاكهات المحببة الطافحة بها كتب القدماء شعرية ونثرية التي — لا تخل بمقام هذه المجالس التي كان — دائما يسودها الوقار والهيبة ويحوط زواياها الهدوء التام فلا تسمع من احاديث القوم الا همسا ولا ترى امامك الا اعناقهم مشرئبة لوجهة الاستاذ الكبير باعين محدقة وآذان مصغية لا تتسع انظارهم للداخل والخارج متربصين بتطلع لما يلقيه عليهم من درر الفوائد وغرر الشوارد ، وقد حكي لي عدد من تلاميذه انهم لما كانوا يدخلون لمجلسه يشعرون بحلة خاصة تكتسيه من الروعة والاحترام للمكانة العلمية التي كان يتمتع بها من حاضريه ، ولقوة شخصيته وسر جاذبيته — علاوة على ما كان يتخلل هذه الدروس من نوادر الامثال والنظائر في الحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ والادب وغيرها من المواضيع التي كان يهتم بها الطلبة آنذاك ، وعزز هذه الحياة المليئة العريضة وقوى مكانتها وخلد ذكرها بالتأليف فترك ما يربو على ستين مؤلفا جلها تام ترمي محتوياتها لهذه الفنون ، كما خلف ركاما جيدا من صحف عديدة تشمل على قصائد وازجال وموشحات وفوائد علمية ورسائل متنوعة يجب ان تجمع وتنسق وتدرس دراسة تحليلية متأنية لكي تتضح شخصية مترجمنا في مظهرها المنير القوي باوضح واجلى مما ابنته ، وتبرز جوانبها الثقافية المختلفة باكمل واعلى مما اجزته في هذه العجالة ، ولا بأس من ايراد اسماء بعض مؤلفاته هنا كأمثلة لقارئي العزيز عن انتاجه القيم وهي : « الازهار المهصورة من رياض المقصورة » « مقصورة المكودي » « منح الاوطار من نفح العطار » « رائية حسن العطار » « لمحات المزية من نفحات الهمزية » « همزية البوصيري » « هامية الطرب في شرح لامية العرب » « شافية الدجم في شرح لامية العجم » « الاستعداد بقصيدة بانت سعاد » «الحلل المجوهرة على الجوهرة» « جوهرة اللقاني » « معراج الراقي على الفية العراقي في المصطلح » « منح المنية في شرح الكنية » « شرح رسالة الوضع» « شرح الجمل للمجراد » « شرح صغرى السنوسي » « شرح البيقونية في مصطلح الحديث » « شرح حزب الفلاح للجزولي » « حكم الموطأ » « نظم في علم العروض وشرحه » ، الى غير ذلك من المؤلفات الدالة على مشاركته في جميع الفنون الرائجة في بيئته العلمية ، والمهتم بها في اوساط الطلبة والمعنى بها للتحصيل والتخريج في عصره .

ولقد تقلد مترجمنا الكبير عدة وظائف مخزنية وغيرها في مراحله الاولى من حياته الحافلة كان لها تأثير عميق ومدى بعيد في مجالاته ومسالكه وتطوره وتفتح ذهنه اكسبه حنكة ودربة ، اعظمها اثرا في نفسه واكثرها مفعولا خدمته ككاتب خاص لممثل الحكومة المغربية امام سفراء الدول الاجنبية بطنجة ونائب الملك المفوض بها السيد محمد بركاش ، فلقد قضى في هذا الوظيف نحو العشر سنين تبتديء من سنة (1290 هـ — 1872م) تجول خلالها ببعض البلدان الاوربية كاسبانيا ، ذهب اليها رفقة النائب للمؤتمر الدولي المنعقد بمدريد سنة (1297 هـ — 1880 م) وزار ايضا فرنسا واقام بباريز ما يزيد على الثلاثة اشهر تعرف على معالمها ومآثرها العظيمة ومصانعها العلمية كما سافر للبلاد الانجليزية ، وبطبيعة الحال اكتسب من هذه الزيارات معارف جديدة لم تكن له معهودة ، واستفاد منها عادات غريبة لم تكن لديه مألوفة عن العالم المتمدن ، ولا شك انه اغتنم فرصا ثمينة من رحلته لزيادة معلوماته عن ساسة هذه البلاد وملوكها — عن كثب — الطامحين في تأسيس الامبراطوريات والطامعين اذ ذاك — بنهم وشره في التوسع والاستعمار ، واطلع على اشتداد تآمرهم على وطنه وقوة تنافسهم — وقتذاك — في احتلاله بدعوى المساعدة التمدنية للقضاء على اسباب التخلف وارجاع الامن لربوع البلاد والعمل على تقديم الشعب في طليعة الركب المدني كما زعموا :

اجل وفي هذه الفترة التي قضاها بمدينة طنجة في اوج شبابه ومبدا زهرة عمره الذي كان يطل فيها على كهولة ناضجة واعية — يعتبر — مرحلة فاصلة غنية مثمرة عن مراحله الاولى من حياته حيث لم تدعه نفسه الطموحة ان تكون هذه الحياة رتيبة جامدة مقتصرة على تحبير المكاتب وتدبيج الرسائل بصورة مهنية بل انغمر في عالم الادب واندفع اليه بوازع ذاتي تقوده رغبة ملحة وشوق الى مطالعة عيون كتبه واجود دواوين شعره ، وحبب اليه بصفة خاصة من دنيا البيان قافية ابن الونان ، فاشتغل بها وعلق عليها وجعلها كمحور يدور حول اختيارات مطالعته الادبية فانتج لنا بهذا العمل كتابا ظريفا طريفا ممتعا يكتنز اقتطافات ولقطات مفيدة من الادب والتاريخ واللغة وغيرها اسماه « اقتطاف زهرات الافنان من دوحة قافية ابن الونان » وفي نسخة منه بخط السيد محمد بن محمد الجندوز مؤرخة النسخ بسنة 1315 هـ عليها تصحيحات بقلم القنصل الفرنسي

ترك ابن البناء عدة مؤلفات ترجم بعضها الى اللغات العالمية الحية ، مثل الافرنسية والايطالية والاسبانية ، وقد ابلغ الاستاذ روثو الذي كان يدرس بمعهد الدراسات المغربية العليا (كلية الآداب) في مقال نشر بمجلة هذا المعهد ، مؤلفاته الى اثنين وثمانين في التفسير والاصول والمنطق والفقه والفلك والعربية والحساب والرياضيات وغيرها من فنون المعقول والمنقول .

والنقد الادبي وعلوم الهيئة والحساب والهندسة والجبر وهاته هي التي كانت دليلا واضحا على عبقرينه وسعة علمه وذكائه النادر المثال ولفتت اليه انظار المستشرقين وعلماء التاريخ باوربا فتهافتوا عليها شرحا وتعليقا وتبسيطا ونقلا الى كثير من اللغات الحية ، وقد نقل المستشرق الاستاذ «ماري» في مجلة ايطالية سنة 1864 م كتابه المعنون بتلخيص اعمال الحساب الذي تناول فيها بحث هذا العلم بكيفية مبسطة وبيان القواعد التي يجب ان يعتمد عليها الراغبون في تحصيله ، كما نقل الى الفرنسية طرفا منه بشرح القاصادي الدكتور «فوبكي» ونشره بالمجلة الاسيوية سنة 1863 م وان السيد « رينو » الاستاذ بمعهد الدراسات العليا بالمغرب قد ترجم رسالته في الانواء سنة 1938 م حينما كان استاذا بالمعهد المذكور .

لقد نوه بغزارة علم ابن البناء ولا سيما في المعقولات كثير من جهابذة العلم والمعرفة ممن كانت لهم صلة به او بكتبه وممن كانت تجمعهم دروسه الحافلة في مراكش وفاس وغيرها من المدن المغربية .

فقال عنه احد تلاميذه العلامة الجيسوبي عبد الرحمان اللجائي .

« حين كنت اقرأ عليه بمدرسة العطارين من مدينة فاس امنها الله تعالى كان شيخا وقورا قوي العقل مهذبا فاضلا ، حسن الهيئة معتدل القامة ابيض اللون ، يلبس الثياب الرفيعة وياكل المآكل الطيبة ، ولا يمر بموضع الا ويسلم على من لقيه ، ما رآه احد وتحدث معه الا انصرف عنه راضيا ، وكان محبوبا عند العلماء والصلحاء ، حريصا على افادة الناس بما عنده ، وكان قليل الكلام جدا ، لا يتكلم بهذر ولا بما يكون خارجا عن مسائل العلم ، وكان اذا حضر في مجلس وتكلم سكت لكلامه جميع من فيه ، وكان محققا في كلامه قليل الخطافية » .

تدل هذه الاوصاف كلها على عقيدة سامية وتقوى بالغة وايمان قوي بالله وتمسك عظيم بالاسلام وعملا بما يشير اليه القرآن الكريم من ان التقوى تفتح آفاقا بعيدة في العلم والمعرفة « واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » صدق الله العظيم .

اما علامة عصره ابن خلدون فقد قال عنه في مقدمته ما يفيد تقديره والاعتراف بفضله على علماء الشرق والغرب ، ومما جاء في قوله « ولابن البناء المراكشي في علم الحساب تلخيص ضابط لاعماله مفيد ، ثم شرحه بكتاب سماه « رفع الحجاب » وهو مستغلق على المبتدىء بما فيه من البراهين الوثيقة المباني ، وهو كتاب جليل ادركنا المشيخة تعظمه » ولم يقصر كذلك ابن حجر في الدرر الكامنة حيث قال بعد ان ترجم له « وكان ابن البناء فاضلا عاقلا بيها انتفع به جماعات في التعليم ، وكان يشتغل من بعده صلاة الصبح الى قرب الزوال مدة الى ان كان في سنة تسع وتسعين وستمائة هـ فخرج الى صلاة الجمعة في يوم ريح وغبار وتأذى بذلك واصابه يبس في دماغه ، ولعل هاته المدة سنة كما قدرها كثير من المؤرخين له وزادوا فذكروا قصصا كثيرة عنه رووها عن تلاميذه والمقربين اليه ومنها انه امتنع عن اكل كل ما فيه روح وصار يكاشف كل داخل عليه بما هو فيه ويخبره ببعض المغيبات ويستعمل الاشكال الهندسية والحساب في امور غريبة ، ومنها انه استعمل احد الاشكال ضد شرطي عدا على بعض خدمه فلم يتم كتابته حتى خر الشرطي صريعا ، اما الامام ابن رشيد الفهري فقد ذكر انه لم يعترف الا بعالمين هما : ابن البنا العددي وابن الشاط السبتي ، حيث قال « لم ار بالمغرب الا رجلين ابن البناء العددي بمراكش وابن الشاط بسبتة » .

هذه هي ترجمة ابن البناء المراكشي وهذه شخصيته الذاتية والعلمية ، وهي شخصية فذة نادرة الوجود ولها فضل معترف به على العالم اجمع في علوم الرياضيات ولذلك استحق التنويه من لدن علماء الشرق والغرب واستحقت كتبه ان تكون مثار تعليقات ضافية من لدن بعض المجلات العلمية في الغرب والشرق وعند بعض المستشرقين الذين ارادوا الاخلاص للعلم والانسانية جمعاء .

ولكن نرى من اللازم ان نصحح خطأ وقع فيه احد علماء الشرق العربي وهو الاستاذ قدري حافظ طوقان ، اذ كتب في احد اعداد مجلة الرسالة المصرية سنة 1938 م بحثا عنه ذكر فيه ان ولادته كانت بغرناطة الاندلسية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، ونحن نرى ان جميع من ترجموا له سواء من المشارقة او المغاربة لم يتعدوا الاخبار بانه ولد بمراكش وان داره لا زالت مشهورة بحي « ابن ناهض » وانه توفي بها سنة 721 هـ ــ في غشت 1321 م واظن ان هذا الخطأ ناشيء عن عدم توفر الخزانة العربية بالشرق عن الكثير من المصادر المغربية ولا سيما منها ما يتعلق بعلماء عباقرة امثال ابن البناء ، وان بعض العلماء من اخواننا يعتمدون على مصادر اجنبية تشوه الواقع وتسعى للتنقيص من حضارة المغرب وعلمه لتبقى الهوة سحيقة بين العرب ، والحقيقة ان الاستاذ قدري حافظ طوقان من علماء الشرق العربي المشهود لهم بالتفوق ، وضلاعته العلمية لا تخفى علينا ونحن نعذره لان الكمال لله سبحانه وتعالى .

الرباط ــ محمد بن ادريس العلمي

ابن البناء المراكشي

للأستاذ محمد بن ادريس العلمي

عرف العصر المريني فيما عرف من ازدهار ملموس في العلم والادب تفوقا كبيرا في ميدان العلوم والرياضيات وعلى عهد المرينيين استكمل المغرب شخصيته العلمية وتفوق ابناؤه حتى على اخوانهم العرب في الشرق في هذا المضمار ، واذا كـان المرابطون قد برزوا في علوم التشريع والفقه والجدليات والفلسفة الاسلامية ، والموحدون قد احدثوا واكتشفوا واتوا بكل جديد وطريف في علوم الطب والحكمة وفلسفة الكون وعلـوم الحياة بصفة عامة ، فان المرينيين قد اضافوا الى كل ذلك تفوقا آخر في ميدان علم الاحياء والفيزياء والكيمياء والرياضيات ، وبذلك تمكن المغرب من اظهار شخصية علمية لم يشاركه فيها غيره من ابناء الامم الاخرى سواء في الشرق او في الغرب ، وظهر على مسرح الحياة العلمية عباقرة خالدون امثال ابن خلدون واللجائي وابن البناء السعدي الذي هو موضوع هذا الحديث .

كان اليوم التاسع والعشرون من شهر دجنبر 1256 م يوما عظيما بمراكش الحمراء حيث ولد علم من اعلام المغرب المثار اليهم بالبنان وهو ابو العباس احمد بن محمد بن الازدي احدى القبائل القحطانية التي كانت تسكن اليمن وما جاورها من جنوب شبه الجزيرة العربية ، واليهم ينسب الانصار الذين تبوأوا الدار والايمان وآووا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروه لما هاجر اليهم بالمدينة المنورة ، ولقب ابن البناء بهذا اللقب لان جده كان يمتهن هذه الحرفة ، وكم من علماء اجلة كانوا ابناء لمحترفين وفقراء وبذلك تصدق الحكمة النبوية « لولا ابناء الفقراء لضاع العلم » ولقب ابن البناء ايضا بالعددي نسبة الى العدد اي الحساب لتكريسه القسط الاكبر من حياته لخدمة هذا العلم وقيامه بتأليف كثير من الكتب فيه ، واستنباطه للقواعد والطرق التي لم يسبق اليها ، ولا زالت معتمدة اليوم في مدارس وكليـات العالـم في الشرق والغرب .

تعلم ابن البناء على الطريقة المغربية ، حيث ادخله والده الكتاب فحفظ القرآن وبعض المتون التي تسمى بالامهات في النحو والصرف والبلاغة والادب والفقه والاصول ، وبرع في فهمهـا بعد دراستها على عدة شيوخ اجلة وكرس جهوده على الاخص لخدمة علوم الحساب والهندسة والتوقيت والهيئة والجبر والطب ولكنه في الحقيقة لم يترك بابا من ابواب العلم الا وطرقه ، شانه في ذلك شان علماء عصره حيث كانت المشاركة عندهم في العلوم تبدا قبل مرحلة التخصص ولا يعتبـرون كل من يقتصـر على علـوم قليلـة .

وقد اكسبـه اشتغالـه بالرياضيـات والهيئـة والتوقيـت شهرة عالميـة فائقـة وحظـوة عنـد روساء دولته واعلامهـا الكبار الامر الذي جعله مناط املهم ومحل تقديرهم واعجابهـم فكانوا يستدعونـه المرة تلـو المرة الى فاس لالقـاء دروس في الحساب والهندسة والجبر والتوقيت يحضرها بالاضافة الى علماء الامـة روساؤهـا وكبارهـا تشجيعا للعلـم والعلمـاء واعطاء المثال لشعبهم ليهتم هو كذلـك بهاته الناحية المهمـة من حضارتـه وحياتـه .

درس ابن البناء على عدة اساتذة مرموقين في مراكش وفاس اللتين كانتا حاضرتـي العلم والمعرفـة في ذلك العهـد فاخذ بمراكش علوم العربية عن الاساتـذة القاضـي الشريف وابي اسحـاق الصنهاجـي المعـروف بالعطـار والعـروض والفرائض عن ابي بكر القاوس الملقب بالفار ، والفقه عن ابي موسى التربانتي ، والحديـث عن محمد بن عبـد المالـك ابن سعيد الاوسي الانصاري ، وبفاس اخذ ايضـا عن القاضـي ابي الحجاج يوسف التجيبي وابي يوسف يعقـوب الجزولـي وابي محمد الفشتالي ، كما درس الرياضيات على الاساتذين ابن حجلة وابن مخلوف السجلماسـي ، والطب على الحكيـم الشهيـر بالمريـخ .

تخـرج على يـد ابن البناء علمـاء كثيـرون وفلاسفـة عديدون كانوا محل عناية تامة من الشعب وكبرائـه ، وكانوا نبراسا استضاء بهم العصر المرينـي الثاني وازدهـرت بهـم حواضر المغرب وبواديه في جميـع ميادين الحضارة وفنونهـا ومن اشهرهم الاستاذ الحيسوبي الشهير ابو زيد عبد الرحمـن ابن ابي الربيع اللجائي والعلامة القلصادي الذي كان نـادرة وقته وابتكر طريقة الابتداء في الجمـع والطرح من اليميـن بدل اليسار ، كما كان سائـدا ، واستنبط ايضا علامـة وضـع الجذر التربيعي بعد ان احتار علماء الحسـاب في امرها زمنـا طويلا ، ومنهم ايضا الاستاذ الابلي شيـخ علامـة المغرب ابن خلدون وابـو البركات البلفيقـي وابن النجـار التلمسانـي وغيرهم ممن كانـوا بـدورا لوامـع وبراهيـن سواطـع في المغـرب .

وتركض ايام تلو ايام وهو يواصل الدراسة لا يدخل نفسه وهن ولا ضعف الى ان اصبح عالما يشار اليه بالبنان ، ورغم ذلك لم تقف رغبته العلمية عند هذا الحد فقد عزم على ان يرحل عن بلاده الى الاراضي المقدسة حيث يؤدي فريضة الحج ثم يعوج بعد ذلك على ارض الكنانة يدرس هناك على علمائها.

وصح عزمه فلازم اصحاب ابن حجر كالقلقشندي وغيره فاتسعت دائرة معرفته وحصلت له رواية واسعة لم يحظ بها غيره من معاصريه .

وقد ادهش اهل « كنو » من ارض السودان فبجلوه وعظموه فخف الناس الى الاخذ عنه ، والاقتطاف من سرحته واحدث هناك دويا ما بعده من دوي جعل الناس يلهجون باسمه ويرددونه بين اللحظة واللحظة .

* * *

... وفارق السودان ... فارقها جريح النفس ، صديع القلب اذ الفه اهله والفهم هو ... فارقها قاصدا بلاده التي اشتاق اليها واشتاقت هي اليه رغم انه سيخلف وراءه ذكريات عزيزة عليه ، حلوة جميلة حافلة بكل جميل رائع طيب .

هكذا رجع الشيخ الى فاس وقلد بها خطة الخطبة بجامع الاندلس والفتوى وظل يزاول عمله في تدريس الحديث .

وان ينس فلن ينسى انكاره لقراء الفاتحة للناس ، وان قراءتها لهم بدعة لم ترو في حديث ، وهو لا يزال يذكر ان رأيه قد احدث رجة عنيفة في الاوساط العلمية المختلفة ولكنه ، ما يحمله من ذلك وقد ادلى برأيه الذي يعتقد فيه بانه صحيح لا تحوم حوله ادنى شائبة من الشك ، ما يهمه ذلك ، وقد قال كلمته ومشى ... ليزبد من يزبد ، وليرعد من يرعد ، ويبرق من يبرق ...

آمال رقيقة واماني عذاب كانت تملأ عليه مخيلته وتلح عليه كلما امسى وتراوده كلما اصبح ، وتشغل باله كلما ابيض النهار ، وتخالجه كلما اسود الليل .

آمال واماني تحققت فاصبحت حقيقة ماثلة بين يديه بعد كد وعناء شديدين ، فها هو اليوم قد اضحى في مرتبة اشياخه ، وها هو يدرس فيحتل مكانه بين العلماء ويزاحمهم فيحرز مصب السباق ، ها هو يجلس على كرسي الاستاذية الذي طالما رفت نفسه اليه ، وحلم به في كل لحظة من لحظات ايامه ، بل في كل ثانية من ثواني حياته ، يدرس الموطأ والكتب الستة والتفسير والفقه والفية ابن سيناء في الطب ويقيد بخطه الفوائد التي تمت الى الحديث والادب مع الضبط والشكل ويجمع الكتب، لقد اضحى مرجعا يستضاء به ومصدرا يعول عليه في كل الفنون وخصوصا في علم الرواية والحديث اذ يطلق لسانه العنان يتحدث في حلاوة طرية يبهر العقول ويستميل النفوس العطشى الى علمه .

ولم يكن الشيخ من زمرة الذين اذا ادركوا مجدا انتفخوا انتفاخ الطواويس وصعروا خدودهم ، فقد كان يركب حماره من غير مبالاة ويسير بتواضع جسم من غير اكتراث ، فاولئك المتعجرفون كالسنبلة الخاوية اكثرها شموخا وبسوقا ، وهو كالسنبلة المليئة حبا اكثرها تواضعا ، فالكبرياء والعظمة ليست من صفاته ، انها من صفات وجبلات البلداء والجهلاء ...

واعتاد شيخنا زيارة ضريح المولى « بوسلهام » يقرأ هناك « دلائل الخيرات » للجزولي في احضان البحر حيث طبيعة الله العذراء وهيكله المقدس ومحرابه الازلى الخالد .

خرج ذات يوم مع طلائع الفجر الوليد قاصدا مكانه المعهود ، وما ان وصله حتى كان النور قد كسا عرصات الافق ، وخلع عنه ثوب الظلام ، ثم اقتعد الارض ازاء قبر المولى « بوسلهام » واخذ كتاب « دلائل الخيرات » ... اخذه وفي نفسه انقباض لا يعرف تفسيره ... انه يشعر بهذا الانقباض يسري في جسده ، لم يعهده من قبل ، فتعجب من هذا الذي يشعر به ، ولكنه بعد لحظة نظر الى البحر نظرات عميقة ، وعميقة جدا فرآه وقد تغير حاله اذ بدأت العاصفة تثير موجات في عنف كأنه هو الآخر يحس نفس الانقباض ثم حول عينيه الى الكتاب واخذ يترنم في لوعة جارفة ونبرة صادقة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ، الحمد لله الذي هدانا للايمان والاسلام والصلاة على نبيه الذي استنقذنا من عبادة الاوثان والاصنام وعلى آله النجباء البررة الكرام » .

وانقطع عن القراءة ثم نظر مرة اخرى الى البحر ، فلمح من بعيد سفينة تتقاذفها الامواج تتمايل يمينا وشمالا وتطفو تارة وترسب اخرى ، واطال النظر ، غير انه ما لبث ان عاد الى القراءة .

وما ان مرت لحظات من الزمن حتى لفت نظره جماعة من الفرنجة ينزلون من السفينة واحدا واحدا ، وواصل تلاوته ، واخيرا رأى ، ياهول ما رأى ، فتسمر لسانه في حلقه وانكفأ لونه واستولت على جوانحه قشعريرة من الاضطراب وعيناه مشدودتان فيما يرى ... ان جماعة الفرنجة قد دخلوا الزاوية وعاثوا فيها فسادا واستباحوا قداستها فأزاحوا رخامة الضريح.. يالها من مأساة ...

شخصيات من بلادي :

سادات الحديث

للأستاذ : محمد المنتصر الريسوني

وما ان مرت لحظات من الزمن حتى لفتت نظره جماعة من الفرنجة ينزلون من السفينة واحدا واحدا ، فواصل تلاوته ، وأخيرا رأى ، ويا هول ما رأى ، فتسمر لسانه في حلقه ، وانكفأ لونه ، واستولت عليه قشعريرة من الاضطراب ، وعيناه مشدودتان فيما يرى ... ان جماعة الفرنجة دخلوا الزاوية وعاثوا فيها فسادا واستباحوا قداستها ، فأزاحوا رخامة الضريح ... يا لها من مأساة ...

شغف منذ ان كان كالزهرة الجنية ، في غضاضة غصنه ومعية شبابه بالحديث النبوي الشريف ، فانت لا تكاد تلقي عليه نظراتك حتى تراه متأبطا « صحيح البخاري » او « صحيح مسلم » وانت لا تكاد ترمقه او تكاد تحين منك التفاتة اليه حتى تراه ينتقل من حلقة الى حلقة في خفة ظبي غرير يلتقط من هنا اللطائف ، ويلتقط من هناك النفائس كما تلتقط الحمام حبات الزرع او كالياسمين تماما عندما تشرئب اعناقها لتمتص قطرات الندى الصباحية .

كم كان يتمنى من اعماق نفسه وهو متربع جالس في حلقة الدرس ان يكون مثل اشياخه يجلس على كرسيه هو الآخر وحوله الطلبة صامتين كأن على رؤوسهم الطير ، يستمعون اليه في انتباه واستيعاب ... كم كان يجول في ذهنه ان يصبح مثل شيخه « ابن غازي » ذلك الامام الكبير ، ومثل شيخه « ابي الفرج الطنجي » وابي المهدي الموساوي واضرابهم ممن تتلمذ عليهم من قمم المعرفة ودهاة العلم ، انه لتصور له مخيلته انه جالس على كرسي الاستاذية وهو يطلق للسانه العنان يتحدث في كل فن من فنون العلم ، وفي كل فرع من فروع الثقافة ، فيصول ويجول ما وسعه ذلك ... آمال وامان تصطخب في وليجة نفسه منذ ان خطا اول خطوة الى عتبة الشباب الفائر فتنقله الى عالم من الطموح ، يبدو له كالحلم ، صعب تحقيقه ، ولكنه ما يلبث ان يراه داني القطوف جنيا عند ما يطمئن الى الارادة القوية التي خلقها الله فيه ... كل شيء اذن يتسنى ... كل شيء هين ادراكه بالنسبة له ما دام يؤمن بنفسه ، ويملك السلاح ... سلاح القوة الارادية ... فليسر على بركة الله ، فلا ينال المجد الا صاحب العزم الذي يدك رقاب الصعاب .

وما ان يخلد الى هذه الافكار حتى يبتسم ابتسامة الظفر والفوز كما لو كان يرى المستقبل الجميل قد جاءه صاغرا فيتمتم:

تريدين لقيان المعالي رخيصة
ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وبعد ذلك اتخذ شعاره في الحياة الجد والعمل المتواصل آناء الليل واطراف النهار ، يصرف كل مجهوداته للدرس والتحصيل ، ولقد اتفق هو وبعض اصدقائه على ان يعقدوا كل يوم بعد صلاة المغرب ندوة علمية في منزله يتذاكرون خلالها احاديث العلم والمعرفة ، ويتجاذبون اطراف الحديث في شتى العلوم .

وفعلا اتفقوا على ذلك فاخذوا يجتمعون في منزله كل يوم ، وكان هو المبرز فيما يخوضون فيه من احاديث حتى ان خلانه دخلهم العجب من دهائه وذكائه المفرط وخاصة اذا عرجوا الى الحديث عن الآثار النبوية الشريفة التي كان يتعمق فيها تعمق الغائص العارف بمكامن اللؤلؤ ، ولم يكن الجمع ينقض الا بعد ان يمر من الليل شطره الكبير . وما ان ينصرف كل واحد منهم حتى يستسلم لسلطان الكرى ليستريح من عناء المناقشات والجدال الذي كان يحمي وطيسه بينهم في بعض الاحايين ويجري احايين اخرى في سكون وهدوء رخيين ناعميين

مختارات
من الشعر العربي القديم

الجبل الأشم

وأرعن طماح الذؤابة باذخ
1 يطاول أعنان السماء بغارب

يسد مهب الريح من كل وجهة
2 ويزحم ليلا شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه
3 طوال الليالي ناظر في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم
4 لها من وميض البرق حمر ذوائب

أصخت إليه، وهو أخرس صامت
5 فحدثني ليل السرى بالعجائب

وقال ألا كم كنت ملجأ فاتك
6 وموطن أواه، ومؤئل تائب

وكم مر بي من مدلج، ومؤوب
7 وقال بسفحي من مطي وراكب

ولاطم من نكب الرياح معاطفي
8 وزاحم من خضر البحار جوانبي

فما كان إلا أن طوتهم يد الردى
9 فطارت بهم ريح النوى والنوائب

إبراهيم بن خفاجة الأندلسي

شــرح الكلمــات :

1) الارعـن : الجبـل الطويـل ، والواو ، واورب ، ـ طمـاح : مرتفع ، ـ ذؤابة الجبل : اعلاه ، ـ يطـاول : طاوله : غالبه في الطول ، ـ اعنان السماء ، نواحيها ، ـ الغارب ، مقدم اعلى الظهر مما يلي العنـق ،

2) يزحم ويزاحم ، يضايق ، ـ شهبـه ، كواكبـه ، ـ مناكب الجبل : نواحيه ، والمنكب مجتمع راس الكتف والساعد

3) وقور : بالجر معطوف على الصفات التي قبلـه ، وبالرفـع خبر لمبتدأ محذوف ، ـ طوال : بفتح الطاء ، اي طـــول ،

4) يلـوث ، يعصب ، يشد ، ـ وميض البـرق ، لمعه الخفي ،

5) اصخت : استمعت ، ـ السرى ، سيـر الليـل ،

6) الفاتك : الجريء ، القاتل مجاهرة او على غفلة ، ـ أواه ، متاوه متضـرع ، ـ مونـل : ملجـا ،

7) المدلج : السائر في الليل ، ـ المؤوب ، السائر في النهار ، قال نام في القائلـة ، ـ السفـح ، اسفل الجبـل ، ـ مطـى : ج مطيـة ، دابـة ،

8) نكب : ج نكباء ، والنكباء ريـح انحرفت ووقعت بين ريحين ، ـ معاطفـي : اطرافـي ،

9) الردى ، المـوت ، ـ النـوى ، البعـد ،

وطفق يتمتم في قرارة نفسه :

يالانسان المروءة لضريح بوسلهام ... يالها من وحشية يحمر منها وجه الانانية خجلا ... يالها من بشاعة ...

وحزن اشد الحزن ، وتمنى لو ملك قوة العمالقة ، لا بل قوة ذلك الشخص الذي حمل عرش بلقيس لسليمان قبل ان يرتد اليه طرفه لينتقم من هؤلاء وينقذ الضريح من الكارثة ، ولكنه شيخ في اصيل عمره يبلغ الثمانين او اكثر ، لا قدرة له بذلك ... كيف يستطيع ان ينتقم وهو شيخ هرم يحمل نفسه حملا ويقتلع قدميه من الارض اقتلاعا كأنه يمشي مصفدا ، واذا هو في دوامة حزنه يغلي غليان المرجل ويستبشع ما رآه همسا اذ يرى تلك الشرذمة الطاغية قد خرجت من الزاوية ثم انقضت علية انقضاض الصقر ، وحاول ان يستغيث ويصرخ ملء صوته ، وحاول ان يدافع الشر عنه ، ولكن الشرذمة لا تعرف معنى للرحمة ولا عرفت الرحمة الى نفسها طريقا ، فقد لبست اظفار الذئاب ومخالب الاسود ، وما كان منه الا ان يستسلم لنقدر المحتوم بعد ان اشبع لكما وركلا ... وشرع يجود بانفاس قصار وهو يردد في نبرة متقاطعة اسم الله الاعظم واسم نبيه ، واستشهد بعد برهة ، فصعدت روحه الى برزخ الطاهرين .

* * *

واسدل الستار على هذه المأساة ، وساد السكون المكان ... وانتشر الصمت الرهيب ... بينما كانت الشمس تسحب لتودع ، وتلصق خدها بحواشي الافق كما لو كانت تتضرع لتتلاشى ، وعلى الاثر نشر الظلام اروقته ، والبحر في هيجانه تتلوى امواجه في شدة كما لم تتلو في حياتها الطويلة المديدة منذ الابد .. !

... ومر الليل بطيئا وئيدا ... وتشرق شمس الغد من وراء افق البحر الذي هدأ هيجانه فترسل خيوطها على جثة ابى محمد سقين العاصمي القصري وهو مسجي على الارض ، وقد انتشرت على جلبابه بقع من الدم قانية .

هكذا ختمت حياة عالم فذ بكارثة عام (956 هـ) وبموته انهد الحصن الذي طالما التجأ به ، وانطفأ المصباح الذي طالما اضاء ما حوله فامتد الى المسارب المظلمة ، وغاض الينبوع الذي طالما ارفد كل القنوات الجافة امتعطشة الى الارتواء ...

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

— كمــــال العقـــل —

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاه :

ان الولاة جعلوا العيون على العوام ، وانا اجعلك عيني على نفسي ، فان سمعت مني كلمة ، تربأ بي عنها او فعالا لا تحبه ، فعظني عنده ، وانهني عنه .

استرحت من حيث تعب الكرام

سمع الاحنف رجلا يقول :

ما ابالي امدحت ام هجيت .

فقال الاحنف .

استرحت من حيث تعب الكرام

طالب العلم لم يكن شظف العيـ / ـش لدى عزمه ليوهي ويثني
ونكم كسر الحصى (وهو يقتا / ت ضيخ الشعير) سنا بسن
وتخرجت بعد جهد شديد / ثم كافحت نحو اصلاح شأني
كل هذا عانيته في سبيل الـ / ـعلم ، والحرص كان اكبر عوني
انا بالعلم لم انل شهرة مثـ / ـلك دوت في كل جزء وركن
ان سلكت الطريق لم ار فردا / آبها بي ولو بطرفة عين
وكأني اسير في الناس مستو / را . وكالميت من خمول وغبن
واذا ما سلكت انت سبيلا / سيما يوم حفلة لتغني
تجد الناس في ابتهاج الى لقـ / ـياك . خصوك باعتناق وحضن
لست انسى يوما وقد ضمنا حفـ / ـل بهيج وكنت بالقرب مني
لا تغني وانما كنت مدعـ / ـوا مع الناس في عقيقة ابن
فاتى الناس يهرعون زرافا / ت يحيون فيك شخص المفن
بانحناء مسترسل ثم لنـ / بعد ضم لعطفك المتثني
والاشارات منهم تتوالى / بمعاني التقدير : ايك تغني
وانا جالس حذاءك كالمحـ / ـقور لا من بها تصدق عني
قلت في نفسي المليئة بالحسـ / ـرة : يا ليتني احترفت التغني

* * *

هذه بعض قصة العالم النحـ / ـرير من عاش عمره في التمني
انت ياذا تعيش في البذخ والتقـ / ـدير مع شهرة وعز ويمن
ان اسماء من يغنون في الدنـ / ـيا نراها نرن في كل اذن
واسم شيخ العلوم في سائر الا / قطار ، لا يعرفونه كالمغني

* * *

المغني :

يا اخ الود منذ صباي الجميل / كنت حقا لدي خير خليل
غير اني ارى هجومك عن دا / فع حقد وليس ذا بالجميل
لا اسميك بالحسود احتراما / لرفيق صافيته منذ جيل
انها الغبطة التي ارت المغـ / ـبوط ما نال من مقام جليل
ثم زادته رفعة واشتهارا / في الجماهير ، اذ اتت من نبيل
لم اكن عارفا مدى شهرتي هـ / ـذه حتى اتيت بالتمثيل
سيما حينما تمنيت ان لو / كنت مثلي مغنيا : يا ليلي
وتركت الدروس في جانب حيـ / ـث تراها كستك ثوب الخمول
انها قسمة الاله فلا تأ / س على ما حبيت من تفضيل
لا تسيء بالحكيم ظنا وقد اعـ / ـطى لبعض فوق المنى المأمول

هواة

بين عالم ومغن

للشاعر: عبد المالك البلغيتي

العالــــم :

يا اخي ، كيف صرت اشهر مني   وانا عالم ، وانت مغن ؟ ؟
قد نشأنا في مكتب الدرب ، حتى   كان بعض يظننا اخوين
ولزمنا الكتاب عهدا طويلا   وافترقنا .. والدهر يقصي ويدني
فاتخذت الغناء ، انت احترافا   ولزمت الدروس وفق التمني
كم قضيت السنين في طلب العـ   ـلم الذي لم يكن من السهل عني
في زمان به الدراسة كانت   صعبة الاخذ في حداثة سني
في الاساليب والطريقة والمو   ضوع .. هذا في كل علم وفن
كتب الدرس لم تكن مثل هذا العـ   ـصر . كانت مطولات تعني
مجملات البيان مثل المعمى   تتعصى على الفهوم وتضني
كل درس موسوعة من علوم   وفنون تكل ثاقب ذهن
والاساتيذ كم تحلق في الدر   س على غير مستوى الفكر مني
وقليل من كان ينزل للنا   شيء لما قطوفها له يدني
كم كتاب نسخته رغم طول   كان يعشي بخطه نور عيني
وكأني كتبته بسواد العـ   ـين ، والغفو لا يخالط جفني
في ليال ، والنور اضعف ما كا   ن ، وللكهرباء عنا تجني
ومعير الكتاب لا يتوانى   في اقتضاء ، ولا يبالي بايني
ولقد كانت الخزائن في ملـ   ـك اناس ذوي يسار وشأن
جمعت من نفائس الكتب ما يسـ   ـمع عنه ولم يشاهد بعين
فهي في ذوقهم متاحف تزدا   ن بها دورهم ، كقرط باذن
ولها حرمة الحريم فلا تمـ   ـتد الايدي لها لشدة صون
فاذا جئت طالبا لكتاب   كنت كالخاطب الفقير المسن
لا يعيرون كتبها لبعيد   عنهم حيطة ، فكانت بحصن
ليس يستطيع طالب ان يرى المطـ   ـبوع منها ولو بنقد لعين

دنيا المضحكات

للشاعر: عبدالكريم الشواني

« لو عرف الانسان حقيقة مهزلة وجوده على هذه الارض لاراح نفسه عناء البحث عن المصير المحتوم ، ولكن هل يملك الانسان حق اختيار مصيره على هذه الارض ؟ »

ادنيا المغريات بدوت حلما شهيا دغدغ الاحناء وجدا
وفي عنج اضاع القلب فيه بقايا هديه واضاع رشدا
رقصت بطارحين النفس حب اثار شجونها وغوى واردى
وهام به الفؤاد ، فما يبالي اضل عن الهدى ام كان اهدى
لقد القى الزمام اليك جهلا ومنى النفس ما اغنى واجدى
وبادلك العهود ، وكان غرا وامل ـ ضيعتاه ـ وفاء وعهدا
ونحن بني التراب ، عبيد دنيا نفديها دما لو تفدى
اضعنا في هواها كل رشد وقدمنا لها الارواح رفدا
قد ارضعنا هواها ، ما فطمنا ولكنا تخذنا هواها مبدا
وهامت بالهوى منا الخلايا تعب سرابه خمرا وشهدا
واحللت الترائب والحنايا وامست منية الاحيا ، وقصدا

* * *

ادنيا المضحكات اضعت نفسي اذا املت يوما فيك خلدا
اسرت القلب مني دون وعي بأوهام بدت للقلب سعدا
بأوهام تدغدع منه حلما يمني النفس صفو العيش رغدا
وامضي أبتني منها صروحا اجوس دروبها ممسى ومغدى
احاول دونما كلل مراما على قلبي من الاحلام اندى
واسبح في خيالات تهادت عرائسها ازاهيرا ووردا
وتخطر في هنا ، وتميس عجبا وتهزج بالمنى وتتيه وجدا

او ما كان قبلكم علماء | زهدوا في التعظيم والتفضيل
لا يرون الحياة دار بقاء | بل رأوها ـ طبعا ـ محط رحيل
فستهانوا بها ولم يحسدوا من | هام فيها وصار كالمخبول
كم اعد الرحيم في الدار الاخرى | لذوي العلم من ثواب جزيل
فلتكن انت مثلهم لا تبالي | بشفوفي ولو جررت ذيولي

★ ★ ★

ان لي في الغناء قولا مفيدا | سأجليه في خطاب قليل
: نحن ياذا ، بالموت لسنا نغني | او بما في الجحيم من تهويل
لا ولا بالزقوم والمهل او غسـ | ـلين مما يزيد حر الغليل
مثلما تذكرون في الوعظ للنا | س عسى ينهجون خير سبيل
وهو حق وليس فيه افتراء | وكما في الحديث والتنزيل
فاذا ما صرفتهم عن غناء | لا نراه في الشرع بالمقبول
قمت ادعوهم اليه بناي | وكمان ، ومزهر ، وطبول
واذا ما ذكرتهم بشراب الـ | ـمهل ، ذكرتهم ـ انا ـ بالشمول
واذا ما وصفت هول جحيم | خضت في وصف غادة عطبول
واذا ما حذرتهم من مراد النـ | ـفس ، اغرينهم بكل جميل

★ ★ ★

فالمغني يرى الحياة امتدادا | لا مكانا موقتا للنزول
ويغني لها ويدعو اليهـ | ـا بمنير الاشعار في ترتيل
ويناغي الوجدان من كل ذي رو | ح باوتار صوته المستميل
فتصير القلوب بين يديه | خاشعات تميل كل مميل
وعلى صوته تذوب حشاشا | ت بذكر المتيم الممطول
وبرناته تفتح ابوا | ب قلوب للوصل والتنويل
فهو حادي العشاق نحو منى النـ | ـفس ومزجيهم الى التأميل
وهو روح لكل روح لطيف الـ | ـحس ، يبكي بقلبه المتبول
وهو برد الاكباد من لفحات الـ | ـحب ، كالطل او كظل ظليل
الفة للقلوب بعد نفور | ورسول للعطف خير رسول
ولكم رد من بخيل كريما | فهو كالخمر فعله في العقول
وبه روضت قلوب على الحـ | ـب ، وكانت منيعة التذليل
كم تغنى اهل المحبة في اللـ | ـه بقلب عن غيره مشغول
ولهذا نال المغني اشتهارا | في الجماهير : عالم وجهول
وكفى مدحي الغناء وللعلـ | ـم شفوف في المدح والتبجيل
غير بدع بان للعالم الفضـ | ـل ، ولا سيما الهمام الجليل
وهو اولى بشهرة وبتبجيـ | ـل ، ولكن .. الذنب ذنب الجيل

سلا : عبد المالك البلغيثي

ونحن حبيبتاه نحث خطوا ... لغايات نعنى بها ونردى
لغايات تخاف عليها دهرا ... سيطوي منا عمرا لن يفدى
وندب حظنا منها دموعا ... واوهاما تؤرقنا ، وسهدا

★ ★ ★

تفاهات من الاحلام كنا ... ونمسي في غد خبرا ووعدا
ستذروه الرياح سوى حطام ... من الاعيا ، يبارك فيننا لحدا

★ ★ ★

علام اذن نقضي العمر سعيا ... ورا دنيا تنوء اسى وادا ؟
ونمعن في الشكاة ونحن احرى ... بان تسلى حنايانا وتهدا ؟

★ ★ ★

ادنياي التي وأدت شبابي ... وكان لها النجاء وكان مهدا
عشقتك لارضى مني ولكن ... رأيت العيش دونك لن يسودا
سأنعم فيك بالاوهام عمري ... واحبوك الدهور قلى ، وحقدا

فاس : عبد الكريم التواتي
الاستاذ بجامعة القرويين

« ارفع مراتب الفن »

« ارفع مراتب الفن فن يمس انسانيتنا بالتكريم ، ويهمي على مشاعرنا بالحب ، ويعمق احاسيسنا بالعون فآية كريمة تجنبنا عيوبنا . وآية تحث على فضيلة . وبيت يغمرنا بالرقة . وكلمة تستل السخيمة كل ذلك . هو الفن فن الحب للحياة للحياة افضل . وعمل اسمى واخوة نبيلة »

وتملأ خاطري نزوات حب ... اشاع الطهر في روحي وابدى
ولكني تكشف لي صبحي ... عن الآلام ترهقني جهدا
ولكني منيت بكل يأس ... واضحت امنيات الامس وعدا
وليت الوعد وعد كريم نفس ... ولكن وعد (كعب) منه اجدى

★ ★ ★

ادنيا المضحكات اليك عني ... فأنت كريهة صدرا ووردا
قلتك النفس يا ام الخطايا ... واولاك الفؤاد جفا ، وبعدا

★ ★ ★

جنا (سيزار) مسحور الحنايا ... يراود (كيليو باطرا) الحب رغدا
فذاق الكأس وارتشف الحميا ... وهادى (النيل) اشواقا وودا
وهام به سويعات والقى ... عصا التسيار نشوانا مندى
تنسى الروم في غفوات انس ... اعاد له الشباب ونال ولدا
وسا به السفين على رخاء ... يطارحه النسيم هوى وجدا
وروما توجته ليوم خطب ... وترجوه ليوم الروع سدا
وكان لها الفخار وكان دوما ... ربيب النصر حيث يقود جندا
تحمته الشعوب ، ومنه ترجو ... اياديه ، وتسعى منه ودا
وتحبوه السنا طوعا وكرها ... وتعلي شأنه عهدا فعهدا
فنال من الحروب اجل صيت ... وكلل هامه مجدا وخلدا
ولكن اي صفو دام يوما ... واي المجد دوما كان مجدا ؟
فقد اخنى على (سيزار) دهر ... وغور نجمه نحسا ونكدا
وقتله الألى هرقوا دماهم ... على اقدامه حبا وعهدا

★ ★ ★

ادنيا الموبقات جفتك نفسي ... فقد كنت الخداع آبا وجدا
فـ (انطونيو) المظفر خاب سعيا ... وقضى نحبه حزنا وكمدا
لقد رام الحياة الذ طعما ... وابهى منظرا واعز ايدا
فأم (النيل) يحتدم اشتياقا ... يؤمل ان ينال العيش رغدا
فنال الحب واحتضنته (كيليو) ... وكان لها الشلاف وكان شهدا
وظن الظهر قد اغفى واضحى ... اسير العاشقين وبات عبدا
فعبا من رحيق اللهو ساعا ... وعاشا للهوى صنوين عهدا
ولكن كانت الدنيا وتبقى ... على الاحرار البا مستجدا
فقد اودى الغرام بيكليو باطرا ... واودى بالخليل وقال : بعدا

عيد الرشيد

للشاعر إدريس الجاي

طاب في عيد عرشكم تغريدي ... فليدم عيد العرش ابهى عيد
بكم ترفع العروش ويبنى ... كل مجد مدى القرون عتيد

لم تزالوا لله ـ للوطن الخالد «م» جندا ، اعزز بهم من جنود
ما استوى منكم على العرش الا ... كل حر « مستبسل » صنديد
امة المجد امة العلويين قصيد ... وانت بيت القصيد
بابيك الزمان يضرب امثالا «م» وبالاجداد منذ (الرشيد)

* * *

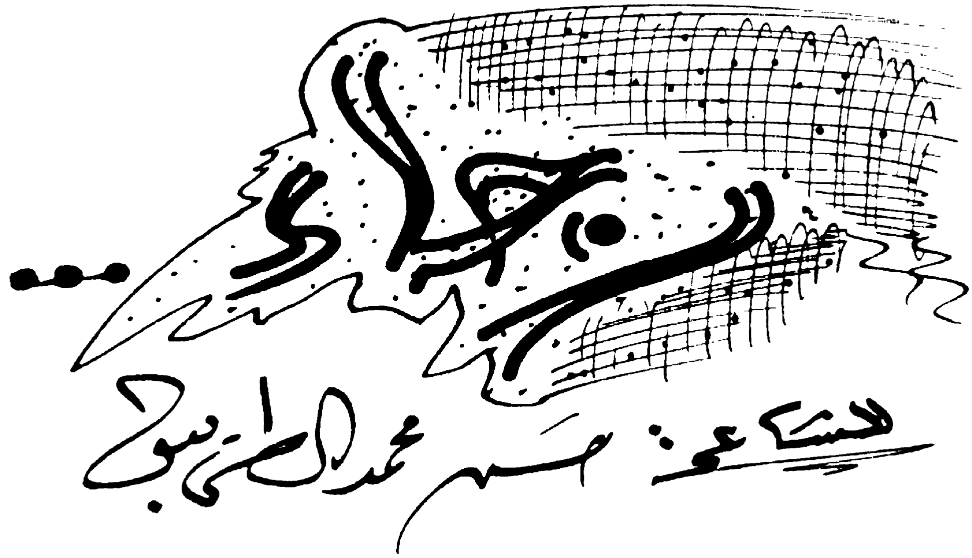
ايها الوارث الفخار عريقا ... عن جدود كانوا كرام الجدود
قال من لم يعرفك : هل من مزيد ؟ ... فاجبنا : تالله ، الف مزيد ،
ليس « والعرش » يقنع الحسن الثا ... ني بحفظ الميراث حفظ الرصيد
بل كما يولد الضياء جديدا ... كل فجر من كل يوم وليد
يغمر الارض ارضا فرح البشرى بخير من راحتيه جديد
نجمة اخضر تالق ما بين «م» احمرار البنود اسمى بنود

* * *

يعرف الدهر خطوه ان تأنى ... واذا ثار اي باس شديد
جربته الخطوب بالامس واليوم «م» فكان الحديد صنب الحديد
بحماه المناضلون استطابوا ... فيء ظل .. من عرشه ممدود
يذكرون امجيد يوم جهاد ... والذي كان في الخطوب السود
وابوه يجشم السجن والنفي «م» لتحرير شعبه المصفود

* * *

يالذي ابلى في الكفاح بلاء ... حسنا والاعداء خير شهود
يالذي كالاب المقدس شاء الله «م» ان يصطفى لفك القيود
انا ما هز مثل عيدك عودي ... وبأفراح العرش رق نشيدي
ما حيينا متوجين بتاج الـ ... ـحسن الثاني الظافر المعضود



اخطو وفي خطواتي الف باقية ... من ذكريات يكاد الطرف يلمحها
اتيه وحدي ومأساتي يحركها ... امسي ويوقدها يأسي ويقدحها
اثا العليل ، وكم في القلب من كرب ... تزوره لكأن القلب مسرحها
والنفس في زحمة الآلام واقفة ... لم ادر كيف ولا انى ستبرحها ؟
اشك في النفس وهي اليوم واجمة ... الغم يخرسها واليأس يكبحها
اتلو على مسمع الدنيا شقاوتها ... هل يا ترى احد يوما يسرحها ؟
والشوق ـ عاد يحييني وينعشني ... بل عاد يلهب اجفاني ويجرحها
اتيه وحدي واخفي كل معضلة ... ويعلن الدمع اسراري ويفضحها
انا بكل اختياراتي انا بيدي ... اضعت عمري ، ونفسي ضاع مطمحها
سرى اللهيب بأحشائي واتلفها ... والنار في زفرتي اوشكت المحها
نار تطوف ويفنى فوقها رمقي ... من يطفىء النار ؟ من بالماء يرشحها؟
ضاقت بخاطرتي الدنيا وما حملت ... فكيف ـ والصبر اعياني ـ سأفسحها ؟
ارجو ، وباب الرجا ان جئت اسألها ... الناس تغلقها والله يفتحها !

العرائش . حسن محمد الطريبق

تهنئة بوسام العرش

من رتبة ضابط سام

للأستاذ : محمد الطنجي

وشح صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني صدر معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج احمد بركاش بوسام العرش من رتبة ضابط سام بمناسبة الذكرى الثالثة لعيد العرش تقديرا له على خدماته واخلاصه وتفانيه في خدمة الجناب الشريف والعمل المثمر البناء لصالح الاوقاف والشؤون الاسلامية .

وتقدم اعضاء ديوان معالي الوزير بآيات التبريك والتهاني لهذه الالتفاتة المولوية ، والحظوة السامية ، والمكانة المرموقة الموموقة عند مولانا الامام ، حيث جادت قريحة الاستاذ محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد بهذه القصيدة العصماء التي نثبتها في هذا العدد :

يطيب هناؤكم بوسام عرش ... يوشحكم به عهد الامام
برتبة ضابط سام منحتم ... وسام العرش من اعلى مقام
نعم بركاش نلت وسام صدق ... واخلاص لدى الحسن الهمام
وقد شهدت مراكش كيف حلى ... به صدرا حوى رعي الذمام
وادت شاشة الاطياف حفلا ... بدا الشعب في ابهى ارتسام
وزارة وقفنا دامت لديه ... كهالات البدور لذى التمام
ودوما كنتم اولى الرعايا ... بتقدير من الصيد الكرام
جميل صفاتكم قد اهلتكم ... لخير مفاخر غر جسام
خدمتم شعبكم والعرش دوما ... وللاوقاف عشتم خير حام
وللاسلام شيدتم بيوتا ... وفقتم في الادارات العظام
فتسيير الامور ولو تناهت ... يدبرها جنابك بانتظام
وتطبع بالنزاهة كل فعل ... فيصحبه النجاح لدى الختام
رجال البرلمان شهود صدق ... على اعمالكم في كل عام
فكم قد ايدوكم في مساع ... واطروا منكم حسن القيام
فاكرم بالوسام شعار فخر ... يدوم لشخصكم دون انصرام
يزيد لآل بركاش مزايا ... على مجد لهم كالطود سام
فباهى من تشاء باي فخر ... فمجد البيت يزخر بالعظام
بنيتم مجدكم من مكرمات ... يعز بها الوفاء من الانام
ادام الله شخصك شمس فضل ... تضيء لعربنا سبل السلام
وابقاكم منار هدي لشعب ... يناصر في الورى عرش الامام

لن يخيب الرجاء . لن يطمس اللـــه «م» شعاعـــا مـــن حلمنـــا المنشـــود
لـــن ينـام المحـروم تحـت سمـــاء ارضها : ارض امن . ارض الجـــود

★ ★ ★

تشرئـــب الاعنـــاق شوقـــا اليـــه حيثمـا حـل .. بيـــن شعـــب ودود
فكـــأن المواطنيـــن عقـــود وكـــأن المليـــك جيـــد العقـــود
وكـــأن الحبيـــب نـــور لعيـــن لـــم تـــر النـــور منذ عهـد بعيـــد
ذلكـــم انـــه وشيجـــة قربانـــا «م» بهـــذي السهـــول . هذي النجود
ذلكـــم انـــه الوصـــي علينـــا واميـــر المومنيـــن . راعـــي العهـــود
نحـــن من خلفـــه . كتائـــب احـــرار «م» كرهـــا عيـــش الرقيـــق العبيـــد
ابيـــنا الاه باعـــث مجـــد مستقـــر . كالنـــل صلـــد عنيـــد

★ ★ ★

ايـــه مراكـــش العظيمـــة بشـــراك بيـــــوم مخلـــد مشهـــــــود
ايـــه مراكـــش الجميلـــة تيهـــي رقصـــي النخـــل باسقـــات القـــدود
واصدحي ياطيور « اوريكـــا » من الفر حـــة ، ذا يـــوم الشـــدو والتغريـــد
اشرقـــت طلعـــه المجيـــد عليـــك فهنيئـــا بالنجـــم نجـــم السعـــود
ايـــه يا بهجـة الجنـوب ابـى اللـــــه بعيـــد النكـــــال والتعبيـــــد
غيـــر ان تفرحـــي بعهـد جديـــد مشـــرق باســـم هنـــيء سعيـــد
بـــارك اللـــه مـــن بنيـــك ابـــاة وسقـــى اللـــه قبـــر كـــل شهيـــد
انـــت مراكـــش العظيمـــة احـــرى بالتهانـــي فـــي مثـــل هـــذا العيـــد
كـــم تجرعـــت الامريـــن مـــن طغيـــان «م» شيطـــا ن مستبـــد مر يـــد ؟
رام تقويض العرش والعرش كالاطلـــس بـــاق مـــدى دوام الخلـــود

★ ★ ★

يا بنـــي قومـــي كللـــوا بنجـــاح من جهـــود المليـــك مثلـــى الجهـــود
وانهضـــوا بالعـــرش العلـــي فهـــذا «م» العرش يعلـــى وجودكـــم ووجـــودي
خلفنـــا الماضـــي لا يباريـــه مـــاض ولنـــا مستقبـــل بهـــيج الوعـــود
عـــش لنـــا يا مليـــك والعرش يزهـــو مشمخـــرا برغـــم انـــف الحســـود
عـــش لرفـــع البنـــا ودرء الرزايـــا واقتحـــام السدود بعـــد الســـدود
عـــش لاعـــلاء رايـــة الحـــق والعـــــدل وعـــش للتكتيـــــل والتوحيـــــد
عـــش لهـــذا الشعـــب الوفـــي ابـــا بـــرا محاطـــا بالحـــب والتمجيـــد
عـــش وايدينـــا فـــي يديـــك وكـــف الاه شـــدت بالنصـــر والتأييـــد

ادريس الجاي

واحدث الذكرى حديثا يقنع الصب العشيق
يا هل ترى أمشي على قيد ، وفي الفسق الصفيق؟
أم انني في مشيتي وتنقلي حر طليق ؟
هذا فريق جد في مسراه ، يتلوه فريق
والكل في بدء الطريق يسير بالعزم السبوق
اترى يساق الى المنى أم انه امسى يسوق ؟
وهل استوى في رايه سعة من الدنيا وضيق ؟
يا هل ترى اغراه في رحلاته عطر عبوق ؟
او لم يعف في نهجه وقع الحوافر والنهيق ؟
ما هذه الدنيا سوى مهد الدناءة والفسوق
تهفو لها ، فتريك ألوان السفالة والعقوق
يا هل ترى تلك السموم تكن منها في العروق ؟
قد صار شكي في طريقي يستحيل الى وثوق
وعلى طريقي صرت ذا قلب وذا نطق ذليق
وانا اصوغ روائعا من شعري الفض الرشيق
ما تهت ، بل انني مع الذكرى ، وبالذكرى لصيق
اسعى لما يرضي الضمير وما يشوق وما يروق
وامج كل الشر ، ان الشر داء لا يليق ،
ما هذه الدنيا ابتداء وانتهاء غير الوان الشهيق
فشفاؤها زالت به عن كل اهليها الفروق
هي كأس جريال تداوي ما بقلبك من شقوق
لكن حنظلها توهمه الجهول لجهله مثل الرحيق
يطفي بها البلوى ، فتذكي في الحشا اثر الحروق
يا هل ترى يذوق ما يسقاه أم هو لا يذوق ؟
لكنها الأوهام للذوق المساعد قد تعوق
ما هذه الدنيا سوى سوق ، ونحن عبيد سوق
ما في ابتسامتها سوى هول الرعود أو البروق
فكأنها سهم تصوبه المشيئة ، ذو مروق
ما في طريقي غير قلب في تأمله صدوق
فأنا أسد مسامعي عما يشاع من النعيق
وأسير دوما للأمام بعزمة الشهم الحقيق
لم يثنني صخب النباح ، ولا زفير أو نقيق
بل انني أمشي ، وانشد نغمة الشعر الأنيق
وعلى طريقي صرت انثر مهجتي مثل العقيق
وبمنتهى ما ارتجي من حكمة انوي اللحوق
ما هذه الدنيا كما صورتها الا طريق !

محمد العلمي

الطريق

للشاعر: محمد العلمي

ما هذه الدنيا كما صورتها الا طريق
نمشي بها! في الوهم ، في الغمرات ، في حلم عميق
يا هل ترى نغفو دواما ، ثم قد لانستفيق ؟
ونسير في سفر بلا حد ، ولا أمل وثيق ؟
اترى خلقنا في الطريق بلا معين او رفيق ؟
نحيا على الزاد الهزيل ، وللطوارىء لانطيق ؟
وتغرنا الاسراب ، والبهتان يصقله البريق
تسعى خطانا في مهاو تشبه الوادي السحيق
نحو النهاية نستغيث فلا مجيب ولا شفيق
الا حساب عن جميع فعالنا ضخم دقيق !
الكل في بدء الطريق ، يقول ما معنى الحقوق ؟
أترى غروب الشمس في الآفاق يسبقه الشروق ؟
يا ليتني أدري ، فاني صاحب الحس الرقيق
لكنني لم ألق في بلوى فؤادي من صديق
فأنا الغريب يغشني حتى القريب او الشقيق !
ما في طريقي غير شوك سوف يأكله الحريق
وأرى زماني سوف يرفي ما بقلبي من خروق
هذا طريقي حوله بحر من الذكرى عتيق .
يا هل ترى من موجه انجو ، فها اناذا غريق
هذا طريقي ليس يسلكه سوى شهم عريق
ومصارع الاحداث في الدنيا بما يرجو خليق
ما زلت امشي في طريقي اسمع القلب المشوق

او في موضوع ارتباطهم بالقوى السياسية والفكرية العالمية ، الا انه ليس من اللازم ان يكون وجود « النكبة » هذه العامل الوحيد في الامر من اساسه فالتحول العالمي الاوسع ، الذي اعقب نهاية الحرب العالمية الاخيرة — بكل ما يتداخل في نطاقه من مؤثرات فكرية ومادية متعددة ، كان له — بالطبع — اثره البعيد في الانطلاقة العربية الراهنة ، وان كانت « نكبة » 1948 قد ادت الى مضاعفة سرعة هذه الانطلاقة وتعزيز امكانياتها الناشئة عن عوامل القلق والضياع والخشية من المستقبل ، والشعور بالضعة والوهن وسوء الحال ، وغير ذلك مما كان لازما ان يحدث بعد الهزيمة المنكرة التي حاقت بالوجود العربي في فلسطين .

وعلى كل ، فقد امكن للعالم العربي في خلال سنوات ما « بعد النكبة » ان يعدل كثيرا من آثار هذه « النكبة » وخطرها على وجوده ومصيره ، فارتفعت عن العرب عقدة الاحتماء بالدول الكبرى سواء منها الرأسمالية او غير الرأسمالية ، واستطاعوا ان يثبتوا وجودهم المفرد المتميز داخل نطاق العالم الثالث ، وعلى الصعيد الدولي العام وتوجد الدول العربية اليوم في مركز اسيوي وافريقي تتضاعف اهميته بصورة مطردة ، ولا تعود هذه الاهمية الى مجرد نجاح الاقطار العربية في تحقيق استقلالها السياسي الواحدة تلو الاخرى ، وانفصال العالم العربي هكذا في اكثريته عن التبعية المباشرة للاستعمار والانظمة الامبريالية التقليدية ليست هذه نقطة هامة في موضوعنا الذي نحاول ان نستبين منه امكانيات العرب في الحصول على مركز طلائعي رائد في العالم المتطور اليوم اذ ان مجرد الحصول على الاستقلال لم يعد يمثل في الوضع العالمي المتجدد اية اهمية جديرة بالاعتبار ما لم يصحبه نزوع فعال ومجد للتفتح على العالم والتفاعل مع بقية شعوبه ، ومحاولة الاسهام الايجابي في حركة هذه الشعوب المتطلعة الى تنظيم عالمي افضل ليس فيه للتخلف والامبريالية مكان او سبيل ، واذا ما حاولنا — انطلاقا من هذا المفهوم البسيط — تقييم المكانة العربية في العالم الافريقي والاسيوي وفي بقية انحاء العالم فاننا سنجد ان العالم العربي قد انجز — بهذا الشان — خطوات لا باس بها وبما يمكن ان تؤدي اليه من نتائج ذات ابعاد عربية وعالمية سواء في الامد القريب او البعيد ويجب ان نتذكر بالطبع انه لا ينبغي السير بعيدا في تملق انفسنا بمثل هذا الكلام والمغالاة في تقدير المكاسب الدولية التي حصلت عليها مجموعتنا العربية بوجه او بآخر ، الحقيقة ان هذه المكاسب هي ذات قيمة نسبية لا غير وتترك من خلالها كثيرا من عوامل النقص بل والتردي الذي لا يزال العرب يعانون منه في سباقهم مع الصهيونية والامبرالية من جانب وفي تصارعهم مع امراضهم النفسية وانعكاساتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية من جانب آخر ، لكن مع اجتناب المغالاة — هكذا — في تقييم المركز السياسي الدولي الذي تحتله المجموعة العربية فان من اليسير — على اي حال — ملاحظة بعض الجوانب المهمة في علاقة العرب بالعالم وتطور هذه العلاقة واخصابها بشكل اصبح يعطي للعالم العربي امكانيات دولية لها قيمتها التي لا تنكر . ولا نقصد بهذا مجرد حالاتالنجاح السياسي والديبلوماسي التي حققها بلد عربي او آخر ، او البلاد العربية مجتمعة ، وذلك عن طريق التعاون مع الدول الافريقية والاسيوية ، والانخراط معها في منظمات دولية معينة والاجتماع بها في مؤتمرات ولقاءات دولية متعددة او كما يظهر هذا النجاح ايضا في استفادة العالم العربي من وضعه الحيادي بين الشرق والغرب وتوفقه في تكوين علاقات مجدية ومتينة مع اقطار « الاطلسي » من جهة وبلدان حلف فارسوفيا من جهة اخرى وكثير من الجهات الدولية الاخرى المترددة بين هؤلاء واولئك وانما الذي نقصد بذلك اهمية الفكرة العربية والمبادرة الفكرية العربية في مثل هذه المجالات ذلك ان الفكر السياسي العربي الذي كان منشغلا — طيلة العقود الخمسة الماضية من هذا القرن — بمناوأة النظام الاستعماري التقليدي والبحث عن السبل والوسائل والتجارب المختلفة التي يمكن ان تساعد على التخلص من حالة التبعية وتحقيق وضعية ذاتية مستقلة بالمعنى القومي العادي — هذا الفكر قد وجد نفسه — بعد از اصبحت الاستقلالات العربية حقيقة مبدئية قائمة وجها لوجه امام الحقائق والقضايا الدولية الناشئة عن حالة الاستقلال هذه وعما يخلقه التمتع بمعطيات السيادة من احتكاكات مباشرة بين الدولة صاحبة السيادة وبين مختلف القوى والتيارات الموجودة هنا وهناك في شتى ارجاء العالم ، وهكذا فان الاهمية التي يمكن ان ننسبها للاستقلالات العربية الحديثة لا تعود — كما تقدم — الى مجرد وجود هذه الاستقلالات بمعناها البسيط المجرد وانما الامر المهم في ذلك ، هو ما اذا كانت هذه الاستقلالات قد ادت الى خلق احوال ايجابية جديدة في العالم الدولي واسهمت بنصيب او بآخر في بعث التطور الانساني الجديد الذي يعرفه عالم ما بعد الحرب ام انها تشكل حالة معاكسة لذلك اما نسبيا او كليا ؟ لكن ثمت — بهذا الشان — امرا جديرا بالاعتبار ، وهو انه لكي تؤدي الاستقلالات الحديثة دورا من هذا القبيل لا بد ان يكون هناك — من جانب الاقطار المستقلة حديثا — استعداد صحيح لمواجهة الحقائق العلمية المستجدة وقدرة على التمييز بين شتى الاختيارات المعروضة عليها في ميادين الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع وغيره ، ثم تكوين موقف صحيح واصيل من هذه الاختيارات وانتهاج سبلها انتهاجا واعيا وغير متهافت ، فحالة الاستقلال فيما قبل الحرب العالمية الثانية تختلف من حيث التبعات التي تفرضها والمشاكل التي تخلقها عن حالة الاستقلال فيما بعد الحرب اذ ان الاستقلالات الراهنة قد غدت تفرض اختيارات صعبة وملحة في شتى الميادين اوسع مدى واحفل بالمتناقضات مما كان عليه الامر في عالم ما قبل الحرب وعلى الدول الفتية التي تنال الاستقلال بطريقة او باخرى ان تواجه هذه الاختيارات وما يلتصق بها من التزامات

لمحات سريعة حول:
المركز السياسي والمركز الثقافي للعرب في عالم اليوم

للأستاذ: المهدي البرجالي

العرب ووضعيتهم الدولية الجديدة — مفهوم ونتائج الاختيارات العربية في هذا الميدان — علاقة العرب بالكتل الدولية المختلفة ، وماذا يعنيه ذلك — بعض الحقائق التي يمكن ان نفسر الظواهر الملحوظة بهذا الشان ، هل يتناسب مركز العرب السياسي مع مركزهم الثقافي في عالم اليوم ؟ بعض مظاهر النقص الملحوظة ، في هذا المقام ، مشاكل مختلفة تواجه التطور الفكري المنشود — الفكر العربي بين وضعيته المحلية ومطامحه العالمية — سياسة اشعاع ثقافي عربي : هل تقوم اللغة العربية كحاجز دونها — الوسائل التي يمكن اعتمادها بهذا الصدد .

سجل العالم العربي في خلال السنوات العشرين الماضية ، تطورات مهمة جدا في مجال حياته السياسية، الداخلية والخارجية، وفي تركيب بنيانه الاقتصادي والاجتماعي ، وما يتصل بكل ذلك من معطيات مادية وانسانية ، وجيلنا العربي الحالي يعيش فعلا واقع هذا التطور الحاصل ، بل ويوجد في محوره مؤثرا ومتأثرا على وجه او آخر من وجوه التأثر والتأثير . فالحياة العربية الحاضرة في نطاقها القومي الجماعي تكاد حركيتها تتلخص في هذه السلسلة من التغير والتكيف والتلاؤم ، الذي لا يفتأ يأخذ بجميع آفاق السياسة والاجتماع والاقتصاد في البلدان العربية ، معرضا شتى المفاهيم والمناهج والمقاصد ، لسلسلة من التطورات والتكيفات لا تنتهي حلقة منها الا لتفضي الى حلقة اخرى اوسع مجالا واعظم اثرا ، وليس القصد من اثارة هذا الموضوع ، هو استعراض « الاحداث » السياسية والاجتماعية والاقتصادية العربية في خلال السنوات الاخيرة ، فذلك — كما تقدم — واقع نعيشه عقليا وعمليا ، ولا نحتاج الى التذكير به ، الا ان يكون هذا التذكير عبارة عن محاولة ناجحة للتعمق في مدلولات « الحوادث » واستخلاص الحقائق العملية التي تساهم في زيادة تعبيد الطريق نحو المصير الحضاري الافضل الذي يترجاه العرب من نهضتهم الحديثة ، ان الموضوع الذي نثيره في هذا الحيز المحدود ليس مما يتسع لافاق بحثية من هذا القبيل ، وانما الذي نتوخاه فقط ، هو محاولة استبانة بعض الحقائق الدولية التي يتكشف عنها التطور العربي الحالي ، والتي ما فتئت تؤثر تاثيرا ايجابيا على مركز العرب الدولي في عالم اليوم ، ثم ملاحظة ما يقابل ذلك من نقص اساسي في مكانة العرب الثقافية على الصعيد العالمي واستمرار تخلفهم — هكذا — عن المساهمة مساهمة ايجابية حقيقية في اثراء الفكر الثقافي الانساني المعاصر ، الذي يزداد غناه وعمقه بازدياد التجربة الحضارية الحديثة ، وتقدم الخبرة الانسانية في مختلف الميادين ، واول ما يبدو امامنا في هذا المقام هو مقدار المسافة المهمة التي قطعها — كما تقدم — التطور المادي والانساني بالبلاد العربية ، مع ما لذلك من انعكاسات مهمة على وضعية الكتلة العربية في العالم ومكانتها في مشتبك الحياة الدولية الراهنة فتطور الفكر السياسي داخل كثير من البلدان العربية وما بعثه هذا التطور من عوامل الحيوية والتجديد والتنظيم سواء في علاقات الافراد بعضهم ببعض (التطور الاجتماعي) او في علاقة الدولة بالافراد (التنظيم الاقتصادي) او في الصلات بين الدول العربية بعضها ببعض (الاجهزة الجماعية القائمة كالجامعة العربية مثلا) كل ذلك ، كان له جانب من التاثير الملحوظ في تكوين المركز الجديد الذي يحتله العرب في عالم اليوم ، والدور الذي اخذوا يؤدونه في مجال الحياة الدولية الواسعة ، وقد كانت حرب فلسطين (1948) نقطة تحول مهمة في هذا المجال، اذ انه من الممكن — على اي حال — ان تعتبر فارقا تاريخيا كبير الشان بين ما سبقها وما تلاها من تحولات اساسية في حياة العرب الدولية وعلاقتهم ببقية انحاء العالم وعند ما يذهب المرء الى تعليل الظاهرة الانبعاثية العربية الواقعة في اعقاب ما يدعى ب « النكبة » فانه يجد ان هناك كثيرا من الاسباب ، التي يمكن ان تحمل على القول ، بان هذه « النكبة » كانت دافعا قويا حرك العرب شيئا ما الى الامام ، سواء في مضمار تقييمهم لانفسهم

الحرب ، وانما عرضنا ــ مراعاة لتوازن الموضوع وتناسقه ــ الى نماذج معينة من مواطن الاختيار هذه ، يندرج في ضمن كل منها كثير من القضايا والمشاكل التي يتوقف على حلها امكانية النجاح او عدم النجاح في المنهاج الذي تختاره الدول الصغرى من هذا القبيل واذا نسبنا اهمية هذه الاختيارات الى عالم ما بعد الحرب ، فليس ذلك لان الدول المستقلة قبل الحرب لم تكن تختار وان كانت الدول الصغرى كانت تقع في اختيارها تحت وطأة الدول الكبيرة انما المهم الان ان هناك عوامل جديدة بهذا الشأن برزت في الميدان خلال السنوات الماضية ومن اهمها :

1) ظهور الدول الفتية على المسرح الدولي كقوى عاملة ومؤثرة

2) ازدياد التشابك ــ بسبب ذلك ــ في مضمار المصالح الدولية من جهة والعلائق الدولية من وجهة اخرى .

3) استفحال امر الاخطار والمزالق الدولية نتيجة لتكاثر المذاهب والتيارات المتناقضة ، وبروز القوى النووية في الميدان وتطور وسائل القذف الحربي وادواته كالصواريخ والاقمار ، وكل هذا مما يشعب امر الاختيار عند الدول الصغيرة خاصة ويفرض قدرا غير محدود من التبصر والحذر في هذا الميدان ، ولكن لم كل هذا التبصر والتريث وما الصلة بين عوامل الخطر الدولي التي اشرنا الى بعضها آنفا ، ومناهج الاختيار الدولي التي استعرضنا بعضا منها في الفقرة السابقة ؟ لقد ذكرنا من قبل ــ وهذا هو السبب ــ ان وجهات الاختيار الدولي في ظل الظروف العالمية الجديدة الناشئة عن نهاية الحرب ــ قد اصبحت تنطوي على كثير من المشاكل وتفرض عددا من القضايا يتوقف على حلها النجاح في هذا الاختيار او الآخر او الاخفاق في ذلك ، فالعزلة مثلا تجربة تمارسها بعض الدول على صور ونسب مختلفة ، ومثل هذه الدول ، ترى ان حالة الانعزال اليق بمن يبتغي الانكباب على مشاكله الخاصة واجتناب التورط في القضايا العالمية التي لا تمس الواقع الوطني في شيء ، اما التعاون فهو القاعدة العادية في مضمار العلاقات الدولية وما عداه يعتبر شذوذا او شبه شذوذ ولكن الى جانب ما له من محاسن فانه يضع ايضا جملة من الاعباء والتحملات تبدو شديدة الوطأة في بعض الاحيان فالتعاون مثلا بين الامبرياليين يقتضي التكتل ضد القوات الفتية في العالم بما يحمله ذلك من خطر على مصالح الدولة المتكتلة ، سيما اذا كان الامر لا يعنيها مباشرة (مثال : الدول التي تجد نفسها ملزمة بمظاهرة البرتغالية في افريقيا) اما التعاون بين الدول الناشئة ، وحديثة العهد بالاستقلال فانه يلزم هذه الدول ايضا بواجبات شتى تجاه الشعوب التي لا تزال تجد في الحصول على مقاليد السيادة ، وكذلك تجاه الاقطار الصغيرة المعتدى عليها مباشرة او التي تعاني من نتائج المناورات الدولية المتسترة ، وتواجه لذلك نوعا من العدوان غير المباشر ، والتعاون يفرض ــ في عدد من الحالات ــ بذل المعونات المادية والمعنوية لمن يحتاجها من الدول المتعاون معها ، وقد يؤدي ذلك الى احداث مشاكل على الصعيد الداخلي للدولة التي تقدم على هذا النوع من التعاون ، وتبذل قدرا من المساعدات الدولية المختلفة، ولذلك فان الاختيار بين العزلة والتعاون يفرض من تلقاء نفسه قضايا ذات اهمية على الصعيد الفكري والعملي ، ويلزم المدعوين للاختيار في هذا الموضوع بالنظر مثلا في حدود العزلة وخصائصها وعواقبها ، اذ ان العزلة هي مجرد حالة نسبية ولا يمكن ان تكون مطلقة تماما ، او ما هي حدود التعاون ونسبته ومدى ممارسته ان كان هناك اتجاه نحو التعاون ، ويمكننا كذلك ان نتبين عددا من المشاكل في موضوع الاختيار بين مبدا المدافعة عن المصالح القومية بوسيلة الاستعداد الحربي ، او الاعتماد في ذلك على مبدا العمل المسالم فقط ، اذ ان لكل اختيار من هذين الاختيارين مبرراته واوجه العمل به زيادة على بعض المفارقات التي تبدو في هذا المقام والتي تمس الدول الصغرى في الدرجة الاولى دون غيرها ، ومن بين هذه المفارقات ان الدول الصغرى هذه ، وخاصة من يعتبر منها متخلفا او في حكم المتخلف ، توجد متعرضة لامكانية الاعتداء عليها اكثر من اية منطقة اخرى في العالم ، ولهذا فمن الممكن بل من الاساسي بالنسبة اليها ان تكون احرص على لوازم التسلح والتحفز بما في ذلك الاسلحة العصرية المتطورة الا ان هذه الدول الصغرى بالذات ــ تجد نفسها ــ من جهة اخرى ــ آخذة بفكرة القضاء على التسلح ونزع السلاح النووي ثم نزع السلاح العام عند الاقتضاء بل انها تتزعم الحملة العالمية من اجل هذه القضية (قضية القضاء على التسلح) وذلك شيء طبيعي لانه زيادة على اهمية الامر من الناحية المبدئية ــ العقائدية ــ فان له كذلك جانبه المصلحي البارز على اعتبار ان ما تسببه للدول الصغرى والمتخلفة حالة السباق نحو التسلح هو اخطر بكثير مما يسببه لغيرها وذلك سواء من حيث العواقب السياسية والاجتماعية او بالنظر للمضاعفات المالية والجهود التنظيمية التي هي لازمة في ذلك (والهند في حيرتها بين التوجه كلية لتحقيق مشاريع التنمية ومعالجة مشاكل التضخم الديموغرافي وبين حالة اضطرارها لمجابهة الاوضاع العسكرية السيئة على حدودها من جهة الصين والباكستان ، وذلك بكل ما يقتضيه الامر من زيادة التسلح بل وامكانية اتخاذ سياسة ذرية عسكرية كما تدعو اليه بعض الجهات الهندية غير الحكومية ، ان الهند في حيرتها هذه ــ التي يقدر لها ان تزداد بسبب الاحوال المتناقضة في مجموع منطقة جنوب شرقي آسيا ــ تبدو كمثال له اهميته في هذا المقام) ومن شأن هذا كله ان يؤكد ان الاختيار في مثل هذه المسائل الدولية المعقدة ثم تطبيق المقتضيات التي يفرضها الاختيار وتلافي العواقب والاحتمالات الناشئة عنه واستغلال اقصى ما يمكن ان يكون فيه من المزايا والمنافع ، كل ذلك ليس امرا هينا ، وليس النجاح فيه لازما في كل الحالات وبصورة آلية .

مادية وفكرية والا كانت حالة الاستقلال مجرد حالة مظهرية ليس لها من محتوى يعول عليه كثيرا وحتى اذا كان لهـا من محتوى فانه لا بد ان يكون في هذه الحالة عبارة عن حقيقة محلية قائمة ، ليس لها طاقة للتفاعل مع بقية العالم ، والارتباط بقضايا التطور الانساني العالمي ، ارتباطا مصيريا كاملا .

★ ★ ★

ما هو الامر بهذا الشأن بالنسبة للعالم العربي ؟ اذا ما نظرنا ـ على هذا النحو ـ في حالات استقلال الدول العربيـة فاننا سنجد امامنا ـ باعتبار هـذا الموضـوع ـ مجموعتيـن اساسيتيـن :

1) مجموعة الدول التي تمكنت من احراز استقلالهـا الجزئي او الكلي فيما قبل الحرب وذلك كمصر والعراق مثلا ، ويضاف اليهما بعض البلدان العربيـة التي بقيت مستقلـة على صورة من الصور (اليمن مثلا) او استقلت مباشرة عقب انفصالها عن كيان الامبراطورية العثمانية في اعقاب الحرب العالميـة (الحجاز مثلا) اما المجموعة الاخـرى ، فهي مجموعـة الدول العربية التي لم ترق الى مرتبة السيادة الدوليـة الا في خـلال السنوات العشرين الماضية وهذه المجموعة الاخيـرة ابتـداء من اولها استقلالا (الشام) الى احدثها استقلالا (الجزائر) تشكل اغلبية اعضاء الاسرة الدولية العربية من حيث العدد ، لكنه بالرغم من هذا الاختلاف في التوقيت الزمني لاستقلال الاقطار العربية فان هذه الاقطار لم تسر فعـلا في سبيـل مواجهـة الاختيارات العالمية الواسعة ولم تسلك منهجها الخاص المتميز في موضوع هذه الاختيارات ، وما يفرضه ذلك من التزامات وتحملات على الصعيد الفكري والمادي ـ لم تسر مختلف البلاد العربية في هذا الخط الحيوي الا في خلال السنوات التي اعقبت الحـرب وعلى الاخص ـ كما تقدم ـ منذ ان تمت « النكبـة » الفلسطينيـة ، والعلة في ذلك بسيطة واضحة ، فالعالم ـ قبل الحرب ـ كانت تسوده اختيارات مسبقة ومحدودة جدا وفي كثير من الحالات تفرض هذه الاختيارت على عدد من الاقطار الصغيرة ما كـان منها مستقلا او غير مستقل والاختيارات هذه هي التـي كانـت تتبناها الدول الامبرياليـة التقليديـة على اساس ابقاء زمـام المبادرة في ايديها وافراغ الاستقلالات الصغيرة الموجـودة من كل محتوى يمكن ان تكون له فاعلية دولية حقيقية وواضح ان الشعوب العربية المستقلة حينئذ لم يكن لها لتشذ عن القاعدة كما كان الامر كذلك بالنسبة مثلا للاستقلال الصيني والحبشي وغيرهما من الاستقلالات الافريقية والاسيوية الموجودة قبل الحرب اما فيما بعد ذلك فقد اصبح باب الاختيار واسعا امام الدول الصغيرة بما فيها الدول العربية والسبب في ذلك واضح ايضا ومعروف وهو ان الظروف السكيولوجية والسياسية والاقتصادية التي انبثقت عنها الوضعية العالمية الجديدة لم تعد تتلاءم مع عهود الوصاية والاشراف العالمي الذي كان فيه للدول الغربيـة الكبـرى الحظ الاوفر ، ومما لا ريب فيه ان انفتاح افاق عالمية من هذا النوع ـ وان كان في صالح الدول الصغرى ـ الا انه لم يكن كله مجرد حظ سعيد تهيأت فرصه لها بصورة معجزية فقد وضع ذلـك على كاهلها مسؤولية الاختيار ومسؤولية التصرف الارادي المتحرر ومسؤولية النجاح في هذا الاختيار والتصرف بالوجـه الـذي يضمن للتوازن العالمي الجديد ـ القائم على اساس ظهور القوى الاسيوية والافريقية في الميدان ـ يضمن لهذا التوازن معقوليته وفاعليته واستمراره .

ولكي ندرك اهمية القضايا من هذا القبيل التي اصبح من اللازم مجابهتها على وتيرة او اخرى لا باس ان نستعرض امامنا بعض الاختيارات الدولية الكبرى التي واجهتها الدول العربية وغيرها غداة ان احرز واحد منها او الآخر على مرتبة السيادة وحرية التصرف الدولي :

1) الاختيار بين الانحياز وعدم الانحياز وصلة ذلك بمصالح الدولة المعنية بهذا الاختيار ومسه او عدم مسه بسلامتها الذاتية وعلاقاتها الاقليمية والعالمية والممكنات التي تتوافر لها في ميادين الاقتصاد والتجارة وغيرها .

2) الاختيار بين العزلة من جهة او التعاون الدولي من جهة ثانية على اعتبار ان العزلة هي تجربة دولية معمول بهـا ولها دواعيها ومبرراتها ومناهجها الفكرية والعملية وايضا على اعتبار ان التعاون من جهتـه يعتبر تجربـة ممارسة من اكثـر التجارب الدولية شيوعا في عالم اليوم .

3) الاختيار بين مبدا المدافعةعن المصالح القومية بوسيلة الاستعداد الحربي واستعمال العنف بشتى اشكاله او الاعتماد في ذلك ـ بالعكس ـ على العمل المسالم كالاتجاه مثلا الى سبيـل الاقناع المباشر ، والاستنجاد بالرأي العام الدولي واستغـلال مرور الزمن وتبدل الاحوال الى غير ذلك .

4) الاختيار بين سبيل العمل في واجهة دولية مفردة كما توثر ذلك بعض الدول التي تفضل العمل في دائرة الامـم المتحدة فقط وبين امكانية العمل في واجهات دولية متعددة اي ـ بشكل متواقت ـ داخل نطاق الفكرة الامية (الامم المتحدة) والقارية (الوحدة الافريقية مثلا ، وحدة نصف الكرة الغربي) والحضارية (الرابطة الافريقية الاسيوية مثلا) والقومية (الوحدة العربية مثلا) الى غير ذلك من واجهات العمل الدولي ومجالاته .

★ ★ ★

لم نستعرض في الفقرة السابقة كل موضوعات الاختيـار التي ما فتئت تواجه الدول ، والدول الصغرى في عالم ما بعد

وقد اتخذ هذا الكفاح اشكالا ذات قيمة عملية في العصر الحاضر ، والعرب يوجدون من بين القوى المهمة العاملة في هذا الميدان ، ويعتبر العالم العربي اليوم من بين المناطق العالمية الاكثر نشاطا ضد السلالية ، والميز السلالي في العالم ، وخاصة في القارة الافريقية ، وتكاد الديبلوماسية العربية اليوم تجعل من قضية العنصرية في جنوب افريقيا وغيرها موضوعا رئيسيا لنشاطها يطغى احيانا على اهتمامها حتى بالمشكلة الاسرائيلية ، وقد قطع الكفاح ضد السلالية اشواطا بعيدة في الميدان الدولي وقد جنى العرب من اسهامهم في هذا الكفاح سمعة لا باس بها ، وامكنهم — الى ذلك — ان يمارسوا تجارب نضالية مهمة الا انهم مع هذا النجاح العام ما زالوا محققين في اقناع الملأ الدولي بعنصرية اسرائيل ، وبان الكيان الاسرائيلي يقوم على قاعدة سلالية رجعية ، يعتبر احتذاؤها — فيما لو اصبحت مثالا يعمل بمقتضاه — رجوعا القهقرى مدى قرون عديدة .

2) الحياد : لاسبيل للادعاء بان العرب هم الذين خلقوا وضعية الحياد بمفهومه الايجابي الحالي ، غير ان هناك امكانية واسعة للقول بان المبادرة العربية في هذا الموضوع كانت قوية وفعالة وذات اثر بعيد الغور فقد كانوا — اثناء العقد الاخير — من اوائل الدعاة الى الفكرة ثم اتخذوا في نطاقها — خطوات مهمة تحدد كيانهم الدولي نفسه ، وساهموا عبر مؤتمرات « باندونغ ، وبريوني ، وبلغراد ، والقاهرة الاخير» ساهموا عبر هذه المؤتمرات في بلورة المفهوم الحيادي وتطبيق مقتضياته وتعيين مكان له ذي اهمية خاصة في مضمار التيارات السياسية في عالم اليوم .

3) التعاون الدولي : لقد طرأت تغيرات مهمة على مفهوم التعاون ونتائجه ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

ا — كان التعاون بمفهومه الحقيقي لا يكاد يتحقق في كثير من الاحيان الا في نطاق العلائق بين الدول الكبرى ، اما الدول الصغيرة فقد كان التعاون معها يقتضي التدخل في شأنها ومراقبة تخطيطاتها وسياستها الاقتصادية وغيرها وربما الاشراف على ميزانيتها في بعض الاحيان وان كان ذلك بصورة غير مباشرة اما التطورات التي حدثت فقد تناولت مفهوم التعاون بين الدول الصغيرة والكبيرة وحددت له اوضاعا ومقتضيات تتناسب مع مستوى التوازن الدولي الجديد ولكي لا نطيل نتجاوز عن الحوادث لنخلص الى النتائج الحاصلة واهم هده النتائج تظهر في المفاهيم والحقائق الجديدة المتعلقة بالتعاون الدولي في الوقت الحاضر ، ويجب الاعتراف بان التعاون بين الدول الكبيرة والدول الصغرى لا يزال يقوم في غالب الاحيان على الاعانات الفنية وغيرها التي يقدمها جانب واحد الى الآخر اي الدول الكبرى الى البلدان النامية ، اما التطور الذي حصل فهو ان الدول الصغيرة قد فرضت اطارا مبدئيا لنظام الاعانة والاستعانة ، اصبح العمل يجري به على نطاق واسع ، وهذا الاطار المبدئي تتمثل بعض جوانبه في المقتضيات الآتية :

ا — الاعانة لا تقتضي التدخل . ب — الاعانة لا تستوجب وضع اي قيد او شرط سيما اذا كان يمس جانب السيادة . ج — الاعانة لا ينبغي ان تستغل لابتزاز الدولة المعانة ، وجني الارباح منها بشراهة . د — الاعانة لا يجب ان توجه لخدمة مصالح الدولة المعينة اكثر مما يجب ان تصرف لتحقيق اهداف التنمية للدولة المعانة . هـ — من الضروري دائما التفريق بين ايديولوجية الدولة المعينة وسياستها في تقديم الاعانة بحيث لا تدخل الاغراض المذهبية في موضوع تقديم الاعانة ، ولو بصورة غير مباشرة .

واذا كان التعاون الدولي قد اصبح يخضع في كثير من الحالات لمفاهيم من هذا النوع ، فان ذلك لم يتم بدون صراعات وتقلبات دولية عرفها العالم خلال العقدين الاخيرين ، والمهم في هذا الموضوع ان العرب كانوا من بين القوى الدولية الاساسية التي ساهمت في خلق وضعية من هذا القبيل وذلك ب :

ا — رفضهم الاحلاف مبدئيا (حلف الشرق الاوسط مثلا)
ب — رفضهم الخلط بين الاعانة والتحالف (سياسة القواعد مثلا)
ج — رفضهم الخلط بين الرغبة الشديدة في محاربة التخلف ، وبين امكانية اعتناق مذهبية خاصة في هذا المجال تبعد بهم عن واقعهم الماثل .

اما من الناحية الايجابية ، فهناك : ا — مشاركتهم العملية في حركة الوعي الاقتصادي والسياسي الذي اجتاح الشعوب الصغيرة عقب الحرب (يلاحظ النشاط العربي داخل الكتلة الافريقية الاسيوية القديمة ، ثم منظمة الوحدة الافريقية ثم التجمعات الاقتصادية للبلدان النامية) . ب — اسهامهم العملي في اقامة مبادئ للتعاون بين المتخلفين سواء في افريقيا وآسيا او في امريكا اللاتينية . ج — مساهمتهم القوية — بالتعاون مع مختلف الشعوب الصغيرة الاخرى — في تطوير سياسة الامم المتحدة وجعلها — اكثر من اي وقت مضى — اداة اعانة وتنمية وتطوير ، وتجريد الدول الكبرى من السيطرة المطلقة التي كانت في هذا الميدان .

★ ★ ★

لماذا امكن للعالم العربي ان يحقق هذا القدر الملحوظ من التقدم في المجال الدولي على الرغم مما لا يزال يعانيه العرب من ادواء نفسية واجتماعية وسياسية لا حد لها ، وعلى الرغم من تصادمهم في نفس الوقت مع الصهيونية والامبريالية والاممية البروليتارية ؟ قد يتحدث المتحدثون في هذا الميدان عما يمكن ان يعتبروه عبقرية عربية يتصورونها ويحددون مظاهرها على

هل يمكن للمرء — بناء على جملة الاعتبارات السابقة — ان يذهب مطمئنا الى القول ، بان العالم العربي قد نجح فعلا في تكوين اختياراته الدولية الرئيسية ، وان هذه الاختيارات من شأنها ان تمكن العرب او هي مكنتهم عمليا من بناء مركز دولي قوي ، ومأمون المصير ؟ من الناحية المنهجية يجب — قبل كل شيء — مراعاة الاحترازات الآتية :

1) اننا سنلحظ — ولا نقول ندرس — التجربة الدولية للعرب ، في بعدها العربي العام الذي لا يخص قطرا بعينه ، وذلك لان القيمة الاساسية للعمل الدولي العربي لا تظهر اهميتها النسبية الا على المستوى الجماعي العربي ٠

2) اننا سوف لا نركز اعتباراتنا فقط ، حول النجاح الذي يمكن ان العرب قد اصابوه فيما يتعلق بمصالحهم الدولية الخاصة على وجه او آخر ، وانما الذي سيعنينا اكثر ، هو مدى ما ساهم به العرب في ميدان المصلحة العامة لمجموع الشعوب المتخلفة ، وفي مجال التطور الايجابي البناء الذي يجب ان يعرفه العالم الحديث سواء على الصعيد السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي او غيره ٠

واذا ما قسنا امر الاختيارات والاعمال الدولية العربية على هذا الاساس ، فاننا سنلحظ — على ضوء الوقائع والاتجاهات العامة التي عرفها العالم خلال العقدين الاخيرين ، ان المبادرة العربية قد كان لها بالفعل اثر مهم فيما آل اليه امر الاختيارات المهمة التي يتبناها العالم الثالث الان سواء في موضوع الحياد او في قضايا التعاون الدولي ، او في غير هذا ، وذلك من اختيارات والتزامات تتسم في حالات عدة بكثير من الدقة والتعقيد ، والمهم في ذلك على وجه التحديد ان المبادرة العربية في هذه الميادين — وان كانت تنطوي — في كثير من الصور — على انواع من التناقض المبدئي والسلوكي تفرضه حتميات سياسية لا مفر منها الا ان هذه المبادرة ما فتئت تحتفظ مع ذلك — بقدر من المرونة وبدرجة من التوفيق النسبي ، الذي يظهر واضحا — كما تقدم — عند تقييمنا لمجموع السياسة العربية وان كان لا يظهر بنفس الوضوح وبنفس القوة ، اذا ما حللنا السياسة العربية الى اجزائها الاولى واعتبرنا سياسة كل قطر عربي على حدة وفي نطاق هذا الاعتبار يبدو من المناسب ان نلقي نظرة سريعة على مجمل الخريطة السياسية في العالم الحاضر لنرى مدلولات النشاط العربي وعموم الموقف العربي من هذه الخريطة التي يعتريها التغيير باستمرار ، فالعالم الآن ثلاثة عوالم : العالم الغربي ، والعالم الشيوعي ، وعالم الحياد والتخلف ، اي العالم الافريقي والاسيوي او العالم الثالث ، واذا ما حاولنا ان نتبين احوال العرب الدولية ضمن هذه العوالم ، فاننا سننتهي — على ما يبدو — وبعد دراسة مجمل الاوضاع القائمة في العالم ، الى ما يلي :

1) العالم الرأسمالي : موقف العرب منه ، من الناحية السلبية يلاحظ الاسهام العربي في الحركة العالمية من اجل التخلص من بقايا الاستعمار التقليدي ، وتتبع مواطن نشاطات الاستعمار الجديد ، ومن الناحية الايجابية : يلاحظ التطور المهم في العلاقات الاقتصادية والفكرية بين العرب ، ومختلف اقطار الغرب الاوربي والامريكي ٠

2) العالم الشيوعي : من الناحية السلبية : يلاحظ مقدار الصمود الذي اظهرته الروح العربية والمذهبية العربية امام الاغراء الايديولوجي الماركسي ، ومن الناحية الايجابية : يلاحظ ثمرات التعاون الاقتصادي والحضاري وحتى السياسي بين العرب والكتلة الشرقية الشيوعية ٠

3) العالم الثالث : من الناحية السلبية : يتأثر العرب — بصفتهم شعوبا متخلفة — بكثير من الاحوال السلبية وحتى التقهقرية التي يعاني منها العالم الثالث سواء في مضمار التعاون الاقتصادي بين الدول النامية او غير ذلك ، فلحد الآن لم تستطع الاقطار العربية فيما بينها او مع غيرها من شعوب العالم الثالث لم تستطع ان تسير في طريق تحقيق تنمية متناسقة ومتكافلة تستوعب المشاكل الكبيرة التي تتميز بها حياة الدول النامية ، وتضمن لهذه الدول ظروف عمل منظم ، وبعيد المدى من هذا القبيل ، لكن الشعوب العربية مع ذلك ، قد استطاعت ان تحتفظ بقدر من المرونة امام بعض المشاكل السياسية التي تهز اوصال القارة الاسيوية بصورة اخص والتي تتصل بتيارات الصراع بين الشرق والغرب اكثر مما تتصل بالقضايا الاسيوية الخاصة — هذا من الناحية السلبية في علاقة العرب باقطار العالم الثالث اما من الناحية الايجابية فقد استطاعت الحركة العربية الحديثة ان تحقق قدرا كبيرا من الالتحام بينها وبين حركة الانبعاث والتحرر في مختلف افاق العالم الثالث ، ويوجد العالم العربي اليوم لا مجرد قوة عادية من القوى العاملة في نطاق هذه الحركة بل كمركز اساسي من المراكز المحركة والدافعة لها الى الامام ، وقد يطول بنا القول فيما لو حاولنا — في هذا الحديث المحدود — ان نضع تاريخا مفصلا لمجموع المساهمات الرائدة التي شاركت بها العالم العربي في حركة الانبعاث والتحرر والتطور التي يعرفها الآن العالم الثالث ، الا اننا سنجتزيء ببعض اللمحات غير التاريخية ، اي اننا سوف لا نستعرض الاحداث استعراضا ، وانما سنلقي نظرات مستعجلة على بعض القضايا الرئيسية التي تشغل العالم الثالث ، والتي يمكن القول ان العالم العربي يقوم فيها بدور رائد ، لا تنكر اهميته ، ومن هذه القضايا :

1) اللاعنصرية ، ومشكلة العنصرية من اهم المعضلات التي واجهها العالم منذ القديم وخصوصا بعد ان اتخذت تنظيما فكريا على يد « كوبينو » وغيره ، وبمقدار ما هو قديم وجود المشكلة بمقدار ما هو قديم كذلك كفاح الشعوب الملونة ضدها،

ذلك الى نسبة الامية السائدة فقط ، ولا الى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فحسب بل يرجع ايضا الى طبيعة العقلية غير الواقعية التي تسيطر على عدد من المشتغلين بقضايا الثقافة والفكر فتبقيهم اسارى نوع من اللفظية الجوفاء ، ولا تترك لهم الا مجالا ضيقا للتخلص من المركبات والعقد المنحدرة عن عصور الانحطاط ، وحتى عدد من المفكرين المتحررين فانهم لا يعدون ان يكونوا مجرد مرددين لاصداء النزعات الفكرية في الغرب ، وربما في بعض الاحيان بدون تبصر كاف يخول لهم قدرة على الالتقاء المجدي مع الواقع الحضاري والفكري عند المجتمع العربي الراهن والمساهمة في تقويم التيار ، تيار التحول الذي هو عشوائي في بعض الاحيان والذي يجتاح المجتمع العربي الراهن ليخطط له سبيل مستقبله لامد غير قصير .

ب ــ ضعف حاسة النقد الموضوعي العلمي ، وافتقار الحياة الفكرية بسبب ذلك الى الاداة الاساسية الوحيدة التي تهذب جوها ، وتصقله وتغذيه وتفسح امامه الافاق ، والواقع ان الامر في ذلك ليس ناشئا فقط عن ضآلة الامكانيات النقدية عند النقاد ، بل يرجع كذلك الى تفاهة الخلق العلمي عند المنقود لهم لان الكثير منهم لا يومن ولا يريد ان يومن بضرورة النقد وجدواه في الحياة الفكرية ولذلك فان المحاولات النقدية لاثارهم تثير عندهم جملة انفعالات سلبية قد تؤدي الى نوع من الخصومة واللجاج لا يكاد يعرف لهما اول من آخر وقد ينتهي الامر بان يصبح ذلك وسيلة الى امتاع الفضوليين من القراء وهواة المفارقات والمواقف المتناقضة ولكنه لا يفيد الحياة الثقافية بالطبع على اي حال .

ج ــ هناك ايضا جانب آخر يتمثل في ضعف الحصيلة الثقافية عند عدد من المعنيين بشؤون الفكر والثقافة في العالم العربي الامر الذي لا يؤهلهم لاستيعاب مختلف المشاكل ومجمل الظواهر المحلية والعالمية ، التي تحيط بهم ، وبالمجتمع من حولهم ولذلك فان معالجاتهم تاتي ــ في بعض الاحيان ــ دون المستوى الذي يجب ان يرقى اليه فكر واع للاشياء متعمق فيها ، وليست المؤهلات الجامعية ذات ضرورة حتمية في هذا الشأن فكثير من الرواد في الغرب وغيره لم يكن لهم مؤهل جامعي اطلاقا لكنه سيبقى من الضروري دائما للمفكر توافر قدر ، من سعة المعرفة التي يؤججها الشك والقلق ومزيد التطلع للمجهول، هذا الى توافر عدد من المؤهلات الروحية والعقلية التي تمكنه من المساهمة في اخصاب العقلية العامة في مجتمعه ، واثراء الفكر الانساني بوجه عام .

د ــ واذا ما شدد المرء ــ هكذا ــ على موضوع التكوين الثقافي عند المفكر فان ذلك لا يقاس فقط بمقدار ما التهمه هذا المفكر من كتب وما احاط به من افكار الآخرين ونظرياتهم بل المهم مثل هذا او اكثر منه ، مقدار ما للمفكر من خبرات مباشرة في الحياة وتجارب يمارسها بصدد اتصال حياته بحياة الناس وتقلبات احوالهم ، وذلك سواء في النطاق المحلي او على المستوى الانساني العام ، فالتجربة والخبرة عند المفكر لا تحدها حدود قومية وانما مجالها الانسان حيثما كان والحياة انى وجدت بل ما وراء الحياة كذلك حينما يكون في ذلك نفع للحياة ، وتأكيد للمعنى الايجابي الخير فيها ، ولهذا فبقدر ما تفرض مهنة الطب او الهندسة مثلا نسبة دقيقة من الاختصاص بقدر ما يضع الفكر المجرد على صاحبه مسؤولية استبطان مختلف اوجه الحياة والاحياء ، واستكشاف آفاقها وظواهرها الاكثر دقة وخفاء وابراز هذه الجوانب ابرازا يتيح الاستمتاع بما هو جدير بالاستمتاع ، وتقويم ما هو في حاجة الى تقويم فكل ذلك يتطلب من المفكر ان تتوافر له امكانيات عقلية شاسعة في نفس الوقت الذي تتهيأ له فيه درجة عالية من الاستعداد الخلقي والاستقامة الفكرية التي ترفعه عن مستوى التفكير العشوائي الساذج .

* * *

هناك الكثير من هذا القبيل مما يمكن ان يقال على هامش الحياة الفكرية الحديثة في العالم العربي ويتخذ احيانا كحجة يعتد بها في تعليل نواحي النقص الموضوعي والشكلي الذي لا يزال يقعد بالفكر العربي ، عن ان يصل الى المستوى المنشود له كفكر خصب وراق ومعطاء والواقع ان وجود هذه النقائص وغيرها لا يمكن ان يعد ــ باي حال ــ ظاهرة سوء وتعثر فالفكر العربي يعاني في بعض الصور حقا نقائص ليس له منها مناص ومن ابرزها : السطحية والابتذال والتقليد المتهافت من جهة ، والجمود الناشئ من جهة اخرى هذا الى احوال من ضيق النظر والتعصب والتقوقع وضعف الميل الى الابتكار الحقيقي بكل مميزاته ونتائجه (وبالطبع فان هذه الاوصاف لا تنطبق على كل ما يصدر من ثمرات الفكر العربي ولكنها تنطبق على عدد كبير مما يصدر) غير ان هذه النقائص ليست لازمة من لوازم الذهنية العربية فوجودها يعكس فقط طبيعة مرحلة من مراحل التطور والمراحل آخذ بعضها برقاب بعض وبمقدار ما يستفاد من مرور المراحل وتعاقبها بقدر ما تتضاءل النقائص وتكثر المزايا الا ان المهم في هذا كله هو النظر فيما اذا كان تطور الفكر العربي يسير هكذا على نحو تتضاءل خلاله النقائص وتكثر المزايا ؟ يمكن للمرء ان ياخذ برأي في هذا الموضوع، اذا ما حصره في نطاق قطر عربي معين ، وذلك بعد فحص مجموعة الظواهر الادبية والفكرية في هذا القطر ، وتقييمها تقييما علميا شاملا اما وان الفكر العربي يستمد فعلا روافده من مختلف آفاق العالم العربي ، ويتشعب هكذا بتشعب البيئات الفكرية والسيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية التي نشأ فيها ، فذلك ما يجعل عملية التقييم هذه عملية معقدة جدا ولا

هذا النحو او غيره ، والواقع ان العرب ككل الامم الاصيلة لهم عبقريتهم التي مكنتهم من المحافظة على ذاتيتهم الحضارية رغم العوامل والتيارات التاريخية المضادة لكن اعتماد العبقرية هكذا لتعليل الظاهرة الانبعاثية العربية من شأنه ان يقود الى استنتاجات عاطفية لا الى استنتاجات علمية صحيحة نوعا ما وقد نكون اقرب الى الروح العلمية اذا وضعنا في اعتبارنا — بصدد تقييم هذه الحالة — مجموع الظروف والحقائق والعوامل الطارئة التي اكتنفت العرب خلال عهود الانحطاط ، وفي فجر عصر النهضة الحالية وكان لها تأثير مباشر او غير مباشر في الامر ولذلك فان على المرء ان يضع في حسبانه بهذا الصدد جملة الاعتبارات الآتية :

1) استمرار الشعور العربي في خلال قرون الانحطاط وسهولة اثارته غداة بزوغ فجر النهضة العربية الحديثة ، ومن ثم يلاحظ ان الوطنية العربية — متمثلة في مختلف الحركات الانبعاثية بالعالم العربي منذ اواخر القرن الماضي — هذه الوطنية تطور الشعور بها ، والعمل من اجلها في وقت مبكر جدا بالنسبة لكثير من الحركات الوطنية الاخرى التي عرفتها اقطار عديدة في افريقيا وآسيا وانتهت بهذه الاقطار الى الاستقلال بفضل الجو الدولي الجديد اصبح يعيشه العالم فيما بعد الحرب .

2) التجارب النضالية العربية كان ميدانها خصبا وواسعا طيلة العقود الستة الماضية ، فسعة العالم العربي ، وتعدد اقطاره ، وتنوع الاوضاع والقضايا في هذه الاقطار خلال وجودها تحت الحكم الاجنبي ، كل ذلك — بغض النظر عن مساوئه — كان له اثره مهم في توسيع نطاق التجربة النضالية العربية وبالتالي توسيع نطاق التجربة النضالية العربية وبالتالي توسيع افق الفكر النضالي عند العرب بما في ذلك حالة النضال من اجل المحافظة على الاستقلال الحاصل وتمتين ركائزه، والملاحظ — بهذا الصدد — ان النموذجين الاساسيين للاستعمار الحديث وهما النموذج الفرنسي والنموذج البريطاني (هذا الى نموذج ثانوي ولكنه فريد وهو النموذج الايطالي) هذه النماذج قد احتك بها العرب كلها وفي نفس الوقت فكان من ذلك ان اكسبهم خبرة وبصيرة وزودهم برصيد ضخم من المعرفة بالتكتيك السياسي المتبع في نطاق المؤامرات الدولية الكبرى وكل هذا كان من شأنه ان يفتح الاعين العربية كثيرا ويفيدها في ممارسة تجربة الاستقلال نفسه ، اكثر مما افادها في ممارسة الكفاح من اجل هذا الاستقلال .

3) الاقتناع التلقائي بالذاتية الحضارية الخاصة ، وعمق الانفعال التقليدي بالتراث الاسلامي وكل هذا كان له اثره كذلك في تحديد الموقف العربي من التيارات السياسية في العالم وحال دون ان يتأرجح العرب كثيرا بين هذه التيارات ويفقدوا معالم الطريق في خضمها على النحو الذي يلاحظ عند شعوب اخرى في العالم الثالث في آسيا وغيرها .

وبعد ، فهل تتناسب المكانة السياسية التي لا بأس بها والتي يحتلها العرب في عالم اليوم ، مع مكانتهم الثقافية والفكرية المعاصرة ؟ وهذا يقودنا الى سؤال اكثر اهمية : هل للعرب مكانة ثقافية وفكرية حقيقة في عالم اليوم ؟ بل هل يوجد هناك ما هو جدير بان يعتبر ثقافة عربية قائمة المعالم وغنية بمصادرها ومواردها على النحو الذي يكفل للعرب بواسطتها نوعا من المكانة لا بأس بها في عالم الفكر المعاصر ؟

لا بد اولا من اجراء بعض التحديد : ان القصد هنا ليس واسعا بحيث يرمي الى تقييم النهضة الثقافية العامة في العالم العربي بما لها من مظاهر متعددة تشمل تقدم التعليم والصحافة وانتشار الوعي العلمي ، وتطور الحياة الجامعية ، والمختبرية وصلة ذلك بتطور الوجود الفكري والثقافي للمجتمع العربي الراهن ، وانما القصد فقط هو استعراض الظروف التي تحيط بتطور الفكر العربي المعاصر والنظر في بعض القضايا التي يكون بعضها مشكلة تحد من انطلاقة هذا الفكر ، وطموحه لاداء رسالة ما نحو الانسانية الجديدة كما تعيش في هذا الدور من حياة العالم فيما بعد الحرب ؟ .

ان هناك في هذا الباب جملة من الحقائق الاساسية نلم بها ويجب ان يكون لنا موقف ايجابي من المشاكل الناشئة عنها ، فهناك حقيقة فكر عربي حديث ، يعود بنشأته الى عصر النهضة العربية الحديثة ، خلال القرن الماضي وترجع مرحلة تطوره الراهن الى فترة ما بعد الحرب وهذا الفكر لا يمكن استكشاف آثاره ونتائجه فيما يصدر من انتاج مكتوب او مصور او مسموع فقط بل يتجلى اثره اكثر من ذلك فيما حمله من تأثيرات عقلية ووجدانية ساهمت في تكييف الحياة العربية خلال العقدين الاخيرين وذلك على نحو تقل اهميته او تكثر ولكن هل يعني ذلك ان الفكر العربي الراهن قد بلغ بالفعل درجة ما تخوله المستوى الذي يليق بكل ظاهرة فكرية مسؤولة لها تأثير حاسم على مجرى الحياة في النطاق العالمي الواسع ؟ لا يبدو ان هناك مفكرا عربيا جادا يدعي ذلك،واذا كان من تأثير فكري في معركة التحول العربي الحديث ، فليس معنى ذلك ان المؤثرات الفكرية البحتة هي التي كان لها القول الفصل في ذلك فتأثير الادب العربي في التحولات العربية الحديثة كان تأثيرا محدودا ان لم يكن ضعيفا جدا في بعض الحالات ولهذا فالملاحظ ان هذه التحولات لا يصحبها بالضرورة وعي فكري عميق وشامل ولعل هذا من جملة العوامل التي تجعل النهضة العربية في حاجة الى الكثير لكي تصبح نهضة كاملة تستنفد الاهداف الانسانية الواسعة التي تتوخى منها مبدئيا وفي امكان الملاحظ ان يجد كثيرا من الظواهر التي تقوم — في نظره — كاسباب تعلل وجود حالة من هذا القبيل ومن بين هذه الظواهر :

1 — ضعف الصلة ، وبالتالي ضعف التفاعل بين المفكرين العرب وسواد الناس في مختلف انحاء العالم العربي ولا يعود

انه – من غير تهوين لامر هذه الجوائز ، فان الذي يبدو ان الاهتمام بها لا ينبغي ان يكون بهذه الدرجة الملحوظة فالاهتمام الزائد بهذه الجوائز يكاد يدل على وجود نزعة صبيانية ان لم يقل بان مبدا الجائزة نفسه تكمن من ورائه نسبة من الصبيانية تقل او تكثر اما المقياس البديل الذي يمكن ان نقيس به درجة ارتفاع او نخفاض القيمة العالمية للانتاج الفكري العربي هذا المقياس يمكن ان يكون من صنعنا نحن ولكن بشرط ان تزدهر في محيط الفكر العربي حركة النقد الصحيح وتقوم بدورها فعالا وكاملا ، ان بامكاننا – في هذه الحالة – ان نرى انتاجنا العربي على حقيقته وبدون ملابسات عاطفية او عقد نفسية اما الاساس الذي نعتمد عليه في ذلك فهو النظر فيما اذا كان ما ننتجه يهم غيرنا من الاجانب ويحدث لديهم اثارات ايجابية عميقة ويفتح امامهم منافذ عقلية جديدة لا عهد لهم بها هذا الى ما يمكن ان يخلقه هذا الانتاج من امتداد ذهني او تكييف وجداني وما ينشئه من تيارات فكرية وعقائدية يجد فيها هذا او ذاك تجاوبا مع روحه وعقله ودليلا له في مجال ما من مجالات الحياة الواسعة وعلى فرض ان بعض الاثار المهمة في الانتاج العربي الحديث ، يمكن ان تكون في مستوى من هذا القبيل او ما يقرب منه فان اللغة التي يصدر بها الانتاج وهي العربية توجد محدودة الانتشار في النطاق العالمي بل مغمورة في بعض الحالات ، على ان قضية اللغة – مع ذلك – ليست بذات اهمية حيوية في الموضوع فالاثر الخالد يشق طريقه حفا نحو العالمية فارضا وجوده ولو كان في الاصل مكتوبا باحدى اللهجات المحلية غير ان هذا لا يمنعنا – بالرغم عن كل شيء – من تقدير الاهمية التي يمكن ان تكون للغة بهذا الشان ولو ان الامر يتعلق باهمية نسبية لا غير ويتجلى هذا اذا قارنا سعة النطاق الذي يجده كتاب يصدر بالانجليزية او الفرنسية مع كتاب مماثل ينشر بالعربية وتلك احدى العوامل التي تتيح للكتاب الغربيين قدرا من السهولة في التعريف بآثارهم وافكارهم وذلك بنسبة لا تتوافر للكاتب العربي ولو كان مجيدا قديرا .

* * *

لكن هل يعني هذا ان اللغة تقوم كحجاب سميك بين الفكر العربي وبين ان يشق طريقه نحو مكانة عالمية على وجه ما ؟ وهل هو قدر محتوم اذن على الفكر العربي ان يبقى متوقعا في اطار محلية ضيقة ، لا تتجاوز حدود الوطن العربي الا بقدر ضئيل جدا ، ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بذلك على نحو جازم ، وذلك لسببين :

1) انه ليس لدينا ان ندعي ان ما ينتج هو ذو قيمة مطلقة بحيث ان محدودية انتشاره ترجع الى محدودية اللغة الصادر بها فقط ، بل انه – في اغلبية الحالات لا يزال الفكر في العالم العربي يتاثر في كثير من موحياته بالافكار والقوالب الاجنبية يجترها ويردد اصداءها وليس الاجانب بالطبع على استعداد دائم للعناية بانتاج من هذا القبيل لا ياتيهم بجديد مبتكر ولهذا فان باب العالمية ليس منغلقا امام الفكر العربي بصورة مبدئية بل ان من الممكن جدا قرعه وفتحه بالتدريج كلما كان هناك تقدم فكري حقيقي وعميق الجذور يبدو الآن ان الفكر العربي قد اصبح يجتاز مراحله الاولى بصورة يجوز ان تكون ناجحة .

2) ان العربية ليست مغمورة دائما على النحو الذي يمكن تصوره مبدئيا فلها امكانيات مبدئية مهمة في مختلف ربوع آسيا وافريقيا وخاصة في المناطق الاسلامية من هاتين القارتين يضاف الى ذلك ان الصلات القوية التي اصبحت تربط بين العرب وبين مختلف الشعوب النامية ثم المساهمة القوية التي اصبح العرب يقومون بها في الشوون الدولية والعالمية كل ذلك من شأنه – بكل تأكيد – ان يزيد من اهتمام الشعوب الاخرى بالشؤون العربية وينمي – بالتالي – قدرا متزايدا من العناية بالثقافة العربية واللغة العربية سيما اذا اصبحت هده اللغة تعبر عن معطيات فكر ينزع بالتدريج الى التحلل من القيود الضيقة التي ما فتئت تلفه منذ قرون ويعمل بنجاح على استيعاب مشاكل الانسانية في اطارها الواسع الخصب .

فثمت اذن – من الناحية المبدئية – امكانيات حقيقية امام الفكر العربي واللسان العربي ليحقق كل منهما قدرا من الانتشار يقل او يكثر وسبيل المفكرين العرب الى ذلك هو سبيل العمل على تقريب لغتهم وانتاجهم من العالم في نفس الوقت الذي يجب ان يتعرض فيه هذا الفكر لعمليات اخصاب وتعميق وتوسيع ويتعرض هذا اللسان لمزيد من عمليات الغربلة والتسهيل والتهذيب ، وهناك وسائل عمل بهذا الصدد ومن بينها :

1) التعريف بالفكر العربي عن طريق الترجمة الوافية او التلخيصية ، ولا يستطيع الافراد شيئا مهما بهذا الشان وخصوصا من الناحية التنظيمية ولهذا فان على المنظمات والمراجع الثقافية العربية الكثير مما يمكن ان تقوم به في هذا الباب .

2) العمل على افتتاح آفاق دولية للتعريف باللسان العربي ونشره عبر العالم وذلك بالوسائل والطرق التي تعتمد عادة في نشر اللغات الكبرى الحية كالانجليزية والالمانية مثلا ، وللاذاعات العربية والبعثات الثقافية في الخارج وغيرها مجال واسع للعمل بهذا الصدد .

3) ربط مزيد من اواصر الاتصال بين اوساط الفكر بالعالم العربي والاوساط الثقافية والفكرية بالغرب وغيره ومحاولة تبادل الخبرات والمعلومات بين هؤلاء واولئك ضمن سياسة ثقافية تستهدف نوعا من التحاقن والتفاعل يستفيد منه الجميع .

يتسع لها صدر نشرة دورية كهذه غير ان امامنا ـ مع ذلك ـ امكانية لتكوين بعض الملاحظات العامة حول الاوضاع الثقافية في الاقطار العربية وان كنا لا نطمع في الوصول من وراء ذلك الى تقص كامل للحقائق ومن هذه الملاحظات :

1 ان ظاهرة التطور الادبي في البلاد العربية ليست متوازنة مطلقا فهي من حيث الاهمية والاتجاه ، تختلف فيما بينها اختلافا بينا .

2) ان المؤثرات الاجنبية التي يتطعم منها البعث الادبي الحديث في البلدان العربية هذه المؤثرات ليست واحدة كما هو معلوم بل تختلف باختلاف المصادر الانجليزية والفرنسية وغيرها التي اتصل بها هذا القطر العربي او الآخر بحسب ظروف احتكاكاته الاولى بالثقافات الاوربية .

3) ان الادب العربي في المشرق والمغرب لا تكاد تتصل حلقاته الا بصورة ضئيلة ، فلا تواصل بين الادب المشرقي والمغربي ، الا من جهة واحدة اي من جهة اقطار المغرب العربي التي تعيش اوضاعا ادبية بسيطة ويخشى ان تؤدي مثل هذه الحالة الى استمرار عزلة ادب المغرب العربي وهذا ما لا يساعد على اعطاء الادب العربي الحديث الصبغة العربية الشاملة التي تتوخى له مبدئيا ، والواقع ان هذه الظواهر التي تسجلها هذه الملاحظات ليس لها ان تستمر طويلا ، بل ان بعضها قد بدا يتضاءل تاثيره، فمثلا الحالة الناشئة عن اختلاف المصادر الاجنبية التي تأثر بها الفكر العربي الحديث ـ هذه الحالة لم تعد لها اهميتها السابقة بعد التطورات المهمة التي عرفتها الاقطار العربية في ميدان الوحدة الثقافية والفكرية وبعد ان اصبح الجو مهيأ امام الفكر العربي الذي يفترض له ان يتخذ سبيله الى التطور الموحد ليحقق لقاءات مجدية مع الثقافات الجديدة في آسيا وافريقيا والافكار الغزيرة التي تنبثق هنا وهناك خارج نطاق اوربا الغربية وامريكا الشمالية .

ان الجو الفكري الجديد في العالم قد اصبح اكثر ملاءمة لتحرير الفكر العربي واخصابه بمختلف العناصر الحية المتجددة غير انه من اللازم مراقبة عملية الاخصاب هذه واجتناب الاحوال التي تكون فيها مثل هذه العملية تافهة المبدا والنتيجة اما الهدف المتوخى من كل ذلك فيجب ان يتركز دائما حول قضايا حيوية ومصيرية كتعميق الثقافة العربية وتوحيدها وصقلها واعدادها لا لكي تبقى اداة استقبال واستيعاب فقط بل لتكون كذلك وسيلة تفتح وتقدم واعطاء ، اي ان تكون وافية بحاجيات الانسان العربي بصفته قوة مهمة من القوى التي ينتظر لها ان تلعب دورها في اتجاهات العالم ومصيره .

وامام المفكرين العرب مجال كبير للعمل هكذا من اجل زيادة تفتيح الفكر العربي واخصابه وتوفير مزيد من الظروف له ليحقق لقاءات ايجابية وغنية مع التيارات الفكرية الاخرى في العالم ، لكن ذلك لا يجب ان يصرفنا عن النظر بل ومعالجة المشاكل « الداخلية » في نطاق الثقافة العربية الحديثة وقد رأينا من قبل بعض المشاكل من هذا القبيل وهناك غيرها مما لم نتعرض اليه ومن ذلك :

1) المشكلة اللغوية التي تتجلى خاصة في ازدواجية اللغة والتباعد الذي لا يزال موجودا بين الفصحى ـ اداة الفكر العربي ووعاؤه ـ وبين الحياة اليومية ومصادر الثقافة الشعبية .

2) مشكلة الحالة المتمثلة في بعض الفوضوية التي ما انفكت تغزو قطاعات كثيرة من قطاعات الفكر العربي .. هذه الفوضوية التي هي ناشئة عن مغالاة البعض في فهم حدود التجديد من جهة وتحجر الاخرين في ادراكهم لمدلول المحافظة ومداها من جهة اخرى .

3) المشكلة المتمثلة في استمرار طغيان روح الغيبية والسلبية على عدد من المفكرين والمنتجين ، وقد بلغت هذه الروح ذروتها في قرون الانحطاط الاخيرة ولا تزال لها آثار ماثلة الى اليوم تطبع كثيرا من مصادر الفكر العربي بطابع غيبي وتهربي بارز .

4) انتظار ان تستفحل القطيعة بين الاجيال الادبية القادمة وبين التراث الكلاسيكي العربي بحيث يمكن ان يصبح الانتاج ذا موحيات اوربية لا غير ، والتراث ـ رغم مساوئه ـ فانه الضمان الاساسي لوجود ادب عربي له اصالة وشخصية متميزة ومن غير شك فان تيار النهضة العربية الاخذ في القوة والتجدد لا بد ان يشمل بتأثيره مختلف هذه المشاكل والظواهر السلبية وقد كان الموضوع الذي دار حوله المؤتمر الاخير للادباء العرب هو : (دور الادب والفكر في بناء الوطن العربي) ومن المؤكد ان الشعور هكذا باهمية الدور الذي يؤديه الفكر في مضمار البناء يستتبعه بالطبع شعور مماثل بضرورة تثوير هذا الفكر نفسه وتخليصه من آخر بقايا عقد النقص والارتباك والسطحية والتهافت التي ما فتيء يرسف في قيودها طيلة قرون الانحطاط المديدة .

* * *

في كثير من المناسبات وبغير مناسبة ايضا يجد بعض الادباء العرب دافعا قويا يدعوهم الى التساؤل عن حظ الفكر العربي الحديث في مجال احراز الجوائز الدولية الكبرى ، وهل هو جدير فعلا بنيل مثل هذه الجوائز او انه يقصر عنها ؟ او ان هناك عوامل اخرى غير ادبية وغير معقولة تحرم المفكر العربي من التمتع بتقدير دولي من هذا القبيل .

عرض الكتب

تاريخ الأدب الجغرافي العربي

تقديم وتعليق: الأستاذ عبد القادر زمامة

هناك فى عالم الاستشراق مدارس اخذت طابعها واتجاهها فى البحث عن تاريخ الشرق وحضارته منذ ان اصبح الاستشراق ذا مكانة مرموقة فى المعاهد والجامعات الاوربية .

وقد امتازت المدرسة الروسية فى الاستشراق بعمق البحث ودقة النظر . والبحث فى حضارة شعوب آسيا الوسطى والحضارة البيزانطية .. وقد اصاب اعلام الاستشراق الروسي كما يصيب غيرهم من اعلام الاستشراق فى الامم الاخرى .. واخطأوا كما يخطىء غيرهم .. ووراء صوابهم وخطئهم تمكن الحقيقة التي هي وليدة البحث ..

والكتاب الذي بين ايدينا اليوم هو (تاريخ الادب الجغرافي العربي) وهو من تاليف المستشرق الروسي الشهير ((كراتشكوفسكي)) المتوفى سنة 1951 م .. وقد قراناه فى ترجمته العربية التي قام بها صلاح عثمان هاشم من الخرطوم عاصمة السودان . باختيار الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية . وطبع بالقاهرة آخر سنة 1963 م .

والكتاب سفر ضخم تتجاوز صفحاته 460 صفحة من القطع الكبير .. شغل المؤلف به نفسه ما يقرب من سبع سنوات من سنة 1938 م الى سنة 1945 م وكتب قسما منه فى لينينغراد والالمان على ابوابها فى الحرب العالمية الثانية ... وحالت منيته دون اتمام فصله الاخير المتعلق بالقرن الثامن والتاسع عشر ...

ولنرافق مؤلف الكتاب فى جولته الاستقصائية عبر تاريخ الحضارة الاسلامية يوم كان رواد المعرفة من طلاب العلم ، وحملة الشريعة وعشاق البحث وابطال المغامرات يجوبون المجاهل والمفازات ويعانون اعاصير البحار والمحيطات فى ارجاء العالم المعروف الآن ، المجهول اذ ذاك .

ولنرافق موضوع الكتاب فى دراسته الواسعة للادب الجغرافي العربي فى اقلام اعلام الجغرافيين والرحالين والمغامرين الذين ارتادوا صحاري افريقيا .. وممالك اوربا وآسيا وجزائر المحيطات النائية بوسائل وامكانيات محدودة . ولكنها كانت مفيدة ..

ولتكن هذه الصفحات من الادب الجغرافي العربي دليلا — لمن كان يلتمس الدليل — على اتساع آفاق الادب العربي فى ضروب من المعرفة والثقافة والبحث الى جانب ما يمتاز به من ربط حلقات الثقافة والحضارة ... واستيعاب منابع الفكر الانساني . مع استجابة . وانسجام . واخذ وعطاء ..

ولنعط الكلمة الآن لهذا المستشرق الروسي ليتحدث فى مدخل كتابه بعرض عام للموضوع فيقول :

((ان المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية فى تاريخ البشرية لامر مسلم به من الجميع فى عصرنا هذا. وقد وضح بجلاء فى الخمسين عاما الاخيرة فضل العرب فى تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقت لنفسها طرقا ومسالك جديدة فى العصور الوسطى . ولا زالت حية الى ايامنا هذه — اعني علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا — اما فيما يتعلق بالادب الفني العالمي فان العرب قد اسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءا اساسيا من التراث العام للبشرية كما امتد تاثيرهم كذلك الى عدد كبير من المصنفات والفنون الادبية التي نشات فى بيئات غير عربية .

((وبالطبع ليس فى وسع جميع الفنون المختلفة للادب العربي الحافل ان تدعي لنفسها مكانة واحدة من حيث القيمة . ومن حيث الاهمية العلمية . واذا كان بعضها مثل علم اللغة والعلوم الشرعية يمثل موضوعا لدراسات المتخصصين . الامر الذي لا يمنع بالطبع من اهمية استقراءاتهم . فى حالات معينة بالنسبة للنواحي العريضة فى تاريخ الحضارة. الا ان عددا من فروع الادب

وهناك امكانيات عالمية لها اهميتها بهذا الصدد وهي ناشئة في معظمها عن الجو العالمي الجديد الذي اصبح يعيشه العالم في خلال السنوات العشرين الاخيرة ومن الممكن اعتماد بعض هذه الامكانيات لتسهيل خطة اشعاع ثقافي عربي من حقنا ان ننشده كما تنشد الامم الحية الواعية ذلك ، ومن هذه الامكانيات:

1) ان هناك بالفعل تحولا عالميا واسع النطاق ناشيء في عمومه عن نهضة الشعوب الصغيرة والمحكومة سابقا ، ومن ملامح هذا التحول : الاتجاه القومي الى احياء الثقافات المنتسبة للحضارات الكلاسيكية وتقلص الفكرة السائدة من قبل في انحاء العالم المتخلف بان الثقافة الغربية هي قوام العقل الانساني الحديث ، والقاعدة التي يمكن ان يصدر عنها اي انطلاق عقلي اصيل (ومن يراجع محاضر التجمعات الثقافية في آسيا وافريقيا يمكنه ان يلمس ملامح اتجاهات من هذا القبيل) .

2) الظاهرة المهمة التي تعكس مقدار التطور في فكرة التعاون الثقافي ومفهومه ، فالاستشراق لم يعد فقط ميدان بعض المنعزلين الذين تحذوهم غايات علمية محدودة وجامدة وربما تدفعهم ايضا مقاصد سياسية او فضولية لا غير ، ان الاستشراق الحديث قد بدا يعكس — في عدد من الحالات — الرغبة في التعرف على الثقافات الشرقية واستقاء ما يمكن استقاؤه منها لاحداث نوع من الالتقاء الثقافي بين الشرق والغرب على نطاق واسع ومفيد للطرفين (هناك مجلات غربية مهمة ، تتبنى اتجاهات من هذا النوع علاوة على الجمعيات الثقافية المشتركة بين اوربيين وعرب كجمعية الدراسات الايطالية اللبنانية مثلا) (★) .

3) في افريقيا خاصة هناك اتجاهات قوية لتحديد انتشار الانجليزية والفرنسية والبرتغالية والاسبانية كلغات رسمية ، والبحث عن بديل لهذه اللغات بحيث يكون هذا البديل لغة افريقية راقية وموحدة تستطيع ان تستوعب الثقافة الافريقية وتقبل التفاعل الحي الخلاق بين هذه الثقافة وبين الثقافات الاخرى في شتى انحاء الدنيا ، وذلك في اطار الجو الجديد الذي اصبح العالم يحياه بعد تصفية النظام الامبريالي التقليدي وتبلور الاتجاه الى التلاقي والتجاوب بين شعوب الارض واتجاه الامر هكذا الى ازدياد التدخل بين الحضارات وامكانية تبلور ذلك في شكل حضارة تسودها مفاهيم وحقائق اكثر مرونة واوسع افقا .

★ ★ ★

عرفت بغداد في 15 مارس الحالي مظاهرة ثقافية عربية تستحق قدرا كبيرا من الاهتمام فقد عقد بالعاصمة العراقية مؤتمر دولي عربي للنظر في امر نشر الثقافة العربية واللغة العربية بالخارج وخاصة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، هذا في نفس الوقت الذي كانت تجتمع فيه بالهند الندوة العربية الهندية التي ضمت وفودا عن الدول المنخرطة في الجامعة العربية تباحث اعضاؤها مع الهنود مسألة تنمية التفاهم الثقافي بين العرب وشبه القارة الهندية واعتماد الوسائل الضرورية التي تلزم لهذا الغرض ، فعسى ان تكون مثل هذه الندوات وسيلة لتنمية اسس التقارب الثقافي والتفاعل الحضاري بين العرب والامم الاخرى وعسى ان يستطيع المفكرون العرب — سواء داخل مؤتمر بغداد او غيره — عسى ان يستطيعوا شيئا من اجل سياسة اشعاع ثقافي عربي يتم من جلاله ما يرجوه جميعا من التقاء الثقافات الانسانية الاصيلة على خدمة اهداف الخير والمحبة والسلام .

سلا : المهدي البرجالي

(★) عقد المؤتمر الثاني للدراسات الايطالية اللبنانية بروما خلال شهر نونبر الماضي وهو يستهدف توسيع نطاق التبادل الثقافي بين الشرق والغرب ، ومن الوسائل المقررة لذلك : ترجمة الكتب العربية الى الايطالية والعكس ، ونشر العربية بين الايطاليين والعكس .

دمشق ... وقد عثر على بعض هذه الحجارة بفلسطين وترجع الى عهد عبد الملك بن مروان (اي قبل 86 هـ) كما ان المؤلف يرد ظهور المصورات الجغرافية الى هذا العصر ... حيث بدأت الضرورة فى الميدانين الاداري والاقتصادي تفرض ذلك على القواد والولاة والجباة والفاتحين ...

وفى الفصل الثاني ينتقل المؤلف بنا الى الجغرافيا العلمية عند العرب ... وهو يعني بذلك اتساع آفاق البحث بسبب الترجمة عن اللغة اليونانية وظهور ابحاث الجغرافيين والفلكيين اليونان والهنود والسريان ... وقد لعب المنجمون وهم خليط من رجال العلم والشعوذة والاساطير دورا خطيرا فى الحياة اذ ذاك ... وسيطروا على عدد من رجال الحكم والسياسة بما كانوا يتحدثون به عن عوامل السعد والنحس حتى قال ابو تمام مادحا الخليفة المعتصم العباسي يوم تحدى هؤلاء وذهب لفتح ((عمورية)) رغم انذارهم له بانه سينهزم ...

السيف اصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى
متونهن جلاء الشك والريب

والعلم فى شهب الارماح لامعة
بين الخميسين لا فى السبعة الشهب

اين الرواية ؟ بل اين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

فالبحث الجغرافي اخذ طريقة البحث عن الحقائق كما اخذ طريقة اخرى بسبب الاسطورة والشعوذة ...

ولكن هذا كان كله فى البداية . ولم تلبث الحقيقة ان قهرت الاسطورة . ولم يلبث الفكر العربي الناضج ان شق طريقه الى الابتكار والتجديد فدونت الابحاث العربية فى ميدان الفلك ثم فى ميدان الجغرافية الوصفية والرحلات والمسالك والممالك ..

ولئن كان التأثير اليوناني باديا فيما اخذه العرب من معلومات فى الفلك فان الابتكار العربي فى الميادين الاخرى عظيم الاهمية ... ولا سيما فى دراسة الابعاد والمسافات ومعرفة الممالك والاقاليم وخطوط عرضها وطولها ... بالاضافة الى استكشاف المجاهل والجزائر النائية والاقاليم المهجورة ...

وفى الفصول : الثالث والرابع والخامس والسادس تناول المؤلف بالجمع والاستقصاء المدارس الجغرافية ومميزاتها فى البحث والتدوين .. وقد رجع فى ذلك الى عشرات المصادر بالعربية واللغات الاجنبية فجمع ما تفرق هنا وهناك جمعا غريبا .. وتناوله بالمقارنة والاستنتاج مما يعد مثاليا فى الموضوع :

والغريب ان المؤلف فى هذه الفصول وسع مفهوم الادب الجغرافي فحشر فيه الارصاد الجوية . والابحاث الفلكية والزيجات والجداول وكل ما يمت الى الجغرافية بصلة ما ... وكثيرا ما ينسى موضوعية البحث الذي يعالجه فينغمر فى عدة ملاحظات وآراء ذاتية فيها اعجاب بعباقرة الجغرافيين والرحالين المسلمين ثم يرجع وكانه يحمل مصباحا جديدا ينير لنا به الطريق ولا بدع قصة من قصص المغامرات البرية او البحرية الا ويتتبع رواياتها فى نطاق الحقائق والاساطير و ــ الفولكلور ــ كما فعل فى قصة الفتية المعروفة بقصة (المغرورين الذين خرجوا من لشبونة فى المحيط الاطلنتكي وغامروا فى البحر مغامرة قيل ان الغرض منها كان استكشاف العالم الجديد قبل (كلومبس) بقرون ..!!

ويناقش المؤلفين الرحالين كالمسعودي والمقدسي والاصطخري وابن حوقل ويعطينا ملاحظات دقيقة عما فى مؤلفاتهم من عمق وسطحية وحقيقة وخيال متتبعا الترتيب الزمني عبر القرون ... وذلك فى الفصول : السابع والثامن والتاسع ...

وجدير بالملاحظة ان المؤلف يريد ان يجعل الرحالين فى القرن الرابع والخامس مدرسة (كلاسيكية) فى الادب الجغرافي .. لما طبعوا به هذا الفن من طابع ظل ملازما له الى نهاية العصور الوسطى ..)

وينتقل المؤلف الى البحث عن الجغرافيين والرحالين المغاربة والاندلسيين وهذا الموضوع يهمنا بالذات. كما يهمنا ان نعرف آراء المؤلف فيه ويناقشها على ضوء ما عندنا من معلومات ..

ولكن مع الاسف فان الفصل العاشر من الكتاب الذي يتناول جغرافيي القرنين الحادي عشر والثاني عشر بالمغرب والاندلس .. لم يات فيه المؤلف بشيء زائد عن استعراض حياة البكري والادريسي وانتاجهما مع عرض عن كتاب ((الاستبصار)) الذي الف فى المغرب على عهد دولة الموحدين .. بقلم مؤلف ما زال يعتبر مجهولا الى الآن ...

العربي قد اكتسب اهمية تجاوزت بكثير حدود اختصاصاته الضيقة .. ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الادب التاريخي والجغرافي العربي الذي اعترف العلماء به منذ عهد بعيد. بانه المصدر الاساسي والموثوق به فى دراسة ماضي العالم الاسلامي . اذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ والجغرافي فحسب . بل ايضا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الادب والعلم والدين وللغويين وعلماء الطبيعة ولا يقتصر محيط الادب الجغرافي العربي على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الاولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب او التي تجمعت لديهم معلومات عنها . وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الاسلام .. وقد يحدث احيانا ان تمثل المادة الجغرافية العربية اما المصدر الوحيد او الاهم لتاريخ حقبة معينة لقطر ما..))

هكذا يقبل هذا المؤلف على دراسة موضوع الادب الجغرافي عند العرب وهكذا يقدر اهمية هذا الانتاج باعتباره انسانيا لا يهم العرب وحدهم ولا يشغل حيزا معينا من ادبهم ولكنه فى نفس الوقت يحتفظ للفكر البشري والثقافة الانسانية العامة بجواهر ثمينة ورصيد قيم خالد لاتبليه الايام ...

ولعله من المفيد ان نستعرض المهم من فصول الكتاب لنرى عمقها فى البحث والدراسة بعد ان عرفنا المدخل الذي قدمه المؤلف لتصوير الموضوع واهميته ومنهجيته ...

بدا المؤلف فصله الاول بالبحث فى الجغرافيا عند العرب قبل ظهور المصنفات الجغرافية .. وهذا الجانب من الموضوع له مادة خصبة فى الشعر الجاهلي وايام العرب واخبارهم وانسابهم وقد شحنت كتب اللغة والتاريخ والانساب والادب القديم باسماء المسالك والمفازات والصحاري والوديان والجبال والدارات والاحساء والحرات ... ولا تخلو قصيدة من الشعر الجاهلي من ذكر عدة اعلام جغرافية عرف اللغويون منها شيئا وغابت عنهم اشياء .. الامر الذي استدعى من الباحثين تاليف كتب خاصة لضبط هذه الاعلام وبيان مواقعها من جزيرة العرب مستعينين على ذلك بالشعر الجاهلي نفسه .. وجاء المؤلف فاستعمل هذه المادة الشعرية فى بحث ونقل الشيء الكثير مما دونه رواة الادب واللغة وما ضمته المعاجم والمجاميع ..

ولا يكتفي بتدوين معلومات العرب فى الجغرافيا الوصفية ولكنه يتعدى ذلك الى الفلك والسماء والنجوم والانواء وما كان للعرب فى ذلك من اساطير وتجارب توارثوها جيلا بعد جيل . وبنوا عليها كثيرا من تصرفاتهم ومعتقداتهم ...

ويعتمد المؤلف فى ذلك على عمدة المستشرقين فى علم الفلك عند العرب ((نالينو الايطالي)) الذي كان استاذا بالجامعة المصرية القديمة ... واخذ عنه المؤلف ايام اقامته بالشرق العربي من اجل الدراسة والاطلاع على تراث العرب والاسلام ...

ويبدو ان المؤلف مولع بالاستقصاء والتتبع فبحث عن الجغرافيا فى القرآن ... وهنا زلت به القدم حيث حسب ان الكتاب العزيز كتاب علم يدون الحقائق العلمية المجردة . مع انه قبل كل شيء كتاب هداية وارشاد الى العقيدة الصحيحة والسلوك المستقيم ... وفيه من حقائق العلم ما يساعد هذه الهداية ويكمل هذا الارشاد ...

وعند انتقاله الى البحث الجغرافي عند العرب فى صدر الاسلام والدولة الاموية يتحفنا المؤلف بنصوص ومعلومات دقيقة ومفيدة عن الامتداد العربي فى الفتح والكيفية التي كانت تجمع بها المعلومات الجغرافية عن الاقاليم التي ستدور فيها عمليات الغزو ... والتي ستصبح مركز للاستيطان واقامة المدن والمراكز الحربية والتجارية ...

وقد نقل عن المسعودي ان عمر بن الخطاب كان يستفسر دائما قواده وذوي الرأي والمعرفة عن جغرافية الاقاليم المفتوحة لينظم خططه على ضوئها ...

((وقد ورد ان عمر بن الخطاب حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى بعض حكماء ذلك العصر . انا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوأ الارض ونسكن الامصار فصف لى المدن واهويتها . ومساكنها وما يؤثره التراب والاهوية فى سكانها))

ورد عليه ((الحكيم)) بوصف الشام ومصر والعراق والجبال وخراسان وفارس والجزيرة ... وتوقف عن وصف الهند والصين وارض الروم ...

اما فى العصر الاموي وهو عصر الفتوح الواسعة فان العرب ضبطوا المسافات ونظموا المسالك والبريد واقاموا على جانبها حجارة لتوضيح المسافات .!. وهي ما يسمى بالاميال وكانت تبدأ من مركز الخلافة فى

قصة العدد

الراعي

للأستاذ ياسين رفاعية

ابتسم ، عند ما اشرقت الشمس ، فالجو الآن سيدفأ .

اقتعد صخرة صغيرة ، واخذ ينفخ في نايه القصبي معزوفة حنونا صب فيها كل اشواقه .

لم يكن الجبل عاليا ، وعلى اطرافه حتى بداية الوادي ، انتشرت عشرون غنمة سوداء ، ترعى من العشب ، وكان ثمة كلب اسود ، يرقب الغنمات لحظة ثم يشرد بنظراته عبر الافق ويعـــوي .

عن بعد ، كانت القرية ساكنة كأنها القبر ، وكانـــت بيوتها الطينية البيضاء موزعة بين الاشجار والحقول ، انها تبدو وتحت وهج الشمس التي غمرت الان الحقول والجبال كأنها احجار من الفضة ملقاة على بساط اخضر .

وضع (علي) نايه في وسطه ، واستلقـى فوق الصخـرة الناعمة على قفاه ، واخذ يرقب الشمس ذات القرص الكبير وهي تصعد رويدا رويدا الى قلب الافق ، وبدأ النسيم البارد يدفأ وشعر علي كما لو ان هذا الجبل كله ملكه ، وان احدا لا ينازعه هذه الملكية .

وفي اللحظة التي انصب فيها شعـاع الشمس في عينيـه فاغمضهما احس كان الجبل مخلوق كبير قد ضمه بحنـان الى صدره وهمس له :

بصخوري واتربتي ، بعظمتي وديمومتي انا لك ، اعزف لي على نايك كما تشاء .. إعزف .. انهم في القرية يسخرون منك لانك لا تعزف جيدا ، انهم لا يفهمونك ، انا افهمـك ، انك عازف عظيم ، ان مقطوعاتك تضمنها امنياتك في ان تحيا هكذا دونما رقيب ، تحس ان الرياح والنجوم والغيم والمطـر والحشائش الخضراء والافاعي والكلاب المشـردة .. كل هـذه الاشياء لك ، وانك مثلها تحب الارض التي لم تدنس ، وتشرد معها عبر الاودية والجبال من الصباح الى المساء .. ثم تعـود الى حيث انت مرغما ان تعـود ، لانك تريـد الخبـز والشاي والغرفة المسقوفة وبساط الصوف الملون ..

اعزف لي يا علي ، فانت ملك ، وانا من رعاياك ...

وقام ، واقتعد الصخرة من جديد ، كان يرتدي ملابس زاهية وعلى رأسه عمامة فيها عقد من لؤلؤ ... وفي اصابعه عدد كبير من الخواتم الذهبية والفضيـة ، وفي نطاقـه وضـع خنجرا مرصعا بالمرجان وحجارة الجان ، ونظر حواليه طويلا ، كانت كل المخلوقات التي تجمعت امامه الان ساجدة : الجمال والغزلان والافاعي والطيور والكلاب والقطط والشجر ومخلوقات اخرى لم يعرفها من قبل .

وقد جلست بالقرب منه عشرون غنمة بدت له جميلة كانها حوريات من الجنة ، فقد ارتدت كل واحدة ثوبا يختلف لونه عن ثوب الاخرى ، وجلست كانها وصيفة ، وتذكر في تلـك اللحظة حكايات ابى محمد في مقهى القرية التي يقرؤها مساء كل يوم على شيوخ القرية ورجالها وهم يدخنون نراجيلهم وقد تعلقت اعينهم بفم ابي محمد الكبير بينما كان ينطق الكلمات كانه ملك والآخرون رعاياه ، وتذكر كم كان يلذ له الاستماع الى حكاية عن الحب وسيف بن ذي يزن وعنترة لولا ان ابـاه كان يطلب منه الذهاب الى البيت قبل ان ينتهي تلك الحكايـة ليذهب في الصباح المبكر مع غنماته العشرين وكلبه الى الجبل فيرعى حتى المساء .

ويلاحظ أن المؤلف لم يربط حلقات الموضوع هنا كما ربطها فى الفصول الاخرى فلم يشر الى رحلة يحيى الغزال الى اوربا وما احاط بها من اخبار واساطير ..

ومن حسن الحظ ان هذا الموضوع قد قراناه بقلم الدكتور حسين مؤنس فى مجلة ((الدراسات الاسلامية)) بمدريد وقد احاطنا علما باشياء لم يتيسر لمؤلفنا هذا ان يدونها فى كتابه .. وهي معلومات على جانب كبير من الاهمية فى الادب الجغرافي والتاريخي ..

وكان المؤلف على موعد آخر مع الجغرافيين والرحالين فى الاندلس والمغرب العربي فى فصوله التالية ... حيث حدثنا عن ابن سعيد ومؤلفاته ورحلاته ثم العبدري الحاحي ..

وقد كرر المؤلف الخطأ الشهير فى انتساب هذا الرحالة المغربي الحاحي الى بلنسية ..! كما ظن ان الذي رافقه فى رحلته ابنه محمد ..مع ان الواقع الذي يذكره المؤلف فى رحلته المخطوطة هو انه رافقه اخوه يحيى ..

ويختم المؤلف حديثه عن العبدري باحتمال طريف فى بابه وهو ان يكون المؤلف المعروف بابن الحاج صاحب كتاب (المدخل) ابنا للرحالة العبدري ... ؟!

فكلاهما مجهول الترجمة .. !! وكلاهما عبدري..؟!

وقد توفي الاول بحاحة قريبا من مدينة الصويرة بينما اقبر الثاني فى مصر ...

وهذا الاحتمال لا يعدو نطاق التخمين ولعل الايام تعطي حكمها البات فى الموضوع عندما نطلع على ترجمة دقيقة لاحدهما ..

ومن العسير ان نستعرض جميع فصول الكتاب ولكن يجب ان نقول ان مطالعة هذا الكتاب ودراسة فصوله لم تزدنا الا اقتناعا باتساع آفاق الادب الجغرافي عند العرب فى مشرق الارض ومغربها ...

كما انها قدمت لنا بحث المؤلف فى اطار من الموضوعية والاحاطة والاستيعاب فى جل الفصول التي تناولها فى كتابه الطريف ..

والكتاب بعد هذا عمدة للدارسين .. ومرجع للباحثين ...

فاس : عبد القادر زمامة

---

* انظر بحثنا عن العبدري الحاحي فى دعوة الحق عدد 2 و 4 من السنة الخامسة .

ابن كرام كبار

ذكر اعرابي رجلا ، فقال : « هو ابن الوجوه الواضحات الصباح ، والصدور الرحيبات الفساح ، والالسنة الخطارة الفصاح والانساب الكريمة الصراح » .

الشرك

قصة بوليسية رقم 3

للأستاذ: أحمد عبد السلام البقالي

دق جرس التلفون فى مكتبة « السي عمر الفرخاني » فانحنى عليه ليلتقطه من فوق المكتب . كان واقفا فى ردائه الحريري الازرق ينظر الى النهر يشق طريقه الكسولة وسط السهل المترامي ، وقد تعلقت فوقه شملة خفيفة من ضباب الفجر تنعرج بانعراجه ..

وتساءل وهو يلتقط التليفون — ياترى من يكون هذا الطائر المبكر ؟ لقد اعطى اوامر صارمة لمساعده فى ادارة مصنع المياه الفازية الا يناديه فى البيت الا اذا كان الامر مهما للغاية .. فى اعتقاده ان البيت للراحة ، لا للعمل .

ورفع السماعة ..

— آلو ؟

— عمر الفرخاني ؟

وصدمه ان يسمع اسمه مجردا حتى من ابسط علامات الاحترام مثل « السي » او « الاستاذ » كما يناديه اغلب معارفه لثقافته وميوله الادبية رغم انه مجرد مدير وصاحب مصنع للمياه الغازية ..

واجاب بأدب ..

— نعم .. يتكلم ..

— اسمع ، انت لا تعرفني .. ولكن عندي شيئا قد يهمك ان تشتريه .

— لماذا لم تناد مديري بالنيابة فى المصنع وتتفق معه على ما تريد .. انا لا ازاول اعمالي التجارية فى البيت ..

— هذا شيء لا اعتقد انك تريد احدا ان يعرف عنه .. انه عمل تجاري من طبيعة خاصة .

— ماذا تعني ؟

— عندي رسالة بخط يدك حصلت عليها من صندوق قمامتك .. سأقراها عليك حتى لا تشك فى فى صدق ما اقول ، اسمع ..

« عزيزتي فريدة ،

عندما تصلك هذه الرسالة ستكون متاعبنا قد انتهت . وصاحبنا حمادي قد لقي حتفه ، لا تقلقي ، سأجعل الجميع يعتقد ان الموت كان من جراء حادث السيارة . وسوف نتحرر منه الى الابد ، وبعد بضعة اشهر سنلتقي لكيلا نفترق ابدا ..

« ارجو الا تتصلي بي بعد اليوم الا فى الاحوال الخطيرة جدا . اكتبي لي عن طريق خادمتك . سنتعذب قليلا من هذا الفراق الطويل ، ولكنه سيكون بداية سعادة اللقاء الدائم .

« ملاحظة — عندما تنتهي من قراءة هذه الرسالة احرقيها كلها وشتتي رمادها حتى لا تقع فى يد احد .

محبك دائما — عمر

وسمع « عمر الفرخاني » صوت الرسالة وهي تطوى ثم صوت صاحبه

— هذه هي الرسالة .. انها تحت يدي الان بخط يدك وتوقيعك . ليس لي فائدة اطلاقا فى تقديمها للبوليس .. فلست من انصار العدالة .. انني مثلك .. رجل اعمال .. من نوع مختلف .. ولكن التجارة تجارة .. واريدك ان تشتري مني بضاعتي التي لا نفع فيها لغيرك .

تذكر كل هذا وهو يجيل الطرف بما حوله ، وتمنى لو كان ابو محمد هنا الان لرأى بام عينه ما كان يعتقده حكايا .. ان (علي) ملك جديد ، ومملكته لم يرها ملك من قبل .. (لن يعود الى القرية بعد اليوم) .

وباشارة من يده ، جلست الرعية وقد ساد الوادي والجبل صمت كبير ، وبعد لحظات تقدمت خمس غنمات تحمل على رأسها صندوقا صغيرا ، واقتربت من عرش علي ، فتناول الصندوق وفتحه ، فاذا في وسطه ناي غريب صنع من الذهب والفضة وقد توسد قطعة من القماش الحريري الاخضر ، فمد يده واخذه الى فمه ، وقبل ان يعزف تطلع بعينين حنونين الى رعيته ، فرأى العيون كلها معلقة في فمه ، فابتسم ثم اخذ ينفخ في الناي رويدا رويدا ، انه نفسه لم يستمع الى هذه الالحان العذبة من ذي قبل ، ولا سمعها من راعي القرية المجاورة الذي علمه العزف ، وظل يعزف ، وشعر كأن هذا الجمع العجيب قد ذاب ، كانت الوجوه المختلفة تحدق فيه لحظة اخذ يعزف قطعه ميجانا حزينة .. ثم طفرت الدموع من كل العيون حتى شكلت سيلا مخيفا .. فتذاكر امه والقرية وخاف ان يغمر السيل بيته .. فبدل اللحن واخذ يعزف رقصة اعتادت القرية ان ترقصها في اعيادها ، ورقص كل شيء حوله ، وكان الجمع كله يرقص على ايقاع واحد دون خلل او فوضى ، وبدا له الجبل الآخر وهو يرقص كانه سيطبق على القرية .. وفي لحظة صغيرة ، خيل ان امه في رعب شديد وهي تنظر الى الجبل يهتز .. فتوقف عن العزف فجأة .. وصمت كل شيء .

عند ما حاول ان يرفع يده مشيرا الى الرعية ان تذهب الى اعمالها ، احس بثقل شديد يقع عليها ، لقد اصبحت الشمس الان في كبد السماء وكانت اشعتها حارة لاهبة ، تطلع حوله فاذا بالغنمات قد اقتربت منه كثيرا ، اما الكلب فقد استلقى على يده والتفت فجأة نحو القرية فعاد الى قلبه اطمئنان عجيب ، ثم التفت نحو الجبل ونظر الى قمته بحنو بالغ ، وشعر كما لو ان الجبل يبتسم ويومىء له برأسه : الى الغد .. فشعر علي بغبطة كبيرة تغمر كل شيء حوله ، فمد يده الى (الخرج) وانتزع منه صرة صغيرة وفتحها ، اذ كان فيها رغيف كبير وقطعة من الجبن ، اقتطع قطعة من الجبن ولقمة من الرغيف ووضعها في فمه واخذ يمضغهما وقد امتلأ صدره سعادة لا توصف .

دمشق : ياسين رفاعية

— لا تفعـــــل —

كان الاعمش من الضجر بحيث اشتهر واشتهر ومرة قال له الامام ابو حنيفة النعمان :

لولا اني اخاف اني اشق عليك . لأكثرت زيارتك

فقال :

لا تفعل ، فأنت تشق علي والله ، وانت في دارك

— يلـوذ بالله لواذ يتيـم جبـان —

قـال اعربـي لرجـل : مـا اسمـك ؟ قـال : عبـد اللـه . قـال : ابن من ؟ . قـال : ابن عبيـد الله . قـال : ابـو مـن ؟ قـال : ابـو عبد الرحمـان قـال : اشهـد انـك لتلوذ بالله لواذ يتيم جبـان .

ـ اترك يدي .. هذا نصف المبلغ الذي اريد .. بعد يومين سأعود للالقاط الثلاثمائة الف بسيطة اخرى .. وسأعطيك النصف الآخر ..

ـ ايها الغادر .. الم نتفق على هذا المبلغ ؟ ..

ـ لم نتفق على شيء ..

ـ ستندم على هذا ..

ـ جئني بالمبلغ ودعني اندم .. واذا حاولت اي عملية فسأخبرك للعلم ان جميع اسراري في وصيتي بالبنك .. حين اموت موتا غير عادي ، او اختفي فسيكشف عن اسمك من بين المشبوهين .. فلا تحاول ان تكون ذكيا .

ـ هذه كلمتك الاخيرة اذن ؟

ـ تماما ..

وهنا ارتفع الستار ودخل اربعة رجال بمسدساتهم وحللهم البوليسية ..

ـ ارفع يديك ..

وفزع الرجل النحيف فرفع يديه ، وامسك به احد رجال البوليس فأداره نحو الحائط واخذ في تفتيش جيوبه ..

ووقف « السي عمر الفرخاني » يحدث رئيسهم الذي كان يلبس ملابس مدنية .. واقفل رجل الشرطة آخر الحقيبة وسلمها لرئيسه ..

واستدار الرجل النحيف وبدأ يصرخ ..

ـ اسمعوا .. هذا الرجل قاتل .. ينبغي ان تقبضوا عليه هو الآخر .. عندي عليه حجة .. انظر هذه رسالته التي يعترف فيها بالقتل .. واستلم رئيس البوليس الرسالة ووضع « القطينة » في يده وهو يقول ..

ـ ايها المغفل ..

وتقدم « السي عمر الفرخاني » فسلم على الرجل النحيف بالرغم منه وقال له ..

ـ شكرا .. لقد اعطيتني فكرة ممتازة لقصتي القادمة ..

وتساءل الرجل النحيف ..
ماذا يعني ؟ هل سوف لن تقبضوا عليه ؟
ودفعه رئيس الشرطة امامه وهو يقول ..

ـ يا مغفل .. « استاذ الفرخاني » كاتب قصص بوليسية .. والرسالة التي وجدت في قمامته هي طرف من احدى قصصه ، لا علاقة لها مطلقا بحياته .

واظهر « السي عمر الفرخاني » الحرج في موقفه .. ثم سأل الرجل بصوت متردد :

— من قال لك انني صاحب الرسالة .. لست وحدي المسمى عمرا ..

واجاب الرجل بحدة :

— هل تريد ان تلعب معي « الضامة » ؟ .. انت تعرف جيدا ان الرسالة مكتوبة بخط يدك ، لسوء حظك .. وقد تأكدت من ذلك .

— كم تريد ثمنا لها ؟

قالها « عمر » بصبر نافذ .. ورد الرجل ..

— ثلاثمائة الف بسيطة ..

— هل جننت ؟ .. سوف تخربني ..

— انا متأكد انك تملك الملايين .. فلا تساوم حتى لا ارفع الثمن ..

— طيب .. طيب .. لا تتجبر ..

— اذن اتفقنا .. المبلغ ينبغي أن اتسلمه اليوم ..

— اليوم ؟

— اليوم .. لقد سمعت جيدا .. لا تلجأ الى الحيل ، فكلها اعرفها .. يجب ان تكون الاوراق من نوع المائة والخمسمائة بسيطة .. ضعها في حقيبة والقني بها على الساعة العاشرة من مساء اليوم ، في مقهى « الكليبسو » على الشاطىء .. سأكون في الغرفة « رقم 13 » .. انا اعرفك .. وسوف تجدني اشرب حتى لا تسلم الحقيبة لاحد غيري اذا حدث ان غبت .. تذكر .. لا حيل ..

— لا تضغط علي .. سوف افعل ما قلت .. لابد ان تسلمني الرسالة في الحين ..

— لا تقلق ..

ووضع السماعة ..

وبقي « السي عمر الفرخاني » يدخن السيجارة تلو الاخرى ، ويدور في غرفة مكتبته دون ان يرى ما حوله .. ثم ذهب الى التلفون ..

وفي ذلك المساء اوقف « السي عمر الفرخاني » سيارته بعيدا عن مقهى « الكليبسو » حتى لا يتعرف عليها احد ، وخرج منها متخفيا في معطف وقبعة ونظارة ، ثم قصد الملهى .

كانت الفرقة تعزف انغاما استوائية على آلات قصيديرية صارخة ، والاولاد والبنات يتراقصون متزاحمين بالاكتاف والارداف ، وقد عبق الجو برائحة الدخان الذي زاد الى ظلام المحل ظلاما ..

وشق طريقه بين الراقصين وهو يجر حقيبته بينهم حتى وصل الى الغرفة « رقم 13 » فرفع الستار الحسكي ، ودخل ، فتدلى الستار خلفه ..

وقام الرجل الذي كان طويلا ونحيفا فأخرج راسه من خلف الستارة ونظر يمينا ويسارا ثم عاد يجلس الى خلف زجاجة ..

— هل احضرت المبلغ ؟

— كله ..

ووضع الحقيبة على المائدة وفتحها ففغر الرجل النحيف فمه .. ثم امسك بها فأدارها نحوه وبدأ يمسك برزم النقود ويعدها ..

وتحرك « السي عمر الفرخاني » في مجلسه قلقا ..

— هات الرسالة ..

— لا تستعجلني .. لابد ان اعد المبلغ .. هذا طرف من الصفقة ..

— انه كله هناك .. الا تثق بي ؟

— وهل تثق انت في ؟ ..

— طيب : عد المبلغ ، واسرع ...

وجلس الرجل النحيف يعد المبلغ على مهل حتى وصل الى آخر ورقة ، و « السي عمر الفرخاني » يدخن سيجارة وراء اخرى .. وحين انتهى الرجل من العد وقف ..

— هات الرسالة ..

واخرج الرجل محفظته فأخرج منها الرسالة وفتحها ثم قطعها نصفين متساويين اعطى احدهما « للسي عمر الفرخاني » وابقى الآخر عنده .

وامسك « عمر » بيده ..

— ماذا تفعل ؟

ومجلة « المغرب » التي تصدرها وزارة الممثل الشخصي تعتبر امتداد للسلسلة السابقة التي كانت تصدر بوزارة الشؤون الخارجية .

ونحن نرجو للزميلة كامل التوفيق والنجاح في اداء رسالتها التنويرية المقدسة .

هيئة موسوعة المغرب

اجتمعت هيئة موسوعة المغرب تحت رئاسة الاستاذ علال الفاسي وبحضور ممثل المكتب الدائم للتعريب محمد العلمي وقد حضر هذا الاجتماع كل اعضائها تقريبا ، وكان جدول الاعمال منحصرا فيما يلي :

1) دراسة ما بقي من مسطرة العمل .
2) تكوين اللجان الفنية وتحديد اعمالها .
3) دراسة القانون الداخلي .

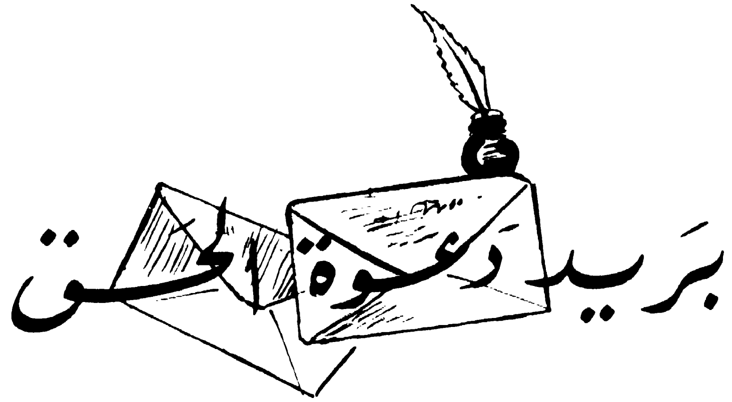
وفي مستهله تناول الكلمة سيادة الرئيس فاعاد الى الاذهان الاتفاق الاخير على اعتماد الطريقة الابجدية الصرف بالنسبة الى تدوين الموسوعة اما بالنسبة الى اشغال اللجان فتعتمد طريقة الموضوعات العلمية ، ثم شرع الاعضاء في مناقشة جدول الاعمال ، وتبلورت هاته المناقشة في النقط الآتية :

1 — حجم الموسوعة .
2 — اضافة الاندلس الى المغرب العربي في الموسوعة .
3 — علاقتها بدوائر المعارف العربية والافريقية .
4 — ذاتية الهيأة وعلاقتها بالجامعة العربية ومنظمة اليونيسكو .
5 — مسؤولية المكتب من الناحية الادارية .
6 — اختيار الهيئة للباحثين من غير اعضاء الهيئة .
7 — التعويض عن الابحاث .
8 — تصرف الهيئة في الابحاث التي تتوصل بها .
9 — تكوين مكتب لهيئة الموسوعة .

وكل نقطة استفرغت من الاعضاء جهدا كبيرا ، ففيما يتعلق بالنقطتين الاولى والثانية وقع الاتفاق على تحديد البحث القصير بمائتي كلمة والمتوسط باربعمائة والطويل بثمانمائة الى الف في الحد الأعلى بعد ان درس الاعضاء هاته النقطة في مشروع لجنة المنهاج ، واثار السيد فاضل عبد الحق قضية تناول الموسوعة للاندلس باعتبارها من المغرب العربي ، وهنا تدخل بعض الاعضاء وعلى الاخص السيد حجي الذي اقترح عدم ادخال الاندلس لكونها كانت في بعض عصورها مستقلة عن المغرب العربي كما كان الحال مثلا في قيام دولة بني الاحمر بها ، فعارضه الرئيس بانه يعتبر ادخال الاندلس امرا ضروريا لكونها كانت متصلة بالمغرب ثقافيا واقتصاديا حتى ابان استقلالها عنه من الناحية السياسية وان هذا الاتصال يبدو اكثر وثوقا من اتصال المغرب الاقصى بالجزائر وتونس ولا سيما عند احتلالهما من طرف الاتراك ، فاما ان نلغي الاندلس ونعتبر المغرب بمعنى ان تكون الاندلس داخلة فيه واما ان يكون العكس .

وقد ابرز السيد العلمي ان هذه المسألة اثيرت في الاجتماع الاول ونوقشت ولم يقع فيها بث فاتفق الاعضاء على ادخال الاندلس في الموسوعة والزيادة في حجمها وعليه فلا تبقى مقتصرة على خمسمائة الف كلمة بالنسبة الى المغرب الاقصى ، وهنا ذكر السيد فاضل ان هاته الزيادة لا تترتب عنها احكام ولذلك لا مانع منها اذا اقتضت الضرورة . وفيما يتعلق بعلاقة موسوعة المغرب العربي باخواتها في الشرق او افريقيا او غيرها ذكر السيد العلمي ان هاته الموسوعة هي جزء من دائرة معارف العالم العربي التي اوصى بها المؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب ببغداد في يبراير 1964 وان مشروع الاستاذ عثمان الكعاك المقدم الى الهيئة يتضمن هذا ، نعم لا مانع من ان تكون لها علاقة باية موسوعة اخرى افريقية او اسيوية او غيرها .. والح الرئيس في وجوب الشروع في العمل وترك هاته النقطة الى الوقت المناسب على ان علاقة الموسوعة من الناحية الثقافية هي الصق بدائرة المعارف العربية ، وهناك مقتضيات اخرى تقرب بينها وبين الموسوعة الافريقية .

وفي موضوع ذاتية الهيئة وعلاقتها بالمكتب والجامعة العربية واليونيسكو حسب القانون الداخلي المقترح من طرف لجنة المنهاج . اتفق الاعضاء على وجوب اعتبار استقلال الهيئة من الناحية العلمية واعطائها ذاتية خاصة في اطار المكتب الدائم للتعريب ، واثار السيد ادريس الكتاني مسألة انفصال الهيئة عن المكتب في بعض الاحوال فلاحظ مندوب المكتب انه يتحفظ في هاته النقطة نظرا لكون المشروع الذي تقوم الهيئة بدراسته هو من اقتراح الاستاذ الكعاك وتبني المكتب الدائم للتعريب ، وهنا تدخل الرئيس فاكد انه قد يطرأ على المكتب الدائم للتعريب من احوال — كحله او انتقاله الى بلد عربي آخر — مما يجعل الهيئة في حل من جميع الالتزامات التي تربطها به ويعطيها الحق في انفصال عنه وبقائها مستقلة او انتسابها الى هيئة ما ، واثيرت قضية اتصال الهيئة بالجامعة العربية ، ومنظمة اليونيسكو فيما يتعلق بالمساعدة المادية ، وهنا تدخل السيد العلمي فبين ان الجامعة العربية والحكومات الشقيقة على علم بالخطوات التي قطعتها الهيئة اولا . وكذلك بعض المنظمات الثقافية التي يمكن ان تساعدها ماديا او ادبيا ، وهنا بين الرئيس انه منذ قيامنا بالعمل ونحن لا نرى من المكتب الدائم واعضائه الا ما يشجعنا على المضي في طريقنا وشروعنا في العمل التطبيقي وانني اعتبر ان الشكليات من الامور الثانوية ، وفيما يتعلق باختيار الباحثين ومكافآتهم وتصرف الهيئة في ابحاثهم ، وقع نقاش طويل استغرق اكثر وقت الاجتماع



تتلقى مجلة « دعوة الحق » كل يوم جملة كتب ورسائل ونشرات ومجلات في ميادين مختلفة ، وفنون شتى ، ومن جملة ما ورد علينا في هذا الشهر كتاب : « المغرب عبر التاريخ » تأليف الاستاذ ابراهيم حركات .

والاستاذ ابراهيم حركات من الشباب الواعي الذي قدر رسالته العلمية والثقافية ، وبذل جهودا ونشاطا حادين في ميدان التربية والتعليم .

فقد صرف وقته كله في اصدار جملة كتب ، هي اليوم في متناول رجال التعليم حيث قد سد بها فراغا كنا نشكو خطره ولا زلنا الى الآن ...

..وفي الايام الاخيرة اهدتنا دار السلمي للتأليف والترجمة والنشر والطباعة والتوزيع كتاب «المغرب عبر التاريخ» وهو المجلد الاول من عصر ما قبل التاريخ الى نهاية دولة الموحدين للاستاذ ابراهيم حركات ، ويشتمل على عرض لاحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الاسلام الى العصر الحاضر .

والكتاب عميق في بحوثه ، فذ في بابه ، فريد من نوعه ، لانه لم يقتصر على دراسة الجانب السياسي لتاريخ المغرب بل عالج كل النواحي الحضارية والعمرانية بشكل علمي موفق .

وقد قدم لكتاب « المغرب عبر التاريخ » الاستاذ محمد الفاسي رئيس جامعة محمد الخامس الذي اعتبره محاولة يستحق عليها الاستاذ ابراهيم حركات كل شكر وثناء ، اذ انه يعنى في مؤلفه هذا بتاريخ الحضارة المغربية مثل عنايته بالاحداث السياسية فهو يصور الحياة الثقافية والدينية والفنية جهد المستطاع .

ومجلة « دعوة الحق » تشكر « دار السلمي » على هديتها اللطيفة ، وتتمنى للكتاب الذيوع والرواج حتى يستفيد منه طلاب المعرفة والعلم .

صدور مجلة « المغرب »

اصدرت وزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك العدد الاول والثاني من مجلة « المغرب » ...

ومجلة « المغرب » تعنى بابراز معالم النشاط البناء الذي تقوم به بلادنا . وهي مرآة تنعكس عليها النشاطات المختلفة التي تقوم بها بلادنا الفتية ، منذ ان استرجعت استقلالها ، واخذت تمارس سيادتها .

ويشتمل العدد الاول من مجلة « المغرب » الذي صدر في حلة قشيبة ، ومواضيع هامة ، وورق صقيل وباللغتين العربية والفرنسية ، على افتتاحية تتحدث عن معركة البناء ، ثم نبذة من حياة جلالة الملك الحسن الثاني ، وتحليل سريع لنظام الحكم تحت عنوان : المغرب ملكية دستورية ، كما نجد مقالا هاما تحت عنوان : « المغرب يعمل في المنظمة الاممية على محو الاستعمار ، والميز العنصري ، ويدعو لتحقيق التعاون الدولي في المجالات البناءة » ثم لمحة عن « الاقتصاد المغربي » .

وقد شارك في هذا العدد الاول من مجلة « المغرب » الاستاذ عبد الله كنون ، بمقال قيم يحمل عنوان : « مساهمة المغرب في تقدم الثقافة العربية » ويليه حديث عن « دور الاوقاف والثقافة الاسلامية في المحافظة على كياننا الروحي » الى غير ذلك من المواضيع الحافلة بالبحوث القيمة المفيدة والدراسات العميقة التي تدل على مختلف النشاط الذي يبذل في سبيل بناء هذا الوطن ...

« ... ما زلت اتلقى هديتكم القيمة وهي مجلة « دعوة الحق » التي تنطوي صفحاتها على دراسات ممتعة تتميز بالتدقيق والتحقيق ، وتدل على سعة افق كاتبيهـا وعمـق تفكيرهـم واخلاصهم فيما اخذوا انفسهم به من الدعوة الى الاسلام ، وتبيان فضائله ومقوماته السليمة .

وليس من شك في ان « دعوة الحق » تسد فراغا واسعا في ميدان النشاط الفكري لا سيما لدى المعنيين بشؤون الاسلام والمسلمين ، وانه لمن حسن الحظ ان نجد المملكة المغربية الشقيقة تولي مثل هذا النشاط عناية خاصة عن طريق احدى مؤسساتها الحكومية الهامة ، وهـي وزارة عمـوم الاوقـاف والشـؤون الاسلامية، ذلك بان اصدار مجلة محترمة في حدود غرض ثقافي لهو عمل لا ينهض به الا جهاز قادر وغني حتى تتمكن المجلـة من الانتشار والاستمرار ، وتحقق الهدف من وجودها ، وتؤدي رسالتهـــا ..

ويطيب لي – يقول السيد الكاتب – ان انتهز فرصـة الكتابة اليكم لانوه بالجهود الكبيرة التي يبذلها المسؤولون عن المجلة من اجل تطويرها والعناية بها مادة وموضوعا ، سواء من حيث الاخراج او الابحاث حتى اصبحت تضاهـي كبريـات الصحف العلمية في العالم ...

وان القارئ لمجلة « دعوة الحق » يشعر وهو ينتقل بين موضوعاتها المختلفة بانه امام جهد فكري جبار يقدمه نخبة من اهل الفكر والعلم والفضل في اطار جميـل من اللغة السليمـة والرأي الناضج ، والتحقيق الامين .

هذا بعض ما ورد علينا من رسالة الشيـخ طه الوالـي سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية التي تحمل عواطف طيبة صادرة من قلب مؤمن بالرسالة الاسلامية ، ورسالة الفكر التي تضطلع باعبائها مجلة « دعوة الحق » ، وسوف نرسل لسيادتكم تتمة الاعداد التي تحتاجون اليها مجموعتكم .

اما التحليل لكتاب « قصة الايمان » فانه لم يصلنا ، وفور وصوله فانه يجد متسعا في رحاب « دعوة الحق » .

وتقبلو دعواتنا ، وخالص شكرنا .

ومـــن انجلتـــرا :

« موقف المدنية ازاء الدين »

هذا عنوان لكلمة وصلتنا من انجلترا ، القاها الحاج ابو بكر سراج الدين « عضو انجلترا » في الرابع من ذي القعدة في المؤتمر الاسلامي المنعقد بالازهر الشريف ، ختمها بقوله :

« لا ارى اي علاج لازمة الدين في البـلاد الاسلاميـة الا بالعودة الى تلك المدينة الشريفة التي وظيفتها تكوين بيئة صالحة لروح الدين ميسرة لاقامة شعائره ، ولا يستغني المجتمع عن هذا التيسير ، لان الانسان خلق ضعيفا ، ولا تتسنى تلك العودة الا بالقدوة ، والقدوة تكون من رؤساء الدول الاسلامية ومن رجال الديـــن ...

ومـــن كينيـــا :

من المعلوم انه افتتحت في كينيا جمعية اسلامية باســم « جماعة الدعوة الاسلامية » تضم نخبة من شباب الافارقة يعملون في شتى المجالات . ومن اهدافها :

1) نشر الدين الاسلامي والتعريف به لغير المسلمين .
2) نشر اللغة العربية بين ابناء المسلمين .
3) القاء الوعظ والارشاد في كل مكان وفي جميع انحاء البـــلاد .
4) التعارف مع الجمعيات الاسلامية العالمية والعمل معهـــا .
5) ايجاد طريق للصلح بين المذاهـــب .

ويرأس هذه الجمعية الشيخ علوش قاسم مدير مدارس مركز الدعوة الاسلامية بكينيا .

وقد كتب الينا الشيخ علوش هذا رسالة تعبق بالطيبـة والفضل منتيا على الجهود التي تبذلها المجلة في تنويـر الرأي العام الاسلامي قال : « لقد اطلعنا على اعداد من مجلـة « دعوة الحق » التي جذبت انظارنا اليها ، واخذت بقلوبنا بما فيها من مقالات ممتعة وبحوث مستفيضة متنوعة ، وتحليلات لمشكـلات اسلامية ...

انها مجلة العالم الاسلامي ، ومجلة المتعلم ، ومجلة لمن يريد ان يستذكر لما فاته من العلم ...

وقسم التوزيع سيزودكـم بالاعـداد التي تحتاج اليهـا مجموعتكم ، وشكرا على عواطفكم ، ودعوات لكم بالتوفيـق والنجـــاح .

ومـــن باريـــس :

نشرت مجلة « اضواء » العربية التي تصـدر بباريس في شهر ابريل من عام 1965 مقالا ادبيا بقلم الاستاذ سيمون جارجي تحت عنوان :

وتدخل فيه السيد الدهان حيث اقترح اختيار باحثين آخرين من غير اعضاء اللجنة كما تدخل السيد جعفر الطيار فطالب بوجوب تعيين مكافآت وجوائز للباحثين ، فلاحظ الرئيس ان الهيئة لا موارد لها الان ولكنها ستعمل مع المكتب الدائم للتعريب للحصول على ميزانية تستخلصها من بعض الهيآت الرسمية او الحرة، وتدخل مندوب المكتب فذكر ان الاتصالات جارية مع الجامعة العربية وحكومات دولها من اجل الحصول على ميزانية المكتب التي اقرتها سنة 1962 وان المكتب يعتبر هذا المشروع من مشاريعه الاولى وانه علاوة عن هذا قد اتصل ببعض الوزارات المغربية قصد مساعدته في مشروع الموسوعة ، وهنا عقب الرئيس بانه متأكد انه عند ما ننتهي من التدوين لا نعدم وسائل النشر التي تعقبه المكافآت المادية لجميع من ساهموا في العمل باية وسيلة من الوسائل ، واثيرت مسألة التعاون مع البحث العلمي الجامعي نظرا لاتصاله بالجامعة التي هي هيئة مغربية تتوفر على ميزانية مهمة فلاحظ الرئيس ان البحث الجامعي لا ميزانية له لحد الساعة وان مشروع الظهير الذي انشأه لا زال ينتظر الامضاء .

واثار السيد ادريس الكناني مسألة تصرف الهيئة في الابحاث فلاحظ السيد جعفر الكتاني انه لا ينبغي التصرف في اي بحث من الابحاث نظرا لكفاءة الباحث ولان عمل اللجنة انما يقتصر على التنسيق والتحرير ، فقال الرئيس ولنا ايضا حق التعليق وتدخل السيد عز الدين العراقي ملاحظا انه يجب تحديد ما يقصد بالتنسيق لانه لفظ مبهم وعام يندرج تحته عدد من الاعمال . كما تدخل السيد العامي مبينا انه يكاد يكون من اللائق ان يعدل الكاتب بحثه بنفسه وباشارة من الهيئة لان لها حقوقها في التأليف والتنسيق مثلما للباحث . فوافقه السيد الحاج مير الا ان السيد ادريس الكناني ممثل لجنة المنهاج استفهم عما يقصد من التعديل لان البحث يتعلق به عدة امور الفحوى والشكل والآراء ، فتدخل السيد السرغيني مبينا ان تعديل الفحوى يفسد البحث كما تدخل السيد فاضل فذكر ان التعديل يجب ان يكون بموافقة الكاتب واذا اجراه بنفسه يكون احسن والى وهنا ابرز الرئيس ضرورة تنسيق الابحاث وتعديلها وان التعديل لا يعني تغيير الآراء لانها تعبر عن اصحابها وانما يعني حذف الكماليات وتنسيق الابحاث وجعلها صالحة للتدوين والنشر حسب الاحجام المتفق عليها ، وفي الاخير تطرق الاعضاء لمسألة تكوين مكتب للهيئة يتعاون مع المكتب الدائم للتعريب في اعداد الابحاث وتجميعها وتقديمها للهيئة ، واقترح بعضهم ان يقتصر المكتب على رئيس للهيئة ومقرر عام يضاف الى مقرري اللجان الخمس ، واسند الى الرئيس امر اختيار هذا المقرر باتفاق مع الامين العام للمكتب الدائم للتعريب ، فطلب الرئيس ان يكون المقرر المذكور من بين الاساتذة العرب العاملين في حقل المكتب الدائم للتعريب ، وقد وافق الامين العام للمكتب الدائم للتعريب على اقتراح الرئيس بعد اتصاله به في جلسة خاصة : ووقعت المصادقة في الاخير بالاجماع على القانون الداخلي بعد تعديله كما سجل الاعضاء الحاضرون اسماءهم في اللجان بحسب اختيارهم ، وتقرر اجتماع هاته اللجان في مقر المكتب الدائم للتعريب يوم الاثنين 8 مارس في العاشرة صباحا .

اصـــداء :

مـــن الفلبيـــن :

تسلمنا رسالة رقيقة من فضيلة الاستاذ محمد اتور بشير مدير دار الكتب لمعهد مندانو العربي بالفلبين يشكر مجلتنا على عنايتها بالدراسات الاسلامية التي تقدمها باقلام علماء مختصين درسوا حقيقة الدين الاسلامي ، ثم قدموه في اسلوب واضح متوق ، كما يثني على اهتمامنا باخواننا مسلمي الفلبين ، وبالاخص على طلبة العلم بمعهد مندانو العربي وفروعه التابعة لجمعية اقامة الاسلام ... كما تقول الرسالة بان الطلبة يستفيدون مما تنشره « المجلة » التي توضع في المكتبة العامة للمعهد مدة شهر ، ثم ترسل الى المكتبات الفرعية ليعم النفع .

ومجلة « دعوة الحق » اذ تقدر عناية مسلمي الفلبين بما بما نكتبه ونذيعه ، فاننا سنوافيكم بما طلبتموه منا .. والف شكـــر وتقديـــر ...

ومن كيـرالا الهنـد :

كتب الينا الشيخ عمر فاروق مولوي رسالة يخبرنا فيها بان بكيرالا مدرسة عربية عالية ، تضم كثيرا من الطلبة والاساتيذ وقد اطلعوا على مجلتنا في بعض المكتبات ووجدوها حافلة بالمقالات الممتعة والبحوث المسفيضة المتنوعة ، راجين منا ارسال بعض الاعداد حتى يتسنى لهذا البلد ان يطلع على احوال اخوانه المسلمين بالمغرب العربي .

ومـــن ســـوريـا :

الاستاذ ياسين رفاعية سكرتير تحرير مجلة « المعرفة » بالجمهورية العربية السورية كتب الينا رسالة رقيقة يقول فيها :

... بعد غياب طويل اعود لاتصل بكم معتزا جدا بهذه العودة ، واسمح لي ان اشد على يدك لهذا التطور القيم لمجلة « دعوة الحق » والتي ارجو لها دوام الازدهار ...

نشكركم سيدي الاستاذ الجليل على عواطفكم النبيلة ومشاعركم السامية وقد نشرنا قصتكم التي تحمل عنوان : « الراعـــي » ... فشكرا لكم ...

ومـــن لبنـــان :

وصلتنا رسالة طويلة وعامرة تشكر ادارة المجلة من الشيخ طه الوالي سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية . ومن جملة ما جاء في هذه الرسالة الكريمة :

التعليم بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية وحتى في برامج كلية الآداب الى جانب كتاب لا يزالون على قيد الحياة امثال طه حسين وميخائيل نعيمة . وقد ظهر مختصر « لتاريخ الادب العربي » بقلم ج . م . عبد الجليل (باريس 1943) خصص فيه للنهضة مكانة هامة .

غير ان الادب العربي الحديث قد وجد في ميدان التعليم ، السبيل الى الذيوع في اوربا وبلوغ جمهور يزداد اتساعا . وقد اصبحنا منذ سنة 1950 نشاهد ازدهارا حقيقيا لكتب المنتخبات والمجموعات التي ترمي كلها الى احلال الادب العربي في اوربا المكانة الممتازة التي يعتقدون انه يستحقها .

وقد الف اميل درمنكهيم الذي هو مستشرق ممتاز ومؤلف عدة كتب قيمة ، مجموعة بعنوان « اجمل النصوص العربية » (باريس 1951) يقدم فيها صورة عامة لاهم المؤلفات الممتازة شعرا ونثرا ، ابتداء من العهود الاولى الى العهد الحاضر . وقد وضع مؤلفات الكتاب التقليديين المحدثين والمعاصرين للنهضة في المكانة اللائقة بها .

وفي سنة 1960 ظهر في مطبوعات « دار مارابوت للطباعة في باريس » كتاب بعنوان « شعر عربي » جمعت فيه قصائد من القرن الخامس الى مستهل القرن العشرين ، اختارها وقدم لها بمقدمة ضافية رونيه خوام . ثم ان هذه المجموعة اعيد طبعها تحت اشراف البونسكو في دار « سيكرس للطباعة في باريس» بعنوان « منتخبات من الشعر العربي » . وهذه المجموعة تبعها منتخبات القصص العربية القصيرة » بتقديم وعرض للمؤلف نفسه .

وفي اكتوبر 1961 ، عقد مؤتمر دولي في روما ضم طائفة من المستشرقين البارزين الفرنسيين والايطاليين والانكليز والالمان والامريكيين وكتاب عرب ، حول موضوع « الادب العربي المعاصر » اثباتا للاهتمام المتزايد الذي يبديه ، نحو هذا الادب ، المتخصصون والباحثون الجامعيون انفسهم .

وقد امتد هذا الاهتمام الى مراكز اخرى غير باريس ، ففي بروكسل صدر عدد خاص من مجلة (L'VII) خصص للشعر العربي الناشيء بعنوان « مقدمة الى اكتشاف » تحلل فيها الآنسة لوك نوران قيم هذا الشعر الناشيء تحليلا دقيقا عميقا . (بروكسل 1961) .

وانه لاهتمام جديد يكاد يكون مستمرا في المطبوعات الدورية المتعلقة بالشرق ان يخصص قسم منها لترجمة المؤلفات الادبية العربية الحديثة وتحليلها مثلما تفعل ذلك ، منذ 1960 والى يومنا هذا ، هذه المجلة الممتازة « اوريان » (شرق) التي تصدر في باريس .

ان الاقدام على مثل هذا العمل يبدو اكثر طموحا عند ما يكون الامر متعلقا بما اقدمت عليه اخيرا دار للطباعة كبيرة في باريس هي « لوسوي » التي ترمي الى توسيع نشر مؤلفات الكتاب العرب الحديثة ، وقد صدر اخيرا في نطاق مجموعة المنتخبات المتوقع طبعها ، مجموعة اولى بعنوان : « منتخبات من الادب العربي المعاصر » الجزء الاول ، الرواية والقصة القصيرة جمعها راؤول مكاريوس (باريس 1964) وينسب الاستاذ جاك بيرك ، الاستاذ بالكوليج دو فرانس الى هذه المجموعة المنتخبة اهدافا انسانية عالية في مقدمة وافية دقيقة وضعها لها قائلا : « ان ادراك التصور للحياة عند العرب والقاء نظرة شاملة معهم على مشاكلهم ، التي معظمها يخصنا ايضا ، هي غاية هذه المجموعة من المنتخبات » (ص . 5)

وفي نهاية الامر انما توجد الاصالة والقيمة الانسانية العميقة للادب العربي الحديث في ذلك البحث المشوق عن جميع الاشكال الجمالية لما هو سام وجميل ، التي اجادت اللغة العربية والاسلوب العربي في كل زمان تقديم امثلة رائعة منها . ذلك « ان العظمة الحقيقية » على حد قول مستشرق من الاعلام كان قد حضر مؤتمر روما وادلى بحكمه في بعض تناقضات التجربة الادبية الحالية في العالم العربي ومبالغاتها « ليست في الجمود الهادىء بل انها في النشاط المتسم دائما بالتيقظ » .

(الادب العربي المعاصر . اعمال مؤتمر روما المنعقد بين 16 و 22 اكتوبر 1961 ــ الملحق الفرنسي ص . 0) .

ومـن المغـرب :

كل صباح يلقي الينا البريد طائفة من الرسائل والقصائد والكلمات والبحوث ، وكلها عزيزة علينا وغالية يستحثنا فيها اصحابها بنشرها في الحين .

ونحن نرجو من مراسلينا المحترمين ان لا ينزعجوا لتاخير نشر ابحاثهم ومقالاتهم وقصائدهم ، اذ ان العدد قد يضيق عن ادراج كل ما يرد علينا .

فالمجلة لا تالو جهدا في ارضاء رغبات مكاتبيها ومراسليها على شريطة ان تتوفر عناصر الاجادة وما يلائم مستوى المجلة وما لا يناهض تعاليم الاسلام . . .

رابطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكـر

وفانا مكتب الرابطة بتاريخ 10 مارس بملتمسات كان قد قررها في اجتماعه يوم 13 مارس 1965 تتضمن طلبا من المسؤلين على ان يعملوا للقضاء على ام الخبائث ، واستئصال جرثومة هذا الداء ، وقد دعموا هذه الملتمسات بآيات قرآنية واحاديث نبوية في شأن تحريمها بيعا وشراءا ، كما اتوا بحجج لاساطين الفكر والعلم والطب بدول الغرب . . .

« في سبيل اكتشاف الادب العربي الحديث »

ولاهمية هذا المقال ، وقيمته الادبية احببنا ان نطلع عليه قراء مجلتنا المحترمين ... قال الاستاذ سيمون جارجي :

« لم يكن يعرف في الغرب الى الآن عن الادب العربي سوى اشكال تقليدية قديمة هي آثار تاريخيـة صالحـة للبحوث والدراسات العلمية « الاكاديمية » . وبالرغم من بعض المحاولات الجزئية لم تكن المؤلفات الحديثة قد توصلت بعد الى شق طريق نحو الشهرة والى وجود مكانتها في التراث العالمي مثلما فعل الادب الروسي خاصة في مستهل هذا القرن .

واذا اقتصرنا على بلاد اللغة الفرنسية رأينا ان الاعمال التي قام بها المستشرقون المهتمون بالآثار العربيـة في سبيـل اكتشاف كنوز الادب العربي التي لا تحصى بوجه عام والتعريف بها كان لها حقا فضل وفائدة لا نزاع فيهما ، فان ا. ب. كوسان دي برسفال قد قام في كتابه « بحث في تاريخ العرب قبـل الاسلام » (باريس ، 1847/1848) ثم في كتابـه « مؤلفـون عرب » (1912) بعمل طليعي حيث انـه جمـع منتخبـات من الاساطير والتقاليد الشعرية في بلاد العرب قبل الاسلام تاريخية وادبية في آن واحد .

والكتاب النفيس الذي الفه هنري بيريس بعنوان «الادب العربي والاسلام من النصوص » (باريس 1949) يشمل ميدانا اوسع غير انه لا يزال معنيا بصفة خاصة بالكتاب المغاربة وبعض الكتاب المصريين الذين برزوا في بداية هذا القرن . ومع ذلك فان عمله مرحلة هامة في معرفة النهضة الادبية العربية اذ بعـد التجديد الكبير الذي حصل في الميدان اللغوي والفلسفي والديني في نهاية القرن التاسع عشر وفي الربع الاول من القرن العشرين ظهر العالم العربي في حالة قيام تام بحركة ادبية تحمل آثارها طابع العمق والاصالة . فالادب الجديد الذي نشأ في مصر يمكن ان يفتخر باعلام شهيرة امثال :

- الشاعرين : احمد شوقي وخليل مطران .
- القصصيين والباحثين والفلاسفة : طـه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل .
- كتاب القصـص القصيـرة ، الذين يعتبـرون بمثابـة « موباسان » الشرق العربي ، الاخوين محمد ومحمود تيمـــــور .
- ومؤلفي المسرحيات امثال توفيق الحكيم وبشر فارس.

اما لبنان وسوريـا اللـذان شاهـدا ، بسبـب الظروف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة ، خيـرة ابنائهما يبحثـون عن عن ملجأ في الاقطار البعيدة فانهمـا استرجعاهم في مؤلفـات تهتز احساسا وحنينا وتزيد الحركة التجديدية الادبية العربيـة الكبرى قوة وثروة ، واعني بذلك ادب المهجـر الـذي ابرزه قصصيون واصحاب بواكير الابحاث امثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وامين الريحاني وشاعر مبدع هوايليا ابو ماضي.

وقد اصبح العراق من جهته الميدان الامثل لنهضة الشعـر العربي ، الشعراء المحدثون ، جميل الزهاوي ومعروف الرصافي واخيرا محمد الجواهري يضعون نبوغهم في خدمة تجديد المعنى والقالب الشعري ويمهدون الطريق للمدرسة الجديدة في الشعر العربي . وقد امتدت حركة النهضة ، بالرغم من الظروف غيـر الملائمة ، الى المغرب الذي برز في احضانـه شاعر كبير هـو التونسي ابو القاسم الشابي الذي انقطع الامل المعلق عليه بموته باكرا سنة 1936 ولم يتجاوز بعد السادسة والعشرين من العمر .

ولم يتخلف حتى الادب النسوي عن المساهمة في هــذه النهضة ممثلا في امرأة رقيقـة الاحساس هي مـي زيادة التـي سيصبح ادبها مدرسة .

ثم كان لحركة التجديد الواسعة هذه ان تعرف نهضـة ثانية بعد الحرب العالمية الاخيرة بظهور مدارس فنية لـلادب المعاصر يمثلها اعلام نبغاء يطول الحديث عنهم هنا .

وهذه النهضة المزدوجة كانت في آخر الامر من الظواهر التي لها من الاهمية ما لا يمكن معـه عـدم اهتمام المتخصصين والهواة للدراسات العربية في المغرب .

وفي الفترة بين 1930 و 1950 اضيفت الى الاعمال الجزئية التي سبق ان اشرنا اليها ، دراسات وتراجم لأبـرز مؤلفات الكتاب العرب المحدثين لا سيما مؤلفات طه حسين وتوفيق الحكيم وجبران خليل جبران قام بها مستشرقون فرنسيون . ولا يمكن اغفال المساهمة الثمينة التي قامت بها في هذا الميدان مطبوعات متخصصة مثل « نشرة المعهد الفرنسي بدمشـق » و « حوليـات معهد الدراسات الشرقية بالجزائر » و «مجلة القاهرة » التـي تفرغ فيها مستشرقون بارزون امثال كاستون فيت ، وهنـري بيريس ، وجان لوسرف لدراسة الادب العربي الحديث والمعاصر كما فعل غيرهم بشأن الادب التقليدي القديم .

وقد اصبح على التعليم الجامعي للغة العربيـة الذي كان يقتصر دائما على دراسة القرون الوسطى وفقا للتقاليد الاكاديمية ان ينفتح هو ايضا بتردد وبالتدريج لبوادر النهضة الادبيـة العربية . وبالرغم من المحافظة على العرف الذي يقضي بانه لا يمكن ان يكون مؤلف لا يزال على قيد الحياة موضوع بحث . فانه شوهد في جامعة السوربون تقديم اطروحة عن جبران خليل جبران ، بينما صار هـذا المؤلـف العربـي مدرجا في برامج

مشـــروع الغــرس المعـــد لسنـــة 1965

النظـــــارات	الـزيتـــــون: مباشـــرة	الـزيتـــــون: من طرق الغير بالثلـــث	اللوز والمشمش والتين: مباشـــرة	الكليبتـــــوس: مباشـــرة	الكليبتـــــوس: بمعونة ادارة المياه والغابات
1) وجـــدة					90.000
2) تـــازة		7.000			
3) القرويين	10.000				
4) احواز فاس	10.000				
5) المارستـــان	1.500	1.500			
8) زرهـــون	10.000				
9) صفـــــرو	3.000				
(10 مكنـــاس			3.400		
(16 و ز ا ن	3.000	10.000			
(22 الناضـــور			7.500	50.000	
(24 الجديـــدة					150.000
(25 آسفـــــي				50.000	
(26 الصويـــرة					200.000
الجماعـــــة	37.500	18.500	10.900	100.000	440.000

مجمـــوع اشجـــار الـزيتـــــون	56.000
مجموع اشجار اللوز والمشماش واللتين	21.800
مجمـــوع اشجـــار الكليبتـــــوس	540.000
مجمـــوع الاشجـــار باختلاف الانـــواع	617.800
المســاحـــــــة الكليـــــــة	1.114 ه

المسافات في وزارة عمـوم الاوقــاف

في كثير من الاحيان يتعذر على الوزارة القيام بعمليات الجفين والتقليم والتسميد والسقي في الاراضي المغروسة قديمــا باشجار الزيتون والتي توجد على مسافات بعيدة من المراكـــز العمرانية وفي اماكن وعرة يصعب الوصول اليها بوسائل التنقل العادية كما ان اشجارها تبعد عن بعضها بمسافات تقدر احيانا بالكيلومترات .

ولكن هذه الحالة لم تمنع الوزارة من اتخـاذ اجـراءات تكون كفيلة باجتناب وقوع اية خسارة في الاشجار بسبب عدم استفادتها من الاشغال الفلاحية الانفة الذكر والتي يطلق عليها اسم المسافات .

فهذه الطريقة التي ادخلت عليها تحسينات فنية تقترن مع الاتجاه الذي تشير عليه الفلاحة الحديثة والذي يتضمن ما ياتي :

يقع الاختيار في كل قبيلـة من قبائل اقليـم معين على جماعة من الفلاحين المقتدرين لتسند اليهم مهمة صيانة عـدد من اشجار الزيتون الحبسية حسب الشروط الفلاحية المعمول بها في الوزارة .

وعند متم كل سنة فلاحية تقع مراقبة الاعمال التي قاموا بها فان كانت موفقة ومرضية تمنح لهم نسبة من الانتاج بعـد بيع الغلال عن طريق السمسرة العلنية فمنهم من يحصل على ثمن الغلة ومنهم من يستفيد من سدسها الخ .. وذلك حسب النواحي وحسب انواع الغـلال وكذلك النشـاط الذي يبذله كل فـلاح انيطت به هذه المهمة .

ولكي يقع التأكيد من قيام كل مساقي بانجاز ما تعهـد بتنفيذه تحضـر اوراق مطبوعـة مشتملـة على جميع البيانات والتوقيعات فترفع الى الوزارة من طرف الناظر حيث تنفذ على ضوئها واجبات هؤلاء الفلاحين .

ويرتكز نظام المسافات على نظام المساجد لان كلما كان مسجد معين يملك شيئا من الاشجار الا ويجد من بين السكـان المجاورين له فرد او افراد يتكفلون بصيانتها حسب القوانين الجاري بها العمل في حظيرة وزارة عموم الاوقاف .

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

فـي بنــاء المساجـــد

— مافتئت وزارة عموم الاوقاف والشوءون الاسلامية تولي عنايتها الكبرى لتقوية الجانب الروحي ، والعمل على تلبية اشواق المواطنين الدينية في هذا البلد المسلم .

وهكذا فقد وضع معالي وزير عموم الاوقاف والشوءون الاسلامية يوم السبت 20 مارس وبامر من صاحب الجلالة حفظه الله الحجر الاساسي لبناء مسجد بكل من تيداس وولماس .

كما سيشيد بجوار كل مسجد من هذين المسجدين كتاب قرآني لتعليم الاطفال كتاب الله ومباديء القراءة والكتابة .

— كما وقع تدشين مسجدين جديدين في يوم الجمعة 2 ابريل ، اعادت بناءهما الوزارة ، وهما مسجدان تزارت وتزران ببني ورياكل من اقليم فاس .



منظر دوار تزران السفلى بقبيلة بني ورياكل باحواز فاس ، ويوجد بوسطه مسجد تزران الذي وقع تدشينه يوم الجمعة ثاني ابريل سنة 1965 بمناسبة اصلاحه .

وقد تم هذا التدشين في حفل ديني وشعبي رائع ، ختم بالدعاء لمولانا امير المومنين جلالة الحسن بدوام العز والنصر

مسجـــد الشهـبــاء

وفي سلسلة النشاطات التي تقوم بها الوزارة في رفع المستوى الروحي للمومنين والابقاء على الحضارة الاسلامية الخالدة قام معالي وزير عموم الاوقاف والشوءون الاسلامية عشية يوم الاثنين 5 ابريل بتدشين مسجد الشهداء العتيق بسلا حيث ادى فيه صلاة العصر صحبة عامل مدينتي الرباط وسلا وباشا المدينة والقاضي والناظر واعيان المدينة .

وبعد اداء صلاة العصر ، والدعاء لمولانا الامام القى معالي الوزير كلمة عبر فيها عما للمساجد من اثر بليغ في رفع المستوى الديني ، كما اعرب عن امتنان الامة جمعاء لمولانا المنصور بالله الذي ما فتيء حفظه الله يولي كل عنايته لشوءون الدين ، ويصدر تعليماته السامية لبناء المساجد والمعاهد وعمارتها .

— وفي 20 ابريل قام معالي وزير عموم الاوقاف والشوءون الاسلامية بوضع الحجر الاساسي لبناء مسجد بطنجة كما دشن معاليه القسم الداخلي لمدرسة المقرئين التي تحمل اسم ولي العهد المحبوب سيدي محمد بدار زهيرو .

وتوجه معاليه الى مدينة اصيلا لوضع الحجر الاساسي لبناء مسجد آخر بهذه المدينة حيث تم هذا التدشين في جو رائع حضره كثير من المومنين خطب فيه معالي الوزير خطبة جامعة اشار فيها الى الاعمال الجبارة التي تقوم بها وزارة عموم الاوقاف والشوءون الاسلامية ، وختم بالدعاء لمولانا امير المومنين نصره الله .

وفـي الميـــدان الفلاحـــي :

« اصلاح الزيتـــون القديـــم »

اعطيت جميع التعليمات الى النظار لكي يسرعوا في اجراء عمليات التجفص والسقي والتسميد والتقليم تحت اشراف النواب وبمعونة خبراء فلاحين والشيء الذي يحمل على الارتياح هو ان النتائج بدأت تلوح بوادرها على ضوء المقارنة الممكن اجراوءها بين نتائج بيع الغلال قبل تطبيق هذه العمليات وبعد ادخالها في حيز التنفيذ .

وفي كثير من الاحيان كانت نسبة الزيادة في نتائج بيع الغلال تتراوح ما بين خمسة مائة في المائة وثمانمائة في المائة .

ويتعلق ذلك على الخصوص بنواحي فاس ـ زرهون ـ صفرو ـ مراكش ـ وزان .

أنباء ثقافية

* افيمت فى مختلف المنظمات الثقافية في البلاد العربية حفلات تأبينية للشاعر الفقيد بدر شاكر السياب ، وفي المغرب احتفل بهذه الذكرى « اتحاد كتاب المغرب العربي » بمركزه

* صدر للاستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون كتاب « عجالة المبتدأ وفضالة المنتهى » وهو مخطوط من تأليف الامام الحافظ ابى بكر محمد بن ابى عثمان الحازمى الحمدانى ، حققه وعلق عليه الاستاذ كنون ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

* عقد فى هذا الشهر بمدينة الرياض بمناسبة موسم الحج المؤتمر الاسلامي . وقد وجهت الدعوة لحضوره الى جميع ملوك ورؤساء الدول الاسلامية ، والى الشخصيات الاسلامية المفكرة البارزة في ميادين التأليف والبحث . وقد مثل المغرب فى هذا المؤتمر الاستاذان الكبيران علال الفاسي ، وعبد الله كنون .

* زار المغرب فى غضون الشهر الماضي المدير العام لمنظمة اليونيسكو رفقة السيد المهدي المنجرة احد المساعدين الاقربين له . وتدخل هذه الزيارة فى اطار المهام العامة لمنظمة اليونيسكو . وقد دشن المدير العام لليونيسكو السيد ماهو ، رفقة وزير التربية ، ورئيس جامعة محمد الخامس مدرسة الابحاث الادارية بمدينة طنجة .

* منحت جامعة الآداب بالقاهرة الدكتوراه الفخرية في الآداب لجلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة زيارته الكريمة للجمهورية العربية المتحدة .

* « حب » اسم ديوان جديد سيصدر للشاعر المغربي ابراهيم السولامي بتقديم الاستاذ محمد برادة

* صدر حديثا عن دار الكتاب بالدار البيضاء كتاب « تاريخ العالم المعاصر » لمؤلفه الاستاذ عبد الله العمراني . يقع الكتاب فى 430 صفحة من القطع الكبير

* اصدر الكاتب الانجليزي روم لاندو كتابا جديدا عن جلالة الملك الحسن الثاني وقد سبق للمؤلف الانجليزي أن اصدر عدة كتب عن المغرب قبل الحماية وبعدها .

* صدر للاستاذ علال الفاسي فى الشهر الماضي كتاب جديد بعنوان « معركة اليوم والغد »

* قامت شركة بريطانية بتسجيل مذكرات ابن بطوطة الرحالة المغربي الشهير الذي عاش فى القرن الرابع عشر على الميكروفيلم .

* صدر مؤخرا عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في سلسلتها التاريخية الجزء الاول من كتاب « ترتيب المدارك » وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك » لمؤلفه القاضي عياض . عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

* بمناسبة اليوم العالمي للمسرح نظم النادي الثقافي لوزارة الشبيبة والرياضة بالرباط حفلة مسرحية كبرى بمشاركة عدة جمعيات تمثيلية .

* اصدرت مطبعة القصر الملكي اخيرا ديوانا يحمل اسم « حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر العرش العلوي » للاديب الوزير السيد محمد المعمري الزواوي وزير القصور الملكية والاوسمة .

* يصدر قريبا العدد الثالث من مجلة « البحث العلمي » التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي. وقد شارك فى هذا العدد الاساتذة : الناصر الفاسي ، ومحمد الفاسي ، واحمد الاخضر ، وعبد القادر زمامة ، وسعيد اعراب ، ومحمد برادة ، وعبد الله كنون ، وعبد اللطيف الخطيب ، ومحمد المنوني ، والحسن ابن عبد الوهاب ، وانور الجندي ، وعبد

قسم الشؤون الاسلامية :

مكتبة دار الحديث

بمجرد ما اعلن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عن تأسيس « دار الحديث الحسنية » كان اول ما اتجهت اليه انظار معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية هو انشاء مكتبة شاملة لكل المراجع التي تقوي موضوعات الدراسة ، وتفي بمطالب الاساتذة والطلبة ، حيث ان المكتبة هي الدعامة الاولى في كل المؤسسات الثقافية ، وذلك بوصفها مكانا للارشاد ، ومركزا للبحث والاستفادة ، وناهيك بمؤسسة كدار الحديث الحسنية التي تعتبر خطوة جديدة في تطور التعليم العالي بالمغرب .

وفعلا ، فما ان مرت هذه الفترة الوجيزة على ابتداء الدراسة بدار الحديث الحسنية حتى اصبحت بها اليوم مكتبة زاخرة بانفس كتب التفسير والحديث والفقه واللغة والادب والفلسفة والدراسات الاسلامية الحديثة ، يقدر عددها بنحو 4.500 مجلدا .

هذا ، والنية معقودة على تنمية رصيد هذه المكتبة الى ان تصبح شاملة لامهات الكتب التي تعتبر مصادر حيوية للتراث الاسلامي ، ومرآة صافية للتطورات التاريخية والسياسية والفكرية والاجتماعية في العالم مما له علاقة باهداف هذه المؤسسة العظيمة .

والاخير من « الايـام » حيث يروي فيه تاريخ حياته بعد الازهر ودراستـه فى اوربـا ونشاطـه الادبـي والسياسي .

* لم تجد لجنة المصطلحات العلمية فى المجمع اللغوي بالقاهرة افضل من الكلمة الانجليزية « ترانزستـور » للدلالة على آلات الراديو الصغيرة .

* يطبع الآن فى القاهـرة كتـاب « نشـأة القصـة القصيرة فى مصر » لمؤلفه عباس خضر ، وذلك بقـرار من المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهـرة .

* احتفل العالم العربي بتاريخ 22 مارس الماضـي بالذكرى العشرين لتاسيس الجامعة العربيه .

* تم فى القاهرة تسجيل الفين وثمانية وعشريـن مخطوطا تمثل فى مجموعها تسعمائة الف صفحة علـى افلام صغيرة الحجم قامت بتصويرها بعثة سينمائية من اليونيسكو ، امضت فى الجمهورية العربية المتحدة خمسة عشر شهرا ابتداء من شهر فبراير عام 1963.
اما المخطوطات التي تم تسجيلها فهي مقتنيات جامعة الازهر والمكتبة الاهلية ، وقامت باختيارها لجنة شكلت لهذا الغرض لتقدير اهميتها التاريخية وتتناول المخطوطات موضوعات فى شتى ميادين العلم والمعرفـة والثقافة ، ومخطوطات دينية وعلمية وادبية وفلسفية وتاريخية وقانونيـة وغير ذلك .
وسيكون الآن في الوسع توفير هذه المخطوطات للطلاب والباحثين دون ان يخشى عليها من تداولها .
وقامت بعثة اليونيسكو ، اثناء هـذه المهمـة ، بتدريب عدد من السينمائيين المصريـين على هـذه العملية الفنية الدقيقة المتسمة بأهمية بالغـة .

* « الرائـد الصغير » اسم معجـم يتم طبعـه فـي القاهـرة .

* احرزت جامعة الازهر على خمس منـح دكتوراه قدمتهـا اليهـا فرنسا .

* وضعت الآنسة خالدة تبسم كتابا باللغة الاوردية عن الاندلس فى عهد العرب والمسلمين وهـو ترجمـة للفصل السابـع من الجزء الثاني لكتاب « قوافـل العروبة ومواكبها خلال العصور » للعلامة محمد جميل بيهم مع تعليقات عليه استندت فيها الى تآليف عربية وشرقية عديـدة .

* سيصدر المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنـون بالقاهرة اخيرا مؤلفا عن تاريـخ العرب وحضارتهـم مشتمـلا على 8 أجـزاء .

* نعت القاهرة الكاتب والصحفي المرحوم فخـري المنفبـادي .

* عقد مؤخرا فى بغداد مؤتمر نشر الثقافة العربية فى الخارج . وقد حضر فى هذا المؤتمر مندوبون مـن الدول العربية الاعضاء فى الجامعة ووفد من الامانـة العامة للجامعة . وقد انتخب رئيسا لهـذا المؤتمـر السيـد محمد شاكـر .

* « بغداد مدينة السلام » مخطوطـة لابن الفقيـه الهمداني يقوم بتحقيقها الدكتور حسين علي محفوظ.

* كتاب « الاصطلاحات الموسيقية » للكاتب التركي كاظم صدر فى بغداد وقد قـام بترجمته الى العربيـة ابراهيم الدقوقي ، ويشتمل الكتاب عن معلومات هامة عن الموسيقى الشرقية وآلاتهـا عامـة ، والموسيقـى العربيه وطريقة المقامات المندثرة والمتداولة وطريقـة آدائهـا .

* هذه هي اسماء الدواوين التي خلفها الفقيـد الشاعر بدر شاكر السياب الـذي توفـى مؤخـرا : (المومس العمياء) (الاسلحة والاطفـال) (انشـودة المطر) (المعبد الغريق) (منـزل الاقنان) (شناشل ابنـة الجلبـي) .

* انتهى المؤرخ احمد قدري كيلانـي من تحريـر كتابه عن تاريخ مدينة حماه منذ اقدم العصور حتـى الحرب العالميـة الاولـى .

* ديوان رشيد الهاشمي صدر عـن مطبعة المعارف ببغداد اخيرا ، وهو من جمع وتحقيق عبد الله جبوري

* عن مديرية الفنون والثقافة الشعبيـه ببغـداد صدر كتاب « الصدق والاصالـة فى الشعر الشعبـي العراقـي » لمؤلفـه جميـل الجبوري .

العزيز بلال ، وشارل اندريه جوليان ، ومحمد زنيبر ، والمهدي مبارك ، وعبد السلام الديوري ، ومحمد البوزيدي ، ويقع فى حوالي 300 صفحة .

* يصدر قريبا عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « الاكسير فى فكاك الاسير » لمؤلفه ابن عثمان، وقد حققه وعلق عليه واثبت فهارسه الاستاذ محمد الفاسي ، رئيس جامعة محمد الخامس كما يصدر لنفس الاستاذ تحقيق رحلة العبدري .

* زار المغرب فى الشهر الماضي الروائي والقصصي الايطالي المعروف البيرتومرافيا . واقام فى مدينة مراكش . وزار بعض كبريات المدن المغربية وكان برفقة مورافيا كاتبان ايطاليان مشهوران هما مراين ، وباسولين . وقد استغرقت زيارتهم للمغرب شهرا كاملا .

* عقد فى بغداد مؤخرا مؤتمر الادباء العرب في موضوع (دور الادب فى معركة التحرير والبناء في الوطن العربي) حضرته عدة شخصيات أدبية من جميع بلدان العالم العربي ، وقد مثل المغرب فى هذا المؤتمر الاستاذان عبد الكريم غلاب ، والحسن السائح .

* ستصدر دار الكتاب بالدار البيضاء الطبعة الثانية من كتاب « فوارة الظمأ » لمحمد الصباغ فى بيروت ، وقد سبق لهذا الكتاب ان طبع بتونس منذ سنتين .

* صدر عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية بالرباط العدد الثاني من مجلة « اللسان العربي » التي تعنى بالابحاث اللغوية ونشاط الترجمة فى العالم العربي ، وقد شارك فى هذا العدد الاساتذة : عبد الله كنون ، الدكتور احمد الحوفي ، محمد داود ، عبد الحق فاضل ، الدكتور خير الدين حقي ، محمد المختار السوسي ، عبد الهادي التازي ، الدكتور يحيى الخشاب ، جمال الدين الشيال ، الدكتور توفيق المنجد ، الدكتور سهيل العشي ، حسن الدجيلي ، عيسى الناعوري ، سليم حيدر ، جورج كولا، عبد العزيز بن عبد الله ، شومان ، محمود تيمور ، زكي طليمات : ويقع هذا العدد فى 150 صفحة من الحجم الكبير .

* تقدم الاستاذ حسن السائح الى كلية الآداب برسالته عن « الرحلة الحجازية المسماة تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » وذلك من اجل نيل ديبلوم الدراسات العليا .

* سيؤسس فى دكار مركز لبناني ثقافي ودار المعلمين .

* صدر بالاردن اخيرا مرسوم ملكي يقضي بالموافقة على اتفاق قضائي وآخر ثقافي بين الاردن وتونس .

* عقد فى باسكو مؤتمر اتحاد محطات الاذاعة والتلفزة الوطنية الافريقية .

* اتخذت حكومة مدغشقر ، ضمن برنامج السنوات الخمسة 64 / 68 مجموعة من الاجراءات الكفيلة بتصفية الامية فى جميع انحاء الجزيرة الكبيرة ، هذا مع العلم ان نسبة الامية بين السكان الآن تبلغ 65 في المائة .

* سينعقد مهرجان ابي القاسم الشابي بتونس في شهر اكتوبر المقبل وكان مقررا قبل التاجيل ان ينعقد فى شهر فبراير الماضي .

* سيفتتح قريبا بجامعة الجزائر معهد عال للصحافة . وسيقبل المعهد طلابا عديدين من البلاد الافريقية . وحددت الدراسة فيه لمدة ثلاثة اعوام .

* تأسست فى ليبيا لجنة عليا لرعاية الآداب والفنون تابعة لوزارة الانباء والارشاد بها .

* ستؤسس بليبيا قريبا اول وكالة للانباء .

* « عبقرية العقاد » كتاب جديد يصدره ادباء حضرموت عن العقاد بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته .

* فى سلسلة « مفاهيم اسلامية » اصدر الاستاذ محمد جلال كشك كتابه بعنوان « الغزو الفكري » .

* عثر فى مصر على ديوان شعر لابى العلاء باسم « استغفر واستغفري » وهو يشتمل على عشرة آلاف بيت .

* يعكف الدكتور طه حسين على اتمام كتابه « الفتنة الكبرى » وينوي بعد ذلك املاء الجزء الثالث

* قامت اليونيسكو لاول مرة ، بتكليف احد الخبراء بالعمل على اعداد وتنظيم منهج دراسي لمعلمي مدارس اللاجئين العرب ، التي تعينها الامه المتحدة وتشرف عليها اليونيسكو ويبلغ عدد التلاميذ الذين يترددون على هذه المدارس مائتي الف تلميذ عربي يعيشون في بلاد عربية مختلفة (الاردن ، ولبنان ، وسوريا ، وقطاع غزة فى الجمهورية العربية المتحدة .)

وقد صرح هذا الخبير اثناء زيارته الاخيرة لمقر اليونيسكو بباريس بان 90 ٪ من هؤلاء المعلمين اي ما يقرب من 4،000 معلما لم يحصلوا على التدريب الكافي ، ولا يستطيعون فى الوقت نفسه ترك مهنتهم لاستكمال تدريبهم . ولذا فان برنامج التدريب بطريق المراسلة يعد فى الواقع ملائما لاستيفاء هذه الحاجة. ونذكر اخيرا ان هذا الخبير هو المستر جون كلارك ، الموظف بالحكومة الاسترالية والمعار الآن للاونووا .

* جاء فى نشرة « انباء اليونيسكو » فى عددها الاخير : « ان عدد الاميين فى البلاد العربية يقدر بحوالي خمسين مليونا من الناس » .

* تفيد حولية اليونسكو الاحصائية ان 72 بلدا واقليما من بين 139 بلدا تناولها الاحصاء ، تملك حتى عام 1960 مكتبات وطنية تقع على عاتقها مهمة حفظ التراث الادبي ، وان الاتحاد السوفييتي يمتلك وحده ست عشرة مكتبة وطنية تضم ما يقرب من اثنين وستين مليون مجلدا . اما الولايات المتحدة الامريكية فتمتلك مجموعة ن المجلدات تقدر بما يقرب من اثنى عشر مليون مجلد تحتفظ بها فى مكتبة وطنية واحدة ، هي مكتبة الكونفرس .

اما بالنسبة لفرنسا ، فان مكتبتها الوطنية تضم ستة ملايين من المجلدات وفى اليابان مكتبة للدولة تحوي على ما يقرب من 5،200،000 مجلد . على ان هذه الاحصاءات تجاوزتها مع هذا احصاءات بعض البلاد الاخرى ، مثل المملكة المتحدة التي تمتلك تسعة ملايين مجلدا موزعة على ثلاث مكتبات وطنية ، ورومانيا التي يتيسر فيها 8،300،000 مجلد موزعة بين مكتبتين ، وايطاليا التي تتوفر على ثمانية ملايين مجلد تقتسمها فيما بينها سبع مكتبات مركزية . وتمتلك كل من جمهورية المانيا الاتحادية ، والمانيا الشرقية ، عددا يقل عن ستة ملايين من المجلدات ، كما تمتلك تشيكوسلوفاكيا اقل من اربعة ملايين من المجلدات ، فى حين يقل عدد المجلدات عن مليونين اثنين فى معظم البلاد الاوربية الاخرى ، وكذلك فى شيلي ، والهند ، ونيوزيلانده .

وتتناول حولية اليونيسكو الاحصائية عدد ومحتويات المكتبات العامة . فاذا استثنينا كلا من الاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة الامريكية ، نجد فيما يتعلق بالمكتبات الجامعية ان اليابان فيها 742 مكتبة (بها 35 مليون مجلد) ، وان المملكة المتحدة فيها 632 مكتبة (تضم اكثر من 21 مليون مجلد) وان كل من يوغوسلافيا وكندا بها اكثر من ثلاثمائة مكتبة جامعية .

اما فيما يتعلق بالمكتبات المدرسية ، فتجدر الاشارة الى المجهودات الكبيرة التي بذلها بعض البلاد فى هذا الميدان . ومثال هذا ان بالعراق 3270 مكتبة مدرسية ، وفى الصين (فرموزة) 1843 مكتبة مدرسية، وفى الاردن 1143 مكتبة مدرسية ، وفى الجمهورية العربية المتحدة 926 مكتبة مدرسية . ويلاحظ فيما يتعلق بالمكتبات العامة ان فى اندونيسيا 1634 مكتبة تضم اكثر من مليون مجلد وان فى الكونغو (ليوبولدفيل) 427 مكتبة تضم اكثر من نصف مليون مجلد .

* وافق مؤتمر اليونسكو العام فى دورته الثالثة عشرة على قرارين ، يدعو فى اعداد احدهما الدول الاعضاء الى تشجيع اعمال البحث التي تسهم فى اعداد « تاريخ عام لافريقيا » والقرار الثاني هو اتخاذ الاجراءات الضرورية من اجل اعداد ونشر هذا المؤلف خلال مدة عشر سنوات اي ابتداء من عام 1965 الى عام 1970 .

* يعتبر متحف لندن من اعظم متاحف العالم بما يحتوي عليه من كنوز تاريخية وتراث اثري ثمين وهو الى جانب ما يحتوي عليه من مخلفات العصور اليونانية والرومانية والمصرية ومن انواع العملات القديمة والمخطوطات النادرة تقوم ايضا اعظم مكتبة تشمل مؤلفاتها كل باب من ابواب المعرفة البشرية . ويزور الطلاب والبحاثون من شتى اصقاع الارض هذه المكتبة التي تضم ستة ملايين كتاب .

* صرح محاضر فى جامعة كامبردج ، الى وكالة الصحافة اللندنية ، ان مركز الشرق الاوسط من الجامعة حريصا على تاسيس اتصالات مع العالم العربي فى الميدان الدراسي ، وانه سيوجه الدعوة الى ادباء ومفكرين للمشاركة فى « مختلف مشاريعنا الادبية واللغوية » .

* اكتشفت بعثة آثار عراقية ، بين اطلال بالقرب من الكوفة جنوب بغداد ، نصوص غريبة مكتوبة بالخط الكوفي يعتقد انها اقدم ما عرف من كتابة فى الاسلام .

ويرجع تاريخ المكان الذي وجدت فيه هذه النصوص الى العام السابع عشر الهجري (او عام 622 الميلادي) . ومعنى هذا ان تاريخ كتابتها يسبق ببعض سنين تاريخ وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . فى العام الحادي عشر الهجري هذا ، بينما يرجع تاريخ ما هو معروف ، حتى الآن ، من نصوص قديمة الى العام الحادي والثلاثين .

وتقوم الآن مصلحة الآثار العراقية بفك خطوط هذه النصوص التي اكتشفت فى الكوفة .

* اقيم فى بيروت احتفال تذكاري بمناسبة مرور 25 سنة على وفاة الكاتب اللبناني الكبير امين الريحاني

* « مرفأ الذكريات » ديوان جديد صدر حديثا للشاعر هلال ناجي من لبنان .

* يعاد فى بيروت طبع كتاب « تاريخ نجد » للمرحوم امين الريحاني .

* تألفت فى لبنان جمعية باسم « اصدقاء المؤلف »

* من الكتب التي صدرت اخيرا فى لبنان : « جنازة كلب » لابراهيم سلامة . و « طائر بلا جناح » لهدى خوري . و « المدار المغلق » لجبرا ابراهيم جبرا . و « بيروت ولبنان فى عهد آل عثمان » ليوسف الحكيم .

* صدر فى بيروت فى الشهر المنفرط ديوان للشاعرة غادة سلهب بعنوان « اوراق عمر » .

* الشاعر بلند الحيدري صدرت له مجموعة شعرية بعنوان : « خطوات الغربة » فى بيروت

* « عشتروت وادنيس » ملحمة شعرية صدرت فى بيروت للشاعر فؤاد الخش صاحب « سوار الياسمين » .

* قام الاستاذ احمد غريبة بترجمة رواية محمد ديب المسماة « فى المقهى » الى اللغة العربية .

* صدرت فى بيروت مجلة شهرية بعنوان «الرحمة»

* انتهى العلامة محمد جميل بيهم من تحرير الجزئين الاول والثاني من كتابه المطول الخطوط الكبرى فى تاريخ العرب السياسي » .

* صدرت طبعة ثالثة لكتاب « ادبنا وادباؤنا فى المهاجر الامريكية » تأليف جورج صيدح .

* صدر فى بيروت كتاب « الاستعمار عدو العرب » لمؤلفه سليمان ابو زيد .

* اصدرت الكاتبة اللبنانية ثريا ملحس كتابا بعنوان « القيم الروحية فى الشعر العربي المعاصر قديمه وحديثه حتى منتصف القرن العشرين » .

* افتتحت اللجنة الامية لحقوق الانسان فى 22 مارس الماضي فى جنيف مؤتمرها الحادي والعشرين. وكان موضوع هذا المؤتمر ابرام اتفاق حول القضاء على التعصب الديني في جميع اشكاله .

* « محاضرات حاملي جائزات نوبل فى الطب » اسم كتاب يعكف على تحريره الدكتور محمد يحيى الهاشمي من سوريا .

* « الحلقة الخضراء » اسم جمعية جديدة تأسست اخيرا في سوريا .

* سيؤسس بالمملكة السعودية معهد للابحاث الصناعية .

* ستنشيء وزارة المعارف السعودية مكاتب ثقافية فى جميع بلدان اوربا .

* صدر للروائي السوري فاضل السباعي كتاب بعنوان « رياح كانون »

* ذكرت نشرة لمنظمة اليونيسكو ان توزيع الصحف فى العالم ارتفع بحوالي 20 بالمائة فى السنوات العشر الماضية وبلغ مجموعه 300 مليون نسخة يوميا .

* ستعرض فى قاعات متحف اللوفر تحف فنية دانماركية نفيسة . ومن بين هذه التحف كأس ذهبي للملك كريتيان الرابع ، ولوازم للمائدة كان يستعملها الملك فردريك .

* صدرت في سان باولو في الشهر الماضي مجلة عربية جديدة بعنوان « الندوة » .

* وقع العثور في العقبة على مدفن رجل كان يعيش في الفترة الاولى من فترات سكنى النوبة تقوم حوله مجموعة غريبة تضم نماذج لكل انواع الصخور الموجودة في المنطقة ...

كما عثر ايضا على حوالي خمسمائة نموذج من الرسوم والنقوش تنتمي الى مجموعة من العهود المختلفة سيتم التحقق منها باستخدام الاجهزة الالكترونية الحديثة .

وفي « مرقسة » أكتشف اكثر من ثلاثة آلاف نص ، تحمل اسماء القبائل التي كان يعتبرها المصريون القدماء قبائل معادية ...

وفي جزيرة منارة ، وجد تل من الركام فيه آثار ابنية مكونة من طوابق متعددة ، لاتقل عن احد عشر طابقا ترجع الى العهد المسيحي وما قبله .

هذا كله بعض ما وقع عليه علماء الآثار والحفريات في اقليم النوبة السوداني .

* اجمعت الصحف والمجلات الاجنبية أن احسن كتب العام الماضي كانت : « الوليمة المتحركة » لهمنجواي ، و « حياتي » لشالي شابلن و « الحياة مع بيكاسو » بقلم المراة التي كانت نموذجه في الرسم وشريكة حياته لعشر سنوات . وفي النقد الفني وقع الاختيار على كتاب بعنوان « في انتظار النهاية » الذي يناقش قضية ارتباط الفن بالحياة في أمريكا والانفصال الواضح بين الادب وواقعية المجتمع . اما الكتاب المختار للنقد الاجتماعي فهو عن المساواة الجديدة الذي يعالج مشكلة الحقوق المدنية للزنوج في امريكا . ومن الكتب العلمية « مراقبو السماء » ويروي تاريخ دراسة الفضاء .

* انشيء في جامعة كاليفورنيا كرسي للشعر، وهي الجامعة الوحيدة في المانيا التي بها كرسي جامعي للشعر . وقد تأسس من طرف دار للنشر تقوم كل ستة اشهر بدعوة أحد الشعراء أو الادباء المشهورين لالقاء محاضرات عن الشعر في المانيا والعالم .

ويزمع الدكتور . ب . سارجنت ، المحاضر فى كلية ترينتي ، والعضو فى مركز الشرق الاوسط تحقيق هذا الهدف باجراء تلك الاتصالات اثناء جولته التي سيقوم بها فى هذا الشهر تحت اشراف المجلس الثقافى البريطاني والتي سيلقي اثناءها عددا من المحاضرات. وهو خبير فى التاريخ الاسلامي وسيقدم محاضرتين فى دار الثقافة فى تونس كما سيلقي محاضرات في سوسة وقابس وصفاقص .

وقال الدكتور سارجنت : « الى جانب المحاضرات العامة ساتكلم امام طلاب الجامعات والمدارس الثانوية حول ثلاثة مواضيع رئيسية وهي : التغيرات الاجتماعية فى الجنوب العربي ، واهمية الكتابات الاسلامية في دراسة التاريخ الاسلامي القديم ، والفن الشعبي في اللغة العربية المعاصرة » .

※ نظمت اليونيسكو فى ناجبور بالهند حلقة دراسية عن الاساليب الخاصة باعداد الصحفيين فى جنوب وشرق آسيا . وقد دعيت ثلاثة عشر بلدا الى ايفاد بعض الخبراء الى هذا الاجتماع للتباحث فى اساليب وبرامج الاعداد الصحفي .

※ صدر فى لندن معجم يتضمن ما يقرب من 750 صفحة بها الف مصطلح رئيسي لعلم الاجتماع والعلوم الاقتصادية ، والسياسية ، وعلم النفس الاجتماعي ، وقد اشترك ما يقرب من 270 متخصصا فى مختلف هذه الميادين العلمية من بريطانيا ، والولايات المتحدة الامريكية فى وضع المصطلحات .

※ ابتكر مصنع بريطاني آلة طابعة تستطيع ان تقوم بعمل عدة آلات طابعة دفعة واحدة ، ويعتقد انها الآلة الوحيدة من نوعها فى العالم .

※ تم فى بريطانيا تطوير دماغ الكتروني نموذجي لقاعة الدرس يستطيع القيام بمختلف عمليات الدماغ الالكتروني الكامل وذلك ليكون بمثابة نموذج لتعلم مباديء عمل الدماغ الآلي .

※ يعد فى الباكستان الآن متحف هام ليضم الادوات التي كشف عنها فى « موهانجوداروى » الواقعة فى وادي السند ، فى منتصف الطريق بين البنجاب والبحر . ومعروف ان هذه البلدة القديمة التي ربما يرجع تاريخها الى 3500 سنة ق.م. والتي دمرها الآريون بعد ذلك بالفي عام ، قد كانت مركزا رئيسيا من مراكز الحضارة السندية التي مازال بعض جوانبها غير معروفة حتى الآن .

※ نعت روما مستشرقها الكبير مارتينو ماريو مورينو الذي قام بترجمة عدة ابحاث وكتب عربية الى اللغة الايطالية .

※ اشار مؤرخ الآثار القديمة ، مرارا وتكرارا الى وجود بلدان انشأها الاسكندر الاكبر وخلفاؤه في افغانستان والمناطق المجاورة . ولكن ظلت هذه المدن مجهولة حتى الآن ، باستثناء « كاندار » وحدها . وقد اكتشفت اخيرا بعثة الآثار الفرنسية ، برئاسة السيد « شلومبيرجيه » فى «ايخانوم » شمالي افغانستان اطلال مدينة هيللينية تعود الى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وتقع هذه المدينة عند ملتقى نهري الادكسيس والكوشا . ويبدو من موقع المدينة كأنما هجرت منذ سقوط مملكة « باكتريان » الاغريقية حوالي عام 130 ق.م. ولم تعد الى العمران بعد ذلك وقد وجد بها اكروبول او مدينة عليا تشرف على نهر الكوشا ، ومدينة سفلى رابضة على ضفة الاوكسيس تحيط بها الحصون . ومن الممكن ان نشهد فى هذه المواقع معالم المدنية السابقة فنجدها تتألف من طريق رئيسي يبلغ طوله 1600 مترا وتحيط به الحوانت . كما نجد احياء السكنى في الجنوب ، وفي الوسط حيا آخر يضم المباني العامة مجمعة حول افنية واسعة . وقد توصل الباحثون الى اكتشاف آثار غنية من الاواني الفخارية .

※ عقد مؤتمر ادبي فى موسكو ضم 400 كاتبا ينتمون الى مختلف الجنسيات . وقد استغرق هذا المؤتمر خمسة ايام فى قصر الكرملين . ودعا الى عقد هذا المؤتمر اتحاد الكتاب التابع لاتحاد النقابات الروسية.

※ اخرجت دور النشر في موسكو أخيرا ترجمة كثير من الكتب العربية من بينها مجموعة قصص قصيرة للكاتب الايطالي مورافيا بعنوان « المنزل الذي ارتكبت فيه الجريمة » ورواية « السماء المقلوبة » للكاتب البلغاري جوردان ، ورواية اخرى للكاتب الالماني . كما ان بعض المجلات الادبية ستنشر الترجمة الذاتية لشارل شابلن ومجموعة قصصية للكاتب الامريكي سالنجر ورواية للكاتب الفرنسي سانت اوكسبري .

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثامن – السنة الثامنة – صفر 1385 – جوان 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

نص الخطاب الملكي

بمناسبة أعياد الشباب

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

يسرني فى هذا اليوم ان اوجه اليك تشكراتي الحارة وامتناني الصادق على ما اوليتني اياه مدة سقمي من تعلق ومحبة ودعاء لي بالشفاء العاجل ، واحمد الله تعالى على ما اضفى علي من الصحة والعافية ، ارجو من العلي القدير ان يضفي على كل بيت من بيوتك العافية الشاملة ، وان يسدل على كل فرد من افرادك رداء من العافية والهناء ، واحمد الله تعالى فى الاخير على هذا الالتحام وهذا الالتئام الذي ما فتىء يجمع بين الملك وشعبه ، فيحس الجميع باحساس البعض منهم ، فافراحنا واحدة واحزاننا واحدة ، لا ارانا الله فى المستقبل مكروها وجعلنا دائما باعمالنا وبما نعمل فى سبيل خدمة وطننا ملكا وشعبا سعداء مقروري العين .

نحو غد افضل

معشر الشباب

تحل بحلول هذا اليوم السعيد ذكرى جديدة لعيد ميلادنا وعيد الشباب فى وطننا ، ومع بزوغ فجر هذا اليوم يشع فى قلوب الملايين بريق الامل نحو غد افضل ، وتتطلع الى ذلك الغد نفوس شعبنا الوفي ، الذي يؤلف شبابه الصاعد الاغلبية الساحقة منه .

وتجسيما لتلك الآمال اعتاد شبابنا ان يجعل من عيدنا هذا يوما تنطلق فيه استعراضاته الفتية مرددة شعارات الشباب وهازجة بما يطفح به قلبه الكبير من مطامح ، مما يضفي على هذا اليوم حلة تتناسب مع روعة هذه الذكرى وجلال هذا اليوم .

ذلك ان عيد الشباب كبقية اعيادنا القومية ، كان قبل ان يسترجع الوطن سيادته مناسبة سعيدة يغتنمها شبابنا ليبرز ما كان يكمن فى صدره من عزم لاستعادة الحرية المفقودة واسترجاع الاستقلال السليب ، وليرمز بتلك الاستعراضات الى انه فى الطليعة القيادية للتحرير والانعتاق ، ثم اصبح هذا العيد منذ الاستقلال فرصة يغتنمها شبابنا لابراز اعتزازه بالمكتسبات القومية وتمسكه بالمبادىء الوطنية، وتجديد عزمه على مواصلة السير لتحقيق التحرير الشامل والسيادة الكاملة .

ارادة العرش والشعب

ولقد شاءت ارادة العرش والشعب ان يحتفل باعيادنا الوطنية بمناسبة ذكرى احتفاء بحادث سعيد تبتهج له اسرة العرش ليصبح ذلك الحادث فيما بعد منطلقا لافراح شعبية ورمزا لامال الامة وتشخيصا للالتحام الذي انتظم بين الاسرة الملكية والشعب المتعلق بها ، وهو التحام عجمت عوده ظروف الكفاح وصهرته المحن وما يزال توالي السنين الى اليوم يؤكد صلابته ويشحذ حدته .

وتحل ذكرى عيد الشباب هذه السنة بعد ايام معدودات من اعلاننا حالة الاستثناء التي اردناها فترة نحقق خلالها تغييرا جذريا فى نفوسنا وعقلياتنا ومناهج تفكيرنا واساليب عملنا ، لذلك كان من الطبيعي ان يقع العدول عن الاحتفال بهذا اليوم كما احتفل به فى السنوات السالفة ، ذلك ان شبابنا فى حاجة الى ان

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الثامن
السنة الثامنة
صفر ١٣٨٥
جوان ١٩٦٥

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :

مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حسـاب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفـون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط

يراجع مفاهيمه بهذه المناسبة وان ينطلق فى هذه الذكرى لاستقبال السنة التي تتلوها وهو واع لدوره الجديد والمسؤوليات العديدة التي تنتظره فى هذا العهد .

ثورة اوقدنا جذوتها

ان شبابنا يدرك قبل غيره ان الثورة التي اخذنا نوقد جذوتها فى نفس شعبنا وفي همم المؤمنين على مسؤولياته ، تعنيه اولا وقبل كل شيء وتهم مصيره ؛ فالمغرب بلد فتي ، روحه الشباب ، وكل شيء فيه جديد جدة الشباب ، واذا كنا نعتزم ان ننفخ فيه نفسا جديدا ، فانما على شبابه نتكل وبشانه نعمل ولم يكن لصرختنا ان يتردد صداها ولا لانتفاضتنا ان يردك مغزاها اذا لم تنفذ الى اعماق قلوب الملايين من شباب شعبنا الذين يكونون الدعائم المتينة والركائز المكينة التي يقوم عليها صرح وطننا .

ان الاحتفال بهذه الذكرى يقام هذه السنة تحت شعار (تنمية المجتمع) ويتشخص ذلك في انصراف شبابنا هذا اليوم الى العمل فى الاوراش والخدمات الجماعية من تجديد المدينة الى تنظيف القرية الى غرس الشجرة ، ومن مساعدة الفلاح فى حقله الى مواساة المريض فى سريره ، أي كل عمل من شأنه أن يفيد المواطن والجماعة ، ويجعل شبابنا يحس بانه عضو بناء لمجتمعه ، مفيد لوطنه ، وانه لايعيش في الحياة ليستمتع بمباهجها بقدر ما يعيش ليفيد مجتمعه ويحافظ على سلامة المجتمع واستمرار بقائه.

نحو العمل الجماعي

وفي بلاد تعاني التخلف وتجتاز المشاكل التي نعرفها يعتبر العمل الجماعي الذي يجب ان يطبع سلوك الشباب ، اكبر ضمان لنجاح المشاريع ، وهو وحده الكفيل بخلق اخوة صادقة بين افراد المجتمع وخلاياه ، بل ان العمل الجماعي يعتبر ضرورة ملحة ، بينما يعتبر الانكماش على النفس والشعور الفردي جريمة يرتكبها المواطن القادر على العمل ضد دولته وامته

وكما انطلقت السواعد بعد ندائنا حاملة الفؤوس منذ ايام لبناء الاقسام وأشادة المدارس ، ينطلق شبابنا هذا اليوم من المدينة والقرية والسهل والجبل ، ليشخص بعمله وحركته طموح الشباب الذي لا يقف عند حد ، وعزم الشباب الذي لايعرف التخاذل والتواكل .

انتفاضة مباركة

وهكذا تجد الثورة التي أوقدنا شعلتها محتواها العملي فى هذه الانتفاضة المباركة ، التي يشخصها شبابنا هذا اليوم فى مختلف اعمال التنمية الاجتماعية التي ينصرف اليها لتنتهي بغروب شمس هذا اليوم ؛ ولكن لتشكل الانطلاقة الكبرى للخدمة الاجبارية المدنية التى نعد العدة لاعلانها فى اطار التعبئة الشاملة التي ستستوعبه جميع طاقات الشباب لاستعمالها في برامج العمل والبناء ، وستدخل الخدمة المدنية فى حيز التطبيق ابتداء من مستهل السنة المقبلة ، وهذه هي الوسيلة العملية التي تجعل منك ايها الشباب شبابا نافعا ، وانك بها وبها وحدها ستحس بان طموحك في الخلق والابداع يفسح لك المجال فى الانتاج الوطني ، وبان شعورك بالانتماء لحظيرة الوطن يتعدى مجرد احساس بحق مجرد ليصبح هذا الانتماء متشخصا في مشاهدة آثار عملك وصنع يدك ، ويندفع بك تلقائيا الى سعيك للحفاظ على ما أشدت وبنيت ، واذ ذاك تحس اكثر بانك لحمة من وطنك ، فتزداد له حبا كما يزداد الوطن لك تقديرا .

تحول جذري

معشر الشباب

ها أنتم ترون ما ننتظره منكم ابتداء من هذا اليوم من تحول جذري فى تفكيركم ومناهج سلوككم وها انتم تلاحظون المكانة التي يحتفظ بها الوطن بكم فى تكوين مستقبله الذي هو مستقبلكم . وتحسون منذ الان برسالتكم المثيرة للحماس ، وتدركون ان غدا مشرقا بالآمال ، طافحا بالبشائر ينتظركم ، فلتتسلحوا لاستقباله بالايمان بنجاحكم ، واليقين باثمار جهودكم صابرين مصابرين ، فانت شبابي العزيز بعددك الضخم المتكاثر كل سنة ، وبحكم انبثاق نخبة الاطارات من صفوفك تشكل المحرك الرئيسي للتقدم ، فلتسر على بركة الله تحدو القافلة وتستحث خطاها لتبني كما كانت اوائلنا تبني ، ولتبذر للاجيال اللاحقة ما تجني كما بذر لك السابقون كما جنيت ، امد الله فى عزمك وحمى الوطن بهممك وسواعدك ، واعاد كل سنة هذه الذكرى وقد تحقق فيك الامال ، وبارك الله الجهد والعمل ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



ننشر هذه الصورة لصاحب الجلالة الملك المعظم
الحسن الثاني بمناسبة اعياد الشباب

بمفهومه الخاص عن المساواة ليصاغ المفهوم في شعور عاطفي دفاق قادر على الحركة والتوجيه طبقا لمتطلبات هذا المفهوم) .

وان تربيتنا الاسلامية يجب ان تكون تربية كاملة غير ناقصة لان التربية الناقصة كثيرا ما تكون سببا في ازدواج الشخصية وذلك ما نراه واضحا عند انصاف المثقفين — ان صح التعبير — هؤلاء الذين ياخذون جانبا او اكثر من المذاهب المستوردة كاولئك الذين يتبنون الجانب الاقتصادي من النظرية الماركسية مثلا بحجة انه لا يتعارض مع الفكرة الاسلامية وانه لا يمس العقيدة ولا يؤثر عليها او بتعبير آخر ان تبنيه للجانب الاقتصادي لا يجعله ملحد ولكنه نسي او تناسى او جهل ان الاعتقاد بعدم صحة جانب من جوانب الاسلام انما هو كفر به ومن ثم هو كفر بالاسلام كله لان هذا الاعتقاد ما هو الا اعتقاد بعدم صلاحية الاسلام للتطبيق في هذه الحياة : (فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) .

ان الايمان برسالة الاسلام يجب ان يكون ايمانا بكل ما تنطوي عليه هذه الرسالة من انظمة في كل مجالات الحياة الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية وغير ذلك ، ان الاسلام هو وحدة من الانظمة مترابطة متداخلة لا يمكن تجزئتها وتفكيكها ، والمشرفون على مناهج التربية الدينية يتحملون مسؤولية كبيرة عند ما يعتنق الفرد — الذين لم يعمقوا في نفسه جذور العقيدة — بعض الافكار والمذاهب اللا اسلامية ، لانه يدخل معترك الحياة وهو لا يحمل عدة عقدية تمكنه من صد التيارات الفاسدة وعندها يكون تهيأ لها وارضا صالحة لنموها وتثبيت جذورها .

والتركيز على الفكرة الاسلامية هو الذي يكون حاجزا منيعا امام كل هذه التيارات وامامه تنحسر وتنهزم عند ما تحس قوة هذه الفكرة وصلابتها ، وهي ماثلة في نفس الفرد .

ومن الادلة التي تدعم ما اقول ماجاء في احدى الصحف الفرنسية في تحقيقها الذي يلخص لنا تقريرا طبيا كتبه الدكتور ميير وهو طبيب نفساني كان قد كلف بدراسة حالات الاسرى الجنود الامريكيين في كوريا عند عودتهم الى وطنهم ، وقد هال حكومتهم ما شاهدته من ان هؤلاء الجنود قد صاروا شيوعيين وقد سجل الدكتور ميير في تقريره هذه الملاحظة الخطيرة وهي : ان الجنود المتدينين هم وحدهم القادرون على مقاومة الشيوعية ، ان هذا التقرير يؤيدنا تمام التأييد في ان التربية الدينية هي وحدها القادرة على ان تهزم كل الافكار الدخيلة والمنحرفة .

ثم ان من المفارقات التي لا تلتئم وواقع الاسلام تعريفه بانه علاقة تربط الانسان بربه ، في حين ان هذا التعريف يكاد لا يمثل الا جانبا واحدا من جوانب الاسلام ، وما هو الاشحنة من شحنات الاستعمار الفكري الذي اراد ان يحرف الاسلام عن مفهومه الحقيقي ، ان علينا ان نزيل هذا التعريف عن مدارسنا ونرده على من وضعه ثم نبدله بالتعريف الذي ينسجم وطبيعة الاسلام ، الاسلام الذي غير مجرى تاريخ البشرية ، بعد ما اضاف الى حضارتها نتاجا ورصيدا ضخما في شتى مجالات الحياة .

ان التعريف الذي وضعه الاستعمار للاسلام يمكن ان ينطبق على الدين المسيحي او غيره من الاديان الاخرى التي انتهت مهمتها في ان تكون نظاما للكون والحياة والانسان .

لقد نادى فلاسفة اوروبا ومفكروها بفصل الدين عن الدولة لما تبين لهم ان الدين المسيحي لا يصلح ان يكون منهاجا تسير في ضوئه هذه الحياة المتطورة .

فقد كان ممثلوا المسيحية يقتلون ويعذبون العلماء الذين اثبتوا بتجاربهم حقائق علمية زعزعت ما كان يزعم انه حقيقة لا شك فيها في المسيحية . ولكننا نحن المسلمين عند ما انحدرنا في تقليد الغرب في كل شيء عدنا نلتزم بمفهوم فصل الدين عن الدولة ، وللاسف ان هذا المفهوم تجسد واقعا مرا في حياتنا العملية من قلق دائم وحيرة مستمرة .

وعليه فمناهج التربية الدينية بحاجة الى تغيير جذري اذا اردنا ان نوجد مسلمين يتجاوبون مع الاسلام تجاوبا كليا ، هذا من جهة المنهج ، واما من جهة المشرفين على تدريس هذا المنهج ، والمدرسين فلا ريب ان لهم تأثيرا كبيرا في عواطف ومشاعر واذهان الطلاب الذين يتلقون عنهم الدرس فعلينا ان نختار مدرسي التربية اختيارا صحيحا ، فنختار الرجل البصير الواعي للمفاهيم الاسلامية وعيا كاملا متجاوبا معها تجاوبا نفسيا تاما ذا تجربة وخبرة في التعليم طويلة لان فاقد التجربة لا يستطيع التأثير في نفوس الطلاب لانه لا يعرف كيف يتجاوب معهم .

ومدرس مادة الدين بحاجة الى ثقافة حديثة يتابع بواسطتها الجديد في عالم الفكر والعلم وعلى صلة بالمجتمع متفاعلا معه غير منطو على نفسه .

والثقافة الدينية يجب ان لا تقتصر على مدرسي الدين وحده بل يجب ان تتخطاه الى كل مدرس في اي فرع من الفروع حتى يتمكن من النقد والمقارنة وبيان ما اثبته العلم من حقائق جاء بها الاسلام منذ قرون بعيدة ، ان هناك كثيرا من فصول كتبنا التي تدرس في مدارسنا تحدث انطباعا سيئا عن الدين في نفسية الطالب .

فكثيرا من الكتب المقررة في مدارسنا وضعها مؤلفون غير مسلمين ، وهل يمكن ان نأمن على هؤلاء من الدس والتشويه والافتراء على ديننا وعقيدتنا ، وعلى الاخص في كتب التاريخ ، فعلينا ان نختار الرجل المسلم ليؤلف في تاريخ الاسلام وفق وجهة النظر الاسلامية وتحليله للحوادث ودراستها وتفسيرها بعد ان ينقيها من كل ما يشوبها من تشويه ، وفي الواقع ان هناك كثيرا من النقاط التي تتصل بدراسة الاسلام وتاريخه تحتاج الى معالجة وهي اكثر من ان تستوعبها صفحات هذه المجلة .

العراق — جعفر هادي الكريم

اعادة النظر التربية الدينية في مدارسنا

للاستاذ جعفر هادي الكريم

ان احدا لا ينكر ما للتربية من تأثير في نفسية الفرد وعقله وتفكيره ، واثرها في تكوين الشخصية بما لها من ابعاد وجوانب فردية او اجتماعية .. من اجل هذا نرى ان علماء النفس والتربية على جانب كبير من الاهتمام بتربية وتنشئة الانسان الصالح ، الانسان الذي يؤثر في المجتمع تأثيرا ايجابيا ، ولما كانت التربية تهدف الى ايجاد هذا النوع من الافراد لذا نرى ان المناهج التربوية عرضة للتغيير والتبديل بين آونة واخرى كلما جدت نظريات اعتقد العلماء بصحتها ومنافعها لصالح الفرد والمجتمع .

واذا اردنا ان نلقي نظرة على اوساط التربية في العصر الحاضر وجدناها تتمثل في الاسرة والمدرسة والمجتمع وقد اصبحت المدرسة في يومنا هذا ذات تأثير كبير وفعال في نمو فكر الفرد وبلورته ومن ثم في سلوكه ولذا فانني سأقتصر في مقالي هذا على جانب واحد من التربية في مدارسنا وهي التربية الدينية وهل غمطنا حقها ام اوفيناه .

ان المفكرين في العصر الحديث يدركون ما للدين من تأثير في عصمة الانسان عن الاهواء والشذوذ والانحراف ، ويقول علماء النفس ان للدين اثرا في تهذيب سلوك الفرد ونزعاته المضرة ، وله اثر قوي وعميق في النفس الانسانية ، فهو ينفذ حيث لا ينفذ القانون ، وهو يعاقب على الظاهر والخفي اما القانون فلا يعاقب الا على الاجرام المكشوف ، وقد يكون المجرم بارعا او متمرسا في الاجرام ، فلا يمكن ضبطه او تقديم بينة ضده ، ولكن التربية التي تنمي حساسة الضمير تجعل من الانسان رقيبا على نفسه يحاسبه على اقل ما يرتكب من الاثام ، كما يدفعه وعيه على التفكير وفعل الخير .

ومن الواضح ان المبادئ الدينية منظور فيها الى ناحية الخير الاجتماعي وفائدة وصيانة المجموعة البشرية (✶) .

والدين بما له من اطار واقعي صحيح ينفذ الى جميع المجالات الحياتية بكل ملابساتها وظروفها ، وهذا الدين لا يكون الا الاسلام لانه وحده الذي يكفل مطالب الانسان ورغباته المادية والروحية ، ونحن اذا اردنا ان نلقي نظرة عابرة على منهج التربية الدينية في مدارسنا ، واردنا ان نفتش عن مواد هذا المنهج وبنوده ، فاننا لا نجد ذلك المفهوم الواقعي للاسلام ولا تكون حصيلة تلك النظرة غير صورة مشوهة عن الاسلام ، لا تفي بغير بعض المظاهر الشكلية عن الدين ، ذلك لان حفظ بعض نصوص الاحاديث الشريفة والآيات الكريمة لا يكفي لخلق فرد مسلم مركز في عقيدته وسلوكه ، فتربيتنا الدينية تربية سطحية غير عميقة فهي لا تعتمد الجانب الفكري المؤيد بالدليل والبرهان وهذه لا شك ستكون نتائجها اقرب الى السلبية غير الايجابية ، اذ انها سرعان ما تزول وتنحسر امام الافكار والفلسفات المضادة ، وسبب زوالها هو انها تفتقد الترابط والتفاعل مع الفرد ، ان التفاعل والترابط والتجاوب كلما كان وثيقا كانت النتائج قوية وعميقة وراسخة .

ثم ان هذا التفاعل والترابط ربما تلعب العواطف فيه دورا مهما ، فعلينا في هذه الحالة ان لا نغفل تنميتها على اساس من القواعد الفكرية الاسلامية والتي تكون كقاعدة اساسية وخط عريض لتلك العواطف ، والواقع اننا لا يمكن ان نحقق اي غرض اذا اردنا ان تكون التربية الدينية معلومات نظرية فقط لان الغاية والهدف من تركيزنا على التربية الاسلامية انما هو تحقيق النتائج الايجابية التي تتمثل في السلوك العملي للانسان بجانبيه الفردي والاجتماعي ، ان المعلومات النظرية التي نحفظ ولا نطبق لا تجدي نفعا لان الاسلام دين علم وعمل .

وقد جاء في كتاب (رسالتنا) لجماعة العلماء في النجف : (ان الاسلام لا يريد المفاهيم والافكار بمعزل عن العمل والتطبيق وانما يريدها قوى دافعة لبناء حياة كاملة في اطارها وضمن حدودها ومن الواضح ان الافكار والمفاهيم لا تصبح كذلك الا حين تتخذ اشكالا عاطفية وحين تخلق الانفعالات التي تناسبها والعواطف التي تساندها لتتخذ هذه العواطف موقفا ايجابيا في توجيه الحياة العملية والسلوك العام فمفهوم المساواة مثلا الذي هو من اهم المفاهيم التي بشر بها الاسلام ، لايمكن ان تثمر في الحقل العملي ما لم تنبثق من هذا المفهوم عاطفة كعاطفة الاخوة العامة التي عمل الاسلام لايجادها في نفس المسلم وربطها

(✶) الدكتور احمد حسن الرحيم — اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية .

والواقع ان وحدة الفكر العربي الاسلامي في العالم العربي بين المسلمين والمسيحيين واليهود مرجعها الى (1) وحدة مصادر الاديان وغلبة الطابع الروحي على المفاهيم العربية (2) اشتراك العرب جميعا في تكوين الثقافة والتراث فقد كان الى جوار ابن سينا ، الكندي وموسى بن ميمون وهكذا .. والى جوار المتنبي، الاخطل كما اشترك المسيحيون مع المسلمين في نهضة الترجمة للتراث الاغريقي والروماني .

(3) كانت اللغة العربية لغة المسيحية كما هي لغة الاسلام وقد شارك فيها المسيحيون وترجموا اليها صلواتهم وكتبهم وكان لهم جهود في انمائها وتطويرها وكفاح البستانيين واليازجيين معروف ومقدور .

(4) كان العرق العربي اصلا للمسلمين والمسلميـن على السواء فهم مشاركون في الارض والوطن والعرق جميعا .

(5) المسيحيون يعتبرون القرآن وثيقة ادبية غالية ومحمد بطل عربي عظيم .

العـروبـة والاسـلام :

3) كان هدف التغريـب اساسا هو ذلك الفصل بين القومية والدين او بالاحرى بين العروبة والاسلام وخلق ذلك الجفاء بينهما . كان الاسلام يمثل في تركيا العثمانية ، وكانت الخصومة مع الاسلام انما تستمد ذلك من وجود الدولة العثمانية والخلافة باعتبارها كانت المؤثرة التي نشأت منها الخصومة بين الحركة العربية والحركة الطورانية وكلاهما حركتان قوميتان .

غير ان الحركة العربية اساسا لم تكن انفصالا عن الاسلام او الفكر العربي الاسلامي الا بعد ان اخذت تركيا النظام العلماني وخلفت الاسلام واللغة العربية ومضت تابعة للغرب تفقد شخصيتها وتلبس ثيابا على غير مقياسها .

كانت الروابط بين العروبة والاسلام روابط صيلة جذرية فالعروبة ككيان قومي يستهدف مقاومة النفوذ الغربي وتجميع الاجزاء التي فصلها الاستعمار ، ولم يكن ذلك يتعارض مطلقـا مع مفاهيمها الاساسية في الفكر والثقافة . غير ان فكرة العروبة لم تلبث ان تطورت على بعض يد دعاة التغريـب لتتحـول من مفهومها الفطري الطبيعي الذي كان يعيش في اعماق دعاتهـا ومقدميها الاول ومنهـم من يعيش حتى الآن كمحـب الديـن الخطيب والامير مصطفى الشهابي ، تحولت على ايدي من حملوا تغريبها فركزت على ذلك المعنى . معنى (قومية عربية بغيـر دين) اولا دينية القومية العربية .

ومن هنا بدأ الانقسام في المشرق وحده بين العروبـة والاسلام وقامت مدارس وهيئات تحمل لواء هذه الدعوة وتعممها وتثير حولها الجدل غير ان المغرب العربي لم يقبل هذه النظرية ورفضها رفضا باتا وظل ايمانه بوحدة القومية والاسلام قائما اساســا .

ربما كان الاخذ بالنظرية الغربية في القومية هو مصدر هذا الاضطراب ، وعقيدتنا اننا نبني واقعنا على مقومات فكرنا . فالقومية حركة مستحدثة لم تكن معروفة في تاريخنا كالاشتراكية والديمقراطية . فنحن حين نواجههـا لا ننفصـل عن مفاهمنـا الاساسية او قيمنا الاصيلة ولا ندعها تفسد ملامح شخصيتنا الاصيلة او تحولنـــا .

ونحن نقبلها دون ان نقبل مفهومها الغربي الذي ارتبط بالظروف والاوضاع والاركان التي قامت على اساسها في اوربا . نحن نقبلها كقوة ضخمة للوحدة والالتقاء السياسي والاجتماعي ونجعل من وحدة فكرنا الاصلية مقومها الاساسي ، ولا ضرورة للوي عنق النظرية الغربية حتى نلبسها كما هي . بينما نحن نحس في اعماقنا باضطرابها ولا ضرورة لهذه التحديدات النظرية ولا لهذه المواصفات المصطنعة التي تقول بان القومية تقوم على اللغة والتاريخ ولا تقوم على الدين . فنحن لا نقول بهذا وانما نحن نقول ما هو اوضح واصرح واكثر بساطة وابعد عن التعقيد المقصود به اثارة الشبهـات وتحويـل الانظار عن قيمة ضخمـة اساسية في فكرنا العربي الاسلامـي ، نقـول بأن المقومـات الاساسية للفكر العربي هي اساس القومية العربية والوحـدة العربية وليس معنى ان التاريخ ذاكرة الامة واللغة لسان الامة الا ان التاريخ واللغة جزء من هذه المقومات وقـطاع منهـا لا ينفصل عنها ولا يؤخذ مطلقا كجزئيه

ان من حقنا ان نؤمن بالقومية العربية وفق مفاهيمنــا ومقوماتنا وليس من الضروري ان نستورد هذه المفاهيم او ان نفرض علينا ظروف ومواصفات القومية في اوربا التي كانت بلا شك نتيجة خاصة لاوضاع معينة في ازمنة معينة ليس لنا بها صلة . ولا تنطبق مع ظروفنا او زمننا وليس معنى الاصرار على هذا الا التبعية والجري وراء تيار التغريب الذي لا يحـاول ان يفرض علينا النظريات وحدها بل يفرض ملابساتها ايضا .

اننا حين قبلنا العمل في مجال القومية العربية والدعوة الى الوحدة العربية انما فعلنا ذلك على اقتناع كامل بها . غير ان طريقنا في العمل وفهمنا لهذه القوميـة ليس من الضروري ان يكون مستوردا من الغرب ابـدا ولذلك فان الحديـث حول مقومات القومية العربية على ذات النحو الذي تفرضه بعض المذاهب والدراسات لا يمكن ان يقبل على اطلاقه ولا بد من التحفظ في النظر اليه . ذلك ان دعوة التغريب انما كانت تواجهنا اساسـا بدعوة القوميـة العربية للقضـاء على التيـار الفكري الاسلامـي الغالب على هذه الامة وفي محاولة لاحلال كلمة العروبة محـل كلمة الاسلام . فلما اخذنا فكرة القومية العربية لنجعلها سلاحا للكفاح في مقاومة الغزو الغربي والتجمع والوحدة واعادة الاجزاء

الفكر العربي الاسلامي في اساس البناء

للاستاذ احمد انور الجندي

لكي يتحقق قيام اساس البناء لفكرنا العربي ، على النحو الذي يحميه من دعوات الشعوبية والتغريب والغزو الثقافي لا بد من فهم عميق لفوارق دقيقة بين فكرنا العربي الاسلامي والفكر الغربي تتركز في نقاط اربع :

- وحدة فكرنا العربي الاسلامي ونظرته الشاملة ٠
- الفكر العربي فكر اسلامي الجذور ٠
- اسلامية العروبة وعروبة الاسلام ٠
- تراثنا قطاع حي من الفكر متفاعل مع الحياة والحضارة ٠

وحدة الفكر وتفتيته

1) النظرة الكاملة الشاملة هي قاعدة الفكر العربي الاسلامي :

اما النظريات الجزئية والتفتيت والتمزيق وسياسة القطاعات المستقلة المنفصلة فهي عندنا جزء من خطة التغريب ، فنحن لا نقبل مقوما من مقومات الفكر العربي الاسلامي او مقومين ونرفض الباقي وندرس هذين المقومين كأنهما اشياء مستقلة لا رابطة بينها وبين الاساس ولا جذور لها مع المفهوم الكامل ، وهذا ما يجري عليه البعض حين يتناول اللغة او التاريخ او التراث او الدين ٠

فالواقع ان نظرية التخصص ، لا تصلح على هذا المستوى، مستوى القواعد والاسس التي تتطلب تجمعا متكاملا لكل العناصر والاجزاء والقطاعات التي ترسم بمجموعها المقومات الاساسية لامة ولفكر امة ٠ وهذا هو خطر النظرة المستوردة في دراسة فكرنا ٠

وكما قصد الغرب الى تمزيق العالم الاسلامي الى عالمين عربي واسلامي وتمزيق العالم العربي الى قوميات ضيقة فقد قصد كذلك الى تقسيم الفكر العربي الاسلامي الى دين ولغة وتاريخ وجاء من قال ان مقومات الامة العربية تعول على اللغة والتاريخ وحدهما ورفض ما عدا ذلك من مقومات الفكر العربي الاسلامي التي لا تنفصل والتي لا تكون اللغة فيها منفصلة عن التاريخ عن التراث عن الدين ، وهي محاولة من محاولات الفكر العربي للقضاء على وحدة الفكر في امة ذات طبيعة وروح وضمير واحد ٠

فكل من هذه القيم جزء من الكل لا ينفصل عنه وما ذا يكون تاريخ الامة العربية بعيدا عن الاسلام ٠

الفكر العربي فكر اسلامي الجذور

2) ان النظرة الصادقة القائمة على ايمان كامل بمقدراتنا ومقوماتنا وامتنا نستطيع ان نقضي في كل خلاف حول اي شبهة من الشبهات التي يثيرها الغرب حول وحدتنا الفكرية كأساس للبناء وركيزة للتطور والعمل في مجال الحضارة والثقافة والحياة ٠

ومن هذه الشبهات ما يثيره التغريب بالنسبة لموقف المسيحيين من (الفكر العربي الاسلامي) محاولة لابراز معنى ان هذا الفكر هو الاسلام نفسه ٠

والواقع ان الاسلام دين وفكر ونظام مجتمع ٠ ولقد كان الفكر العربي الاسلامي عصارة ثقافات الاديان والامم ٠ وكان للمسيحيين فيه دور وعمل ٠ هذه حقيقة لا سبيل الى انكارها ٠ وليس في معناها جعل الاسلام كبديل للمسيحية ، فان مفهوم الدين لا دخل له في هذا الميراث الضخم وان كان الطابع الروحي الذي ينبثق من الاديان الثلاثة واضح في صيغة هذا الفكر وانه يختلف عن الفكر الغربي الذي يعتمد في الاساس على الوثنية اليونانية والمادية الخالصة ٠

ولطالما اعلن كتاب المسيحية ومفكروها هذا الرأي وابدوه ، ولم يختلف فيه احد من العرب او اهل الشرق الاسلامي وانما جاءت الشبهات من دوائر التغريب الحريصة على آثاره الخلافات لحساب الاستعمار والنفوذ الاجنبي ٠

ولقد اعلن كتاب ومفكري العرب المسيحيين ان الاسلام هو الثقافة القومية للمسيحيين العرب ٠ وان هذه الثقافة متصلة بطبعهم وتاريخهم ٠

فالالتقاء على عبادة الله ، وعلى ان الانسان هو سيد الكون وعلى امتزاج الروح بالمادة والعلم بالدين والعقل والضمير وذلك فوق مفهوم انساني هي اسس يلتقى عليها فكرنا اساسا ويلتقي عليها كل من يعيش في هذه المنطقة ٠

من الوجهة الانسانية

للاستاذ عبد القادر السميحي

لا احسني ابتهج لشيء في سر قلبي ، واطوي الصدر عليه وانا سعيد ، قدر ابتهاجي بالحديث الى الشباب ، وعن مستقبله المغيب بين المجهول بالف غيمة ، وعن القلق الذي يزعج سكينة نفسه ، والامال التي تتلالا في رؤاه عبر الافاق الرائعة .

صدقوني — ان رعشة من الوجل اخذت الان تهز الشعيرات الواهية من اهداب قلبي مخافة ان اكون كمن اضل وما هدى ، بسبب مرض الفضول ، فضولي انا ، مخافة ان اقصر في ابلاغ رسالة نور انتم بها عارفون ، ولكن ، الا ترون انه لا ضير ان انا اضأت ذبالة كابية ، ورفعتها بيد مرتعشة ، وقلب طروب ، امام مشاعلكم المتوهجة عبر طريق التنوير .. الا ترون انه لا ضير ان انا غرست عليقة ياسمينة ، لتنسم تحت ظلال سنديانكم الذاهب في السماء .. الا ترون انه لا ضير ان انا انحنيت ، والتقطت حبات الحصى من طريق موكبكم المظفر بالامجاد .. فان لم يكن شيء من هذا كله ، افلا ترون انه لا ضير ان انا اقتنعت بايسر العطايا ، وسليت القلب بالمثل القائل : « تستطيع ان تأخذ الفرس الى النهر ، ولكنك لا تستطيع ان تحمله على الشرب » .

صدقوني يا اعز الاحباب على البصر « انني اسعد بالحديث اليكم ، واعلم انكم كرماء ، يكبر عليكم ان تحرموني من سعادتي ، واعلم انه ليس اعز لديكم من الحديث عن المعرفة ، التي انقذت الانسان من ظلمة الجهل ، فالمعرفة هي التي تميز انسانا عن انسان ، وانتم بدونها لن تكونوا شيئا .. انها اغنى ما تملكه البشرية من ميراث خالد حتى اليوم ، وكل الاشياء العظيمة من قيم الخير ، والحق والعدل والحرية والمساواة والجمال ، كانت من عطايا المعرفة .. وقد كان النور اول شيء اوجده الله في بدأ الخليقة ثم اوجد بعد الطين ، فخلق منه الانسان ، ووضع في اجهزة العضوية شبكة من نبض الحياة ، ولم تكمل صورته الانسانية الا بعد ان فجر في قلبه ينابيع الحب ، وفي عقله شعلة المعرفة ، مصدر العبقرية ، والخلق ، والابداع ، فتكلم وفكر واراد ، واستقرا العلوم والفنون ، ولم يقف طموحه عند حد معين ، فتمرد على العلم بالغيب ، ونشد المزيد من المعرفة المجهولة ، وهو الان يدق باصرار رائع على ابواب السماء .. ولن يهدأ له قرار ، ما لم يأخذ الشعلة الخالدة من اجل سمو بني البشر .. انه « بروميثيوس » عصر الذرة والفضاء .

*

اعز الاحباب على البصر — دعوني اهيب بكم — وانتم تطرقون ابواب المعرفة — ان لا تدعوا فرض الغرور ينفذ الى نفوسكم ، بل احتفظوا بها جائعة الى كل جديد من المعرفة ، التي لا تكتسب مرة واحدة « لان الانسان — فيما تقول الكاتبة سيمون دي بوفوار — لا ينتهي قط من التعلم ، لانه لا ينتهي قط من الجهل » فالفكر معدة سامية تفتقر دائما الى المزيد من الغذاء .. غير انه ليس بكاف ان يعيش الانسان ، بل في ان يجعل حياته حافلة بالانتصارات الانسانية ، بان يجعلها جديرة بان تحيا ، بان تكون مثيرة ، اكثر من مجرد حياة ، والانسان يحس دائما بالارتياح عندما يرى ان حياته لم تكن فارغة ، لانه كان يدعمها بالثقافة العلمية والفلسفية والادبية

التي فرقها الاستعمار الى الالتقاء . احست دعوة التغريب بالخطر فلم تلبث ان تقدمت بمفاهيم ومقننات تريد ان تذيعها كأسس للقومية العربية مستمدة من تاريخها هي، ولسنا نحن بحاجة اليها، فان الماء يتشكل بلون الاناء ، اذا كنا قد وجدنا في الدعوة الى الوحدة العربية قوة لنا فنحن لسنا في حاجة الى مفاهيم الغرب لها ولنا مفاهيمنا واسسنا النابعة من فكرنا والقائمة على ركائز من ثقافتنا .

ونحن في فهمنا لاسس القومية العربية اوسع افقا وارحب قاعدة فنحن نعتبر مقومات الفكر العربي الاسلامي كله اساسا للقومية ولا نكتفي بجزئي التاريخ واللغة اللذين لا يمكن فصلهما عن وحدة الفكر العربي الاسلامي ولا يمكن انفصال الفكر العربي عنهمـــــــا .

وليس « الاسلام » الذي يمتزج بالعروبة فيما نذهب اليه – هو الدين – فان طابع الروحية اساس فكري لا شك فيه لامتنا، ولكن الاسلام هنا هو ذلك الفكر الحي المتمثل في عصارة الثقافة العربية الاسلامية وهو فكر لم يصنعه المسلمون وحدهم ولكنه ميراث كل من عاش في هذه المنطقة . اشتركت فيه جميع الاجناس والاديان وان غلب عليه اسم الاسلام الذي صهره في بوتقة واحدة . وليس ذلك من الغريب فان « ضمير » هذه الامة قائم اصلا على اسس وحدة مستمدة من روح الاديان الثلاثة التي كانت منابعها في الشرق ، وكانت هذه المنطقة مجالها الحيوي .

والواقع ان هذا الانفصال بين العروبة والاسلام على هذا النحو – ليس موجودا اساسا وانما هو مصطنع ، والذين يقولون به انما يخدعون دون ان ينظروا نظرة رحبة . فقد تصادف انه لم تكن هناك مشكلة او فواصل بين العروبة والاسلام. ولا اختلاف الدماء والاجناس ولا الاقليات . وكل هذه دعوات غربية اثيرت كشبهات لتسير الخلاف وتحول دون الالتقاء الواضح على « فكر عربي اسلامي) موحد .

وليس هذا الذي نقوله جديدا ، ولكنه في الواقع قد جرى على اقلام الكثيرين وكون رأيا عاما حتى ان كاتبا افريقيا مثل « لويس لوماكسي » يقول : ان الكتل العريضة لا تجتذبها مثل هذه المفاهيم فالعروبة عندها لا تنفصل عن الاسلام ، ان الاسلام لم يعد مجرد دين بل عنصرا اساسيا » .

التـــــــــراث :

4) ان مهاجمة التراث والقديم في مجال الفكر والادب انما يقصد به قطع الصلة بين حاضر هذه الامة وماضيها . وهو يهدف اول ما يهدف الى طمس المعالم الاساسية لشخصيتنا والمقومات الاساسية لفكرنا وروح امتنا وضميرها فيما يتصل بالعقيدة والقيم والجوهر الروحي والنفسي والفكري الذي لا سبيل الى اقامة بناء فكر او ثقافة لامة من الامم دون الاعتماد عليه كركيزة واساس .

ومن دعوة التغريب الحملة على التراث والقديم، ومحاولة القاء الشبهات عليهما وخلق حالات الشك والسخرية والاستهانة بالتراث والتاريخ واللغة والقيم باعتبار انها « قديمة » وان دعوة التطور والتقدمية من شأنها ان تنبذ كل هذا القديم كأنه ركام ، وندخله المتحف ولا تنظر اليه . فاذا نظرت فهي نظرة النقد والاستهانة بالنسبة للفكر العالمي ونظرياته وثمراته ومذاهبه .

ونحن لا ننكر الجديد ولا ننكر التطور ولا نتوقف عن الحركة ، ولا نؤمن بالجمود وقد كنا دائما قادرين على الحركة والتطور وفكرنا في اساسه ومضامينه يحمل بذرة الحيوية والمرونة والقدرة على التلقي والعطاء والامتصاص .

ولكننا لا نعتقد ان الجديد يستطيع ان يقضي على القديم او يلغيه لانه امتداد له وكل جديد له جذوره . وكل امة لا ماضي لها لا مستقبل لها .

ونحن لا نجد في قديمنا ما يعوقنا ما دمنا نؤمن بشخصيتنا الاساسية وقيمنا الفكرية والروحية التي تهدينا كالمنار في طريق النهضة والتطور .

هذه المفاهيم الاساسية هي التي تهدينا دائما الى الموقف الاصيل بالنسبة لامرين : القديم والجديد ، فنواجه عمليات البعث للقديم وعمليات النقل للجديد على نحو سليم قائم على اساس واضح وعلى هدى صادق اصيل قوامه الفطرة والضمير الذي يتلقى ويرفض بذاتيته القادرة وروحه الواعية التنبيهة بالرادار الكاشف .

اما الدعوة الى نبذ القديم في مطلقها فهي دعوى شعوبية تستهدف القضاء على مقومات هذه الامة وتوهانها في خضم عريض لا حد له .

ونستطيع في هذا المجال ان نستهدي بما فعل الغرب نفسه بالنسبة لقديمه فهل هو الغاه واهمله ونحاه . الواقع ان لا وان الغرب الان في منطوق فكره يقوم اساسا على مفاهيم التراث اليوناني والروماني والمسيحي ، وان كل نظرة من نظرات الفكر او لمحة من لمحات الثقافة يمكن ردها اساسا الى هذا التراث بالرغم من انقطاع الصلة التي بلغت بين افلاطون وديكارت الفي عام كاملة . فقد اعاد الغرب في القرن الخامس عشر بعد الميلاد بعث فكر افلاطون السابق للميلاد بأكثر من 430 عاما وقعدته اساسا لها .

اما نحن في مجال الفكر العربي فان خطوط فكرنا ممتدة منذ اربع عشر قرنا لم تنقطع ولم نكن في حاجة لان يمر زمن طويل او قصير لنعيد نظم هذه الخيوط وبالرغم من سقوط الدولة وانهيار النفوذ السياسي للامة التي حملت لواء هذا الفكر وتوقف الحضارة العربية الاسلامية فان الفكر العربي الاسلامي لم يتوقف . ولم يقف نبضه . وقد تجمد فترة ما تحت ضغط عوامل خارجية حالت بينه وبين حيوية الحركة ، ولكنه حتى في ظل هذه الفترة احتفظ بقواه الاساسية فلم يمت او يضيع او يذبل، ربما علاه غشاء من الضعف والتقليد . ولكنه لم يلبث ان نفض هذا الغشاء تدريجيا واتجه الى مواجهة الحياة مرة اخرى .

القاهرة : احمد انور الجنـدي

والقائلة كذلك : « اذا اتى علي يوم ، لا ازداد فيه علما ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » والقائلة ايضا : « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم فقد جهل »

وتكاد تكون اخلاقية التواضع هي الطابع الاكثر دلالة على رسل الانسانية ، فهذا سقراط الجليل ، رغم مكانته العلمية يقول : « كل ما اعرفه هو انني لا اعرف شيئا » وهذا الشاعر « شللي » يقول هو الاخر : « كلما ازداد علمنا ازداد ادراكنا بجهلنا» ويجيب الشاعر « جوتيه » : « اننا لا ندعي اننا نعرف شيئا معرفة دقيقة ، الا اذا كانت معرفتنا ضئيلة ، فكلما زادت معرفتنا ، كلما زاد تشككنا في دقة معرفتنا » .

ويبلغ التواضع باحد العلماء — وقد كان من قبل عميدا لاحدى الجامعات ، وحين اقيم له حفل تكريم على شرفه — بمناسبة اعتزاله العمل — وبالغ الخطباء المراؤون في تعظيم سعة علمه ، شكرهم وقال لهم : « اؤكد لكم ان جزر المعرفة الصغيرة المتفرقة في عقلي ، تفصل بيها محيطات من الجهل»

هذه هي حقيقة العلماء ، يحصل لهم ما يحصل لسنابل القمح . فهي تتعالى منتصبة ما دامت فارغة ولكنها تطاطىء الراس حين تنضج ، وتصبح عامرة ، بالحبوب .. واذكروا ان العمل المتواصل هو الذي ينتصر على اليأس والعجز والخيبة والقنوط وان الصبر هو حكاية معجزة الحياة ، اما مرض الكسل ، فهو السم البارد الذي يقتل حاسة الحيوية ، ويخمد شعلة الفكر ، فقد تتلمذ شاب كسول على يد الحكيم « ارسطو » ، وقد نبهه الى هذا الكسل . فاعتذر التلميذ قائلا : « ماذا يمكنني ان اصنع ، وليس لي صبر على القراءة ، ولا على ما يتطلبه العلم من جهد » فاجابه الحكيم : اذن فلا سبيل لك الا الصبر على الشقاء والجهل »

ولتكن كلمتي الاخيرة اليكم ، متوجة بهذه الكلمة البالغة الروعة والنفاذ ، والتي وجهها العالم المشهور « باسور » الى المحتفلين به ، في عيد ميلاده السبعين : ايها الشباب ، ليجعل كل واحد منكم شعاره ، ان يسأل نفسه اولا ، ماذا صنعت لتعليم نفسي ؟ فاذا تقدمت به السن فليسأل نفسه : ماذا صنعت لوطني ؟ حتى تحين الساعة التي يحظى فيها الانسان باكبر سعادة ، اذ يشعر بانه ساهم بشىء في تقدم الانسانية وخيرها»

الرباط — عبد القادر السميحي

ظريف

قال الحافظ ابو عبيد الله الحميدي :

« من تختم بالعقيق ، وقرأ لابي عمرو ، وتفقه للشافعي ، وحفظ قصيدة ابن زريق ، فقد استكمل الظرف »

وزاد بعضهم ، ولبس البياض ، وروى بعضهم قصيدة ابن زيدون بدل قصيدة ابن زريق .

والفنية .. ويدعم روحها بعقيدة هدفية ، وبنور الايمان ، لصالح الحياة ، فالايمان بالقيم الروحية من حب وخير وعدل ، ضمان لسعادة الانسانية وسلامتها .. فالله هو الذي يهبنا طمأنينة النفس ، ويشع السكينة في نفوسنا ، ويحتضن القلوب المرتعشة . ويحنو عليها باجنحة من ريش .. الله الذي يجعل ايام الربيع مدفأة بالحب والقبل ، ولياليه مضاءة بالنجوم .. الله الذي ينضر المرابع المخضرة ، ويجملها بالازهار والالوان والانداء والاشداء والطيوب « فليكن الله دائما في نفوسنا فانه السكون والمحبة والعزاء ، هو الذي يرفع الاثقال والاعباء ، وينثر الزهور عبر الطريق ، وينشر حبل الرجاء » ※

واشدد يديك بحبل الله معتصما
فانه الركن ان خانتك اركان ※

※

اعز الاحباب على البصر — انه اذا قوي الاعتقاد بصواب اخلاقية التواضع في طلب المعرفة ، وانه طالما امكن ادراك ذلك ، فان مستقبلكم ومستقبل وطننا العظيم سيكون بخير ، ومصيبة المصائب في هذا الوطن ، انه اذا ما ظهرت فيه موهبة عادية على شخص من الاشخاص ، اعتقد في نفسه انه « كلوبوس » اكتشف قارة جديدة .. فاذا ظهرت موهبته — او ظل موهبة على الاصح — في الموسيقى ، وبدت انامله توقع لحنا رتيبا ممسوخا باثار اللصوصية الجزئية ، والتقليد الببغائي — الشرقي منه او الغربي — عد نفسه عبقريا، يستحق ان ينقش اسمه في قائمة الموسيقيين الخالدين ويرفض ان تقارن الحانه الهزيلة ، الا مع ذلك « الميلودي » الالهي ، المتدفق بجلال ، في سيمفونية « بتهوفن » التاسعة .. وهو اذا نهق بصوته الضفدعي ، باغنية سوقية مائعة ، من مخلفات الدعارة النفسية ، والروح المرائية الانتهازية ، لن يرضى ان يقارن صوته بغير الاصوات الذهبية الخالدة في تاريخ الاوبرات العالمية ، وهو اذا سهل الله ، وكتب انشاء ركيكا مرقعا بسخافات الشكلية المزدوجة ، عد انتاجه من مقام انتاج توفيق الحكيم ، والبير كامو ، وهو اذا وصل الى معرفة ضرب الاعداد الرياضية وطرحها ، اعتبر الامر كأنه حل لمعضلة رياضية معقدة ، من قبيل المعادلات النسبية « الانيشتانية » في كل هذا لا اقصد ان اهزم الروح المعنوية ، عن طريق نقد هدام ، لغاية من الغايات التي تبررها الوسيلة ، وانما اهدف الى روح الخير ، كل الخير ، ولا شيء غير الخير ، والشباب المتعلم نفسه يدرك قيمة اخلاقية التواضع ويعلم ان العباقرة الانسانيين ، لم يصلوا الى ما وصلوا اليه ، الا بعد ان مارسوا العناء والشقاء والسهر ، وقبل ان يسمح لهم بالدخول الى عالم الخلود ، تركوا شيئا عزيزا من نفوسهم وابدانهم

وهذا هو الشاعر القروي — الذي عانى التجربة « الاسبانية » يبصرنا بهذه الحقيقة :

اني صعدت الى مجد على جبل
مما تهدم من روحي ومن جسدي

ويجيبه شاعر اخر :

اذا مر بي يوم ولم اصطنع يدا
ولم استفد علما فما ذاك من عمري

※

اعز الاحباب على البصر — ليس بامكانكم اليوم ان تلوذوا بالصمت ، وتختاروا المواقف الهروبية ، فالاختيار ضروري ، ما دام امامكم ما تحيون من اجله ، وما من مبررات عادلة يمكن ان تتخذوها مركزا استنادا لرفض المسؤوليات ، بينما مجتمعنا الانساني مريض ، الاختيارات الارادية بيدكم ، والهدفية انتم على علم بجدواها ، وحتمية انتصاراتها ، فلم يبق الا تحديد المواقف الانسانية الرائعة ، عن وعي تلقائي ، لا ارتباط له باية روح نفعية ، او تأثيرات خارجية ، لتحددوا مواقفكم الشرفية ، حتى لا تنقطعوا عن القضايا الحية ، لمصير افضل للجميع للاكثرين فقرا وجهلا ومرضا .

※

اعز الاحباب على البصر — انتم الان آخذون في الاهبة لرفض الوصمة المشينة باخلاقية العلم ، وهي الغرور ، لانكم ذاكرون كلمات النور ، التي وردت على لسان النبي محمد العظيم « وقل رب زدني علما »

※ الاديب اسكاروايلي
※ البيت للبستي

عربية اسلامية اشعت على العالم بنورها في القرون الوسطى واحيت الفكر من سباته وعمل الاوربيون على تلقيها فأحيتهم بعد جمودهم ووجهتهم وجهة علمية صالحة كانت من نتائجها هذه الاكتشافات الحديثة وهذه المدنية الناهضة التي يعجب الانسان المعاصر من شكلها وسرعة تطورها .

والانسان بطبعه ميال الى تقدير العلماء والمفكرين، والى تقدير العظمة في كل صورها وهذا هو السر فيما نراه الآن من تقدير مطلق من شبابنا للثقافات الحديثة التي يتلقونها ويدفعهم هذا التقدير الى ان يرتبطوا روحيا باللغة التي نهلوا بواسطتها ثقافتهم وبالجنس الذي مهد لهم سبل تلك الثقافة فيتتبعون تاريخه وحضارته في شتى نواحيها ويعجبون بكل ما يقدم اليهم من ارباب هذه الثقافات لانهم ارتبطوا بهم ارتباطا مطلقا يذكيه الحب والرضى .

وعين الرضى عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وهذا هو السر في كون جميع الامم القوية تعمل جهد مستطاعها لتجعل لغتها لغة سائدة تتحكم في توجيه افراد الانسان لان السيطرة الروحية على الامم اقوى من السيطرة المادية المحضة .

وهذا هو السر الذي يدفع المستعمرين لاية دولة ان يعملوا على نشر لغتهم وفرضها وعلى القضاء على اللغة الاصلية للبلاد المستعمرة لان القضاء على لغة ما ليس معناه الا القضاء على المتكلمين بها .

وهذا هو السر الذي دفع علماء الاجتماع الى ان يربطوا حياة الامم بحياة لغتها فليس في الامكان ان تحيا امة حياة منبعثة من شعورها ومن كيانها اذا كانت لغتها مبعدة عن الاستعمال العلمي والادبي .

ونحن العرب نجد انفسنا مضطرين الى الدفاع عن لغتنا خصوصا وان اللغة العربية ليست لغة جامدة بعيدة عن التفكير العلمي ومقتصرة على الادب كما يحاول بعض المشوهين لسمعتها ان يصوروها .

ان اللغة العربية تملك اعظم المقومات الاساسية التي تجعلها صالحة للتطور قابلة للمسميات الجديدة ذلك لانها لغة تمتاز بالاوزان والصيغ الدالة على المعاني . هذه الصيغ هي التي تجعل الواضع حرا فيما يضع ، ليس عليه الا ان يستعمل تلك الاوزان المختصة بمعانيها فاذا باللغة تمتد واذا بها تصلح للمخترعات العلمية والصناعية على اختلاف انواعها .

لسنا ندعي قصورا في اللغة العربية ولكننا يمكننا ان ندعي ان هذا القصور يوجد في بعض الافراد الذين ما زالوا لم يتحرروا فكريا وما زالوا يرون ان لغتهم ليست صالحة للعلم وانما هي لغة الادب والشعر فقط ولقد احس علماء العرب وادباؤهم بالخطر المحدق بلغتهم وبحضارتهم اذا ظل الاهمال دائما لذلك هبوا عاملين على احياء اللغة ونشرها بين ربوع العالم العربي ودعوا العرب الى اليقظة كما حمل الشعراء على المتهاونين الذين فتنوا عن لغتهم وانصرفوا عن العلم فضاعت لغتهم بسبب جهلهم وقصورهم ومن ذلك ما قاله حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم اجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم اجد لعرائسي
رجالا واكفاء وادت بناتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق اسماء لمخترعات ؟
انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني
ومنكم وان عز الدواء اساتي
فلا تكلوني للزمان فانني
اخاف عليكم ان تحين وفاتي
ارى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز اقوام بعز لغات

اذن فاللغة العربية احدى مقوماتنا وهي كائن حي يقبل التطور ويقبل النمو ويقبل مسايرة الرقي اذا وجد من العرب من يهتم بالعلوم والفنون والآداب .

اللغة العربية صالحة للعلم لما لها من امكانيات التطور ويكفيكم دليلا على ذلك انها في العصر الجاهلي كانت لغة تقتصر على وصف الاطلال والديار وبكاء الاحباب الظاعنين وكان الشعراء يستعملونها في الوصف المادي المحسوس فاذا ارتفعت عواطفهم استعملوها في الرثاء والفخر والحماسة والتهديد والوعيد ولكنها بعد الاسلام انطلقت من عقالها واصبحت تسع كل ما كان عند الامم الاخرى فدل ذلك على ان اللغة في امكانها ان تتسع بالاستعارات والمجازات والاصطلاحات الوضعية وان تنمية اللغة لا تحتاج الا لتنمية الفكر واتساع المعارف .

والعرب حينما اهتموا بالعلوم اهتماما مطلقا في العصر العباسي وما بعده استطاعوا ان يدخلوا الى لغتهم جميع المصطلحات العلمية وان يكيفوا لغتهم لتتلاءم مع التفكير العلمي بعد ان كانت تستعمل في التعبير الادبي بل رفعوا من شأن اللغة حينما صاروا يحللون ما اخذوه من ثقافات ويضيفون الى الفكر نتائج مجهوداتهم والى الصناعات مكتشفاتهم الجديدة ومخترعاتهم العامة .

فراغ يجب ان يملأ

للاستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

اني ليسعدني ان ارى هذه الجذوة الهائلة تنبعث من روح شبابنا فيهتموا بالجانب الثقافي وبتكوين هذه الرابطة الادبية الروحية التي تجمع بين شتى الافراد ٠

واني ليسعدني ان ارى هذه الرغبة في طائفة من الشباب شعروا بواجبهم وعلموا ما يفرضه الواجب الاجتماعي والانساني على كواهلهم فالانسان لم يخلق ليحقق رغبات جسده دون ان يفكر في رغبات فكره وضميره ٠

وان مقياس التقدم الاجتماعي في امه ما مرتبط بما يسري في نفوس شبابهـا من الوعي الذي يشع على نفوس الافـراد فيطهرهم من التفكير المادي الجارف الجاف ومن التفكيـر المتخلف المنحل ٠

ان الامة عند ما يهتم ابناؤها بالجانب الثقافي الروحي ترتفع عن مستوى الامم المنحطة الجاهلة وتأخذ طريقهـا الـى المجد لانها بذلك تكون قد قضت على اسباب التخلف وفسحت امامها باب الامل والعمل ومهدت لنفسها سبيل الرقي والازدهار٠

وان الركيزة الكبرى التي تقوم عليها الدول في اي عصر ليست الا الشباب الحازم مفتاح الامل والطموح ومبعث الحركة والنشـــاط ٠

فاذا توجهت حركات الشباب الى تحقيق اهداف واضحة صالحة نهضت الدولة وبرق حاضرها ومستقبلها اما اذا كانـت الحركة منحرفة فان الانحلال يتسرب الى جميع مرافـق الحياة فتضعف الدولة خلقيا وعلميا واقتصاديا وتصبـح في مؤخـرة الامم ، كلما حاولت السير الى الامام كبت لانها لا تجد مستندا تستند اليه ولا دعامة ترتكز عليهـــا ٠

لهذا وجب علينا ان نهتم بتوجيه الشباب وان نملأ كـل فراغ نحس به في نفسه لان الشباب ليس مسؤولا عن الانحلال اذا لم يجد من يوجهه ويهديه سواء السبيل ٠

يجب علينا ان نهتم بهذه الطاقة القوية التي يجب ان تمهد للانفجار ضد التخلف وضد الميع في آن واحد ٠

يجب علينا كلما احسسنا بفراغ في نفوس شبابنا ان نعمل بجد على ملء هذا الفراغ لان الشباب قوة حية متحركة دائبة النشاط ٠ ومن الاخلاص لامتنا ان نجعل هذه القوة الدائبة الحية تفكر قبل ان تحكم ، وتتمكن من المواقف قبل ان ترسل قدمها لتأمن بذلك العثار وتسلم من الانزلاق والعار ٠

وان الفراغ الذي نحس به الآن في هاته النفوس مرجعه الى الجهل بحضارتنا وبتاريخنا وبلغتنا وبثقافتنا الاسلامية ، هذا الجهل الذي يبعث في نفوس الشباب الحيرة والقلق والاضطراب لذلك ارى من الضروري ان اشرح هاتـه الظاهـرة التي تكـاد تسيطر على اغلب الشباب ٠

فمن المخجل ان يكون الشاب المغربي العربي المسلـــم اجهل الناس بتاريخه وحضارته ومغزى مبادئه التي يعتنقها ٠

ان الجهل بالماضي وجلاله يبعث فينا خنوعا وذلا ويدفعنا الى الاكتفاء بما نتلقاه من العلوم الحديثة دون ان نربط بينها وبين الذين مهدوها للعالم قبل سنين ٠

لقد كون العرب بعد الاســلام دولا مختلفة شاركـت في تطوير الفكر الانساني وعملت على تطهيره من الخرافات ومن الجمود ذلك لانها ارتكـزت في حضارتهـا ، على المبـادىء الاسلامية التي فرضت على المسلم ان يفكر ولم تحصر فكره في حدود ضيقة بل منحته الحريـة للبحـث في العلوم الطبيعيـــة والميتافيزقية بشرط التقيد بحدود العقل والابتعاد عن العصبية المقيتة التي ينكرها الاسلام ٠

ولقد استفاد العرب من الامم التي اندمجت في الاســـلام كثيرا فدرسوا ثقافة اليونان وثقافة الفرس وثقافة الهند وتأثروا بهذه الثقافات وصهروها ومحصوها واخرجوا منها ثقافة جديدة

بتاريخها فيدفعهم هذا الجهل الى عدائها واستصغارها وتحقيرها واهمال برامجها الدراسية لانهم يظنون انها لغة لا تصلح للحياة ولا تصلح للعلم . الا ساء ما يظنون ، ويدفعهم هذا الجهل الى استصغار حضارتهم واهمال تاريخهم ونسيان ما كان للعرب من مجد في مختلف العصور وما كان لهم من فضل على تقدم العلوم وتقدم المشاريع الحضارية الكبرى سواء منها ما كان مرجعه الى الانظمة الاجتماعية او الى المناهج العلمية .

لذلك ارى من الواجب على اساتذة اللغة العربية واساتذة الحضارة ان لا يهملوا هذا الجانب في تعليمهم ، لاننا اذا استطعنا ان نصور لشبابنا ماضيهم وان نشخص لهم الدور الحضاري الذي حققه العرب والمسلمون عامة في تطوير المدنيات لارتفعت معنوياتهم ولعلموا ان ما يتناولونه الآن من علوم الغربيين ليس ملكا لهم وليس وليد مجهوداتهم فقط ولكنه مرتبط بنظريات اخرى حققها العرب ونمت في اطار التقدم الانساني ، فالسمو الفكري والكمال العقلي ليس مقصورا على الجنس الآري او على قوم دون آخرين ، بل ان التقدم الحضاري رهن بالانسان في كل مكان ، وان الواجب يفرض علينا ان نقتبس من الاوربيين احسن ما عندهم وان نعمل على تنميته من جديد .

اريد ان اقول اننا في حاجة الى مسايرة التقدم العلمي الحديث ولكن فرق بين ان نتلقى هذه العلوم ونحن صاغرون وبين ان نتلقاها ونحن نعلم انها رصيد انساني شارك في ايجاده طوائف مختلفة من البشر كان من بينهم علماء العرب الامجاد

ان النهضة العلمية العربية في عصر العباسيين دفعت العرب الى شرح الثقافات المختلفة والى تحليل الفلسفة اليونانية وتطهيرها من التزييف الذي لحقها من رجال الكنيسة الذين كانوا يرون في بعض النظريات الفلسفية ما يعاكس دينهم، فلما اتصل بها المسلمون حرروها من الجمود وابعدوا عنها ذلك التضييق وربطوا بين اجزائها ووصلوا المقدمات بالنتائج وحققوا طرق البحث وفصلوا بين العلم والخرافات ، خصوصا في علم النجوم والفلك وعملوا على تعميم الثقافة بين الناس بل دفعهم الحرص على نشر العلوم بين الجمهور ان يؤلفوا الكتب البسيطة ليقربوا الى المبتدئين في الثقافات العلوم العميقة فقد الف الخوارزمي كتبا في الحساب يقرب بها هذه المادة الى كل من اراد ان يتعلمها ويتعمق فيها ، وهكذا كان الشأن بالنسبة الى باقي العلوم حتى اننا نجد في كل علم كتبا موجزة واخرى متوسطة واخرى مطولة فينال بسبب ذلك الراغبون في العلم مقصودهم على اختلاف طبقاتهم .

ولم تكن كتب العرب في العلم مجرد نقل وتقليد بل دفعت النزاهة العلمية بعض علماء العرب ان لا يقبلوا من المعلومات الا ما بلغوا اليه عن طريق التدريب والتجارب العامة ومن هؤلاء العالم الكيماوي الشهير جابر بن حيان الذي قرر بان الانسان في استطاعته ان يعرف اسرار الطبيعة وان يعرف المواد التي تتركب منها الاشياء ونسبها العادية وبذلك يستطيع ان يحول مادة الى اجزائها وان يضيف مواد الى اخرى فتتغير اشكالها ولقد قال هذا العالم القدير : « كيف يظن بالعالم العجز دون الوصول الى الطبيعة واسرارها ؟ الم يكن في مستطاع العلم ان يجاوز الطبيعة الى ما وراءها ؟ فهل يعجز عن استخراج كوامن الطبيعة ما قد ثبتت قدرته على استخراج السر مما هو مستور وراء حجبها ؟ » . وقال : « ان اسرار الطبيعة قد تمتنع على الناس لأحد سببين ، فاما ان يكون ذلك لشدة خفائها وعسر الكشف عنها واما ان يكون للطاقة تلك الاسرار بحيث يتعذر الامساك بها وسواء كان الامر هو هذا او ذلك ، كان في وسع الباحث العلمي ان يلتمس طريقا الى تحقيق بغيته فلا صعوبة الموضوع ولا لطافته او دقته مما يجوز ان تحول العلماء دون السير في شوط البحث الى غايته (✱) .

وليست الغاية من كلامنا عن جابر بن حيان ان نظهر الحقائق العلمية التي بلغ اليها ، ولكن الغاية ان ابرز الخطة التي كان ينهجها فهو يرى ان البحث العلمي لا يقف دونه اي حاجز من الحواجز .

انه بهذه الحقيقة يدعو الى الانطلاق الفكري ويدفع الباحثين الى عدم اليأس من الاخفاق في المحاولات الاولى بل يجب عليهم ان يدأبوا على العمل وان يجدوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وما التقدم العلمي الذي نعتز به الآن الا وليد نفوس طامحة لم يقف دون بلوغ اهدافها يأس او عجز ولكنها نفوس انطلقت تبحث عن تحقيق ما كانت ترجوه الى ان وصلت الى بعض النظريات وابطلت اخرى ولم تقف بل دأبت على العمل وما تزال تدأب لانها لا تعرف للوقوف نفعا ولا ترى للبحث نهاية فاذا وقفت الحركة العلمية عند قوم تبناها آخرون واستمروا في تقدمهم دون ان يعلنوا انهم بلغوا النهاية ، فالنتيجة الاخيرة لا يعرفها العلم وويل لمن ظن انه بلغ الكمال .

ان التفكير العلمي هدانا اليه علماء مختلفون ودفعونا الى البحث المنظم ، فما علينا الا ان نستمر في البحث حتى نكتشف من اسرار الطبيعة ما زلنا نجهله .

✱) عن كتاب جابر بن حيان من سلسلة اعلام العرب للدكتور زكي نجيب محمود ، صفحة 42 .

وليس السبب في استعمال اللغة راجعا الى مرونتها فقط وانما يرجع الى الهمة الكبرى التي كان يتصف بها العلماء المسلمون والى ثقافتهم الواسعة التي كانت تتصل بمختلف العلوم والى رغبتهم الشديدة في ان يصبح العرب سادة في العلم كما اصبحوا سادة في السياسة والادارة .

وانا ارى اننا في حاجة مرة اخرى الى احياء نفوسنا والى العمل على شق طريق المجد والاطلاع على المعارف الانسانية لنضيفها الى معارفنا ولنضمها الى لغتنا ، لان احياء اللغة سيرفع عنا ذلة الخضوع وسيدفعنا الى مراجعة الاوضاع التي نحياها .

ومن الضروري ان نربط بين مقوماتنا الخلقية وبين لغتنا لان اللغة العربية حينما سنعمل على احيائها واستعمالها في الدراسات العلمية كما تستعمل في ابراز الخواطر الادبية فاننا بذلك سنيسرها مرة اخرى لتقوم بمهمتها الخلقية لانها ترتبط في كيانها بكياننا وفي مظهرها بمخبرنا فهي ليست لغة العلم والادب فقط ولكنها لغة القرآن فهي ترتبط بعواطفنا وبتهذيبنا .

ولا غرو اننا في حاجة الى نمو فكري والى تهذيب خلقي فالعلم وحده لا يحقق للانسان طريق المجد اذا لم يوجه حسب الدوافع الخلقية العامة فان الاخلاق هي اساس العمران .

وليس بعامر بنيان قوم
اذا اخلاقهم كانت خرابا

والاضطراب الحاصل عند شبابنا مرجعه الى عدم تحديد معنى الاخلاق في نفوسهم والى عدم استيعاب الاوضاع الخلقية الاسلامية عامة فقد تسرب الشك والالحاد الى كثير من الشباب دون ان يتعمقوا في الدوافع التي دفعتهم الى ذلك .

فهو شك سطحي ، شك فارغ ، شك الجاهلين العابثين اللاهين .

والسبب في هذا الشك انحراف في التوجيه او اخذ لبعض المبادىء الفلسفية دون ان تصرف في وجوهها .

لقد رأى الغزالي ان الشك مبدأ اليقين ولقد سار على نهجه الفيلسوف ديكارت الذي اصبح فيما بعد مستند الباحثين المفكرين الاحرار ولكنهما لم يقفا عند الشك بل جعلاه مبدأ البحث ، وحاولا ان يطلعا على مختلف الاتجاهات الفكرية والخلقية والدينية وان يستسيغاها ليبلغا بها الى الاهداف التي يقصدانها .

اما شك هؤلاء الشباب فهو شك منحرف لا يدفعهم الا الميع واللذاذة المطلقة ، يبعدهم عن التقوى وعن الالتزام بمكارم الصفات ، فلا يرون من الحرية الا ان يرقصوا او يغنوا ويتحرروا من كل الالتزامات الدينية والخلقية التي ينبني عليها كيان مجتمعنا ونظام اسرتنا ، لانهم لا وازع لهم يبعدهم عن هاته الموبقات ولا مانع لهم يحجزهم عن الانهماك في اللذات فهم يعتقدون انهم ان كانوا في مأمن من الشرطة فليس هناك من يعاقبهم .

وهذا ما لا نرضاه لشبابنا .

اننا نريد منهم ان يشعروا بواجباتهم وانهم ما خلقوا في هاته الحياة الا ليؤدوا عملا صالحا نافعا لهم وللبشرية كلها .
نريد من شبابنا ان يبتعدوا عن الميع وان يفكروا تفكيرا جديا في اوضاعنا العامة .

نريد من شبابنا ان يثقوا بعروبتهم وباسلامهم وبماضيهم وليس هناك سبيل الى ذلك الا اذا حرصنا على مزج ثقافتهم العلمية بتوجيههم الخلقي ، هذا التوجيه المتوقف على ربط لغة العلم والادب بلغة الاخلاق والدين .

فالشباب اليوم اصبح يقدر العلم حق قدره ، لان سلطة العلم اصبحت سلطة قاهرة . فبالعلم اصبحت السماء ميدانا للصواريخ وبالعلم اصبحت الصحراء منبعا فياضا للغنى والازدهار ، وبالعلم مهدت سبيل الحياة الى كثير من المرضى بسبب اكتشاف الجراثيم والعمل على القضاء عليها .

ولا شك ان اللغة التي ترتبط بالعلم تكتسب جلالها منه فتتوجه اليها النفوس المتعطشة الى المعرفة وتصبح ذات سلطة قاهرة ، وتضمحل امامها اللغات التي تقتصر على التعبير الشعري او التوجيه الديني لذلك نريد ان نعمل جهد مستطاعنا لتستعمل اللغة العربية في الدراسات العلمية لتكتسب من هاته السلطة العلمية وجودها فينصرف آنذاك اليها المتعلمون اضطرارا ويجدون انفسهم امام الامر الواقع فيربطون بين اللغة العربية لغة العلم وبين اللغة العربية لغة الادب والدين والاخلاق . وبهاته الوسيلة تنمو العقول وتتهذب النفوس وتستقر الاوضاع ويعود الاطمئنان الى الشباب من جديد .

ان الثقافة لها اثر في توجيه الفرد وتكييفه حسب اتجاهها ولكننا مع ذلك لا نريد ان يصبح الانسان عبدا لاتجاهه الثقافي لا يؤمن الا به ولا يثق في سواه بل نريده حرا مفكرا لا يحكم ضد ثقافة اخرى قبل ان يعرفها ويقارن بينها وبين ثقافته .

ان الحكم على الشيء فرع تصوره ولا يمكن للقاضي ان يحكم ضد المتهم قبل ان يطلع على ملفه الخاص وعلى حججه الدفاعية والا فان الحكم يكون خارجا عن حدود العدل والعقل معا لا يلبث ان يبطله حكم آخر .

كذلك الشأن مع اكثر شبابنا فانهم لا يتذوقون الثقافة العربية ولا يستلذون اساليبها ولا يعرفون مصادرها واهدافها ولا ينسجمون مع اتجاهاتها ولا يستوعبون اسسها ولا يتصلون

مناقشات

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

(6)

جواب السفارة البريطانية بالرباط عن عدد الملحدين في بلادها .

الرباط في 25 مارس 1965

سيدي استاذ الدكتور تقي الدين الهلالي .

بناء على زيارتكم ، أؤكد لكم في هذه الرسالة المعلومات التي أعطيت في مسألة الملحدين في بريطانيا العظمى . من دواعي الاسف ، انه لايوجد احصاء حقيقي في هذا الصدد . الا ان الجمعية الانسانية البريطانية اعلنت في دعايتها الالحادية ان عدد الملحدين التابعين لها يبلغ عشرة آلاف في جميع البلاد البريطانية .

ثم قالت الجمعية : ان هذا العدد يرجح انه غير دقيق ، ولكن كثيرا من الناس لايصدقونها في هذا العدد .

ومن دواعي أسفي انني لا استطيع أن اساعدكم باكثر من هذا .

اما عدد سكان المملكة المتحدة حسب الاحصاء الاخير سنة 1961 فانه يقل بقليل عن 53 مليونا من النفوس .

وتقوا يا سيدي بعواطفي الطيبة نحوكم .

التوقيع : ا . ف . وارد

تعليق على هذا الجواب

والآن يا ريني الحبشي ، ويامن يروجون دعاية الالحاد المنتنة في البلاد الاسلامية والعربية الا تستحون، الا تخجلون ؟ ؟ فهذه البلاد البريطانية ؛ ولا يستطيع احد في الدنيا كلها ان يتردد في الشهادة لها بأنها في مقدمة البلدان التي بلغت في المدنية اوجها ، وفي العلوم والاعمال والسياسة والحرب والسلم الغاية القصوى فهذه جمعية الالحاد فيها (ومنها — طبعا — جوليان هيكسلي ، الذي سرق ريني الحبشي كلامه الاعرج وادعاه لنفسه ، تدعي ان عدد افرادها بلغ عشرة آلاف من مجموع 53 مليونا ، ثم لايصدقها الناس ، كما يقول الملحق الصحفي في السفارة البريطانية بالرباط .

ولنفرض ، انها صادقة في دعواها . فما هي نسبة عشرة آلاف من ثلاثة وخمسين مليونا يا مسيو ريني الحبشي ومن يعمل على شاكلته من المتهوكين ؟

والدعاوي ما لم يقيموا عليها
بينات ابناؤها ادعياء

شهادة عالم انكليزي كبير وهو ارنولد توينبي
(Arnold Toynbee)

بينما أنا أفكر في كتابة هذه الحلقة ذكرت انني قرأت كلاما مهما في الموضوع للعالم الانكليزي الكبير ارنولد توينبي في مجلة البعث الاسلامي الهندية اللكناوية بقلم الاستاذ ابي الحسن علي الندوي فأحببت اثباته هنا صفعة اضافية لريني الحبشي ومن لف لفه من المدلسين والفوغاء . نشر الاستاذ ابو الحسن الندوي في مجلته (البعث الاسلامي) مقالا قيما تحت عنوان « الاقطار الاسلامية والحضارة العصرية » الجزء السادس من السنة التاسعة تاريخ ذي القعدة 1384 الموافق مارس سنة 1965 م جاء فيه ما نصه :

ان مستقبل الانسانية يتوقف على اخوة روحية لايمنحها غير الدين ، وهو الشيء الذي يحتاج اليه النوع الانساني في هذا الوقت . الشيوعية تزعم انها تستطيع أن توحد النوع البشري ، كما ان الاسلام يثبت صلاحيته كقوة موحدة للانسان في افريقيا . المسيحية

الا ان الاكتشافات العلمية كما سبق لنا ان قررنا ليست كافية في خلق امم صالحة اذا لم تعتمد على الجوانب الخلقية التي ترفع النفس عن ادرانها وتهذبها وتجعلها تفكر في المصالح الانسانية الكبرى .

ان الانانية شر عظيم وان الانحلال من التقييدات الخلقية لا يدفع الا لفناء العالم ولعل سبب هذا القلق الذي نلاحظه على المدنية الحديثة مرجعه الى محاولة التحرر المطلق من القيود الخلقية والدينية والسير مع اهواء الفلسفة المادية التي تجعل الانسان في درجة الحيوانات .

وان هذا الانحلال قد دفع كثيرا من شبابنا الى التفكير الاناني فلم يعد الفرد يرتبط باي ارتباط داخلي في نفسه يوجهه توجيها صالحا وينذره ويغريه ، فان الانسان كما يوجه عن طريق العقل يوجه عن طريق العاطفة ، وليس في الامكان ان نهذب جميع الناس عن طريق عقولهم فان هناك افرادا لا يهذبون الا اذا ارغبوا او رهبوا فيتصلون بالصفات الخلقية محبة في الله او طمعا في جنته ويبتعدون عن المخالفات حياء من الله او خوفا من ناره .

ان انتظار الجزاء ليس الا عاملا على صقل الضمير واحيائه وجعله يقظا حازما فيقف دون الفرد والمعاصي ويحمله على الندم والتوبة .

الايمان بالله والايمان بالبعث طريق الى التهذيب الخلقي والى الرقي الحضاري ما دام هذا الايمان لا يحرفنا عن طريق المعرفة ولا يحجزنا عن التفكير ، فليس هناك شيء يوجهنا الى الله ويبعدنا عن العلم بل ان طاعة الله تفرض علينا ان نفكر وان نعمل بجد لنطلع على اسرار الكون ، تلك الاسرار التي كلما زدنا بها معرفة زادنا بالله ايمانا .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

الوفد الارستقراطي

ذهب وفد من اعيان مكة الى رسول الله (ص) وقالوا له :

« يا محمد لقد رضينا ان نستمع اليك ، ولكنا لا نجالس هذه الاخلاط من عبيدنا وصعاليك مكة الفقراء !! فاجعل لنا يوما ، ولهم يوما »

واستأناهم الرسول الى غد حتى ياتي امر ربه ، وسرعان ما جاءه الوحي الرشيد بآيات باهرة :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا »

كل ما هو ثابت فى العلوم الرياضية وفى العلوم الاخرى يجب ان يكون من النظام الازلي الثابت . هذه الحقائق كانت ، وستكون على ممر الاحقاب حقائق مقررة ، ولو رآها الانسان فى أي زمان وفى أي مكان لاعتبرها كذلك على الاطلاق ، لانه ليست حواسنا هي التي تريناها على هذه الصفة . بل لانها هي في الواقع كذلك . ولو اتفق تلاشي الوجود كله وبقيت انا وحدي فلا ازال اتصور تلك الحقائق واعتقدها حقائق، وانها كانت حسنة نافعة . ولو زلت انا أيضا . وزال كل عاقل فى العالم ، فلم ينقص ذلك من قدر تلك الحقائق ، ولم يخرجها عن كونها كانت حقيقة ونافعة . فاذا بحثت عن الذات التي تتركز فيها هذه الحقائق ازلية أبدية كما ى الواقع كنت مضطرا للاعتقاد بوجوب وجود كائن مستقرة فيه كل هذه الحقائق ومدركة لديه . وهذا الكائن يجب ان يكون هو الحقيقة بعينها ، بل منه تشرق الحقيقة ذاتها فى كل وجود .

اذا تقرر هذا ، فمن بين الحقائق المقررة الازلية التي ادركتها حقيقة جليلة القدر ، وهي انه يوجد فى العالم شيء موجود بذاته ، وهو ابدي لايدركه تحول ولا يعتريه تبدل . لانه اذا فرضنا انه كان وقت ليس فيه شيء مطلقا فى العالم ، اي لاشيء قائم بغيره ولا شيء قائم بنفسه من القدم ، فلم يكن غير العدم ، والعدم لايصلح لايجاد شيء . فلا يصح ان يقال ان العدم حقيقة ابدية . وان لاحق الى الابد الا العدم . اذن فلا بد ان يكون فى الوجود شيء كان قبل كل شيء فيه من الازل ، وفيه تركزت جميع الحقائق الكونية . وان تلك الحقائق الابدية التي تدرك بالنظر فى الوجود بلا تحول ولا تبدل هي صادرة من الله ، او بعبارة احسن، هى الله نفسه ، لان جميع الحقائق الابدية ليست في الواقع الا حقيقة واحدة .

براهين ليبتز

ليبتز هو فيلسوف الماني مشهور (1646 — 1716) م ومصلح اسلوب علم الطبيعة وما وراء الطبيعة الذي قرره ديكارت المتقدم ذكره وبين الجهات الضعيفة منه احسن تبيين .

ارتضى من براهين ديكارت على وجود الخالق برهانه الذي رمى به الى ضرورة وجود كائن واجب الوجود . لليبتز برهان جليل القدر على وجود الخالق اليك مؤداه . قال فى كتابه (تيوديسيه) الله هو العلة الاولى لوجود الاشياء ، لان كل ما هو محدود ومتناه ككل شيء تقع عليه انظارنا وتتاثر له مشاعرنا هو من الممكنات ، اي ليس بضروري الوجود . فقد يوجد او لا يوجد ، وليس فى احدها شيء يوجب له الوجود بذاته . والزمان والمكان والمادة المتحدة فيما بينها تستطيع ان تقبل حركات وصورا من نوع آخر غير النوع الحالي .

اذن يجب البحث عن الاولية لوجود العالم الذي هو مجموع هذه الكائنات الممكنة . يجب البحث عنها فى الهيولي التي تحمل معها علة وجودها . فهي الواجبة الوجود والازلية . يجب ان تكون هذه العلة عاقلة ، لان الكون الموجود لما كان ممكنا اي قد يكون ولا يكون، وفى الامكان حدوث دنياوات اخرى من نوعه ، فيلزم من ذلك ان تكون علة الوجود محيطة بعلاقات اجزائه قبل ان تتمكن من احداث دنيا جديدة فيه ، ويكون تحديد تلك الدنيا على حال مناسب للمجموع فعل ارادة واختيار . ولا شيء يجعل تلك الارادة فعالة الا القدرة التي لها هذه العلة الحكيمة يجب ان تكون غير محدوده ولا متناهية من كل وجه وكاملة كمالا مطلقا من حيث القدرة والحكمة والرحمة ، ولما كان الوجود كله مرتبط ببعضه ومفرغا فى قالب واحد فلا سبيل لفرض وجود علة ثانية معها .

براهين نيوتن

نيوتن اكبر علماء الفلك فى عصره من الانجليز ، وهو يعتبر من العقول النادرة التي ظهرت فى العالم (1642 — 1727) وهو مكتشف قانون الجاذبية العامة وغيره من القوانين الفلكية وأساليب حلول مسائلها مما خلد ذكره فى تاريخ النهضة العالمية . الذي يقارن بين مذهب نيوتن فى اثبات الخالق ومذهب ديكارت الطبيعي الفرنسي المتقدم الذكر ، يجدهما على طرفي نقيض . فان الثاني كما راينا اطرح جميع البراهين الحسية المنتزعة من الوجود واعتمد على البراهين النفسانية ، فجاء نيوتن على عكسه متخطيا البراهين النفسانية وغير معتمد الا على البراهين الحسية . ذلك لان بين الفيلسوف الانكليزي والعالم الفرنسي فرقا أساسيا فى الوجهة والاسلوب وكيفية التفكر والتعلل والبرهنة .

فديكارت جعل التحقق من وجود ذاته ووجود الله قاعدة بناء فلسفته ، ومنهما تحقق من الوجود واستنتج نواميسه وخواص مادته قائلا : ان غرضي من ذلك تفسير المعلولات بعللها لا العلل بمعلولاتها .

ايضا تستطيع ان تلعب هذا الدور اذا عملت بمبادئها. ولكن القومية لاتستطيع ابدا أن توحد الانسانية ، بل انها توزعها وتشتت شملها . ومن أجل ذلك ليس لها مستقبل ، انها لا تستطيع الا ان ندفن الانسانية في ركامها .

انه يجب علينا ان نختار احدى النتيجتين في عصر الذرة وانا اذا اردنا أن ننقذ انفسنا من الهلاك والدمار ، فينبغي لنا ان نحتضن الانسانية كلها من غير استثناء ونتعلم كيف نعيش كاسرة واحدة . انتهى . نقل هذا الكلام من مجلة اسلامك رفيو ..
Islamic Review - Mars 1961

عود الى حجج الفلاسفة على وجود الباري وعموم ربوبيته سبحانه

براهين فنيلون

فنيلون من كبار فلاسفة القرن السابع عشر قال فى كتابه « وجود الله وصفاته » :

انما علمت ببحثي فى نفسي اني لم أخلق ذاتي؛ لان ايجاد الشيء يقتضي الوجود قبله ؛ فيلزم على ذلك اني كنت موجودا قبل ان اوجد ؛ وهو تناقض صريح . فهل انا موجود بذاتي ، فلاجل ان اجيب على هذا السؤال يلزمني ان اعرف ما ذا يجب أن يكون عليه الكائن الموجود بذاته . يجب ان يكون ازليا ثابتا لانه يكون حاصلا من ذاته على علة وجوده ، ولا يكون محتاجا لشيء من الخارج عنه . فكل ما يمكن ان يأتيه من الخارج لا يعقل أن يتحد به ولا أن يكمله ، لان الحادث المتغير لا يمكن ان يتحد مع الموجود بذاته الذي لايقبل التغيير . فالفرق بين هاتين الطبيعتين يجب أن يكون لانهاية له . اذن فلا يمكنهما ان يؤلفا مجموعا حقيقيا. اذن فالموجود بذاته لايمكن ان يزاد شيء على حقيقته ولا على رحمته ولا على كماله . فهو فى ذاته كل مايمكن ان يكون ولا يجوز عليه ان يكون أقل مما هو عليه . فالموجود على هذه الحالة هو على ارقى درجات الوجود

بقي علي ان اسأل هل الشيء الذي اسميه (انا) الذي يفكر ويعقل ويدرك ذاته هو تلك الذات غير المتغيرة أم لا ؟ ؟ . ان الشيء الذي اسميه (انا) بعيد جدا عن الكمال المطلق . فانا اجهل وانخدع واشك . ويكون احيانا هذا الشك الذي يعد نقصا من احسن ما يجب علي الاتصاف به . ومما هو اشد من ذلك اني قد اريد ولا اريد فارادتي تتذبذب ولا تستقر على حال، فتناقض نفسها بنفسها . فهل يصح ان أعتقد في نفسي الكمال المطلق ، وانا فى وسط هذه التقلبات والنقائص ، فى وسط هذه الجهالات والاضاليل غير الارادية ، بل والارادية ايضا . اذن فلست انا الكامل كمالا مطلقا ، ولست انا القائم بنفسي ؛ فلا بد اذن من قيوم اوجدني . واذا كان غيري أوجدني فلا بد انه يكون موجودا بذاته ، ويلزم من ذلك أن يكون كاملا كمالا مطلقا . فهذا الكائن القائم بذاته ، والذي انا قائم به هو الله .

وله برهان آخر مؤداه : اني وان كنت محدودا منتهيا ، الا اني احمل فى ذاتي شعورا بلا نهاية وبكمال لاحد له . فمن اين حدث لي هذا الشعور الذي يعلو مداركي ويدهش لبي احيانا ؟ هل حدث من العدم ؟ لا شيء مما هو محدود يستطيع ان يبعث في هذا الشعور ، لان المحدود لايشعر بغير المحدود . ومما لا شبهة فيه اني لم أوجد لنفسي هذا الشعور ، لانني انا ايضا محدود ومتناه فلا مناص اذن من ان نستنتج من هذا ان الذي اوجد لي هذا الشعور هو الكائن الذي لانهاية لكماله ، وهو الله .

براهين بوسويت

بوسويت كان معاصرا لفنيلون المتقدم ذكره وهو فرنسي مثله . له برهان خاص به مؤداه : ليس علينا الا أن ننظر الى انفسنا لنتحقق اننا صادرون من أصل رفيع . نرى انفسنا اهلا لان نفهم الاشياء وندرك الموجودات . وانها قد تجهل بعضها فتشك فيها ، أو نرى الاحوط لها ان لاتحكم عليها بحكم حتى تصل منها الى حقيقة ما ، وما ذلك الا لانها تعتقد ان بها نقصا يمنعها الوصول الى الحقيقة المطلقة . واذا كان فى الوجود عقل ناقص يشك ويتردد ويجهل ، وهو مع ذلك موجود ، فمن باب اولى يكون موجودا عقل كامل ليس عقلنا منه الا قطرة من بحر أو شعاع من شمس . لانه مما لا يعقل ان نكون نحن وحدنا المتمتعين بعقل وادراك ، ويكون الوجود العظيم كله خاليا منهما اذ يقال انه اذا كان الوجود كله مكونا من مواد صماء عمياء لاعقل لها ولا ادراك ؛ فمن اين نشأ للانسان هذا العقل والادارك ، وفاقد الشيء لايعطيه كما هو معلوم ؟ اذن فلا بد أن يكون فى الوجود عقل مطلق وادراك لا حد له .

نقول ، هذا كلام جيد ، فان الانسان معلوم انه خلق من طين ، والطين لايعقل ولا يدرك ، فمن أين ينشأ للانسان هذا الادراك ان لم يكن فوق طبيعة الطين طبيعة ارقى منها الادارك مظهر من مظاهرها. ولبوسويت برهان آخر فحواه :

متصفا بالعجز ولا يجوز ان يحدث على سبيل المصادفة ، لانه واجب الوجود ، ووجوده من ذاته ، لا من غيره ، وهو متصف بالعلم الذي لا حد له ، وبالقدرة التي لاحد لها ، وبالارادة التي لا نهاية لها . فهذه صفات واجبة له يمتاز بها الصانع عن المصنوع قول الاستاذ محمد فريد وجدي (الذي يقارن بين مذهب نيوتن فى اثبات الخالق ، ومذهب ديكارت الطبيعي الفرنسي المتقدم ذكره يجدهما على طرفي نقيض ، الى قوله (ان غرضي من ذلك تفسير المعلومات بعللها لا العلل بمعلولاتها)

يقول محمد تقي الدين الهلالي : لم تظهر لي صحة ما قاله ، لان نفس ديكارت التي نظر فيها واستدل بها على وجود الله تعالى هي ايضا معلولة ، وليست علة ، لان العلة والسبب هو الله ، وما سواه معلول ومسبب . فالفرق بين العالمين فى الاستدلال على وجود الله تعالى ، هو ان ديكارت اقتصر على النظر فى بعض المعلولات ، وهي نفسه ، ومنها استنبط الدليل على وجود الباري بخلاف نيوتن ، فانه نظر فى جميع الموجودات ، وخصوصا الاجرام السماوية فاستنبط منها الدليل على وجود الخالق المدبر لها ، فليتأمل .

الرباط : الدكتور تقي الدين الهلالي

الثنـاء بعـد البـلاء

قال الاحنف لزياد حين قدم البصرة ، وخطب خطبته المشهورة :

« أصلح الله الامير ! ان الجواد بشده ، وان السيف بحده ، وان المرء بجده ، وان جدك قد بلغ بك ما ترى ، وان الثناء بعد البلاء . ولسنا نثني عليك حتى نبتليك ، فأول خبرا نثن به .

ولكن الفيلسوف جعل قاعدة فلسفته النظر فى خواص المادة ونواميس الطبيعة ، واستنتج من ذلك عقيدة وجود الخالق ومعرفة صفاته . ولم يتاثر أقل تأثر بذلك النفوذ الكبير الذي نالته فلسفة ديكارت على عقول معاصريه . فكان نيوتن يقول : كل ما لم يستنتج من حوادث الوجود يجب ان يسمى فرضا ، والفروض مهما كانت انواعها لاقيمة لها فى الفلسفة الطبيعية . بهذا الاصل احدث نيوتن انقلابا عظيما فى عالم العلم الطبيعي واهدى للعقول المتعطشة للحقائق أحسن المدركات على الوجود ونواميسه ، فلما اشتهر ببعد النظر وقوة الاقناع سأله الناس من كل مكان ان ياتيهم بدليل على وجود الخالق يكون فى درجة المحسوسات ، فأجابهم قائلا : لا تشكوا فى الخالق ، فانه مما لا يعقل ان تكون الضرورة وحدها هي قائدة الوجود ، لان ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان وفى كل زمان لايتصور ان يصدر منها هذا التنوع في الكائنات ، ولا هذا الوجود كله بما فيه من ترتيب اجزائه وتناسبها مع تغيرات الازمنة والامكنة ، بل ان كل هذا لايعقل ان كان يصدر الا من كان أولي له حكمة وارادة . ثم قال : من المحقق ان الحركات الحالية للكواكب لا يمكن ان تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة ، لان هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لاجل ان تدور هذه الكواكب حول الشمس ان توجد يد الاهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها . ثم قال : ومن الجلي الواضح بانه لا يوجد اي سبب طبيعي استطاع ان يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى وجهة واحدة ، وعلى مستوى واحد بدون حدوث اي تغير يذكر . فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه . ثم انه لايوجد سبب طبيعي استطاع ان يعطي هذه الكواكب وتوابعها هذه الدرجات من السرعة المتناسبة تناسبا دقيقا مع مسافتها بالنسبة للشمس ولمراكز الحركة تلك الدرجات الضرورية لان تتحرك هذه الاجرام على مدارات ذات مركز واحد مشترك بين جميعها . فلأجل تكوين هذا النظام مع جميع حركاته يجب وجود سبب عرف هذه المواد وقارن بين كميات المادة الموجودة فى الاجرام السماوية المختلفة وأدرك ما يجب أن يصدر منها من القوة الجاذبة ، وقدر المسافات المختلفة بين الكواكب والشمس وبين توابعها وساتورن وجوبيتر والارض ، وقرر السرعة التي يمكن ان تدور بها هذه الكواكب وتوابعها حول أجسام تصلح أن تكون مراكزها .

اذن فمقارنة هذه الاشياء والتوفيق بينها وجعلها نظاما يشمل كل هذه الاختلافات بين اجزائه ، كل هذا يشهد بوجوب وجود (سبب) لا أعمى ولا حادث بالاتفاق ، ولكن على علم راسخ بعلم الميكانيكا والهندسة

ثم قال : ليس هذا كل ما فى المسألة ، فان اللـه ضروري ايضا ، سواء لادارة هذه الاجرام على بعضها وهو الامر الذي لا يمكن ان ينتج من مجرد قوة الجاذبة او لتحديد وجهة هذه الدورات لتتفق مع دورات الكواكب ، كما يرى ذلك فى الشمس والكواكب وتوابعها ، على حين ذرات الاذناب تدور فى كل وجهة على السواء .

ثم قال : وغير هذا ، ففي تكون الاجرام السماوية كيف أن الذرات المبعثرة استطاعت أن تنقسم الى قسمين ، القسم المضيء منها انحاز الى جهة لتكوين الاجرام المضيئة بذاتها كالشمس والنجوم . والقسم المعتم يجتمع فى جهة أخرى لتكوين الاجرام المعتمة كالكواكب وتوابعها . كل هذا لا يعقل حصوله الا بفعل عقل لاحد له .

ثم قال : كيف تكونت اجسام الحيوانات بهذه الصناعة البديعة ، ولاي المقاصد وضعت اجزاؤها المختلفة ؟ هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الابصار ونواميسه ، والاذن بدون المام بقوانين الصوت كيف يحدث ؟ ان حركات الحيوانات تتجدد بارادتها ، ومن اين جاء هذا الالهام الفطري فى نفوس الحيوانات ؟

ثم قال : وهذه الكائنات كلها فى قيامها على أبدع الاشكال واكملها ، الا تدل على وجود اله منزه عن الجسمانية حي حكيم ، موجود فى كل مكان ، يرى حقيقة كل شيء فى ذاته ويدركه اكمل ادراك ، الخ .

جاء فى كلام العالم الفرنسي بوسويت ايضاح قوله : (او بعبارة احسن ، هي الله نفسه) لا يدل على انه يعتقد وحدة الوجود ، لكن جاء فى كلام بعض الفلاسفة ما يوهم اعتقاد وحدة الوجود ، كما جاء فى كلام اكثرهم ما هو صريح فى بطلانها ، فكل ما جاء فى كلامهم مما يدل على وحدة الوجود ، فانا أتبرأ منه وأعتقد بطلانه ، وانما اوردته حجة على الخصم الذي ينفي كل شيء غير هذا الوجود الناقص المتغير المحتاج الى موجد ومدبر .

قول نيوتن (لا اعمى ولا حادث بالاتفاق) يعني ان السبب فى وجود هذا العالم لا يجوز ان يكون

ويبدو ان تدخل الدولة فى هذه الحالة يصبح ضروريا وخصوصا بالنسبة للدول النامية تفاديا لما منيت به الدول المتقدمة من انحلال تسبب فيه الانتاج الرخيص والفاجر الداعر فى بعض الاحيان .

وتدخل الدولة الذي نعنيه ليس معناه الكبت او التحجير ، ولكن معناه الاشراف على شؤون التثقيف حتى لا يتسرب الخبيث فى احشاء الطيب ، ولا يتسلل الكلام الرخيص البذيء والفاجر الداعر وهو ينتحل اسم الانتاج الخفيف الذي يجد اقبالا من طرف جمهور القراء .

وتجيء الاحصائيات مرة اخرى لتدل على جدوى دور الدولة فى الاشراف على توجيه وسائل التثقيف .

كما انها تبين بوضوح ان لهذا الاشراف تاثيرا واضحا فى حل ازمة القراء وفى تربية اذواقهم وحمايتها من الطفيليات الفكرية .

ولقد آثرت ان استعمل كلمة « اشراف الدولة » على كلمة التدخل حتى تظل الحرية الثقافية متمتعة بكامل حقوقها ، ولكن فى نطاق التوجيه السليم الذي من شأنه ان يساعد على حل ازمة القراء فى كمها وكيفها ، وذلك بواسطة العمل على تشجيع الانتاج الذي لا يعسر هضمه من طرف الجماهير سواء من ناحية الفكرة او من ناحية الاسلوب .

وتلك وسيلة لا مناص منها لمقاومة داء التسمم الانحلالي الذي تئن منه بعض المجتمعات وحتى المتقدمة وهي شاعرة او غير شاعرة .

ثم ان اشراف الدولة على حماية الجمهور مما يسمى بالادب الرخيص اصبح ضرورة تقتضيها تيارات العصر وظروفه وملابساته .

وكما هو الشأن فى حماية الجماهير من مضاربة الاحتكاريين والانتهازيين والغشاشين والدجالين فيما يخص الميدان الاقتصادي ، فان من حق الدولة ان تستعمل نفوذها فى حماية الجماهير من التدليس والغش والافساد والدعارة الفكرية بالنسبة للميدان الثقافي .

حتى اذا اكتملت عناصر الوعي ونضج ذوق الاختيار ، واصبح الجمهور على بينة من جودة مواد غذائه الفكري اصبح فى امكان الدولة يومئذ ان تتخلى عن اشرافها بيد انه ينبغي ان تظل فى حالة استنفار .

بقي شيء آخر وهو العمل على ايجاد نوع من التقارب والتئالف فيما بين انواع الثقافتين الدسمة والخفيفة .

وهذا عمل يمكن انجازه فى نطاق اشراف الدولة ورعايتها الشؤون الثقافية بواسطة جهاز يتسم بالمرونة فى التوجيه والارشاد .

وعلى الكتاب والمفكرين ورواد الفكر والثقافة مساعدة الدولة فى مهمة الاشراف والتوجيه وذلك بواسطة التبسيط وتجنب التعقيد ، فيما يكتب وينشر الا فيما يخص الثقافة التقنية ومواد التخصص .

وهكذا يصبح لزاما وضروريا ان تتعدد اصناف المكتوب والمنشور وان تساير اذواق القراء كلما امكنت المسايرة ولكن فى حدود لا تخرج بالثقافة الرصينة والمفيدة الى جو الادب الرخيص والثقافة التي تتملق الغرائز بدافع الانجار . ولو على حساب المستوى الفكري للجماهير .

فالمقالات المطولة يجب ان تختصر وتركز فيها الافكار تركيزا ، والشعر يجب أن ينسى عهد المعلقات والمفضليات « والشنفرى » وتأبط شرا ، وذلك بالنسبة للشعر العربي .

كما ان القصة ينبغي الا يتغلب عليها اسلوب السرد والحكاية وليالي شهرزاد .

وللابحاث ذات الطابع العلمي ينبغي ان تقدم لزبنائها المختصين بواسطة منشورات مختصة وهكذا دواليك فكل انتاج يجب ان ينشر ويكتب على ان كل ميسر لما خلق له » .

وان تنسيقا كهذا لا يمكن تحقيقه الا عن طريقة مركزة واعية مطلعة اشد الاطلاع واقواه على نفسية الجماهير ، وانها لمهمة لا يقدر على القيام بها سوى جهاز للدولة يعمل بتعاون وانسجام مع رجال الثقافة والفكر ورواد المعرفة وباشراف لا يتخذ شكل التدخل الا فى حالات الاستثناء .

وانني ارجح ان هذا التدبير سيساعد على تخفيف ازمة القراء ، فيكيف اذواقهم فى نفس الوقت

واذا قيل لي أن هذا الاشراف يتنافى مع الحرية فانني انتهز هذه الفرصة لاردد كلمة الصحافية الفرنسية اللامعة (تابوي) وهي : (ايه ايتها الحرية كم ترتكب باسمك من الجرائم » .

اذ الواقع ان (التلصق بالحرية) كان من اهم العوامل التي تسببت فى وجود ازمة للقراء فى الكم والكيف .

الرباط : محمد العلمي

وهذه الأزمة...

للاستاذ احمد زياد

ازمة القراء ليست ظاهرة يختص بها المغـــرب او غيره من البلاد التي هي في مستواه الاجتماعي والفكري.

بل انها ايضا ازمة تشتكي منها حتى البلاد المتقدمة وجاء المؤتمر الدولي للناشرين فاكد وجود هـــذه الازمة بتلـــك البـــلاد .

فالنسبة المئوية في عدد الافراد الذين يترددون على المكاتب العامة في بعض البلاد الاوربية تثبت تلك الحقيقة وتثبتها مع شيء غير قليل من الغرابة وعلامات التعجب!

واذا كانت الامية في البلاد النامية تشكل العامـــل الاساسي في وجود ازمة القراء ، فان هذا التعليل لايصح بالنسبة للبلاد المتقدمة التي انهزمت فيها الامية او تكاد.

والواقع ان ازمة القراء تتفرع الى صنفين اثنين . فهناك ازمة للقراء ناتجة في معظم جوانبها عن الامية التي ما تزال اصولها مستحكمة في بعض البلدان النامية ، ويبدو اقرب ما يكون الى الكيف منه الى الكم .

ويكاد يكون من المسلم به ان (الزبناء) من القراء سواء في البلاد النامية او المتقدمة لم تعد فيهم قابلية استهلاك الانتاج الدسم الذي يبعث فيهم حالة مما يمكن ان نسميه (بفقدان الشهية) .

ولكأن هذه الحقبة من القرن العشرين تشكل حقبة التزم فيها عموم القراء بمتابعة (رجيم فكـــري) او (حمية فكرية) حتى لا يغضب مكتب التعريب .

وتشهد الاحصائيات على ان ما يستهلك من الانتاج الفكري ويكسب كثيرا من الزبناء هو الانتاج الخفيف الذي يشبه الاكلة الخفيفة ، وذلك ناتج ــ فيما يرجع ــ الى ان القراءة اصبحت تتحكم فيها سرعة العصـــر الحاضر فأصبح الناس يقراون بسرعة مثل ما ياكلون بسرعـــة .

وهذا مما ادى الى طغيان الانتاج الخفيف المسلي على الانتاج المثقف الاصيل الافادة فكان من اثر ذلك هذا الاقبال الذي نشاهده على الانتاج السطحي من طرف الجمهور ، في حين وقع الاعراض عن الانتاج الذي يتسم بعمق الدراسة وطابع البحث والاستقصاء ، حتـــى ان هذا اللون الاخير من الانتاج اصبح لا يستهلك الا من طرف زبناء خصوصيين او اخصائيين ما تزال اذهانهم قادرة على هضم هذا النوع من الانتاج .

وبحكم هذا المنطق الواقعي ، فان الثقافة انقسمت على نفسها الى شعبتين اثنتين : شعبة الخـــواص ، وشعبة العوام . وهذه الطبقية الثقافية والتلقائية . هي التي اصبحت ظاهرة بارزة في عصرنا هذا ، وتشترك فيها البلاد المتقدمة مع التي هي في طور النمو وبنسبـــة متفاوتة طبعا .

ومما لاشك فيه ان الحالة النفسية لجماهيـــر العصر الحاضر هي التي كيفت اذواقهم بهذا الكيف ، وجعلتهم ينصرفون اكبر الانصراف او معظمه الى الاقبال على الانتاج الفكري الخفيف السريع الهضم الذي يناسب ــ كما يقولون ــ عهد الفضاء والصواريخ .

الا ان الشيء الذي يؤسف له جدا ، هو ان هذا الاتجاه الذي اقتضته نواميس التطور كان من شانه ان اتاح الفرصة للكثير من انواع السخف والهوس ، التي سهل عليها ان تقتحم السوق محاولة انتحال صـــورة الانتاج الفكري الخفيف الذي يتسم بالفائدة وان لم يكن عميقا في كنهه، فكان مما لابد منه ان يقع شيء غير قليل من هذا الخلط والالتباس الذي تشهد عليه بعـــض البضاعات المعروضة في الاسواق .

وهو تداخل وتضارب لابد من التغلب عليه ، حتى يتميز الانتاج الثقافي من الكلام الرخيص السخيـــف

لم تبلغ هدفها المنشود فاننا لا نستطيع ان ننكر من جهة اخرى انها اسفرت عن نتائج عسكرية وسياسية واقتصادية وفكريـــه عديدة لن يحيط بها هذا البحث مهما نسرف في تفصيله ، واهم تلك النتائج بالنسبة الى الدول النصرانية انها اوقفت الزحف الاسلامي عليها ، ويسرت لها اسباب الاتصال بما بلغته الحضارة الاسلامية في مجالات الفنون والآداب والعلوم جميعا •

وفي السنة الخامسة والستين من هذا القرن الثالث عشر تم في كنيسة « القديس بطرس » بروما تتويج « شارل دانجو »ملكا على نابولي وصقلية التي عارض سكانها العرب هذا الاغتصاب ، وفي هذه الاثناء انقرضت الامبراطورية الرومانية العربية ايضا •

وكانت هذه السنة نفسها هي التي شهـــدت مولد الشاعـــر الايطالي الفحل •••

★ ★ ★

ولد « دانتي اليغييري » بمدينة « فلورنسه » في اواخر شهر ماي 1265 على ما جاء في الروايات المتواترة ، ويقال ان اباه كان مرابيا وان والدته صلات بأنبل بيوت المدينـــة • وسرعان ما اصبح « دانتي » يتيما ، اذ ماتت امه «غابرييلا » وعمره ست سنين ، ثم توفي ابوه بعد ذلك بخمسة اعوام • وقد حالت وفاة والديه بيننا وبين معرفة التفاصيل المدققة عن طفولة الشاعر الفذ ، اذا استثنينا تعارفـــه في عامـــه التاسع بالطفلـــة « بياطريس بورطيناري » التي كان يكبرها بسنة واحدة • وقد قضى دانتي شبابه الاول في دراســـة النحـــو والمنطق والجـــدل والحساب والموسيقى والهندسة والفلك • ثم جعل يختلف الى بعض الدروس الادبية والمحاورات الشعرية التي كان يديرها« برونيطو لاتيني» ، احد الكتبة العدول بالمدينة • وقد اكبر الفتى لهـــذا المعلم جميل صنعه فخصه في « المسلاة » بأبيات ضمنها تقديره له وعطفه عليه •

وكانت الصلات قد انقطعت بين الطفل وصاحبته التـــــي الهمت جذوة الحب في قلبه على حداثة عهده بالحياة ، غير انه عاد الى لقياها صدفة بعد عشر سنين ، فاخذ يلاحقها بالقصائـــد يشكو فيها حزنه وبثه ، وكانت « بياطريس »زوجة وفية لبعلها ، لا تقابل توسلاته الا بالاعراض والصدود ، وان كانت تعلم علم اليقين انه يحبها حبا عذريا لا تشوبه غواية ولا تدنسه خطيئة • وتوفيت المحبوبة لما بلغت سنتها الرابعة والعشرين فرفعها خياله الخصب في مسلاته الخالدة الى مقام الجنة لتنعم بصحبة الملائكـــة والقديسين •

ولم تمض الا اعوام قليلة على وفاة المحبوبة حتى دخل دانتي في زمرة « مجلس المائة » بعد ان شارك جنديا فارسا في معركة « كامبالدينو » وكانت البلاد الايطالية تعيش في هذه الاثناء ظروفا صعبة، احتدمت فيها الحروب الاهلية وقوى التنافس في مدينة فلورنسة بين « البيض » و « الســـود » • فقـــد كان الاولون ينتمون الى الطبقة النبيلة العتيقة بالمدينة ، بينما كان الاخيرون ينتسبون الى الطبقة الغنية بالبادية • وكان البيض يناصرون البابا ، بينما كان السود يشايعون الامبراطور • وقد استطاع الاولون ان يسيطروا على فلورنســـة بمعونـــة الرئيس الاعلى للكنيسة فجعلوا يعقبون خصومهم وينزلون بهم مختلف ضروب المكر والاذى • فقد حكموا على الشاعر بغرامة ماليـــة تبلغ خمسة آلاف « فلورين » فلما لم يستطع اداءها حكموا عليه بالنفي المؤبد وباحراقه حيا اذا اعاد الى الوقـــوع في ايـــدي اعدائه • وكان هذا الحكم القاسي هو الذي اجبر الشاعـــر على التنقل باستمرار بين مختلف المدن الايطالية حتى لم تكتب له العودة الى المدينة ومنزله الاول بها • وقد ظل محتفظا بحنينه لهذا المنزل على كثرة المنازل التي الفها وذاق طعـــم الحرمان فيهـــــا •

ولقد اثبت المؤرخون ان الشاعر كان يبالـــغ في وصف ما اصابه من ويلات الاضطهاد ومصائب النفـــي ، فهو لم يهجـــر السياسة مطلقا ، وظل يختلف الى الحفلات التي كان يشهدهـــا عليه القوم ، حتى انه شارك في السفـــارات وابرام معاهـــدات الصلح ، وخالط الوجهاء الذين كانوا يأخذون انفسهم برعاية الادب والاحسان الى رجال الفكر • وكان اتصال « دانتـــي » بالامبراطور هنري السابع في طليعة الاعمال الدبلوماسية التي نهض بها ، الا انه عاد عليه بأوخـــم العواقـــب ، فلقد اغـــرى الامبراطور بالهجوم على فلورنسة حتى يعود اليها في ركابه ، الا ان الامبراطور انسحب من ايطاليا دون ان يستجيب لطلبـــه فغضب عليه اهل مدينته غضبا شديدا ، حتى انهم حكموا عليـــه بالاعدام في السنة الخامسة عشرة من القرن الرابع عشر لانه لم يعد الى المدينة ضمن الاجل المحدد له ولغيره من المبعدين • وقد رغب عن العودة لانه كان يحرص على ان يدخل فلورنسه شاعرا منتصرا لا عابرا تائبا •

ودخل « دانتي » في خدمة قصر « فيرونا » ثم في خدمـــة قصر « رافنا » الذي وجد فيه البيئة المناسبة لشاعريته فجعل يلقي بعض الدروس الادبية على ما تورده بعض الروايات • وقـــد فرغ خلال هذه الاعوام لانهاء كتابة « المسلاة » مترفعا عن جو النفاق والدسيسة المخيم آنذاك على ذلك القصـــر الذي بعثـــه في الشهور الاخيرة من حياته عضوا في سفارة الى سيد مدينة البندقية التي كانت تناصب « رافنا » العداء • ولما عاد الشاعر اصيـــــب بوباء الحمى فتوفي ليلة الخامس عشر من شهر شتنبر لسنة احدى وعشرين وثلثمائة والف بعد ان عمر ستة وخمسين عاما وثلاثة اشهر ونصف •

ولقد قال « بابيني » ان حياة « دانتي » كانت سلسلـــــة قاسية من المآسي والآمال الضائعة • فقد توفيت حبيبته وصدر الحكم عليه مرتين عن المدينة التي ولد بها فأحبها ، ثم نفـــي

دانتي حياة بئيسة ومجد خالد

للاستاذ عبد اللطيف الخطيب

لقد سبق لمجلتنا ان نشرت للاستاذ عبد اللطيف الخطيب بحثين مطولين ، كان احدهما عن ((كامويتش)) ، شاعر البرتغال وخالق لغتها ، والآخر عن شكسبير بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة لميلاده في شهر ابريل من السنة الماضية .

ولقد اراد ان يسهم في الاحتفال العالمي بمناسبة الذكرى المئوية السابعة لميلاد شاعر ايطاليا الاكبر وخالق نهضتها اللغوية فخص مجلتنا بهذا البحث عن دانتي وانتاجه الادبي الخالد ، بعد مقدمة تاريخية جامعة عن العصر الذي ولد فيه

اقترن النصف الثاني من القرن الميلادي الثالث عشر بوقائع تاريخية فاصلة بمعظم اقطار البحر الابيض المتوسط او البلاد القريبة من حوضه ، فلم تمض ثمانية اعوام على انتهاء نصفه الاول حتى آلت مقاليد الامور بفاس الى ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي جعل يبسط سلطانه على الاطراف القاصية شيئا فشيئا حتى دخلت البلاد كلها باستثناء الصفة الافريقية من البوغاز وسجلماسة في حكم بني مرين سنة احدى وسبعين ومائتين والف ، وكان ذلك بعد اجلائه للاسبانيين النازلين بسلا عقب حصار استمر اربعة عشر يوما . ولما كان الزحف النصراني بالاندلس قد اخذ يهدد مملكة غرناطة فقد ارسلت الى ابي يوسف سفارة تطلب النجدة من « هذا السلطان الذي كان جليل القدر عظيم الشأن وسيد بني مرين على الاطلاق» كما وصفه صاحب « الاستقصا » . وقد كان رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بني عبدالحق ، فحكم البلاد ثمانية وعشرين عاما .

واما في الاندلس فقد كانت « حملة الاسترجاع » قد بلغت اشدها على عهد « فرناندو الثالث » الملقب بـ « الملك القديس » لقاء ما حققه للنصرانية من انتصارات متوالية فاصلة على ممالك الطوائف بشبه الجزيرة ، غير ان بعض الفتور قد اصاب تلك الحملة لما آل الامر من بعده الى ابنه « الفونسو العاشر » المشهور بلقب « الملك العالم » نظرا لانصرافه الى الاهتمام بشؤون الادب والفلسفة وانقطاعه تقريبا الى العناية باعمال الترجمة . وقد اتخذت تلك الحملة خلال هذا القرن شكلا اتحاديا بين الممالك النصرانية ، وخاصة عند ما استقلت مملكة قشتالة عن مملكة ليون وتأسست ممالك اراغون وبلنسيه وميورقة ، وقامت مملكة البرتغال بغرب شبه الجزيرة .

وفي نفس السنة الثامنة والخمسين من القرن الثالث عشر تمكن « هولاكو بن جنكز خان » من احتلال بغداد وتسليم سكانها للسلب والنهب والقتل قبل احراق المدينة احراقا اتى على خزائنها التي كانت تحوي مائة الف مجلد ، وقضى بهذه الصورة الوحشية على خلافة بني العباس . واذا كانت اعمال التدمير قد اصابت العراق كله وكانت جيوش « هولاكو » قد تمكنت من الاستيلاء على شرق سوريا واطراف من آسيا الصغرى فان تلك الجيوش لم تتمكن ابدا من الوصول الى البحر الابيض المتوسط كما هو معلوم ، لان سلطان مصر هزم تلك الجحافل سنة ستين ومائتين والف فوق ارض فلسطين فانقذ بقية الامبراطورية العربية من شرورها وويلاتها .

وفي هذه الاحقاب انتهت الحروب الصليبية بعد قرنين من المحن والمصائب دون ان تتمكن الدول النصرانية من تحقيق الغاية المطلوبة منها ، اذ ظلت الاراضي المقدسة في قبضة الدول الاسلامية ، ولم تخرج منها الا عند ما فرض الانتداب على فلسطين والشام عقب الحرب العالمية الاولى . واذا كانت تلك الحروب

مراحل تطهر النفس المذنبة وتحررها من الخطايا الى ان يكتب لها التنعم بمشاهدة خالق السموات والارض . ان كتاب المسلاة يصف غلبة الخير على الشر وانتصار الله على الشيطان ...

اننا نجد « دانتي » في مستهل الكتاب تائها في مجاهل الرذيلة فينقذه منها « فيرجيليو » الذي يعتبره المؤلف مثال الرجل العادل الفاضل . والجحيم نفسه مقسم الى ثلاثة اقسام . فأما في القسم الاول فيوجد الذين اجترحوا السيئات بدافع من غرائزهم ، واما في القسم الثاني فهناك الذين اغوتهم النفس الامارة ويوجد بينهما بئر القى في مائه المثلج بالخونة الذين يتوسطهم ابليس ويطغى عليهم جميعا اثما وفجورا .

واما المطهر فيمثله جبل ينقسم الى سبع دوائر يعاقب في كل منها مرتكبو خطيئة من الخطايا المحرمة السبع . وتوجد الجنة الارضية في قمة الجبل بجانب الجنة التي انعدم فيها مدلول الزمن والمسافة . وتقوم « بياطريس » بارشاد « دانتي » خلال الجنة بعد ان افتبلته في قمة المطهر . وهو يصف حبيبته في الارض ومرشدته في الجنة بانها مثال الحكمة النصرانية ورمز الكمال الخارق للانسجام السماوي . ثم يواصل ارتقاءه في السموات محاولا وصف الفيض في الحضرة الالهية ...

الرباط : عبد اللطيف الخطيب

---

1) استندت في كتابة هذا البحث على المراجع التالية :
ا) « المسلاة الالهية » لدانتي .
ب) «دانتي ، حيا » لصاحبه « بابيني » .
ج) «الادب الايطالي » لصاحبه « بول اريجي » الصادرضمن سلسلة « ما ذا اعرف » .
د) «تراجم مختصرة لكبار الشعراء » لصاحبه « بيدروفولطيس » .

« ارحة القلب من كد الفكر »

قال ابن الجوزي : « ما زال العلماء تعجبهم الملح ، ويهشون لها ، لانها تجم النفس ، وتريح القلب من كد الفكر . وفي المعنى

افد طبعك المكدود بالجد ، راحة
يجم ، وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن
بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

نفيا مهينا فجعل يتيه بين اشخاص قصرت عقولهم عن ادراك اشعاعه حتى اضطر الى استجداء ما يقيم به اوده عند اصحاب القصور والحصون . كما انه تضرر كثيرا من وفاة هنري السابع وفشل في تتويجه اميرا للشعر والبيان .

ولقد اجاد « بابيني » في وصف الشاعر ضمن مختلف فصول كتابه « دانتي » ، « حيا » ولا شك ان الاسراف في الاعجاب بالنفس كان من خصائص مؤلف المسلاة التي عرفت فيما بعد بالمسلاة الالهية . فلقد قال ان الغرور قد وصل به الى درجة جعلته يثبت سرور القديس بطرس بلقياه في الجنة ويعانقه ثلاث مرات ، غير ان هذا الغرور يناقض ما اعترف به عند ما قال انه كان وجلا وانه كان يحس بالخوف الشديد اثناء بعض المعارك التي شهدها . والغالب على الظن ان « دانتي » كان ذا شعور مرهف للغاية ، واشفاقه من المعذبين في الجحيم وبكاؤه حسرة عليهم واجادته في التعبير عن آلامهم ادلة ترجح ما ذهبنا اليه من القول في هذا السبيل .

وكانت نزعته الوطنية مما اوحى اليه بالاسلوب القوي المؤثر في الفخر بالبلاد والحماسة لها . فلقد اعتبر ايطاليا « انبل نواحي اوربا » ووصف فلورنسة بانها « اجمل بنات روما واسيرها ذكرا » . ومع ذلك ، فقد كان متشددا ، يقسو على البلاد ومواطنيه . كلما تعرض لعيوبهم ، او ابدت نقائصهم . فلقد اكثر من التحدث عن الانتقام في كتابه الخالد . وكان يلقي بخصومه واعدائه جميعا في جهنم ، حتى قال بعض النقاد الاعلام ان « دانتي » ابان عن حقده على الاقوياء والاغنياء والمحظوظين وانه وجد في ذلك النوع من الانتقام متنفسا لما كان يضيق به صدره من المشاعر المتاججة . كما اجمع اولئك النقاد على القول بان الشاعر قد اصاب بعد وفاته من الصيت البعيد ما عوض له الشقاء الذي اصطلى به في حياته فحرم من التشريف والطمأنينة .

لقد خبت آمال الشاعر كلها تقريبا . اذ خدم مدينته فحكمت عليه بالابعاد ، وطمع في المجد الادبي فرأى نفسه مضطرا الى مخالطة الادعياء المتطفلين على الشعر والاستجابة لحرصهم الشديد على مرافقته . وتطلع الى الحب العنيف فصدت عنه حبيبته وعاش عيشة زوجية ذابلة خاملة لم يعرف النقاد والدارسون الا القليل عنها ، لانه اجتهد على الدوام في اغفالها وابعاد الناس عن ان يخوضوا فيها بسبب من الاسباب . ويمكننا ان نقول ان اسم « بياطريس » قد طغى على حياة الشاعر ونتاجه الخالد معا .

ولقد كان حبه الشديد لتلك الفتاة العفيفة مما حبب اليه حياة الطهارة وبلغه نداء السماء وهداه الى تقوى الله . فقد كتب كتابا في ترجمته بعنوان « الحياة الجديدة » وصف فيه حبيبته « بانها المخلوق الاسمى الذي جاء الى الارض ليفرض وجوده عليه » ومعظم هذا الكتاب اشعار كتبها الى « بياطريس » خلال السنوات التي كان ينعم بلقائها العابر في فلورنسة . ومما نلاحظ في هذا الكتاب نضج شاعريته شيئا فشيئا واكتمال عقله حتى ارتفع حقا الى مقام التصوف . كما نلاحظ ان الابيات مصحوبة بكلام منثور في وصف الحوادث التي اوحت الى الشاعر بتلك القصائد العصماء البديعة . ولقد بلغ به الحب درجة جعلته يعتبر « بياطريس » رسولا سماويا نزل الى الارض ليشيع في الانسانية كلها حب الله . فلما توفي هذا « الرسول » واحس بالالم الشديد لفقده جعل يتعزى عنه بتصوره فائزا في الجنة .

وحوالي السنة السابعة من هذا القرن الرابع عشر كتب « دانتي » موسوعة فلسفية علمية ضمنها دراساته عن الادباء الانباعيين فطغى عليها شيء من الغموض والفوضى على نحو ما كان يعتري مثيلاتها من الدراسات خلال القرون الوسطى . وكان المثقفون العارفون باللغة اللاتينية يحتقرون اللهجات العامية فجعل الشاعر يدرس امكانية الارتقاء بهذه اللهجات حتى تكون لغة علمية ناضجة كما كان شأن اللغة اللاتينية على ذلك العهد .

كما كتب « دانتي » كتابا عن النظام الملكي قال فيه بضرورة تعميم سلطة الامبراطور على جميع الاقطار فيما يتعلق بالشؤون الزمنية بينما يحتفظ البابا بسلطته فيما يرجع الى الشؤون الروحية ، وقد امرت الكنيسة بجمع نسخ ذلك الكتاب واحراقها سنة تسع وعشرين وثلثمائة والف .

واذا ما عدنا الى المسلاة التي وصفتها الاجيال التالية بالالهية كما اسلفنا وجدناها على قول النقاد المشهود لهم بسداد الرأي احد الاعمال الشعرية الكبرى واوسع عالم تخيله وخلقه شاعر من الشعراء فقد اعتبر ذلك الكتاب بمثابة عهد العصور الوسيطة وانجيل العصر الجديد في نفس الوقت ايضا . فهو « اشادة بحلية الاقدام في الروح البشرية المؤمنة وخلاصة الحياة البشرية والالهية التي لا نزال نبحث عنها » كما قال « بيلادريس ماريي » ، احد كبار النقاد الايطاليين في عالم الفلسفة والادب .

ومن المرجح ان « دانتي » قد شرع في كتابه المسلاة حوالي سنة 1305 او بعدها بقليل ، وقد ارادها مجمعا للافكار الفلسفية والدينية والعلمية ، بغية اظهار معاصريه على ان العالم يسير نحو الضلال بينما هو يدعوه الى الهدى . وقد جعل العالم مقسما الى تسع دوائر لها مركز واحد تشغله الارض التي يوجد بداخلها غور مخروط الشكل هو الجحيم . اما السموات فتدور كلها بسرعة كبيرة حول الله بدافع الرغبة الملحة في التقرب اليه ما استطاعت .

واما في المجال الرمزي فقد جعل كتابه تحت شارة التثليث المقدس ، لانه يتألف من ثلاثة اقسام ويصف ثلاثة عوالم مستعملا بحر الابيات الثلاثية ، ويشتمل كل قسم على ثلاثة وثلاثين نشيدا ، كما ان للكتاب ثلاثة اهداف : في الادب والرمز والتصوف . وهو يصف سفرا الى العالم الاخروي استمر ستة ايام من اواسط شهر ابريل لسنة ثلثمائة والف . كما يصف

لربما كانت عند بعض اساتذة النقد قاعدةعامة واساسية يطبقونها فى ابحاثهم . وقديما كان نقدة الشعر عندنا ، من امثال ابى منصور الثعالبي ، والجرجانى ، وابى هلال العسكرى ، وابن بسام وغيرهم ، يرجعون الابيات التى قيلت فى عصرهم الى اصولها فى العصور السابقة ، فيجدون مثلا شاعرا عاش فى الحضارة والنعيم مثل المعتمد ابن عباد يلتقى فى بعض معانيه مع شعراء عاشوا قبله بقرون فى صحارى البلاد العربية مثل امرىء القيس والخنساء وقيس بن الخطيم وغيرهم .

بل ان أعظم الآثار الادبية فى العالم وأقواها شهرة وذيوعا لا يتورع النقاد فى البحث عن المؤثرات التىأثرت على كتابها والينابيع التى استقوا منها . فهذا دانتى الشاعر الايطالى الكبير ، صاحب الملحمة الخالدة ((الكوميديا الالهية)) يذكر عنه عدد من مؤرخى الآداب انه استوحى موضوع قصيدته من قصة المعراج الاسلامية . وهنالك من يتساءل هل اطلع على ((رسالة الغفران)) للمعرى ورسالة ((التوابع والزوابع)) لابن شهيد . ولنا أن نقول مثل ذلك عن عباقرة آخرين مثل ((سير فانتيس)) الاسباني ((وشيكسبير)) الانجليزى ((وموليير)) الفرنسى ((وجوته)) الالمانى وغيرهم .

وهذا التأثر أو هذا الالتقاء لا يضير فى شىء قيمة الكتاب . وانما هو دليل على وحدة الفكر الانسانى مهما تباعدت العصور واختلفت الديار . وهذا ما أشرت اليه فى مستهل مقالى الرابع عن نجيب محفوظ (انظر دعوة الحق عدد 4 يبراير 1965) حيث قلت :

((التقليد شىء . والالتقاء شىء آخر . التقليد ينبنى على نية سابقة فيها اعتراف ضمنى بتفوق النموذج المتبع والمقلد يتخلى فى قرارة نفسه عن الدعوى التى ترافق مجهود الفنان المبتكر . ويستسلم للمثال الذى وضعه نصب عينيه ، وقد يتوفق فى عمله فيكون لانتاجه قيمة فنية . كما وقع لبعض الشعراء الذين قلدوا (هوميروس) فى ملحمتيه الالياذة والاوديسا . او كما حدث للروائيين المسرحيين الفرنسيين . أمثال (راسين) و (موليير) . حينما قلدوا الدرامات اليونانية القديمة . فاستطاعوا أن يخرجوا من طور المحاكاة الالية الى درجة الابداع والتجديد .

أما الالتقاء ، فهو يحدث بطريقة عفوية . فقد تختلف اتجاهات الكتاب وأذواقهم ومقاصدهم ، وتتباين نقط انطلاقهم ، ولكنهم يتلاقون فى بعض المواطن مدفوعين بمنطق تفكيرهم، أو منجذبين نحو نفس المشاهد والحقائق انهم لم يحاولوا الاخذ عن بعضهم ، او السير على نهج واحد . ولكن افكارهم وحاستهم الفنية تشابكت فى ملتقى لم يكن منتظرا أو — بالاصح — لم يكونوا هم يتوقعونه.

ولعل هذا ما حدث بالضبط لنجيب محفوظ ، فلست اعتقد أنه قرر فى نفسه أن يضع نصب عينيه ألف ليلة وليلة كنموذج يستوحى منه وينسج على منواله . بل ، لربما كانت الف ليلة وليلة بعيدة عن تفكيره حينما كان يكتب ثلاثيته . ولا غرو . فان مقصده يختلف كل الاختلاف عن مقصد الف ليلة وليلة .

ولم اكتف بهذه الملاحظات العامة بل قدمت أمثلة واضحة وقارنت بين نصوص من الف ليلة وليلة وأخرى من الثلاثية وحللت الجوانب الاجتماعية والخلقية والنفسية التى تربط بين الرواية القديمة والثلاثية فبينت كيف أن الالتقاء يحدث فى بعض المواقف الغرامية وفى التشابه بين بعض الابطال . ثم ارتفعت من نطاق الافراد والاحداث والجزئيات الى مستوى الاتجاهات الميتافيزيقية فأوضحت كيف أن التقارب يتم فى ثلاثة مواقف من الحياة هى : الاستسلام للقدر ، والاقبال على اللذة ، والتشبث بالدين .

لكنى جعلت لهذا الالتقاء حدوده ، اذ هو كما شرحت فى الاول ليس كليا بل انه نسبى . فهو يحدث عند نجيب محفوظ كلما تعلقت القصة بتصوير المجتمع القديم، مجتمع الجيل الاول . أو بتحليل أحد الاشخاص الذين ينتمون الى هذا الجيل . ومعنى هذا أن التقارب لا يحدث بصورة مصطنعة وخيالية فى اطار الرواية ، بل هو تقارب يوجد فى الواقع الاجتماعى نفسه وانما يكتفى نجيب محفوظ بالتقاطه حيا ناضجا من مشاهداته ومرئياته .

وهذا ما حدا بي الى القاء نظرة على التطور الذى حدث فى المجتمع المصرى والشرقى . بصفة اعم ، حيث بينت أن الركود ظل هو السمة الغالبة على ذلك المجتمع الى عهد قريب . ولهذا ، فلا عجب من أن يكون بعض الاشخاص الذين يعيشون فى اوائل القرن العشرين يشبهون الى حد كبير اشخاص الف ليلة وليلة الذين عاشوا فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر ، لان الحياة الاجتماعية لم تتغير كثيرا خلال هذه الفترات .

كل هذه نقط كانت جديرة بأن تستوقف الاستاذ السايح لحظات فيمنحها شيئا من وقته الثمين . ولعله لو فعل لما ذهب به التعجب كل مذهب ، بل لربما ركدت ريح الدهشةلديه ، ووصلنا الى شىء كبير من التفاهم .

على أننى لا أتمالك ، أنا بدورى ، عن شىء من التعجب حينما يقول الاستاذ الفاضل : ((ان الف ليلة

رد على نقد :

هل من المستحيل ان يلتقي الروائي المعاصر مع الف ليلة وليلة في أي شيء ؟

للاستاذ محمد زنيبر

لما اطلعت على التعليق القصير الذى كتبه الاستاذ الحسن السائح على مقالى فى موضوع رواية نجيب محفوظ ، تراءى لى ، باديء ذى بدء أن الامر لا يحتاج الى جواب ، حيث ان مقالى هو الجواب نفسه ، ولو تفضل الاستاذ الفاضل وقراه بشيء من الامعان لما غابت عن فطنته البراهين التى دعمت بها رايى ولخرج به الفهم عن كل اشكال .

واجدنى اليوم فى موقف حرج ومضحك فى آن واحد موقف الرجل الذى يقص قصة طويلة على مستمع لا ينتبه اليه ، حتى اذا انتهى منها التفت اليه الآخر فى براءة قائلا : ((ماذا كنت تحكى ؟))

لقد انتظرنى الاستاذ السايح حتى كتبت أربع مقالات طويلة ليقول لى بكل بساطة انه لم يفهم تلك المقارنة التى قمت بها بين الف ليلة وليلة وثلاثية نجيب محفوظ . اذن ، ما الحيلة ؟ هل اكرر نشر تلك المقالات من جديد لانها تحتوى على عناصر الجواب الذى ينتظره الاستاذ الفاضل ؟ أم هل التزم السكوت ، لانى اعتبر نفسي مسؤولا عن اشياء أبديتها ولم يعد من الضرورى تكرارها ؟

وهنالك ملاحظة ثانية لابد من ادراجها فى الاول وهي تتعلق بطريقة الاستاذ السايح فى النقد ، فهو يكتفى ببضعة اسطر ليصدر حكمه النهائى على هذا المقال او ذاك دون أن يتوسع فى الحيثيات أو يأتى بالبراهين الشافية والحجج الكافية . شأنه فى ذلك شأن الاستاذ المصحح الذى يضع ملاحظات موجزة فى ورقات التلاميذ مستندا الى علمه الواسع وتجربته الكبيرة ، وما دمنا نتكلم عن التصحيح ، فانى الفت نظره من طرف خفى الى غلط تسرب الى نثره القيم فى هذه الجملة الاسمية حيث يقول : ((وأبطال الف ليلة وليلة أبطال شرقيين خياليين لا ابطال مصريين واقعيين)) . اللهم الا اذا كان تطور العربية فى العهود الاخيرة اصبح يقتضى نصب النعت بعد الخبر المرفوع وكنا نحن فى غفلة عن ذلك لازلنا نتبع الموضة القديمة .

وللنقد قواعده وأصوله التى تقتضى التبسط والايضاح وتفضى الى الاقناع حسب الاسس المنطقية المعهودة من استدلال واستنباط واستقراء ، ولا يمكن للنقد أن يكتب على طريقة ابن عطاء الله فى حكمه ، وجار الله الزمخشرى فى أطواقه فى شكل لمحات مقتضبة ، ونفثات موجزة ، وهذا ما عهدناه لدى اساتذة النقد ، سواء فى اللغات الاجنبية ، او فى لغتنا العربية من امثال طه حسين والعقاد ومندور وغيرهم .

ومهما يكن ، فنظرا لما اظهره الاستاذ السايح من حسن نية فى ملاحظاته ، ومن براءة فى تساؤلاته ، فسأكون مضطرا للعودة الى الموضوع ، معتذرا للقراء عن تكرار ما كان فى غنى عن التكرار ، وسأحاول بقنديلى الضعيف أن أنير له هذه الطريق الواضحة المعبدة التى لا يحتاج فيها الاعشى الى مرشد او دليل ، ولو كان يسير فى الليالى الحالكات .

يقول الاستاذ السائح : ((انه لا يتصور التقاء نجيب محفوظ مع الف ليلة وليلة من الوجهة الادبية الفنية)) لان الف ليلة وليلة تصور عقلية المجتمع الشرقى ولا تصور المجتمع المصرى وحده ، بل تصور عواصم الشرق العربى كله ، ولم تكتب لتصور مجتمعنا أو تخلق حياة فى مجتمع)) .

انى لا اتصور كيف لا يتصور الاستاذ السائح مثل هذا الالتقاء ، مع أن كل مطلع على الآداب فى سائر اللغات يعرف أن الالتقاآت من هذا النوع كثيرة . بل ،

وفى الف ليلة وليلة ايضا قصص وفصول تشتمل على جانب واقعى . فهنالك تصوير لاوساط الامراء وعلية القوم والتجار ومشاهد من الحياة الاجتماعية على اختلاف صورها .

بل اننا فى الرواية الواحدة نجد جانب الواقع وجانب الخوارق يلتقيان ولولا خوف الاطالة لقدمت شواهد كثيرة على ذلك . فأنا عندما قلت ان الف ليلة وليلة والثلاثية تلتقيان من بعض الوجوه لم أكن اقصد الا التقاء بين الواقع الاجتماعى كما يستشف من الروايتين .

هذا ، ولعل الاستاذ السايح لا يجهل اننى وضعت الالتقاء بين الف ليلة وليلة والثلاثية فى نطاق محدد واننى خصصت له مقالا واحدا من بحثى فى حين اننى نشرت منه الى حد الساعة خمسة مقالات . ولو تفضل فقرأ الفصول الاخرى ، لتبين له اننى تحدثت ايضا عن مواطن التباعد بين الف ليلة وليلة والثلاثية . فأنا لم اجعل من نجيب محفوظ مقلدا او محاكيا . بل سجلت عنه انه رسام واقعى يرى اثر العصور الغابرة فى المجتمع فيثبتها بريشته الصادقة ، ويرى الاجيال الجديدة تصعد ساخطة ناقمة على وضعها فى القرن العشرين فيصورها ايضا بوفاء وامانة ، وهو فى كل هذه الاحوال يظل مخلصا لمهمته ككاتب يسير فى الطليعة ويتحدث عن مجتمعه .

سلا — محمد زنيبر

منطق عجيب

ذهب بصر عرو بن هذاب !! فدخل عليه ابراهيم ابن مشاجع ، فقام بين يديه فقال :

« يا ابا اسيد ، لا تجزع على ذهاب عينيك ، وان كانتا كريمتين عليك !! فانك لو رأيت ثوابهما فى ميزانك يوم القيامة تمنيت ان يكون الله قد قطع يديك ، ورجليك ودق ظهرك ، وادمى ظلفك ...

وليلة تصور عقلية المجتمع الشرقى ولا تصور المجتمع المصرى وحده ، بل تصور عواصم الشرق العربى كله . ولم تكتب لتصور مجتمعنا او تخلق حياة فى مجتمع)) .

فهل قرأ هذه الجملة بامعان ؟ وهل وزن الفاظها وعباراتها ؟ الا يشعر بشىء من التناقض والاختلال فى محتواها ؟ لننظر :

قبل كل شىء ، ما هو الفرق بين المجتمع الشرقى والمجتمع المصرى ؟ وهل المجتمع المصرى ليس مجتمعا شرقيا ؟ وهل نحن عند ما نتحدث عن الشرق اليس يخطر فى بالنا أول مرة القطر المصرى بنيله وتاريخه العريق ؟

مهما يكن ، فسننظر الى الموضوع بالاسلوب المنطقى الذى لا يقبل المهاودة . فاما أن مصر بلد غير شرقى ، واذن فأنا مخطىء فى كل ما استنتجته من هذه الصفة المنسوبة غلطا . واما أن مصر بلد شرقى ، فتكون ملاحظة الاستاذ غير ذات موضوع .

حقا ، ان هنالك مجتمعا عراقيا وآخر سوريا وآخر مصريا كما أن هنالك فى الاسرة الواحدة زيدا وعمرا وخالدا تختلف طبائعهم وأمزجتهم ولكنهم يتشابهون فى المسائل الجوهرية، وفى السمات الاساسية . فالاختلافات الجزئية التى قد توجد بين هذه المجتمعات لا ينبغى أن تحجب عن انظار الروابط القوية التى توجد بينها والظروف المتشابهة التى تعيش فيها ، والتفاعل التاريخى الذى قام بينها منذ آلاف السنين . فاذا كان الفرد فى هذا البلد يلبس الكوفية وفى الآخر الطربوش وفى الثالث يمشى عارى الرأس ، فلا ننسى أن الفؤاد الذى يحمل بين جنبيه فى كل هاته الاقطار واحد .

وعوامل الوحدة والتشابه بين المجتمعات العربية كثيرة . فهنالك العامل الاقتصادى الذى هو أقوى برهان على التقارب والتماثل . وهنالك الثقافة واللغة والدين والتاريخ المشترك والشعور الشعبى والمطامح القومية والتبادل المستمر فى العادات والتقاليد والرسوم والاوضاع القانونية . وكل اختلاف يأتى بعد هذا ، انما يتناول الشكل لا الجوهر .

ثم ما شأن العواصم هنا ؟ الا يوجد مجتمع الا بين أسوار العواصم ؟ والبوادى ؟ والمدن الاخرى ؟ والقرى؟ الا يقوم فيها مجتمع ؟ ولعل الذى دفعنى الى هذه الغيرة كونى لا أسكن مثل الاستاذ فى عاصمة !

على اننى الفت نظر الاستاذ الى كون قصص الف ليلة وليلة لا تجرى كلها فى العواصم ، بل فى مدن مختلفة وفى الارياف والبوادى والبحار وأحيانا فى الجو ! كما الفت نظره الى كون الامثلة التى سقتها من الف ليلة وليلة مأخوذة من قصص جرت حوادثها فى مصر مما يضع حدا لكل التباس .

ويقول الاستاذ ان الف ليلة وليلة لم تكتب لتصور مجتمعنا وهذا صحيح لان الف ليلة وليلة كتبت قبل وجود مجتمعنا بمئات السنين . ولو لم يكن الا هذا الفرق البسيط لكفى . الا أن هذا لا يمنع مطلقا من وجود التشابه والالتقاء وقد شرحت ذلك من قبل . واما قوله ان الف ليلة وليلة لا تخلق حياة فى مجتمع ، فهذا أيضا صحيح ، ولكن بالنسبة لسائر الروايات . فما ادعى روائى قط! مهما بلغ من النبوغ أنه سيبعث حياة جديدة فى المجتمع . وكل ما يطمح اليه هو أن يؤثر بفنه فى الشعور أو ينمى الوعى بالمشاكل الانسانية ، وما أكثرها ! أما الذى يخلق الحياة فى المجتمع فهو الانسان بدؤوبه ونشاطه وعراكه من اجل الغد الافضل .

بقيت لنا نقطة اخيرة هي التى يقارن فيها الاستاذ بين أبطال الف ليلة وليلة وأبطال الثلاثية فيقول عن الاولين انهم شرقيون خياليون وعن الآخرين انهم مصريون واقعيون .

لن نعود مرة أخرى الى الفرق بين المصرى والشرقى ، فقد رأينا منذ قليل انه لا يكاد يوجد . يبقى علينا أن نلقى نظرة على الفرق بين الخيالى والواقعى . واعتقد أن المشكلة هنا ترجع الى تحديد الالفاظ .

ان ابطال أى رواية مهما كان نوعها خياليون . فالروائى لا يقص علينا حياة اشخاص عرفهم واطلع على أسرارهم والا فسيصبح مؤرخا أو مؤلف تراجم . ولو كان أبطال الثلاثية موجودين حقيقة لاثاروا ضجة كبرى على نجيب محفوظ لانه ما ترك شاذة ولا فاذة من حياتهم الشخصية واسرارهم العائلية الا وفضحها وجعل منها مادة خصبة لقصصه .

يبقى بعد هذا أن هؤلاء الابطال الخياليين يتفرعون الى نوعين : نوع تصدر عنه الخوارق ويقوم بالمغامرات التى لا يصدقها العقل ، مثل ما نشاهد فى ملحمتي هوميروس أو فى سيرة عنترة بن شداد او فى بعض قصص الف ليلة وليلة ، ونوع يظل فى سلوكه وافعاله ونوع حياته قريبا من المالوف والمشاهد لدينا كل يوم . وهو ما نسميه بالواقعى .

مزاج تلك الامة وجوها العام ، وفقدان عدة حلقات كانت تسعفنا بالكثير لو ان الادب سجلها في قصص او روايات .

وكانت امتنا العربية في ذلك كبش الفداء ! وبقطع النظر عن بعض الفترات التي صورتها بعض النوادر والحكايات كالف ليلة وليلة ، وقصص الابطال ، كالعنترية والازلية والاسماعيلية والوهابية وغيرها من النوادر وحكايات السمر ، مع ابعاد ما تحفل به هذه وتلك من خوارق واغراق في الخيال مما لا نعدم له نظائر في الادب القصصي عند باقي الامم . وبصرف النظر كذلك عن المقامات على ما تتسم به من سطحية وعناية فائقة بالشكل على حساب المضمون ، فان هناك فجوات شاسعة تجسم تلك الحلقات المفقودة التي لم يكن للتاريخ من غناء في اجلائها ، لانه غير قادر على ذلك من جهة ، ولان مهمة الاجلاء هذه ليست من وظائفه من جهة اخرى ، ومن تم نستشعر هذه الوحشة المهولة عند تعرضنا لهذه الفجوات ، والعكس حينما نعرج على تلك الفترات السابقة ، حيث نشعر ببعض الايناس، ونعثر على بعض الصوى والمعالم التي لا ننكر انها تبدو مندسة بين خضم من المثاليات والخوارق بالنسبة لقصص البطولات والنوادر وغيرها ، وتبدو غير واضحة الملامح بالنسبة المقامات ، ولكنها مع ذلك تسعفنا بخطوط وظلال عن المجتمع العربي والاسلامي والامر بعكس ذلك بالنسبة لبعض المجتمعات الاوربية ولا سيما في القرون الثلاثة الاخيرة حيث نعثر على آلاف القصص والروايات الى جانب التاريخ مما يساعدنا على اخذ صورة تكاد تكون متكامله عن تلك المجتمعات ، على ان هذا لايعني مطلقا انعدام الفجوات هنا ، ولكنها على كل حال اقل اتساعا اذا قورنت بتلك التي تمثل « الربع الخالي » في ادبنا العربي ! .

وحتى لا يبدو ان في الامر اشكالا ، تجب الاشارة هنا الى اننا حينما نشير الى دور القصة في تصوير المجتمع لم يخطر ببالنا قط ان نقصر ذلك على القصة او الرواية التاريخية التي يعتمد الكاتب فيها على احداث جاهزة وقعت بالفعل ، وانما يقتصر دوره فيها على بعض التعديلات البسيطة احيانا ، والاستعانة ببعض الشخصيات او الاحداث الثانوية لسبب او لآخر ، واضفاء بعض الالوان عليها ، وانما نقصد بالدرجة الاولى خلق حوادث او شخصيات من عدم ، ان لم يكن لها طابع العصر الذي يعيشه الكاتب تماما ، فهي لاتستطيع بحال من الاحوال ان تتخلص من كثير من مؤثراته وسماته ، ومن ثم يصح الى حد بعيد ان توسم هي الاخرى بانها تاريخية ، بالنظر الى انها تمثل عقلية ومزاج فترة معينة ، لا على اساس انها تمثل حوادث وقعت بالفعل ، او شخصيات ذات كيان موجود ! .

ويبقى بعد هذا الجانب التقني والفني ، والدور الهام في نجاح القصة او فشلها هو طريقة العرض ، هل هي طريقة السرد التي يتخذ الكاتب فيها دور الراوي المعلق ، دون ان يكون في خضم الحوادث ، ام هي طريقة السرد التي يستعمل فيها الكاتب القصصي ضمير المتكلم على انه احد شخوص القصة وكمحور تدور في فلكه الاشياء . وهذا ما يمكن ان يسلك في نطاق الترجمة الذاتية في بعض الاحيان ، واما ان يكون دوره فيها بالمقدار الذي يساعد على بلورة الشخصيات او الحوادث الاخرى ليس الا ! واما ان يفعل ذلك على لسان احد شخوص القصة متخذا هو مظهر الحياد ، محاذرا ان يقحم نفسه في الموضوع ! ثم هناك طريقة التداعي او ما يطلقون عليه « المونولوج الداخلي » حيث يجد القارىء نفسه امام افكار وخواطر تبدو كما لو كانت سجلت على النحو الذي تخطر به في الذهن ، دون اللجوء الى التسلسل المنطقي وعملية الفرز والانتقاء اللتين يقوم العقل بهما عادة ، فمن المؤكد ان عشرات الافكار تخطر ببال كل واحد منا اثناء الحديث مع شخص او اشخاص ، ولكن احدا منا لا يجرؤ على اثارة مجموع تلك الافكار والخواطر التي تهجس في ذهنه بل لابد من عملية انتقاء وتصفية تقتضيهما حال المخاطبين وحال المتحدث وظروفه ومزاجه ، ومجموعة اخرى من العوامل المعقدة ، غير ان اصحاب هذه الطريقة يحاولون دائما ان يقوموا بدور تسجيل تلك الخواطر كما تخطر عادة بالذهن ، وليس هناك الا العلاقة الشعورية او اللا شعورية التي تقتضي اثارة خاطر او مجموعة من الخواطر كلماثير مدرك اومدركات حسية أو معنوية ، وصعوبة هذه الطريقة تاتي من انعدام التلقائية في ايراد الخواطر ذلك ان الكاتب بدون شك هو الذي يقوم باختيار الخواطر الاساسية بالدرجة الاولى ثم الخواطر الفرعية والثانوية التي تتلوها محاولا جهده ان تبدو الاشياء كما لو كانت تلقائية ، وكما تخطر عادة ، ثم ان رصد هذه الافكار والخواطر حين خطورها تبدو حقا من الصعوبة بمكان والناقد الخبير هو الذي يستطيع الى حد ما ان يقيس مدى نجاح الكاتب في الاقتراب من التلقائية او البعد عنها لان موازنتها وحذو النعل بالنعل اعتقد انها من المستحيل .

في ميدان القصة

للاستاذ محمد الامري المصمودي

لعل القراء الكرام لمجلة « دعوة الحق » المزدهرة يذكرون ما ذهبنا اليه في المقال الاخير من سلسلة مقالات « في شعرنا المعاصر » من «اننا اذا كنا نشكو نقصا فاضحا مخجلا في فن من فنون الادب فلن يكون الشعر ولا المقالة بحال من الاحوال ، وانما نشكو ذلك في الرواية والقصة بنوعيها » .

واذا كنا نعتقد ان ما كتب آنذاك حول موضوع الشعر المغربي وما كتب بعد ذلك يلقي بعض الاضواء على هذا الجانب من حياتنا الادبية ، واذا كنا نستطيع الآن ان نقول بكل صراحة وأسف في آن واحد : ليس هناك من ظاهرة جديدة تستحق الرصد والاعتبار . دون ان نغفل الاشارة الى ظهور شعراء يندرجون تحت احد تلك التيارات التي حددناها يومئذ ، ودون ان نخرج من حسابنا كذلك بعض الشعراء الذين لم يقع التعرض لهم من قبل وهم جديرون بكل عناية واعتبار، ومع ذلك نرى انه من غير المستعجل التعرض لهذه الثغرات بالنظر الى ما استجد في مظهر آخر من مظاهر الادب هو القصة . حيث يسعنا الان ان نلقي بعض الاضواء عليها حتى نتمكن من معرفة رصيدنا من هذا الفن الادبي الجميل .

الا اننا قبل ذلك ينبغي ان نرسم بعض الملامح والمقاييس التي نعتمدها كمفهوم للقصة من جانبها البسيط العام ، وكاثر فني يعنى بتصوير المجتمع في فترة من فترات قد تطول وقد تقصر – من خلال شخصية او عدة شخصيات او حادثة او مجموعة من الحوادث ، او فكرة او عدة افكار تعكس في مجموعها طابع المجتمع ، آماله وآلامه ، قيمه واهتماماته ، خيبته ونزوعه ، وطبيعي اننا حينما نقول تصوير المجتمع لانعني بذلك مطلقا ان يكون من نوع التصوير الفوتوغرافي الذي ينقل جزءا من الواقع كما هو دون عملية تحديد تقتضيها الطريقة الفنية للعرض المناسب السليم . وانما المقصود ابتكار الصورة بشكل لا تكون معه غريبة عن المجتمع ، بل انها تبدو ولها من حظوظ الوجود الشيء الكثير ما دامت تستمد ظلالها وابعادها من المجتمع نفسه كاجزاء متفرقة يحيلها العمل الفني وحدة متماسكة ، ويطبعها بطابع الخلق والابداع ، دون ان نغفل التوازن بين القطاعين الداخلي والخارجي !

واهمية القصة تاتي من أنها تسد فراغا هائلا لا يعني به التاريخ ، لانه ليس من وظائفه كعلم يسجل الواقع كما هو وكما حدث بالفعل ، محللا ومعللا ، وانما ذلك من وظيفة الادب بصفة عامة والقصة والرواية بالاخص ، ذلك لان الادب ان كان يحلل على طريقته الخاصة ، فهو لا يعلل ، وها هنا يتضافر العلم والادب ليساعدانا على أخذ صورة تكاد تكون متكاملة عن مجتمع من المجتمعات او فترة من الفترات التاريخية ، ذاك لسرد الحوادث وتحليلها وتعليلها ، وهذا لعرض المزاج النفسي والاجتماعي بهذا المجتمع او ذاك .

واذا كان الادب بصفة عامة يقوم بهذا الدور ، فان القصة والرواية تاتيان بالنظر الى ذلك في المرتبة الاولى ، على ان الشعر هو الآخر له دوره في هذا الباب، وان كان في بعض اغراضه كالمدح مثلا لايحملنا دائما على الاطمئنان ، مثله في ذلك مثل الملاحم التي تتخذ عادة طابع التهويل والتضخيم سواء في الاعمال او المشاعر ! .

وخلو تاريخ أمة من الامم من القصة بنوع خاص معناه حرمان البشرية من الالمام بالشيء الكثير عن

نظرة على اديان العالم

بقلم : الدكتور حسين نصر استاذ تاريخ الاديان
ترجمة : الدكتور عبداللطيف السعداني

- 2 -

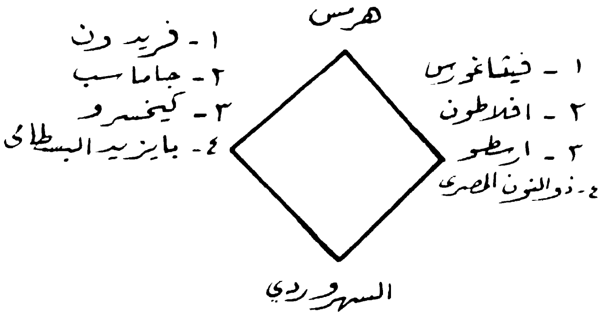
ان موازنة الاديان ومقارنة تعاليمها واصولها مع بعضها البعض يجب ان نتعدى كذلك نطـاق الدين السامي والهنـدي وغيرهما وان تكتسي كلية شاملة ، ومن المؤكد ان هذا العمل ليس بالشيء الهين اذ انه يستلزم الانتقال من عالم ديني وروحي وجنسي الى عالم يغايره ويباينه كل المغايرة والمباينة ، فتفهم المسيحي للاسلام والمسلم للمسيحية اسهـل من تفهمهما للديـن البوذائي ، وبالمثل فان تفهم البوذائي لحقائق الدين الهندي اسهل عليه من تفهم اصول الدين اليهودي ، لكن بالرغم من هذه الصعوبة فان مثل هذه الموازنة والمقارنـة ضرورية من كـل الوجوه ، وبالنسبة للاسلام فقد هيء الجو المناسب لذلك اذ ان بعض عظماء هذا الدين بالهند في بلاط « اكبر » و « جهان كير » وبعض ملوك الجورجانيين لتلك الديار قد حققوا الاتصال الروحي المباشر بالمعنويـات الهنديـة فنبـع اشخـاص مثـل « دارا الشكوة » (1) ترجموا من اللغة السانسكريتية الى الفارسية كتبا هندية مهمة في التصوف والدين مثل :

« باكا واكيتا » Bhaghava-Gita وكتـب اوبانيشاد Upanishad وترجمـوا من الناحيـة الاخـرى من الفارسية الى السانسكريتية « حكمة الاشراق » لشيـخ الاشراق شهاب الدين السهروردي (2) فنتج عن ذلك ان ظهر عارف من مثل « كبير » الذي كان مرشدا للمسلمين الهنود على السـواء متضلعا في معنويات كل من الدينين ، وبما ان الحاجة لم تكن ماسة لمثل هذه البحوث في بقية البلدان الاسلامية في ذلك العهد

---

1) الامير العالم دارا الشكوه اشهر ملوك الدولة الجورجانية بالهند ، ولد سنـة 1024 هـ وتوفي مقتولا سنـة 1069 هـ ، كان لروحه العارفة وفكره المبدع اثر كبير في اظهار الحقائق العرفانية التي ربط بين التصوف الهندي بالتصوف الاسلامي كما يتجلى في كتابه (مجمع البحرين) الذي قابل فيه الاصطلاحات الصوفية الهندية بالاصطلاحات الصوفية الاسلامية . من تآليفه (سفينة الاولياء) و (سكينة الاولياء) و « حق نما » = (مجلى الحق) . واعظم كتبـه ترجمـة الكتـاب العرفانـي الكبير (اوبانيشاد Upanishad) من السانسكريتية الى الفارسية باسم « سر الاسرار » او « سر اكبر » . (المترجم).

2) هو الشيخ شهاب الدين ابو الفتح السهروردي المتولد سنة 540 هـ لقب ب « المقتـول » او « الشهيـد » لكونه اتهـم بالالحاد حيث اعتمد في نظرياته وفلسفته على عقائد الدين الزردشتي (المجوسي) واقتبس منه بعض آرائه واصطلاحاته فنتج عن ذلك ان اوعز علماء حلب الى صلاح الدين الايوبي حاكم الشام ومصر يومها بقتله ، وكان ذلك سنة 587 هـ فكان شهيدا آخر من شهداء التصوف الاسلامـي . كان السهروردي وحيد عصره ونابغة زمانه في الفلسفة والحكمـة ، وطريقته الفلسفية المسماة « حكمة الاشـراق » متأثـرة بافلاطون واتباعه من الافلاطونية الجديدة من جهة وبالفلسفة الايرانية القديمة وخاصة الفلسفـة العرفانيـة في دين زرادشت من جهة اخرى كما يتضح في هذا الرسم البياني :



رغم ان السهروردي اعدم وهو لا يناهز 38 سنة فقد خلف مؤلفات كثيرة (حوالي 49) بالعربية والفارسية اشهرهـا : « رسالة في اعتقاد الحكماء » و « قصة الغربة الغربية » موضوعة على غرار قصة حي بن يقظان لابن سينا و « العقـل الاحمر » و « صفير العنقاء » و « لحن جناح جبريل » و « لغة النمل » و « الهياكل النورانية » . والكتب التي تظهر فيها فلسفته بوضوح هي : « حكمة الاشراق » و « كتاب التلويحات » و « كتـاب المقاومـات » و « كتاب المشـارع والمطارحات » . (المترجم)

وهناك طريقة الرسائل ، حيث يدع الكاتب فيها شخوصه يكشفون عن ذواتهم ومشاغلهم واهتماماتهم ونظراتهم الى الاخرين دون اي تدخل مباشر منه . وصعوبة هذه الطريقة تاتى من البحث عن ايجاد الروابط المحكمة التي تستطيع ان تكون من مجموع الرسائل المقدمة قصة متكاملة لاغبار عليها

والقصاص الماهر هو الذي يجيد استعمال احدى هذه الطرق او مزجها مع بعضها مما يتناسب وموضوع القصة وطبيعتها ، ومع ذلك فسوف تبقى طريقة العرض — كما يقتضي منطق التطور غير خاضعة لمقاييس معينة ، ذلك ان الناقد لاتهمه الطريقة الا من حيث مقدار نجاحها فى اضفاء اللون المناسب على موضوع القصة ، وابراز الحوادث او الشخصيات بالقدر الملائم ، على انه اذا قدر لطريقة ان تسيطر لفترة او فترات معينة ، فانها لا تلبث بعدها ان تفسح المجال لطريقة جديدة لا تلبث بدورها ان تتخلى عن مكانها لاسلوب جديد ، وهكذا يمكن ان نشير كمثال الى قصة سدام دي لافاييت « اميرة كليف » التي تعد ثورة على الطريقة التقليدية لا من حيث البناء فحسب بل ومن حيث الاطار والاسلوب كذلك ، ومثل ذلك يقال عن « تريسترام شاندي » للورنس ستيرن الذي تحدى تعريف فيلندنج للقصة بانها « ملحمة نثرية لابد فيها من ارتباط الحوادث مع بعضها بشكل منطقي وعضوي فى آن واحد «1» ذلك ان «ستيرن» خرق فى هذه القصة جميع القواعد المعروفة للقصة ، ومثل ذلك يقال عن بروست الفرنسي وجيمس جويس الايرلندي ، ومن ثم لايكون من حق الناقد ان يفرض على الكاتب القصصي أي شكل من اشكال العرض التى لاتعدو ان تكون مثل الواجهات الزجاجية بالمحال التجارية التي يتفنن اصحابها فى تنسيقها بطريقة او اخرى يبدو لهم انها اكثر ملاءمة وجاذبية لعرض البضاعة على الزبناء ، على ان يبقى من حق هذا الناقد — وهذا دوره الاساسي هنا — ان يحلل تلك الطرق والاساليب ويرصد الجديد منها مع اختبار مدى نجاح هذه الطريقة او تلك فى عرض القصة من الناحية الفنية .

والقصاص حينما يلجأ عادة الى طريقة معينة يخضع فى ذلك الى عدة عوامل يعود بعضها الى مزاجه الخاص ، ويرجع البعض الآخر الى المجتمع نفسه، وهنا تكمن الصعوبة التي يعانيها جد المعاناة . فاذا انتصر عليها هان عليه بعد ذلك ما تبقى من الصعاب . وهذا ما يفسر تلك الصعوبة التي نحسها كقراء امام قصة يستعيد الكاتب فيها مزاجه الخاص . ولا سيما اذا كان بالغ التعقيد . فلا نلبث ان نحكم عليه بانه انسان جد متعب . وان كنا لا نعدم المتعة نهائيا لما قد نكتشفه من دروب ومنعطفات قد تكون فريدة من نوعها وقد لاتخلو من سمات جديدة ورائعة في نفس الوقت .

« يتبع »

الرباط : محمد الامري المصمودي

---

1 » القصة فى الادب الانجليزي للدكتور طه محمود طه . مجلة القصة عدد 2 السنة الاولى فبراير 1964

تبتني تعاليم بودا على القضاء على الالم والعذاب والبؤس، وقد توصل بودا الى هذه النتيجة وهي انه ليس بالامكان الحصول على هذا الهدف والوصول الى مقام الفناء « نيروانا » واحتضان السعادة الابدية الا بالقضاء على الشهوات النفسانية والاهواء والنزعات ومن بينها رغبة كسب المال ومتاع الدنيا وطلبه والتهافت عليه ، وتجنب اللذات الجسمية وكذلك محو التمييز بين « الانا » و « الغير » ولهذا السبب يحترم البوذائيون كثيرا جميع الموجودات الحية حتى لقد بلغ بهم الامر ان رهبان هذا الدين يضعون حجابا على وجوههم خوفا من ان تدخل انوفهم وافواههم حشرة فتحرم الحياة ، ويعتقد كذلك اتباع هذا الدين وبالخصوص اولئك الذين يتبعون تعاليم مدرسة الشمال او « ماهايانارا » ان بوذا هو مبدأ ومنشأ الرحمة والمحبة والمساعدة والرأفة ويؤمنون بملك يطلق عليه « بالسانسكريتية » « اكيلوتشوارا » او « كوان يين » باللغة الصينية وهو ملك الرحمة الذي قطع جميع مراحل التكامل ووضع قدمه الاولى في عالم « نيروانا » ولكن لما له من التعلق والمحبة التي لا نهاية لها نحو سائر الموجودات وبما ان رحمته تشمل جميع الكائنات فقد اقسم بينه وبين نفسه ان قدمه الاخرى لن تترك عجلة عالم الطبيعة وانه لن يدخل « نيروانا » نهائيا حتى تنجي الى الابد آخر عشب صحراوي .

ان الدين البوذائي — على الرغم مما كتب عنه البعض — لا ينكر الاله والمبدأ غير ان بوذا وقف همه على وسيلة نجاة الخلق ولم يخص في التفكير في الخلق والخالق ، لا انه ينكر وجود الخالق ، وقد اختار السكوت حتى عن ماهية « نيروانا » التي يعتقدها البوذائيون غاية الكمال والمقام المطلوب والهدف النهائي لحياة الانسان ، واكتفى بتشويق الاتباع للوصول بها متجنبا التفكير في الحقيقة الصرفة ، وقد بين العارف الشهير محمود الشبستري في غاية الوضوح هذا العجز عن التفكير في مقام ذات الباري تعالى في كتاب « كلشن راز » (8) :

1) « ان التفكير في نعم الله (9) هو شرط السلوك
اما في ذات الحق فانه اثم صراح »

2) « فتيقن ان التفكير في ذات الحق لغو
وان تحصيل الحاصل محال » (10)

كما جاء في قول بوذا ان : « الانسان يشبه طائرا محبوسا في قفص ، سجين عليه ان يسعى في هذا العمر القصير ليتحرر من قيد هذا السجن ، فعبثا يضيع هذه اللحظات الثمينة في التفكير في كيفية بناء القفص وماهيته ، بل يجب ان يسعى بكل قواه لهدم قيد ذلك السجن والقضاء عليه ، وان يحاول التفكير في التحرر الحقيقي الذي هو الخلاص من دورة الحياة والتعينات الجسمية والنفسية . »

وتشبه المسيحية الدين البوذائي في ان اساس وجهة نظرها كذلك هي كيفية نجاة الانسان من حياة هذه الدنيا المليئة بالعذاب ، والموت الذي يسدل ستار النهاية على النشأة ، فتضع الانسان امام اكثر تجارب الحياة الما ، وذلك كما يعتقد القديس اغوسطينوس احد الاباء المسيحيين المشهورين ، ان مرحلة الحكمة والمعرفة الاولى هي ادراك هذه الحقيقة وفهمها تلك هي ان الانسان سيموت يوما ما (11) ومن المؤكد ان الحديث عن مبدأ الوجود قد ورد مرارا في تعاليم السيد المسيح كما اشير كذلك الى خلق العالم ، فقد قال في اول انجيل يوحنا: (في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة عند الله ، هكذا كان في البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان) .

ولكن المسيحية اهتمت اكثر بتحرر الانسان من حياته المؤلمة في هذه الدنيا ، ومن اجل الخلاص من هذه الحالة التي تثير الشفقة ، ومن هذا العالم المليء بالجور والظلم ترى المسيحية ان الطريق والعلاج الوحيد هو المحبة الالهية والعطف على الجار والقريب ومحبيهما ، ولهذا فان « الله » في اعتقاد المسيحي محبة قبل اي شيء ، وان السيد المسيح قبل خطايا ابناء العالم بتحمله الم وتعذيب الصلب ، ولذلك فان بالتوسل اليه — وهو مثال المحبة والرحمة الالهية بالمخلوقات — يستطيع البشر ان ينجو من هذه الديار المليئة بالآلام والمآسي .

والصليب الذي يصعب فهمه غالبا على اتباع الديانات الاخرى هو مظهر هذه الحقيقة عند المسيحي يستوحي منه تلك الحقيقة التي ضحى بها من اجل هذا العالم علّه يستطيع العودة اليها ، ان الصليب لا يمثل الانسان الكامل فقط انه ايضا مثال رحمة الخالق ولطفه اللذين لا حد لهما ، الخالق الذي فدى هذا عالم

---

8) الشيخ محمود الشبستري عارف ايراني كبير توفى سنة 720 هجرية ، اشتهر في زمانه برسوخ قدمه في التصوف والارشاد كما عرف في تاريخ التصوف بمنظومته « كلشن راز » (حديقة الاسرار) وهي جواب مختصر ل 15 خمسة عشر سؤالا في التصوف في الف بيت ، جمعت اصول التصوف الاسلامي موضحة بالشواهد والامثلة . (المترجم) .

9) « نعم الله » يعني اسماءه وصفاته .

10) در الا فكر كردن شرط راهست / ولى درذات حق محض كناه است
بود درذات حق انديشه باطل / محال محض دان تحصيل حاصل

11) اشار «سانت كوستن» مرارا في «اعترافاته» وكذلك في رسائله الاخرى مثل رسالة «الاديان والامل والمحبة» الى هذا الامر .

فقد اكتفى العرفاء والحكماء بالقول بوحدة الاديان وتوقفوا عن البحث في جزئيات الموضوع الا قليلا ، فان محققا كابن الريحان البيروني قد حاول في كتاب « تحقيق ما للهند » المقارنة بين عقائد الهنود والمسلمين .

يجب ان تبنى المقارنة العامة بين الاديان على هذا الاساس ، وهو ان حقيقتها الاصلية واحدة وان كل دين يظهر تلك الحقيقة الواحدة وفق قابليات اتباعه وطبيعتهم من دون ان ينقص من اساسها شيء ، فكل هذه الطرق تؤدي الى مبدأ واحد وحقيقة واحدة ، تلك الحقيقة التي لا يستطيع رؤيتها في عالم التجرد وراء كل تعين وكثرة الا العارف ، وقد بين « مولانا » (جلال الدين الرومي) بوضوح هذا الموضوع في كتابه « فيه ما فيه » يقول : « كنت اتحدث يوما في جماعة كان بينهم نفر من الكفار كانوا يقطعون الحديث بالبكاء منفعلين ، فسألني (3) ما ذا يفهم هؤلاء وما ذا يعرفون ؟ ان مثل هذا الكلام قد اختير للمسلمين ياخذونه بالف اعتبار ، فما ذا ادرك هؤلاء حتى بكوا ؟ قال (4) : ليس المهم ان يفهموا هذا الكلام نفسه اذ انهم يدركون اساسه ، اليسوا مقرين جميعا بوحدانية الله وبأن الله خالق رازق يتصرف في كل شيء واليه المآب وانه مصدر الغفران والعقاب ؟ فما ان سمع هذا الكلام ، هذا الكلام الذي هو وصف الحق (سبحانه) وذكره حتى اضطرب الجمع واخذ بهم الشوق والوجد كل مأخذ فان روح معشوقهم ومطلوبهم كان يضوع في هذا الكلام ، فالهدف واحد وان اختلفت الطرق ، الا ترى ان الطرق الى الكعبة كثيرة ، طريق البعض من الروم وطريق البعض من الشام وطريق البعض من بلاد العجم وطريق البعض من الصين وطريق البعض البحر من ناحية الهند واليمن فلو نظرت الى الطرق لوجدت اختلافا عظيما وتباينا لا حد له ، ولكنك ــ عند ما تنظر الى الهدف فان الكل متفق واحد تأتلف سرائرهم حول الكعبة وتكن لها رابطة وعشقا ومحبة عظيمة فلا مجال هناك لاي اختلاف. فلا تسمى هذه الرابطة كفرا ولا ايمانا اي ان تلك الطرق المختلفة التي ذكرناها لا تمس هذه الرابطة . وعند ما يصلون هناك يتضح ان ما كان بينهم من الجدال والحرب والاختلاف في الطرق حيث كان يقول هذا للآخر انك من اتباع الباطل والكفر وذلك الآخر يقول له مثل قوله ، يتضح ان تلك الحرب انما كانت حول الطرق وان مقصودهم واحد » (5) .

يجب ان نجعل نصب اعيننا ان كل دين يرى الحقيقة من مرىء خاص وانه ينبت ناحية خاصة لتلك الحقيقة من غير ان يفرط في مجموع الحقيقة وكليتها ، وان كل دين يفترض سؤالا يتبلور في تنايا الجواب عليه اساس عقائده واسلوب تفكيره ، فمثلا ينبني الدين الهندي على التمييز بين الحقيقة والامور الوهمية الخيالية . ففي كتب « اوبانيشاد » التي هي آخر اقسام الكتب السماوية الهندية بعد بحث طويل حول ماهية الحقيقة ، يصل الحكيم الى هذه النتيجة وهي ان الحقيقة ليست مادية وجسمانية ، وليست نفسانية ولا خيالية ولا وهمية، بل الحقيقة الصرفة، وما هو وراء كل نوع تعين ومحدودية مع كونها مختفية في قلب الانسان وانها ضميره الحقيقي او كما تقول الكتب الهندية المقدسة الضمير الالهي او آتمان فانها هي الحقيقة المطلقة او براهمن ، والنتيجة النهائية للسلوك المعنوي هي ان تلك الحقيقة باطنية وأساس الدين الهندي اذا مبني على التمييز بين الحقيقة وغير الحقيقة ، والتفكير والغور في ماهية الاشياء وطبيعتها ، وفي موجودات عالم الوجود ، وبالتالي اكتشاف حقيقة ما وراء كل عوامل التعينات والتنزلات (6) وعلى العكس في الدين البوذائي فقد ابتعد عن التفكير في الحقيقة المطلقة ومبدأ وجود عالم الخلق واهتم بوذا مؤسس هذا الدين بوجود الالم والعذاب في حياة الانسان وعمل على علاجه وكان السؤال الذي وضعه بوذا هو كيف يتمكن من القضاء على الالم والبؤس والفقر التي تعم سائر موجودات العالم والوصول الى نيل السعادة، ومن اجل البحث عن حل هذه المسألة وللجواب على هذا السؤال كان ان ترك بوذا هذه الحياة الدنيوية وانصرف اعواما الى الرياضة الروحية الى ان وصل في الاخير الى درجة الاشراق وتمكن من اكتشاف حقائق تعد اساس المذهب البوذائي (7) .

---

3) يقصد احد المريدين ، وهذه هي الطريقة التي بنى عليها جلال الدين الرومي تاليف كتابه : « فيه ما فيه » (المترجم) .

4) يقصد نفسه يعني مؤلف كتاب « فيه ما فيه » جلال الدين الرومي . (المترجم) .

5) «فيه ما فيه» تصحيح العلامة السيد بديع الزمان (فروزنفر) . طبع طهران سنة 1330 شمسية هجرية . صفحة 97 .

6) راجع فصل Theology and Antology من كتاب . A. K. Coomaraswamy Hinduism and Buddism
F. Schuon, Perspectives Spirituelles... « Vedanta »

7) وردت مكررا في الكتب الهندية القديمة بشكل تاريخي اسطوري ترجمة حياة بوذا منذ عهد الطفولة الى زمن الامارة وحياة البلاط وعيشة السادة ثم ترك الحياة والسفر في البلاد الهندية والركود في الاخير الى ظل الشجرة المقدسة (بودهي) والوصول الى مقام الفناء والبقاء وازاحة حجاب الجهل ثم بداية اشاعة تعاليمه في (سارنات) قريبا من (مدينة) بنارس ، وكان ذلك باعثا لايجاد آثار فنية عظيمة .
حول ترجمة حياة بوذا رجع : A. K. Coomaraswamy. Budha and the Gospel Of Buddhism
القسم الاول صفحة 1 ــ 78 .

7) « ايخفـــى عنـــه وجـــوده
مـن وجـدك فـي هـذا العالـم ؟ » (15)

من الاصول الاخرى التي تتفق فيها الاديان ، الوحي والنبوة التي يحملها الرسول والنبي في الاديان السامية وتكتسي في الاديان الهندية شكل « آفاتارا » الذي هو مظهر الالوهية فيها من دون ان يغير ذلك من اساس هذه الحقيقة شيئا ، وجميع الاديان تعتقد ايضا ان البشر سينحط من الناحية المعنوية والاخلاقية عند آخر كل عهد تاريخي ، وبما انه بالفطرة في حالة نزول وبعد عن المبدأ فهو يتحرك الى الاسفل كالحجارة (الملقاة من اعلى) فانه لا يستطيع من تلقاء نفسه ان يوقف هذه الحركة النزولية والانحطاط المعنوي والاخلاقي ، فمن الضروري اذا ان تظهر يوما ما شخصية معنوية عالية المقام تستقي من مبدأ الوحي والالهام فتحرر العالم من ظلمة الجهل والغفلة والظلم والاستبداد ، وقد اشير حول هذه المسألة في تعاليم كل دين بكيفية رمزية الى حقائق تناسب الاديان الاخرى وتتلاءم معها ملاءمة كاملة وتلك احدى الادلة القاطعة على وحدة الاديان . (16)

وبالطبع فان الحقائق لا تظهر على وتيرة واحدة في سائر الاديان ، فبالرغم من ان المعنى واحد فانه جاء في بعض الحالات بصور واشكال مختلفة ، فالكلام الالهي مثلا هو في الدين اليهودي التوراة وفي الاسلام القرآن الكريم . وفي الدين الهندي كتب « فيدا » في حين ان المسيحية تعتبر الكلام الالهي هو حقيقة السيد المسيح ، وهو شخصية بوذا في الدين البوذائي ولهذا يجب ان لا يقارن بين الكتابين المقدسين لهذين الدينين اي الانجيل ومجموعة الـ « سوترا » البوذائية وبين القرآن الكريم فان منزلتهما في هذين الدينين اشبه بالاحاديث والروايات في الاسلام ولذلك فان لكل من الدين اليهودي والاسلامي والهندي لغة مقدسة هي صورة الكلام الالهي وبوتقته وهي العبرية ، والعربية والسانسكريتية ، اما في الدين المسيحي والبوذائي فلا وجود للغة مقدسة بالمعنى الحقيقي فيمكن قراءة الكتب المقدسة البوذائية باللغة السانسكريتية او بالـــي او تميـــل (17) او باللغـــة الصينيـــة او اليابانيـــة ، ويمكـــن اداء الطقـــوس المذهبيـــة وتلاوة الكتب الدينية المسيحية في الكنيسة باللغة اللاتينية او اليونانية او بلغة من اللغات الاوربية الحديثة كما هي العادة في احدى كنائس باريس او حتى باللغة العربية ، ففي هاتين الحالتين تظهر الشخصية الرئيسية لذلك الدين وهو مؤسسه وبانيه بصورة الكلام الالهي فلا تبقى حاجة الى اللغة المقدسة .

اما بالنسبة للاسلام او الدين اليهودي والهندي فان اللغة المقدسة ضرورية للحياة الدينية والمعنوية ، وتعد صورة الكلام الالهي ومظهره الخارجي ، فلا يمكن اداء الصلاة باللغة الفارسية او التركيـــة او الكرديـــة ولا اداء الـ « فيـــدا » باللغـــة الاردية او الهندية الحديثة ، ولا ترتيل التوراة باللغة الانجليزية ، اذا كان القصد هو القيام بالعبادات لا مطالعة الكتب السماوية من الناحية الادبية او التاريخية ، لذلك فان اولئك الذين يسعون للقضاء على هذه اللغات المقدسة معللين بتبسيط العبادة ، او بسبب تعصبات مختلفة يهيئون الجو للقضاء على الاديان التي ظهر فيها الكلام الالهي بهذه اللغات .

بناء على ما ذكر فان بعض الحقائق كالكلام الالهي والوحي موجودة في سائر الاديان ، اما وان الفرصة محدودة ، والتحقيق في هذا الميدان يستلزم بيانات وايضاحات ضافية ، فاننا اكتفينا في هذا البحث بالمقدمات فقط ، وذلك بذكر عدد من هذه المناسبات ، ونأمل ان لا يكون قد اقتصر في هذا المقال المختصر ـ الذي يعد كمدخل للبحث في الاديان والمقارنة بينها ـ على كسب اطلاع مجمل حول الشرائع المهمة في العالم فقط بل ان نكون قد اتضحت للجميع ضرورة هذا النوع من البحوث وتبادل المعلومات بين الامم ، من الناحية المعنوية والعقلية والدينية .

---

15) اي علـم هستـي مـا بـا تو يسـت
ذات تو هـم هستـي وهـم هسـت كـن
هسـت تو ئـي . هستـي مطلـق تو ئـي
هرچـه ز هستـي بسـراي مجـاز
با تـو خـود آدم كـه وعالـم كـه ام ؟
گرچـه نمـا يند بسـى غيـر تـو
كيسـت بـه بيدائـي تـو در جهـان
نيسـت بخـود ، هسـت بتـو هرچـه هسـت
هسـت كـن عالـم نـوي وكهـن
هسـت كـه هستي بـودا . الحـق تو ئـي
باشـدش البنـه بهستـي نيـاز
نيسـت ز غيـر تـو نشـان غيـر نـام
نيسـت درين عرصـه كسـى غيـر تـو
مـا نـده بـه بيدائـي خويشـي نهـان

16) مثلا في الدين الهندي يوجد في كتب (بورانا) شرح مفصل حول عهود آخر الزمن كالي يعني آخر عهد قبل ظهور آواناراي ويشنو وفي المسيحية ايضا فان كتاب المكاشفة ليوحنا مشهور . وفي الاسلام بالاضافة الى القسم الاخير من القرآن الكريم الذي يتحدث كله عن زوال العالم وتجديد الخلق ، هناك احاديث وروايات كثيرة في هذا الموضوع موثوق بها عند اهل السنة والشيعة معا .

17) ان لغتي بالي وتاميل اللتين كانتا منتشرتين جنوب الهند ولا زالتا متداولتين الى اليوم في هذه النواحي ، قد اصبحتا بعد انتشار المذهب البوذائي من اللغات الاساسية لهذا الدين حتى ان كثيرا من الكتب الهندية المهمة تقرأ بهاتيـن اللغتيـن .

الظلمةهذا بالحقيقة المقدسة للروح كي تتبدل به هذه الظلمة نورا، وبذلك يذوب القلب المتجمد للبشر ، به في حرارة المحبة الالهية ، ويتساقط الجدار الذي يفرق الموجودات عن بعضها ويفصل المخلوقات عن الخالق .

وفي الاسلام على الرغم من ان المحبة والمعرفة ملازمان دائما لا انفصام بينهما من اصل الوحي المحمدي واساسه هو المعرفة بوحدانية الحقيقة والتمييز بين الوجود والعدم او بين الحقيقة وغير الحقيقة هذا الاصل الذي يعبر عنه الجزء الاول من الشهادة بابلغ وجه واوضحه ، وان معنوية الاسلام في الواقع عرفانية اي مبنية على المعرفة ودعاء اولياء هذا الدين هو : « ربي ارني الاشياء كما هي » (12) فغاية المعرفة ادراك هذا الامر بان لا حقيقة الا الله ، وان « لا الاه » نفي لاي نوع من الانينية والكثرة عنه ، وما يتراءى للناظر بصورة الكثرة ما هو الا وهم لا غير ، كما يقول « كلشن راز » :

1) « هناك ، عالم الخلق والامر واحد
تعدد الواحد وتوحد المتعدد »

2) « صورة الغير هذه ، خليقة وهمك لا غير
فان النقطة تصبح دائرة بسبب سرعة الحركة»

3) « الطريق من البداية الى النهاية واحد
وقد عبره خلق العالم جميعا » (13)

* * *

على الرغم من هذا التباين بين المذاهب في وجهات النظر وفي الطريق الخاص الذي اختاره كل واحد منها للوصول الى الحقيقة ، فانها متفقة في الاسس والاصول والحياة المعنوية ، تبرز كل منها الحقائق الاصلية بشكل من الاشكال ، والواقع ان اساس جميع الطرق هو ازاحة الستار الذي يبعد الانسان عن الحقيقة فيحجبها عن بصره ، فيجب القضاء على ذلك الحجاب الذي يعبرون عنه بالنفس الامارة او الضمير البشري او ابليس الباطن ، وفك عقال الروح والعقل وكما يقول العرفاء : « تسليم ابليس الباطن » (جعله مسلما) . او بعبارة اخرى يجب القضاء على الخطأ الذي ارتكبه البشر بسبب ضعف القوة المعنوية ونقصان قوة الذوق (المعنوي) والنزول من مقام كماله معتقدا انه حقيقة مستقلة ووجود منفصل ، حتى يتأكد له ان وجوده من غيره ، وانه بنفسه وذاته لا شيء، كما يقول عبد الرحمن الجامي في مناجاة « تحفة الاحرار » (14) :

1) « يا من صغر معه العالم بوجودنا
كل موجود ، معدوم بنفسه موجود بك »

2) « ذاتك موجودة موجدة
هي الموجدة للعالم الحادث والقديم »

3) «انت،انت الموجود،وانت انت الوجود المطلق
وانت الموجود الذي كان وجودا »

4) كلما في دار الفناء من الوجود
مفتقر بلا ريب الى وجود »

5) «من هو الانسان نفسه، واي عالم يعبران معك
اذ ليس لغيرك رسم الا الاسم »

6) « مع ان الاغيار قد ظهروا في كثرة
فليس في هذه الدار سواك »

---

12) ورد هذا الدعاء المنسوب الى نبي الاسلام (ص) مرارا في مؤلفات العرفاء كما يقول الجامي : « الهي الهي خلصنا عن الاشتغال بالملاهي وارنا حقائق الاشياء كما هي ، وازح غشاوة الغفلة عن بصر بصيرتنا ، واجل لنا كل شيء كما هو ، لا تظهر لنا العدم بصورة الوجود ، ولا تخفي جمال الوجود بستار العدم ، واجعل هذه الصورة الخيالية مرآة تجليات جمالك ، لا سبب الاحتجاب والبعد، واجعل هذه الاشكال الوهمية اساسا للعلم و (نورا) للبصر لا آلة للجهل والعمي ، ان كل ما بنا من الحرمان والهجران هو منا فلا تتركنا لانفسنا ، واكرمنا بتخليصنا منها ، وامنحنا عطاء معرفتك » . « لوائح » . طبع وترجمة ميرزا محمد خان قزويني .

13) جهان خلق وامر انجا يكي شد — يكي بسيار وبسيار اندكي شد
همه ازوهم تست اين صورت غير — كه نقطه دائره است از سرعة سير
يكي خط است زاول تابه آخر — برو خلق جهان كشته مسافر

14) نور الدين عبد الرحمن الجامي خاتم فحول شعراء ايران ، جمع بين الشاعرية الرقيقة والتحقيق الدقيق في مؤلفاته في مختلف الموضوعات والمقام الاسمى في العرفان فهو من اقطاب الطريقة النقشبندية ، ولد سنة 817 هـ وتوفي سنة 898 هـ من مؤلفاته : 1) منظومة تحفة الاحرار في 1710 بيتا . 2) نفحات الانس وهو ترجمة مشايخ الصوفية من جميع البلاد الاسلامية ، ويشتمل على معلومات قيمة حول 614 من كبارهم . 3) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص شرح فيه عقائد العارف المغربي الكبير الشيخ محي الدين ابن العربي في كتابه فصوص الحكم ومختصره نقش الفصوص ، وجمع فيه الى جانب ذلك اقوال الشراح الاخرين لنصوص الحكم خصوصا عقائد عقائد الشيخ صدر الدين القونيوي مريد وملازم الشيخ محي الدين . (المترجم) .

حياة المعتمد بن عباد في الاندلس كشاعر

للاستاذ ابراهيم حركات

اشبيليـــة ــ

عاش المعتمد بن عباد ، أكثر حياته الادبية . في اشبيلية التى وصفها ياقوت فيما بعد ، بانها مدينة كبيرة عظيمة ، وليس بالاندلس أعظم منها . وكانت تدعى حمص أيضا ، وقال عن مقام بنى عباد بها ، انه كان سببا في خراب قرطبة ، لان مركز الثقل في الحيـاة السياسية تحول بعد سقوط دولة الامويين الى اشبيلية، وتطور الحضارة تقدما أو ضعفا : يتبع تطور الحيـاة السياسية .

وكانت اشبيلية بحكم موقعها على ضفة الوادى الكبير ، تنعم بخيرات سهوله الفسيحة ، وتشكل ميناء نهريا نشطت فيه حركة السفن التجارية ، كما كانت مركزا لكور (أي دوائر) كثيرة ، ونزلت بها طائفة من جند الشام خلال الفتح الاسلامى ، وكانت تجارتها واسعة ، خصوصا فى انتاج الزيت . اذ كانت ناحيتها مكسوة باشجار الزيتون ومن اكبر المدن التابعة لها في القرن الخامس الهجرى باجة التى ولد بها المعتمد ، واشتهرت بصباغة الجلود ، وصناعة الكتان ، وشلب مسقط راس ابن عمار ، وشنتمرية التي هي اليوم من مدن البرتغال .

وكانت اشبيلية خصبة التربة ، معتدلة الهواء وحولها جبل الشرف الذى يمتد حوالى 50 كم مكسوة باشجار التين والزيتون ، ولم تكن مدينة تفوقها عظمة ايام ملوك الطوائف ، وكانت فيما بعد مركزا لولاة المرابطين فى الاندلس .

وقد جمع المجتمع الاشبيلى بين حياة الجد التى تتمثل فى نشاطه التجارى والصناعى ، وحياة اللهو التى جعلت منه مجتمعا مشهورا بالخلاعة والطرب كما يقول صاحب نفح الطيب . وكما عبر ابن رشد بقولته المعروفة . (اذا مات عالم باشبيلية ، فاريد بيع كتبه ، حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، واذا مات مطرب فاريد بيع كتبه حملت الى اشبيلية) .

امـــارة بنى عبــاد :

المعتمد اشهر ملوك بنى عباد الذين كانوا ينتسبون الى لخم اليمنية الاصل ، ويشك دوزى فى صحة هذا النسب مؤكدا انهم كانوا يوعزون الىالشعراء برد نسبهم الى لخم والتغنى بمحامد هذه القبيلة . ولا أوافقه على هذا كما سيتبين .

وفد عطاف جد بني عباد الى الاندلس فى جيش بلج القشيرى ، ثم استقر على ضفاف الوادى الكبير قرب اشبيلية . ومن اشهر حفدته : اسماعيل بن محمد قائد حرس هشام الثانى ، وامام مسجد قرطبة فيما بعد واخيرا قاضى اشبيلية فى عهد المنصور بن ابى عامر . وقد وصفه ابن عذارى بانه آية من آيات العلم ، وكان مثريا ولكنه كان ورعا فقيها حافظا ، وفى أيام الفتنة ضد الامويين نقل كثيرا من جالية قرطبة الى اشبيلية . وتولى مشيخة هذه المدينة الى أن توفى سنة 414 هـ وقد تولى ابنه ابو القاسم محمد خطة القضاء ، وورث اباه فىعلمه وجاهه ومنصبه ، ولما خشى أهل اشبيلية من خطر تدخل الحموديين طلبوا اليه أن يتولى امارة البلد فامتنع اولا ، ثم قبل بعد ان اشترط ان يحيط نفسه بمجموعة من المستشارين ، فيهم ابوبكر الزبيدى ابن الزبيدى اللغوى وعيسى بن حجاج الحضرمى ، ومحمد بن عبد الله الهوزنى ، ونلاحظ ان اكثر هذه المجموعة من اصل يمنى ، مما يمكن ان يؤكد ان بني عباد من أصل يمني ، فأقطعهم أراضي ضخمة، واستغل ثروته الطائلة فىشراء عدد ضخم من المماليك ، وانضم الى جنده مسيحيون ،

يسعى الكثيرون اليوم لايجاد تفاهم اكثر بين امم العالم ومدنياته ، فيعرفنا كل قوم بتاريخ القوم الاخرين وجغرافيتهم وادبهم واحوالهم السياسية والاقتصادية ، غير ان هذه المطالعات لا تكفي وحدها لنيل هذا الهدف . بل يجب السعي بادىء ذي بدء لفهم الاديان والمذاهب المعنوية للامم التي لبثت قرونا منشأ الهام المفكرين والفنانين ، والدليل الاخلاقي والاجتماعي لسائر سكان العالم ، وهي اليوم كذلك ترسم خط التفكير العام لكثير من افراد كل قوم وامة ، وتعتبر الدافع الاصلي لهم ، كما يجب الاهتمام بايجاد التجانس بين هذه المذاهب ، ولن يكون هذا الامر ميسرا الا بالاعتقاد بالوحدة السماوية والمعنوية للاديان فيجب العمل بهذه الحقيقة — التي كان العظماء يعتقدونها منذ القديم اكثر في عصر تلح فيه حاجة التعايش للتفاهم بين الامم والمدنيات لان بقاء المعنويات وتماديها في عالم يزداد بعده كل يوم عن عالم المعنى ، مرتبط بسعة افق التفكير والبعد عن التعصب وقبول الحقيقة الشاملة للمذاهب المعنوية كلها وتعاضد الاديان وارتباط بعضها ببعض .

دعشــق خانقــاه وخرابات فرق نيســت
هرجاكه هست پرتوروي حبيب هســت
اديــن بديــن الحـب انــى توجهــت
ركائبــه فالحـب دينــي وايمانــي

فاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني

الغنــى يغيــر الاخــلاق

كان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق ، قد نالته عسرة ، ثم ولى عملا ، فأتاه محمد زائرا ، ومسلما عليه ، فرأى منــه تغيــرا !!! فكتب اليــه :

لئــن كــانت الدنيــا أنالتــك ثروة — واصبحت ذا يسر، وقدكنت ذا عسر
لقد كشف الاثــراء منــك خلائقــا — من اللؤم، كانت تحت ثوب من الفقر

الادبية التى عرفها القرن الخامس الهجرى كابن زيدون وابن حمديس وابن اللبانة وابن القصيرية ، فضلا عن الشعراء الذين لولا هذا البلاط لظلوا نسيا منسيا ، كابن عمار وابن وهبون وابن جخ ، وحتى الرميكية التى ان لم تخلف ادبا يذكر ، فان زواجها من المعتمد ، لم يكن الا بسبب بداهتها الشعرية النادرة .

والحق ان طبيعة الاندلس وخصوبة تربتها وقصورها وثروة أهلها ومتنزهاتها كل اولئك ساعد على خلق جو من اللهو والطرب ، حيث تتسع آفاق الادب والشعر ، ويجد الكتاب والشعراء المجال لتفتح نبوغهم.

وكان للمعتمد وسط هذه المجموعة شخصيةالاديب المتذوق والشاعر الاصيل : يروى ان عبد الله بن ابراهيم الحجازى زاره فمدحه بعد غزوة الزلاقة بقصيدة مطلعها :

لا روع اللــه سربــا فى رحابهــم
وان رمونــى بترويــع وابعـــاد

فلما وصل الى قولـــه :

ولا سقاهم على ما كان من عطــش
الا ببعــض ندى كف ابــن عبــاد

قال له المعتمد : لاي شيء بخلت عليهم ان يسقوا بكفه ؟ فأجاب : اذا ، كان يلحقني من النقد ما لحق ذا الرمة فى قوله : ولا زال منهلا بجرعائك القطر .

فظهر السرور فى عينيه ، ثم كافاه ، وهو يرى ان ما اعطاه قليل فى حقه اذ قال : انا لله على ان لم يعننا الزمان على مكافاة امثالك .

ولقد تناول الشعراء فى اشبيلية كل فنون الشعر المعروفة فى هذا العصر ، ومن استعراض هذه الفنون باختصار ، يتجلى انا الى أى حد ، ساهمت اشبيلية ورجلها المعتمد فى ميدان الادب :

1 ــ وصف القصور :

نالت قصور اشبيلية حظا من وصف الشعراء خصوصا قصور المعتمد التى شهدت من ليالى الانس والمطارحات الشعرية ما حفظت المصادر الكثير منه .

كان المعتمد مقيما فى بعض الايام بقصر البستان فبلغه ان عددا من الوزراء والكتاب فيهم ابن زيدون وابو الحسن بن سراج ، اجتمعوا بالزهراء فتنقلوا بين قصورها يتعاطون الكؤوس بين شرفاتها حتى استقروا بين الازهار والجداول ، وبينما هم كذلك اذ وافاهم رسول المعتمد برقعة فيها :

حســد القصــر فيــك الزهـــراء
ولعمــرى وعمركــم مــا اشــاء
قد طلعتم بها شموســا صباحــا
فاطلعــوا عندنــا بدورا مســاء

على ان قصر البستان المذكور لم يكن باشبيلية بل بقرطبة التى حكمها المعتمد مدة قصيرة .

وكان للمعتضد والد المعتمد قصر على ضفةالوادى الكبير يدعى بقصر الزاهر ، الا ان المعتمد ترك فيه حريم والده بعد موته ، وبنى هو لنفسه عدة قصور منها الوحيد والمبارك والزاهى فضلا عن قصر الزاهر وكل هذه باشبيلية ، وحينما كان المعتمد فى اغمات تذكر قصريه الزاهر والزاهى فقال فيهما :

فيا ليت شعرى هــل ابيتــن ليلــة
امامــى وخلفــى روضــة وغديــر
بمنبتــة الزيتــون مورثــة العلــى
يغنــي حمـــام أو تدن طيـــور
بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا
تشــير الثريــا نحونــا ونشــير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعــوده
غيوريــن والصــب المحب غيــور

وسعد السعود فى البيت الاخير تورية فلكية يقصد بها قاعة فخمة كانت تدعى بسعد السعود .

وهناك قصة مشهورة عن جارية مغنية اهداها ابن تاشفين الى المعتمد فقعد فى قصر الزاهر واخذت تغنيه أبياتا ظنها تعريضا به ، وهى :

حملوا قلوب الاسد بين ضلوعهــم
ولــووا عمائمهــم على الاقمـــار
وتقلدوا يــوم الوغـــى هنديـــة
امضى اذا انتضيت مــن الاقـــدار
ان خوفــوك لقيــت كــل كريهــة
او امنــوك حللــت دار قـــرار

فرمى بها فى النهر فهلكت .

اما المكرم والمبارك ، فكانا داخل المدينة وبهما حريمه ومكاتب موظفيه ، وقد حفظ ((المبارك)) حتى اليوم تحت اسم ((القصر)) وفى غرفة عليا منه قتل المعتمد ابن عمار بيده .

ومحاربون من النوبة والسودان ، ولاجئون من مختلف امارات الطوائف ، وقد كان ابو القاسم شاعرا رقيقا وتوفى سنة 433 فخلفه ابنه عباد الملقب بالمعتضد ، وكان قاسيا حقودا ، قتل بيده عددا كبيرا من حاشيته ليستبد بالامر وحده ، وفيهم كما يقول عبد الواحد المراكشى من اماته فقرا وخمولا او نفاه عن البلاد .

ومن اغرب ما رواه هذا المؤرخ الاديب ان سكان اشبيلية تسامعوا بظهور بعض الامراء من بقايا بنى امية كالمستظهر والمستكفي فرغبوا فى أن ينصبوا أحدهم خليفة، وحينئذ لجأ المعتضد الى حيلة تدل على مبلغ حبه للسلطة فادعى ان هشام الاموى يعيش فى قصره ، واخذ يحكم باسمه ، ويدعو له على المنابر الى ان اعلن موته سنة 455 هـ وادعى انه عهد اليه كتابة ، بتولى الامر بعده على كل بلاد الاندلس .

وكان المعتضد مع ذلك ، يتذوق الشعر ويطرب لسماعه وينشىء منه الجيد ، وشغل نفسه بالخلاعة والمجون اوقات فراغه حتى كان فى قصره العديد من الغلمان والجوارى ، وكان عارم الشهوة . سفاكا للدماء حتى قتل بيده وزيره الهوزنى العالم المحدث ، واستضاف مرة ، عددا من امراء المراكز المجاورة كرندة ومورو واركش وادخلهم حماما ثم اغلقه عليهم حتى اختنقوا وماتوا ، فاستولى على مراكزهم ، وقيل انه اتخذ من رؤوس بعض قتلاه اواني للازهار ، وصفها فى قصره ، وكان يقول : فى مثل هذا البستان فليتنزه ـ وكان كثير الحروب ولكن قلما شارك فيها بنفسه . بل يوجه العمليات من بعيد ، ويترك القيادة لابنائه أو قواده ، وكان مما ضمه الى مملكته ، قرمونة ولبة وشلب ومرتولة والجزيرة الخضراء وشنتمرية ، وكان يسالم المسيحيين ، ويقدم اليهم الجزية اتقاء لخطرهم .

وقد قتل المعتضد ابنه اسماعيل بيده ، بعد ان استصفى أمواله ، لانه حاول ان يفتك به فى جماعة من الاراذل الذين تسوروا عليه قصره ليلا باشبيلية ، ومات المعتضد من الذبحة الصدرية سنة 464 بعد ان حكم 28 سنة ، وكان ابن أخيه يسمى اسماعيل ايضا ، وهو جامع ديوانه .

ثم خلف المعتضد ، ولده وولي عهده ، محمد المعتمد .

المعتمد بن عباد :

تولى العهد بعد مصرع اخيه اسماعيل ، وقاد الجند ، كما ورث عن والده كلفه بالشعر والنساء ، وكان اشعر ملوك الاندلس يتذوق الادب ويقرض الشعر ، حتى كان الشعراء يتحامونه ولا يتقدم منهم لمدحه ، الا المجيد الواثق من شعره ، وكان الى ذلك سخيا ، جمع بلاطه كثيرا من الشعراء ، فيهم عبد الجليل بن وهبون وابو الوليد بن زيدون الذى ساعده على فتح قرطبة وابو بكر ابن عمار ، وامتدحكم المعتمد الى مرسية وقرطبة التي استخلف عليها ولده عباد الملقب بالمامون .

وفى سنة 478 هـ استولى الفونسو السادس على طليطلة من يدبنى ذى النون وطمع فى الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة ، فاجتاز المعتمد بنفسه الى المغرب مستنصرا بيوسف بن تاشفين سنة 479 هـ .

وبدات العلاقة حسنة بين الملكين بعد معركة الزلاقة، ولكن المعتصم صاحب المدية اوغر صدر يوسف على المعتمد وشارك الفقهاء بدورهم فى ذلك وقد نقموا على المعتمد اسرافه فى اللهو واهماله شؤون الملك .

وهكذا استولى المرابطون على طريف سنة 483 هـ واشترك البربر والاندلسيون الحانقون على المعتمد فى الاستيلاء على قرطبة وقتل المامون سنة 484 هـ ثم حضر سيد بن ابي بكر بن تاشفين ونهبت جيوشه اشبيلية بما فيها قصور المعتمد الذي اخذ قبضا باليد بعد ان دافع دفاع اليائس وتم نقله الى طنجة ثم اغمات التي لم تطل بها اقامته حيث مات سنة 487 أو 488 هـ وقيل غير هذا التاريخ .

المعتمد والادب فى اشبيلية :

عنى أهل الاندلس بالدراسة واقتناء الكتب ، واشتد ميلهم الى الادب وقرض الشعر ، وكان للموسوعات الادبية الشرقية اثر لا ينكر فى تكوينهم الادبى ، واشترك فى قرض الشعر مثقفون وعوام ، ولم يكن المثقفون من الموظفين والاساتذة فقط ، بل كان فى طبقة الصناع والفلاحين كثير ممن ادركتهم حرفة الادب كابن عمار قبل اتصاله بالمعتمد وابن جامع الصباغ ببطليوس ويحيى القصاب بسرقسطة وابى تمام غالب بن رباح الحجام ، وعبد العزيز اخو ابن اللبانة وكان تاجرا يقرض الشعر .

ولعل اخصب مشاركة فى الحياة الادبية هي كمايقول بيريس ، مشاركة طبقة الفلاحين الذين استمدوا من الطبيعة وخصب التربة وجريان المياه اجود ما يمكن ان يستلهمه شاعر ، ولقد تفتحت براعم شاعرية ابن عمار فى وسط هذه الطبقة ، وبين الحقول والمزارع .

وكان حظ اشبيلية من الادب ورجاله لا يضاهى فى سائر الاندلس ، فقد نزل ببلاط المعتمد ابرز الشخصيات

ووصف ابن مرزقان الاشبيلى شمعة اهديت للمعتمد فقال :

مدينـــة فى شمعــــة صــــورت
قامــت حمــاة فــوق اسوارهـــــا
تصــــير الليـــــل نهـــــارا اذا
مـــا اقبلــت ترفــل فى نارهـــــا

5 — اللهو ومجالس الانس :

شغف المعتمد بحياة اللهو واللذة ، وان لم يتفرغ لها كليا ، ويؤخذ عليه انه لم يحاول أن يخلص نفسه من ضغط الممالك المسيحية التى ارغمته على دفع الجزية ، فاكتفى بالاستنجاد بملك المغرب ، ولكنه غير مسؤول وحده عن هذه الاهانة ، فهناك ملوك الطوائف الاخرون.

وكانت مجالس الانس تجمع بين الطرب والشعر والخمر ، وقد اشتهرت اشبيلية كما ذكر آنفا ، باقبال اهلها على الطرب — حتى لقد كان الرشيد ولد المعتمد يضرب على العود بمهارة فائقة .

لم يكن المعتمد يفرق بين ايام السنة من حيث الاقبال على اللهو ومجالس الانس ، فكان يضم ندماءه فى أى وقت ممكن من السنة ، وذات مرة جمع مجلسه بعض ندمائه من الادباء ، وكان الجو غائما ، وقد جلس بين الورد والنرجس والجلنار (فى روض قد بعث رياه وبث الشكر لسقياه ، فكتب الى الاديب الطيب ابى محمد المصرى) (نفح 6) :

أيهــا الصاحـــب الـــذى فـــ
ـــارقت عينى منه السنى والسنـــاء
نحن فى المجلس الذى يهــب الراحـــ
ـــة والمسمع الغنـــى والغنـــاء
نتعاطى التى تنســى مــن الرقـــ
ــــة واللـــذة الهـــوى والهـــواء
فاتـــه تلـــف راحـــة ومحيــــا
قــد اعــدا لــك الحيــا والحيــاء

وقدم الاديب المصرى ، فازداد المجلس به طربا ، واجازه المعتمد اجازة سنيـــة .

واحتجب المعتمد مرة فى يوم غيم مع الرميكية التى كانت تدعى كذلك ام الربيع واعتماد والسيدة الكبـــرى فكتب اليه ابن عمار :

تجهم وجه الافق واعتلت النفــــس
لان لم تلح للعين انـــت ولا شمـــس

فان كان هذا منكمـــا مـــن توافـــق
وضمكما انس فيهنيكمـــا الانـــــس

فاجابه المعتمد يخاطبه بخطاب التثنية وهـــو استعمال جرى منذ الجاهلية :

خليلى قولا هــل علـــي ملامـــة
اذا لم أغب الا لتحضرني الشمـــس
واهدى باكواس المدام كواكبــــا
اذا ابصرتها العين هشت لها النفس
سلام ســلام انتما الانــس كلـــه
وان غبتما ام الربيع هي الانـــس

6 — الخمـــريـــات :

موضوع الخمريات يرتبط بطبيعة الحال بمجالس الانس واللهو ، ولكن له خصائصه ومميزاته الادبية ، وقد كان لتناول الخمر فى المجالس الملكية عادات خاصة، فالخمر يقدم بعد الطعام ويطوف الساقى بنفس الكأس على سائر الحاضرين ، وقد يتناول كل منهم كأسا على حدة ، والساقى يختار من ذوى القوة والجمـــال ، اذ يتحمل مهمة السقى الى وقت متأخر من الليل عنـــد الاقتضـــاء .

لم يكن امراء البلاط العبادى وعلى راسهم المعتمد، يتحرجون من شرب الخمر بين الندماء ، بله وصفهـــا شعرا ، وقد حضر ابن عمار مجلس انس للرشيد بن المعتمد ، وبين الحاضرين كذلك المطرب ابو بكر بـــن الاشبيلى فقال ابن عمار بهذه المناسبة :

ما ضر ان قيل اسحق وموصلـــه
ها أنت أنت ، وذى حمص واسحـــق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت بـــه
وآن تشابه أخـــلاق وأعـــــراق
للـــه درك داركهـــا مشعشعـــة
واحضر بساقيك ما قامت بنا ســـاق

ولقد وصف المعتمد الساقى باوصاف عادية لا نجد فيها خروجا عن المألوف مما نلمسه فى شعر ابى نواس فقـــال :

للـــه ســاق مهفهـــف غنـــــج
قـــام ليسقـــى فجـــاء بالعجـــب
أهدى لنا مـــن لطيـــف حكمتـــه
فى جامـــد المـــاء جامـــد الذهـــب

وفى مجلس ضم المؤتمن بن المعتمد ، وابن عمار ، وصف هذا الشاعر الساقى باروع مما تقــدم ولو ان

ولقد بالغ ابن حمزيس وهو يصف احدى دور دور المعتمد بقوله :

ويا حبذا دار قضى الله انها
يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو ان موسى كليمه
مشى قدما فى ارضها خلع النعلا

2 — المنتزهات والطبيعة :

كان فى ضواحى اشبيلية اماكن كثيرة للتنزه كمرج الفضة الذى يقع على ضفة الوادى الكبير ، والذى كان يقصده للنزهة افراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم ، ووادى الطلح الذى يقع بين شعاب جبل الشرف ، وكان يتوسط الوادى الكبير عدد من الجزر الصغيرة التى تتخذ للنزهة . هذه الطبيعة الناعمة هي التي اوحت الى ابن زيدون قوله :

مجتنى مدن وظل برود
ونسيم يشفى النفوس مريض
ومياه قد اخجل الوردان عا
رض تذهيبه لها تفضيض
كلما غنت الحمائم قلنا
معبد أذ شذا اجاب الغريض

وكانت الرياحين والازهار التى تزين الجنائن والحقول ، متنوعة ، وبينها الياسمين والبنفسج والنرجس والاقحوان والسوسن والورد والخرم والنيلوفار وزهر الباقلاء .

ولعل اروع ما وصفت به طبيعة اشبيلية ونهرها الشهير ، قول ابن اللبانة ، وقد ورد فى عرض قصيدة طويلة يتأسف فيها على بنى عباد وضياع دولتهم :

ارض كان على اقطارها سرجا
قد اوقدتهن فى الاذهان انبات
وفوق شاطىء واديها رياض ربى
قد ظللتها مى الانسام روحات
كأن واديها سلك بلبتها
وغاية الحسن اسلاك بلبات

3 — البحر والسفن :

على الرغم من ان المعتمد كان يملك اسطولا بعضه بالوادى الكبير ، وبعضه بميناء الجزيرة الخضراء فان قليلا من الشعر حظى به هذا الاسطول الذى كان خير مساعد لابن تاشفين على الاستيلاء على سبتة ، وهى آخر ما ضمه الى ملكه من المغرب ، قبل ان يقبل المغامرة الحربية فى الاندلس ، والى هذا الحين ، نجد الاندلسيين شأن آخرين من العرب حينئذ ، ما يزالون يخشون أهوال البحر ، حتى لنرى ابن حمديس واصله من صقلية (التى يحيط بها البحر من كل جهة) يقول بعد ان استقدمه المعتمد :

لا اركب البحر أخشى
علي منه المعاطب
طين انا ، وهو ماء
والطين فى الماء ذائب

على ان ابن حمديس التحق ببلاط المعتمد فيما بعد، ومن شعره فى الموضوع يخاطب ابن تاشفين :

اراك ركبت فى الاهوال بحرا
عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا
وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندي
امور ألجأتك الى ركوبه

وقد احرق المرابطون شوانى المعتمد التى كانت راسية بالوادى الكبير ، ومن اجود ما وصف به اسطول المعتمد قول ابن اللبانة :

ملأ الكماة ظهورها وبطونها
فأتت كما ياتي السحاب المغدق
عجبا لها ما خلت قبل عيانها
أن يحمل الاسد الضواري زورق
هزت مجاذيفا اليك كانها
اهداب عين الرقيب تحدق

4 — موصوفات أخرى :

لم يكد يشذ شيء لم يتناوله الشعراء بالوصف فى هذه الحقبة . فكما وصفوا القصور والمتنزهات والبحر والسفن ، وصفوا كذلك الانواء وادخلوا الكواكب وحركتها وضياءها فى تشبيهاتهم ، كما وصفوا الشموع والجواهر والمطر والسقايات وغير ذلك ، وصف المعتمد النجوم بمناسبة نزهة ليلة رائقة فقال :

لما اراد تنزها فى غربه
جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه
لالاؤها فاستكمل اللالاء

وفي هذه القصيدة عرض ابن عمار بالرميكية اذ قال :

تخيرتها من بنات الهجان
رميكية ما تساوى عقالا

اما عن العلاقة المذكورة فلا يجمل نقل الابيات التي تتناولها .

ولقد تهتك عدد من الشعراء في غزلهم حتى انحطوا بهذا الفن الادبي في اللفظ والمعنى على السواء واعتمدوا على الاوصاف المادية وتذللوا في حبهم وعبروا عن لوعة النفس وفرقة الحبيب واعجبوا بالشعر الاشقر والعيون الزرق وجمال القامة كما وصفوا الثغر وشبهوه بالازهار والرياحين .

ومن الطف ما ارتجله المعتمد بداهة وقد كانت تسقيه جارية فلمع البرق فارتاعت ، قوله :

روعها البرق وفي كفها
برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى
كيف من الانوار ترتاع

وارتابت اعتماد مرة في حبه فقال :

تظن بنا ام الربيع سآمة
الا غفر الرحمن ذنبا تواقعه
أأهجر ظبيا في ضلوعي كناسه
وبدر تمام في جفوني مطالعه ؟

8 — الالعاب والطرديات :

اسهر لعبة عرفها الاندلسيون في هذا العهد هي لعبة الشطرنج ، ويروى عبد الواحد المراكشي في هذا الموضوع قصة طريفة ، ذلك ان الفونسو السادس قرر مهاجمة اشبيلية ، فصنع ابن عمار مائدة شطرنج من الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، وكان يتقن لعب الشطرنج ويعلم ان الفونسو مولع به كذلك ، وبلغ الى الفونسو خبر هذه المائدة عن طريق حاشيته ممن اوعز اليهم ابن عمار بالحديث عنها امام الفونسو ، فرغب في الحصول عليها ودعا ابن عمار الى اللعب معه فاشترط هذا الاخير في حالةانتصاره ان ينزل الفونسو عند اي رغبة يعبر له عنها ، وبعد ان تردد الملك المسيحي طويلا قبل بناء على الحاح حاشيته ، وتم انتصار ابن عمار فعلا فدعاه الى العدول عن مهاجمة اشبيلية فلم يسع الفونسو الا ان يتخلى عن هذا الهجوم وعاد مع ذلك بجزية سنتين اداها المعتمد .

وعند ما رثى ابن اللبانة المعتمد اشار الى بعض مجالسه التي كان يلهو فيها بالشطرنج اذ قال :

ونحن من لعب الشطرنج في يده
وربما قمرت بالبيدق الشاة

ومطلع القصيدة :

لكل شيء من الاشياء ميقات
وللمنى من مناياهن غايات

وكان الصيد من ملاهي ملوك الطوائف ، فوصفوا جيادهم وانطلاقهم بها في اثر الطرائد ، وكلابهم وبأسها كما عنوا بوصف الجوارح ، ونجد من الفنون الشعرية نوعا يدعى بالمطيرات كاد يستقل به ابن زيدون والمعتمد في مراسلات شعرية شبيهة بالالغاز تتناول وصفالطيور اذ كان المعتمد شديد الولع بالصيد ، وله في ذلك مراسلات شعرية الى والده يستأذنه فيها ، في مباشرة الصيد ، ومن مطيرات ابن زيدون الى المعتمد :

فاسأل الشاهين والصقرين والعنقاء تخبر
ثم بعد الديك عد النسر والرأل المنفر
والحبارى والسمانى والشقراق المحبر

واستعمل المعتمد الحمام الزاجل في مراسلات الدولة ومراسلاته الخاصة الى اصدقائه وجواريه .

9 — البطولة والفخر :

ان التفاصيل التي يقدمها الشعر الشرقي فيهذاالموضوع اكثر على العموم مما يقدمه الشعر الاندلسي ، الا ان الشعر الاشبيلي اغتنى كثيرا بما زودته به المناسبات الحربية التي لم تكد تنقطع خلال هذا القرن ، وتناولت البطولة وصف الانتصار والصمود واحيانا طريقة القتال مع التعرض لبعض ادوات الحرب واسلحته ، واتخذ موقفالوداع صورا غاية في التأثير واثارة الاشفاق، سواء أكان الوداع من اجل الحرب او لسبب آخر ، قال المعتمد

ولما التقينا للوداع غدية

وقد خفقت في ساحة القصر رايات

بكينا دما حتى كأن عيوننا

تجري الدموع الحمر منها جراحات

انما من المؤسف ان الشعراء انفسهم ، لم يكونوا فرسانا يخوضون معا مع القتال ، فكانوا اشبه بالمصور الذي يتخيل منظر الحرب ولا يصطلي بنارها ، وهذا عبد الجليل بن وهبون يتحمس للحرب وهو لا يشارك فيها :

وصفه لا يخرج عن التشبيهات المعتادة من تمثيل بالقمر والغصن ، غير ان البيت الاخير مما يلى يشبه فيه انامل الساقى بالسوسن وعينيه بالنرجس ، ذلك ان الازهار لعبت دورا فى الادب الاندلسى اكثر مما مثلته فى الادب الشرقى :

وهويته يسقى المدام كانه
قمر يدور بكوكب فى مجلس
متارج الحركات تندى ريحه
كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسعى بكأس فى انامل سوسن
ويدير اخرى من محاجر نرجس

ومما يؤثر عن المعتمد انه كان كثير المراسلة بواسطة السعر ، وشملت مراسلاته ، الاخوانيات من من اشتياق وتشك وما الى ذلك ، فضلا عن الخمريات والغزل :

حضر ابو بكر الدانى المعروف بابن اللبانة ، مجلس انس للمعتمد ، فأطربه بشعره ، ثم اجزل صلته، وبعد ان انصرف ابو بكر الى منزله لحق به رسول المعتمد برقعة وكأس بلار مائت عتارا وورد فى الرقعة قوله :

جاءتك ليلا فى ثياب نهار
من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لف من مريخه
اذ لفه فى الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذا فتألقا
لم يلق ضد ضده بنفار

7 — الغزل :

كان وصف جمال المراة فى الاندلس احيانا عنيفا فى الشعر وقد خصص المعتمد لحظاياه كثيرا من الشعر الرقيق كالرميكية التي كان يلقبها بأم الربيع، وكجواريه سحر وجوهرة وداد ، وهذه ربما كانت كلها القابا أو اسماء استحدثها المعتمد وهى تناسب رقة الحضارة التى عرفها عصره .

والظروف التى تعرف فيها المعتمد الى الرميكية مشهورة ، فقد رووا انه ركب زورقا مع ابن عمار فى نهر اشبيلية وقد زرد الريح النهر ، فقال المعتمد : اجز :

صنع الريح من الماء زرد

فأطال ابن عمار التفكير فلم يحر جوابا ، وكان على ضفة النهر ، الرميكية مع جماعة من الصبانات وكانت تسمع ما يجرى بين الرجلين ، فاتمت على الفور :

أى درع لقتال لو جمد

وسرعان ما دعاها المعتمد الى الالتحاق بحريمه وقد اعجب ببداهتها وثقافتها الادبية واصبحت اعز نسائه حتى رافقته الى سجنه بالمغرب ودفنت الى جانبه بعد موتها .

وكانت الرميكية قد اشتهت يوما ان تمشى فى الطين فامر بسحق انواع كثيرة من الطيب ونثرها فى ساحة القصر ، ثم خاضت فيه هى وجواريها ، والى ذلك اشار فى احدى قصائده وهو فى الاسر :

يطأن فى الطين والاقدام حافية
كانها لم تطأ مسكا وكافورا

وقال فى جوهرة وقد عبر عن تمكن حبها من قلبه :

جوهرة عذبنى	**منك تمادى الغضب**
فزفرتى فى صعد	**وعبرتى فى صبب**
يا كوكبالحسن الذى	**ازرى بزهر الشهب**
مسكنك القلب فلا	**ترضى له بالوصب**

وقال فى وداد :

اشرب الكأس فى وداد ودادك
وتأنس بذكرها فى انفرادك

وفى سحر :

عفا الله عن سحر على كل حالة
ولا حوسبت عما انابها واجد
اسحر ظامت النفس واخترت فرقتى
فجمعت احزانى وهى شوارد

ولم يخل بلاط ملوك الطوائف من الغزل المذكر الذى سبق ان عرفه الشرق قبل ذلك بثلاثة قرون ، وتوفر من دواعيه بالاندلس قريب مما توفر بالمشرق ، فان ملوك الاندلس وامراءها اولعوا باقتناء الغلمان من الصقالبة يربونهم ويؤدبونهم ، ثم يتخذونهم سقاة وندماء وجندا ومسؤولين فى الدولة ، ومن اعجبما يذكر فى هذا الموضوع ما كان بين المعتمد وابن عمار فى شبابهما من علاقة شاذة اشار اليها هذا الاخير فى قسيدته التى مطلعها :

الا حى بالغرب حيا حلالا
اناخوا جمالا وحازوا جمالا

يا أيها الملك العلي الاعظم
اقطع وريدى كل باغ ينأم
واذكر صنيع ابيك أول مرة
فى كل متهم فانك تعلم

وكان المعتمد اذكى واكرم من ان يستجيب للوشاة. بل وقع على ظهر هذه الرقعة ابياتا منها :

كذبت مناكم صرحوا وجمجموا
الدين امتن والسجية اكرم
انى رجوتم غدر من جربتم
منه الوفاء وظلم من لا يظلم
كفوا والا فارقبوا لى بطشة
يلقى السفيه بمثلها فيحلم

وقد امتن ابن زيدون لهذه المكرمة من المعتمد ، فمدحه بقصيدة من خمسين بيتا . ومنها :

امطيتنى متن السماء برتبة
علياء منكب عزها لا يزحم
لي منك ، فليذب الحسود تلظيا
لطف المكانة والمحل الاكرم
الفخر ثغر من حياضك باسم
والمجد برد من وفائك معلم

ومن الطبيعى ان ينوه مادحو المعتمد بادبه وتذوقه للشعر . وقد اعجب المعتمد مرة ببيت للمتنبى بمحضر عبد الجليل بن وهبون فقال هذا بالمناسبة :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللهى تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى
بانك ترويه ، اذا لتألها

ولابن وهبون مع هذا صور رائعة فى مدح المعتمد، كقوله :

ما القفر الا مكان لا تحل به
وحيثما سرت سار البدو والحضر

ومدح المعتمد والده فى عرض قصيدة استعطاف ، ولكنه لم يات بجديد ، فصفات الهمام والسميذع والكرم التى وصفه بها مألوفة الى حد الابتذال :

من مثل قومك من مثل الهمام ابى
عمرو ابيك له مجد ومفتخر
سميذع يهب الآلاف مبتدئا
ويستقل عطاياه ويعتذر

11 — الرثاء :

لا يختلف رثاء الميت فى اشبيلية عنه فى سائر الاندلس ، وهو مستمد من الرثاء الشرقى الذى يتناول دعوة المفجوع الى التصبر ووصف الميت بمحامده وماثراته ، وقد رثى ابن زيدون المعتضد بقصيدة القاها بين يدي المعتمد فأحسن اذ جمع بين رثاء الاول ومدح الثاني .

لك الخير ان الرزء كان غيابة
طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان اسخنها البكا
وقرت قلوب كان زلزلها الذعر

وعندما قتل المامون والراضى (ولدا المعتمد) رثاهما ابوهما فعبر عن لوعته بقوله :

فما لى لا ابكى ، ام القلب صخرة ؟
وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر

ثم عزى نفسه بقوله :

غدرت اذا ، ان ضن جفنى بقطرة
وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر

وفى رائية اخرى يتذكرهما فتسيل عبراته وهو فى الاسر :

يقولون صبرا ، لا سبيل الى الصبر
سأبكي وأبكى ما تطاول من عمرى
توليتما ، والسن بعد صغيرة
ولم تلبث الايام ان صغرت قدرى

ولعل اروع ما رثيت به دولة اختفت من الوجود بالاندلس ، هى دولة بنى عباد . ومن المعلوم ان شعراء الاندلس كانوا ابرع من اخوانهم المشارقة فىوصف الدول البائدة ، ومما ورد فى قصيدة ابن اللبانة التى مطلعها :

(تبكي السماء بدمع رائح غادي
على البهاليل من بني عباد) ،

قوله يصف وداع السكان للمعتمد وهو يركب سفينة ضمن الاسطول المرابطى :

حان الوداع فضجت كل صارخة
وصارخ من مفداة وفاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها
كانها ابل يحدو بها الحادي
كم سال فى الماء من دمع ، وكم حملت
تلك القطائع من قطعات اكباد

سارمي بهماتي قصاري مراتبـــي
وان كان ادناهـا يطيـل طلابــي
لتعلـم اطــراف الاسنـة اننـــي
كفيل بها عند الصـدى بشرابـــي

ومن حسن الحظ . فاننا نلمس فى شعر المعتمـد صدق العاطفة ، فقد كان يقود الكتائب بنفسه ، وكان معجبا بالبطولة العسكرية ، ولكنه يظل دائما ، نفـس الرجل الذى يفتنه الجمال حتى فى ظروف الحرب ، قال يخاطب فتـــى :

ولمـا اقتحمت الوغــى دارعـــا
وقنعـت وجهـك بـالمغفــــــر
حسبنا محيـاك شمـس الضحـى
عليهـا سحــاب مـن العنبــــر

وهكذا يشبه المعتمد قرطبة بعد احتلالها ، بعروس تزوجها بحد السيف :

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعـت
من جاء يخطبها بالبيض والاســـل

وقد جرت العادة فى هذا العصر ، بتوجيه الانذار الى الخصم قبل مجابهته بالحرب ، وعندما سعـــى المعتصم بن صمادح بالمعتمد ، لدى يوسف بن تاشفين ، قال المعتمد ينذره :

يا من تمرس بــى يريـد مساءتــى
لا تعرضن فقـد نصحـت لمنـدم
من غره منــى خلائـق سهلـــة
فالسم تحت ليان مـس الارقــم

وفى معرض الفخر ، يعبر شعر المعتمد عن شمم ورغبة فى الجهاد اذ يقول :

غزو عليـك مبـــارك ... فى طيه الفتـح القريـب
للـــه سيفـك انـــه ... سخط على دين الصليب

ولم يرض المعتمد بالاستسلام للبربر المرابطين حتى قاتلهم بحد السيف ، وقد فاجأوه ولم يكن عليه درع :

قالـــوا الخضــوع سياســـــة
فليبـد منـك لهـم خضــــوع
قـــد رمـــت يـــوم نزالهـــم
الا تـحصننــــى الــــدروع
مـــا ســـرت قـط الى القتـا
ل وكـــان مـــن املــى الرجــوع
شيـــم الالـــى انـــا منهـــم
والاصـــل تتبعــــه الفــــروع

10 — المـــدح :

لم يشذ الشعر الاندلسى عن طريقة المشارقة فى الاستهلال بالغزل والتملق وذكر المحامد وبما ان البلاط الاشبيلى جمع فى القرن الخامس اشهر شعـــراء الاندلس ، وان بنى عباد كانوا اغنى واكرم ملـــوك الطوائف ، فقد وجد المجال للمدح والتغنى بكرم هـــذه الاسرة الملكية ونضالها فى الحروب وتشجيعها للادب ، ولكن ظاهرة التملق . طغت على هذا الشعر حتى كاد يكون استجداء ، وممن مدحوا المعتمد ، ابن زيدون وابن حمديس وابن عمار وابن وهبون وابو بكر الدانـــى وآخرون .

ومن شعر المدح نستفيد ان المعتمد كان يلقـب بالمؤيد ايضا ، وقيل ان هذا اللقب لم يتخذه الا بعد ان اصبحت اعتماد الرميكية فى عداد حظاياه . وقد ورد ذكر المؤيد فى شعر ابن عمار اذ يقول :

الا ان بطشـا للمؤيــد يتقـــى
ولكـن عفـوا للمؤيـد ارجـــح

وكذا فى شعر الدانى :

كان المؤيد بستانـــا بساحتهـــا
يجنـى النعيـم وفى عليائهـا فلكـا

ومدح ابن زيدون المعتمد ، فاذا هو يبالغ : حتى ليعتبر عصيانه كفرا :

وطاعــة امـــرك فـــرض ارا
ه مــن كـل مفتـرض او كــــدا
هى الشرع اصبح ديـن الضميـــ
ـر فلو عصـاك لقـد الحـــدا

ومن اطرف ما يذكر هنا . ان المعتمد نفسه كان مادحا فمدح والده وابن زيدون وابن عمار فقال فى ابن زيدون :

لك العلم مهمـــا ارد بحــــره
لاروى بــه ، احمـد المـــوردا
وفيـــك تجمعــت المآثـــرا
ت طرا فصرت بهـــا مفـــردا

وقد حاول كثير من اعداء ابن زيدون ان يوقعوا به لدى المعتمد ، حسدا له وبغضا على مكانته عنده .

ومن محاولاتهم فى ذلك ، ان رموا اليه برقعـة يحرضونه فيها على البطش بابن زيدون وغيره ممن كانوا سابقا فى بلاط والده ، ومما ورد فى هذه الرقعة :

أضواء على الأدب الإسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

(4)

هل اسهم جيل الاحفاد فى حقل المسرح ، وبيدر القصة ؟

نقول ، نعم ، ولكننا نردف بان الرصيد المسرحي والقصصي الذي تركه لنا هذا الجيل يبدو ضئيلا و (متواضعا) اذا قيس برصيده الغنائي ، وهو ، أي الرصيد المسرحي والقصصي ، يبدو بعين الصفة وذاتها اذا نحن وضعناه بجانب ما خلفه لنا جيل 98 من تراث مسرحي وذخيرة قصصية .

فلم تكن لجيل الاحفاد اصوات فى المسرح ، تطغى على اصوات المسرحي العظيم «بنافنتي» (1) الحامل لجائزة نوبل (1922) والذي قال عنه احد النقاد الانجليز : لا اتردد فى ان اصرح بانه ليس حاليا فى اوربا من اقصاها الى اقصاها مؤلف مسرحي يضاهي بنافنتي من حيث الاتقان والجودة والبراعة) ، والاخوين كينطرو الاشبيليين (2) اللذين قادا ، مع كتاب آخرين ، قافلة الفن المسرحي منذ اواخر القرن الماضي الى ما بعد الحرب الاهلية (1936) .

كما يذهب النقاد الى القول بان الكتاب المسرحيين الاحفاد لم يستطيعوا ان يصرفوا الناس عن مسرح بدرومونيوث‌تكا (3) (1881 — 1936) وكارلوس ارنيتس (4) (1866 — 1943) فهذان المسرحيان ومعهما الاخوان كينطرو وبنافنتي واتباعه ، اولئك جميعا ولا سيما فى الفترة الاولى من حياة جيل الاحفاد ، كانوا لا يزالون مفضلين عند الجمهور ، يتهافت على مسرحياتهم ويصفق لها (5) .

على ان الفترة الثانية من عمر هذا الجيل شهدت انتصارا باهرا يحققه فى عالم المسرح ، واحد من افراده هو الشاعر الشهيد فدريكو كارسيا لوركا (6) ، فقد الف مسرحيات فذة عظيمة من مثل : (ماريانا بيندا Mariana Pineda و « اعراس الدم » Bodas de sangre و (يرما او العاقر Yerma وغيرها من الروائع المسرحية التي نالت رضى الجمهور واعجابه وادمت اكفه بالتصفيقات وظفرت باعجاب النقاد المسرحيين واهتمامهم ، فذهب بعضهم الى

---

1) كان اسبق افراد جيل 98 الى الفوز والشهرة والظفر بذيوع صيت شعبي كبير ، حتى غدا ، فى عبارة باسطير ، الطفل المدلل من طرف الجمهور ، وتعتبر مسرحيته : ليلة السبت La nachedel s'abado الفوز المسرحي الاول لجيل 98 ، وقد ترجمت مسرحيته : المصالح المستحدثة Los interes creados الى العربية مرتين ، مرة على يد الاستاذ نجيب ابي ملهم ، واخرى على يد الدكتور لطفي عبد البديع .

2) هما خواكين وسرافين ، ينتميان تاريخيا فقط لجيل 98 . اما فكريا وايديولوجيا فلا علاقة تربطهما بالجيل الحاضر .

3) تشهد اعماله المسرحية بانه كان يحمل مواهب هزلية ومأساوية عظيمة ، واشهر مسرحية له هي : ثأر السيد مندو Venganza de Don Mendo

4) كان مسرحه مسرح عادات ، تمت اشكاله بصلة كبيرة الى مسرح اواخر القرن الماضي ، وبذلك ظل بمبعدة عن التجديد المسرحي الذي حمل بيرقه بنافنتي واشياعه .

5) انظر كتابي : G. Torrente Ballester, «Teatro Espanol contemporaneo»
y «Panorama de la Literatura Espanol contemporaneo»

6) انظر كتاب : Jesus Cizano - Federico Garcia Lorca - Edicion G.P., Barcelona, 1963

12 ــ الهجـــو والتهكـــم :

كان ابن عمار قد استطاع ان يستولى علـــى مرسية ، ولكنه امتنع من اطلاق سراح حاكمها ابـــن طاهر ، على الرغم من اوامر المعتمد بذلك ، وقد امكن لابن طاهر ان يفلت بمساعدة امير بلنسية . وقد اغضب ذلك ابن عمار فقال فى قصيدة له :

كيف التفلت بالخديعة مــن يـــدي

رجل الحقيقة من بنـــي عمـــار

كشاف مظلمة وسائـــس امـــة

نفـــاع أهـــل زمانـــه ضـــرار

شراب اكواس المـــدام وتـــارة

شراب اكواس الـــدم المهـــدار

وكانت هذه أول فرصة للمعتمد ، حتى يعبر عن كرهه لهذا الرجل الذي طالما احسن هو اليه ورفعه من الذل الى المجد . فقال يتهكم عليه معلقا علـــى قوله : **(رجل الحقيقة من بني عمار)** ومعددا محاسن بني عمار على سبيل السخرية :

الاكثريـــن مســـودا ومملكـــا

ومتوجـــا فى سالـــف الاعصـــار

والمؤثرين على العيـــال بزادهـــم

والضاربين لهامـــة الجبـــــار

ولم يسكت ابن عمار عن الرد بقصيدة كان فيهـــا حتفه ، لانه عرض فيها باولية بني عباد وزوجة المعتمد الرميكية وباشياء اخرى لا يليق ذكرها هنا ، ومما قاله فى هجو الرميكية :

تخيرتها مـــن بنـــات الهجـــا

ن رميكيـــة ما تســـاوي عقـــالا

وكان المعتمد قد وجه ابنه الراضي لفتح مرسيـــة فعجز عنها ، فعيره بالجبن والتقاعس عن الحـــرب والاشتغال بالمسائل الفكرية التي لا تغني فى مثل هذه الظروف :

الملـــك فى طـــى الدفاتـــر

فتخـــل عن قـــود العساكـــر

واضـــرب بسكـــين الـــدوا

ة مكـــان ماضـــي الحـــد باتـــر

واقعد فانـــك طاعـــم

كاس وقل هل مـــن مفاخـــر ؟؟

13 ــ الحوار (الاجازة) :

اولع شعراء الاندلس وخصوصا شعراء اشبيليـــة واسيرها المعتمد بالحوار الشعري المرتجل : يبدأ هـــو بشطر . ثم يدعو جلساءه من الشعراء الى اتمامـــه ، ويتعلق هذا النوع من الحوار القصير بمناسبة معينة .

خرج المعتمد الى ظاهر اشبيلية بخيله متسابقا ، ثم راى شجرة تين قد برزت منها ثمرة قد اينعت فقذفها بعصاه فعلقت بها . فاعجب المعتمد بهذا المنظر وطرب له . ثم تلاحق به اصحابه وفيهم ابن جامع الذي كـــان سباقا ثم ارتفع قدره عنده . فقال له المعتمد : اجز :

كانها كوق العصا ــ فقال : **هامة زنجي عصى**

ولما بنى المعتمد قاعة سعد السعود فوق قصر الزاهى احتفل بذلك ، وطلب من يجيز :

سعد السعود يتيه فوق قصر الزاهي

فعجز الجميع . واتم احد بنيه :

وكلاهمـــا فى حسنـــه متناهـــي

وغنى بين يديه بقول ابن المعتز :

وخمارة من بنـــات المجـــو

س ترى الزق فى بيتها زائـــلا

وزنا لها ذهبـــا جامـــدا

فكالت لنا ذهبـــا سائـــلا

فقال يجيزه على الفور :

وقلـــت خذي جوهرا ثابتـــا

فقالت خـــذوا عرضـــا زائـــلا

وسمع المؤذن يؤذن ، فقال يستجيز ابن عمار الذى كان برفقته :

هذا المؤذن قد بدا بأذانـــه

فقال ابن عمار : **يرجو بذاك العفو من رحمانه**

المعتمـــد : **طوبى له من شاهد بحقيقـــة**

ابن عمار : **ان كان عقد ضميره كلسانه**

ويدخل فى باب الحوار ، المطيرات أو المعميات التى هي مساجلات والغاز شعرية تراسل بها المعتمد وابن زيدون ، وقد مر منها نموذج فى الطرديات ، وقصدهما منها ترويض الذهن واختبار البديهة ، وتتضمن اسمـــاء طيور كثيرة .

ابراهيم حركات

مسرح كاسونا ليس اعظم مسرح وانما هو احسن مسرح .

ماكس أوب 1903 :

ناثر وباحث ، حرر فى مجلة (الغرب) الشهيرة ، ونشر دراسة حول القصة الاسبانية المعاصرة ، كما أصدر منتخبا للنثر الاسباني فى القرن التاسع عشر Antologia de la prosa espanola en el siglo XIX.

وصدرت له عن الحرب الاهلية الاسبانية ثلاثية قصصية هي :

1) حقل مسدود Compo cerrado
2) حقل مفتوح Compo abierto
3) حقل الدم Compo de sangre

كما نشرت له ثلاثية اخرى تحت عنوان مشترك ، هو : المهمه السحري . El laberinto magico

ومن اشهر آثاره المسرحية : نرجس Narciso وقاعة الانتظار Sala de espera والحياة الزوجية La vida conjugal والموت باغماض الاعين Morir por cerrar los ojos وسان خوان San Juan وموضوعها الهجرة الاسرائيلية ، ويرى بعض النقاد المسرحيين انها من بين اعمال ماكس المسرحية الاخرى بالاصالة واملؤها بالحيوية .

يضاف الى اولئك كاتبان آخران ، اصاب عطاؤهما المسرحي نجاحا عظيما ، وهما : ادكار نيفيل 1899 ، وانريكي خارديل بونثلا 1901 — 1952 ؛ ومن اشهر ما كتب الاول : اشباح البيت المهجور Los fantasmas de la casa deshabitada وانت لك عينا امراة شريرة Usted tiene ojos de mujer fatal ومن أبدع ما ذبج يراع الثاني : الرقص El bail وقد مثلت سبعمائة مرة .

*

نريد بعد ذلك ان نخلص الى الحديث عن حظ القصة ونصيب الرواية عند جيل الاحفاد ، والحقيقة التي تجدر الاشارة اليها فى البدء ، هي ان القصة والرواية لم يظفرا على يد الاحفاد بما ظفرا به على يد الكتاب السابقين من اهتمام وتخصص ، هؤلاء الذين ظلوا ، طول عمر جيل الاحفاد ، يرفدون القصة والرواية ، بما يكتبونه فى بيدرهما ، فباروخا ظل يكتب قصصا حتى بعد الحرب الاهلية ؛ بل حتى بعد 1940 ، وكا بربيل ميرو ورامون بريت دي ايالا وانورين ، كل هؤلاء نشروا بعضا من اعمالهم القصصية والروائية أثناء حياة جيل الاحفاد .

ويرى الاستاذ الناقد ك . طورنطي بايسطير انه اذا كان كل من يكتب قصة او قصتين يعتبر قاصا ، فان كثيرين من الكتاب الاحفاد يجب ان يعتبروا كذلك اما اذا كانت شخصية القاص والروائي تنطبق على سبيل امثال ، على بيوباروخا ، الذي كرس نفسه لكتابة الرواية ، وكان اعظم روائي فى جيل 98 فانه يجب علينا ان ننتظر خوان انطونيو دي ثونثونكي Juan Antonio de Zunzunequi كي نلمس فيه ملامح الشخصية القاصة وسماتها ، فهو الكاتب الوحيد من بين الكتاب الاحفاد ، الذي سخر قلمه وكرس نفسه لكتابة القصة ومعالجتها ، اما الباقي من اولئك الكتاب فهم قصاصون تارة ، مسرحيون اخرى ، شعراء غنائيون او مدبجو مقالات واحاديث ثالثة ، وبكلمة موجزة : هم ادباء عالجوا انواعا شتى دون ان يختصوا بواحد منها ، هم كتاب لا مختصون (8) .

ومن المع القصاصين ، غير المختصين ، فى جيل الاحفاد يمكننا ان نذكر : بنخامين خارنس 1888 — 1950 وفالنطيس اندريس الفريت 1891 ورفائيل ديسطي 1900 وبوطيس بولانكو 1898 وكلاوديودي لا طوري 1902 وانطونيو اسبينا 1894 وماريتيو باكاريسي 1895 — 1931 وراساكانل 1898 ومكيل فيالونكا 1891 — 1946 ورفائيل سانس ماثاس 1892 ولويس دي سانطا ماريا 1898 .

خوان انطونيو دي ثونثونكي 1902 :

نشأ فى مدينة البيلباو Bilbao وشغف بالادب وهو يخطر فى غلائل الشباب ، وتردد على نادي اكيليور Eguilior الشهير ، فكان من بين الكتاب الذين تم تكوينهم الادبي فيه ، وسافر عبر فرنسا وانجلترا وايطاليا حيث كان يزاول دراسته ، ولقد كان اغلب افراد جيله شعراء غنائيين او كتاب مقالات ودراسات على حين انه لم ينظم شعرا ولا كتب دراسات ، وانما انصرف الى القصة الاسبانية والاوربية يقراها ويتعمق فى معرفة تراثها حتى استوى كاتبا قاصا مبدعا ،

(8 انظر : G. Torrente Ballester, Panorama de la literatura espanola contemporanea, T. I, p. 362 y 363.

القول بانه ليس يمكن التصدي لذكر الاتجاهات التي مرت بالمسرح المعاصر دون الوقوف طويلا امام شخصية عظيمة قدمتها للعالم اسبانيا في مطلع هذا القرن هي شخصية كارسيا لوركا ، واكد ناقد امريكي بان لوركا يعد من بين اهم خمسة كتاب شرفهم المسرح العالمي في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين وهم : ييتس ، اليوت . كوكتو ، اوبي ، لوركا ، وزعم ناقد آخر بان لوركا ، لعله يكون انبغ كتاب المسرح في عصره .

اما الاصوات المسرحية الاخرى لجيل الاحفاد فانها لا شيء ينتظمها ويسلكها في خيط واحد الا كون اصحابها بداوا في التاليف المسرحي قبل الحرب الاهلية ، ولكن جل اعمالهم التي كان لها شأن وذيوع انما ظهرت فيما بعد الحرب السالفة الذكر .

ولعل من المع اسماء الكتاب المسرحيين واعظمها شهرة في جيل الاحفاد ، هذه التي نعرض لاصحابها باللمحة الموجزة فيما يلي :

لوكادي طينا 1897 :

ينحدر من أصل اشبيلي ، صحافي قدير ، ظل مدة طويلة مديرا لصحيفة أ . ب . ص A.B.C. ثم عين سفيرا لبلده في جمهورية الشيلي بامريكا اللاتينية ، رمى بذاره الاولى في حقل المسرح ، وهو في مطلع شبابه ، ينتمي الى مدرسة بنافنتي ولكنه يتميز بالبساطة المتناهية والتركيز الدرامي ، كانت المسرحية التي جلبت له الشهرة هي : من انا ؟؟ Quien soy yo 1935 ملهاة تعالج بعمق موضوعا كان يشغل بال الناس يومئذ هو موضوع الشخصية La personalidad وقد كتب فيما بعد قسما ثانيا لهذه الملهاة سماه انا برندل Yo soy Borendell ولكنه لم يظفر بما ظفر به القسم الاول من نجاح ومن اشهر مسرحياته : مما هو مرسوم الى ما هو حي De lo pintado a lo vivo و : امراتان في التاسعة Dos mujeres a la nueve و : ضون خوسي ، بيبي و Don José Pepe y Pepito

خوسي ماريمان 1898 :

قادسي ، اشتغل بالسياسة منذ شبابه المبكر ، وفي الدفاع عن مثله كتب اكبر جزء من اعماله الادبية ، الشعرية منها والمسرحية ، وكان صحافيا وخطيبا ، انتهت اليه رئاسة الاكاديمية الاسبانية للغة ، وقد بدات شهرته ككاتب مسرحي حينما عرضت تراجيديته الشعرية المأساة : اللاهوتي الجزوع El divino impaciente 1933 ، ومن اهم اعماله المسرحية : مطرنيت Metternich وجولييت وروميو Julieta y Romeo والذئبة La loba وادبو Edipo ،

خوسي لوبيث روبيو 1903 :

واحد من ابناء غرناطة الذين ظفروا بالشهرة البعيدة في عالم الفن والادب ، وقد ظل يزود المكتبة المسرحية الاسبانية بروائع الاعمال التي كتبها او ترجمها عن الادب الاجنبي اعواما طويلة ، وظهر اسمه ضمن المؤلفين المسرحيين المرموقين منذ عام 1928 ، الذي تم في غضونه عرض مسرحيته : من الليل الى الصباح De la noche a la manana التي اشترك تاليفها الكاتب اوكارطي وفازت بنجاح باهر اثناء عرضها ، ومن احسن مسرحياته : الضفة الاخرى La otra orilla والايدي طاهرة . Las manos son inocentes

الخندور كاسونا 1900 :

فاز بجائزة لوبي دي فيكا عام 1933 على ملهاته : بنت البحر الجانحة الى الشاطىء La sirena varada وهي مسرحية متماسكة البناء ، رائعة الحوار ، استقبلت باعجاب حماسي ، واكدت لمؤلفها مستقبلا مشرقا في عالم المسرح وقد ترك وطنه واستقر بالجمهورية الارجنتينية منذ سنة 1939 ، وهنالك واصل الاسهام في حقل المسرح .

ومن اشهر اعماله المسرحية : الشيطان مرة اخرى Otra vez el diablo 1934 ، و : الانتحار ممنوع في الربيع Prohibido suicidarse en primavera 1946 ، والزورق بلا صائد La barca sin pescador 1945 ، و : سيدة الفجر La dama del alba

وبالرغم من ان الذخيرة التي قدمها كاسونا للمسرح الاسباني الحديث تعتبر جيدة ورائعة فان الناقد الكبير ك . طورنطي بايسطير (7) يرى ان هذا المسرحي لم يستطع ان يرق سلم العظمة والخلود ، نتيجة لعدم استطاعته تجسيد اعمق ما في الحياة الانسانية واحزن ما في طياتها في شخصيات درامية كاملة ، ومن ثم يصح الزعم ، في رأي بايسطير ، بان

7) انظر كتابه : Panorama de la literatura espanola contemporanea, edicion Guadarrama, T. I, p. 338 y 339.

العالم العربي والكتلة الافريقية الاسيوية



للاستاذ المهدي البرجالي

الكتلة الافريقية الاسيوية وعلاقتها بالقضايا العربية – صورة هذه العلاقة في عهدها القديم وصورتها في الاونة الراهنة على ضوء الاهتمامات التي تشغل الذهن العربي اليوم – التطور في علاقة العرب بالكتلة يوازيه التطور في بنية الكتلة نفسها وصلتها بالعالم – عوامل التماسك والانفصام الآن داخل الكتلة، وصلة ذلك بمثال فلسطين – الالتزام العربي داخل الكتلة، والالتزام الافريقي الاسيوي فيها – هل ادت المؤتمرات الافريقية الاسيوية المتعاقبة دورها بهذا الصدد ؟

سمع العالم كثيرا – منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة – عن الكتلة الافريقية الاسيوية، او كما كانت تدعى احيانا الكتلة العربية الافريقية الاسيوية، وقد كانت هذه الكتلة – كما تدل عليه اسمها – تضم عددا من الدول الاسيوية المستقلة، وقليلا جدا من الدول الافريقية، لان معظم دول القارة (قبل سنة 1956) كان لا يزال آنئذ غير مستقل، هذا بالاضافة الى دول المشرق العربي، اذ ان اقطار المغرب العربي لم تكن وقتها محرزة على مقاليد السيادة، والكتلة هذه ما انفكت تعبر عن وجودها في ميادين دولية عدة، بيد ان ابرز ميدان كانت تظهر فيه هذه الكتلة ذات فاعلية تذكر، هو ميدان الامم المتحدة، والمنظمات المتفرعة عنها، وخصوصا المنتظم العام لهذه الهيئة، فقد انقضى وقت طويل (منذ اوائل الخمسينات بصورة اخص) والقوة السياسية التي تتمثل في الكتلة الافريقية الاسيوية، يقام لها اعتبار ما داخل اروقة الامم المتحدة، حيث ان الاغلبية في التصويت داخل اللجنة السياسية لهذه المنظمة، كانت تتأثر في عدة حالات بالموقف الذي تتخذه الكتلة في هذه المسألة او الاخرى، وخصوصا في القضايا التي تتعلق بحركة مناواة الاستعمار، والاتجاه العالمي الى تصفيته، وفي ضمن هذا الاعتبار يلاحظ ان المغرب قد اقترن ذكره في بعض الظروف، بذكر الكتلة الافريقية الاسيوية، وذلك عند ما عرضت قضية النزاع الفرنسي المغربي على الامم المتحدة لاول مرة في شهر دجنبر سنة 1951، فقد احتضنت الكتلة هذه القضية احتضانا مباشرا، وتولى المندوبون الافريقيون الاسيويون شرح وجهة النظر المغربية، واقناع الملأ الدولي بالجوانب القانونية والاعتبارات السياسية التي تسند وجهة النظر هذه، وتعطيها الاحقية الكاملة، وعند ما نظرت الامم المتحدة – مرة اخرى – (شهر نوبر 1952) في نفس القضية (القضية المغربية) انفقت الكتلة جهودا ملحوظة ادت الى حمل المجتمع الدولي المتمثل في الهيئة الاممية، على الاعتراف باختصاصه في النظر في القضية، وبذلك حصل المغرب على نوع من الاقرار الدولي العلني بدولية قضيته وما يستلزمه ذلك من اضفاء الاعتبار عليها، كحالة نزاع بين دولتين، وان كانتا غير متساويتين آنئذ في درجة تمتعهما بخصائص السيادة، وقد برز مجهود الكتلة كذلك – فيما يتعلق بالقضايا العربية عند ما اتجه التفكير الى عرض القضية التونسية على انظار مجلس الامن بعد التطورات العنيفة التي عرفتها تونس سنة 1952 نتيجة انقطاع اي تفاهم بين الحركة الوطنية، وبين سلطات الحماية السابقة، وقد اريد عرض القضية على المجلس باعتبار انها تشكل حالة تهديد للامن والاستقرار الدولي.

وبذلت الكتلة الافريقية الاسيوية جهودا واسعة لتحقيق هدف من هذا القبيل، وعلى الرغم من فشل المساعي المبذولة بهذا الصدد، فقد كان لهذه المحاولة بعض الفائدة تذكر – على الاقل من الناحية السيكولوجية – السياسية حيث ان القضية

ينسج فى اطار المدرسة الواقعية ويترسم خطوات اساتذة للقصة عظام ، وفى طليعتهم ضون بنيطويريث كالدوس 1843 — 1920 .

نشر ثونتونكي ستة اجزاء من الاقاصيص القصيرة وصدرت له اربعة عشر قصة طويلة ، من اشهرها : « امرأة فوق الارض » Una mujer sobre la tierra و « الحياة كما هي » La vida como es وغيرهما ومن آثاره الروائية الخالدة التي حملت اليه تاج الشهرة وجعلته من اكبر القصاصين المقروئين فى الكلمة الاسبانية .

❋

ان فى الكلام المتقدم ما يوضح لنا بان جيل الاحفاد لم يكن جيلا من المسرحيين والقصاصين . وانما كان جيلا من الشعراء الغنائيين الذين كانت تضمهم مقاهي اشبيلية وغرناطة ،ويظللهم سقف بيت الطلبة فى مدريد وكان من شان اجتماعهم ان تتوطد بينهم اواصر الصداقة وتشد افكارهم وآراءهم الى بعضها روابط التقارب ووشائج التجاوب ، ويرى الاستاذ الناقد بايسطير ان قائمة غنائي هذا الجيل لا تحوي غير اسماء اولئك الذين بدت ،وبرزت شخصياتهم الادبية فيما بين سنتي 1920 — 1935 ، ثم يضيف الى ذلك بان هؤلاء الغنائيين فريقان . فريق يتالف من شعراء الاندلس (9) وهو الذي يطلق عليه اسم : (المجموعة الاندلسية) ، ومن اعلامها (10) : فرناندو فياليون 1881 — 1930 ، فدريكو كارسيا لوكا 1899 — 1936 ، رفائيل البرطي (ولد فى 1902) ، فيثنطي اليكسندري ولد فى 1900 ، لويس ثرنودا (ولد فى 1904) اميليو برادوس (ولد فى 1899) ، منويل الطولاكيري (ولد فى 1904)، واما الفريق الثاني فهو الذي يتالف من شعراء اشتغلوا بالتدريس الرسمي — ثانويا وجامعيا — ومعالجة الدراسة والنقد الادبيين فى مختلف اشكالهما ومتعدد انواعهما ، ويسميه بايسطير فريق : (الشعراء الاساتذة) (11) وسنتحدث عن اعلامه فى الحلقة المقبلة بحول الله .

تطوان — حسن الوراكلي

---

9) تعد اشبيلية وغرناطة ومالقة فى مقدمة المدن الاندلسية التي كانت مركزا للادب والشعر فى حياة جيل الاحفاد .

10) سنترجم لهؤلاء نماذج من شعرهم فى كتاب لنا ، نحن بصدد اعداده ، سيحمل عنوان (عنادل من الاندلس)

11) انظر : G. T. Ballester, Panorama de la literatura espanola contemporanea, T. I, p. 298

مرض الروح

قيل للشعبي :

هل تمرض الروح ؟

قال : نعم . تمرض فى ظل الثقلاء .

ومر به بعضهم فوجده بين ثقيلين فقال له :

كيف الروح ؟

فقال : « في النزع الاخير ! ! » .

ايضا ان هناك من هو في حاجة لارشاده اليه من رجال الثقافة والصداقة والسياسة سواء في داخل اقطار العالم الثالث او خارجه .

* * *

اين الكتلة الاسيوية الافريقية من كل هذا ؟ وما هي طبيعة الموقف الذي تتخذه في هذا المضمار ؟ **وما هي الاعتبارات** الفلسفية والعملية التي يقوم عليها هذا الموقف ؟ **والنتائج** التي يجب ان يؤدي اليها على ضوء الواقع الدولي الراهن ؟

لكن التساؤل هكذا عن موقف الكتلة الافريقية الاسيوية من المعضلة التي يواجهها العرب في فلسطين يقتضي قبل كل شيء التساؤل عن وضعية هذه الكتلة نفسها في الوقت الحاضر ، وما ذا آل اليه امرها على الصعيد الدولي والاقليمي ، ثم ما هي طبيعة الاوضاع التنظيمية والتوجيهية التي تسودها حاليا ، وصلة ذلك بسياستها العامة ، وما يمكن نظريا ان تقوم به في موضوع المشكلة الفلسطينية القائمة ؟ .

لقد احيا الاسيويون والافريقيون في اندونيسيا منذ اسابيع ذكرى المؤتمر التاريخي المعروف بمؤتمر (باندونغ) وعقد الافريقيون والاسيويون في « اكرا » (اوائل مايو) مؤتمرا آخر على غرار المؤتمر الذي اجتمع من قبل في احدى مدن تانجانيقا ، بافريقيا الشرقية ، (وكان من المقرر ان يعقد الافريقيون الاسيويون مؤتمرا جديدا بعاصمة الجزائر خلال شهر يونيه من السنة الحالية ناط به اهمية بالغة جدا وتسود في حظيرته افكار جديدة ، ويتم التقابل بين وجهات نظر عديدة، ومهمة في مختلف الشؤون والقضايا التي تمس هذه المرحلة المهمة من تطور العالم وتطور العالم الثالث ، بوجه اخص ،) فهل الكتلة الافريقية الاسيوية التي دافعت عن استقلال المغرب وتونس سنة 1951 و 1952 هي التي تتولى عمليا الاشراف على هذه المؤتمرات ، وتوجيهها من ناحية تنظيمية وعقائدية ؟ وهل استطاعت الكتلة هذه ، ان تطاول عوامل الزمان ، وتعاصر جميع هذه التحولات التي عاشها العالم خلال السنوات العشرة الماضية مؤثرة فيها ومتأثرة بها الى المدى الذي هو عليه الامر الآن ؟ الواقع ان الاكتفاء بالرد على هذا السؤال بمجرد النفي او الاثبات لا يبدو كافيا لتوضيح النقطة المطروحة ، فليس صحيحا في الحقيقة ان يذهب المرء الى القول بان الكتلة العربية الاسيوية الافريقية التي كنا نعهدها من قبل لم يعد لها وجود ما ، كما ليس صحيحا كذلك ان يقال ان هذه الكتلة هي التي لا تزال تحقق وجودها مشرفة على قضايا التحرر والتنمية والتعاون في الاقطار الافريقية الاسيوية في الوقت الراهن ، كما كانت تتولى مؤازرة الوطنيات المحلية داخل هذه الاقطار في اوقات خلت ، ولتكوين رأي حول هذه النقطة يجب التساؤل اولا عن ماهية الكتلة الافريقية الاسيوية القديمة وطبيعة تكوينها ومعالم شخصيتها الدولية والمعطيات الدستورية التي كانت تنظم هذه الكتلة وتحفظ لها طريقا معينا للعمل ؟ لقد كانت الكتلة هذه، تضم مجموعة من الدول التي كانت مستقلة اذ ذاك في القارتين افريقيا وآسيا ، وكانت تحذو هذه الدول رغبة مشتركة — ولكنها متفاوتة — في التعاون من اجل مناصرة الحركات الوطنية الافريقية الاسيوية واشياء من هذا القبيل ، ولكن الكتلة — مع ذلك — لم تكن عبارة عن تحالف حقيقي بين دول ملتزمة ومقيدة بما يطوقها من التزام كما ان اهتمام الكتلة تلك ، لم يكن شاملا لكل ما يعني الدول المنتسبة اليها من شؤون اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وغيرها ، بل ان الميدان البارز الذي كان يظهر فيه نشاط الكتلة بصورة تلفت النظر كان هو الامم المتحدة وفروعها المختلفة ، ولم تكن هناك خطة نظرية وعملية طويلة الاجل ، كما لم يكن هناك استعداد حقيقي وواسع لتحمل المسؤوليات الدولية المشتركة ، ومواجهة المشاكل التي تعترض سبيلا من هذا النوع بصورة مستمرة ، ان الكتلة في عهدها القديم — كانت — على الرغم من بعض المظاهر — عبارة عن تحالف عفوي ضيق جدا تفرضه بعض الاعتبارات السياسية والعاطفية ولم تكن له فعالية حقيقية وشاملة تجعل منه تحالفا او تكتلا بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولهذا فان اطلاق عبارة الكتلة آنذاك على مجموعة الدول الافريقية الاسيوية المتعاونة فيما بينها بعض التعاون في داخل الامم المتحدة ، كان اطلاقا تجوزيا ، ويراد به مفهوم بسيط للكلمة ، لا المفهوم المعقد الواسع الذي نعهده في احوال اخرى كثيرة .

فهل يعني هذا ان الكتلة الافريقية الاسيوية ، قد اصبحت في الوقت الراهن مجرد ذكرى من ذكريات التاريخ الذي عشناه في الامس القريب ؟ طبعا لا — فلا يزال هناك تكتل افريقي اسيوي ، اتسع نطاقه ، وتعمق مدلوله ، الى الحد الذي عليه الان وهذا التكتل الذي نلمس مظهره الان بارزا في المؤتمرات الافريقية الاسيوية وفي المنظمات والوكالات والاتحادات ذات الصفة التعاونية الافريقية الاسيوية ، وفي البرامج والخطط والافكار المشتركة التي يتخذها الافريقيون الاسيويون في ميادين عدة سياسية وثقافية ، واقتصادية وغيرها ، كل هذه المظاهر من التكتل الحالي هي — بطبيعة الحال — امتداد للتكتل البسيط السابق الذي جمع بين عدد من دول افريقيا وآسيا في خلال الخمسينات ، قبل انعقاد مؤتمر « باندونغ 1955 » لكن بين حالة التكتل في شكله القديم ، وحالته في صورته الحاضرة ، تبدو للملاحظ فروق كبيرة من الطبيعي ان تكون موجودة ، نظرا لسرعة التطور في الافكار والاوضاع ، الذي عرفه العالم خلال العقد الحالي ، والذي قبله ، ان الفروق الموجودة تتناول حالة التكتل الافريقي الاسيوي بين القديم والحديث ، سواء من الناحية العددية او التنظيمية او الفكرية او غيرها ، وسواء ايضا باعتبار الظروف الدولية المحيطة والاهداف المتوخاة ، والوسائل المتعملة والنتائج المحصل عليها ، وكل هذا لم يحدث الا بعد سلسلة من التطورات التي تناولت وجه الحياة السياسية

التونسية اكتسبت – نتيجة لذلك كله – شهرة دولية واسعة ، واصبح وضع الحماية السابقة في تونس ، معرى على حقيقته امام الرأي العام العالمي والدولي ، وهناك عدة قضايا اخرى من هذا القبيل ، اقترن ذكرها احيانا بذكر الكتلة الافريقية الاسيوية ، وكان لهذه الكتلة في شانها مواقف دولية لها اهمية – ولو نظرية – في تلك الظروف قبل ان يعرف العالم مجمل التحولات العظيمة التي حدثت بعد سنة 1955 اي بعد انعقاد مؤتمر (باندونغ) وتطور الاوضاع السياسية في افريقيا وآسيا ومختلف انحاء العالم .

والان نلتفت حوالينا ، لنجد ان هذه التطورات قد اتت بالفعل على كثير من الاحوال التي كانت سائدة في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات اي في وقت ازدهار نشاط الكتلة الافريقية الاسيوية ، فالاهتمامات الموجودة اليوم تختلف في كثير من مناحيها عن الاهتمامات التي كانت سائدة آنئذ ، وان كان الجوهر في كل ذلك ، لم يتغير بصورة تذكر والوسائل التي كان يلجأ اليها آنئذ في خضم الصراع بين الوطنيات الافريقية والاسيوية ، وبين الانظمة الاستعمارية ، والتي كانت تعتمد في جملة ما تعتمد عليه ، رفع القضايا الشكائية الى الامم المتحدة والسعي للحصول ، مجرد الحصول على ما يلفت نظر الرأي العام الدولي الى القضية المرفوعة ، هذه الوسائل قد حلت محلها الآن ، حالات النضال العنيف المباشر وهذا بالنسبة للشعوب التي لم تستقل بعد) واحيانا اخرى حالات المقاطعة ضد اية دولة معتدية ، ومصادرة مصالحها ، واستعداء الرأي العام عليها ، والتكتل ضدها ضمن مجموعة من الاقطار التي تقف نفس الموقف من الدولة التي تعتبر معتدية (وهذا ما يحدث بالنسبة للدول الصغيرة المستقلة التي تكون ضحية اعتداء ما) في خضم هذه التحولات التي عرفها العالم خلال السنوات العشرة الماضية ، توجد البلاد العربية اليوم ، وقد احرز معظمها على مقاليد السيادة الدولية ، وتشرف الاجزاء القليلة الباقية من العالم العربي كمناطق الجنوب والخليج – على حالة نيل الاستقلال ، وقد تقدمت فكرة التضامن العربي خطوات لا بأس بها ، وحققت الدول العربية – على نسب متفاوتة – مقادير من التطور في ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية وغيرها ، ولكل هذا ، فان مجمل الاهتمامات التي تسيطر على العقلية العربية اليوم ، هي – في كثير من الاحيان – اهتمامات اقتصادية وانسانية قبل كل شيء ، فالفكر العربي المعاصر ، لم تعد تعنيه حالات التصارع اللفظي داخل الامم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية ، بقدر ما اصبح يعنيه الصراع ضد التخلف ، والحرص على استباق ركب التقدم والحضارة المعنوية والتقنية ، مع كل ما يقتضيه ذلك من رغبة في السلام والتعايش والتعاون ضمن نطاق عالم ايجابي خير متطور ، واذا كان هناك من مبادرات صراع يخوضها العرب احيانا في حظيرة الامم المتحدة ، كما في غيرها ، فذلك فقط في اطار الاتجاه العام الذي يجتاح العالم اليوم ، والذي يحذو الشعوب للتعاون من اجل تصفية النظام الامبريالي ورواسبه في مختلف القارات والجزر ، والحركة العالمية هذه ، المناوئة للاستعمار لا تعتمد في ستراتيجيتها السياسية والعملية على مجرد الاسلحة والعمليات المسلحة ، بل اننا اذا استثنينا حالة الصراع الذي ينشب داخل قطر معين ، والذي يستعمل فيه السلاح من اجل الحصول على استقلال او وحدة ، او مساواة او تخطيط حدود او ما الى ذلك ، اذا استثنينا حالات الصراع من هذا القبيل ، فاننا نجد ان الحركة العالمية المناوئة للامبريالية في شكليها القديم والجديد ، تكاد تستبعد جانب القوة المسلحة من عملياتها النضالية ، وهي تعتمد عوض ذلك على وسائل الكفاح السياسي على نطاق عالمي ، بكل ما يدخل في ذلك من الاعتماد على وسيلة التكتل الفكري والسياسي ضد الاوضاع التوسعية ، وما بقي من مخلفاتها في العالم ، والعرب – باعتبارهم جزءا من العالم الثالث – المعني قبل كل شيء بمحاربة التخلف ، وتصفية الامبريالية عن طريق العمل الدولي المتضامن – ان العرب – وهم بهذه المثابة – لم يكن لهم ليعينوا بالتسلح والرضاء بالعيش في حالة ترقب للحرب لو لم يكن هناك المشكل المزمن الذي يتمثل في وجود اسرائيل ، وما يفرضه هذا الوجود من احوال مأساوية سواء على الصعيد المادي او المعنوي وما في نوع ذلك ، ان الوجود الاسرائيلي هذا يكاد يشكل اليوم المعضلة القومية الرئيسية التي تواجه العرب وتضع عليهم جملة من الاختيارات التي لم يكن لهم ليلتزموا بها لولا وجود هذه المعضلة بالذات ، ونتيجة لهذا فالعرب يجدون انفسهم فعلا داخل دوامة من الصراع يقوم في مرحلته الراهنة على حالة من الحرب الباردة ، لا يكاد يعرف لها اول من آخر ، وتمتد هذه الحرب الباردة على عدة واجهات ، منها ما يقوم في عين المكان اي داخل الاطار المحلي للشرق الاوسط ، والعالم العربي ، ومنها ما هو اوسع مجالا من ذلك اذ يمتد على مستوى عالمي يشمل مختلف المناطق الدولية المهمة ، كمنطقة غربي اوربا ، والولايات المتحدة ، وكندا ، وكانت هذه هي المناطق التقليدية للصراع ، ولكن اضيفت اليها منذ اواسط الخمسينات مناطق عالمية جديدة كمنطقة افريقيا جنوب الصحراء ومنطقة آسيا الوسطى وجنوب شرقي آسيا علاوة على منطقة اخرى ذات اهمية كبيرة هي منطقة الامريكيتين الوسطى والجنوبية كل هذا بالاضافة الى الجزر والارخبيلات المختلفة سواء منها المستقل او شبه المستقل ، واذا اورد المرء هنا لفظة الصراع فلا يعني ذلك بالضرورة ان العرب والاسرائيليين متكافئون فعلا في هذا الميدان سواء من حيث الممكنات الموفورة والوسائل المستعملة والمساندات المضمونة والنتائج المحصل عليها فالفارق كبير بين الجانبين ، وليس من حاجة للتحدث عنه ، لانه واضح وملموس على جميع المستويات في مختلف انحاء العالم ، وخاصة في اقطار اوربا ونصف الكرة الغربي ، ان الصراع بين العرب واسرائيل ليس صراعا بين عدة دول ودولة صغيرة معزولة في منطقة كلها معادية ، بل ان الصراع يقوم فعلا بين العرب وكثير من اوساط المال والاعمال والتوجيه في العالم الغربي ، وهذه بدهية لا اخال

اسيوية كالنزاع القائم بين العربية المتحدة وايران هذا الى نشب الخلافات القديمة كالصراع على كاشمير وجامو بين الهند والباكستان ، وحالات اخرى من هذا النوع ، على ان هناك حالة اهم من كل هذا ، لها دلالتها على ازدياد عدم التماسك بين اعضاء الكتلة الافريقية الاسيوية ، وتضاؤل حظوظ التضامن والتعاون بين الافريقيين – الاسيويين ، والحالة هذه تظهر في موقف اغلبية اقطار القارتين من اسرائيل هذا الموقف الذي لا يعكس حالة شعور بخطورة وجود الوضع الحالي في فلسطين – على الرغم من ان وضعا كهذا يهدد استقرار ونمو قطاع هام من قطاعات العالم الافريقي – الاسيوي ، ويمثل تسربا خارجيا الى قلب القارتين ، ونقطة اتصال بينهما وهي فلسطين ، ومن معاد القول ان ينص المرء على خطورة التمركز الاجنبي في نقطة ستراتيجية كهذه ، وما يحمله ذلك من احتمالات لا حد لها .

وتظهر غرابة المناقضات التي يمكن ملاحظتها بهذا الصدد عند مقارنة اوجه الاتفاق المبدئي بين الدول الافريقية الاسيوية من بعض القضايا كموضوع الاستعمار وبين موقف هذه الدول نفسها من اسرائيل والنشاط الصهيوني العالمي في دنيا العرب ، اي في جزء مشترك بين القارتين الافريقية الاسيوية ، فهناك على الرغم من الخلافات الموجودة – كثير من اوجه الاتفاق في وجهات النظر ، بل والتعاون احيانا ضمن اتفاق مبدئي من هذا القبيل ، ومن ابرز نقط الاتفاق هذه :

1) التضامن ضد الفكرة العنصرية في العالم .

2) التعاون على تصفية الامبريالية في شكليها القديم والجديد .

3) التضامن على تحقيق تنمية مشتركة وبعث حضاري شامل .

4) التكاثف على ضمان حالة من الامن المتبادل والمساهمة – لذلك – في الحفاظ على استمرار السلام العالمي وتنمية عوامله .

5) العمل على تحقيق وضعية عالمية يصبح فيها لمبادئ المساواة والتكافل والتحرر من العقد ، مدلول صحيح وعملي .

ولسنا هنا بصدد استيعاب معطيات الدستور العقائدي الذي يمكن ان يقوم عليه عمل ايجابي دولي لاقطار العالم الثالث ، غير اننا عنينا هنا بابراز بعض النماذج فقط ، وهذه النماذج قد اصبح لبعضها بالفعل شان كبير في توجيه سياسة الدول الافريقية الاسيوية ، وتحديد موقفها السياسي والفكري ببقية انحاء العالم ، وقد كان من نتائج ذلك ان كثيرا من دول افريقيا وآسيا اصبحت سياستها الدولية تكاد تنطبع في بعض المجالات – بطابع خاص ومشترك ناشيء عن الاهتمامات التي تغلب عليها ، وتكاد تنفرد بها عن الدول الاخرى التي لا تشغلها هذه الاهتمامات الا بقدر محدود جدا ، ومن هذه الاهتمامات : الوضع في الاقطار الافريقية التي لا تزال غير مستقلة – وضعية السكان الافريقيين في اتحاد جنوب افريقيا – الاحوال المعقدة في الكونغو ليوبولدفيل – القضايا المتشعبة في الشرق الاقصى ، والخلافات الدولية التي تستحكم بالمنطقة – مشاكل التخلف الاقتصادي والاجتماعي وما يترتب على الامم المتحدة وغيرها ، القيام به في هذا المضمار – اقامة انظمة اكثر مساواة بين الاعضاء في الامم المتحدة مع اعتبار الظروف العالمية الجديدة ، وما تفرضه من تعديلات على الميثاق والنظم المعمول بها داخل الهيئة – المشاكل التي تعترض المنظمات التوحيدية كمنظمة الوحدة الافريقية وغيرها .

هناك عدد من الاهتمامات من هذا القبيل تشغل بال الاقطار الافريقية الاسيوية ، ويتركز حولها جزء مهم من النشاط الدولي لهذه الاقطار ، ولا يجادل امرؤ في منطقية هذه الاهتمامات وحيويتها بالنسبة لحاضر القارتين ومستقبلهما ، وكذا حاضر ومستقبل المناطق العالمية المقاربة لهما في بعض القضايا والمشاكل ، كالجزء الجنوبي والاوسط من القارة الامريكية والجزر والارخبيلات المنتشرة عبر العالم ، غير ان الذي يلحظ بهذا الشأن ان القضية الفلسطينية وهي – كما ذكر – ذات اتصال مباشر بجزء هام من افريقيا وآسيا ، ويرتبط وجودها بسلامة ومصير كثير من المبادئ والعقائد التي تاخذ بها الدول الافريقية – الاسيوية – هذه القضية مضى عليها كثير من الوقت ، واصبحت مزمنة لمدى نحو سبعة عشر عاما ، اي اكثر ازمانا من كثير من المشاكل الاخرى التي تقض مضجع القارتين ، ومع ذلك ، ففي خلال الفترة المديدة هذه – طوال السبعة عشر حولا الماضية على نشوب هذه المعضلة – فانها اي المعضلة لم تستطع ان تستحوذ على اهتمام الاقطار الافريقية الاسيوية الا بقدر محدود جدا ، وعلى نحو لا يعكس وجود فهم حقيقي للمشكلة ، بل يدل على ان النظر اليها لا يتعدى حدود بعض الاعتبارات الجانبية التي لا تحل عقدة ، ولا تطرد داء ، لما ذا هذه الظاهرة؟ ما موجبها ؟ وهل تتحكم فيها حتميات سياسية وعقائدية لا مرد لها ؟ واذا كانت هناك حتميات فما هي ؟ وهل تتعلق بمصالح الدول الافريقية – الاسيوية في العرب ، وخشية هذه الدول من حدوث مشاكل اقتصادية او سياسية لها بسبب تورطها في مؤازرة الحق العربي في فلسطين ؟ ام ان المنافع الاقتصادية والفنية التي يمكن جنيها من اسرائيل هي ذات التأثير الحقيقي في هذا الباب ؟ واذا كان الامر كذلك – ونفترض انه غير ذلك – فلماذا لم تحل الحتميات والمنافع والحذر السياسي وغير ذلك ، لما ذا لم يحل كل هذا بين العرب مشرقا ومغربا وبين ان يتخذوا موقفا حاسما صارما من مسألة الميز في جنوب افريقيا ، وقضايا التحرر القومي في روديسيا والمستعمرات البرتغالية ، هذا الى قضية الامن والاستقرار بالكونغو والاقطار الاخرى التي في مثل وضعيته ؟ .

★ ★ ★

العامة في القارتين ، ومست بالتالي طبيعة الصلاة الانسانية في داخلهما ، والعلاقة بينهما وبين بقية العالم . ومن ضمن هـذه التطـورات :

1) انعقاد موءتمر باندونغ ، وعلى الرغم من ان هذا الموءتمر لم يسفر الا عن نتائج نظرية في الغالـب ، ولم يـوءد — بسبب ذلك — الى تكوين نظام دولي عملي للتعاون بين اقطار آسيا وافريقيا ، فانه كان — مع ذلـك خطوة مهمة في طريـق تجميع القوى الفكرية والسياسية في القارتين ، واعطاء هذه القوى مجالا للتفاعل والتبلور ظهرت نتائجه فيما بعد .

2) اشتداد ساعد الحركات الثورية الوطنية في آسيـا وافريقيا ، ونجاحها في استبدال اسلوب الكفاح السياسي المسالم بالتكتيك الحربي المنظم ، سواء على النحو الذي يقتضي المواجهة او على شكل حرب العصابات ، وقد كان من شأن هذا التحول في التكتيك النضالي ان ساهم في الاسراع بتصفية الاستعمار بعد ان خلقت الحرب العالمية ظروف هذه التصفية من ناحية مبدئية .

3) دخول افريقيا السوداء في الميدان الدولي المستقل والتقاء آسيا وافريقيا بصورة واسعة في ميدان العمل التعاوني من اجل التنمية ، وضمان عدم التبعية ، ومن المعلوم ان القارة كانت واقعة كلها تقريبا تحت التبعية الى حدود سنة 1955 .

4) الثورة الصينية ، ونشوء نظام في البر الصيني ذي عقلية ثورية راديكالية ، الامر الذي ادى الى خلق مجموعة من الاحوال الجديدة في الشرق الاقصى ، وجنوب شرقي آسيا ، ولا تزال موءثراته ذات الاجل البعيد لم تتم بعد ، ومن المنتظر ان تكون لها اهمية قصوى في علاقة العالم الثالث بغيره من القطاعات الدولية الاخرى في خلال العقود المقبلة .

5) انبعاث العالم العربي بعد « النكبة » في فلسطين ، واتجاه العرب الى تحقيق اتصالات عميقة ومجدية مع بقية العالم الثالث ، ومساهمتهم العملية في خلق محور للالتقاء بين آسيـا وافريقيا وبلورة نتائج هذا الالتقاء فيما يشاهد الان من تطورات في مضمار التعاون الدولي ، والتفاهـم السياسـي بين اقطـار القارتيـن .

6) دخول الجزء الجنوبي من نصف الكرة الغربـي (امريكا الوسطى والجنوبية) في اعتبارات الثورة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي يخوضها العالم الثالث ، ونمو الصلات هكذا (ولو جزئيا وبصورة محدودة جدا الان) بين الاقطـار الافريقية الاسيوية من جانب ، وبلدان جنوبي امريكا من جانب آخر ، وقد تقلصت هذه الصلات بعض الشيء ، في خلال الفترة الاخيرة ، بعد ان عرفت من قبل بداية توسع لا بأس به ، الا ان اتجاه الرغبة العالمية الى التضامن من اجـل مكافحة التخلـف ، وتبادل الموءازرة بهذا الصدد بين الاقطار التي يعنيها الامر ، سواء تحت اشراف الامم المتحدة او خارجهـا . كل ذلـك من شأنه ان يقود المتخلفين وشبه المتخلفين الى تحقيـق قاعـدة دولية ، لتبادل المنافع والخبرات في هذا السبيل لا يلزم منـه التكتل — حتميا — ضد جهة او اخرى من الجهات الدولية الاخرى، المعتبرة متقدمة او في حكم المتقدمة .

7) قيام قواعد فكرية مهمة يرتكـز عليهـا الموقف الافريقي الاسيوي الجديد في العالم وتستمد منها القارتان بعضا من دينامية الصمود العقائدي اللذان يواجهان به معركة المواقف المتصادمة في الشرق والغرب ، ومن بين الافكار التي تقوم عليها هذه القواعد فكرة الحياد داخل اطار التعـاون الايجابـي بين الدول ، والفكرة القائلـة بضرورة التكافـل الدولي من اجـل التخفيف من الفوارق الاقتصادية والاجتماعية القائمة بين قطاع الدول المتخلفـة والقطاع الاخرى ، الذي يضم مجموعـة الدول المتقدمـة .

* * *

هل ساهمت كل هذه التطورات — حقا — في دعم الكتلة الافريقية الاسيوية ، وجعلت منها تكتلا دوليا حقيقيا يتميـز بتماسكه ومتانته ؟ ام ان الامر لم يصل الى هذه الدرجة نفسها ؟

لقد استعرضنا — قبل — بعض التطورات التي كانت نتيجة لتغير الجو الدولي التي كانت تعمل فيه الكتلة خلال العقد الاخير، غير ان الملاحظ ، هو ان التطورات التي وقعت لم تكن كلهـا لصالح قضية التماسك والتناسق بين مجموعة الدول الافريقيـة الاسيوية التي تضخم عددها جدا بسبب الاستقلالات التي نشأت خلال السنوات الاخيرة ، فلقد قامت اوضاع دولية اخرى غير التي اشرنا اليها من قبل ادى بعضها الى الاختزال من شدة التماسك الذي كان موجودا من قبل ، بل ان البعض منها قد ساعد على نشوب حالات من الصراع العنيف احيانا بين دولة واخرى من دول الكتلة الافريقية الاسيوية ، ونذكر تمثيلا لذلك — بعض التطورات البارزة من هذا القبيل :

1) دخول بعض الدول الاسيوية في حظيرة الاحلاف الدولية الكبرى (المتعلقة بالصراع بين الشرق والغرب .

2) تمسك بعض دول الشرق الاقصى بسياسات خاصة مستقلة احيانا عن جميع الموءثرات الدولية المالوفة ، الامر الذي نشأ عنه نوع من الخلاف الشديد بين بعض الدول الاسيوية ، واثار حالة ما من الارتباك الديبلوماسـي بين عـدد من الدول الافريقيـة .

3) وقوع خلافات حادة بين دول اسيوية مهمة كالخلاف الهندي الصيني ، وبين دول افريقية كثيرة كالخلاف بين غانا وجاراتها او الحبشة مع الصومال ، وكذا بين دول افريقيـة

دائرة صراعها السياسي مع العرب ، وتنقل المعركة القائمة معهم في هذا النطاق الى العالم الافريقي الاسيوي ان امكن والاقطار العربية بدورها لا مناص لها من مواجهة التحدي الاسرائيلي في هذا الميدان ، كما في غيره من الميادين العديدة التي عليها النزاع العربي الاسرائيلي المتشعب .

اما الفكرة البسيطة التي يمكن ان نستخلصها من كل هذا فهي انه حين لتطور العلاقات الايجابية داخل القارتين ، ان يقع الابتعاد ما امكن عن جو هذا الصراع الذي فرضته الصهيونية العالمية على العرب ، والذي تتحفز اسرائيل — كما تقدم — لافتتاح مناطق جديدة له في افريقيا وآسيا ، مما يخلق عقدا نفسيه في جو العلاقات داخل القارتين وربما اوضاعا دولية غير مرغوب فيها ، وليس للجميع اليها من حاجة .

يبقى بعد هذا موضوع للتساؤل عما يمكن ان يسهم به العالم الافريقي الاسيوي — عمليا — في تحقيق مقتضى التوصيات المقررة داخل المؤتمرات الاسيوية الافريقية المتعاقبة خلال السنوات الاخيرة ، اي ما توجبه هذه التوصيات من مكافحة للتسرب الصهيوني ، وادانة لاسرائيل بصفتها رأس جسر لاستمرار سياسة الاستعمار الجديد في القارتين ، ان تقدير ذلك موكول لدول الكتلة الافريقية الاسيوية نفسها ، ولا نخال ان وعيها العميق بالقضايا الكبيرة التي تتحكم في تقرير مصاير الامور بالعالم اليوم ، لانخال ان ذلك الا مساعدا لها على القيام بدورها كاملا في هذا السبيل .

سلا : المهدي البرجالي

« ارجع الى قومك ، فأخبرهم بانك لم تغضبني »

جاء في سفينة الراغب : ان رجلا بايع آخر على ان يغضب الأحنف، فجاءه ، فخطب اليه امه ، فقال له الاحنف :

« لسنا نردك انتقاصا بحسبك ، ولا قلة رغبة في مصاهرتك ، ولكنها امرأة ، قد علا سنها ، وانت تحتاج الى امراة ولود ودود ، تاخذ من خلقك ، وتستمد من ادبك ، ارجع الى قومك ، فاخبرهم بانك لم تغضبني ! ! »

لانصف العرب هنا ببطولة ، وغيرهم بعكس ذلك ، فالامر هنا ليس امر بطولة او تظاهر بالبطولة وانما هو امر الامن والاستقرار والنمية في افريقيا وآسيا ، وبقية ربوع العالم الثالث ، وكل ذلك يشكل قضية لا تتجزأ ، سواء اكان الامر متعلقا بفلسطين ، او بانكولا ، والموزامبيق ، او بقضية الحقوق المدنية في مجتمعات الميز العنصري ، او بغير ذلك ، وكل ما نتصوره كعليل ممكن لهذه الحالة ، هو — ربما — تقصير العرب في التعريف بحقيقة القضية : القائمة في فلسطين ، والمشاكل المادية والاخلاقية المترتبة عنها ، والصلة العميقة التي توجد بين مصير هذه القضية ، وبين معظم المبادىء والقيم التي ياخذ بها العالم الثالث ، ويريد ان يتخذها اساسا لانبعاثه، ولبنة في بناء الطور الجديد من الحضارة الانسانية ، ومما يؤكد هذه الامكانية ، ان العالم الافريقي الاسيوي قد اخذ يبدو — في الفترة الاخيرة — اكثر عناية بالقضية الفلسطينية ، واقرب الى تفهم الوضعية الناشئة عن قيام اسرائيل ، واستمرار وجود هذه الدولة بمنطقة الشرق الاوسط فهل يعود هذا القدر من التفهم الى حالة التقارب التي توثقت بين العرب وبقية العالم الثالث والمعلومات المتبادلة بين هؤلاء واولئك نتيجة لذلك ، ام ان الامر يعود لمجرد تفتح عقلي تلقائي اتيح لدول القارتين ضمن حركة التطور الذي حدث على صعيد الفكر السياسي في كل منهما ؟ .

مهما يكن فقد عرفت السنتان الاخيرتان ، وتعرف هذه السنة تحولا مهما في هذا الباب ، وان كان هذا التحول لم يسفر بعد عن ثمرات عملية ، فعلى الرغم من الجهد الذي تبذله الديبلوماسية الاسرائيلية لابقاء اغلبية بلدان آسيا وافريقيا غير العربية ، مرتبطة بها اقتصاديا وثقافيا وربما عاطفيا ايضا ، فان هذه الاقطار قد بدات تدرك — خلال السنتين الاخيرتين — اهمية التعقيد الذي يمثله وجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط ، ثم ما قد يسببه الغلو في الترابط مع هذه الدولة من ملابسات سياسية ونفسية غير ملائمة ، في مضمار العلاقات مع العالم العربي، وقد ظهرت بعض مظاهر هذا التحول في غضون المؤتمر الافريقي الاسيوي الذي انعقد كما تقدم — في « موشي » بتانجانيقا (افريقيا الشرقية) خلال شهر فبراير 1963 ، فقد طردت اسرائيل من حظيرة المؤتمر ، بعد ان حاولت التسلل اليه بالوسائل العادية وغير العادية ، ثم تعرضت الدولة الصهيونية في بعض مقررات المؤتمر النهائية الى ادانة صريحة ، حيث وصفت هذه الدولة بكونها قاعدة استعمارية ، ومركز تهديد للامن والاستقرار ، بل اشير حتى الى ضرورة العمل على مواجهة النشاط الصهيوني بالقارتين ، والمطالبة بالتراجع عن المعاهدات والارتباطات التي توجد بين اسرائيل والدول الافريقية — الاسيوية التي تتعامل معها ، ورغم ان المؤتمر في اساسه لم يكن يمثل سلطات دولية ، لها صلاحيات تنفيذية كاملة ، فان اسرائيل لم يكن لها لتتغاضى عن اهمية هذه الخطوة السياسية والسيكولوجية التي اتخذت ضدها في حظيرته ، وحل مؤتمر دول عدم الانحياز الذي اجتمع بالقاهرة خلال السنة الماضية ، وهو يضم الى جانب وحدات الكتلة الافريقية الاسيوية دولة اوربية هي يوغوسلافيا ، وبعثت اليه بعض دول امريكا الجنوبية، بمندوبين ملاحظين ، لقد تعرض المؤتمر لحملة نفسية من اسرائيل بوسائلها الدعائية المعهودة غير ان ذلك يفوت عليه ان يشير في مقرراته الى المشكلة الفلسطينية ، التي تمس فعلا بوضعية الشرق العربي الحيادية ، وبمستقبل السلام في ربوعه ، واستقبلت غانا من جهتها — في خلال الاسابيع الاخيرة — مؤتمرا جديدا للتضامن الافريقي — الاسيوي ، والظروف التي عقد فيها المؤتمر ، ثم المكان الذي اختير لانعقاده ، كل ذلك يوحي بان المشكلة العنصرية بافريقيا كان من شأنها ان تاخذ بالقسط الاوفر من اهتمامه ، لكن ذلك لم يصد المندوبين ان يصادقوا على قرار ادانة اسرائيل الذي اصبح هكذا قرارا تقليديا ومالوفا في حظيرة المؤتمرات الافريقية — الاسيوية ، ومن غير شك .

★ ★ ★

ما ذا يعني كل هذا بالنسبة للعالم العربي ، وبالنسبة ايضا لفكرة التضامن العربي الاسيوي الافريقي ضد الامبريالية وذيولها، وصورها الظاهرة والمتخفية عبر انحاء العالم ؟ ليس في المستطاع انكار اهمية الادانات العلنية ضد اسرائيل من الناحية السياسية والنفسية ، لكن هذه الادانات يكاد يفقدها قيمتها الرادعة ، وما يتوافر لاسرائيل لدى بعض الدول الكبرى والاقطار المتأثرة بها من عوامل المساندة العلمية ، سواء في المجال السياسي او الاقتصادي او غيره ، وهذه الناحية الاخيرة ، الناحية الاقتصادية هي اهم ما تحرص عليه اسرائيل بينما الواقع ان اقتصادها اقتصاد مشوه لا يمكن الاطمئنان اليه كثيرا ، ويتوقع منه ان يصبح في المستقبل جسر عبور لاستمرار الاحتكارات الغربية في فرض سياستها التخطيطية والاتجاهية على اقتصاديات الدول النامية في افريقيا وآسيا ، هذا علاوة على ما يمكن ان يحدثه ذلك من آثار سيئة على الاتجاهات الرامية الى تنسيق النهضات الاقتصادية بين العرب والافريقيين والاسيويين ، ضمن الحركة الهادفة الى الاسراع بتحقيق التطور الذاتي لهذه المناطق ، وتخليصها بذلك من البقاء خاضعة لمقتضيات الرقابة الاقتصادية الاجنبية ، هذا علاوة على ان مثل هذا التأثير السلبي الذي يخشى ان تحدثه اسرائيل على حظوظ التطور الاقتصادي المتناسق في القارتين ، يمكن ان يحدث في نفس الوقت ، ارتباكات سياسية في جو العلائق بين الغرب والدول الافريقية — الاسيوية الاخرى ، فاسرائيل تلم بحقيقة جوهرية وبسيطة ، وهي ان حظوظ فرض الصلح بالقوة على العرب ، لم تعد ممكنة لها ، كما كان يبدو منذ خمسة عشر عاما ، ولذلك تامل ان توسع من

وفي المدن راى الصناع التقليديون كاصحاب الاحذية وحائكي الثياب ان وضعيتهم تؤول الى الخراب ، ولا سيما بعد ان الغي النظام الحرفي في سنة 1851 وتكاثرت البضائع التيكانت تردمن الخارج لتزاحم الصناعة المحلية . ومما لاشك فيه ان رجال الدين الارثودوكسيين الادنين قد استغلوا هذا التذمر الا ان العامل الديني هنا لم يلعب سوى دور ثانوي باعتبار ان السكان الارثوذوكسيين كانوا يعيشون بجانب طوائف كاثوليكي،كان يوجد على راسها اناس لا يعطفون على الحركة الوطنية ، اما اليهود فكانوا يساندون السلطة العثمانية . واهم من ذلك ما لعبته حكومة صربيا من دور حاسم في الحركة ، ففي سنة 1867 فكر امير صربيا ميخائيل اوبرينوفيتش في تكوين اتحاد فيديرالي في البلقان ، مضاد لتركيا . وكان في مشروعه هذا يعتمد على عون مملكة اليونان وامارة رومانيا . واذا كان هذا المشروع لم يتحقق الا ان البوسنة والهرسك كانت مركزا دعائيا للحركة القومية الصربية 1873 هدفت هذه الدعاية — كما لاحظ ديبلوماسي نمساوي — الى جعل صربيا تلعب في جزيرة البلقان ما لعبته البيمونت في ايطاليا.

اما في بلغاريا فالحركة العصيانية لم تظهر كنتيجة مباشرة للمصالح الاقتصادية او الاحوال الاجتماعية ، بل كانت المقاومة من صنع الاكليروس واساتذة المدارس ، والشبيبة النيرة هي التي كانت تدبر شؤون هذه المقاومة . ولهذا يمكن القول بان هذه الحركة القومية اتت نتيجة لشعور وطني فياض . وبالرغم من كونها لم تشمل الا فئة قليلة من السكان الا انها كانت احسن تنظيما من حركة البوسنة: فابتداء من سنة 1873 قام ليفسكي (Levski) مؤسسها بتنظيم 200 خلية ثورية . ولكي ينضم الفلاحون للحركة حاولت اللجنة المركزية للثورة اقناعهم بانه في الاستطاعة الاعتماد على عون خارجي وكانت لا تتورع احيانا من اللجوء الى العنف : اعني التهديد باحراق القرى اذا رفض اهلوها المساهمة في النشاط الثوري . الا انها لم تستطع الحصول على مساعدة كلية وفعالة الا في جزء معين من البلاد . ولذلك لم تكن هذه الانتفاضة البلغارية « حركة جماهيرية » . بيد ان هذه المحاولات المحلية لم تكن كافية لاثارة العصيان اللهم ان استطاع مؤسسها الحصول على مساعدة خارجية . وكان من المنتظر ان تأتي هذه المساعدة من روسيا او من النمسا او هونغاريا . وقد يكون السفر الذي قام به الامبراطور فرانسوا جوزيف الى دالماسيا على تخوم البوسنة والهرسك،في ربيع سنة1875، من العوامل التي نفخت في صربيي هذه المقاطعة روح الخروج على طاعة السلطان . واكثر منه احتمالا ما جعل الصرب والبلغار يفهمون من الاعوان في القنصلية الروسية ، انهم بادروا الى القيام بثورة على السيطرة العثمانية فان روسيا سوف لا تتركهم وحدهم في الميدان .

وهكذا بدأ العصيان في غشت 1875 في البوسنة والهرسك ، ثم ما لبث ان امتد الى المناطق البلغارية في ربيع 1876 . كان القمع في الحين وبدون هوادة وعلى الاخص في البلاد البلغارية التي ازهق الاتراك بها ما يقرب من 000 30 روح ،وعندئذ اعلنت صربيا والمونتينيغرو الحرب على الدولة العثمانية . ولو لم ينقذ الموقف بتدخل خارجي لاصاب الامارتين — طبعا ما اصاب البلغار من سحق وذمار .

هذا ما اثار من جديد « المسألة الشرقية » وفي هذه المرة كانت المسألة تهم روسيا بالدرجة الاولى ثم النمسا — هونغاريا ، فبريطانيا العظمى . فما هي الشواغل التي كانت آنئذ تشغل بال كل واحدة ؟

بالنسبة لروسيا استطاعت هذه الاخيرة ان تجد في هذه الازمة سبيلا الى اضعاف شوكة الدولة العثمانية ، وبالتالي طريقا لتعزيز نفوذها على السكان السلافيين في البلقان . ومن اجل الوصول الى هذا الهدف ، كان كافيا ان تساند مطامح هؤلاء السكان في الاستقلال الذاتي او في الاستقلال التام . بيد ان روسيا كانت تدرك ان الاصطدام بمعارضة كل من النمسا — هونغاريا وبريطانيا العظمى امر متوقع ، لذلك تبصر غورتشاكوف في بداية الامر ، ولم يرد ان يخاطر قبل العمل بالاتفاق مع الدول الاخرى ما استطاع الى ذلك سبيلا . ولكن اينياتييف (Ignatief) سفير روسيا في القسطنطينية — وقد كان على اتصال بالعناصر القائلة بالجامعة السلافية — نادى بالعمل « المستقل » ، خلافا لما كان يراه غورتشاكوف . قال السفير الروسي : لو تدخلت روسيا منفردة لصار في وسعها ان تقبض على زمام الحركة السلافية في البلقان ، وتحصل في الجزيرة على نفوذ شامل . ان هذا الخلاف هو الذي اخر لعدة اشهر اتخاذ كل قرار حاسم في الموضوع . ومع ذلك اعترف غورتشاكوف في خريف1876 ان اليد لو اطلقت

المسألة الشرقية في خلال الربع الاخير من القرن الماضي

للاستاذ عبد الحق بنيس

يعد العلامة المؤرخ ((بييرونفن)) من الباحثين الافذاذ فى العلوم الاجتماعية والسياسية ، ومن العلماء الذين امتازوا بالنزاهة فى اصدار الاحكام ، وبعدم التحيز والتعصب للحقائق العلمية .

ولهذه الخصال ، فقد عهد اليه بالاشراف على نشر سلسلة لتاريخ العلاقات الدولية ..

ويقدم لنا اليوم صديقنا الاستاذ عبد الحق بنيس برا بالوعد الذي كان قد ضربه لقراء مجلة ((دعوة الحق)) فصلا آخر مترجما من كتاب ((اوج اروبا)) الذي يشكل الجزء السادس من هذه السلسلة التاريخية الهامة .

ابتداء من سنة 1875 استيقظت المسالة الشرقية من رقادها ، وظهورها فى هذا التاريخ لم يكن ولا شك بالامر الغريب . فمنذ بداية القرن التاسع عشر وامام ما حصل من تقدم هنا وهناك ، فى الحركات القومية ، صارت السيطرة العثمانية على جزيرة البلقان تضعف يوما بعد يوم . ذلك ان الاقتطاع الجزئي الذي رسمت معالمه نتيجة لانشاء امارتي صربيا والمونتينيكرو ، ومملكة اليونان ، وامارة رومانيا «1» لم يتم دون ان يزيد فى خطورة المصاعب بالنسبة للمناطق التي ظلت خاضعة للسيادة العثمانية والتي كانت آهلة بعناصر صربية وبلغارية ويونانية ورومانية ولذلك اضحت هذه الامارات وتلك المملكة بمثابة مركز انجذاب لهؤلاء السكان . وكان البلغاريون دون سواهم من مسيحيي الدولة العثمانية ، هم الذين لا يجدون فى الخارج اسرة مستقلة او شبه مستقلة يتوجهون بانظارهم اليها ، فضلا عن ان « يقظتهم » القومية اتت متأخرة جدا عن باقي يقظات السكان المسيحيين الآخرين . بيد ان هؤلاء البلغار استطاعوا بمساعدة الروس ان يحصلوا اعتبارا من ابريل 1870 ، من السلطان على نظام ديني جديد ، فبدلا من تبعيتهم للاسقف الارثوذوكسي بالقسطنطينية ، وهو يوناني ، اصبح لهم الآن كنيسة مستقلة على رأسها اسقف بلغاري . وكانت هذه الكنيسة عاملا مساعدا على ترعرع العاطفة القومية فى هذه البلاد .

ان هذا الاستياء من الدولة العثمانية ، هذا الاستياء المزمن فسح المجال لظهور حركة عصيانية كبرى فى سنة 1875 ، ابتدأت من البوسنة والهرسك وامتدت بعد اشهر عدة الى بلغاريا . فكيف نعلل هذه الحادثة ؟ بالنسبة للبوسنة والهرسك حيث اغلبية السكان تتكلم الصربية وتدين بالارثودوكسية ، بينما النبلاء المحليون يعتنقون الاسلام للمحافظة على امتيازاتهم ، يبدو ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية هي التي لعبت الدور الحاسم ، ذلك ان عموم الفلاحين، وخاصة المشتغلين فى اراضي الاسياد ، كانوا قد رفعوا عقيرتهم بالشكوى من الفداحة المتزايدة للواجبات التي يطالب بها هؤلاء الاسياد ، ناهيكم عن الزيادة الجديدة فى الاعباء الجبائية . وفى سنة 1875 انضاف الى بؤسهم هذا محصول فلاحي رديء .

1 – انظر الجزء الخامس ص 25 و 107 و 319 – المؤلف .

على تفادي تدخل محتمل « لدولة ثالثة » ما استطاعت الى ذلك سبيلا والمقصود بالدولة الثالثة انكلترا . ولقاء هذه الوعود سيكون للنمسا ـ هونغاريا الحق في احتلال البوسنة والهرسك ، فضلا عن تعهد روسيا بعدم نقل العمليات العسكرية الى الجزء الغربي من الجزيرة . وبالاجمال ادركت الحكومة النمساوية ـ الهونغارية انها لا تستطيع الحيلولة دون تدخل روسي ففضلت حلا وسطا يكون كفيلا بتحديد الخسائر وقمينا بتحقيق عوض مقابل ذلك .

ولما رفضت الحكومة العثمانية من جديد قبول الاصلاحات التي عرضتها الدول عليها في مستهل ابريل 1877 ـ وكان السلطان مايزال يعتقد انبريطانيا العظمى ستعارض في كل ضغط فعلي عليه ـ انتقلت الحكومة الروسية الى ميدان العمل . قالت بانها ستحارب من اجل الزام السلطان بتحسين احوال السكان المسيحيين في دولته ، ولكنها اكدت انها لا تنوي احتلال القسطنطينية ، ولا اجبار السلطان على مراجعة قانون بالمضائق باتخاذ قرار انفرادي ، ولا نقل العمليات العسكرية الى مصر الخاضعة للدولة العثمانية . وقد فعلت كل ذلك لتهدىء مخاوف بريطانيا العظمى .

وفي 24 ابريل 1877 دخلت الجيوش الروسية رومانيا بمساعدة حكومة بوخاريست ، ولم تلبث هذه الجيوش ان وصلت الى الدانوب دونما صعوبة تذكر ، لكن ، بعد ما شن الاتراك هجومهم المضاد تراجعت جيوش روسيا الى شمال النهر ، واضطرت ان تتوقف بسبب مناعة حصن بليفنا (Plivna) ولم تتحطم المقاومة التركية نهائيا الا بعد سقوط المدينة في يد الروس في نهاية نونبر 1877 وهكذا عبرت الجيوش الروسية بلاد البلقان ، وفي يناير 1878 فتحت ثغرة في سهل اندرينوبل (Andrinople) فاستولت عليه ثم صارت صوب القسطنطينية ، وعندئذ طلب الترك الهدنة ، فاظهرت القيادة الروسية عدم تسرعها في قبول هذا الطلب .

كان الروسيون ، حتى سقوط بليفنا ، يحاربون دون ان يجدوا معارضة فعالة من الدول الاخرى ، ولكنهم عندما ساروا في اتجاه القسطنطينية استولى الخوف على كل من بريطانيا العظمى والنمسا ـ هونغاريا . وكيف لا وروسيا لم تحترم العهود التي قطعتها على نفسها قبيل الشروع في القتال وفي بدايته ؟ ولذلك وجه ذزرائيلي ، على الرغم من تردد الاوساط المالية والاقتصادية انذارا الى الحكومة الروسية . ومما جاء في هذا الانذار ان الحكومة البريطانية سوف لا تقبل مطلقا احتلال القسطنطينية ، وانها سوف تتخذ ، ان اقتضى الحال ، التدابير الصارمة لحماية مصالحها . اما اندراسي فقدوجه بدوره في 15 يناير 1878 ، مذكرة طلب فيها من روسيا ان لا تجعل اوروبا امام الامر الواقع ، ويعني بذلك الا تقدم روسيا على فرض بنود الصلح مع تركيا قبل الاستشارة في هذا الشأن مع الدول الاخرى . وازاء هذه التهديدات اعطت حكومة القيصر الى القائد الاعلى امرها بالتوقيع على الهدنة . وقد تم هذا التوقيع في 31 يناير 1878 حيث كانت الجيوش الروسية امام خطوط تشاطالجا على قاب قوسين او ادنى من القسطنطينية

فهل يمكن ان نقول بان روسيا ستتنازل ، وتاخذ بآراء الدول قبل ابرام معاهدة الصلح ؟ ان المناصرين لانتهاج سياسة جريئة قد قضوا على النزعة التوفيقية التي سادت في الاوساط الرسمية الروسية ، واعني بها نزعة غورتشاكوف التي انتصرت اثناء التوقيع على الهدنة .

وهكذا اخذالسفيراينياتيف ـ وقدعاد من جديدالى القسطنطينية بزمام مفاوضات الصلح مع تركيا ضاربا عرض الحائط بآراء الدول الاخرى . انها لساعة حرجة ، نعم في 15 فبراير قرر مجلس الوزراء البريطاني ارسال اسطوله الحربي في البحر الابيض المتوسط الى بحر مرمرة ذلك الاسطول الذي رسا بضعة ايام قبالة جزيرة الامراء بحيث صار بوسع الخطوط الروسية ان تراه بأم اعينها : كان الوزير الاول يرى ان لا مندوحة من هذا التهديد ليطمئن قلب السلطان ، وان هذا الاخير قد يفكر في الارتماء في احضان روسيا لو ظهرت بريطانيا بمظهر الضعف. وفي 28 فبراير اعلنت حكومة النمسا ـ هونغاريا انها ستعد العدة للتعبئة ، الا انها ظلت تتردد في تحديد تاريخ هذه التعبئة بالرغم منالاقتراح البريطاني القاضي بوضع الوسائل المالية اللازمة رهن اشارتها . وبعد ما تبين ان النمسا ـ هونغاريا لم تكن عازمة على مساندة بريطانيا العظمى الى النهاية ، تمادي اينياتيف في خطته فاعد بنود المعاهدة دون ان يصادق عليها، فيما يبدو، غورتشاكوف نفسه . وفي 3 مارس 1878 وقع بالاحرف الاولى على معاهدة ستيفانو بين روسيا والباب العالي .

للاتراك فى محق صربيا والمونتينيغرو لاصيب النفوذ الروسي فى البلقان بضربة فى الصميم . وهكذا صرحت الحكومة الروسية امام الملا انها سوف لا تتردد فى التدخل بمفردها اذا لم تتفق الدول على ضرورة فرض برنامج للاصلاحات على السلطان لصالح السكان المسيحيين .

اما النمسا – هونغاريا فانها كانت تراقب عن كثب « طريق سالونيك » ، وباتت تحلم باقامة نفوذ لها فى البوسنة والهرسك لانها اعتبرت هذه المنطقة بمثابة امتداد طبيعي المقاطعة النمساوية دالماسيا . وكانت انظارها متجهة كذلك الى سنجق نوفيبازار التابع للاراضي العثمانية . ويقع هذا السنجق بين صربيا والمونتينيغرو . تلكم كانت شواغلها المباشرة ولكن من نافلة القول الاشارة الى انها لم تكن تحبذ نمو حركة سلافية فى البلقان برعاية روسيا .

واما بريطانيا العظمى فكانت ترى ان مصلحتها تدعوها لان تحافظ على سيادة الدولة العثمانية ، وهو نفس الموقف الذي وقفته فى الازمات السابقة، ذلك انها كانت تخشى ان تقدم روسيا – فى حالة انهيار العثمانيين – على احتلال المضايق . بيد انه لم يكن للاوساط السياسية اي راي قار وواضح فيما يرجع لممارسة ضغط على السلطان واجباره على تحسين احوال السكان المسيحيين ، فمعارضة الاحرار نقمت على السلطان نتيجة لنداء غلادستون الذي ندد فى كتاب شديد اللهجة «بفضائح بلغاريا » ، الى درجة ان المحافظين انفسهم تاثروا لهذا النداء . الا ان ذزرائيلي ، الوزير الاول ، ما كان ليولي « الحركات التحررية » لمسيحيي البلقان اي اعتبار . وبعد ما عاد من اسفاره فى الشرق اتى بانطباعات حسنة عن الاتراك حيث لم يفرق بينهم وبين العرب . كان يرى ان اشراك بريطانيا العظمى فى الضغط على الحكومة العثمانية قد يؤدي الى زعزعة ذلك النفوذ الذي تتمتع به الديبلوماسية الانكليزية فى القسطنطينية ، لذلك لم يدخر ذزرائيلي اي جهد فى التقليل من شأن مذابح بلغاريا وكان يتحاشى كل ضغط على السلطان لان ذلك – على حد تعبيره – سوف لا ينفع الا روسيا .

ارتسمت معالم الازمة الدولية حينما القى القيصر فى موسكو خطابا فى 11 نونبر 1876 ، صرح فيه انه سيوطد العزم على التدخل بقوة السلاح اذا لم تقرر الدول الاخرى ان تشترك معه فى الضغط على الحكومة العثمانية . وستظل هذه الازمة قائمة الذات ما يقرب من سنتين ، وستظل اوربا خلال هذه المدة فى حالة من الاستعداد للطوارىء .

ولتفادي اي تدخل روسي كان من اللازم اقناع السلطان عبد الحميد من اجل ان يتبنى على الفور برنامجا للاصلاحات ، ولهذا الغرض التأم مؤتمر السفراء فى القسطنطينية فى دجنبر 1876 ، وخرج هذا المؤتمر ببرنامج يحصل البلغاريون والبوسنايون الثائرون بمقتضاه على استقلالهم الاداري فى نطاق الدولة العثمانية . وللتملص من هذا الخطر الداهم اصدر السلطان دستورا ثم اعلن انه سيدعو البرلمان الى الانعقاد ، وعندئذ سيصبح فى امكان المسيحيين – كما قال – تقديم مطالبهم . وبهذه الوسيلة امكن تسوية مسالة « الشعوب الخاضعة » كان ذلك عبارة عن مهزلة لم تنطل فصولها على الدول الاوروبية . والواقع ان الحكومة التركية لم تكن تفكر فى اخذ بنظام دستوري حقيقي ولم تكن ترغب فى التعاون مع طائفة المثقفين الراغبين فى الاصلاح . ناهيكم عن « الشبيبة العثمانية » التي ما كانت تريد ان تفكر فى منح قانون خاص بالسكان المسيحيين .

وسوف تظهر الخلافات من جديد . عند تحديد التدابير الواجب اتخاذها من اجل الزام السلطان بالعدول عن خطته . ذلك ان مجلس الوزراء البريطاني رفض توجيه انذار واضح الى تركيا . اما الحكومة العثمانية فسوف تستفيد فى مستقبل قريب من هذا الموقف حيث ستنزع الى التخلي عن مشاريعها الاصلاحية . وهكذا احبطت سياسة ذزرائيلي مشروع العمل الجماعي للدول العظمى .

ان هذا الفشل سيتيح لروسيا فرصة التدخل بقوة السلاح . وقبل ان تخوض حكومة القيصر غمار الحرب اخذت الاحتياطات اللازمة ، كانت تريد الا تصطدم فى آن واحد بمصالح كل من النمسا – هونغاريا وبريطانيا العظمى . ولهذا دخلت فى مفاوضات مع النمسا – هونغاريا فى 1876 . وبعد ما توقفت هذه المفاوضات اثناء مؤتمر السفراء وبعد الفشل الذي اصاب هذا المؤتمر استؤنفت المحادثات التي انتهت فى 15 يناير 1877 بالتوقيع على معاهدة سرية . وفى هذه المعاهدة تعهدت النمسا – هونغاريا لروسيا بان تحافظ ، اذا ما وقعت حرب روسية – تركية ، على « حياد فيه حسن التفات » بل اخذت على نفسها عهدا بالعمل، عن طريق النشاط الديبلوماسى

الرولة العثمانية . الا ان المؤتمر منح على الخصوص للنمسا – هونغاريا التعويضات التي كانت تنتظرها اعني الحق في ادارة البوسنة والهرسك « بصفة مؤقتة » دون ان تباشر الحاقهما بالامبراطورية ، كما خولت حق الاحتفاظ بمعسكرات في سنجق نوفيبازار لحراسة « طريق سالونيك » وهكذا سويت هذه القضايا تبعا لمصالح الدول العظمى ، دون الالتفات لمصالح الشعوب البلقانية وآمالها .

ماهي نتائج هذه الازمة الطويلة الامد ، بالنسبة للعلاقات بين الدول العظمى ؟ اما النمسا – هونغاريا فقد احرزت على نجاح لا يجادل فيه احد، ما دامت قد ضمنت لنفسها السيادة الشاملة على القسم الغربي من جزيرة البلقان ، عن طريق احتلالها البوسنة والهرسك ، وتمتعها بحق اقامة معسكرات في السنجق ، فضلا عن المساعي التي بذلتها للتنقيص من التوسع الارضي الذي كانت تطالب به كل من صربيا والمونتينيغرو . وقد حصل آندرسي على هذه النتائج بلباقة ودون اللجوء الى تدابير التعبئة : فقد ترك بريطانيا العظمى تتقدم الى الامام واقتفى هو « الطريق الذي شقته انكلترا » .

واما بريطانيا العظمى فانها حالت دون انهيار الدولة العثمانية ، وهذا شيء عظيم في حد ذاته ، الا انها لم تستطع ان تجنبها ما كانت تعانيه من الضعف المحسوس الذي رافقه فقدان كثير من الممتلكات . والحقيقة ان بريطانيا العظمى كانت مضطرة للقيام « بتراجع استراتيجي » على الرغم من الموقف المهدد الذي وقفه ذزرائيلي . بيد انها استفادت من الظرف عندما نالت امتيازا كان على الدولة العثمانية ان تؤدي ثمنه ، فحينما كان التفاوض المريجري مع روسيا في مايو 1878 ، عرض مجلس الوزراء الانكليزي على الحكومة العثمانية حلفا دفاعيا لحماية تركيا الاسيوية مشترطا ان يجعل السلطان رهن اشارة بريطانيا العظمى قاعدة بحرية من شأنها ان تساعد الاسطول البريطاني على التدخل باسرع ما يمكن من الفعالية يوم يكون على الحلف ان يقوم بالتزاماته . اما السلطان فانه قد اذعن لهذا الشرط لانه كان في حاجة الى نجدة مالية من انكلترا لاداء مرتبات الجنود . وهكذا وضعت جزيرة قبرص قيد « الادارة الموقتة » لبريطانيا ، وتم ذلك باتفاق 4 يونيه 1878 .

وفيما يخص روسيا فانها نالت نتائج اقل مما كانت تنتظره . ليس من شك في انها زعزعت اركان الدولة العثمانية بدعوى حماية السلافيين ، وهذا ما لا يجب اغفاله لما سيكون له من اثر في الحوادث المقبلة ، الا انها الان تكبدت ضربة اصابت نفوذها في الصميم ، وذلك بتراجعها عن انشاء « بلغاريا الكبرى » والحقيقة ان السياسة الروسية لم تكن موجهة كما كان يجب ان تكون ، ولم يجعلها في هذا المازق سوى تصرفات اينياتييف الشخصية . ومع ذلك فان القادة الروس لاموا – بالطبع – الدول الاخرى بدلا من الرجوع الى الاخطاء التي وقعوا فيها . وهؤلاء القادة لم يصبوا حقدهم فحسب على بريطانيا العظمى والنمسا – هونغاريا ، اذ هاتان الدولتان عدوتان لدوذتان في هذه المسألة الشرقية – بل حقدوا كذلك على المانيا ءاخذين عليها كونها شجعت « تالب اوروبا » عليهم .

فهل اتى هذا اللوم في محله ؟ تلكم بلا ريب ، اهم نقطة في تفسير الازمة . الواقع ان السياسة البيسماركية تجنبت المساهمة في النزاع ، ما استطاعت لذلك سبيلا ، لانها كانت ترغب في عدم تعريض حلف الاباطرة الثلاثة للخطر . كان بيسمارك، قبل كل شيء يرى ان الواجب يحتم على المانيا ان لا تفضل روسيا على النمسا – ولا ان تصبح حكما في خلافاتهما . وقد كتب في اكتوبر 1876 يقول : «لنعلم ، بخصوص التعقيدات الشرقية ، ان عدم دخولنا في منازعات طويلة الامد مع انكلترا او مع النمسا – هونغاريا وهو الاخطر ، او مع روسيا وهو الادهى من ذلك كله ، لاهم بكثير ، بالنسبة لمستقبل المانيا ، من كل العلاقات مع تركيا ورعاياها او بينها وبين الدول الاخرى . ونتيجة لذلك ما كان بيسمارك ليوافق غليوم الثاني على اقتراحه الرامي الى توجيه «انذار» لروسيا . واتخذ نفس الموقف عند ما عقد السفراء مؤتمرهم بالقسطنطينية في دجنبر 1876 ، فلقد كان ممثل المانيا في هذا المؤتمر يردد دائما قوله : لا تلقوا بصوت المانيا في الميزان » . وحينما ابرم الاتفاق النمساوي الروسي في يناير 1877 ، استقبله بيسمارك بارتياح . وفي بداية الحرب الروسية التركية اكد للحكومة الروسية حياده المنطوي على حسن الالتفات ، وابعد كل احتمال بعرض وساطته التي قد تأخذ على حد تعبيره « طابع ضغط مناوىء لروسيا » ولم يقف موقف المتشدد ازاء السياسة الروسية الا اثناء معاهدة سان ستيفانو باعتبار ان انشاء « بلغاريا الكبرى » كان امرا « غير مقبول » من جانب النمسا – هونغاريا

تنص معاهدة ستيفانو على ان مدن قـــرص وبايزيد وباطوم الواقعــة فى الجزء الاسيوي من الدولة العثمانية ستضم الى روسيـــا ، وبالنسبة للجـــزء الاوربي نص على الحاق دوبرجة. ووعدت هذه المعاهدة كذلك بتوسيعات ارضيـــة فى صربيا والمونتينيغرو وبمقتضى هذه الوعود ستاخذ صربيا وادي المورافـــا الاعلى ، والمونتينيغرو منفذا على بحر الادرياتيـــك . واقرت هذه المعاهدة لصالح البوسنة والهرســـك قانونا يخولها الاستقلال الذاتـــي . ثم وافقت علـــى منح رومانيا الاستقلال التام وقد كانت من قبـــل مستقلة استقلالا ذاتيـــا . الا ان البنـــد الاساسي فى المعاهدة هو الذي يخص الاراضي البلغارية التـــي ستنفصل عن الدولة العثمانية لتكون امارة مستقلـــة استقلالا ذاتيا اسمها « بلغاريا الكبرى » . ويجب ان تمتد هذه الامارة من الدانوب الى بحر ايجه وهـــذا يعني انها ستضم مقاطعة الروملي وجزءا كبيرا مـــن ماكيدونيا . وبمقتضى نصوص المعاهدة فان الدولـــة العثمانية ستظل محتفظة ، بدون منازع ، بممتلكاتهـــا الاوروبية على الرغم من فقدان البوسنة والهرســـك والمناطق البلغاريـــة . الا ان هذه الممتلكات ستنقســـم الى شطرين تتحللهما « بلغاريا الكبرى » . ويضـــم الشطر الاول تراقيا الشرقية ، والشطـــر الثانـــي البانيا وسهول الفاردار . اما فى امارة « بلغاريـــا الكبرى » فسيكون النفوذ الروسي مخيما على جميع اجزائهـــا ، وكيف وهي التي انشئت من لدن روسيـــا ولصالح روسيـــا ؟ نعم اصبح للجيوش الروسيـــة الحق فى ان تقيـــم معسكرات داخل الامارة لمـــدة سنتين ، وهذا الحق خول للقيصر شيئا آخر وهـــو تنصيب الحكومة حسب هواه فى « بلغاريـــا الكبرى »

وهكذا وضعت اوروبا امام الامر الواقع بالرغم من الانذارات التي وجهتها كل من بريطانيا العظمـــى والنمسا ــ هونغاريا . وستطلب حكومتا لندن وفيينا عما قريب مراجعة معاهدة سان ستيفانو بواسطـــة عقد مؤتمـــر دولي . وسوف لا تمتنع حكومة روسيـــا من الاستجابة لهذا الطلب : اذ فى 6 مارس 1878 يأخذ غورتشاكوف من جديد بمزام الامور ، وكان اينيايتيف قد ضفى عليه ردحا من الزمان . ولذلك فلا غرابـــة اذا قبل غورتشاكوف بمبدأ عقـــد المؤتمـــر . الا ان هذا القبول لم يهدىء مطلقـــا الشواغـــل التـــي كانت تستولي على الاذهان ما دامت روسيـــا قد استفادت من الوضعية المكتسبة . وهل من سبيل الى ابعادها من الاماكن التي احتلتهـــا ؟

وللوصول الى هذه الغاية بذلت كل من بريطانيا العظمى والنمسا ــ هونغاريا جهـــودا تجسمـــت فى اجراء مفاوضات مباشرة وعلى انفراد مع الحكومـــة الروسيـــة . كان لهذه المفاوضات التي سبقت المؤتمر شأن حاسم . والواقع ان الحكومة الروسيـــة كانـــت على علم بالانهيـــار الذي اصاب جيشها من جـــراء الحرب مع تركيـــا ، الامر الذي لا يمكن من مجابهة اي نزاع مع اوروبا . زد على ذلك ان هذه الحكومـــــة كانت تتخبط فى مشاكل مالية ، وظلت تطلب عقـــد قرض مالي من السوق المالية الفرنسية بدون جدوى لهذه الاسباب اضطرت الى التراجـــع واذعنت امـــام الملا التهديد البريطاني « قرر ذزرائيلي فى 27 مارس استنفار احتياطي الجيش الانكليزي » ، الا انهـــا فى الحقيقة كانت تعلم جيدا انها لو خاضت غمار حرب مع انكلترا لتدخلت النمســا ــ هونغاريـــا فى الحيـــن . وفى اعقاب المفاوضات التي كانت مرة كالحنظل ابرمت روسيا تسويات فى 30 مايـــو مع بريطانيا العظمـــى وفى 6 يونيه مع النمسا ــ هونغاريا ، وترمي هـــذه التسويات الى الضرب صفحا عن « بلغاريا الكبرى» لتحل محلها امارتان ستدعى احداهما بلغاريـــــا وستعطى استقلالها الذاتي ، والثانيـــة ، وهي امـــارة الروملي ، ستظل خاضعة للسيادة العثمانية بشرط ان يعين على راسها حاكم مسيحي . وفى جنـــوب الروملي تبقى المنطقة المصاقبة لبحرايجه عثمانية دون ان ينقص منها شبر واحد . ويشمل الاتفاق الروســـي ــ الانكليزي بالاضافة الى ذلك ، بنـــدا يتعلـــق بالالحاقات الروسيـــة فى تركيا الاسيوية : اذ ستبقـــى روسيـــا محتفظة بمدينتي قصر وباطوم دون بايزيـــد التي توجد على راس الطرق المؤديـــة الى نهر الفرات ، وتعهدت روسيا تعهدا كليا بان لا تحاول التوسع اكثر من هذا الحـــد ، فى المستقبل .

وعليه فقد توصل الى ما هو اساسي . ولـــــم يكن من شان المؤتمـــر الدولي المنعقد ببرلين مـــــا بين 15 يونيه و13 يوليوز برئاسة بيسمارك ، الا ان صادق على الاتفاقات التي ابرمت فيما قبـــل . بيد ان بعض التفاصيل قد اضيفت الى هـــذه الاتفاقـــات ، ويتعلق الامر بالتقليل المحسوس من المساحات الارضية التي منحت لصربيا والمونتينيغرو بموجب معاهدة سان ستيفانو واعطاء الوعد لليونـــان بتوسيع اراضيها فى تيساليـــا ، والزام رومانيا بالتخلي عن بصارابيـــــا الجنوبية لصالح روسيـــا مقابـــل اخذ اقليم دوبرجـــة الذي اقتطعته معاهدة سان ستيفانو من اراضـــــي

الحالة الاستثنائية ولكنها كانت تدرك ان هذه الفائدة انما هي ظل زائل

اما في رومانيا فقد احرزت السياسة النمساوية ـ الهونغارية ، بمساعدة المانيا ، على نتائج اكثر استمرارا . الا ان معظم هذه النتائج ظل مرتبطا بسياسة الامير الشخصية . كان كارول من آل هوهانزولين يكن للامبراطورية الالمانية عواطف المحبة والود ، وليس من شك في ان هذا العطف لم يكن ليشمل حتى النمسا ـ هونغاريا ، باعتبار ان هذه كانت تسيطر في ترانسيلفانيا وبوكوفين (Bukovine) على ثلاثة ملايين من الرومانيين . بيد الامير كان يضمر لروسيا عداوة اشد لانها فرضت على رومانيا في سنة 1878 التخلي عن بصارابيا الجنوبية لقاء عوض بسيط ، زيادة على انها بحكم سيطرتها على الامارة البلغارية ، تستطيع ان تضغط من جهتين، على الدولة الرومانية. وعليه فالخطر الروسي في نظرها كان اقرب وقوعا من الخطر النمساوي ـ الهونغاري وهنا وجدت الديبلوماسية الالمانية مجالا فسيحا للعمل . ففي 30 اكتوبر 1883 وقع كارول مع النمسا ـ هونغاريا على معاهدة حلف دفاعي مناوىء لروسيا ، ولم تلبث المانيا ان اعطت موافقتها على هذه المعاهدة .

ذلكم ، فيما يبدو ، ما ضمن للنمسا ـ هونغاريا في البلقان نفوذا متزايدا ان لم نقل مهيمنا .

اما روسيا فانها كانت في هذه الاثناء تلعب بالورقة البلغارية ، فبفضل وجود جيوشها اكتسبت في سنة 1879 نفوذا حاسما . وقد اختار البرلمان البلغاري الذي يعرف باسم « السوبرانيي » الاسكندر الباتنبرغي ، اميرا على بلغاريا ، ولد هذا الامير بالمانيا . وكان له ارتباط بالاسرة الملكية الانجليزية عن طريق الزواج ، ثم انه ابن اخت القيصر الذي دعم ترشيحه الى منصب الامارة . ان هذا الامير عهد الى جنرالين روسيين بوزارتي الدفاع والخارجية وهذا يعني ان الامارة البلغارية صارت تدور في « فلك » روسيا . ولكن السياسة الروسية سوف تكابد ، عما قريب بعض الصعاب . فهذه السيطرة لم تلبث ان اصطدمت بمعارضات تجلت في الاوساط البلغارية المتقدمة ، حيث ان الروسيين ، زيادة على ذلك ، احتفظوا باهم المناصب في الادارة ، وبذلوا عن طريق مد السكك الحديدية ، جهودهم للسيطرة على الحياة الاقتصادية . وهكذا ظهرت ، بتأثير من كارافلوف (Karavelof) حركة قومية بلغارية تهدف الى التحرر من النفوذ الروسي ، آخذة على الامير ليونة جانبه التامة ازاء القيصر . وقد حسب باتنبرغ لهذه المعارضة حسابها ، واعار اذنا صاغية النصائح البريطانية ، فحاول في سنة 1883 ان يعفي وزيريه الروسيين الا انه اضطر ان يحارب متقهقرا امام امر من القيصر ، ومن الآن فصعدا فقد ثقة حاميه : فقد صرح العاهل الروسي في سنة 1885 لوفد بلغاري بقوله : لا تنتظروا مني شيئا ، ما دمتم محتفظين بحكومتكم الحالية » .

وانفجرت الازمة في السنة التالية ، فمن ليلة 20 الى نهار 21 غشت 1886 « اختطف » الامير من لدن ضباط بلغاريين ، وسيق الى الحدود . وقدم الملحق العسكري الروسي في صوفيا سنده في هذه المؤامرة وبالرغم من احتجاجات الوطنيين البلغاريين الذين طالبوا بعودة الامير ، وبالرغم من ان هؤلاء نالوا، لمدة ايام معدودات ، مبتغاهم ، الا ان الامير اذعن في 7 شتنبر وتنازل عن العرش اعتقادا منه ان الاحتفاظ بالسلطة مع معاندة القيصر امر غير ممكن . وعليه فالظاهر ان الحكومة الروسية قد فرضت نفوذها من جديد على الامارة ، وشكلت فيها حكومة مؤقتة لا تأتمر الا بامرها . ولكن المقاومة الوطنية لم تضع السلاح ، فحينما تعلق الامر بتعيين الامير الجديد اعرض مجلس السوبرانيي ، في يوليوز 1887 عن المرشح الذي سبق لروسيا ان قدمته ، وعين فرديناند من ساكس كوبروغ ، حفيد لويس فيليب من جهة ابنته ، الا انه كان ضابطا في الجيش الهونغاري ومؤيدا من جانب حكومة فيينا . كان هذا ، بالنسبة للسياسة الروسية فشلا ذريعا : لانها لم تنجح في الاحتفاظ بالامتياز الوحيد الهام الذي اكتسبته في مؤتمر برلين . وهكذا فلت زمام الامر من يدها في بلغاريا ، وقد حصل لها نفس الشىء في صربيا ثم في رومانيا . فما هي الحظوظ التي ستظل محتفظة بها في الجزيرة البلقانية التي كانت قبل عشر سنوات خلت ، محط آمالها في الهيمنة ؟

ان القيصر الذي كان ذا عقل « ساذج جدا » وافكار ثابتة اكثر منها بسيطة رأى ان النمسا ـ هونغاريا قد عاملته « معاملة الخنازير » وتلكم هي العبارة التي استعملها في يناير 1888 اثناء محادثة له مع السفير الالماني . ومع ذلك فعلى ما يظهر انه لم يفكر في الرد ، بأكثر مما فعله في سنة 1878 .

فاس : عبد الحق بنيس

ولكن بمجرد ما اعلنت حكومة القيصر تراجعها عن هذا الهدف ، نصح بيسمارك لحكومة النمسا – هونغاريا ان تقبل باتفاق مع روسيا . اما النظرية التي يقول عدد بها من المؤرخين من ان المستشار وقف موقفا معاديا تمام المعاداة للسياسة الروسية فهي على ما يبدو لا ترتكز على اساس . اذ لماذا يقع اهمال راي شافالوف ، المندوب الروسي الثاني في مؤتمر برلين ؟ ان هذه الشخصية اعتبرت ان سياسة بيسمارك كانت في الاساس لصالح روسيا . حقا ان القيصر اعتقد ان المانيا كانت لها نوايا سيئة . وبالرغم من ان هذا الانتقاد لم يكن مرتكزا على الواقع فانه كان كافيا لجعل الاتفاق المبرم في سنة 1873 بين روسيا والمانيا في خبر كان .

وعلى ما يظهر ان بيسمارك لم يكن ينتظر من روسيا رد فعل كهذا ، وقد مني بخيبة امل ، وغضب لهذه النتيجة . واذا اخذنا بما رواه شاهد عيان ، فانه سيعود في المستقبل للتعقيب على ذلك بقوله : ان مؤتمر برلين « كان اكبر خطأ ارتكبه » في حياته ، وان الواجب كان يدعوه الى ترك روسيا وانكلترا يفترس بعضهما بعضا » وان سلوكه في 1878 كان كسلوك « مستخدم بلدي » .

*

ظلت القضية البلقانية ، بعد ان سويت على الصعيد الدولي في سنة 1878 ، مصدرا دائما للمصاعب بين النمسا – هونغاريا وروسيا ، واستمرت هاتان الدولتان تواصلان جهودهما لبسط نفوذهما المتنافر . اما نجاحهما في هذا الصدد فكان متفاوتا في درجاته .

فالنمسا – هونغاريا نالت في صربيا ورومانيا نتائج هامة بين سنتي 1881 و1883 ، ولم تفلح في استمالة حكومة صربيا الا بمعونة ظروف استثنائية محض . فقد كان امير صربيا ميلان اوبرينوفيتش شغوفا بحب المال ، وصارت فضائح حياته الخاصة حديث الراي العام الذي كرهه حتى فقد كل سلطة معنوية له . وللمحافظة على سلطانه لم يتردد في البحث عن سند حكومة فيينا ، على الرغم من انه كان يعلم علم اليقين ان التقرب من النمسا – هونغاريا لا يتفق ومطامح الاغلبية الساحقة من السكان الصربيين ، وبالاخص حينما وضع صربيو البوسنة والهرسك قيد الادارة النمساوية – الهونغارية . وفي 28 يونيه 1881 وقع ميلان على معاهدة سرية لم يخبر بها رئيس مجلس الوزراء الا بعد التوقيع عليها . وفي هذه المعاهدة تواعدت كل من صربيا والنمسا – هونغاريا على الوقوف موقف « الحياد المشفوع بحسن الالتفات » اذا وجدت احداهما في حالة حرب . وتعهدت حكومة صربيا بان لا تسمح باعداد ترتيبات فوق اراضيها تكون موجهة ضد النمسا – هونغاريا او ضد القانون الجديد الخاص بالبوسنة والهرسك ، ثم تعهدت فوق ذلك بعدم ابرام اي معاهدة سياسية دون سابق اتفاق مع النمسا – هونغاريا . ولقاء ذلك تسند النمسا – هونغاريا السلالة الحاكمه في صربيا صحيح ان ميلان ، ازاء احتجاجات رئيس المجلس الوزاري الذي رأى في المعاهدة انها تكتسي صبغة « حماية » احرز من النمسا – هونغاريا على تخفيف من قيود هذه المعاهدة ، كالاحتفاظ بحق ابرام المعاهدات مع الدول الاخرى بحرية على ان لا تمس ذلك « بروح المعاهدة النمساوية – الصربية » الا ان ميلان اخذ على نفسه عهدا شخصيا ، بواسطة رسالة سرية بانه سوف لا يوقع اية معاهدة سياسية الا اذا وافقت عليها مقدما حكومة فيينا . وعلى نفس الاسس سيجري في سنة 1889 تحديد هذه المواثيق لمدة ست سنوات اخر ، وهكذا فالسياسة الخارجية لصربيا اصبحت تابعة لسياسة النمسا – هونغاريا . وجزاء لميلان على ليونة جانبه فانه نال ، بمعونة فيينا لقب ملك ، في سنة 1882 .

ومع ذلك لم يخل التعاون الشخصي بين الملك الجديد وبين النمسا هونغاريا من عواصف ، فقد كان ميلان ، في بعض الاحيان ، يتعاطى لمناورات يضغط بها على النمسا – هونغاريا ، حدث مثلا في سنة 1885 انه هدد بالتنازل عن العرش لما رفضت الحكومة النمساوية – الهونغارية ان تقرضه المبالغ اللازمة لانشاء السكك الحديدية وفي اعتقاده ان تصرفا من هذا القبيل قد يؤدي الى « توجيه السياسة الخارجية الصربية وجهة اخرى »، واحيانا اخرى كان يقف مواقف طائشة : الم يعرض على الحكومة النمساوية – الهونغارية ، في سنة 1886 ان يتخلى ان اقتضى الحال عن «حقوقه في العرش» للامبراطور فرنسوا جوزيف ، مقابل تعويض نقدي يعطى له او لولده ؟ اما الديبلوماسيون النمساويون الذين اندهشوا لهذا العرض فانهم لم يعيروا له اي اهتمام لانهم ادركوا مدى خطورته ، وقد علق احدهم على ذلك بقوله : ان ميلان مصاب في اعصابه . ان النمسا – الهونغارية ، لم تدخر جهدا في الاستفادة من هذه

ونذكر من تلامذة الخليل بن احمد البارزين فى الحقل اللغوي « سيبويه » والاصمعي والنضر بن شميل والليث بن المظفر وغيرهم .

وقد ظهرت شخصية الخليل قوية واضحة فى تأليفات هؤلاء التلاميذ ، فهذا سيبويه ينقل فى كتابه الكثير عن الخليل بدرجة ملحوظة جعلت النقاد يعتبرون سيبويه قد جمع فقط اراء شيوخه الذين كان اهمهم الخليل ودونهما فى سجل عرف فيما بعد بالكتاب .

ولم يبرز الخليل فى العلوم اللسانية من نحو ولغة وشعر فحسب ، بل كانت له دراية واسعة بالعلوم الشرعية والرياضية ، واكثر من هذا كان بارعا فى الموسيقى والنغم .

3

هذا ، وتتفق كتب السير جميعا على ان الخليل هو واضع علم العروض وقواعده فى اللغة العربية ، ولا تزال طريقته هي السائدة اليوم ، على الرغم من المحاولات الكثيرة الاخرى التي بذلت لوضع طريقة غيرها على انه لم يصل الينا من مؤلفاته فى هذا الموضوع سوى شواهد من ابياته وردت فى رسائل وكتب مختلفة .

وان نظرة واحدة الى الطريقة التي وضع بها علم العروض الذي اتفق الجميع على انه هو الذي ابتكره دون سابق مثال لتدلنا على ان الخليل كان ذا عقلية مبتكرة ، وقد روي فى هذا انه كان يوما مارا بحداد ، فاستهواه دق المطرقة المنتظم ، فلما حاول ان يربط بين هذه النغمات الرتيبة وبين الاوزان فى الشعر العربي تم له ذلك باختراع علم العروض وكانت التفعيلات التي استعملها الخليل كموازين للشعر وتقطيع الابيات على حسب تلك الموازين الذي يؤدي احيانا الى شطر الكلمة الواحدة او ضم كلمة مع جزء اخر لتكون وحدة عروضية معينة ، كانت كل هذه الاشياء الجديدة على اللغويين الاولين ، اشبه شيء بالالغاز ،ولكنه عمل من اجل فرض هذا العلم على الفكر العربي ، كما عمل على ارسائه واعتباره جزءا من الثقافة العربية ..

4

وكان الخليل بن احمد ايضا اول من صنف معجما عربيا وهو المعروف بكتاب « العين » ولا غرابة فى ان يكون اهتمام الخليل فى ذلك الوقت بجمع اللغة وترتيبها خاصة اذا علمنا ان على يده رسخت دراسة اللغة العربية فى نفوس ادباء وعلماء ذلك العصر الذي ابتداه الخليل بكتاب العين وختمه ابو القاسم الزجاجي باماليه .

والواقع ان الاحاطة باللغة العربية كان فى عصر الخليل نوعا من التفوق الشائع الذي يرافق سائر فروع العلم الا ان جريان اللغة فى مجرى علم الحديث خلق تهيب القديم وسن طريقة النقل والتقليد وكان المجهود الجبار الذي بذله ايمة العلم والادب فى جمع اللغة والوصول بشرحها، وايراد شواهدها الى الكمال قد جعل ذلك العلم كالصرح الشامخ لا يقدر على الخوض فيه الا النوابغ والعباقرة ..

5

واذا ما القينا نظرة على كتاب « العين » للخليل ، وهو كما يتفق عن ذلك كل الرواة والنقاد احسن ما صنفته براعة عبقري اللغة العربية خليل بن احمد وجدناه اول معجم شاهده العالم قبل ان تكون لاية لغة اخرى قاموس او معجم لغوي .

ان المبادىء الرئيسية التي بنى عليها الخليل ترتيبه فى هذا المعجم تنحصر فى اربعة نقط : « كما يؤكد ذلك صاحب كتاب المعاجم العربية » .

اولا — رتبه ترتيبا ابجديا ، عكس ما كان موجودا فى عصره حيث كان النقلة والمصنفون يرتبون كتيباتهم بحسب موضوعاتها ومعانيها ، وبهذا يكون الخليل بن احمد مبتكرا وسباقا فى هذا الموضوع ايضا ..

ثانيا — نظم كلمات معجمه تبعا لحروفها الاصلية بقطع النظر عن الاحرف الزائدة فيها وهذا المبدأ ظل متبعا فى كل مراحل تطور المعجم العربي فى عصر الخليل الى عصرنا هذا حيث نجد ذلك مجسما فى معاجم المجامع اللغوية والعلمية بالقاهرة ودمشق وبغداد ..

ثالثا — خضع تبويب الكلمات لنظام الكمية حيث تسجل الاصول على الشكل الآتي :

الثنائي — الثلاثي — الصحيح — الثلاثي المعتل — اللفيف — الرباعي — الخماسي المعتل .

رابعا — عالج فى معجمه الكلمة ومقلوباتها فى موضع واحد .

الخليل بن احمد الفراهيدى

اول معجمي عربي

بقلم الاستاذ محمد اديب السلاوى

المثقفون الاولون فى الدولة العربية كانـوا لا يعيرون الى جمع اللغة العربية وترتيبها أي اهتمام ، ذلك لانهم كانوا ياخذونها من افواه العرب ، فمن اراد تعليمها او اخذها ببلاغتها ورنتها ومصطلحاتها ، فليتعلمها من بوادي العرب فى البصرة والكوفة – فى العراق .. او من قبائل الجزيرة ، او من عرب الشام ..

فابن المقفع ، وابن برد وغيرهما من المتقفين والعلماء الكبار اخذوا العربية من بوادي العرب ، شأنهم فى ذلك شأن الشعراء والكتاب الذين سبقوهم .

وبقي الحال هكذا بالنسبة للعربية الى ان جاء عصر التدريس وتخصصت جماعات من رجالات العلم العرب لكتابة الفقه ووضع علم النحو ، وجمع اللغة العربية ، وكان من اشهر هؤلاء عبد المالك بن قريب الاصمعي والكسائي والازهري ، ثم جاءت فترة وضع القواميس لهذه اللغة ، لترتيبها وحفظها من الضياع والتلاشي ، وكان من اشهر المعجميين بل من ايمتهم خليل ابن احمد الفراهيدي ..

1

لقد جاءت اللغة العربية ، اقدم من العرب ، ولذلك لم يكن تركيبها فى بداية الحضارة الاسلامية طبيعيا ، فان العرب حينما استعملوا لغتهم فى الشعر والخطابة كان ورثة المدنية فى العالم القديم قد انتهوا من وضع قواعد متواطأ عليها فى استعمال اللغات : كان الاغريق مثلا قد فرغوا من وضع علم البلاغة والشعر كما كان اللاتين قد بلغوا السماكين فى فنون الخطابة والبيان ..

اما الدولة العربية فكانت آنذاك ثقافة الشعر عندها ذخرا كما كانت مزايا اللغة العربية اعظم من مزايا الشعر وخاصة بعد ان صارت كالمرآة تنعكس عليها كل صور المجتمع والبيئة والفكر العربي حيث غلبت اللغة وروايتها على سائر فنون الادب وشعب العلوم وانبعث ذكاء العرب بها بعد مجيىء الاسلام انبعاثا فياضا ملأ الكتب والمجالس وسال على السنة الرواة والحفظة ..

وقد يكون القرن الثاني هو بداية هذا النشاط الفكري العريض الواسع حيث ظهرت مؤلفات كاملة فى مختلف العلوم الاسلامية والعربية ، ففي ميدان الحديث ظهرت موطأ مالك كما ظهرت بجانبه من ناحية اخرى سيرة ابن اسحاق ، وكتاب النحو لسيبويه ومن قبل كل هذا ظهر معجم العين فى اللغة الشيخ الخليل ابن احمد الذي كان له الفضل ايضا فى وضع علم العروض فى اللغة العربية .

2

والخليل ابن احمد عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي قد ولد في مدينة عمان على شاطىء الخليج الفارسي سنة 100هـ ولكن نشأته بالبصرة غلاما ، وتلقيه التعليم بها تلميذا وطالبا ورياسته لجامعتها جعلته يشتهر «بالبصري» وقد كان الخليل بن احمد من اوائك العلماء القلائل الذين انحدروا من اصل عربي صرف حيث ينتسب الى بطن فرهود من قبيلة الازد.

درس الخليل الحديث وفقه اللغة على يد ايوب السختياني والعوام ابن حوشب وغيرهما ، وكان الخليل رجلا شديد الورع ، عاش حياته فقيرا حيث رضي وقنع بعيشته الزهيدة المتواضعة لكثرة انشغاله بالعلم والتفكير فى شؤون ارتقاء الفكر العربي واللغة العربية .

صيانة الوثائق وأهميتها في التاريخ

للأستاذ : محمد كليطو

-4-

كان الحديث ولا زال موضوعه هو الوثيقة عبر العصور ونظامها الايجابي كلما التجأ اليها الباحث ، والوثائق كانت تسهر عليها ادارة القانون ، لكن لما اخمدت نيران الثورة واستتب الامن واستقر الحكم ، اقتضى الامر باسنادها لمن هو اهل لها ، وشأنها من اختصاصاته الا وهو (وزير المعارف والعلوم) لان مامورية الوثائق كانت جديرة بان تسند من حين لآخر الى اشخاص تتلاءم مصلحة الظروف مهامهم بها ، كما كان ذلك عند الاسلام في القرون الوسطى ، اذ كان المنوط بها وبشؤون المكتبة كاتب ديوان الانشاء ، وكاتب السر – كاتمه – ثم نكيف بها صاحب البريد اي بما يعرف الآن بمكتب الضبط ، وبعد كلف بها مجلس الاوقاف الذي كان ينفق على التعليم ويسهر على محافظة المساجد التي كانت تعد بمثابة المدارس ، والداعي الى ذلك هو لما اصبح اهل البر والاحسان يوقفون ما لديهم من كتب ووثائق لفائدة التعليم ونشر الثقافة ، وقد استمر هذا النظام في الاسلام وفي كل قطر عدة قرون الى ان تطورت الاحوال ، فاصبحت المكتبة والوثائق من اختصاص وزارة التربية الوطنية في كافة البلاد العربية .

انفصال الوثائق عن ادارة القانون

كانت المستندات منذ زمان بعيد يدير شؤونها الملك او القيصر ثم تسلم امرها في العصر اليوناني وزير المالية وفي العصور الرومانية اصبحت في حيازة الملك ، وكانت الملوك هي التي تسهر عليها وتنقلها معها في الاسفار وحتى في الحروب وكم من وثائق ومكتبات نكبت غير ان فرنسا لما اصيبت وثائقها في واقعة « فريتفال » قررت ان تضعها بقصر « اللوفر » وكلفت بالسهر عليها مسؤول ، وفي كل وقت كان الملك يعين عليها محافظا بمرسوم يصدره ، واخيرا تكلف بها الاستاذ «كاميس» المذكور سابقا والمحامي للبرلمان ونائب مدينة باريس وفي 28 ماي من مطلع القرن التاسع عشر انفصلت من الهيئة القانونية (وتكلفت بها وزارة الداخلية الى حوالي سنة 1887 .

فصدر مرسوم بتاريخ 14 ماي سنته جعل امر الوثائق من شأن وزارة التربية الوطنية وانيطت بها ادارة مستقلة بشؤونها الخاصة والعامة (الفنية والمادية والادبية) نظرا للاطار المتوفر في الرجال الاكفاء للقيام بتسيير هذا العمل ، وعلى اثر ذلك صدر مرسوم يحتم على جميع الوزارات ان تدفع مستنداتها لدار الوثائق الوطنية ، ومعلوم ان المراكز التابعة لهذه الاخيرة في كل بلد لها فرع ستنال حظها من كل مصلحة ادارية بدائرة الاقليم ويفرض النص المذكور ان تدفع الوثائق بانتظام في اجل معين بعد مرور زمن على انتدابها ثم اردفه بند آخر بتاريخ 21 يناير 1801 يقضي بفسخ العقدة المبرمة والمشار اليها من قبل، فتوقفت اللجنة المؤقتة التي كانت انيطت بتصفية الاوراق ، ونظرا لعملها المثمر صدر قرار بتاريخ 23 اكتوبر 1801 ينص بتوظيف اشخاص من تلك اللجنة في سلك موظفي ادارة الوثائق .

وبعد حين انشاء مكتب خاص للمآثر التاريخية وبعد لقب بالقسم القديم ، جمع هذا القسم مفردات من النوادر ما يعجز القلم عن وصفها لكثرة وفرتها وما فيها من اشياء ملموسة يرجع البعض منها تاريخه الى القرن السابع الميلادي وتنحصر وثائقه الى فجر الثورة الفرنسية . ووضع بجوار هذا القسم جناح خاص يطلق عليه متحف تاريخ فرنسا مملوء بالنفائس والاشياء التاريخية التي لها شأن وثيق مع التاريخ المدون .

قصر سوبيز (Soubise) مقر الوثائق الدائم

لما توفي الاستاذ «كاميس» خلفه «ضونوو» (Daunou) سنة 1804 وبعد تعيين هذا الاخير بأربعة اعوام نقل مستودع الوثائق من قصر اللوفر الى قصر سوبيز وهو المقر الدائم والحالي ويسمى : الوثائق الوطنية الكائن بشارع الوثائق زنقة فرنك بورجوا بباريس .

6

وتجدر الاشارة الى ان جميع الذين الفوا المعاجم من بعد الخليل بن احمد قد اتبعوا نهجه هذا ، ذلك النهج الذي وجد صدرا رحبامن لدن المستشرقين وايمة اللغة وفقهها في الشرق والغرب .

والملاحظة الاساسية هي ان هذا المعجم وجد في الوقت الحاضر متسعا من البحث في الجامعات والمعاهد الاوربية على الخصوص ..

لقد كان لوضع كتاب العين في اللغة العربية صدى كبيرا بين علماء اللغة والادب في مختلف العصور حيث نهج طريقته كثير من الرواد من امثال الخزرنجي ، وابي الازهر البخاري والثياني .

اما اهم المعاجم التي سارت على نظام العين وبقيت حتى وصلت الى عصرنا فمنها ما وضعه المشرقيون ، ومنها ما الف في الاندلس ابان ازدهار الحضارة الاسلامية كالجمهرة لابن دريد وتهذيب اللغة للازهري ، والبارع لابي علي القالي والمحكم لابن سيدة ، واحسنهم ، واتقنهم مختصر العين لابي بكر الزبيدي «1» .

ان مختصر العين هو المعجم الثاني الذي شهدته الاندلس العربية والذي اهتم به علماء اللغة العرب في الاندلس من المتاخرين والذين اثنوا عليه ثناء عظيما .

قال عنه الفيلسوف ابن خلدون :

كان الخليل اول من فكر من اللغويين العرب في وضع معجم ابجدي وسماه العين وقد وضعه مفصلا مطولا ، وقد اختصره الزبيدي بطريقة بديعة ، حيث حذف ما يستغني عنه مبقيا على روح الكتاب واصله:

وذكر بروكلمان وكذلك دائرة المعارف الاسلامية على الكلام عند الخليل :

« ان كتاب العين يعتبر في حكم المفقود ، ولكن هنا افضل كتاب يقوم مقام « العين » هو مختصر العين للزبيدي الذي يمثل الكتاب الكبير اصدق تعبير » ...

وذكر الدكتور عبد الله درديس في كتابه المعاجم العربية عند حديثه عن كتاب العين .

« يبدو ان الزبيدي لم يدع للشك طريقا في ان « العين » أجمع معجم عربي يجب ان يختصر لعالم الثقافة والفكر والتعليم العربي ، ولذلك فهو اختصره ، وحافظ على روحه الاصلية ، لانه عالم انوي تحمل مسؤولية في الاختصار كاملة » .

7

ذلك هو الخليل بن احمد الذي اضاف الى جمال وعذوبة اللغة العربية شيئا اسمه المعجم ، والذي اضاف الى ادبها شيئا اسمه العروض .

وعلى الرغم من ان ثمة اقوال كثيرة في ان «العين» ليس من تاليف الخليل للتنقيص من سمعته ، فان النقاد اللغويين المشارقة والمغاربة قد اثبتوا ان هذه الاقوال لا ترمي فقط الا للتقليل من سمعة الخليل .

ومهما يكن من امر فان الخليل سيظل الى الابد علما من أعلام الفكر العرب الذين خدموا اللغة العربية وادابها ، ومن الذين عملوا على نشرها ، وارتقائها الى الدرجات المثلى التي لن تنقل اليها اي لغة حية اخرى بعد ، بواسطة معجمه العين ، واختراعه للعروض على الرغم من قدم اكتشافاته العلمية التي يرجع تاريخها الى اكثر من الف سنة.

فللعرب والعروبة ان تفتخر برجل جليل الذكر اسمه الخليل بن احمد الفراهيدي .

محمد اديب السلاوي

م» هذا المعجم صدر عن وزارة الشؤون الاسلامية تحقيق الاستاذ علال الفاسي ومحمد بن تاويت الطنجي

ولقد ظهر اول فهرس مطبوع « بفرنسا » في منتصف القرن الماضي قام بنشره المحافظ « ليون دو لابورد » (Léon de Laborde) ويشتمل هذا الكتاب على ايضاحات مستوفية وعما اكتشف من وثائق قديما وحديثا ، وكانت الغاية من نشره تهدف الى تنوير الفكر العام والتعريف بمدى اهمية هذا التراث ، ويحتوي الفهرس على نبذ تاريخية مفصله تفصيلا دقيقا بجميع المراحل منذ عصور قديمة .

القسم القديم :

هو اول قسم جمع الوثائق العتيقه ونظرا لأهميته يلقبه الفرنسيون : (قديس القديسين) لانه يشتمل على عدد لا يستهان به من النوادر العتيقة ، ومن جملتها اقدم وثيقة على البردي يرجع تاريخها الى سنة 627 ميلادية اي بعد هجرة الرسول عليه السلام بخمسة اعوام ، والوفرة الهائلة من هذا القسم ، فتاريخها قديم للغاية بالنسبة لتاريخ الامة وان بدايتها نبدأ من اوائل القرن التاسع ونهايتها تنحصر الى عصر اندلاع لثورة واخمادها (1790) ، ومن جملة ما ضم هذا القسم منذ القرن السابع عشر مستندات الوزارات الآتية :

1) البحرية .
2) الحربية .
3) الشؤن الخارجية .
4) شؤون ما وراء البحار .

والنظام الجاري به العمل منذ التأسيس وانضمام هذه الوثائق الى حوزة الادارة لا يسمح لأي باحث ان يميط اللثام عن اسرار مستندات الوزارات المذكورة والداخلية ايضا الى بعد مرور قرن كامل عليها وفي حالة ما اذا كان هناك اذن خاص من وزيرها فيسمح للباحث ان يميط اللثام عنها . ولقد انفرد القسم القديم بميزة لها اهمية منقطعة النظير لكونه نبعت منه حركة ثقافية ومنه انبثق تاريخ الامة ، ومن ذخائره استمد الكتاب آدابا رائعا واكتشف عن كل ما كان غامضا واتسع ميدان السياسة والاقتصاد وتطورت بذلك روح اجتماعية وقادة ، ومما زاد هذه الكنوز رونقا واستفادة ، النظام البديع والترتيب الذي يسهل على الباحث ان يدرك ما يقصده في ثوان معدودة .

وقد لاحظت ان في هذا القسم مجامع من الوثائق مجلدة منذ ابان حدوثها ، وان كل جزء مرتب ترتيبا موضوعيا وتاريخيا ، بل حتى الاضابير وضعت في صناديق خصوصية ويشملها نظام يتصل بعضها ببعض فنا وموضوعا ، وعند ما يلقي الزائر نظرة على الرفوف يجدها كأنها بنيان مرصوص والاوراق مرتبة اقساما وفصولا على اختلاف العلوم والفنون

فمثلا : نجد حرف — ج — (J) يحتوي على صكوك وشروط واتفاقيات دولية ، وحرف — ك — (K) نجده جامعا للمآثير واوصافها التاريخية ، وهذا ما يهدف اليه بالضبط كل قارىء او باحث في علم التاريخ والآثار ، وحرف — ج — (G) خاصا بشؤون ادارة المالية ، مداخلها ومصاريفها واملاك الدولة والمشاريع الخيرية الخ .

وحرف — ب — (P) انضمت فيه حسابات باريس (العاصمة) اما حرفي — ل ، س — (L. S.) فهما يشتملان على وثائق الكنيسة ونظامها وتاريخها ثم تراجم الرهبان والاساقفة ، والدور الذي لعبه كل واحد منهم ثم الطقوس الدينية بشتى مذاهبها ونشاط الطوائف وشعبها وطرق البر والاحسان في الحرب والسلم ، وبذيل هذا القسم توجد وثائق تحمل حرفي — ط ط — (T. T.) فهي خاصة بالمذهب البروتيستاني ونشاطه منذ نشأته .

ولنرجع الى ما ذكر في بداية هذا الفصل عن الوثيقة التي يرجع تاريخها الى القرن السابع المسيحي ، فان هذه الذخيرة هي على ورق البردي (Papyrus) وضعت بخزانة خصوصية بين زجاجتين .

وفرنسا تتباهى بها اذ تعدها اقدم وثيقة تاريخية باروبا وفحوها : ان الملك « كلوطير الاب داجوبير » (Clotaire Dagobert) يؤكد فيها ان كل ما ترك التاجر جان (Jean) من متاع هو لفائدة القديس «دونيز» (Denis)

وبصدد هذا فلا ينبغي لي ان اغض الطرف عن مذاكرة جرت بيني وبين محافظ اقليمي حول هذه الوثيقة اذ قلت له بعد ما نوه لي بها اكثر من غيرها : لقد شاهدت اقدم منها بمتحف « اللوفر » وتاريخها يرجع الى اقدم العصور بالنسبة اليها والعرب ايضا لهم نفائس عريقة في القدم . — فاجابني بما يلي: ان في كل دولة وثائق قديمة كالتي شاهدتها بالمتاحف المذكورة وغيرها ولكن لا علاقة لها بتاريخ الدولة والشعب ، ففي مراكش (المغرب) كما في تركيا وباقي الممالك الاسلامية او غير الاسلامية وثائق قديمة جدا ولنضرب مثلا بتركيا ان لديها وثائق عربية عتيقة تتعلق بتاريخ الاسلام وقد جلبتها الخلافة من اماكن اخرى ولكنك اذا درست ما فيها فانك لا تجد لها علاقة بتاريخ القطر الموجودة فيه وكذلك في الاقطار الاخرى بينما وثيقتنا خاصة بتاريخ الدولة والامة ويرجع تاريخها الى ضحى الاسلام .

الرباط — محمد كليطو

وكان ذلك بتاريخ 6 مارس 1808 واثناء هذه الفترة تضجرت الادارة من كثرة الاعمال وتراكم الاوراق حيث كانت تتوارد عليها بكثير ، وكان جلها قد فرضته ظروف سياسية في الداخل واحداث تاريخية من الخارج فبعد التصدير والتأميم ، كان القائد « نابليون » يغزو ويحتل الاقطار ويامر بنقل الوثائق من مكانها ويبعث بها الى باريس لانه اراد ان يمركزها ويجعل من وثائق اوربا وثائق عامة ومركزها الرئيسي قد يكون بباريس وفعلا نقلها من فيانا (Vienne) وسيمنكا (Simancas) وغيرهما ، من جميع عواصم اوربا التي قهرها بسيفه ، وذهب المحافظ « ضونو » الى الفاتيكان (Vaticane) سنة 1811 للتنقيب عن الوثائق هناك . وعلى ضوء القرار الذي رفعه الى القائد الذي اصبح امبراطورا على فرنسا امره بارسالها وتأميمها بباريس فنقلت على عربات يجر كل واحدة منها ست بغال واربعة نيران تحت حراسة الجند ورجال الدرك وبهذه التنقلات كانت الاشغال تزداد في كل يوم والاعمال قائمة رغم ان الاوراق تتدافق بدون انقطاع ولا فتور حتى ملئت المخازن ومجوفات العمارات وتجاوزت الحدود الى ان اصبحت مكدسة في الردهات والاروقة ، وبنيت مخازن اخرى واكتريت اماكن مجاورة للمركز ، ولما ضاق النطاق امر الامبراطور ببناء مكان ضخم على ضفة نهر السين (Seine) يكون لائقا وصالحا لضم هذا السيل الدافق من الورق ، لكن ما كاد يتيسر التصميم حتى توقفت حملة الغزو وطالبت الدول برد تراثها المغصوب فمنه ما عاد معجلا ومنه ما رجع مؤجلا . فاسبانيا مثلا لم تسترجع وثائقها الا حوالي سنة 1938 عندما توسط سفير فرنسا باسبانيا ــ المرشال بيتان ــ لدى حكومته بطلب من رئيس الدولة الاسبانية الحالي الجنرال فرانكو وبالفعل وفق السفير في مسعاه ورجعت الاصول الى مخازنها بعد ما التقطت عدسة التصوير اشرطة من تلك المجموعة التي مر على سلبها قرن ونصف من الزمان .

ولقد كلف على فرنسا نقل وثائق الفاتيكان وحدها ذهابا وايابا في ذلك الحين مليونا ومائتي الف فرنك اي ما يعادل الآن عشرات الملايين من الفرنكات وهكذا مر القرن التاسع عشر حافلا بنشاط غير منقطع ، ولا زال استمراره قائما الى حد الآن .

وخلال هذه الفترة تفرعت اقسام عديدة واختص كل قسم بمادة من فنون الوثائق تحت اشراف محافظ مسؤول وادخلت تحسينات على نظام الترتيب وبذلك ازدهرت حقول هذا العمل واعطيت ثمراتها ، ومن ثمة تعددت انواع فنون الوثائق .

ولقد جاء في الاحصائيات عند ما كان « ماشوات » مديرا عاما ان عدد الوثائق بباريس وحدها كان بليغ الوفرة اذ كانت تبلغ المسافة على الرفوف بخمس وعشرين كيلومترا ، وفي سنة 1948 كانت تقدر مسافتها بمائة وثمانين كيلومترا (ذلك هو التعبير الاصطلاحي الذي يفهم به عدد كمية الوثائق) ورقة بعد ورقة .

اما الآن فان جميع المصالح والمؤسسات تدفع اوارقها في كل وقت بانتظام ، وقد توصلت دور الوثائق بكل ما كان متأخرا ومتراكما بين جدران الادارة ، وان مسافة الرفوف الآن في باريس ــ بجميع الاقسام تعد 580 ك . م . ما بين القديم والحديث .

اقسام فروع ادارة الوثائق . واختصاصاتها وفنونها

بدار الوثائق الوطنية ادارة عامة مستقلة بشؤونها ، وتسهر من الناحية الفنية على جميع الاقسام والفروع التابعين لها بالمراكز الاقليمية ، ويشرف عليها من وجهة عامة مدير عام المسيو « بريبان » (Braibant) وهذه الادارة رغم انها مستقلة فبها اتصال متين بوزارة العلوم والمعارف لكونها اليها تنتمي ، واقسامها متعددة يدير كل واحد منها محافظ مستقل بشؤون دارته فنيا وماديا ويساعده ــ طبعا ــ اشخاص فنيون جلهم تخرجوا من المدرسة الخاصة بهذا الفن ــ مدرسة شارط ــ (Ecole de Chartes) وهم في نفس الوقت اساتذة فيها يقومون باعطاء دروس للطلاب الذين يريدون التخصيص في علم الوثائق ونظام الخزائن العامة او الخاصة ثم التخصيص في ممارسة مهنة الورق وفك الخطوط الرديئة التي لا تقرأ والتي يتغير شكلها بحكم تطور اساليب الخط عبر مراحل العصور .

وهذه المدرسة قد كونت فحولا افذاذا تخصصوا في علم التاريخ القديم والحديث والتشريع القضائي .

والاقسام الرئيسية بدار الوثائق الوطنية تحتوي على وثائق ما قبل الثورة ، وهي بالقسم التاريخي والقسم القضائي والتشريعي والقسم الاداري ، وحدث فيما بعد للسكرتارية قسما ليقوم بتنظيم مالية الادارة وفروعها وتكوين مكتبات بدور الوثائق وتزويدها بجميع الارشادات ، وبعد فترة من الزمان احدثت اقسام اخرى عصرية تفصل وثائق ما بعد الثورة من الاقسام القديمة كالوثائق الادارية العصرية والتشريعية الحديثة واقتضت المصلحة بانشاء فروع اخرى تتلاءم مع تطور الاحداث والنظام الاداري .

اما وضعية نظام الوثائق فهي لا تختلف مهما تعددت انواع فنونها واقسامها ، ولكل قسم من الاقسام فهارس خاصة في اوراق متحركة ، ومنها المطبوعة في كتب تطبع وتوزع على المصالح العامة ودور الكتب ثم تعرض للبيع لمن يرغب في الاطلاع عليها ، وبالادارة العامة فهرس يشتمل على جميع ما هو موجود من وثائق اقليمية في ربوع البلاد ، وهناك قسم للارشادات وقاعة للشغل ــ او المطالعة ــ يجد القارئ فيها جميع الفهارس المطبوعة .

وسوس ـ الا ان من الملاحظ انه لم يوجد في افريقيا اليوم ما يسمى بالجنس البربري نظرا لاختلاط الدم البربري بالدم العربي على ممر العصور ، ولم يبق الا الناطقون باللهجات البربرية مع وجود عناصر اخرى لا تتكلم الا بالعربية .

حضارة البربـر البدائية :

كانت للبربر في اول الامر حضارة بدائية مرتكزة على الزراعـة والرعـي ولـم تتطـور حضارتهـم الا بعـد امتزاجهم بالفنيقيين والرومان . لقد كانوا يسكنون في المغاور والكهوف والاكواخ المبنية من الطوب ويتغـدون بالكسكس والالبان واللحوم ويلبسون جلود الحيوانات والجبات الصوفيـة ويتسلحون بالفؤوس الحجرية والحراب .

ولما قدم الفنيقيون الى المغرب اندمجوا مع البرابـرة بواسطة المراكز التجارية التي اسسوها عبر السواحل . وانتقلت علاقتهم الاقتصادية بالبربر الى علاقات اجتماعية . فكما اخـذ الفنيقيون عن البربر عبادة آلهتهم « تانيت » كذلك اخذ البربر عن الفنيقيين هندسة بناء المنازل واستعمال الفسيفساء وعبـادة الكبش واكل الكسكس وعادة الختان واغنهم القومية .

ولما احتل الرومان المراكز الفنيقية بالمغرب كانـت « موريطانيا » اي القسم الغربي من المغرب الكبير تحت قيادة القائد البربري « بوكوس » . وبعد ان تم للرومان ما ارادوا بدأ البربر يتعاملون مع الرومـان ، فيبيعـون اليهم الاقمشـة والاواني الطينية والمصابيح الزيتية . واثناء ذلك تأثر البربر بحضارة الرومان فاقتبسوا منهم بناء الدور (الدار المغربية هـي صورة طبق الاصل للدار الرومانية) وبناء الحمامات واستعمال المحراث وكذلك الرسوم الموجودة في فسيفسائهـم ، حيـث ان رسوم الزربية المغربية هي صورة لرسوم الفسيفساء الروماني .

وتمتاز المرحلة التاريخية التي تفصل المرحلة الفنيقية عن المرحلة الرومانية بانها مرحلة بربرية وطنية تمتعت بنوع من الاستقلال الداخلي تحت ظل حضارة يانعة حيـث « ان المـدن والضياع ، والمراعي كانت منتشرة من طرابلس الى طنجـة » وقد تظهر هذه الطبقة الوطنية ظاهـرة للعيـان بالخصوص في مدينة « لوكس » التاريخية حيث توجد الطبقات الخمس .

اللهجـات البربريـة :

تنقسم اللهجات البربرية الى ثلاثة اقسام حسب ما ذكره : Boussquet في كتابه Les Berbères :

1) اللهجة الزناتيـة (تاريفيـت) التي يتكلم بهـا الريفيون المغاربة وسكان بعض النواحي الاطلسيـة والبرابرة الليبيون والتونسيون والجزائريون ما عدا سكان جبال القبائل (Les Kabilies) .

2) اللهجة الصنهاجية (تامزيغت) يتكلم بهـا رجال القبائل وسكان الاطلس المتوسط وشرقي الاطلس الكبير وشرقي الاطلس المتوسط وناحية ملويه وكذا الطوارق بالصحراء .

3) اللهجة المصمودية (تاشلحيت) يتحدث بها سكان الاطلس الكبير الغربي وكذلك اهل سوس الخ ..

وقد تفرعت عن هذه اللهجات الرئيسية لهجات اخرى ذكر Basset في كتابه La langue berbère انها بلغـت 1200 لهجة . هذا ولقد كان البرابرة قبل قدومهم الى المغـرب يتكلمون لغة سامية وحامية في نفس الوقت قريبة من العربيـة وقاموا باختراع حروفهم المعروفة « تفيناغ » على يد ملكهـم « مسينيسا » والتـي ما زالت مستعملـة اليوم بالصحـراء عنـد « الطوارق » . وكما ذكر الاستـاذ عبد العزيـز بنعبد الله في كتابه « مظاهر الحضارة المغربية » فان اللهجـات البربريـة المستعملة في المغرب ربما استمـد البربر بعضهـا من السكان الافارقة الذين اتصلوا بهم في طريقهم الى ليبيا .

ولما انتشرت اللغة العربية في المغرب احتكـت باللهجات البربرية فاندمجت في هذه اللهجات كلمات عربية عريقة لا تكاد تستعمل الآن كما ورد ذلك في كتاب «مظاهر الحضارة المغربية» وذلك مثل كلمة « اكزيم » ومعناها الفأس الذي كان يسمـى بالعربية « القلزم » كما يرجع اصل لفظة « ازرو » البربرية الى كلمة « اصر » العربية ومعناها الحجر . وقد انتقلـت عبـارات بنصها من البربرية الى العربية مع شيء من التحريف كقولهـم « ماتربث » اي ما ذا تريد ؟ . وقد استغنى البربر عن حروفهم وعوضوها بحروف عربية لان العربية اصبحت لغة دينهم ، فمن الكتب التي وضعت بالبربرية وكتبت باللغة العربية يوجد « كتاب الامام محمد بن تومرت » .

« وخلاصة القول ان البرابرة نقلوا من العربية الى جميع لهجاتهم كل ما يتصل بالدين والسياسة والآداب والمجامـلات والضيافات ... » وكما ان اللغة البربرية قد تأثرت بالعربية فانها ايضا قد تأثرت باللغة اللاتينية . « فمن الالفاظ اللاتينية الدخيلة مثلا : اسنوس ـ الجحش (من Assinus الحمار) ـ اورثي ـ الحديقة (من Hortus ـ الحديقة) ... » الخ

الا ان هذه اللهجات البربرية المختلفة في المغرب كالسوسية والزناتية والزيانية لم تكن « الرابطة اللغوية » بين جميع افراد الوطن المغربي فيجب ان توحد لغة المغاربة بالعمل على نشـر العربية بالتخوم وفي قمم الجبال مع المحافظة على هذه اللهجات البربرية كتراث قومي يعتز به كل مغربي وجعلها بمثابة لغة ثانية تدرس بالمدارس الثانوية وبكليات الآداب والعلوم الاجتماعية

البربـر والفتـح الاسلامـي :

لما تولى معاوية حكم المسلمين ارسل ابا المهاجر لفتـح المغرب الاقصى . فعرف هذا الاخير كيف يقنع البرابرة ان من



مظاهر الحضارة البربرية

للاستاذ عبد الحق المريني

لما قلت الدراسات باللغة العربية حول موضوع تاريخي هام كموضوع « البرابرة وحضارتهم » احببت ان اقدم للقـراء الاعزاء نظرة خاطفة عن بعض مظاهر الحضارة البربرية مـع العلم انني لم اوف الموضوع حقه ، راجيا ان يكون هذا البحث بمثابة افتتاح لدراسات مستفيضة حول هذا الموضوع التاريخي الهـام .

اصل البربر : لقد اعتاد المؤرخون ان يشرحوا معنى كلمة بربر فقالوا انها مشتقة من كلمة Barbarus اي الشخص الثائر المتصف بصفات الهمجية ، وقد سبق للرومانيين ان اطلقوا عليهم اسم Barbares بينما كان البرابرة يطلقون على انفسهم كلمة « امازيغن » جمع « امازيغ » اي شريف (Noble) واذا بحثنا عن معنى كلمة « لمتة » — على سبيل الاستطراد — تلك القبيلة التي شاركت المرابطين في غزو المغرب نجد معناها « شريف ») .

وقد قسم ابن خلدون البرابرة الى قسمين رئيسيين :

1) البرابرة البتر : اي المحرومون من الابناء او المصابون بداء العقم او الحاملون البرانس البتراء (اي بدون قب) واهم فروعهم فخذ « زناتة » ذلك الاسم المشتق من الكلمة البربرية « اجناتن » ، وقد تأثر الزناتيون بالعرب فعاشوا تحت الخيام ، وربوا الجمال ، وركبوا الخيل مستعملين الدروع الجلدية ، والسرج المرتفع ، والركاب العالي ، كما انتشروا في المغرب الكبير ثم انتقلوا الى اسبانيا ، وقد اقتبس الاسبانيون عنهم عاداتهم الحربية ، واليهم ينتسب بنو مرين .

2) البرابرة البرانس : فقد قيل ان كلمة برانس مشتقة من كلمة « برنوس » اي (السلهام) واهم فروعهم « مصمودة » الذين كانوا يقطنون بالاطلس الكبير والمتوسط ، واليهم تنتسب الدولة الموحدية — و « صنهاجة » وقد اشتق اسمهم من الكلمة البربرية « ازناكن » واهم فروع صنهاجة « لمتة وكزولة ولمتونة وجدالة » واليهم تنتسب الدولة المرابطية ومن فروع صنهاجة كذلك الطوارق الصحراويون . وصنهاجة الجزائر (القبائل) التي ساعدت الفاطميين على تأسيس دولتهم بالمغرب الادنى — كما سيأتي ذكره — و « كتامة » التي انتقلت مع الفاطميين الى مصر و « اوربة » التي كانت تسكن جبال الاوراس تحت قيادة كسيلة ، ثم نزحت الى المغرب وساعدت الدولة الادريسية على نشر رسالتها به . والخلاصة ان الزناتيين كانوا يمثلون البتر والصناهجة البرانس ، والخلاف بين الزناتيين والصناهجة الذي تحدث عنه المؤرخون كثيرا ليس هو في الحقيقة الا خلاف بين البرانس والبتر في سياسة الحكم وفي طرق الكسب وحتى في الوضع الاجتماعي حيث ان البرانس كانوا بربرا مستقرين يعيشون على الزراعة بينما كان البتر رحالا يعيشون على الرعي .

والبرابرة اسيويون لا افارقة ، هاجروا من ربوع الشام حيث جمعتهم مع ابناء عمهم الكنعانيين بعد الفتح الاسلامي مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة » . وذكر Dr Le Blanc في كتابه Histoire et Historiens de l'Algérie (1931) بان البربر مزيج من شعوب اوربية واسيوية ، وقد حصل هذا المزيج في عصور مختلفة .

وذكر علماء انتربلوجيون (Antropologistes) ان البربر لم يعدوا السكان الاولين للشمال الافريقي بل سبقهم نوع بشري آخر الى سكنى هذه البقعة من الارض منذ ما يقرب من (500.000) سنة حسب ما تشهد به العظام التي عثر عليها . ويمتد النفوذ البربري ما بين صحراء « سيوة » في الحدود الليبية المصرية الى المحيط الاطلنطقي ثم الى جنوب « نجيريا » .

ويبلغ عدد البرابرة ما يقرب من عشرين مليونا يمثلون « 2 % » من سكان تونس ، و « 30 % » من سكان الجزائر و « 45 % » من سكان المغرب .

وتوجد الكثافة البربرية في الجنوب التونسي وفي جبال «الكابلي» اي القبائل بالجزائر ، وفي الاطلس المغربي والريف

قرب سطيف (Sétif) في سنة 1152 م . كما قضى على شوكتهم المرينيون بالقطر التونسي .

فكما ابتدأ تعريب البربر على يد الاندلسيين والقروانيين الذين تقاطروا على المغرب بعد تأسيس مدينة فاس في عهد الادارسة استمر على يد هؤلاء الاعراب ثم ايضا على يد الاندلسيين الذين نزحوا الى المغرب بعد غروب « غرناطة » .

الـــدول البربـــريـــة :

لم تستقر الاوضاع في الجزيرة الافريقية كما كان يسميها العرب الا بعد ان حكم البربر انفسهم بانفسهم كما سبقت الاشارة الى ذلك وهذه الدول البربرية هي :

الدولة المرابطية : هي من قبيلة لمتونة الصنهاجية خرجت تدعو من رباطها الى الدين الاسلامي الصحيح محاربة كل انواع البدع والضلالة . ولم يعرف لحد الساعة اين كان يوجد هذا الرباط هل في السنغال ام في نيجريا ام في موريطانيا . وقد تأسست على يد عبد الله بن ياسين . وقد نبغ من بين احضان هذه الدولة ابنها البار يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش والمنتصر على الاسبان في موقعة الزلاقة الشهيرة .

الدولـــة الموحديـــة : وما ان ظهـــرت بوادر انهيار الدولة المرابطية حتى خلفتها الدولة الموحديـة التي دعـت الى التوحيد في كل شيء تأثرا بآراء المعتزلة اهل العدل والتوحيد. هي من قبيلة مصمودة البربرية ومؤسسها ابن تومرت . وقـد نبغ منها البطل عبد المومن الموحدي رائد الوحدة الافريقيـــة حيث حرر تلمســان وافريقيـه (تونس) ـــ والمنتصـر على الاسبان في موقعة الارك (Alarcosse) . وبقي الموحدون في الحكم حتى قضـى المرينيـون على آخر امير موحـدي في معسكرهم « تينمل » وعند سقوط الدولة الموحدية تكونت ثلاث دول مستقلة في المغرب الكبير : الحفصيـون في « تونــس » (عاصمتهم تونس) وبنو عبد الواد او بنو زيان او يغمراسن في الجزائر (عاصمتهـم تلمســان) والمرينيــون في المغــرب (عاصمتهم فاس) .

الدولة المرينية : هي من قبيلة زناتة البربر وقد امتــاز عصرها بنهضة ثقافية حيث بث في كل مدينة من افريقيا مدرسة لنشر الثقافة والافكار الصوفية . كانت هذه المدارس بمثابة رد فعل للدعوة الموحدية التي كانت تميل الى مذهب الغزالي الذي حاربه المرابطون من قبل ـــ ثم توالت على المغرب فيما بعـــد الدولة السعدية العربية كاختها الدولة الادريسية ـــ اول دولة في المغرب المسلم ـــ . وتمتاز الدولة السعدية بمحاربتها للنفــوذ التركي والوقوف في وجهه . ثم اتت الدولة العلوية الزاحفـة مـــن الصحـــــــراء .

مقاومـــة البربـــر للاحتلال الاجنبـــي :

بقي البربر متسمين بعدائهم القوي لكل دخيل عنيـــد . حتى ان نابليون بونابرت كان عازما على غزو البربر ولكنـه عدل عن ذلك . فقاوم البربر الجزائريون الاحتلال الفرنســـي بقيادة الامير عبد القادر الجزائري ، وذاق الفرنسيون الامرين من جراء هذه المقاومة الشديدة مما لا داعي للتفصيـل في هـذا الموضوع . وقاوم البرابرة التونسيون المحتل مقاومة سجلهـا التاريخ بمداد الفخر . وكان لبرابرة المغرب دور تاريخي هام في الكفاح ضد السيطرة الاجنبية اي ضـد « ايرومين » بكل مـا اوتوا من قوة . وقد امتاز من بين قادة هذا الكفاح موحى وحمو الزياني حامي خنيفرة وعد وتناس قائد معركة اكادير .وموحى اسعيد ، بطل تادلة ، وعلي امهاوش محرر الاطلـس ، ومحمد ابن عبد الكريم الخطابــي محرر الريف ، واخيـرا الابطـال « الكوم » الذين اوقفوا الزحف الالماني في عدد من الجهـات وكانت لهم اليد الطولى في اعادة السلام الى العالم في الحرب الكونية الاخيرة . وقد تحالف بعض القادة البربريين الكبـار كالكلاوي والمنكي والكندافي مع فرنسا . ولكن كيفمـا كان تحالفهم ومصيرهم فانهم يمثلون تلك « النخوة البربرية » ولو كان ذلك على حساب البرابرة انفسهم .

المجتمـــع البـــربــــري :

1) الديانـة : لا يعرف المؤرخون كثيـرا عن دين البرابرة القديم . وكل ما يعرف انه عبـارة عن مجموعـة من الطقوس الدينية المختلفة يمارسها البربر لاجل نزول المطـر مثلا وقد حاول بعضهم ان يحصي انواع هذه الديانات فقال بان المسيحية كانت توجد في شمال المغرب ، والوثنية بالجنـوب والجبال ، واليهودية بالداخل (الدليل على وجودها الكاهنـة اليهودية) . ثم ظهرت ديانة اخرى وهي الديانة البرغواطية اسسها صالح ابن طريف وهـي خليـط من التعاليم المسيحيـة والاسلامية واليهودية الى جانب العادات البربرية ، كتب قرآنها باللهجة البربرية . وقد استأصل هذه الديانات الامير ابن بكر عمر المرابطي . وبما انها كانت منتشرة انتشارا سطحيا فقـد استطاع العرب ان يجذبوا البرابرة الى الدين الاسلامي بسهولة . وقد استطـاع الادارسـة والمرابطون ان يقضـوا على جميــع العادات المختلفة التـي لا ترتكـز على اساس ونشـروا الدين الاسلامي خالصا من كل شائبة وصار هذا الدين هو الدين الرسمي للدولة المغربية بدون جدال ... وما زال ... ! ولكن الحماية الفرنسية بنت سياستها على اساس فكرة ان البربر لم يعتنقـوا الاسلام الا ظاهريا ، فأصدروا ما يسمى بالظهير البربري سنـة 1930 وهذا الظهير يخرج البرابرة من دائـرة القضاء الشرعـي ويؤسس لهم محاكم عرفيـة لا تحكـم الا بالعرف والعـادات القديمة في موضوع الاحـوال الشخصيـة والعقار اما الاحكـام الجنائية فكانت تحال على المحاكم الفرنسية .

مصلحتهم ان يكونوا في جانب العرب ، فأسلم زعيم البربر « كسيلة » مع جماعة من قومه وتعاون الجميع على فتح تلمسان والاستيلاء على المدن الساحلية . غير ان هذه السياسة الحكيمة لأبي المهاجر لم يتبعها خلفه عقبة بن نافع الذي عامل البربر بعنف ففر « كسيلة » من جراء ذلك وجهز جيشا لمحاربة عقبة فدارت الدائرة على عقبه وقتل بمكان لا زال يحمل اسمه قرب (بسكرة) وذلك اثناء موقعة « تاهودة » التي دارت رحاها في جنوب قسنطينة ، ودخل « كسيلة » القيروان وظل مستبدا بالحكم في الشمال الافريقي مدة خمس سنوات . ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان ارسل زهير بن قيس البلوي لاسترداد القيروان سنة 69 هـ فتم ما اراد ، غير ان قوة بزينطة جاءت لنجدة « كسيلة » اوقعت به وبجيشه ، وحوالي سنة 689 م قتل كسيلةفياحدى المعارك . ثم ولى الخليفة حسان بن النعمانالغساني واليا على المغربواستعان بالبربر ضد البزنطيين ، غير انهسرعان ما دهمه امرأة بربرية ،وهي الكاهنة اليهودية التي لقبها المستشرق الفرنسي Monteille ب « جان دراك المغرب » . فتراجع حسان الى برقة تاركا الحكم المطلق « للكاهنة » مدة عشر سنوات . ثم بعد ذلك اعاد حسان الكرة ، وفي هذه المرة قتلت القائدة البربرية بمكان قرب فاس يدعى « بير الكاهنة » او كما قيل قرب قابس شرق تونس سنة 82 هـ ولما دان المغرب لحسان عرب الدواوين البزنطية ووزع اراضي البزنطيين على الفلاحة ، وبنى بتونس قاعدة بحرية .

وهكذا ، فكما انتصر زهير على « البرانس » بقيادة « كسيلة » انتصر حسان على « البتر » بقيادة الكاهنة .

ولما عين موسى بن نصير عاملا على المغرب — ما عدا مدينة سبتة التي كانت خاضعة لحاكم قوطي — فدى كثيرا من الاسارى البربر بالمال وعين الكثير منهم في مراكز عسكرية هامة .

ومن اجل تثقيف البربر في الاحكام الاسلامية ارسل عمر بن عبد العزيز سنة 100 هـ عشرة من الفقهاء لهذا الغرض .

الا ان الاسلام لم ترسخ قدمه بين البربر الا بعد ان اصبح مرتبطا بتولي دول البربر الحكم في بلادهم . وكيفما كان الامر فان العنصر البربري لعب دورا هاما في نشر الرسالة الاسلامية لا في المغرب فحسب بل حتى في الربوع الاوربية حيث ان ابن نصير نظم جيشا جرارا من البرابرة وجعل على رأسه القائد البربري طارق بن زياد وارسله لفتح اسبانيا فتم هذا الفتح العظيم . وفي عهد هشام بن عبد الملك نظم الفاتح عبد الرحمن الغافقي جيشا من البرابرة والعرب ، واراد فتح قسطنطينة من الغرب فتقدم في فتح بلاد « الغال » (فرنسا) ووصلت سأريته الى « صانص » ولكن كان ما كان مما لست اذكره عن قصة « بواتيي » وشارل « المطرقة » .

وعلى كل فقد استغرق الفتح الاسلامي للمغرب العربي ما يقرب من ثمانين سنة فان دل ذلك على شيء فانما يدل على مناعة الارض المغربية من جهة وعلى شجاعة البرابرة وشدة بأسهم من جهة اخرى .

البربر والخوارج :

قاوم البربر الحكم العربي ، وذلك لما عزم عبد الله المرادي تخميس البربر خارقا بذلك مبدأ المساواة بين العرب والبربر حيث اعتبر البربر فيئا للمسلمين . فثار البربر ضد حاكمهم تحت قيادة « ميسرة المدغري » — وفقا لشعار مذهب الخوارج . ذلك ان هذا المذهب لقي عند البرابرة نجاحا كبيرا لانه يناسب وضعهم السياسي والاجتماعي — كما يقول استاذنا الدكتور احمد مختار العبادي — فاعتنقوه كوسيلة لتحقيق اهدافهم : ففي تافيلالت اقاموا الدولة المدرارية الزناتية التي اتخذت سجلماسة كعاصمة لها (757 م) كما اسسوا دولة الرستميين بمساعدة الخارجي الفارسي عبد الرحمان بن رستم في « تاهرت» من عمالة وهران (787 م (160) هـ . ولكن لما جاء الفاطميون الشيعة قضوا على هذه الدويلات الخارجية البربرية ففر الخوارج واستقروا بسدراته قرب « وركلة » بناحية المزاب التي اسسوا فيها ما يقرب من سبع مدن .

البربر والشيعة :

ازاء هؤلاء البربر الخوارج كان هناك برابرة شيعة : فلم يستطع الفاطميون ان يؤسسوا دولتهم بالشمال الافريقي الا بمؤازرة البرابرة الصناهجة الشيعيين . وبعد ان انتقلت الخلافة الفاطمية الى مصر بقي الصنهاجيون يدافعون عن الدعوة الفاطمية الشيعية ويحاربون الزناتيين كدعاة للمذهب الخارجي وكمناهضين للسيطرة الاموية بافريقيا .

ولكن سرعان ما اعلن الزيريون (Les Zirides) — نسبة الى زيري بن مناد الصنهاجي — استقلالهم عن النفوذ الفاطمي وكونوا دولة زيرية جديدة بتونس وشرق الجزائر مؤسسين مدينة « اشير » كما اسس الحمدويون دولة الجزائر فارسل اليهم الفاطميون — كرد فعل لعصيانهم — بني هلال وبني سليم ليخربوا بلادهم ويهلكوا الزرع والذرع فتشتتوا في المغرب الكبير كالجراد — كما قال ابن خلدون — وقاموا بتخريب البلاد لكي يسودوا فيها .

تعريب البربر :

وكيفما كان الامر فانه كان لهاتين القبيلتين بني هلال وبني سليم اثر فعال في تعريب البربر تعريبا شاملا وكذلك لبني معقل الذين وردوا الى المغرب في عهد السعديين ، الا ان المرابطين والموحدين قاوموا هؤلاء الاعراب المخربين حيث انتصر عليهم موحد المغرب الكبير الاول عبد المومن الموحدي

ويحتوي في بعض الاحيان على مسجد ودار «للجماعة» وغرف للحراسة وصهريج لحفظ الماء كما جاء في كتاب « الفن المغربي » للاستاذ بنعبد الله .

2) الصناعات التقليدية البربرية : نبـغ البرابـرة في كثير من الصناعات فتنسج النساء البربريات الاطلسيات زرابي مبثوثة ، ويهتم بعض سكان الاطلس المتوسط بطرز السروج ، ويصنع نجارو قبائل (زمور الشلح) جميع الاواني الخشبية وتقوم الريفيات بنقش الاواني الخزفية . هذا ويعتبر البربريات المغربيات كلهن ماهرات في فن غزل الصوف كما تمتاز البربريات التونسيات والجزائريات بصناعة الاواني الفخارية وتزويقها .

3) الادب البربـري :

ا) النثـر : ازدهر النثر البربري ازدهارا وخصوصا في قعر سوس ، وقد تناول بالخصوص المواضيع الدينية ، وقد برز في هذا الفن موسى وعلي ، كما تناول قصصا هي عبارة عن مآسي كانت لا تحكى الا ليلا ، واخرى كانت عبارة عن « كمديات » لا تحكى الا نهارا .

ب) الشعر : اما الشعر البربري فهو كلام موزون غير مقفى ، وتسمى القصيدة الشعرية « بثايفارث » . واذا نبغ شاعر ينتقل من قبيلة الى اخرى – حسب ما ذكره الاستاذ محمد شفيق– ويسمى امذياز (ج) « امذيازن » ويصحبه في ترداد شعره عازف على الكمان وضارب على الدف وينفخ هو في المزمار وهذا النوع من الشعراء يمدح او يصف من اجل التكسب. وهناك شعراء آخرون ينشدون قصائد سياسية ودينية حبا في قول الشعر ويسمون « انشاذين » يعزفون على الكمان . او على الكنبري وقد استغنوا عن « الردادين » « بالشيخات » اي الراقصات .

وقد بقيت بعض هذه الاشعار محفوظة في صدر جماعات من « الموسيقيين » الذين يجوبون بلاد البربر طولا وعرضا لغنائها في مناسبات عدة كالزفاف والختان والجنازة والحرب وفي مواسم العمل .

4) الرقص البربري :

ان الرقص البربري يعد من اهم الفنون المغربية ، فهو تاريخ يرتبط باحاسيس البرابرة ومشاعرهم ، وجزء من مجدهم العريق .

واهم الرقصات الفلكلورية المتعة بقوتها التعبيرية رقصة الحرب المعبر عنها « بتاسكيوين » يرقصها افراد من قبيلة كوندافة بالاطلس الكبير ورقصة الشلوح التي يرقصها اصحابها وهم عازفون على « الكنبري » وضاربون على « التعرجة » يرأسهم « الرايس » وينتمون هؤلاء الى مراكش ونواحيها .

وهناك رقصة احواش وهي عبارة عن « الاوبرا البربرية » الرائعة ترقصها نساء من ورزازات وناحية خنيفرة منشدات ومصفقات بأيديهن بينما يعزف لهن الرجال على الدف وهم قاعدون في شكل دائرة ويسير الجميع « امساد » اما اهل الريف فهم يرقصون رقصة حربية وهي رقصة البندقية ، ومن الرقصات البربرية ايضا « حيدوس » ، ورقصة « الدكة » يرقصها اهل «امزميز» ويقوم بهذه الرقصة الرجال ضاربين بالاكف ويقومون بحركات خفيفة وسريعة حتى يتخيل للناظر انهم اصيبو برعدة او الصق بجسدهم تيار كهربائي . واجمل هذه الرقصات رقصة « الكدرة » وهي رقصة كوليمين « وهي ليست فقط رقصة ترقصها امرأة بربرية تحرك اصابعها بسرعة حسب دقات يضربها رجل على الدف ولكن هي « قصة صراع » تنجلي في الاصابع التي تتحرك ببطء ثم تعلو نغمات الدف سريعة قوية تتنابها شتى المشاعر ثم تسقط اليد بارتخاء قبل ان يسقط جسم الراقصة ثم تسقط ضربات الدف هي الاخرى» فتمتاز هذه الرقصة البربرية بالتعبير الكامل عن تدرج الاشياء من البداية الى الفناء وبالطابع الفني الرائع .

هذه الرقصات وغيرها كثير ، تعتبر فنا بربريا ينبع من صميم البرابرة ، وسيظل مرتبطا بهم ومعبرا عن مشاعرهم وحافظا لتطورهم وماضيهم في ظلال حاضرهم الحافل بالمجد .

الرباط : عبد الحق المريني

واصل هذا الظهير الذي كان قطب دائرة السياسة البربرية هو ان المقيم العام « لوسيان سان » كان محاطا بجماعة عرفت « بالكتلة البربرية » وكانت هذه الجماعة تدعو الى فصل البربر عن حكومة المخزن بحجة ان هده الحكومة لا تمثل سوى العرب من سكان المغرب ، ولكن هدف الكتلة كان هو تجريد السلطة المخزنية من بعض سلطانها من جهة وادماج البربر في البيئة الفرنسية من جهة اخرى مع احياء اللغة البربرية عن طريق كتابتها بالاحرف اللاتينية . كما عينت الكتلة مبشرين مسيحيين كقضاة في « مجالس الجماعة » التي تحولت الى محاكم مدنية مما يدل على ان الهدف المنشود من وراء هذا الظهير هو تنصير البربر ، وأسست مدارس بربرية كانت خلايا للسياسة الفرنسية . ومن هنا اطلدم الظهير البربري بمعارضة شديدة من قبائل البربر ذاتها فضلا عن رد الفعل من جانب كافة المغاربة ومن العالم الاسلامي ايضا حيث قامت مظاهرة في الرباط بحي بوقرون واخرى بفاس حول الضريح الادريسي دعا اصحابها الله ان لا يفرق بينهم وبين اخوانهم البرابرة ، كما طلب الامير شكيب ارسلان من الدول الاسلامية مقاطعة فرنسا احتجاجا على سياستها « فرق تسد » المتبعة في المغرب ، فكانت هذه المظاهرات فاتحة عهد الكفاح الذي دام ما يقرب من نصف قرن في سبيل تحرير البلاد وتوحيد الصفوف . ومع ذلك لم تكف فرنسا طوال عهد الحماية عن استغلال كل مناسبة لبعث « السياسة البربرية » من جديد كما حدثمثلا عند الازمة المغربية في سنتي 1951 و1953 .

والخلاصة ان فرنسا لم تقم « بظهيرها البربري » هذا في الحقيقة الا بدور اساسي في ولادة « القومية المغربية » ولم تسع الا في تعزيز الروابط بين المغاربة البربر والمغاربة العرب الذين يظلهم دين واحد مما يدل على فشل سياستها الذريع واهم مظهر لهذا الفشل هو انقلاب ثانوية ازرو التي كانت بمثابة مركز « السياسة البربرية الفرنسيه » الى مركز من نوع آخر لم يكن دعاة « السياسة البربرية يحسبون له حسابه .

2) اساوب الحكم ــ الجماعة : هو مجلس للاعيان (اخحطارين) ج اخحطار الذي يسير القبيلة او الدوار سياسيا واقتصاديا ويبث في الدعاوي المقدمة اليه بمقتضى قوانين شفوية او مكتوبة تسمى « الازرف » في المغرب « والكانوني » في الجزائر . كما يسميها بعض البرابرة بالمغرب « الكيض » اي الوثيقة المكتوبة على (الكاغيط) . وقد يقوم بتنفيذ قرارات هذه « الجماعة » اشخاص يدعون « بأمازين » . وفي حالة الحرب كانت « الجماعات » تسلم جميع سلطاتها الى شخص تتوفر فيه جميع شروط القيادة يدعى « بأمغار » اي الشيخ ويجمع على « امغارين » . وقد يبقى على راس قبيلته يتخذ الاجراءات الضرورية حتى تنتهي حالة الطواريء فكانت القبيلة البربرية بمثابة جمهورية صغيرة ، لها وحدتها السياسية والاقتصادية ايضا .

3) نظام العائلة البربرية :

تتركب الاسرة البربرية من الاب والام والابناء وكذلك من اعضاء اجنبيين يدعون « امحوارس » جمع « امحارس » يسكنون تحت كفالة الاسرة باذن من « الجماعة » . يرأس الاسرة الاب او الجد وهو الذي يمثل العائلة في « الجماعة » ويسمح للابناء ان يستقلوا عن آبائهم اذا ما تزوجوا ، اما الفتيات فانهن لم يتزوجن الا داخل الدوار الذي ينتسبن اليه . وعند ما يموت رئيس الاسرة تنتقل سلطة الاسرة الى الابن الاكبر او الى الجد او الى العم .

لا يوجد عند الاسرة ملك فردي بل الملك هو جماعي يملكه جميع افراد الاسرة ، وتقسم ارباح الملك على جميع اعضاء الاسرة بكيفية عادلة وعند ما يموت اب الاسرة يرث الذكور ويمتنعون عن توريث امهم واخواتهم حتى لا يستفيد الاجانب عن القبيلة من متاع الاسرة .

وقد تنتسب مجموعة من الاسر الى دوار معين اي الى « تكمي » الذي يكون وحدة سياسية واقتصادية وتسيره « الجماعة » . ومجموعة من « تكمي » تؤلف ما يدعى « باخس » ويجمع على « اخسان » وهي مجموعة القبيلة او « تاقبيلت » .

المرأة البربرية :

تمتاز المرأة البربرية بالصرامة والجمال والاخاد والعفه والرجولة ، تتحمل المتاعب بصدر رحب فتعين روجها على جميع ما تتطلبه الحياة من اعمال فتعمل معه في الحقل نهارا وتقوم بشؤون بيتها ليلا .

وقد تشارك المرأة البربرية احيانا في « مداولات الجماعة » وتكون من وراء الرجل في حالة حرب تشجعه وتمده بالمؤونة والسلاح وتضمد جراحه .

والمرأة البربرية لا تستعمل الحجاب ولكنها تتحاشى الملاقاة مع الرجال وخصوصا الاجانب عن القبيلة . وقد تقام اسواق خاصة بالنساء كما هو الحال في بعض النواحي الريفية .

الفنون البربرية :

1) الفن المعماري : يوجد في الاطلس ما يسمى « بتغرمت » اي الدار المحصنة وهي دار مربعة مكونة من طابقين وتقوم في اركانها الاربعة ابراج تستعمل من اجل الدفاع وكمخازن للمؤن ايضا . كما يوجد ما يسمى « بايغرم » اي المخازن المحصنة تبنى في مواقع استراتيجية عالية وتستخدم ايضا كمستودعات للمؤن وكمفع يلجأ اليها في حالة خطر .

وهناك نوع آخر من المستودعات يدعى « اكادير » جمع « اكدرين » وهو عبارة عن هري كبير وقد تقام حوله ابراج

رباط الفتح ، وسفر البحر قد انتهى سبيله ، وبقيت عقابيله) (6) وقد اشار الى ذلك ايضا في قصيدة قالها بهذه المناسبة يشكو فيها فراق الاندلس ويحن الى اهلها جاء فيها :

وركبنا متن الخضم باحشا ء حكته في زخرة واصطفاق
هال بحر الزقاق حتى ركبنا بسواه فهان بحر الزقاق
وحللنا سلا فسل عن فؤادي هل سلا من نأى بمن هو لاق (7)

وقد اشار في الرسالة السابقة الى سبب قدومه الى الرباط قائلا : (وكان اختيار هذا المكان عسى ان يكون للجملة دارا ، ولفل بلادها قرارا) (8) وقد اتصل ابن عميرة بالخليفة الرشيد في الرباط وصحبه في عودته الى حاضرة مماكنه (9) ، وترك لنا وصفا مطولا لهذه الرحلة نجد فيه صورة واضحة عن النظام الذي تكون عليه محلات الموحدين والترتيب الذي يسيرون عليه اثناء تحركاتهم لغزو او سفر ، فقد اشار الى انهم كانوا يجعلون امام الخليفة بمقربة منه راية بيضاء كبيرة عالية تبين موقعه من العسكر ليهتدي بها من يريد قصده ، ويليها المصحف العثماني (10) موضوعا في قبة من الحرير ومحمولا على اضخم جمل ويأتي جمل المصحف كما كانوا يسمونه بغل من أفره البغال يحمل ربعة مربعة تحتوي على كتب الحديث الصحاح ، ويليه الخليفة في صدر الجيش والعساكر عن يمينه وشماله وخلفه (11) وقد وصف ايضا محلة الخليفة عند نزولها وارتحالها كما وصف افراق (12) المحلة وقبة الخليفة الحمراء ، واخبية الجند البيضاء فقال : « وانتهينا الى المحلة وهي روض يثمر خيلا واعنة ، وبحر يزخر قنا واسنة ، وذوائب الاعلام تخفق والسنة عذباتها تكاد بالنصر تنطق ، والاحوال قد استقامت ، والاخبية على القاعدين فيها قد قامت ، وهي مبيضة كسقيط الثلج ، مصطفة كبيوت الشطرنج ، واطللنا على افراق فراق ، واعار ذلك الجو الاشراق ، وقيل هوام لتلك البنات ، مدينة لم تشدها بل لم تشنها ايدي البناة ، قصر ما ابصرته بصري، وايوان كم تمنى كسره كسرى، وصنعة اعيا امرها المهندسون، واخفى صباحها الحندس، سور باطنه وظاهره رحمة ، وحاضره يكتنفه فضل من اللـه ورحمة » (13) ويقول عن قبة الخليفة الحمراء : « وضربت هنالك القبة الحمراء ، حديقة هي قيد الحدق ، وعروس جليت في مرط من الشفق ، ومنزل بالبركة يعمر، ومنظر فيه يقال الحسن احمر ، فيا لاديم يروق لونه القانيء ، وعنوان على ضخامة الملك لا يرتاب فيه القاريء » (14) وقد عدد المراحل التي قطعتها المحلة من الرباط الى مراكش مشيرا الى المدن التي تمر بها او تنزل فيها ، وقد حذف جامع رسائله او ناسخها اسماء هذه الاماكن مكنيا عنها بفلانة ولكننا نعرف من صاحب المعجب ان المسافة بين سلا ومراكش كانت تقطع في تسع مراحل(15) . وكأن ابن عميرة قد كلف من قبل الخليفة بتدوين هذه الرحلة ، ومن هنا نراه يعني بتسجيل مختلف جوانبها فهو يصف لنا هذا النشاط الذي يدب بين الناس في المحلة وخصوصا حين اعداد الطعام او اداء الشعائر الدينية كما يصور استقبال اهل الحضرة للخليفة خارج البلد ، ودخوله اليها في الوقت المناسب الذي اشار به الفلكيون ، ويصف موكب الخليفة وهو يدخل البلد مارا من « الباب العجيب في شكله ومقداره » (16) الى المسجد الجامع لاداء سنة صلاة السفر ، ويختتم الرحلة بوصف دخول الخليفة الى قصره وجلوسه في قبة العرش لاستقبال كبار الدوله ، كما وصف حفلة الاستقبال الفاخرة التي اقيمت بهذه المناسبة (17) واغلب الظن ان ابن عميرة دون هذه الرحلة ليبرهن للرشيد وحاشيته

---

6) مخطوط الاسكوريال ورقة 114 .
7) الرسائل ص 132 مخطوط 233 . وبحر الزقاق هو مضيق جبل طارق .
8) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 114 .
9) الذيل ج 1 ص 90 .
10) انظر قصة هذا المصحف وما قيل فيه من اشعار في الذيل ج 1 ص 77 وما بعدها ، والمعجب ص 253 ، ونفح الطيب ج 2 ص 135 .
11) الذيل ج 1 ص 83 .
12) افراق او افراك : بالكاف التي بين الكاف والقاف كلمة بربرية ومعناها : سياج من الكتان يديره السلطان على فساطيطه وفازاته ليتميز به عن غيره من الجند ، وقد وردت هذه الكلمة في مقدمة ابن خلدون بهذا المعنى .
13) الرسائل ص 182 مخطوط 233 .
14) المصدر نفسه .
15) المعجب ص 359 .
16) لعله يقصد به الباب الرئيسي للقصبة الذي كان يدعى بباب الكحل وباب القصر ، ويعرف اليوم بباب اكناو ، وهو ما يزال قائما على شكله الموحدي العجيب .
17) الرسائل ص 184 .

ابو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي

للاستاذ محمد بنشريفة

تقديـــــم :

نقدم في هذا العدد والذي يليه فصلا من رسالة جامعية بعنوان : « ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي » كان قد تقدم بها الاستاذ السيد محمد بنشريفة الذي نال بها درجة ديبلوم الدراسات العليا برتبة : (جد حسن) .

واحمد بن عميرة المخزومي كان شيخ الكتاب في عصره بالغرب الاسلامي .

وكانت حياته حافلة بجلائل الاعمال ، وقد اشتغل كاتبا مع الموحدين في الاندلس والمغرب ، ومع بعض امراء الطوائف في دولة الطوائف الثالثة بالاندلس ، وكان في آخر حياته مستشارا للخليفة المستنصر الحفصي ، كما شغل منصب القضاء في مدن عديدة بالاندلس ، والمغرب ، وافريقية .

وله رسائل ، واشعار ، ومؤلفات في البلاغة والاصول والتصوف والتاريخ .

ونشير الى ان المركز الجامعي للبحث العلمي يقوم بنشر هذه الرسالة .

وهذا الفصل من الرسالة الذي نقدمه في هذا العدد يؤرخ الفترة التي قضاها ابن عميرة في المغرب ما بين 637 — 646 هـ .

دعـوة الحـق

ودع ابن عميـرة الاندلس وعبـر بحر الزقاق يحدوه امل قوي في الحصول على عمل في بلاط الموحدين بمراكش ، وقد كانت مدينة سبتة اول مرحلة في سفره هذا فأقام فيها في اول سنة 637 هـ زمنا يسيرا في رعاية صديقه الرئيس ابي علي ابن خلاص البلنسي الذي كان واليا على سبتة يومئذ (1) ، ولا نعلم عن نشاطه بهذه المدينة في هذه الفترة شيئا سوى ما ذكره في اجازته من انه كان يتردد على شيخه ابي الحسن بن واجب الذي اصابته زمانة في طريق عودته الى الاندلس اثر سفـارة قام بها في تونس واضطر الى البقاء بسبتة الى ان توفي بها ، ويقول ابن عميرة في ذلك : « وبها اجتمعت معه في اول سنـة سبع وثلاثين وستمائة ، فكنت اغشاه كثيرا وآتيه من الاحاديث بما كان يستطرفه ، واجد عنده من حلاوة الفكاهة ما كنت اعرفه، وبعد ان فارقته مثيرا بفرقته لوعة الغربة ، ادركته منيته رحمه الله بتلك التربة » (2) ، وقد كان وجوده في سبتة فرصة طيبة لبعض الراغبين في الاخذ عنه ، ومنهم ابن رزين التجيبي الذي ذكر انه لقي ابن عميرة بسبتة وسمع منه (3) وكانت سبتة في هذا الوقت تغص بالاجئين الاندلسيين الذين تقاطروا عليها من مختلف الجهات المفتوحة وخاصة من شرق الاندلس ، ويبدو ان اكتظاظ المدينة بهم واستفحال الغلاء وانتشار المجاعة الكبـرى التي كانت تجتاح سبتة في هذه السنة (4) جعل الوالي البلنسي المذكور يهتم باحوال هذه الجالية من اهل بلده ويسعـى لـدى الخليفة الموحدي الرشيد بقصد ابلاغـه ما اصابهم من الجلاء وتوابعه (5) ، ولا نستبعد ان يكون هؤلاء اللاجئون ندبوا ابن عميرة للاتصال بالخليفة الرشيد الذي كان موجودا يومئذ برباط الفتح ، ولما كانت الطريق البرية من سبتة الى الرباط غيـر مأمونة فيما يبدو فقد سافر اليها عن طريق البحر ، وهذا ما يستفاد من رسالة له وجهها الى صديقه القاضي ابي عبد الله بن يعقوب الشاطبي يقول فيها : (كتبته الى سيدي . . . من ساحل

---

1) البيان المعرب ج 4 ص 399 .

2) الرسائل ص 69 / 70 مخطوط 232 .

3) رحلة ابن رشيد ورقة 64 مخطوط الاسكوريال رقم 1737 .

4) البيان المعرب ج 4 ص 406 .

5) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 115 .

والظهير الثاني مما كتبه ابن عميرة عن الرشيد يتعلق باحد اعيان الاندلسيين اللاجئين وهو الشيخ القائد ابو بكر بن المشرف ابي الحسن بن خالد (25) ، وهو عبارة عن ظهير توقير واكرام لهذا الشخص الذي كان يخدم فيما يظهر دولة الموحدين في الاندلس ، والظهير يرتب له جراية طعام ومرتبا شهريا واسهاما سنويا (26) .

لم يلبث ابن عميرة في ديوان الرشيد الا قليلا حتى صرفه عن الكتابة وقلده قضاء بلد هيلانة (27) من نظر مراكش الشرقي ، ولسنا نعلم هل كان قصوره عن الكتابة الديوانية كما يدعي ابن عبد الملك (28) هو السبب في هذا الاقصاء ام ان مصدره حسد الحاشية له كما يفهم من رسالة ابي الحسن الرعيني التي كتبها اليه بهذه المناسبة ، ولربما كنا نفهم الظروف التي تم فيها عزله عن ديوان الانشاء لو وصلتنا رسالته التي بعث بها الى صديقه ابن الجنان في هذه الاثناء (29) ، وقد كان لهذا الفشل الذي اصيب به اثر عميق في نفسه اذ نجده يكتب الى صديقه الرعيني شاكيا اليه مصابه نادبا حظه في هذه القصيدة التي تفيض بالحزن والاسى رغم ما فيها من تهالك على استعمال المصطلحات والاشارات :

يا صاحبي والدهر لولا كرة
منه على حفظ الذمام ذميم
امنازعي انت الحديث فانه
ما فيه لا لغو ولا تأثيم
ومروض مرعى منأى فنبتنا
من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتباري بالزمان وانما
داء الزمان كما علمت قديم
مجفو حظ لا ينادي ثم لا
ينفك عنه الحذف والترخيم (30)
وارى امالته تدوم وقصره
فعلام يلغى المد والتفخيم
وعلام ادعو والجواب كانما
فيه ينص قد اتى التحريم
لم الق الا مقعدا غير الاسى
فلدي منه مقعد ومقيم
وشرابي الهم المعتق خالصا
فمني يساعدني عليه نديم
غارات ايامي على خوارج
قعديها في طبعه التحكيم (31)
ولواعج يحتاج صالي حرها
امرا به قد خص ابراهيم (32)
ولقد اقول لصاحب هو بالذي
ادركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الاله وان قست
يوما قلوب الخلق فهو رحيم
ولعل ميت رجائنا يحييه من
يحيي عظام الميت وهي رميم (33)

---

25) لم اقف له على ترجمة .

26) مخطوط الاسكوريال 520 ورقة 116 .

27) وردت هذه الكلمة في طبعتي الاحاطة لابن الخطيب هكذا : مليانة وهو تحريف واضح لم ينبه عليه ناشر الطبعة الثانية وقد نقل هذا الخطأ كثيرون ممن نقلوا او اقتبسوا ترجمة ابن عميرة من الاحاطة ، ومن المعلوم ان مليانة تقع في الجزائر الحالية ، اما هيلانة فهي القبيلة التي كانت تضاف اليها احدى المدينتين المعروفتين باغمات ، وقد ذهب الفقيه عباس بن ابراهيم الى ان بلد هيلانة المذكورة هو بلد كلاوة اليوم (الاعلام ج 1 ص 121) .

28) الذيل ج 1 ص 91 .

29) الذيل ج 1 ص 98 ، وقد وعد ابن عبد الملك في ترجمة ابن عميرة بالاشارة الى هذه الحادثة والاتيان برسالة ابن عميرة الى ابن الجنان وجوابه اياه في الموضوع اثناء ترجمة ابن الجنان ولكن هذه الترجمة غير موجودة في الاجزاء التي بين ايدينا من الذيل .

30) الترخيم : حذف اواخر الاسماء المفردة تخفيفا وهو لا يكون الا في النداء .

31) القعدية : فرقة من الخوارج ترى الخروج وتامر به وتقعد عنه ، واول من استعمل هذا المعنى ابو نواس في قوله من قطعة :

فكأني وما ازين منها — قعدي يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح الى الحر — ب فاوصى المطيق الا يقيما

32) يشير الى الامر الوارد في قوله تعالى من سورة الانبياء : « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » .

33) نفح الطيب ج 1 ص 290 والذيل ج 4 ورقة 85 . وفي النسخ المطبوعة من نفح الطيب ان ابن عميرة خاطب الرعيني بهذه القصيدة سنة 634 هـ وهو وهم لان الرعيني يذكر في رسالته ان ابن عميرة نظمها بأزمور اي لما كان في طريقه الى الرباط بعد تعيينه قاضيا بها على ما يبدو (انظر الذيل ج 4 ورقة 84) وفي التاريخ الذي ذكره المقري لم يكن ابن عميرة قد دخل الى المغرب بعد ، ولا شك انه وقع خلل في هذا التاريخ المكتوب بالارقام لا بالحروف .

على طول باعه في الانشاء ، ويذكر ابن عبد الملك (18) انه رفع اليه ايضا رسالة التزم في جميع كلماتها حرف الراء ، ولا شك ان الرشيد الذي كان يقدر اهل الادب قد اعجب ببلاغته فاتخذه كاتبا له ، وقد كانت شهرته الادبية من الاسباب التي مهدت له الدخول الى البلاط الموحدي . يقول ابن سعيد في ذلك : « ثم جاز الى بر العدوة ، فكان له بها تميز وحظوة ، اذ يسبقه حيث سار من شهير اسمه رائد ، فلا يزال ناجح المصادر والموارد » (19) . ولما ولي الكتابة عن الرشيد كتب اليه صديقه ابو بكر بن البناء من اشبيلية يهنئه بهذه الحظوة التي ادركها في المغرب فراجعه برسالة طويلة يشكره ويمدح بلاغته وترسله ويذكر ايام اشبيلية ، ومما جاء فيها قوله : « والعمر كما اشار اليه مثل الكأس باواخره . رسوب القذى ، وفي اعقابه رسوم الضراء والاذى ، وقد قرأت كما قرأ اسطره ، وحلبت كما قال اشطره ، فلم ار الا حلفا لياس ، او خافا لا يدر على البساس ، الى ان بلغت حرم الامامة ، ونزلت دار السلام والسلامة ، حضرة الملك السعيد ، والخليفة الرشيد ، الاول بشرف الصفات والاسماء ، والثاني بما يحيي الارض من قطر السماء ، وثالث القمرين في النور والضياء ، والخامس في نسب آبائه الكرماء ، والسابع عند نسق الائمة الخلفاء ، اظفر الله بالسنى عليا يمينه ، ونصر لواءه المعقود لنصر دينه ، ولا اخلاه من الحسنى في تمليكه ومن الزيادة في تمكينه ، فحينئذ ساعد الجد ، واقبل الحظ المسجد ، وجاء الزمان معتذرا ، وحصل الامان لمن كان منه حذرا ، فلذ الكرى وكان العهد به بعيدا ، وحمد السرى ويصبح الامل حميدا ، وقلت : احلما نرى ام زمانا جديدا » (20) بيد ان هذا الحظ الذي اقبل عليه لم يلبث ان ادبر عنه اذ انه كما سنرى لم يمكث في هذا المنصب الا زمنا يسيرا ، وقد بقي لنا مما كتبه عن الرشيد خلال هذه الفترة ظهيران (21) احدهما انعم به هذا الخليفة على اهل شرق الاندلس الذين لجأوا الى المغرب بعد سقوط بلدانهم في يد المسيحيين ، وهو يخولهم بموجبه سكنى رباط الفتح وتعميرها ، وقد جاء في آخره انه : « كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة » (22) وينص هذا الظهير على ان الخليفة الرشيد بعد المساعي التي قام بها لديه ذو الوزارتين ابو علي الحسن بن خلاص قرر ان يأذن لهؤلاء اللاجئين من اهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من سائر بلاد الشرق مجراهم في الانتقال الى رباط الفتح « بقضيضهم وقضهم ، وان يتخذوا مساكنه وارضه بدلا من مساكنهم وارضهم ، ويعمروا منه بلدا بقبل منهم اولى من قبل ، ويحملهم ان شاء الله تعالى وخير البلاد ما حمل » ويصف الظهير مدينة الرباط بانها : « مناخ التاجر والفلاح ، وملتقى الحادي والملاح ، والمرافق من بره وبحره موجودة في فصول السنة ، مؤذنة لقاطنه بالعيشة الهنية والحال الحسنة » وهو يعطيهم كامل الحق في ان يتوسعوا في الحرث ويتبسطوا في مختلف وجوه المعاش « ويغرسوا الكروم وانواع الشجر على عادتهم ببلادهم ، ويتأثلوا الاملاك لانفسهم واولادهم واولاد اولادهم » كما يتعهد لهم بحمايتهم والدفاع عن حوزتهم ويأمر الولاة والعمال : « بان يحفظوهم من كل اذى يلم بجانب من جوانبهم ، او يعوق عن مأرب صغير او كبير من مآربهم ، وان يكرموا غاية الاكرام بهاءهم واعيانهم ، ويولوهم من حسن الجوار ما ينسيهم اوطانهم ، حتى تدفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف ، ويجمع لهم بين الرعاية لحرمة البلدي والعناية بحق الضيف» (23) وهذا الظهير يعتبر وثيقة ذات شان في تاريخ المغرب وبخاصة تاريخ الرباط من حيث انه يدلنا على أقدم جالية اندلسية استوطنت الرباط ، اذ ان جميع الذين ارخوا لهذه المدينة يقتصرون على ذكر الجالية التي نزحت اليها سنة 1018 هـ 1609 م بعد القرار الذي اصدره فيليب الثالث بطرد الموريسكيين من اسبانيا ، اما هذه الجالية التي يحدثنا عنها هذا الظهير فلم يشر اليها المؤرخون اطلاقا (24) .

---

18) الذيل ج 1 ص 89 .

19) اختصار القدح ص 42 .

20) الرسائل ص 246 مخطوط 233 .

21) يبدأ هذان الظهيران هكذا : هذا ظهير كريم امر به امير المومنين الخ .. واستعمال كلمة ظهير قديم في المغرب يرجع الى عهد الموحدين واقدم نص وردت فيه هذه الكلمة فيما نعلم هو الظهير الذي كتب في عهد الخليفة الموحدي يوسف المستنصر لرهبان بوبلات (Poblet) وهو يبدأ هكذا : هذا ظهير كريم امر به امير المومنين لرهبان بوبلات ... وقد نشر هذا الظهير في : Memorial Historico Espanol - Madrid 1851 - VI - 115
وقد وردت الكلمة مرارا في البيان لابن عذارى ، وانظر كذلك حول كلمة ظهير : R. Dozy - Supplément... T. II, p. 88.

22) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 116 .

23) المصدر نفسه ورقة 115 /116 والرسائل ص 118 وما بعدها مخطوط 232 .

24) اذكر منهم على سبيل المثال : الفقيه محمد بن علي الدكالي في كتابه : الاتحاف الوجيز مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 1320 د ، والفقيه السايح في كتابه : سوق المهر ، والفقيه بوجندار في كتابه : مقدمة الفتح ، وتاريخ الرباط لكايي ومادة الرباط في دائرة المعارف الاسلامية .

(كل شيء هني ، وبال رخي) (46) ونجده يخاطب صديقه ابن مفوز متمنيا ان لو كان معه بالرباط قائلا : (ولا شك ان سيدي لو سكنها لغرس وزرع ، واغتل ورفع ، وفعل وصنع ، ولكن كيف السبيل ، وبيننا غبر الفجاج وخضر الامواج) (47) ، وقد سبق ان اشرنا الى الحاحه في طلب اخته واولادها للقدوم عليه بالرباط ، ومن الاشخاص الذين عبر عن استعداده لايوائهم في الرباط شخص يدعى بابن الحسن ، كتب في شأنه الى ابن مفوز قائلا : (واحد ابني الحسن الذي ذكرتم انه يتظلم من الزمن ويحرص على الظعن ، ان عول فهاهنا له مراد ومراد ، وعندي له في كل ما يحب اسعاد) (48) . اما الغارة المجتاحة التي يتحدث عنها في رسالته السابقة فانه يشير بها الى ما كان يقوم به بنو مرين يومئذ من غارات على نواحي الرباط ، وقد صرح هو نفسه بذلك في رسالة كتبها الى صديقه الرعيني يقول فيها : (وحال اخيكم هنا على ما يرضى كمالكم عافية ، ونعمة ضافية ، ولولا تولع المرينيين واشباههم بالجهات ، والحاحهم عليها بالنكايات ، لكان الحرث بها افسح مجالا ، والجالب الى البلد اكثر اقبالا) (49) .

ومع كل هذا فاننا نجد في معظم رسائله الاخوانية التي كتبها من الرباط حنينا شديدا الى الاندلس وتطلعا الى انبائها وتفجعا على مصيرها . فعند ما تناهى اليه الخبر بقرب سقوط شقر من بعض اصدقائه كتب يقول : (وعرف ان المسقط قريب الاجل ، وساكنوه شديدو الوجل ، وكيف لا يوجلون ، وما الذي اليه يلجأون ، اللهم اجعلهم في ذمتك ، وحطهم بكفايتك وعصمتك ، وابلغهم المأمن ، واسمع فيهم صالح الدعاء ، ممن دعا وآمن) (50) وتتابعه نكبات اشبيلية من جراء فيضان نهرها وهجوم الروم عليها فيكتب الى بعضهم قائلا : (واخبر عن سيل حمص (51) الجارف للاصل والفرع ، الذاهب بالزرع والضرع ، وان الروم شربوا ما اسأر ، وذهبوا بما لا يمكن ان يحصر ، فيا لله لحزون اعيت الاستدراك ، ومزون امطرت الهلاك ، وكم ذا يبقى العليل مع قوة منهدة ، وحدة من المرض في زيادة وشدة ، وهل بقي للمدافعة اسم ، او سلم ما يكون عليه او به حرب او سلم ، ولاجل هذه الزلازل ، وما يتوقى من هذه النوازل رضي اصحابنا بالدون ، وركنوا الى الهدون) (52) وهو هنا لا يرى فائدة من تمسك اهل اشبيلية بالدفاع عن مدينتهم امام قوات القشتاليين اذ ليس هناك تكافؤ بين القوتين ومن ثم ينصحهم بان يسلكوا السياسة التي سلكها اهل شرق الاندلس الذين ركنوا الى الهدون ودجنوا تحت حكم المسيحيين .

وفي رسالة اخرى كتبها الى ابي علي بن خلاص نجده يتحدث عن هذه القضية المزمنة فيقول : (ذكر اخبار بلادنا ، وذلك ذماء كذماء الضب (53) ، وداء لا دواء له في كتب الطب ، فليت القوم اراحهم اليأس ، واستقام لهم الطرد او العكس) (54) وتدلنا هذه المراسلات التي كان يتبادلها ابن عميرة وهو بالرباط مع اخوانه بالاندلس على استمرار العلاقات والتنقلات بين البلدين

---

46) المصدر نفسه ورقة 101 .

47) المصدر نفسه ورقة 101 .

48) المصدر نفسه ورقة 100 .

49) الرسائل ص 66 مخطوط 233 .

50) المصدر نفسه ص 38 .

51) لم اجد في المصادر التي بين يدي اشارة الى هذا السيل الذي اقترن بهجوم المسيحيين على اشبيلية ، وقد ذكر ابن عذارى سيلا شنيعا وقع في سنة 597 هـ وقال انه تقدمته سيول كثيرة (البيان المعرب ج4 ص 196) وقد اصبح هذا السيل حدثا يؤرخ به فقد ذكره ابن عبد الملك اثناء ترجمة بعضهم ووصفه (الذيل ج 5 ص 317) كما اشار اليه صاحب الروض المعطار ص 21 واحال في خبره على كتاب حالي الفكر . وسيل اشبيلية مشهور وكان اذا طمى اتى على المنارة والدور وفيه يقول شاعر اشبيلية ابو المتوكل الهيثم :

لله حمص ايما بلدة ... لو اننا نأمن ثعبانها
طاف بها والريح روح له ... فابتلع الارض وسكانها

52) الرسائل ص 107 مخطوط 232 .

53) الذماء ما بين القتل وخروج النفس وقيل في تفسيره غير ذلك . ويضرب المثل في الطول بذماء الضب . انظر ثمار القلوب ص 331 ومجمع الامثال ج 1 ص 437 .

54) الرسائل ص 95 مخطوط 232 . وفي السجعة الاخيرة تورية لطيفة بالطرد والعكس كمصطلحين من مصطلحات اهل المنطق والاصول . انظر كشاف اصطلاحات الفنون ج 2 ص 904 .

وقد اجابه الرعيني برسالة طويلة ضمنها قصيدة من البحر والقافية ، وهو يواسيه ويشير الى حادثة تأخيره عن الكتابة وتقديم من هو دونه كما يشيد بنسبه وادبه وفضله ويذكره بان الزمان حظوظ ، ومما جاء فيها قوله :

اعـزز على الخطط التي بـك فخرهـا
ان يستبـد بهـا عليـك لئيـم

تعسـا لاقـلام الكتابـة ليتهـا
لـم يعتمدهـا البـرى والتقليـم

لهجـت بتاخيـر السبـوق وقدمـت
مـن لا يحـق لذاتـه التقديـم

قعـدت وقامـت في اغتصـاب حقوقهـم
ومـن الحسـادة مقعـد ومقيـم

ايفـوت مثـل ابـي المطـرف حطـه
وينـال قومـا بالفهاهـة ذيمـوا

مـا ضرهـا ان لـو تولـى امرهـا
منـه كفيـل بالبيـان زعيـم

يا سابـق البلغـاء غيـر مزاحـم
لك دون غيـرك ينبغـي التسليـم (34)

والرعيني يذكر في هذه الرسالة ان الاطماع والرغبة في الثروة والجاه هي التي اغرت ابن عميرة بالهجرة الى المغرب ، وذلك اذ يقول : « ولحا الله الاطمـاع فانها تستدرج المـرء وتستجره ، وتستخرج حين تعرفه ما يسره ، ما زالت تفتل في الذروة والذروة، وتختل بالترغيب في الجاه والثروة، حتى انأت عن الاحباب والحبائب ، ورمت بالغريب اقصى المغارب ، فيا لوحشة الوت بايناسه ، ويا لغربة احلته في غير وطنه وناسه » (35) .

اما المدة التي ولي فيها قضاء هيلانة فقد كانت قليلة كما يقول ابن عبد الملك (36) ويبدو انه قد عبر عن تبرمه بهذا الاقليم لدى بعض اصدقائه من حاشية الرشيد فسعوا لديه حتى نقله الى قضاء الرباط وسلا (37) حوالي سنة 639 هـ (38) ونجده في قصيدة بعث بها الى الوزير ابي زكرياء بن عطوش يشكره على نهوضه به ومساعدته على هذا الانتقال (39) كما نجده يشير في بعض رسائله الاخوانية الى انه استقر في الرباط (بعد فلقلة ، واحوال منتقلة) (40) ونظن انه هو الذي اختار هذه المدينة كي يكون بجوار مواطنيه من جالية شرق الاندلس التي اشرنا اليها فيما سبق ، ويبدو ان قضاء العدوتين كان من الوظائف المهمة في عهد الموحدين ، فقد سبق ان شغله اندلسيون في دولة الموحدين قبل ابن عميرة كشيخه ابـي محمد بن حوط الله المالقـي (41) وابي العباس احمد بن محمد الشريشي (42) وابي جعفر احمد ابن فرقد الاشبيلي (43) ، وقد طاب له المقام في هذه المدينـة برغم الغارات التي يقول انها كانت تجتاح نواحيهـا في بعض الاحيان وهو يعبر عن اغتباطه وسروره بالرباط في رسالة كتبها الى صديقه ابي الحسين بن مفوز في شاطبة اذ يقول : (ولعمري ما زاد الثواء الا غبطة في المثوى ، ورغبة في اشياء اتت على ما اهوى) (44) ونجده يكتب الى اخوانه واصدقائـه بالاندلـس يرغبهم في القدوم عليه ويصف لهـم (الاحـوال وحقائقهـا ، والبلدة ومرافقها) ويذكر (ما فيها من تجارة وفلاحة ، وحولها من غارة مجتاحة) (45) وهو اذ يشجعهم على الهجرة يضمن لهم

---

34) الذيل ج4 ورقة 84 .

35) المصدر نفسـه .

36) المصدر نفسه ج 1 ص 90 .

37) الذيل ج 1 ص 90 ، وبعض المصادر تذكر انه ولي قضاء الرباط وبعضها الاخر قضاء سلا ، ولكن ابن عبد الملك يؤكد انه ولي قضاء الرباط وسلا معا ، وهذا يفيد ان العدوتين كانتا على عهد الموحدين متصلتين من حيث النظم العامـة ، ويبدو انه كان يسكـن في الربـاط اثناء توليه قضـاء العدوتيـن .

38) نستفيد هذا التاريخ من رسائل الوصيـة التي بعثها مـع الشريف السائح نجم الدين وهي مؤرخة في 24 ربيع الثانـي سنة 639 هـ (الذيل الجزء الاخير ص 232) .

39) الرسائل ص 158/157 مخطوط 232 .

40) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 102 .

41) التكملة ج 2 ص 885 والرسائل ص 71 مخطوط 232 .

42) التكملة ج 1 ص 105 .

43) المصدر نفسه ص 114 .

44) مخطوط الاسكوريال رقم 520 وقة 101 .

45) المصدر نفسـه ورقـة 100 .

في ذكرى معركة أنوال الظافرة

٢١ يوليوز ١٩٢١ — ٢١ يوليوز ١٩٦٥

للأستاذة أمينة اللوه

قريــة أجديـــر :

على سهل النكور الخالد وبين روابيه الخضر ترقد اليوم قرية « اجدير » تجثو في صمت ذكريات من عز مضى .. وتمر امامها مواكب الاجيال مطرقة خاشعة !

يلثم المتوسط ثراها الذي سقته دماء الاحرار وترجع امواجه ما حفظته من مخططات حرب التحريــر ومن تكبيــرات المعركة وصيحات الجهاد !

انها قرية صمدت صمود الزمان فكانت سفرا غنيا بمفاخر الايــــام !

ان تربتها قانية الاديم اكتست حمرتها من دماء فــارت على الارض بدون حساب .

وملائكة الرحمن في مواكبها العلوية تنشد حولها اناشيد البطولة وتنثر الورود والاكاليل على اجداث الشهــداء ورفات الابطـــــال .

قرية كانت مزرعة خصبة للآمال فصوحتها الاهوال .

كانت صرح مبادئ، ومثل ، عاشت ثم تلاشت لغدر الانسان اخاه الانسان !

انها قريتي وقرية كل الاحرار في البلد الحر .

انها تاريخ امة بكاملها .

البيـــت الخطابـــي :

ان الارض الطيبة الآمنة — الريف — اصبحت ذات يوم تميد بمن عليها .

التوتر يسود القوم الوادعين .

فماذا دهى القوم .. ؟

انهـــا سنـــة 1912 .

نهل على هذا الجناح الاقصى من العالم الاسلامي بلطمة عار ، عار الحماية ، فنحل النكبة ويفقد المغاربة اقدس ما كانوا يملكـــــون .

نار الانتقام تستشـــري في النفوس ، واهـــل الريف في نفار ، والمجاهد سيدي محمد امزيان يلقم العدو حمما ويسقيه غسلينا ويبعث احتجاجا الى المتآمرين بمؤتمر الجزيرة الخضراء مستنكرا ما اقترفه العتاة المعتدون .

ويستعر اللهيب ، وفي ساحـــة الشرف يسقط المجاهـــد امزيان ، شهيد العقيدة والوطن .

ويفقد المغرب بموته داعية من دعاة المقاومة والتحرير .

ولكن الامانة لن تضيـــع .

والرسالة لن تطـــوى .

وشعلة الحرية لن تخبو ، وفي الريف رجال .. !

فهناك في قريتـــي وقريـــك « اجديـــر » وعلى ضفاف الابيض المتوسط الذي يرتل عند اقدامها تراتيل الخلود منـــذ القدم .. يوجد بيت عريق المحتد زكي الأرومة :

هو بيـــت آل الخطابـــــي .

ولهذا البيت موعد مـــع التاريـــخ .

ولهذا البيـــت قصـــة من نـــور .

ان لرب البيت السيد عبد الكريم مكانة ومقاما ولـــه عنـــد القوم حظوة واحتراما .

ومن صلبه وعرينه خرج الشبل الهصـــور محمد بن عبـــد الكريـــــم .

اي مجد خطه القدر لهذا الشبل في سجل الخلود !

الايام تمضي سراعا ، والزمن يندفع اندفاعا والشبـــل استوى شابـــا يافعـــا .

برغم الاخطار التي كان يتعرض لها هؤلاء الرقاصون (55) ، وقد اصبح ابن عميرة اثناء توليه القضاء في الرباط وسلا ملجأ يأوي اليه الوافدون ممن نكبوا بالجلاء او لزمهم دين من جراء افتكاك انفسهم او ذويهم من الاسر فكان يتعهدهم برعايته وما اكثر رسائله في هذا الباب . وسنقوم بتحليلها والاتيان بنماذج منها اثناء الكلام على اغراض رسائله الاخوانية .

ومن بين الذين قصدوه في الرباط رحالة مشرقـي من الاشراف كان يزور المغرب والاندلس يومئذ ويدعى نجـم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني (56) ، وقد استقبله بحفاوة بالغة ، وبعد ان اقام لديه برهـة من الزمن تشوف الى زيارة مراكش لرؤية الخليفة الرشيد (فاصحبه ابـو المطرف كتب تعريف واعلام، الى بعض من بها من السراة والاعلام)(57) وهؤلاء الاعلام الذين كتب اليهم في الوصاية بهذا الشريف هم رئيس الكتاب ابو العلاء بن حسان (58) ، وقاضي القضاة ابـو اسحاق المكادي ، ونقيب الطلبة ابو زكرياء الفازازي ، واخوه القاضي ابو عمران الفازازي ، والكاتب ابو الحسن العشبي ، وقد كتبت هذه الرسائل في 24 ربيع الاول سنة 639 هـ (59) وقد شيعه ابن عميرة عند فرضة الرباط بقصيدة نقتطف منها هذه الابيات :

يـا سيـدا يزهـى بـه — حـزب الهـدى وفريقـه
في البحـر سـرت فهـان في — دعـة عليـك طريقـه
وامنـت فيـه مـا يحمـ — ـل مـن اذى ويذيقـه
ـك مـن سميـك يونـس — منجاتـه لا ضيقـه (60)
وجميـل عقبـاه التـي — فيهـا اقـام طليقـه (61)

ونلاحظ ان هذه الفتـرة التـي قضاهـا بالرباط مليئـة بالمكاتبات الاخوانية الى اصدقائه في الاندلس ومراكش وسبتة، وقد وصلنا عدد منها ، واشار هو نفسه الى كثرة انتاجه الادبي في هذا العهد ، اذ يقول في رسالة بعث بهـا الى ابن مفـوز : (والاشعار في هذا الوقت كثيرة ، والرسائل في كل فن شهيرة، والوقت لا يسع تقييدا ما اردت ان تقفوا عليه منها ، ولعل ذلك يكون والدار صقب ، والمزار كثب) (62) وقد بلغ من نشاطـه الكتابي بالرباط ان استنفـد ما كان معـه من ورق فكتـب الى صديقه ابن مفوز الشاطبي يرجوه ان يبعث اليه شيئـا من هـذا الورق الذي كانت شاطبة اشهـر مركـز لصناعتـه في الغـرب الاسلامي فيقول : (والكاغد الذي وعدتـم به بلغـت منه حـد الافلاس ، وتكفف من يضن به من الناس ، فاحسنوا به العون ، وامدوا منه بما ترون) (63) . (يتبـع)

الرباط ـ محمد بنشريفة

---

55) وردت كلمة الرقاص في رسائل ابن عميرة وهي كلمة اندلسية ومغربية وما تزال مستعملة في اللهجة المغربية ، وهي توازي ساعي البريد في لغة اليوم .
56) انظر ترجمته في الذيل والتكملة لابن عبد الملك ، الجزء الاخير ص 226 وما بعدها .
57) الذيل والتكملة لابن عبد الملك الجزء الاخير ص 227 .
58) انظر ترجمته في اختصار القدح ص 120 وذكره في نفح الطيب ج 4 ص 288 .
59) انظرها في الرسائل ، مخطوط 232 ص 53 وما بعدهـا والذيل الجزء الاخير ص 229 وما بعدها .
60) يونس اسم هذا الشريف وسميه يونس بن متى نبي الله وهو يشير الى قصته المعروفة .
61) انظر هذه القصيدة في الرسائل ص 62/61 مخطوط 232 .
62) مخطوط الاسكوريال ، رقم 520 ورقة 102 .
63) مخطوط الاسكوريال ، رقم 520 ورقة 100 .

وتحت ستار الليل وفي هدى النجوم تسللت من اجدير فئة مومنة ، قوامها البطلان الاخوان وثمانية عشر حواريا ، تحت الخطا وتغذ السير صوب قبيلة تمسمان ، وعسكرت بالمكان المسمى « القامة » واسست هناك رباطها للجهاد .. !

لو ذات سوار لطمتني

وفي هذه الاثناء كانت تجري احداث اخرى بالجانب الآخر ..

ففي عام 1921 واخبار الدعوة المباركة تسير بها الركبان فتقض مضاجع الاسبان ، توجه المقيم العام بتطوان السنيور « دامسو بيرينكير » الى جزيرة النكور المواجهة لقرية اجدير واستدعى على جناح السرعة القائد العام للناحية الشرقية الجنرال « سيلبستر » للالتحاق به في الجزيرة المذكورة ، كما بعث استدعاءات ودية الى اقطاب الريف !

وحل اليوم الموعود ، وتقاطر الناس على الجزيرة يستطلعون الخبر .. وعند ما انتظم الجمع وقف المقيم العام خطيبا في الناس مبينا فوائد الاحتلال والنوايا الطيبة للصديقة اسبانيا .. ! واخبرهم بأن الجنود الاسبانية المنضوية تحت لواء الجنرال « سلبستر » عازمة على الزحف لاحتلال الريف ، وان لها من القوة والعتاد ما يجعل مقاومتهم عبثا وصمودهم جنونا ..

وتناول الكلمة بعده الجنرال « سلبستر » تحدث فيها على طريقة « دون كيخوطي » .. وقف في كبرياء وعجرفة مهددا ومتوعدا .. وابدى من عنجهية القول وفظاظته ما اثار حفيظة الحاضرين .. قال لهم من ضمن ما قال : « اتيت الى هنا عن طريق البحر تنفيذا لأوامر رئيسي المقيم العام والا فقد كان في وسعي ان آتي من هنا (واشار بيده الى مرسى اجدير)» وصال وجال ما شاء له طيشه ان يفعل .

مادت الارض تحت اقدام رجال الريف ، وهتفوا صادقين: ان لهذا اليوم ما بعده ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وسيعلم الذين اهانوا الاسد في عرينه كيف يكون ثأر الاسود !

انفض المجلس والاعصاب هائجة ومراجل الغضب تغلي في صدور رؤساء الريف نداءات الثورة تجلجل في اعماقهم .. وتطلعت انظارهم الى البطل الرابض في مركز « القامة » بتمسمان .. فقصدوه توا وباركوا ثورته وعاهدوه عهد الرجال ان سيهبوا ارواحهم رخيصة في سبيل الله والوطن .. واقسموا الا يرجعوا الى ديارهم واهليهم الا والنصر معقود بأيديهم ..

وكذلك كان .. !

لقد اغرورقت عينا البطل المجاهد بالدموع وسجد لله شكرا على هذا التوفيق .

والتف المجاهدون بالقائد البطل يترقبون تعليمات الجهاد. وجاءت التعليمات تقضي بأن يتصل رؤساء القبائل الحاضرين بذويهم وعشائرهم واتباعهم .. للالتحاق بهم في مركز « القامة » .

سمع الناس داعي الجهاد فلبوا مسرعين .. واصبح مركز « القامة » بين عشية وضحاها يعج بالحجيج من الناس .. فاتسع نطاق المحلة واصبحت على اهبة القتال .

اول نصر . !

وبينما الامير وصحبه يخططون استعدادا ليوم الفصل اذا بالطاغية «سيلبستر» يهاجم «ظهر اوبران» ومعناها بلغة الريف (هضبة الحجل) فاستولى عليها وحصنها مهيئا بذلك لهجوم آخر واوسع .

كان يقدر فضحكت منه الاقدار ... !

ثارت ثائرة الجموع المحتشدة ، فرأى البطل ان الوقت مناسب ، فمعنوية الناس عالية جدا ، اذن فعلى بركة الله يا من باعوا نفوسهم لله !

خرج المجاهدون خفافا ، ووجهتهم « ظهر اوبران » والتحم العسكران في معركة رهيبة انفجرت عن استشهاد عدد كبير من المجاهدين .

ولكن الامور بنتائجها ..

فقد كان النصر حليف المسلمين فاستردوا الهضبة واستولوا على ما فيها من الجنود والعتاد .. !

قصص من نور :

وهنا فاضت اخيلة المجاهدين بحكايات قدسية عن الشهداء شهداء « ظهر اوبران » ونسجوا حولهم قصصا من نور .. !

قال قائل منهم : « كنت في المعركة اقاتل مع المقاتلين اذ اصابت رصاصة العدو فلانا (وذكر اسمه) فحملته اواريه عن الاعداء حتى لا يقع في ايديهم — وقد اصلاهم نارا حامية — فيمثلوا به .. وادركني الليل فاستلقيت بجانبه وعيني عليه ساهرة .. حتى اذا كان الهزيع الاول من الليل .. اخذني نور قدسي .. وعبق المكان بطيب ما شممت مثله قط .. واذا بحوريتين مقبلتان لباسهما ولحافهما من سندس خضر وبيدهما مبخرة يتصاعد منها ابخرة زكية .. واقتربتا من الشهيد .. فنثرتا عليه فرائد العطر والندى .. ثم انصرفتا .

وقال آخر : « اتذكرون فلانا ، لقد كانت كل رصاصة منه تصيب العشرات من جنود العدو .. ورأيته جذلا يخرج من قلنسوة جلبابه كسرات خبز يعض فيها تارة ، ويضغط على الزناد

ها هو اصبح يفصل بين الناس بالعدل والقسطاس ..

واين ؟ في المدينة الاسيرة مليلية .. ! حيث الجور والحيف : جور الاجنبي وحيف المعتدي .

يمضي سحابة النهار في حل مشاكل قومه .. حتى اذا طواه الليل وخلا الى نفسه ، انتابته هواجس والحت عليه افكار وتراءت له من بعيد غايات مقدسة يخطف بريقها الابصار !

ثم نراه يقاسي ظلام السجن ، وما من ذنب اتى ، ولكنه منطق الاجنبي لفق له تهما ورماه باطلا .

وها هم اقارب محمد يدبرون له الخلاص ، ويشاء الحظ معاكستهم فتنزلق منه القدم وتتكسر فيقبض عليه مرة اخرى

ويوجس الاسبان خيفة من امره فيطلقون منه السراح ويعود الى عمله .

السر الخطير :

ولكن كيف وبأي سر عاد ؟

لقد اختمرت الفكرة ، وضاقت النفس بالسر الخطير فأصبحت على وشك الانفجار ، الآمال تقترب كعاصفة هادرة والغاية المقدسة تتراءى اشرق واسطع نورا .. ووصمة الحماية تقض مضجع محمد وتلهبه نارا .. وسبة الاستعمار تمزق منه النياط ..

طرأ على البطل هدوء كالهدوء الذي يسبق الاعصار واستبد به التفكير فاستسلم للعزلة والانفراد .

لقد كان يضع خطوط قصة منسوجة من نور ، هو بطلها وارض الريف مسرحها ، والمغاربة عناصرها .. كان يمهد للخلود بثورة لم يعرف مثلها القرن العشرون !

يلتفت الى وطنه فاذا هو رازح تحت القيود معفر الخدود .

ويرنو الى الشرق فاذاهو الآخر مكبل في الحديد ومقسم شيعا .

وتنبعث من هنا وهناك اصوات استغاثة ما تلبث ان تضيع في خضم الاحداث ، احداث الاستعمار .

ويرهف البطل سمعه المصغى البعيد ، صدى صيحات جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، وخاصة رشيد رضا ، وقد هزت الشرق .. فينتفض للنداء الحي .. ويحس تجاوبا صادقا منبعثا من اعماقه ، وكان تجاوبه عنيفا عنف طبيعة الريف ، وكان تأثره حاسما ، فانفجر في ثورة مباركة ، كانت الشرارة الاولى التي بارك الله فيها ، فلم تنطفىء بعد ذلك ابدا ..

ضاقت المدينة الاسيرة على البطل فكأنها سم الخياط ..
فليس هذا ميدان المعركة ، بل هناك ، وراء الحدود المصطنعة ..
لقد ازفت الآزفة ..

ولكن كيف الخروج والاسبان الى خروجه لا يركنون ؟ لقد منعوه .

ولكن الموانع الصبيانية لن تفت في عضد البطل .

والعراقيل مهما كانت فلن تحول بين النفس الكبيرة وبين آمالها .

لقد تمكن البطل من مغادرة ارض الاسر .

وبخروجه هذا يقف التاريخ مشدوها ليسجل معجزة من معجزات الايمان .

كانت قرية اجدير نقطة الانطلاق .

الدعوة الى الجهاد :

تطلع البطل الشاب الى شقيقه وصنوه امحمد الطالب بكلية الهندسة بمدريد وهتف من اعماقه : « واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي » !

هكذا كان ، فقد جمع الله بين الاخوين وشد ازرهما واشركهما في القضية المقدسة وخاضا غمار احداثها وعاشا اطوارها معا فلم يفترقا ابدا ..

كانت مرحلة التخطيط واضحة في ذهن البطل وهي المرحلة الاولى من مشروعه الكبير ، وعليه الآن في تنفيذ المرحلة الثانية وهي اصعب المراحل واشقها .

اتصل بأهل الريف وليس معه الا شقيقه ورفيقه في الجهاد السيد محمد وعمه السيد عبد السلام ، فصدع بالحق واسر اليهم النجوى وبلغهم الدعوة .. دعاهم الى بيته وتحين بهم الاسواق شارحا بعقيدة المومن الصادق اخطار الحماية ومغبة الاذعان لحكم الاجنبي .

وسرت بين الناس همسات الاعجاب بشاب جمع مزايا الشباب وحصافة الشيوخ !

وقال قائل منهم : احقا ما يدعونا اليه ابن عبد الكريم ؟ ان كان صادقا — ولا اعلم عنه الا الصدق — ليكونن له شأن واي شأن !

كانت الدعوة في اول الامر مقتصرة على قومه وعشيرته من قبائل بني ورياغل الباسلة .

وذات يوم ..

حول سلبيستر فيتلقاها هؤلاء قصصا من قصص الجن والعفاريت لا من قصص الواقع الصحيح !

انها قصة بعد بها الزمان وبهتت منها الاضواء فاذا هي كرجع الصدى البعيد او كصفحة صفراء من بقايا سفر قديم !

وتجتمع اليوم ـ وقلما تجتمع ـ عجائز الحي يستعدن في غبطة وفي اسى وحنين ذكريات المعركة .. انهن حضرن تفاصيلها وعشن احداثها ورددن اهازيجها ، يسأل بعضهن بعضا: اتذكرين ايام المعمعة وتكبيرات المجاهدين ؟ اتذكرين اغنيه انتشرت في اعقاب الانتصار ؟ اتذكرين الامير سيدي محمد وقد افاض الله عليه نورا وكساه جلالا ومهابة ؟

فتستعيد كل واحدة ما يزال عالقا بالذاكرة تردده بنفس النغم وبنفس الكلمات ، فاذا وقعة انوال حية في الاهازيج الشعبية التي اندثرت او تكاد !

ارأيتم الى هذه الفتيلة المقدسة الملتهبة على الدوام في المعابد والهياكل ؟

انها كل ما بقي في صدور الناس الاولين من ذكريات انوال .. واخشى ما اخشاه ان يجيء يوم لا نذكر فيه من امر انوال الا انه وقعة حربية عادية لا غير ، ثم تنطفيء الفتيلة يوم يكف الناس عن زيارة المعبد المقدس فتصير الى رماد .. !

انها معركة ضعضعت الاستعمار ، وكانت اقوى عامل على السير بالثورة الى الامام ، وهي ثورة انبعثت من قريتي اجدير :

واجدير منبع مقدس لماء الحياة ، حياة العزة والكرامة ، حياة الايمان !

فالمجد والخلود لثورة الريف .

وتحية من القلب الى قريتي الوادعة « اجدير » مهد الثورة وموطن الامجاد .. !

الرباط ـ آمنة اللوه

« الشكاية والكتمان »

فائدة الشكاية الترويح والتخفيف لان بث الشكوى وافشاءها فيه تخفيف واراحة :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة
يواسيك او يسليك او يتوجع

وبعضهم يرى كتمان الامر وعدم الشكاية لا سيما ان كان المشكو له غير مشفق ، والكلام المشهور في هذا قول ابن الطيب :

ولا تشك الى خلق فتشمته
شكوى الجريح الى العقبان والرخم

اخرى .. وهو بين هذا وذاك يهتف : الهي انا ضيفك اليوم ، فاقبل عبدك في زمرة الشهداء .. واستمر في رميه وهتافه الى ان سقط شهيدا .. وابتسامة سماوية تعلو وجهه .

وحكايات نورانية اخرى ، كان بعضها من صنع الحقيقة وكان بعضها الآخر من اشتغال النفس بالملأ الاعلى والشهادة في سبيل الله .

ولكنها كانت جميعها مشوقا بليغا للقلوب المومنة الصافية . وكانت عاملا آخر من عوامل الحماس لليوم المنتظر .

معركـة انوال الخالدة ..!

جرت عادة اهل الريف باشعـال النار على قمـم بعض الجبال المعروفة ايذانا بالخطر .. وذلك ما فعلوه بعد استردادهم « ظهر اوبران » .

تنادى الناس من كل صوب وحـدب ، وتسارعـوا في جموع وحشد كبير قاصدين مركز البطل مسطلعين .. وارهفوا السمع لأخبار المعركة والنصر الذي احرز عليه المجاهدون ، فانتشوا بأخبار النصر وتاقوا الى الاستشهاد في سبيل الله .

وجاءهم صوت الامير مرددا في تأثر قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهـم يرزقون » . فكبر الناس وهللوا وارتفعت اصواتهم في عنان السماء تباركها ملائكة الرحمن ويتضوع بشذاها الزمان !

وبقلوب عامرة بالايمان وبعقيدة راسخة خرج الناس الى انوال حيث كان الجنرال « سلبستر » يرابط بجيش قوامـه عشرون الف جندي وبعتاد قوى مدمر يستعد لاكتساح الريف . كان جمعه هذا جمع معتد ، ولا يفلح المعتدي حيث اتى !

المجاهدون يسيرون وفي سيرهم تكتب صفحات ..
عدتهم ايمان ، وسلاحهم مبدأ ، وغايتهم التحرير ..
فالمجد والنصر للمثل العليا ..

تكتيك في الحرب باهر ، هو بند من بنوده : الحيلولة دون وصول المؤن والعتاد الى العدو .

فليكن اول العمل تنفيذ هذا البند .
ثم الهجوم والانقضاض بعد ذلك .

الله اكبر ، والعزة لله . الفئة المومنة القليلة غلبت الفئة الكبرى المسلحة ! « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله »

انتصر المسلمون ولحق الدمار بالمعتدين .

تكبد العدو هزيمة نكراء ، وفر يحتمي بالوهاد والجبال . قتل طاغية يوم جزيرة النكور .. فيا لثـأر الاحـرار ويا لقداسة كلمة الرجال !

قتل « سلبستر » على يد الاحـرار يوم 21 يوليـوز 1921 وقتل معه الاف من الضباط والجنود ، وكان الخبر صاعقا بالنسبة للاسبان ، فعمهم الحزن والحداد .

ولاذ الجنرال « نفارو » بالفرار ، وانحاز مع فلول جيشه الى قصبة (اعرو) فكانت قـوات المجاهدين لـه بالمرصـاد . فحاصروا القصبة حصارا كاملا وحالوا دون وصول الماء والمؤن اليها .. فانهارت مقاومته واستسلم ومعه البقية الباقية من الفلول المنهزمة ، ودخل قرية اجدير اسيرا وظـل في السجـن الى ان افتداه المثري الاسباني « ايشيباريتا » بأربعة ملايين بسيطة !

كان لهذا الانتصار اثر عميق في نفوس المسلمين زادهم ايمانا بثورتهم والتفافا ببطلهم ، فنصروه وعززوه ووقروه .. وانضمت الى الحركة قبائل وافخاد .. فاتسعت رقعة المعركة واسفر كل ذلك عن ميلاد ثورة الريف .. !

لقد انتشى اهل الريف بالنصـر ولم يبطرهـم بل كان حافزا لهم على اعطاء الثورة مفهوما اوسع وهدفا اشمل .

وسارت اخبار النصر في جنبات المغرب توقـظ من كان غافلا ، وشاع خبر الثورة في ارجاء العالم ، وتساءلت اوربا في فزع وفي اندهاش : اصحيح الخبر ام هو اضغاث احلام ولغـو كلام ؟ وتوارد على اجدير ــ مقر القيادة العامة ــ مراسلـون للصحف يتساءلون عن النبأ العظيم وهم غير مصدقين .. !

ولكن هو الحق الأبلج عشى الاعين واستخلـص منهـا الاكـــــار !

انها الثورة استوت في اقصى الريف فكانت بردا وسلاما على المسلمين ، وشواظا وجحيما على المستعمرين .

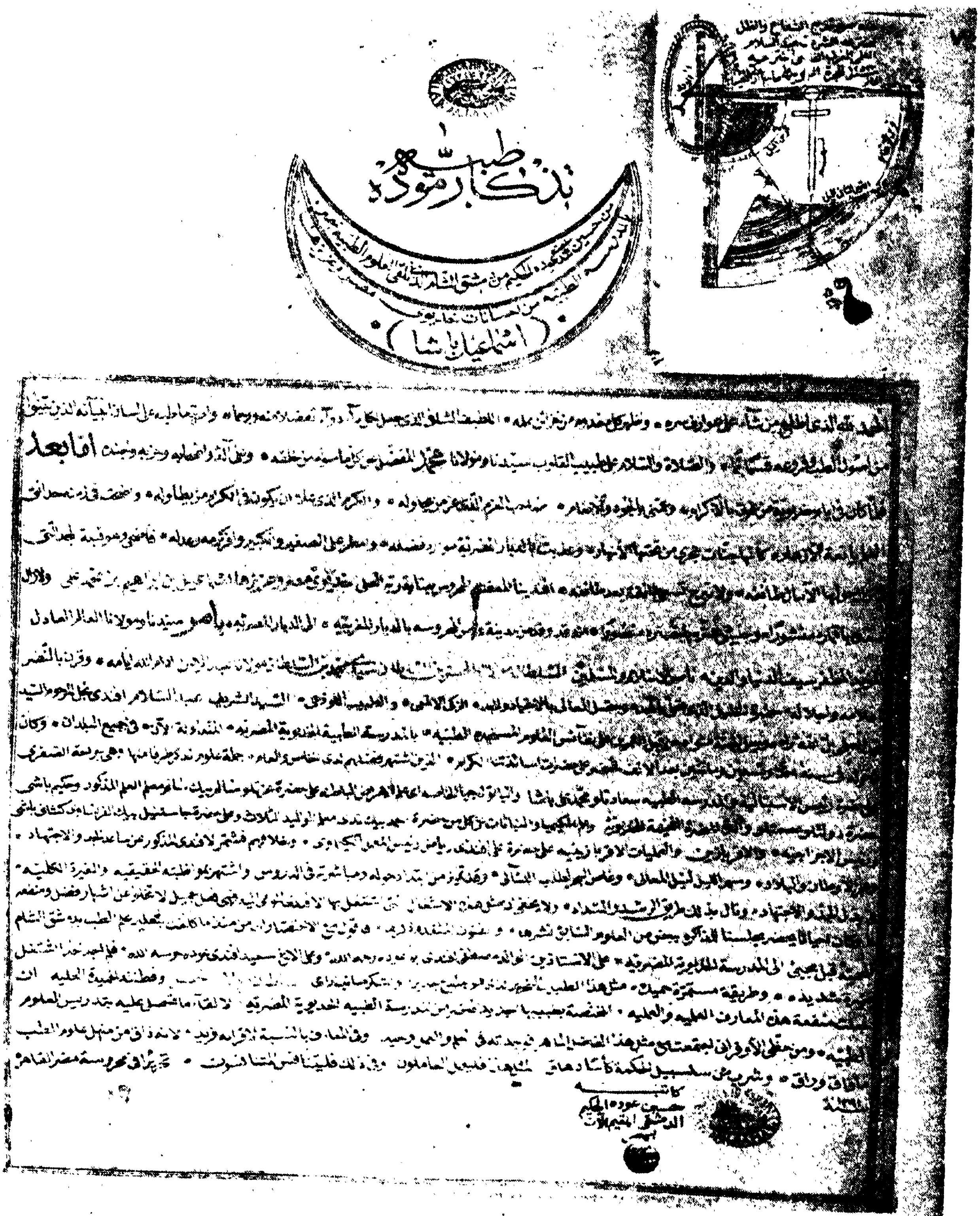
.. وملحمـة انـوال ..!

ان معركة انوال اصبحت ملحمة .. خصبة بالمعاني والمثل العليا .. تنتظر الشعراء والقصاصين . فأينهم .. ؟

تغنت النساء بهذا النصر ، ودخل يوم انوال في الاهازيج والترانيم ، وناغت به الامهات اطفالهن في المهاد .. وأرخ به المؤرخون في الريف لزواجهم ولميلاد ابنائهم ولاحداثهم .

لقد ذاب كل تاريخ فلم يبق حيا نابضا الا يوم انـوال وانتصار انوال ، فهو نشيد الانشاد بالنسبة اليهم جميعا .. !

وملحمة انوال لا تزال حية الى اليوم تحكي القصة بوضوح .. ولا زالت العجائز الواهنات يرددن في ليالي الشتاء الطويلة وعلى نقرات الامطار لاحفادهن حكاية انوال وخرافات منسوجة



Moulaï Abdesslam ben Mohammed Alâlami Ibn Machich Alouahadi

صورة اجازة المدرسة الطبية المصرية للطبيب عبد السلام العلمي الفاسي

معلومات جديدة عن:

حياة الطبيب المغربي عبد السلام العلمي

للاستاذ محمد المنوني

كان من ابرز الشخصيات التي تناولتها رسالة « مظاهر يقظة المغرب الحديث » «1» شخصية عبد السلام بن محمد بن عمر العلمي الفاسي، كمغربي لمع بين طليعة اليقظة المغربية الحديثة، وتخصص فى علمي الفلك والطب، وقد استعرضت هذه الرسالة حياته العلمية بالمغرب، وذكرت - الى جانب مؤلفاته الفلكية - الجهازين اللذين اخترعهما فى هذا العلم، وهما: « جعبة العالم » و « ربع الشعاع والظل » ثم تحدثت عن رحلته الى مصر القاهرة لدراسة الطب الحديث، واسماء اساتذته الشرقيين فى هذا العلم، مع مؤلفاته الطبية « 2 ».

وهنا اود ان اذيل هذه الترجمة بمعلومات جديدة عن هذه الشخصية، يتعلق الامر - اولا - بتقديم نص الاجازة «3» التي احرز عليها الطبيب العلمي من «المدرسة الطبية المصرية» «4» بقصر العيني بالقاهرة وهي صادرة عن حسين بن مصطفى عودة الدمشقي «5»، احد اساتذة هذه المدرسة ومكتوبة بخط شرقي نسخي سنة 1291 هـ 1873 م، وفيها يشهد بحضور الطالب المغربي على اساتذة المدرسة الطبية المصرية، ويذكر مواظبته واجتهاده، ويعترف بتفوقه بالنسبة لاقرانه.

وقد توسط اعالي صك الاجازة - طابع سفير بيضوي الشكل، ومكتوب بداخله اسم المجيز وتحت هذا الطابع رسم شكل هلال كتب بداخله خمسة اسطر كالتي:

« تذكار مودة - طبية - من حسين افندي عودة الحكيم من دمشق الشام، الذي تلقى العلوم الطبية بمصر - بالمدرسة الطبية من احسانات خديوي مصر وعزيزها - اسماعيل باشا ».

واسفل هذا جاء نص الاجازة التي ذيلت - فى آخرها ومن جهة اليمين - بطابع مماثل للذي صدرت منه، يتصل به توقيع المجيز الذي وضع تحته طابع اصفر.

والاجازة محررة باسلوب علمي عربي تتخلله بعض تعابير تركية، حيث تضاف كلمة « لو » لبعض التحليات، وتكتب متصلة بتائها الاخيرة، مثل سعادتلو، وحضرتلو، ودونتلو .. كما انها لم

---

1 - انظر مجلة « تطوان » العدد الثاني: ص 7-77 والعدد السادس: ص 49-84.

2 - نفس المصدر - العدد السادس ص 50-55

3 - جاء مصور هذه الاجازة ضمن كتاب « اعيان المغرب الاقصى سنة 1357 هـ » لمؤلفيه - بالفرنسية - مارتي مع ادماند كوفيون، طبع باريس سنة1939 - ص 574. هذا ومن الطريف ان يسجل وجود اجازات عربية فى الطب القديم، ومنهااجازتان من القرن 11هـ - 16 م، منحت احداهما لفصاد، والاخرى لجراح، ويوجد نصهما معا فى « تاريخ البيمارستانات فى الاسلام » تأليف الدكتور احمد عيسى بك، المطبعة الهاشمية بدمشق، سنة 1357هـ - 1939م، ص 44-48، وهناك اجازة ثالثة وردت فى « منطق الطير » لابن ابي حجلة، نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم1910

4 - تأسست فى ابي زعبل سنة 1826 م وفى سنة1837م نقلت الى القاهرة، ووضعت فى « قصر العيني ومعها « المستشفى » « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ج 4 ص 37-43.

5 - توفى سنة 1331هـ - 1913 م وتوجد ترجمته - مع مراجعها - فى « الاعلام » للزركلي ج 2 ص 284 « معجم المؤلفين » ج 4 ص 63.

ندى « 9 » معلم المواليد الثلاث ، وعلي حضرة جاستنيل بيك الفرنساوي كشاف باشي ورئيس الاجزاجية ، والاقرباذين والعمليات الاقربازينية على حضرة علي افندي رياض «10» رئيس المعمل الكيماوي ، وخلافهم ، فشمر الافندي المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد ، وهجر الاوطان والبلاد ، وسهر الليل لنيل المعالي، وغاص البحر لطلب اللئالي، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته فى الدروس واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية ، فى بذل الجد والاجتهاد ، ونال بذلك طريق الرشد والسداد .

ولا يخفى ان مثل هذه الاشغال التي اشتغل بها الافندي المومى اليه : فهي فعل جميل لا تخلو عن اشهار فضل ومنفعة ، وكان احيانا يحضر مجلسنا للمذاكرة ببعض من العلوم السابق نشرها، والفنون المتقدم ذكرها ، فاقول مع الاختصار : انـي من منذ ما كنفت بتعليم علم الطب بدمشق الشام المحمية ، قبل مجيئي الى المدرسة الخديوية المصرية ، على الاستاذين : الوالد مصطفى افندي ابو عوده رحمه الله وعلى الاخ سعيد افندي عوده حرسه الله ، فلم اجد احدا اشتغل بغيرة شديدة ، وطريقة مستمرة حميدة ، مثل هذا الطبيب النحرير ، الذي هو بالمدح جدير ، واشكر صائب راي السلطان مولانا الحسن ، وفطنته الحميدة العلية ، ان جعلت منفعة هذه المعارف العلمية والعملية ، المختصة بطبيبها الجديد المحضر من المدرسة الطبية الخديوية المصرية ، لالقاء ما تحصل عليه بتدريس العلوم الطبية ، ومن حظي الاوفر اني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر فوجدته فى العلم والعمل وحيد « كذا » وفى المعارف بالنسبة لاقرانه فريد ، لانه ذاق من منهل علوم الطب مافاق وراق ، وشرب من سلسبيل الحكمة كاسا دهاق «كذا» لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، تحريرا فى محروسة مصر القاهرة سنة 1291هـ .

واثر هذا طابع بيضوي الشكل ، يتصل به امضاء المجيز ــ فى اربعة اسطر ــ هكذا . « كاتبه ــ حسين ــ عودة الحكيم ــ الدمشقي المقيم الان ــ بمصر » . واسفل هذا الامضاء وضع طابع صفير .

هذه هي الاجازة التي اذيل عليها بفقرة جديدة عن حياة صاحبها وردت فى « المفاخر العلية » «11» وقد سقط من هذا الصدر اسم العلمي المعنى بالامر ، حسب النسخة التي رجعت اليها ، وجاء النص ــ لدى تعداد اطباء السلطان الحسن الاول ــ وهكذا :

« ... كان منهم الشريف الفاضل ، العدل ، الحيسوبي الكبير ، الموقت ، استنبط اشياء من علم الهيئة ، واعتنى به سيدنا الامام ، المقدس ، سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان ، وامره بتدريس علم التوقيت بجامع القرويين ، وادخله فى ديوان المدرسين ، ثم اشتغل بعلم الطب ، ورحل الى مصر واخذه هناك ، ثم تصدر لكتابة الرسوم بدكاكين العدول من حضرة فاس .. ثم انتقل للكتابة بحضرة مولانا المنصور بالله تعالى مولانا الحسن ، ثم اصيب بعظيم بلاء ، وهو سنة خمس وثلاثمائة والف ــ حي عافانا الله واياه » .

وكان من اساتذة العلمي والده محمد بن احمد وابو اسحاق ابراهيم التادلي الرباطي الامام الشهير

كما ان « جعبة العالم » التي ابتكرها المترجم كانت كالاصطرلاب ، الا انها على شكل الطبل . وقد جعل واحدة من هذه الالة خاصة بعرض فاس لنفسه واخرى جامعة اهداها للسلطان محمد الرابع .

الرباط ــ محمد المنوني

---

9 ــ توفى سنة 1294هـ ــ 1877 م « الاعلام » للزركلي ، ج 1 ص 249 ، و « معجم المؤلفين » ج 2 ص 193ـ194 .

10 ــ توفى سنة 1317هـ ــ 1899 ، « الاعلام »للزركلي ج 5 ص 101 .

11 ــ اسمه الكامل هكذا « المفاخر العلية ، والدرر السنية، فى الدولة الحسنية العلوية» تاليف عبد السلام اللجائي الفاسي المتوفى سنة 1332هـ ــ 1914م ، توجد مسودة بالمكتبة الزيدانية بمكناس ، وبالمكتبة الملكية بالرباط ، نسخة اخرى منه تحمل رقم 460 ، وتوجد مقتطفات منه بالخزانة العامة بالرباط فى كناش يحمل رقم ك 351 ، ولمؤلفه ترجمة صفيرة فى احدى تعاليقه « النهضة العلمية » لابن زيدان .

تسلم من بعض الاخطاء النحوية التي سيقف عليها القاريء .

وتتجلى قيمة هذه الشهادة فيما تقدمه من معلومات عن دراسة الطبيب العلمي للطب بالقاهرة ، وفيما تلقيه من ضوء على فترة من حياته ، وهي – ايضا – تقدم نموذجا لاجازات هذه المؤسسة الشرقية الجديدة ، كما تقدم لونا من العلاقات العلمية بين المغرب ومصر في مطلع عصر اليقظة المغربية .

واخيرا فان من محاسن صك هذه الاجازة ان الصق باعلاه – من جهة اليمين – رسم « ربع الشعاع والظل » «6» الذي ابتكره صاحب الاجازة ، والتعريف بهذا الرسم – كتب باعلاه بخط شرقي مماثل في اربعة اسطر هكذا :

« هذه صورة « ربع الشعاع والظل » – لمخترعه الشريف عبد السلام – العلمي المغربي الفاسي اخترعه سنة 1283 للهجرة النبوية ، على صاحبها ازكى التحية » .

وبعد : فها هو نص الاجازة الطبية :

« الحمد لله الذي اطلع من شاء على عوارف سره ، واظهر كل معدوم من خزائن علمه ، اللطيف الشافي الذي جعل لكل داء دواء تفضلا منه ورحما ، وامر بتعاطيه على لسان انبيائه الذين بينوا من اصول الطب وفروعه قسما جما ، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل عن كل ما سواه من خلقه ، وعلى آله واصحابه وحزبه وجنده.

اما بعد : فلما كان في ايام خديوية من غمرني بالاكرام ، وعمني بالجود والانعام ، صاحب العزم الذي عز من يحاوله والكرم الذي علا ان يكون في الكرام من يطاوله ، واضحت في زمنه حدائق العلم يانعة الازهار ، كانها جنات تجري من تحتها الانهار ، وعذبت بالديار المصرية موارد فضله ، وامطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله ، فاضحى وهو قبلة المجد التي لما تزال حولها الامال طائفة ، ولا تبرح تسعى طائفة بعد طائفة ، افندينا المعظم المحروس بعناية ربه العلي ، **خديوي مصر وعزيزها اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي** ، ولا زال سعده باقماره منشورا ، وجيش عزه بانصاره منصورا .

انه قد وفد من مدينة فاس المحروسة بالديار المغربية ، الى الديار المصرية ، بامر سيدنا ومولانا العالم العادل المؤيد المظفر سيف الدنيا والدين ، ناصر الاسلام والمسلمين ، السلطان **مولانا الحسن ابن السلطان سيدي محمد بن السلطان مولانا عبد الرحمن** ، ادام الله ايامه ، وقرن بالنصر اعلامه واجلاله حضرة الخليل الذي تحلى بالمجد ، وحصل المعالي بالاجتهاد والجد ، الذكي الالمعي والطبيب اللوذعي ، السيد الشريف عبد السلام افندي نجل المرحوم السيد محمد العلمي بل الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، لاجل التمرين على نفائس العلوم المستجدة الطبية ، بالمدرسة الطبية الخديوية المصرية ، المتداولة الان ، في جميع البلدان .

وكان دخوله في سنة احدى وتسعين ومائتين بعد الالف ، فحضر على حضرات اساتذتنا الكرام ، الذين اشتهر فضلهم لدى الخاص والعام ، جملة علوم نذكر طرفا منها ، وهي جراحة الصغري على حضرة رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية سعادتلو محمد علي باشا «7» والباتولوجيا الخاصة اي علم الامراض الباطنية على حضرة عزتلو سالم بيك سالم «8» معلم العلم المذكور وحكيم باشي حضرة دولتلو عصمتلو والدة الحضرة الفخيمة الخديوية ، وعلم الكيميا والنباتات على كل من حضرة احمد بيك

6 – للمترجم رسالة صغيرة في طريقة استعمال هذه الالة ، سماها : « ارشاد الخل ، لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل » طبعت – على الحجر – بمصر في 12 ص ، بدون ذكر تاريخ الطبع ، حجم صغير .

7 – اصل اسمه محمد بن علي بن محمد الفقيه البقلي توفي سنة 1293هـ–1876م وتوجد ترجمته مع مراجعها – في « الاعلام » للزركلي ج 7 ص 193.

8 – توفي سنة 1311هـ – 1893 م وتوجد ترجمته – مع مراجعها – في « الاعلام للزركلي ج 3 ص 114 ، و « معجم المؤلفين » ج 4 ص202–203 .

كان يعمل لحساب الجاسوسية الفاطمية التي كانت اذ ذاك طامحة الى مزيد من التوسع والنفوذ في ارجاء العالم الاسلامي .

وقد دون ابن حوقل معلوماته في كتابه المسالك والممالك جامعا بين المشاهد والدراسة والاخبار وتخطيط الخرائط على الاصطلاح القديم الذي كان يجعل الجنوب اعلى الخريطة والشمال اسفلها . والغرب يمينها والشرق يسارها .

فزار بلاد العرب وفارس والسند وسجستان ثم انعطف الى اوربا فشاهد بلاد البلغار ووصل الى اعلى نهر الفولكا . وشاهد مصر والمغرب وقسما من الصحراء . والاندلس وصقلية ثم رجع الى بغداد ...

وقد طبع كتاب ابن حوقل مرتين في ليدن عاصمة الاستشراق كان عنوانه في الاولى كتاب المسالك والممالك .. وكان عنوانه في الثانية : كتاب «صورة الارض» . وكل من العنوان الاول والثاني ليس الا اسما لرحلة ابن حوقل البغدادي .

واليوم يطبع هذا الكتاب من جديد في مدينة بيروت بعنوان كتاب « صورة الارض » وياخذ طريقه الى رجال البحث والدراسة ليجددوا العهد بقسم من تراث الاجداد في ميدان الرحلة والجغرافية .

والذي يهمنا في هذا الحديث بالخصوص هو المعلومات القيمة التي احتفظ لنا بها ابن حوقل فيما يرجع للمغرب والاندلس ، فقد زار المغرب في القرن الرابع . اي في ذلك العهد المظلم من التاريخ المغربي الذي لا نكاد نعرف عنه الا معلومات غامضة لا تشفي غليلا ولا تطفيء غلة الباحثين ، كما زار الاندلس وكانت اذ ذاك في اوج حضارتها وعزتها وازدهار عمرانها على عهد الناصر وابنه المستنصر ...

وقد كتب ابن حوقل عن المغرب اكثر من اربعين صفحة تحدث فيها عن طرابلس وافريقية والمغرب الاوسط والاقصى وهذا ما كان يعرف عندهم بالمغرب اذ ذاك .

وحديث ابن حوقل الرحال الجغرافي التاجر .

فهو يصف الطرق والمسالك والموارد الاقتصادية وحالة الاسواق وحالة الانتاج مع تتبع الآثار ومظاهر المدينةوالعمران ويشير الى الحالة السياسية باقتضاب .

واهم ما ينفرد به ابن حوقل هو هذا التتبع الدقيق لأسماء المدن والقرى وما تمتاز به من اسواق ومتاجر ومعاهد ، فهو يذكر لنا في المغرب مثلا مدنا هي :

مدينة اقلام . والبصرة . وكرت . وازيلا . واغمات . وسجلمامة . وفاس . وطنجة . وسبتة . ومليلية . ويذكر عن رباط سلا . انه كان رباطا لجهاد كفار برغواطة .

وعلى هذا فتكون مدينة الرباط موجودة قبل التاريخ الذي حدده المؤرخون ، وهو عصر المنصور الموحدي ...

ويذكر ان الناحية الغربية كانت موفرة على حقول واسعة لزراعة القطن واصداره الى الصحراء والاندلس ، ثم يتابع رحلته الى سجلماسة فيصف لنا عمرانها العظيم وانها كانت مفتاح الصحراء وسوقها الكبرى بسبب التجار الذين قصدوها من العراق وفارس والسودان .

وهذه المعلومات التي اشرنا الى بعضها اشارة عابرة في هذا الحديث لها اهمية قصوى في دراسة تاريخ المغرب على عهد الادارسة ومغراوة حينما كان الصراع حوله مشتدا بين الفاطميين والامويين ... وكم كنا نود ان يحدثنا ابن حوقل عن الحياة السياسية كما حدثنا عن الجغرافية والاقتصاد والعمران .. ولكنه يبدو متحفظا ، كأنه يخشى رقيبا عتيدا على قلمه ولسانه .

وكلما جاءت مناسبة اثنى على الفاطميين باختصار واقتضاب .

ويمكننا ان نقول ان المؤرخين الذين كتبوا عن القرن الرابع في المغرب ولم يدرسوا كتاب ابن حوقل كانوا بعيدين عن الحقيقة من التاريخ المغربي ، فقد فاتهم شيء كثير من المعلومات والاخبار والآثار .

ثم يتصدى المؤلف لوصف بلاد الاندلس ، وهنا يظهر ابن حوقل متعصبا حاقدا على الامويين وسياستهم وحضارتهم فعبد الرحمن الناصر اعظم ملوك الاندلس واشهر ملوك الاسلام ، لا ينال عنده لقب امير .. ولا ملك ولا خليفة ولا اي شيء من الفاظ التشريف ، كأنه اقل من رجل عادي في نظره.. وكذلك ابنه الحكم المستنصر ...

هذا عن الامويين ، اما عن الاندلس نفسها فقد وصف مدنها باختصار ومعادنها ومنتوجاتها ومعالم حضارتها ومسالكها وموانيئها التجارية والحربية ، كل ذلك بما عهدناه فيه من استقصاء واطلاع غريبين ..

وبعد فاذا كان لنا ان نلاحظ على نشر هذا الكتاب فاننا نلاحظ اولا وقبل كل شيء انه نشر نشرة لا اثر فيها للتحقيق العلمي ولا تتصل بفن نشر المخطوطات ، فلا تحقيقات ولا تعليقات ولا فهارس متنوعة ... وانما هو كتاب ابن حوقل على ما فيه .. وهذا في نظرنا نقص كبير في نشر مثل هذا الاثر الفريد .. فنرجو ان يعاد نشره نشرا علميا مدققا محققا لتكون فائدته اتم ونفعه اعم .

فاس : عبد القادر زمامة

ابن حوقل في المغرب والأندلس

الحلقة الأولى

للأستاذ عبد القادر زمامة

من الحقائق التاريخية في تاريخ الحضارة والفكر الاسلاميين ان البحث الجغرافي نشأ مسايرا لبحث التاريخي واللغوي ، فمنذ نشأة الدولة الاسلامية كانت الحاجة ماسة الى البحث عن طرق المواصلات الحربية والبريدية واسماء البلدان والاقاليم داخل بلاد العرب والاسلام وخارجها .

فرواة الشعر واللغة شغلوا بجغرافية جزيرة العرب الوصفية فبحثوا عن الجبال والاودية والاحساء والدارات ومضارب القبائل في الصحراء . والمسافات . والمفازات وغيرها ...

وقواد الحرب شغلوا بجغرافية بلاد الفتوح في فارس وتخوم الروم وبلاد الشام ومصر والمغرب ليتسنى لهم تنظيم المواصلات الحربية وتموين الجيوش ومعرفة الثغور .

كما ان رجال الخراج والجزية وكتاب الدولة اهتموا بالبحث عن المسالك والممالك والمسافات لتنظيم شؤون البريد والاتصال بالولاة والعمال والتقاط الاخبار وارسال التعاليم والانباء الرسمية من مركز الخلافة في بغداد الى الاقاليم ...

وكان هذا البحث الجغرافي يعتمد على الرحلة والمشاهدة في اول الامر . فكل من رجال الحرب والادارة لم يجدوا امامهم دراسات جغرافية مكتوبة يعتمدون عليها . فلذلك كانت الرحلة والمشاهدة هي طريقهم الى الجغرافية قبل ان تترجم الى العربية كتب اليونان والسريان . وقبل ان ترسم الخرائط وتحدد المسافات .

ولا ننسى الى جانب هذا تلك الاسباب الدينية والاقتصادية التي جعلت كثيرا من المسلمين يضربون في الارض طولا وعرضا لاداء فريضة الحج . وطلب العلم والتماس الرزق من التجارة والاحتراف ...

ومرت مرحلة كانت المعلومات الجغرافية فيها تروى كما تروى اخبار التاريخ ، فيها الحقيقة والخيال . والوقائع والاساطير .. بل انه ظهر فن (العجائب والغرائب) ذلك الفن الذي ابتكره بعض التجار والرحالين الى بلاد الهند والصين وجزائر المحيط وبلاد السودان ..

ومنذ القرن الثالث الهجري اصبح البحث الجغرافي يستقل عن المباحث الاخرى . واخذت معلومات الباحثين تنضج وتتبلور فيما كتبه الجاحظ عن (البلدان) وفيما كتبه غيره عن الاطوال والعروض والمسافات والبروج والافلاك والنجوم ...

وظهر اذ ذاك تأثير الكتب المترجمة على الباحثين فساروا في اتجاهين اثنين :

- اتجاه البحث في الافلاك والنجوم والكواكب .
- اتجاه البحث في المسالك والممالك والمسافات .

ويطل القرن الرابع الهجري وقد عرفت المكتبة العربية عددا من الابحاث الموضوعة والمترجمة . وعددا من الرحلات والرحالين . وما زالت تحتفظ ببعضها الى الآن ...

ويوجد ابن حوقل الموصلي في مقدمة الرحالين الذين ضربوا في الارض واخترقوا المسالك والممالك والمفازات في آسيا وافريقيا واوربا طيلة ثلاثين سنة من القرن الرابع الذي

كان عصرا فريدا في تاريخ الاسلام تقاسمت فيه بغداد والقاهرة وقرطبة النفوذ السياسي والاقتصادي والمجد الحربي والعلمي .

وبدا ابن حوقل رحلته من بغداد سنة 331 هـ ــ 943 م واتخذ التجارة وسيلته ومعاشه كما ذكر في مقدمة كتابه ــ المسالك والممالك ــ ويظهر من مقدمة الكتاب انه كان غير مطمئن الى الحالة السياسية التي كانت تعيش عليها مدينة السلام .

وبضميمة ذلك الى ما في كتابته من ميل الى تأييد سياسة الفاطميين واستخفاف بشأن الامويين في الاندلس ، اتهم بانه



للشاعر ادريس الجاي

الطهر والنور لما المصطفى ولدا … تألقا من سنى الخلاق فاتقدا
الله امسك فى آزاله قبسا … وقال كن فاستوت انواره جسدا
لذاك مثل رسول الله ما ولدت … انثى .. وحتى انقراض الدهر لن تلدا
فهللوا يوم عيد المصطفى فرحا … وكبروا ملكوت الله قد سجدا
اتى فأحيا موات الارض فازدهرت … صحراء يعرب .. فالدنيا ومن وجدا
نورا .. وطهرا .. وايمانا .. ومرحمة … وحكمة .. وحضارات لم تزل جددا
اتى ناحيا موات الارض فازدهرت … سنابل الخير لا نحصي لها عددا
وجاء يحمل فى يمناه (الكتاب) هدى … للعالمين وفى اليسرى لمن جحدا
وقام يطفىء نور الله يحجبه … سيفا اطاح رؤوس الشرك اذ حصدا
تبا لمن كانت اليسرى له رصدا … طوبى لمن كانت اليمنى له سندا
صلوا عليه..على الهادي الكريم على(م) … الخلق العظيم به الخلاق قد شهدا
ذاك الذى تمم الاخلاق .. جملها … واكمل الدين .. دين الحق والرشدا
فكان صحب رسول الله .. ما لبثوا … اسطورة الخلق الاسمى لمن نشدا
باعوا لربهم .. الدنيا وزخرفها … لينصروا دينه او يصرعوا شهدا ..
فاسترخصوا فى سبيل الله ما ملكوا : … الروح .. والمال .. والاصنام .. والولدا
سل عنهم .. يوم بدر .. اوحنين .. وسل … من بعدهم خلفا للدين كان فدا
يجبك من سجل التاريخ انهم … قد ارهبوا من عدو الله من عندا
حتى استوت راية الاسلام عالية … ولن تزال هنا خفاقة أبدا
ما دام سبط رسول الله يرفعها … من ذا سوى الحسن الثانى أجل يدا ؟

*

يابن النبي كما احببنا النبي محضناك(م) … المحبة .. هاك القلب والعضدا
ان الذي شئت .. شاء الله .. باركه … فدم كما شاء .. مشكاة .. ودم رشدا
يا باني المغرب الاقصى وحارسه … من حولك الشعب .. لما ناديته احتشدا

مختارات من الشعر العربي القديم

الأسد

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شارِباً ... وَرَدَ الفُراتَ زَئيرُهُ والنِّيلا 1

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الفَوارِسِ لابِسٌ ... في غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا 2

ما قُوبِلَتْ عَيْناهُ إلّا ظُنَّتا ... تَحْتَ الدُّجى نارَ الفَرِيقِ حُلُولا 3

يَطَأُ الثَّرى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ ... فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا 4

وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إلى يَأْفُوخِهِ ... حَتّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إكْلِيلا 5

وَتَظُنُّهُ ـ مِمّا يُزَمْجِرُ ـ نَفْسُهُ ... عَنْها لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا 6

ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ ... حَتّى حَسِبْتَ العَرْضَ مِنْهُ الطُّولا 7

وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الحِجارَ كَأَنَّهُ ... يَبْغِي إلى ما في الحَضِيضِ سَبِيلا 8

المتنبي

شـــرح الكلمـــات :

1) ورد ' اسد ورد ، اشقر نعلوه صفرة او الاحمر يضرب الى صفرة • البحيرة ، بحيرة طبرية هنا •

2) متخضب بدم : متلطخ به • الغيل ، الاجمة ، شجر ملتف بعضه على بعض • ابدتيه ، يريد الشعر الذي على كتفيه •

3) الدجى : الظلمة • الفريق ، الجماعه • حلول ، حالون نازلون • عين الاسد وعين السنور والحيه تتراءى فى ظلمة الليل بارقة كانها نار •

4) الثرى : التراب • التيه ، الكبر • آس ، طبيب • يجس ، الجس المس باليد •

5) العفرة ' شعر القفا • يافوخه ، رأسه • اكليل ، تاج •

6) زمجر الاسد : ردد زئيره •

7) الزور : اعلى الصدر • مازال ينضم بعضه الى بعض حتى صار عرضه فى قدر طوله •

8) السبيل : الطريق • الحضيض ، المنخفض من الارض • يقول كانه من غيظه يدق بصدره الحجارة فكانه يطلب طريقا فى داخل الارض •



للاستاذ عبد المجيد بن جلون

ما كدت ابصر طلعة البحر — حتى غفلت هناك عن أمرى
ونسيت أصحابى الذين معى — وسعيت نحو مياهه أجرى
وذكرت أيامي التي سلفت — فوق الشواطىء فى الصبى النضر
فرمالها الصفراء كم حضنت — جسمى الصغير بساحل البحر
ولكم أقمت عليه من ترع — وبنيت من حصن ومن قصر
وسبحت بين الموج مغتبطا — ببروزه من حيث لا أدرى
فأكاد اغرق اذ يفاجئنى — والوذ بالاحجار والصخر
صور على صور قد اندفعت — وتباعثت من سالف العمر
فالبحر خل لست أنكره — من بعد طول البين والهجر
بل قد جريت اليه فى لهف — لما بدت لي طلعة البحر

❋

يا بحر تلك طفولتى انصرمت — فعلام ذكرى سالف العهد !؟
فوق البسيطة لست أول من — قد ضاع بين المهد واللحد
امواجك الهوجاء قد سحبت — أيامها فى الجزر والمد
تعلو على الشطآن مصطخبا — وتعود من بدء الى عود
تعلو وتغمر ما تصادف فيـ — ـها من حضارات ومن مجد
أطفأت شعلتها وبهجتها — فى جوفك المتوثب المردى
فهديرك الجبار قهقهة — من نزعة الانسان للخلد
ما اشبه العمران يرفعه الانسـ — ـان فى الاجواء كالطود
بالمعقل الرملى ... يرفعه — الاطفال فى بشر وفى كد
تعلو عليه ثم تمسحه ... — بيد تشل وتقهر الايدى

❋

امواجك الزرقاء تخلبنى — لكنها يا بحر ترعبنى
فلانت مثل الارض مقبرة — لنفائس التاريخ والزمن
فى العمق اشلاء مخبأة — مستورة بروائع الفتن

ما ان خطوت خطى .. الا اتبعنا الخطى   ولا بلغت مدى الا بلغنا المدى
وما تكابد من جهد .. ومن جلد   حاشا يضيع بارض الاكرمين سدى
انا على اهبة .. فى كل مكرمة   حتى نقيم لصرح المغرب العمدا
حتى تراه (أمير المؤمنين) كما   تشاء .. عزا .. وعيشا طيبا رغدا
فلا فقير .. ولا محروم يسلبه   رغيفه شره يبتز ما حصدا
ولا جهالة فى سهل ولا جبل   ولا مآسي تدمي القلب والكبدا
وما كثير على من جده ولدا   لتصلح الارض مما فوقها فسدا
كلا .. فأنت أمير المؤمنين تفي   بما وعدت .. وفاء الحر ان وعدا
بمثل همتك القعساء تدرك آمال (م)   ويصعد للعلياء من صعدا
هذي الحظيرة لولا انت حارسها   لريع قاطنها .. او ضيم واضطهدا
أف لمن رام الا ما رسمت له   من السبيل .. وما تختاره صددا
فارع الرعية .. عين الله ساهرة   عليك .. واسلم .. فكل الاوفياء فدا
آمالنا فيك ، والاخلاص اجنحة   حلق بنا فى سماوات العلا صعدا
وان تخيم ، حبيب الله ننصبها   امجادنا .. ويظلل الاطلس الوتدا
ان لم يمد لك الغاوون أيديهم   فالشعب قد مد لابن الانبياء اليدا
ولا عليك .. فانت الحق منتصر   ولا علينا اذا مات العدى كمدا

*

يا آل بيت نبي الله حبكم   فرض على من اطاع الله اذ عبدا
ما خاب من بابكم باب النبي نحا   وخاب من غيره فى سعيه قصدا
أوصى بكم خير خلق الله اشرفهم   آمين .. نحن على العهد الذي عهدا
من لم يصل عليكم لا صلاة له   ولن يزكيها الرحمان ما سجدا
لا أعرف الخير الا فى محبتكم   ولا أرى حسنا الا كم احدا

الرباط — ادريس الجائي

تحية عيد الشباب

للشاعر عبدالله العمراني

العيد عيدك يا شباب ... طابت لقاك به وطاب
وزهت بمقدمه القرى ... وترنمت كل الشعاب (1)
وعلت بشاشته الوجو ... ه ، وعم زخرفه الرحاب

❋

ابدى اليك تشوقا ... وبدا يتوق الى الاياب
هو ذا يؤوب . فلا ملا ... م على غريب اذا أناب (2)
كيف الملام وقد أتى ؟ ... كيف الحساب أو العتاب ؟
هوذا أتانا مشرقا ... غض المحيا والاهاب
هو ذا أتانا زاهيا ... خصب الجراب أو الوطاب
فيه الجنى الحلو اللذيـ ... ـذ ، وفيه ما يقضى العجاب !

❋

هو موكب يحلو لنا ... ظره ، فهل له من نظير ؟
تعلو البشاشة وجهه ... يا حسنه وجها نضير !
يحدوه جوق ماهر ... انغامه تحيى الضمير
حلو الترانيم عذبها ... فاقت عذوبتها النمير
الكل هاهنا مسهم ... بنصيبه ، حتى الصغير
ففراشة تغدو ، ترو ... ح ، تبارك الصبح المنير
أم كيف لا ، والطير تعـ ... ـلم ، والغصون مع الغدير
ان البلاد جميعها ... تهفو لعيد مستنير

❋

عيد أحب الى نفو ... س الشعب من احلى الرغاب
عيد المليك المجتبى ... عيد المنى ، عيد الشباب

---

1) الشعاب والشعب : الفئات والطوائف .
2) أناب : رجع مرة بعد أخرى .

فالمنظر الخلاب ينعشنى — والواقع المهوال يفزعنى
انى لانصت فى الظلام الى — هذا الهدير يكاد يصعقنى
فكأن صوت الموج مرثية — جبارة الالحان تجرحنى
وارى بها الابدان هائمة — فى الماء أبصرها وتبصرني
الحانها فى الليل نائحة — مملوءة بالحزن والشجن
والروح فوق الموج تائهة — كالطير باحثة عن البدن
أرواح من غرقوا تطالعنى — وانينها بالحزن تملانى

*

ولقد تثور بمائك اللجب — ارواح غرقى سائر الحقب
تتقمص الامواج هائمة — فاذا جميع البحر فى غضب
متقاذفا فى الجو محتدما — متحديا للانجم الشهب
فاذا وضعت بها الجبال غدت — فى ثورة الامواج كالحصب
وشواطىء المعمور راجفة — تهتز فى خوف وفى رهب
والموج كالحيوان مفترس — قد هيجته شدة السغب
واللجة الهوجاء مرسلة — برشاشها فى أوجه السحب
وكأنما الدنيا قد اختلطت — أسرارها فى موجك اللجب
يا للطبيعة ..! ليس يدركها — ما يدرك الانسان من تعب
بل ما تزال تتيه يافعة — وتثور فى عنف وفى صخب

*

انى تركت البحر فى صغرى — ورجعت ابحث عنه فى كبرى
أين احتدامى اليوم من لعبى — بالامس فوق الشاطىء النضر
شخصى القديم — ويا لروعته — قد ضاع فى الاحداث والغير
بل كل ما فى الارض منقلب — متغير فى كفة القدر
الا مياه البحر فهى كما — كانت هنا من أقدم العصر
ولسوف تاتى بعدنا أمم — وتمر مثل الركب بالعمر
فترى مياه البحر زاخرة — فاقت مساحتها مدى البصر
زرقاء ... مرعبة ... محببة — لم تمتثل كالارض للبشر
وترى مياه البحر واحدة — وتكرر الشطآن والصور
تمتد فى الافاق فى عظم — وتعج بالاسرار والعبر

الرباط — عبد المجيد بن جلون

والان هــا هــي حـــــررت | للمغربـــي بــلا عنــــاء
فتــــراه يربــــى تجـــارة | ونــــرى رباحـــه فى نمـــاء

❋

تلــــك الصناعـــة ترتـــدى | ثـــوب النشـــاط والاعتنـــاء
تبغـــــي التقـــدم والرقـــــ | ـــي ، كذا المتانة والـــرواء

❋

هــــذا الموظـــف يرتجـــى | لزيـــادة الاجـــر السخـــاء
وكـــذا يـــريد رفاهة العــــ | ـــعيش الخفيض ، فلا غلاء

❋

هــذا ، وتلـــك ، وهـــؤلا | ء ، فكلهم يبغـــى الهنـــاء
بقيـــادة الملـــك الرشيـــــ | ـــد ، العبقري ، ذى السنـــاء
سيـــــد البـــلاد وشهمهـــا | أسد الشرى ، بطل الابـــاء
لـــو ســـار مغربنـــا علـــى | خطواتـــه يعلـــي البنـــاء
لمحـــا الكســـاد بهمـــة | وبعزمـــة أفشـــى الرخـــاء
وحبا شعـــوب الارض مـــا | تصبو اليه من الزهـــاء (6)

❋

اللــــه يحفـــظ ملكنـــا | اللـــه يشـــرح صـــدره
ويعينــــه بجلالـــــه | بهداه يمحـــص فكـــره
ونتحفظـــن بـــه صحـــة | ربى ، أطل ، أطل عمـــره
فبلادنـــا بـــه تأتســـى | وشبابنـــا يقفـــو اثـــره
ويؤمل الافضـــال مـــن | نجـــل لـــه ، نرجو خـــيره
اعنى الامـــير محمـــدا | قـــد صـــان ربـــي ســـره

❋

العيـــد عيـــدك يا شبـــاب | طابت لقاك بـــه وطـــاب
وزهـــت بمقدمـــه القـــرى | وترنمـــت كـــل الشعـــاب
وعلـــت بشاشتـــه الوجـــو | ه ، وعم زخرفـــه الرحـــاب

عبـــد الله العمرانـــي
استاذ بالمدرسة العليا وفرع كليـــة
الاداب بتطوان

عيد الشباب
لعام 1965 9 يوليوز

---

6) الزهاء : الاشراق والازدهار .

ملك شديـد البـأس ، فى أعمالـه يغـزو الصعـاب
فتـذل صاغـرة لـه ولرايـه تعنـو الرقـاب
ورغـم ذاك فحلمـه قد فاق ، زاد على النصـاب
فلطالمـا ابـدى لنـا من فيضـه اللـج العبـاب
ولطالمـا يحبـو البـلا د بمـا ترجـى من طـلاب

❋

تلـك الفراشـة حومـت فالى هنـاك ، هنـا تطـير
تغـزو الفضـاء بجنحهـا فكأنها ((كوردون كوبير)) (3)
او كأنها (لينـوف) (4) اذ يخطـو برجلـه فى الاثـير (5)
وتطـير جاهدة ، فطـو را فى الظـلال أو الهجـير
وتـؤم ساحـة روضـة تعطو شذاهـا والعبيـر
فتحط فـوق غصونهـا اكرم بها مهـدا وثـير !
حيث الصبابـة والهـوى حيث الطيور مـع الغديـر
هاتيـك تطـرب بالغنـا ء ، وذاك يعـزف بالخريـر
وغصونهـا تبدي لنـا مـن فنهـا الرقص المثـير
فعناصر الحسـن استـوت مـن خضـرة ، ماء نميـر
الكـل هاهنـا منشـد يشدو ويلهـج كالبشيـر :
عيد الشبـاب يعـود فى اعطافـه الخـير الوفـير

❋

هذى المـدارس قد علـت هاماتهـا نحـو السمـاء
بسواعد تقوى علـى التـ ـشييـد فى أوج الفضـاء
((عمليـة)) لبـى بهـا اصحابهـا حر النـداء
يدعـو المليـك فكيـف لا تهفو القلوب لذا الدعـاء ؟

❋

تلـك التجـارة اممـت بقـرار ملـك ذي دهـاء
قـد كـان يزجيهـا الغريـ ـب ، فيستقي منها الثـراء

---

3) الملاح الكوني الامريكي السادس دار حول الارض22 دورة فى 34 ساعة و 20 دقيقة وذلك يومي 15 و 16 مـاي 1963 .

4) اليكس لينوف : ملاح كوني سوفييتي تمكن مؤخرا ولاول مرة فى التاريـخ من الخروج من سفينتـه (فوسخود 2) فسبح فى الفضاء ثم عاد اليها بعد عشرين دقيقة .

5) الاثير مادة لا تقع تحت الوزن ، ويكون امتداد الصوت والحرارة بوساطة تآوجاتها .

اتسلوهـا اذا مـا جئت فاسـا | وشاقتك الحسـان بهـا المـلاح
وندت مـن محاجرهـا لحـاظ | ومـن اسلاتهـا انتضى السـلاح
وقلبـك والحنيـن الممض فيـه | ينـوح عليك لـو يجدي النـواح
رويدك ليـس قلبـك من حديـد | ودمعـك ليـس يعوزه انسفـاح

* * *

نصحتك والنصيحـة لا تمـارى | اذا اوحـى بهـا حـب صـراح
تفر مـن العيـون ولا سلـو | يرجى ان فـررت ولا انتـزاح
ستسكـرك العيـون فلا اغتبـاق | يفوتـك ان رحلت ولا اصطبـاح
فان المغـرب الاقصـى ريـاض | عصيـر كرومهـا حـدق صبـاح
فاين رحلت لم تـر غـيـر حـور | وتلقـاك البشاشـة والسماح
وتسبيـك الحسـان اذا تثنـت | كان قدودها السمـر الرمـاح
على ان الحنيـن الصـدق فيـه | الـى تطـوان شـوق وارتيـاح
هي البلد الوفي فكـل قلـب | علـى ذكـراك وقـف مستبـاح
حنـاك تلـك اكباد مـراض | وهـن اذا رجعت لهـا صحـاح

تطـوان : صـالـح الاشتـر
استاذ بجامعـة دمشـق
وجامعة محمد الخامـس (حاليا)

على سبيـل التجـربـة

اشتهر مدير احدى الشركات باللبـاقة والتلطف فى الحديث ، حتى فى احـرج الاوقات . وفى ذات يوم ، اضطر ، لان يفصل من الشركة موظفا لم يكن يـؤدي عملـه كما ينبغي ، فاستدعاه اليـه ، وقـال بلطفـه المعهـود :

ـ لست ادري ، يا بنـي ، كيـف سنمضي فى عملنا بدونك ، ولكـن مجلس الادارة قرر ان يجـرب ذلك ابتـداء من أول الشهـر ! .

أغنية للرحيل

للدكتور صالح الاشتر

لقد امضى صديقنا الدكتور صالح الاشتر السنة الجامعية الماضية استاذا للادب العربي في فرع كلية الاداب بمدينة تطوان .

فلما دعي هذه السنة الى الانتقال الى فرع الكلية بفاس ، اصاب الوسط الثقافي بتطوان جزع على رحيل الدكتور الاشتر عنها فكان عتاب مس قلب الشاعر ففاض بالحنين الى بلد العيون الخضر « تطوان » عروس الشمال المغربي ، « اذ تطوان بالبربرية معناها العيون » .

ومن هنا ولدت قصيدة « اغنية للرحيل » التي جاءت « اغنية للبقاء » في البلد الوفي تطوان .

اتزعم ان سرك لا يباح ؟ ... وخمرك اعين مرضى صحاح

شربت الكأس مترعة فباحت ... بما تخفيه السنة فصاح ،

ولو عيي اللسان لكان أولى ... بسرك ان تبوح به الجراح

وخمرك اعين قد عتقتها ... اياد لا تجود بها شحاح

تؤرقك العيون الخضر جفنا ... قريحا لا يريح ولا يراح

وتقضي العمر ليلا سرمديا ... كان الليل ليس له صباح

وقلبك في الشباك الخضر ينزو ... بلا امل وقد علق الجناح

فانت اسير قلبك حيث حطت ... رحالك والهوى قدر متاح

اذا لم تسل فتنة كل عين ... بتطوان فما عنها براح

* * *

رويدك ان عزمت على رحيل ... واطلق للاسير غدا سراح

تروح عن العيون وهن ظمأى ... اليك الا ينفعك الرواح ؟؟

تقاذفك الدروب بكل ارض ... على ضلل ، وتسلمك البطاح

وعشك ــ والفراخ الزغب فيه ... مفزعة ــ تزعزعه الرياح

وفي تطوان خلفك ذات شوق ... واقداح مهيأة وراح

وتهادى الاطلس الحر كما ... غرد الريف ، وطاب السمر
ثم عام الظل في اعشابها ... وانتشى المرج ، وعام الزهر
واذا كل سحاب ممطر ... واذا كل شراب مسكر
وعلى كل طريق سهر ... وعلى كل ضمير مجهر
وعلى كل جبين زهر ... وعلى كل لسان عبر
واستعاد النهر شطيه وفي ... فمه سنبلة تنحدر
واستراح الطير في منقاره ... حبة حبلى ، وشيء عطر
واستحال العش عرسا راقصا ... واختفى النسر ، وزال الحذر ..
حينما جند مولانا بايمـ ... ـانه معركة تستعر !
ضد نوم البعض ، والجهل وضـ ... ـد دموع حارة تنهمر
وهو ان خاض عراكا عرفت ... كل دار انه منتصر !
يا مليكي يا مزايا وطني ... ومزاياك علينا تظهر ..
انت لطف الله . كم معجزة ... بين عينيك ! ، ومنها : الظفر
انت من سدرته مغفرة ... خصها الله لمن يستغفر
انت من نور يديه قبس ... يبسم الطفل به والاسر
والى التحرير انت المقتفى ... والى التعمير انت الاكبر
سنسميك ابا معجزة ... ليس يدري منتهاها البشر
يستقيم الخطو في ءاثارها ... ولنا في كل سير اثر !

* * *

« اسفي » فيك تولى اسفي ... بعد ما ازدان عليك المنظر
ثم فجرت ضحانا بفته ... ونأى عن شاطئينا خطر
انت .. يا انت ضمان الملتقى ... والاماني ، والرؤى ، والنظر !
فاجعلي «الفوسفاط» خبزا صافيا، ... ولباسا ، وفراشا يثمر ! ..
ركب « الكيمياء » كي يسعى الى ... راحتينا معدن ينصهر
وتعيد الارض ما ضاع بها ... من جهود ، وتجود الابحر
فلقد ءان زمان ، لنرى ... ما تضم الارض ما تدخر !

* * *

جمع النصفان : يا « يونيو » ابح ... كل نبع !.. وانتفع يا « صفر »
بلدي انت وابناؤك في ... قبضة التصنيع لا تنكسر
فلتبكر راشفا من معهد ... كل فصل تشتهيه الفكر

عصر المثاني

للشاعر
محمد البوعناني

بمناسبة تدشين صاحب الجلالة الحسن الثاني لمركب اسفي الكيماوي

أمتي ، حين توارى القمر ... وذوى النجم ، وزاغ البصر
وبكى للسقف . طفل جائع ... بدموع جافة لا تقطر
وتخلى النهر عن ضفته ... وتعرى في الربيع الزهر
وتنحى الطير عن أفراخه ... وأغانيه .. وبح الوتر
وعلى الوديان لا ورد ، ولا ... ورق ، لا عشبة ، لا ثمر
فكأن الارض قبر ظامىء ... والمنى فى قعره تنتحر !
وتمطى الشبح الراضع فى ... كل ليل ! .. واستبد الكدر
نرتجي الصبح ولا ندركه ... ليناغينا الضياء الاشقر
واذا مر ضباب عابس ... فلكي ترقد فيه الاشهر
فعلى كل طريق ضائع ... وعلى كل ضمير .. حجر !
وعلى كل جبين حفر ... وعلى كل لسان شرر
وارتخى اليأس على اكتافنا ... ولقد كانت دواما تصبر
فاذا الدنيا موات ، مرة ... عشش الغم بها والضجر
فيد مكتوفة لا تلتقي ... بيد مشلولة لا تقدر
واذا انسل وغنى شاعر ... فثنايا وجهه تعتذر
غير ان الله موجود ، وفى ... كل درب دعوات تعبر ! ..
ومن الساعين احرار اتوا ... بصباح واسع ينتشر
قادهم صوت بآلاف صدى ... والدنى تحت صداه منبر

* * *

أمتي – وارتفع الصوت بما ... يوقظ الميت فينا .. يزار
يخرج الآمال من اقفاصها ... وراوبينا الغوالي تزهر
فاذا النجم سعيد واذا ... النور دان .. واستدار القمر

يأس

الحدبوب

للشاعر محمد احمد حيدر

حطم الدهر جناحي ودنا وفت رواحي

وطوى التاريخ سفرا من مفاتيح كفاحي

وتلاشى النور في نفـ ـسي وفي بيتي وساحي

ودجا فجري وراعت ظلمة البؤس صباحي

جمد اللحن فراحت تنفث السم جراحي

زورقي حطمه الموج بعيدا عن رياحي

حفت الأحلام في نفـ ـسي وضل الكأس راحي

جزت بالآلام حد الـ ـحد ما معنى كفاحي

صدأ الفكر فضيعـ ـت مع الوهم سلاحي

كتبي دونها حظـ ـي واملاها جماحي

اسطر في النفس لم تعرف لها الايام ماح

جف نبع الشعر في دنياي واصفرت اقاحي

سكرت من دمي المسفـ ـوح انجاد البطاح

اتلفت سود الدواهي رغم اقدامي رماحي

غاب نجمي من سماء ذات ابراج فساح

بت لا اخشى الرزايا بت لا ارجو صلاحي

★ ★ ★

احكم الدهر وثاقي وبكى حالي رفاقي

مات في نفسي شعوري بلغ السيل التراقي

دمي المسفوح لم ترفق به اكواب ساق

وتولى زهري الفواح كالدهر اختناقي

والسنى خوله الاجرا م نارا لاحتراقي

انا والفقر كما كنـ ـا على غير وفاق

انا اهوى البعد عنه وهو لا يبغي فراقي

رب محروم له من قوة الحرمان واق

ولتشمر عن ذراعيك فلا أمل الا الذراع الاسمر
واذا التاريخ غنى فى غد فسيحكي عنك ما ننتظر
عن كبار فجروا التاريخ فى دفعة شارك فيها الاصفر
صنعوا مستقبلا ، يكتبه عرق الجد ، وجيلا يخطر
ثورة ناجحة من عينها يقطر التبر النقي الاصفر
باركتها امهات الشعب فى رقصة تهتز منها الانهر
فى الصحاري ، فى القرى ، فى مدن أفق يحنو ، وشمس تسحر !
بالصناعات سنبني غدنا وبها اجيالنا تفتخر
بالصناعات سننسى أنه كان فى ابراجنا مستعمر
بالصناعات لنا ما نقتني من ربانا ، ولنا ما ننحر
بالصناعات سنحتال على بؤسنا ، حتى يطيب العمر
فالرقي الخالص اليوم ، يد تقطف الحب ، واخرى تعصر
وعلوم بعدها تجربة وشباب ، ضمه مختبر

* * *

عصرنا عصر المثاني : معول يفتح الصخر ، وفأس تحفر
عصرنا عصر المثاني : آلة تحصد الزرع ، واخرى تبذر
عصرنا عصر المثانى : معمل ينتج الخير ، وعين تسهر
عصرنا عصر المثاني : قطر تسبق اليوم ، تليها قطر
قدر جاد علينا باسم يا مليكي ، أنت هذا القدر

محمد البوعناني
الرباط 15 — 6 — 65

دعاء رياضي

دعا بعض الرياضيين ربه فقال :

— اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ، ونهاية العدد اللانهائي ، والجذر الاصم ، اقبضني اليك على زاوية مستقيمة ، واحشرني على خط مستقيم لا منكسر .

خواطر انسانية

للشاعر محمد العلمي

دعوت القلب كي يشدو غناء ... فأضحى صارخا يشكو العناء
بحثت عن السعادة كل حين ... فلم الق السعادة والهناء
ولكني اعيش على جراح ... ولم اجد الدواء ولا العزاء
انا احيا غريبا لا مؤاس ... يؤاسيني ويمحضني الاخاء
واسديت الجميل الى اناس ... لقد جحدوا المودة والصفاء
اقابلهم بورد وابتسام ... وهم يعطونني شوكا وداء
ارى الاضداد فيهم قد تجلت ... فعافوا الحق واختاروا الشقاء
اضحي بالنفيس ولا ابالي ... وابذل مهجتي فيهم فداء
ولكن ليس يقنعهم عطائي ... وان اجزلت عندهم العطاء
لقد راحوا بألسنة حداد ... يبثون الضغينة والعداء
وهم يسقونني سما وصابا ... وما رحموا ولا سمعوا نداء
ثنائي عندهم قد صار ثلبا ... وعندي ثلبهم أضحى ثناء
واستحيي اذا ضجوا وقاموا ... ولا ارجو لهم الا اهتداء
اضيء كشمعة غيري ، واني ... أذوب ، وحرقتي فاضت رثاء
فعلت الخير لا ابغي جزاء ... وعفت الشر لا اخشى قضاء
أانكر فطرتي ؟ كلا ! لانني ... ارى فى راحة الروح الشفاء
اعيش لغاية عليا ، وابغي ... بمن ساروا الى الخلد افتداء
فما من نعمة اشهى واحلى ... من النفس التي تهوى الجلاء
وما من موطن اغلى واسنى ... من القلب الذي عشق النقاء
أروم الطهر فى معنى وحس ، ... واهوى النور جهرا او خفاء
وأصبر كي أرى نصرا مبينا ... وابكي للذي شاء البكاء
اقابل بالسماحة كل خصم ... وادعو للمحبة من اساء
واوقن ان ما حولي هباء ... وأن الروح تلتزم البقاء

الرباط ـ محمد العلمي

لـم تحـول مـرة　　نفسي على شـيء نفـي
ايهـا الدهـر وهـل فـ　　ـوق الذي القـى اذى

★ ★ ★

قـد عشقـت الألمـا　　ليـت دهـري علمـا
ضـل مـن يعبـد بعـد　　البينـات الصنمـا
ذل مـن يعبـد دون　　اللـه جهـلا درهمـا
اضحـك للجـرح اذا مـا　　نـزف الجـرح دمـا
اسخـر بالظلـم وبالظـ　　ـالـم امـا ظلمـا

★ ★ ★

كوخـي القابـع بالتلـة　　يهـوى الأنجمـا
تحـت غصـن السنديـا　　ن الـوارف الظـل ارتمـى
لا يهـاب الغيـث هتـا　　نـا اذا الغيـث همـا
واذا مـا عبسـت　　ريـح اليـه ابتسمـا
وعلـى التلـة دوح　　السنديـن انتظمـا
وقيـان الايـك مـا　　ج الايـك منهـا نغمـا
ويخـال الصاعـد التلـة　　يسمـو للسمـا
تلـة يحتـاج مـن يرقـ　　ـى اليهـا سلمـا

★ ★ ★

ابصـر الماضـي السخيفـا　　فـارى العيـش مخيفـا
همنـا ان نبحـث العـ　　ـمـر رداء ورغيفـا
همنـا ان نـزرع الدنيـ　　ـا رمـاحـا وسيوفـا
همنـا ان يقـف النـاس للـ　　ـقيانـا الـوفـا
همنـا ان نشبـع النـا　　س كلامـا وحروفـا
ونعيـش الدهـر اسيـ　　ـادا ولا نفـر الصفوفـا
قتـل الانسـان مـ　　ـا ابشعـه ذئبـا مخيفـا
يقطـع العمـر ذليـ　　ـلا كـل مـن كـان ضعيفـا
ويعيـش الوقـح الوغـ　　ـد علـى النـاس شريفـا
انمـا النـاس كـروض　　حضـن الزهـر صنوفـا
منـه مـا كـان خبيثـا　　منـه مـا كـان لطيفـا
لا يغرنـك لفيـف　　كـان بالطهـر لفيفـا

محمـد احمد حيـدر

رهينة

للأستاذ: عبد الله العمراني

(3)

النصر للمومنين – الهزيمة للمعتدين – الهزيمة للخائنين ... – تلك بعض الصيحات التي كانت تردد بين الفينة والفينة في ارض المعركة ، فكانت تشق عنان السماء ، نعم ، لقد انتصر المسلمون في معركة القصر الكبير ، واحرز المغاربة فخرا لا يدانيه فخر ، وباءت مساعي الملك المخلوع بالفشل الذريع ، فلم ينفعه استنجاده بملك البرتغال ، ولم يجر علي نفسه بعمله ذاك غير الخسران المبين .

وحينما حق الانتصار للمسلمين ، وحاقت الهزيمة بالبرتغاليين ، انبعثت صيحة جديدة ، بنغمة جديدة ، على الاذان التي تلقفتها فاستغربتها اولا ثم اعتراها ثانيا مزيج من الحزن والفرح ، من الاسى والسرور ، من الالم والراحة ، راحة الضمير وارتياح البال والاطمئنان الى المستقبل، وكانت الصيحة الجديدة في ميدان المعركة هي : « مات السلطان – يعيش السلطان – مات فخر الملوك عبد الملك – يعيش بطل المعركة احمد المنصور » .

ولصق لقب « المنصور » بالملك الجديد ، الذي سير المعركة في مراحلها الاخيرة ، واستقبل سائر الجنود خبر مبايعة السلطان بصدر رحب ، وفرح شامل ، وتيقنوا ان السلطان الجديد سيعفو ويصفح عن تسرعهم في استيلائهم على مغانم الحرب بطريقة غير مشروعة ، وانه سيمنحهم بعد ذلك ارزاقهم التي يستحقونها في مثل هذه المناسبة ، بيد ان السلطان طالبهم بخمس الغنيمة فعليهم ان يعيدوا ما اخذوا فتقع القسمة من جديد والا فلا حق للجند بما يطلبون من عطايا وارزاق .. ووقع التصالح والتنازل : تنازل السلطان عن خمس الغنيمة الذي يستحقه بيت مال المسلمين ، وتنازل الجند عن ارزاقهم

واطمأن الكل الى ما اخذ من مال او اسرى ، وصار الجميع يركن الى الراحة بعد التعب ، وصار اولوا الامر يعملون على نشر انباء النصر بمختلف الوسائل ، وعمد البعض الى مدينة القصر الكبير والقرى المجاورة للاحتفال بالنصر والى المبيت هناك ، كما فضل البعض ان يبقى معسكرا في الميدان ويتمتع بجو اغسطس البديع ، وبدفء لياليه ، قبل استئناف رحلات العودة الى مسقط الرأس .

★ ★ ★

وعادت كتيبة قرية تمسيلة الى قاعدتها ، وكانت كما هي العادة تحت رئاسة القائد شاشون ، لكنها لم تعد كلها سالمة ، فقد خسرت بعض رجالها ، ومنهم اخو القائد نفسه ، وقد عاد الكثير منهم بالمغانم والاسرى الذين اشترى بعضهم فصاروا ارقاء ، وقد كان من نصيب القائد شاشون ثلاثة اسرى برتغاليين يعرف احدهم باسم جوأو (JOAO) وكان صانع اسلحة ماهرا .

سيق جوأو ورفيقاه في الاسر مكتوفي الايدي ، وراء ظهورهم ، واقتيدوا في طريق جبلية مدة يومين ، واصلوا فيها سيرهم الى بني مصور حتى وصلوا الى قرية تمسيلة ، فوجدوا في استقبالهم حشدا من الرجال والنساء والاطفال وهم يصيحون صيحات الفرح بعودة المجاهدين ، وصيحات الاستهزاء باسراهم ثم صاروا يرددون هذه العبارة القديمة المشهورة : « النصارى في الصنارة ، واليهود في السفود » .

ولكي يرضي القائد عواطفه في الانتقام لموت اخيه ، وبعض اصدقائه ، ولكي يرضي عواطف اتباعه الذين اشتركوا



للشاعر محمد حسن طريبق

عاد الربيع ، فلا دنيا تماثله … ورددت فرحة اللقيا عنادله
والارض قد لبست من وشيه حللا … خضراء وانتشرت فيها خمائله
والهبت قبلات الفجر وجنتها … وبادلته .. وما زالت تبادله
هل حسنها قدسبى الاقمار، فاقتبست … منه الصباح وما تحوي غلائله ؟
ام شعشع الزهر مثل النور في ترع … ولاح كالصبح اذ رفت مشاعله ؟
مفضض بالسنى تعلو ذؤابته … الانداء مخضلة ، ليست تزايله
ترنح الورد في الوديان من شغف … والطير حوله قد خفت تساجله
طاف الفراش به جذلان يلثمه … والايك اينع اذ غنت بلابله
وينثني الغصن من فرط الحنان اذا … طافت على ظهره تشدو زواجله
تناقل الطيب في آفاق ربوتنا … فأفعم القلب بالبشرى تناقله
كم يرشف القلب من نبع الغرام وكم … يعب منه ولم تنضب مناهله
والغيد يملان من ثر العيون جرا … رهن ، والنحل تسبينا قوافله
ما زلت اذكر اياما قد انصرمت … يكاد يلمحها طرفي تقابله
على رباه ، وفي دنياه ماثلة … ومنه طارت الى قلبي تشاغله
عشقت فيها الربيع الطلق والمطر الـ … فزير حين ينوش الارض حافله
انا بدونه دامي القلب مولعه … وموحش العمر ـ مثل القفر ـ قاحله
يا نفس هاتي لي القيثار وانشرحي … مع الربيع ، فلا دنيا تماثله

العرائش : حسن محمد الطريبق

ـــ انظر يانصراني ، هذا المفتاح سحبته من تحت مخدة والدي النائم ، وهو الذي سيعتقك .. ثم انحنت وفتحت الكبل ، وقالت وهي تشير الى سرج ولجام معلقين في الاروى :

ـــ ضع هذين على الفرس الرمادية اللون ، انها اسرع حيوان في القريـة ، بل في القبيلـة كلها ، وهاك « جلابـة » لتستر بها ثيابك المسيحية ، اتبع الطريق الذي جئت منه ، الى ان تخرج من القرية ، ثم اركض مسرعا تجاه النجوم الغاربة . لما ذا تتردد ؟ ليس هناك وقت ليضيـع الفرس لن تخذلـك ، وسيكون لك السبق على كل من يتعقب اثرك اتشح بهذا السيف انه سلاح ابي الموثوق به ، الذي لا يخيب .

هز جوأو رأسه واجاب :

ـــ لا استطيع القيام بما من شأنه ان يحرج موقفك او يجر لك المتاعب ، ولو ان في ذلك انقاذا لحياتي .

داست الفتاة الارض بقدمها الصغيرة واجابت :

ـــ افعل ما امرك به في الحين ، والا فسيحل عليك مقتي وغضبي ، ان والدي يحبني ، ولن يقتلني ولن استعيد سعادتي اذا قتل ضيفنا تلك القتلة الفظيعة .

ـــ يجب الا اقبل ، لن استطيع قبول ما تعرضينـه علي ، نعم ، استطيع الان ان اموت سعيدا وفي شجاعة ، ما دمت اشعر بان هناك قلبا لطيفا يعطف علي . ارتعدت البنت من اثر الانفعال وصاحـت :

ـــ هل جننت ايها النصراني ، حتى ترفض العرض الذي اقدمه لك ، وتنبذ الفرصة الوحيدة لانقاذ حياتك ؟ .

اجـــاب :

ـــ انصتي ايتها الصبية الحلوة ، لن افعل ما من شأنه ان يعرضك لغضب والدك ، لكن لدي اقتراح ، تقولين ان لك تأثيرا في والدك ، اذهبي اذن واقترحي عليه ان يبعثني في الحال اسيرا الى السلطان الذي استطيع ان اقدم له خدمة عظيمة لن يقتصـر اثرها على توظيفي فحسب ، بل سترفع ايضا من مكانـة والدك لدى السلطان .. اني انا جوأو صانع الاسلحة البرتغالي الشهير ، سلطانكم المرحوم مولاي عبد الملك كان قد ارسل مبعوثا سريا الى طنجة ، وقدم لي مبلغا هاما من المال ، واجـرة عاليـة اذا قبلت الذهاب الى فاس ، ودخلت في خدمة السلطان .

ثم اخذ من جيب صديريته ورقة وواصل حديثه قائلا :

ـــ انظري ، هنا طابع السلطان الشريف ، وهو حديث العهد ، ويشهد للحقيقة التي اخبرتك بها... في الصباح الباكر ، وقبل ان يغادر والدك مضجعه اذهبي اليه وقولي له اني وجـدت في المكان الذي حبست فيه ، هذه الورقة ، ودع والدك يقرأها ، والغالب انه سيفضل كسب عطف السلطان على غضبه ، وهذا كاف لضمان سلامتي .

قالـت الفتـــاة :

ـــ حمدا لله العلي القدير ـ انه رحيـم بأولئـك الذين يضعون فيه ثقتهم ـ سأرى والدي مع الفجر ، وسأريه خاتـم السلطـــان .

قـــال جوأو :

ـــ انتظري قليلا ، اعيدي اقفال الكبل ، حتى لا تكون زيارتك لي موضع شبهة .

وحينما انحنت لاحكام الكبل ، انزاح (الحايك) من على رأسها ، فبدت له شابة في مقتبل العمر ، ذات عينين زرقاوين داكنتين وشعر اسود طويل تتدلى خصلاته على كتفيها ، وكانت جميلة الملامح ، حلوة تقاسيم الوجه ، وبشرتها ناعمة رقيقة ، اما قامتها فلم تكن بالطويلة ولا بالقصيـرة ، وكانـت تلبس قفطانا من (الملف) الازرق ، موشى بحرير اخضر واحمر ، ويتدلى الى ما تحت ركبتيها ، وكأن حول خصرها « مضمة » حريرية عريضة ، وكانت حافية القدمين ، وكانت زينتها الوحيدة عقدا من المرجان واساور من الفضة ، واقراطا ... وبابتسامة رافقتها حمرة الخجل ، امسكت رداءها لتخفي به وجهها .

قـــال جـوأو :

ـــ اينها الصبية ارجو ان تسمحي لي بالتعرف عليك ، اريد ان اعرف اسم هذه التي تجد في البحث عن طريقة لانقاذ حياتـــي .

وعند ما التفت بسرعة لتغادر المكان قالت :

ـــ اسمـي رحمـــة .

واقفلت الفتاة باب الاروى وراءها ، وعادت الى غرفتها واستلقت على مضجعها ، ولكنها لم تستطع النوم ، فسرعان مـا اذن موذن الفجر ، وبزغت اشعة الصبـاح الباكر فهرعـت الى حجرة والدها فوجدته مشغولا بالصلاة والتـلاوة ، فقالـت في نفسها : هذا فأل حسن ، والدي دائما يكون في احسن مزاج بعد الصلاة .

وعند ما اتم الوالد صلاته ، وما يليهـا من المعقبـات ، نهض ، ورأى ابنته فلم يملك نفسه ان صاح :

ـــ حسنا يا نور عيني ، اي شيء دعاك الى الحضور هنا مبكرة ؟ انك تبدين شاحبة اللون هذا الصبـاح ، الـم تنامـي جيدا ؟ كنت اعتقد ان عودتـي من المعركـة سالما ، سيجعـل (قمري) اكثر اشعاعا وتالقـا ، وستدخـل على قلبه البهجـة والانشراح ، اجلسي وقصي علي جميع ما حدث ، من الذي اساء اليك ، او كدر عليك صفو حياتك ؟ ما هو ؟ .

في المعركة وفقدوا بعض اقربائهم ، قرر اعدام الاسرى الثلاثة بان يجعلوا اهدافا للرماية بالبنادق يتعاورهم رصاص الحاضرين جميعا ، واصدر القائد اعلاما لسكان القرية بان اليوم التالي سيكون ميعاد للرماية ، فعلى كل من فقد قريبا او عزيزا عليه في المعركة ، ان يحضر ويشترك في الرماية وياخذ بالثار .

عاش جؤاو في طنجة مدة من الزمن ، تعلم العربية خلالها من السكان ، فتمكن من فهم الامر الصادر ، وسمع بأذنيه الطريقة القاسية التي فرضت عليه وعلى صاحبيه ، كي يتلقوا حتفهم بها ، واحس ان ليس هناك من بين مآت العيون الناظرة اليه ، من يشفق اصحابها على مصيرهم القاسي ، لذا دخله الرعب، ووهن من العزم ، رغم ما كان يتمتع به من رباطة الجأش وثبات الجنان .

جيء بكبول حديدية ، فوضعت في اقدام الاسرى ، واقفلت بمفتاح حمله معه القائد نفسه ، لم يكن يوجد في القرية سجن ، لذا تقرر ان يوضع اثنان منهم في سرداب تحت الارض ، يعس عند مدخله حارس يقظ ، اما جؤاو الذي كان ينم مظهره وسلوكه على انه كان من طبقة راقية ، فقد صدر الامر بسجنه في اروى دار القائد .

وقبل ان يساق هؤلاء الاسرى الى اماكن حبسهم ، رؤي ان تستدعى النسوة المحجبات لمشاهدتهم فقدمت نساء القرية يرفلن في ارديتهم البيضاء (الحايك) ، وانسحب الرجال ليفسحوا لهن المجال ، ولم يبق الا الحرس الضروري ، وتطلعن الى هؤلاء البرتغاليين المنهوكي القوى ، وكان الكثير من النسوة يتفوهن باللعنات والشتائم ، يصببنها عليهم صبا ، وهن يتذكرن مصارع ازواجهن او آبائهن او اخوتهن ، الذين استشهدوا في المعركة، غير ان جؤاو سمع تعابير تنم عن العطف والرافة ، تصدر عن جماعة من النسوة كن يتطلعن اليه وهو الشاب الجميل الذي حكم عليه ان يموت في الغد تلك الميتة القاسية .

عند ما جن الليل ، ادخل جؤاو الى الاروى ، وشدت سلسلة ثقيلة الى كبله ، وربطت السلسلة الى وتد حديدي مغروس في الارض بعمق ، ووضع امامه طبق من الزيتون المخلل وبعض الخبز الخشن المصنوع من الذرة ، كان جؤاو منعبا من اثر السفر الطويل ، لذا سرعان ما استغرق في نومة عميقة ارته ان القائد قد وضعه هدفا لاطلاق النار عليه ، وان البندقية التي صوبت نحو قلبه كذبت مرة بعد اخرى ، وان امرأة بدت كالملاك في ثيابها البيضاء ، كانت تقف وراء القائد ، وان هذا الاخير حينما فتح خزان البندقية ليضع فيه بارودا جديدا ، رشت المرأة الماء على البارود ...

رفع جؤاو ذراعيه في نومه ، وصاح : « سأموت سعيدا ما دام هناك من يعطف علي هكذا » ، وعند ما قام بهذه الحركة اللاشعورية استيقظ بفزع ، فرأى شكل امرأة ممسكة بمصباح اخضر من الفخار ، ولها عينان براقتان كانتا تشعان نورا عجيبا من خلال تلافيف « الحايك » الذي تلبسه ، وخيل اليه انه تعرف في هذا الشكل ، على واحدة النسوة ، اي تلك التي سمع منها عبارات الرأفة والرحمة منذ قليل ، ظن جؤاو انه ما زال يحلم ، ولذا مسح عينيه ، ولكن الشكل لم يبرح مكانه ، بل ظل واقفا امامه ، وفي صوت حلو مرتعش ، سمع جؤاو هذه الجملة :

— ايها النصراني ، هل تؤمن بالله واليوم الآخر ؟ .

اجاب جؤاو :

— نعم ، اؤمن بالله واليوم الآخر .

واستمر الشكل قائلا :

— اذن ثق به ، انه خالق المسلم والمسيحي معا ، انه رؤوف رحيم باولئك الذين يؤمنون به ، ويحبونه ، اني ابحث عن طريقة لانقاذك ايها النصراني من ميتة قاسية ، لن اكون سعيدة ابدا اذا نفذ فيك والدي حكم الاعدام غدا ، كيف اكون سعيدة ، وقد شاركتنا طعامنا ، واكلت خبزنا ؟ ان والدي لا ياخذ بمشورة احد ، وهو ذو قلب قاس ، لكنه عطوف علي ، رحيم ورؤوف بي لاني طفلته الوحيدة ، انه لا يبخل علي بأي معروف ، ولكني لما التمست منه الرحمة عليك ، اجابني قائلا : (النصارى كفار ، لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ، وهم ممقوتون عند الله ، وعند جميع المومنين الصادقي الايمان، ولذا فهم ملعونون مغضوب عليهم ويجب ان يموتوا كلهم) .

وتنهدت الفتاة في حزن واسى ، ثم بعد فترة صمت واصلت حديثها قائلة :

— ايها النصراني ، لك وجه حنون طيب ، واشعر انك تحب الله ، وان الله يحبك ، واشعر ان تبعة اهدار دمك ستقع على عاتقي ، اذا لم اسع في انقاذك ، لقد مضى نصف الليل ، ووالدي مستغرق في نومه ، ولكن عند ما استلقى على مضجعي ، لن استطيع الراحة ، ولن يغمض لي جفن ، وانا افكر في الميتة القاسية التي تنتظرك ، هل تستطيع الركوب يانصراني ؟ هل تستطيع مواجهة الخطر بشجاعة ؟ .

مسح جؤاو عينيه مرة اخرى ليتأكد من انه في يقظة وليس في حلم ، فرأى عينين تشعان بريقا عجيبا من تحت (الحايك) ثم قال :

— نعم ، استطيع الركوب واجيده ، لكني لا اخشى الموت بل احس بمنتهى السعادة ، حيث ان امرأة تحوطني بمثل هذا العطف ، وتحبوني هذا الحنان .

قالت وهي تخرج مفتاحا من صدرها :

وضميرا نقيا لم ارتكب ـ بوساطته ـ زلة عن عمد ، ولم اسيء لاي مخلوق » . ثم تذكر الرأفة والحنان اللذين لقيهما من ابنة القائد فتمتم : « وبما اني مائت ، فان تلك الفتاة الحلوة هي وحدها التي ستعتريها الشفقة ، وسنحزن على مماتي » .

وشعر بفخر امام هذا الاحتمال ، فسار وسط زحام المتفرجين ، منتصب القامة ، معتز النفس ثابت الخطوات بقدر ما يسمح به القيد والسلسلة الحديدية الثقيلة ، واقتيد الى حضرة القائد الذي كان جالسا فوق رابية بالقرب من المكان الذي اختير لاعدام الاسرى ، كانت صيحات النساء والاطفال المحتشدين على جانبي الطريق ، ترتفع حينا بعد آخر فتكاد تصم اذنيه ، غير انه عند ما مر ببعض النساء الملثمات سمع همسات تقول :

ـ ضع ثقتك في الله ، انه رؤوف رحيم .

قفز قلبه في صدره من اثر الفرحة ، لانه تعرف في تلك الكلمات على الصوت الحلو لابنة القائد رحمة .. اصطف الاسرى امام القائد واعيان القرية ، فخاطبهم القائد بقوله :

ـ ايها الكفار اعداء الدين ، استعدوا للموت والعقاب الالهي الذي ينتظركم ، ثم التفت الى جوآو قائلا :

ـ لعلك تباهي بانك انت صانع الاسلحة الشهير . هل هذا المرسوم الشريف مرسوم سيدنا ومولانا السلطان يتعلق بك ؟ (وامسك المنشور بيده رافعا اياه امام الانظار كي يراه جوآو الذي اجاب) :

ـ انا جوآو صانع الاسلحة .

ـ قال الرئيس :

ـ برهن على ما تقول ، قبل ان تمر اربع وعشرون ساعة ، وذلك بان تصنع في هذه المدة ماسورة بندقية مبرومة ، ان حانوت حدادة بما تستلزمه من كير وآلات ستكون جاهزة وفي متناول يدك منذ الان ، فاذا فشلت وعجزت ، فستوضع هدفا وتموت بنيران المومنين، ثم التفت تجاه الاسيرين الاخرين وصاح :

ـ اما انتما يا عدوي الله ، فالدم بالدم ـ ستموتان كلاكما ، وهكذا سياخذ بالثار اولئك الذين قتل الكفار الملعونون اخوانهم .

رأى جوآو ان هذه آخر فرصة سانحة للدفاع عن رفيقيه فقال بصوت عال كي يسمعه الجميع :

ـ اقسم بالصليب المقدس ، انكم اذا آذيتم شعرة واحدة من رأس مواطني هذين ، فاني لن افعل اي شيء بصدد ما اقترحتموه علي، وليس هناك من داع لان تحكم علينا ايها القائد بالموت ، اللهم الا اذا كنت لا تخشى غضب السلطان ، ولا تحسب لسطوته اي حساب . ثم التفت الى اعيان القرية واردف قائلا بنفس اللهجة الخطابية :

ـ انا جوآو صانع الاسلحة ، صانع المواسير المبرومة ،لقد قدم لي من طرف السلطان مبلغ ضخم من المال كي اكون في خدمة جلالته، ان ايا منكم يستطيع ان يخبر البلاط الملكي باني اسير هنا وان القائد قد هددني بالقتل ، ليتأكد من الحظوة التي سينالها هذا الواحد منكم لدى جلالته الذي يرغب في استخدامي عنده ، وليعرف مدى الغضب والسخط الذي سيصيبه جلالته على القائد اذا ما اقدم على قتلنا . القائد متأكد من رغبة السلطان في استخدامي ، وذلك من خلال الكتاب الشريف الذي هو في حوزته الان ... نحن الجنود البرتغاليين الثلاثة قد اخذنا اسرى في معركة ، ولم نسجن من اجل اقتراف اية جريمة ، القائد يسمينا كفارا ، ولكننا نومن بالله كما تومنون انتم ، ولنا نفس الشريعة الالهية التي لكم ، فيجب الا توافقوا على سفك الدماء البريئة التي حرمتها كل الشرائع السماوية .

واعترت القائد قشعريرة من الحدة والغضب والخوف معا، لقد عرف ان له اعداء في القبيلة وان كثيرا قد قاسوا من استبداده، لذا خشي ان يسرع احدهم الى فاس فيخبر السلطان بوجود هذا الملعون اسيرا ومهددا بالموت ، حينئذ ما ذا سيكون موقفه ل مستقبله .

ثم التفت الى العبيد المكلفين بحراسة الاسرى فقال :

ـ اعيدا الكافرين الى محبسهما ، فسيموتان ميتة اقسى من ميتة الرصاص ، حيث ان هذا النصراني قد تجرأ على تهديدي بمثل هذه الطريقة المتعجرفة .

وارتفعت صرخات الجمهور المحتشد تطالب بوجوب قتل الاسرى في الحين ، وتعالت الصيحات : الدم بالدم ـ النفس بالنفس .

ولكن الكبار الاكثر حصافة في الرأي ، نصحوا للقائد بان جوآو يجب ان يؤخذ في الحال الى قصر السلطان كي يستفيد منه المسلمون في صنع الاسلحة التي يحاربون بها اعداء الملة .. وبعد كثير من الجلبة والضوضاء اقتيد الاسرى الى محابسهم ، وعاد القائد الى منزله وهو مصمم على السفر الى فاس كي لا يستهدف لغضب السلطان .

(النهاية في العدد القادم)

تطوان : عبد الله العمراني

اجابـــت :

ــ يا ابت ، ان عودتك السليمة لتجعلني اسعد مخلوقة في الدنيا ، لكنني اشعر الان بأني بائسة جدا حزينة ، لانك اعلنت نيتك في اعدام ذاك النصراني الذي استظل بسقف منزلنا ، واكل من خبزنـــا .

قال الرجل وقد قطب ما بين حاجبيــه ، وعبس عبوسا شديدا صارما :

ــ يا بنت ! الا تعرفين ان عمــك قد قتل بيد الكفــار البرتغاليين ؟ هؤلاء الاسرى مواطنــون لاولئك وغيــر مومنين بالله ، لذا يجب ان يموتوا ، من اين اتيت بهذه الشفقة الحمقاء؟ الا تدرين ان والدتك ــ رحمها الله ــ كانت شريفة متحدرة من سلالة النبي عليه الصلاة والســلام ؟ وان المرحوم اخاهــا كان شريفا كذلك ؟

ــ بلى يا ابت ، اعلم ذلك ، لكــن الم يقــل الله تبارك وتعالى : (فاما منا بعد ، واما فداء ؟) الــم يعد النبــي (ص) اولئك الذين آمنوا بالله واليوم الاخر بالثواب ؟ هذا الاسيــر النصراني نزيل اصطبلك الان يومن بالله واليوم الاخر .

صاح والدها في وجهها ، ورفع يده ثم وضعها على كتفها كمن يهم باصدار قرار نهائي لا يحتمل التعقيب غير ان الفتاة التي فر الدم من وجهها ، واستحالت شاحبة اللون مصفرة اجهشت بالبكاء ، وقالت :

ــ شيئا من الصبر يا ابتاه ، سأقص عليك القصة بتمامها، اني طول حياتي لم اغشك ، ولا اخفيت عنك حتى اشد افكاري امعانا في السرية .

ثم شرعت تحكي له بصوت متلعثم كيف تمت زيارتهـــا للاسير ، وما دار بينها وبين جوآو من حديث ، اشتد غضــب الوالد ، وفي نفس الوقت شعر بشيء من التسلية ، وبطرافة قصة ابنته المحبوبة ، وبشجاعتها النادرة، كان له قلب قاسي كالحجارة او اشد لكن شفاعة ابنته جعلته يلين شيئا فشيئا وينقاد ليصيــر شفيقا محسنا في النهاية .

واردفت البنت قائلة :

ــ انظر ، هذا الذي وجدته في حجرة الاسير ، انهـــا ورقة تحمل طابع السلطان، قرأ القائد الورقة ، وتغيرت ملامحه، وعلت محياه مسحة من الجد والتفكير العميق ، وبعد فترة صمت قـــال :

ــ حسنا يا رحمة ان هذه الورقة الحاملة لطابع مولانا السلطان ، قد وجدت بالفعل ، لكن ما الذي يدلني على ان اسيرنا هذا هو جوآو صانع السلاح الشهير ؟ اذا استطاع هذا النصراني ان يبرهن على انه هو صانع الاسلحة غفرت لــك اندفاعــك ، وسلوكك الذي لا يليق بفتاة عذراء مثلك ، لكن كوني حريصة في المستقبل فلا تدخلي اي مكان يكون فيه رجل ، كيفما كان مسيحيا او مسلما ، الا معي او مع احد اتباعي .

ــ انا طوع امرك دائما يا ابتاه ، لكن اذا كنت حريصا على اسعادي فلا تقتل هذا المسيحي ، لا تؤذه ، لقد اكل خبزنا، وهو مومن بالله واليوم الاخر ، وما لم اتأكد من انه في مأمن على حياته فلن اطعم خبزا ولن اشرب ماء .

ــ اذهبي ايتها الطفلة الغبية الحمقاء واريحي عقلك من هذه الافكار واقسم لك ان جوآو لن يموت هذ اليوم .

وقرأ الوالد المرسوم السلطاني مرة اخرى ، وتمتم مع نفسه قائلا : اذا كان هذا النصراني هو جوآو صانــع السلاح الذي طبقت شهرته الافاق ، فان حظي لسعيد ، ويجب ان احضره الى السلطان في القريب العاجل ، اما اذا اعدمت هذا الكافــر الملعون ، ووصل خبر اعدامه الى مسامع السدة العالية بالله فاني حينئذ اكون قد جازفت بحياتي .. لكن قبل ان اتخذ اي قرار ، يجب ان ابحث الامر بنفسي لاتحقق ما اذا كان جوآو هذا محقا فيما يدعي ، فاذا كان هو صانع البنادق ، ذهبت به الى المشور السعيد بعد غد ، والا اعدمته بالرصاص غير هياب ولا وجل .

وبدأت الاستعــدادات منــذ الصباح الباكــر ، بدأهــا القرويون لوضع النصارى الثلاثة اهدافا للرماية حسبما تم عليه الاتفاق امس ، لقد ذبحوا ثورا ضخما ، واعدوا وليمة كبيرة ، وكانت تسمع اصوات الطبل والغيطة ممتزجــة النغمات عاليــة النبرات ، كما كانت تسمع بين الفينة والاخرى اصوات الطلقات النارية مصحوبة بالرقصات والصيحات التي تصدر من «البواردية» وبزغاريد النساء وصيحات شباب القربة المتحمس في عيد النصر .

اما كبار القرية فقد جلسوا القرفصاء واصطفوا ــ وبنادقهم الطويلة بايديهم ــ في حلقات وصاروا يستعيدون مغامراتهـــم وذكرياتهم عن المعركة الكبرى التي حدثت منذ ايام ، وكأنهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبــر صدور امــر القائد ، باحضــار النصارى الثلاثة كي يسددوا فوهات بنادقهم نحوهم ، ويطلقوا عليهم النيران ، فيصيروا في مثل لمح البصر جثثا هامدة لا حراك بهــــا .

واصدر القائد امره بان يوتى بالاسيرين المحبوسيــن في السرداب ، فاقتيدا الى المكان الذي سيطلق عليهما فيه الرصاص، اما جوآو فقد احضره من الاروى عبدان شاكيا السلاح اذ كان في يد كل منهما سيف مصلت، كانت يدا جوآو مكتوفتين وكان الكبل والسلسلة الحديدية يحدثان صريرا فوق الارض كلمــا تحرك ببطء تجاه ساحة تنفيذ الاعدام .

وبينما كان متجها نحو الساحة ، خاطب نفسه قائــلا : « اني مائت لا محالة ، وشكرا لله على ان منحني روحا طيبة ،

(القلق يزيد ما زاد وعينا وتشعبت اسبابه . القلق فى الوجود قديم كالوجود عينه ، بيد ان البشر لم يكونوا يوما اعظم قلقا منهم فى هذا العصر . القلق الوجودي المعاصر يعتري جذورنا حتى الاعماق ، وكأن ثمة ما يهددنا كل حين) .

ولكن هل يستطيع هذا القلق الجارف ان يدمر كيان الانسان المؤمن بالغد البهي ، او على الاقل هل يستطيع ان يثبط من عزمه على بلوغ غايته المرجوة ؟

كلا . (فان فى الكون ، من خلال ملايين الخلائق والوف الوف السنين ، نظاما يسير بالبشر الى الامام والى فوق ، على قصد معا . وان تحت السماء كثيرا كثيرا من الجديد الطالع ، وان اكتشاف الجديد عمل يستمر ما دامت الحياة) .

فلا مبرر للخوف اذن ، ولا داعي للقنوط . وما على البشر الا ان يشمروا عن ساعد الجد ، لاكتشاف العوالم المجهولة الكثيرة ولتفجير الطاقات الدفينة الهائلة ، وان يتعاونوا على البناء والابداع .

كل فرد من البشر مسؤول عن المساهمة فى العمل لرفعة الجنس البشري . فالانسان لم يعد يعيش لنفسه وفى تخوم بلده فحسب ، بل اضحى صوته يدوي فى ارجاء الارض النائية . فكانت وحدة الانسانية هدفا ينبغي ان يتجه لتحقيقه لان الانسان هو ، على حد تعبير خليل سركيس ، (لزوم حيوي لسلامة الكون واستمراره) .

ولاشك ان الطريق طويلة ، وان صعابا عديدة قد تعترض سبيلنا . ولكن هذه الصعاب هي التي تشحذ مواهبنا ، وتكشف عن طاقاتنا الكامنة ، وتجعلنا نستمتع بممارستها :

(لسنا نبغي المعرفة ، وبالتالي لسنا نطلب العلم لنزيد معرفة وحسب ، بل كي نزداد وجودا على الخصوص . فكم تحدثنا الحياة بمشكلات اذكت فينا روح الخالق ، فابتكرنا لها حلا) .

ولبلوغ هذه الارض الجديدة المؤملة ، لابد ان ننمي فى حنايانا عنصر الحب ، ونشيح بوجهنا عن كل الفوارق والاحقاد ، ونؤمن ان الانسانية على اختلافها ، اسرة واحدة ، ذات جوهر واحد ، غايتها تحقيق وجودها الاكمل وكيانها الامثل فى جو من الوئام والسلام : (فلا شيء يعدل الحب ، جامعا مشتركا بين نفسين بل بين اهل بيت واحد ، فبلد واحد ، فوطن واحد ، بل بين اهل الارض اجمعين) .

ولابد ايضا من تآزر جميع القوى الخيرة لاخصاب هذه الارض . فتعاون المادة والروح ، وتضافر العلم والدين ، عمل ضروري لتكون تربة تلك الارض صالحة لنمو الانسان الكامل . واذا كان بعض الماديين يرون ان الدين لا ينسجم مع العلم ، فان خليل رامز سركيس يرى ان الدين يكمل العلم ، كما يكمل العلم الدين لرفع مستوى الانسان : (الصراع بين الدين والعلم امر فى المعرفة قديم . الا انه قد جعل يتحول من مرحلة السلب الى طور الايجاب . اذ تبين ان ليس لكليهما غنى عن الاخر . فالعلم لا يجاوز نفسه ، سموا واطراد رقي، ما لم يؤمن بكون جل ما فيه ذو غاية معينة . والعلم ، مؤلفا الطاقة فى وحدة عاملة ، يفضي — على ما يرجى — الى وحدة نهائية عاملة من اجل العالم . الدين والعلم ، اذا ، فعل معرفة مشترك يحقق غاية واحدة : الوجود) .

ويقول المؤلف ايضا : (فى عالمنا المدجج لا خلاص لنا ما لم نر عمل الله فى الخليقة ، وما لم نر الله فى حقيقة العالم) .

هذه بعض آفاق الارض الجديدة التي يطمح الى وجودها خليل رامز سركيس ، وكل مصلح فى هذه المعمورة محب لخير الانسان وتقدمه .

فما احوجنا جميعا ، فى هذا العصر النزق المحموم الى مثل هذه الافكار النيرة الصافية التي تجمع بين بني البشر على صعيد المحبة والتأمل المثمر والعمل الخلاق .

وما احوجنا ايضا الى قلم متميز مثل قلم خليل رامز سركيس ، ليوقظ مشاعرنا النبيلة ، ويذكي فينا اصالة مواهبنا ، فنصنع للانسان غدا يليق بكرامته .

جدة — الدكتور عارف قياسة

---

* (ارضنا الجديدة) طبعة اولى منشورات الندوة اللبنانية ، بيروت 1962 — وطبعة خصوصية بمنشورات رابطة الكتاب للمجمع المسيحي للشرق الادنى ، بيروت 1963

عرض الكتب

مع خليل رامز سركيس في: أرضنا الجديدة

للدكتور عارف قياسة

يعجبني من خليل رامز سركيس اسلوبه في معالجة موضوعات الكون والحياة . هذا الاسلوب لا يتجـزأ جوهره عن ظاهرات وجوده . وهو ، على بعد غوره ، واضح كالشمس ضحى . ثم هو ، على تركيزه ، لا اثر فيه الكد والجهد ، تراه يغوص في ظلمات بعضها فوق بعض ، ويصارع انواء عاصفة ، ويظل بعد كل ذلك شفافا

له دقة الاسلوب العلمي وبيانه . ولكن ليس له جفافه وجفوته . فهو ذو نعومة حريرية ورشاقةمتناهية

خليل رامز سركيس دائم التوق الى السمو ، شيمة النفس الخيرة الواعية ، كثير الايمان بالانسان . لذلك تهب من قلمه نسمات محيية هي اشبـه بنفحـات الربيع .

آلمه الواقع المرير الذي يضطرب فيه اغلب الناس بتفاهة وسطحية وتمزق . فحاول في (من لا شيء) وفي (ايام السماء) ان يشق دربا نحو النجوم . وهـو في كتابه الحديث (ارضنا الجديدة) يتابع سيره في الدرب الصاعد ، ليعيد الى البشرية المعذبة وجهها المضيء .

وهو في كل ما يكتب يسعى ان ينفض الغبار عن طاقات الانسان ، ويزيل من طريق تقدمه العراقيـل ، ليجعله اكثر عافية وابداعا وافسح رجاء ، وبالتالي اقدر على ممارسة انسانيته .

ولئن كان كثير التطلع الى السماء ، فما لرغبة منه في النأي عن الارض ، ولا حبا في الجري وراء الغيبيات ، وانما ليضيف الى الارض الطيبة عنصرا خصبا بـه تنتعش وتزدهر .

فهو في (ارضنا الجديدة) يحث باصرار وايمان ، على التحديق الى كل شيء ، الى اعماق النفس البشرية والى اسرار الكون الخفية ، على السواء . فالانسـان فلذة من الكون الذي فيه يعيش ذرة مفكرة ، ولذلـك كان عليه ان يقيم بينه وبين ذلك الكون وشائج حميمة من اخذ وعطاء ، فاذا انفصل عنه كان كالورقة الهاوية من امها الشجرة لا تلبث ان تذوى فتموت . والكون ــ هذا العالم العجيب بسحره الذي لا يحد ، وكنوزه التي لا تنفد ــ فارغ لا جدوى فيه ولا قيم ، ما لم يمد اليه الانسان عينه وفكره ويده . وحين ينهد اليه يفجـر طاقاته ، ويكشف عن دفائنه ويستخرج نفائسه ، ويعانيه معاناة ، صميمة ، يزداد به الكون غنى ، كما يزداد هو بالكون عمقا وسعة ورفعة شأن وسمو مصير .

يقول المؤلف : (السنا من انفسنا في برج تأمل ، ومن الكون على ارض اختبار ؟ نحن لا نكون ما لم نعان الكون ، وقد تأثرنا منه واثرنا فيه . والا فنحن في غربة عنه ، وكأنا عن انفسنا مغتربون . ليس الكون ، عندنا ، بالحدث الطارىء والظاهر الدخيل ، بل هو من وجودنا في منتهى الصميم . فاذا تعمقنا فيه ، اصبنا غاية المعرفة فحققنا انفسنا ، واياها راينا في ما نحن ناظرون)

فالمعرفة والطموح والعمل هي العناصر الثلاثة التـي تقودنا الى الارض الجديدة المشتهاة .

واذا كان التأمل في الذات والموضوع يمدنا بالمعرفة والوعي ، فهو يمدنا ايضا بالقلق الذي يزداد كلما نما وعينـا .

التي هي بحاجة الى شكل لاجل الا يلتوي شأنها على القارىء وذلك يقول المؤلف بالطريقة الآتية :

وهي وضع ارقام من (1) الى (5) قبل الحرف المشكول هكـــذا :

رقـــم 1 ـ معناه ان الحرف الذي قبله مرفوع
رقـــم 2 ـ معناه ان الحرف الذي قبله منصوب
رقـــم 3 ـ معناه ان الحرف الذي قبله مجرور
رقـــم 4 ـ معناه ان الحرف الذي قبله مشدد
رقـــم 5 ـ معناه ان الحرف الذي قبله ساكن

وهكذا في نظر المؤلف ، تصبح الكلمات العربية اشبه شيء برموز الكيميـاء وذلـك في انتظار وضـع الخط العربـي المنشـــــود ! !

ويصفق المؤلف لنفسه لهذا الابتكار المفيد وكأنه جاءنا بما عجزت عنه الاوائل ٠

وقليل من الدراية يجعلنا نقف من هـذا الحـل موقف المتسائـــــل :

هل هذا تسهيل على القـراء ام تصعيـب جديد جاء بـه المـؤلـــف ... ؟

فما معنى الاسغناء عن الفتحة برقم 2
وعن الكسرة برقم 3 وعن الضمة برقم 1
وهل في ذلك تسهيل على المطبعة او على القراء ... ؟

ومن البديهي ان هذا اقتـراح لا ترجو منه العربيـة ولا المطبعة ولا القراء ولا الثقافـة اية فائـدة وانما هـو تصعيـب جـديـــــد .. ! !

يضاف الى قائمة التصعيبات والتشويهات التي اقترحـت لتسهيل لغة الضاد .. !

اما في قاعدة رسم الهمزة فقد توفق نوعا ما حيـث انـه اقترح ان تكون الهمزة كسائر الحروف تكتب منفردة من غير الف ولا واو ولا ياء وهذا ولا شك تسهيـل على المطبعـة وعلى الكتاب حيث انهم سيطرحون قاعدة رسم الهمزة التي كثيرا مـا يخطئون فيها ٠

وتابع المؤلف اقتراحاته لحل مشكلات الرسم العربي وما يرتئيه لذلك من حلـول وهـي في كل مرة تاخـذ صبغة الراي السطحي الذي هو في الحقيقة آت من عدم تصور الكيان اللغوي من جهة ومن جهة اخرى آت من حمى التقليد للغات الاجنبيـــة فكل ما هو هناك يجب ان يكون هنا بدون خلاف .. !!

ولا ننكر ان المؤلف اتانا بشيء طريف حينما تحدث عن اختزال في اللغة العربية وضرورة استعماله في الحديث عن الاسماء المركبة من عدة كلمات كما هـو الشأن في اللغـات الاخرى .. وقد اعطانا امثلة استعملها العرب في اختزال قديم حينما كانوا يقولون ان :

اه : تعني انتهى ٠

الـخ : تعني الى آخره ٠

سامرا : تعني مدينة سر من رأى ٠

كما لا ننكر ان المؤلف كان جريئا جراءة غريبة حينما حاول حذف كثير من قواعد النحو والاعراب والاسغناء عنهـا بقاعدة واحدة ورمى الباقي في لجج البحر .. !

وقد كان بامكانه ان يعطي لنفسه مهلة اخرى للبحـــث والدرس حتى يخرج بنتائج عملية معقولة والا يقع في هــــذه السطحيات التي افقدت البحث كثيرا من قيمته العلمية ..

ولا يودعنا الباحـث التونسـي دون ان ينظـر نظرة في المعاجم ويكرر مع الآخرين اسطوانة ضعفها وعدم دقة تفسيراتها

وكأنه يريد مع الآخرين ان يكتب لـه رجال العصـور الوسطى باسلوب القرن العشرين وقد فاتـه ان تلك المعاجـم اصبحت اثرية تاريخية وان العربية بصدد اخراج معاجم للعصر الحديث وقد فعلت وان المعاجم الجديدة وان لم تبلغ حد الكمال فهي على الاقل خطت خطوات مدهشة نحو التقدم والدقة والتنظيم .. وبذلك ضمنت العربية لنفسها البقاء كما ضمن لها التاريـخ الخلـــود ..

ورغم هذا فكاتبنا التونسي قد حاول في كتابه هـذا ان يبحث في مشكلة خطيرة بالنسبة للعربية ومستقبلها ، ولـه اراء جديدة بالدرس والتمحيص والنقد ..

فاس ـ عبد القادر زمامـة

نحو عربية أفضل

تأليف الجندي خليفة

تعليق وتقديم الاستاذ عبد القادر زمامة

منذ فجر النهضة الادبية في العالم العربي والافكار تتجه الى اصلاح الجهاز اللغوي للغة الضاد ، وقواعدها والفاظها وتعابيرها واساليبها .. لكن هذه الافكار لم تكن كلها مخلصة كل الاخلاص كما انها لم تكن عالمة حق العلم بالكيان اللغوي لهذه اللغة والجدور الحية التي تمدها بالنمو والحياة .. فجاء كثير من هذه الافكار متهافتا فطيرا وولد كثير منها ميتا فلم يخلق صدى ولا اثرا ...

ومنذ كتب الاستاذ محمود مصطفى كتابه الجايل = (احياء النحو) سنة 1937 م والانظار تتجه الى نية صادقة في الاصلاح اللغوي ولا سيما والضرورة ملحة لاعادة النظر في قواعد النحو والاملاء لتكون اداة فهم ودراسة للناشئين في مختلف معاهد التعليم .. وليجدوا الطريق سهلة لاخذ لغة سليمة ذات قواعد مضبوطة لا التواء فيها ولا غموض ولا تناقض ..

لكن هذه المحاولة ــ على العادة ــ اشترك فيها من يفهم ومن لا يفهم ومن يملك القدرة على التفكير اللغوي السليم ومن لا يملك .. فكثر الخلاف من جديد وتعددت المناهج والاساليب دون جدوى .. ولو سكت الفضوليون في هذا الموضوع لامكن الوصول الى نتائج مشجعة ومفيدة .. ولكن هذا لم يقع حتى ليظن المتشائم ان الاصلاح اللغوي لن يتم ابدا ما دامت القضية يشارك في توجيهها غير لائق كثير من قصرت مداركهم اللغوية فخبطوا خبطا وكان الاولى بهم ان ينصرفوا عن المشاركة في هذا الميدان لعدم الاختصاص .

واليوم نجد بين ايدينا كتابا جديدا في الموضوع سماه مؤلفه : (نحو عربية افضل) على حد تعبير بعض السياسيين ــ نحو عالم افضل ــ و ــ نحو حياة افضل ــ وقد شاء مؤلفه ان يكتب تحت العنوان هذه الجملة :

« ثورة على اللغة القائمة وبناء لعربية جديدة » .

ولا شك ان هذا عنوان مغر يدفع الباحث لقراءة هذا الكتاب والتعرف على ما فيه من هذه (الثورة) !!

فما ذا في الكتاب ؟

اول ما نلاحظ على المؤلف انه يتناول هذا الموضوع الخطير الذي ليس فيه شيء من الذاتية وكأنه يحاول ان يكون ذاتيا لا موضوعيا مع ان الموضوعية هي كل شيء بالنسبة لمثل هذا الموضوع العلمي الخطير ..

وقد عرض مشاكل اللغة العربية في الرسم والاملاء عرضا بسيطا لا عمق فيه ولا جديد بالنسبة لما نعرفه في هذا الموضوع .

فاشكال الحروف المختلفة
ومسألة التنقيط
ومسألة الشكل
ومسألة التشابه بين الحروف

كل هذه الاشياء درست وطبخت حتى كادت تحترق .. !
فاعادة الحديث عنها هو تبذير للجهد في البحث والدراسة وقد تناول النقاد من العرب والاجانب هذا الموضوع ولم يتركوا مشكلا ولا ــ عيبا ــ الا وذكروه بما لا مزيد عليه من الشرح والتوضيح .. !

وهذا هو الجانب الاول من الكتاب وهو جانب عرض المشاكل والعيوب .. وينتقل المؤلف بنا الى جانب آخر وهو جانب عرض الحلول و ــ اكتشاف ــ الدواء لكل عيب .. ! !
ويعنون هذا الجانب بقوله :

« الحل بسيط » ؟

نعم الحل بسيط في نظر المؤلف وهو لا يتعدى في مشكلة شكل الحروف العربية ان نتخذ طريقة تمكننا من شكل الحروف

يعمل خلالهما على وضع (دائرة المعارف الموسيقية العربية). احمد المصري يمتلك 8000 مؤلف موسيقي .

★ جرت في الجمعية الادبية بالقاهرة مناقشة كتاب (البير كامي) تأليف الدكتور عبد الغفار مكاوى ، واشترك فيها الدكتور فؤاد زكرياء ، والدكتور عز الدين اسماعيل ، والدكتور وليم الميرى ، وعبد الفتاح الديدي .

★ فوزي عبد القادر الميلادي من ادباء الاسكندرية والمستشار المساعد في مجلس الدولة ، صدر له عن الدار القومية بالقاهرة كتاب جديد من تأليفه هو (جولة مع ادباء شمال افريقيا) .

★ فقد الادب العربي اديبا من اكبر الادباء في هذا العصر بوفاة الاستاذ صديق شيبوب الذي توفي في الشهر الماضي بالاسكندرية ، وهو شقيق الشاعر الفقيد خليل شيبوب .

★ صدر ديوان شعر جديد لحسن فتح الباب اسمه (فارس الامل) وللديوان مقدمة مفيدة ممتعة شرحت جوانب الشعر والشاعر . والديوان عموما تمتاز قصائده بالرؤي الشاعرية ، والموسيقى ، والصدق . وكل الديوان من الشعر اللاعمودي .

★ يصادف ظهور الطبعة الثانية من كتاب الدكتور عثمان امين عن رائد الفكر المصري الامام محمد عبده . مرور 60 عاما على وفاته . والكتاب في 300 صفحة ، ومن مطبوعات الانجلو المصرية ، وهو من احسن الكتب التي صدرت عن الامام محمد عبده . تناوله المؤلف في سهولة وواقع ، وعرض تاريخه ، وعصره ، وحياته وفلسفته .

★ ترجم فؤاد اندراوس كتاب (بونابرت في مصر) تأليف هرولد وراجعه الدكتور محمد انيس . وستنشره الدار المصرية للتأليف والترجمة .

★ نعت القاهرة الكاتب المصري الكبير الدكتور محمد مندور عميد النقاد العرب عن 57 سنة .

★ ازاح احمد حسن الباقوري مدير جامعة الازهر الستار عن سر قديم في حياة الامام الشيخ محمد عبده . قال الباقوري : « ان اصدقاء الامام محمد عبده اخبروه ان الآراء التي جاءت في كتاب (تحرير المرأة) هي آراء الشيخ محمد عبده ، لكنه اسندها الى المرحوم قاسم امين . اذ ان علماء الازهر كانوا لا يستطيعون هضم هذه الآراء في ذلك الوقت .

★ تحدث امام اعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة المهندس احمد عبده الشرباصي العضو الجديد في المجمع اللغوي وعدد مآثر احمد لطفي الذي شغل مكانة في المجمع .

★ معرض للكتاب العراقي اقيم في القاهرة . يضم المعرض الف كتاب تعرضه 40 دار نشر .

★ صدرت في الجمهورية العربية المتحدة الكتب التالية : « العيون الزجاجية » ، مجموعة قصص لمحمد الجمل . « مقالات في النقد الادبي » للدكتور محمد مصطفى هدارة . « الفولكلور ماهو » ؟ لفوزي العنتيل . « انت والمكنة » لمدحت كاظم . « المسرح العالمي » للدكتور لويس عوض . « الطبيعة لارسطاطاليس » ترجمة اسحق بن حنين ، تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي . « كتاب الاصنام » عن ابي المندر هشام بن السائب الكلبي ، تحقيق احمد زكي . « الثقافات الافريقية وافريقية والارض والناس » ، كتابان للعميد محمد عبد الفتاح ابراهيم . « غرفة على السطح » ، دراما في 3 فصول لعبد العاطي جلال . « رحلة الربيع الى الجزائر » للدكتور شريف شحاته « الفلاح في الادب العربي » لمحمد عبد الغني حسن . « هذا هو الاوركسترا » ، تأليف السابوزيل ترجمة نلي عبد النور « صيد البحر » لواء عبد المنصف محمود . « المتنبي وشوقي » لعباس حسن . «المتوحشة » لجان انوى ترجمة يحيى سعد . « نساء خالدات » لانور احمد . « الفن المعاصر في مصر » لحامد سعيد . « مصادفات سعيدة » لمحمد برانق . « كان هناك طفلان» لابراهيم عزوز واسمهان البطراوي . « احمد لطفي السيد » للدكتور حسين فوزي النجار . « تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري » للدكتور محمد زغلول سلام . « معارك اسلامية من امجادنا العربية » للعميد محمد جمال الدين علي محفوظ . « انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها » لابن الكلبي تحقيق احمد زكي . « حدث ذات ليلة » لمحمود البدوي . « اسطورة برومثيوس في الادب الانجليزي والفرنسي » للدكتور لويس عوض . « جولة مع ادباء شمال افريقيا » لفوزي عبد القادر الميلادي . « ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائية ابي فؤاد الايادي » تحقيق عبد العزيز الميمني . « اسلحتنا العربية قديما وحديثا » لمحمود بن الشريف . « الارض العالية» مسرحية شعرية لعبده بدوي قراشان ونور مجموعة شعرية للعوضى الوكيل . « ترانيم الليل » مجموعة شعرية لعلي الجندي . «العالم والسوق الاوربية المشتركة » لمحمد عبد العزيز احمد وفاروق حسنين مخلوف تقديم الدكتور طعيمة الجرف . « ابو جعفر المنصور » لعبد السلام رستم . « الاثر العربي في الفكر اليهودي» للدكتور ابراهيم موسى هنداوي . « لغز اللوفر » لارثر بيزنيد ترجمة ميشيل تكلا . « اعلام الادب الانجليزي » لكامل عبد المجيد وفؤاد فهمي . « المطهر » لدانتي ترجمة الدكتور حسن

أنباء ثقافية

★ انعقد بتطوان في اواخر شهر يونيه مؤتمرا للمحامين المغاربة الذي نظمته جمعية المحامين .

وقام المؤتمر بعدة دراسات عن مشاكل المهنة ، ومشاكل القضاء في المغرب . وقد اشرف على هذا المؤتمر الاستاذ عبد الكريم بن جلون نقيب المحامين بفاس ، والاستاذ المعطي بوعبيد عميد المحامين بالدار البيضاء .

★ نوقشت بنجاح في بداية شهر يونيو امام كلية العلوم الفرنسية بباريز الاطروحة التي تقدم بها الاستاذ السيد حمزة الكتاني في موضوع « اغناء معدن الحديد » .

وقد حصل على هذه الاطروحة على لقب دكتور في العلوم بدرجة مشرف جدا .

وينوي الدكتور حمزة الكتاني عند عودته الى المغرب التفرغ لنقلها الى اللغة العربية .

★ صدر للشاعر الاستاذ محمد الحلوي اول ديوان له بعنوان « انغام واصداء » في 288 صفحة ، في اخراج انيق . نرجو لهذا الديوان صدى بعيدا ، وانتشارا عميما .

★ قدم المركز الجامعي للبحث العلمي رسالة الاستاذ السيد محمد بنشريفة للطبع . وهي رسالة تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب . وموضوع الرسالة « ابن عميرة المخزومي » وتقع في اكثر من 300 صفحة .

★ صدر للاستاذ محمد الفاسي، رئيس جامعة محمد الخامس كتاب « الاكسير في فكاك الاسير » لابن عثمان المكناسي ، وهي تشمل على انطباعات المؤلف حول الرحلة التي قام بها الى اسبانيا في القرن الثامن عشر ، كما سيصدر للاستاذ الفاسي تحقيق المخطوطة « انس الفقير وعز الحقير » لمؤلفه ابن قنفذ

★ سافر الاستاذ السيد عبد الله كنون الى القاهرة لحضور مداولات مجمع القاهرة للغة .

★ « شروق » مجلة نسائية دورية تعني بشؤون المرأة صدر العدد الاول منها حافلا بالمقالات والقطع الادبية . مديرتها ربيعة بنونة ، وتتكون هيأة تحريرها من : خناثة بنونة ، غيثة بوزبع .

★ اصدرت الكاتبة الجزائرية فضيلة مرابط كتابا عن (المرأة الجزائرية) تناولته بالنقد الكاتبة آسيا جبار فقالت :

(ان الجزائري اذا كان يحتقر المرأ وينظر اليها على انها لا شيء ، فهو انما يفعل ذلك باعتباره جزائريا لا باعتباره رجلا بشكل عام ، اي ليس باعتباره نتيجة واعية وضحية سلبية للعديد من الشروط التاريخية والاجتماعية والدينية والاقتصادية في حين ان الرجل الجزائري في الحقيقة — تقول آسيا جبار — لا (يشيء) المرأة الا لانه هو نفسه (شيء) ! .

★ تحدث توماس كانزا وزير الخارجية في حكومة الكونغو الثورية عن الادب والفكر ، فاوضح انه بدأ علاقاته بالكتابة حين شعر بالوحدة مبعدا عن بلاده .

ولتوماس كانزا مجموعة من بينها (احاديث كونغولي ساذج) و (بلا حقد) التي يقول فيه انه اراد ان يبين فيها الموقف الحالي الناجم عن سلسلة من سوء الفهم وعدم الفهم بالاضافة الى هذه الرواية ، هناك رواية اخرى في الطريق تروى حياة الزعيم باتريس لومومبا ..

وتوماس كانزا حاصل على اجازة في علم النفس من جامعة « لوزان » سنة 1956 وهو اول طالب جامعي كونغولي يحصل على هذه الشهادة ..

★ توفى في القاهرة الاستاذ محمد محمود جلال احد زعماء الحزب الوطني المصري قبل ثورة 1952 . عاش الفقيد مناضلا في الحرمان ومات مغمورا في النسيان .

★ توفى في القاهرة الشاعر والكاتب الاستاذ مرشد خاطر .

★ احتفلت رابطة الادب الحديث بالقاهرة بالذكرى الاولى للشاعر اللبناني الفقيد محمد علي الحوماني .

★ (مع الشعراء المعاصرين) كتاب يصدر قريبا في القاهرة لعبد الحي دياب وسيتناول فيه شعر : احمد محرم ، وعلي الجارم، وصالح شرنوبي ، وهاشم الرفاعي .

★ اتم محمود تيمور تأليف رواية جديدة ، استوحاها من فكرة فلسفية فرعونية ، عنوان الرواية (معبود من طين) .

★ منحت وزارة الثقافة المصرية احمد المصري مدير الشؤون الفنية في اوركسترا القاهرة السيمفوني سنتين للتفرغ

منقحة ومزيدة لعبد العزيز الحلفي . (متى ينتهي الليل ؟) مجموعة قصص لمحمود سيف الدين الايراني .

★ تألفت في باريس رابطة باسم (الاتحاد الدولي للكتاب الفرنسي) قوامها 14 دولة . وقد مثل احمد عويدات صاحب منشورات عويدات ، لبنان في هذه الرابطة ففاز بنيابة الرئاسة للاتحاد وكانت ، الرئاسة من نصيب كندا .

★ اعلن محافظ البقاع نصري سلهب عن انشاء (جائزة زحلة للشعراء) وهي جائزة سنوية قيمتها الف ليرة لبنانية تبرع بها خليل فرحات ونجيب حنكش .

★ وجه الدكتور غالب شاهين وزير التربية في لبنان كتابا الى وزير البريد والبرق ، يرجو فيه اصدار طابع تذكاري يخلد اشهر الادباء اللبنانيين وطابع آخر يخلد العالم اللبناني الفقيد حسن كامل الصباح .

★ صدر مؤخرا في منشورات عويدات ببيروت (دراغانا) وهي رواية تجري حوادثها في وسط السلك الدبلوماسي في يوغسلافيا ، وقد كتبها النائب اللبناني محمد البرجاوي باسلوب مرن وبيان رفيع .

★ الشاعر بولس سلامة صدرت له ملحمة (عيد الستين) من 582 بيت شعر .

★ كتب الاديب الهندي (اندرزج نان) القصة الكاملة لجبران خليل جبران . وسوف تتحول القصة الى فيلم سينمائي يتم تصويره في كل من بيروت ، وبوسطن ، ونيويورك ، وباريس ..

★ انتهى الباحث العراقي الدكتور صفاء خلوصي من ترجمة تاريخ الادب العربي للبروفسور نيكلسون .

★ (اسرار الماسونية او السر المصون في شيعة الفرمسون) تأليف الاب لويس شيخو سيصدر عن دار البصرة في بغداد في 50 صفحة مع الصور الموضحة .

★ (الرجل في الشعر النسوي العراقي) عنوان دراسة لاحمد فياض المفرجي . وقد سبق له ان اصدر دراسة عن (المرأة في الشعر العراقي المعاصر) .

★ الالتزام الثوري ، في الشعر العربي المعاصر) عنوان الكتاب الذي اعده عادل مهدي حسين ويصدر قريبا في بغداد بتقديم محمد جميل شلش .

★ فرغ عبد الجبار داود البصري من كتابة دراسة مسهبة عن شاعرية بدر شاكر السياب .

★ اقامت جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين حفلا تأبينيا بمناسبة مرور ثلاثة اشهر على وفاة الشاعر

★ (الملحق الصحفي) عنوان الكتاب الذي اعده للطبع خالص عزمي مدير الصحافة الاجنبية في وزارة الثقافة ببغداد .

★ صدرت في بغداد الطبعة الثانية من كتاب (علماء المستنصرية) في جزئين تأليف ناجي معروف وفيه زيادات كثيرة في التراجم والاستدراكات .

★ اصدر نور حمودي القيسي المدرس بكلية الآداب بجامعة بغداد رسالته التي نال عليها الماجستير في الآداب من القاهرة وعنوانها (الفرسية في الشعر اجاهلي) .

★ الشيخ محمد حسن آل ياسين يطبع الآن في بغداد (ديوان الصاحب ابن عباد) .

★ يصدر قريبا في بغداد : « اشجار الطاعون » ، مسرحية لنور الدين فارس . (جدور الصهيونية) للكتاب التركي المعاصر (ضياء اويغور) في سلسلة الكتب المترجمة لوزارة الثقافة . (فهارس البدء والتاريخ) للمقدسي .

★ وضع عبد الله الجبوري بمساعدة المجمع العلمي العراقي مجموعة قصصية لعبد الوهاب الامين .

★ ديوان الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي المقيم في القاهرة (النار والكلمات) منشورات دار الكتاب العربي في بيروت ، منع دخوله الى العراق .

★ فرغ الشاعر العراقي شاغل طاقة من ترجمة مجموعة للشاعر الصيني (تو . فو) 712 ـ 770 م عن الانجليزية .

★ اسست فوزية شندي اول فرقة مسرحية نسائية في العراق . وقد نشرت الصحف البغدادية نظامها الداخلي ، واطرف ما تضمنه : « ان الفرقة لا تقبل اي رجل ! ولا تقدم اية مسرحية تضم رجالا » .

★ يقوم الآن في بغداد ماجد صالح السامرائي لجمع رسائل الشاعر العراقي الفقيد بدر شاكر السياب بغية نشرها في كتاب مستقل . وقد كتب الى الكثير من اصدقاء الشاعر الراحل يسألهم تزويده بما لديهم من رسائل الشاعر .

عثمان . « من المسرح الاسباني » لميجيل دي اونامونو ، ترجمة الدكتور محمد الامين محمد . « واحدة تكفي » مجموعة قصص لمصطفى ابو النصر . « رجل نبيل » لفيكتور هوجو ، ترجمة سامي غنيم . « زهور هيروشيما » لادينا موريس ، ترجمة محمد مصطفى غنيم . « رجال من افريقية » لعبده بدوي ، تقديم حبيب جاماتي . « عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس » في مجلدين لمحمد عبد الله عنان . « ملك عجوز » لشوقي عبد الحكيم ، تقديم يحيى حقي . « قصة الفيزياء » لجورج جاموف ، ترجمة دكتور محمد جمال الدين الفندي . « الدين والميثاق » لاحمد الشرباصي . « من وحي الاسلام » لمحمد نبهي الدين سالم . « جاء الربيع » لماري ويب ، ترجمه السيد وفائي .

★ فقدت سوريا اديبا من اعمق ادبائها اصالة ووعيا بوفاة الاستاذ اورخان ميسر الاديب الشاعر الطليعي اثر اصابته بمرض سرطان الرئة .

★ باشر الاديب السوري محمد عادل زيتوني ترجمة كتاب (عصر الذرة بين الحرب والسلم) وقد وضعه عدد من علماء الذرة الالمان .

★ الاديب السوري سمير عبده يقوم الآن بترجمة اعمال الفيلسوف برتراند رسل كاملة للغة العربية . وقد انتهى من ترجمة (الفوز بالسعادة) و (الممارسة والنظرية البلشفية) ويترجم الآن (ترسيخ العلم في المجتمع) و (التربية والنظام الاجتماعي) . وقد سبق ان ترجم له كتاب (التربية) الذي صدر في العام الماضي . وهو يترجم كذلك للكاتب الانجليزي كول ، كتاب (المدخل الى التاريخ الاقتصادي .

★ (وسادة الجفون المتعبة) مجموعة شعرية لطلعت يازجي تصدر قريبا عن مكتبة الشرق بحلب .

★ صدر في حلب (محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب) في المؤتمر المنعقد في ليدا وعام 1963 ترجمها عن الالمانية مع تاريخ حياة المحاضرين والتعليقات ، الدكتور محمد يحيى الهاشمي رئيس جمعية الابحاث العلمية في حلب ويقع الكتاب في 80 صفحة .

★ بكر الشيخ امين نشر مؤخرا خمسة كتيبات ادبية هي : فن القصة ، فن المسرحية ، فن المقالة ، خصائص الشعر العربي الحديث ، خصائص النثر . وهي وفق منهج شهادة الدراسة الثانوية السورية .

★ انتهت الكاتبة السورية السيدة سلمى الحفار الكزبري روايتها الطويلة (عينان من اشبيلية) وكانت قد بدأت بكتابتها في اسبانيا يوم كان قرينها سفيرا لسوريا في مدريد . وستصدر عن دار الكتاب العربي في بيروت . ومما يذكر ان هذه الرواية قد اطلع عليها احد المستشرقين الاسبانيين وهو ينتظر صدورها باللغة العربية لنقلها الى الاسبانية .

★ القى ميخائيل نعيمة محاضرة عن (الادب العربي قديمه وحديثه) في قاعة كلية التربية الوطنية بطرابلس . وقد اقام له ادباء طرابلس حفلة عشاء تكريمية كبرى في فندق المنزه . وقد اجرى نعيمة بطرابلس اتصالات مع لجنة جبران الوطنية ، لتسهيل مهمة البعثة الفنية الهندية التي ستصل قريبا الى لبنان ، لاخراج فيلم عن حياة جبران خليل جبران ، مأخوذا عن كتاب (جبران) تأليف ميخائيل نعيمة .

★ (اناشيد الالهة) قصة تأليف جوزيف ابي فرحات تقديم حسيب عبد الساتر صدرت حديثا في بيروت .

★ (اللاعائلية) كتاب صدر حديثا في بيروت تأليف خضر نبوه ويقع في 70 صفحة .

★ صدر في بيروت كتاب (الفروسيه في الشعر الشعبي السوداني) تأليف الاديب السوداني سليمان خالد عبد المحمود من السفارة السودانية في بيروت .

★ يقوم الدكتور جورج حنا بتأليف كتاب بسيكولوجي عن اللبنانيين يبحث في الشخصية اللبنانية وميزاتها السلبية والايجابية ،وهو كتاب نقد بسيكولوجي واجتماعي .

★ (فارس الخوري وايام لا تنسى) كتاب ضخم يقع في 528 صفحة من الحجم الكبير تأليف الكاتب السوري محمد الفرحاني . صدر مؤخرا في بيروت .

★ دفعت منشورات عويدات في بيروت الى مطبعتها رواية (شتاء البحر اليابس) للروائي السوري وليد اخلاصي .

★ اقامت جمعية الكشاف المسلم في لبنان الشمالي مهرجانا للعلم في طرابلس

★ صدر مؤخرا عن دار الكاتب العربي في بيروت الكتب التالية : (النار والكلمات) مجموعة شعرية لعبد الوهاب البياتي . (طاغور عبقرية الهمت الشرق والغرب) لكريشنا كريبلاتي ترجمة حسني فريز . (الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة) لامين سعيد . (اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين) لامين سعيد . (ادباء السجون) طبعة

★ نظم المركز الدولي للدراسات العليا الصحفية (بستراسبورج) ندوته الدولية التاسعة وكان موضوعها العام : « الاعلام الاقتصادي والمالي » . وتضمن المشتركون في هذه الندوة والبالغ عددهم 35 شخصا ، صحفيين واساتذة ، ومتخصصين في الشؤون الاقتصادية من اوربا وبعض البلاد القليلة النمو . وقد دارت مناقشات الندوة حول المشاكل التالية : تقديم المعلومات الاقتصادية في الصحافة اليومية المنتشرة على اطار واسع الاعلام الاقتصادي في الراديو والتليفزيون ، ووجهة نظر الاقتصاديين ورؤساء المؤسسات والنقابيين عن الاعلام الاقتصادي ثم اعداد الصحفيين في الشؤون الاقتصادية .

★ نظم المركز الدولي للدراسات العليا الصحفية الذي انشيء في كيوتو تحت رعاية اليونيسكو ، اربع حلقات دراسية دولية خلال العام الحالي موضوعها : الوضع الحالي للتعليم الصحفي ووسائل الاعلام » وقد انعقدت الحلقة الاولى في ميدان (بكولومبيا) من 8 الى 22 يناير واشترك فيها صحفيون واساتذة وخبراء من كولومبيا ، والاكوادور ، وبنما ، وبيرو وفنزويلا . اما الحلقة الثانية فانعقدت في مدينة مكسيكو من 22 فبراير وساهم فيها اشخاص وفدوا من كوستاريكا ، والجمهورية الدومينيكية ، وسلفادور ، وجواتيمالا وهاييتي ، وهوندوراس والمكسيك ، ونيكاراجواي . وستنعقد الحلقة الثالثة في بيونيس ايرس بالنسبة للارجنتين ، وبوليفيا ، وشيلي ، وباراجواي ، واوروجواي . في حين ستنعقد الحلقة الرابعة في ريو دي جانيرو بالنسبة للبرازيل وحدها .

★ اصدرت اللجنة الوطنية مؤخرا بمناسبة عام التعاون الدولي والعيد العشرين لهيئة الامم المتحدة نشرة مصورة من 40 صفحة بعنوان « انتبه لعالمك » وهي موجهة لجميع الاشخاص في الولايات المتحدة الامريكية الذين يرغبون في تحسين معرفتهم للعالم ولمشاكله وسكانه ، وللذين يودون كذلك الاشتراك في بعض نواحي النشاط الدولي .

★ عقد في بلغراد مؤتمر اشتركت فيه 18 دولة اوربية ، وضم مندوبين عن مجلاتها الادبية ، بحثوا خلاله وضع الادب الغربي الحديث ، وطالبوا بتعاون اوثق على صفحات المجلات الادبية بين مختلف التيارات الادبية .

★ صدر في لندن المجلد الثالث من تاريخ الغرب للسير جون باغوت (غلوب باشا) المجلد الجديد (تاريخ امبراطورية) ويقارن السير غلوب باشا بين اضمحلال الامبراطورية العربية السابقة واضمحلال الامبراطورية البريطانية في العصر الحديث .

★ المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس يعد باللغة الانكليزية كتابا عن الادب العربي في المهاجر الامريكية .

★ باشر عبد الله الجبوري امين مكتبة الاوقاف ببغداد طبع كتاب (فهارس البدء والتاريخ) مساعدة من المجمع العلمي العراقـــــــي .

★ (ديوان ليلى الاخيلية) جمع وتحقيق ابراهيم العطية وجليل العطية سيصدر قريبا في بغداد .

★ انتهى الاديب العراقي عبد الرحمن الربيعي من وضع رواية اسمها (القمر رهن الضباب) وقد كتبها بطريقة اطلــق عليها اسم (الكشف المطلق) .

★ فرغ الشيخ جلال الحنفي من اعداد الجزء الثانـــي من كتابه (مجمع اللغة العامية البغدادية) وقد دفع به الى المطبعة .

★ تدرس نخبة من رجال الفكر في السعودية حاليا فكرة انشاء لجنة ادبية للترجمة والتأليف والنشر تقوم بطبع المؤلفات السعودية ونشرها . وكذلك ترجمة الآثار الادبية والعلميـــة الصادرة باللغات العالمية وتحقيق المخطوطات ونشرها .

★ صدرت في بيروت مجموعة الشاعر ادونيس الجديـــدة (كتاب التحولات والهجرة في اقليم النهار والليل) وهذه هي المجموعة الخامسة بعد (قالت الارض) و (قصائـــد اولـــى) و (اوراق في الريح) و (اغاني مهيار الدمشقي) .

★ اعلن الملك فيصل عاهل السعودية تاييده للدعوة الى عقد مؤتمر قمة اسلامي . وذلك في المؤتمر الاسلامـــي العـــام الذي انعقد في مكة في دورته الثانية . وكان المؤتمر برئاسة الشيخ محمد بن ابراهيم المفتي الاكبر للسعودية ، واشتركت فيه وفود من مختلف الدول الاسلامية .

★ قررت الحكومة السعودية دفع مائة الف جنيه استرليني كمساهمة جديدة من الحكومة في تعمير المسجد الاقصى بالقدس

★ اصدر الشاعر ابراهيم علاف الطبعة الثانية من ديوانه (وهج الشباب) في مطابع مؤسسة مكة للاعـــلام . كما اصدر ديوانا جديدا عنوانه (الانام) .

★ من توصيات المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد مؤخرا بمكة المكرمة ما يلي : « ان الاسلام نظام يكفل حل المشكلات الانسانية ، وان مشكلة التخلف الاقتصادي في العالم الاسلامي لا يمكن حلها الا باعتماد على الاسلام . وجاء في التوصيات ايضا فيما يتعلق بالحقوق الفردية بان تكون مصونة ومحترمة ، وفي حدود ما تقضي به الشريعة الغراء ، كما وان للفرد حق البيت في الضمان من البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة ، وفي جميع الاحوال التي يعقد بها المرء وسائل معيشته . كما اقترح الدعوة الى انشاء سوق اسلامية مشتركة .

★ صرح ميخائيل شولوخوف اكبر كاتب سوفياتي معاصر بانه سيضع كتابا من ثلاثة اجزاء عن الحرب العالمية الثانية ، ويتابع الآن كتابة قصة (لقد دافعوا عن الوطن) التي بدأها عام 1934 وتتحدث هذه القصة عن بطولـــة الشعب السوفياتي في حربه ضد الفاشيستية ، كما صرح شولوخوف بانه سيجرب قوته لاول مرة في كتابة الدراما .

★ كان مقررا ان يسافر سارتر الى امريكـــا بدعـــوة من احدى جامعاتها هناك،ولكنه . نشر في مجلة (نوفيل اوبسرفاتور) حديثا يشرح فيه سبب رفضه لهذه الرحلة ، ذلك ان امريكـــا بتوسيعها الحرب في فيتنام تراجعت عن فهمها بان سياستهـــا خاسرة ، وبذلك لا يمكن ان توجد بيننا وبينهم لغة مشتركة ؟

ثم يتحدث سارتر عن اليسار في امريكا فيلاحظ ان وزنه السياسي معدوم للاسف . ثم يؤكد الكاتب الفرنسي الشهير ان ان الولايات المتحدة الامريكية ليست مركز العالم ، وقد تكون اكبر دولة في العالم ، غير انها بعيدة عن ان تكون مركزه .

★ ارثر ميللر مرشح لرئاسة نادي القلم في الدورة التي تبدأ في يوليو القادم . انفردت فرنسا بالاعتراض على ارثر مللير ورشحت كاتبا من جواتيمالا يعيش في ايطاليا الآن هو : ميجل استوريا .

★ معروض في عواصم العالم (سفر الرؤية) من الكتاب المقدس . وزن الكتاب 210 كيلو جرامات . غلاف هذا الكتاب من البرنز المطعم باللؤلؤ والماس . اللوحات الداخليـــة من رسم سلفادور دالي . بلغ عدد الذين رأوا هـــذا الكتـــاب حتى الآن سبعة ملايين شخص .

★ سصدر اليونيسكو باللغة الانجليزية كتابا عن الشعـــر البيلوروسي . وسيوزع هذا الكتاب في عـــدد كبير من بلدان العالم . وتوجد في الكتاب قصائد 77 شاعرا ، منها قصائد قديمة وقصائد في البطولة والغزل واغاني الفرح والاعراس ، وملحمة لشاعر مجهول في القرن التاسع عشـــر (غارس على بارناس) ويعطي الكتـــاب لمحـــة عن ابـــداع الشعـــراء الديمقراطيين في بيلوروسيا زمنا يعكس تطور الشعر بعد ثورة اكتوبر عام 1917

★ اضيفـــت ترجمتـــان انجليتـــان جديدتـــان مؤخرا الى المجموعة الهندية ، وهما : « كافيتافالي » لطولس ، وهو ديوان من الشعر الصوفي يرجع تاريخه الى مطلع القرن السابع عشر ، و « بانشاطانطرا » وهي مجموعة من القصص القديمة التي تصور المبادىء التي يرتكز عليها الحكام .

العائد

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد التاسع والعاشر — السنة التاسعة — ربيع الأول والثاني 1386 — يوليوز وغشت 1966

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

ثمن العدد درهم واحد

تحية

بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي الثالث بمدينة الدار البيضاء

ان مؤتمر القمة للدول العربية سيعقد دورته المقبلة ببلادنا وسيكون مقر المؤتمر مدينة الدار البيضاء التي سجلت صفحات خالدة في تاريخ الكفاح الوطني ضد الاستعمار والمستعمرين وانجبت من الابطال ما جعلها تحتل مكانة مرموقة بين عواصم العالم العربي . وبهذه المناسبة سيقتبل المغرب ملوك ورؤساء الدول العربية وبمعيتهم الشخصيات اللامعة التي توجه السياسة العربية ، كما سيتقاطر على بلادنا مئات الصحافيين من العالم باسره لاخذ لقطات وارتسامات عن هذا المؤتمر الذي يعد بحق حدثا تاريخيا هاما في نهاية هذه السنة وقبيل افتتاح الدورة المقبلة للامم المتحدة .

ومما لا شك فيه ان محادثات المؤتمر ومقرراته ستصطبغ بطابع الجدية والفعالية وستكون مناسبة لتصفية الجو وبعث الشعور بالقومية العربية في قالب يتفق مع ما تقتضيه الارادة الطيبة التي عبر عنها الملوك والرؤساء في مناسبات سابقة والتي ترمي الى البحث عن نقط ارتكاز تتبلور حولها المصالح المشتركة في الميادين الثقافية والاقتصادية والتجارية يضاف الى ذلك احكام الخطه لاحباط مساعي الاستعمار المقنع والمكشوف والدفاع عن الاراضي المغتصبة من الوطن العربي واسترجاع فلسطين وانصاف ابنائها البررة الذين شردوا وعذبوا واخرجوا من ديارهم .

ومما لا شك فيه ان مداولات المؤتمر ستتسم بالصراحة والبحث عن الحلول الواقعية التي لا ترتكز على العواطف وحدها .

ونحن نعتقد ان خطاب جلالة الملك الحسن الثاني ايده الله ونصره وجميع تدخلاته اثناء المناقشات ستكون صريحة وواقعية بناءة تتضمن الحلول الناجعة للقضايا المعروضة على بساط الدرس وستحظى بتجاوب تام مع اراء ملوك ورؤساء الدول العربية الشقيقة وستنبثق من هذا كله مقررات تكون في مستوى الاحداث وتضمن للعالم العربي الانطلاقة التي طالما ترقبها ليسير سيرا حيثثا نحو المجد والرقي والسعادة .

ويسر مجلة دعوة الحق بهذه المناسبة ان تحيي جميع الملوك والرؤساء الذين سيحلون ببلادنا وجميع من يرافقهم من الوزراء والشخصيات كما نرفع تحياتنا الى الصحافيين الذين يزورون المغرب بهذه المناسبة ونتمنى للجميع مقاما طيبا في ربوع قطرنا كما نضرع الى الله العلي القدير ان يجعل التوفيق والنجاح حليف هذا المؤتمر ويحقق به ءامال العروبة والاسلام انه سميع مجيب .

العدد التاسع والعاشر
السنة الثامنة
ربيع الأول - ربيع الثاني
1385
يوليوز - غشت
1965
ثمن العدد : درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم **الاوقاف** ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم **الاوقاف** ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

دعوة الحق

في افتتاحية العدد الاول من هذه السنة ، تحدثنا عن عزمنا الاكيد على تركيز هذه المجلة التي تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية لاداء رسالتها الاسلامية والثقافية ، وقلنا انذاك :

(ان هذه المجلة بهمم قرائها وكتابها لن تشتكي بعد اليوم فقرها في الانتاج القيم ، والغذاء الصالح ، وأملها ان يهب علماء الاسلام في كل قطر من اقطاره لرفع رايتــه ، واعلاء كلمة ((الحق))) .

ولقد استطاع القراء ، في كل مكان ، ان يلحظوا مدى الجهد الموصول الذي بذل لجعل هذه المجلة ، التي بقيت على المستوى المعهود ، الذي يتسم باصالة الفقه ، وعمق النظر ، وغزارة الفائدة ، ملتقى اقطاب الفقه والادب ، الذين يتنامى عددهم الاسهام في حقولها ، مستشعرين الشجاعة في مواطن ((الحق)) وحين البأس ، لتصحيح الزائف ، وتقويم المعوج ...

ولا غرو ، فقد انبثقت هذه المجلة الى الوجود وهي تحمل ((دعوة الحــق)) واسست على الهدى من أول يوم ، وظلت اوسع دائرة للتثقيف والتوجيه ، تنير الاذهان، وتهذب الافكار ، وتحمل سريرة طيبة صافية وقصارى جهدها أن تعمل على نشر آداب الاسلام ، واظهار حقائقه ، نقية من كل لبس ، واضحة من كل غموض ، تقـــذف ((بالحق)) على الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق ، كما كان رائدها الكشف عما الحق بالدين من بدع ومحدثات ، مقررة حقائقه على وجهها الصحيح ، داعية الى الفلاح بالتي هي ارفق ، وادعى الى القبول .

وقد حرصت منذ ان كانت على تمتين الصلات الروحية والفكرية بين اعضائها في الشرق والغرب ، وهكذا ، فقد استقطبت حولها صفوة مختارة من الباحثين ، ومجموعة من رجال الفكر والادب ، الذين اذكوا روح البحث والدرس في هذه البلاد ، وكشفوا للعقل آفاق المعرفة ، ونهجوا للنفس طرائق الكمال ، محاولين انتشال هذا الوطــن الغالي من ضروب التفسخ والانحلال ، عاملين على حركة البعث والنشور ، فاجتثوا



ابتسامة عذبة تبشر بالغد المشرق

بمناسبة ذكرى ميلاد صاحب السمو الملكي الامير المحبوب سيدي محمد ولي عهد المملكة المغربية وميلاد صاحبة السمو الملكي الاميرة لـلامريم يطيب لمجلة دعوة الحق ان ترفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم احر التهاني واطيب المتمنيات بهذه المناسبة السعيدة وان تبتهل الى الله العلي القدير ان يحفظهما ويرعاهما بعينه التي لا تنام وان يحقق لسيدنا المنصور بالله كل امانيه في اشباله الكرام .

وقد احتفل المغرب بهذه الذكرى المجيدة واقيمت الافراح والمهرجانات ، وقد ولد سمو ولي العهد المحبوب يوم الاربعاء فاتح ربيع الثاني عام 1383 الموافق لواحد وعشري غشت 1963 وازدادت سمو الاميرة لـلا مريم يوم الاحد 24 ربيع النبوي عام 1382 موافق 26 غشت 1962 .

قصة الإيمان بين العلم والفلسفة

للشيخ طه الولي

بعث الشيخ طه الولي سكرتير عام جمعية المكتبات اللبنانية فى بيروت كلمة قيمة كان قد ارسلها الى صديقه سماحة الاستاذ الشيخ نديم الجسر مفتيطرابلس ولبنان الشمالي فى تحليل كتابه القيم : ((قصة الايمان بين العلم والفلسفة والقرآن))

وقد أرسل الينا فضيلة الشيخ طه الولي بنص هذه الكلمة التي خص مجلتنا بنشرها ،

فله منا بالغ الشكر .

((دعوة الحق))

السلام عليكم ورحمة الله وبعد .

لم يخالجني ادنى ريب عندما اقبلت على مطالعة كتابكم القيم ، ((قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن)) انني بين يدي دراسة عميقة ومركزة تهدف الى معالجة موضوع فكري خطير شغل اذهان العلماء وأهل الراي فى مختلف أدوار التاريخ البشري ، منذ بدأ الانسان فى محاولته الاولى لادراك حقيقة وجوده والوصول الى تعليل الظواهر المختلفة التى تتحكم فى هذا الوجود ابتداء من اللحظة التي يبصر فيها نور الدنيا حتى يغمض عينيه فى غيابة المصير الاخير .

وليس بالامر اليسير ان يبحث الانسان فى حدود ذاته المتواضعة كيف ابتدأ ومن اين أتى؟ ولماذا هو موجود وكيف ستكون حقيقته بعد جسر الحياة التي هو فيها ؟ وماذا سيحدث له بعد ان يصبح فى بطن الارض وديعة غامضة بين يدي عالم آخر ليس له من عالمنا الذي نحن فيه الا الظنون والاوهام بما لا يقوم على اساس الحدس والتأويل .

ولعلني لا اهتك سترا ولا اكشف سرا اذا اكدت بهذه المناسبة ان هذه الاسئلة ستبقى عالقة فى اذهان البشر كلما حاولوا ان يتطالوا الى ما وراء المادة التي هم فى غمارها آناء الليل واطراف النهار لان هؤلاء البشر وفضول المعرفة بعضها من بعض كالضوء من المصباح فكل انسان يولد وفيه نزوع الى الفضول لا يملك ان يتخلص منه ولو اراد ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ويستوي فى هذا الفضول كافة الناس ، عالمهم وغير العالم لا تفريق فى ذلك بين طبقة واخرى من طبقات المجتمع ، ذلك ان العقل الانساني فى مختلف مستوياته يجد نفسه امام مشكلة فكرية واحدة ، اذا تفاوتت احجامها بالنسبة لكل فرد فانها لا تتفاوت منازعها بالنسبة للمجموع . وان كتابكم ((قصة الايمان)) قد اكد هذه الحقيقة الصادعة عندما تناول بجرأة وثقة الاسئلة المحرجة عن ((حقائق الاشياء)) وحاول الاجابة عليها من خلال آراء الفلاسفة ومذاهب العلماء وبلاغة الكتاب وخيال الشعراء ... حقيقة كل شيء وكنهه . واصله وغايته ما وراءه .. وما كان قبله .. من الذي خلقه ؟ ومن أي شيء خلقه ؟ ومتى خلقه ؟. وما هو هذا الخالق وما كنه ذاته ؟ وما حقيقة صفاته .. وما هو هذا الانسان وما حقيقته وما هو عقله وكيف يتم ادراكه وما مبلغ الادراك من الصحة وما هو الخير ؟ وما هو الجمال؟ ولماذا كان الخير خيرا والجمال جميلا ..؟ »

ولست هنا فى مجال تكرار الكلمات التي جاءت على قلمكم البارع فى صيغة علامات استفهام عميقة اطلقها الانسان القلق الذي جعلتموه فى كتابكم حيران بن الاضعف على نحو ما جعل ابن طفيل انسانه حي بن يقظان ولو شئت ان اتابعكم فى هذه العجالة لكان علي أن اكرر ما ذكرتموه سؤالا سؤالا وجوابا جوابا بيد انني اكتفي من ذلك بالتنويه الى ان القضية التى اخذتم نفسكم بالدفاع عنها قد جاءت اليوم وكأنها على ميعاد مع الظرف المناسب والمكان المناسب ايضا .

شجرة هذه الادواء ، أو كادوا ، وارسلوها (كلمة طيبة ، كشجرة طيبة ، اصلها ثابت ، وفرعها في السماء) كانت غذاء القلب ، وطمانينة الروح ، ومبعث حرارة تبعث الدفء في القلوب ، فتدفعها الى الامام ، وتملأها بالامل والرجاء ، مما نشيد لهذه المجلة ، التي تعمل لاقرار الحياة الفكرية على قواعد ثابتة ، واصول منتجة ، صرح مجدها خلال هذه السنوات الثمان التي تعتبر تاريخ نهضة ، وثرات فكر انساني خلاق .

كما انها قاومت البدع والاوهام ، وما لفق ضد الاسلام من ترهات واباطيل ، وانكر من بديهيات وحقائق ، وكشفت الغطاء عن السرائر ، ممن بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، فيذهب الباطل زاهقا ، وتبقى كلمة « الحق » هي العليا .

واهتمت بما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ، ومعضلات ذوقية ، فحللتها تحليلا علميا على ضوء التفكير القوي القويم ، والتعبير الدقيق المهذب ، اللذين يتمشيان وروح الاسلام ، ومقتضيات التطور ، حتى لا يبقى الفكر الاسلامي في عزلة عن أية مشاركة في تيار الحياة العالمية ، لان أحوال العالم — كما أراد الله — في تجدد مستمر ، وحاجات الناس في توسع مطرد ، وعقولهم في نمو متكامل ، فشرائعهم لا تقف بهم عند وضع واحد ، والا كانت الحياة جامدة هامدة ، ولامر ما يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها .

ونعترف بالعجز والتقصير عن مخاطبة جميع الذين آزرونا بالعون ، وآثرونا بالعطف ، وأمدونا بمنتوجهم الفكري ، وابحاثهم ودراساتهم ، او بتوجيهاتهم الرشيدة ، القمينة بالاكبار والاجلال ، وقد دفعتهم الغيرة والحمية على حقائق الاسلام أو القضايا الانسانية ، والشؤون الفكرية أو الادبية ، فلهم منا أصدق الشكر وأوفر الثناء .

واذا كان لابد من رد الفضل الى أهله ، والمكرمات الى منابعها ، فانه يجب هنا ان نسجل بكامل الفخر والاعتزاز ذلكم التشجيع الذي يوليه مولانا صاحب الجلالة الملك الصالح الحسن الثاني حفظه الله لهذه المجلة التي هي قبس من نور هديه ، ومرآة صافية من تربيته القومية ، وثقافته الاصيلة ، وخلقه السجيح ، ورقيه الصحيح .

وكما عودنا سبحانه التوفيق في البدء ، والنجاح في المسعى ، فانه سيقوي عزمنا لتحقيق الرسالة السامية التي يضطلع باعبائها قادة الرأي والنظر في هذه الامة المسلمة ، وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا .

دعوة الحق

يخرجونه للناس ضربا من الحديث المعاد والحلقة المفرغة التي تدور على نفسها . وهي طريقة فقدت الكثير من وقعها وتاثيرها واصبحت عاجزة عن تحقيق أى تقدم الى اهدافها التبشيرية . بينما اخذتم نفسكم بتجربة طريقة تنهض على سلسلة من الاراء التي كانت فى مفهوم الكثيرين حجة على الايمان لامعة فاذا بيراعكم الخصيب يميط عنها غشاوتها السلبية الجاحدة ، ويقدمها من جديد بثقة واطمئنان فى اطار من الايجابية المؤمنة لتصبح حجة دامغة فى صالح الدين وما يدعو اليه من رسالة الحق التى حمل كبرها الانبياء والمرسلون صدوعا بامر الله رب العالمين .

... هكذا اكزنوفيس ، ... ثم بارميندس ... وبعد هذا تلميذه مليسوس ومن ثم هرقليطى وامبدوقلس وديموقريطس واناكساتموراس ... الى سقراط وافلاطون وارسطو والبيقور واخيرا افلوطين صاحب المذهب الذي تفاعلت به بعض المذاهب الدينية المعروفة .. هذا الرهط كله من اساطين الفكر اليوناني القديم نأى بجانبه عن الاخذ بقصص الاولين واعرض عن التسليم بقدسية الاساطير التي لا تستند الى السلطان الحجة والمنطق السليم . وركز اهتمامه بالبحث عن الاله الحق .. فمنهم من اهتدى اليه ومنهم من عجز عقله عن تصوره .. ومنهم من اسلمه جهد البحث الى شرك الضلال فى الخيالات والاوهام .. بيد انهم جميعا كانوا مجتمعين على قاسم مشترك اعظم الا وهو (الايمان بفكرة الاله الحق المجرد عن صفات المادة ، من حيث يشعرون او لا يشعرون (1)

اذن ، فان اولئك النفر ممن خليت عقولهم مظاهر التفكير الفلسفي . لا سيما القديم منه وذهبوا الى انكار الخالق متوهمين بان ما ذهبوا اليه يعكس النتائج التي خلص اليها كمال العقل الانساني متمثلا بالفلسفة والفلاسفة ، ان اولئك النفر ليسوا على شيء ولو يسير من الحقيقة فيما يتوهمون وحري بهم ان يصبروا انفسهم مع اهل الفكر حتى تتكشف لهم اغراض هؤلاء وليتأكدوا من ان (الايمان بالله) كان وراء كل النظريات التي تمخض عنها الذهن العلمي للبشر ابتداء من بواكير خلجات البحث عن الحقيقة فى اعماق التاريخ السحيق حتى يومنا هذا الذي نصبح ونمسي فيه على دراسة الذرة وما يلازمها من خصائص واسرار (وان الفلسفة بحر على خلاف البحور ، يجد راكبه الخطر والزيغ فى سواحله وشطئانه والامال والايمان فى لجحه واعماقه .. كما تقولون .. أو كما يقول باكون : القليل منها يبعد عن الله اما الكثير منها فيرد الى الله (2) .

فيما تقدم بعض ملاحظات تخلفت فى الذهن عن مادة الكتاب وموضوعه لم ارد بها وفاء حقه علي ولا اداء واجبي نحوه ولكنها قطرات سالت على شباة القلم بين يدي رغبة ارجو تحقيقها فى مستقبل اطمح أن يكون قريبا واقدم فيها الشيخ نديم الجسر فى الاطار الذي هو له اهل من الكرامة والمكانة والعلم .

على انه قبل ان ارفع القلم عن هذه العجالة جدير بي ان اعرب عن شعور الطمأنينة اذ ارى مثل كفاءة الشيخ نديم الجسر تضع ثقلها فى ميدان يكاد يكون خاليا الا من خصوم الحق ورسالة الخلود شاغلا بذلك فراغا لا يمكن ان يسد غيره مسده وممهدا لمن يتحسس فى ذاته الغيرة والكفاية ان يشاركه فى شرف الوقوف عند حياض العقيدة الى ان يرتد الى العقول الحائرة قرارها والقلوب الخائفة أمنها ليدور الزمن دورته التي تعود بنا الى حيث تركنا السلف من العزة والمتعة وبهرة الحضارة .

بيروت ــ الشيخ طه الولي

---

1) ص24 من قصة الايمان
2) ص 207 من قصة الايمان

لقد حرصتم فى ((قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن)) على مواجهة ((الظروف السيئة)) التي تجتازها فكرة ((الله)) فى اوساط الشباب العربي بعد ان تسربت اليهم تيارات غريبة لا نريد ان تترك ((للدين)) سبيلا الى قلوب تتحفز لان تخفق يوما على ايقاع رسالة عبقرية ذهبتأصولها فى صميم المفاهيم الانسانية التى عاشها اباؤنا حين فجرت دعوة الاسلام طاقاتهم لابتداع الحضارة التي تركت فى الدنيا دويا حتى كانما تداول سمع المرء انمله العشر .

اجل ، فى الظرف المناسب والوقت المناسب نزل كتابكم الى الميدان ليخوض معركة الايمان بالله مع اولئك الذين يريدون ان يجعلوا من هذا الايمان مرحلة بدائية ناءت تحت عبء التطورات الفكرية الحديثة ولم تعد تملك القدرة على الصمود فى الواقع الانساني كعنصر اساسي فى بناء الحضارة والتقدم والازدهار .

والذى يبدو للمراقبين من اهل القلم والمفكرين ، ان الملابسات التي تكتنف افكار الناس فى هذه الايام تبدو وكانها بوادر تحول اساسي فى اسلوب الحياة على مختلف افانينها وضروبها فنحن بالفعل بين يدي ثورة انقلابية حادة لا يخلو من تأثيرها ابناء هذا الجيل المعاصر سواء فيما يتصل بشؤونهم المادية او النفسية ولست اجور بالقول ولا اجنح للمبالغة اذا اكدت بهذه المناسبة ان البشرية لم تشهد فى تاريخها الطويل وفى اى مكان اصابته رعشة الحياة من هذا العالم .. اقول ان البشرية لم تشهد مثل ما هي فى صدده اليوم من الانسلاخ عنكل شيء قديم والاقبال على كل شيء جديد من غير ان يكون للانسلاخ والاقبال فى كثير من الاحيان مبرر جدي يتعدى شهوة التغيير وما هو مالوف من متابعة الضعيف للقوى والصغير للكبير ولا سبيل للحكم على هذا الوضع المثير الذي اصبح حقيقة لا سبيل الى انكارها او تجاهلها ، الا من خلال الاعتراف بان المجتمع البشري يعاني اليوم جهدا ذهنيا مضنيا جعله يتقبل الانعطاف معالتيار الثوري الذي يعصف بقادته ملقيا بهم فى دوار لا يعرف الرفق ولا الهوادة ولا الاعتدال .. وانه ليصح القول بان العصر الذي نمر به اليوم هو عصر الثورة بكل ما يفهم من هذه الكلمة من معطيات التطرف والجموح والاضطراب بين المتناقضات . والحكم على زماننا بانه عصر الثورة ليس فى حاجة الى الشواهد التي تؤكده أو تبرره . وعلى الرغم من ان الفكر لا يستطيع ان يحصر كافة العناصر التي ينهض عليها المجتمع الذي هو فيه لانه يعجز عن الاحاطة بها وهو فى غمارها .. على الرغم من ذلك فان خصائص هذا العصر القائم بلغت من الحدة والبروز والتاثير بحيث يمكن لاي انسان أوتي مسكة من الادراك العلمي ان يلمس لمس اليد انه يعيش الثورة التي يتميز بها عصره فى كل لون من الوان الحياة المحيطة به .

ولا سبيل الى التكهن عن المدى الذى ستبلغه هذه الظاهرة كما انه لا سبيل الى تعيين الآثار التي ستترتب عليها فى النهاية الا اننا نستطيع ان نزعم بان القيم المعنوية المتوارثة تستدرج اليوم لمأزق حرج جدا قد يؤدي بها الى التخلي عن مكانتها فى نفوس الكافةوافساح المجال لقيم أخرى نعرف كيف تبتدىء ولكننا بكل تأكيد لا نعرف كيف تنتهي وتستقر ..

ومن هنا قلت ان كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن يبدو وكانه مغامرة جريئة وعبقرية فى وسط محفوف بكل عوامل التنكر للايمان والفلسفة والعلم والقرآن .

والخوض فى حديث ما وراء الطبيعة يتراءى اليوم عبر كسف صفيقة من الجمود والافكار والكفران بعد ان غشيت افكار ابناء هذا الجيل موجة عاتية من النظر الى الكون على انه واقع عفوي تكامل بفعل توافق القوى المادية مع المفاعلات الكيماوية البحتة من غير ان يكون وراء ذلك موجبات اخرى تواضع من قبلنا على تحديدها بواجب الوجود وهذا ما يحملنا على اكبار الجهود التي تصديتم لها فى رحلتكم الطويلة مع اولئك الرجال الذين انفقوا حياتهم وهم يقدمون الدليل تلو الدليل على ان الحياة وما تنطوي عليه من حيوان وجماد ليست صدفة مجردة بدأت من المجهول وسوف تنتهي الى المجهول كذلك ، دون ان تعنى حكمة او تهدف الى غاية .

ولا ريب فى انكم وفقتم الى اقناع الكثيرين من المترددين والقلقين والحائرين بان الايمان بوجود الخالق ليس فى جوهره نتيجة حتمية لليأس والعجز والقصور ولا هو مجن يتقي به العقل الانساني محاذير وهمية تراكمت عليه وهو يبحث عن طريق الخلاص من مخاوفه الذريعة التى تمخضت فيه وهو ينظر بجزع قاتل الى المصير الذي لا مفر منه : الموت .

واستطيع ان اقول بان دعوتكم الى الله سلكت سبيلا جديدا لم تحرثه شباة قلم من قبل ، لا من شيوخ الاسلام ولا من كهنة بقية الاديان التي تدور فى فلك السماء فلقد عودنا هؤلاء واولئك ان يشقوا طريقهم الى غرضهم من خلال الاساليب التقليدية التي تعتمد على ما جاء فى الكتب الروحية التي تحدد معتقداتهم وطقوسهم مجترين بذلك الحجج التي رددها العشرات والمئات من امثالهم الذين سبقوهم فى القرون الخالية حتى اصبح ما

حضارة الاغريق والرومان ومن سبقهما من البابليين والاشوريين والانباط والفنيقيين والعبريين ، وبين الحضارة القرآنية الاسلامية لم يكن له من وجود الا في ثنايا عقولنا الضيقة) ، ويقول : (وبحسب النظرة السطحية يبدو ان القرآن « اخذ » من عالم الكتاب – بنى اسرائيل – « كذا » اكثر مما اخذه من عالم الحكمة – اليونان – « كذا » وليس الامر كذلك بل فقد « نقل » القرآن لنا من الحكمة ما لا يقل « اخذه » من الكتاب مع الزيادات القيمة والتعليقات الموجهة ، والتعديلات القومية) ويقول : (واستعمل « القرآن » المحاورات السقراطية) (فقد « استخدم » القرآن المنطق الاغريقي) ويقول : (و « استخدم » القرآن نفس القواعد الراقية التي استخدمها الروم) ويقول اخيرا في كلمة جامعة لكل جوامع كلمه السابقة : (فاخذ القرآن من كل امة احسن ما عندها) . اقول ، انت وانا حين تسمع هذه الاقوال وغيرها مما جاء في صلب المقال من الاستشهادات المؤيدات سدت عليك ابواب الفهم ، في محاميل الكلام ، غير ان تفهمه على ما اراد به صاحبه من ان يفهم وهو انه يعني بقوله : (ثقافة القرآن) القرآن نفسه ، واصدر الحكم على هذا القرآن بانه (ثقافة عالمية) ثم اخذ يستدل على هذا الاتحاد الثقافي بين القرآن وغير القرآن بما اخذه القرآن ونقله واستعمله واستخدمه من مخلفات الثقافات السابقة ، وقواعدها الراقية ، واساليب فلاسفتها في الحوار وفي المنطق ، حوار سقراط ، ومنطق ارسطو ، وعلى هذا فالاضافة في قول الكاتب (ثقافة القرآن) ليست اضافة محضة معنوية كما سبق ، بل هي اضافة بيانية المقصود منها القرآن نفسه على مثل الاضافة في قول الله تعالى : (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فالمقصود من الآية هو الليل نفسه ، والنهار نفسه ، لان الله قال من قبل (وجعلنا الليل والنهار آيتين) وحينئذ فقد اختلط مفهوم لفظة (ثقافة) بمفهوم لفظة (القرآن) واصبح القرآن الذي نفى الله عنه الحدث فقال (وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم) وقال (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال الحافظ البيهقي (1) : (فاخبر انه كان موجودا مكتوبا قبل الحاجة اليه في ام الكتاب ، واخبر ان القرآن كان في اللوح المحفوظ ، يريد مكتوبا فيه ، وذلك قبل الحاجة اليه ، وفيه ما فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد ، والخبر والاستخبار) قال : (واذا ثبت انه كان موجودا قبل الحاجة اليه، ثبت انه لم يزل كان) (2) اصبح القرآن الذي هو بهذه المثابة عند الله وعند المسلمين ، والذي سبق ما سبق في تعريفه عند علماء اصول الدين واصول الفقه ، اصبح (ثقافة) ، وهي ما هي مشروط في تعريفها الجهد المحدث ، والممارسة المتغيرة ، والتجارب المتتابعة والاختبارات اليومية والقصد الانساني المعزوم ، وليس شيء من ذلك على الله بجائز في فطرة العقل ، ومنطقة الايمان ، وعقيدة القرآن ، ثم وليس بجائز ايضا في فطرة العقل ، ومنطقة الايمان ، وعقيدة القرآن ان نحكم على القرآن نفسه بانه (ثقافة عالمية) ، اذ لا يمكن ان يفهم بهذا الحكم الا على انه احدى تلك التجارب وانماط السلوك التي اكتسبتها شعوب العالم ، وانه فوق ذلك نقل واخذ واستخدم واستعمل كل ما في الثقافات البشرية المحدثة من محاسن وفضائل ومزايا .

لقد اتفق علماء المسلمين على ان القرآن معجزة المعجزات بالنسبة الى رسالة محمد (ص) وقد عبر القرآن نفسه عن صفة الاعجاز هذه حين قال الله: (قل:لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ، ولست ادري كيف يعقل ان تكون هذه المعجزة الالهية التي يعجز الانس والجن عن ان ياتوا بمثلها او بمثل سورة منها حتى ولو بذلوا في ذلك من الجهد والتعاون مبلغ النهاية ، مستمدة وآخذة من اعمال هؤلاء العاجزين ؟ .

ان الكاتب اذا الف كتابا ، او كتب مقالا في اي موضوع من موضوعات العلم الخاصة او العامة ، لا بد ان يكون كتابه ذاك او بحثه هذا ، مستمدا من مصادر مسموعة او مقروءة ، او تجارب محسوسة ممارسة بالعقل او بالحس ، وهو في هذا لا محيد له من الافتقار الى مراجعة الذاكرة او الكتاب لتصور المعلومات ، واصدار الاحكام ، فكيف يسوغ في شريعة العقل الصحيح ، والايمان الراسخ ، والمنطق الفطري ، ان الرب الحكيم العليم جل جلاله ، افتقر في انشاء القرآن المنزل على محمد (ص) الى كل امة من الامم التي خلقها وما عملت ، فجعل من احسن اعمالها (ماخذا) لكتابه القديم المعجزة ؟ (والله خلقكم وما تعملون) (قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) .

ان الله قد وصف كتابه القرآن في القرآن بانه (تنزيل من حكيم حميد) وبانه (وحي يوحى) وبانه روح من امره (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) ووصف اولئك الذين قالوا (اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا) وقالوا : (واعانه عليه قوم آخرون) وصفهم بانهم (جاءوا ظلما وزورا) ورد عليهم فقال : (قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض) ، ووصف النبي (ص) فضل ما نزل عليه من القرآن على غيره فقال : (ما من نبي من الانبياء الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا) (3) وقال (فضل

---

1) المحدث الكبير ، والاصولي الفقيه المتوفى سنة 458

2) الاسماء والصفات للبيهقي ص 229

3) البخاري ومسلم واحمد .

ثقافة القرآن، والثقافة العالمية

للأستاذ : محمد الحمداوي

-2-

كان المعنى الذي حملنا عليه التركيب (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) في المقال السابق ، هو المعنى الذي تقتضيه دلالة الالفاظ والتراكيب عند صرفها الى اقرب واوضح معانيها ، وقد كان الخطأ فيه بناء على ذلك المحمل بسيطا لا مركبا ، اذ كان خطأ في الحكم لا في التصور ، فتصورنا (ثقافة القرآن) ـ باعتبار ان الاضافة محضة معنوية كما سبق ـ على انها انواع من التجارب العلمية والعملية ، وانماط السلوك التي اكتسبها المومنون بالقرآن ، والمتبعون لهديه ، والملتزمون للعمل تبعا لتعاليمه ، تصور صحيح . ولكن حكمنا على هذه الثقافة بانها ثقافة عالمية بالمعنى السابق كان حكما خاطئا ، ومبعث الخطأ فيه هو الخلط بين انواع من مكتسبات انسانية نوعها اختلاف الزمان والمكان ، واختلاف المؤثرات البيئوية والوراثية التي جعلت لكل ثقافة انسانية ميزتها الخاصة بها ، في هذه الحقبة من الزمان دون تلك وفي هذه التربة دون الاخرى ، وبتأثير هذا العامل دون ذاك .

فهل يمكن ان يكون الكاتب قد عنى بقوله (وثقافة القرآن ثقافة عالمية) معنى آخر غير المعنى الذي سبق ؟ بحيث يكون خطوءه على غير الاساس الذي سبق ، او يكون صوابا كله ، تؤيده حجج العقل ، ودلائل الشرع ؟ .

كان يمكن ان يحمل الكلام على ان المقصود منه هو النص على ان ثقافة القرآن هي احدى انواع الثقافات العالمية التي اكتسبها الانسان منذ ان بدأ تجاربه الثقافية على هذه الارض ، ويكون حينئذ قولنا ان (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) كقولنا : ثقافة الهند ثقافة عالمية ، وثقافة الصين ثقافة عالمية ، وثقافة اليونان ثقافة عالمية ، وثقافة الانباط ثقافة عالمية ، وثقافة الغرب ثقافة عالمية ، ولكن الاخبار بهذا المعنى هو من البداهة بحيث يكون من باب السماء فوقنا ، والارض تحتنا ، واقوال العلماء ـ كافعال العقلاء ـ يجب ان تصان عن العبث ، فليس هناك من هو في حاجة الى الاخبار بان كل ثقافة انسانية هي ثقافة عالمية ، فالجميع يعرف ان الثقافات الانسانية هي جميعها، وفي مختلف اطوارها وعصورها ثقافات (انسية) فما هي (ملكية) ولا هي (جنية) ولا دخل لعالم ما وراء الانسان فيها .

وليس هناك من كلام يمكن ان يكتب على هذا العنوان بهذا المعنى لشرحه وتفسيره .

وكان يمكن بمعنى آخر ان تغمض العين عن دلالة الالفاظ عما وضعت له ، وان نؤول الكلام على انه تجوز واسع في التعبير ، القصد منه هو النص على ان ديانة القرآن ديانة عالمية ، اي ان دعوة القرآن دعوة عامة ، وان الاسلام جاء لاصلاح جميع شؤون البشر حال نزول القرآن وبعد نزوله الى يوم القيامة ، وهذا المعنى ـ لو قصد اليه الكاتب ـ معنى صحيح تقره براهين العقل ، ودلائل الشرع ، وهو المعنى الذي نفهمه حين نتلو الآية الكريمة متحدثة عن القرآن (ان هو الا ذكر للعالمين) وحين نتلو الاية الكريمة متحدثة عن رسول القرآن (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وحين نستمع الى الحديث الشريف الذي تحدث فيه النبي (ص) عن عموم بعثه فقال : (.. وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة) (1) وهو المعنى الذي عناه جعفر الصادق عند ما سئل : (ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس الا غضاضة ؟ ، فاجاب : ان الله لم يجعله لزمان دون زمان ، ولا لناس دون ناس) (2) وهو المعنى الذي قصد الى بيانه الاستاذ رشيد رضا حين الف كتابه «الوحي المحمدي» ، والاستاذ فريد وجدي حين الف كتابه (الاسلام دين عام خالد) والاستاذ عبد الرحمن عزام حين الف كتابه (الرسالة الخالدة) . وقصد الى بيانه غير هذا وذينك من علماء المسلمين والمنصفين من غير المسلمين . ولكن مهما تجتهد انت وانا لنعرف الكلام الى اي معنى من المعاني السابقة مهما كان خطوءها او صوابها ، فان مقصد الكاتب في صلب المقال الذي جعل التركيب (ثقافة القرآن ثقافة عالمية) عنوانا له ، ملتمسا تفسيره منه ، ومدلولا على معناه به ، لا يساعدك ويساعدني على ذلك ، لانك حين تسمعه يصرح ويقول في تثبيت وصرامة : (ان ما كنا بعدا بين

---

1) البخاري ومسلم والنسائي

2) الابحاث السامية ج 1 ص 14

محمد البشير الابراهيمي، فقيد العروبة والإسلام

بقلم القائد العربي المجاهد عبدالله التل - حاكم القدس سابقاً

الزمان : الثلث الاول من القرن العشرين ، والمكان جزء عزيز من ديار العروبة والاسلام هو الجزائر ، وأوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية يصورها :

استعمار فرنسي عمره مائة عام ، قضى على كيان البلاد السياسي ، وادخل فى روع الغرب المستعمر ان الجزائر فرنسية لانها – بحسب رايه – امتداد لارض فرنسا يفصل بينهما البحر ، وتغلغل فى نفوس عدد كبير من عرب الجزائر انفسهم فجعلهم بمختلف الوسائل ، يرددون دعوى فرنسا الفاجرة ومنطقها العجيب المستهجن .

واقتصاد وطني منهار ، بعد ان اغتصب الفرنسيس فى مدى قرن كامل ملايين الافدنة من الارض الخصبة ، ونهبوا موارد البلاد وخيراتها ، واحتكروا التجارة والزراعة والصناعة ، وحولوا شعب الجزائر الى قطيع من العبيد لاعمل له سوى تأمين رفاهية السادة المستعمرين ، وتموين فرنسا بالخمر الذي يستقطر من اعناب كروم الجزائر ، وتموين غرب اوربا بالقمح الذي تنبته حقول الجزائر .

وثقافة فرنسية استعمارية ، هدفها تخريب العقول والنفوس ، وتحطيم الشخصية العربية الاسلامية ، والقضاء على اللغة العربية لانها لغة القرآن ، وافتشاء الامية حتى زادت نسبتها فى الشعب الجزائري على 90 ٪ ، وخلق الدسائس والفتن لتمزيق الشعب واقناع البربر انهم جنس آخر يختلف عن عرب الجزائر

وحرب سافرة ظالمة لا رحمة فيها ولا هوادة ، تشنها فرنسا « ام الحربة » على الدين الاسلامي الذي يدين به الشعب العربي فى الجزائر ، كما يدين به الشعب العربي فى المغرب وتونس وليبيا بلا استثناء ، حتى اننا لانكاد نجد جزائريا او مغربيا او تونسيا او ليبيا واحدا يدين بغير الاسلام ، والذين يعيشون في هذه البلاد من غير المسلمين هم من يهود الغرب ومسيحييهم . ومع هذا فقد عمدت فرنسا طوال سني استعمارها اللعين ، الى محاربة الاسلام فى لغة الاسلام، لغة القرآن . كما حاربته بنشر الخرافات والبدع وتشجيع الزوايا والطرق التي يديرها مسلمون من عملاء فرنسا . وحاربته منذ اليوم الاول الذي دنست فيه اقدامها ارض الجزائر، يوم صادرت اموال المسلمين واوقاف المسلمين ومساجدهم وحولت بعضها الى كنائس .

وحاربته يوم جعلت من حكوماتها وحكامها أوصياء على الاسلام ، ووضعت القوانين التي تعطي الادارة الفرنسية حق الاشراف على الشؤون الاسلامية، وسيطرت بذلك على على اركان الاسلام الاربعة : الصوم والصلاة والحج والزكاة .

فاصبح الشعب الجزائري المسلم يصوم ويفطر ويعبد بحسب الاوامر الذي يلقيها المدير الفرنسي . ويصلي وراء الائمة الذين يختارهم الحاكم الفرنسي من بين الخونة والجواسيس ويحج الى بيت الله الحرام بالرخصة الفرنسية التي لا تعطى الا بالرشوة ولعدد زهيد من افراد الشعب .

ويخرج بعضه فى الخفاء ، زكاة رمزية ، لانه شعب فقير معدم ، نهب الفرنسيس وطنه وثروات بلاده فلم يبق عنده مال يزكيه .

ولم تستطع فرنسا السيطرة على الركن الخامس وهو الشهادة ، لان الانسان قد يتلوها فى سره ومن غير ان يسمعها الجندي الفرنسي .

كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه (1) قال الحافظ ابن حجر فيما نقله من معاني الحديث الاول (ان القرآن ليس له مثل لا صورة ولا حقيقة) ((2) وقال (فلما كان لا شيء يقاربه فضلا عن ان يساويه كان ما عداه بالنسبة اليه كان لم يقع (3) فكيف يجتمع هذا الوصف الالهي والنبوي للقرآن الكريم وفهم العلماء لمعنى هذا الوصف ، مع وصف من وصفه بالاخذ والنقل والاستخدام والاستعمال لما انشأه خلق الله من الثقافات والعلوم واساليب الحوار والمنطق ؟

وصدق من قال :

العبد عبد وان تعالى والرب رب وان تنزل

وعند ما اراد السيوطي ان يتكلم على بعض الآيات التي يكون نزولها في القرآن قد اتفق مع نزولها في غير القرآن من كتب الله السابقة ، لم يقل ان القرآن كتاب لاحق ، اخذ ونقل من كتب الهية سابقة ، وانما قال : (ما انزل منه على بعض الانبياء وما لم ينزل منه على احد قبل النبي) فلم يحد السيوطي عن لفظ النزول قيد انملة ، اذ الله ليس محتاجا لان ياخذ من كتبه تلك — بله كتب واعمال خلقه — ما يضعه في كتابه هذا ، على ان المختار عند العلماء ان المراد بتوافر نزول بعض الاي في القرآن وفي غير القرآن من كتب الله السابقة توافق في المضمون لا في اللفظ لما اختص به القرآن من وجوه الاعجاز دون سائر الكتب الالهية السابقة .

ونحن عندما نسمع الاستاذ يتحدث عن مآخذ القرآن ويقول : (واستخدم القرآن نفس القواعد الراقية التي استخدمها الروم) (واخذ القرآن من كل امة احسن ما عندها) ، ينصرف ذهننا اول ما ينصرف الى القانون الروماني الذي هو ارقى ما تركه الرومان من قواعد ، وفي هذا الباب نكتفي بان نضع بجانب قول الاستاذ الوزاني قول عالمين اجنبيين عن الاسلام ، يردان على اولئك الذين زعموا ان الفقه الاسلامي متاثر بالفقه الروماني ، قال الاول وهو الاستاذ نالينو المستشرق الايطالي الشهير ، بعد ما سرد كثيرا من الفروق الواضحة بين الفقه الاسلامي والفقه الروماني : (انهم اهملوا الفارق العظيم الذي يوجد بين الغرب القديم وبين العالم الاسلامي في تصور القانون ومصادره ، فقد توجد امثلة من الافكار والنظم راسخة ومنتشرة في العالم الهليني الذي فتحه العرب ، ومع ذلك فان هذه الافكار والنظم لم تنجح في ان تنفذ الى الفقه الاسلامي) (4) وقال الثاني وهو الفقيه الفرنسي زيس (ZEYS) : (اني احس حينما اقرأ في كتب الفقه الاسلامي اني نسيت كل ما اعرفه من الفقه الروماني ، فبينما يعتمد قانوننا على العقل البشري تقوم الشريعة على الوحي الالهي ، قال : فكيف يتصور التوفيق بين قانونين وصلا الى هذه الدرجة من الاختلاف (5) فاذا رفض علماء اجانب بناء على ما اهدتهم اليه ادلة البحث العلمي ان يقبلوا تاثر فروع الشريعة بقوانين الرومانية ، فكيف ساغ لعالم مسلم ان يقول ان اصل اصول الشريعة وهو القرآن ان تاثر بقواعد الروم الراقية ؟ .

ثم كيف يستطيع القارىء ان يجمع بين قول نالينو (انهم اهملوا الفارق العظيم بين العرب القديم وبين العالم الاسلامي) وقول زيس (كيف يتصور التوفيق بين قانونين وصلا الى هذه الدرجة من الاختلاف) وبين قول الاستاذ الوزاني: (ان ما كنا نعده بعدا بين حضارة الاغريق والرومان ومن سبقهما ، وبين الحضارة القرآنية الاسلامية لم يكن له من وجود الا في ثنايا عقولنا الضيقة) ؟ .

اظن اننا هنا في حاجة الى الاتيان ببعض اقوال علماء المسلمين المعاصرين للتحكيم بين قولي العالمين الاجنبيين والعالم المسلم فلنستمع اذن الى الاستاذ محمد ابى زهرة استاذ الشريعة الاسلامية بكلية القاهرة وهو يقول : (ان القانون الروماني هو خلاصة ما وصل اليه العقل البشري في مدى ثلاثة عشر قرنا في تنظيم الحقوق والواجبات ، فاذا وازنا بينه وبين ما جاء على لسان محمد النبي الامي انتجت الموازنة ان العدل فيما قاله محمد ليس من صنع بشر ، انه الحكيم العليم اللطيف) (6) والى الاستاذ عبد القادر عودة حين يقول (واذا استساغت عقول البشر ان تصنع ما يصنعه مخلوق في مستوى ما صنعه مخلوق آخر ، فان هذه العقول لا تستسيغ باي حال ، ان تضع ما يصنعه المخلوق في مستوى ما صنع الخالق ، لانها تدرك الفرق بين الصناعتين ، وتحس المدى الواسع بين الصانعين ، ولا شك ان العقول التي تدرك هذا جديرة بان تدرك الفرق بين الشريعة الاسلامية وهي من صنع الله ، وبين القوانين الوضعية وهي من صنع البشر (7)

وبعد فقد تلمست كثيرا عساني اعثر على دليل واحد ، او شبهة واحدة على الاقل ، ادرأ بهما ثبوت الخطأ فيما قاله الاستاذ الوزاني عن عالمية (ثقافة القرآن) بكل ما يمكن ان يتحمله اللفظ من وجوه الاحتمال فلم افلح ، وانما وجدت الدلائل تتراكم على عكس ما قال وقرر . وفي عدد مقبل ان شاء الله سنتناول بالبحث الشواهد والمؤيدات التي اتى بها الاستاذ تثبيتا لنظريته والتي قالت مقدمة تحرير « دعوة الحق » انه قد ابتعد بها في بعض جوانبها عن النظريات المعروفة .

الدار البيضاء : محمد الحمداوي

---

1) الترميذي — 2) فتح الباري ج 9 ص 5 — 3) فتح الباري ج : 13 ص 211 .
4) الفكر القانوني الاسلامي لفتح عثمان ص 94 .
5) المصدر السابق ص 103
6) شريعة القرءان ص 11 — 12 .
7) التشريع الجنائي الاسلامي : ج 1 ص 5 — 6 .

ونجح الابراهيمي فى ابراز الشخصية الجزائرية العربية المسلمة ، بعد ان احالها المستعمر خيالا ووهما. ونجح فى تجديد شباب الاسلام ، ومسح عنه الغبار الذي تراكم على مر السنين بفعل الاستعمار والتبشير

ونجح الابراهيمي فى خلق جيل من الشباب العربي الجزائري المؤمن بعروبته ووطنه ودينه . وكان ذلك الجيل هو نواة جيش التحرير الجزائري الذي خاض معركة المليون شهيد ، وحرر الجزائر من استعمار مدمر دام 132 عاما . ولولا جهود جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر وكفاح رئيسها ابن باديس والابراهيمي لما قامت ثورة الجزائر فى غرة نوفمبر 1954 . ولولا الجيل الذي رباه البشير الابراهيمي ومعاونوه من علماء الجزائر ، لما استطاع شعب الجزائر ان يقدم للثورة وقودها من شباب محمد الذين انتظموا فى قوافل لاعد لها ولا حصر ، باذلين دماءهم وارواحهم فى سبيل الله وفى سبيل الوطن .

وعلى الجانب العربي العام وقف البشير الابراهيمي حياته على الذود عن حياض العروبة والاسلام ، من الرباط غربا الى اندونيسيا شرقا ، ومن القرم والتركستان شمالا الى حضرموت جنوبا . ولم يكن فى يوم من الايام اقليميا يعمل للجزائر وحدها او للشمال الافريقي وحده . ولم يكن عنصريا يدعو الى قومية ضيقة . بل كان انسانا واسع الافق كبير القلب نقي الضمير ، يدعو الى وحدة اسلامية تسبقها بالضرورة وحدة عربية تقوم على دعائم راسخة من الايمان بالله والايمان بهذه الامة التي شرفها الله بحمل رسالة الاسلام .

والبشير الابراهيمي الذي خبر دسائس الاستعمار وذاق من ويلاته وجرائمه ووحشيته ، لم يترك فرصة تمر الا اهتبلها لتسخير قلمه ولسانه وطاقاته العديدة ، من اجل الدفاع عن الاقطار العربية التي ابتليت بالاستعمار .

دافع عن حرية المغرب الاقصى ، وعن حرية تونس وليبيا ومصر وسوريا والعراق وفلسطين ، كما دافع عن مسلمي الهند وروسيا والصين . وعاش الابراهيمي معارك الكفاح والتحرير التي خاضتها الامة العربية من محيطها الى خليجها . عاش احداث العروبة والاسلام وتفاعل معها وانفعل بها . دعا الى الاتحاد والوحدة ، وندد بالانقسام والفرقة ، افحم الفرب المستعمر وابطل دعواه وانكاره عروبة الشمال الافريقي وكونه من صميم ديار العروبة والاسلام .

وتغنى الابراهيمي بالازهر واثره فى الثورات المصرية المتتابعة وفضله على العالم الاسلامي . ودعا الى تطوير التعليم فى الازهر ليزاوج بين علوم الدين وبين علوم الدنيا . ويهيىء ابناءه لان يكونوا رجال دين ودنيا .

ولفلسطين من كفاح الابراهيمي سهم وافر . فقد اعتبرها قضية العرب والمسلمين الاولى ، ومشكلة المشكلات فى العصر الحديث . نبه لاخطار الصهيونية وحذر من الاعيب اليهودية العالمية ومكرها وخداعها قبل ان تقع الكارثة . وحين ضاعت فلسطين اصيب الابراهيمي بجرح لم يندمل ابدا . وبكاها دما ، وندد بالعرب والمسلمين الذين فرطوا فى الامانة وما استطاعوا نيل شرف حماية بيت المقدس من الغزو الصليبي الجديد ، الذي تستر فى هذه المرة من وراء راية صهيون . ولا غرابة فى هذا ، فالابراهيمي كان يرى ان فلسطين احق بالحماية والرعاية من الجزائر وطنه الاول . وكان يرى ان بيت المقدس جزء من الدين الاسلامي ، وواجب الدفاع عنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

ولم ترض همة الابراهيمي بالاطلاع على المشكلات العربية الاسلامية والاسهام فى حلها وهو جالس فى وطنه الاول الجزائر ، وانما رحل الى المشرق العربي والمشرق الاسلامي اكثر من مرة زار بلاد العرب والمسلمين وعاش فى سوريا ومصر مهاجرا فى سبيل الله مبتعدا عن ظلم الفرنسيس : زار فلسطين والحجاز وتركيا وافغانستان وباكستان واندونيسيا وايران . وكان فى جميع اسفاره داعية خير ومحبة وتوفيق ووحدة . فرق فى علاقاته بين شعوب الاسلام وحكامها، فاحب الاولى وبذل فى سبيلها من علمه وفضله وصحته ، وتعالى على الحكام الذين يسيرون فى ركاب المستعمر عدو العرب والاسلام ، ولم يتوان عن لومهم وتوجيه النقد لهم وتبصيرهم بعاقبة ذلهم وخيانتهم . وكان الابراهيمي فى حله وترحاله يعرف العرب والمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، بحقيقة المأساة الجزائرية ، فعرف الناس الجزائر بعالمها وسفيرها الابراهيمي

وفي السنوات التي قضاها الابراهيمي فى مصر، سعدت بأن اكون من تلاميذه الذين نهلوا من غزير علمه وقبسوا من كريم اخلاقه . عرفته فى اطوار متباينة من مر الحياة وحلوها ، واشهد بانه كان على الدوام ذلك الامام العملاق الذي لاتهزه احداث الحياة ولا تفت في عضده او تنال من عزيمته وقوة ايمانه .

حاربت فرنسا الاسلام الذي جاء به القـرآن الكريم وحمل رسالته محمد صلى الله عليه وسلم ، واخترعت بدلا عنه اسلاما جديدا مبنيا على البـدع والخرافات واسمته (اسلام جزائري) .

وفرنسا التي ادعت العلمانية ، وفصلت الدين عن الدولة رسميا سنة 1905 لم ترض فى الجزائر الا بالاشراف التام على الدين الاسلامي . ولم تسمح للمسلمين بممارسة شعائرهم الدينية بحرية ، وحجرت على حرية الدين الاسلامي وآدابه وافكاره ، وفي الوقت نفسه اباحت نشر الفساد والرذيلة والاباحية والانحلال والكفر والالحاد

على مثل هذه الصورة الكئيبة كانت الجزائـر فى الثلث الاول من القرن العشرين ، يوم قضت العناية الالهية بتكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لتعود معركة التغيير الجذري فى حياة الشعب العربي فى الجزائر ، بقيادة العالم المرحوم عبد الحميد بن باديس ومن بعده شيخنا الجليل المرحوم محمد البشير الابراهيمي ، الذي ظل حاملا راية الجهاد اكثر من خمسة وعشرين عاما ، الى ان انتقل الى جوار ربه فى شهر المحرم المنصرم 1385 – مايو 1965

ولقد كان البشير الابراهيمي بما وهبه الله من علم وفضل والمام كامل باللغة العربية وآدابها وفنونها واسرارها ، وقدرة خارقة على التوجيه والوعظ والاقناع خطابة وكتابة ، وبما أوتي من مواهب وطاقات علمية وفكرية وعملية وسياسية لانظير لها ، مؤهلا لحمل راية الجهاد والذود عن شعب الجزائر المستعبد وعن دينه المضطهد . فحملها بشجاعة وامانة واخلاص فى ظروف عصيبة واحوال رهيبة .

فمن الناحية الجزائرية قاد البشير الابراهيمي حملة الاصلاح الديني لتطهير الاسلام من الخرافات والبدع التي الصقها الفرنسيس واليهود وعملاؤهم من العرب . وتولى مهمة تنوير العقول وتبصيرها بحقيقة الدين الاسلامي وآدابه وتاريخه ، فقضى على الدين المزيف الذي اخترعه الفرنسيس واسموه (اسلام جزائري)

طالب بفصل الدين الاسلامي عن الحكومة ، اسوة بالدين المسيحي الذي تركت له الحرية التامة فـي ممارسة طقوسه وشؤونه . وندد بالسياسة الاستعمارية الغبية الغاشمة التي ترمي من وراء بسط سيطرتها على الدين الاسلامي ، الى القضاء على الاسلام

طالب باعادة اوقاف المسلمين التي اغتصبها الفرنسيس على مر السنين ، وهدفهم تجريد الاسلام من وسائل دعمه ونشره وبقائه .

طالب بحرية التعليم العربي واعتبار اللغة العربية لغة البلاد الرسمية . كما طالب باستقلال القضاء الشرعي عن القضاء الفرنسي المبني على أسس تبيح الرذيلة وتشجع الانحلال .

حارب الحزبية لانها اداة تمزيق ، وداء وبيل ينخر فى جسم الشعب ، وبخاصة العلمانية منها ، وتلك التي تشجع الكفر والالحاد . وكان رحمه الله بعيد النظر حينما اعتبر الحزبية اشد خطرا على المسلمين من المستعمر نفسه .

سخر من سياسة فرنسا التي كانت تسعى الى التفريق بين العرب والبربر . واثبت ان الدماء البربرية التي مازجت الدم العربي فى سلسلة من الزمن امتدت ثلاثة عشر قرنا قد اصبحت عربية . واكد ان وحدة الشعب فى الجزائر راسخة خالدة سداها وحدة الدم واللسان ولحمتها الدين الواحد وروحانية الاسلام .

تحدى سياسة الاندماج التي نادت بها فرنسا بصفاقتها وحماقتها ، واثبت بشجاعته وقوة حجته ، زيف دعوى فرنسا وسخف منطقها . ودلل على عظمة الاسلام وطاقاته الكامنة التي تعصم شعب الجزائر المسلم من الانمحاء والذوبان والاندماج .

قاوم هيئات التبشير ومن ورائها سلطات الاستعمار ، واليهودية العالمية ، وثراء الفاتيكان وبذله وسخائه .

تصدى للغزو الفكري الاستعماري الذي يشكك المسلمين فى تاريخهم وتراثهم ، تمهيدا للقضاء على مقومات وجودهم ، وجعلهم كمية مهملة فى ميزان القوى العالمية .

فعل البشير الابراهيمي كل هذا واكثر منه فى الميدان الجزائري الداخلي . واصاب نجاحا كبيرا فى معركة اللغة العربية وتدريسها فى مدارس الجمعية التي اخذت تتزايد يوما بعد يوم ، حتى اربت على 400 مدرسة رغم بطش المستعمر وارهابه وجبروته ، ورغم القوانين الصارمة التي كانت تقضي بالقاء القبض على المدرس الذي يضبط متلبسا بتعليم اللغة العربية ، بينما تعطى الحرية للسارق والزاني والفاجر والافاق والمخرب .

ارتسامات بعض المفسرين حول القرآن وتفسيره

للأستاذ : محمد الطنجي

المسلمون يدينون ويعتقدون بوجود اله قادر على كل شيء ، محيط علمه بكل شيء ، لايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء ، هو موصوف بكل اوصاف الكمال والجلال ، ومنزه عن كل عيب ونقصان ، تنزه فى ذاته وصفاته عن الكم والكيف ، ولذلك عجزت العقول عن ادراك كنه ذاته ، فلا تحيط المخلوقات به علما ، كما قالت الآية : (لاتدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير) (يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون به علما) هو رب العالمين ، خفي بذاته وتجلى بآثاره وعظيم قدرته وحكمته (هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) .

وكان من عظيم رحمته بالمخلوقات انه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وانه فضل الانسان على غيره من الحيوان بالفهم والبيان ، بعد فطرة الالهام ، كما قال الله سبحانه : « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان » واكمل رحمته به بارسال الرسل بهداياته وشريعته العملية والخلقية ، الى كل أمم البشرية ، كما قال عز وجل « وان من امة الا خلا فيها نذير » وذلك بواسطة وحيه المنزل عليهم ، (عليهم السلام) فارشدوا العقول الحائرة بالدعوة الى الخير ، واقاموا الشريعة العادلة ، ونشروا العقيدة الفاضلة ، وضربوا المثل للخلق بسيرهم الطاهرة ، فكانوا خير قدوة بينهم ، حتى استقام الكثير من امم الاجابة على الطريق المستقيم .

وكان اجل الرسل قدرا ، واعظمهم اثرا وذكرا ، خاتم النبيئين الذي ختمت به الرسالة بعد بلوغ العقول البشرية طور رشدها ، سيدنا محمد بن عبد الله عليه السلام الذي جاء بكتاب سماوي ووحي الاهي لهداية البشرية عامة ، كما قال الله تعالى في حكمة ارساله : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله » فكان لهذا الرسول العظيم ولكتاب الله الخالد الذي انزل عليه اعظم الاثر فى الشعب العربي اولا ، حيث تكونت بتربية الرسول له بشريعة القرآن خير أمة اخرجت الناس ، تامر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتومن بالله ، ففتحت هذه الامة القليلة العدد القلوب بدعوة الاسلام ، واقامت فى كثير من الشعوب دولا اسلامية على امتن نظام ، نشرت العدل ، وعممت التربية الخلقية والعلمية والفضل ، فظهرت بفضلها المدنيات الفاضلة ، والحضارات الباهرة في كثير من بقاع المعمور .

واعجب ما فى الامر حسبما ذكر المؤرخون فى واقع التاريخ ان هذا الانقلاب الاجتماعي العظيم فى التاريخ البشري العام لصالح العدالة والمساواة والعلوم والفنون والاخلاق الفاضلة حصل فى سنين معدودة بالنسبة لعمر الدول ، كل ذلك بواسطة الكتاب العزيز الذي لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبالرسول الذي فطره الله على خلق عظيم حتى كان له فى هداية البشرية ذلك التاثير العظيم الذي يستوي المسلمون والمنصفون من غيرهم فى الاعتراف به .

وعليه فالهداية الى السعادة الدنيوية والاخروية بالعزة والفوز هي اول وصف يدخل فى التعريف بالقرآن كما قال الله تعالى فى حق كتابه : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ، ويبشر المومنين » . ولكن بعض علماء الاصول يميزونه ببعض خواص لاتتناوله مثل قول السبكي : (الكتاب القرآن والمعنى به اللفظ المنزل على محمد (ص) للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته) فلم يذكر السبكي حتى كونه بين دفتي المصاحف التي بايدي المسلمين لزيادة الضبط

ولقد توج الابراهيمي جهاده وكفاحه فى تأييده المطلق للثورة الجزائرية . ومنذ اليوم الاول لاندلاعها ، أوقف الابراهيمي نشاط الجمعية وامر جميع اتباعه وانصاره وتلاميذه ومريديه وهم يشكلون خلاصة الشعب الجزائري ، بتأييد الثورة والالتحاق بكتائب الجهاد .

وفي احتفالات عيد النصر التي اقيمت فى الجزائر اول نوفمبر 1962 ، رايت البشير الابراهيمي فى احسن ساعات حياته واعظمها . لقد أم جموع المسلمين التي احتشدت لاداء صلاة الجمعة فى مسجد كتشاوة الذي حوله الاستعمار الفرنسي الى كاتدرائية وظل كذلك طوال مدة الاحتلال الذي دام 132 عاما ، الى ان عاد الحق لاهله بعد انتصار الثورة .

والقى الابراهيمي خطبة الجمعة مكتوبة على غير عادته ، وكان واضحا ان المناسبة العظمى قد هزته وفرضت على شيخوخته الجليلة ان يسجل ما كان يجول فى خاطره على الورق . وجاءت الخطبة درسا رفيعا فى السياسة والتاريخ والدين لا تعالي فيها ولا شماتة ، وقد لخصت الخطبة تاريخ الجزائر بما فيه من دروس وعبر ، وعبرت عن فرحة الحاضر وآمال المستقبل . وكانت فى نظري خطبة وداع فاه بها فارس عالم بطل ، انقلت كاهله العلة وارهقته تبعات الجهاد الطويل . وكنت وانا استمع الى خطبته ترن فى اذني كلمات البطل اسامة بن المنقذ :

مع الثمانين عاث الدهر في جلدي
وساءني ضعف ساقي واضطراب يدي
فان كتبت فخطي جد مضطرب
كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يد عن حملها قلما
من بعد حطم القنا في لبة الاسد

على ان الجهاد الذي كان باديا على الشيخ البطل لم يحجب عنا ابتسامة الرضى واشراقة فرحة العمر التي كانت تنفذ الى اعماق الجماهير الملتفة من حول الشيخ فتفهم تفسيرها :

من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى

وبعد ، فاني لا استطيع فى هذه الكلمة القصيرة ان ادون جزءا يسيرا من تاريخ الشيخ العالم البشير الابراهيمي ، لان تاريخه يحتاج للاحاطة به الى مؤلف خاص تدون فيه اعماله ومفاخره ومآثره وبطولاته وتضحياته .

اما خسارة العروبة والاسلام بفقد البشير الابراهيمي فعظيمة لا يعوضها الا الله القادر على هداية شبابنا ودفعهم الى ترسم خطاه والسير على نهجه .

رحم الله شيخنا العزيز واسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا .

اربد (شرق الاردن) ـ « عبد الله التل »

العالم ينتظر

ان هذا الجيل قد اصبح فى حاجة الى بعث جديد والى ان نقول له مرة ثانية قم باذن الله ، لقد سحرتنا الحضارة الغربية ، وقد استطاع الغربيون ان يقتلونا من غير حرب وضرب ، لقد استطاعت امتك واصحابك ان يثلوا عروش كسرى وقيصر ، والعالم ينتظر من جديد ثائرا جديدا يؤمن بالله ويكفر بغيره ويكسر طلاسم هذه الحضارة ويبطل سحرها . « محمد اقبال »

ثالثا ـ تظهر رغبة العلماء فى الجمع بين الانـزال جملة والانزال بالتفصيل حتى يكون لهذا القرآن فضل على بقية الكتب المنزلة كما يستفاد من ابي شامة فـي المرشد الوجيز حيث قال : (لولا ان الحكمة الالهيـة اقتضت وصوله اليهم منجما بحسب الوقائع ، لهبطـه الى الارض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الامرين انزاله جملة ثـم انزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليـه) .

على ان السيوطي ينقل انكار وجـود دليل على انزال كتب الوحي جملة عن بعض فضلاء عصره فيقول ما تقدم فى كلام هؤلاء من ان سائر الكتب انزلت جملة هو مشهور فى كلام العلماء وعلى السنتهم حتـى كـاد يكون اجماعا ، وقد رايت بعض فضـلاء العصر انكـر ذلك ، وقال : انه لا دليل عليه بل الصواب انها نـزلت مفرقة كالقرآن ، قال السيوطي واقول : الصواب الاول ومن الادلة على ذلك آية الفرقان السابقة يعني قولـه تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نـزل عليه القـرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك » يقول كاتبه انه لاتصريح فى الاية بان الكتب الموحى بهـا قبل القـرآن نزلت جملة واحدة ، بل المستفاد من الآيـة ان انـزال القرآن مفرقا لتثبيت فؤاد النبي بتجديد تنزيل الوحي عليه حينا بعد حين كما قال فى آية اخرى : « وقـرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلا » على ان الكتاب العزيز فيه الناسخ والمنسوخ وما هـو انكار على قول قيل او فعل فعل او جواب عن سـؤال سئل وهذا ما يجعل انزالـه مفرقا اقرب الى الفهـم والمعقـول .

واخيرا نقول : ان انزال القرآن جملة هـو مـن امور الغيب التي نتوقف فيها حتى ترد عن الرسول فى حديث مرفوع صحيح الاسناد واذا لم يصح هـذا ، فالامساك عن الخوض فيه اولى ، اما تلقين هذا للعوام او للمثقفين بمجرد اقوال لغير الرسول المعصوم عـن الخطا فمما لا يناسب فى العصر الحاضر ، ولم تحصل اي اشارة فى القرآن الى هذا الانزال جملة والواقـع الكائن نحن نثبت انزاله منجما مفرقا فقط .

اما تفسير القرآن فالاصل الاول فيه هو بيـان الرسول وتفسيره الناس ما نزل اليهم ، على ان هـذا البيان قليل بالنسبة لما امتـلأت بـه كتب التفسيـر قال الزركشي فى البرهان للناظـر في القـرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة امهاتها اربعة :

الاول النقل عن النبي (ص) وهذا هو الطـراز المعلم ، لكن يجب الحذر من الضعيف منـه والموضـوع فانه كثير ، ولهذا قال احمد : ثلاثة كتب لا اصـل لها المغازي والملاحم والتفسير ، قال المحققون من اصحابه مراده انه ليس لها اسانيد صحاح متصلة والا فقـد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك فى آية الانعام والحساب اليسير با لعرض ، والقوة بالرمي فى قولـه تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . نقلـه السيوطي وعقب عليه بقوله قلت الذي صح مـن ذلك قليل جدا بل اصل المرفوع منه فى غاية القلة .

ونوجد وسيلة مهمة لتفهم معاني القرآن وهـو معرفة اسباب النزول قال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوي فى فهم معاني القرآن . وقال ابـن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فـان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ، وقد يصل الحال الى عدم معرفة معنى الآيات قبل معرفة سبب النزول

ومن هم الحجة فى معرفة سبب النزول ، ونقلبيان الرسول الى الامة ؟ لاشك ان من شاهد التنزيل وعاشر الرسول هم اعلم الامة بمعاني كتاب الله الا انه لابد من معرفة صحة سبب النزول بالسنـد الصحيـح الـى الصحابي وقول الصحابي ليس حجة الا فيما يتعلـق بسبب نزول الآية بالسند المتصل الصحيح اليه ، فقد ذكر ابن الصلاح فى مقدمة مصطلح الحديث ان ما قيل من ان تفسير الصحابي حديث مسند فانما ذلك فـي تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابـي او نحو ذلك . الى ان قال : (فاما سائر تفاسير الصحابـة التي لاتشتمل على اضافة شيء الى رسول الله (ص) فمعدودة فى الموقوفات) وقد اقر السيوطي ما قالـه ابن الصلاح معقبا على قول الحاكـم قـال فى الاتقان : قلت ما قاله الحاكـم نازعه ابن الصلاح وغيـره مـن المتاخرين لان ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول او نحوه مما لا مدخل للرأي فيه قال السيوطي ثم رايت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال : ومـن الموقوفات تفسير الصحابة واما مـن يقـول تفسيـر الصحابة مسند فانما يقوله فيما فيـه سبب النـزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرك ، فاعتمـد الاول والله اعلم . اما تفسير التابع فقال السيوطي نقلا عن الزركشي : (وفي الرجوع الى قول التابعـي روايتان عن احمد واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شعبـة

والتوضيح كما فعل غيره . قال الحافظ ابو محمد بن حزم : (القرآن الذي بالمصاحف بايدي المسلمين شرقا وغربا فما بين ذلك من أول أم القرآن الى آخر المعوذتين كلام الله) . على اننا نجد من علماء الاصول المتضلعين من عرف القرآن بما يناسب المهمة التي انزله الله من اجلها ، فهذا الامام الشاطبي يقول فيه : (ان الكتاب قد تقرر انه كلية الشريعة وعمدة الملة ، وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة ، ونور الابصار والبصائر ، وانه لا طريق الى الله سواه ، ولا نجاة بغيره ، ولا تمسك بشيء يخالفه ، وهذا لايحتاج الى تقرير واستدلال عليه لانه معلوم من دين الامة ، واذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كلية الشريعة وطمع في ادراك مقاصدها واللحاق باهلها ، ان يتخذه سميره وانيسه ، وان يجعله جليسه على مر الايام والليالي نظرا وعملا ، لا اقتصارا على احدهما ، فيوشك ان يفوز بالبغية ، وان يظفر بالنتيجة ، ويجد نفسه من السابقين ، وفى الرعيل الاول ، فان كان قادرا على ذلك ولا يقدر عليه الا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب والا فكلام الائمة السابقين والسلف المتقدمين ممن اخذ بيده فى هذا المقصد الشريف والمرتبة المنيفة) .

وهذا الاتجاه من الامام الشاطبي هو فى تبيين الغاية من القرآن وجملة محتواه فقط اما عند توسعه فى بيان مقاصد القرآن واغراضه فقد تعرض الى ان كليات الشريعة توجد في القرآن المكي قبل الهجرة النبوية ثم ياتي تفصيل التشريع على اختلاف انواعه فى القرآن المدني حين اجتمع شمل المهاجرين والانصار، وتكوين المجتمع الاسلامي الاول فى عهد الرسول (ص) بالمدينة المنورة ، ومن المناسب فى هذا المقام ان نتعرض لقضية انزال القرآن بتبيين وجهة نظر العلماء فيها ، وان كانت من جهة الاعتقاد والعمل بالشريعة لايتعلق بها غرض مهم ، الا ان المثقفين يقف الغموض امامهم عند الرغبة فى فهمها ، ذلك انه لفت نظري ان الله سبحانه قال : « انا انزلناه فى ليلة القدر » . وقال تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » . ومن المعلوم ان القرآن لم ينزل جملة على الرسول العربي عليه السلام بل نزل منجما حسب الحاجة والتدريج فى التشريع ، وتلقين العقيدة ، واستعداد الناس للعمل بالشرائع المنزلة ، كما يوضح هذا المعنى ما رواه الامام البخاري عن عائشة قالت : (انما نزل اول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر ابدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لاندع الزنى ابدا) قال السيوطي فى الاتقان : (رايت هذه الحكمة مصرحا بها فى الناسخ والمنسوخ (المكي) .

فنزوله منجما على الرسول الامين محل اتفاق الا ان هناك قولة لابن عباس رواها عنه جمع الرواة هو أن القرآن انزل جملة الى سماء الدنيا فى ليلة القدر ، ويحتمل الانزال فى ليلة القدر ان يكون انزاله على هذه الصفة فى ليلة قدر واحدة فى رمضان وهذا هو المروي عن ابن عباس وقال السيوطي : (انه الاصح الاشهر ، او يكون الانزال فى عشرين ليلة قدر ، او ثلاث وعشرين ، او خمس وعشرين ، فى كل ليلة ما يقدر الله انزاله فى كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجما فى كل السنة نقله القرطبي عن مقاتل بن حيان ، وحكى الاجماع على انه انزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا فتفرع عن القول بالانزال جملة واحدة الاحتمالان المشار اليهما .

اما القول الثالث فهو انه ابتديء انزاله فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما فى اوقات مختلفة من سائر الاوقات . وبه قال الشعبي قال ابن حجر فى شرح البخاري هو الصحيح المعتمد) نقله السيوطي .

تعقيب على بعض هذه الاقوال :

اولا — قول الحافظ ابن حجر فى ابتداء انزاله ثم تتابع منجما ينفي الاجماع الذي ذكر القرطبي على انزاله الى سماء الدنيا .

ثانيا — يظهر من بعض الروايات عن ابن عباس انه حاول بقوله الجواب على اشكال حصل لبعض الرواة فاخرج ابن مردويه والبيهقي فى الصفات من طريق السدى عن محمد عن ابن ابي المجالد عن مقسم عن ابن عباس انه سأله عطية بن الاسود فقال اوقع في قلبه الشك قوله تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن » وقوله : « انا انزلناه فى ليلة القدر » وهذا انزل فى شوال وفى ذي القعدة وفى ذي الحجة وفي المحرم وصفر وربيع فقال ابن عباس انه انزل فى رمضان فى ليلة القدر جملة واحدة ثم تتابع رسلا على مواقع النجوم فى سائر الشهور والايام . قال ابو شامة قوله (اي ابن عباس) رسلا اي رفقا وعلى مواقع النجوم اي على مثل مساقطها يريد : (انزل في رمضان فى ليلة القدر جملة واحدة ثم انزل على ما وقع مفرقا يتلو بعضه بعضا على تؤدة ورفق . انتهى نقله السيوطي .

توحيد الدعوة الإسلامية

للأستاذ عبد السلام الهراس

ان العالم الاسلامي لفي أمس الحاجة الى قيادة مذهبية تشكل حياته وفق ثقافة و فكـرة حضارية ، وبذلك فقط يمكن أن يقضى على المشاكل التي يتخبط فيها ، وكانت ملامح هذه القيادة ابتدأت تتكون فى الافق الاسلامي ، الا ان المؤامرات والطيش وحب الشهوات اسرعت بالاجهاز عليها وابعادها عن قيادة المسلميـــن الفكرية ! ولذا فان الدعوة الاسلامية تكاد تكون غائبة عن ميدان المعركة الرهيبة التي يخوضها العالـــم الاسلامي مع نفسه والخارج ، بعد ان كانت اعظـم مفجر لطاقاته النفسية والروحية والفكرية ، واكبـر خطر يهدد الاستعمار والصهيونية ...

واضطرت الدعوة الاسلامية الى الانطـواء على نفسها مثخنة بالجراح ، متقلـة بالاشجـان ، ومهددة بالفناء والاستئصال . ومع ذلك فان نبضها ما يـزال اقوى من التهديد ، يستعصى على كل أسباب الموت . وما تزال الفكرة التي تدعو اليها حيـة فى النفـوس ، راسخة فى الافكار ، مرتبطـة اشد الارتباط بالافـراد والجماعات الاسلامية ، محتلة مكانتها الطبيعية مـن اهتمامها .وقد اصبح الاقتناع اليوم اكثر من أي وقت مضى بان العالم الاسلامي يعيش في فراغ عقائـدي وفكري ، ويعاني ازمـة ايديولوجيـة تهدد استقراره وسلامه ووحدته ، وتجعله عرضة للمؤامرات الفكريـة والثقافية ، التي تستهدف تمزيق كيانـه ، وتشتيت قواه ، وتوسيع الشقة بينه وبين التفكير الجدي فـي حل مشاكله ، وما هذه الجامعات والمدارس والبعوث الثقافة الاستعمارية الا فيالق عسكرية مزودة بأفتك الاسلحه ، واحدث التصميمات الاستراتيجية للتدمير، والتهديم والافساد . وان كل محاولة لملء هذا الفراغ المخيف بالفكر الشعاري والتقليد الاعمـى ، والمذاهب القائمة السرابية او التلقين والترقيع والاعتماد علـى الحماس الجاهـل ، والنزوات الطائشـة ، واحـلام اليقظة ــ ان كل محاولة من هذا النوع مصيرها الفشل المحقق ؛ ومن حسن الصدف ان يقـع فى يدي ، وأنـا اكتب هذا المقال ، كتاب يعترف فيه صاحبه ، وهـو كاتب غربي مشهور ، بضحالة الفكرة التي كان يعتنقها ، ويقدم اكثر من دليل ، واكثر من مظهر لما يقول ، وقد وصف فكر « مذهبه » القديم بالفكر الشعاري ، وقـد دفعت الايديولوجية الوهمية وذاك الفكر الشعـاري باصحابه الى اتخاذ سلوك شاذ يتسم بالعنف والدم ، والسلبية ، واخيرا مايزالون في فراغهم الاول ، دون ان يجدوا فيما انتحلوه من مذهب ادنى غنـاء . واذا كان صاحب هذه الوثيقة يعترف بالفشل ، وهـو على حق ، وينتقد الفكر الشعاري الذي كان من اقطابـه حينا من الدهر ، فانه لايزال يدور في الفـراغ اذ لم يتخلص بعد من عقده وتكوينه الثقافي المزيف ليـرى الحقائق بكل موضوعية وتجرد ، فهو اذ يطلـق ثلاثـا مذهبه القديم ويفضح عوراته ، ويذيـــع فضائحـه ومخازيـه . لايقدم على محاولة حاسمة تغير نفسـه تغييرا جذريا يتيح له ان يعتنق فكرة حضارية أصيلة، بل نراه يسارع الى الفرار مـن الجمال الى الجمال ؛ وهذه مصيبة طبقة كبيرة مـن المتعلميـن الـذيـن يتحمسون لامتهم باخلاص ونكـران الـذات دون أن يتجاوبوا مع اهدافها ويستجيبوا لعقيدتها ويدركـوا حقيقة تكفيرها ! مما يجعلهـا دائما حليفـة الفشل ، ويسم عهد قيادتها بالاضطراب والبلبلة وسوء الظـن والفوضى ، ! واذا كان صاحبنا قـد وجـد فى نفسـه الشجاعة للاعتراف بالحقيقـة أو بالاحـرى بنصف الحقيقة فان هناك من امثاله من لايقدر على الاعتراف بها ، وبدافع الجبن والانانية يستمر فى خـداع نفسه

لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكـوا فى كتبهـم اقوالهم لان غالبها تلقوها الصحابة وربما يحكى عنهـم عبارات مختلفة الالفاظ فيظن من لا فهم عنده ان ذلك اختلاف محقق فيحكيه اقوالا وليس كذلك بل يكـون كل واحد منهم ذكر معنى من الآية لكونه اظهر عنــده او اليق بحال السائل وقد يكون بعضهم يخبـر عـن الشيء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته والكـل يؤول الى معنى واحد غالبا ، فان لم يمكـن الجمـع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحـد مقـدم ان استويـا فى الصحة عنده والا فالصحيح المقدم انتهى.

وهذا ما يفتح آفاقا جديدة امام الراغبين فـي التفسير من حيث وزن اقوال الصحابة فى غير سبب النزول وكذلك الشأن بل احرى فى قول التابعين فمن بعدهم وخصوصا ما نقـل عـن اهـل الكتـاب مـن الاسرائليات التي امتلأت بها كتب التفاسير بغير حق فعلى العلماء ان يتثبتوا فى التفسير المنقول عن الصحابة فاحرى المنقول عمن بعدهم . اما ما يتعلـق بتفسيـر القرآن وما يتوقف عليه من يتكلم فيه او يستنبط منه فسنتناوله فى عدد مقبل بحول اللـه .

الرباط ـ محمد الطنجي

الخوف من الله والخـوف من الناس

※ الخوف من الله ، يزيـــل الخوف من الناس ، والخـوف من الناس يـزيـــل الخـــوف مـــن اللـــه .

(هوميروس)

الغضـــــــب

※ الغضب ريـح تهب فتطفيء ســراج العقــل .

(انجرسول)

※ لا تتكلم وانت غاضب ، فلقد يصدر عنك كلام تنـدم عليــه طـــوال حيـــاتـــك .

(لوكـــاس)

ديـــن الحضــــارة المثلـــى

※ لو درس اعداء الاسلام هذا الدين بعمق ، متجردين عن اهوائهم واغراضهم لعلموا ان الدين الاسلامي دين صالح لكل زمان ومكان وانــه دين الحضارة المثلى وان المسلميـن لو استغلـوا امكانيات هذا الديــن وطاقاته لاستفادوا وافادوا البشرية جمعـــاء .

(موديبوكيتا رئيس جمهورية مالي)

رئيس جمعية القيم يتحدث :

تعريب الأستاذ محمد البواب المصمودي

مقدمة المترجم : بعد سنة من تاسيس جمعية ((القيم الاسلامية)) عقدت اجتماعا في العاصمة الجزائرية في الخامس من شهر يناير الماضي تحت اشراف رئيسها السيد الهاشمي التجاني .

وقد أسفر هذا الاجتماع عن قرارات هامة نشرتها الصحف في ابانها ، ولكن هذه القرارات اصطدمت بعاصفة هوجاء من الانتقادات المرة وجهها بعض المسلمين ((المتحررين)) كما سمتهم جريدة لوموند التي نشرت خلاصة الاجتماع والانتقادات في عددها الصادر بتاريخ 19 — 1 — 65 .

ولاحقاق الحق وازهاق الباطل ارتأى المسيو Paul Buttin مدير مجلة Confluent (مجمع النهرين) الا أن يتقابل مع رئيس الجمعية المذكور وأجرى معه استجوابا هاما في العدد 42 — 43 من المجلة الفرنسية السالفة الذكر ، أبينا الا أن نعربه لقراء مجلة (دعوة الحق) الغراء كي يطلع عليه الناطقون بالضاد ، نظرا لما امتاز به الاستجواب من صراحة وموضوعية ومنطقية في الدفاع عن الاسلام بمصادر الاسلام الحق : الكتاب والسنة ، وذلك بعد أخذ اذني المستجوب (بالفتح) والمستجوب (بالكسر) اللذين نجدد لهما على صفحات هذه المجلة تشكراتنا الحارة على ما أسدياه الينا من ايادي بيضاء .

والرجلان في غنى عن كل تعريف : فالسيد التجاني رغم جنسيته الجزائرية فانه من مواليد الرباط وتابع دراسته في ثانوية المولى يوسف ومعهد الدروس العليا قديما أي كلية الاداب والعلوم الانسانية الان وابان استقلال الجزائر تقلد منصب الامين العام لجامعة الجزائر ، ويشغل الان مستشار فني في ديوان وزير الفلاحة الجزائري ، كما أنه يشرف على تسيير جمعية ((القيم الاسلامية)) بالجزائر ويحرر مجلتها : ((التهذيب الاسلامي)) وطبعتها الفرنسية Humanisme musulman.. وأبوه الشيخ أحمد التجاني فلا زال بالرباط لحد الان ، وهو أشهر من أن يعرف ، خصوصا وأن قراء مجلة دعوة الحق قرأوا له مرارا على صفحات هذه المجلة نفسها .

اما السيد Paul Buttin فهو من الفرنسيين الاحرار الذين ساعدوا على استقلال المغرب ، حيث كان محاميا بفاس ، ابان أزمة 1953 ودافع عن الفدائيين في المحاكم ، ويعمل الان مديرا لمجلة Confluent (مجمع النهرين) التي تهتم بالعلاقات الثقافية والفنية والاجتماعية بين أقطار المغرب العربي وفرنسا .

((المترجم))

الى ان يلاقي مصيره المحتوم ، وبالتالي تتردى معـه امتـــه !

وقد فرض الفكر الشعاري نفسه على امتنا الى جانب الرجعية التي تستغل الدين لفائدتها وشهواتها ، وهكذا يلتقي الجانبان فى تضييع الفرصة على الامة ، وتعويقها عن التطور الخلاق ، وجعلها دائما فى مؤخـرة الركب ، خائرة القوى ، عاجزة عن الحركـة الحيـة.

اما الفكرة الاسلامية فهي غائبة او كالغائبـة لان الدعوة التي كانت تلتزم بها قد اختفت مـن القيادة ، ولذا فهي غير مسؤولة عن هذا الواقـع الذي يعيشه العالم الاسلامي لانها لاتسهم فى صنعه ، ولا يتاح لها ان تفعل ذلك ، الا بقايا ترابط على بعض الثغور الاسلامية فى استماتة عجيبـة ، وبأمـل مشبوب يغالب اليأس ، ويصارع الفشـل ، وعلى تلك البقايـا يعقـد العالـم الاسلامي آمالـه .

ففـي لبنان ، دعوة عباد الرحمـن ، استطاعت قيادتها أن تتجنب كثيرا من الاخطار ، رغم ضراوتهـا وتعدد مصدرها ، وأن تربي فى احضانها طليعة مؤمنة منذ صباها ، وقد أينعت الآن وتخـرج معظمهـا مـن الجامعات وبعضها وصل الى رتب علمية ممتازة . وفي غير لبنان من شباب الاسلام من اصبـح مهيأ للقيادة والمسؤولية . الا ان انعدام الوحدة القيادية للدعـوة الاسلامية يجعل نشاط هؤلاء محدودا وضائعا .

ولذا نسارع الى توجيه هذا الاقتراح للجماعات الاسلامية القائمة الآن ، وبالاخص عباد الرحمن بلبنان والجماعة الاسلامية في باكستان ودار الندوة بالهند : وهو « توحيد قيادة الدعـوة الاسلامية » فى العالـم الاسلامي ، ولاجل ذلك لابد من عقـد مؤتمر اسلامـي تقوم باعداده هذه الجماعات وليكن مؤتمرا اسلاميا من نوع جديد ، لا كهذه المؤتمرات التي تعقد باسم الاسلام ولا يستفيد المسلمون منها شيئا .

وهذا المؤتمر ينبغي ان تشرف عليه لجنة واعية صارمة لاتتساهل فى تعيين اعضائه ، لان الذين يدعون الفكرة الاسلامية كثر ، ولكن مصيبة المسلمين فى هؤلاء الذين يحتلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس جلـود الضأن من اللين ، السنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، ويحولون الدعوة الاسلامية لمنافـــع رخيصة ، وشهوات تافهة . ولذا فعلى هذه اللجنة ان تحتـاط اشد الاحتياط حتـى لا يتسرب للدعـوة الاسلامية من هم في الحقيقة الد اعدائها . وقد يكون من السهل وضع المقاييس لذلك ولكن الصعـوبة فـي التطبيـــق

كما يجب توفير كافة الشروط لانجاحه فى الغاية المتوخاة منه الا وهي : توحيد قيادة الدعوة الاسلامية ، وفتح فروع فى جميع انحاء العالم ، وبذلك تستطيـع الفكرة الاسلامية ان تستعيد نشاطها مـن جـديـد ، بأسلوب جديد وفعالية اكثر

وان للدعوة الاسلامية اليوم مجالات واسعـة وخصبة بعد أن استقلت افريقيا ، وازدادت الحاجـة الملحة للاسلام ونظامه ، وبعد ان نضجت عناصـر مـن شباب الاسلام الذين آمنوا حق الايمان بان الاسلام هو الفكرة الوحيدة التي يمكن ان تنقذ عالمنا المسكين

فبتوحيد قيادة الدعوة الاسلامية وتنظيم هـذه الدعوة على أسس جديدة يمكن للمسلمين ان يواجهوا المؤامرات الخبيثة التى يتعرض لها الاسلام فى افريقيا وغيرها ويتسنى للمسلمين ان يفرغـوا حماسهـم ونشاطهم فى اطار فكرة حضارية بنـاءة .

ان عقد هذا المؤتمر اصبح ضرورة ملحة تفرضها مصلحة الاسلام والمسلمين ، وان كل انزواء للدعـوة الاسلامية انما هو اتاحة الفرصة لاعداء هذا الديـــن للاجهار على الاسلام ، وتوجيه اجيال المسلمين نحـو الانشغال بالغرائز السفلى واشاعة الفوضى الاخلاقية والفكرية فى المجتمع الاسلامي مما يجعله دائما تحت السيطرة الاجنبية وموضوع استغلالها

ان المؤتمر الذي ندعو لعقده سيقدم خـدمـــة جليلة للمسلمين والاسلام لانـه سيوحـد الدعـــوة الاسلامية التي ستوجه الاجيال المؤمنة نحو الطريـق المستقيم ليحققوا الاهداف التي فشلـوا فى الوصـــول اليها تحت قيادات اخـرى . .

وان الظروف لنجاح هذا المؤتمر كثيرة والمهم ان ينظم الدعاة انفسهم من جديد تحت لواء القرآن .

تطـوان — عبد السلام الهراس

ج — ان أخص القيم هي معرفة القرآن لاننا نعتبر انه كان ولا زال وسيبقى ثورة معنوية حقة ، ثقافية واجتماعية ، ففى المجال الاخلاقي كان العرب فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فى طليعة الامم والشعوب والحضارات وحتى قبله كانت أخلاقهم من أحسن أخلاق الشعوب قاطبة . واختار الله أن يوحي بالحقيقة الى اكثر الناس جدارة بمعرفتها ((والله يعلم حيث يجعل رسالاته)) فقد اختار أن ينزل القرآن على النبي (صلعم) لانه كان يعتبره أطهر العرب ، ولقد اصطفي النبي (صلعم) من العرب لكون الله يعتبرهم أحسن شعب مهيء لقبول هذا الوحي .

س — يظهر لي أنكم تبنون وجهة نظركم على نص ديني منزل اكثر مما تعتمدون على حقائق تاريخية ؟

ج — أعتمد فى الحقيقة على الاثنين معا . فالامبراطورية الرومانية حينئذ كانت منقسمة ، والامبراطوريات الغربية والشرقية والفارسية ، والحضارة الصينية والعالمان المسيحي والاسرائلي كانوا كلهم فى انحطاط .

س — الم يكن للعرب وقتئذ حضارتان : واحدة مدنية واخرى بدوية ؟ فالى أي منهما ترمزون ؟

ج — ان الجواب على هذا السؤال ليس بالامر الهين ، انني أعتبر أن المزايا الاخلاقية توجد عند البدو ، واضيف أن سكان مكة ويثرب وصنعاء كانوا يرجعون الى بداوتهم مرارا وتكرارا . وأعرف انه تؤخذ عليهم بعض المساوىء كوأد بناتهم حيات ، ولكن الا يمكن أن نجد لهم عذرا فى تفسير هذا العمل فى الدفاع عن شرف الاسرة والقبيلة ؟ أو أحيانا لتجنب اطعام بطن لا فائدة فيه ، ولا ننسى أن الاقلية هي التي كانت تتعاطى هذا العمل الذى استطاع القرآن وحده أن يبطله .

س — أليست هذه النظرية التي تدافعون عنها مخالفة لنظرية مسلمين متعددين آخرين يعتبرون أن الحضارة التي أتى بها القرآن كانت ثورة بالنسبة للحضارة المتقدمة ، وبالخصوص بالنسبة لحضارة البدو؟

ج — انني لا أعارض هذه النظرية البتة ، ولكنني أعتبر انه فيما يخص الناحية الثقافية مثلا كان للعرب وقتئذ لغة من أرقى لغات الارض ، ولم يكن ثمة غرابة أن نرى البدو فى العصر الجاهلي يتقنون الاعراب بسهولة منقطعة النظير ، الشيء الذى نستصعبه اليوم ، ونلاحظ أنه كان لهم أدب شعري راقي جدا . ولا زال فحول شعراء الجاهلية أساتذة الشعر ، والذين تعاقبوا بعض ظهور النبي (صلعم) كان يستقون من معينهم .

س — اذا ما هي خلاصة القيم القرآنية التي تريدون تجديدها فى الوقت الحاضر ؟ وفى الوقت نفسه ، لماذا كتب لهذه القيم ان تتلاشى وتضمحل منذ قرون ؟

ج — ان الجواب على هذا السؤال الاخير يهمني جدا ، حيث انني وطدت العزم على نشر أطروحة فى هذا الموضوع . انني أعتبر أن مرد هذا الانحطاط لا يرجع الى غارات المغول والاتراك فى الشرق الاوسط أو للهجمات المسيحية فى اسبانيا كما يعتقد . فبعض الكتاب يرجعون سبب هذا الانحطاط الى عوامل اقتصادية أو سياسية ، وأنا لا أقر هذا مطلقا ، ومن أجل اقرار الحقيقة التاريخية يجب القول بأن بوادر الانحطاط ظهرت فى اليوم الذي بدأ فيه العرب يميلون الى الحلول السهلة ويبتعدون عن المثل القويمة التى أتى بها النبي (صلعم) . انحرف العرب عن مبادىء القرآن التي تشير الى الرقابة الالاهية أي الوازع الديني فى كل قول أو تفكير أو عمل انساني وهذا المفهوم للوازع الديني اساسي جدا . ففي الجاهلية كانت للعرب — كما قلت لكم سابقا — مزايا متعددة : كانوا شجعانا كرماء ، وكانوا يتقنون لغتهم أيما اتقان . وكان الفرس والبيزانطيون والاحباش والهنوديستأجرون باغلى ثمن شجاعة المحاربين العرب وفروسيتهم التى كانت مضرب الامثال وكانت للجزيرة العربية علاقات تجارية مع شعوب المحيط الهندي ، والبحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط . فالقرآن أتاهم بما كان يعوزهم من عوامل النظام الروحي .

س — هل فى استطاعتكم أن توضحوا فكرتكم المتعلقة بالوازع الديني ؟

ج — كان للعرب سجايا متعددة ، ولكنهم كانوا فى حروب مستمرة مع بعضهم البعض ، ولكن عندما أفهمهم النبي (صلعم) معنى الوازع الديني ، استطاعوا أن يحققوا المعجزات ويخلقوا حضارة . فالوازع الديني شحذ شعورهم وفكرهم وعملهم ودفعهم الى الائتلاف ونسيان المصالح الذاتية، واحلال مصلحة الجماعة محلها واحلال مجد الله محل اعزاز القبيلة ، وحب الانسانية عوض حب العشيرة . وبالرغم من مزايا النبي (صلعم) الشخصية الخارقة للعادة ، ومن صفته معلما أكبر ، فانه لم يتمتع باحترام العرب الا لكونهم عرفوا فيه الامين على الرسالة الالاهية . والنبي (صلعم) كان يعتبر انسانا مثل جميع البشر ، ولما عرف العرب معنى الوازع الديني وتشبثوا به استطاعوا تاليف أمة موحدة ، منظمة ومهذبة .

س — بما أنكم رئيس جمعية ((القيم)) فهل فى استطاعتكم ان تبينو لنا فحوى هذه التسمية ؟

ج — القيم جمع قيمة ، واننا نقصد بذلك القيم الاسلامية .

س — فى الخامس من شهر يناير الماضي عقدتم بالجزائر العاصمة اجتماعا حضره جمهور غفير من الناس ، وكان هذا الاجتماع مثار تعليقات متعددة ، واريد أن اعرف الان ماذا كانت الغاية من عقد هذا الاجتماع ، وأود بادىء ذي بدء أن تحدثوني عن غاية جمعيتكم .

ج — غاية جمعيتنا هي بعث القيم الاسلامية التي لاقت محنا متعددة فى الجزائر ليس من طرف الاستعمار فحسب ولكى ايضا من جراء الانحطاط الذي اصيب به المسلمون منذ قرون متعددة فى الشرق ، ونحن سائرون على نهج جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ، ولكن بفعالية مطابقة لمستلزمات العصر الحاضر لان الفرق الزمني بين هذه الحركات السلفية وحركتنا هو نصف قرن .

س — هل هناك فرق بين القيم التي تريدون بعثها وبين التي كان ينادي بها ((العلماء)) ؟ (1)

ج — نفس القيم تقريبا الا أن ثقافة ((العلماء)) كانت عربية فقط ، أما ثقافة الاغلبية الساحقة منا فهي مزدوجة ، وهذا يجعلنا أولا : نتأثر بالقيم الاسلامية وبالقيم المستقاة من معين آخر ... ثانيا : هذه الثقافة المزدوجة تجعلنا بمثابة همزة الوصل بين الشرق والغرب .

س — والآن ، ماذا كانت الغاية من الاجتماع الذي عقدتموه فى الخامس من يناير الاخير ؟

ج — غاية اجتماعنا كانت تستهدف شن حملة دعائية للتعريف بمثلنا العليا وبأهدافنا وبعملنا وبالنتائج التي حصلنا عليها بعد سنة ، وكذلك من أجل أن نعلن عن الاحاديث التي سيلقيها بعض أفراد جمعيتنا خلال شهر رمضان الذي هو — كما تعرفونه — شهر اختبار وتوبة يراد به شحذ الشعور وتقوية العزيمة ، والسمو بالفكر والسلوك . واعتزمنا القيام بمحاضرات فى مختلف أحياء العاصمة (الجزائر) فى المساجد والاندية الثقافية والرياضية والطلابية وحتى ببعض المدارس ، ولقد عملنا مثل هذا فى السنة الماضية ، ولكن الافكار لم تكن مهياة لتقدير مجهودنا ولكن نتيجة هذه السنة كانت عكس نتيجة السنة الماضية .

س — هل استطعتم ممارسة حملتكم الدعائية دون أن تعترضكم بعض الصعوبات ؟

ج — لم نلاق أية صعوبة مطلقا ، اذ قمت أنا شخصيا بالقاء بعض الاحاديث فى أغلبية مساجد وأندية العاصمة الجزائرية ، وحملتنا الخاصة بالمحاضرات مرت بدون مانع ، وقدمنا الى الحكومة بعض الاقتراحات تتعلق بالقيام ببعض الاصلاحات كتخصيص يوم الجمعة للعطلة الاسبوعية وادراج مواد الدين والتاريخ الاسلاميين — اجباريا — فى كل مستويات التعليم بدون استثناء حتى الجامعي منه .

س — الم يسفر موقفكم عن حوادث فى الجامعة ؟

ج — حقيقة أن الشيوعيين والماركسيين الذين تسربوا الى الجهاز الادارى والمنظمات الوطنية استطاعوا الحصول على مغادرتي للجامعة التي كنت أمينا عاما لها . ولكن البيان الذي أصدروه فى سابع عشر يناير أماط اللثام عن كون الموقعين الاربعة والعشرين ألد أعداء العروبة وأبرز ممثلين للالحاد فى الجزائر . والحكومة قلقت بعض الشيء من اجتماعنا فى الخامس من يناير نظرا لحضور محمد خيضر صدفة ، وهكذا تخيل البعض أن اجتماعنا اكتسى صبغة سياسية لم يكتسها مطلقا . وقد استفسرت فى الموضوع أمام وزير الداخلية الذي استدعاني ، والذي — أظن — أنه تفهم موقفنا جيدا ... ولكن الصحافة المحلية المنضوية تحت لواء الماركسية التي تقلقها حركتنا زورت ذلك لحاجة فى نفس يعقوب . وقرأت أيضا مقالات مروعة ضد الحقيقة فى جرائد : الفكارو — جون أفريك — وخصوصا فى : لوموند وكزيطة لوزان .

س — قلتم آنفا ان جمعيتكم تعطي لكلمة « قيم » مدلولا واسعا لكونها تقبل قيم الاسلام وحتى بعض القيم والمفاهيم الغربية ، فما هي القيم الاسلامية التي تريدون احياءها بصفة خاصة ؟

---

1) لعل المستجوب (بالكسر) يقصد بسؤاله : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ذات الماضي المجيد الحافل بالمجد ، والصيت الذائع ابان الاستعمار الفرنسي (المترجم)

ج — التعريفان الاسلامي والمسيحي يلتقيان الا ان القرآن يبرز المجهود الذي يجب القيام به من أجل الاصلاح والكمال ، والله يحب الذين يؤدون عملهم من أجل الكمال ، أما الصدقة والعطاء فهي أشياء ثانوية . والمهم هو العمل من أجل الفضيلة والخير والكمال والشعور بضرورة السير فى هذا المضمار . وحسب ظني هنا يكمن السبب فى كون العرب قاموا بالاعمال الجليلة بعد النبي (صلعم) لا قبله ، وهذا — بلا شك — شيء عسير الادراك .

قال تعالى : ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون)) (التوبة 105) .

وقال أيضا : ((نعم أجر العاملين)) (العنكبوت 58) .

وقال أيضا : ((فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة)) (البلد 10 — 15) .

وقال أيضا : ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)) (آخر العنكبوت)

وقال أيضا : ((والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)) (محمد 17)

وقال أيضا : ((والله يحب المتطهرين)) (التوبة 108) .

وقال أيضا : ((يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) (آخر آية من آل عمران) .

وقال أيضا : ((أم حسبتموا أن تدخلوا الجنة ولما يانكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب)) (البقرة 214) .

وقال أيضا : ((وكاين من نبي قتل . معه ربيون كثير . فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)) . (آل عمران 114) .

وقال يضا : ((ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ...)) (148 من البقرة)

وقال أيضا : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين ، وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى الباساء والضراء وحين الباس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)) (البقرة 177) .

وقال أيضا : ((وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون)) (البقرة 280) .

وقال أيضا : ((والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)) (الحشر 9) .

ان الفضائل التي تحدث القرآن عليها فى هذه الايات التي ذكرناها كلها فى حاجة الى مجهود متواصل كي تتحقق . والعرب وباقي المسلمين الذين شحنوا بهذه المفاهيم القرآنية حافظوا زهاء سبعة قرون على هذه النفسية المتحفزة للارادة والعمل الذين استطاع العرب بواسطتيهما أن ينشؤا حضارة من أرقى الحضارات . ولكن عند ما فقد المسلمون روح الصلاة واكتفوا بظاهر الطقوس ، وأهمل القرآن فى زاوية النسيان بالمكتبات استرخى التحفز وأصبح الانحطاط حقيقة واقعية لا مناص منها .

وفى الوقت نفسه يدعونا القرآن فى الحاح الى درس الظواهر الطبيعية والى محاولة استخدامها لصالح المجتمع الانساني والاخذ بكل ما من شانه أن

يوافق المصلحة العامة ، ويوصينا بالبحث عن معنى الحياة واستكناه سر هذا العالم الذي نعيش فيه .

س — اتفهم جيدا فكرتكم ، انكم تستخرجون من القرآن أخلاقا ومفهوما تقدميا للحياة . ولكن ، يظهر لنا — نحن الذين نرى الاشياء من ظواهرها — أن حياة المسلمين خاملة ولا تتجلى فيها هذه الديناميكية التي تحدثوننا عنها . فكيف تشرحون هذا التنقيص من قيمة تعتبرونها احدى القيم الهامة فى الاسلام للوصول الى تصور مطابق موجه نحو الماضي اكثر منه نحو التقدم ؟

ج — ان مفهوم الجمود والخمول يرجع — حسب ظني — الى عامل طبيعي وهو التماس الراحة بعد الاجهاد ولكن ربما اعترضتم علي بأن القرآن موجود أمام أعين المسلمين ، وأن لهم مؤلفات تدعوهم الى العمل فى المجال الثقافي والاخلاقي والاقتصادي ، وخصوصا أنه يوجد فى وسطهم رجال يعطونهم مثالا للعمل ويتقشفون ويصبرون

ولقد عرف القرآن — أحسن من أي كتاب منزل واحسن من كل فلسفة واحسن من كل مثالية أو تشريع — عرف كيف يكبح جماح شهوات العرب وغرائزهم وأهواءهم ، وعندما رجع النبي (صلعم) ذات يوم من احدى الغزوات قال لاصحابه : ((رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر)) وعنده أن الجهاد الاكبر هو جهاد النفس ومقاومة الاهواء والنوازع ، وقال أيضا : ((المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل)) .

س — هذه الاقوال التى ذكرتموها الان ، هل هي أحاديث نبوية أم هي مستقاة من القرآن ؟

ج — انها أحاديث نبوية ، ولكن الاحاديث توجد كلها فى القرآن الكريم ولو لم تكن بتعابيرها فانها توجد بمعانيها . قال تعالى : ((سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) (سورة آل عمران 134) . وقال أيضا ((والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفى واصلح فاجره على الله ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل .. ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور)) (سورة الشورى 39 — 43)

فهذه أوامر قاما كان يعرفها عرب الجاهلية ولا يعملون بها الا نادرا لان الاخذ بالثأر كان من خصائصهم البارزة للمحافظة على شرف القبيلة ، والقرآن هو الذي اتاهم بمفهوم المسامحة والغفران .

س — ارجع الى السؤال الهام المتعلق بالوازع الديني ، فكيف يمارس ؟ وبعبارة أخرى ما هي العلاقات الكائنة بين الخالق والمخلوق ؟

ج — أريد أن ألقي هذا السؤال على الجيل الصاعد. فاذا كان الله قد أمرنا بخمس صلوات فى اليوم ، فلكي يبقى الوازع الديني مستمرا دائما . تأملوا التوزيع الزمني للصلوات: فالفجر يقع فى الصباح الباكر قبل طلوع الشمس كي نشكر الله تعالى الذى أعطانا الحياة مرة ثانية بعد النوم الذى يشبه الموت ، ونطلب منه القوة حتى نستطيع تأدية دورنا فى الحياة اليومية ، وعندما أذهب الى السوق أو الى عملي أطلب المعونة من الله ، وصلاة الظهر تكون بعد الرجوع من العمل بين الثانية عشرة والنصف والواحدة زوالا ، وهي فرصة كي نحمد الله عز وجل ويساعدنا على القيام بمهمتنا فى بناء المجتمع ، والعصر الذي أعطانا عملا نكسب منه قوتنا وقوت اسرتنا فى الثالثة والنصف او الرابعة — حسب الفصول — وسنتحدث عنه فيما بعد . ثم تاتي صلاة المغرب التي نقوم بها مثل سابقاتها ، ولكنها تختلف عن الاخرى لكوننا نقطع علاقتنا مع الخارج ، وهي تدخلنا مباشرة فى الحياة العائلية الخاصة التي يطول أمدها حتى يحين موعد الذهاب الى العمل من جديد ، وأخيرا الصلاة النهائية أي صلاة العشاء التي تؤدى قبل النوم كي نشكر الله الذي أعطانا الصحة والذي أعاننا على التغلب على مشاكل اليوم ...

وليس اليوم فى الحقيقة سوى حلقة صغيرة من سلسلة حلقات تؤلف عدد الايام التى تكون الحياة . والصلاة الصعبة جدا هي صلاة العصر التى تكون فى الثالثة والنصف بعد الزوال حيث تكون الاغلبية الساحقة من الناس منهمكة فى عملها . لقد أمرنا الله بالقيام بهذه الصلاة من هذه الساعة بالذات التى تكون فيها افكار الانسان كلها متجهة نحو الاشغال المادية والتى تكاد تنسيه الله وتشجعه على ارتكاب محرمات تعود بالضرر عليه وعلى المجتمع معا .

واعادة الصلاة وتكرارها يقوي عند الانسان الشعور بوجود الله الذي يراقب أعمالنا وأفكارنا وحتى مشاعرنا الخاصة

وبفضل هذه المراقبة الالاهية لا نتفادى المحرمات فقط ، بل نتفادى أيضا الشطط والاجرام ، وهكذا فالانسان مدفوع باستمرار الى العمل من أجل الكمال .

افترض أنني مسؤول عن ادارة وأني وحيد فى مكتبي لا يراقبني أحد أستطيع أن أتصرف حسب هواي، وأن أقوم بأي عمل آخر غير عملي فاذا كنت أصلي وأعيش فى هذه البيئة المحفوفة بالوازع الديني والخوف من الله ، عندئذ أعرف أنه يوجد أحد يراقبني ويأخذ علي عدم قيامي بواجبي ، فالصلاة الحقيقية هي تدريب مستمر ومحافظة ناجحة ليقظة الضمير .

فالذين يصلون ولا يحافظون باستمرار على يقظة ضميرهم فانهم لا يفهمون من الصلاة الا طقوسا صورية تخضع لعادة عقيمة أكل عليها الدهر وشرب ، ولهذا فمآت الملايين من المسلمين والمسيحيين واليهود والهنود والبوذيين لا يفقهون شيئا من الصلاة الحقة .

س — فى تعاليم الدين المسيحي تعرف الصلاة بكونها ((الصعود بأرواحنا الى الله ، كي نعبده ونشكره ونطلب منه التجاوز عن خطايانا ، ونعرض عليه عوزنا ونطلب توفيقه)) . فهل يقبل المسلمون تعريفا كهذا ؟

((وما تجزون الا ما كنتم تعملون)) (الصافات39)
((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) (النجم 37)
((وأن ليس للانسان الا ما سعى))

وتحدث الله عن الشعوب المنحطة والمغلوبة على أمرها والتي تسبب لها سلوكها السيء في الهلاك أو التي ستجد أبواب جهنم مفتوحة في انتظارها من جـــراء تصرفها المشين ، فقال :

((وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمـــون)) . (الزخرف 76) .

((وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون)) (آل عمران 117)

((ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون)) (يونس 44) .

ويتجلى التصرف الحر بوضوح من خلال الايات التالية . قال تعالى : ((ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد)) (ق 29) .

((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)) (الزلزلة 8)

((ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنـــــة يضاعفها ويوت من لدنه أجرا عظيما)) . (النساء 40)

واخيرا هذه الاية الجليلة ، الرفيعة الشـــأن ، مفتاح كل بحث يتعلق بعزة الامم والشعوب حتى تصل الى أعلى عليين أو انحطاطها وانحدارها الى أسفـــل سافلين . قال تعالى :

((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)) (الرعد 12)

وهذه هي الايات الاساسية التى تكون قاعـــــدة الاخلاق الاسلامية والتى تبدد ما قد يظهر حاملا لمعاني الظلم في الايات المتشابهات . فهذه الايات ليســـت في الحقيقة سوى ملاحظات جزئية لبعض الاحوال الخاصة أو تفصيل لمبادىء عامة ، قال تعالى :

((والله فضل بعضكم على بعض في الـــرزق)) . (النحل 71) .

((انظر كيف فضلنا بعضكم على بعض ، وللاخرة اكبر درجات وأكبر تفضيلا)) (الاسراء 21)

((ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)) . (فاطر 8)

ويوضح الله في آية أخرى اذ يقول :

((وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض ، أولئك هم الخاسرون)) (البقرة 25 — 26) .

اما فيما يخص انقسام العالم الى مالكين وغـــير مالكين فانه ناشيء عن ظلم ، ظلم لم يأت منه تعالى ، ولكنه نشأ عن سلوك الناس الذين جعلوا هـــــذه اللامساواة الاجتماعية شيئا حتميا ، قال تعالى :

((ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس)) . (الروم 40) .

ولكن ، نرى الفقراء راضين بمصيرهم الذي دفعهم اليه يأسهم وجمودهم ، فاذا لم يشمروا على ساعد الجد لاحلال توازن محل هذا الجور ، فان قسطا وافرا من المسؤولية عن هذه الحالة المزرية سيقع على كاهلهم . والقرآن يوجب على الفقراء والمظلومين القيام بثـــورة لاصلاح الحال . قال تعالى :

((كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله)) (آل عمران 109)

ويقول حديث شريف في هذا المعنى : ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان)) ويزيد القرآن قائلا :

((ولتكن ، منكم أمة يدعون الى الخير ويامـــرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (آل عمران 103)

ان كل المصلحين الدينيـــــــن والاجتماعييـــن والسياسيين في الاسلام كانوا يبدأون حركتهم التجديدية بالاستدلال بهذه الاية الكريمة .

ان هذا المفهوم الديناميكي للفكر والسلوك كـــان باستمرار السلاح الحاد الذي أشهـره المسلمـــــون المخلصون في وجه الديكتاتوريين والظالمين والمتعسفين والخائنين والمحتكرين .

القوا نظرة على تاريخ الاسلام فستجدون الحيوية تتدفق من الآية المذكورة التى كانت سببا في ظهـــور الخوارج والعباسيين والادارسة والاغالبة والفاطميين والمرابطين والموحدين في الجزيرة العربية والمغـــرب العربي ، والصفاريين والحمدانيـــين والبويهيـــين والطولونيين والمماليك والعثمانيين في الشرق .

لانهم يعلمون ان الحب لا يعطي أكله عند زرعه مباشرة ، ولكن الناس يتجهون فى أغلب الاحيان نحو النتائج العاجلة وهذا يفسر كون المادية تنجح مبدئيا ، فهي تعرض نتيجة ملموسة عاجلة .

س — هل تعليم القرآن الذي كان يدرس فى الجامعات الاسلامية منذ عصر الانحطاط الذي أشرتم له آنفا ، كان يهتم بالرواية اكثر منه بالدراية ؟

ج — لقد اهتم الناس فى عصور الانحطاط بالنص . الا أن النص قتال للتفكير وللتدبير ، ونحن الان ننهض بعد انحطاط نسير خاصة على نهج الشيخ عبده وجمال الدين وشكيب أرسلان والبنا وسيد قطب والغزالي والسمان ... وببعض النظريات التي أتتنا من الباكستان . وقد بدأ الاهتمام بالفكر يزداد شيئا فشيئا ، وفى هذا الموضوع أخبر الله فى سورة آل عمران أنه توجد فى القرآن آيات متشابهات وأخر محكمات هن أم الكتاب فالذين يعتنون بالمظاهر يهتمون بأسلوب الايات المتشابهات ، أما ذوو الافكار النيرة والاذهان الثاقبة فانهم يسبرون غور القرآن ويأخذون عصارة الايات المحكمات التي تكون أم الكتاب : قال تعالى :

((هو الذي أنزل عليك الكتاب . منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الالباب (آل عمران 6) .

ان الله الذي خلق الكون يعلم حق العلم كل شيء، وهو قادر على كل شيء ، وهو معصوم ومنزه عن الخطا ، واذا لم يرد شيئا فلا يمكن أن يكون ضد المعرفة الربانية الكلية والارادة الالاهية الحكيمة ، فجميع حوادث الخير أو الشر التي تعتري حياة الانسان لا تقع الا بعد سابق علم من الله تعالى وحتى تخضع لقوانين الطبيعة ونواميسها التي سنها الله . قال تعالى :

((ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير ، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور)) . (الحديد 21 — 22) .

وهذا ما سماه بعض ذوى العقول المريضة أو المتقاعسين بالقدر المحتوم أو الجبرية ولكن ((الكتاب)) الذي تتحدث عنه الاية السابقة ليس بكتاب منزل كالقرآن والانجيل والتوراة والزبور ، ولا بكتاب العلوم الخفية ، ولكنه كتاب الخلق والتكوين أي ترتيب الطبقات والانواع المخلوقة التي تتعلق بالاهداف التي ترمي اليها حياة كل كائن . ((والمكتوب)) ليس الا حركة تطور الطبيعة فى كلياتها وأجزائها . وبالرغم من الانحطاط الراهن الذي أصاب المسلمين فان مفهوما كهذا سيمنعهم من الانحراف فى تيار التشاؤم والياس الذي يرتمي فيه اليائسون ، فاقدو الامل والغاضبون والمغلوبون ، وأقصد الانتحار الذي أصبح مرضا اجتماعيا تعاني من ويلاته اروبا وأميركا واليابان .

ومن جهة أخرى فان هذه الاية القرآنية لا تتعارض مع مبدأ المسؤولية ولا مع تبعة الاختيار الحر . قال تعالى : ((انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)) . (الاحزاب 72) .

وهذا الظلم وهذا الجهل جزآن لا يتجزآن من الانانية والخبث اللذين أسالا دماء كثيرة وأسفر عن مصائب ومساوىء من عهد قابيل الى عصرنا الحاضر .

وهذا لا يتنافى مع كون الله منح الانسان الذكاء والضمير والارادة التى من شأنها أن تحمله على الارتقاء الى أعلى عليين وجعله متحكما فى عوالم المعادن والنباتات والحيوانات بل فى باقي الكون اذا امكن والى هذا تشير الاية التالية : ((واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الارض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني أعلم ما لا تعلمون)) (البقرة 29) .

وهذه الاية الاخيرة تمجد الانسان وتخبر انه — بالرغم من الاخطاء (كالانانية والكسل) الملازمة لطبيعتنا المتطورة ، فاننا نتوفر على الخصال الحميدة التي تساعدنا على الارتقاء وكبح جماح شهواتنا والتغلب على جهلنا وضعفنا . واليك بعض الايات المتشابهات التي لا يفقه السطحيون مدلولاتها لانها تلتبس عليهم لكون عقولهم متكاسلة خاملة قال تعالى : ((... وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا !)) (النساء 77) .

ومذهب الاختيار هذا لا يتعارض مع العلم الكلي والقوة المطلقة اللذين ينفرد بهما عز وجل فحسب ، بل ان فى الايات التالية ما يبرز ذلكم الاختيار ويؤكده :

((ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)) (النساء 77)

فراغ يجب ان يملأ

للأستاذ : محمد عبد العزيز الدباغ

- 2 -

ايها الشباب لقد حفزني الى الحديث عن الايمان والاخلاق ما الاحظه فى اتصالاتي المباشرة ببعـــض الافراد من الانكار والجحود واللامبالاة بأي حديــث رتبط بالدين او الاخلاق او الثقافة العربية عامــة .

اننا فى الحكم الجغرافي والتاريخي والواقعــي عرب مسلمون فاذا تسرب الانحلال الينـــا فهو لا ينحصر علينا وانما يتجاوزنا الى الجنس والدين .

ونحن وان كنا لا ندعو الى التعصب الجنســي او التعصب الديني فنحن مضطرون امام التيـــارات العالمية ان نضع انفسنا فى مكاننا اللائق بنا ، فلــــن يرضى الانسان ان يكون امعة او ان يكون عبدا ذلــولا يساق كما تساق الانعام ، خصوصا واننا لسنا طفيليين على الحضارات او العلوم فتاريخنا يشهد باننا قمنــا بدور علمي واجتماعي عظيــم .

ومن الواجب علينا ان لا نردد ما قمنـــا بـــه فى التاريخ دون ان نعمل من جديد على تحقيق مدنيــة صالحة فالشاعر العربي يقول :

فشـــر العالميـــن ذوو خمـــول
اذا فاخرتهـم ذكـروا الجـــدودا

وخير الناس ذو حسب قديــم
اقـام لنفســـه حسبـــا جديـــدا

ان الافتخار بالماضي لا يفيد اذا لم يضف اليـــه عمل جديد ولكننا مع الاسف نرى انفسنا مضطريـــن الى الافتخار بالجدود لنجعل هذا الافتخار مستنـــد الانطلاق ومبعث الانعتاق من هذا الجهل الذي نتخبط فيــه .

ان هذا الماضي الذي نريد ان نفتخر به ليكــون مبدأ الانطلاق مجهول عند اكثر شبابنا وان هـــذا الجهل هو سبب ضعفهم واستخفافهــم بحضارتنـــا وبلغتنـــا .

يجب ان يعلم شبابنـــا ان الاســـلام هـــو سبب ضعفهم واستخفافهم بحضارتنا وبلغتنا .

يجب ان يعلم شبابنا ان الاسلام منذ انبعـــث فى الجزيرة العربية وهو يعمل على تحرير الفرد مـــن الخرافات ومن الاستعباد ومن الظلم ومن الاخـــلاق الفاسدة .

لقد جاء الاسلام فوجد العرب يؤمنون بخرافات شتى يصرفون الطير فى امورهم ويعبدون الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ويكثرون مـــن الحروب الانتقاميـــة ويئـــدون البنـــات متـــى شـــاؤوا وتغلـــب عليهم العصبية يناصر الفرد قبيلته ظالمة او مظلومة ، ويفتخر بها امام الملا فيعادي من يعاديها ويسالم مـــن يسالمها دون ان يفكر فى تاسيس قومية عربية او اتحاد عام يجمع العرب ويوحدهم .

لقد جاء الاسلام فوجد الربا منتشرا بين الناس يشل حركة الاقتصاد بينهم ويجعل للاغنيـــاء دولة على الفقراء .

لقد جاء الاسلام فوجد انحلالا خلقيا يتســـرب الى بعض الاسر ووجد المتعـــة املا يرتجى وهدفـــا يقصد ، فانكر كل ما راى واعلن الثورة الكبرى علـــى هذه التقاليد الفاسدة التي جعلت العرب آنـــذاك

وهكذا كان أيضا بالنسبة لابي ذر العقاري ، لابن تومرت ، لعبيد الله الخرساني ، لابن تيمية ، لابن حنبل، لعبد الوهاب ، للسنوسي ، للامير عبد القادر ، للافغاني لعبده ، للامير عبد الكريم ، لرشيد رضا ، لشكيب أرسلان ، لابن باديس ، لحسن البنا ، للاخوان المسلمين ، للشبان المسلمين ، لعباد الرحمان ، لشبان محمد ...

س — الخص فكرتكم : أظن انكم الحجتم في الوازع الديني في العلاقات بين الله والانسان وفي الاخلاق الفاضلة التي — هي حسب ظنكم — جانب من الجوانب الهامة في المذهبية القرآنية ، فهل هناك قيم أخرى رئيسية ؟

ج — نعم ، هناك قضية التوحيد وهي اساسية بالنسبة الي وهامة بالنسبة للمسلمين كافة ، لكونهم لا يتساهلون فيها مطلقا ، وتكون خط دفاع يقينا شر التردي في المادية وأستسمح اذا كنت سأذكر شيئا يجرح عواطفكم لكونكم مسيحيا ، والمسلمون هم وحدهم — من بين غير المسيحيين — الذين يقدسون المسيح وأمه ، ولكننا لا نستطيع أن نقبل ، ولا حتى أن نتصور أن لله ولدا .

قال تعالى : ((ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)) (آل عمران 78)

((ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله)) (البقرة 164)

ويقول القرآن الكريم على لسان المسيح :

((ان الله ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم)) (آل عمران 50)

((وقالوا اتخذ الله ولدا ! سبحانه ، بل له ما في السماوات والارض ، كل له قانتون)) ((البقرة 115)

ثم ينتقل القرآن الى المحاورة التي ستجري بين الله وعبده المسيح في يوم الحساب :

((واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟؟ قال : سبحانك ! ما يكون لي أن أقول ما ليس لي به حق ، ان كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم)) (المائدة)) (116 — 118)

وبعد ما يقص القرآن ولادة المسيح يزيد قائلا :

((ذلك عيسى بن مريم ، قول الحق الذي فيه تمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه ! اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون)) (مريم 33 — 34)

((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من انصار . لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من الاه الا الاه واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ، ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم ، ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يوفكون)) (المائدة 72 — 75)

((ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون)) (آل عمران 59)

وفي الحقيقة فان خلق الانسان الاول كان معجزة خارقة للعادة ، خصوصا وأنه لم يكن له لا أب ولا أم ، أما المسيح فقد كانت له أم على الاقل .

ونظرا لضيق المجال فسوف لا أذكر الايات المتعلقة بالمسيح ولكنني سأختم بهذه :

((وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا ادا ، تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمان ولدا . وما ينبغي للرحمان أن يتخذ ولدا . ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)) (مريم 88 — 95)

((يتبع))

وتلك المزية هي التنويه بالعقل والتعويل عليه في امر العقيدة وامر التبعة والتكليف »

ولاشك ان هذه الدعوة الى التفكير هي التي جعلت المسلمين يستقصون الثقافات المختلفة ويستفيدون منها وهي التي دفعت العلماء المسلمين الى التعمق في الدراسات الالهية ويحاول الربط بين الفلسفة والعقيدة .

ان هذه الدعوة الى التفكير هي التي جعلت المسلم يبحث عن الحقيقة بكل حرية ويؤمن بما وصل اليه عن طريق عقله اذا اعتمد على مقومات سليمة .

ان هذه الدعوة حررت الفكر من التبعية وجعلت الانسان يتوق الى صنع العجائب فانطلق يبحث ويبحث ويبحث حتى استطاع ان يكشف ما لا يحصر عدده ولا يحصى نوعه .

ومن اهم اكتشافاته التي انتصر بها على الامراض وصوله الى معرفة الجراثيم الفتاكة التي عرف بعضها الرازي قديما ثم ابان عنها باستور فيما بعد

وان هذه الاكتشافات حققت تطورا عظيما في الطب وفي مقاومة الامراض ولقد استفاد علماء اوروبا من تجارب العرب في هذا الميدان فان الطب العربي كان قويما لايعتمد على الخرافات الضالة ولكنه كان يعتمد على وسائل كيمائية خاصة تركب بسببها الادوية وتنتشر الصيدليات وتعم المستشفيات .

ومن اهم اطباء المغرب والاندلس ابن طفيل الذي لقي في بلاط ابي يعقوب يوسف الموحدي عناية كبرى شجعته على الحذق في الطب العمومي وفي الجراحات .

ولقد اهتم اطباء العرب بالمرضى على اختلاف انواعهم وفكروا في ايجاد وسائل للعلاج لا تقتصر على الادوية المفردة والمركبة وانما تتجاوز الى العلاج النفسي او العلاج بالفنون الجميلة التي تستأنس بها النفوس .

ولقد رأى هؤلاء الاطباء ان كثيرا من المرضى بالامراض العقلية تخف وطأة مرضهم اذا عولجوا بالموسيقى الرقيقة الهادئة المطمئنة وكان التجاوب حاصلا بينهم وبين افراد الشعب لذلك نلاحظ ان بعض الاوقاف الاسلامية التي كانت في مدينة فاس وجهها اصحابها لعلاج المرضى عن طريق الموسيقى الرائعة ، وكانت الاجواق تعزف بنغماتها في مستشفى سيدي فرج «1» فتنشرح نفوس المرضى وتهدأ اعصابهم ويقل توترهم وتلين نفوسهم ويختار لهم مارق من الالحان ويجنبون الموسيقى الصاخبة التي تثير الاعصاب كالموسيقى الجازية القلقة التي يعجب بها شبابنا الان فتزيد في توترهم واضطراب اعصابهم .

ان هاته الظاهرة تدل على تفهم العرب للدراسات النفسية ولمعرفتهم بتأثيرهم الموسيقي على تهذيب النفوس وعلاجها .

ومستشفى سيدي فرج هذا كان مركزا للدراسات الطبية في عهد المرينيين والوطاسيين لان المغاربة كانوا يجعلون المستشفيات مراكز للدراسة فيربطون بين التعليم النظري وبين التعليم التجريبي ولقد توظف فيه الحسن بن محمد الوزان الفاسي وهو صغير ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الوزان بارعا في علوم الطب وفي العلوم التجريبية .

والوزان الفاسي هذا هو الذي لعب دورا عظيما في النهضة الاوربية الحاضرة ذلك انه بعد ان نال دراسته العلمية بمدينة فاس وبجامعة القرويين وبعد ان تقلد وظائف مختلفة في بلاد مختلفة في بلاد المغرب وقام بشؤون دبلوماسية بين الملك الوطاسي وبين الملك السعدي الذي ثار عليه وبعد ان كان يسير في احدى مهماته السياسية سقط اسيرا في قبضة القراصنة الايطاليين فنقلوه الى روما حينما لاحظوا عليه آثار العلم ودفعوه الى ليون العاشر الذي كان يهتم بالعلوم كثيرا فقربه اليه وحضنه على ان يترجم له ما يعرفه من علوم العرب واعلن امام رعاياه بان هذا المغربي الاسير قد تنصر ليوجد في نفوس المسيحيين رغبة في تلقي العلوم التي سيلقيها الوزان الفاسي عليهم وسماه آنذاك بليون الافريقي حتى كاد الاسم الاصلي يضيع في اذهان الناس ولم يبق الا اسم ليون الافريقي **(Léon l'Africain)** يتردد بين افواه الاوربيين الذين اذا تحدثوا عن تاريخ نهضتهم ذكروا هذا الرجل العالم لذي يكاد يكون مجهولا عند من لم يهتم بدارسة حضارة العرب والمسلمين .

يجب ان تعلموا ان هذا الرجل المغربي الاندلسي الذي نهل دراسته من جامعة القرويين بفاس كان له الفضل الاكبر في التقدم الطبي في اوربا فقد الف قاموسا طبيا يحتوي على 117 صفحة حاول فيه ان ينقل المصطلحات الطبية العربية الى اللغة اللاتينية والعبرية

«1» كان يوجد هذا المستشفى في حي العطارين بفاس وكان خاصا بالامراض العقلية .

متخلفين تتحكم بعض الدو ل الكبرى في حدودهم ويستمر التناحر بينهم وسط جزيرتهم .. ودعاهم الى الوحدة الدينية التي جمعت شملهم وفتحت امامهم باب الامل فخرجوا من الجزيرة بمبادئهم الجديدة التي افادت العالم فيما بعد .

ان الاسلام كان من اقوى الاسباب التي رفعت من شأن العرب واثرت في اتحادهم حينما استجابوا لنداء الله وقد من الله عليهم بذلك وذكرهم به في الكتاب العزيز فقال : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءاياته لعلكم تهتدون «1» » .

ان الاسلام دعا العرب الى الابتعاد عن الفوضى في نظام الاسرة فحرم نكاح الاستمتاع وجعل الزواج اساس شروعية الاتصال الجنسي حتى يقع التماسك بين المجتمع وبين رغبات الفرد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

ان الاسلام حرم واد البنات وحرص على منح الحياة للمراة وكفل لها شخصيتها ودعا الاباء الى التفكير الجدي في مصير بناتهم فاذا كانوا يخافون عليهن انحلالا فالاولى ان يقوموا بتهذيبهن وتربيتهن فليس الموقف الذي يتبعونه بموقف سديد ، فالاقدام على قتل البنات خوفا من العار ليس الا جبنا فهو اشبه بالانتحار الذي يعتبر حلا سلبيا للمشاكل ولقد صور القرءان موقف الوائدين فقال : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون «2» » .

ان الاسلام مكن المراة من شخصيتها وجعلها شريكة الرجل ومساوية له في الحقوق حسب قانون تكافؤ الفرص وحسب الامكانيات الجنسية لكل طائفة

ومن الغريب اننا اذا وجدنا من يتحدث عن مشاكل المراة في الاسلام ممن يجهل اسباب تشريعه ظن ان المراة قد سلبها الدين حقوقها خصوصا حينما لم يسوها بالرجل في الارث او حين جعل الرجال قوامين على النساء في الزواج والطلاق وحين اباح للرجل اذا التزم بالعدل ان يتزوج باكثر من امراة واحدة .

مع ان الذين يتتبعون اسباب التشريع سيجدون ان حسن النظم ما وافق القرءان لان الاسلام امر الرجل ان يعامل المراة بالعدل والمعروف واذا استطاعت المراة ان تعيش منصفة من الرجل وابعد ظلمه عنها فقد سعدت ونالت ما تود المراة العالمية ان تصل اليه .

فمشروعية احترام المراة امر يفرضه الدين وليس الاسلام بمسؤول عن الذين نسوا الله ونسوا دينه فخرجوا عن حدود الطاعة وابتعدوا عن الالتزام الديني الذي يوجب عليهم معاملة النساء بالحسنى وزيادة .

لقد شرع الاسلام بعض ما شرعه وفقا للنظم الاجتماعية التي تسير عليها بعض المجتمعات فالرجل هو المسؤول عن النفقة وهو اقوى ضبطا لعواطفه من المراة لذلك ملك حق الطلاق الا اذا اضر بالمراة او اضاع بعض حقوقها فلها ءانذاك ان ترفع امرها للقاضي فيتولاه ويطلقها من الزوج اذا اقتضت المصلحة ذلك .

ولما كانت مسؤولية الرجل في الحياة اكثر وحاجته الى المال اقوى لانه الذي يدفع المهر ويتولى الانفاق شرع الله له حق الارث ضعفين لان الجزء الذي تناله المراة لاتنفقه الا في كمالياتها فقد يتولى الانفاق عنها زوجها او ابوها .

وان امر تعدد الزوجات ليس امرا مفروضا وفرق بين الاباحة والالزام عند من يفكر مع ان الاباحة قد روعيت فيها مصلحة المراة كزوجة وكجنس .

لقد تتبع الاسلام صفات خلقية كثيرة وشرح مشاكل اجتماعية متعددة لم يقتصر في شرحها على العاطفة ولم يامرنا بالركون اليها دون تفكير بل امرنا باستخدام العقل في ءايات من القرءان كثيرة ولقد قال العقاد في بعض كتبه (3) : « من مزايا القرءان الكثيرة مزية واضحة يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين لانها تثبت من تلاوة الايات ثبوتا تؤيده ارقام الحساب ودلالات اللفظ اليسير قبل الرجوع في تأييدها الى المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الاراء .

1» من سورة ءال عمران الاية 103 .

2» من سورة النحل 58—59 .

3» من مقدمة كتاب العقاد « التفكير فريضة اسلامية »

نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

-7-

جواب السفارة النرويجية

زرت السفارة النرويجية فتلقاني الموظفون بحفاوة واكرام وسالت الموظف المختص ان يجيبني كتابة عن عدد الملحدين من رعايا المملكة النرويجية فكتب الي بالانجليزية ما ترجمته :

بناء على طلب البروفسور الدكتور تقي الدين الهلالي نعطي المعلومات التالية على اساس كتاب الاحصاء السنوي للمملكة النرويجية سنة 1964 لسنة 1960 :

1 ــ مجموع السكان 3.591.234

2 ــ عدد الاشخاص الخارجين عن الكنيسة القومية 134.551

3 ــ عدد الاشخاص الذين لا ينتمون الى اي دين 22.413

الطوائف المتدينة غير التابعة للكنيسة القومية

1 ــ الكاتوليكيون الروم 7.875

2 ــ الارتودوكسيون اليونانيون 610

3 ــ الانكليكانيون 494

4 ــ طوائف انجيلية اخرى 1.054

5 ــ النظاميون 11.196

6 ــ طائفة من النصارى لا يعمدون الا البالغين 9.315

7 ــ الادفينتسيون « السبتيون » 5.272

8 ــ طائفة من النصارى ، يسمون المهتزين 208

9 ــ اللوثريون اتباع الكنيسة الحرة 16.773

10 ــ جماعة جارليسبرك الاحرار 196

11 ــ جماعة الله 1.417

12 ــ جماعة المرسلين الالينيين 4.421

13 ــ الجمعية الانجيلية 438

14 ــ ارساليات اخرى متفرقة 453

15 ــ جمعية عيسى المسيح 496

16 ــ البنتكو ستاليون 34.122

17 ــ طوائف اخرى تلتزم التعميد بعد البلوغ 1.252

18 ــ الكنيسة الرسولية 375

19 ــ طائفة شهود جهوفا 4.188

20 ــ المسيحيون العلميون 134

21 ــ الموحدون 17

22 ــ المرمونيون « الذين يبيحون تعدد الزوجات 1.241

23 ــ طائفة يهودية 841

24 ــ طوائف دينية اخرى 3.458

25 ــ اناس خارجون عن نظام الكنائس السابق ذكرها 6.392

ختم السفارة ــ والتوقيع غير مقروء

فتاملوا ايها القراء المنصفون هذه النسبة الضئيلة من الملحدين فى تلك البلاد ، وفى ذلك الشعب الذي هو عريق فى الحرية والديمقراطية ، كل افراده

وفي مكتبة الاسكوريال نسخة من هذا المعجم نقـــل بعض صفحاته الاستاذ محمد المهـــدي الحجوي في البحث الذي القاه في مؤتمر المستشرقين الثامن بفاس سنة 1933 م والذي طبع بالرباط سنة 1935 م .

لقد كان ليون الافريقي أثر على النهضة الاوروبية الحديثة فقد اصبح استاذا في كلية بولونيا واهتـــم بالدراسات الطبية والتاريخية والجغرافية وصـــار استاذا للكردنال (Gilles de Viterbe) بعد موت ليـــون العاشـــر .

وهذا هو السبب الذي دفع المؤرخين الـــى ان يجعلوا من اسباب الازدهار الحضاري في اوربـــا العمل الذي قام به الوزان الفاسي لانه مهد للاوربيين طريق البحث واعانهم على التعرف على العلوم العربية التي مهدت لهم سبيل المعرفة ودفعتهم الى تتبـــع ءاثار العرب فاهتموا بعلومهم وبكتبهم واعانتهـــم الطباعة بعد ظهورها فشاعت الثقافة في انحاء اروبا .

ولكن من المؤسف ان العرب بعد نهضتهم قـــد اصيبوا بشلل في الاستمرار الحضاري وتأخروا علميـــا واقتصاديا وسياسيـــا واستولى الاوربيون عليهـــم الى ان قام بين العرب دعاة اصلاح دعوا الى التحـــرر السياسي والاقتصادي والفكري وعملوا على نشـــر الحضارة العربية وايقاظ الهمم ومـــا زالت هاتـــه الحركـــة تؤتي اكلها الى الان .

واود قبل ان انهي حديثي هذا ان ابرز لكـــم صورة حية تمثل جانبا من حضارتنا يمكننا ان نجعله عنوانا لما كان يقوم به المغاربة في الاصلاح الاجتماعي والاهتمام بالمشاكل التي كان يود المغرب ان يتخلص منها ومـــن اهم هـــذه المشاكـــل القضاء على الامراض وتيسير العلاج المجاني وتعميم المستشفيات في كل انحاء البلاد وسأنقل الان من كتاب المعجب وصفا لمستشفى بنـــاه المنصور الموحدي بمدينة مراكش وهو وصف رائـــع يدل على مدى التقدم الذي بلغ اليه المغاربة .

قال عبد الواحد المراكشي : « وبنى ــ المنصور ــ بمدينة مراكش مارستانا ما اظن ان في الدنيا مثلـــه وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضـــع في البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فاتقنـــوا فيه من النقوش البديعـــة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والمأكولات واجرى فيه مياهـــا كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع بـــرك في وسطه احداها رخام ابيض ثم امر له من الفـــرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديـــم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت واجرى له ثلاثيـــن دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفـــق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية واقـــام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحـــال واعد فيه المرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهـــاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا امـــر له عند خروجه بمـــال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا دفع له ماله وتركته وسببه ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش مـــن غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن اهل بيت يقول كيف حالكم وكيف القومـــة عليكم الى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ولم يـــزل مستمرا على هذا الى ان مات رحمه الله » .

اظن ان هذا النص كاف في معرفة الاهتمـــام الذي كان يوليه ءاباؤنا للعلم وللاصلاح الاجتماعي .

اظن ان الامثلة العامة التي ذكرناها كانت دليـــلا على مدى اسهام الحضارة الاسلامية العربية فـــي التطورات العلمية والفنية والخلقيـــة .

فكيف يكون موقفنا الان أمـــام انفسنـــا بعد ان علمنا ان الثقافة الاسلامية لم تقف حاجزا بين الفـــرد والحيـــاة ؟!

كيف يكون موقفنا مع انفسنا حين علمنا ان اللغة العربية كانت اللغة التي يدرس بهـــا الطب وتدرس الحكمة وتدرس العلوم على اختلاف انواعها ؟ !

ان اللغات في الحقيقة لا تموت الا اذا ماتت همة المتكلمين بها لهذا ارجو ان ترتفع هاته الهمة في نفوسنا وان نعمل ما في استطاعتنا فنستغل الفرص التـــي بين ايدينـــا فاذا كانت المناهج الدراسية الى الان لـــم تعرب تعريبا علميا فعلى الاقل يجب علينا ان نستفيـــد من الدراسات الادبية واللغوية لاننا اذا اهتممنا باللغة نستطيع فيما بعد ان نحول العلوم التـــي نتلقاها الـــى لغتنا وسنقوم ءانذاك بملء الفراغ في الاطر التعليميـــة فلا تمر سنوات معدودات حتى نسترجع بعدها قوتنا وايماننا بحضارتنا وثقافتنا . واني لآمل ان يكـــون جيلكم ممن سيحمل هاته الامانة ويسعى في تطبيقها كما ارجو ان تكونوا ممن شملتهم الايـــة الكريمة : الذين يستمعون القول فيتبعون احسنـــه اولئك الذيـــن هداهم الله واولئك هم اولو الالباب » صـــدق الله العظيـــم .

فاس ــ محمد بن عبد العزيز الدباغ

يكتسب وجوده من وجود غيره يستمد منه كل مـــا هو متمتع به من الخصائص والصفات . اذن فالينبوع الازلي الذي نتجت منه جميع الكائنات يجب ان يكون هو اصل جميع قواها ، فهو اذن قادر على كل شيء . وغير ذلك فان الانسان يرى في نفسه قوة على العلم ، فيجب ان يكون الاصل الازلي الذي نتج منه الانسان عالما ، لانه لا يعقل ان ذلك الاصل يكون مجردا عـن العلم وتنتج منه كائنات عاقلة . ومما يناقض البداهة ان المادة المجردة من الحس تمتع نفسها بعقل لم يكـن لها من قبل . فيجب بالبداهة ان يكون اصل الكـــون عاقلا ، بل لا حد لعقله ، وهو اللــه .

براهيــن فولتيــر

فولتير اشهر فلاسفة الفرنسيين واكبر كتابهـم وبحاثيهم « 1694 – 1778 » تعزى الى تعاليمه هـــو وروسو المبادىء التي اججت نار الثورة الفرنسيـــــة المشهورة ، وهو فوق ذلك يعتبر من العقول الكبيـــرة في العالم . قال في قاموسه الفلسفي ما يأتي :

ان الطريقة الطبيعية للوصول الى معرفة اللــــه واكمل الاساليب الصالحة للمدارك العامة هو عــــدم قصر التامل على نظام الوجود ، ولكن يجب مده علـى المقاصد التي خلق لها كل شيء . وقد انشأوا على هذه الفكرة اسفارا ضخمة، وكلها في الحقيقة يمكن ان تلخص في هذا البرهان وهو : اني اذا رايت ساعة يشير عقربها الى الاوقات المختلفة استنتج من ذلك بان لابد من ان يكون عقل قد رتب لوالب هذه الالة حتى استطـــاع العقرب ان يدل على الساعات دلالات حقيقيـــــة . وكذلك اراني ان تاملت في ءالات الجسم الانسانـــي استنتج ان لابد من ان يكون عقل قد نظم اجـــزاءه واجهزته وجعله قابلا لان يتغذى في الرحم تسعــــة اشهر متوالية ، وانه قد متع بأعين لينظر بها وبأيـــد يتنـــاول بها الخ .

من هذا البرهان وحده لا استنتج انا شيئا ، غير ان كائنا عاقلا صور المادة على ابدع الاشكال ، ولكني لا استطيع ان استنتج منه ان هذا الكائن خلق المادة من العدم ، وانه لا نهاية له من كل وجه . ولقد حاولت ان امثل بفكري هذه الافكار الاتية وهي : انا مخلوق لكائن اقوى مني ، اذن فيكون هذا الكائن موجودا مـــن القدم ، وعليه فيكون قد خلق كل شيء ، وهو غيـــر محدود بحـد الخ .

بحثت لامثل هذه الافكار بذهني فلم اجـــد سلسلة الاستنتاج تؤدي الى هذه النتائج وغاية ما رأيته اني تحققت انه يوجد شيء في الوجود اقوى منـي ليس الا .

يكفي من مثل فولتير ، وهو ذلـك العقــل الثوري المستعصي ان يقر ويعترف بوجود شيء اقوى منه في الوجود خلقه واحكم صنعه ، ولو لم يكن هــذا الاستنتاج من البداهة بالمكان المعهود لسمعت لــــه صيحات ضد المعتقديــن تصم الاذان ، يفخر الملحدون بها في كل مكان . وكم لفولتير غير ما قدمنا من كلمات ثمينة واستهزاءات وجهها على الماديين الذين لا يرون في الكون الا نواميسه الصامتة .

فمما قاله في قاموسه الفلسفي ضد الماديين الذين يزعمون ان الكون خلق بالاتفاق المجرد ، وان اعضـاء الانسان مثلا لم تخلق لتؤدي غرضا مقصودا ، ولكنها ادت هذا الفرض اتفاقا ، فقال فولتير حيــن بلغه هذا التهـوس الفلسفي : ان الادعاء بان العيــن لم تخلـق لنا لننظر بها ، ولا الاذن لنسمع بها ، ولا المعدة لنهضم بها ، يعد افظع الغباوات العقلية وبأكشـف العمايات الجنونية التي تلم بالعقل الانسانـي .

براهيــن جان جاك روســو

روسو من اشهر فلاسفة الفرنسيين ، بل العالم كله ، هو صاحب نظرية العقد الاجتماعي المشهـــورة التي سار المشرعون والساسة عليهـا سنين طويلـة ، ويعتبر اكبر مهيىء للثورة الفرنسية بما بثه في مؤلفاته من ايقاظ الهمم واحياء النفوس ، وتنبيه العواطـــف « 1712 – 1778 » بدأ روسو في كتابه الاعتـــراف بالعقيدة بالادلال على ان المادة المحسوسة تكون تـــارة متحركة ، وتارة ساكنــــة ، واستنتج من ذلك انــه لا الحركة ولا السكون صفة اصليــة من صفاتها .

ثم قال : ولما كانت الحركة عملا فهي نتيجـــة سبب لو ارتفع حدث السكون بعدها . فاذا لم يؤثر شيء على المادة فلا تتحرك مطلقـا ، وهي لا يعنيها ان تتحرك او تسكن ، والسكون هو حالتها الطبيعية .

ثم لاحظ روسو ان هناك نوعين من الحركـة : حركة وقتية ارادية وحركة قهرية ءاتية من مؤثـــر خارجي ، والتمييز بين هذين النوعيــن من الحركـة مؤسس على التجربـة وشهادة الضمير . فقـــال بالحرف الواحـد :

مطمئنون على حقوقهم وملتزمون لاداء واجباتهم ، يدلك على ذلك كثرة الطوائف الدينية مع قلة عدد سكان تلك البلاد الشاسعة المترامية الاطراف ، فقد سافرت من عاصمتها اوسلو الى مدينة نارويك في اقاصي الشمال مسافة الف ومائتي كلومترا ، لم ابلغ منتهى حدودها الشمالية ، حتى ان طائفة الموحدين وهم الذين يوحدون الله ولا يقولون بالهية المسيح ، ولا بانه ابن الله ، وانما هو بشر كسائر البشر اكرمه الله بالنبوة والرسالة ، لايزيد عددهم على سبعة عشر شخصا . والحكومة مع ذلك معترفة بهم ، وهم احرار في التمسك بعقيدتهم التي هي مضادة كل المضادة لعقيدة سائر افراد الشعب . ثم ان هذه الدولة كذلك من الدول العريقة في المدنية والحضارة . فاين ما يزعمه المخادعون لانفسهم ولشعوبهم من زعمهم ان شعوب اوربا لم تستطع ان تضرب بسهم في المدنية حتى تركت دينها واصبح اهلها كلهم ملحدين الا قليلا جدا . هذه دعاية اجرامية جاهلة كاذبة خاطئة ، كانت تروق للمستعمرين الماديين . والان يروجها المستعمرون الروحيون والغوغاء الجهال اتباع كل ناعق ، والمستهترون بالشهوات وفساد الاخلاق . وقد ظهر بما نقلناه وما سننقله ان شاء الله غشهم وكذبهم .

وقد سبقت الاشارة الى انني اؤخر الكلام على عدد الملحدين في البلدان التي ليس فيها حرية رأي ولا حرية اعتقاد ولا غيرهما من الحريات ، اذ لا يمكن ان يعلم ما في ضمائر الناس الا اذا كانوا احرارا في التصريح بآرائهم واظهار عقائدهم غير خائفين على حقوقهم ان تفقد بسبب مخالفتهم لغيرهم من المواطنين المتعصبين .

نعود الى سرد حجج الفلاسفة والعلماء على اثبات وجود الخالق سبحانه .

براهين كلارك

كان تلميذا وصديقا للعلامة نيوتن المتقدم ذكره ، وهو من اشهر فلاسفة الانجليز « 1675 — 1729 » قال في كتابه « اثبات وجود الله » :

لاجل ان اثبت وجود الله الفت نظر القارىء الى اننا نحمل في انفسنا فكرة على الابدية واللانهائية « يريد اننا ندرك ابدا لا ءاخر له ونهاية لا حد لها » وهي فكرة يستحيل علينا ان نلاشيها او نطردها عن عقولنا ، وهي صفات يجب ان يكون موصوفا بها كائن موجود .

كان كلارك يريد ان يقول : ان لم تكن الابدية واللانهاية موجودتين ، فمن اين حدثت في اذهاننا فكرة عنهما .

ثم قال كلارك ما مؤداه : لابد لنا من فرض ان شيئا وجد من الازل بدليل وجود الاشياء الان ، وهذا الفرض حقيقة لا شك فيها، لان كل موجود يجب ان يكون سبب اوجده او اصل قام عليه وجوده ، وهذه الاشياء ، اما موجودة بذاتها ، فهي اذن قديمة ازلية واما ان تكون موجودة بموجد تقدم عليها ، فيكون هو القديم الازلي .

ثم قال كلارك ما خلاصته : لا يمكن ان يكون هذا الوجود المادي مستقلا بنفسه ولا ابديا ، الا اذا كان هو واجب الوجود بذاته . ولكن مما لا شك فيه ان الوجود ليس هو واجب الوجود ، لانه سواء تاملت في شكله الظاهري مع قابليات اجزائه وحركاتها المختلفة ، او اعتبرت مادته التي هو مكون منها بدون التفات الى شكلها الذي هي ظاهرة به الان ، فلا ارى فيها الا آثار ارادة واختيار ، فمجموعها في جملته ، وكل من اجزائها في موضعه وحركته ومادته وشكله . وبالجملة كل ما فيه يظهر لي انه متعلق بغيره غير مستقل . وبعيد من ان يكون موجودا بذاته . انا اعترف ان الوجود لاجل ان يكون صالحا يجب ان تكون اجزاؤه على الترتيب الذي هي عليه اليوم ، ولكني لا ارى ان ذلك الترتيب وجد بضرورة طبيعية ، وهي الضرورة التي يستند عليها الملحدون ويدافعون عنها.

براهين لوك

لوك فيلسوف انجليزي شهير قال في كتابه على العقل الانساني : انه لاجل اثبات الخالق لا نرانا في حاجة الا الى التأمل في انفسنا وفي وجودنا ، فانه مما لا مشاحة فيه ان كلامنا يعتقد انه موجود ، وانه شيء من اشياء الوجود . اما الذي يشك في وجود نفسه فليس لنا معه كلام .

وانا نعلم ايضا ببداهة العقل بان العدم لا ينتج مطلقا كائنا حقيقيا . ومن هنا يظهر لنا بوضوح جلي وباسلوب رياضي بانه لابد من ان يكون قد وجد شيء في الوجود من الازل ، لان كل ما له بداية يجب ان يكون ناتجا من شيء تقدمه . ومما لا ريب فيه ان كل كائن

الكائنات لا تضيع منها واحدة ، ولا تختلط بغيرها في المجموع . فما ابعد تلك الفروض عن العقل ، تلك الفروض التي تزعم ان هذا النظام البديع المتلائم الاجزاء هو نتيجة الحركة العمياء المطبوعة في المادة بالاتفاق . ان الذين يجحدون وحدة القصد الظاهر في العلائق الموجودة بين جميع اجزاء هذا الوجود العظيم ، انما يحاولون عبثا ان يخفوا سفسطتهم تحت ستار التجريدات ، والترتيبات ، والاصول العامة والعبارات الخالية ، مهما عملوا ، فمن المحال ان ادرك نظاما للكائنات مستمرا كما ارى ولا ادرك معه تلك الحكمة التي وهبتها هذا النظام . فلست انا الذي يستطيع ان يعتقد بان المادة الميتة تستطيع ان تنتج كائنات حية ، وان الضرورة العمياء تستطيع ان تخلق كائنات عاقلة. وان ما لا يعقل يستطيع ان يوجد كائنات مدركة .

اقوال بعض كبار العقول

قال العلامة هرشل الانجليزي من اكابر علماء الفلك في العالم كله : كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق ازلي لا حد لقدرته ولا نهاية . فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم ، وهو في الواقع صرح عظمة الله وحده .

وقال العلامة العمراني الكبير هربرت سبنسر الانجليزي كما نقله العلامة « جون لوك » الانكليزي في كتابه ، ثمرة الحياة الذي نقله للعربية الفاضل حسن افندي رياض ، قال سبنسر : نرى من بين كل هذه الاسرار التي تزداد غموضا « تأمل » كلما زاد بحثنا فيها حقيقة واضحة لابد منها ، وهي انه يوجد فوق الانسان قوة ازلية ابدية نشأ عنها كل شيء .

وقال العلامة الطائر الصيت « لينيه » الفزيولوجي الفرنسي كما نقله عنه العلامة كامل فلامريون في كتابه « الله في الطبيعة » قال لينيه : ان الله الازلي الكبير العالم بكل شيء والمقتدر على كل شيء ، قد تجلى لي ببدائع صنائعه حتى صرت دهشا متحيرا ، فاي قدرة ، واي حكمة واي ابداع او دعه مصنوعات يده ، سواء في اصغر الاشياء او اكبرها . ان المنافع التي نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظم رحمة الله الذي سخرها لنا ، كما ان جمالها وتناسقها ينبيء بواسع حكمته ، وكذلك حفظها عن التلاشي وتجددها يقر بجلالته وعظمته .

وقال العلامة فونتنل في دائرة معارفه : ان اهمية العلوم الطبيعية لا تنحصر فقط في اشباع نهمة عقولنا ، ولكن اهميتها الكبرى هي رفع عقولنا الى خالق الكون وتحليتنا باحساسات الاعجاب والاجلال لذاته المقدسة .

تعليقات

1 — قول كلارك « ان الوجود ليس هو واجب الوجود ، لانه سواء تاملت في شكله الظاهري مع قابليات اجزائه وحركاته المختلفة ، او اعتبرت مادته التي هو مكون منها » .

هذا يبطل دعوى القائلين بوحدة الوجود الذين يزعمون ان الوجود واحد ، فاذا اعتبرت مادته وهيولاه سميته حقا ، واذا اعتبرت اشكاله الظاهرة سميته خلقا واذا اعتبرت اشكاله الظاهرة سميته خلقا . ويمثلون لذلك بالذهب وانواع الحلي والاواني المصنوعة منه ، فان كل ما صنع من الذهب ذهب يمكن ان يذاب ويرجع الى مادته وهيولاه . وكذلك الادوات الخشبية كلها خشب ، والاسماء التي جاءتها انما كانت بسبب الاشكال المحدثة ، وقس على ذلك سائر المواد ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . والحق كما قال كلارك ، ان هناك وجودين ، احدهما واجب ، وهو وجود الحق سبحانه ، والاخر ممكن ، فهو محتاج الى موجد يرجح وجوده على عدمه ويضمن بقاءه الى نهاية اجله . وهذا الوجود الثاني له مادة واشكال ، وكل ذلك محدث وجوده جائز غير واجب ومستمد من غيره غير قائم بنفسه . ووجود التجانس بين المادة والشكل يحتم ذلك . وادعاء ان المادة واجبة الوجود ، اي موجودة بذاتها ومستقلة بنفسها ، بخلاف الاشكال والصور باطل ، لتحتم وجود التضاد بين واجب الوجود القائم بنفسه وجائز الوجود الذي استمد وجوده من غيره .

2 — قول لوك «اننا لاجل اثبات الخالق لا نرانا في حاجة الا الى التأمل في انفسنا » هو مثل قوله تعالى في سورة الذاريات « 21 وفي انفسكم افلا تبصرون »

3 — القوة الجاذبة التي اكتشفها نيوتن ، هي التي تربط بين الشمس وبين كل ما يدور حولها ويتبع نظامها من الكواكب ، ولكن هذه القوة الجاذبة محتاجة

انك لتسألني من اين علمت بوجود حركة وقتية ، فأجيبك بأني علمتها ، لانـي احسست بها ، فاراني اردت ان احرك ذراعي تحرك في الحال بدون ان يكون لحركته سبب مباشر غير ارادتي .

ثم تساءل روسو عن الحركة المشاهدة في الوجود هل هي صادرة من سبب خارج عنه ، ام هي ارادية فيه . فقال : من المستحيل ان نفترض بأنها ارادية فيه لان هذا الوجود المشاهد ليس في مجموعة التئام ولا نظام آلي ، ولا حس عام كما يوجد بين اجزاء الجسد الحي . ومما هو محقق انا اونحن جزء منه لا نشعر بشعوره الكلي . والوجود في حركاته المنتظمة المتلائمة الخاصة لقوانين ثابتة لا توجد له تلك الحرية التي تظهر في الحركات الارادية للانسان والحيوان .

فاستنتج روسو من ذلك ان الوجود ليس بحي في نفسه يتحرك بذاته وبارادته ، اذن فحركاته ءاتية اليه من سبب خارج عنه .

ثم قال روسو بعد ذلك : ان التجربة والمشاهدة تكشفان لنا نواميس الحركة في الوجود . وهذه النواميس تعين نتائج الحركة ولا تعين اسبابها . فهي لا تكفي لتعليل نظام العالم وسير الوجود . ان ديكارت، قد كون السماوات والارض « بالكشتبانات » ولكنه لم يستطع ان يطبع في كشتباناته حركاتها الاولى ، ولا ان يضع قوة هذه الاجرام المبعدة لها عن المركز بالاستعانة بقوة دورة رحوية فرضها فيها . وقد وجد نيوتن ناموس الجاذبية العامة ، ولكن الجذب وحده يحيل الوجود كله الى كتلة واحدة لا حراك لها ، فلزمه ان يضيف على هذا الناموس قوة اخرى ، هي قوة الدفع لتطبع في الاجرام السماوية حركة تدبرها دورات انحنائية . ليقل لنا ديكارت اي ناموس طبيعي ادار له تلك الزوابع التي تكلم عنها . وليرنا نيوتن تلك اليد التي دفعت الكواكب لتجري على مماسات مداراتها .

فالوجود في رأي روسو لا حركة ذاتية له ، وانما حركاته كلها مكتسبة من محرك خارج عنه يطبع فيه تلك الحركات على النحو الذي تطبع ارادتنا الحركات على اعضائنا المختلفة . ثم صعد روسو من السبب الطابع للحركة الى السبب المريد المختار فقال :

كلما امعنت النظر في الحوادث التي تحدثها قوى الطبيعة وما يقابلها من رد الفعل ، وتأملت في كيفية تاثير بعضها في بعض تحققت من الانتقال من نتيجة الى نتيجة بأنه لابد من ان يكون السبب الاول متمتعا بارادة ، لان فرض تسلسل الاسباب الاولية الى ما لا نهاية هو كفرض عدم وجود اسباب اولية بالمرة . وبالاختصار كل حركة ليست نتيجة حركة اخرى ، لا تكون الا نتيجة عمل وقتي ارادي . ولما كانت الاجسام الجامدة لا تنفعل الا بحركات ، فلا يوجد عمل صحيح الا بارادة ، هذا هو الاصل الاول الذي اعتمد عليه . فانا اعتقد اذن ان ارادته تحرك الوجود وتحيي موات الطبيعة .

بعد ان اثبت الفيلسوف روسو من عرض حركات الوجود ان لابد انها صادرة عن قوة وارادة ، اخذ في اثبات ان هذه الارادة يمدها عقل وادراك فقال: ان التأثير والمقارنة والاختيار هي اعمال كائن مؤثر مفكر . هذا الكائن موجود . ولكنك ستقول لي اين هو ؟ فاقول : انه موجود ، لا في السموات التي يحركها ، ولا في الكوكب الذي يضيء علينا ، ولا في فقط ، بل يوجد ابضا في النجمة التي ترعى ، وفي الطائر الذي يطير ، وفي الحجر الذي يسقط ، وفي الورقة التي يستطيرها الريح . انا احكم بان في العالم نظاما ، وان كنت اجهل غايته ، لانه يكفي في الحكم على وجود هذا النظام المقارنة بين اجزائه ودرس مظاهر تضامنها وعلاقاتها وعرض نظامها وتلاؤم ابعاضها .

انا اجهل لماذا الوجود موجود ، ولكني لا اغفل النظر الى كيفية تغييره وملاحظة هذا التبادل الصميم الذي تتساعد بواسطته اجزاؤه ، فلنقارن بين غاياتها الخاصة ووسائلها وعلاقاتها المنظمة في كل ضرب من الضروب ، ثم لنسمع صوت ضميرنا الداخلي عن حكمه عليها ، فاي عقل سليم يستطيع ان يرفض شهادته لها . اي عين ليس عليها غشاوة لا يكشف لها نظام هذا الوجود عن انه صنع حكمة ليس فوقها حكمة عليها ، فأي عقل سليم يستطيع ان يرفض نظام هذه الكائنات والتضامن العجيب الذي بينها في حفظ مجموعها ، لا يوجد في هذا الوجود كله كائن لا يمكن اعتباره من بعض الوجوه انه وسط مشترك لجميع امثاله المحتفين به ، بحيث يظهر للناظر انها جميعا مقاصد ووسائل ، بعضها لبعض ، ان العقل ليرتبك اذا تأمل في ان هذه العلائق التي لا تحصى بين

أبحاث ومقالات

نظرة في منجد الآداب والعلوم

للأستاذ : عبد الله كنون

-4-

حرف الثاء

104» فى ص 119 « العمود الاول » تعريف شاعر ثابت قطنة جاء فيه : « حاكم فى خراسان، صعد نبر يوم الجمعة ورام الكلام فتعذر عليه ، فقال انتم ى امير فعال احوج منكم الى امير قوال » ويلاحظ يه ان ثابتا انما كان واليا على بعض كور خراسان ولاه يها المهلب بن ابي صفرة والي عموم خراسان ، خلافا يوهمه كلامه من انه كان حاكمها العام وان المحفوظ الكلمة المذكورة انها لعثمان بن عفان «ض» وقد تج عليه لما اراد الخطابة بعد مبايعته بالخلافة ، اما بت فالمروي عنه انه علا المنبر فحصر ، فنزل وهو ول :

ان لم اكن فيهم خطيبا فانني
بسيف اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو كنت قلت هذا البيت على المنبر كنت اخطب الناس .

105 فى ص 120 « ع.ل » تعريف بقبيلة ثقيف ال فيه : « لقب قبيلة عربية اسمها قسي ، قطنت فى لائف قبل الهجرة الصواب ان يقول فى الطائف فان سم جد جاهلي سميت به القبيلة وهو ابن منبه بن بكر بن هوازن ، وقيل ان اسمه قسي وثقيف لقبه ، وعلى ل حال فلم يقل احد ان اسم القبيلة قسي بدليل لنسبة اليها فانها ثقفي بكل وجه ، وقوله قطنت فى لائف قبل الهجرة » وهو غير محرر ، فثقيف هو لالف واللام فى هذا الاسم لازمة لا تحذف ، وهذا يادة على ما فيه من ايهام انها انما قطنت الطائف فى خصوص الوقت الذي ذكره بالذات وليس كذلك .

106» وفى الصفحة والعمود نفسيهما تعريف بثمامة بن اشرس اخطأ اولا فى ضبطه بفتح الثاء المثلثة . وهي بالضم وقال فيه ما يلي « القرن 9 » من المتكلمين . امام اهل الفكر الحر فى العصر العباسي الاول . استدعاه هارون الرشيد والمامون الى بلاطهما وكان يلذع بنقده ءاراء المحافظين » وهذا الكلام لا يفيد فى التعريف بالرجل شيئا ، فالقول انه من اهل القرن التاسع يوهم ان تاريخ وفاته غير معروف والامر بالعكس ، فهو قد توفى سنة 213هـ « 828م » والقول انه امام اهل الفكر الحر الخ .. وانه كان يلذع بنقده اراء المحافظين ، كلام يحتاج الى دليل وبيان ، فمن انى قال انه امام اهل الفكر الحر ؟ ومن هم المحافظون الذين كان يلذعهم بنقده ، والصواب فى ترجمة الرجل او التعريف به علىسبيل الاختصار ان يقال : من ائمة الاعتزال تنسب اليه الثمامية من فرق المعتزلة وكان ذا لسان وفصاحة وقربه الرشيد والمامون لعلمه وادبه .

107» فى الصفحة المذكورة « ع.ني » ذكر المذهب المعروف بالثنوية وضبطه بسكون النون والصواب فتحه .

108» فى ص 121 « ع.ل » وهو يعدد الثورات فى التاريخ قال : « (ثورة عرابي باشا) فى مصر على السلطان العثماني « 1881» وشعارها مصر للمصريين انتصر الانكليز على عرابي باشا فى تل الكبير «الصواب التل الكبير » ايلول 1882 » والمشهور فى الثورة العرابية انها كانت ثورة على التدخل الاجنبي فى مصر وانصياع الخديوي لرغبات الانجليز ، لا على السلطان العثماني او نفوذه الروحي فى مصر ، والمؤلف

الى موجد ومعدل يعدل جذبها حتى لا يستمر الى ان تلتصق الكواكب التابعة بمحورها فتصير معه كتلة واحدة .

وهكذا يقال فى تابعية الشمس لجرم ءاخر هو اكبر منها كالشعرى مثلا ، فان القوة الرابطة بينهما تحتاج الى موجد يحفظ ابعادها وافلاك دورانها ويمنعها من التكتل والاختلال .

4 – قول روسو « لابد من ان يكون السبب الاول متمتعا بارادة » اقول : ولابد ان يكون متصفا بعلم غير محدود وقدرة غير محدودة ، وهذه بعينها الصفات الضرورية للخالق العلي العظيم . وما يسمونه بالطبيعة ونواميسها لا يتصف بشيء من ذلك فلا يصح أن يكون هو السبب الاول .

5 – قوله « وبأي سفسطة يستطيع الانسان ان يجحد نظام هذه الكائنات والتضامن العجيب الذي بينها فى حفظ مجموعها» اقول : يستطيع ذلك بسفسطة الجهل والاقتناع به واهمال نعمة العقل ، وبذلك يلتحق بالحيوان الاعجم « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ويستطيع ذلك بسفسطة التملص من الواجبات الخلقية والاجتماعية، والانغماس فى حمأة الشهوات البهيمية مندفعا مع ماتسوله له نفسه من ارتكاب الموبقات ، والتدنس بالدنايا المخزيات .

انتظروا فى المقال التالي جواب سفارة دولة السويد عن عدد الملحدين فى بلادها وذكر شبهات الملحدين التي اوردوها فى الاستدلال بزعمهم على التعطيل وجحود الخالق تعالى والرد عليها . وبالله التوفيق .

الرباط : الدكتور تقي الدين الهلالي

العلم وعدوله

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف القائلين ، وانتحال المبطلين ، وتاويل الجاهلين » .

وان كنا لا نبرئه من شطحات التصوف التي عرف بها كثير من المتصوفة الا ان ما عرضه المؤلف فى ترجمته هو تلخيص سيء لما جاء فى ترجمته بدائرة المعارف الاسلامية « لكارادوفو » فمن الواجب ان لا يعتمد .

124» فى ص 140 « ع.ل » ذكر لجلق موضع فى جنوبي «كذا» سوريا الخ ومهما يختلف القول فى هذا الاسم فان اطلاقه على عاصم الشام « دمشق » معروف ووارد فى الشعر العربي القديم والحديث فكان من المناسب البدء به او الاقتصار عليه .

125» وفى هذا المكان ايضا تعريف بجليات وهو عند العرب جالوت لا جليات عربوه بذلك قديما وفى القرءان الحكيم « وقتل داود جالوت » .

126» فى ص 141 «ع.ني» وقع ذكر الجناحية وتعريفها بما يلي : « جماعة المنتمين الى ذي الجناحين وهو لقب عبد الله بن ابي طالب الذي قتل فى مؤتى » وذو الجناحين هو جعفر بن ابي طالب لا عبد الله وقد تقدم له ذكره من غير ذكر لهذا اللقب ، اما مؤتى فقد مر بنا آنفا انها مؤتة بتاء آخرها .

127» فى ص 142 «ع.لج ترجمة لخليل الجندي الفقيه المالكي المعروف.ذكر فيها ان له كتاب المختصر، وهو مخطوط فى غوطا ، وهذا من القصور العجيب فان مختصر الشيخ خليل هذا طبع عشرات المرات فى المشرق والمغرب ، وشرح بعشرات الشروح المطبوعة هي ايضا والمنتشرة فى كل مكان .

128» وفى المكان نفسه ذكر لمدينة جنديسابور وان فاتحها هو موسى الاشعري على ايام الخليفة عمر ابن الخطاب والصواب فى اسم الفاتح ابو موسى لا موسى .

129» وفيه ايضا ما يلي : « جن الريف : قصر ملوك غرناطة قرب حمراء غرناطة الاندلس » وهذا من الغرائب التي تقع فى معجم للاداب والعلوم ، المقصود كما لا يخفى جنان العريف او جنة العريف على ما يكثر دورانه على الالسنة والاقلام .

130» وفيه كذلك تعريف بأبي سعيد الجنابي القرمطي هذا نصه : داعي القرمط «كذا» نشر الاشتراكية بينهم « كذا» تباعه يسمون ابو سعيد « كذا » واذا صححنا كلامه بان الصواب ان يقول داعي القرامطة على الاقل ، فماذا نقول فى هذه الاشتراكية التي نشرها بينهم وعودة الضمير جمعا على غير مذكور ؟ ثم هذا التعبير الركيك الملحون : تباعه يسمون « ابو سعيدي » فى معجم ادبي علمي ؟

131» وفى الصفحة نفسها «ع.ني» تعريف بابن جنى النحوي المعروف ذكر اسمه معرفا بالالف واللام هكذا : ابن الجنى وهو خطأ .

132» وفى هذا المكان ايضا ذكر لمدينة جنوة الايطالية وقد كتبها بالالف المقصورة هكذا جنوى وما كتبها العرب الا بالتاء المربوطة آخرها .

133» فى ص 143 «ع.ني» ترجمة للجواليقي ذكر فيها بعض مؤلفاته فجعل منها كتابا فى تفسير الكلمات الاعجمية ، وهو بلا شك يعني كتاب المعرب المشهور لهذا المؤلف .

134» فى ص 145 «ع.ل» ذكر لبني جهور من اعيان قرطبة الذين حكموا فيها على عهد ملوك الطوائف ولكنه جعلهم بني جوهر بتقديم الواو على الهاء وهو غلط فظيع ان لم يكن من خطأ الطبع .

135» فى ص 146 « ع.ني» ترجمة للشيخ عبد القادر الجيلاني ذكر فيها ان له كتابا اسمه السفينة لطالبي طريق الحق وهو الغنية بالفين المضمومة ثم النون الساكنة لا السفينة ، ثم قال انه مخطوط فى برلين وهو مطبوع متداول .

طنجة ــ عبد الله كنون

نفسه يرجع الى ذلك حيث يقول : « انتصر الانكليز على عرابي باشا » فاذا كانت الثورة على السلطان العثماني فكيف انتصر عليها الانكليز ؟ هل الانكليز هم السلطان العثماني ؟

حرف الجيم :

109» في ص 124–128 وهو يذكر الجامعات العلمية التي تعنى بالدراسات العربية والاسلامية تكرر تعبيره بالعلوم الالسنية ومعهد الالسنية والسنية اللغات الشرقية ، وهو تعبير غير صحيح فان النسبة انما تكون للمفرد لا الى الجمع والتعبير بالعلوم اللسانية اخف على الالسن من الالسنية ، ومثل ذلك يقال في بقية التعابير ، ومما يلفت النظر في هذا المقام انه لم يذكر جامعةالقرويين معقدمها واختصاصها بالدراسات المذكورة .

110» في ص 130 «ع.ل» تعريف بالجاهلية وعهدها وهو تعريف مفيد ، وفيه تصنيف لشعرائها ذكر من بينهم عبيد بن الابرص وضبطه بضم العين وهو بفتحها

111» وفي الصفحة نفسها « ع.ني » تعريف بالجبائي وابنه ابي هاشم ضبط نسبهما فيه بكسر الجيم وفتح الباء مع التخفيف والصواب ضم الجيم وتشديد الباء نسبة الى جبى بالالف المقصورة لا جبة كما قال .

112» في 131 « ع. ل » تعريفان بجبل طارق على ان المراد بالاول المضيق او البوغاز والثاني البقعة وكان من حقه في التعريف الاول ان يزيد بعد كلمتي جبل طارق كلمة بوغاز او مضيق بين هلالين للفرق بين المعرفين .

113» وفي الصفحة المذكورة « ع. ني » وقع ذكر جبال جبلة في جزيرة العرب ويوم جبلة من ايام العرب وضبط الاسمان معا بسكون الباء والصواب فتحها .

114» كذلك ذكر ثمة جبلة بن الايهم اخر ملوك غسان وضبط اسمه بسكون الباء وهو بالفتح

115» في ص 132 « ع.ني »وقد ذكر مدينة الجديدة المعروفة بالمغرب وضبط اسمها بضم الجيم وفتح الدال على صيغة التصغير وهو بفتح الجيم وكسر الدال مكبرا .

116» في ص 134 «ع.ل» تعريف بجذيمة بن الابرش ملك الحيرة ، ضبط فيه اسمه بضم ففتح وهو بفتح فكسر وكذا جذيمة بن عدي المذكور بعده .

117» في ص 136 «ع. ل» اثناء التعريف بالقطر الجزائري وقع ذكر مدينة البليدة فرسمت هكذا بليدا بالف آخرها وهو خطأ ، كما ذكرت مدينة وجدة ضمن مدن الجزائر وهي مدينة مغربية لا نزاع فيها

118» وفي الصفحة المذكورة والمكان نفسه تعريف بالامير عبد القادر الجزائري جاء فيه انه ولد بقرب مسكرة وهي بسكرة بالباء .

119» وفي هذه الصفحة «ع.ني» تعريف بابي موسى الجزولي النحوي المشهور جاء فيه انه اخذ في القاهرة على ابن البري هكذا بالالف واللام وهو ابن بري ، وذكر له من التصانيف شرح قصيدة بانت سعاد واغفل كتابه الذي اشتهر به وهو مقدمته الجزولية في النحو التي تعرف بالكراسة «1» .

120» في ص 138 « ع.ل » تعريف بقبيلة جعدة ضبط فيه الاسم بضم الجيم وهو بفتحها وقال منها الشاعر الشاعر نابغة الجعدي ، والصواب النابغة الجعدي .

121» وفي « ع.ني » من هذه الصفحة ذكر لجعفر الطيار واستشهاده في غزوة « مؤتة » وقد كتب هذا الاسم بالف مقصورة بدل التاء وهو خطأ .

122» في ص 139 «ع.ل» تعريف بالملك الظاهر جعمق ضبط فيه اسمه بضم الجيم والميم وهو بفتحها

123» وفي هذا المكان ايضا تعريف بجلال الدين الرومي ، جاء فيه من مؤلفاته « المثوى » في تفسير المذاهب الصوفية ، وهو المثنوى بمثلثة فنون منظومة شعرية في 000 25 بيت بالفارسية تعرض فيها لمذاهب الصوفية والفلاسفة ، وذكر المؤلف ان لجلال الدين ءاراء غريبة في التوحيد والشرع ، ونحن

1» تنظر الحلقة وامر ذكريات مشاهير رجال المغرب الخاصة بترجمته .

ومنها ختلاف البيئات المتراوحة من الثلوج الى الفيافي ، وقد مكنت كثرة المترادفات هذه البيئات من ان يكون لها مفعولها الكبير ، لان لكل بيئة ذوقا يختار اسما غير الاسم الذي تختاره البيئات الاخرى ، كلها او بعضها .

ثم ان نشوء اللغات الدارجة وتباعدها في في اللفظ واللهجة والاسلوب كان له تاثيره على اللغات العربية في اللفظ واللهجة والاسلوب ايضا ، واذا كانت اللغة العربية الفصحى قد اخذت تؤثر على هذه العاميات فان هذه العاميات ايضا بدأت تشق طريقها الى اللغة العربية الفصحى ، واخذت تطل برأسها في الصحف والمجلات .

هذه حقائق تاريخية قمينة بالتأمل ووضعها موضع الاعتبار ، ولكنها لا تعني على وجه التاكيد ان الهوة لا تزداد الا اتساعا ، وان المشكل لا يزداد الا تفاقما ، بل على العكس من ذلك بذلت جهود فردية جبارة خلال المائة سنة الماضية ، بذلها العلماء والادباء والشعراء والمترجمون اعادت الى اللغة العربية بريقها ، وجعلتها قادرة بصفة عامة على التعبير عن ادق المعاني باجمل الالفاظ ، بل اضافت الى بريق اللغة العربية القديمة بريقا جديدا استمد من اللغات الحية والثقافات الاجنبية الحديثة .

وكان لنشأة الصحف والمجلات السيارة وانتشار الكتب ، والكتب المدرسية بصفة خاصة ، ثم بعد ذلك لاختراع وسائل المواصلات السريعة ، ولقيام محطات الاذاعات في البلاد العربية تتساند في وقت التساند ، وتتهاتر في وقت التهاتر ، ويهمها في كلتا الحالتين ان تكون مفهومة على اوسع نطاق في سائر البلاد كلها ، وقد كان لكل هذا اثره الفعال في لم شتات الاقطار الاجنبية ، ان لم يكن فيها جميعا ، موجهة الى العالم العربي باللغة العربية ، ويهم واضعي هذه البرامج هم ايضا ان تكون مفهومة على اوسع نطاق في هذه البلاد كلها ، وقد ان لكل هذا اثره الفعال في لم شتات هذه اللغة وانقاذها من خطر التشتت الذي كانت معرضة له بحيث يمكن القول بان نجاتها قد تحققت .

وقد تحررت اليوم معظم البلاد العربية واصبحت الحدود التي اقفلها الاستعمار بصفة عامة مفتوحة اليوم في معظم الاحيان ان لم يكن في جميع الاحيان ، وتحققت وسائل التغلب على العوائق الطبيعية ، كما اصبح لكل بلاد عربية سلك ديبلوماسي في البلاد العربية الاخرى ، ويعيش بذلك مجموعة او مجموعات عربية من كل قطر في هذه الاقطار ، ويختلط هؤلاء العرب الوافدون من جميع الاقطار العربية كل قطر عربي ، ويساعد ذلك على تبادل التفاهم بين افراد مجموعة عربية مصغرة في كل قطر، ما تلبث ان تعود الى بلادها لتحدث تقاربا لم يكن متاحا من قبل .

وهنا يجب ان ننوه بحركات التعريب التي قامت وتقوم في كل بلد عربي حاول الاجانب طمس معالم اللغة العربية فيه ، ولكنه كافح الى ان حقق استقلاله، كما نشاهد هنا في المغرب .

ولكن هذا لا يعني على الاطلاق اننا نتكلم لغة عربية واحدة لها معجم واحد مدقق يمكن الرجوع اليه، للعثور على اللفظ الواحد ، الذي يعني المعنى الواحد دون سواه في سائر انحاء العالم العربي ، وهذا هو المجهود الذي يجب ان يقوم به اللغويون العرب مجتمعين لا منفردين، على مبعدة من المشاكل السياسية وفي جو تغمره محبة اللغة العربية والغيرة على وحدتها ، والعمل على ابرازها كلغة موحدة نهائيا ، واعادة المعاجم القديمة الى رفوف التاريخ لتكون مصادر تاريخية ، اما ان تكون مصادر لغوية فلا ، لان اللغات تستمد من الناطقين بها ، في الوقت الحاضر، لا من التاريخ ، فتاريخ اللغة العربية شيء واللغة العربية الحديثة شيء ءاخر ، كما لا احتاج ان اقول .

ان الوحدة العربية الصحيحة لا يمكن ان تتمم على الصعيد السياسي اولا ، وانما يجب ان تتم اولا عن طريق الثقافة ، واول ما يجب ان يتم عن طريق الثقافة هو توحيد اللغة وتدوينها من جديد حسب القواعد المرعية الحديثة ، وبتعاون مجد مخلص بين جميع البلاد العربية ، ولست اريد ان اخوض الان في موضوع الطرق الكفيلة بتحقيق ذلك ، وانما اكتفي بتسجيل الفكرة ، ولكن لماذا ؟

لان مواد تفكيرنا هي الالفاظ واسلوب تفكيرنا مستمد من اسلوبنا اللغوي ، فاذا لم نستعمل الفاظا واحدة ، واذا لم نتبادل التفاهم باساليب واحدة واضحة الدلالة ، صعب علينا التفاهم في اي شيء ، كبيرا كان او صغيرا ، لان التفاهم يبدأ بتحديد الالفاظ وتوحيدها وقديما — وليس قديما جدا — قال فولتير « اذا اردنا ان نتفاهم فلنحدد معنى كل كلمة نستعملها » .

لقد تقدمت اللغة العربية في طريق التوحيد وهي ما تزال تتقدم الى اليوم هذا امر لا شك فيه ، ولكن هل تتقدم بالسرعة التي تتطلبها امكانيات السرعة في العصر الحديث ؟ هذا هو السؤال .

الرباط — عبد المجيد بن جلون

توحيد اللغة العربية

للأستاذ: عبد المجيد بن جلون

الالفاظ كائنات حية تولد وتنمو ويشتد عودها ويبرق جمالها ثم يدركها الوهن فتمرض وتموت كسائر الكائنات على حد سواء ، وهي كالكائنات ايضا تولد ميتة احيانا وتموت في صباها احيانا اخرى وقد تطول فترة جمالها وحياتها ايضا .

ولما كانت هذه هي طبيعة سائر اللغات ـ لا اللغة العربية وحدها ـ عمد مدونوها الى مراجعتها بين الاونة والاخرى وتنظيفها من الالفاظ الميتة وتسجيل الالفاظ الجديدة التي ولدت على لسان المتكلمين بهذه اللغة ، ولذلك فان اللغة لا يضعها المدونون ولا يبحثون عنها في المعاجم القديمة ، وانما يسجلونها بالضبط كما تسجل اسماء المواليد والموتى في سجلات معينة ، وهذا هو المعنى الحديث لتدوين اللغات . بينما تسيطر علينا نحن فكرة احياء الالفاظ القديمة والتنقيب عليها في بطون معاجم مرت على وضعها مئات السنين ، بالضبط كما لو كنا نبحث عن مواليد في مقبرة ..

ولاجل ان اوضح ما ارمي اليه يحسن ان اشير الى اسم « مصر الجديدة » التي تطلق على احدى ضواحي القاهره وكيف ولد على لسان حوذي ، وكان يطلق عليها قبل ذلك اسم « هليوبوليس » ذلك ان المرحوم « انطون الجميل » حينما كان رئيسا لتحرير جريدة الاهرام استوقف عربة ولما ركبها سأله الحوذي الى اين ؟ اجابه « الجميل » هليوبوليس » فقال الحوذي : تقصد « مصر الجديدة » فأعجب رئيس التحرير بهذه التسمية وروج لها حتى اصبحت اسماء للضاحية ومات اسم « هليوبوليس » .

ولما كانت هذه الديمقراطية ـ كالديمقراطية السياسية ـ في حاجة الى تربية وثقافة واخلاق وذوق ، فان وقت تطبيقها ما يزال بعيدا ، ولكن قبل ان نفكر في سبيل تنمية اللغة العربية وتنقيبها وطبعها بطابع الدقة التي تحتمل الا المعنى الواحد ، يحسن ان نفكر في موضوع توحيد اللغة العربية وانقاذها مما هي معرضة اليه من التصدع الذي وجب ان نقف في وجهه ونقاومه .

واللغة العربية قابلة للتشتت وكادت تتحول الى لغات عربية ، ولا اقصد اللغات العربية الدارجة وانما اقصد الفصحى ، فهي كثيرة المترادفات التي ولع العرب بها الى حد انهم كانوا يحولون الصفات والنعوت الى اسماء ليضاعفوا من ثروة هذه اللغة ، وكانوا يفخرون بان لهذا الشيء او ذاك عديدا من الاسماء ، ويصرف اطفالهم وقتا طويلا في استقصائها والالمام بها ، ولما تقادم العهد على هذه اللغة التي كانت في يوم من الايام حديقة منسقة منظمة ، تحولت الى غابة شجراء لم تشذب اعوادها منذ مئات السنين ولم تمتد اليها يد العناية الا في اواخر القرن الماضي .

ولتصدع اللغة العربية اسباب اخرى ، غير كثرة المترادفات التي اشرنا اليها ، ومنها ترامي اطراف العالم الذي يتكلم اللغة العربية ، ووجود عدد من الصحارى فيه ، كانت تقطع اطرافه وتعزل بعضه عن بعض ، مع انعدام وسائل المواصلات ، ثم سيطرة مختلف الاجانب عليه وتمزيقهم له وعزل اطرافه بعضها عن البعض الاخر ، بل والذهاب الى محاربة اللغة العربية بأسرها ، فعزلته الصحارى اولا ثم ساندها الاستعمار .

1950 لتبرز للنظارة فى الداخل والخارج كيف تبدلت مشاهد المصارعة فى هذه الدرامة الى مشاهد مقاومة .

وتعاقبت الاحداث منذ سنة 1950 الى سنة 1953 لتسجل فى طياتها المراحل الاولى من المقاومة ، وفى جميع هذه المراحل كان الحسن الثاني يمثل دور ثاني اثنين اذ هما فى المعركة ، ولم يكن من السهل فى ذلك الحين خوض معركة لاتوجد نسبة من التساوي فيما بين الطرفين المتقابلين فيها .

فالاقامة العامة تدبر وتخطط ، ثم تبادر الى التنفيذ مستخدمة وسائل الضغط ومحاولة الاكراه ومن ورائها قوة المعمرين ونفوذهم الذي كان ممتدا الى الاوساط المالية والى « الكي دورسي » وقصر الاليزي فى ام « العواصم » باريس كما كانوا يسمونها يوم ذاك .

لم تكن عناصر المعركة متساوية لا فى عددها ولا فى وسائلها بل انها لم تكن قريبة من التساوي ومع ذلك فان روح المقاومة فى الاب الملك وفى الابن الامير يقف فى عضدها ما كان يتوفر عليه الطرف الاخر من قوة مادية فى المغرب وعبر « اقطار ما وراء البحار » وفى « ام العواصم » .

واستمر التحدي ومحاولة التعجيز من طرف الاستعمار . وحدث اكثر من مرة ان عمد « المخرجون » فى هذه الدرامة الى سحب ممثلين وتعويضهم بآخرين اقدر واشد وادهى وامر من اداء الادوار التمثيلية .

فكانت ازمة سنة 1952 وما صاحبها من اهوال ومن صور « التكتيك » الاستعماري والاستراتيجية الاستعمارية وفى هذه الفترة كان المقاوم الحسن الثاني يساهم فى ادارة جوانب المعركة مساهمة فعالة ورد غارات المغيرين التي كانت تتجلى فى مشاهد مختلفة ووقائع متشابهة .

وحلت سنة 1953 فكانت هي السنة الفاصلة للصراع الرهيب الذي ظلت مشاهده تجري فى خفاء الى ان انجلى الستار عن جوانب المسرح كله لان المسرح كله هو هذا الوطن المغربي بجنوبه وشماله وشرقه وغربه .

واحس الاستعمار فى اواسط هذه السنة بأنه لم يبق فى القوس منزع ، وانه لابد من ان تختتم هذه الدرامة وكيفما كانت العواقب .

وكانت فكرة المسيو بيدو الصليبية — التي عبرت عنها جملته الشهيرة « لا يمكن ان ينتصر الهلال على الصليب فى المغرب » اكبر مشجع لمقيمه العام الجنرال كيوم ومساعده المسيو ديباسيون « وفيلسوف الملحمة » ومسيو بونفاس على انهائها .

وذلك فى الساعة الثانية ظهرا من يوم 20 اغسطس سنة 1953 .

وقبل انتهاء هذه الرواية بقليل كانت الاحداث الدامية قد وقعت بمدينة وجدة فافهمت الاستعمار وان كان لم يحاول الفهم انه اذا فكر هو فى انهاء المعركة ، فان الشعب المغربي قرر بدايتها من جديد وفى شكل جديد .

وعقب احداث وجدة بساعات اخذت الصحافة الاستعمارية تكتب بان المقاوم الحسن الثاني هو الذي دبرها ووضع خططها وحدد مواعيدها .

والواقع ان الحسن الثاني كان منذ بداية ازمة سنة 1953 قد اخذ يقاوم التحدي بالمثل ، فكان يجري الاتصالات مع المناضلين ويتردد الى الاجتماعات السرية فى خلايا المقاومين ، ويسمع ويقترح ، وذلك بالرغم عن الجواسيس الذين بثهم الاستعمار على ابواب القصر ، وفى عرض تواركة ليحصوا على المقاوم الحسن الثاني الانفاس ، وليتتبعوا خطواته وليطلعوا اسيادهم على حركاته وسكناته واتصالاته .

ويبدو — مرجحا — ان الاستعمار آثر ختم الرواية لان وسائل الترغيب والضغط ومحاولة الاكراه والحرب الباردة التي لم تكن تخلو من قذارة فى بعض الاحيان — قد فشلت كلها جملة وتقسيطا »

ولانه ايضا اصبح مقتنعا بان روح المقاومة فى الاب الملك والابن الامير امتد مفعولها ليظهر فى ذلك التجاوب الشعبي الذي كان يستعد لينطلق فى جولة تعقبها جولات .

وانتهت الرواية بابعاد الاسرة المالكة المقاومة كما هو معلوم ، ولكن المقاوم الحسن الثاني ظل يعيش مراحل المعركة سواء فى كورسيكا او فى مدغشقر ، ظل يعيشها ويحياها ويساهم فيها بتدبيره وتفكيره واراني فى حاجة الى اذن خاص لابراز نوع هذه المساهمة ، على انه مهما يكن من امر فان الحسن الثاني بقي يناضل الى جانب ابيه وهو فى منفاه السحيق وبتفكيره وتدبيره ورأيه الحصيف .

بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب

جلالة الحسن الثاني المقاوم

للأستاذ أحمد زياد

ان وراء كلمة « المقاوم الحسن الثاني » تاريخا حافلا ودقيقا باخباره . ووقائعه ومواقفه ، وفي طي هذه الكلمة ذكريات مجيدة ورائعة من تاريخ الملك الحسن الثاني وكفاحه الى جانب والده محمد الخامس رضوان الله عليه ، كما ان الكلمة تحيط بها مواقف بطولية من تاريخ الحسن الثاني وتتوجها بعد ذلك ازاهير من اكاليل النصر والظفر ، وهكذا فان كلمة المقاوم بالنسبة للحسن الثاني تعتبر ذات مدلول يتبلور في وقائع التاريخ البعيد والقريب والحاضر كذلك .

والمقاوم الحسن الثاني ابتدأ المقاومة وهو في طور التلميذ ، ثم في دور الطالب ابتداها في صفوف المدرسة المولوية بالمشور ، ثم شبت وترعرعت معه فكرة المقاومة من اجل الكيان المغربي ومن اجل شخصية الدولة ومن اجل الملك الذي كان وما يزال يجسم الكيان المغربي والشخصية المغربية تجسيما عبر عصور التاريخ والاجيال .

وكانت المقاومة في تلك الحقبة من تاريخ المغرب ما تزال بالصمت في اغلب مظاهرها وصورها اذ ان الاخذ والرد كانا يجريان في صمت ، وفي صمت رهيب في الكثير من الاحيان ، وكان الحسن الثاني يعيش هذا الصراع الرهيب الذي كان يقاطع من حين لآخر بفترات من الهدنة تكمن خلالها الجمار تحت الرماد والى حين .

ولما اكتملت لدى الحسن الثاني عوامل التثقيف وعناصر التفكير السياسي كان الستار قد بدأ ينسلخ شيئا فشيئا عن مشاهد ذلك الصراع الرهيب

ثم اخذت جوانب المسرح في الاتساع لتتجاوز محيطها وحيزها فيما بين القصر الملكي وادارة « التشريفات » وحي الاقامة العامة لتزداد اتساعا نحو شوارع العاصمة ثم الى بقية المدن المغربية فالى كافة القرى والمداشر بعد ذلك .

لقد كان الصراع حادا ثم اخذ يتطور ليتخذ شكله الحاسم خلال تسلسل الاحداث التي لا يمكن ترتيبها في سرد استعراضي كهذا الذي نقوم به الان .

ان الاستعمار اراد — في وقت من الاوقات ان يعجل بخاتمة الصراع فيما بينه وبين القصر ، فلجأ الى اساليب التحدي السافر وما اكثرها في مراحل هذا الصراع ، واستخدام الحرب الباردة وما ارخص وسائلها في تلك الفترات المختلفة من مراحل ذلك الصراع الحاد .

لجأ الاستعمار فيما لجأ اليه محاولة ارغام الملك الراحل رضوان الله عليه على اقرار الولاة الموالين له ، فكان توقيف الباشا الحيحي عن باشوية اكادير يومئذ من طرف الملك ايذانا بنقل الصراع من شكله الرهيب الى شكل آخر ترددت اصداؤه في الداخل والخارج .

وجاءت قضية المراسيم التي تعطي للمستعمرين حق استغلال بعض المعادن المغربية واحتكارها لتجعل الستار ينحسر جملة واحدة عن تلك الدرامة التي كان فيها جلالة الملك محمد الخامس يقاوم ويشدد في المقاومة وكان فيها الحسن الثاني بجانبه يحمل معه عبء المقاومة ويسانده في النزال .

واخذت الاحداث تتسلسل بسرعة في مشاهد مختلفة يتجدد فيها الهجوم اثر الهجوم ، وحلت سنة

«هموم النقد»

مهداة إلى الصديق الكاتب الشاعر نابغة المغرب الأستاذ عبد المجيد بن جلون

كنت أتمنى ان لو عرفت الشاعر الخالد احمد شوقي بالصحبة لا بالنظر وحده . فلقد تأخرت عن زمنه سني ، فهو حين جاء دمشق وكرمه المجمع العلمي العربي واقام الدنيا الشآمية واقعدها من اجله منهض الشآم استاذنا المغفور له «محمد كرد علي» كنت يومئذ عند وصيد الدراسة في كلية الحقوق وكلية الاداب بجامعة دمشق . فوقفت فتى ازحم بمنكبي الصفوف حتى خلصت الى حيث كان شوقي يجلس في باحة المجمع ، وبيده حامل لفافة تبغه من العقيق ، وعلى صداره سلسلة ذهبية ، ووجهه يفيض فرحة بتكريمه . وقد وقف يلقي قصيدته عنه الكاتب والصحفي المشهور الاستاذ نجيب الريس ، رحمه الله ، فاخذ يتهدج صوته بقصيدة شوقي التي حلى بها دمشق بمحاسن لا تنضوها الطبيعة عنها سجيس العصور . ومطلعها « قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا » .

وامتزج ادبي منذ كان لي ادب بشوقي وشعره ، حتى استراح قلبي للتأليف فيه والمحاضرة ، ولم يسترح من حبه . ولما طلع علي صديقي الحميم نابغة الجامعة المصرية الدكتور شوقي ضيف يقول لي حين كنت بمصر :

— اليك اول نسخة من كتابي عن شوقي شاعر العصر الحديث .

تلقفتها منه وانا حفي بها ، اقبلها وملء قلبي مسرة ان ينهض اخي شوقي ضيف بها وكأني انا الناهض . ومثل ذلك اعيش مع ابي الطيب المتنبي بعد ان الفت فيه كتابي ، فاجده في كل سانحة من سوانح فكري وبوارحه .

ولقد هتف بي شوقي امس حين كنت اقرأ بمجلة «دعوة الحق» المغربية الرائعة التي علت الى قمم المجلات العربية الحديثة . فبعد ان قرأت فيها مقالي عن « ام حكيم » الجميلة المدلهة بالحب والشراب ، وام حكيم الثانية المحاربة التي ذابت انفاسها على حدود الحسام ، اخذت اقرأ في المقالات التي تجلت في هذه المجلة «1» واجول مثل نحلة من شميم زهرة الى تقبيل وردة ، حتى وجدتني وجها لوجه امام صورة فريدة ومقال نفيس ، فأكببت على قرائتهما وتفهمهما ، ولقد اهتزت عروقي لهما وارتاح فؤادي لكل تعبير تألق فيهما والفيتني مرددا بيت الشاعر شوقي الذي يقول فيه :

ضحك الدنيا احتشاد للبكا
وحزين يتأسى بحزين

فاذا انا اغير في كلماته من دون ان اشعر اني قد عمدت الى التغيير ، واذا بي اقول :

« واديب يتأسى بأديب »

فتأسيت بالكاتب الشاعر ، الهادىء تفكيره ، الصافي ادبه وضميره « الاستاذ عبد المجيد ابن جلون » الذي عرس عليه الاستاذ الفاضل « محمد

1» عدد ابريل مايو 1965 .

ولست فى حاجة الى استعراض صور البطولة التي اظهرها الشعب المغربي بعد ابعاد الاسرة المالكة المقاومة والتي اتخذت فى بعض الاحايين شأن الاساطير، وان كان فى هذه البطولة ما ظهر وما بطن .

الا ان دور المقاوم الحسن الثاني فى معركة التحرير سيظل بارزا فيما قبل المنفى وبعده .

وهكذا فبمجرد ما عادت الاسرة المالكة من منفاها عاد معها المقاوم الحسن الثاني ليكون فى طليعة جيش التحرير المنتصر وليحمل معه اكاليل النصر الذي جاء عقب صراع رهيب وعنيف ومعارك قاسية ومريرة كان فى جميعها الحسن الثاني البطل المبرز ، والقائد اللامع ، والمدبر المتبصر ، والمخطط الحكيم .

ثم استانف المقاوم الحسن الثاني عمله وتحول بنشاطه فى جيش التحرير ليخلق جيشا يحمي مكاسب التحرير ويعمل على تنميتها .

فاستطاع بعمله الدؤوب ان يخلق هذا الجيش الرفيع العماد المشرف فى عدده وعدته وكفاءته وشجاعته وتولى المقاوم الحسن الثاني قيادة هذا الجيش ليقتحم بجحفله معركة اخرى ولنغمر معه فى مقاومة اخرى معززا بشعبه الوفي الامين ، وذلك من اجل مقاومة التخلف ، وبناء كيان الدولة والمجتمع على انقاض العهد البائد الذي كان يحاول نسخ كيان الدولة ليمسخ بواسطته كيان المجتمع المغربي الشخصية المغربية والسيادة الوطنية لكن مساعيه باءت بالفشل امام مقاومة الشعب المغربي ومقاومة المقاومين الاولين محمد الخامس رضوان الله عليه والحسن الثاني اطال الله عمره .

وبعد فانه لم يكن فى الامكان استعراض كل ما تنطوي عليه كلمة المقاوم الحسن الثاني، فان استعراض ما يتضمنه فهرس مجلدها الضخم ما يمكن القارىء من ان يسال الوثائق فتجيب ، وبأكثر ما يمكن للتفاصيل.

وهكذا فان الاحتفال بذكرى ميلاد جلالة الملك الحسن الثاني من كل سنة تعد فى نفس الوقت تخليدا لفكرة المقاومة التي نشأت معه فى المعهد ثم ترعرعت خلال الازمات التي مرت بها الاسرة المالكة وما اكثرها واشدها واستمرت فى هذه المعركة التي ما يزال جلالة المقاوم الحسن الثاني يخوضها من اجل مقاومة التخلف ليلقى هذا نفس النهاية التي لقيها الاستعمار.

ويومئذ تكتمل اجزاء النصر بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني اطال الله عمره .

الرباط — احمد زياد

شجعتني ، وكنت اقرأ لها شعري وافهمها معناه على ادارة الصبا ، واترنم بسمعي على تلاوات قرآنها . لقد افادني تمرسي باليتم منذ مات والدي وانا ابن امين ، فنهضت امي ، رحمها الله ترعاني بالتشجيع ثم آبه الناقد ، ومضيت فى سبيلي ، حتى ادركت يوم غاية من الادب ارجو ان اوتي العمر للمضي فيها، لاكمال الملحمة العربية التي بلغت بأناشيدها الان صدر بني امية ، ثم تحدرت الى « نشيد الخوارج » « نشيد الحسين » .

فلما قرات مقال الاستاذ النابغ « عبد المجيد بن جلون ، الذي كان انعم فى عباراته من الحرير ، وابلغ فى الصواب من الحكمة ، مشيت على سطوره مترنح النظر لعاب الخاطر ، حتى خلصت منه خلوص الجائع من الطعام الشهي . اني وجدت هذا الاديب الكبير غير غريب عني ، بل وجدتني قريبا له فكاني ابن عمه او اخوه ، وقديما زرع لنا ابو تمام الطائي شيخ الشعراء شجرة القربى فى الادب . فرحت ازدهي بالاديب العربي ابن جلون فى المغرب بلاد العروبة والاسلام ، حيث اخواننا المفكرون المغربيون فى مجانمهم المشرفة على عدوة البحر فى طنجة وفى الدار البيضاء والرباط وهم عيون مئاثر الفكر العربي الحديث . لقد تابى هذا الاديب المطبوع ، على الظلم فى القلم ومياسم الكيد فى النقد فترفع عن اسفاف طغمة يعلك اكبادها الحسد ، وتنتشر الصفرة على وجوهها من ضيق النفس وتخوص العيون ، احرمانها الفكري ، فهي كالعقارب تجعل حمتها فى اقلامها . وما شان كاتب يجول فى ءاثار الناس ؟ فيقول للواحد احسنت وللثاني اسأت وهو دونهم وينفس على المحسن جميل صنعه ويبيت ليله شامتا ، ويراه الناس منجنيا ظلاما .

وكنت فى مؤتمر الادباء العرب فى « بلودان » «1» مشاركا فيه ومتكلما ، وانهى نابغة العرب بلبنان الاستاذ « ميخائيل نعيمة » محاضرته الكبرى السابية فى « النقد والادب » وقد دعا فيها الى الوئام بين الادباء والتجرد الممكن فى اظهار المثالب ، بروعة متكلم وعمق مفكر ، وقد سمعها المؤتمرون بشغف متواصل وانجذاب ساحر ، وكان احد حواريي المسيح ابان القائها ، ولم يكد يجاوز كلمته الاخيرة فى ختامها حتى دوي المكان بالتصفيق وفاضت مشاعر الاعجاب بنابغة الجيل الباني .

وجاءت نوبة المناقشات فنهض اليها مسرعا خصم من خصوم « ميخائيل نعيمة » الالداء ، ففتح عليه بابا من ابواب النقد الجهنمي الباطش ، وكأنه كان يرميه برشاش من الرصاص لا يمسك به الا العدو الخصيم ، فتلقى اديب العصر نعيمة ، الهجمة بابتسام هادىء . ولم اترك لمن يلي ذلك الهاجم من صحبه الحاقدين اغتنام النهوض للكلام لموالاة النقد بالخصام ، فنهضت الى المنبر كالسهم الخاطف وخاطبت الاستاذ « نعيمة» كما كان يخاطب الحواريون المسيح :

— يا معلم ، اننا لم نجيء تحت ظلال هذه العشية الشآمية الجميلة لكي نجرب فى ادبك الجبار اسلحتنا الكليلة .

وافاض الله علي كلاما بالنقد المسالم والتجرد فيه ، ودعوت الى شبوع الود والوئام بين الادباء والقضاء على النقد الهادم الذي يتوقد فيه الحسد والتشفي .

وكان مدير الاجتماع لبقا فانهى الجلسة بحذقه بعد ان علاها ومبض الكهرباء وتوتر الاعصاب فهب نعيمة مقبلا علي باسارير ضاحكة يفيض منها السود الذي لا يبالى .

وكذلك خلص الاستاذ « ابن جلون » بالاعتذار المحبب من التورط فى نقد ضار ، فكان فى ادبه رسول السلام وداعي الوئام ، لا حامل عصا الفرع ، او معولا للتهديم .

ولست فى كل ما ذكرت اوثر ان اجنب الادب والفكر عوامل النقد الصحيح المدرسي ، فاني كنت اعلم تلاميذي النقد فى كلية الاداب بجامعة دمشق ، واطبعهم بطوابع مدارس النقد القديمة والحديثة فى الادب الغربي والعربي ، ولطالما شهدت معارك النقد بضفاف النيل ، فيما كان يدور منها بين صديقي الناقدين « محمد مندور ورشاد

«1» من مصيف دمشق واعلاها .

بنعبد الله » وهو من اسرة « دعوة الحق » ان يكتب للمجلة مقالا يتناول فيه بالنقد المقالات والقصائد والآثار الفكرية التي جاءت في العدد السالف . وهذه سنة غير مستحبة . اخذت بالتنكر لها وشجبها منذ صدرت في مجلة من المجلات العربية في عصرنا الحديث. ولم اجد لها ضريبا ولا شبيها في مجلة لدى الفربيين . ولو كان الفربيون قد وجدوا في هذا الضرب من النقد اصغر ما يوقف عليه من الجدوى لما احجموا عنه ، وهم الذين توخوا بشاذانهم ارفع الاثار واجل الافكار . ولقد رحت اشهد ما قد سبب ذلك النقد المقيت من شنئان وعداوة بين ادبائنا العادين والملموزين ، فان الاثر المنشور في مجلة او كتاب لاديب من الادباء هو كما يقول الجاحظ في منزلة العز والحب للوالد الغالي . فكيف يأتي ناقد متحذلق او مبيت ضغنا في قلبه على الحياة والادب ! فيسكب اشواق مصارعه على الاثر الجميل ، يريد ليشوه معالم جماله ويطمس مظاهر كماله . ولكم صرف النقدالجارح ادباء عن نشر آثارهم وقد عرفت فيهم كبيرا مختمرا فيالادبوالشعر ومن اعلام النهضة الحديثة وهو من اساتيذنا واصدقائنا فقلت له يوما :

— فيم ! لا تنشر رحلتك الاوروبية وقد اقرأتنا منها اطرافا سواحر . فقال :

— اأفعل هذا ! حتى يجيء ناقد فيقول لي : احسنت ، اسأت .

كذلك ابغض الادباء الموهوبون مياسم النقد الكاوية التي تنصب بالغضب والضغائن على الاجساد، وليس للادباء من ذنب الا انهم احبوا ان يطلعوا الملا على اثر من وجدانهم الصافي .

وههنا تعاودني ذكرى مريرة لكلمة كتبها عني ناقد منذ خمسة وثلاثين عاما ، وانا طالب في المدرسة التجهيزية بدمشق اجاوز اواخر العهد بها ، وقد نشرت ذلك الزمن شعرا ، قرأه ، وكان هو في قريته شاعرها ، فكتب في جريدة دمشقية كانت حاقدة تؤثر الاغارة ، بانني لست جديرا بالحياة . فلقد اراد لي الموت يومذاك ، لانه لم يعجبه ادبي ، وقد بدرت مني حين رأيت كلامه بادرة غريبة اذ لففت الجريدة التي فيها هذا القول عني ، وفتحت باب الموقد في غرفة الدرس ، ابان الاستراحة ، وكان الوقت شتاء ، وطرحت بها جملة واحدة في النار ، وكاني اردت ان اطعم ذلك النقد المعتدي السنة اللهيب . وناقدي القديم لا يزال بحمد الله حيا — على ما علمت — وكم ادعوه اليوم ليقرأ المقال الذي كتبه عن ادبي مؤدب العصر الحديث الاستاذ العظيم « عباس محمود العقاد » نضر الله عظامه ، وقد ظهر مقاله هذا عني في كتابه الاخير « اشتات مجتمعات في اللغة والادب في الصفحة 141 فناقش فيه ءارائي في الملحمة العربية التي ادعو اليها واصنعها ، واثنى علي ثناء جللني بالفخر طول عمري ، وبعد موتي (1) .

وكم اتمنى ان يقرأ هذا المقال السابغ ناقدي القديم ليؤمن الان انني عشت بحمد الله ، وان لي بضعة عشر كتابا مشهورة تعاد طبعاتها ، وان بعضها من المصادر الجامعية الموثوق بها في الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية بكليات آدابها ، وان اعلام الادب المعاصر يقرؤون آثاري ويعرفونني حق المعرفة ، وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين والاستاذ احمد حسن الزيات مد الله في عمرهما ،

وشاع بفضل الله ادبي في ديار العروبة والاسلام ، وبلغ الديار الاوربية لدى بعض المستشرقين وبخاصة في المجر واسبانيا ، وقد كتب رئيس المجمع الادبي الاسباني بمدريد الدكتور الاكبر رامون ميناندز بيدال مقالا عني يتعلق بالملاحم والمراسلة بيننا منذ عشر سنين . ونشر المستشرق الدكتور جرمانوس دراسة تحليلية لكتابي « ابو العلا ناقد المجتمع »

كما اعزني الرئيس فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية بمقاله الرائع عن كتابي هذا في هذا الشهر .

لقد اخافني ذلك العائب الادبي ، وانا ناشىء ، فقلت لامي — يرحمها الله — ذلك ، فلم يهلها الحادث

---

(1) ارسل الي الكاتب الكبير الاستاذ وديع فلسطين من القاهرة هذا المقال بخط الاستاذ عباس محمود العقاد وتوقيعه في ءاخره وقد حصل عليه من المطبعة ليكون اثرا عزيزا عندي ، بعد ان فارق كاتبه العظيم عالمنا عليه رحمة الرحمن — وقد وصل خط الاستاذ العقاد الي بمقاله عني يوم خططت هذا المقال لمجلة « دعوة الحق » وجعلت عنوانه « هموم النقد » فيا للاتفاق الغريب !

التعليم، الثقافة، البحث العلمي

للأستاذ: محمد العربي الخطابي

من الصفات الاساسية التي يتسم بها عصرنا أنه **عصر الجماهير** . المزايا الاخرى انما هي نتيجة لهذه الصفة الجوهرية . فهو عصر العلم ، عصر التقدم ، وعصر المذاهب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتشعبة والاتجاهات الفكرية والثقافية المختلفة ، وهو عصر الذرة والصواريخ وارتياد الفضاء، هو كل ذلك لانه **عصر الجماهير** . ولم تكتسب هذه الصفة مظهرا ديمقراطيا كاملا فى عصرنا وفي جميع الاقطار تقريبا الا فى انتشار التعليم واعتباره حقا لجميع المواطنين . وقد أصبح التعليم بسبب ذلك مؤسسة انسانية واجتماعية لها الكلمة الاولى في تقرير مصير الشعوب المادي والمعنوي . ذلك ، لان هذه المؤسسة هي المسؤولة قبل غيرها عن :

- ابراز كرامة الفرد بتحريره من الامية والجهل والعبودية الفكرية .
- خلق الوعي الفردي والجماعي
- تحسين مستوى الفرد وظروف معيشته عن طريق تزويده بالحد الادنى من التعليم والتأهيل
- توفير وسائل الاتصال بين مختلف الجماعات الانسانية .

* * *

ان حاجات المجتمعات العصرية ـ سواء في الدول المتقدمة او فى الدول النامية ـ تزداد وتتسع بسبب سيطرة الآلة واتصال العالم وتعقد أساليب الحياة وتعدد مطالبها مما يفرض على كل دولة ان تنفق قسطا كبيرا من ميزانيتها على تعليم ابنائها لتنتفع بهم غدا في مختلف مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية التي لا تقوم دولة بدونها . لذلك فالتعليم ، منظورا اليه من هذه الناحية، يعتبر استثمارا لرؤوس اموال تنفق فى مجال تحقيق الانماء الاقتصادي والاجتماعي المطلوب ، وهو بلا جدال وسيلة هامة من وسائل تقوية الانتاج . وقد توصل السيد ستروميلين (STROUMILINE) عضو الاكاديمية السوفياتية (1) ـ فى محاولة قام بها لتقدير النتائج الاقتصادية لنمو التربية ـ توصل الى ان العامل الذي يجتاز أربع سنوات من الدراسة الابتدائية اكثر فعاليه من العامل الامي بمقدار 43 ٪ والذي يجتاز المرحلة الثانوية يكون اكثر فعالية بمقدار 108 ٪ والذي ينهي دروسه العليا يحقق 300 ٪ من الفعالية . وبناء على هذا التقدير يتضح ان الاموال التي تنفق فى سبيل التعليم يمكن ان تدر فى سنوات قليلة ارباحا مضاعفة (مثلا 3 ملايير تجلب 70 مليارا)

* * *

لقد كان من سوء حظ بعض الدول التي تخلفت عن ركب الحضارة وابتليت بالاستعمار أن وجدت نفسها ـ بعد الحصول على استقلالها السياسي ـ تجاه مشاكل ضخمة فى مقدمتها **مشكلة الاطارات** . وجدت نفسها فى حاجة الى مهندسين واطباء واساتذة وخبراء وفنيين وعملة مؤهلين فى جميع المرافق . وبما أن التعليم هو الوسيلة الاساسية لاعداد الاطر الضرورية فقد صرفت كثير من حكومات الدول النامية كل جهودها فى توجيه التعليم نحو هذا الفرض المستعجل ، وادخلته كثير منها فى خطة الانماء

(1) عدد مارس 1965 ـ ص 8 LE COURRIER (U.N.E.S.C.O.)

رشدي » وحين احتدم الخصام الفكري بينهما ، وهجم رشاد رشدي تخفق فوق راسه اعلام « ت.س. ايليوت » اخذ مندور يجالده بهدوء ، حتى تكون صفان من الكتاب ، كل منهما بجانب ، ولم اتجه الى واحد منهما ، غير اني نصحت مندورا - يرحمه الله - بالكف ، ابقاء على القلوب دون ان تتحطم ، فان بقايا من الود فيها تكفي لتجدد الصداقات ، بعد طول خصام الاقلام .

وكان دابي ان ادور والوب فى ادب العصر الحديث وفى حياة ادبائه ، على مرآة ارى فيها صورتي ، وكنت ارى فى معارض هذا الادب مرايا مقعرة اجد فيها وجهي كبيرا ضخما ، فانكره . وتارة اتمرى بغيرها محدودبة فأجدني صغير السحنة ممسوخا بزري العينين ، لولبي الفم ، دقيق العنق ، فافزع من نفسي وانكر حالي واغطي براحتي وجهي . ولم اعدم مرايا صافية حيث وجدتني فيها متلالىء الخاطر والصورة ، كالذي كان من امري حين نظرت امس بالمرآة الصافية بوجه الكاتب الفذ الصديق « عبد المجيد بن جلون » . فلقد مضيت وراء عينيه فى اغوار بعيدة ، وشممت فى ادبه عطر الانتعاش ، وحمدت لربة الشعر شعره فى « محمد بن عبد الله » الرسول الاعظم تمجيدا وتسبيحا فى قنوت صوفي ذائب ، فقلت وانا اختتم هذا المقال :

- لقد رايت الان فى سواد ليل الادب المعاصر ، نجما وهاجا ، طلع فى المغرب ، ليضيء المشرق .

دمشق فى 18 اغسطس 1965

الدكتور زكي المحاسني

بدون شك ، الى خلو « النظام التربوي » الذي تعلم في ظله هؤلاء من كل عناية بالمطالعة واهتمام بالكتاب ما لم يكن الكتاب المدرسي .

ان الثقافة ليست بالمسألة الكمالية حتى بالنسبة لذوي الاختصاص المهني او التقني الصرف ، بل هي امر ضروري ولا تكتمل بدونه شخصية الفرد ، سواء كان هذا الفرد مهندسا أو لحاما ميكانيكيا أو جراحا أو ملاحا جويا

« الثقافة هي نشاط التفكير وتقبل الجمال والاحساس الانساني » كما قال الفرد نورث وايتهيد — احد كبار رجال الفكر والتربيةفيالعالم — لذلك يجبان نعنى المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم بتزويد الطلبة بالثقافة الضرورية التي تنمي فيهم روح الاستطلاع والبحث الحر وتقربهم من التجربة الانسانية الكبرى وتساعدهم على فهم العالم ومشاكله المعقدة .

« ان التقدم الاقتصادي لا يمكن تصوره ما لم تتطور العلوم الرياضية الطبيعية والمعارف التقنية في كل قطر ، وما لم تؤد هذه العلوم والمعارف الى تطبيق عملي سريع ... ان معرفة الموارد الطبيعية امر ذو أهمية خاصة بالنسبة للبلاد النامية التي بدأت التصنيع وتطوير الفلاحة ...

« يجب على كل قطر من الاقطار السائرة في طريق النمو ان يمتلك مراكز للبحث العلمي خاصة به ... » (3)

من هنا تتجلى اهمية تشجيع البحث العلمي الذي يعتبر في العصر الحديث جزءا رئيسيا ، من رسالة الجامعات والمعاهد العليا التي لا يمكن ان تكون بحال من الاحوال مجرد « مصانع » لتكوين الاطارات بل معاهد لانماء البحوث العلمية في مختلف المجالات واعداد علماء وباحثين قادرين على المساهمة في التقدم العلمي ومؤهلين لاداء رسالة فعالة في تطوير الاقتصاد الوطني وتدعيم اسس الصناعة واستكشاف موارد البلاد الطبيعية واستخدامها استخداما رشيدا نافعا .

الخلاصة ان كل نظام تعليمي وتربوي لايستهدف اعداد المواطنين ، عقليا وروحيا وبدنيا ، ولا يساعد على اكتشاف مواهبهم واستعمالها ، ولا ينمي فيهم روح البحث والاطلاع ، ولا يزود البلاد في نفس الوقت بما هي في حاجة اليه من خبراء وفنيين وعلماء ومفكرين ، لا يمكن ان يكون الا نظاما ناقصا ظاهر الخلل وعديم الجدوى

وعندي ان اسرع الوسائل لاستدراك ما فاتنا في حقول التقدم العلمي والصناعي والثقافي ، واللحاق العاجل بالامم المتقدمة هي العمل على خلق فئة من الباحثين والمفكرين وتشجيعهم على الدراسة والابتكار ومساعدتهم على التضلع في العلوم والمعارف ، وذلك عن طريق ايفاد الموهوبين والمتفوقين من حملة الشهادات العليا الى الخارجللتخصص في مختلف فروع العلم والتقنولوجيا ، وفتح اكاديمية للعلوم ، ومراكز للابحاث العلمية التي لها صلة مباشرة بالصناعة والفلاحة والاقتصاد وموارد الثروة والطاقة .

ومن الاهمية بمكان كبير كذلك ايجاد جهاز قوي فعال للاشراف على شؤون الثقافة وتركيزها يكون في طليعة مهامه تخطيط سياسة رامية الى نشر الثقافة والوعي الفني والاجتماعي عن طريق الاذاعة والتلفزة والصحافة ونشر الكتب والمجلات واحداث دار وطنية للكتب ومكتبات شعبية ، اقليمية ومحلية ، وغير ذلك من الوسائل المجدية .

ولا جدوى للتعليم ، في مختلف مراحله وفروعه، ما لم يكن عاملا اساسيا في نشر الثقافة بين المواطنين، وتشجيع البحث العلمي والابتكار . وبطبيعة الحال لا مجال لانتشار الثقافة الا بنشر التربية والتعليم على اوسع نطاق شعبي ممكن . ولا تنمو الثقافة ولا يزدهر البحث العلمي الا حيث تكون النظم التربوية والمناهج التعليمية هادفة الى ذلك ، وموضوعة على أسس قويمة ومدروسة .

ان موضوع الترابط القائم بين التعليم ونشر الثقافة وتشجيع البحث العلمي موضوع يحتاج الى دراسة اعمق واكثر تفصيلا . وانما اردت في هذا المقال ان ابرز اهمية هذا الترابط الذي يجعل النظام التعليمي وسيلة اسمى وأكمل لاتهدف فحسب الى « سد الثغرات » وملء الوظائف والاعمال، بل نرمي كذلك الى خلق جيل واع مثقف واعد بالعطاء والمساهمة الفعلية في انماء الحصيلة الانسانية في حقل العلوم والآداب والفنون .

ولي رجعة بعد هذا الى الموضوع لايفائه حقه ، وسأكتفي فيما يلي باقتراح الخطوط العريضة لما يمكن ان يحويه الميثاق المدرسي المرتقب ، مستمدا ذلك من المقومات المغربية ذاتها ، ومستعينا بما سبق ان

---

3) سيساكيان ، نفس المصدر السابق

الاقتصادي والاجتماعي . ولا مرية فى ان هذا العمل معقول ولازم تفرضه حاجة الدول المتخلفة ؛ ومنفعته محققة ما لم تقع التضحية بقيم جوهرية لايمكن ان يقوم نظام تربوي صالح بدونها . هذه القيم هي التي تحدد للتعليم مبادئه الثابتة واهدافه الشاملة البعيدة. ذلك ان التضحية بهذه القيم انما يعني التضحية بعديد من المواهب التي تقولبها الحاجة الملحة الى الاطارات فتمسخها ، كما كما يعني التضحية بالمثل التربوية الراسخة التي تعتبر الانسان كائنا حرا وعضوا فى جماعة انسانية ذات حقوق وواجبات ، ولا تنظر اليه **كمجرد أداة انتاج** . هذه المثل التربوية هي التي تهدف الى تهذيب العقل وتنظيم الفكر وانماء المخيلة والقيم الجمالية عند الفرد وتزويده بمهارة ما -- فكرية او يدوية -- ليتم تناسق ملكاته الذي يؤدي الى تناسق المجتمع وتآلفه .

ان اي نظام للتعليم ، لكي يكون صالحا يجب ان يراعي الكم والكيف معا ، وان يوفق بين احتياجات المجتمع المادية ونزعاته الانسانية ومطالبه الروحية والعاطفية

ولهذا كان من الحكمة ان تحذر الدول النامية الوقوع فى اخطاء قد تؤدي بها الى اقامة مجتمع آلي مفكك تنعدم في أفراده روح الاصالة والابتكار وتعوزهم الدعامة الفكرية والتربوية اللازمة فيصبحون بذلك مجرد رؤوس محشوة بمعلومات جافة . واجسام تحركها مطالب العيش المادية الصرف .

« يجب تخطيط التربية للزيادة من فعاليتها . على أن يراعى في هذا التخطيط جميع العوامل الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية والجغرافية والادارية وغيرها ، بمعنى أن يكون تخطيط التربية وثيق الارتباط بالتخطيط العام للانماء الاقتصادي الوطني (2) »

وهذا يقتضي ، بطبيعة الحال تحديد المباديء والاهداف المتوخاة من التربية والتعليم في شكل **ميثاق وطني تعليمي** شامل يحدد الشكل والجوهر ويبرز العناصر الروحية والخلقية والفكرية والعقائدية وكل المقومات الوطنية والانسانية التي يجب ان يتوخاها كل نظام تربوي صالح .

ان المدرسة ليست مجرد مكان يلقن فيه النشء اكداسا من المعلومات ويتعرض فيها التلاميذ لامتحانات قاسية ، بالمدلول اللغوي الحقيقي لكلمة الامتحان التي تشترك فى الجذر مع كلمة محنة ؛ بل يجب ان تكون المدرسة حقلا لتجارب الغاية منها ابراز مواهب الاطفال وقدراتهم الفكرية او اليدوية ، وتدريبهم على الملاحظة والاستنتاج وتزويدهم بالعدة اللازمة لمواجهة الحياة فى مظاهرها المختلفة . ووسائل تحقيق هذه الغاية هي : الهيأة التعليمية والمناهج والكتب الدراسية والاساليب التربوية المتبعة وتوجيه الناشئة فى اوقات الفراغ عن طريق تربية روحية وفنية وبدنية ملائمة .

ولا بد من اعطاء اهمية خاصة ، في مناهج التعليم ، للمواد الدراسية التي تؤلف التراث الفكري والحضاري للامة كاللغة والدين والتاريخ والجغرافية والادب وتاريخه ، هذه المواد التي يجب ان تلقن التلاميذ بكيفية سليمة تبرز مفاخر بلادهم من غير تعصب ولا عنصرية ، وتحبب اليهم -- دون استعلاء زائف -- اوطانهم وتجعلهم يؤمنون بالعلم والتطور وبقداسة الروابط الانسانية وبالتراث الثقافي والحضاري المشترك .

ومن الاهمية بمكان كبير تنظيم اوقات الفراغ عند التلاميذ والطلاب سعيا فى تنمية مواهبهم وتهذيب اخلاقهم وملكاتهم الفكرية وقواهم العاطفية والجسمية. ويحتل تعويد الناشئة على المطالعة الحرة مكانة بارزة فى هذا السبيل ، ولاجل ذلك لابد من فتح مكتبات للاطفال فى كل مكان توجد به مدارس ، وتشجيع الناشئة على ارتيادها حتى يتعودوا القراءة فى سن مبكرة فتصبح عندهم عادة يحرصون عليها فى الكبر . فالتعليم كما قال **أندري موروا** ليس الا مفتاحا يفتح أبواب المكتبات . والحقيقة انه لاقيمة نهائيا لتعليم لايبعث فى النشء حب الاستطلاع والعمل الدائب من اجل تنمية المعلومات وتوسيع الآفاق الثقافية عن طريق القراءة بصفة خاصة

واننا لنشاهد ، بكامل الحسرة والالم ، ازمة القراءة وانعدام الاهتمام بما ينشر من كتب ومجلات فى اوساطنا المتعلمة ، ووقوف معلومات كثير من « المتعلمين » عند الشهادة الدراسية ، ومرد ذلك ،

2) السيد نوارير سيساكيان ، العالم البيوكيميائي الكبير ، ورئيس المؤتمر العام الاخير لليونسكو ، في مجلة LE COURRIER (بريد اليونسكو) مارس 1965

مؤرخ الأدب العربي التونسي زين العابدين السنوسي

للأستاذ: أحمد أنور الجندي

يسعدني ان اكتب لمجلة « دعوة الحق » كبرى المجلات الاسلامية فى المغرب قاطبة محييا ذكرى « زين العابدين السنوسي » احد اقطاب الادب العربي المعاصر وقادته ومن الذين دانوا الفكر العربي الحديث ، ويشرفني كأحد كتاب المشرق العربي ان اكتب عن هذا العلامة الكبير وقد عرفت مؤخرا بوفاته من قصاصة تفضل بارسالها الي اخي الشاعر العربي ، والدبلوماسي العراقي ، هلال ناجي ، وكنت قد كلفته ان يقابل السيد السنوسي ويحصل منه على بعض ما عجزت عن الحصول عليه ، فقد راسلته فى الاعوام الاخيرة وتمنيت ان احصل منه على معلومات تكشف لي جوانب نفسه وحياته ، وكنت قد التفت اليه عشيره بالرغم من انه ليس صاحب صحيفة ولا مؤلفات ثرة ، ولفتني اليه اسلوبه وبيانه وعمق فهمه عن طريق بعض مقدمات الكتب التي اصدرتها مطبعة العرب التي كان يديرها ، ورايت انني لابد ان اترجم له فى كتابي « الفكر والثقافة فى المغرب العربي » ضمن مجموعة من كتاب تونس وليبيا والجزائر والمغرب . غير ان حصيلتي عنه كانت قليلة ، فارسلت اليه رحمه الله اكثر من مرة اسأله بعض ذكرياته ، فلما سافر اخي ، هلال ناجي ، سفيرا بين بلاده وتونس رجوت ان استطيع عن طريقه الحصول على ما قدرت ، فاذا به يفاجئني بقصاصة عن حفل الاربعين الذي اقيم له ، والذي كشف لي انه توفى فى منتصف شهر مايو تقريبا ، ومن هنا حق لي ان اكتب عنه وان اوسع نطاق البحث من اجل تكريم كاتب عربي بارز له فضل كبير ، ورجوت ان اكتب عنه فى مجلة « دعوة الحق » الزاهرة ، وحتى هذه اللحظات لم اجد فى صحف العالم العربي أو مجلاته التي تصل الي اي كلمة موسعة عنه .

والحق ان « زين العابدين السنوسي » من ابرز كتاب المغرب العربي منذ الثلاثينيات وما قبلها ، التقينا به فى كتابه « الادب التونسي فى القرن الرابع عشر » الذي اصدره عام 1927 الذي كان استهلالا لموسوعة كبيرة تهدف الى « دراسة الادب التونسي اليانع فى جميع الاعصر الاسلامية منذ دخول العرب الى يومنا هذا ، تخليدا للنبوغ والعبقرية التونسية التي ما فتئت الدرة الميمونة فى تاريخ الادب العربي الخالد » وقد قسم كتابه الى ثلاث دراسات :

1 ـ الادب التونسي فى العصر الذهبي للعرب .
2 ـ الادب التونسي فى العصور الوسطى .
3 ـ الادب التونسي فى القرن الرابع عشر .

وهو الاخير هذا الكتاب الوحيد الذي يوجد فى مكتبة معهد الدراسات العربية بالقاهرة ويحمل اسمه « ولعل استاذنا عثمان الكعاك يتفضل بارسال مجموعة من آثاره للانتفاع بها » .

ولا ندري ماذا انجز الاستاذ زين العابدين من موسوعته الا ما قرأنا انه اصدر كتابه هذا عن الادب التونسي فى القرن الرابع عشر فى جزئين .

اما الجزء الذي بين ايدينا فيضم تراجم «الشعراء» : محمد الشاذلي خزنه دار ، ابو الحسن ابن شعبان ، حسين الحريري ، سعيد ابو بكر ، صالح النيفر ، محمد الفائز ، الهادي المدني ، محمد المكي بن الحسين ، ابو القاسم الشابي ، احمد خير الدين ، محمد مناشو ، سالم الاكودي ، علي النيفر .

وقد اهدى الكتاب الى والده «محمد السنوسي» اول صحفي عربي فى تونس وفى المغرب كله ومحرر

اقترحته لجان وشخصيات منذ قيام اللجنة الملكيــة للتعليم (سنة 1957) الى الآن :

— الغاية الاساسية للتربية والتعليم هي تشجيع روح الابتكار والبحث الحـر والتطلع عنـد ابنائنـا ، وتمكينهــم من اكتشاف مواهبهــم وتنميتهــا ، وذلك بتزويدهم ، الى جانب الثقافة والمعرفة الضروريتين ، بتخصص عملي او نظـري ، حسب ميولهم وقدراتهم ، يؤهلهم للحياة والعمل ، ويكفل سد حاجة البلاد مـن حيث الاطارات ، وبساعد على خلـق مجتمـع تسوده العداله والاكتفاء والرفاه والتعاون وتساوي الفـرص والحظـــوظ .

— يجب ان يعنى التعليم بالجانبين : النظـــري والعملي ، بحيث يلقن التلاميذ ، وخاصة فى المرحلـــة الابتدائية والاعداديــة ، **تدريبا يدويا ملائما لبيئتهم** ، وذلك الى جانب **المعلومات الاساسية العامة** .

— يحدد جذع مشترك وموحـد للدراسة يشمل المناهج والاساليب التربوية والاداريــة . ولا يفتـرق التلاميذ ، دراسيا ، الا فى دور الاعداد للتخصص وفي التخصص نفسه .

— اللغة العربية وحدها هي لغة التلقين فى جميع مراحل التعليم ، ويشرع فى تدريس اللغات الاجنبيــة — كمادة — فى الطور الاعدادي .

— التعليم اجباري فى المرحلة الابتدائية ، ومجاني فى جميع المراحل (وفي حالة توفر العدد الكافي مـن مدارس التعليم الخاص تمنح الاسبقيــة فى الالتحاق بالمدارس العمومية للاطفال الذين لاتسمح مـــــوارد عائلاتهم بالانفاق على تعليم ابنائهم)

— يكون التعليم **اجبــاريــا** بالنسبــة لجميـــع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والثانية عشرة (مع التساهل فى مسالة السن خـلال فتـرة انتقالية تنتهي باستيعاب المدارس لجميـع الاطفـال البالغين سن الدراسة) .

— ينظـم « سلك الانقـاذ » على اسس تكفـــل استيعاب جميع الاطفال الذين فاتهم الالتحاق بالمدارس والذين تتراوح أعمارهم **ما بين الثامنة والثامنة عشرة** (ويلقنون **في هذا السلك المعلومات الاساسية مـــع** تدريب **مهني مناسب)** .

— تراقب **الوزارة** مراكز التعليم الخاص ، تربويا ، وتعمل على توسيع نطـاق هـذا النوع مـن التعليـم بتشجيعه ، . وعلى جميع المدارس الخاصة ان تطبق المناهج الدراسية التي تضعها وزارة التربية الوطنية .

— نقسم مراحل التعليـم كما يلـي :

ا) المرحلة الابتدائية (اجبارية — **4** سنــوات) وتلقن فيها المعلومات الاساسية العامة مـع اشغـــال يدويــة عمليــة .

ب) المرحلة الاعدادية (**4** سنوات) وتقسم الى تعليم عام وتعليم مهني (ويمكن ان تصبح هذه المرحلة اجبارية فى المستقبل)

ج) المرحلة الثانوية (**4** سنوات) وتكون مقسمة الى شعبتين : **شعبة للتعليم العام** (سنتان من الدراسة المشتركة وسنتان تخصص فى التدريس او العلـوم او الآداب او الرياضيات او الشريعة) **وشعبة للتعليـــم التقنــــي** .

د) المرحلة العليا (الكليات والمدارس العليا)

هذا ويجب ان ينص الميثاق المقتـرح بالتفصيل على المواد الدراسية (العملية والنظرية) لكل مرحلــة من المراحل ولكل نوع من انواع التعليم وذلك بوضــع منهج دراسي قار ومفصل يراعي الاهداف المتوخــاة من التربية والتعليــم .

والخلاصة ان هذا الميثاق يجب ان يؤلف برنامجا كاملا قارا لسياسة التعليم ونظامه ومناهجه يسترشد بـه سواء فى تخطيط الجوانب المادية لهذه السياسة او في تطبيقها . ولي عودة الى هذا الموضوع لشرحـه وتفصيـل القــول فيــه .

الرباط — محمد العربي الخطابي

تقريب أساليب النهضة الفكرية العصرية من التراث العربي الاسلامي على نحو لم يعرف كثيرا في المشرق العربي ، فالادب لم يعد نمارق لفظية يجمعها البليغ في شطرتين ، ثم يتسلسل في تاليف الكلم المناسب حتى اذا اتمه وجده حسنا ، فالزمان قد دار وابتعد عن هذه المرتبة ابتعادا شاسعا ونبا الذوق عن تلك المعالم فاصبح الشعر حديث النفس ، وانة القلب ، والاديب فهمي عظيم لايمكنه ان يبتعد عن حالته الشخصية في ادبه ومطرقاته وخالجات الضمير ، وهو وليد وسطه والبيئة التي يعيش فيها ، بل ان لتربية الانسان واستعداد النفس اثر هائل حتى في وصف المعاني وتخير الفاظها ...

ومهمة الناقد او المترجم عنده هي (ربط الاوليات في الشخص المترجم مع الاعتناء بأهم المصادفات التي اعترضته ، فالاستهواءات التي استمالته ، هم يظنون ان ترجمة الشاعر او الناثر يكفي فيها الاتيان بتحقيقات دقيقة عن مولده ومقره واشباه ذلك متناسين ان كل تلك الاوساط التاريخية بعمومياتها وخصوصياتها قد تكتنف التوأمين فينشئان على طرفي نقيض اخلاقا وادبا ، اذن فتلك الاوليات انما هي مادة الترجمة لا روحها) .

وعنده أن طبع كتاب يستدعي شيئين هما المادة والذوق ، الماده المتعلقة بالورق والغلاف ، والذوق في اتقان الترتيب الطباعي والتنظيم ، وعنده ان الطباعة هي الكنف الحصين للاقطار) .

وفي مجال البحث التاريخي يبدو نضج فكره وفهمه حين يقول (ان عقلية الامم لم تعد تشرئب الى معرفة الاسباب النفسية للانقلابات التاريخية فحسب، بل اصبحت تهتم بمعرفة الطبقات الامية في كل دور ومبلغ تمارسها ، كما اصبحت تستنقص كتب التاريخ التي لاترى فيها الوثائق الكافية والمرافق الكاملة للاستيعاب بالنظر البسيط والمراجعة الصغيرة ، فلابد للمؤرخ اليوم من الجداول الواضحة والخرائط لمختلف الاعصر ولا يكون كتابه مستوفى اذا كان خالوا من الرسوم والمناظر الصريحة ، على ان تجديد التاريخ وسبكه على العقلية العصرية ليس من الاعمال الهينة البسيطة ، بل لايمكن ان ينسبك قبل بضعة عشرات سنين يمضيها المجددون في الملاحظة والنقد والتعبير) يقول هذا عام 1927 ويعرض لتاريخ الجزائر وما يحتاج اليه من دراسة ليكون وسيلة ايقاظ امة فيقول: «ان تاريخافريقية وبالاخصتاريخ الامةالجزائرية لايزال بكرا ، بل انه مسبوك على عكس ما يجب ان يطلبه ابن البلاد من امته فان كثيرين من علماء الامة المحتلة عملوا على تشويهه وتجسيم النواحي السود منه واظهاره كتلة مربعة من السواد الفاجع المحزن لتنفير الناشئة من ماضي ابائهم حتى يزوروا عنه امام المحتلين الذين قضوا مائة سنة او اكثر في تزويق تاريخهم وتنميقه ليس بالمعقولات فقط ومظاهر المدنية بل حتى بالخرافات والاساطير وقد برعوا في تناسي ما لايعجبهم من ماضي ابائهم) .

ولا ينسى زين العابدين السنوسي ان يعاتب الكتاب الذين كتبوا عن الادب العربي واغضوا عن المغرب وتونس واشار الى احمد ضيف وطه حسين ولكنه عاد فاعتذر عنهم فقال : (الظاهر ان هذا التفافل اثر من آثار التشتت السياسي الذي اوجدته الطوارىء الاستعمارية في القرن الاخير ، والا فليست نسبتنا للعربية ابعد من نسبة اندلس او مصر ، ولا ان علاقتنا بالشرق العربي اضعف من علاقة اي مقاطعة من مقاطعات بلاد العرب اليوم سواء من جهة التاريخ او الاجتماع ، وقد بلغ التشتت والتناكر بابناء العربية ان اصبحت الصحافة العربية لاتكاد تهتم بنا اهتمامها بمملكة الحبشة ولا تتطلع لاخبارنا تطلعها لحفلات السباق والزحلقة على ثلوج سويسرا والنرويج » . واشار الى ان هناك اغلاطا فاحشة في كتابات المصريين عن تونس حتى ان احدهم ذكر مدينة «بنزرت» في كتابه النخبة الازهرية «بزرطة» وهي اكبر مراسي المملكة التونسية وقال ان ذلك نتيجة حتمية لاعتمادهم على المؤلفات الاجنبية التي لايدونها الاجانب الا باقلام الفرباء التي لاتكاد تخلو من الفرض الاستعماري وروح الاستنقاص ، وعنده ان تعميم الاحساس بالتماس التاريخي والوحدة اللغوية هو اضمن طريق يسار به الى التكافل المنشود ربما يتيح الزمان لهذا الشرق نفض الكابوس عنه واعلان رغبته الصريحة في الوحدة والسلام .

* * *

هذه صورة فكر « زين العابدين السنوسي » ، في الثلاثينات ، كاتب منفتح ، ومصنف ومؤرخ وناشر مؤمن بوطنه وفكر امته ، واذا كانت المصادر والمراجع لاتعطينا تطورات فكره هذه بعد ذلك ، فاننا لا نلبث ان نلتقي به في مجلات «الندوة» و«الثريا» و«الفكر» 1950 وما بعد في فصول مفرقة متعددة ، يبرز فيها وقد تعمقت آراءه وتنوعت دراساته وتكشفت خبرته في مجال الفكر والادب والتاريخ

جريدة «الرائد التونسي» التي صدرت عام 1864 وثانية الجرائد العربية الاسلامية فى العالم ، وفى اهدائه عبارة اسى وحزن ، فقد مات والده قبل ان يـراه ويعايشه يقول : « الى والدي الذي لم ار شخصه فى حياتي وان لم يفارق بصيرتي طرفة عين الى الذي الهمني العمل بما جمعه من ادب اسلافه ومعاصريه ، فقد قضى وتركني صبيا مرضعا ، فلم اكبر الا شاعرا بواجبي ايصال حلقات سلسلة الدهر، اعترافا بقبول السير فى منهاجه وتعقب خطواته » .

والحق ان زين العابدين السنوسي كان استمرارا لابيه فى منهجه واستمرارا لاسرته التي عرفت بالعلم والفضل، فجده ابو عبد الله السنوسي اصله من بلدة « الكاف » وهو اول من قطن تونس بطلب العلم حتى كان من اعيان علمائها ، وتولى خطة قضاء « بنزرت » ثم قضاء « باردو » ثم قضاء الجماعة بتونس ، ووالده محمد السنوسي « 1266 – 1317هـ» ولد بحاضرة تونس وتولى فى اول صباه تدريس العلم بزاوية سيدي الهياجي ، ثم تولى تحرير جريدة الدولة الرسمية « الرائد التونسي » وقد عرف بالكرامة وصدق الوطنية حتى انه فارق جريدة الرائد فى اليوم الثالث للاحتلال الفرنسي ، وقد الف كثيرا وكتب كثيرا ، وله فى الادب « مجمع الدواوين » جمع فيه عصارة دواوين متأخري شعراء التونسيين وهو فى عدة اسفار كما جمع ديوان الشاعر محمود قبادو ، وله تاريخ خصه لقضاة تونس وائمة جامعها الاعظم اسماه « مسامرة الظريف ، بحسن التعريف » كما نظم الشعر فى العروض والقوافي ، وله رحلتان الى الحجاز والى باريس اسماهما : « الحجازية والباريسية » ووصف قلمه بأنه رطب اللسان يترشح لكتابة ما يعن له ، فلا يتهيب اي موضوع وقد وصفه احد مؤرخيه بقوله : « قيل « ان ما يكتبه هو من خطرات اليراع» يريد انه لا يحتاج الى اعمال الفكر اعلاما بقوة عارضته ، وذلك بتعجله فى محرراته، وله تضلع فى التاريخ ، اخبرني انه لما وصل الى بيروت صادف ان جمعية دائرة المعارف كانوا قد وصلوا الى ترجمة الامراء الحسينيين فالتمسوا منه ان يكتب لهم تاريخهم فأملاه وادرجوه بنصه فى دائرتهم ، وكان فصيحا بشوشا لين العريكة متحببا الى الناس » وله قصيدته النونية التي سماها الفريدة فى المخترعات الحديثة .

وفى هذا الجو المعطر بالعلم والادب والشعر نشأ زين العابدين السنوسي فاقتفى اثر والده العظيم فبدأ حياته الادبية بانشاء الصحف والمطابع وكان ذلك على اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى فكون له مطبعة باسم مطبعة العرب واصدر نشرة شهرية على طراز مجلة « البدر » فى صورة كتاب له اجزاء باسم « العرب » فلما منعت الحكومة رواجها بعد العدد الرابع ، مضى يضع على كل عدد منها اسما جديدا ثم اصدر مجلة « العالم » فى يناير 1930 وقد وصفت بأنها كانت « رائد النهضة الفكرية ، وسجل التطور الادبي » فقد أولت اهتماما كبيرا للنهضة الادبية فى المشرق والمغرب وعرفت باحدث الكتب فى الادبين العربي والفرنسي ، وعنيت بنشر انتاج الشباب الجديد فى تونس ، وترجمت عشرات من القصص والدراسات .

ومن عجب ان الرجل الذي بدأ حياته على هذا النحو لم يلبث بعد ثلاثين عاما وبعد استقلال تونس ان ولي المطبعة الرسمية عام 1956 وحل محل والده الذي اقصاه الاستعمار الفرنسي عنها فكان هو اول وطني يديرها بعد الاستقلال .

وقد استطاع زين العابدين السنوسي ان يقدم فى هذه الفترة عشرات من المؤلفات فى مجال الادب والتاريخ كانت هي علامات اليقظة للفكر المغربي فى تونس والجزائر ومن اهمها بلاغة العرب فى الجزائر لزميل صباه عثمان الكعاك « 1927 » وموجز التاريخ العام للجزائر ايضا بقلمه وكتب اخرى فى هذا المجال .

ولا يقدر اثر هذه المؤلفات الا من يعرف كيف كان الاستعمار الفرنسي يقاوم لغة العرب وتاريخهم ويقذف فكرهم بعشرات من الدعوات والنظريات والشكوك فكان احياء مثل هذا التراث والتعريف بهذه الاثار فى مجال الادب والتاريخ عمل بطولي، وجهاد ضخم ، بعيد المدى خاصة بالنسبة للجزائر التي ركز عليها الاستعمار وحاول القضاء على عروبتها وقوميتها واسلامها ، ومن هنا كان مدى خطورة الكلمة المكتوبة فى مجال الادب او التاريخ ، ومن خلال عبارات « زين العابدين السنوسي » التي كان يقدم بها هذه المؤلفات تبدو صورة فكره باهرة ، وقدرته على الاداء وعمق الفهم والتعبير .

فهو في عام 1927 يلقي نظرة على الادب والطباعة والتاريخ تكشف عن مدى تطور عقليته وقدرته على

نجيب محفوظ
أو الكاتب الذي يتحدث عن مجتمعه

بين سليمات الشباب

للأستاذ : محمد زنيبر

- 6 -

فى الثلاثيــة دراســة تحليليــة ونقدية للشبيبة المصريــة فيما بين الحربين . فهي تقدم لنا صــورة عن عزلة المثقف وانجذاره كما رأينا ذلك فى شخــص كمال . وهي تحاول ان تشخص لنا الازمة ، وان شئت فقل المأساة ، التي يعيشها المثقف فى البلاد المتخلفة، نتيجة للتفاوت الفكري الذي يفصل بينه وبيــــن مجتمعه . لكني اعتقد ان نجيب محفوظ لا يوقـــف طموحه عند تحليل الواقع الاجتماعي ، بل انه يسعى من خلال الاحداث ليصل بنا الى فلسفة نفهم بهــــا الحيــاة والوجود والمصير الانساني . فهو يتجاوز العرضيــات والظرفيــات ليبلغنا فكرته باسلوب فني طبعا . وهنا كذلك نجد شخصية كمال فى تمزقهــا واستسلامها تجسم لنا صورا من هذه المشاكـــــل الفلسـفيــة .

وكمال انما هو صورة مختارة ومفضلة ركز فيها المؤلف قسطا كبيرا من اهتمامه ، وجعل منها فى ءان واحد بطلا وشاهدا وسط احداث الرواية . ولكـــن الشبان الاخرين الذين وصفهم نجيب فى روايته يمثلون بصورة او باخرى الشباب المصري . وهنالك جيـــل كمال والجيل الذي يليه . وقد استطاع المؤلـــف ان يبين لنا بدقة ومهارة فنية الفرق بين الجيلين ، وان يطلعنــا فى نفس الوقت على التطور الذي حــدث فى المجتمــع المصــري .

فالجيل الاول يمثل مصر فى المرحلة الاولـــى من استقلالها لقد اعترف الانجليز باستقلال مصـــر فى اعقاب الحرب العالمية الاولى . وتجسم الكفــــاح الوطني فى الوفد وزعيمه سعد زغلول وغدا الشعب المصري يغذي عاطفته بهذه المكاسب الاولية ويعتقـد بكل براءة ان الاستقلال سيحل كل المشاكل المستعصية ويفتح كل الابواب المغلقة ، ويرى مصيره وسط هالة من الاحلام الرومانطيقية ويظن ان اساس التقدم هو فى الاخذ باساليب اروبا ووسائلها . ولم يكن واعيــــا بالمشكلة الاجتماعية وتعقيداتها ، ولا بخطورة المسألــة الديموغرافية التي تتشعب سنة اثر سنة . واذا مــا وقع الشعور بذلك مرة ، فان الجميع يكل معالجــة الامر الــى الاقــدار .

وكان الشباب المثقف هو ايضا فى غمرة هـــذا التفاؤل العام يعيش بافكار رومانطيقية . وبما انه فى اغلب الاحوال ينتمي الى هذه الطبقة المحظوظة التـــي ستضطلع بالمسؤولية فى البــلاد وستكون اول مـــن يستفيد من الاستقلال ، فانه لا يــرى فى الحيـــاة الا مشاكل شخصية ، فردية ، وذلك ما جعله يعيش على هامش المجتمع او بالاحرى فوق المجتمع . فهــؤلاء الشبان الذين يجتمع بهم كمال فى بيت حسين شداد الارستوقراطي ، هل يعنيهم من كل ما يحيط بهم الا مستقبلهم الشخصي ومصيرهم وسط هذه الجماهير المتطلعــة ؟

وتتمثل ارستوقراطية هؤلاء الشبان اكثر مــا تتمثل فى اسلوب الحياة والتفكير الذي اخذوه عـــن اروبا ، فى تأففهم من العادات والتقاليــد الشرقية .

وابرز من اولاهم اهتمامه « محمـود قبـادو » وقد اشار الى دراسة مطولة له عنه و « ابو القاسـم الشابـي » وقد تعرف به على اثر تخرجه عام 1927 يقول : رايت منه ما اعجبت به واكبرته واخترت لــه صفحات وفيرة فى الجـزء الاول مـن كتـاب الادب التونسي فى القرن 14 وقد قلت فيه لسنتها انه انبغ من رايت من شبابنـــا .

وقد اغنى مجلة الثريا بمقالات متعددة عن اعلام الادب التونسي سواء الشخصيات القديمة فى القرنين الثالث والرابع الهجري (تميم الفاطمـي ــ النـدوة 1953) او ضحـايا النبـوغ الباكـر : محمد العيـد الجباري ، محمد العريبي ، علي الدوعاجي ، سعيـد ابو بكر ، او قدم بعض الاعلام المتوفين مـن الادبـاء : محمد بوشربيه ، عبد الرزاق كرباكة ، مصطفى اغه . ونطالما اورد ذكرياته واحاديثه مع زملاء صباه : عثمان الكعاك وحسن حسني عبد الوهاب ومحمد الفاضل بن عاشـــور .

وفي مجلة الفكر قدم مجموعة من المؤلفات عام 1961 لكتاب المغرب وتونس والجزائر ، وترجم شعرا فرنسيا لمالك حداد الى اللغة العربية ، يقول : (كـان من الطرافة والعمق بحيث لم اتمالك ان وجدتني اردد نصا عربيا موزونا وغير منزوع المعالم الفرنسية التـي تطبعـــه) .

انـا لا تلمني يا اخي ان لم ترقك معانيــه
لم اقصد التطريب فيمـا جئته واعانيــه
لو كان حرا موطني ما شعشعت احزانيــه

لو حزت حـرا منطقي عربتهـا اوزانيــه

ومن طرائف آثاره الادبية انه استقصى (البترول) فى الادب التونسي كلـه وقال ان شعراءهم فى القـرن 11 و 12 الميلادي قد اصبحوا يلهجون بذكر « النط » فى كثير من شعرهم ، حتى ليخيـل الي ان « النفط » اصبح فى قصائد شعرائنا فى شعر المهدية ونهضتهـــا الصنهاجية كناية القوة وكناية العزة وهـو فى الوقت نفسه كناية الصفاء والشفافة والحرارة ، وقد تناول هذه المعاني عمر الزكرمي وعبد الجبار بن حمدين .

وله دراسة للشعر العربي فى تونس حتى العصر الحديث نشرها فى مجلة الفكر 1961 تعرض فيهـــا لمذهب الشاذلي ، خزنة دار ، ومصطفى اغه ، وصالح السويسي القيرواني ، والطاهر الحداد (شاعر تحرير المراة والعمال التونسيين) وله اختيارات رائعة لوقائع قديمة فى التاريخ الاسلامي يعرضها باسلوبـه الحلـو الطريف، كما فعل بقصة جبلة بن الايهم آخر ملوك بنـي حسان فقد عرض موقفه مع عمر بن الخطاب ثم قـال معلقا : ويمكننا ان نرى بذلك مبلغ تفنن الادب العربي فى تصوير مجد الديمقراطية التي وضعتهـا النهضـة الاسلامية ، وله شعر رائع منه قصيدته التي كتبهـا عام 1940 ونشرها عام 1961 يناجي فيها زوجتـه ويذكرها بعد وفاتها . استهلها بقوله :

العطر في شعر الحبيبة خير من عصر القنانـي

ثم يقول بعد ابيـات :

اما وقـد مـر الزمان بهـا وافقدنـي رواهـا
لا العطر ينعشني ولا ارجـو عبيرا من سواهـا
الا عبيـر ابني الصغيـر بضمة يدي الحنونـة
فاشم راسه مغمضا جفنـي وتعروني السكينـة

وقد تحدث عن زوجته فى بعض ذكرياته فوصفها بانها كانت تتلطف من يزوره من الادباء وتعنى بهـم وترسل الى مجلسهم اللطائف وان كانت لا تشاركهـم الحديث ، وانها قد اولت ابا القاسم الشابي تلطفـــا اكثر عند ما زاره فى بيته اذ خرجت اليه من حجابهـا تؤانسـه وتطعمـه .

* * *

وبعـد فان الحديث عن مـؤرخ الادب العربـي التونسي (زين العابدين السنوسي) يطول ، واذا كان لنا ان نرجو فانما نرجو ان يطبع كتابه المخطوط الذي اشار اليه كثيرا فى كتاباته فى 25 مجدا وكان قدنشر منه مجلدين منه باسم (الادب التونسي فى القرن الرابـع عشر) عام 1927 ولزين العابدين آثار اخرى منثورة فى بطون الصحف ومنها مجموعة من القصص قرانا منها قصـة فاطمة فى الندوة 1956 ولـه دراسات متعـددة ولـه التمويم الاجتماعي في عدد من المجلدات ، فضلا عـن آثاره المنشورة فى مجلتيه « العـرب و « العالــم » الادبـي » وهما لم يتح لنا الاطـلاع عليهما وبالجملـة فان آثـار زين العابدين السنوسي الادبيـة كمـؤرخ للادب التونسي ساير الحياة الادبية اكثر من خمسين عاما جديرة بالابراز والتجديد والاحياء واني اطمـع فى جهود رجلين نابغين فى تونس من اجـل هذا العمـل هما السيدان عثمان الكعاك وابو القاسم كرو .

القاهرة ــ احمد انور الجندي

افصحت عينا كمال عن دهش وانزعاج ، وانعقد لسانه فلم يدر ماذا يقول . وكان اشد ما يزعجه ان هذا الطعام والشراب جهز في البيت ، وبالتالي عن علم اهله ورضاهم » .

هذه اقطات مختلفة تبين الى اي حد ابتعد ابناء الارستوقراطية عن مجتمعهم في العقلية والعادات والتفكير . في حين ان كمال الذي ينتمي للطبقة المتوسطة يظل مصريا صميما يتقيد بعادات قومه وبتقاليدهم ويندهش من هاته الانحرافات . ولولا حبه لعايدة لاعرب عن سخطه في غير التواء .

وهنالك صور اخرى لهؤلاء الشبان الارستوقراطيين الذين يعاشرهم كمال . فهذا حسن سليم ، المتشبع بارستوقراطيته . ان برنامجه في الحياة واضح . فهو يدرس الحقوق لينخرط في السلك الدبلوماسي ويتزوج من عايدة ويعيش في مستوى رفيع ، لا يهمه بعد هذا اي شيء .

وهذا حسين شداد ، الشاب المدلل الذي عاش مع ابويه طورا في باريس وطورا في مصر في اتم نعمة ، يفضل ان يفر من كل مسؤولية في الحياة ويقول لاصدقائه :

«لن اكون مضاربا في البورصة كابي، لاني لا اطيق حياة العمل المتواصل جوهرها ، والمال غايتها . ولن اكون موظفا ، لان الوظيفة عبودية في سبيل الرزق ، ورزقي موفور ، اريد ان احيا في الدنيا سائحا ، أقرأ واسمع وافكر ، وانتقل من جبل الى سهل ومن سهل الى جبل .»

اما اسماعيل لطيف فهو لا يؤمن بأي شيء ، لا بالمبادىء ، ولا بالتقاليد ولا بالقيم ويرى الحياة نهبا مشاعا الجميع يأخذ كل واحد منها حسب مهارته وشطارته ويقول لكمال :

« الواجب ان لا يكون للحياة معنى .. حسبي ان اعيش الحياة التي لا تحتاج الى تعريف . غير ان هذا الذي اتبعه بالفطرة لا تبلغه انت الا بالكفاح المرير ، استغفر الله ، بل انت لم تبلغه بعد . فلا زلت حتى بعد الحادث تؤمن بالحقيقة والخير والجمال وتريد ان تكرس لها حياتك . اليس هذا ما يدعو اليه الدين ؟ فكيف تكفر بالاصل وتؤمن بالفرع ؟ »

وهكذا كان هذا الجيل الاول للشبان جيلا مدللا يعيش لنفسه ولاحلامه ، لا يحمل اي وعي اجتماعي ، بل يقطع كل رابطة تربطه بالواقع . الا ان الثلاثية تقدم لنا في النهاية مأساة هؤلاء الشبان الذين بنوا حياتهم منذ الاول على اسس واهية . فكلهم بعد ان عركوا الحياة وعركتهم وذاقوا حلوها ومرها لم يعودوا من ذلك وقد كبروا في اعين الناس وفي اعين انفسهم ، وجنوا حنكة واسعة وعقلا راجحا وعزيمة راسخة . بل انهم يفتضحون مع مر الايام ، وتتبدى شخصيتهم في ثوبها الحقيقي : في قماءتها ، وهزالها وانهيارها المعنوي ، وتنكشف ارستوقراطيتهم عارية من كل معاني السمو والنبل . فهذا حسن سليم الديبلوماسي الذي كان يتقاطر عجبا باسرته ونسبه تضبطه زوجته في موقف غير مشرف مع موظفة بسفارة اجنبية فتفترق منه وتطلقه . وهذا حسين شداد يغيب في فرنسا زمنا طويلا ويتزوج هناك ويكاد ينسى بلاده . ثم يعود الى مصر فيجد اسرته قد تعثر بها الحظ ونزلت الى هوة الافلاس ، فيفقد كل الاسباب التي كان يعتد بها ليعيش وفق هواه ومشيئته ، ويقبل ان يكون موظفا في مراقبةالصحف، بعد ان كان يحلم بحياة الفراشة التيتتنقل بين الزهور والاعشاب . وهذا اسماعيل لطيف ، الذي كان يفيض حيوية ونشاطا ويملا الدنيا بنكاته ، وسخريته وانتقاداته ، نراه في النهاية يستسلم لروتين الحياة الزوجية ، ويصبح رجلا عاديا لا يفكر الا في المصالح العاجلة لاسرته .

جيل يعيش بدون مثال ولا هدف ولا فكرة تجعله يرتفع فوق وضعه الرخيص المبتذل ، وينغمر في هذا المجتمع الذي نبع منه ليمثل خير ما فيه ويكون في طليعته . ذلك هو الجيل الاول من الشباب المثقف كما صوره نجيب محفوظ .

لكن الجيل الثاني ما يتراءى للوجود حتى يكون الواقع الاجتماعي قد تطور ، والتجربة الجماعية قد اختمرت . فالشعارات التي كانت تردد في بداية الاستقلال وتطرب القلوب وتثمل النفوس ، في عهد سعد زغلول ، فقدت رنينها . وحل محل التفاؤل الرمانطيقي شعور عميق وقار بالمشاكل الحقيقية التي يعانيها المجتمع . والصراع من اجل الحياة ، ومن اجل الخبز اليومي يحتل اول مكان ، ويحتد يوما بعد يوم . والمثقفون انفسهم الذين اخذ عددهم يتكاثر مع مر السنين يفقدون شيئا فشيئا الشعور بأنهم اقلية محظوظة تواجه مستقبلا باسما مضمونا لقد عاشوا زمنا وسط الاماني والاحلام ، واليوم وقد تبخرت اوهامهم ، عادوا يلحظون بعينهم تزعزع

فهم باسم العلم والرقي ، يديرون وجههم شطر اروبا ناقمين في الغالب على كل ماهو شرقي، بدون تمييز ولا تمحيص .

ولا ادل على ذلك من المشهد الذي نرى فيه كمال وحسين شداد واخته عايدة يخرجون لقضاء يوم نزهة في الاهرام . وفي اثناء هذه الرحلة يسخر حسين شداد من مصر فيقول :

« وطن اجل مخلفاته قبور وجثث ! « وهو يشير صوب الاهرام » .. انظر الى الجهد الضائع .
قال كمال بحماس

— ذلك الخلود !

اوه !! سوف تنشط كعادتك للدفاع . انت وطني لحد المرض . نحن نختلف في هذا . ربما كان احب الي ان اكون في فرنسا من ان اكون في مصر ..

فقال كمال وهو يواري ألمه تحت ابتسامة رقيقة :

— ستجد هنالك الفرنسيين اعظم امم الارض وطنية !

— نعم الوطنية مرض عالمي ، لكني احب فرنسا نفسها ، واحب في الفرنسيين مزايا لا تمت الى الوطنية بسبب » .

هذا جانب من المشهد يبين لنا الشعور المنحرف الذي يساور الشبان المثقفين ازاء بلادهم . وعندما اخذ حسين ينتقد اسرته لكونها تتعلق بالكبراء وتتودد اليهم قال كمال لحسين :

«اذا كان هذا رايك ، فكيف تحتقر سعد لانه كان ازهريا ؟ فضحك حسين ضحكته الصافية وهو يقول :

— اني اكره التودد الى الكبراء ، ولكن لا يعني هذا ان احترام العامة! اني احب الجمال وازدري القبح. ومن المؤسف ان الجمال قل ان يوجد في العامة ..!

ولكن عايدة تدخلت في الحديث قائلة بصوت معتدل .

— ماذا تعني بالتودد الى الكبراء ؟ انه سلوك يعاب على من ليس منهم ، ولكن اظننا من الكبراء ايضا ، وليس توددنا اليهم دون توددهم الينا » .

وعندما ذهبوا يتجولون « التقوا في طريقهم بجماعات من الطلبة الاروبيين نساء ورجالا ، فقال حسين مخاطبا عايدة ، ولعله اراد ان يسترضيها بطريق غير مباشر

— ان الاروبيات يتفرسن في فستانك باهتمام ، مبسوطة ؟

فافتر ثغرها عن ابتسامة عجب وارتياح ، وقالت بلهجة تنم عن ثقة مكينة بالنفس وهي ترفع راسها في كبرياء لطيف :

— طبيعي .

فضحك حسين وابتسم كمال ثم قال الاول يخاطب الاخر :

— عايدة تعد مرجعا للذوق الباريسي في حينا جميعا ..

ثم انظر بعد ذلك الى هذه الفقرة التي يصف فيها العادات الجديدة في الاكل :

« بسط كمال جريدة كانت في حقيبته وطرح عليها الطعام الذي جاء به ، دجاجتين وبطاطس وجبنا وموزا وبرتقالا ، ثم تابع يدي حسين وهو يستخرج من السلة طعام «الملائكة» ، فاذا به سندويتشات انيقة واكواب اربع ، وترموث .. ومع ان طعامه كان ادسم ، فانه بدا في ناظريه على الاقل ، عاطلا عن حلية الاناقة فساوره قلق وحياء . وتساءل حسين وهو يرمق الدجاجتين بنظرة ترحاب عما اذا كان صاحبه قد احضر ادوات مائدة ، فأخرج كمال من الحقيبة سكاكين وشوكا وشرع يقطع الدجاجتين شرائح . وهنا نزعت عايدة سداد الترموث وراحت تملا الاكواب الاربع ، فاذا بها تمتلىء بسائل اصفر كالذهب، فلم يملك كمال ان يسأل داهشا :

— ما هذا ؟

فضحكت عايدة ولم تجب ، اما حسين فقال ببساطة وهو يغمز اخته بعينه :

— بيرة !
— بيرة !
هتف كمال كالخائف ، فقال حسين وهو يشير الى السندوتشات :

— ولحم خنزير

— انت تعبث بي ! لا اصدق هذا ..

— بل صدق وكل ، يالك من جحود ، جئناك بانفس ما يؤكل والذ ما يشرب .

أبيات المعاني

للأستاذ: سعيد أعراب

الشعر اشكال والوان ، فيه السهل القريب المنال ، والصعب البعيد المرتقى ، وفيه المألوف المأنوس والغريب الوحشي ، الذي لا يفهمه الا الوحشي من الناس — كما يقول الجاحظ .

فالشعر الذي يقال على المشاهدة ، فيستخرج الشاعر المعنى الغريب من شيء رءاه ، ويكون في اللفظ ابهام لا يتعين معه اصل المعنى لا سبيل الى معرفته ، الا عن طريق قائله او من اخذه عنه ، والا ذهب العلم بحقيقته ، واضطربت الظنون في معناه «1» ، وكذلك الشعر الذي يتعلق بعادات العرب في جاهليتهم ، او يتصل بعلومهم ومعارفهم التي اخذوها عمن قبلهم من الامم — لابد لتفسيره من المعرفة بها وخصوصا منها ما يرتبط بقبيلة الشاعر ، ان كان من ذلك شيء ، وكل ذلك يسمى بابيات المعاني «2» ، لانها تحتاج الى ان يسأل عن معانيها ، ولا تفهم من اول وهلة ، او لان ظاهرها يخالف باطنها ، لما فيها من تعمية والغاز عن المعنى المراد ، ولذا تسمى ايضا الفازا ، من الغز اليربوع: اذا عمى على طالبه ، ومن الالغاز ما قصدته العرب ، ومنها ما قصدته ائمة اللغة ، ومن الابيات ما لم تقصد العرب الالغاز بها ، وانما جاءت مصادفة ، واكثر ابيات المعاني من هذا القبيل « 3 » ولك ان تسميها ملاحن من اللحن وهو الفطنة قال الشاعر :

« ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا »

والعربي ذكي بطبعه ، سيلقي في لفته ومحاوراته، يروى ان رجلا من بني العنبر كان اسيرا في بكر بن وائل ، فسألهم رسولا الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بحضرتنا ، لانهم كانوا ازمعوا غزو قومه ، فخافوا ان ينذر عليهم ، فجيء بعبد اسود ، فقال له — بعد ان اختبر ذكاءه — : ابلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا فلانا — يعني اسيرا كان في ايديهم من بكر ابن وائل — فان قومه لي مكرمون ، وقل لهم ان العرفج قد ادبى ، وقد شكت النساء ، وامرهم ان يعروا ناقتي الحمراء ، فقد اطالوا ركوبها، وان يركبوا جملي الاصهف باية ما اكلت معكم حيسا ، واسالوا الحارث عن خبري .

فلما ادى العبد الرسالة اليهم ، قالوا لقد جن الاعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ، ودعوا الحارث ، فقصوا عليه ، فقال قد انذركم ، واخذ هذا المعنى رجل من بني تميم كان اسيرا فكتب الى قومه :

حلوا عن الناقة الحمراء ارحلكم
والبازل الاصهب المعقول فاصطنعوا
ان الذئاب قد اخضرت براثنها
والناس كلهم بكر اذا شبعوا

يريد ان الناس كلهم اذا اخصبوا — عدو لكم كبكر بن وائل «4» .

ومن منا لا يستهويه مثل الاسلوب في غرابته وبراعته ، وفي طلاوته وطرافته :

« وخير الحديث ما كان لحنا »

وهذا نمط من الادب ، اغفله مؤرخو الادب العربي في العصر الحديث ، على كثرة ما كتبوا « 5 »

1» الرافعي ، تاريخ آداب العرب ج 1 ص 420
2» نفس المصدر
3» السيوطي المزهر ج 1 ص 578
4» انظر ابا علي القالي الامالي ج 1 ص 6
5» اذا استثنينا الرافعي الذي يعتبر بحق المؤرخ الوحيد الذي تتبع مراحل الادب العربي وتقصى رواياته ، واستوعب فنونه وكل اشكاله ، والوانه، وقد كتب في موضوع ابيات المعاني ، وسائر الالفاز والاحاجي صفحات جديرة بالاهتمام . انظر كتابه : تاريخ آداب العرب ج 1 ص 19 — 420 وص 417 — 434 .

وضعيتهم ، وغدا يقينهم يتزايد بان ما يجري في المجتمع يهمهم اكثر من غيرهم .

وفي هذا المجتمع الذي توضحت فيه كل المشاكل وتمايزت القوات المتصارعة ، وانتشر الوعي وقوي الانتباه ، اصبحت كل حركة وكل اشارة تبدر من الفرد تأخذ معناها الخاص . ولم يعد في مستطاع الفرد ان ينزوي او ان يتهرب . لذلك ، فان نجيب محفوظ عندما تعرض لوصف هذا الوضع الجديد ازاح لنا الستار عن نماذج مختلفة لشباب هذا الجيل لم يكن لنا بها عهد من قبل .

فهناك نموذج الانتهازي الذي يمثله رضوان ابن ياسين ، الذي تمكن ، بفضل جماله واناقته وحسن هندامه من التعرف الى احدى الشخصيات الكبيرة في الوفد والحصول على رعايته وعطفه . الشيء الذي مهد له الطريق لارتقاء المناصب العالية والاستمتاع بالنفوذ .

وهنالك نموذج الشاب الملتزم . ويتمثل لنا في موقف الاخوين عبد المنعم واحمد شوكت . فالاول انخرط في جماعة الاخوان المسلمين ، وصار يدعو لافكارهم في البيت وفي الشارع وفي كل مكان ، بينما الثاني اعتنق الافكار الشيوعية ، واصبح ينادي بها ، ويصطدم من جرائها ، تارة مع اخيه ، وطورا مع اسرته . وقد تعرض الاثنان في النهاية للاعتقال والسجن من أجل مواقفهما .

هذا الجيل الجديد بنماذجه المختلفة واتجاهاته المتناقضة يشعرك اشعارا قويا بان العالم القديم في مصر دخل الى طور الانهيار وان عالما جديدا بدا يحل محله . وهو عالم لم يعد فيه الانسان يتهم الاقدار ان اصابه بؤس او مسه ضر . بل صار ينحي باللائمة على الوضع الاجتماعي ويؤمن بان المجتمع لابد من اصلاحه حتى يمكن لكل عضو من اعضائه ان يعيش دون حرمان ولا الم ولا يأس . عالم يؤمن بالانسان وبمصير الانسان .

وعند ختام الرواية تتبلور امامك هاتان الصورتان : صورة العالم القديم الذي لا زال يهمهم ويغمغم ويحاول ان يثبت وجوده في جهد قوي وحركة مضعفة لانه يشعر بدنو ساعته الاخيرة ، وصورة العالم الجديد متمثلة في هذا النفر القليل من الشباب الذين يهمسون بكلمات جديدة ، فتتحول تلك الكلمات الى طاقات هائلة ، تجمعت فيها قوة الامال المكبوته ، والعزائم المتطلعة ، والارادات الساهرة .

محمد زنيبر

شاقا في الوصول الى المعنى ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا «1» ، وفي هذا الصدد يقول عبد القاهر الجرجاني :

« من المركوز في الطبع ان الشيء اذا نيل بعد الطلب له ، والاشتياق اليه ، كان نيله احلى ، وبالميزة اولى ، فكان موقعه من النفس اجل والطف ، وكانت به اضن واشغف ، قال فان قلت : يجب على هذا ان يكون التعقيد والتعمية ، وتعمد ما يكسب المعنى غموضا مشرفا له ، وزائدا في فضله » وهذا خلاف ما عليه الناس ، فالجواب : اني لم ارد هذا الحد من التعب والفكر ، وانما اردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله « فان المسك بعض دم الغزال » وقول النابغة :

« فانك كالليل الذي هو مدركي »

وعلق الدكتور احمد بدوي على قول عبد القاهر الجرجاني هذا بقوله :

« وعلى هذا نستطيع ان ندرك لماذا عد من الادب الرفيع الكلام المشتمل على المجاز والتشبيه والاستعارة ولم كانت الكناية والتورية ، مما يزيد الكلام جمالا ، ولم كانت الالغاز بابا من ابواب الشعر ، لان الكلام في ذلك كله ليس معقدا ، بل واضحا مشرقا » «3» .

ومن البين ان عبارة الجرجاني في تساؤله تكاد تكون صريحة في ان الالغاز والمعميات تدخل في باب التعقيد ، ولا تعتبر من جملة الادب الجيد .

وقد دفع قدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » عن هذا بما لا يبقي معه اي التباس اذ يقول: « ومن هذا النوع « الارداف » يعني الكناية — ما يدخل في الابيات التي يسمونها ابيات المعاني ، وذلك اذا ذكر الردف وحده ، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر ، او كانت بينه وبينه ارداف اخر كانها وسائط ، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة اذ غمض ولم يكن داخلا في جملة ما ينسب الى جيد الشعر ، اذ كان من عيوب الشعر الانفلاق، وتعذر العلم بمعناه» «4»

وفصل ابن الاثير القول في الموضوع تفصيلا جيدا فذكر ان العرب استعملوه « اللغز » في اشعارهم قليلا ، ثم جاء المحدثون فأكثروا ، وربما اتي منه بما يكون حسنا ، وعليه مسحة من البلاغة ، وذلك عندي بين بين فلا اعده من الاحاجي ، ولا اعده من فصيح الكلام ، فمما جاء منه قول بعضهم :

قد سقيت آبالهم بالنار والنار قد تشفي من الاوار

واي غموض نجده اكثر من الذي في هذا البيت ، وقد جمع بين الشيء وضده فالنار تحرق ولا تسقي ، فضلا عن ان تشفي من الاوار ، ومع ذلك يقول فيه ابن الاثير انه من محاسن ما ياتي في هذا الباب ، وقال في الالغاز التي ترد على حكم المشاكل الفقهية ، كالتي اوردها الحريري وغيره : « وهذا النوع قد ياتي منه ضروب والوان ، فمنه الحسن، ومنه المتوسط ، ومنه ما دون ذلك » « 5 » .

واورد ابن رشيق في «العمدة» طائفة من الالغاز والاحاجي ، وقال انها من مليح الشعر «6» وعبارة « مليح » قد تكون اقل درجات الجيد ، واذا رجعنا الى كتب البلاغة — وجدنا ان الالغاز والاحاجي وبعبارة ادق ابيات المعاني ، ترجع عند ارباب هذا الفن الى الكنايات الخفية والاشارات البعيدة ، وهي عندهم لا تخلو من تفنن في الكلام ، واتساع في القول واقتدار على توليد المعاني « 7 » قال الشاعر العربي يلغز في الضرس :

وصاحب لا امل الدهر صحبته
يسعى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
ما ان رايت له شخصا فمذ وقعت
عيني عليه افترقنا فرقة الابد

ومن اروع ما قيل في هذا الباب قول ابي الطيب المتنبي يصف السفن وهي تشق عباب الفرات :

1» احمد بدوي «اسس النقد الادبي عند العرب»ص 472.

2» اسرار البلاغة ص 118

3» اسس النقد الادبي عند العرب ص 473 .

4» ص 157 —تحقيق كمال مصطفى ، وتصحف النص في النسخة التي حققها عيسى بخائيل سبا ، بما قلب المعنى راسا على عقب انظر ص 115 .

5» انظر المثل السائر » ج 2 ص 223 — 235 .

6» ج 1 ص 309

7» انظر الامام يحيى ، الطراز ج 3 ص 63

وقد تناوله ادباء العرب القدامى بالشرح والتحليل ، والجمع والاستيعاب ، فالف الاصمعي كتابه « ابيات المعاني » وتلميذه ابن حاتم كتاب « المعاني » والاخفش الاوسط « شرح ابيات المعاياة » والاشناندانى فى كتاب «معاني الشعر » وابن دريد « الملاحن » والمفجع « الترجمان فى الشعر ومعانيه » وابن قتيبة « المعاني الكبير » . ومنهم من اتجه الى ناحية خاصة، فالف فى الابيات الملغزة الاعراب ، كالابيات المشكلة الاعراب — لابي علي الفارسي ، وتوجيه اعراب ابيات ملغزة الاعراب للرماني وسواها ، ولكننا مع الاسف لا نملك من هذه المؤلفات الا اسماءها ، فأكثرها قد ضاع، والموجود منها لا يزال مبعثرا فى مختلف مكاتب العالم لا يحظى باي اهتمام .

ويجب ان نشير الى ان ادباء المغرب قد اسهموا بقسط وافر فى هذا الميدان ، وكانت لهم عناية خاصة بهذا اللون من الادب ، وقلما يخلو ديوان لشاعر مغربي او اندلسي من الغاز واحاجي ، ومن المكثرين فى هذا الباب ابو الربيع سليمان الموحدي ، وقد افرد له فى ديوان شعره بابا اتى فيه باشياء بديعة ومثله ابو الحسن بن الجياد استاذ لسان الدين بن الخطيب، ولعل هذا الباب من الشعر هو الذي يعنيه ابن ابي الاصبغ فى كتابه « تحرير التحبير » عندما عد المناحي التي يقول فيها الشعراء — بـاب السؤال والجواب ، وبلغ من ولعهم بها انها كانت ترد على دواوين الانشاء من الاقطار ، وكانوا يجرون فيها على طريقة العرب ، ويزيدون على ذلك الاشارة الى الملغز به بالتصحيف والقلب ، والحذف والتبديل وما اشبهها ، وجملوها بالتورية فزادوها ابداعا ، حتى صارت من زينة الشعر « 1 » كقول بعضهم فى القلم :

وذي خضوع راكع ساجد
ودمعه من جفنه جاري
مواظب « الخمس » لاوقاته
منقطع فى خدمة الباري

وهنـاك نوع من الالغاز عجيب ، وهو ان تلغز فى اسم ، وتاتي فى اللغز بما يطابق صورة احرفه فى الرسم من الاشياء « 2 » .

ومن اطرف ما كتب فى موضوع ابيات المعاني كتاب « ابيات المعاني » لابي الحسن مصباح الزرويلي ضمنه ازيد من اربعمائة بيت ، قال انه جردها من كتب الادب ، وقد توسع فى شرحها والاستشهاد على مضامينها ، ومما يمتاز به انه لا يقتصر على الشرح اللغوي فحسب ، بل يذكر ما يتصل بكل بيت من حكايات وطرائف ، ويحاول ان يشارك القارىء معه فى حل المشكل وادراك مغزى اللغز ، وربما عرض للروايات ، فاختار منها ما هو انسب بالمقام ، واوفق بالمراد ، ويبدو ان المؤلف اخترمته المنية قبل ان ينتهي منه ، ونجد بعض فصول هذا الكتاب ، ضمن كتابه « سنا المهتدى الى مفاخر اليحمدي » «3» اما اصل الكتاب فيعتبر مفقودا الى الان .

ولعل اوسع كتاب فى الموضوع ، هو كتاب « المعاني الكبير » لابن قتيبة ، وقد طبع فى حيدر اباد بالهند سنة 1949 فى جزئين ، بتحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، والكتاب تنقصه بعض اجزاء ، لكن مثل هذه الطبعات تسمع ولا ترى ، فهي اندر من نادر واعز وجودا من المخطوط الغريب ، ونشر كتاب « الملاحن » لابن دريد فى القاهرة سنة 1347 هـ وطبع اخيرا بسوريا كتاب « توجيه اعراب ابيات ملغزة الاعراب » بتحقيق سعيد الافغاني ، ويعمل الان مجمع العلمي العربي بدمشق على نشر كتاب « معاني الشعر » لابي سعيد الاسناندانى نشرا علميا «4» .

وعلينا ان نتساءل : ما قيمة هذا الادب ؟ وما رأي النقاد فيه ؟

يجب اولا ان نفرق بين وضوح المعنى الذي اعتبره النقاد شرطا لجودة الاسلوب ، وبين ما قالوه من ان المعنى اذا وصل اليه المرء بعد الكد والتعب ، كان الذ واشهى ، فالوصول الى المعنى بعد الطلب والبحث ، لا يقتضي ان يكون الكلام معقدا ، وانما يعني انه طريف غير مبتذل ، والتعقيد يقتضي جهدا

1» الرافعي تاريخ اداب العرب ج 3 ص 426 .
2» ومن اروع ما جاء منه ما روي عن ابي الوليد الدقشي ، وابي مروان بن سراج القرطبي وكانا فريدي عصرهما ، انظر « المعمى والالغاز » ص120 .
3» انظر الباب الخامس منه ، وهو مخطوط .
4» وطبع من قبل بدمشق سنة 1922 ، وفى القاهرةسنة 1932 .

تطور العقوبة

للأستاذ: محمد شمس الدين

يصعب على الباحث ان يحدد تاريخ العقوبة ، بزمن معلوم ذلك ان فكرة العقوبة مرتبطة بفكرة الجريمة ، ولعل من سوء حظ البشرية ان تكون الجريمة الاولى على الارض مقتل هابيل بيد اخيه قابيل لان قربانه لم يتقبل ، وتقبل قربان اخيه . .

على ان من المسلم بديهيا ان الجريمة والعقاب مرتبطان ارتباطا وثيقا بالوسط الاجتماعي فاذا زاد شأن هذا الوسط تمدنا وحضارة ، كان لمعنى العقوبة وغاياتها ما يلائم ذلك التمدن وتلك الحضارة ، وعلى هذا الاعتبار لا نفترض ان يكون للمجتمع المتخلف الا نظمه البدائية . .

وانطلاقا من هذا التحديد يقسم العلماء الادوار الاجتماعية الاولى الى دورين رئيسيين هما : الدور الابوي والدور القبلي ، اما الدور الابوي فهو تلك الفترة الممعنة فى القدم ، حيث كان الناس يعيشون على شكل اسر قليلة ، اخذت تستقر بعض الشيء وتتملك الارض والمساكن البسيطة وكانت الهيمنة فيه لرب الاسرة الذي يتمتع بسلطة مطلقة تبرز مظاهرها عندما يفصل بين الاخوة اذا ما استحكمت بينهم خصومة او شجر نزاع ، فيعاقب المسيء على اساءته حسب ما يمليه عليه ضميره وتقتضيه مصلحة الاسرة .

واما الدور القبلي فهو الذي عقب الدور الاول عندما توسعت الاسرة واخذت تتشعب الى بطون وقبائل ، وراحت كل قبيلة تكون تقاليدها وعاداتها ، وتنظر بعين الحذر واليقظة الى القبائل المجاورة لها ، بمعنى انه كان على شيخ القبيلة ان تتجه الى تامين السلامة الخارجية بالاضافة الى حل النزاعات الطارئة بين الاسر والافراد داخل قبيلته .

في هذا الدور لم تكن فكرة العقوبة واضحة كل الوضوح لان الجريمة لا تزال بدون مفهوم يحددها ، فكان كل ما يشوش المجتمع . امر محظور ومعاقب عليه ، ومتى عرفنا ان الكتابة لم تكن معروفة مثلا فى هذا الدور ادركنا انه لا يمكن ان تقع عقوبة على مزور ، ومن مميزات هذا الدور انه لم تطبق فيه عقوبة السجن او الغرامة ، لان القبيلة تريد عقابا فوريا يشفي غليلها ولا يهمها فى قليل او كثير ان تحجز حرية المجرم او ان يغرم بالمال .

وسنستعرض ثلاثة انواع من العقوبات التي سادت في هذه المرحلة السوداء وفاقا لما اجملها العالم الجزائي الدكتور عبد الوهاب حدمر فى كتابه الحقوق الجزائية :

اولا الثأر : كان الثار مظهرا اجتماعيا من مظاهر التضامن افراد القبيلة ، فاذا ما ارتكبت جريمة قتل تكون قبيلة القتيل قد اصيبت بفقد عضو من اعضائها بالاضافة الى ما يخلفه هذا القتل من ضرر معنوي واجتماعي يتعلق بسمعة القبيلة وكرامتها ويؤثر على كونها وسلطانها ، فلذلك كانت تهب جاهدة للاقتصاص من القاتل ، وكان كل فرد من افرادها مسؤول عن انزال القصاص بالمجرم المعتدي .

وقد عرفت الامم القديمة كلها هذا النوع من العقوبة الجماعية ، وكان العرب فى طليعتهم ، وتاريخهم من هذه الناحية مليء بالاخبار والوقائع المؤسفة نسوق منه بعض الامثلة لتوضيح فكرة عقوبة الثأر واثرها فى حياتهم وادبهم وواقعهم .

كان العرب فى الجاهلية يعتقدون ان ما من قتيل يقتل الا ويخرج من رأسه طير يسمونه « هامة »

ومشـــاة حاديـــة بغيـر قوائـم
عقم البطـون حـوالـك الالـــوان
تأتـي بمـا سبت الخيول كأنهـا
تحت الحســان مرابض الغـــزلان

ومثلــه قول الشاعــر فى الخلخال :

ومضروب بـلا جـــرم مليح اللـــون معشـــوق
له قدر الهلال علـــى مليح القــد ممشـــوق
واكثر مــا يرى ابــدا على الامشـاط والسوق

ويذكر ابن الاثيـر ان الالغاز قد تشتبه بالكنايـــة تارة ، وبالتعريض اخرى ، وطورا بالمغالطات المعنوية ووقع فى ذلك كثيــر من ارباب هذا الفن .

انشد ابو الفرج الاصبهاني بيتـي الاقيـــش الاسدي فى جملة الالغاز ، وهمـا :

ولقد اروح بمشــرق ذي ميعـة
عســر المكــرة مـاؤه يتفصـد
مــرح يطيـر من المـراح لعابـه
ويكـاد جلـد اهابــه يتقـــدد

وهذان البيتان من باب الكناية «1»

على ان صاحب كتاب « الاعجاز فى الاحاجـــي والالغاز » عد طائفة من اسماء هذا الفن .. وذكـــر منها : المعاياة ، والعويص واللغز والرمز والمحاجـــاة وابيات المعاني والملاحن والمرموس والتأويل والكنايـــة والتعريض والاشارة والتوجيه والمعمي والممثل ، وقال ان معناها واحد ، وانما اختلفت اسماؤه ، بحسب اختلاف وجــوه اعتباره «2» .

ومما يلاحظ ان العجم قد برعوا فى هذه الالقاب ، كما برعوا فى فنون البلاغة والبيان ، وخصوصا منهـــا مــا اسمــوه بالمعمى ، فقد تبـاروا فى التاليف فيـه واستنبطوا قواعده ، وجعلوه فى رتبة العلوم والفنون

واول من الف فى ذلك شرف الدين علي اليزدي الفارسي «ت830هـ» واقتفى من بعده اثره ، ووسعوا دائرة هذا الفن ، وتعمقوا فيه ، وممن نبغ فى ذلـــك ولم يبلغ احد شأوه ــ المولى مير حسيــن النيسابوري فاتى فى هذا الفن بالسحر الحلال ، وفاق فى تعمقه ، ودقة نظره سائــر الاقران والامثال ، كتب فيه رسالة تكاد تبلغ حد الاعجاز ، فسار ملوك خراســـــان ، واعيانها يرسلون اولادهماليه، ليقرأوا رسالته عليه«3»

ويقال ان قطب الدين المكي هو اول من ترجـم المعمى عن الفارسية الى العربية فى رسالـة سماهـا « كنز الاسما فى كشف المعمى » وتلاه تلميذه ابن البكاء البلخي فالف رسالة سماها « الطراز الاسنى على كنز الاسما» ثم توالت المؤلفات فى ذلك تترى «4» .

ومهما يكن فان النتيجـة التي يمكن ان نخـرج بها من هذا العرض السريع ــ هي ان هناك نمطا مــن الادب القي رواجا فى الاسواق الادبية عبر عصور التاريخ والمكتبة العربية ثرة باصوله ومصادره . ولكنه لم ينـل ــ فى العصر الحاضر ــ ما يستحقه من عنايــــــة الدارسيــن ، فهو فى حاجة الى دراسة هادفة ، كفن له مميزته وخصائصه ، وكلون من الادب اثرت به اللغـة العربيــة فى سالف عهودهــا .

تطـوان ــ سعيـد اعـراب

1» المثل السائـر ج 2 ص 226
2» انظر البغدادي ، خزانة الادب ج 3 ص 416 .
3» انظر الرافعي « تاريخ آداب العرب » ج 3 ص443
4» الرافعي «تاريخ «آداب العرب» ج 3 ص 444.

مهمة هؤلاء الساعين في الصلـــح هينـــة لانهم كانـــوا يصطدمون بمطالب اهل المقتول غير المعقولة ويتـــردد القاتل واهله في دفع التعويض ، ولذلك كانوا مضطرين الى استخدام دهائهم في اقناع الطرفين والاستشهاد بما تم في الماضي وبظروف مماثلة للوصول الى نتيجـة مرضية ، ومعنى هذا ان قضية الديات كانت اشبه ما تكون بعقد تجـاري ..»

وقد كان للدية تعرفة تدنـــو وترتفـع بحسب اهمية المقتول ومكانته وقد اصطلحت قبيلة قريـــش على اعتبار الدية العادية توازي مائة بعير من الابل، ودية الامراء الفا ، ومن غريب تقاليدهم ما كانوا يسمونـه سهم الاعتذار ، وقد كانوا يلجأون الـى هذا لاسلوب حيـن تثبت ادانة مجرم ويريد الطرفان ضمنا انقاذه لمكانته المحترمة عندهما فيضربون سهما في كبد السماء فاذا رجع ملطخا بالدم فلا يرتضون الا قتله ، وان رجع السهم كما ضربوه ، مسحوا لحاهم اشارة الى انهـم قد تصالحـوا على الدية والى هذا يشيـر الشاعر :

عفوا بسهم ثـم قالـوا صالحـــوا
يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحـى

وفي الوقت الذي كانت تطبق فيه عقوبة الديـة على انقاض نظام عقوبتي الثار والقصاص كان الفكـر البشري يواصل تقدمه وبدأت فكرة الدولة بمعناها الاجتماعي تبرز الى حيز الوجود ومن هنـا كان علـى البشريـة ان تطور نظام عقوباتها تمشيا مع تقدميتها، وهذا ما سيأتي الكلام عليه في موضوع لاحق ان شاء اللـه .

لبنان ــ محمد شمس الدين

مستشار محكمة الاستئناف بطرابلس

مـن اقوالهم في الحضـارة الغربيـة

※ قرر كيندي في تصريحـه الخطيـر سنة 1962 ان مستقبـل امريكا في خطر ، لان شبابها مائـع منحل غارق في الشهوات ، لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وانـه من بين كل سبعة شبان يتقدمـون للتجنيد يوجد ستة غير صالحيـن! لان الشهـوات التـي غرقوا فيهـا افسـدت لياقتهـم الطبيـة .والنفسية ! ! .

※ وصرح خروشوف سنـة 1962 ــ كما صرح كنيـدي ــ بأن مستقبـل روسيا في خطـر ! وان شبـاب روسيـا لايؤتمـن على مستقبلها ، لانه مائع منحل غـارق في الشهوات ! .

※ ويتحدث الدكتور الكسيس كاريل في كتابه « الانسان المجهول » عن عيوب الحضارة الغربية ونقائصها فيقول : « يبـدو ان الحضـارة العصرية عاجزة عن انجاب قـوم موهوبين من ناحية الخيال والذكاء والشجاعة . ففي كل بلد يوجـد تناقص في المستوى العقلي والادبي لاولئك المسؤوليـن عـن الشـؤون العامـة » ص 37 .

فان لم يؤخذ بثاره نادت الهامة على قبره : « اسقوني فاني صدية » والهامة هذه في نظرهم لا تشرب الا من دم القاتل او ذويه وكثيرا ما تردد اسمها في الشعر الجاهلي ، قال ابو داوود الايادي :

سلطوا الموت والمنون عليهم
فلهم في صدى المقابر هام

وقال مغلس النقعسي :

وان اخاكم قد علمت مكانه
بسفح تسفي عليه الاعاصر
له هامة تدعو اذا الليل جنها
بني عامر هل للهلالي ثائر ؟

وقال ذو الاصبع العدواني :

يا عمرو ان لم تدع شتمي ومنقصتي
اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وكان من عادتهم انهم يحرمون على انفسهم النساء والدهن والغزل والخمار حتى يدركوا ثأرهم كما انهم كانوا يعقرون الخيل ويكسرون الرماح وقد نهاهم مهلهل عن ذلك حين قتل كليب وقال لهم :

لقد ذهبتم شر مذهب ، اتعقرون خيولكم ، وتكسرون رماحكم حين انتترتم اليها ، وهو القائل :

كاني اذ نعى الناعي كليبا
تطاير بين جنبي الشرار
اقول لتغلب والعز فيها
اثيروها لذلكم انتصار
خذ العهد الاكيد علي عمري
بتركي كل ما حوت الديار
وهجري الغانيات وشرب كأسي
ولبسي جبة لا تستعار
ولست بخالع درعي وسيفي
الى ان يخلع الليل النهار
والا ان تبيد سراة بكر
فلا يبقى لها ابدا اثار

وكان من عادة النساء الا يبكين المقتول الا ان يدرك بثاره فاذا ادرك بثأره بكينه ، وكان اهل القتيل يبحثون عن القاتل ليعاقبوه ولكنهم ما كانوا ليكتفوا بدمه اذا لم يكن كفؤا فاذا كان القتيل من قبيلة رفيعة والقاتل من قبيلة وضيعة طلب اهل المقتول دم حر عن دم عبد ، ودم رجل عن دم امراة ودم حرين عن دم حر واحد وطلبوا في الجراح عضوين او اكثر بعضو .

ويحدثنا الرواة ان بعض افراد من قبيلة «غني» قتلوا شاسا بن زهير بن جذيمة فسار اليهم ابوه في جمع غفير من احلافه فارسلوا اليه يقولون : سل في شاس فقال اريد احدى ثلاث لا يغنيني غيرها : تحيون لي شاسا او تملأون ردائي من نجوم السماء او تدفعون غنيا باسرها الي ، فاقتلها ثم لا ارى اني اخذت عنه عوضا .

وهكذا كانت النتيجة الحتمية الثار اناتسع نطاقه وتسبب في حروب طاحنة بين القبائل مما دعا العقلاء الى التفكير في اسلوب عقابي يخفف من تزايده ، فكان على مر الايام أن ابتدع النوع الثاني من المعاقبة وهو القصاص ، فما هو القصاص ؟

ثانيا القصاص : هو قانون العين بالعين ، ومعناه أن يرضى اهل القاتل بتسليم هذا الاخير الى اهل المقتول ليزهقوا روحه حقنا للدماء ، انه تدبير يبدو قاسيا للوهلة الاولى ولكنه اذا قيس بعقوبة الثار الجماعية التي كانت تطيح بكيان اكثر من قبيلة في بعض الاحيان يتبين انه خطوة تطورية عظيمة نحو حصر العقوبة بشخص الجاني واعتبار الجريمة موضوعية ، لا يجاوز اطارها اهل القاتل واهل المقتول، وقد سادت هذه العقوبة في بدء نشأة الدولة الرومانية وعرفها تشريع حمورابي ، ونصت عليها التوراة في سفر الخروج حيث نقرأ :

فمن ضرب انسانا فمات ، يقتل قتلا ، ولكن الذي لم يتعمد بل اوقع الله في يده فانا اجعل لك مكانا يهرب اليه ، واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت .. واذا حصلت اذية تعطي نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض .

وقد عرفته الجاهلية كذلك في ايامها الاخيرة ، ومن اقوال العرب السائرة في هذا المجال : القتل انفى للقتل .

وهكذا استمرت عقوبة القصاص تهيىء لعقوبة جديدة ، تبدو اكثر رقيا واخف وطئا ، فكان ان ابتدعت عقوبة « الدية » وهي ثمن الدم من نقد او عين .. « وان نظا م الدية هذا بدعة رائعة من بدع الذكاء البشري ومظهر نبيل من مظاهر الليونة والرحمة اللتين تسللتا الى التقاليد القديمة وذلك بتأثير تطور العواطف القاسية الذي بغض القتال الى النفوس، ودفع من يثق بهم المتخاصمان الى التدخل قبل استعمال القسر ، اذ ان الدولة حتى في المجال التي وجدت فيها كانت عاجزة عن فرض اوامرها ولم تكن

وذلك ما يجعل تحليل الملكة الفنية يكتسي اهمية خاصة ، وتكتنفه مزالق وعرة ، لانها شيء غامض من جهة ، ومتعدد الطبائع والاشكال من جهة اخرى .

وانها لجوهر رفيع لطيف ، يمس مسا رفيقا ، ولا يهجم عليه عجوما عنيفا ، يؤخذ بالاحتيال الفني اللبق الذكي ، ولا يؤخذ بالمنطق الصارم والتسلط الذهني . لذلك فانت قد تقرأ احيانا بعض الدراسات النفسية ، لبعض الملكات الروحية ، فتجد الباحث العالم قد قعد القواعد وقنن القوانين ، ولكنك تبحث في قواعده وقوانينه عن الملكة الروحية ، فلا تظفر بها ، لانها لا تخضع لقسوة العلم ، وجهامة المنطق ، ومن ثم تجد القاعدة والقانون في يدك جسما جامدا متحجرا يعوزه الروح ، وتنقصه بواعث الحياة .

وعندي أن الملكات الروحية — ومنها الملكة الفنية — ينبغي ان نفهمها بقدر ما نستشعرها ، ونعيها بقدر ما نهتز لها ، تكون لها فكرة في عقولنا ، وعاطفة في نفوسنا ، وهذا لايتأتى الا اذا انتهجنا في دراستها منهجا ادبيا ، لا علميا محضا . افما جاءنا انها اذ ترتسم في الخاطر ، وتنطبع في الخيال وتتوهج في النفس ، وتتمثل للذهن ، بنكهتها واشراقها وحرارتها تكون اقرب الى الاستيعاب الصحيح ، مما لو حنطت في « تعريف جامع مانع » ؟ افما جاءنا انها من القوى المعنوية التي ينبغي ان تعاش عند تفهمها والنفاذ الى اسرارها البعيدة ؟ وان تعاش معناه ان تتحول الى تجربة نعانيها بكل ما يصاحبها من الوان المشاعر وضروب الاحاسيس ، وبكل ما تثيره فينا من ردود الافعال المختلفة ، وبكل ما تستدعيه الى خيالنا ، وتسوقه الى خاطرنا من احلام وأطياف وذكريات .

ولكن هل ازعم للقاريء اني قادر على ان اقرب اليه الملكة الفنية كما افهمها ، واهتز لها ، واتعاطف معها ، واتذوقها ، وكما تنطبع في نفسي ، وتتمثل لخاطري ، وتعيش في دمي واعصابي ؟ هل ازعم لنفسي ان ذلك في امكاني ؟ وكيف والقلم قاصر، واللغة عاجزة ، والمطلوب عزيز المنال ، عظيم الكبرياء ، دون الوصول اليه حجب من وراء حجب ؟ ومع ذلك فلنحاول ان نلمس الملكة الفنية لمسات خفيفة وان ندغدغها في مثواها الرفيع ، علها تبوح لنا بشيء من اسرارها ، وتتفضل فتهبنا قبسا من سناها الفاتن .

بيد ان لي طلبا الى القاريء ارجو الا يخيبني فيه، وهو ان يملأ بخياله فجواتي ، ويساعدني بخواطره على اتمام الصورة التي احاول رسمها للملكة الفنية . ليكن معي هذه المرة لا مجرد قاريء ، ولكن منتجا ايضا . ورب قاريء ما يلبث ان يجد نفسه يشارك الكتاب انتاجهم ، اذ يملأ ما بين سطورهم بتأملاته الخالقة ، وخواطره المبتكرة . وهيهات ان يستطيع كاتب ان يصل الى ما يريد ، دون مساعدة القاريء الذي يتجاوب معه ، ويكون شريكه في الابتكار والابداع . بل اني لاذهب الى ابعد من ذلك ، فأزعم ان العمل الادبي لا يستقيم له وجود ، الا اذا انتقل الى الطرف المتلقي الذي يتجاوب معه على نحو ما ؛ ويأخذ منه ويعطيه ، ويتأثر به ويؤثر فيه . ومن هنا جاءت فكرة كون الكاتب لا يكتب لنفسه ، وانما يكتب للاخرين، لكون الاستجابة التي يلقاها العمل الادبي عندهم هي التي تحدد ابعاده وتدعم كيانه . .

بعد هذا ما هي الملكة الفنية ؟

لا نريد في تعرفنا على الملكة الفنية ان نفلسف الموضوع ، فنذهب بعيدا مع الباحثين الذين تصدوا له فاوغلوا به في صميم الدراسات العلمية والفلسفية. وانما نريد ان نكون بسطاء نتناول الفكرة تناولا فيه عفوية ، بحيث لا يجهدنا ولا يجعل العرق يتصبب من جبيننا . وخير ما ينبغي ان نفعله ، هو ان نحاول التماس الملكة الفنية في آثارها على التجارب الفنية علنا نستشفها من خلالها .

لنفرض ان شاعرا ساقته الصدف الى شاطىء البحر ، في امسية اعتدل فيها الهواء ، وصفا الجو ، وراقت الطبيعة ، فرأى الشمس وهي تغيب من وراء الافق ، تاركة على صفحة البحر بقايا اشعتها الذهبية التي تنسحب رويدا رويدا ، لتخلف الكون من ورائها مسحورا مفتونا وقد اشتمل عليه الذهول . وضمن هذا الكون المسحور كان شاعرنا يجلس على صخرة من صخور الشاطىء ، متواريا عن الدنيا في غلالة رقيقة من احلامه المسحورة الجميلة. وعندما استيقظ منها كانت التجربة الشعورية قد اكتملت ، لتوحي اليه قصيدة يصف فيها المنظر الرائع الجميل . فالمنظر لا يبقى عنده مجرد مشهد طبيعي تصحبه بعض المظاهر الخاصة ، بل يتحول الى عالم يعج بالاسرار ، على قدر نصيب الشاعر من قوة الوجدان الفني ، ومبلغ استعداده الروحي ، لالتقاط شتى الخواطر ، والرؤى والاحلام الشعرية . فالمشهد رمز الخلود ، او رمز للفناء . فيه مثار حب قديم ، وذكريات

الملكة الفنية

للأستاذ عبد العلي الوزاني

ما احسب اننا قادرون على ان نعرف الملكة الفنية تعريفا دقيقا محيطا بكل خصائصها ومميزاتها جامعا لكل جهاتها ونواحيها لانها من قوى العقل والنفس والوجدان التي تستعصي على كل تعريف دقيق ، كسائر قوانا المعنوية ، التي مهما بذلنا من جهد في وصفها ، لا نستطيع ان نبلغ منها ما نبلغه من المحسوسات من حيث الايضاح والبيان .

ولأمر ما شاءت الطبيعة ان تحيط ملكاتنا الروحية والعقلية بكثير من الغموض والابهام ، وان تجعلها تياهة على الباحث ، ما ان يخيل اليه انها فى قبضته ، حتى تتراءى له بعيدة بعيدة ، فى ضبابيتها المحيرة للعقول .

اتكون نفوسنا التي هي بين جنبينا والصق بنا من كل شيء ، تمتنع علينا اذ نحاول ان نهتك الحجب عن اسرارها ، ونستشف فى مظاهرها ابعادها العميقة ؟ على حين ان الظواهر المحسوسة الخارجية نستطيع ان نحيط بها علما ، فندرس قوانينها ونردها الى مصادرها الحقيقية

ايكون السر فى ذلك ان نفوسنا اقوى واوسع من لغتنا، لان هذه مجموعة من الرموز التي لا تفي بالتعبير عن ذات، انفسنا مهما بذلنا من جهد ؟ ام يكون السر فى ذلك ان يبقى الناس مختلفين فى المسائل المعنوية ، ليكون هذا الاختلاف نعمة اي نعمة على الادب والفن؟

مهما يكن من امر ، فستظل ملكاتنا الروحية موضوع اليوم والغد ، وكل وقت وحين ، يتعاقب الباحثون عليها دائما ، لتستفيد من تجاربهم وتنوع ثقافاتهم ، فتظهر جوانبها جانبا بعد ءاخر ، دون ان ينفذ الحديث عنها ، لكونها قوى لا منتهية ، ولها من الحرية فى التنوع والتكيف ، ما يجعلها تمتنع على كل قانون عام ، او قاعدة ضابطة فأهل الفن من ادباء وشعراء ، منهم من يمشي على ارض البشر ، ومن لا يحسن السير الا فوق السحب . من يرينا الحياة جنة وارفة الظلال ، ومن يحيلها جحيما للتعذيب والتنكيل .

من يغرينا بمتع الحياة لننهبها قبل فوات الاوان، ومن يصدنا عنها ويعجب منا متى رغبنا فى ازدياد . من يدعونا الى الركون الى الراحة النفسية ، لقطف ما تدلى الينا من ثمار شجرة الحياة ، وترك ما ابتعد ؟ ومن يدعونا الى منازلة الدهر ، ومصاولة الايام ؟ فالدنيا لا تؤخذ الا غلابا ، على حد تعبير الشاعر العظيم . منهم من يجعلنا فى صلح مع من نعايشهم من الناس ، نمد لهم فى حبل الوصال ، ونتنادى معهم الى كلمة سواء ؛ ومنهم من يريدنا ان نكون حربا عليهم ، لا نضع فيهم ثقتنا ، ولا نبوح لهم باسرارنا ، وانما نجعل بيننا وبينهم حجابا كثيفا من الصد والاعراض . منهم من يدعونا الى الخير والفضيلة ، ومن يحمل فى عيوننا الشر ، وقد يستنبت من الشر زهورا فواحة بالعطر .

وبعيد جدا ان نستطيع الاحاطة بكل اصناف الشعراء والادباء ، مهما حاولنا جاهدين ، لان لكل اديب شخصيته الخاصة التي لا تطابق بينها وبين شخصية اي اديب ءاخر . وما كان الادباء ليتنوعوا هذا التنوع الخصب العجيب ، لولا تنوع ملكاتهم الفنية واختلاف طبائعها واتجاهاتها ، متأثرة فى ذلك بمزاج الاديب ونفسيته وتجاربه فى الحياة ، وحظه من الذكاء، ومقدار ما اوتيه من لطف الاحساس، ورهافة الذوق ، وقوة العاطفة ، وفعالية الفكر .

مركزة تكونت عناصرها من قريحة وقادة ، وذكاء حاد، وطبع قوي ، وخيال قادر على التحليق في كل جو ، وذوق رفيق الحساسية ، لطيف ، لاتفوته همسة ، ولا تجوز عليه اشارة ، يقرا الخواطر في الصدور ، ويترجم خفقات القلوب ، ويعي ما ضمت عليه الشفاه ويستشعر نجوى الضمائر ، واحاديث النفوس .

تلك القوة الادبية التي تصنع هذه المعجزة ، وتخلق هذا العمل الذي كله سحر وفتنة ، هي الملكة الفنية . الان وقد لمست الملكة الفنية في بعض آثارها يمكنك ان تعرفها بالتعريف الذي تشاء . فقل انها قوة الخلق والابتكار ، او قل انها مجموع المزايا الفكرية والشعورية والذوقية والخيالية للاديب مركزة في جوهرة لامعة ، او قل انها فيض النفس الملهمة ، او القبس الالهي في الروح الانساني . فكل هذه التعاريف سواء ، ما دمنا قد امسكنا بذيل الغانية اللعوب . فاذا بيدنا مضمخة بعطرها الساحر الفواح .

لكن لنكن على حذر ، فما اكثر الوان العطور التي تراوح بينها هذه الغانية المتفننة . فتارة ينبعث عنها عطر قرنفلة ، وتارة عطر سوسنة ، واخرى عطر بنفسجة ، وطورا عطر ياسمينة ، قد يكون عطرها قويا يزكم الانوف ، وقد يكون بالغ اللطف ، لا تستنشقه الا ادق الانوف حساسية .

وهي — اي الملكة الفنية — تظهر في ادق اجزاء العمل الادبي كما تظهر في معالمه الكبيرة . في اللمسة الخفيفة من قلم الاديب ، في الومضة الذهنية التي تمر بسرعة البرق ، في الخاطر السريع ، في الطيف السحري العابر ، في جرس كلمة ، في ظل لفظ ، في نبضة حرف . لمسة قلم تجعلها تهب احسن ما عندها ، ولمسة قلم تصدها عن البذل والعطاء . سريعة التقلب لا تستقر على حال ، تستجيب لمطالب الاديب حتى لتجعل من حروفه وكلماته ورودا وازهارا في حديقة غناء ، وتنقبض حتى ليحسب صاحبها انها ولت عنه الى غير رجعة ، توحي بأروع الخواطر والتأملات ، حين لا يكون الاديب متهيئا للانتاج ، وقد يستدعيها وقت تهيئه فلا تلتفت اليه بوجهها الجميل . تارة لا يحلو لها ان تظهر الا في ابهى حللها وكامل زينتها وطورا تكتفي ببسيط الثوب وقليل الزينة ، وهي دائما رائعة في حالة تبرجها ، وحالة بساطتها على السواء ، بل قد تكون ارق شفافية وكشفا عن جوهرها الرفيع ، عندما تستغني عن كل مظهر مزخرف ، او شارة انيقة ، او حلية قوية السطوع . لها حالات تكون فيها ملكة وفورا يحفها جلال الملك ، ونحيطها ابهة السلطان ، فتفرض علينا نوعا من الخشوع امام جلالها المالك للنفوس . ولها حالات تكون فيها طفلة تقفزها هنا وتثب هناك ، وتملا الجو من حولها خفة ومرحا . وقد تجدها مومنة خاشعة ، او ماجنة متبرجة . مترفعة في برجها العاجي تبعث منه بافضالها ، او متواضعة تندس بين الناس ، وتمشي في الشارع ، وتغشى الاسواق ، قد يجاهد للحصول عليها العالم « النحرير » والمثقف « الكبير » فلا يظفر منها بشيء ، فكلما اشتد في طلبها ، اشتدت في الاعراض عنه ، بينما قد تهب نفسها لابسط مخلوقات الله علما وثقافة . ديمقراطية في مولدها ، تولد في اوسع الاوساط غنى وجاها وترفا، كما تولد في اشدها فقرا وضيقا واملاقا . لا فرق عندها بين القصر والكوخ ، والشبع والجوع ، وسماء العز وحضيض الذل . يكون مولدها السعيد محاطا بهالة من الضجيج والصخب ، وتدرج في طريق محفوفة بالورد ، تتخذ مثواها شرنقة من ناعم الحرير . ويكون مولدها الشقي في غير جلبة ولا ضوضاء ، طريقها صخور واشواك ، ودموع وزفرات، ومثواها التراب والطين . لكن النعمة قد تورثها الكسل ، وتشيع فيها الميوعة ، وتحول بينها وبين كثير من تجارب الحياة ، على حين ان الفقر وطول الحرمان قد يكسبها صلابة ، ويهبها كثيرا من حرارة النضال .

ويا ما اروع ما يستطيع الاديب ان يصنعه اذ يمتلك الملكة الفنية ، او تمتلكه على اصح تعبير !! فاللغة تبوح له باسرارها ، والبيان يسلس له قياده ، والكائنات تتعانق في خياله ويتجاوب بعضها مع بعض، والخواطر الفنية تنثال عليه من كل زاوية من زوايا الحياة والكون . من لفتة جيد ، من رشاقة قد ، من نبرة صوت ، من خصلة شعر ، من رمشة عين ، من هدوء الليل ، من صخب النهار ، من عظمة البحر ، من سعة الصحراء ، من قصف الرعود ، من دبيب النمل ، من عقيدة المومن ، من شك الملحد ، من كل ما تتسع له الحياة المادية والروحية من مفاز واسرار . لكانها تملك قوة السحر ، بها تفجر الماء الزلال من الحجر الصلد ، وتصنع من التراب تبرا ، ومن العي فصاحة ، ومن الجمود حركة . الشيء البسيط تمسه ينقلب الى ينبوع نور ، والموضوع البالي العتيق ترنو اليه يتحول الى هيكل للابداع والفن . لها قدرة عجيبة على ان تجمل القبيح وتقبح الجميل ، وتلبس الباطل ثوب الحق ، والحق ثوب الباطل ، وتذل

طواها الزمان في ليله الطويل ، فيه صدى امل حبيب لم يتحقق ، او رجع لحن جميل عاد من رحلة بعيدة . او فيه معنى وحدة الوجود وتعاطف الكائنات ، تتجلى فيه اسمى معاني الحياة في نظافتها ، اذ لم تلوثها ادران المادة التي يتقاتل الناس من اجلها ، فكأنها اغتسلت في ماء البحر ، او استحمت في اشعة الشمس ، الى غير ذلك من الخواطر التي يمكن ان تشتمل على الشاعر في موقفه من ذلك المشهد الطبيعي الاخاذ . وقد يبلغ الشاعر من الامتلاء بروعة المشهد الى حد ان يندمج فيه ويرى كل ما فيه رمزا لعواطفه الخاصة .

ثم تأتي صياغة كل هذه التجارب النفسية في قالب من اللفظ .

وهنا ننظر فنرى عجبا . الالفاظ التي يعرفها الخاص والعام ، وتظل الالسن تلوكها كل وقت وحين ، تصنع المعجزات ، وتكون الايات البينات . فكأن في الالفاظ ارواحا محبوسة ، ما ان يفتح الشاعر مغاليقها حتى تندفع متوثبة بدوافع الحياة الكامنة فيها ، لتجعل من العمل الادبي كائنا حيا متطورا ، يجدد شباب النفس التي تتلقاه ، ويخرجها من حالتها العادية ليزج بها في عالم من المشاعر المتدفقة ، يحلق بها في عنان السماء ، او يغوص بها في مجاهل الاعماق ، وتلك الارواح فيها من خصائص الروح الانساني الشيء الكثير . فهي اما صاخبة او هادئة مبتسمة او عابسة . فيها رقة النسيم العليل ، اوجهامة الحجر الصلد . مندفعة تكهرب الاسلوب ، او متأنية تجعله يسير الهوينى ملتفتا الى عطفيه تيها ودلالا تمس جراح النفوس الحزينة فتكون لها بلسما ، او تلسعها وتخزها وخز الابر . تكون ورودا في جنينة او شررا يتطاير من فوهة بركان . تبدد شيئا من ظلمات الحياة ، او تزيدها ظلاما فوق ظلام ، تدعو الى السلام الروحي ، او تستحث على استعمال العنف والقسوة . تكون نغما حلوا ينبعث عن كمان ، او تكون زئير اسود اقتحم عليها عرينها المنيع المهيب. وما اللفظ الا ما يستطيع الاديب ان يضع فيه من ذات نفسه من كل ما المعنا اليه من الوان الحس والوجدان ، والا ما يكتسبه اللفظ من مجموع الخصائص الذوقية والشعورية والفكرية للاديب ، هذه التي تتركب منها قوة نفسية وفكرية ، يقدر بها على ان يركب الاشياء ويحللها على نحو خاص ، ليصل الى ابتكار صور فنية رائعة جديدة . تستمد روعتها وجدتها من رصيد الاديب ، ومن تجاربه الخاصة في الحياة ، ومن محصوله الادبي الواسع ، وطول معاشرته لكبار الادباء وفحول الشعراء ، وما تلك القوة التي تملك فعل السحر الا ما نصطلح على تسميته بالملكة الفنية .

هل نكون بهذا قد وصلنا الى حقيقة الملكة الفنية ؟ ما اظن اننا حققنا من ذلك شيئا كثيرا . ولعلها قد ازدادت غموضا ، فعلينا اذن ان نحاول محاولة اخرى ، علنا نخطو خطوة تقربنا منها ، ولا اقول تصلنا بها ، فنحن لحد الان لم نجرؤ على ان نقتحم عليها حرمها المصون ، المطوق بحراس من الضباب والاحلام والاوهام والالغاز التي ليس الى حلها من سبيل . ومن حسن حظنا ان هذه الغانية اللعوب . القريبة البعيدة ، السهلة الممتنعة ، يفضحها عطرها الفواح ، وشذاها العبق الذي يملا احلام الشعراء واخيلة الفنانين . وهو دليلنا اليها ، نتخذ منه وسيطا بيننا وبينها ، فكأن عمر بن ابي ربيعة كان في مثل موقفنا عندما قال :

فدل عليها القلب ريا

شاعر اراد ان يكتب مسرحية شعرية تستمد موضوعها من التاريخ ، وتعلمون معنى العمل الذي كلف نفسه القيام به . انه البعث !! نبش قبور الموتى ، ونفخ روح الحياة في الاجسام الهامدة التي صارت حطاما ، ليكسوها اللحم، ويجري في عروقها الدم ، ومن ثم تتحرك وتتحدث ، وتسعد وتشقى ، وتنبسط وتنقبض ، وتضحك وتبكي ، وتصح وتمرض ، ويكون فيها ضعفها البشري ، وقوتها الانسانية ، في مواجهة الاحداث التي تحيط بها ، وتبادل التاثير بينها وبين الظروف التي تكتنفها . لايحركها الشاعر كما تحرك الدمى في مسرح الاطفال ، وانما تكون اناسي حقيقيين بكل مقوماتهم وما يكون بين شخوصهم من فروق في الطبع والمزاج والعقلية ، ما بين امرأة ورجل كبيروصغير ، وسيدوخادم ، وصديقوعدو الخ. والفترة التاريخية التي تجري فيها الاحداث ، يجب اعادتها الى الحاضر المشهود بكل ملابساتها ودوافعها وظروفها حتى لنتوهم اننا نعيش في الحاضر نفسه متى شاهدنا المسرحية او قراناها .

هذا العمل الضخم الذي على الشاعر ان يقوم به ، والذي لم نبسط من جوانبه الا القليل ، ليس ليس بالمطلب السهل . انه طاقة هائلة من الخلق والابداع . يتطلب قوة ادبية عند الشاعر . قوة

ننشد شعره في منفاه البائس ، ونراه يبكي مصيره الاليم ، نكاد نشعر اننا المعتمد بن عباد ، ونهم بلمس القيود الثقيلة التي نخالها تقيد منا الايدي والاقدام ..

واروع ما في الخلود الا يخطر ببال الاديب ان يكون من الخالدين ، كما ان اروع ما في العظمة الا يخطر ببال العظيم 'ن يكون من العظماء .

ولكن ما هي الوسائل الكفيلة بتكوين الملكة الفنية ؟ اتكون لها كل هذه القيمة ، ولا نحاول ان نعرف وسائل تكوينها ؟

ان قضية التكوين هذه ، هي قضية كل اديب ناشىء ، هي محور نضاله الادبي الشاق الطويل فمنذ الخطوات الاولى في حياته الادبية ، تكون كعبته التي يتوجه نحوها هي الملكة الفنية ، لانها مفتاح كل الابواب المغلقة في عالم الادب والفن ، وكلمة السر الموصلة الى جوهر الابداع . بدونها يعيش الاديب متكئا على غيره وعالة عليه ، فاذا هو امتلكها اصبح مستقلا في نظرته ولهجته واسلوبه ونكهته ، وبذلك يكون طرازا خاصا بين الادباء ، لا يذوب في زحمتهم ولا يرتبط بعجلتهم . ومن ثم نرى كل الادباء الناشئين هائمين في البحث عنها ، بين السطور ، ومن تحت الكلمات ، وخلال موسيقى الاساليب الرفيعة ، في ومضة ذهنية يوحي بها بيت من الشعر ، في هزة عاطفية تثيرها كلمة شيقة ، في خاطر عبقري صادر عن بضعة حروف مشرقة .

وتشاء طبيعة هذه الملكة الا ان تكون بعيدة عن المتناول ، لا تسلم نفسها في جولة سريعة ، وانما تتطلب للحصول عليها ثمنا غاليا ، هي عروس فاتنة تكون من نصيب من يبذل فيها اغلى المهور . وما مهرها الا ان يهبها الاديب نفسه ، بدمه واعصابه وكل مقوماته الروحية .

وهي غيور بطبعها ، لاتقبل معها ضرة تشاركها في شخص الاديب ، وهذا هو السر في كوننا نرى غالبا ان من يجمع بين المطالب الادبية ، والمشاغل الدنيوية الزائدة على ضروراته اليومية يفشل في مصيره الادبي .

مرة اخرى ما هي وسائل تكوين الملكة الفنية ؟

ذلك سيكون موضوع المقال المقبل بحول الله .

فاس : الاستاذ عبد العلي الوزاني

مدح بعض الشعراء احد الامراء ، فلم يعجبه شعره ، فأمر باجازته ببردعة حمار ، فوضعها الشاعر على كتفه وخرج ، فلقيه رجل في الطريق فقال له ما هذا ... ؟

فأجاب الشاعر : مدحت مولانا الامير بأفخر اشعاري فخلع علي من أفخر ملابسه ...

الرفيع ، وترفع الذليل ، وتزرع الشوك في مهاد السعادة ، وتدفق برد السعادة في جحيم الشقاء . تسلك سبلها الى النسور في عنان السماء ، ودوافع الحياة في اعماق الارض ، وموطن الخرافة في ضمير الشعب ، وهواجس النفس في قرارة الانسان . تسمع صلوات الملائكة ، كما تسمع وسواس الشياطين ومن كل ذلك تصوغ عملها العجيب الخالد على مر الايام ، ما دامت هناك نفس تشعر ، وقلب يخفق .

وتختلف السبل التي تسلكها الملكة الفنية . فهناك سبيل الشعر ، وسبيل القصة ، وسبيل المسرحية ، وسبيل المقالة ، وما الى ذلك ، واجهات مختلفة لشيء واحد ، واسماء عديدة لمسمى فرد . ولذلك كانت هذه الفنون الادبية بينها روابط نسب واواصر قرابة . ففي الشعر شيء من القصة ، وفي القصة قبس من الشعر ، وفي المسرحية شيء غير قليل من الشعر والقصة معا . اليس الشعر هو قصة العواطف الانسانية انتظمت في وزن وقافية ؟ اليست القصة مجالا فسيحا لتحرك نفس العواطف ، كما تعمل في نفوس الافراد ، وتوجه سلوكهم ؟ اليس في المسرحية كثير من خصائص الشعر ، عندما تعتمد الخطوط العريضة ، وتترك الجزئيات والتفاصيل وعندما تشحن الالفاظ بطاقة هائلة من المشاعر ، لكون المجال امامها محدودا ، تماما كما يفعل الشعر ؟ ولو ذهبنا نقارن بين الاجناس الادبية على هذا المنوال لاتينا بامثلة كثيرة ، كلها دليل على ان الملكة الفنية — وان تعددت سبلها — كل لا يتجزأ . بل لو شئنا نوسع من دائرة الموضوع ، لذهبنا وراء الفنون الجميلة الاخرى ، من موسيقى ورسم ونحت ، لنبحث في لفائفها ، فنجد ان لها صلة كبرى بتلك الفنون الادبية ، وانها تاخذ منها وتعطيها الشيء الكثير الامر الذي يدل على القرابة الفنية الموجودة بينها جميعا ، وعلى ان الملكة الفنية — في معناها الواسع الشامل — تلتقي فيها مجموع تلك الفنون .

الا بوركت من شجرة كثيرة الفروع ، دانية القطوف ، حلوة الثمرات . ولكن لتحتفظ بشبابها ورونقها يجب تعهدها بالسقيا ، والا اسرع اليها الذبول ، وجف فيها ماء الحياة ، وقد تصبح اثرا بعد عين . نعم قد يجاهد المتادب لتكوين الملكة الفنية ، فاذا ظفر بها اهملها وتركها تتغذى من نفسها ، فلا تلبث ان تذوي ، وتغتالها شتى عوامل الضعف ، حتى اذا تبقى منها شيء كان كرجع صدى بعيد ، او كنشوة الروح اثر افاقتها من حلم جميل ، او كدهشة عاشق تخايل له الحبيب مقبلا من بعيد ، ليعود الى الاختفاء تاركا اياه في ذهوله الحزين ! !

وغذاء الملكة الفنية ليس منحصرا في ثقافة الكتب وحدها ، بل ان كل ما في الحياة يصلح لها غذاء ، لان لها من المرونة والطواعية ما يساعدها على ان تستمد من كل شيء مادة غذاء . وتملك من قوة الاستعداد ما تستطيع به ان تحول تلك المادة الى ريش في جناحها ، وسعة في ابعادها ، ونكهة في طعمها ، تماما كما يفعل الجسم الانساني ، اذ يستفيد من طعامه الصالح حدة في البصر ، ودما في العروق ، وقوة في الفكر . ومتانة في العضلات ، ونشاطا في العمل ، وتطورا في مدارج الحياة .

ولكن الكثيرين يهيمون بالملكة الفنية ، فتشغلهم عن كل شيء الا عن نفسها ، فيدعون المزيد من الدراسة والتثقيف ، لكونها ملات عليهم دنياهم ، وملكت عليهم نفوسهم ، بهمساتها الشاعرية ، ووساوسها الاخاذة ، ومغازلاتها المعسولة . فكم من مثقف ما ان احس براعمها تتفتح في نفسه ، ودبيبها يسري في دمه ، واشراقها يتالق في عينيه ، حتى هجر كل درس ، ملقيا بنفسه في احضانها ، متخذا منها ليلاه التي لايبغي بها بديلا ، يصوغ منها النشيد تلو النشيد ، ويشتق منها القصيد تلو القصيد . يسبل عينيه على طيفها الجميل اذا نام ، ويفتحهما على محياها الرائع اذا اصبح . لكن لاتلبث ان تاخذ في الضعف ، اذ يعوزها عمق الفكر ، وسند الراي ، واسس العلم ، فتتداعى للانحلال ، وقد تتحول الى ما يشبه حشرجة الروح في جسم اوشك ان يودع الحياة .

وما اعرف قوة تضارعها في القدرة على الخلود والبقاء ، في نصوصها الادبية الممتازة ، فهي تتوسد قوافي الشعراء ، وتتهادى في حلل بيانهم . وتلبس فقرات الكتاب ، وتطل من كلماتهم ، محتفظة بقوتها وفعاليتها على مر الايام . قد يسحب عليها الزمان ذيل النسيان الى حين ، ولكن ما ان يعيدها الزمان الى ذاكرته ، حتى تنتفض من جديد ، وتكون مصدر خير وبركة للباحثين والدارسين ، تصنع اقدارهم ، وتفتح مواهبهم وتفجر طاقاتهم . كم بيننا وبين الملك الضليل من احقاب واحقاب ، ومع ذلك فنحن عندما ندرس شعره ، ونتذوق ما فيه من سخاء الطبع وقوة الشاعرية ، لا نملك الا ان نتجاوب معه ، ونهتز لما هزه من صروف واحداث .. وكم بيننا وبين اسير اغمات من مراحل واطوار ، ومع ذلك فنحن عندما

ولكن عقل الانسان سرعان ما ارتقى درجة اخرى ، ادرك منها انه لم يعرف الا ظاهرا من حقائق الكون ، وان وراء ما يعرفه على كبير خطره وعظيم نفعه ، حقائق اجل واعظم ، وهنا احس الانسان بان السؤال كيف تحدث الاشياء ؟ ، لا يكفي ولاينبيء بكل شيء ، احس ان العلم وسؤاله « كيف » ، لم يخمد دهشته التي فتقت فيه التفكير فى الكون ، وان الاقتصار عليهما يحجب عنه مدركات خطيرة لا تتم المعرفة الا بها ، وبذلك اخذ يتشوف الى ما هو ابعد واعلى من الظاهر ، الى الحقائق العفوية والعلل الغائية البعيدة ، فترك السؤال ، كيف ، واخذ يستفهم عن الاشياء بسؤال اكبر ، سؤال الفلسفة « لماذا » ، وبهذا اخذ الانسان يتعلق بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، اذ اصبح همه فى البحث عن الحكمة فى نوع ما يقع ، وهي غاية فوق معرفة كيف يقع ما يقع ، وهنا أشرف الانسان على مجاهيل ومهامه ظل فيها حائرا ، حتى اشفق عليه الخالق ، فارسل الرسل وبعث الانبياء ، فاهتدى من اهتدى وابى من ابى .

وباتساع تفكير الانسان واستهدافه البحث عن الاسباب القريبة والعلل المعنوية البعيدة معا ، اكتمل للفلسفة معناها واتسع بعد ان كان ناقصا ضيقا ينحصر فى الكشف عن الاسباب الظاهرة بدون زيادة ، وبه اصبحت الفلسفة علما وفلسفة معا ، بعد ان كانت علما ليس الا ، فاضحت تستفهم عن الاشياء بالسؤالين كيف ولماذا معا ، بعد ان كانت تستفهم بالسؤال الاول فقط ، وقد دخلت الفلسفة بذلك فى طور استقرت عليه زمنا ولكنها لم تثبت عليه ، اذ سرعان ما رجعت الكلمة الى الضيق مرة اخرى ، ولكن بسبب آخر وهو انحصار معناها فى البحث عن العلل المعنوية الغائية البعيدة ، دون الاسباب الظاهرة القريبة ، ومن هنا نستطيع ان نرقب تقلب مسمى الفلسفة ، وكيف بدا فى الاول ضيقا منحصرا فى البحث عن ظاهر الاشياء واسبابها القريبة ، ثم اتسع برشد العقل الانساني فتعدى الظاهر الى الباطن فاصبح يبحث عن الاسباب المادية القريبة ، والعلل الازلية الغائية البعيدة معا ، ثم ضاق اخيرا فتخصص منهجيا فى البحث عن العلل المعنوية والسر والحكمة، والى ذلك ترجع الحقيقة التاريخية ، التي نصادفها عند دراسة تاريخ الفلسفة ، وهي ان الفلسفة ام العلوم والشجرة التي فرعت كل انواع المعارف الانسانية .

وفى هذا الطور الذي تستقر عليه الفلسفة اليوم، افترق العلم عن الفلسفة ، بعد ان كانت الكلمة تجمعهما معا ، فاختصت هي بالبحث عن السر والحكمة والغاية من الشيء ، واستقل هو بالبحث عن الاسباب المادية المباشرة التي تصف كيف يحدث ما يحدث من غير ان تنبيء عن الحكمة فى حدوثه .

وفى هذا الطور ايضا اصبح الشيء الواحد موضوعا للفلسفة وموضاعا للعلم معا ، يتولى كل منهما بحثه باعتبار ، ويخبر كل منهما عنه بخبر خاص يغاير خبر الاخر ولكن لا يعارضه ، فظاهرة طبيعية ، كالزلزال مثلا ، يأخذها العلم ويبحثها طبقا لمنهجه ويستفهم عنها كيف تحدث ، فيتوصل من ذلك الى الكشف عن اسبابها المباشرة الكامنة فى الارض نفسها ، وفى طبيعتها ، ثم يخبر بهذه الاسباب ويصف كيف حدث ما حدث ، ويقعد لذلك قانونا يكون قاعدة يعرف بها كيف تحدث الزلازل عموما ، وكيف يمكن اتقاؤها ، وكذلك الحال بالنسبة لمرض يفشو فى الناس ويفتك بهم ، ان العلم يتولى الاستفهام عنه ويأخذ فى تتبع اسبابه التي ترجع الى طبيعة الانسان وطبيعة الاقليم والبيئة ، ويصف كيف يحدث ليجد له العلاج او يحاول ، وتجيء الفلسفة بعد هذا ، لتستفهم عن الظاهرة بسؤالها الكبير الخطير لماذا ، لماذا يحدث ما حدث ؟ وبه تكسر الظاهرة وتتعداه لتنفذ الى العمق لتستكنه الحكمة والسر والغاية البعيدة المفسرة

ونعود بعد هذا التمهيد الى الرأيين المتصارعين لتأصيلهما وردهما الى مصدر واساس ، وعلى ضوء ما سلف نعرف ان الذين يعللون الكوارث باسبابها المعنوية، ويرجعونها الى حال الناس وما اصابها من تغيير وانحراف ، انما يحاولون ان يخبروا بالعلة المعنوية الغائية البعيدة ، انهم يحاولون ان يعرفوا لماذا تحدث هذه الاشياء ، وان الذين يعللونها باسباب مادية ترجع الى طبيعة الارض ، انما ينبئون بالاسباب المباشرة القريبة ، ويصفون كيف يحدث ما حدث وعلى ذلك فان الموازنة بين الرايين انما تعني الموازنة بين العلم والفلسفة نفسيهما .

لقد سبق ان الفلسفة ، او التفكير بتعبير ادق ، كان يقتصر فى اول امره على السطح والظاهر دون النفوذ الى العمق ، فعندما عقل الانسان مظاهر الكون، بدا يستفهم عنها كيف تحدث ، وتوصل من ذلك الى معرفة الاسباب القريبة ، واهتدى منه الى نفع عظيم اتقى به اخطار الطبيعة ونظم حياته فى هذا

كيف نفهم الكوارث الطبيعية؟

للأستاذ: أحمد باكو

كلما اصيب هذا العالم فى صقع من اصقاعه بنكبة او كارثة طبيعية ، كفيضان عرم يزحف على اليابس فيجرف ويغرق ، او زلزال يدك على الناس بيوتهم ويدفنهم فى مثاويهم ، او خسفا يهوى بظاهر من الارض الى باطنها .. كلما حدث شيء من هذا وغير هذا مما يشبهه من كوارث ، تداول الناس ، بعد ان يفيقوا من الهول والدهش ، حول السبب والعلة ، ويحرك قوم من الجيل القديم ، فيهم الاب والجد والاخ الكبير احيانا ، رؤوسهم حركة المتعظ بمصيبة ، ويشيرون توا الى حال الناس وما هي عليه من ضلال وانحراف ، وفسق بالاعتقاد والجوارح ويصفونها وحدها سببا للمصيبة ، وتشمخ انوف وتسخر شفاه أناس فيهم الابناء والاحفاد ويهبون فى حماسة لتصحيح الجواب واعطاء التعليل الصحيح ، ويستذكرون لاجل ذلك معلوماتهم المدرسية فى الجغرافية والكيمياء والفيزياء ، ويذكرون قوانينها وما تقعده فى نظام الكون وظواهر الطبيعة ويعينونها وحدها سببا لما يصيب العالم من فيضانات وزلازل غيرها وتردالرؤوس الشيباء بانحناءة المتأسف المستنكر الذي لايجد غير الاسف والتألم الصامت تعبيرا عن استنكاره ، وتعيد التأكيد بان العلة منحصرة فى زيغ الناس وانحرافهم ، وان هذا هو وحده الذي يفيض الانهار ويزلزل الارض ، ويطول الحوار ويشتد الجدال ويعنف احيانا الى ان يبلغ حدا يتبادل فيه الطرفان الجمود والجهل والتنطع والكنود ، ويفترق المتخاصمان وكل منهما مقتنع برايه متمسك به مضمرا فى نفسه السخرية من جهل الاخر أو طيشه ، فأي من هذين الفريقين المتخاصمين احق واصدق يا ترى ؟ وما هو اساس هذا الجدال العنيف ؟؟

لابد للفصل فى هذا الخلاف من تمهيد يوطيء لنا القضية ، ويمنهج الموضوع ويؤصل الخلاف ..

فعند ما بدأ الانسان يعقل الاشياء ونشأت فى نفسه الرغبه فى ان يعرف حقيقتها ، كان يسأل عنها سؤالا عاما يبتغي من ورائه علم حقيقتها العامة وكان مدخله الى ذلك هو السؤال كيف تحدث الاشياء وكيف تسير ؟ ؟ وهو سؤال وصل به الى معرفة كثير من ظاهر هذه الاشياء ، وكثير من الاسباب المادية المباشرة للظواهر الطبيعية التي كانت تدهشه وتؤذيه ، فتمكن بهذه المعرفة من ضبطها والتحكم فيها ، ثم اتقاء اذاها ، فقد روع فيضان النيل سكان مصر القدماء وادهشهم امره ، فأخذوا يبحثون عن اسبابه ، حتى اهتدوا فى ذلك الى وسائل تقيهم اذاه ، وتحميهم من شروره ، وكان من ذلك ان اهتدوا الى مبادىء من علم الهندسة ، فانتفعوا به ، وانتفع به الخلق من بعدهم «1» وقد الجأت ظلمات البر والبحر الانسان الى ان ينظر فى السماء مصدر الظلام ظاهريا، يسأل كيف يحدث ، فاهتدى من ذلك الى دراسة النجوم وتوصل الى علم الفلك الذي انجاه من التيه فى مكانه ، فعرف كيف يهتدي فى قفار البر والبحر ، ومن التيه فى زمانه ؛ فوقته وجعله اياما وشهورا وسنوات وعندما انزل سقراط الفلسفة من السماء الى الارض نظر الانسان في ذاته : جسمه ونفسه وسلوكه ، فعلم من ذلك الطب وعلم النفس وعلم الاخلاق والمنطق الخ..

وقد حقق الانسان من وراء كل هذه المدركات منافع مادية ، انجته من كثير من الاخطار التي كان يتأذى منها .

1) مبادئ الفلسفة . ترجمة د. احمد امين ص 4 الطبعة السادسة .

بعد هذا ان تكون ارادة الخالق ، قد اتجهت الى عقاب الانسان المتحضر ، انتصافا للروح التي ظلمت هناك واصابها حيف كبير .

اعتقد اننا نستطيع بعد هذا ان نهتدي الى القول الفصل في هذا الجدال ، ونلاحظ قبل ذلك ان العلم والفلسفة يتكاملان معا وان كان الملاحظ كما يظهر مما سلف ان افتقار العلم الى الفلسفة اكبر من افتقار الفلسفة الى العلم ، فكثيرا ما يستنجد العلم بالفلسفة وقلما يقع العكس .

ونلاحظ كذلك ان لكل من جوابي العلم والفلسفة مقاما يجدى فيه ويفيد ، ولذلك يكون خطأ الاخبار عن العلة المعنوية البعيدة في مقام يتطلب معرفة السبب القريب المباشر ، وكذلك العكس ، لكن الملاحظ ان الذي تتشوف اليه النفس في غالب الاحوال ، هو معرفة العلة المعنوية البعيدة ، اي راي الفلسفة ، لانه الذي يشفي ويريح ويطفىء الحيرة .

ونلاحظ اخيرا ان المقام الذي يستفهم فيه الناس عن اسباب الكوارث ، وينشأ فيه هذا الجدال هو مقام الدهشة والذهول والحيرة ومن ثم فانه يتطلب جوابا فلسفيا يتجاوز السطح وينفذ الى العمق لينبىء بالعلة المعنوية الازلية البعيدة .

على ضوء ما سلف نستطيع الاهتداء الى القول بان الذين يرددون الاسباب العلمية المباشرة ويعينونها وحدها سببا للكوارث والظواهر الطبيعية ، يخطئون خطأ مضاعفا ، يخطئون حين يجيبون جوابا غير مناسب للمقام ويخطئون ثانية حين يعينون ما يذكرونه وحده سببا ، وان الذين يفسرون الكوارث باسباب معنوية ، يعطون الجواب المناسب للمقام ، ولكنهم يخطئون حين يرفضون الاسباب المادية المباشرة ، اي راي العلم الذي يتكامل به التفسير الفلسفي .

وعلى ضوء ما سبق ايضا ، نستطيع ان نتبين ان الراي المثالي في النزاع ، هو جواب متكامل ، يجمع بين راي العلم والفلسفة معا ، ثم يليه جواب يقتصر على راي الفلسفة وحدها ، اما الجواب الذي يقتصر على الاسباب العلمية المادية ، فلا قيمة له نهائيا في هذا المقام .

الدار البيضاء ــ احمد باكو

عندما يكون الاعتبار للمال لا للاخلاق ؟ !

*** حين يفسد الناس لايكون الاعتبار فيهم الا بالمال ، اذ تنزل قيمتهم الانسانية ويبقى المال وحده هو الصالح الذي لاتتغير قيمته فاذا صلحوا كان الاعتبار فيهم باخلاقهم ونفوسهم ، اذ تنحط قيمة المال في الاعتبار ، فلا يغلب على الاخلاق ولا يسخرها ، والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لطالب الزواج : « التمس ولو خاتما من حديد » . يريد بذلك نفي المادية عن الزواج ، واحياء الروحية فيه ، واقراره في معانيه الاجتماعية الدقيقة .**

*** وكأنما يقول : ان كفاية الرجل في أشياء ان يكن منها المال فهو أقلها وآخرها ، حتى ان الاخس الاقل فيه ليجزيء منه ، كخاتم الحديد ، اذ الرجل هو الرجولة بعظمتها وجلالها وقوتها وطباعها ، ولن يجزيء منه الاقل ولا الاخس مع المال ، وان ملء الارض ذهبا لايكمل للمرأة رجلا ناقصا ، وهل تتم الاسنان الذهبية اللامعة يحملها الرجل الهرم في فمه شيئا مما ذهب منه ؟ ..**

« مصطفى صادق الرافعي »

الكون ، وسلف كذلك ان نفس الانسان لم نقنع بهذا ، وانها سرعان ما ادركت انها لم تعرف الا ظاهراً من الظاهر وان وراء ما هو معروف مجاهيل يجب ان تعرف ، وعند ذلك بدأ الانسان يستفهم عن الكون بالسؤال لماذا .

ان هذا يفيد بالقطع ان العلم لا ينبىء بكل شيء وان الفلسفة هي التي تنفذ الى العمق وتستكنه السر وتروي الظمأ الى المعرفة ، وهذا شيء سيبدو بدهيا اذا عرفنا وظيفة العلم .

ان وظيفة العلم هي اعطاء الوصف الظاهر للاشياء والكشف عن اسبابها المحدثة لها مباشرة ، دون تعدي ذلك الى العلل المعنوية التي تخلى عنها للفلسفة «1» وقد تأكدت وظيفة العلم هذه منهجيا عندما تحددت مهمته في صوغ القوانين العلمية ، بعد استقراء مجموعة من الظواهر الكونية بغية اخضاعها لقاعدة واحدة ، ان انتباه اسحاق نيوتن لسقوط التفاحة واستقراءه لتجاذب الاشياء ، واهتداءه من ذلك الى وضع قانون الجاذبية ، لا يعدو أن يكون وصفا ظاهريا لهذه الظاهرة الكونية الخطيرة وجوابا عن السؤال الذي فتقه في ذهنه سقوط التفاحة ، وهو كيف تسقط التفاحة ، وقد بحث فعلا وعرف كيف تسقط ، وعرف من ذلك ان الاشياء كلها تجذب وتنجذب ، ابتداء من التفاحة التي تفنيها قضمة من الانسان ، الى الارض التي تفني حركة بسيطة منها آلاف الاناسي في لحظات ، ولكن كل ما قاله نيوتن على خطورته ، لم يستكنه العلة الغائية البعيدة ، ولم ينفذ الى السر والحكمة ، فبقيت نفسه ونفس العلماء من بعده تضج بالسؤال لماذا ؟ ولذلك فان العلم لم يستطع ان يستغني عن الفلسفة ولم يستطع ان يستقل ببحث الاشياء ، بل ظل دائما مفتقرا اليها ، وليس اصدق من هذا المجال من القول بان الفلسفة للعلم كالروح للجسد وان العلم وقواعده يظل وصفا لحركات آلية الى ان تفسره الفلسفة فيحيى وان العالم الذي لايفقه فلسفة علمه عالم جاهل (2) يفوقه الالكترون شرفا وفائدة ، ولذلك كان لكل علم فلسفة وللعلوم عامة فلسفة ، وان العلم ليشعر باحتياجه الى الفلسفة فيستنجد بها في كثير من الاحيان لتمده بالتعليل المعنوي الذي يكمل اسبابه المادية ويمنطق قوانينه ، وهو يستنجد بها اليوم في ميدان الكوارث بالذات !!! ان الطب بدأ يستفهم عن السرطان بالسؤال لماذا ، انه وقف ، بعد ان عرف كل اسباب هذا المرض وتقلباته واطواره ليسأل لماذا يحدث ولماذا ابتليت به البيئات الاوربية بالذات ولماذا اضحى ظلا للحضارة الاوربية يحط حيث حطت ، وينتشر حيث انتشرت؟! وقد اراحت الفلسفة العلماء واخرجتهم من حيرتهم الى اجوبة تريح النفس ، ولو كانت نفس انسان مريض بهذا الداء الخبيث «3» .

ان السر الذي يكمن وراء السرطان قد يكون هو نفسه السر الذي اسقط التفاحة التي فتقت في عقل اسحاق نيوتن « قانون الجاذبية » وهو وجوب رحيلها لتترك المكان لتفاحة اخرى تعقبها بعد حين، لقد سلمت التفاحة من قطف الايدي ، فطال بها العمر ، وطمعت في الخلود ، وهو محال فوجب ان يرتخي عرقها لتطفى عليه قوة الجذب فتسقطها ، هذا السر نفسه يكمن وراء السرطان الذي لا يحط رحاله الا في البيئات المتقدمة التي انعدم فيها الفقر والجهل والمرض أو كاد ، فتعلم انسانها واغتنى وصح وتوقى المرض بالعلم وقهره بالطب الذي يحميه وهو نطفة مقذوفة الى الرحم ، ويرعاه وهو خلق سوي ، مقذوف من الرحم ، ويحدب عليه ويواسيه وهو في آخر عهده بالدنيا في الطريق الى العدم ، فأصبح الموت لا يجد فيه مقتلا يأخذه منه ، وزاد متوسط عمره زيادة بلغت خمسا وعشرين سنة في بعض البلدان (4) وطمع في الخلود وتكاسل عن افراغ حيزه لمن يأتي بعده من خلف ، فاختل التوازن ، وجاء السرطان ليعيد النظام ، ويحقق التوازن ، اذ الحياة لا تستمر الا بالموت .

هنا تفسير فلسفي مقبول لانه يستمد دليله من الواقع ويجوز ان تضاف اليه اسباب معنوية اخرى ، **اذ لا مانع من ان تتزاحم الاسباب على المسبب الواحد** فقد تكون ارادة الخالق قد اتجهت في ذلك الى تعجيز الانسان ، واطلاعه على انه ضعيف مهما تبلغ قوته ، وانه قادر على ان يبرز له الضعف من قوته ذاتها والشر من حيث يامنه ، ولا مانع

---

1 ــ « العلم يصف ولا يفسر » د. محمد عبد الرحمن مرحبا . مجلة العلوم ــ السنة الثالثة العدد السابع .

2 ــ فلسفة العلوم د. وليد قمحاوي ــ مجلةالعلوم ، السنة الثانية ــ العدد الرابع .

3 ــ لماذا وكيف حول السرطان . د. عبد السلام العجيلي . مجلة العلوم ، عدد ابريل 1957 .

4 ــ المصدر السابق

الذي يحلل ويعلل ويستنتج ويضع المآثر في الغربال . »

واود في هذا القسم الثالث والاخير ان اتفق مع استاذنا واخينا الكريم احمد زياد على ان الدراسات الادبية هي غير التاليف الادبي بل اؤكد للناقد الفاضل بان هذه الحقيقة من البديهيات التي قام بها الشاهد والدليل واتضح فيها المنهج والسبيل ولكن الامر الذي اريد ان اناقش فيه جنابه هو تعرضه للامثلة التي اوردتها ، فكتاب « لانسون » الذي ضربت به المثل لايمت الى التاليف الادبي في شيء ، ذلك ان هذا الكتاب رغم اسم « تاريخ الادب » الذي يحمله ، هو عبارة عن دراسات جليلة وعميقة للادب الفرنسي ، وهو بعيد كل البعد عن كتب تاريخ الآداب المعروفة عندنا في اللغة العربية والتي لاتصلح الا للطلبة والتلاميذ الذين يدرسون في الاقسام الادبية ، واهم من هذا ان هذا الكتاب الذي اشرت اليه هو غير المؤلفات التي وضعها لانسون في آخر حياته بتعاون مع بعض الاساتذة والمفتشين الفرنسيين قصد مساعدة تلاميذ الاقسام النهائية من التعليم الثانوي وطلبة الاقسام التحضيرية من التعليم العالي على الوقوف على روائع الادب الفرنسي وتفهم معانيها الغريبة والتعمق في دراسة اسلوبها .

ان الكتاب الذي أخذته مرجعا في مقالي مؤلف ضخم يقع في ازيد من 1.500 صفحة من الورق الصقيل الرقيق ويعد اول ما انتجه « لانسون » في ميدان الدراسات الادبية التي يمكن ، بلا تردد ، اعتبارها من « الدراسات المركزة التي تمارس في نطاق الاسلوب العلمي الذي يحلل ويعلل ويستنتج ويضع المآثر في الغربال كما كتب الاستاذ زياد عندما أراد ان يعرفنا بالدراسات الادبية .

ولو لم تكن هذه الدراسات تدخل في نطاق الاسلوب العلمي العزيز على الاخ زياد لما كان لي أن اقارنها بكتاب الف في منهج العلوم ووضعه عالم ناقد لايتطرق الريب الى تضلعه في ميداني العلم والنقد ، وما هذا الكتاب الا كتاب « مستقبل العلم » الذي الفه العالم الفرنسي رينان

أما التاليف الادبي فهو دون الدراسات كما لا يخفى لانه لايزيد على « جمع الانتاج » واخراجه في حلة تستهوي القلوب وتجلب الانظار وتخلب الابصار ،

ولا يحمل من الدراسات الا الوانا من التقديم يستعملها اصحاب هذا النوع من التاليف للتعريف بالادباء والكتاب الذين تطوعوا لجمع انتاجهم ونشره على العموم . ومما لا اشكال فيه ان هذا النوع من التاليف لايغني الراغبين في الاطلاع على المؤلفات الاصلية كما ان الدراسات الادبية لايمكن ان تقوم مقام قراءة الروائع الادبية ولكن هذه الدراسات تدفع بنا الى الاطلاع وتدعونا الى الرجوع الى هذه المآثر الفنية بنفسها عن نفسها

وكل من تروى وتدبر فيما قلناه منذ شرعنا في كتابة هذه السلسلة من المقالات الا ويدرك ان القصد منها هو مناقشة اصحاب المدرستين والمناصرين لهما بفكر أدبي متجرد وقلب مفعم بحب الاطلاع على الآداب الانسانية وهيام باستبطان دخائلها وسبر اغوارها واستكشاف اسرارها ومعانيها الخفية .

فنحن امام نظريتين متعارضتين ورايين متباينين يتعين علينا مناقشة كل منهما على حدة حتى ندرك ما كان يرمي اليه رينان العالم الناقد وما يهدف اليه لانسون الاديب الناقد

ويبدو لنا في اول وهلة ان نظرية رينان التي تدعو الى الاكتفاء بالدراسات الادبية وعدم الرجوع الى المؤلفات الاصلية تتعارض مع نظرية لانسون التي ترى في كتب تاريخ الادب وسيلة ودعوة لمطالعة الروائع التي انتجها الفكر البشري ، ولكن الواقع غير ذلك . فقد كان لانسون يريد ان يوجه قراء كتابه في قراءاتهم ويدفع بهم الى المطالعة محببا لهم هذا الكتاب او ذلك فاتحا لهم آفاقهم الى هذا المؤلف الذي يعتقد انه اصلح من غيره للمطالعة والدراسة ولم يكن يرمي الى قطع دابر اي اتصال شخصي بين قرائه وانتاج الكتاب الذين يتناولهم بالدرس والشرح والتعليق في كتابه (تاريخ الادب) .

ومن الطبيعي ان يؤدي كل توجيه الى اختيار اولا وحذف ثانيا فنحن عندما نقف على عصر من العصور الادبية نجد ان هذا العصر يزخر بعشرات الكتاب والشعراء كما نجده يتوفر على انتاج ضخم جميل لايمكن ان نلم به كله بل كل ما نستطيع ان نقوم به هو الاهتمام بأكبر قادة الفكر في هذا العصر او ذاك والوقوف على بعض مؤلفاتهم المهمة التي كان لها الباع الطويل في تطور التفكير في هذا العصور والتي ترجع

العدد الثالث (السنة الثامنة) من مجلة « دعوة الحق » ص : 77

الدراسات الأدبية والفكر العلمي

للأستاذ عبد اللطيف خالص

مما لا اشكال فيه ان الدراسات الادبية والمؤلفات المتعلقة بتاريخ الادب لاتخلو من عيوب ومثالب رغم ما فيها من حسنات ومناقب ، ففي الدراسات الادبية تحديد الاتجاه وعقال الفكر الانساني وتضييق الآفاق وتشديد الخناق على الذين يريدون الرجوع الى الموارد الاصلية ، والمنابع الاولى للتراث الفكري الانساني . وما هذه المناهل الاصلية الصافية الا المؤلفات التي وضعها اصحابها والتي يجد فيها القراء لذة خاصة ومتعة شخصية لايمكن التمتع بها من خلال الدراسات النقدية مهما بلغت هذه الدراسات من الجودة والبراعة والاتقان ، ومن هنا تتجلى لنا فعالية الرجوع الى المؤلفات الاصلية التي نقف فيها متجردين من كل ضغط امام فكر مجرد ، وآراء ذاتية ، وافكار شخصية، تمكن نفسها منا لنحكم عليها بما نشاء ، ونقضي في شانها بما نريد .

وقد انتبه عدد من النقاد والمربين الى هذه الناحية فخصصوا لها دراسات ممتعة ، ووقفوا فيها وقفات سادقة ، استخلصوا منها احكاما قويمة ، ونظريات سديدة .

وقد سبق لنا ان تعرضنا فى مقالين سابقين الى نظريتي « رينان » مؤلف كتاب « مستقبل العلم » والناقد (لانسون) صاحب كتاب (تاريخ الادب الفرنسي) فقد كان رينان يدعو الى الاكتفاء بالدراسات الادبية والكتب المتعلقة بتاريخ الادب والاستفناء عن المؤلفات الاصلية بينما كان « لانسون » الذي وضع كتبا رفيعة فى النقد يدعو الى الرجوع الى هذه المؤلفات التى يتكلم عنها ، ويريد ان يعتبر كلامه عنها حافزا للوقوف عليها

وقد التبس الامر فى هذا الميدان ، على اخينا الاستاذ احمد زياد الذي كلف من طرف رئاسة تحرير مجلة « دعوة الحق » بنقد العدد الثاني من السنة الثامنة من عمر هذه المجلة الذي نرجو ، خالصين وصادقين ، ان يكون عمرا مديدا حافلا بجلائل الاعمال والخيرات لصالح العلم والمعرفة فى هذه البلاد ولخدمة الثقافة والعلم فى هذه الربوع ، فظن اني خلطت بين الدراسات الادبية والتاليف الادبي واستشهد على ذلك بالامثلة التي اوردتها فى القسم الثاني من مقالي « حول الدراسات الادبية واهميتها » .

فقد ورد فى ركن « العدد الماضي فى الميزان » المنشور بالعدد الثالث من هذه السنة ما يلي :

« ... ويتراءى لي ان الصديق الكريم قد خلط فى مقاله فيما بين الدراسات الادبية والتاليف الادبي ، ذلك لان التاليف هو غير الدراسة ، ولان جمع الانتاج هو غير تحليله تحليلا مستفيضا وعميقا ، ويبدو هذا الخلط من الامثلة التي ساقها الاستاذ خالص على انها تدخل فى باب الدراسات الادبية ، بينما هي فى الواقع ينبغي ان تنضوي تحت باب التاليف .

واني غير متفق مع حضرة الكاتب فيما ذهب اليه من ان دور الدراسات الادبية قد « ينحصر فى احياء فضول الاطلاع فى نفوسنا ودعوتنا الى الرجوع الى هذه المآثر الخالدة »

ذلك لان مثل هذه الدعوة يمكن القيام بها عن طريق الاحياء والجمع والتاليف وعن طريق الدراسات المركزة والمفصلة التي تمارس فى نطاق الاسلوب العلمي،

انظر العدد الاول والثاني لهذه السنة من مجلة « دعوة الحق »

ولعل هذا ما حدا بكثير من رجال الفكر وجهابذة العلم الى الدعوة الى الاخذ باهداب النهضة العلمية الحديثة واسباب التطور الجديد الذي اصطبغ بصبغة علمية واتسم بطابع التقنية والفنية

واذا كان الادباء والمفكرون يدعون الى هذا النوع من التكوين التقني والعلمي الجماهير البشرية والانسانية باكملها فكيف يمكن ان يكون موقف العلماء أو على الاقل موقف المثقفين الذين غلب عليهم الميل الى العلوم فوقفوا على التجربة العلمية وبهتوا امام الانتصارات التي حققتها والخطوات الوثابة التي عرفتها ؟

ان هؤلاء المثقفين العلماء اولى الناس بهذه الدعوة واجدر الدعاة للاخذ بالتجربة العلمية التي تدعو الى الاختصار والاقتصار بدل الاسهاب والاطناب والتي ترتكز على التجرد والعيان بدل العواطف والشهوات .

وما رينان الا احد هؤلاء المثقفين الذين غمرتهم موجة العلوم واثرت فيهم الحقيقة العلمية المجردة فراحوا ينادون بتطبيق الطريقة العلمية في كل شيء سواء كان الامر يتعلق بالعلوم الانسانية كالادب والبلاغة والبيان ، او بالعلوم الطبيعية من فيزياء وكيمياء ورياضيات وكتب وغيرها ...

اليس رينان هو مؤلف كتاب « مستقبل العلم » ؟

ان هذا الكتاب الذي صدر في سنة 1890 قد الف في الشهور الاخيرة من سنة 1848 والشهور الاولى لسنة 1849 . ومعنى هذا ان رينان الف كتابه الذي جمع فيه نظرياته المتعلقة بالدراسات الادبية وغيرها في الظروف العصيبة التي عرفتها فرنسا بعد ثورة فبراير 1848 فجاء عبارة عن برنامج حافل اخذ صاحبه بعين الاعتبار الملابسات السياسية والتطورات التي عرفتها بلاده والنظريات والاراء التي كانت تغلب على رجال الفكر والادب والعلم في ذلك الوقت .

والحقيقة ان رينان يدعو الى دراسة الماضي بل يعتبر معرفة الماضي وادراك عمق مغزى حوادثه امرا ضروريا لامفر منه ولا غنى عنه . ولعل هذا ما جعله ينادي رجال الفكر وارباب العلم القيام بالابحاث الضرورية ويطالبهم بالتنقيب بطرق علمية عن هذا الماضي لاكتشاف مظاهر حضارته واستغلال جميع ابواب المعرفة للوصول لهذه الغاية ؛ ولكن تكوينه العلمي جعله يرى حياة الاديب وكمال تربيته وتمام معرفته في الوقوف على كتاب العصر بدلا من اختيار رواد الفكر من رجال العهود الماضية والعصور الخالية . ونحن عندما نقف على كتابه « مستقبل العلم » نجده يقول بعدما تعرض لمؤلفات فولتير :

« ان دراسة كتاب القرن السابع عشر مفيدة جدا ؛ لمعرفة الحالة الفكرية في هذا العصر ولكني اعتبر الوقت الذي يقضيه الفرد في القراءة للحصول على هذه المعطيات الايجابية وقتا ضائعا . فليس هناك ما يمكن أن ناخذه كنظريات فلسفية وآراء مذهبية . واني اعترف باني لا ارى ما يستطيع ان يجنيه المرء من وراء حفظ ما كتبه « لابروبير » وماسلون وجان بابتيسط وسوباسو الذين ليس لنا اي اتصال بهم الان كما اعترف باني لا ادري كيف أن شبابنا لايمكن ان ينهوا دراستهم قبل معرفة فيمان وجيزو وتييرس وكوزان وكيني وميشلي ولامرتين وسانت بوف . ولا اعتقد ان هناك من يعجب مثلي بالقرن السابع عشر باعتبار المقام الذي يحتله في تاريخ الفكر البشري ؛ ولكني أثور عندما ارى الناس يريدون ان يجعلوا من هذه الفكرة الثقيلة انعكاس مثال الجمال المطلق ؛ فاي كتاب يمكن ان يعلم شباب فلسفة التاريخ احسن من كتاب « التاريخ العالمي » الذي اجمع الكل على الاعجاب به وتقدير مؤلفه الذي يعتبر من كبار رجال الدين المتأخرين »

يتجلى من هذا النص الذي نقلناه له رغم طوله ان رينان يعطينا نظرة واضحة عن اختياراته كما تتضح من هذه السطور الخطة والارشادات التي يعطيها لنا للبحث في منابع الآراء الصالحة للعصر والنظريات المتجاوبة مع تطور الفكر الانساني ويرى رينان ان هذه المنابع لاتوجد الا عند الكتاب المعاصرين الذين يتعين ان تقرأ مؤلفاتهم الاصلية بامعان بينما يمكن ان يكتفى بالدراسات الادبية اذا كان الامر يتعلق بكتاب عاشوا في عهود اخرى .

وهكذا فرينان لاينكر الرجوع الى الكتب القديمة لانه لا يجهل الفائدة التي تنتج عن دراسة آثار الاولين ولكن الطابع العلمي الذي غلب عليه والميل نحو التجربة الفنية وتكوينه العلمي كل ذلك اثر عليه وجعله يفضل الوقوف على الادباء المعاصرين لانهم اكثر تاثيرا واقرب اتصالا بالعصر وادرى بمشاكله المختلفة وقضاياه المتعددة ؛ وهذا ما جعل اعجاب رينان بالقرن السابع عشر اعجابا تاريخيا ان صح هذا التعبير لان رينان لايومن بالاعجاب المطلق ، اليس هو القائل في كتابه المشار اليه :

اليها اهم الميزات التي طبعت ذلك العهد الادبي وجعلت له طابعا ذاتيا امتاز به عن غيره .

وبازاء هذه المؤلفات الجليلة التي احتلت الدرجة الاولى فى عصر صدورها وبازاء هؤلاء الكتاب والشعراء الذين طبعوا هذا العصر وخلدوه نجد طائفة هامة اخرى من الادباء والمؤلفين والمثقفين ومجموعة جليلة من الكتب والمؤلفات لاتقل قيمة ولا مستوى عن الاولى كما ان اصحابها لايقلون اهمية عن المؤلفين الاولين البارزين ولكن هؤلاء المؤلفين وهاته المؤلفات لم يكن لها نفس الدور الذي لعبه اصحاب الطبقة الاولى ولم يكن لذويها واربابها تأثير ملموس فى ذلك العصر الذي طفت فيه الطبقة الاولى والذي اتسمت ملامحه اكثر ما يمكن بافكار عدد ممتاز من المفكرين وارباب القلم المنتسبين لهذه الطبقة .

والحقيقة التي لامراء فيها ان لانسون الذي كان استاذ الادب والتعليم الثانوي والجامعي والذي وضع كتبا ممتازة كمؤلفه « تاريخ الادب » كان لايقبل ان تستعمل فى ميدان الادب الوسائل الفنية والمواد التقنية التي كان يدعو اليها بعض المفكرين من الادباء امثال: طين ورينان . فكثيرا ماكان لانسون يقول « مواد الادب ووسائله فى المعرفة ليست مواد علمية بالمعنى الاصلي التقني لهذه الكلمة . والادب ليس موضوع علم ولكنه ذوق وتدريب وسعادة ولذة . فلهذا فهو لايعرف كما يعرف العلم ولا يحفظ كما تحفظ القواعد الرياضية ولكن الادب يفرس فى النفوس ويطبق فى الطروس ويحب من الاعماق » .

والذي يتضح لنا من رأي لانسون انه لا يوافق على تطبيق النظرية العلمية الموقوفة المعهودة فى ميدان الادب وهو متشبث برايه اذ يعتقد جازما ان الرجوع الى الماضي وشرح غموض هذا الماضي البعيد بتجريد الخزانات والمكتبات والبحث فى المستندات والوثائق ومقارنة النصوص التي يعثر عليها الباحثون كل هذا حسب رأي لانسون يدل على سعة البحث عند المؤرخ ولكن هذا العمل لايمكن ان يطلق عليه عمل ادبي محض ويدخل فى مجموع الروائع الخالدة التي انتجها الفكر البشري . وقد ذهب الناقد لانسون بعيدا فى هذا الرأي واعتصم بحبله فقال مؤكدا ما سبق ان ذكره فى الاول :

« ... انني لا ادرك كيف يمكن ان يدرس الادب بغية اشياء اخرى غير التكوين الصحيح والتهذيب الكامل ، كما لا اتصور ان الذين ينكبون على الانتاج الادبي ينكبون عليه بغية تحقيق اغراض اخرى غير السعادة واللذة اللتين يشعر بهما المرء وهو يتصفح انتاجا ادبيا رفيعا ... »

ومما لا اشكال فيه ان المثقف الحق يهتم بالقديم كما يهتم بالحديث وان اشتغاله بالكتاب المعاصرين لا ينبغي ان يقل عن اشتغاله بالكتاب الذين عاشوا فى عصور سابقة . والمثقف الحق هو الذي يجد السعادة وهو يدرس الادب القديم كما يشعر باللذة وهو يدرس الادب الجديد الحديث . فلا تتكون الثقافة من معرفة الماضي السحيق والحديث الجديد ؟

اليس الماضي هو الذي تستمد منه الحال ونبني على دعائمه الراسية المستقبل البعيد والقريب ؟ اولا تسمح معرفة هذا الماضي بترديد تاريخ طويل وربط الانتاج المعاصر بالانتاج القديم ؟

ان الثقافة البشرية الحق هي الثقافة التي تمكن صاحبها من ان يجمع بين الماضي والحاضر كما تجعله قادرا على ان يربط بين حاضر الانسانية ومستقبلها حتى لايظل بعيدا عن عربة التاريخ تلك العربة التي تجرف كل ما تلقاه فى سبيلها والتي لاترحم عاجزا ولا متأخرا ولا مترددا لانها لاتتوقف ولا تتوانى ولا تتردد .

والمثقف الحق هو الذي يستطيع بقدرة تكوينه وطول باع تمكنه من المعرفة وعظمة طاقاته الفكرية والانشائية ان يعيش مع عصره ويتجاوب مع حاجيات تطوره ودواعي تقدمه . وسوف لايستطيع هذا المثقف ان يسير على هذا النهج الا اذا جمع بين العلم والعمل والذوق والتكوين والادب والتقنية . ومن هنا جاءت فائدة الدراسات الادبية كمادة علمية يختصر بها الانسان الطريق الذي يتعين عليه ان يعبرها حتى لا يبقى فى مؤخر القاطرة وحتى لايسير عليه الركب فيبقى فى معزل عن الناس وعن المجتمع فى وقت كثر فيه الترابط بين المثقف والمجتمع وعم فيه التجاوب بين الاديب والناس بفضل تعميم التعليم وتيسير وسائل التكوين وتسهيل امكانيات التربية وتذليل العقبات امام الكتاب والقراء وشبوع وسائل النشر وكثرة المطابع وتعدد الجرائد والمجلات والنشرات العلمية والثقافية والادبية ...

امام هذه الحالة الجديدة اصبحت البشرية مضطرة الى نوع من الاختيار متوقفة على نوع من التفكير العلمي مقهورة على سلوك سبيل سوي بين الادب والعلم حتى تجمع بين الحسنيين وتقوى على الاخذ بالنجدين .

صور باسمة من الطفولة الملائكية

للأستاذ : عبد القادر السميحي

« يا سلام الطفولة – ايها السكون السماوي – كاين من مرة وقفت صامتا بازائك ، متأملا في شغف عاشق ، ناشدا التفكير فيك ، غير اننا لا نملك افكارا الا عما كان رديئا حينا ، ثم اصلح شأنه من جديد مرة اخرى ، اما عن الطفولة والبراءة ، فما لدينا منها شيء . ان الطفل كائن سماوي ، وسيظل كذلك حتى اللحظة التي يموه فيها نفسه بطلاء الناس الزائف ، وهو لم يرزح بعد تحت عبء القانون والقدر ، فليس في الطفل غير الحرية .. وفيه السلام ، وهو لا يزال بمعزل عن ان يكون في شقاق مع نفسه ، فيه الثراء ، ولا يعرف انقسام الحياة .. يا لها من ايام مقدسة ، يمتحن فيها القلب اجنحته لاول مرة ، وفي توثب النماء السريع نكون في العالم العجيب كابنية الوليدة ، حينما تتفتح لشمس الصباح ، وتمد اذرعها اللطيفة الى السماء اللامتناهية » .

عن الشاعر هيلدرلن

ترجمة الدكتور عبد الرحمن البدوي

كنت يومئذ حيوانا صغيرا ، يزحف على اربع كسلحفاة ، ومع ذلك فقد كنت شيطانا يعتو في المطبخ فسادا .. وجدتي العزيزة ذات الشعر الفضي ، والوجنتين الموردتين ، كثيرا ما يروق لها ان تروي عني هذه الحكاية ، وتعيد روايتها في شكل جديد ، في مناسبة ملائمة ، والغريب انني لهذه اللحظة ، لا زلت اعتقد انني نفسي اتذكر صورهذه الحادثة ، مع ان لي ذاكرة خشبية ، لا تتذكر حتى الاشياء القريبة العهد بالحدوث .. ولا زلت لهذه اللحظة اذا اردت ان اتذكر شيئا ما ، فانه يتعين علي ان اضع اشياء ملفتة للنظر في طريقي داخل البيت ، ابتداء من غرفة النوم ، الى نهاية مدخل الباب ، فانقل جهاز الراديو واضعه وسط الصالة ، وعلى بعد نصف متر منه اضع مخدة حمراء من التل ، كرداء مصارع الثيران ، وبقربها آنية مطبخ ، وسبحة خشبية ذات حبوب غليظة ، وساعة منبهة .. فتصبح ارض الصالة ، كطريق السفر ، تنتشر على مداه علامات المرور ، من نصب الكيلومترات ، وعلامات الخطر في الطريق المنحرف او الضيق .

كل ذلك من اجل تذكر شيء تافه . واحيانا رغم وضع هذه الاشياء المثيرة ، فانني في الصباح اقف امامها مندهشا ومتسائلا : لماذا وضعت هذه الاشياء هنا ؟ لابد لكي اتذكر شيئا ما .. لعنة الله على الشيطان .. واظل حائرا اضرب اخماسا في اسداس ، واسداسا في اخماس ، فاضرب جبهتي ، فقد تكون الذاكرة اصابها خلل ميكانيكي ، في الاجهزة

« ان الاعجاب المطلق شيء مصطنع : فليس هناك من يعجب اكثر مني بافكار باسكال وخطب بوسوى ولكني اعجب بهما كمؤلفات كتبت فى القرن السابع عشر ولو ان هذه الكتب ظهرت الآن لما استحقت اكثر من ان ينظر اليها الانسان ويلاحظ وجودها ، اذن فالاعجاب الحقيقي تاريخي فقط .

ومما لا ريب فيه ان ادب القرن السابع عشر يستحق الاعجاب ولكن بشرط ان يرجع الى وسطه والى القرن السابع عشر وان لايرى فيه النموذج الخالد فى الجمال متفيهقوا المدارس الثانوية . »

ان المثقف الحق لايذهب بطبيعة الحال هذا المذهب البعيد الذي سار فيه رينان رغم انه امر ثابت من عدة وجوه لاننا سنظل نعتقد ان الادب الخالد سيبقى ادبا خالدا بجماله وقوة تاثيره فى النفوس مهما تطور العلم وازدهرت الحضارة التقنية القائمة فى هذا النصف الثاني من القرن العشرين لان الادب له طابعه الخاص ومذاقه العذب الذي يميزه عن بقية مظاهر الحضارة الانسانية . فاعجابنا بالقصة المملوءة بالعواطف البشرية الصادقة او بالقصيدة التي تختلج معانيها وافكارها العميقة بحشو حشانا سيظل قائما فى كل مرة تقف فيها على هذه القصة او القصيدة او المسرحية او مايشابههما دون اعتبار لا للزمان ولا للمكان .

والعمل الادبي لايمكن ان يفقد روعته ورونقه لمجرد مرور الزمن ، ولكن عذر رينان هو انه تكون تكوينا علميا سيطر عليه طول حياته حتى جعله يخضع كل شيء لهذه السيطرة التي ملكت عليه قلبه وغلبت على طبعه وعقله حتى اصبح يريد ان يكتفي الناس بالدراسات الادبية بدل الوقوف على المؤلفات الاصلية .

فهل ارتفع الالتباس بعد هذا على الاخ زياد ؟ وهل ادرك انه ظن الخلط حيث لاخلط والخطا حيث لا خطا ؟

نعم لقد وافقت الاستاذ الناقد على ضرورة الفرق بين الدراسات الادبية والتاليف الادبي ، وذهبت معه فيما ذهب اليه من اهداف الدراسات وغايات التاليف فهل اقتنع ، بعد هذا ، ان الامر لايتعلق بالتاليف وانه ، على العكس من ذلك ، ينصب على الدراسات الادبية المحكمة العميقة ؟ اللهم اني قد اوضحت .

الرباط — عبد اللطيف احمد خالص

وعندما رفعت الخادمة ذيل مفرش السريـــر وجدتني قابعا فى الظلام ، لا يظهر مني سوى بريـق عيني .. كبريق عيني قط سرق سمكة او شريحـة لحم ، وجرها تحت السريـر .. فأخرجتنـي .. وحملتني جدتي الى صالة الحمام ، لتخلصني من هذه المادة اللزجة التي لطخت بها جسمي بما فى ذلـــك اهداب عينـي وشعر راسـي ..

وعندما اكتشفوا نهاية اثار الجريمة فى المطبخ .. بعضهم تنهد اسفـا لضياع هذه الكمية الوافرة مـن البيض ، والتي لا شك انها سببت نقصـا ملحوظا فى مخزون المواد الغذائية .. والبعض الاخر ضـــج بالضحك المثيـر ..

ومنذ ذلك اليوم ، وحتى وانا كبير ، فـــان جدتـي كانت عندما تراني ادخل المطبخ للسطـو على فاكهة ، او قطعة خبز مع الزبدة .. تصيـح فـي :

— ابتعـد عن سلة البيض ايها الشيطـان ..

فأقول لها : هل انا مجنون ؟ مغفل .. لاكسـر البيض على الارض .. البيض يا جدتي العزيزة يحتوي صفاره على فتامين « ج » .

فتصيـح في مستغربة : شنـو كاتقـــول العايـل « طيطامين « ج » » .

فأضج بالضحـك . . .

— ليس طيطامين « ج » انا قلت لك فيتامين«ج»

فتصيح ضاحكة : الله ينزل عليك البلاء انـت والطيطامينات ديالـيـك .

الربـاط ــ عبد القادر السميحي

الادارية .. وقد حفظت قاعدة الضرب هذه من بعض اجهزة الراديو .. فى بعض الاحيان يقف الراديو فجاة عن الارسال ، فلا يعود يتكلم ، الا اذا نزلت عليه بضربة كالحمار .. ولله في بعض امخاخ عباده ، ورديوهاته شؤون .. وحين وجدت ان وضع كل هذه الاشياء لم يفد فى عملية التذكر قررت ان اضيف اليها منبها آخر ، ورقة بيضاء ، فى حجم اعلانات السينما ، ادون عليها بخط « سكوب » الاشياء التي يجب تذكرها ، واعلقها فى الواجهة الداخلية للباب ، فحين اهم بفتح الباب اجد التعليمات المكتوبة تواجه نظري :

1 — تذكر شراء امواس « جليت » للحلاقة .

2 — لا تنس ان تقفل باب الشقة بالمفتاح

3 — مر على الجزار أثناء العودة لشراء مائتين جرام من الكبد ..

4 — تأكد من انك اقفلت موقد البوتاجاز ..

واحيانا ، ورغم كل هذه المنبهات المثيرة ، فانني لا اكاد اخرج من البيت ، وانشغل بالنظر الى واجهات المتاجر ، والعربات والناس ، حتى انسى كل شيء .. لذلك قررت ان القي مسؤولية شراء الحاجيات على كاهل بواب عمارة سكنى « عمي عبده » النوبي ..

— عمي عبده

— نعم يا بيه

— والنبي ، وانت رايح على السوق ، تبقى تجبلي واياك ، واحد عيش فينو ..

— رطل اوطه .. نصف رطل لحم ضاني مشفى.

— على راسي وعيني يا بيه .. بس وانت خارج من البيت ، تبقى تفكرني ؟

— يا دهوتي .

هيه ، لا علينا ... فلاحدثكم الان عن الشيطان الصغير ، الذي ارتكب جريمة المطبخ .. حدث ذلك ذات صباح من ايام الربيع ، كان افراد العائلة مجتمعين حول مائدة الفطور ، وهم يثرثرون ، بينما اغفلوا عن وجودي .. فقد زحفت فى صمت كدودة هلامية ، عبر وسط الصالة ، ثم اتجهت الى باب المطبخ .. وفى ركن منه لمحت سلة ذهبية مليئة بالبيض فراعني منظرها ذي الشقوق الدقيقة المنفجرة .. فزحفت نحوها متطلعا اليها ، والدهشة الجمالية تملا عيني ، ثم اقتربت منها اكثر فأكثر ، حتى مسكت اطرافها بقبضة يدي اللينة .. وحاولت اكثر من مرة ان اجدبها الي ، ولكنها كانت ثقيلة بالنسبة لقوتي الرخية ، وفى المرة الرابعة استطعت ان اتشبث باطرافها ، واقف مستندا عليها ، وحين لم تقو قدماي الرخيتين على الوقوف ، جذبتهامعي ، فهوت علىالارض ، وتدحرجمن داخلها البيض .. انطلقيخرج ، ويدور هنا ، وهناك ، كفرقة « باليه » خرجت من احد اركان المسرح .. شعرت بلذة النصر ، وانا ارى امامي رقصات البيض الايقاعية ، فاهم بمسك واحدة ، فتفلت من قبضتي واضغط على اخرى فلا استطيع ، وبعد عدة تمرينات عملية موسوفة باصرار عنيد ، استطعت اخيرا ان امسك بواحدة صغيرة واضعها فى فمي .. وحين وجدت انها صلبة لا تصلح للاكل ، قذفت بها على الارض ، فانشقت وسال منها الصفار .. يا للروعة ، لقد اكتشفت ان كل هذا البيض يحتوي على هذا اللون الجميل ، اذلك انهمكت بكل نشاط فى عملية تكسير جميع البيض .. ثم اخذت اخوض باصابعي في مادة هذه الالوان .. وبعد لحظات جرت معدتي فنزلت منها مادة صفراء مشوبة بالخضرة .. ثم شعرت بسائل دافىء ينزل من بين حجري ، واختلط بهذه المواد .. ولم تفتر همتي .. كنت كفنان ساعة الوحي ، فاخذ يخلط الالوان ، ويرسم الصور .. رسمت باصابعي وقدامي عدة صور ، تعد من ايات الفن التجريدي والتكعيبي والسوريالي .. حتى ان « بيكاسو » نفسه ليعجز عن ابداع صور فنية كهذه .. ولا يقوى نقد « خروتشوف » — المشبع بالروح الايديولوجية — علىالنيلمن قيمة هذه الصورة ، وانزال قيمتها الى مرتبة من « ذيل الحمار » .. ولما سئمت من العمل ، عدت زاحفا الى قواعدي ، فعبرت الصالة متثاقلا فوق الزربية الصينية الملونة ، الى ان استقر بي الزحف تحت سرير جدتي فى الغرفة الجانبية من الصالة .. وفى هذه الاثناء تنبهت العائلة الى غيابي ، فقامت الخادمة تنادي علي .. وتبعتها جدتي .. وشيء واحد ارشدهم الى وكر المجرم المختفي ، هو هذه الاثار التي طبعتها باصابعي وقدامي على رخام المطبخ ، وزربية الصالة ، من هذه المادة العجيبة التركيب والرائحة ، المزوجة بصفار البيض ، ومعجون المعدة وسوائلها ..

ايضا على هذا المنوال ، لان المعرفة هدف يتطلب الوصول اليه استخدام العقل او استنزاف الوجدان ، ولا بد للوصول اليها اما عن طريق التعلق بالجزئيات وتسلسل المراحل والقدرة على التحليل والتركيب والموضوعية الصرفة ، او بطريق العاطفة ، والاحساس ، والمخيلة وتقمص ذلك في ذاتية صرف .

ومن نتيجة ذلك فالبشر اذا فكروا ليعرفوا ، لا بد ان يصنفوا في انواع متعددة ، ويبدوا ان هناك فريقين واضحين متمايزين نجدهما ظاهرين في المعارف الانسانية كافة .

(الاول) : اصحاب الذهن الهندسي العلمي الذي يعتمد على برهان العقل واستنتاجات المنطق .

(الثاني) : اصحاب الذهن المرهف المعتمد على الادراك بالكشف الباطن والبصيرة والحدس .

ففي الاول تكون الاراء واضحة ملموسة ، وليست في متناول الناس جميعا ، واما الثانية فتكون غامضة دخيلة وتكون في متناول الجميع ، وليس في حاجة الى بذل المجهود لادراكها وقد بسط (باسكال) الفرق بين الذهن الهندسي والذهن المرهف في كتابه الافكار Les pensées ص 63 وما تزال نظريته في الموضوع جديرة بالاعتبار .

فالفئة (الاولى) تاخذ العقل او الادراك الصرف وسيلة للمعرفة ويغلب على هؤلاء المنطق ، وعليهم عبء ما في المنطق من مزايا واخطاء ، مزية الصلابة ووحدة النظر ، واخطاء الاختلاف والتغير والتطور تبعا لنتائج التجربة المعتمدة على تطور وسائلها ، فمن هؤلاء ارسطو وابن رشد وابن خلدون وديكارت وكانت وهجل وسبنسر .

والفئة (الثانية) لا تعتمد على المنطق ومقاييسه ومفاهيمه وانما تبحث عن المعرفة ذاتها بأية وسيلة ، ويفضلون الوصول اليها عن طريق الاحساس والهوى العميق ، ومن هؤلاء افلاطون وبلاتون الغزالي وابن العربي ، والشاذلي واقبال وباسكال وجاكوبي وبوهمه وفختة .

والفرق بين الفئتين واضح ، فالاولى تعتمد على المعاني الكلية والاراء الشمولية والبراهين العقلية ، فعالمها الاراء المنسقة ، وحجتها تحليل الافكار وتجمعها ، وكأنها في مخبر علمي ، وتهدف الى وضوح الفكرة وصدق التجربة ووحدة الرأي ولا تهتم الا بما يسلمه العقل .

اما الفئة الثانية فهي ذات استنتاجات متنوعة ، شاعرة ، ومؤمنة تتجاوب مع الاحساس فتراها تنمو او تضعف تبعا لعظم الاحساس او ضعفه ، ولا تستطيع ان تنقل نفسها للغير وانما على كل واحد ان يعتمد على تجربته الشخصية .

وكما يظهر الفرق بين الفئتين من وجهة المعرفة الفلسفية يظهر واضحا كذلك من الوجهة الاجتماعية والاخلاقية ، فالفئة الاولى تعتمد على القانون في تنظيم المجتمع ، والثانية تعتمد على الاخلاق ، والفئة الاولى تقيم المجتمعات على اسس قانونية مدروسة من تجاوزها تجاوز حدوده ، يترصد به القانون ليحاسبه ويعاقبه ، اما الفئة الثانية فتعتمد على التصوف الخلقي ، حيث تشجع الفرد على ان يعود نفسه استحضار القوة الالهية لتراقبه في سره ونجواه .

والمعارف الاسلامية الاجتماعية تضم بين العنصرين تعاليمها ، حيث تسمى مجموعة المعارف (بالشرعية) ليدخل فيها عمل القانون الوضعي وعمل الاخلاق والتنظيمات السماوية ، على ان كل فئة ترتكز على ما يناسبها ولهذا طفح المجتمع الاسلامي بالفقهاء ذوي الاحكام الفقهية والفتاوي القانونية ، ورجال التصوف الذين يغمرون اتباعهم بمحبة الله والسير في طريقه المعبد ، فالتصوف يقابل القانون ، والمجتمع انما يسير بالاتجاهية ما داما غير مبالغين ولا متطرفين فاذا تطرف احد الاتجاهين اصبح مخالفة تستوجب النكران ، ويظهر ذلك واضحا في قصة الحلاج الذي بالغ في شطحاته ، فوضع نفسه ضد السلطة الاجتماعية وعرض المجتمع لفوضى اخلاقية ففشل سنة 309 وفي قصة عن القضاة المعتزلة 525 كما يظهر في الموقف القانوني الصرف الذي يتنكر للاخلاق وسلطة الضمير الديني والاجتماعي فيتعرض لنقمة المجتمع .

ويمزج الاسلام بين الفئتين فيما يسمى (بالشريعة) التي هي ليست الاخلاق الصرفة ولا القانون الصرف ، وانما هي مزيج بين الاخلاق والقانون ، فمواد القانون الاسلامي لا تفصل عن الاخلاق ، فيلاحظ مثلا في (الزواج) و (الطلاق) و (الميراث) كيف ان القوانين ليست صارمة فحسب ، بل هي تمتزج بالوعظ والاخلاق ، فالزواج مبدأ يجب تقريره في المجتمع ، ومن استطاع الباءة فعليه بالزواج والا فعليه بالصيام ، والتناسل ضروري لتكاثر المجتمع ، وفي الطلاق تلاحظ مبدأ بغض الطلاق عند الله ، كذلك في الفرائض الاجتماعية كالزكاة تتخللها توجيهات خلقية صارمة ، كما ان الصدقات ، والهبات تصبغ في نفس الوقت بتقنينات قانونية ، وبذلك يجتمع القانون والاخلاق فيما يسمى (بالشريعة) التي هي صورة اجتماعية متكاملة لحياة الامم ، تظهر فيها صور العدل وطريقة حفظ التوازن ، وهي تعبر عما وصلت اليه الحياة فيها من تطور اجتماعي وادراك جماعي للمسؤولية .

ويمكن في الاسلام وضع خط فاصل بين ما هو مبدأ اخلاقي ، وما هو قانون اجتماعي حتى يضع الانسان حدودا بينهما ، نعم وضع علماء التشريع مبادىء لتحقيق ملاءمة بين التطور الاجتماعي والشريعة الاسلامية تستند على الاجماع والقياس والاستحسان ، وهي في الواقع تشمل الاخلاق والقانون وتظهر في تطبيقات الزكاة والصوم والحج والمطبوعة باوامر لا يسودها تغيير ، كما يظهر بالاولوية في مسائل القانون الذي

المعرفة في الإسلام

للأستاذ: الحسن السائح

بدأ الاسلام نقطة انطلاقه من وجوب ادراك الحقائق
معرفة) التي ترادف العلم ، وان كانت تشمل ما يدرك
ليم وما يدرك بالتجربة الذاتية ، حيث ينتهي جميع ذلك
تكوين معارف شؤون الحياة كلها .

وبما ان الانسان في حاجة دائما لمعالجة مقتضيات الحياة ،
ورة تفرض عليه ان يتعلم ويعرف ، وان يطور معرفته
دائما الى الاكمل والاحسن فهو ينقب بفكره عن المشاكل
غلات ليواجهها بصراحة .

وبما ان الانسان ياخذ معارف السابقين ليركز على
ا تجربته ، او ليزن مقدار فهمه وعمقه لادراك الاشياء
ار عمق تفكير من سبقه ، فهو بطبيعة الحال يعتقد مسلمات
بيل لمناقشتها بل يجب عليه فهمها واستيعابها كما يعشق
تتغير وتتبدل لانها في حاجة ماسة الى التطور ... وقد
ت المعارف المكتسبة بالتجربة واخذت تعطي من السلف
ف على اساس اخذها مسلمة ومناقشتها من لدن الاكفاء او
سمون في الاسلام بالمجتهدين .

وضمن الاسلام بطريقة الصدفة الزمانية ظهور مجددين
ء من عباقرة الفكر الاسلامي يتداولون المعارف الماضية
يدها وتركيزها من جديد .

وان من الطبيعي ان تكون هناك معارف مسلمة تدرس
مدرسية كما هو الشأن في تاريخ الحضارات الفكرية
ية .

وهناك معارف في مناقشة دائمة واذا كانت العقيدة
الامية نفسها بدأت بتحرر العقل ، فهي تنكر الجمود لخطره
طبيعة المعرفة ذاتها وجمود المحترفين لتحجير الافكار كان
اساسيا لقتل كل محاولة تجديدية في التفكير استنادا على
ف من التحريف .

وفات هؤلاء البسطاء ان الجمود هو اساس التحريف ، وانتهى بهم ذلك الى فصل (المعارف) و (التعليم) عن الثقافة فأصبحت الدراسة تنتج متعلمين عارفين لا مثقفين واعين ، لضرورة حرية التفكير في الثقافة ، وبذلك اصبحت المعرفة مجموعة من المعلومات التي تداولها الناس ، لا ما يجب ان يكتشفه العقل ويعرفه الانسان ، كما اصبحت مجموعة ما يروي وما فاته المتقدمون ، لا ما يواجه معضلات الفكر المتجدد وشاع على العلمين المتأخرين محاربتهم للحوار والنقاش امعانا في تعطيل الفكر وتنويم المواهب وبذلك فقد الفكر ديناميكية العمل ، وخمد الذكاء الذي لا يمكن ان يواجه القضايا الا بحرية، وكانت بداية ظاهرة غير مسايرة لنقطة بداية الاسلام ... واذا رجعنا الى نقد المعرفة في الاسلام عن طريق التحليل الفلسفي فيجب ان نشير الى ما تعارفت عليه المدارس الفلسفية من ان المعرفة انما يمكن الوصول اليها اما عن (طريق اليقين ، اي مذهب اليقين (Dogmatisme) او ما يمكن ان يسمى بالمذهب الواقعي (Réalisme) ، وهو يرى ان المعرفة مستمدة من الخارج ، اي من الاشياء الخارجية عن الذات .

واما مذاهب المثال : (Idicalisme) حيث يرى انها تنبعث من الفكر الخالص ، اي تكونت داخل الشخص المفكر .

ومن جهة اخرى يختلف تطبيق مبادئ علم المعرفة على شؤون الحياة العملية سواء في ميدان الميتافيزقي او الاخلاق او الحقوق .

ففي الميدان الفلسفي يظهر ان الحقائق التي تواجهها في الحياة المتطلبة بحلها عن طريق معرفتها ، يعالجها الفكر بطريقتين ، اما ان يستخدم عقله وتفكيره لتحليلها ومعرفتها وذلك بلم شتاتها واشباهها ومحاولة وضع مقياس فكري خاص يتفق فيه مع جميع المهتمين بقضية المعرفة .

وهذ هي الطريقة العقلانية ، واما ان يسلك الطريقة الوجدانية الذاتية وهي المعرفة الصوفية المركزة على التلقينات والمعتمدة على الحدس والبصيرة ، وضروري ان تكون المعرفة

بالميتافيزكيا أي الفلسفة الاولى ، والفلسفة عبارة عن دراسة الحكمة التي ليست هي التبصر في الامور فحسب وانما هي معرفة نظرية كاملة ناتجة عن طريق العقل والمبادىء وكما نص القرآن (على التدبر والتأمل) فقد وجد ديكارت نفسه مضطرا لان يشك اي يصطنع الاناة ويرفض التصديق ولو كان منهما شديد الرجحان ما لم يتبين بالبداهة يقينه وذلك ليتخلص الانسان من ظروف الاحكام السابقة ويتجرد عن الحواس ، حتى يصطنع الاداة الصحيحة للمعرفة ، والواقع ان شك ديكارت كانت فرضية عرضية لا يمكن ان تواجهها البديهيات ، اما المنهج القرآني (هو التدبر) الذي قد يكون شكا اتجاه بعض الفرضيات وقد يكون رفضا ، وقد يكون اقل من ذلك (فالتدبر) اقرب الى مسايرة المنهج العام للعقل البشري ، والتدبر في القضايا هو عين ممارستها ، او بالاحرى هو معاناة تجربتها ، فالتجربة في الاسلام والتدبر متساويتان وتلك هي بداية المعرفة ويرجع الفضل للقرآن وحده في اعطاء المعرفة صبغتها العقلانية باتزان لم يباعدها عن التجربة النفسية والروحية ، فالمعرفة مفروضة على عقلنا من تجربتنا وبالاحرى من ذاتنا ، ومحكها هو النواميس الخالدة المستمدة من التعاليم الدينية ، فكانت هذه التعاليم تشابه في الفلسفة الاغريقية عالم المثل الافلاطوني ، فعقلنا في الدين الاسلامي متجرد باحث عن الحقيقة ، ولكنه في نفس الوقت متجه الى صوابات التعاليم القرآنية التي يجوز انا بل يجب علينا فهمها ، فهما عقلانيا ، حتى لا تكون مملاة علينا، والحقيقة ان الاسلام دعا العقل الى المعرفة ، وخط طريق هذه المعرفة في التجربة والتعلم .

والمعرفة في الاسلام هي كل ما يجب معرفته لا ما عرف ونجمد في الكتب ، اي ان الاسلام يريد عقلا شغوفا بالمعرفة والبحث فدينا ميكيته لا تعمل الا بالحجة واليقين ، وبذلك توجد بنفسها نقط ارتكاز فكرية ومع الاسف الشديد فالمعرفة جمدت عند كثير من المسلمين ، فيجب ان تكون ثورة في مفهوم المعرفة ذاتها لان المعرفة في الاسلام كما قلت معرفة ما تجب معرفته ويقتضي ذلك التنقيب عن المجهول ، وتطوير ما هو معلوم ، فكل معلوم يتعرض للتبديل والتغيير حسب تطور الفكر وما يعتمد عليه الفكر ، وجمودها يظهر في فهم المعرفة في تجديدها على انها تكديس ما هو معلوم وشرح ما هو معروف ، وبذلك فقد التفكير عنصر الحركة ، وعند ما تتقدم الحركة الفكرية تعرض الفكر للجمود والمعرفة للركود ، حتى يصبح من البديهي خنق النشاطات الفكرية ، وقد ظهر هذا في اصطلاحات الفقهاء وبعض المحدثين الذين لا يهتمون الا بروايات المتن وعدم دراسته رغم ان المفكرين المسلمين كابن خلدون ـ والغزالي اثاروا الانتباه الى خطر هذا الجمود على الاسلام ، ولا يستطيع مؤرخو الحضارات الانسانية ان يتجاوزوا عن طريقة المعرفة التي انبثقت منهجيتها عن القرآن مباشرة من غير تسلسل في تاريخ الاديان ، وتلك هي المعجزة وقد ظلت المعرفة (كما رسم الاسلام خطها) عاملا تقدميا لتطوير الحضارة الاسلامية ، فالمعرفة القرآنية التي هي ممارسة التفكير الصرف لينسجم مع المعطيات الخارجية بصورة استقرائية مستندة الى مقدمات تحققت بالتجربة وقورنت بمثل التعاليم الاسلامية ، هذه المعرفة بقيت النموذج الصادق المحتذي في التفكير الاسلامي كما بقيت نموذجا صادقا للتفكير الانساني ، وبهذه المعرفة الفطرية المنطقية في نفس الوقت استطاع الغزالي ، ومحمد عبده ، واقبال ، ان يواجهوا تطورات الحياة وما يثيره الفكر من مشاكل في مختلف العصور والبيئات مستمدين قوة حجتهم وسلامة منطلقهم من النموذج القرآني ، وما نزال الى عصرنا هذا نعتز بهذا النموذج ، وهو في الواقع يتفوق على التفكير الغربي المعاصر لانه بدأ من نقطة سليمة مركزة ، اما التفكير المعاصر فهو حصيلة تيارات عديدة وتجارب متعددة في الاجتماع والاقتصاد ، وما وراء الطبيعة تتنافر لاقصى حد ، فهي تارة متولدة عن عقلية مسيحية مغرقة في الخيال ، والبعد عن الواقع الحياتي لا تشد صلتها بالانسان الا بحبال واهية ، وهي تارة عقلانية صرف وتجريدية ملحدة ، لهذا فهي متنافرة والفرق بين معرفة الغرب ومعرفة الشرق ، ان الاولى معتزة بنفسها مسلحة بالعلم قوية في تعبيرها معتمدة على عناصر ذات فكرة متحركة ، اما الثانية فهي رغم قوة منطقها مهلهلة الشخصية محتشمة لا تجد من يومن بها متعصبا ، ولا من يساند حججها بالفلسفة والمنطق ، ولا من يخاو غرضها في تعبير حي اخاذ ، ولولا بديهيتها وقوتها وسلامة منطلقها لعفى عليها الزمان ، وهكذا وهنت المعرفة الاسلامية لانها لا تجد مجالا حيا ، اما المعرفة الغربية فقد استطاعت ان تحلل وتتشمل وتتموضع اي استوعبت اساليب العلم وبذلك تجددت واستمرت .

ان المعرفة الموضوعية يمكن للجميع ان يعرفها ، والفكر يستطيع ان يعكس اثر صور المادة الموجودة في عقولنا بصورة تكاد ان تكون مستقلة عنا اي ان يصلنا بالحقيقة المطلقة التي هي مجموعة من الحقائق المعتمدة على التجربة والعلم .

وهذه الحقيقة هي ينبوع المعرفة ، (المعرفة) التي تستحيل الى ثقافة واعية مطبقة اجتماعية ومفهومة من الجميع فهما سليما .

فالمعرفة يجب الا تنعزل عن طبيعة الانسان الاجتماعية والفردية والا كانت تنقصها التجربة فهي وليدة الاحتكاك والتطبيق ، واذا كانت طرق المعرفة اما عقلية لا تؤمن الا بمنهاج العقل وتفسير الاشياء تفسيرا ميكانيكيا آليا ، واما تجريبية ذاتية تعتمد على الاحساس وحده ، دون العقل فانالواقع ان (الانسان) يجب ان يعرف بعقله وبحسه معتمد ايضا على تاريخ التجربة الانسانية ، فالنظرة العلمية تؤكد ان وجود الواقع مرتبط بالاحساس ، فالواقع اولي والفكر والاحساس من نتائج الواقع الخارجي المفهوم بهما والانسان يفهم بطريق العلم

هو عرضة للتعديل ، وفي تغير الظروف للتاريخ (التحرك الديني) ومن هذه الوحدة في الشريعة عسر فصم الدولة عن الدين في الاسلام واصبح ضروري (تدين الدولة ، كما ان هذه الوحدة الاجتماعية وحدت بين المعرفة الفلسفية والاخلاقية والقانونية في عقلية المسلم ، الذي يدعوه الاسلام الى مبدأ (التوحيد) ومعرفة التوحيد ، والايمان به ، سواء في المسائل ذات الاتصال بالعقيدة (الالهية) ، او ذات الاتصال بالاخلاق والقانون ليتم الانسجام في شخصية المسلم .

وعلى هذا الاحساس فالدين ليس طريقه الى المعرفة ، وانما هو المعرفة ذاتها وهو نظام متكامل ، لا يعتمد على الشعور والبصيرة ليست بين الحقيقة ، وموضوع معرفته تحديد الحقيقة ، وبيان رسالة الانسان ، وهو يسلك طريق القلب وطريقة العقل معا ويأخذ من الطرفين والمعرفة الدينية ليست شعورا بالحقيقة وانما هي شعور وشرح وتوضيح ولان المعرفة قائمة الذات يعرفها الانسان بواسطة العمل المسلم فكل فرد يولد على (الفطرة) قابلا ليكون نموذجا صالحا وليتحمل عبء ما سبقه من الاحداث البشرية ، وطبيعي ان الخصائص البيولوجية والفسيولوجية الوراثية مهما كانت عظيمة الاثر في تكوين الانسان ، فهي لا تجعله (قابلا) لتحمل عبء الخطيئة الانسانية على نهج بعض المذاهب القديمة ، ويقول النبي عليه السلام (كل مؤمن يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) . . . (الفطرة) تجعله كاللوح الابيض قابلا لتحمل كل ما يكتب عليه او (كالعجين) يتكيف كما يريده صاحبه ، وهذه الاستعدادات الفطرية او الغريزية تجعله انسانا مسلما والاسلام كدين يعطى لكل ذي كفاءة ما يمكنه ان يتحمل من التعاليم ولكن لهذه التعاليم وحدة متناسقة لا يظهر فيها فرق بين انسان وآخر ، مهما اختلفا فكريا وجسميا ووجدانيا ، ونحن نرى في المجتمع الانساني المسلم ذلك الفيلسوف العظيم بجانبه ذلك الرجل الساذج تحت قبة المسجد يتفاهمان كأشد ما يكون التفاهم ، ويمكن ان نلخص المعارف الاسلامية في نظرية الاسلام ، (للانسان) الذي تنبع منه المعرفة وتخدمه (فالانسان) في الاسلام ارقى المخلوقات واسماها ، ذو مواهب عظيمة ، واستعدادات متناهية فاذا استطاع ان يسمو بنفسه ومواهبه واستعداداته كان اسمى المخلوقات واذا قصر في جهوده او اضاع مواهبه اصبح اكثرها شرا ، ولذلك تقول الآية الكريمة : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » ، فالانسان خلقه الله وقد توفر على عناصر الكمال، في وسعه ان يصل بمواهبه العقلية والوجدانية الى الخلود ، وهو في نفس الوقت رد الى اسفل سافلين ، الى مكانة احط من مكانة الحيوانات بما يقدم من شر ماحق وافساد متلاحق وهذا الاستعداد لتحمل مسؤولية العمل الانشائي قد تحمله الانسان وحده ، وقد بسط القرآن الكريم ذلك بقوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها، واشفقن منها، وحملها الانسان، انه كان ظلوما جهولا) فالانسان تحمل الامانة في الارض ، امانة تحقيق العدل والخير والسمو ، ليصل بنفسه وبعناصر الحياة الى درجات سامية ، فعليه ان يعرف مكانته في الكون ليكون عنصر الرشاد لا عنصر الضلال، فقد خلق الله الروح الانسانية وجعلها قابلة للسمو او للانحدار فقال تعالى : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » وبم تكون النفس سامية الا بالعمل الصالح ؟ ثم بم يكون انحطاط النفس الا بعدم كفاحها ضد وساوس الشر ، وامارات النفس الامارة بالسوء ؟

ان الانسان في الاسلام ، عنصر تام الاستعداد للبناء والتسامي اذا استجاب لدعوة الخير ، وبم يستطيع الانسان ان يستجيب لدعوة الخير ؟ لقد زود بحاسة التفكير ليكون متطلعا الى الكمال وبحاسة الوجدان ليتطلع الى المعروف والحسنى ، فقد جعل في الاستعداد لتقبل اعلى المراتب الروحية العليا ، ولذلك نصت عدة آيات قرآنية ان الله خلق الانسان ليكون في الارض خليفة ، كما نصت احاديث شريفة ان الله (خلق آدام على صورته) . فهذا الاكرام في الخلق هو وسيلة ترقية الانسان اذا ادى امانته احسن الاداء ليكون النموذج الكامل للاتحاد بالمثل العليا ليصل الى اعلى درجات الكمال ، واذا كانت هذه النظرة الدينية صادقة من خلال كلمات القرآن الخالدة ، فالفلسفة المعاصرة تؤيدها ، ويقول الفيلسوف (برجسن) ان الحياة كانت في اوليتها تشبه المادة في جمودها فكانت تظهر في النبات ولا شك ان النبات اقرب في خصائصه الى الجمادات لاستحالة سعيه وحركته ، ولكن الحياة في النبات لم تلبث ان نشدت الحياة المتحركة فانطلقت من النبات في شكل الحيوان الذي زودته الحياة بشتى الاعضاء التي يمكنها ان تحقق شيئا من الحركة ، ولكن سمت لتحقيق حرية الخلق الفكري في الانسان ، فالانسان هو هدف الحياة ، وهذا الانسان اخذ يصفو ويجاهد بمواهبه لتحقيق الخلود ، والتغلب على الموت ، وسوف يخلد الانسان لانه جزء من الحقيقة الكبرى .

هذه نظرية الفيلسوف (برجسن) التي شرحت التفكير الاسلامي في (الانسان) من طريق بحث فلسفي محض لا يعتمد الا على العقل ، وهكذا ادعمت الفلسفة الجديدة نظرية قرآنية خالدة ، واذا رجعنا الى اصل المعرفة الحق وهي التي تحقق وعي الانسان لذاته ولمكانه في العالم واعطاء معتقداته افكارا واضحة متميزة فلن يكون الانسان عنصرا واعيا ايجابيا ما لم يكن معتمدا على اسباب صحيحة عنده وعند الناس اجمعين ، ولن يصل الانسان الى ذلك ما لم يبحث عن الحقيقة بداهة العقل وبوضوح ينتفي معه كل شك .

وقد استطاع الفيلسوف ديكارت في (تاملات في الفلسفة الاولى) ان يثبت براهن عقلية مجردة وجود الله وخلود الروح عن طريق المعرفة العقلانية وحدها ، واستطاع ان ينصر العقيدة والدين ببراهن قاطعة اخرست السنة الملحدين ، ولم يستطع ديكارت ان يخرج عن المنهاج القرآني فقد بدأ فلسفته

اسس التربية السليمة

للأستاذ : العربي الزنايدي

اذا كان الانسان يعيش فى مجتمع ، فليس هو الكائن الحيواني الوحيد الذي يعيش على هذا النمط من الحياة ، فهناك فى مختلف رتب واجناس المملكة الحيوانية كائنات تعيش فى مجتمعات ، اقربها الى الاذهان دائما النحل والنمل والقردة . الا ان المجتمعات الحيوانية غير الانسانية تتميز بالتشابه فى اساليب معيشتها ، ويرجع ذلك الى انها تنظم حياتها على اساس سلوك غريزي فطري مستخدمة فيه ما لديها من تركيب فسيولوجي، وقد نلاحظ بالنسبة الى الحيوانات الثديية كالقردة ان هناك قدرا من التعلم يتم بين الصغار والكبار ، ولكن هذا التعلم يقوم على اساس التقليد والمحاكاة والخبرة المباشرة وليس على اساس انتقال الخبرة عن طريق الاتصال اللغوي او استخدام الرموز ، فالقردة الام يمكنها ان تساعد وليدها على ان يمشي ويتسلق عن طريق الخبرة المباشرة ولكنها لا تستطيع ان تحدثه كيف ينبغي ان يتعلم المشي او التسلق ، او تخبره بما نتمناه له من مستقبل او ما يجب ان يتحلى به من صفات ، لهذا فان تعلم الحيوان غير الانسان لا يعتمد على تراكم الخبرات وانتقالها ، وانما يقتصر على اكتساب خبرات فردية مباشرة فى مواقف معينة وفى جيل واحد .

اما المجتمع الانساني فان تحديد طريقة معيشته واسلوبها لا يعتمد على هذه الدوافع او الغرائز الفطرية ، وانما يعتمد على ثقافة المجتمع السائدة . والثقافة هنا لا تعني تلك الميول او الصفات التي تميز الشخص المتعلم عن غيره من بقية افراد المجتمع ، وانما يقصد بها تلك الاشكال المختلفة من السلوك والتفكير والمعاملات التي اصطلح عليها افراد المجتمع فى حياتهم والتي تميز حياتهم عن حياة غيرهم من المجتمعات الانسانية والتي تتناقلها الاجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي لا عن طريق الوراثة البيولوجية ، هي اسلوب المعيشة الذي تتعلمه الاجيال الجديدة من اجل الوراثة السالفة عن طريق المواصلة اللغوية والخبرة بشؤون الحياة والممارسة ، ويدخل فى اسلوب المعيشة ــ بطبيعة الحال ــ كل ما يتعلق بطريقة حصول الانسان على قوته ، وكيفية تعامله مع غيره من الناس ، وانواع القيم والاتجاهات المختلفة التي يحرص المرء على التمسك بها ورعايتها او على نبذها والتنكر لها .

هذه العملية الاجتماعية الخاصة باكساب الثقافة الى اعضاء المجتمع الجدد تعرف باسم التنشئة الاجتماعية او التربية كما افهمها . وغير خاف ان الثقافة دائمة التغير بما تضيفه اليها الاجيال الجديدة من خبرات ادوات وخبرات وقيم وانماط سلوكية والفاظ لغوية ، وكذلك بما ينتج عن اسقاط تلك الاجيال نفسها لبعض الخبرات القديمة التي لم تعد تتلاءم وظروفها الاجتماعية التي تحياها ، اذن علينا الا نفهم ان عملية التربية تشمل طرفين احدهما موجب له الامر والنهي والغلبة وذلك هو المربي ، وثانيهما سالب وظيفته أن يتلقى من ملقنه ليس الا ، كلا ، ان عملية انتقال الثقافة او التربية تتضمن عنصر الانتقاء والاختيار والغربلة والتغيير من لدن الاجيال الصاعدة ، والملاحظ ان التغيير الذي يلحق الثقافة يختلف سرعة وابطاء بحسب الاحوال الاجتماعية : فهناك ثقافات سريعة التغير كما هو الامر فى المدن

والفن اما بالمعلم بطريقة التعريف والتجربة واما بالفن بطريق الاحساس وبالصورة .

لقد اشتغل علماء الاسلام كثيرا بشرح طريقة المعرفة ، وهم موزعون بين مذهبين :

(الاول) المذهب الفلسفي الاسلامي الذي يرى ان في الامكان ان يصل الانسان الى معرفة الحقيقة الدينية الاسلامية التي هي المعرفة السليمة اذا كان ذا موهبة واستعداد فطري وهذه نظرية ابن سينا وابن الطفيل ، فابن سينا يؤكد فيما قدمه لنا من بحث في الاستعدادات الفطرية ما يدل على ذلك .

كما ان ابن الطفيل شرح في قصته الفلسفية حي بن يقظان ان الانسان يستطيع ان يصل الى ادراك الحقائق ولو كان قد نشأ في عزلة تامة غير محتمل لاي اثر من غيره الا اثر العقل الفعال الذي يثير تفكيره ، ويشترط ابن الطفيل ان يكون هذا الانسان مستعدا لذلك بما وهبه الله من ذكاء فطري كحي وصديقه اسال به رواية (حي ابن يقظان) على الفرق بين حي هو انه وصل الى المعرفة بطريقة التأمل الذاتي اما اسال فقد زاوج بين الحكمة والدين في كونه تلقى المعرفة الدينية اولا بطريقة المحاكاة والدين ثم بطريق التأمل ثانيا ، على ان هناك من الناس من لا يستطيع ادراك المعرفة اذا قصرت مواهبهم كسكان الجزيرة في قصة حي ابن يقظان .

والفرق بين ابن الطفيل وابن سينا في طريق تبسيط نظرية المعرفة هو ان ابن الطفيل كان واقعيا في بحثه . اما ابن سينا فكان منهاجيا اي انه استمد آراءه من العقل الذي فارق بينه وبين الواقع كما فعل ديكارت من بعد ، اما ابن الطفيل فقد نقل لنا صورة من الحياة يستنتج منها ان المعرفة الدينية الاسلامية يصل اليها الانسان بطريق التأمل الذاتي وهو الاساس الذي بني عليه تأليف قصته حسب رأي الدكتور غلاب .

اما المذهب الثاني ، وهو مذهب علماء الكلام ، والفقه فهم يرون ان الانسان لا يصل الى معرفة الدين الا بطريق وصول الدعوة وتبليغها اليهم من طريق الرسول عليه السلام ، لهذا كان من واجب الرسول التبليغ .

ومن واجب التكليف بأوامر الشرع بلوغ الدعوة ، والتكليف بوصول الدعوة شرط اساسي ينبني عليه الثواب والعقاب ، فالانسان غير مكلف ما لم تصله الدعوة الدينية . التي من المعارف الموجهة .

الرباط ـ الحسن السائح

البادى اظلم

اشتد المطر يوما ، حتى تحولت الازقة الى برك وخلجان ، وفيما الاعمش واقف اقترب منه احد الشيوخ ، وقال له :« اعبر بي » ثم اعتلى ظهره ، فلما سار الاعمش قال الشيخ : « سبحان الذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقربين » فسكت الاعمش ، حتى توسط به الخليج فقذفه وقال : « وقل رب انزلني منزلا مباركا ، وانت خير المنزلين » .

السياسية ان يقصى عن الامارة وهو رضيع ، فحبس في كهف مظلم ، ولم يمكن احد من الاتصال بـــــه، حتى انه لم يكن يرى وجه من كان يقدم له الطعام ، وعندما اطلق سراحه كان قد بلغ من العمر سبعـــة عشر عاما ، ولكنه كان كالطفل الصغير في عقليتـــه وسلوكه وحركاته ، ولما حاول السير في شوارع مدينة « نورمبرغ » سنة 1828 لم يستطع المشي الا بصعوبة ، ولم يكن يعرف من اللغة شيئا ، كما انه لم يستطع فهم ما يدور حوله ، او معرفة ما يراه من اشياء او مـــا يستعمله الناس من ادوات او ما يلبسونه من ملابس .

ومن اغرب الحالات التي سجلت حالة تلك الطفلة التي عثر عليها في الهند سنة 1920 ، في مغارة ذئاب ، وكانت في الثامنة من عمرها ، واطلق عليها اســـم « كمالا » ، وعاشت بعد ذلك تسع سنوات ثم توفيت ، وقد سجلت حياتها في السنوات التسع التي امضتها في مجتمع بشري ، عند العثور عليها كانت لا تعـرف لغة ما . بل كانت تحدث اصواتا كعواء الذئاب ، وكانت تمشي بخفة على يديها ورجليها وتجري بسرعـــة فائقة كالذئاب ، كما كانت تجفل من البشر كاي حيوان غير مستانس ، وكانت تأكل اللحم النيء ، وتنـــام بالنهار ولا يغمض لها جفن بالليل ، وهكذا كان سلوكها كسلوك الوحوش تماما .

ان التربية كظاهرة اجتماعية ، نجـد انهـــا تستمد وجودها ولزومها للانسان مـن صفتيـــن اساسيتين متصلتين بالانسان ومجتمعه وكامنتين في ثقافة هذا الانسان وما يوجده او يبتدعه من معارف :

الصفة الاولى : ان الانســـان ، حينما يولـد ، يكون على درجة من الضعف لا تمكنه مـن مغالبـــة الصعوبات التي تعترض سبيله ليستطيع البقاء فهـو عاجز عن الوفاء بنفسه لنفسه بحاجياته الاساسيـــة ، حاجته للغذاء او للحماية او للنظافة ، وعلى ذلك اذا لم يعط هذا الانسان فرصة لان يربى ويعتنى به طـول فترة طفولته الطويلة بطبيعتها تعرض للهلاك .

الصفة الثانية : القابلية للتعلم والنفاذ بفضـــل الجهاز العصبي المركزي الذي يتوفر عليه الانسان دون غيره من الحيوانات الاخرى مما يجعله قادرا على التخاطب بلغة يمكن ان تكون وسيلة جيدة في الاتصال بين افراد المجتمـع .

ورغم هذا التعريف الواسع الذي اعطيناه للتربية ، فان اهم عملياتها وابعدها اثرا في شخصية الانســـان تقع في مراحل العمر الاولى ، والعبء الاكبر هنا ملقـى على عاتق الاســرة . فالاسرة هـي الوســط الاول والضروري لتربية الطفل ، ذلك المجتمع الصغير الحي ذو وظيفة تهدف نحو نمو الطفل نمـوا اجتماعيـا ، ويتحقق هذا الهدف، بصفة مبدئية ، عن طريق التفاعل العائلي الذي يحدث داخل الاسرة ، والذي يلعب دورا هامـا في تكويـن شخصية الطفـل وتوجيه سلوكه . وبقول ءاخر ، فان علاقة الطفل بوالديه واخوته تنشأ عادة في محيط الاسرة ، وهذا ما يدعونا الى القول بان للاسرة وظيفة اجتماعية هامة ، اذ هـي العميل الاول في تطبيع الطفل اجتماعيـا .

وقد اعطيت في السنوات الاخيرة اهمية قصوى للتربية في مراحل الطفولة الاولى ، حتى ان مدرســة التحليل النفسي ، بزعامة العلامة الشهير سيغمونـد فرويد « 1856 ــ 1939 » ذهبت الـى ان الطفـــل يتأثر بخبرات السنوات الاولى من حياته بشكـــل يصوغ شخصيته التي قد يحملها معه مدى الحياة ، والتي تعكس نفسها على مشاعـره وعواطفه وافكاره وسلوكه واعماله تجاه كل شيء في جميع اطـــوار وجوده ، ولقد نجحت هذه المدرسة الجريئة الى حـد كبير في رسم صورة جلية لحياة الطفل منذ ان ينشأ الى ان يصل طور المراهقة ، وبينت كيـف يتفاعـــل الطفل ــ خصوصا في السنوات الخمس الاولى التـي تهتم بها مدرسة التحليل النفسي كل الاهتمام ــ مـع مختلف العوامل التي تحوطه ، واهمها والداه ، سيما الام الاكثر اهمية في بدء الحياة ، تفاعـــلا يتـرك في نفسه اثرا عميقا قد يلازمه بقيـة الحيــاة .

وما كان الاهتمام الكبير بالسنوات الاولى مـــن حياة الطفل امرا جديدا في الفكر الانساني ، بل نجد ان عددا من الفلاسفة والمصلحيـن الاجتماعيين القدماء اولوا هذه السنــوات عنايتهم القصوى ، ولكن الشيء الجديد هو ان مدرســة التحليل النفسي حاولـــت ان تدلل على اهمية تلك السنوات تدليلا اقرب مــا يكون الى التدليل العلمي القائم على الملاحظة والاستقراء كما رامت تبيان القوى الفعالة في حيـاة الطفل منـذ نشاته ، وكيف تتطور ، وكيف تعين شخصيته عـــن طريق تفاعلها مع محيطه المباشر ، وعلى كل ، فهـذه المدرسة كشفت النقاب على ان حياة الطفل ليسـت بحياة بيولوجية صرف لما حددته من الخصائـــص النفسيــة في هذه المرحلــة .

وهناك اختلاف حول تحديد فترة الطفولة تبعا لطبيعة الموضــوع الذي يدفعنـا الى الاهتمام بالطفل ،

والمجتمعات الاكثر اتصالا بغيرها ، ويسمي علماء الاجتماع الثقافات السريعة التغير بالثقافات المتحررة، أما الثقافات البطيئة التغير فيطلقون عليها اصطلاح الثقافات المقدسة كثقافات المجتمعات المنعزلة .

فالتربية اذن هي عملية عامة لتكييف الفرد ليتمشى وينسجم مع تيار الثقافة التي يعيش فيها ، هي، عملية تحضير الفردوادخال عناصرمدنيةمجتمعةفيذاته المفكرة ليرقى الى المستوى الثقافي العام ان لم يتجاوزه ، وبهذا تصبح التربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لاستعشار افراده وتنشئتهم على ارتضاء العيش سويا في كنفه في سلام .

وقد يتطرق الى ذهن القارىء الكريم ان هذا الفهم «الاجتماعي» للتربية يعني الحد والاقلال من حرية الفرد ، وهذا بالذات ما كان يراه بعض فلاسفة التربية وعلى رأسهم جون ديوي في كتابه « التربية اليوم » . والواقع ان هذا الاعتراض لا اساس له اذا ما وقع الاعتراف بقدرة الانسان على التفرد الذاتي والابتكار والانتقاء ، وبحقه الضروري في ذلك ، هذا بالاضافة الى ان الهام في تكوين اي فرد هو مدى انسجام الشخصية الاجتماعية لهذا الفرد بالنسبة للافراد الاخرين في المجتمع في حدود ثقافة هذا المجتمع اي في نطاق تلك الاتفاقية القائمة بين الناس والتي من شأنها ان تحفظ لهم كيان مجتمعهم وتواجدهم بعضهم مع بعض .

بهذا تكتسي التربية الصبغةالتي نرجو لها، اذ لاخير في تربية تنأى عن تكوين اتجاهات اجتماعية خلقية تساعد الفرد على الانسجام مع غيره من مواطنيه ، وعلى التعامل معهم بنجاح كالقدرة على التعاون والمثابرة والشجاعة وتحمل المسؤولية والرغبة في العمل بجد واجتهاد ، فتلك صفات اصبحت اليوم جد ضرورية لضمان تماسك المجتمع وسعادة افراده ، ولا خير كذلك في فرد ناضج نابه يرتضي الحياة في مجتمع متخلف لا يهمه امره ولا يتملكه شعور الحدب عليه تحت شعار الغيرية

التربية اذن هي عملية نمو وتطور في النواحي الحركية والعقلية والوجدانية قصد التكيف بنجاح مع حياة مجتمعية ، وهذه العملية موسومة بالاستمرار والدوام ما دام الفرد موضوعها حيا يرزق ، فالتربية لا تنصب ديناميتها المختلفة على مراحل الطفولة فقط ، — كما قد يتوهم البعض — بل انها تستمر طوال حياة الفرد ما دام يعيش داخل وسط طبيعي واجتماعي لا انقطاع لتياراته .

وتلك التغيرات والتطورات في الخبرات والمهارات والاتجاهات ليست من اختصاص التعليم وحده بالبداهة ، وانما دور التعليم ينحصر اساسا في الارتقاء بمستوى المعرفة لدى النشء في دور العلم ومراحله المختلفة . ان المؤسسات التعليمية بيئة مصطنعة اعدت اعدادا خاصا واعد لها برامج وتنظيمات معينة ، وزودت بمدرسين موجهين .

ان التربية اوسع مجالا وابعد مدى من التعليم واعم اثرا في تسليم تراث المجتمع الى الجيل الصاعد . ونجد بعض علماء الاجتماع يطلق مصطلح التربية الرسمية على التعليم مفرقا بينها وبين التربية غير الرسمية وهي التي تحدث بصورة غير منظمة وبكيفية غير مصممة ومحددة كما هو الحال في الاسرة ، وايضا التي تتم عرضا نتيجة الاستماع للاذاعة اوللخطبة او لنصيحة صديق او قراءة في صحيفة . مما سبق يمكن ان نستنتج انه لا يمكن ان يتواجد الناس في مجتمع بدون تدخل النظام التربوي ، والا كان الانسان عبارة عن كتلة متحركة من الهمجية ان صح التعبير ، لا يعرف ملبسا ولا لغة ولا دينا ولا معايير اجتماعية ، فالتربية حين تتولى الانسان بوسائلها المختلفة وفرصها المتعددة يتحول من مجرد كائن حيواني الى انسان اجتماعي .

ولكي يكتسب الانسان صفة الاجتماعية يجب ان يعيش في جماعة من الناس تعلمه اللغة وتوجد عنده شعورا بقيمة الجماعة وحرصا على سمعته فيها ، وقبولا لتقاليدها وعاداتها ومعتقداتها ، كما تكون عنده وعيا بالنظم الاجتماعية السائدة فيها ، فالفرد لا يمكن ان يصبح انسانا يعاشر الناس ويعاشرونه الا اذا عاش وتربى في كنف المجتمع .

ولا يعقل ان يجري علماء الاجتماع تجربة ليثبتوا بها صواب هذا الراي فيعزلوا طفلا عن سائر البشر منذ ولادته ويغذوه بطريقة ما دون ان يتصل به احد ، ولكن هناك حالات وجدت فعلا ، سواء بطريق الصدفة ، او لاسباب سياسية ، وانعزل فيها الفرد عن الناس وهو لا يزال رضيعا وانفلت من تأثير عوامل التربية والتهذيب .

ومن هذه الحالات المشهورة حالة ذلك الامير الالماني « كاسارهوزر » الذي شاءت له الظروف

الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في موضوع تصفية الوضع العسكري النووي في العالم

للأستاذ : المهدي البرجالي

السياسة الدولية في ميدان تحديد التسلح : تطوراتها فيما قبل الحرب وما بعد ذلك – العوامل الجديدة التي اصبحت تؤثر على مجرى الامور بهذا الشأن في الوقت الحاضر – الحقائق السياسية والفكرية والاقتصادية التي تنبثق عنها التطورات الاخيرة في هذا الميدان – الصلة بين السياسة الدولية لنزع السلاح وسياسة الامم المتحدة في هذا الميدان – الصلة بين السياسة الدولية لنزع السلاح وسياسة الامم المتحدة في ميدان الانماء الاقتصادي العالمي – ما يعني اقطار العالم الثالث بالنسبة لهذا الموضوع على ضوء المصلحة العالمية المتكاملة .

لا ينفرد عالمنا الراهن – عالم ما بعد الحرب – بشدة العناية بقضية نزع السلاح ، على المستوى الدولي العام ، وما تثيره هذه القضية من ذيول وتعقيدات سياسية وفنية ، واقتصادية وغير ذلك ، فمنذ اواسط القرن الماضي – ولا نرجع الى ما هو ابعد من ذلك – كانت هذه القضية من بين القضايا الاكثر الحاحا على الاذهان ، وقد حفل بها جو المباحثات الدولية زمنا غير يسير ، وحبر في شانها ضافي التقارير ووضعت حولها نظريات ومشروعات لم يكتب لاي منها ان يرى التطبيق ابدا ، فقد حاول نابليون الثالث خلال العقد السادس من القرن الماضي – حاول شيئا من هذا القبيل ولكن في نطاق اوربي محدود ، بيد ان محاولاته لم تلق النجاح الذي كان ينشد ، وعند نهاية القرن الماضي وجه القيصر الروسي نيقولا الثالث نداء الى الدول الكبرى بهذا المعنى لكن قيام الحرب العالمية الاولى بعد ذلك ، وما تمثل خلالها للعالم من اهوال جعل مسألة نزع السلاح اشد الحاحا على الاذهان اكثر من اي وقت سابق ، وجعل الرغبة في تحقيقها اكثر سعة وابعد مدى مما كان عليه الامر من قبل ، بحيث لم تعد المبادرات في هذا الميدان تصدر عن جهات دولية محدودة كما وقع احيانا خلال القرن الماضي ، بل ان الامر بهذا الصدد اصبح ذا صبغة دولية واسعة النطاق جدا ، ولذلك فقد اصبحت القضية تشغل مختلف الدول الكبرى ، واحتضنت عصبة الامم القضية هذه من اساسها – شان هيئة الامم المتحدة الحالية – وبذلت العصبة آنئذ جهودا ملحوظة في هذا السبيل وقد تنبه واضعو ميثاق العصبة الى الاهمية التي تكتسيها قضية نزع السلاح في العالم ، فضمنوا الميثاق اشارة الى الموضوع ، تضمنها الفصل الثامن ، حيث ذكر انه من اللازم العمل على التخفيض من حجم الاسلحة التي تمتلكها مختلف الامم ، وذلك الى الحد الادنى الذي توجبه الضرورات الدفاعية ، ويقتضيه كذلك القيام بتنفيذ الالتزامات الدولية ، وقد عقدت في خلال العشرينات واوائل الثلاثينات عدة مؤتمرات دولية اما تحت الاشراف المباشر لعصبة الامم ، واما بمجرد موافقتها الضمنية وذلك لبحث المقتضيات التي يمكن ان تؤدي الى تحقيق اتفاق دولي حول نزع السلاح وتقريب وجهات النظر الدولية المتباينة ، حول ذلك ، وقد كانت الاحلاف الدولية – حينذاك – غير ما هي

فرجال القانون يميلون الى تحديد الحد الادنى لسن الطفولة بثمانية عشر عاما ، ويرجعون هذا التحديد الى اسباب تتعلق بفكرة المسألة الجنائية كتوافر عناصر الادراك والتمييز والارادة ، بينما الاجتماعيون الاخلاقيون يذهبون الى تحديد الحد الاقصى لسن الطفولة باقل من ذلك باعتبار ان هناك يميزها عن مرحلة الطفولة ، اما الاجتماعيون المهتمون بالدراسات الفردية ، فيعلقون تحديد مدلول الطفل بفكرة التحرر من الاعتماد على الغير ، ويقصد بفكرة التحرر من الاعتماد على الغير ، التحرر الوجداني والمادي ، والتحرر الوجداني هو امكان انعتاق الفرد من تعلقه بامه او باسرته وامكانه الاستقلال باسرة خاصة ، وان يجد الاشباع العاطفي فى زوجة ليست من سبط اسرته ، فعدم الاعتماد على الام او الاسرة فى تنمية الضمير الوجداني هو الذي يحدد لنا فكرة التحرر ، والى جانب هذا لابد من التحرر المادي ايضا ، ويقصد بالتحرر المادي المقدرة على كسب العيش والمقدرة على تصريف الامور المادية بعقل وروية ، لهذا اتجهت تشريعات الزواج الى تحديد السن الادنى للزواج بثمانية عشر عاما ، باعتبار ان الطفل عندما يصل الى هذا السن يكون قد اجتاز مرحلة الطفولة بامان وتمكن من الاعتماد على النفس ، فهنا فكرة التخلص المادي مضافا اليها فكرة الاستقلال العاطفي تعتبران محور تحديد مدلول الطفولة وتتويجا للتربية السليمة .

وعلينا ان نعترف بان الطفل ليس كائنا بسيطا وانما هو كائن معقد ، فهو محمل بصفات ورثها عن الوالدين ، وان قلبه الصغير لا يحمل السلام بل المقاومة : مقاومة الخير والشر فى الوقت ذاته ، ولهذا كان من الضروري ان ندع جانبا كل انواع التربية التي تنادي بترك الطفل للطبيعة تهذبه وتدربه وتخلق منه رجلا مكتمل الرجولة ، ومهما كانت الحاجة تستلزم استبعاد اي ضرب من ضروب العقاب لهذا الكائن الفض وتجنيبه الشعور بقسوة الحياة التي سوف يخبرها اذا ما شب عن الطوق ، فانه من المتحتم ان نضحي بعض الشيء بعواطفنا وان تبدأ التربية بالثواب والعقاب الخفيف ، فلابد اذن من التوجيه والرقابة المستمرة . كما ان الطفل كائن حي وهذا يستلزم معاملته معاملة واعية ، ومن طبيعته ان يأخذ اكثر مما يعطي مما يحتم تدريبه وتشبعه باتجاهات الغيرية .

ويزعم بعض الاباء ان طفلهم يمارس سلطات ديكتاتورية بالنسبة لهم .

والحقيقة ان الطفل لا يمكن ان يكون مستبدا الا فى مواجهة من يرغبون ان يكونوا عبيدا له ، وبمجرد ان يحصل على هذا الحق تصبح ممارسته امرا ممتعا له للغاية ، وهو لا يتردد فى ان يمارس هذا السلوك الديكتاتورية فى مواجهة اي فرد يبدي ضعفا تجاهه ، فهو يمارس ديكتاتورية ازاء كل من لا يبدي اي مقاومة لسلوكه ، ومع ذلك فهو يحس فى قرارة نفسه انه لم يبلغ بعد من النضج مبلغا يمكنه من ان يكون ديكتاتورا ، ولهذا ينادي كثير من رجال التربية بضرورة العودة الى الاسلوب التربوي القديم وهو تدريب الطفل على الطاعة منذ نعومة اظافره .

الرباط — العربي محمد الزنايدي

وهذا النوع الاخير من التحول هو الذي يعنينا فى هذا المجال بصورة اخص ، ان سياسة نزع السلاح الدولي ، لا تزال لها اهميتها التي كانت لها منذ عهود مضت ، وجهود الامم المتحدة يمكن اعتبارها مجرد استمرار لجهود عصبة الامم بهذا الصدد ، كما ان الاتفاقات الدولية التي توصلت اليها بعض الدول الاوروبية قبل الحرب بخصوص هذه المسألة تجد مثيلات لها فى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية الحالية، كمعاهدة موسكو لحظر التجارب النووية « 1963 » • والاتفاق الدولي الضمني حول اجتناب استخدام القطب الجنوبي للاغراض العسكرية ، او ارسال صواريخ او سفن الى الفضاء محملة بالمقذوفات الحربية ، وخاصة منها الاجهزة النووية والعناصر الجرتومية وما هو من نوع ذلك ، ان عناية الملا الدولي هكذا بقضية التسلح فى العالم ، وحرصه على تحديد التسابق بين الدول فى هذا الميدان ، واصطناع الظروف السياسية والنفسية والعلمية ، المساعدة على ذلك ، كل هذا يشكل حالة دولية مستمرة ، لم تنقطع مظاهرها ـ كما رأينا ـ سواء قبل الحرب العالمية الاخيرة ، او فيما بعدها ، غير ان الاهمية التي اصبحت تكتسيها هذه القضية العالمية الشائكة ، بعد نهاية الحرب ، لا يمكن ان تقاس بما كان لها من اهمية فيما قبل ذلك ، اي فى خلال الفترة بين الحربين العالميتين « طوال العشرينات والثلاثينات » فالامر فى هذا المجال لم يعد امر توازن فى القوى ، والمصالح بين الدول الاوروبية ذات الممتلكات الواسعة ، فيما وراء البحار ، ولم يعد للاعتبارات السياسية فى هذا الموضوع ما كان لها من قبل من اهمية غلابة ، تطغى احيانا على كل اعتبار آخر ، ان القضية الان قد صارت قضية عالمية بكل ما فى الكلمة من معنى اي ان الاعتبارات العامة التي تشمل أمن العالم كله وسلامته وتطوره هي التي اصبحت تؤثر بهذا الشأن تأثيرها الجوهري القاطع ، ومن الطبيعي ان يحدث تطور من هذا القبيل فى معطيات نزع السلاح كما حدثت تطورات عظيمة الشأن فى ميدان التسلح نفسه ، وفى كل مرافق الحياة الدولية نتيجة المرحلة الجديدة التي دخلها العالم عقب الحرب ، ان العوامل التي غدت تؤثر فى مشكلة نزع السلاح تأثيرا جديا فعالا ، وتضفي عليها صيغتها العالمية الراهنة ، هذه العوامل هي متعددة بدرجة كبيرة ، ولها جوانبها السياسية والاقتصادية والتقنية والفكرية وغيرها ، فمن الناحية السياسية يلاحظ ما يلي :

1 ـ الأمن العالمي اصبح متشابكا بصورة لاتقبل الانفكاك مطلقا ، فالقوى السياسية الفعالة فى العالم بما تحمله من افكار ونوايا ونزعات ـ قد اصبحت موزعة خلال كل مناطق العالم تقريبا ، ولم تعد اوربا الا منطقة واحدة من هذ هالمناطق ، فهناك الى جانب غربي اوربا ، وهي مركز الثقل التقيدي فى العالم قبل الحرب ـ هناك الان ثلاث مناطق اساسية اخرى هي قطاع الشمال الامريكي ، والشرق الشيوعي ، وقطاع الشرق الاقصى ، الذي تعمره الان القوة السياسية الصينية المتزايدة ، وثمت مناطق اخرى ذات فعالية اقل ، ولكن ينتظر ان تزداد فعاليتها فى المستقبل ، بحيث تصبح ذات تأثير مباشر على مستوى السلام العالمي ، ومن هذه المناطق ، منطقة الاوقيانوس ، ومنطقة اواسط آسيا ، ومنطقة العالم العربي . ومنطقة الجنوب الامريكي ، وهناك بهذا الصدد نقطتان جديرتان بالملاحظة : اولاهما ان تمركز القوى السياسية فى العالم الراهن ، غير قار قطعيا ، فالفاعلية السياسية التي تتميز بها المناطق بعضها عن بعض ، هي فى تغير مستمر ، والتحولات بهذا الشأن سريعة متلاحقة ولهذا فمن المحتمل جدا ان نهاية هذا القرن يمكن ان تشهد اوضاعا جديدة فى توازن القوى السياسية بالعالم من شأنها ان تثير الاندهاش الان ، وثاني الملاحظتين ان المناطق التي يمكن اعتبارها فى الوقت الحاضر ذات اهمية اقل من حيث خطر شأنها السياسي فى العالم مثل هذه المناطق تكتسب فى بعض الاحيان اهمية مفاجئة بهذا الشأن وذلك حينما تصبح عرضة للتأثر بحدة المنافسات الدولية كما كان الشأن فى الكونغو او تدخل فجأة فى اعتبارات الامن القومي المباشر لاحدى الدول النووية، مثل ما اصبح عليه الامر بالنسبة لازمة كوبا اواخر سنة 1962، او تتعفن فيها مشكلة مزمنة تختفي وراءها مصالح واهواء دولية متشابكة كما هو الحال بالنسبة لفلسطين .

وهكذا فالامن العالمي ـ نتيجة الاحوال المتشابكة التي تسود التوازن السياسي فى العالم ـ قد صار ذا حساسية مرهفة جدا ، بحيث ان المشاكل المباشرة بين الدول الكبرى لم تعد وحدها تصل الى المس بهذا الامن بل ان المناطق التي تبدو الان ذات اهمية اقل يمكن

عليه الان بالطبع ، فكنت تجد بولونيا مثلا تتخذ فيما يخص موضوع نزع السلاح ، نفس الموقف الذي تتخذه بلجيكا ، وفرنسا ، بينما تتمسك انجلترا بموقف مناقض لذلك ، وهذا ما حدث بالفعل فى حظيرة المؤتمر الدولي لنزع السلاح الذي انعقد فى جنيف خلال ربيع سنة 1932 ، وضم اعضاء عصبة الامم للاتفاق على طريقة لتخفيف التسابق نحو التسلح ، طبقا للسياسة التي كانت العصبة تتبناها فى هذا المضمار ، فقد تقابلت خلال هذا المؤتمر وجهتا نظر اساسية فى موضوع نزع السلاح ، وكانت النظرية الاولى ، التي تبنتها فرنسا الى جانب بولونيا وبلجيكا ودول اخرى — كانت هذه النظرية تقضي بعدم وضع حد ادنى للتسلح ، تفرض نسبته على جميع الدول بغض النظر عن حاجياتها الدفاعية واوضاعها الدولية ، بل يجب وضع هذه الحاجيات فى الاعتبار عند اقرار نظام دولي لنزع السلاح بحيث تحدد نسبة التسلح لكل دولة ، ولكن طبقا لما يقتضيه الحفاظ على امنها وما يتطلبه ذلك من عدة وعدد ، اما النظرية الاخرى ، فقد كانت تأخذ بها انكلترا وبموجب النظرية هذه يتعين اقرار نظام عام لنزع السلاح ، تشمل مقتضياته جميع الدول بدون استثناء ، وعلى الرغم من تناقض النظريات على هذا لنحو ، فقد امكن لمؤتمر جنيف ذاك ان يتوصل الى قرارات مهمة تتعلق بمنع الحرب الجرثومية والكيميائية ، واساليب الحرب التي تعتمد على الاحراق المنظم مع اقرار مقتضيات فنية وتنظيمية تتعلق بذلك ، وقبل هذا التاريخ بكثير . وبالضبط فى شهر دجنبر من سنة 1921 توصل عدد من الدول الكبرى هي انكلترا والصين واليابان وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الى اتفاق عرف فى حينه بوفاق المحيط الهادىء لان موضوعه الاساسي كان هو العمل على التخفيف من شدة الاحتكاك بين اليابان والولايات المتحدة فى منطقة المحيط ، وما يقتضيه ذلك من تخفيض للسلاح بالنسبة لدول تلك المنطقة وفى سنة 1922 تم التوقيع على ما يعرف باتفاقيات واشنطون بين الدول آنفة الذكر ، وبموجب هذا الاتفاق امكن التوصل الى قرارات دولية مهمة تتعلق بتحديد التسلح ، ومن بين هذه القرارات : تعهد الدول الموقعة بعدم بناء مزيد من السفن الضخمة مع المحافظة على ما هو موجود بالفعل ، واستبداله فى حالة بلي او عطب او ضياع بل وقع التعهد — اكثر من ذلك — بتحديد حمولات السفن بالنسبة لكل دولة ، وتعيين مدى متفق عليه للقذائف التي تمتلكها الدول الموقعة كل على حدة ، وقد تولد عن هذه الاتفاقيات الكبرى اتفاقيات ثانوية ، عقدت بين بعض الدول الموقعة فى نطاق العمل على حل بعض المشاكل الخاصة ، ومن ذلك الاتفاقية بين فرنسا وانكلترا « يوليوز 1928 » وقد ضبطت هذه الاتفاقية مشاكل قانونية في الموضوع بين الدولتين وقد عرفت سنة 1930 المؤتمر الدولي الشهير المعروف بمؤتمر لندن البحري ، وقد وقع انعقاد هذا المؤتمر الهام بين نفس الدول الموقعة على اتفاقيات واشنطون ، وانبثقت عنه معاهدة دولية عقد عليها امل كبير فيما يخص تحديد التسابق نحو التسلح ، وخاصة التسلح البحري الذي كان له — قبل ستراتيجية العصر النووي — الصاروخي الحاضر — شأن كبير فى حساب الدول واستعداداتها العسكرية .

* * *

لم يكن لسياسة التهدئة الدولية على هذا النحو، ان تحول دون اشتداد التوتر بالعالم طوال الثلاثينات وانجراره بعد ذلك الى الملحمة التي ابتدات سنة 1939 ، والتي شملت آثارها جميع القارات تقريبا ، فعلى الرغم من جهود عصبة الامم ، التي كان من مهامها الاساسية العمل على التخفيف من وطأة التسلح فى العالم ، وعلى الرغم من الاتفاقيات الثنائية والجماعية بين الدول الاوروبية بهذا الشأن فان الجو النفسي والسياسي الذي خلقته فى اوروبا معاهدة فرساي ، ثم معاهدة « لوكارنو » بعد ذلك لم يكن من شأنه ان يعطي لمحاولات من هذا النوع حظوظا حقيقية ، هذا الى ازدياد تعقد المشاكل الدولية بآسيا نتيجة السياسة اليابانية فى المنطقة ، فى نفس الوقت الذي كانت فيه المنافسات وتصادم المصالح على اشده بين الدول الاوروبية الامبريالية ، ولم تكن هذه العوامل هي اهم ما فى الامر ، بل انها كانت مجرد اعراض لحالة العالم المزمنة قبل نشوب الحرب الاخيرة ، هذه الحالة التي تسلسلت عن عهود التوسع الاوربي الاولى بما صاحبها من حروب ومنازعات الى ان بلغت قمة فورتها ، عند مطلع العقد الرابع من هذا القرن ، حيث اصطدمت المصالح الدولية ، على عتبة الحرب ، وكان من الحتميات التي انبثق عنها ذلك ، ان دخل العالم فى فترة التحول الكبيرة التي تعيشه الان : تحول الاوضاع السياسية والدولية ، تحول فى القيم والاخلاق والمسالك والنظريات ، تحول فى اشكال الاستعداد الحربي والتخطيط الستراتيجي ، وما يتعلق بذلك من وسائل مادية وتنظيمية ونفسانية ،

فى ميدان التسلح قد بلغت سنة 1962 رقما مثيرا يساوي 120 مليار من الدولارات سنويا ، ثم قفزت خلال السنوات التالية لتبلغ الان ما يتراوح بين 130 و 140 مليارا من الدولارات ، وتقول احدى نشرات الامم المتحدة بهذا الصدد(1) : انمقنبلة واحدة من المقنبلات الحديثة ، يكلف بناؤها نفقات لو صرفت فى الميدان الاقتصادي والاجتماعي بالعالم فانها تساوي حينئذ اجور 250 000 او تستطيع اقامة ثلاثين كلية ، يتسع كل واحد منها لالف طالب ، او تؤدي الى تشيد خمسة وسبعين مستشفى يؤوي كل منها مائة سرير مجهز على احسن النظم العصرية ، او عوض ذلك يستطاع بها شراء خمسين الف جرارة فلاحية ، او خمسة عشرة الف حصادة ، وليست الدول المتسابقة فى مضمار التسلح هي وحدها التي تخسر كل هذه الامكانيات المالية الضخمة ، علاوة على المجهودات التنظيمية المعقدة ، والطاقات البشرية المبذولة ، والخامات والالات والامكنة التي يتطلبها كل ذلك بصورة واسعة لا تكاد تعرف لها حدود ، ان بقية العالم وخاصة عالم الدول المتخلفة ، وشبه المتخلفة يخسر هو نفسه باستمرار هذه الحالة كما تعتقد بذلك اوساط الامم المتحدة والمصالح التابعة لها ، وتعتقده كذلك بالطبع مختلف الدول النامية هنا وهناك ، ويقوم اعتقاد دولي من هذا القبيل على اساس التقديرات التالية :

1 — ان السباق نحو التسلح يخلق فى العالم وضعية مليئة بالتوتر الدائم ، وهذه الوضعية تنتج عنها دائما احوال نفسية وستراتيجية وسياسية، يضطر معها عدد مهم من الدول الصغيرة والنامية الى مضاعفة حرصها هي ايضا على التسلح ، خوفا على سلامة حدودها او اتقاء تسرب خارجي الى داخلها او مجرد الرغبة فى الابقاء على توازن القوى فى منطقة من المناطق للحيلولة دون حدوث امكانيات من هذا القبيل ، ومن المعلوم مقدار التضحيات الاقتصادية والمالية التي يحملها ذلك لدول فتية لا تزال فى حاجة الى استخدام كل مصادرها لاغراض التنمية والتطوير.

2 — يحدث السباق العالمي فى مضمار التسلح احيانا بعض الاضرار المباشرة للدول الصغيرة فى ميدان آخر غير الميدان الاقتصادي وما فى بابه ، فالتفجيرات النووية التي تعاقبت هنا وهناك فى الشرق والغرب منذ نهاية الحرب العالمية قد سببت — بعض الاضرار المهمة لبعض المناطق العالمية وخاصة منها منطقة الشرق الاقصى حيث كانت ترتفع نسبة الاشعاع احيانا الى درجة يخشى معها على تسمم الاسماك والمياه والمزروعات ، علاوة على الضرر الذي كان من شأنه ان يلحق السكان لو استمرت هذه التجارب طويلا ، وكم كان لسياسة القواعد ومناطق التطويق للعدو — من نتائج مأساوية على الصعيد العالمي ، حيث كانت اقامة هذه القواعد تفرض احيانا على الدول الصغيرة ان لم يكن مباشرة فبطريق غير مباشر ، وجرت احداث وتقلبات سياسية داخل بعض بلدان العالم الثالث ، وكان سببها الاساسي رغبة هذه او تلك من الدول الكبرى فى تأسيس قاعدة او المحافظة عليها او الحيلولة دون وقوع تطورات محتملة تؤدي الى العمل على تصفيتها وقد قلل حقا تطور الصواريخ والمقذوفات ذات المدى البعيد من فاعلية القواعد المبثونة فى انحاء العالم ، ولكن سياسة المحافظة على الاسلحة الكلاسيكية قد ابقى لهذه القواعد قدرا من الاهمية موجودة لحد الان

3 — تتميز الاقتصاديات العالمية — فى دور تطورها الراهن — بأنها اصبحت فى حاجة الى التفاعل والتكامل فيما بينها ، فالاقتصاد المنغلق لم يعد له كبير حظ فى النمو والازدهار ، وقد استقلت الان معظم المستعمرات والمحيطات السابقة وقد كانت من قبل مصادر انتاج للطاقة المحركة والخامات وغيرها ، وتهفو الشعوب — المستقلة حديثا — بدورها الى تحقيق تنمية صناعية واقتصادية عامة ، وهي تحتاج — فى نطاق ذلك — الى قدر غير محدود من المساعدة المالية والتقنية والتخطيطية والا فان الفقر الذي يمكن ان يستمر طويلا بين هذه الشعوب من شأنه ان يبقي على حالة الاختلال فى التوازن الاقتصادي العالمي ، وذلك ضار فى نفس الوقت بالدول النامية ، التي ستزداد معاناتها للمشاكل من كل نوع ، وضار ايضا بمصالح الدول المتقدمة ، لان استمرار ضعف الطاقة الاقتصادية فى اقطار العالم الثالث ، لابد ان يحرم الاقتصاد الاوربي والامريكي وغيره من مناطق دولية مهمة التعامل والتبادل ، وحتى اذا ما رغب دائما فى ابقاء الشعوب المتخلفة مصادر انتاج للخامات فقط لصالح الصناعات الضخمة فى الغرب وخارجه ، فان مثل هذه الحالة ، لابد ان تثير فى الاجل البعيد مشاكل محلية معقدة ، تتمثل فى العجز عن مواجهة

---

1) بريد اليونيسكو .

ان تكون مجالا لانفجار التفاعلات الدولية العامة بشكل ربما تشمل نتائجه العالم عموما (1) .

هذا من الناحية السياسية ، اما من الناحية التقنية ، فان قضية نزع السلاح ترتبط ايضا شديد الارتباط بالتطورات الحادثة بهذا الصدد ، فمنذ نهاية الحرب العالميه الاخيرة ، التي برزت في اواخرها صواريخ (ف2) الالمانية التي ذاقت منها انكلترا الامرين، ثم اختتمت بظهور القنبلة الذرية الملقاة على « هيروشيما » سنة 1945 منذ نهاية هذه الحرب ما فتىء التسابق التقني على اشده بين الامريكيين والسوفييت ، كطرفين رئيسيين ، ثم مع الانجليز والفرنسيين والصينيين كاطراف ثانية ، وقد اجتاز التسابق هذا مراحل اساسية هي كما يلي :

ا — مرحلة تخلف الروس عن الامريكيين في ميدان صنع القنبلة الذرية البسيطة ، وقد امتدت هذه المرحلة من نهاية الحرب الى حوالي سنة 1949

ب — مرحلة التسابق في ميدان القنبلة الهيدروجينية ، وقد شملت هذه المرحلة اوائل الخمسينات ، وكان العمل عند الجانبين يجري في تطوير الصواريخ العابرة للقارات ، ففي نفس الوقت الذي ترامى فيه الى الغربيين انباء الابحاث الروسية في ميدان الصواريخ كان الغربيون انفسهم يقومون هم ايضا بنشاطهم في هذا السبيل ، فمنذ سنة 1949 والامريكيون يعملون على تطوير صواريخ (ف 2) وادى بهم ذلك الى صنع صواريخ « فيكنج » التي جربت النماذج النهائية سنة 1952 ، فأعطت نتائج مشجعة ، وكان الفرنسيون منكبون في نفس الوقت على تطوير الصاروخ « فيرونيك » بينما بلغ الروس مراحل متقدمة ، في بناء صواريخهم الخاصة .

ج — مرحلة التسابق نحو الفضاء : وقد بدات في اواخر سنة 1957 «اكتوبر» ولا يزال يتركز في نطاقها محور التسابق الستراتيجي بين الشرق والغرب ، وان كان التسابق هذا يكتسي لحد الان صبغة علمية مضافا الى هذا ان الطرفين ما فتئا يعبران عن نيتهما في عدم استخدام الفضاء للاغراض العسكرية او شبه العسكرية ، على انه وان استبعد الفضاء عن مجال التسابق العسكري بين الكتلتين فقد جرت تطورات تقنية مهمة دفعت بالتكتيك الحربي اشواطا بعيدة معها الاوضاع الستراتيجية راسا على عقب ، فقد قضى تطور الصواريخ العابرة للقارات على الاهمية التي كانت تناط من قبل بالقواعد التي تنطلق منها القنبلات الذرية ، والمنبثة في انحاء العالم ، اما الان فان غواصات « البولاريس » والغواصات الروسية المماثلة لها ، قد قلصت هي الاخرى من الاهمية التي كانت تعطى لمحطات الاطلاق وقضت ايضا على احتمالات الخطر الذي تتعرض له الدولة المهجوم عليها اذا ما دمرت وسائل دفاعها من طرف الصواريخ المعادية ، لقد كان كل جانب يخشى انه اذا ما فوجىء بغزو مفاجىء يقوم به العدو ، فان هذا الغزو لابد ان يشل القدرة على المقاومة ، ورد العدوان ، لان محطات الاطلاق الصاروخي ستكون هي نفسها قد دمرت ، ولم تعد قادرة على القيام بشىء ، ولهذا فان الطرفين كانا يعتقدان ان الحرب مكسوبة في الساعات الاولى لمن يبدأ بالهجوم المفاجىء لكن ظهور البولاريس الغواصات المحملة بالسلاح النووي ، قد قلب الاوضاع الستراتيجية من هذا النوع قلبا واسعا وبعيد المدى ، فقد اصبحت هذه الغواصات عبارة عن محطات لاطلاق الصواريخ المحملة بالمقذوفات الذرية ، ولكن هذه المحطات تمتاز بانها متخفية ومتحركة ، وقابلة لاي اتجاه ولهذا ففي نفس الوقت الذي تمتنع فيه على سلاح العدو الذي لا يستطيع ان يضبطها بدقة مضمونة دائما داخل اعماق البحار ، فانها تستطيع من جهتها ان تنفذ الى اي مكان يمكنها من اصابة الاهداف الستراتيجية المرسومة لها داخل اراضي العدو . واصابته هكذا بضربات انتقامية قد تكون اشد من ضرباته الاولى المفاجئة ، وهكذا يلاحظ ان معركة التقنية — في الميدان الستراتيجي — تدور في حلقة مفرغة قابلة للاتساع دائما، ولا يظن ان لسعتها حدودا ممكنة .

2 — ومن الجوانب الاخرى التي تذكر بهذا الصدد ، اي العوامل التي اصبح لها تأثير ما في ابراز عبث التسابق نحو التسلح ، وضرورة التوصل الى اتفاق دولي في هذا المجال ، من هذه العوامل : العامل الاقتصادي والمالي وما يتعلق بذلك ، فقد دلت التقارير المنشورة اخيرا ان مجموع المصاريف العالمية

---

1) لايعترض بان الحربين العالميتين الاخيرتين كان منشؤهما النزاع بين الدول الكبرى ، ولم يكن للاقطار الصغيرة شأن في ذلك ، فتلك ظروف تعتبر الآن قد انتهت والحقيقة العالمية البارزة حاليا هي ان الدول الصغيرة قد صارت ذات شأن في تكييف الاحداث .

مصالح الامم المتحدة على هذا الموضوع خلال السنوات الاخيرة ، وهذا من بين مظاهر التحول الكبرى فى حياة المنظمة الامية ، وعلاقتها بالعالم الذي تسهر على الاسهام فى اعادة تنظيمه ، وضمن هذه الحالة اصبح امام الامم المتحدة الان ، هدف جوهري تحرص على تحقيقه ، وهذا الهدف يتمثل فى مساعدة مجموع الاقطار المتخلفة على تنمية دخلها القومي كل سنة ، بمعدل خمسة فى المائة الى حدود سنة 1970 ، وليس من العسير على اختصاصيي المنظمة الاممية ان يضعوا التخطيطات اللازمة لذلك بمساعدة الاقطار المعنية بالامر معتمدين على جملة الاحصائيات والكشوف والتقديرات المعدة لهذا الفرض ، غير ان المشكلة التي تعترض اكثر فى هذا المجال هي مشكلة الموارد المالية الواسعة التي لابد من اعتمادها بهذا الصدد لتحقيق اهداف اقتصادية واجتماعية بهذه الدرجة من الضخامة ، اذ ان المقصود ليس هو العمل على تحقيق تنمية اقتصادية ، ضيقة المفهوم ، بل ان الاهداف المتوخاة ترمي الى تحقيق تطور عام يشمل اهم الميادين الحيوية كالفلاحة والصحة والتعليم والصناعة والتشغيل واعمال التخطيط والتجهيز وما الى ذلك ، وعلى المنظمات المتخصصة التابعة للامم المتحدة مهام كبيرة تؤديها فى هذا السبيل ، بالتعاون طبعا مع الدول المعنية بالامر ، التي تقع عليها بدورها مسؤوليات جسيمة بهذا الصدد ، اما الموارد المالية التي يتعين اعتمادها لتحقيق الاهداف هذه فتكون – كما تقدم – المعضلة الاهم فى هذا الموضوع ، وقد اشير منذ عدة سنين فى تقرير نشره الامين العام الى اهمية الدور الذي يمكن ان تقوم به الجمعية الدولية للتطوير ، وهي مؤسسة تابعة للبنك الدولي وتمنح قروضا فى مثل هذه الاحوال ، وهناك مؤسسات اخرى ذات صبغة دولية ، يمكنها ان تساهم فى تمويل مبادرات من هذا القبيل ، غير ان التفكير اصبح يتجه منذ سنين الى انشاء بنك عالمي للتنمية علاوة على المؤسسات الاقليمية من هذا النوع كالبنك الافريقي للتنمية الذي ما اذا نجحت فكرته فانه قد يصبح مثالا لمشروعات اقليمية على هذه الوتيرة يمكن اقامتها هنا وهناك فى انحاء العالم للمساعدة على الاسراع بتطوير الاقتصاديات البدائية والمتخلفة ، وتقترح الامم المتحدة ايضا – ضمن تقرير نشر منذ سنوات – الاعتمادات على رؤوس الاموال الاجنبية الخاصة فى تمويل مشاريع التطور فى البلاد النامية غير انه على الرغم من ضخامة الموارد التي يمكن استخلاصها من مؤسسات دولية وخاصة من هذا النوع فان مشكلة التخلف بالعالم تتطلب مواجهتها من الموارد والامكانيات ما يفوق ذلك بكثير ، وقد اقترح منذ سنوات مراجعة النظم المعمول بها فى مضمار التجارة الدولية بصورة ترفع الميز الذي تعاني منه بهذا الصدد جماعة الاقطار المتخلفة ، واقترح ايضا بهذا الشأن الرفع من اسعار المواد الاولية فى السوق العالمية ، وهذا ما من شأنه ان يمكن البلدان النامية وهي المنتجة لهذه المواد فى الغالب من الحصول على مداخيل اكثر ارتفاعا تستعين بها على تنفيذ مشاريع التنمية التي تخطط لها ، وقد اخذ مؤتمر القاهرة الاقتصادي الدولي المنعقد خلال شهر يوليوز 1962 – اخذ بهذه الفكرة ودعا اليها بالحاح فى احدى مقرراته ، وبحثها كذلك مؤتمر التجارة العالمي الذي اجتمع بعد ذلك فى اوربا وضع مختلف الاقطار متقدمة ونامية ، وسواء فى خلال جلسات هذا المؤتمر او قبل ذلك فان التفكير الدولي يتجه علاوة على هذا الى مطالبة الدول المتقدمة صناعيا ، وهي فى الغالب دول اوروبية وامريكية – بتخصيص نسبة من دخلها القومي تتمثل فى واحد فى المائة من هذا الدخل لمساعدة المجهود الدولي المبذول ضد وجود التخلف فى العالم . غير ان مما يلفت النظر فى هذا المقام ان المتطلبات الستراتيجية والسلاحية التي تفرض نفسها على الدول الكبرى فى الشرق والغرب ، تستنزف بالفعل قدرا كبيرا من الدخول القومية لهذه الدول ، وهذا من شأنه الا يؤثر فقط على طاقتها المالية الاساسية بل انه يختزل كذلك من قدرتها على الاسهام فى المعركة المضادة للتخلف فى العالم ويجعل استعدادها الذاتي لتحمل نتائج هذه المساهمة اضيق نطاقا مما يتصور ، وقد ازداد اهتمام اوساط الامم المتحدة بهذه القضية الحيوية ، وابرز اهميتها الامين العام الحالي فى احد تقاريره الرسمية ، ومنذ اتفاقية موسكو لسنة 1963 اتسعت الامال بهذا الشأن وازداد الاعتقاد فى امكانية التوصل لاقرار نظام دولي لنزع السلاح النووي والنظر بعد ذلك فى احتمال الاتفاق على تصريف بعض النفقات المخصصة للتسلح فى تنفيذ المشاريع الانمائية الدولية ، وعلى الرغم من تجمد الوضع الدولي بهذا الصدد منذ 1963 وعدم تحقق اية خطوة ايجابية بعد ذلك فى موضوع نزع السلاح فقد عرفته بداية الصيف الحالي مبادرة مهمة قامت بها الولايات المتحدة فى هذا الموضوع ، فقد دعت فيه الى اعادة عقد مؤتمر جنيف للدول السبع عشرة من جديد ،

نتائج التضخم الديموغرافي وارتفاع الوعي الاجتماعي وما يتطلبه هذه المواجهة من امكانيات لا تطيقها الاقتصاديات البدائية كما هي في كثير من الدول النامية ، وليس لذلك من نتيجة الا استفحال للاضطرابات الاجتماعية والسياسية في الاقطار المتخلفة بكل ما لذلك من انعكاسات محتملة على الوضع الدولي ، تتضرر منها اكثر ما تتضرر الدول الكبرى والاقطار المتقدمة صناعيا .

على الرغم من التحاق الصين بالقافلة الذرية واجرائها التجارب الان نتيجة لذلك ، وعلى الرغم من امكانية التحاق دول اخرى في العالم بالركب الذري والهيدروجيني ، فان الفكر الدولي المضاد للتسلح ، قد بلغ لحد الان مرحلة ذات فاعلية ملحوظة ؛ فبعد الموافقة العالمية شبه الاجماعية على اتفاقية موسكو لحظر التجارب النووية « صيف سنة 1963 » وبعد الاتفاق الضمني بين الامريكيين والسوفييت حول موضوع استبعاد الفضاء ومناطق القطب الجنوبي عن الاغراض العسكرية وشبه العسكرية ، وبعد ان مرت هكذا فترة طويلة نسبيا دون ان يفكر طرف او اخر في خرق اتفاقيات من هذا النوع او تحريف مدلولها عمليا وضمنيا ، فان قضية التحديد من التسلح ، لم تعد نتيجة لذلك ، مجرد اراء تدور حولها المناقشات في المحافل الدولية ، وانما اصبحت لها صور عملية خارج الذهن ، يمكن ان تكون مقدمة لخطوات اكثر اهمية من هذا القبيل . وتعتقد المراجع الدولية ان العوامل المضادة للتسلح من سياسية واقتصادية وفكرية وغيرها ، توشك ان تحمل الدول المعنية بالامر مزيد من الخضوع لمنطق الاشياء ، وتحقيق قدر اكبر من التراجع في مضمار السباق ، التي ما انفكت تخوضه الى حد الان ، وقد ازداد هذا الاعتقاد تمكنا في الفترة الاخيرة ، بحيث انه قد غدا يساعد على تغذية بعض الامال التي لها صلة بهذا الامر من جوانبه الانسانية والاقتصادية ذلك ان مصالح الامم المتحدة ، وبالاخص منظمة اليونيسكو التابعة للهيئة قد زادت عنايتها في الفترة الاخيرة بالامكانيات الايجابية ، التي يمكن ان يسفر عنها نزع حقيقي للسلاح في العالم بل انها قد باتت تضع التقديرات الدقيقة لما يمكن ان يؤدي اليه الامر بهذا الصدد ، من مساهمة عملية في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المعقدة بالعالم ، ومساعدة الاقطار المتخلفة هكذا على توفير الموارد المالية الضخمة التي تتطلبها حلول من هذا القبيل ، وقد شرعت اليونيسكو بالفعل في محاولة سبر غور الراي العام بالبلاد المعنية حول هذا الموضوع، وهكذا ، فتحت اشراف المنظمة يجري الان المركز الاوربي لتنسيق الابحاث والمستندات المتعلقة بالعلوم الاجتماعية — يجري هذا المركز الذي يوجد مقره في فيينا — بحثا لدى الراي العام في ثلاث دول اوربية ، تنتسب واحدة منها الى العالم الاشتراكي وهي بولونيا ، وتنتمي الاخريان الى المجتمع الغربي وهما فرنسا والنرويج ، اما محور الاستطلاع الذي يجري بهذا الصدد ، فهو عبارة عن ثلاثة اسئلة اساسية ، تدور جميعها حول امكانية التجرد من السلاح ، وخاصة النووي منه ، والممكنات التي يجوز ان تنبثق عن وضع من هذا القبيل .

وسوف لا تعرف النتائج الا في خلال السنة القادمة لان القصد ليس هو مجرد الحصول على نتائج لاستفتاء عابر ، وانما يتعلق الامر بدراسة جد عميقة يراد بها معرفة كثير من الحقائق الجوهرية التي يمكن ان تساعد على وضع سياسة دولية لاستغلال نتائج التجريد من السلاح النووي على نطاق عالمي واسع ، ولا تكتفي الامم المتحدة باجراء الاستطلاعات العامة حول هذا الموضوع الحيوي من حياة العالم المعاصر ، فقد عمدت اخيرا الى تنظيم حلقات دراسية بهذا الصدد تجري ضمنها الابحاث الواسعة حول طريقة استغلال الممكنات المادية والمعنوية التي سيوفرها التجريد من السلاح الذري ، وكيف يمكن صرفها من اجل البحث العلمي ، واقرار نظام التعاون الدولي بهذا الصدد . وتجري علاوة على ذلك اتصالات بين اليونيسكو والمراكز الموجودة في كثير من الدول الاوروبية والمعنية بمشاكل السلام ، تجري هذه الاتصالات لتنسيق الدراسات المنظمة بهذا الشأن والاستفادة من نتائجها على مستوى دولي بعيد المدى .

ان الفكرة التي تحذو الامم المتحدة بموضوع نزع السلاح والامكانيات الايجابية التي يمكن استخلاصها من ذلك ، هذه الفكرة ليست كمالية او شبه كمالية ، وضروريتها ليست آتية فقط من من خطورة الحرب النووية على مستقبل الانسان بل ان ما هو اهم من ذلك ، هو صلتها بقضية التوازن المختل بين الاحتياجات العالمية في الميادين الاقتصادي والاجتماعي ، وما ينبغي فعله لتدارك هذا الاختلال قبل ان يفضي الى نتائج لعلها اخطر بكثير من مجرد قيام حرب بكتريولوجية او نووية ، وقد اشتد الحاح

خواطر حول العدد الماضي:

من الديوان إلى الميزان

للأستاذ: محمد عبد الواحد بناني

– النقـــد الادبـي تقييـم ...
– والنقد الادبي تقديـــم ...

والنقد – قبل ذلك وبعده – عمل فني لا يراد به الهدم بل البناء ، ولا يراد لذاته ، بـل لغايـة ساميـة هي الكشف عما في العمل المنقود من جوانب الحـق والخير والجمال فيجليها ويشيد بها ، وعما قد يكون في هذا النص من انحـراف سـواء في الشكل او في المضمون فينبه عليها في رفق واناه .. والناقد بهـذه العملية المزدوجـة يساعد كلا من منشيء النص وقارئه على السواء ، فنقده بالنسبة للمنشيء اشبه ما يكون بالمرآة التي ينعكس عليها انتاجه ، واضح التقاسيـم ، جلى التقاطيع . فتتراءى لـه مواطن التوفيق في عمله الفني فيحاول في المستقبل دوام استغلالها ، وتظهر له ايضا جوانب الضعف فيه فيعمل على معالجتها .

واما بالنسبة للقارىء فلا شك ان النقد يعينـه على تفهم النص ويفتح عينيه على ما يكمن فيه مـن خصائص سواء من حيث الفكـرة او الشعـور او الاسلوب ..

وما من شك في ان النقد بهذا المعنى يعـود باعظم الفائدة على الجنس الادبي الذي ينتمي اليه النص المنقود ، اذ بذلك يتبلور هذا الجنس في اذهان جمهرة القراء والمتأدبين ، وتصبح اصوله وقواعده العامـة اكثر وضوحا ونضجا وبالتالي اسهل فهما وتناولا .

ويدل تاريخ مختلف الاداب العالمية على انه ما من مدرسة او حركة ادبية كتب لها الازدهار يومـا ما الا وكان النقد من العوامل الرئيسية والاكثر اهميـة في هذا الازدهار ، فلولا ما اثيـر حول شعر ابي نواس وبشار مثلا في الشعر العربي من نقد ما كان لنزعـة التجديد التي راداها ذلك التأثير العميق في الطابـع العام الذي طبع الشعر العربي ايام العباسين سـواء في المعنى او المبنى . وكذلك الشأن فيما ثار من نقد حول شاعرية ابي تمام والبحتري والمتنبي والمعري وما كان لذلك النقد من تأثيـر في شعرهم وذيوعه وقل مثل ذلك في موقف النقاد امثال طه حسيـن والعقـاد والمازنـي من شعر حافظ وشوقي ومطران ، وموقف مدام دي ستايل وصالونها من الحركـة الادبيـة الابداعية في اوربا ، واثر ذلك على الفن المسرحـي – اصوله وقواعده – بصفة خاصـة .

على ان النقد من ناحية اخرى لا ياتي بمثل هذه النتيجة الايجابية الا اذا كان موضوعيا منتجا متجردا لا اثر للتحامل الشخصي فيه ، وذلك لا يتحقق الا اذا جهد الناقد جهده في ان يجـرد مـن نفسه قاضيـا نزيها يرى النص المنقود بعين الفن كمـا يـرى القاضي القضية بعين القانون ، على الرغم من ان التجرد الكامل من الذاتية في النقد غير ممكن على الاطـلاق ، وان للانطباع الشخصي والمزاج الخاص بالناقد اثره فيمـا يصدره الناقـد على النص المنقـود من احكام بسبب ان العلاقة التي تربط بين انتاج الاديب ونقد الناقـد علاقة تنبني في جوهرها على عملية التأثيـر والتأثـر ، وهي عملية نفسية في عمقها وابعادها ، اما دور الفكر فيها فجانبـي .

على اساس هذا الفهم البرىء والنزيه لمدلـول « النقد الادبي » قبلت من حيث المبدا فكـرة نقـد ديوان العدد الماضي من هذه المجلة ، راجيا ان ينظـر الى صنيعي هذا بهذا المنظار ، والا يتنكب به هذا الاطـار .

ذلكم انني ما عرفت ادباء قوم ينفعلون بالنقـد ويثورون له كما عرفت ادباء قومي ، وبالتالي ما عرفت

وذلك للنظر فى امكانية توسيع الحظر الدولي على التجارب النووية وجعل هذا الحظر يشمل ايضا حتى التجارب تحت الارضية ، وقد كانت هذه مستثناة من اتفاقية موسكو لسنة 1963 واحتمال الوصول كذلك الى اتفاق دولي حول منع انتاج المواد المؤدية الى صنع اجهزة عسكرية نووية ، ومحاولة العمل على عرقلة انتشار السلاح النووي فى العالم عن طريق الحيلولة دون ان تستطيع انتاجه دول اخرى غير الدول النووية الحالية ، هذا الى مسائل عديدة من هذا القبيل ، وقد عبرت بريطانيا والسوفييت عن وجهات نظر من هذا النوع ، الامر الذي يمكن من الاعتقاد بان مفاوضات دولية جديدة حول توسيع نطاق الحظر الدولي على انتاج الاسلحة الذرية يمكن الا تطول وتتعقد كثيرا ، بالشكل الذي جرت عليه الامور فيما مضى اثناء مؤتمرات جنيف قبل التوصل الى اتفاقية موسكو لسنة 1963 .

والعالم ، وخصوصا العالم المتخلف يعنيه جدا نوع المصير الذي تنتهي اليه سياسة التسلح او عدم التسلح الدولي ، وقد ساهمت الدول الحيادية كثيرا فى اعمال مؤتمرات جنيف السابقة ، وكانت خلالها عاملا ايجابيا ملحوظا ، غير ان عناية الدول المتخلفة والحيادية بامر نزع السلاح ليس صادرا عن مجرد رغبتها فى حفظ السلام الدولي العام فقط ، بل ان عنايتها بمصير سلامتها الذاتية كذلك له دخل كبير فى الامر ، وعلى هذا فهناك نقطتان اساسيتان لابد من مراعاتهما فى كل سياسة دولية من هذا القبيل لكي تؤدي الى بلورة ارادة دولية جماعية ، تحافظ على هذه السياسة وتقوم كاطار لاستمرارها حية فعالة ، فهناك اولا ضرورة العمل على تحديد نشاط المغامرين الدوليين الذين — وان كانوا لا يستطيعون انتاج السلاح النووي بمواردهم الخاصة — فان من الممكن جدا انهم يبذلون جهودا غامضة ويرومون طرقا ملتوية لامتلاكه على شكل من الاشكال ، وذلك لتنفيذ اغراض توسعية ضد العرب مثلا او ضد غيرهم من الامم تحت ستار التهديد النووي وما فى نوعه « اسرائيل مثلا » اما النقطة الثانية فتتعلق بالصلة الضرورية بين نزع السلاح وقضية التخلف فى العالم ، فهناك تلازم دقيق بينهما وان كان غير بارز سطحيا ، والا فهل يجدي النجاح فى اقرار نظام دولي لنزع السلاح بحيث يؤدي ذلك الى تصفية عوامل التوتر فى العالم الموجبة للتسلح دون القضاء على وجود التخلف الذي هو عامل رئيسي فى تعقد جو الاضطرابات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخل كثير من النقط الحساسة بالعالم والقابلة للالتهاب باسرع ما يمكن ؟ وقد كانت الولايات المتحدة من بين الدول التي المت كثيرا بهذه الحقيقة فكان من ذلك برامج المساعدة الدولية كبرنامج النقطة الرابعة ، ومشروع التحالف من اجل التقدم ، وغير ذلك من المبادرات التي — بغض النظر عن نجاحها او عدمه فانها تدل فى عمومها على حالة الاقتناع بأهمية العامل الاقتصادي والاجتماعي فى تكييف مصير العالم نحو الارتباك او الاستقرار ، الا ان التطور الذي وقع او يجب ان يقع بهذا الشأن هو الخروج بسياسة المشاريع هذه من نطاق اقليمي كامريكا اللاتينية مثلا والتعاون فى اقرار سياسة لتصفية التخلف على اساس عالمي شامل ومتكامل ، والذي يبدو واضحا ان الموارد المخصصة للتسلح اذا ما تحررت نتيجة التوصل لنزع محتمل للسلاح ، فانها يمكن ان تسهم فى انجاح سياسة انماء عالمي من هذا القبيل ، واذا كان غير ممكن — عمليا — صرف الموارد هذه كلها من اجل التنمية العالمية فان قسطا من هذه الموارد الضخمة يمكنه ان يؤدي دورا مهما فى هذا المجال ، والواقع ان سياسة من هذا النوع لا يمكن ان تعتبر مجرد عبء ثقيل على الدول المتقدمة لا غير ، فهي — اذا ما نجحت واصابت اعترافها الانمائية العالمية ، فان من شأنها ان تخلق حالة من الازدهار الاقتصادي على مستوى العالم كله ، تستفيد من نتائجه مختلف الدول الكبرى والصغيرة على السواء .

سلا — المهدي البرجالي

مجنح يخاطب العاطفة والعقل بواسطة الكلمة الموحية ذات الظلال وسحر الخيال .

نعم : قد يقول قائل ا نالقياس بين شعر العبدي وابن جلون قياس مع فارق عظيم هو اختلاف ما بين الشاعرين من عصور ، والجواب على ذلك اننا ما دمنا بصدد الكلام على «مختارات» من الشعر فقد طوت المسافة بينهما وحدة الفن ووحدة الشعور !!

* * *

وننتقل الان الى الكلام على قصيدة الاستاذ ابن جلون بعنوان « محمد » .. وموضوعها — كما يوحي به عنوانها وتنطق به ابياتها — « الرسول «ص» واثررسالته فى بني الانسان » .

والقصيدة تصوير رائع لحالة البشرية وما كانت عليه من جاهلية وظلم واستبداد ووثنية والحاد قبل بعثة الرسول عليه السلام ، وكيف انبرى عليه السلام من بين القاعدة الشعبية — من بين رعاة المواشي — يحمل الى الانسانية رسالة النور والهدى والايمان، رسالة الطمانينة الخالدة والسعادة والسلام ، ثم ما لاقته هذه الرسالة من حرب الطغاة وكيد العتاة ، وكيف كسب المسلمون فى النهاية الجولة ، واستطاعوا باتحادهم ان ينصروا الدين ويقيموا الدولة .. ثم يختم الشاعر قصيدته بهذا النداء الحار الذي يحمل اكثر من مغزى ويدل على اكثر من معنى :

فيا ايها المنقذ المجتبى
محمد ، صوتك مثل الصدى
يشق الى الناس ماضي القرون
ويرشدهم من وراء السنين

فهل انت مرشدهم للهدى ليهدوا كما فعل الاولون

والعاطفة الغالبة على القصيدة هي عاطفة الاكبار والاجلال للدور الذي قام به الرسول واصحابه فى انقاذ الانسانية من ويلات الجاهلية ، والتفاؤل بان دعوة الرسول وتعاليمه خليقة بان تعود من جديد فتنتشل هذه الانسانية المعذبة الان مما هي فيه من ويلات ، وتقودها الى طريق الهدى ، طريق الايمان والمحبة والسلام ، وعلى الرغم من ان الموضوع العام الذي تعالجه القصيدة قد طرق عدة مرات منذ بعثة الرسول عليه السلام حتى الان الا ان ميزة هذه القصيدة العظمى فى نظري هي طريقة المعالجة أي الاسلوب :

فقد بنى الشاعر قصيدته بناء محكما وفق مخطط مرسوم اوحى به صدق التجربة الشعورية عنده مما جعل للقصيدة وحدة مترابطة الحلقات متلاحمة الاجزاء ، فالبيت يسلمك الى البيت بطريقة تلقائية لا اثر التكلف والمعاناة فيها ، وتحس وانت تنتقل من الجزء فى القصيدة الى الجزء الذي يليه ان الشاعر يسكب من روحه فى روحك ومن مشاعره فى مشاعرك ويتحدث الى قلبك وعقلك دون ان يتوسل الى ذلك بما يتوسل به الشعراء عادة فى مثل هذا الموضوع وهو اللجوء الى الكلمات الطنانة والالفاظ الرنانة والى الاطناب والمبالغة بالاضافة الى البكاء والعويل عندما يتكلمون على مصير الاسلام والمسلمين .

والفرق بين الطريقتين عظيم جدا : ذلكم ان الطريقة التي سلكها الشاعر « تؤثر » بينما الاخرى « تثير » وميزة التاثير انه ينفذ الى الاعماق ويعانق الشعور واللاشعور ، بينما الاثارة فى الغالب تطفو فوق السطح ، وعمرها قصير جدا لانه محدود بالزمان والمكان .

ثم ان النفس راميل الى الاسلوب الهادي المقنع المؤثر منها — عادة — الى الاسلوب الصاخب المفتعل المثير ، وفى حدود هذا الاطار ايضا تتجلى روعة الفن ايضا وجماله وجلاله .

اما قبل : فقد قرات قصيدة الاستاذ ابن جلون عدة مرات قراءة فحص ونقد وتمحيص ، وعيرتها فى كل مرة بمعيار الفن والذوق متمنيا ان اجد فيها سيئة من السيئات او هفوة من الهفوات فانبه عليها تمشيا مع المنهج النقدي الذي قيدت نفسي به حتى لا يقال عن عملي هذا انه اقرب الى المدح منه الى النقد ولكنني اصارح القراء الافاضل أنني ما وجدت فيها غير اصالة الفن وزنا وفكرة واسلوبا ولغة وتخطيطا ، ولا بدع فادب الاستاذ ابن جلون فى القمة ، وشاعريته الموهوبة ترشحه كدليل من أقوى الدلائل وانصعها على ان مغربنا العزيز بخير ، وعلى ان به من الادباء والشعراء — على ندرتهم — من يعد فى الصف الاول من بين ادباء وشعراء العالم العربي فى العصر الحديث ان لم يكن فى العالم اجمع .

واما بعد : فتتلو قصيدة الاستاذ ابن جلون بالعدد الماضي قصائد الاساتذة الشعراء عبد الكريم التواتي بعنوان : « ادرك بفضلك يا مختار امتنا » والمدني الحمراوي بعنوان « معركة الوادي » وعبد

انحراف قوم عن النقد المنهجي المنتج كما عرفت انحراف كثير من نقاد قومي ، والايات على كل ذلكم كثيرات متعددات ، ينطق بها الكثير مما يصدر في مغربنا العزيز من صحف ومجلات .. الا فليفسح ادباؤنا الافاضل صدورهم لكل نقد نزيه ، وليتوخ نقادنا ايضا فيما ينقدون اصول هذا الفن ومناهجه ، فان في ذلك وحده انتعاش الحركة الادبية بالمغرب ، والسير بها قدما نحو النهوض والازدهار .

يحتوي ديوان العدد الماضي « العدد السادس والسابع من السنة الثامنة 1384 – 1965 » على مختارات من الشعر العربي القديم بعنوان : « لا .. ونعم .. » المثقب العبدي وعلى سبع قصائد لشعراء معاصرين ..

ولابدأ بالمختارات ، وكلامي عنها سيتناول الفكرة من حيث المبدأ ، ثم قصيدة المثقب العبدي من حيث الشكل ثم من حيث المضمون .

فاما فكرة نشر مختارات شعرية بالمجلة فانا شخصيا من المعجبين بها المتحمسين لها سيما وان المجلة تخصص لها اطارا جميلا وخطا انيقا يجعلها اشبه ما تكون بلوحة فنية تانقت في عملها يد صناع اضف الى ذلك الجو النفسي الذي تخلقه بسبب انها وسيلة لبقة وذكية لنقل القارىء من جو « الابحاث والمقالات» التي يغلب عليها طابع التفكير والموضوعية والجفاف الى جو الشعر حيث عالم الشعور المرهف والتعبير الرشيق والخيال المجنح .

واما من حيث الشكل فقد وقع خطئان في ضبط هذه القصيدة حيث ضبط مستهل البيت الخامس هكذا « واعلم ان الذم نقص للفتى » في حين ان القواعد العروضية تفرض ضبطه هكذا : « واعلم آن الذم .. الخ والا سقط الوزن ، وحيث ضبط البيت التاسع هكذا ،

فتعزيت خشاة ان يرى   جاهل اني كما كان زعم

في حين ان الاظهر هو ضبط « يرى » في البيت بالبناء للمعلوم لا للمجهول ، والفرق بين المعنيين واضح تمام الوضوح .

اما من ناحية المضمون فاعتقد ان مجلتنا الغراء سوف يحالفها التوفيق اكثر لو انها لم تتقيد بالنزعة التعليمية التهذيبية في مثل هذه المختارات ، وتوخت فيما تختاره المقطوعات الشعرية التي توفرت فيها اسباب الفن الشعري – وما اكثرها في الشعر العربي قديمه وحديثه – لتكون تلك المنتخبات نموذجا يحتذى واثرا يقتفى سيما وان الذوق الفني في العصر الحديث قد ارهف في الشرق والغرب ، واصبح معه الشعر ذو النزعة الانسانية الصرفة من حيث المضمون اسمى وارفع انواع الشعر على الاطلاق .

ولاشرح ما اقول بطريقة عملية ، تعالوا نتذوق كلا من الابيات الاولى من هذه المختارات بصفحة 111 من المجلة وهي :

لا تقولن اذا ما لم ترد
ان تتم الوعد في شيء « نعم »
حسن قول « نعم » من بعد « لا »
وقبيح قول « لا » بعد « نعم »
ان لا بعد نعم فاحشة
فبلا فابدأ اذا خفت الندم
واذا قلت نعم فاصبر لها
بنجاز القول ، ان الخلف ذم

ثم نقلب الصفحة فنتذوق الابيات الاولى من قصيدة الاديب الممتاز والشاعر الموهوب الاستاذ عبد المجيد بن جلون بعنوان « محمد » ص 112 حيث يقول :

اذا خيم الليل فوق القصور
ولم يبق في هذه الارض نور
وغابت عن الافق حتى النجوم
ولم يبق في الارض غير الوجوم
فلا تيأسوا من صباح منير   ولا تيأسوا من الاه رحيم

السنا نجد ان الابيات في كلتا القصيدتين وان اشتركت كلها في ظاهرة الوزن والقافية فقد افترقت في امور :

منها ان المعاني في الابيات الاولى اشبه ما تكون بمعاني خطب الوعظ والارشاد التي يغلب عليها طابع « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » بينما المعاني في الابيات الثانية – على الرغم من ان موضوعها ديني – قد هذبتها الشاعرية الموهوبة ، فهي تدغدغ عاطفتنا بدلا من ان تقرعها ، وتنساب في روحنا ومشاعرنا بدلامن ان تغزوها وتجرحها، ومنها ان الاسلوب في الابيات الاولى خطابي مباشر منطقي يخاطب العقل قبل الشعور بصيغة « افعل » و « لا تفعل » مما يجعله اقرب الى الاسلوب العلمي الرياضي بينما الاسلوب في الابيات الثانية شاعري

الجامع المقرب، النافع المعرب

ترجمة مغربية لكتاب فلكي بالفرنسية في ثلاث مجلدات

تعريف الأستاذ : محمد المنوني

مقـــدمــــة :

اصل هذه الترجمة كتاب لفلكي فرنسي جوزيف لالانـــد LALAND وقد وضعه بالفرنسية فــي علم الفلك الحديث ، ثم عربه جماعة من التراجمة تحت اشراف السلطان العلوي : محمد الرابع .

ويدخل تعريب هذا الكتاب في نطـاق الحركـة الانبعاثية التي حاولها محمد الرابع منذ كـان خليفـة لوالده بعد (موقعة ايسلي) وقـد شملت ميادين العسكرية والاقتصاد والعلوم (1) ويهمنا هذا الجانب العلمي من هذه الحركة ، فقـد اهتم الاميـر الشاب بالعلوم الرياضية كأساس جذري للانبعاث الــــذي ينشـــده .

وقد كان هو نفسه على درجة من الثقافة فـــي عدد من فروع المعرفة ، بما في ذلك العلوم الرياضية ، التي درسها على ضابط مهندس فرنسي كان يعمل في بلاط والده ، وصار يحمل اسم « عبد الرحمن العلج » بعدما دخل للاسلام (2) ويذكر البعض (3) — في شيء من التردد — اسم استاذين مغربيين للامير في بعض هذه العلوم الرياضية ، وهما الفلكيان : علي بن محمد بن عبد الواحـد الزجلي ثم الفاســي (4) ، والحـاج محمد بن الطاهر الحبابي الفاسي (5) .

وهناك آلة اخترعها هـذا الاميـر لاستخـراج المطالب التوقيتية ، ووضع في طريقـة العمـل بهـا رسالة سماها : (نخبة الملوك ، لمن اراد الى الاوقـات او للقبلة السلـوك) ، ولا تزال هذه الآلة غير معروفة، وانما الموجود هو الرسالـة التي وصف فيهـا هـذه الآلــة هكـذا :

(.. اخترعت شكلا ثابتا شافيا كافيا لمن صنف قبله في العروض . والسموت . والجهات . والميول . والظلال . والارتفاعات . والاطـوال . والاوقـات . والقبلـــة) .

ثم ذكر تكليف بعض اصحابه بصنع هذه الآلـة طبق تصميـم وضعه لها :

(فلفنت عمله المختصر البديع الافخم ، للطالب امحمد الاشخم (6) المتعين من بعض حذاق اصحابنـا

---

1) توجد امثلة لهذا الانبعاث الثلاثي في (مظاهـــر يقظة المغرب الحديث) مجلـة « تطـوان » العـدد الثانـــي — سنـة 1957 م .

2) الاعلام ، بمن حـل بمراكش واغمـــات مـــن الاعـلام) للقاضي عباس بن ابراهيـم ج 2 ص 267 ، وانظر عن ترجمة عبد الرحمن العلج نفس المصدر : القسم المخطـوط .

3) هو الحاج العربي المشرفي في « الحسم المشرفي » نسخة الخزانـة العامـة بالرباط ، ضمـن مجموع يحمل رقـم ك 2276 .

4) في «تذكرة المحسنين» خ. ع. ك. 270 — لـدى تعداد وفيات عام 1265 هـ — جاء ما يلي : (وصاحبنا الفقيه الميقاتي المعدل المهندس عـديم النظيـر ، السيد علي بن الفقيه سيدي محمد بن عبد الواحد الزجلي) وفي ظهير للسلطان محمد الرابع ان قبيل هذا يعرفون بأولاد ابن تمو — (اتحاف اعـلام الناس) لابن زيـدان ج 3 ص 366 .

5) ترجمته في « السلوة » ج 2 ص 360 .

6) لم اقـف على ترجمتـــه .

المالك انبلغيثي بعنـــوان « غادة افران » وادريـــس الجاي بعنوان «هواجس ضمير» وجليلة رضى بعنوان « اغنية الشاعر » ومحمد احمد حيدر بعنوان «صور من بلادي » وهي ست قصائد تحتل خمس عشـــرة صفحة كاملة من صفحات المجلة ، وكلها من عيـــون الشعر العربي المعاصـــر .

وقد كان في نيتي ان اوفي كل قصيدة منها حقها من النقد والتحليل ولكن ما اخذت به نفسي من التزام المنهجية في النقد من جهة ، وضيق المجـــال عن ان يتسع لمثل هذا العمل من جهة اخرى ، حملاني علـــى الاجتزاء بهذا القدر ، مكتفيا بنقد « المختــــارات » والقصيدة التي تلتها حسب الترتيب الذي وضعتـــه المجلـــة ..

ان نقد ست قصائد في رايي – بالاضافة الـــى المختارات والقصيدة التي تلتهـــا – ليس يفي به مقال واحد ، لان التجربة الشعورية في كل قصيدة منهـــا تختلف عن التجربة الشعورية في غيرها من القصائـــد ومثل ذلك يقال في كل من الموضوع والعاطفة والاسلوب والايقاع.. وان من التجني على الثقافة والادب والنقد جميعا ان يكال القول فيها جزافا دون تمحيص ونفاذ الى الاعماق واهتمام بالتفاصيل والجزئيات ، وذلـــك ما انزه قلمي عنه ، واعترف ان مجال هذا المقال وحده لم يتسع ولن يتسع لـــه .

واذا كانت دراسة وتحليل ثمان قصائد – وهي ديوان هذا العدد من المجلة – قد تأبت على هذا المقـــال لان اصول النقد تأبى ذلك ، فان من باب اولى واحرى ان يكون نقد العدد كله وهو يشارف عادة المائـــــة والخمسين صفحـــــة مشكلـــة الالوان مختلفات اكثـــر تابيا وادخل في باب ارتجال الاحكام منه في باب التقييم والتقويم والنقد السليم .

الربـــاط – عبد الواحد بناني

الاولى سنة 1764 م 1178 هـ

الثانية سنة 1771 م 1186 هـ فى ثلاثة اجزاء ، وقد ترجمت الى بعض اللغات، ونقل زيجها الى اللسان التركـي .

الثالثة : هي هذه التي يتحدث عن ترجمتهـا وقد كان رصدها الاخير سنة 1793 م 1208 هـ .

ومن تتبع ابواب هذا التاليف ، يتبين انه ــ بعد المدخل ــ يتكـون من 24 كتابا تشتمـل على 4200 مسالـة :

الكتاب الاول : فى اصول علم الفلك

الثانـي : اصالة علـم النجـوم واخباره .

الثالث : الكواكب الثابتة وصورها

الرابع : فى مبنى علم الكواكب ، ويقصد بهـذا : المباحث الاصلية التي لها تاثير فى باقي هـذا التاليف

الخامس : فى مذهب العالم ، والمراد بالعالم هنـا سائر الافلاك . وبه ينتهي المجلد الاول

السادس : في علـم الكواكـب

السابع : فى القمـر

الثامن . حصة الجوامـع

التاسع : في اختلاف المنظر

العاشر : فى استخراج الخسوفات

الحادي عشر : مرورات الزهـرة وعطـارد على الشمـس

الثاني عشر : انكسار الاشعة التنجيمي

الثالث عشر : آلات التنجيـم

الرابع عشر : فى العمل بالالات وكيفية تعاطـي الرصد ، وبه ينتهي المجلد الثاني

الخامس عشر : عظم الارض وشكلها

السادس عشر : وهو مشتمل على حركة الاقبال، واختلاف المنظر السنوي للثوابت ، وتغير الميل الكلي ، والتزحلق الخاص بكواكب مختلفة

السابع عشر : حركة النور والمحورين

الثامن عشر : علم الفلك الخـاص بالنـدماء او التوابـع

التاسع عشر : ذوات الذوائب

العشرون : استدارة حركة السيارات وكلفها

الواحد والعشرون : حساب الفضيلة والمتمـة مطبقا على عالم الفلك

الثاني والعشرون : الثقل والقوة الجاذبة

الثالث والعشرون : وهـو فى التريفونو مطرية : الخطيـة والكريـة

الرابع والعشرون : كيفية استخراج مسائل علم الفلك بالحساب بواسطة الارصاد ، بـرا وبحرا .

* * *

هذا هو التاليف الذي قام بتعريبه جماعة مـن التراجمة تحت اشراف محمد الرابع ، وتم تعريبـه ــ حسب آخر السفر الثالث ــ فى 28 رمضان عـام 1268 هـ 1851 م

ويجدر ان نذكر هنا ان هذا الامير كتب مقدمة الترجمة العربية ، وادرجها فيما بين مدخل الكتـاب والباب الاول ، وفيها يذكر حكم النظر فى علم النجوم ، ويبين قيمة الكتاب المعرب ، كما يتحدث عن ترجمتـه تحت اشرافه ، واصطلاحات الترجمـة ، ثم يختتـم بتسمية هذا الموضوع ب (الجامع المقرب ، النافـع المعرب) ، وهذا ما يهم من مقدمة الترجمة العربية :

« .... اما بعـد : فيقول العبد المتوكـل على الله ، المعتصم فى جميع اموره بمولاه ، محمد بن اميـر المومنين ، وخليفة رب العالمين ، مولانا عبد الرحمن بن مـولانا هشـام ....

اني لما نظرت فى هذه العلوم الرياضية ، التـي منها الحساب والهيئة والهندسة ، وهي ابراز الحساب من الكم الى الكيف ، وابراز الهيئـة مـن القـوة الى الفعل ، وغايتها المجسطي ، وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض منها لايكون بمجرد التقليد فيها ...

ولمـا كان ذلك لابـد فيه مـن الرصد للاجرام العلوية ، ومشاهدة امكنتها من افلاكها ومقادير حركاتها فى الازمان المختلفة ، وكان الرصد المذكور فى بـلادنـا وزماننا متعذرا او متعسرا، ولكن ما لايمكن كله لا يترك كلـه ــ بحثنا من اجل ذلك ــ لاجرم ــ كـل البحث عن اقرب الارصاد الى زماننا ، فوجدنا كتابا حفيـلا عجيبا جامعا لكل ما يحتاج اليه الناظر فى هذه الصناعة، بحيث لايتوقف على غيره من الاوضاع ، ناهيك مـن كتاب لايدرك وصفه الواصف بمقاله ... مع ما اعتمده مؤلفه والتزمه من التحرير البالغ غايـة الغايـات .. والتوقيف على كل العويصات وكشف الخفيات ، وتاييد المسائل بالحجج الواضحـة اليقينيـة ، والاشكـال الهندسية ، والامثلة العدديـة ، والاقيسة الجبـرية ، ورد الفروع الى اصولها .. ثم اخذ ما وافق العيـان والرصـد الجديـد ، والغاء ما دون ذلك .. الا انـه باللسان والقلم الاعجميين ، لان مؤلفه رومي من اهـل

في ذلك ، لينتج منه آلة على نحو الاشارة ، فانقها وطرزها واتقنها ، ففاقت « الرومية » الاتية من هنالك (7) ، وقد اسفرت عن وجه التحقيق اللثام ، وتحت الشمس ينسكب الغمام) .

والرسالة مرتبة على مقدمة ذكر فيها من خاض في العلوم النجومية من الاعلام ، وحكم الاشتغال بها ، وقد جعله تعتريه الاحكام الشرعية الخمسة ، مع استعراض ادلة الجواز ، وبعد هذا تخلص لموضوع الرسالة ، واخذ يذكر طرق استعمال هذه الالة في المطالب التوقيتية .

والمعروف ـ لحد الآن ـ من هذه الرسالة ثلاث نسخ : الاولى : في « المكتبة الاحمدية » بفاس ، والثانية: في « المكتبة العبد الرزاقية » بمراكش ، والثالثة : في « الخزانة العامة » بالرباط ، وهي تحمل رقم د 266 وتقع في تسع صفحات ، مسطرة 20 ، مقياس 230 / 175 ـ خط مغربي جميل ملون ، خال من تاريخ التاليف والنسخ ، ويلاحظ ان النسخ الثلاثة كلها خالية من رسم للالة المخترعة .

والى جانب هذه الثقافة في العلوم الرياضية ، فقد شجع الامير الشباب الاشتغال بهذه العلوم ، ويذكر ابو اسحاق ابراهيم التادلي (8) ان سلطان وقته جبر احد اعلام الميقات والتعديل بفاس « المكي الجنان » على تعليم هذه العلوم للطلبة ، فكان ـ على حد تعبير ابي اسحاق ـ ان (رحم الله المسلمين بعد انقطاع هذه العلوم من فاس) ، وهكذا يسجل هذا العالم الرباطي احياء هذه العلوم من طرف سلطان وقته ، وهي شهادة لها قيمتها ، حيث ان صاحبها يدلي بها في معرض الحديث عن اساتذته الذين درس عليهم بدون ان يكون بكتب تاريخا برسم ملك ، او يقصد تزلفا ، وبهذا تؤيد هذه الشهادة ما اكده ـ في هذا الصدد ـ مؤرخ معاصر (9) حيث يذكر ان السلطان محمد الرابع احيا ما اندثر بالمغرب من العلوم ، كالحساب والتعديل والهندسة والنجوم

وقد كان بعث هذه العلوم يبدو في احياء تدريسها بمختلف المساجد المغربية وملحقاتها ، وبمدرسة المهندسين التي كان مركزها بالمدرسة المرينية داخل القصر السلطاني بفاس الجديد ، وهذا موضوع سيدرس ـ على حدة ـ في فرصة مقبلة باعانة الله تعالى .

وكذلك وقع بعث تلك العلوم بالترجمة الى العربية ، وهذا ما سيتحدث عن مظاهره فيما يلي :

الجامع المقرب ، النافع المعرب :

هذا هو العنوان الذي وضعه السلطان محمد الرابع للترجمة المغربية التي نتناول حديثها ، واول ما يلاحظ في هذا الصدد : ان اسم المؤلف الاصلي للكتاب المترجم غير وارد لا في مدخل هذا الكتاب ، ولا في مقدمة الترجمة ، وانما جاء آخر المجلد الاول : (تم السفر الاول من كتاب لالاند) ، ولا شك انه يقصد به الفلكي الفرنسي الشهير « جوزيف لالاند » من اهل باريز 1732 م 1145 هـ ـ 1807 م 1223 هـ .(10)

كما يقصد بالكتاب : التاليف الذي وضعه هذا بالفرنسية في علم الفلك الحديث ، وجعله حسب الارصاد الجديدة ، وعلى حساب خط نصف النهار المار بباريز .

والمؤلف يذكر في مدخل الكتاب انه ثمرة لخدمة اربعين سنة ، ولكل ما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة ، كما ان تقدم هذا العلم افاده افكارا كثيرة وجديدة ومبتكرة في هذا الصدد .

ولما رأى الناس مفتقرين الى تاليف موسع في هذا العلم ، اقدم على جمع ما كان مشتتا من محصول علم الفلك في كتاب واحد ، بدون ان يترك شيئا اصلا من فروع هذا العلم المتسع المجال ، حتى يسد الفراغ البادي في المؤلفات القليلة السابقة ، وحتى يمهد الطريق لطلاب هذا العلم ، وقد اجتهد في توضيحه لتتأتى قراءته بدون شيخ يدرسه ، ولا شارح يشرحه .

وهو قد اعرض فيه اعراضا كليا عن المسائل القليلة الاهمية ، ولكنه اهتم بالمسائل التي لها تاثير اعم في باقي التاليف ، وكذا فيما كان جديدا قليل المعلومية .

وحسب هذا المدخل ـ ايضا ـ فان الكتاب ظهر في ثلاث نسخ :

---

7) لم اقف عليها .

8) يوجد هذا ضمن كناش بمكتبة العلامة الجليل محمد بن بوبكر التطواني بسلا ، حيث وقفت عليه اثناء سنة 1374 هـ 1955 م .

9) هو ابن الموار في « المقالة المرضية ، في الدولة العلوية » نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 493

10) المنجد في الادب والعلوم ص 457 .

أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي

للأستاذ : محمد بنشريفة

- 2 -

اما نشاطه فى خدمة الدولة اثناء هذه الحقبة فلا نجد منه الا رسالة طويلة كتبها عن اهل العدوتين جوابا عن كتاب الخليفة الرشيد اليهم بوصول بيعة تلمسان (1) وقد جاء فى هذه الرسالة بعد الدعاء للحضرة والاطناب فى وصف مزاياها ومفاخرها وتقرير الطاعة والولاء لها ووصف الكتاب الوارد ، ان الطلبة والجماعة والكافة من اهل رباط الفتح وسلا قد دعوا الى سماع هذا الكتاب فى المسجد الجامع يوم جمعة فابتهجوا به (وعرفوا منه اتيان بيعة تلمسان عفوا بلا تعب ، وابتداء دون طلب ، وهي البلدة العتيقة ، والروضة الانيقة ، جمعت محاسن المدائن منها في مدينة ، واشتملت على اكمل عدة ليومي حرب وزينة ، حشوها السلاح والكراع ، وفاخر متاعها لا يضاهيه المتاع ، وقد كانت قديما نأت بجانب ، وأومأت عن الانقياد بوعد غير كاذب ، واولياء الله بكظمها آخذون ، وللهوينى فى امرها منابذون ، وبصائر اهل هذا الامر العلي كسيوفهم محشودة ، والعهود عليهم بالصبر في مواطن الجلاد مأخوذة ، فما اذعنت الا بعد ان ظن انها ماء نضب ، بل ذماء ذهب ، وها هي الان قد لبت قبل النداء ، واستحبت فضيلة الابتداء ، وجاءت وهي عروس عليها حليها ، حسانة (2) احسن جلاءها وليها ، هذا والسيف مقروب ، والخطى لم تهز له كعوب ، والخيل ما ارداها سير ولا اضناها ركوب) (3) .

---

1) كان صاحب تلمسان يومئذ الامير يغمراسن بن زيان من بني عبد الوادي وكان يدين بالطاعة للموحدين وقد اشار ابن خلدون فى العبر ج 2 ص 111 ط الجزائر الى استئلاف الرشيد الموحدي له بانواع الالطاف والهدايا عام 637 هـ اما اخوه يحيى صاحب بغية الرواد فقد جعل تاريخ هذه الهدايا في سنة 639 هـ (بغية الرواد ج 1 ص 112) وهذا التاريخ الاخير هو الذي يتلاءم مع رسالة ابن عميرة هنا ، ولعل وصول بيعته التي تتحدث عنها هذه الرسالة كان عقب الهدايا المشار اليها ، اما مؤلف الدر والعقيان الذي يتعصب فى كتابه كثيرا لبني عبد الوادي فقد زعم ان يغمراسن استقل بالملك ايام الرشيد واشار الى هدية الرشيد اليه وقال انه لم يجبه الى ما دعاه اليه من الدعاء له والخطبة باسمه (نظم الدر والعقيان مخطوط المكتبة العامة بالرباط ورقة 31)

2) يقال رجل حسان وامراة حسانة بضم الحاء ، ومنه قول الشماخ :

دار الفتاة التي كنا نقول لها
يا ظبية عطلا حسانة الجيد

3) الرسائل 239 مخطوط 233 .

بارز (كذا) ، وكان رصده الاخير سنة 1793 بالتاريخ المسيحـي .

وكان من فضل الله علينا ان حضرتنا العالية بالله تعالى ، قد احتوت على جماعة وافرة ، ممن آوتهم ظلال دولتنا الشريفة المنصورة الظافرة ، ربيناهم فى خدمتنا احسن تربية ، وصفيناهم لاقترابنا اكمل تصفية ، واطلعناهم لمكان التخصيص على اسرار هذه العلوم ، وغذيناهم من جنى هذه الفنون باطيب الطعوم، حتى اصبحت حضرتنا العزيزة كعبة النجباء الحذاق ، ومطافا للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة والاقلام ، متهيء لاكتساب الكمالات بالاستعلام ، فأمرناهم بتعريب الكتاب المذكور ، واخراجه من الظلمات الى النور ، فصرفوا كل عناية الى ذلك ، ودابوا عليه آناء الليل واطراف النهار مدة مديدة ، مع معاناة اكيدة ، ومشقة شديدة ، وكل ذلك بمرأى منا ومسمع ، ومحضر لنا ومجمع ، تعرض علينا كل يوم مخرجاتهم فنبالغ لها بالتنقيح والتصحيح، ونرجح منها ما هو داع الى الترجيح ، حتى برز ـ بحمد الله ـ فى احسن الصور واجملها ، واتم الوجوه واكملها .... فاذا علمت هذا ، فاعلم اننا ترجمنا هذا الوضع المبارك ب : « الجامع المقرب ، النافع المعرب » .

لم تكن هذه الترجمة معروفة من قبل ، حتى ظهرت بالمكتبة الملكية بالرباط ، التي تتوفر على نسختين اثنتين : الاولى تامة ، وهي تحمل رقم 2682 وتقع فى ثلاثة اسفار :

الاول : به ورقات 409 ، منها 16 ورقة فى مدخل المؤلف ، وثلاث ورقات ـ تقريبا ـ فى مقدمة الترجمة ـ خط مغربي حسن ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع فراغ فى اكثر الجداول ، وبياض الصفحات .

الثاني : به ورقات 309 ـ خط مغربي لاباس به ملون مجدول مصحح ـ يسيرا ـ بالهوامش ، مع بياض فى بعض الصفحات .

الثالث : به ورقات 272 ـ خط مغربي لاباس به ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع بياض فى بعض الصفحات . مسطرة الاسفار الثلاثة 29 ، مقياسها 220/330 ، وهي ـ كلها ـ عارية عن تاريخ التاليف والنسخ .

النسخة الثانية : تشتمل على السفرين : الثاني والثالث ، وتحمل رقم 5405 ، بها رسوم فى الصفحات البيضاء فى الثاني والثالث من النسخة الاولى ، ويذيل سفرها الثالث بتاريخ الفراغ من الترجمة : 28 رمضان عام 1268 هـ .

* * *

وبعد هذا نعيد النظر فى مقدمة الترجمة ، لنرى فيها التعريف بقيمة التاليف المترجم فى دراسة علم الفلك الحديث ، وسنجد تايدا لهذا التنويه بنفس التاليف يقوم به فلكي مصري : هو الشيخ حسين زايد ، مؤلف (المطلع السعيد ، فى حسابات الكواكب على الرصد الجديد) فقد جاء فى خطبة هذا الكتاب «11» :

(وكان الاعتماد فى احد غالب اصوله على زيج لالند الشهير ، لما فيه من الدقة وزيادة التحرير) .

وهذا كله يجعل لتعريب تاليف لالاند ، اهمية بالغة بالنسبة لزمنه وما قرب منه ، ولو اعيد النظر فى هذا التعريب ونشر فى عصره ، لكان المغرب اسدى الى رجال الفلك العرب يدا لن تنسى ، وهنا لا اتمالك ان اتساءل ـ ومعي بدون شك عدد من القراء ـ عن السبب الذي حال دون مراجعة هذه الترجمة ونشرها ، على مسيس الحاجة لها حينئذ .

وهناك اهمية اخرى لهذه الترجمة حيث انها تقدم مثالا ناطقا لاحد مظاهر الانبعاث العلمي الذي حاوله محمد الرابع ، وفوق هذا فان مقدمة الترجمة تمدنا بتلميحات عن نشاط العلوم الرياضية فى بلاط الامير الشاب ، الذي صار (مطافا للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة والاقلام) ومن سوء الحظ ان لا يعرف لحد الان ـ وبالضبط ـ ولا واحد من هؤلاء العلماء .

اما قيمة هذه الترجمة من الناحية اللغوية فهذا ما يتركه هذا المقال لمن يهمه الامر من المتضلعين في اللغتين .

الرباط ـ محمد المنوني

«11» ص 3 ط. المطبعة البارونية بمصر ، عام 1304 هـ .

ولا نعرف شيئا عن طبيعة هذه الوشايات التي سعى بها خصومه ، ويبدو انهم من الوافدين الاندلسيين ، وقد كادوا له ايضا عند قاضي القضاة بمراكش ابي اسحاق المكادي فكتب اليه ابن عميرة رسالة يتنصل فيها مما اتهم به ، وقد حذا فيها حذو ابن زيدون فى رسالته الجدية المعروفة ، وسآتي على ذكرها اثناء الكلام على ادبه ، ولعله تحت تاثير هذه الحالة النفسية كتب رسالته التي يشكو فيها سوء حظه مع خطتي الكتابة والقضاء وهي رسالة يذكر في اولها شرف خطة الكتابة وما يصيب صاحبها من مكروه احيانا وما ينشأ بين الكتاب من حسد ، وفيها يصف اخلاق حملة الاقلام من اهل زمانه فيقول : (فاما حملة ارقمه ، المتساقون بكاس علقمه ، فما اكثر ما سمعنا ان بعضهم على بعض عدا ، وقاده الى الهون والردى ، ان القاه على الشط اغرقه ، او وجده واهن الربط اوثقه ، ومنى رآه مستمسكا حطه ، وان مر به متنفسا غطه ، شبهوه بصل والصلال اشباههم ، وحذروا لعابه وهو مما تمجه افواههم ، وذكروا نحوله ومن منى بهم انحل ، واسكنوه معهم وجارهم عنه برحل) . ثم ينتقل بعد ذلك الى وصف حظه مع خطة القضاء وهذا الجزء من الرسالة مهم من حيث انه يشير الى بعض المتاعب التي لقيها ابن عميرة من اهل سلا وموقفهم من الجالية الاندلسية وهو يصف سلا واهلها بعبارات صريحة فى الهجاء وينعتهم بالتعصب وعدم الرضوخ الى احكام القضاء فيقول: (وظن ان سلا سلو عن الانكاد ، وعلو على الاضداد ، وساحة فيها ارب ، وراحة ليس معها تعب ، واذا بها وهي عجوز تحمل تيه الملوك ، وتستعمل زينة الهلوك ، اطلال كاحساب اهلها دارسة ، واوحال كطبع خلقها نجسة متجانسة ، كل يطلب الحكم على هواه ، والميل اليه عن سواه ، ويقول مخالفي يجب ان يعصى ، ومن اقضيته انا كيف لايقضى ، والقضاة وانا هادي عميانهم ، ووادي رعيانهم) (11) ثم يذكر كيف كان اهل سلا ينظرون الى الاندلسيين على انهم دخلاء وكيف كانوا يعاملونهم فيقول على لسانهم : (وانتم معشر الاندلسيين دافة دفت ، (12) ومادة جفت ، وفقع (13) عن اهله بان ، ونبت فى غير ارضه هان ، وما نحسبكم الا خشاشا ، لايجد مفارا ، وخفاشا ، اطير نهارا ، فالمهاجر الينا يجد الاوس والخزرج ، ويركب الملجم المسرج ، هذا اذا ارض الحسب واهله ، وستر بعلمنا جهله ، فاما ان عدا طوره ، وجفا زوره ، وتهاون بخلافنا ، ولم يحفظ مآثر اسلافنا ، ففرخه قبل النهوض مصيد ، وزرعه من قبل ان يهيج حصيد) ، كما ذكر فى هذه الرسالة ما كان يقع بينه وبين احد المفتين من اهل هذه المدينة فقال (والشان فى الاهذب العثنون ، الابله في علم المفروض والمسنون، اذا خنقته العبرة وارهشته الكبرة ، وحضره المحكوم عليه يقول ظلمت فانظرني بتقواك ، وانصرني بفتواك ، ويقص عليه قصته وقد حشاها بهتانا ، وضم اليها ايمانا ، فخرج بمنساته يهدج ، وفي سوءته يهملج ، حتى اذا قيل له القصة كيت وكيت ، وليست كما حكى ولا على ما حكيت ، قال فهلا دعاهم الى صلح يوقع البينونة ، ويرفع عنا هذه المونة ، واسمع طلاق الزوج ومبلغ عدده ، وخروج الرجعة عن يده ، فقال كان هذا اول طلاق وقع فى الاسلام ، واغضى عنه خيار الحكام ، فهو يغضب الشرع وهذا دينه ، ويدعى نصرة الحق والشيطان قرينه) (14) .

يبدو من هذا ان حياة ابن عميرة فى العدوتين لم تخل من متاعب كبعض ما راينا ، ويبدو ايضا ان وشايات خصومه قد وجدت اذنا مصغية من الخليفة الجديد المعتضد ولا سيما بعد ان قبض على الوزير ابي زكرياء بن عطوش (15) الذي كان يدافع عنه ، وهكذا لم يلبث ان نقله من قضاء الرباط وسلا الى قضاء مكناسة ، وقد كان هذا النقل عامل تحول في اتجاهه السياسي اد انه فقد الامل في دولة الموحدين بالمغرب واصبح يتطلع الى آفاق الحفصيين في افريقية

---

11) لقد ردد ابن الخطيب بتوسع هذه النعوت التي الصقها ابن عميرة بسلا واهلها في مفاخرته المعروفة بين مالقة وسلا ، ولا يستبعد ان يكون ابن الخطيب قد اطلع على هذه الرسالة وانتفع بها في مفاخرته المشار اليها ، انظرها فى كتاب مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب للدكتور العبادي .

12) يقال دفت عليهم دافة من الاعراب اي قدمت عليهم جماعة يدفون للنجعة وطلب الرزق .

13) الفقع : هي البيضاء الرخوة من الكمأة ويضرب بها المثل فى الذل فيقال : اذل من فقع القاع .

14) الرسائل ص 195 وما بعدها مخطوط 233 . وفى قضية الطلاق التي يشير اليها خلاف بين الفقهاء. انظر على سبيل المثال باب الطلاق من كتاب بداية المجتهد لابن رشد .

15) البيان ج : 4 ص 435 .

ثم يصف فرح اهل العدوتين بهذه البشرى ويختتم الرسالة بالدعاء للخليفة وقد نسلك فى هذا الباب ايضا رسالة توصية اصحبها جماعة من سكان الرباط كانوا قد تأخروا عن بيعة الخليفة المعتضد الذي خلف اخاه الرشيد جاء فيها : (والواصلون بهذه العجالة جماعة اخلصوا من كل شوب ، ولبسوا من الامانة والزكاء اطهر ثوب ، وكانوا تأخروا عن وفادة البيعة السعيدة بعذر عذر الرخصة ، ومنع انتهاز الفرصة ، وقد استأنفوا الآن روية ، وجددوا لقضاء ما فاتهم نية) (4) وهكذا نرى ان ايام ابن عميرة في رباط الفتح على عهد الرشيد قد تميزت بشيء من الاستقرار جعله يستدعي اليه اهله واخوانه كما اشرنا الى ذلك ، كما ان الخليفة المذكور كان ينجز المطالب التي يرفعها اليه بمعونة اصدقائه فى الحضرة كابي الحسن الرعيني الذي اصبح بعده من كتاب الرشيد وهو يعترف بفضله عليه اذ يقول : (وفى هذه الايام عرضت لي مسائل على المقام الامامي الاشرف ايده الله فخرج التوقيع عليها بقضاء جملتها وكان من الفقيه الاجل المعظم كاتب الخلافة الاعلى ابي الحسن الرعيني وصل الله تعالى رفعته فيها ما تملكني ، وعلى العجز عن شكره تركني) (5) ويقول فى رسالة اخرى: (وكانت لي مسائل بعثت فيها رقاصا من قبلي جاءني امس كتابه بانها قضيت وانه بها على الوصول ان شاء الله تعالى) .

ولما مات الخليفة الرشيد سنة 640 هـ خلفه اخوه ابو الحسن علي الملقب بالمعتضد ويلقب ايضا بالسعيد ، وقد اقر ابن عميرة على عمله وبعث اليه خطابا فى هذا المعنى ، ويشير ابن عمرة الى هذا الخطاب فى رسالة فيقول : (وورد بعدها الخطاب الامامي الكريم زاد الله مصدره شرفا ، وابقى بحر كرمه ونعمه مفترفا ، بالاقرار الذي اشار اليه في جانبي اكرم اشارة ، والبسني من نباهة الذكر اجمل شارة ، وطوقني منة نزلت سهلها فآواني ، وتناولت سجلها فاوراني ، ونهضت بجدها والايام تطلب عثاري، وحاربت بحدها فادركت عندها ثاري) (6) . وقد كان هذا الاقرار بمسعى من وزير المعتضد ابي زكرياء يحيى بن عطوش الذي كان يعطف عليه ، ونجد ابن عميرة يمدحه بقصيدتين مطلع الاولى :

نأت عنك من اكناف وجرة دورها
وقد افلت بعد الطلوع بدورها (7)

ومطلع الثانية :

عرضت له عين الظباء فلم يصد
وبدا له ماء العذيب فلم يرد (8)

وفي هذه القصيدة نراه يشكو الى الوزير من وشايات بعض خصومه وذلك اذ يقول :

مولاي والشكوى اليك لها مدى
انا فيه ان ارعيتني سمعا مجد

انبئت بعض الوافدين وكلهم
همج اتى افكا بما لا يعتقد

ولو انهم في رتبة الحساد لم
انكر وقلت سواي قبلي قد حسد

لكنهم كرهوا الكمال لنقصهم
كالشمس تكره ضوأها عين الرمد

واذا نفى انفضل الاراذل عن فتى
فبه على التحقيق شاهدهم شهد (9)

حالي اليك رفعتها وعليك ان
تنتاشها من كف دهر مضطهد (10)

---

4) الرسائل ص 100 مخطوط 232
5) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 101
6) الرسائل ص 84 مخطوط 232
7) انظرها فى الرسائل ص 37 وما بعدها مخطوط 233
8) انظرها فى الرسائل ص 84
9) هذا ينظر الى بيت المتنبي المشهور :

واذا اتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي باني كامل

10) الرسائل ص 84 مخطوط 233

الى ابي زكرياء الحفصي باسم سكان مكناسة ، ولا بد لنا قبل تحليل اسباب هذه البيعة ونتائجها من الاشارة بصورة موجزة الى ظروفها العامة .

كانت مكناسة والجهات الغربية بصفة عامة قد اصبحت في ذلك الوقت عرضة لهجمات بني مرين الذين كانوا يبسطون نفوذهم على المغرب الشرقي وكانت دولة الموحدين تنهار يوما بعد يوم على حين كان نفوذ الحفصيين آخذا في الانتشار ، فبعد موت الرشيد الموحدي سنة 640 ه بادرت عدة جهات اندلسية ومغربية كاشبيلية وسجلماسة وسبتة وطنجة والقصر الكبير بتقديم بيعتها وطاعتها لابي زكرياء الحفصي ، وفي هذه الاثناء سنة 643 ه قامت ثورة في مكناسة تزعمها ابو الحسن علي بن العافية احد اعيان البلد وقتل عامل الموحدين فيها (23) ولما كان هذا الثائر عاجزا عن الدفاع عن المدينة فقد طلب خاصتها الى الامير ابي يحيى المريني ان يحميهم من السعيد الموحدي (خلال ما ياتيهم امر السلطان من تونس ومدده (24) واقتضى نظر ابن عميرة حينئذ ان يكتب البيعة باسمهم الى ابي زكرياء وكان ذلك يوم الجمعة الموفى عشرين لربيع الاول من سنة ثلاث واربعين وستمائة كما جاء في آخرها (25) وهذه البيعة هي من حيث الشكل كسائر بيعاته التي سنتحدث عنها في مكانها فهي تحتوي على ديباجة في الحمد والدعاء والرضى ثم تتكلم عن اختلال الامور في المغرب واتفاق اهل مكناسة من كافة الطبقات على مبايعة الامير ابي زكرياء وولي عهده الامير ابي يحيى ومما جاء فيها قوله يذكر سبق مكناسة الى الدخول في طاعة الحفصيين : (ومكناسة هي التي ولجت من هذا الباب ، واسرجت وليل الخطوب مرخى الجلباب ، ورأت فرجة الفرصة فنصت ، وقيد اليها في يد القهر، واترها من عوادي الدهر ، فاقتصت ، وعلم اهلها انه لايصلح مع التقصير عذرة ، ولا تقبل بعد الفتح هجرة) (26) ولما انتهى خبر هذه البيعة الى السعيد الموحدي شرع في الحركة بجيش عظيم فخاف اهل مكناسة من العواقب وبعثوا اليه صلحاءهم وعلماءهم معلنين توبتهم وراغبين في العفو عنهم ومقسمين انهم لم يوافقوا قاضيهم على كتابة البيعة المذكورة وقد جددوا بيعتهم من انشاء الكاتب ابن عبدون فعفا عنهم (27) ونجد ابن عميرة بعد ان رفع الحصار عن المدينة يكتب الى صديقه ابن خلاص الذي كان ايضا قد اعلن بيعته للحفصيين وهو يشرح له في هذه الرسالة بعض ظروف الحادثة ويعده بمشافهته في الباقي ويرجو منه ان يسهل له اسباب السفر الى سبتة(28) وقد كانت ايام هذه المحنة من اهول ماشهده في حياته وصفها في احدى رسائله فقال : (كانت الحياة منغصة ، والقيم مسترخصة ، وعيون الاوجال محدقة ، ومخايل الاحوال ، لارجافات الانزال ، مصدقة) (29) وكتب عنها بعد التحاقه بسبتة يقول: (وكان اخوكم في هذه المدة الماضية ، قد تداولته المكاره ، وتقريء عليه من آيها المحكم والمتشابه ، وبعد استقراره بمكناسة ، تتبعته فيها اعراض جمعت النذالة والخساسة ، دنا منها الفشوم في اقامته ومسيره ، ثم حبسه عنها حابس الفيل مركوب نظيره، ولكن كانت روائعه تاتي سرى وتاويبا ، وتتناول بعيدا وقريبا ، حتى رمى الزمان في رجله فشلت ، ووطىء القهر رقاب رومه فذلت ، وانصرف ينظر الى المنون، ويعتر في ذيل الهون ، وانتظمت مكناسة في سلك الطاعة ، وقسم الامر في اهلها على الاشاعة ، ولحق اخوكم بهذه الوزارة وصل الله علاءها ، واحسن جزاءها ، فاولت كل بر لايتسع وقتي لذكره) (30) وهو في هذه الرسالة يطلق لسانه في شتم الخليفة السعيد الموحدي فيصفه بالفشوم ويشبهه لسواده بابرهة الحبشي كما يشير الى اعتماده في جيشه على فرقة الروم المرتزقة

هذه هي بعض الظروف العامة التي احاطت ببيعة مكناسة ويخيل الي ان ابن عميرة الذي كان في

---

(23) الروض الهتون ص 13
(24) العبر مجلد 6 ص 619
(25) الرسائل ص 95 مخطوط 233 وابن عذارى ج 4 ص 446
(26) الرسائل ص 97 مخطوط 233
(27) ابن عذارى ج 4 ص 451 والعبر مجلد 6 ص 619 والروض الهتون ص 13
(28) الرسائل ص 44 مخطوط 233
(29) المصدر نفسه ص 44
(30) الرسائل ص 145 مخطوط 233

منتظرا سنوح الفرصة المواتية ، وكانت المدة التي قضاها في مكناسة محفوفة ببعض المكاره ، فقد الم بـه رمد آل الى جرب في عينيه ، وهو يصف ذلك في رسالة الى صديقه ابي الحسن بن قطرال الذي كان قاضيا يومئذ بفاس فيقول : (والحال ما يسره لولا بقية من الرمد آلت جربا ، ولم تبق في الكتابة اربا ، وقيل لاحيلة في طرده ، الا بجرده ، وحسبت ان الامر قريب ، وان المجتهد مصيب ، فاذعنت لعامل لايدري الابقاء ، وقائل لايحسن الالقاء ، فاذا الدم يسيل ، والجد يستحيل ، وهمزة الحديد لايدخلها التسهيل ، ونغمته في الجفن منها الخفيف والثقيل ، ومرت بي ساعة كلها فظاعة ، وانا الان في ورطة احتماء ، وثاطة مدت بماء ، (16) والله يرزقنا العافية ، ويجنبنا الخطوب العادية) (17) كما نجده في رسالة اخرى رفعها الى الامير ابي العباس الموحدي يهنئه بولاية سلا يشكر من الخصاصة والفقر فيقول : (هذه ايد الله المولى بنت فكر بكى ، وخاطر فطر على عي ، ثم لم تزل به الايام حتى ابدت صبابته ، واستشفت صبابته ، وتركته نظما شتيتا ، وذا عسرة لا يملك بيتا) (18) وقد ذهب ابن عبد الملك الى ان ابن عميرة غير صادق فيما يدعيه في هذه الرسالة ووصفه بالتهافت على حطام الدنيا والتظاهر بالاستجداء ورقة الحال واستدل على ذلك بالحادثة التي وقعت له في طريقه من مكناسة الى سبتة حيث نهب له من ماله ما يقدر باربعة الآف دينار عشرية (19) وهي الحادثة التي سنشير اليها بعد قليل .

ومهما يكن فان لهجة التشكي واضحة فيما بقي لنا من رسائله التي كتبها في مكناسة ومنها هذه الرسالة التي وجهها الى السيد ابي العباس الموحدي في حق شاعر اندلسي يدعى : ابا عبد الله بن خالص زاره في هذه المدينة واراد الرجوع الى كنف السيد المذكور ، ونقتبس منها للدلالة على حاله في مكناسة ما يلي : (ثم طوحت بي وبه الطوائح ، واياس من خير القليب الماتح والمائح ، ورمت به الاقدار هذا المغرب وعينه حمئة ، والواحد فيه تعتوره من الخطوب مائة ، وبعد ان شارف هنالك نضرة العود ، وجاوز حضرة الجود ، بدا له ان يتبقل بعد الجميم ، ويتنقل في هذا الاقليم ، وحل هذا البلد فلولا ذرية بعضها من بعض ، وبقية من حسب خالص وكرم محض ، جادته سماؤها والارض هامدة ، والاكف جامدة ، لكان اضيع من مفن وسط ، واضيق مجالا من حية في سفط ، ونعم ما قيل :

كناس مكناسة بيض الظبا
ظباؤه محمرة عادية

وساحة الانس بها اصبحت
عافية لولا بنو العافية (20)

اما بنو العافية هؤلاء فهم بيت كبير قديم ينتمون الى الامير موسى بن ابي العافية الذي قام على الادارسة ، وقد اشتهر منهم اعلام في عصور مختلفة (21) ولعلهم هم الذين عناهم في رسالة اخرى حين قال : (وسار وسنى الشعرى متألق ، والثريا ابن ماء محلق ، والمشترى قد ابدى صفحته ، والجو قد اهدى نفحته ، حتى الم بسور مكناسة ، فاحرز الخلاصة وخلف وراءه الكناسة ، ثم دخل المدينة سلام ، ونزل بها على سادة اعلام ، سكنوا دارا عليها مسحة من ديارنا ، ونفحة من رندنا وعرارنا ، وحبذا ما ذكر بالاندلس ، واي ركاز لمن ظفر منه بالخمس) (22) .

وقد اقدم ابن عميرة اثناء توليه قضاء مكناسة على عمل يعتبر من اخطر المواقف في حياته وذلك اسهامه في محاولة فصل هذه المدينة عن دولة الموحدين وجعلها تابعة للحفصيين وكتب في ذلك بيعته المشهورة

---

16) الثاطة : الحمأة ، وهذا مثل يضرب لفاسد يقرن بمثله لان الحماة اذا صب عليها ماء زادت فسادا .
17) الرسائل ص 121 مخطوط 232 .
18) الذيل ج 1 ص 91
19) الذيل ج 1 ص 91
20) الرسائل ص 159 مخطوط 232
21) انظر تراجم بعضهم في جذوة الاقتباس لابن القاضي وهو منهم ، وسلوة الانفاس للكتاني والروض الهتون لابن غازي في مواضع مختلفة
22) الرسائل ص 171 مخطوط 232

هذا وقد كان ابن عميرة يتردد على مدينة فاس اثناء مقامه بمكناسة وقد ترجم لـه ابن القاضـي فى جذوة الاقتباس باعتباره من الاعلام الذين دخلـوها ، ويستفاد من رسالة له صادرة من فاس انشأها جوابا على كتاب من بعضهم انه كان يقعد للاقراء والتعليـم بهذه المدينة وكان يقصد بذلك ارتياد الانس وتنفيس ما بـه من كرب ويقـول في ذلك : (وذكـر سيـدي ما فاوضه فيه فلان بعد ان اخذ في طريق انصافـه ، ووصفه بالمحمود من اوصافه ، من ان ابنه يحضـر عندي فيمن غره مني سراب الفـلاة ، او شـراب ما نضب من الفلات (37) وما يقال في وقت يظن بـه أن المعلى له كرم ، (38) والحباحب معه ضرم ، وانما هي ساعات يطلب لكربتها تنفيس ، ويرتاد في وحشتهـا انيس) ، ثم يشير اشارة خفيفة الى الحالة العلميـة بفاس يومئذ فيقول : (والبلـد وقاه الله فيه اعيـان وجلة ، وطلبة هم بهالته اهلة ، وما كنت اظن ان هـذا الزمن المحرج يلد امثالهم ، ويبنـي لاحـد ما بنـى ليـهـم) (39)

وقد بقي ابن عميرة في مكناسة بعـد حادثـة البيعه ينتظر الفرصة المواتية للانتقال الى سبتة فلما قتل المعتضد الموحدي سنة 646 هـ ، اغتنم هذه الفترة وخرج من مكناسة قاصدا سبتة (40) وبينما هو يغـذ السير الى هذه المدينة شاء له سوء طالعه ان يلقـى جمعا من بني مرين فسلبوه وكل من كان معه ، وقـد كتب فيما بعد رسالة الى صديقه الرعيني يخبره بهذه الحادثة ويذكر له ان المنهوب من ماله يعدل اربعة آلاف دينار عشرية، وفيها ورق وعين وحلي (41) ويبـدو انه فقد فيها ايضا كتبه التي ظل يمني نفسه بالعثـور على ما اسارت الايام منها (42) وهكذا اصيب اديبنـا في ماله وهو احوج ما يكون اليه في حال من الفربـة وذهاب الشباب ، ودخـل سبتة خـاوي الوفـاض ، بادي الانفاض ، بيد ان همة صديقه ابن خلاص نهضت به من كبوته ، اذ انه قربه منه واحسن اليه كما يعترف هو نفسه بذلك في بعـض رسائلـه ، وقـد مكث في سبتة متصلا بصاحبها ابن خلاص المذكور وكان هـذا الرئيس الاندلسي قد اقتنى الاموال واصطنع الرجال كما يقول ابن خلدون (43) وتكونت حوله حاشيـة تتالف من بعض الشعراء والكتاب الاندلسيين مثـل الشاعر الاشبيلي المشهور ابن سهل (44) الذي اصبح شاعر دولته ، وكانت حضرته زمنا مقصد بعض الاعلام كابي الحسن الرعيني الذي كتب عنه مـدة قبـل ان ينتقل الى بلاط الموحدين في مراكش وابي عبد اللـه ابن الجنان وابي الحسن العشبي وابي الحسن بن زنون الذي صنف له كتابا في مشاهير الخيل (45) كما لجـأ اليه بسبتة بعض الرؤساء الاندلسيين الذين غلبوا على امرهم وسلبوا ملكهم في الاندلس كابن الرميمي الذي كان وزيرا لابن هود ثم اميرا للمرية وحين غلبه ابـن

---

37) الفلات : النقرة في الصخرة او الجبل وفي المثل « ابرد من ماء الفلات »

38) يشير الى قـول الشاعـر :

لعمـرك مـا نسب المعلـى
الى كـرم وفـي الدنيـا كريـم
ولكـن البـلاد اذا اقشعـرت
وصـوح نبتهـا رعـي الهشيـم

39) الرسائل ص 164 / 165 مخطـوط 232 .

40) الذيل ج 1 ص 91

41) المصدر نفسه ، والاحاطة ج 1 ص 185

42) الرسائـل ص 68 مخطـوط 232

43) الرسائـل ص 145 مخطوط 233

44) العبـر مجلـد 6 ص 614

45) يشتمل ديوان ابن سهل المخطوط بالاسكوريال على قصائد عديدة في مدح ابن خـلاص وولده ابـا القاسم وهي تقع في الورقات 2 الى 12 و 22 و 27 و 46 و 48 و 62 ، وانظـر كذلك قصيدتـه الحجازية التي امره ابن خـلاص بنظمها فـي اختصار القدح ص 80/79

امكانه ان يترك هذه المدينة اثناء الفتنة قد اندفع الى المشاركة في هذه المغامرة تحت تاثير بواعث مختلفة منها انه (لم يزل منذ فارق جزيرة الاندلس معمور الخاطر بالتخلص الى افريقية) كما يقول ابن عبد الملك (31) وقويت لديه هذه الفكرة عندما لم ينل الحظوة الكافية عند الموحدين ، فلما سنحت له هذه الفرصة راى ان ينتهزها خدمة يتقرب بها قبل سفره الى الحفصيين ، ومنها ان معظم الاندلسيين كانوا قد نفضوا ايديهم من الموحدين واعتبروهم مسؤولين عن ضياع بلدهم وولوا وجههم شطر الحفصيين في تونس مؤملين منهم ان يعملوا على انقاذها واسترجاعها ولعل ابن عميرة يعبر عن هذه الفكرة حين يقول من قصيدة يحث فيها ابا زكرياء الحفصي على الاستيلاء على المغرب ويشكو اليه حال الاندلس :

والمغرب الاقصى على غسق به
وافاه منك سنا الصباح المسفر

كلمته انياب الزمان وما شكا
داء ابن داية (32) غير ظهر الادبر

والامر فيه قد انقضى الا لقى
يكفيه منك تناول بالخنصر

ولارض اندلس اليك بحالها
شكوى الهشيم الى السحاب الممطر

سقمت بعباد المسيح وانها
في ان تكون مسيحها لا تمتري

رحماك فيها من اخيذة اذؤب
يزرى بقسوتها زئير القسور

وبقوتها يقوى القياس فسق الى
ابطاله نص الجياد الضمر

واجبر قناة الدين فيها بالذي
يقص العدو من القنا المتكسر (33)

ونجد له ايضا قصيدة اخرى في مدحه يشيد فيها باعمال الحفصيين ويهجو الموحدين وفيها كذلك يشير الى مبايعة سبتة وسجلماسة له فيقول:

وارى البلاد ولا لعا لعثارهم
رمقت اقالتهم بعين القالي

ودعا بذات البحر (34) داع للهدى
لم تعد ان ولته وجه موال

سعد المجيب بها وبالك باعثا
منها جوابا كان قبل سؤال

حسناء اغلى مهرها من لم يزل
مد كان يرغب في النفيس الغالي

واتتك ضرتها (35) فكان صداقها
بالنقد من نعماك لا بالكالي

مدت من الصحراء جيدا اذ رأت
من تلك جيدا هو باسمك حالي (36)

هذا ولا نستبعد ان يكون ابن عميرة في موقفه هذا قد تاثر بسياسة صديقه ابن خلاص حاكم سبتة ان لم يكن قد اتخذه باشارة منه فقد كانا على صلة مستمرة وكانت بينهما مراسلات عديدة .

تلك هي فيما يبدو الاسباب التي دفعته الى كتابة هذه البيعة التي كانت عاملا مهما فيما وقع بعد ذلك من احداث تاريخية فاصلة ، فقد احتدم على اثرها الصراع بين الموحدين والحفصيين ، وتبلور موقف بني مرين وبني عبد الوادي الذين كانوا يتارجحون في أول امرهم بين الجانبين ، واستعد كل من الخليفة المعتضد الموحدي والامير ابي زكرياء الحفصي للقاء حاسم وكتب لهما ان يموتا قبل أن يلتقيا ، وبموت المعتضد ذهب كل امل في بقاء دولة الموحدين بينما ازداد الحفصيون عظمة وقوة ودان لهم بنو مرين وبنو عبدالوادي مدة من الزمن بالطاعة الاسمية.

---

(31) الذيل ج 1 ص 91
(32) ابن داية : هو الغراب نسب الى داية البعير وهي فقارته لوقوعه عليها اذا دبرت
(33) الرسائل ص 3 مخطوط 232 وص 5 مخطوط 233
(34) يقصد بها سبتة .
(35) يقصد سجلماسة
(36) المصدران السابقان

لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي

بقلم : الأستاذ عبد الغفار الخلادي

رفع الاسلام شأن النظافة ، واعلى قدرها ، حتى جعل المتطهرين المتنظفين احباء الله اذ قال جل جلاله: « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » فالمشرع الاسلامي يعتبر الطهارة شطر الايمان ، ويعدها من شروط صحة العبادات كالصلاة والطواف ومس المصحف كما يلزم على الواقف بين يدي الله ان يكون طاهر النفس طاهر البدن ، طاهر الثياب ، حيث يجب التطهر على كل جنب وحائض ونفساء ، وذلك بالاغتسال وافاضة الماء مع الدلك ، بل يجب غسل الميت قبل ان يوارى التراب حتى يعود الى ربه طاهر البدن . وقد رويت احاديث كثيرة في فضيلة الغسل يوم الجمعة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل افضل » وقوله عليه الصلاة والسلام : « يا معشر المسلمين ، هذا يوم جعله الله عيدا للمسلمين ، فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره ان يمس منه ، وعليكم بالسواك » .

وبما ان المسلم ، رجلا كان او امراة ، ينبغي ان يكون نظيفا ، حسن المظهر ، كان الحديث عن المياه وعن التطهر بها ، الباب الاول في جميع كتب الفقه، وكان اهتمام المسلمين بانشاء الحمامات الخصوصية والعمومية يضاهي اهتمامهم ببناء المساجد والمدارس والمستشفيات التي هي بمثابة مراكز للصحة الروحية والصحة العقلية والصحة البدنية .

عرفت جميع الامم المتحضرة القديمة الحمامات واعتنت بتشييدها وزخرفتها ، كما اعتنت بتسيير مجاري مياهها ، واتقان احواضها وصهاريجها ، وتزيين مجالسها، اذ كان يتخذها مترفوها وموسروها اماكن للنظافة والاستحمام، واندية للهو والتمتع بالوان الملاذ ، ومن تلك الامم ، البابليون والاشوريون والمصريون والحبشيون واليونانيون الخ .. يروي المؤرخ اليوناني بلوترك ان اسكندر المقدوني لما دخل حمامات « دارا » ملك الفرس بعد ان هزمه ، اندهش غاية الاندهاش مما شاهده فيها من انابيب ومباخر واواني اكثرها مصنوع بالذهب وبالفضة .

اننا لا نكاد نجد في دواوين شعراء العصر الجاهلي والشعراء المخضرمين ذكرا للحمامات ، ومن المؤكد ان النبي صلى الله عليه وسلم ، واكثر الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يغتسلون في بيوتهم ، وان العرب البدو كانوا يغتسلون في الغدران ، الا ان جل المسلمين الاولين الذين نزحوا الى الشام ، عرفوا الحمامات العامة والخاصة ، ومنهم من استطابوا الاغتسال بها ، كما ان منهم من استنكروا دخولها وبالخصوص التشاغل بها عن مصالح الامة . وقد ورد ذكرها في اقوال كثيرة منسوبة لبعض الصحابة ، منها قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه : « الحمام من النعيم ، الذي احدثوه » وقول الامام علي كرم الله وجهه : « بئس البيت الحمام ، تكشف فيه العورات ، وترفع فيه الاصوات ، ولا تقرأ فيه ءايات من كتاب الله » وروي ان معاوية قدم من الشام على امير المومنين عمر بن الخطاب ، فضرب بيده على عضده فتكشفت له عن عضد بضة ناعمة ، فقال له عمر : « هذا والله لتشاغلك بالحمامات ، وذوي الحاجات تقطع انفسهم حسرات على بابك »

واما حديث دخوله صلى الله عليه وسلم حماما بالجحفة فهو موضوع باتفاق الحفاظ ، لانه لم يكن بها ، زمن النبي صلى الله عليه وسلم حمامات . (1)

---

1) عن كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » تأليف الدكتور صبحي الصالح

الاحمر عليها أوى الى سبتة بأهله وحاشيته حيث انزله ابن خلاص في بساتين بنيونش (46) وقد كان ابن عميرة اثناء هذه الفترة القصيرة التي قضاها بسبتة في انتظار سفره الى افريقية يشتغل احيانا فيما يبدو بالكتابة عن ابن خلاص اذ اننا نجد له رسالة كتبها عنه الى الفقيه ابي بكر بن محرز الزهري شيخ الجالية الاندلسية في بجاية (47) كما نجد له قصيدة نظمها فيه بمناسبة شفائه من مرض (48) واخرى يرثي فيها ولده ابا القاسم الذي غرق في البحر عندما كان متوجها في سفارة صحبة الشاعر ابن سهل الاشبيلي الى ابي زكرياء الحفصي (49) .

وهكذا نرى ان حياة ابن عميرة في المغرب لم تكن تقل عن حياته في الاندلس اضطرابا وتقلبا وهي ظاهرة تتسم بها حياته بصفة عامة (50) .

الرباط : محمد بنشريفة

---

46) الروض المعطار ورقة 4 (القسم المخطوط) وانظر ترجمة المذكور في الذيل ج 4 ورقة 87
47) العبر مجلد 6 ص 616
48) الرسائل ص 39 مخطوط 233
49) المصدر نفسه ص 33
50) المصدر نفسه ص 35 . ولابد من التنبيه هنا الى وهم وقع للمستشرق جنثالث بالنثيا (تاريخ الفكر الاندلسي ص 305) حين قال ان ابن عميرة ولي قضاء سبتة للرشيد وهو امر لم يذكره احد ، ويتبين مما ذكرناه ان ابن عميرة دخل سبتة مرتين احداهما سنة 637 هـ حين هاجر الاندلس بنية الورود على الموحدين والثانية في سنة 643 هـ حين ترك قضاء مكناسة وعزم على الانتقال الى افريقية .

قالوا ان لحسان بن ثابت افخر بيت قالته العرب ، واحكم بيت قالته العرب ، فاما أفخر بيت قالته العرب فقوله :

وبيوم بدر اذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ، ومحمد

واما احكم بيت قالته العرب فقوله :

وان امرءا امسى واصبح سالما ... من الناس الا ما جنى لسعيد

ويقال ان ابدع بيت قالته العرب قول ابي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تقنع

ويقال ان اصدق بيت قالته العرب قول لبيد :

الا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وابلغ بيت قيل في المدح قول حسان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى اجل من الدهر

ما يكون في كل مسجد خمسة نفر ، يكون ذلك الف الف وخمسمائة انسان «1» .

ان طريقة الاحصاء هذه تبدو مضطربة ، اذ بني تقدير عدد السكان على الذكور ، اللهم الا اذا كانت هناك مساجد وحمامات لا يشرف عليها ولا يدخلها الا النساء . والطريقة التي ذكرت في دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية « في المقال الخاص ببغداد » . تظهر اصح ، وان وقع تطابق بين نتيجتي الحسابين : جاء فيه : « عدت الحمامات ببغداد سنة 383هـ 993 م فاذا بها الف وخمسمائة حمام ، فماذا كان كل حمام مقصود من لدن سكان مائتي دار ، وكان بكل دار خمسة نفر ، فان سكان بغداد يكونون حوالي مليون وخمسمائة الف » .

وزار ابن جبير بغداد سنة 581 هـ 1185 م ، فذكر ان جانبها الشرقي « كانت العمارة به محدثة ، ومع استيلاء الخراب عليه كان يحتوي على سبعة عشر محلة ، كل محلة منها مدينة مستقلة ، وفي كل منها الحمامان والثلاثة والثمانية » وقال : « والشرقية فهي اليوم دار الخلافة ، وهي حفيلة الاسواق ، عظيمة الترتيب ، واما حماماتها فلا تحصى عدا ، ذكر لنا احد اشياخ البلاد انها بين الشرقية والغربية نحو الالف حمام ، واكثرها مطلية بالقار ، مسطحة به ، فيخيل الناظر انه رخام اسود صقيل » .

الف يوسف عبد الهادي ، وهو من رجال القرنين التاسع والعاشر ، كتابا سماه : « عدة الملمات ، في تعداد الحمامات » «2» خصصه لحمامات دمشق الكثيرة ، وورد في كتب التاريخ ان عدد حمامات القاهرة ، في القرن السابع الهجري ، بلغ ثمانين حماما فقط ، في الوقت الذي كان بالفسطاط اكثر من الف حمام «3» قال جرجي زيدان في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي « 2ص 174 » « ذكر مؤرخو العرب من مقدار عمارتها « الفسطاط » انه كان فيها 37.000 مسجد و8.000 شارع مسلوك و 1.170 حماما ، وقد يستبعد ذلك ولكن ايراده يدل في كل حال ، على العظمة والعمران » .

وفيما يخص الحمامات بالمغرب فقد جاء في كتاب « صبح الاعشى » رواية عن ابن سعيد ، احد مؤلفي كتاب « المغرب في حلى المغرب » و « قد ضاع الجزء الخاص بهذه البلاد » انه قال : لم ار قط حمامات داخلها عين تنبع الا في فاس » «4» وقال « وهي اكثرها مياها من دمشق .

وقال ابن ابي زرع في كتابه « الانيس المطرب بروض القرطاس » اثناء وصفه لمدينة فاس ، « في ايام زناتة .. فبنيت بها الفنادق والحمامات والارحاء والمساجد .. وبلغت مدينة فاس في ايام المرابطين والموحدين ، من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب واحصيت الحمامات منها المبرزة للناس ، في تلك المدة ، فكانت 93 حماما» « وذلك في عهد المنصور وولده الناصر (5) . واحسن المؤلف هنا حينما اكد انه لم يذكر الا « الحمامات المبرزة للناس ، ولم يتعرض للحمامات الخصوصية ، وهي ، حسب ما اخبرني الاستاذ ابراهيم الكتاني كثيرة ولا زالت ماثلة للعيان في جل البيوتات العريقة بفاس ، وبعضها يسع عددا وافرا من الناس .

كتب الاستاذ محمد المنوني في مجلة البحث العلمي « عدد 1 » بحثا عنوانه « وصف المغرب ايام السلطان ابي الحسن المريني » ذكر فيه معلومات استقاها من كتاب « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري « 700–74هـ 1300–1348م » جاء فيه ، اثناء الكلام عن فاس : « وغالب اغنيائهم يعملون لهم حمامات في بيوتهم ، انفة من الدخول مع عامة الناس ، لان حماماتهم صحن واحد لا خلوة فيه تستر بعض الناس من بعض » وفيه عن مراكش : قال ابن سعيد « وحضرة مراكش —

1» تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج2ص175

2» عن كتاب « ملامح من المجتمع العربي » للاستاذ محمد عبد الغني حسن سلسلة « اقرا » ولم نعثر على ذلك الكتاب

3» نفس المصدر .

4» وهذا الحمام هو حمام سيدي محمد بن عباد .

5» يتكلم المؤلف هنا عن فاس في عهد الموحدين . والمعلومات التي ذكرها هنا وردت في مؤلف ابي الحسن علي الجزنائي « زهرة الاس في بناء مدينة فاس » نقلا عن وثيقة للمشرف على مدينة فاس في عهد المنصور ، الخليفة الموحدي الثالث

وذكر البلاذري ان الحمامات المبرزة بلغت بالبصرة في عهد زياد بن ابيه وابنه عبيد الله تسعة ، ثلاثة منها يملكها نساء ، وكان الاول منها لعبد الله بن عثمان بن ابي العاص ، والثاني لفيل «1» مولى وحاجب زياد بن ابيه ، والثالث لمسلم بن ابى بكرة .

وكان يضرب المثل بحمام فيل قال ابو عبيدة : حدثني يونس قال : لما بنى فيل مولى زياد داره وحمامه بالسبابخة «2» ، عمل طعاما لاصحاب زياد ، ودعاهم الى داره ، وادخلهم حمامه ، ثم غداهم وخرج معهم ، فركب على برذون هملاج . فقال ابو الاسود الدؤلي :

لعمر ابيك ما حمام كسرى
على الثلثين من حمام « فيل »

فقال الجرود بن ابي سبرة متذمرا من الغبار الذي كان يثيره برذون ذلك المولى :

ولا ارقاصنا خلف الموالي
بسنتنا على عهد الرسول « 3 »

واشار يزيد بن مفرغ الى ما كان لهذا الحمام من شهرة ، في قوله لطلحة الطلحات :

متمنيني ، طليحة ، الف الف
لقد منيتني املا بعيدا
فلست لماجد حر ولكن
لسمراء التي تلد العبيدا
ولو ادخلت في حمام فيل
والبست المطارف والبرودا (4)

وكانت الحمامات في ذلك العهد ــ كما هي في زماننا هذا بابا واسعا من ابواب الكسب والارتزاق، قال ابو بكرة لابنه مسلم « يا بني والله ما تلى عملا قط وما اراك تقصر عن اخوتك في النفقة » فقال : « ان كتمت علي اخبرك ؟ » قال « فاني افعل » قال : « فاني اغتل من حمامي هذا ، في كل يوم الف درهم وطعاما كثيرا » ثم ان مسلما مرض ، فأوصى الى اخيه عبد الرحمن بن ابي بكرة واخبره بغلة الحمام ، فأفشى ذلك ، واستأذن السلطان في بناء حمام ، واستأذن غيره ، فاذن له وكثرت الحمامات . فافاق مسلم من مرضه وقد فسد عليه حمامه ، فجعل يلعن عبد الرحمن ، ويقول : « ما له ؟ قطع الله رحمه!» يتجلى مما سبق ان الحمامات كانت منذ ذلك الوقت لا تبنى الا باذن من الولاة . وهذا مفهوم لانه من الضروري ان تختار لها المواقع اللائقة لئلا يلحق دخانها الضرر بالجيران ، وان يراقب بناؤها لئلا تهوى على داخليها ، وان يكون اصحابها من ذوي العفة والامانة . ويتجلى ايضا ان المقبلين على الحمامات كانوا كثيرين ، وان اجرة الدخول اليها كانت « دراهم وطعام » وان كان هناك حمامات يشرف عليها النساء .

لم يغفل الادباء الرحالون ومؤلفو كتب المسالك والممالك ، عن الاشارة الى ما شاهدوه من حمامات أثناء تجوالهم . ومنهم من اعتنى بعد ما عرف منها بالمدن والحواضر لانها اضافت الى « فن العمارة » كثيرا من الفن والجمال ، والى الاداب الاجتماعية الوانا من العادات والتقاليد، واتخذها بعض الشعراء والكتاب موضوعا طريفا اطلقوا فيه العنان لمخيلاتهم ، متنافسين في تشخيص ما به امن زخارف ، وصور ، وزجاج ملون ، واثاث ورياش الخ ومن التعبير عن احساساتهم بجانب احواضها السخينة ووسط ابخرتها الحارة .

قال الخطيب البغدادي في تاريخه : « انها « اي بغداد » اربعون مدينة وان الحمامات بلغ عددها في ايام المامون 000 65 حمام » وقد اراد صاحب سير الملوك بيان مقدار عمارة بغداد فقال : « وكان عدد الحمامات في ذلك الوقت ببغداد ستين الف حمام ، واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر : حمامي ، وقيم وزبال ، ووقاد ، وسقاء ، ويكون ذلك ثلاثمائة الف رجل ، وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد ويكون ذلك ثلاثمائة الف مسجد ، وتقدير ذلك ان اقل

1» هو عنبسة بن معدان ، وكان معدان يروض فيلا لزياد ، وكان عنبسة تلميذا لابي الاسود الدؤلي ويعد من النحويين الاولين الحذاق .
2» السبابخة : هم قوم من الهند كانوا بالبصرة ، جلاوزة وحداس السجن ، وكانت خطط البصرة ، كما في غيرها من المدن ، تسمى باسم الطوائف والقبائل النازلة بها .
3» معجم البلدان ، كتاب الحيوان .
4» معجم البلدان .

تقبل الله عمله وبلغه فى نصر الاسلام امله ، الحمام الجديد برباط الفتح حرسه الله ، على ضريح مولانا المرحوم والدهم رضوان الله عليه ، واطعام المساكين بشالة عمرها الله تعالى وذلك في عام 755 عرف الله خيره (1) وذكر مولاي عبد الرحمن ابن زيدان فى كتابه « اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار مكناس » حمامات بنيت بها فى عهد الموحدين وما ءالت اليه اليوم ، وقال « وعدد حمامات المدينة اليوم احد عشر « وذكر اسماءها - ويقصد طبعا الحمامات الانرية » وذكر ان عدد حوماتها تسعة وعشرون وعدد سكانها الاهالي المسلمين 207 28 الا انه شك فى ضبط الاحصاء ، « طبع الجزء الاول من هذا الكتاب سنة 1348 هـ 1992 » .

والحمامات سواء منها الخاصة والعامة المبرزة للناس كان يعتنى بها فى كل عهد غاية الاعتناء ، فيختار لها الموقع اللائق والمواد البنائية الملائمة ويهتم بمجاري الماء ووسائل التسخين ، وفى الحمامات المبرزة كان يعتنى على وجه الخصوص بالمسلخ ، وهو المكان الذي تنزع فيه الثياب ويستراح فيه بعد الاستحمام وقد يتخذ منتدى تقام فيه الحفلات العائلية ويتباهى فيه بانواع الملابس الفاخرة ، وتوزع فيه المشروبات .

قال ابو عبد الله محمد بن غالب « وهو من كتاب المملكة البلنسية - توفي سنة 572 هـ بمالقة » على لسان حمام :

انظر الى نقشي البديع
يسليك عن زهرة الربيع
لو جني البحر من رياض
كان جنى روضي المريع
سقاني الله دمع عيني !
ولا وقاني جوى ضلوعي !
فما ابالي شقاء بعضي
اذا تشفيت فى جميعي
كيف تراني - وقيت ما بي
الست من اعجب الربوع ؟!

كان الاندلسيون يتسامحون فى اقامة التماثيل فى قصورهم وفى ميادينهم العامة . كان منها ثمانية على باب الزهراء . قال بعضهم فى تمثال اقيم فى ساحة من ساحات شاطبة .

كانه واعظ طال الوقوف به
مما يحدث عن عاد وعن ارما
فانظر الى حجر صلد يكلمنا
اشجى واوعظ من قس لمن فهما

وكان بحمام الشطارة باشبيلية ، فى عهد ابن عباد عدة من التماثيل المرمارية ومنها تمثال امراة بيدها صبي وصفه الشاعر ابو تمام غالب بن رباح ، المعروف بالحجام وهو من قلعة رباح ، غربي طليطلة قال :

ودمية مرمر تزهو بجيد
تناهي فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا
ولا المت باوجاع المخاض
ونعلم انها حجر ولكن
تتيمنا بالحاظ مراض

وصف ابن بطوطة (2) فى رحلته احد حمامات بغداد « وذلك فى منتصف القرن التاسع الهجري » قال « وحمامات بغداد كثيرة وهي من ابدع الحمامات ، واكثرها مطلية بالقار مسطحة به ، فيخيل لرائيه انه رخام اسود .. وفى كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار، مطلي بالقار نصف حائطها مما يلي الارض به ، والنصف الاعلى مطلي بالجص الابيض الناصع، فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفى داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان احدهما يجري بالماء الحار والاخر بالماء البارد ، فيدخل الانسان الخلوة منها منفردا لا يشاركه احد الا ان اراد ذلك ، وفى زاوية كل خلوة ايضا حوض ءاخر للاغتسال ، فيه ايضا انبوبان يجريان بالحار والبارد . وكل داخل يعطى ثلاثا من الفوط احداها يتزر بها عند دخوله ، والاخرى يتزر بها عند خروجه والاخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم ار هذا الاتفاق كله فى مدينة سوى فى بغداد ، وبعض البلاد تقاربها فى ذلك (3) .

---

1) مقدمة الفتح فى تاريخ رباط الفتح لابي عبد الله محمد بوجندار . وقد حدفنا من النص بعض العبارات اقتضابا وتخفيفا .
2) خرج من طنجة سنة 726 هـ وبعد سفرات ثلاث استفر بالمغرب فى عهد ابى عنان المريني توفي سنة779هـ
3) تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار

سكنت بها وعرفتها ظاهرا وباطنا ولا ادري هل العبارة تفي بما تحتوي عليه ، ويكفي ان كل قصر من قصورها مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك » .

ونشر بمجلة تطوان « عدد 3 — 4 » للاستاذ محمد بن تاويت حول كتاب لابي عبد الله محمد بن القاسم الانصاري عنوانه « اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار » وابو عبد الله من اعيان سبتة ، وقد هاجرها لما غزاها البرتغال ، انتهى من تأليف كتابه سنة 825هـ وسجل فيه ، كما يقول الاستاذ ابن تاويت ، سبتة في مرحلتها الاخيرة الاسلامية قال : « ... وعدد الحمامات المبرز ةللناس اثنان وعشرون حماما ، اعظمها هيكلا واشهر ذكرا حمام القائد ، وهو القائد ابو علي ناصح الدين الذي كان بناؤه على يده رحمه الله . هذا الحمام الغاية في الكبر يسع المئين من الناس مرتفع السمك ، طيب الهواء ، قائم على اعمدة الرخام بعروش ، بالواحة الساطعة البياض . والمسلخ (1) متسع الساحة له بابان اثنان ، وسقفه قبة مرتبة متقنة على اربع حنيات ، وبالصحن صهريج كبير مرتفع عن الارض ، وفي وسط الصهريج سارية مجوفة فوقها طيفور من الرخام الموصوف ، يصعد الماء في جوف السارية الى ان يفور في الطيفور ، وفيضه يملا الصهريج .. هذا وبكل دار من ديار سبتة حمام ومسجد الا القليل . ولقد كان بمنزلنا حمامان اثنان ومسجد ، طهر الله تلك المنازل من عبادة الاوثان والاصنام ، واعاد اليه بمنه وفضله كلمة الاسلام .. .. ولنذكر الان ما جمعته قرية « بنيونش » « جوار سبتة » المشهورة في الافاق ، التي اربت على القرى وفاقت شعب بوان في اقصى العراق ، فعدد العيون والانهار التي بها ستة وثمانون وارفعها قدرا واشهرها في النفع ذكرا ، نهر امزار ، وعدد الحمامات بالاربعة المبرزة للناس ، مائة وستة وعشرون حماما» « اي يوجد ضمن هذا العدد الاربعة المبرزة للناس »

عرفت الحمامات بالمغرب بواسطة الرومان الا ان الادارسة والمرابطين والموحدين قد استفادوا كثيرا مما شاهدوه بالاندلس من حمامات اسلامية فبنوا مثلها بالمغرب .

يروى عن ابن عذاري المراكشي انه كان بقرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر ، نحو الثلاثمائة حمام خاصة بالنساء . وورد في كتاب نفح الطيب : كان بقرطبة في «عهد الناصر» وحدها من الدور العامة 103 000 ومن الدور الخاصة 630 ومن الحمامات 800 ومن المساجد 3837 » .

وآثار الحمامات ، بل هياكل الكثير منها لا زالت شاهدة الى الان ، بما شيده المسلمون من حمامات خصوصية وعمومية في كافة مدن الاندلس وقراها ، كما لازالت كتب التاريخ والجغرافية حافلة بذكر الحمامات ووصف ما فيها من زخارف وما اوحت به من اشعار وقصص للشعراء والادباء ..

والاهتمام بالنظافة وبالاغتسال هو الذي لفت انظار رجال الكنيسة الى المسلمين المدجنين ، في الفردوس المفقود ، ايام تأجج نيران «محاكم التفتيش» فأوقعوا بهم الشنائع والفظائع .

ومهما يكن من امر فان حمامات المغرب ، ولا سيما تلك التي بنيت منذ عهد المرينيين ، تمتاز بهندسة تكاد تنفرد بها حمامات افريقية الشمالية ، وذلك من حيث التصميم لا من حيث ما تتسم به بعض الحمامات المشهورة من زخاريف واعمدة رخامية وفسيفساء الخ ..

فاننا نجد مثلا كثيرا من اوجه الشبه (2) في تخطيط الحمام القديم بوجدة « 696 هـ — 1296 م » وحمام سيدي بنعباد بسلا « باسم بانيه الذي ولد سنة 1338 م ومات 1390م» وحمام المخفية بفاس . فكل هذه الحمامات بنيت في العهد المريني ، وكذا حمام شالة والحمام الجديد بالرباط المعروف بحمام العلو الذي بناه ابو عنان المريني وجعله من جملة الاوقاف التي حبست على اطعام الطعام لمن يأوى الى شالة من فضلاء وعظماء « كما وجد ذلك اثرا لابي عنان في مضمون التحبيس المنقوش على الرخامة التي اكتشفت بجدار القوس الوسط في صحن الجامع الاعظم الرباطي ، ونص ما وجد : الحمد لله حق حمده ، مما حبسه مولانا الخليفة المتوكل على الله .. ابو عنان بن ابي الحسن بن ابي سعيد بن يوسف يعقوب بن عبد الحق

---

1) المسلخ ما يسمى في المغرب بـ « الجلسة » من سلخت المراة درعها ، نزعته .

2) يرجع الى البحثين التاليين وهما بالفرنسية :

ا — نظرة عامة عن حمامات الرباط سلا —للمسيو بوطي Pauty الذي كان مهندسا بالرباط

ب — ثلاثة حمامات مرينية للاستاذ هنري تيراس مدير معهد للدراسات العليا سابقا

بأبخرة الاحجار والطين ، وعفونة ما يشرب من الماء فى اجـــزائه ... ولا يصدق علـى الحمـــام القـــدم الا بعد سبع سنيـــن ، فحينئـذ يكـون غايـــة ، خصوصا ان عذب ماؤه ولطف هواؤه واحكم صانعه مزاجه ، وينبغي مع ذلك ان يكون مسلخه الذي تجعل فيه الثياب لطيف الصنعة ، واسع الفضاء وهو مـع هذا ، مصور اكثره بما لطف من الصور الانيقـــــة كالاشجار والازهار والاشكال الدقيقة والعجائب لاجل راحة تحصل بالنظر فيها عند الاتكاء ، وقد حلل الحمام القوى ، وان يكون فيه ماء كثير قد نظف ، فان الحمام اخذ من القوى محلل بلا شبهة ، خصوصا اذا طـال المقام فيه ، والنظر فى الاشيـــاء المذكورة منعش مقو ، وان يشتمل داخله على البيوت الكثيرة الرطوبة .. والحمام موضوع بأصل وضعه للتنظيف من نحـــو الاوساخ والدرن والعفونات والعمل ، ولدفع امراض كثيرة كالحمايات والتخم والاعياء وانواع الهيضـــــة والنزلات ، ولما كان من العروق ما هو بعيد الاغـــوار ارق من الشعر ،وكا ن الدواء انما يجذب الاقرب من المعدة فالاقرب ، والدهن انما يحلل ما فى الجلد خاصة، وكانت الضرورة قاضية باجتماع عفونات فى امكنـــة لا يبلغها الدهن ولا الدواء ، وان اجتماعهـــا على تطاول المدد لابد وا نيحدث امراضا ضارة ، جعل الحمـــام للتلطيف والتحليل لكل ما استعصي ومن تم امروا بـه غب الدواء ، وفيه تنشيط وتخفيف وكأن البدن بعده كالذي بدأ فى الوجـود ...

« ولكنه مع هذه المنافع غير خال عـن ضـــرر الجاهل بالتدبير ، فان الدخول اليه على الخواء اعنـي الجوع المفرط .. يصدع بالابخرة وهيجان الحـرارة ويرعش بالتحليل واليبس العرضي .. ودخوله علـى الشبع ايضا مولد للرياح والسدد والتخم الكثيرة ..

« واصبر الناس على الحمـام البلغميـــون ، فالسودانيون ، واسرع الناس ضررا ، الصفرويـون خصوصا علىالجوع وزمن الحر .. وليكن الدخـول للحمام تدريجا بان يمكث اولا فى الاول حتى يالف الهواء الحار بالنسبة الى الذي كان فيه ، ثم الثاني فانـه يشبه الاول بوجه ما ، ولا يدخل الثالث الا عنـــد ارادة الخروج ، فانه مخفف قـوي التحليـــــل .. وينبغي ان تكون افعال الحمام مع اعتدال بلا افراط .. وليترك فيه انواع الاستفراغ والاكل والحجامة لغليظ خلط ، فان جعل هذه ونحوها مجلبة للسقم والهرم.

فاذا انتهت حاجته خرج تدريجا بشرط تبريـد الاطراف بالماء البارد ، وينبغي بعدها الراحـة كالنوم » ان ما ذكره الشيخ داود الانطاكي فى الشكل الـــذي ينبغي ان يكون عليه الحمام النموذجي ، وفى الشروط الواجب توفرها لمن يريد ان يستفيد كامل الاستفادة من الاغتسال فى الحمامات يؤدي بنا الى الكلام عـــن « المستحمين » وعما أوحى به الحمام لرجال الاداب .

دخل اعرابي الحمام ، فلما احس بوهجته انشأ يقـول :

ادخلت فى بيـــت لهـــم مهندس
قد ضربـــــوه بالرخام الاملـــس
فسك سمعـــي واستطـار نفسي
وقلت فى نفـس بالتوســـوس :
« ادخلت فى النار ولم ارمس «1» »

الرباط ــ عبد القادر الخلادي

1) ذيل زهر الاداب لابى اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني المتوفـى سنـة 453 هـ .

وقال الدكتور زكي محمد حسن في كتابه عن فنون الاسلام ، بعد كلام طويل عن الحمامات : « ولا ننسى في هذه المناسبة ان مصر كانت تمتاز على سائر الاقاليم الاسلامية بابداع حماماتها ، وحسبنا ما كتبه في هذا الصدد ، عبد اللطيف البغدادي حين زار مصر في نهاية القرن السادس الهجري «12م» قال : « واما حماماتهم فلم اشاهد في البلاد اتقن منها وصفا ، ولا اتم حكمة ، ولا احسن منظرا ومخبرا . اما اولا فان احواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى اربع راويا واكثر من ذلك ، يصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد ، وقبل ذلك يصبان في حوض صغير جدا مرتفع ، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير . وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض وسائره في عمقها ، ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه . وداخل الحمام مقاصير بابواب ، وفي المسلخ ايضا مقاصير لارباب التخصيص حتى لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم . وهذا المسلخ بمقاصيره حسن القسمة ، مليح البنية وفي وسطه بركة مرخمة وعليها اعمدة وقبة وجميع ذلك مزوق السقوف ، مفوف الجدران ، مبيضها مرخم الارض باصناف الرخام ، مجزع باختلاف الوانه . وترخيم الداخل يكون ابدا احسن من ترخيم الخارج . وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج ، جاماته مختلفة الالوان ، صافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه ، لانه اذا بالغ بعض الرؤساء ان يتخذ دارا لجلوسه وتناهى في ذلك لم تكن احسن منه . وفي موقده حكمة عجيبة ، وذلك ان يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ، ويصف على افاريزها اربع قدور رصاص كقدور الهراس لكنها اكبر منها وتتصل هذه القدور قرب اعاليها بمجار من انابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها باردا على حاله ، ثم يجري منها الى الثانية فيسخن اكثر من ذلك ، ثم الى الرابعة فيتناهى حره ، ثم يخرج من الرابعة الى مجاري الحمام . فلا يزال الماء جاريا وحارا بايسر كلفة واهون سعي واقصر زمان .. ويفرشون ارض الاتون التي هي مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحا ، وهكذا يفعلون بارض الافران لان الملح من طبعه حفظ الحرارة » وجاء في كتاب « نفح الطيب » وصف لحمام خصوصي يشهد للفن المعماري الاسلامي بالبداعة والاتقان ويبين مدى اهتمام المشرفين على الحمامات ومغالاتهم في زخرفتها واعداد وسائل الراحة والملذة بها . قال : « تذكرت هنا عند ذكر الحمام ، ما حكاه بدر الدين الحسن بن زفير الاربلي المتطبب اذ قال : رايت ببغداد في دار الملك شرف الدين هرون ابن الوزير الصاحب شمس الدين محمد الجويني ، حماما متقن الصنعة ، حسن البناء ، كثير الاضواء ، قد اختفت به الازهار والاشجار . فادخلني اليه سائسه ، وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشيء الاربلي . وكان سائس الحمام خادما كبير السن والقدر ، فطاف بي عليه ، وابصرت مياهه ، وشبابيكه وانابيبه ، المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية ، وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت باصوات طيبة ومنها احواض رخام بديعة الصنعة ، والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض الى بركة حسنة الاتقان ، ثم منها الى البستان . ثم اراني نحو عشر خلوات كل خلوة منها صنعتها احسن من صنعة اختها ، ثم انتهى بي الى خلوة عليها باب مقفل حديد ، ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض الساذج ، وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب اربعة انفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانوا نياما ، ورأيت من العجائب في هذه الخلوة ان حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرءاة ، يرى الانسان سائر بشرته في اي حائط شاء منها ، ورأيت ارضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة ، وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه اصفر وبعضه احمر ، فاما الاخضر فيقال انه حجارة تاتي من الروم ، واما المذهب فزجاج ملبس بالذهب . وتلك الصور في غاية الحسن والجمال على هيئة مختلفة في اللون وغيره .

وخصص الطبيب الضرير الشيخ داود الانطاكي في كتابه « تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب» عدة صفحات (ج 1 ص 119 وما بعدها) بين فيها كيف ينبغي ان يكون الحمام من حيث الموقع ، وهندسة البناء ، ومتى ينبغي ان يدخل له معللا ذلك بملاحظات تنم عما كان له من خبرة بوسائل علاج الاجسام وانعاش النفوس وتنشيط الحركات قال : « وصورته « اي الحمام » التي ينبغي ان يكون عليها التربيع لقرب هذا الشكل من الصحة . وافضل الحمام مطلقا حمام عال ، مرتفع في البناء ، لئلا يحصر الانفاس المختلفة فيفسد بها ، وينحل الهواء فيه بسرعة بعد تخلخل وانبساط ويلطف البخار الصاعد .. فان اتسع مع ذلك كان اقوى في تفريق الهواء وتلطيفه .. لاسيما ان طال عهده ، اي قدم بناؤه ، لان الجديد فاسد

وهنا تنتصب امام اعيننا الف علامة استفهام ، لما ذا هذا الحيف والغبن ؟ ما هي اسبابه ؟ ما هي دواعيه ، يمكن لنا ان نعزو ذلك الى ما يلي :

1) ان الرواة في عهد الجمع والتحصيل كانوا يميلون الى الغريب الحوشي ، وشعر النساء يكاد يخلو من هذه الخصيصة لذلك تحاشوا رواية شعر المرأة .

2) ان الشاعر كما هو مشهور كان لسان قومه يمدح القبيلة ويعدد محامدها ومناقبها ، واذا حزب الامر دافع عنهـا وقاوم وشهر بالاعداء ، والمرأة لم تكن تحتل هذه المكانة في قبيلتها ، ومن اجل ذلك شذ في شعر النساء ذكر الحروب والايام فعزف الرواة عن هذا الشعر الذي لا يحمل في طياته ما يروقهم .

3) نعرف مسبقا ان الشعر الجاهلي قد ضاع منه الشيء الكثير ومن المحتمل ان يكون شعر النساء قد ضاع منه الكثيـــر وظل منه النزر اليسير .

4) وقد يرجع هذا التغافل الى التعصب المقيت من جانب الرجال ، وآية ذلك انه ضرب المثل ببعض الشعراء في اتقانهم فنونا خاصة ولم يضرب بالخنساء في اتقانها فن الرثاء .

ونشم رائحة هذا التعصب في قول بشار بن برد عن شعر المرأة . (لم تقل شعرا الا تبين الضعف فيه) فقيل له : (او كذلك الخنساء ؟ قال : تلك فوق الرجال) .

فبشار لم ينصف من شواعر العرب غير الخنساء ، وذلك تحامل ظاهر واضح لا يحتمل التردد والتشكيك كما يقـــول المناطقـــة

تلك اسباب ودواع جنت على الشعر النسائي قد تدخل في حكم المنطق ، ولكن ليس كل ذلك مما يقتنع به اقتناعا عقليا لا يقبل الجدال والنقاش .

ويسوغ لنا بعد هذا ان نضيف سببا آخر الى الاسبـــاب السالفة الذكر ، وهو ان من الجائز ان يكون اصحاب الاخبار قد وضعوا كتبا اخرى خاصة في اشعار النساء بيد انها ضاعت مع ما ضاع من التراث العربي وذلك لظروف تاريخية معروفة .

وفيما بعد تزخـر المراجـع بشعر النســاء في الجاهليـــة والاسلام كالاغاني ، ثم يؤلف المرزباني كتابا يشمل ثلاثة اجزاء سماه : (اشعار النساء) والموجودة منـه الجزء الثالـث ، والخرنق اخت طرفة بن العبد ديوان مخطوط طبع بعد ذلك ، والجنوب الهذلية ديوان (★) ، ويضع السيوطي كتابه (نزهة الجلساء في اشعار النساء) (★) .

ثم يجمع لويس شيخو قسطا من مراثي شواعر الجاهليـــة في كتاب (رياض الادب في مراثي شواعر العرب) .

ومهما يكن من شيء فان كتب الادب واللغة والتاريـــخ زاخرة باضمامات من الشعر النسوي كالاغاني وخزانـة الادب والعقد الفريد وعيـــون الاخبـــار وشـــرح مقامـــات الحريـــري للشريشي ، ومعجم البلدان لياقوت ومعجم من استعجم للبكـــري ولسان العرب وتاج العروس وتاريخ الطبري واخبار النســـاء لابن القيم ، وبلاغات النساء لابن طيفـــور والكامـــل للمبرد ، وحماسه البحتري وغير ذلك مما لا يحصى عددا .

والمرأة العربية تسنى لها ان تقرض الشعر في كل الفنون من رثاء وهجاء وفخر ومدح وغزل وحنين الى الوطن . وفيمـــا يلي حديثنا عن كل فن على حدة :

الرثـــــاء :

هذا الفن تجد فيه المرأة الشاعرة وسيلة للبوح والافصاح عن عواطفها المكروبة ولا سيما وهي تلتجيء اكثر ما تلتجيء الى سفح الدموع اذا ما اصابها مكروه فتجد في الحزن لذة لا تعادلها لذة ، ولذلك ينطلـــق لسانها بالشعـــر لتخفف عن نفسها هـــول المصاب وحرقة لوعتها الملتاعة .

واولى شاعرة بالتقديم في هذا المضمار تماضر المعروفة بالخنساء التي شهد لها اكثر من شاعر وعالم بالشاعرية ، الـــم يسأل جرير : (من اشعر الناس ؟ قال : انا لولا الخنساء) ، وان كتب الادب لا تكاد تخلو من اسمها حتى شاعر المعرةذكرها في (رسالة الغفران) فاختارها دون غيرها .

وتقول الخنساء راثية اخاها صخرا :

فمـــن للحـــــرب اذ صــــارت طلوحـــــا
وشمـــــــر مشعلوهـــــــا للنهـــــــوض

وخيـــــل قـــد دلفـــت لهـــــا باخـــــرى
كـــأن زهاءهـــــا سنـــــد الحضيـــــض

اذا مـــــا القـــــوم احربهـــــم نبـــــول
كـــــذاك النبـــــل يطلـــب كالقـــروض

بكـــــل مهنـــــد عضـــــب حســـــام
رقيـــــق الحـــــد مصقـــــول رحيـــــض

وصخر هذا قد زعزع موته كيانها وهد جوانبها فلم تعـــد ترى في الحياة غير البؤس والشقاء ، وتتمنى لو اطبقت السماء على الارض ، واصاب الناس الهلاك فما يهمها غير صخر اخيها العـــزيـــــز :

(★) كشف الظنون 3 / 271 ليبسيك .

(★) مر الحديث عنـــه .

الأدب النسوي في الأندلس

للأستاذ: محمد المنتصر الريسوني

- 2 -

المرأة العربيـة الشاعـرة :

صحار ممتدة امتداد البصر ، فياف واسعة الارجاء ، بحر خضم من الرمال المحرقـة ، ريـاح عاتية تلفـح وتقسو كالقدر المحتوم ، جبال ثابتة تتحدى جبـروت الزمن ، اودية مخيفـة تجذب اليها رواد المجهول ...

نهارا .. قيظ ملتهب ، وشـواظ متقد ، يقعـد الرائـح والغادي ، ورغم ذلك فالقطان يتحملون العذاب بجـذع الانف في سبيل تصفح وجه الرزق .

ليلا .. متعة لا تعادلها متعة ، وراحة لا تماثلها راحـة ، يحلو السمر مع النسمات الخفاف الرطبـة الهينة فتقلـب الحياة رضية منعشة كما لم تكن ترسـل قبـلا سوط العذاب المهلـك ، فيخف من يخف الى الارتواء من ينبوع الانتشاء ليعيش ساعات حلم لذيذ لا امتع ولا ارغد ..

في غمرة هذا الجو نشأت المرأة العربية تعمل وتشارك وتضع اللبنـات لتنافس الرجـل ، ففي خفـة قفزت الى رياض الشعر وتفتقت لهوتها بالكلام الرهراف ...

تباركت هذه الفيافي التي تفتحت فيها النفوس على امتع ما يجيش بها من حس ثني معانات قدسية وتجربة قادرة تستنفذ صورا معبرة ومراميك الكلمات الحريرية الشفافة .

فماذا بعد هذا من حديث الشعر عند المرأة العربية ؟ .

سؤال ليس صعبا الاجابـة عنه ، ذلـك لان العرب امـة شاعرة ، تبرعمت معطياتها الشعرية ، وعلى الاثر فاح اريجهـا في كل صقع من اصقاع البسيطة فاثرت وتاثرت ، وطبعي والحالة هذه ان يكون للنساء في هذا المضمار نصيب له وزنه .

لذلك راحت بجانب الرجل تستنـدي القريحـة لتهمس بالشعر فهمست به ، همسات رائعة ملذة اثبتت قدرتها على الخلق الجميل والابداع الحي الخالـد الذي جعلها تتفـوق في بعض الاحايين على الرجل ، والدلائل على ذلك اكثر من ان تحصى ، فاستمع :

ابو نواس الشاعر العباسي الفحل الشهير شهـرة سارت مسير الشمس يقول : « اجهدت نفسي على ان تقع في الشعـر (عين اباغ) فامتنعت على فقلت (عيني اباغ) فذلك حيـث اقـــول :

فمـا نجـدت بالمـاء حتـى رأيتهـا
مـع الشمـس في عينـي اباغ تغـور »

في حين تلقى كلمة (عين اباغ مقاليدها صاغرة طائعـة لا مرأة من بني شيبان حين تقول :

وقالـوا شاعـر منكـم قتلنـا
كـذاك الرمـح يكلـف بالكريـم

بعيـن ابـاغ قاسمنـا المنايـا
فكـان قسيمهـا خيـر القسيـم

ورغم ذلك فان هناك جمعا غفيرا من اصحاب الاخبار ومن عنوا بجمع الشعر العربي وضعوا الكتب والتواليف في سبيـل صيانة ما جادت به القرائـح العربيـة المعطيـة ، ولكنهم ولوا اهتمامهم للرجال وكل ما يمت اليهم بصلة فغفلوا او تغافلوا ما غرسته انامل المرأة من زهور فواحة وقرنفلات ارجـة ، واذا اردت الدليل لتقتنع ، فدونك طبقات ابن سلام والمفضليـات للضبي ومعجم الشعراء للمرزبانـي ، والمختلـف والمؤتلـف للامدي والحماسة لابي تمام وغير هذه الكتب التي لم تتحدث عن شواعر العرب حديثا يشفي الغليل من النفس الصاديـة ، فابن سلام يحدثنا عن اصحاب المراثي ثم يعرج بالحديث عن الخنساء في كلمات مقتضبات ، والضبي يورد مرثية واحدة لامـرأة من ضبيعة مجهولة الاسم والعصر لا تتجاوز خمسة ابيات ، والامدي لا يذكر سوى بضع شاعرات ، وهكذا دواليك .

يـــى شرفـــا ومكرمـــة اتاهـــا
اذا اغنى الجليس جريـم تمــر (✱)
ولـــو أصبحـــت فـــي جشـــم هديـــا
اذا اصبحـــت فـــي دنـــس وفقـــر
قبيلـــة اذا سمعـــوا بذعـــر
تخفـــى جميعهـــم في كـــل جحـــر

والخرنق تهجو عبد عمرو بن بشر حين وشى باخيهـا طرفه الى عمرو بن هند فاجهزت عليه تقول محتدة غاضبة ثائرة:

الا ثكلتـــك امـــك عبـــد عمـــرو
ابـــا الخزيـــات واخيـــت الملوكـــا
هـــم ركلـــوك للوركيـــن رطـــلا
ولـــو سألـــوك اعطيـــت البدوكـــا
فيومـــا عنـــد زانيـــة هلـــوك
كصـــل الرجـــع مزهرهـــا ضحوكـــا

وهند بنت عصم الدوسية تحقد على كنتها فتشكو بهـا الى زوجها يزيد في هجاء مقذع ينال من اعز ما تعتـز به المـرأة وهو الجمال والاخلاق قالت

ايزيـــد قـــد لاقيـــت منكـــرة
عجلـــت بامـــك مدخـــل القبـــر

الفخـــر :

العرب امة افتخرت بشجاعتها وفضائلهـا ومكارمها وقـد اقترن فخرهم غير ما مرة بهجاء الاعـداء والطعن فيهـم ، فكان الشاعر العربي يعدد محاسن قومه ويمجد قبيلته بما تتحلى به من مناقب ، غير ان الشعراء في بعض الاحايين يتعدى فخرهم الى الافتخار بانفسهم .

والنساء الشواعر افتخرن ، لكن ذلك لم يتعد نطاق الفخر بالقبائل والاقارب ، لنستمع الى الخنساء تفخر بقومها وهـي بصدد الرثاء :

وافنـــى رجالـــي فبـــادوا معـــا
فاصبـــح قلبـــي لهـــم مستفـــزا
لذكـــر الذيـــن هـــم في الهيـــا
ج للمستضيـــف اذا خـــاف عـــزا
كـــأن لـــم يكونـــوا حمـــى يتقـــى
اذا النـــاس مـــن عـــز بـــزا (✱)
وكانـــوا ســـراة بنـــي مالـــك
وزيـــن العشيـــرة مجـــدا وعـــزا
وهـــم منعـــوا جارهـــم والنســـا
ء يحفـــز احشاءهـــا المـــوت حفـــزا
غـــداة لقـــوهـــم بملمـومـــة
طحون يغادرن في الارض وكـــزا (✱)

الى آخر القصيدة التي تفيض فخرا وعزة بقومها الافذاد .

والخرنق وهي في مجال الرثاء تفخر بقومها فتقول :

لا يبعـــدن قومـــي الذيـــن هـــم
ســـم العـــداة وآفـــة الجـــزر
النازلـــون بكـــل معتـــرك
والطيبـــون معاقـــد الازر (✱)

وليلى الاخيلية تتباهى بمجد قومها ورفعتهم :

لنـــا تامـــك دون الســـماء واصلـــه
مقيـــم طـــوال الدهـــر لم يتحلحـــلا
ومـــا كـــان مجد في انـــاس علمتـــه
مـــن النـــاس الا مجدنـــا كـــان اولا

تطوان ـ محمد المنتصر الريسوني

(✱) جريـــم : تمـــر يابس .
(✱) من عز بز : من غلب سلب .
(✱) ملمومة : كتيبة مجتمعة . ـ طحون : ـ يعني تطحن كل شـــيء .
(✱) البيتان مر ذكرهما .
(✱) تامك : سنام ، والمراد بذلك مجد سامق عال .

الا ليت امي لم تلدني سوية
وكنت ترابا بين ايدي القوابل

وخرت على الارض السماء فطبقت
ومات جميعا كل حاف وناعل

غداة غدا ناع لصخر فراعني
واورثني حزنا طويل البلابل

فقلت له : ما ذا تقول ؟ فقال لي
نعي ما ابن عمرو اثكلته هوابلي

فاصبحت لا التذ بعدك نعمة
حياتي ولا ابكي لدعوة ثاكل

فشأن المنايا بالاقارب بعده
لتعلل عليهم عاة بعد ناهل

والحديث عن الخنساء في شعرها الرثائي ذو شجون ٠

وترثي الخرنق زوجها وابناءها الثلاثة بقولها :

لا يبعدن قومي الذين هم
سم العدة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك
والطيبون معاقد الازر

والخالطون نحيتهم بنضارهم
وذوي الغنى منهم بذي الفقر (✶)

ان يشربوا يهبوا وان يذروا
يتوعظوا عن منطق الهجر

قوم اذا ركبوا سمعت لهم
لغطا من التأويه والزجر (✶)

هذا ثنائي ما بقيت عليهم
فاذا هلكت يجنني قبري

وفاطمة بنت الاحجم الخزاعية يتوفى ابوها فتقول جريحة النفس دامية القلب :

قد كنت لي جبلا الوذ به
فتركتني اضحى باجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي
امشي البراز وكنت انت جناحي

فاليوم اخضع للذليل واتقي
منه وادفع ظالمي بالراح

واذا دعت قمرية شجيا لها
يوما على فنن دعوت صباح

واغض من بصري واعلم انه
قد باز حد فوارسي ورماحي

وسلمى بنت حديث النضرية تنوح على زوجها «زفرة» نواحا يمزق نياط القلوب فتتأوه في ذلك :

اصبحت نهبا لريب الدهر صابرة
للمذل اكثر تحنانا الى « زفر »

الى امريء ما جد الاباء كان لنا
حصنا حصينا من اللاواء والغير

كان العماد لنا في كل حادثة
تاتي بها نائبات الدهر والقدر

الهجاء :

الهجاء فن شعري كان له وزنه وخطره في ماجريات الحياة الجاهلية ، ذلك لانه حرب لسانيه تصاحب ضربات السيف ، فهو تعداد للمثالب ، ونفي للمناقب والمحاسن ٠

وليس من ريب في ان المرأة قد ساهمت في هذا الفن رغم نزره وقلته ، ورغم انها لم تبرع فيه براعة الرجل ، لانه نوع من الطعن في الاعراض لا يلائم الطبيعة الانثوية اللينة ، ويخالف مباديء الاخلاق والحشمة ٠

طلب دريد بن الصمة يد الخنساء فرفضته قائلة : ما كنت لادع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح واتزوج شيخا ٠ واستشاط غضبا ثم هجاها بقوله :

وقال الله يابنة آل عمرو
من الفتيان اشباهي ونفسي

وقالت انني شيخ كبير
وما نبأتها اني ابن امس

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي
اذا ما ليلة طرقت بنحس

تريد شرنبث القدمين شثنا
يباشر بالعشية كل كرس (✶)

ثم تجيبه بقولها :

معاذ الله ينكحني حبركى
قصير الشبر من جشم بن بكر (✶)

(✶) النحيت المنحوت الفقير ٠
(✶) اللغط : ـ الجلبة والضجيج ـ التأويه : ـ الصوت والصياح ٠
(✶) شرنبث : ـ غليظ الكفين او الاصابع ٠ ـ شثن : ـ غليظ ٠ الكرس : ـ البعر والبول المتجمد ٠
(✶) حبركي : ـ طويل الظهر قصير الرجلين او ضعيفهما حتى ليكاد يكون مقعدا ٠ قصير الشبر : ـ المتقارب الخطو ٠

كالمدني وباسم مكة المكرمة كالمكي وباسماء زوجات النبي « ص » : خديجة ، عائشة ، رقية ، وبنتاه فاطمة الزهراء ، وزينب وباسماء ولدي سيدنا علي كرم الله وجهه : الحسن والحسين وباسم ام النبي « ص » آمنة ، ومرضعته حليمة السعدية ، وباسم بنت ابي بكر الصديق ، اسماء ذات النطاقين .

واما الاسر القديمة فما زالت تحتفظ بألقابها ولا تبغي عنها بديلا ، لانها توارثتها ابا عن جد كعائلة الفاسي الفهري وبوطالب واليوسفي والسقاط والعبودي والقادري والكتاني والعلوي والادريسي والصقلي وابن جلون والدويري والطاهري والعراقي والتازي وبناني وبرادة والعمراني والعلمي وكنون وجسوس والكوهن واللعبي والحبابي والحلو والقرشي وزنيبر وعواد ومعنينو وحجي والحرش والحصيني والعوني والبارودي والدكالي والناصري والزواوي والصفار وبركاش والمريني وسباطة وضاكة وفرج ومرسيل وبربيش وبنعبد الله وبلافريج والبريبري والبدراوي والبيطاوري وطليدانو ووالزهراء والرغاي وابن الغازي وغنام والابيض والازرق والعياشي والدبي ودينية ومورينو والقرطبي وكراكشو وبوهلال واللحياني والحساني والعيساوي والدغيمر وفرشادو وجوريو والغربي وزكيك والعيماني والزواغي والاغزاوي والودغيري والكردودي والشدادي وفنيش وابن المبارك وابن شقرون وابن خضراء وابن ابراهيم وابن احساين وابن المعطي وابن بركة وابن المليح وابن موسى وابن زاكور وابن سليمان والطريس واللبادي والدفوف وبوستة وافقير واحرضان وامزيان والمنبهي وبوعشرين والبلغيثي والطنجي والخطيب وبنونة والشفشاوني وابن عرفة وابن سعيد وابن الحسني والعمراوي والزعيمي والجعيدي والحجوي والعوفير والمدور وابن يوسف والبزيوي والحمراوي والحريشي والشرادي والشياظمي وملين واجدبرة وبلكورة والشرقاوي والمصمودي والصديق وحكم والرندة وابن عزوز وعاشور وبريطل والرايس وجلزيم والحسناوي والعبدي وبنعمرو والقباج والقصري والعروسي وبيرو ووالعلو ولوباريس ومتجينوش والسائح وخالص وابن يعيش والرجراجي وكيليطو والزياني والزناتي والريش والريح وبرق الليل والهواري وكريم والبحراوي والحنصالي وابن اليمني وابن عسيلة وابن فارس والبوري والسباعي والفكاك وميكو وغلاب والسحيمي والمستاري والصباغ وابن الراضي وفنجيرو وابن صالح وبوجندار والتادلي والتادلاوي وابن مشيش وابن شمسي وابن هيمة والبواب وسكيرج وابن كيران والمرنيسي والصنهاجي والريسوني وابن السراج والسعيدي والتسولي والبرنوسي والبقالي وقمرادة والبقالي وابن دورو وابن دراعو والمصلوحي والفماري واللوح ، والمالقي والجزولي والرفاعي والتباع والمعروفي وغيرهم ممن لم تستحضرهم الذاكرة .

وتضيف بعض البيوتات الكبرى لقب جدها الاكبر الذي تنتسب اليه الى لقبها كاضافة الفهري الى الفاسي والكيلاني الى القادري والعبدلاوي الى العلوي والقيطوني الى الادريسي او الصفة الى لقبها كاضافة الشريف الى الكتاني بينما لا تضيف بعضها لقبا الى لقبها .

ومما تجدر اليه الاشارة الى ان اسماء شرقية دخلت في اسماء المغاربة حديثا وهي نعيمة وليلى ولمياء وحياة وآمال ورشيدة ومجيدة وتوفيق وشوقي ومراد وفاروق وجمال وصلاح الدين وجمال الدين سمير ومصدق وشكيب وعبد الرؤوف وامين وفريد وفؤاد وفيصل ونجيب وسعيد وحميدو ومحمود ورفيق وشفيق وعزمي وعزام والمفتي .

ويلاحظ ان بعض الشرفاء الكتانيين يسمون اولادهم باسمين : محمد الباقر ، محمد ناصر الدين، احمد المهدي ، محمد المنتصر ، جعفر الطيار ، كما ان بعض الشرفاء القادريين يسمون اولادهم كذلك باسمين بسبب كثرة تشابه اسمائهم الشخصية: احمد توفيق ، محمد علي ، احمد نور الدين ،

وتذكر بعض العائلات القديمة اسم ابيها بعد ذكر اسمها الشخصي كما يفعل المصريون والامريكان: احمد حسن الزيات صاحب الرسالة وليندون بن جونسون رئيس امريكا .

وبعد ، فهذا قليل من كثير عما يجب الكتب في تاريخ اسماء والقاب المغاربة في العصر الحاضر قمنا به لحفز همم الكتاب والمؤرخين الى العناية به وكل ما نقصده هو خدمة تاريخ المسلمين والله ولي التوفيق .

الرباط ــ عبد القادر القادري

تطور الأسماء والألقاب في المغرب

للأستاذ: عبد القادر القادري

هذا العصر هو عصر التطور ، كل شيء فيه يتطور ، الافكار والعقائد والقيم والمفاهيم ، الاخلاق والتقاليد الصور المادية للحياة المسكن والملبس والمأكل ووسائل المواصلات ووسائل الاعلام ، الحرب والسلم ، الآلة ، الانسان .

ولا يمر يوم ولا تمر ساعة بل لا تمر لحظة لا يذكر فيها لفظ التطور من اقصى الارض في الغرب المتحضر والشرق المتأخر في كل مكان ، ولا يوجد شيء واحد ولا عمل واحد ولا مفهوم واحد لا تدخل فيه فكرة التطور .. ولا يتصور الناس شيئا في الحياة كلها الا من خلال فكرة التطور التي تشمل كل شيء وكل كيان «1» .

هذه المقدمة هي التي حفزتنا الى تسجيل التطور الذي ادخل على اسماء والقاب المغاربة منذ جرى نظام الحالة المدنية المحدث بظهير شريف مؤرخ في 18 جمادى الاولى عام 1369 الموافق لـ 8 مارس 1950 وخصوصا بعد احراز المغرب على استقلاله حيث أصبحنا نسمع اسماء والقابا غريبة عن اسماعنا ولا عهد لنا بها من قبل يتخذها المغاربة القابا لعائلاتهم **كالاسماء التركية** : رمزي ، فكري ، نوري ، صدقي ، نيازي ، نشأت ، عصمت ، حكمت ، شوكت ، رافت ، شوقي .. حمدي **والاسماء الفارسية** سيبويه ، نفطويه ، رستم ، رضا ، حكيمي ، مصدق ارسلان ، شاهين ، ميرزا ، آية الله . **والاسماء المصرية:** طنطاوي، فؤاد، نحاس، مكرم، محمود، عامر. **والاسماء الهندوسية** : غاندي . **والاسماء اللبنانية المسيحية** : جبران ، الخوري . **والاسماء الباكستانية** جناح . **والاسماء الاندونيسية** : سوكارنو . **والاسماء الحجازية** : النجدي ، السعودي ، الوهابي ، القاضي.

بينما اتخذ بعضهم اسماء عظماء الشرق الاسلامي كالغزالي ، والسيوطي ، والزمخشري ، والكيلاني ، والجاحظ ، والايوبي ، ومروان ، وتيمور، وعبده ، والعقاد ، والحريري ، والمنفلوطي ، والطبري ، والبيهقي ، والطنطاوي ، والطوسي ، والرازي . وحمل البعض الاخر اسم قطر افريقي بكامله حيث كلفوا انفسهم بما لا تطيق كاسم غانا بلاد نكرومة الذي يحمله اليوم مغاربة على اكتافهم ، واصبحت الكنى الحديثة تصادف الهوى في قلب الشباب ابو كمال ، ابو فراس ، ابو المجد ، ابو المودة ، ابو خالد . وان كان احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن كما ورد في الحديث ، فقد حذف بعض المغاربة — عفا الله عنهم — الذين سماهم اباؤهم بخير الاسماء كعبد الكريم عبد العزيز عبد الجليل اسم عبد ولام التعريف فاصبحت اسماؤهم : كريم ، عزيز ، جليل . ظنا منهم ان عصر العبودية قد زال وانقضى مع ان التي زالت هي عبودية الانسان لاخيه الانسان اما العبودية لله فما زالت وستبقى في الدنيا والاخرة ، والندب الى التسمية بالاسم النبوي واسماء الانبياء فما زال الكثير من المغاربة يحملون ولله الحمد تلكم الاسماء كاسم سيدنا محمد وسيدنا عيسى وسيدنا ابراهيم وسيدنا موسى ، كما يحملون ايضا اسماء الخلفاء الراشدين والصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة ، ويتبركون باسماء الصوفيين فيتسمون باسمائهم كالجيلاني نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية ودفين بغداد « 471—561 هـ » وباسم المدينة المنورة

1» مقدمة محمد قطب في كتابه التطور والثبات في حياة البشرية .

غايتي فى الحياة شعب كريم ... مستقل موحد يتحرى
لست ارضى له حياة خنوع ... لست ارضى بان يباع ويشرى
لست ارضى سياسة الميز فيه ... اي فرق ما بين عين واخرى
لست ارضى بان اراه بئيسا ... سلبوه من ثوبه ، فتعرى
انها صرخة العظيم سيلقيـ ... ـها على الدهر ثائرا مستمرا
لا تذوب الشعوب ظلما وتبقى ... ارضها للملوك فيهم مقرا
انما الشعب والمليك بارض ... درجوا فوقها يمين ويسرى
آن للشعب ان يشق طريقا ... وعلى العرش قبله ان يمرا
الوفاء الوفاء للشعب يقضي ... ان اضحي وان اذوق الامرا
سأسن الفدا لشعب كريم ... لم يجرد للحرب بيضا وسمرا
انا للشعب قائد ومجير ... كيف ارضى للشعب ظلما وجورا
حسبي الله ان نفيت واهلي ... لا ابالي ولو توسدت جمرا
محنة طال صهرها لبلادي ... فبلادي من جلدها تتفرى
يا ابا الشعب عش لشعبك وحد ... ه وشيد صرح العلا مشمخرا
حسبك الله ناصرا ومعينا ... فبه نلت فى جهادك نصرا
مكن الحب فى قلوب رعايا ... ك وكم صار عسرهم بك يسرا
كلما حل عيد عرشك حلت ... ازمات وكان للشعب بشرى
قبل ان نستقل كان يرينا ... منك ما قد افاد عقلا وفكرا
كان عيد انطلاق شعب من القيـ ... ـد يعاني من المصائب كثرا
لم يكن مهرجان شعب ولاكن ... كان بعثا الى البلاد ونشرا
كان ايقاظ امة من سباة ... كنت فيه الهزبر يزار زأرا
ان عيد استقلالنا وانبعاث ... اتيا بعده جهادا وصبرا
ايها الشعب انت احفظ للعهـ ... ـد الولاء الولاء سرا وجهرا
طاعة الله ان نكون جميعا ... عند رأي الامام نهيا وامرا
نحن ابناؤه جميعا وحاشا ... واحد من بنيه يقصد شرا
انما الشعب اسرة وبنوه ... اخوة كلهم يؤمل خيرا
فتعوذ بالله يا شعب ممن ... بيت الشر او تعمد غدرا
الرسول الكريم قال تئاخوا ... ولتشدوا على الاخوة ازرا
لم يفرق ما بين بيض وسود ... اكرم الناس اكثر الناس اجرا
قد نهانا قرءاننا عن نزاع ... وكفى بالوعيد فى الاي زجرا

ديوان المجلة

سأسن الفدا لشعب كريم

للأستاذ الشاعر: عبد الرحمن الدكالي

ننشر هذه القصيدة العصماء بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب للشاعر الفذ الاستاذ السيد عبد الرحمان الدكالي المرشد العام للقوات المسلحة الملكية .

ولقد استطعنا أن نحصل على هذه القصيدة من الاستاذ الشاعر الذى يعد ديوانه للطبع .

والاستاذ الشاعر السيد عبد الرحمان الدكالي يعتبر من الرواد الاولين فى الحركة الوطنية الذين عصفت النخوة فى رؤوسهم ، وركب فى نفوسهم حس الادب ، وموهبة البلاغة ، فساعدوا على التوجيه المرشد ، والتنبيه الموقظ ، واشعلوا بعض الضوء فى الظلام الدامس ، والطريق الطامس ، كما اعلنوها حربا عوانا على المستعمر الذي اذاق المغرب لباس الجوع والخوف . فكانت قصائدهم تثير الحماس ، وتلهب المشاعر ، وتبعث النخوة ضد الخنا والفساد ، وبغي المترفين .

ويعتبر ديوان الاستاذ عبد الرحمن الدكالي سجلا للاحداث التي قام بها العرش العتيد ، والوطنيون الاقحاح لتحرير الفرد والامة من النير الباهظ ، والكابوس الثقيل الذي بهظ الامة ، وارهقها ولا غرو فهو القائل :

ان ديواني الكبير سجل ... عنك لا ابتغي بدونه فخـرا

« دعوة الحق »

عرفتني حوادث الدهر حـرا ... لا اجاري الزمـان مـدا وجزرا

حسبي النصح مخلصا لبـلادي ... لست والله ابتغي عنـه شكـرا

كنت قبـل استقلالها ابدل النصـ ... ـح وافشي على الملا ما استسـرا

اتحنى لهـا وابكـي عليهـا ... حين يبدي الوحـوش نابـا وظفـرا

سـل بـلادي اذا سألت خبيـرا ... حين كانت تسـام ذلا وقهـرا

بيـن قتـل وبيـن نفـي وسجن ... كان هذا القريض ينشر نشـرا

منذ عامين لم اقـل بيت شعـر ... اتراني قد ضقت بالشعر صـدرا

ان شعري لاجمل اليوم عنـدي ... من رياض الربيع غصنا وزهـرا

ما هجرت القريض طوعا ولكـن ... شغلتنـي عنـه مسائـل اخـرى

انا فى خدمـة الامـام وشعـري ... بمديـح الامـام يعظـم قـدرا

اي ملك فى الارض طولا وعرضـا ... نال ما نلت يا محمد ذكـرا

هي اعمالـك العظيمـة تتلـى ... بجميع اللغات عصـرا فعصـرا

قلت للدهـر « ان نفسي اعلـى ... من عروش الدنـا اذا عشت حـرا

دم للبلاد مجددًا أعيادها

الشاعر إدريس الجاي

هيا افرحوا ، واستبشروا استبشارا   وتذكروا ميلاده تذكارا

في مثل هذا اليوم هل هلاله ..   فأضاء ارجاء الحمى وانارا

فادر على نخب السعادة كاسنا   كأس السرور وداعب الاوتارا

واستوح عبقر من بديع لحونها   ما ألهم الشعراء والاطيارا

وليمطر الفردوس من افنائه ...   وردا حوالي عرشنا مدرارا

واشرب على نخب السعادة مرة   اخرى ، وهات رحيقها ان دارا

فاليوم عيد مليكنا « الحسن » الذي   لما يزل للمكرمات شعارا

عيد الشباب تعقبوا خطواته   فترعرعوا من حوله احرارا

متطلعين الى المعالي مثله ..   يقفون رمز العز أنى سارا

العزم شيمتهم ، ومنه تعلموا   ان العزائم تقهر الاقدارا

كانوا سيوف الله يوم كريهة   اذ قام فيهم صارما بتارا

فاهتزت الدنيا له ، ولهم وللشعب (م)   الذي اصلى الاعادي نارا

ما ظنكم بابن المجيد « محمد »   من ثار شطر الارض ، لما ثارا ؟ !

من كان والده ابن يوسف لم يكن   الا ابيا ، ثائرا ، مغوارا

* * *

من كان والده ابن يوسف لم يزل   ابدا يضيف الى الفخار فخارا

من كان والده ابن يوسف لن تراها (م)   تستباح اذا حماها ، الدارا

من كان والده ابن يوسف لم يزل   يوم الشدائد صامدا صبارا

لا يستكين ، ولا تلين قناته   حتى يقول : لقد اخذنا الثارا

وعن الاشم الاطلس الجبار عما (م)   حوله انا محونا العارا ..

تم الجلاء ، ولا نبيع ترابنا ..   ولئن يزنه مساوم دولارا ! ..

* * *

قدروا نعمة الاله علينا   واذكروا كيف كنتم قبل اسرى
حرم الدين ان يفرق شعب   بقبيل او عادة دون اخرى
جسد واحد اذا مس عضو   اشتكى الكل منه داء وضرا
نحن في العدل والحقوق سواء   وسواء ان كان يسرا وعسرا
نانف الغدر والخيانة والفحش   ونرضي الاله دنيا واخرى
ما رزايا الشعوب الا انشقاق   زرعته يد العدو فأثرى
احذروا ان ينال منكم مرادا   انه لا يزال يمكر مكرا
ارفعوا راية البلاد وكونوا   من صروف الزمان اعظم قدرا
يا ابا الشعب دمت للشعب حصنا   لا تدع للشقاق فيه مقرا
قد لمست الخطوب كانت جساما   فتولت بالعزم كرا وفرا
بعلم الله ما تقاسيه لاكن   ان عند الاله ما شئت ذخرا
اي شعر يهدي لعرشك مولا   ي ثناء وللعزائم شكرا
ايه مولاي قد وهبتك شعري   ونشرت البيان والسحر درا
بك يسمو البيان في الشعر والنثـ   ـر ويبدي العيي في النطق جأرا
ان ديواني الكبير سجل   عنك لا ابتغي بدونه فخرا
كتبته عشرون عاما فوفيـ   ـت البلاد العزيز ما كان نذرا
سمع الشعب في المعامع شعري   صارخا لا لا تشربوا الضيم مرا
« اشربوا الموت في الكريهة حلوا »   واتبعوا القائد العظيم الهزبرا
فسلام عليك مولاي لما   عدت للشعب بعد نفيك قسرا
وسلام عليك تعلن انا   لن نرى بعد يومنا قط اسرى
وسلام عليك والشعب يدعو   يوم عيد الجلوس عمرت عمرا
كل لفظ مهما سما بالتهاني   لم يعبر والله عما استقرا
عشت يا سيدي لشعبك عاشت   اسرة العرش ما علا واشمخرا
عاش من قال قبل نفيك « لا لا »   لفرنسا وبعد نفي اصرا
ولي العهد رأس اركان حرب   حسن الفعل والصفات الاغرا
ندبته العلا فكان جديرا   بالمعالي وكان بالشعب برا
لك مولاي قد رفعت قصيدا   بك فاحت مسكا وندا وعطرا
كتبتها يدي ولاكن قلبي   كان يملي علي شطرا فشطرا
ورجائي والله منك قبول   لست ارضى سوى الرضا منك مهرا

الرباط — عبد الرحمن الدكالي
المرشد العام للقوات المسلحة الملكية

ايه شباب المغرب الاقصى اذكروا ... ايام كنا فى البلاد اسارى
والرعب خيم ضاربا اطنابه ... لما عتوا واستكبروا استكبارا
كنتم كتائب وحدتها نكبة .. ... نكراء ، فاحتدم الحماس اوارا
وفديتم العرش المكين وربه ... مستبسلين اشاوسا احرارا
حتى اتى النصر المبين مكللا ... ملكا وشعبا ظافرا قهارا

* * *

طوبى بني وطني لخير شبابنا ... ابطالنا ، شهدائنا الابرارا
ماتوا ليحيا بالكرامة شعبنا ... ... في ظل عرش قاوم الاعصارا
رسخت دعائمه كشم جبالنا ... وسما ، فخر مطاول اكبارا
انا رفعنا فوقه « الحسن » الذي ... منه الشباب تعلم الاصرارا
حمل الامانة ، وهي عبء فادح ... ان العظيم ليحمل الاوزارا
فبه اقتدوا ، وبهدي حكمته اهتدوا ... دوموا لفخر شبابنا انصارا
واستلهموا منه الطموح ، وشيدوا ... للعز صرحا شامخا ومنارا

* * *

عدوا ملوك الارض او اقيالها ... واستفسروا عن شانها استفسارا
اترون اعلى همة من ملكنا ... واجل امجادا ، وامنع دارا
واحد فى ليل الخطوب بصيرة ... ان خاضها بزجى لها الانوارا لا
قسما به وبتاجه ، وبعرشه ... ما كان الا مفردا مختارا !

* * *

ملك الشباب : اسلم لكل عظيمة ... فبفضل عزمك ندرك الاوطارا
عزم الشباب يرى الخطوب صغيرة ... ويرى الاماني اذ تلوح كبارا

* * *

حسن الفعال ابوك انبت غرسنا ... حتى نما ، فتعهد الاشجارا
وسقى الشباب جذورها بدمائهم ... فتبرعمت افنانها ازهارا
ورعيتها من بعده فتفتحت ... فلنجن في العهد السعيد ثمارا
بك نحتمي ، والى فخارك ننتمي ... اكرم بعرشك للكرام جوارا
دم للبلاد مجددا اعيادها ، ... ما دمت فينا لن نرى اكدارا
واهنأ بعيدك عيدنا ، واسلم لنا ، ... ملك الشباب ، ومتع الانظارا

الرباط : ادريس الجاي

ايه شباب المغرب الاقصى اذكروا   اجدادنا ، واستنطقوا الآثارا
كانوا هداة للشعوب ، فان غزوا   اسروا الملوك ، ودوخوا الامصارا
كانت سنابك خيلهم ان قعقعت   ملأت انوف الجاثمين غبارا
واذا سفين بلادنا خاضت عباب (م)   البحر ، لم تر فوقه بحارا
عجبا لمن وهموا ، وظنوا اننا   نحيا على مجد مضى وتوارى
حتى راوا ان العزيز مليكنا   بطل يقود الجحفل الجرارا
جيش الشباب ، النصر خلف ركابه   ان سار سار ، وان يحلق طارا

* * *

ايه شباب المغرب الاقصى ، كما   واجهتم الاهوال والاخطارا
هيوا لنرفع ما تقوض ولنقم   ما هدمه اعداؤنا فانهارا ..
ان الشجاعة في الحروب جميلة   ما لم تصر يوم البناء فرارا ..
كونوا عصا « الحسن » المجيد وفجروا   من كل صخرها هنا انهارا
البحر والصحراء مرتع غيرنا   فمتى نجوب ونسبر الاغوارا ؟
ومتى تحلق في السماء نجومنا   تهدي الى افلاكها الاقمارا ؟
ومتى نغوص الى عوالم ذرة   لما تزل انساقها اسرارا ؟ ..
السلم لا للسطو ، انا امة   لا تبتغي لسوى الظلوم دمارا

* * *

ولى زمان كان فيه امرنا   بيد العدى ، فاستهتروا استهتارا
وتهافتوا جشعا على خيراتنا   واستأثروا بنعيمنا استئثارا
اثروا بكدح شبابنا وشيوخنا   واستنزفوا المليار فالمليارا
واليوم بعد ذهابهم ما عذرنا   الم يسل عرق الجبين نضارا
ليكون ذخرا للبلاد واهلها ؟..   ما عذرنا ؟ لا نلتمس اعذارا ..

* * *

هاتوا السواعد يا شباب فأرضنا   ما باركت الا الفتى الشمارا
هاتوا المعاول للمناجم واحفروا   ان الكنوز ترقب الحفارا
وعلى الحقول تسابقوا كفوارس   ركضوا ، وكل يهمز « الجرارا »
هذي جياد العصر ، هبوا وامتطوا   صهواتها ، واستثمروا استثمارا
والى المصانع حركوا عجلاتها   كونوا الى تيارها تيارا
فقد كما شئتم يكون ، وانه   سيكون اجمل ما يكون نهارا

* * *

وما قلبي بأول طائر

للشاعر: عبد الكريم التواتي

ادنياي دغدغت الحياة ببسمة ... زهت لبهاها ريقات البشائر
تأودت فاشتاقت لسحرك انفس ... ساها جمال من جفون فواتر
وملت فمالت فى انتشاء قلوبنا ... اليك وتاهت في شفاه نواضر
ادنياي عيناك اللتان اهاجتا ... فؤادي فاشتقاتك كل خواطري
بدوت فخلنا الشمس تستطع فى الضحى ... وتهت فكنت النور في كل ناظر
ادنياي هدهدت النفوس بنظرة ... لها في حنايانا جحيم الهواجر
حرقت بها احشاءنا فتطهرت ... فاكرم بها نارا واكرم بطاهر
ادنياي نهداك اللذان تناجيا ... وعينيك كانا ريقات الازاهر
احـ.ا فمونا واستطابا هواجسا ... فهاما على رقص ووقع مزاهر
وانت فناتي نعمة وملذة ... ودنياك احلام ونغمة شاعر
وبعسي في دنياك وهى تهافتت ... احاسيسها واستعذبتك محاجري
اناجيك حيرانا وادعوك والها ... وارجوك نشوانا اسير خواطري ...
ادنياي اما مال قرطك وانثنى ... يداعب جفنا كالسيوف البواتر
تمايل جيد مشمخر مقلد ... تمائم تنجيه عيون الفواجر
ادنياي لو مستني منك انامل ... تدغدغ اوهامي وتسحر ناظري
تأوهت سكرانا وذبت تلذذا .... وعشت حياتي استلذ سرائري
ادنياي بعثرت الشعور فظللت ... حبيبا تهاوى دونه كل باتر
فأحسست من رؤياه لذة نشوة... اظل كما اجتر اسرار خاطري
ادنياي اما افتر تغرك باسما ... تمايلت نشوانا بكل ضمائري
ساهواك يا حلمي فأنت اثيرة ... لقلبي ، وما قلبي بأول طائر

فاس : عبد الكريم التواتي

أقلام جديدة

للشاعر: عبد المجيد بن جلون

ان الطبيعـــــة أم — لكـــل ما فـي الوجـــود
خـــرجت أسعـــى اليهـــا — مـــرددا لنشيـــدي
والجســـم منـــي عـــار — أمـــام بحـــر مـــديـــد
الـــهـــو وأسبـــح فيـــه — والقلـــب جـــد سعيـــد
فـــأكـــرمتنـــي أمـــي — بعطفهـــا المعهـــود
وجـــاءت الشمس منهـــا — الى ابنهـــا المعمـــود
أهـــدت الـــى الجسم بـــردا — يـــزري بكـــل البـــرود
أمـــاه شكـــرا جـــزيـــلا — علـــى الاهـــاب الجـــديـــد

الرباط : عبد المجيد بن جلون

بين ضيف ومضيف

اضاف رجل رجلا آخر فاطال في زيارتـه حتى أمسى الليل وأظلـم البيت . فقال الضيف يا صاحبي أين السراج فقد أظلـم البيـت ؟ فقال المضيف : ان الله تعالى يقول: واذا أظلـم عليهـم قامـوا .

اذكروا « شاملا » فقد كاد يردي ... دولة « الروس » في حروب الجبال
بطل « القوقز » الذي قاتل القيـ ... ـصر كي تستقل ارض «الهلال»
فقضى خمسة وعشرين عاما ... حاملا في الوغى لواء النضال
انه الشهم قد سعى لعظيم ... يتخطى مراقي الآمال
قام في دولة الصليب جهارا ... يتحدى بالحق كل ضلال
قام يحيي للمسلمين بعزم ... دولة ذات صولة ومعال
ترك « الشيخ شامل » حلقة الذكـ ... ـر الى حومة الوغى والنزال
ترك الدرس والمحابر دهرا ... وارتمى في معامع الاهوال
انها همة الرجال اذا ما ... صمموا لا يردهم اي حال

* * *

مثله في كفاحه الفذ عبد القـ ... ـادر الحر فاس الاقيال
كان في امة الجزائر فردا ... عربيا يعد خير مثال
ثار كالنار في وجوه الاعادي ... ماحقا كل جحفل ميال
عرفت يومه العصيب فرنسا ... حين ذاقت به صروف الوبال
صامدا في كفاحه مستميتا ... لم يجد سلوة سوى في القتال
قارع المعتدين عشر وخمسا ... من سنين الوغى بكل احتمال
فارتقى ذروة الكفاح واضحى ... شامخ الذكر خالد الاعمال

* * *

لست انسى عبد الكريم اذا ما ... عد اهل الجهاد من كل آل
بطل المغرب الذي كبد الاسبـ ... ـان في « الريف » شر كل نكال
ثم القى على « فرنسا » جحيما ... كاد يودي بجيشها والمال
دوخ الامتين دهرا وابدى ... لهما معجزاته في النزال

* * *

هؤلاء الرجال ابطال حق ... دافعوا عنه دونما اخلال
سوف تبقى ذكراهمو في خلود ... يتوالى على ممر الليالي
تلهم الناس كلما حل خطب ... ان يذودوا عن الحمى بالنضال

الرباط — المدني الحمراوي

الأبطال الثلاثة

للشاعر: المدني الحمراوي

تقديم :

لقد اوحت هذه الصورة الفريدة التي تمثل اللقاء التاريخي الذي تم فى بور سعيد عام 1863 بين الاميرعبد القادر الجزائري رقم (1) والامام الشيخ شامل القوقاسي بطل الثورة القوقاسية رقم (2) فى القرن الماضي، للشاعر الاستاذ المدني الحمراوي بهذه القصيدة التي عنونها بالابطال الثلاثة :

وقد نشرنا مقالا فى موضوع هذه الصورة في العدد الخامس من ((دعوة الحق)) لهذه السنة تحت عنوان . ((وجوه التشابه بين الامير عبد القادر الجزائري والامام الشيخ شامل القوقاسي)) للاستاذ عبد القادر القادري ..



ذكروا الجيل انه كاد ينسى ... كل ذكرى لزمرة الابطال
ذكروا هذه الشبيبة حتى ... تبصر النور فى سلوك الرجال
وتحيي ذكراهمو ثم تحيي ... منهمو كل همة وفعال
انهم قدوة الشباب ومرمى ... كل فكر لنا وكل خيال

المال

الشاعر: محمد العلمي

ان كنت تجهل معنى المال في النسق — فسل عن المال اهل البؤس والملق
فكم من الناس قد باعوا ضمائرهم — واستحسنوا نيله من اقبح الطرق
حتى غدو عكس ماهم فيه أهل حجى — وقوة، مذ نأوا عن موطن الزلق
من لم يكن فيهموا بالمال معتصما — فعيشه بينهم في ظلمة النفق
ان صرت فيهم بئيسا كنت متهما — بكل عيب، عديم الجاه والخلق
فالمال في اهله عنوان عزتهم — والمال في أهله حصن من القلق
والمال دنيا واخرى عند صاحبه — وهو المطية عند العاقل الحذق
ان العيوب به مستورة أبدا — فهو المبرر للأهوال والحرق
ان الفقير معزى في مهابته — يعيش مضطربا في الهول والغرق
فالبؤس اصل البلايا، فيه قد جمعت — عوامل الشر والإرهاق والحنق
والبؤس مقت وحزن المبئيس، ومن — آثاره محنة الوسواس والأرق
ضاعت من الناس اخلاق ومكرمة — وصار ايمانهم في اللحم والمرق
والدين عندهم لهو ومهزلة — والعلم في رأيهم حبر على الورق
ان الغنى مدحة تسمو بصاحبها — والفقر اصل الأذى والطيش والنزق
ان الفقير اذا أبدى شجاعته — قالوا: ثمين بتلح الباع والعنق
وان تغاضى احتشاما في كرامته — قالوا: ضعيف، سليل الذل والرهق
يا ليته لم يكن حيا، فعيشته — عبء جسيم، بدا في آخر الرمق
وان تقدم للآيات يشرحها — قالوا: غبي خجول بارد العرق
المال داء لمن زلت عقيدته — وهو الدواء من الأهوال والفرق
فالنار والنور ضدان به اجتمعا — وهو الحسام بكف البارع اللبق
والمال مشكلة الاجيال قاطبة — ما كان من سابق منها وملتحق
فالمرء مهما اعتلى في ماله بشر — وانما خلق الانسان من علق
ايماننا عندنا كنز، ومعقلنا — في (قل أعوذ برب الناس والفلق)

الرباط — محمد العلمي

تسائلني...

للأستاذ الشاعر إبراهيم السولامي

تسائلني والهوى بيننا | وشلال عطر على انحنى
احقا هوى قبلنا احد | احقا حبيبي هووا مثلنا
أكان لهم مثل هذا الجمال | اكان لهم مثل هذا الفنى
تمل عيوني لتنطقها | لتبصر فيها جمال الدنى
وهذا جبيني وهذي يدي | أصابعها من خيوط السنى
لنا الليل يرفل في ذهب | وامواج كل البحار لنا
وكل خريف وكل شتاء | وكل ربيع لنا وحدنا
احقا حبيبي هووا قبلنا | احقا حبيبي هووا مثلنا
وتدفن رأسها في كتفي | فأصمت . كيف اجيب انا

القنيطرة ــ ابراهيم السلامي

امامه ويبدا هو عمله .. وينقطع عـن هـذا الهـذيان الـذي يؤلمـــه .

— ارايت فتاة تلبس ثوبا احمر قانيا .. مـــرت امامك منذ لحظـات .. ؟

واكتفى ان هز راسه علامة النفـي ، وارتسمت على وجهه امارات انبله وابتعد الرجل قليلا يستطلـع نهاية الشارع ، ثم عاد نحوه .

ومد ماسح الاحذية نظره نحو حذاء الرجل ، انه لم يلحظ نظافته ولمعانه ، لم لماذا .. وضع الرجـــل قدمه امامه وامره بمسحـــه ... ؟ وشعـــر بالسرور وهو يبدا عمله بهمة ونشاط .

« ان الرجل يرتدي بذلة كحلية ، ويرتدي جوربا ابيض ، وحذاؤه اسود وشكله جميل » يجب ان تنتبه لئلا تلمس الاصباغ الجورب . فتكون الطامة الكبرى »

وانساه حذره الشديد وانتباهاهـــه ، انساه ذلك الآمه ووضعه المعذب ... وفجـاة ..

راى الرجل يخطف قدمه من امامـــه بسرعـــة ، ويقذف وجهه بقطعة فضية من فئة الربع ليرة ويمضي

والتفت اليه ، فاذا به يرحب بمقدم فتاة طويلة ، شقراء ، جميلة ، ترتدي فستانا احمـــر مشدودا على جسدها اللدن ، شيء يثير عواطفه من مكامنها وغرائزه من اوكارها ، لقد شاهد مثلها ، امراة تشبهها تمامـــا ، في العيد الكبير السابق ، ولكـــن على شاشة سينمـــا غازي ، ممثلة شقراء بارعة ، ولا يذكر اسمها .

وعـــاد الى نفسه ، وتحسس الربـــع ليـــرة « استفتاحة بالصلاة على النبي » .

انها جاءته في دقائـــق معـــدودات . « ياالله .. يارزاق .. ياكريـــم » .

امه بالامس قالت : انني اتمنى ان اصنع لك اونا من الوان الطعام يسمى « المجدرة » يجب ان تقتصد على الاقل ليرتين .

فوعدها ان يعطيها المبلغ في العيد .. واذا جاءه عدد من الزبائن من نوع الزبون الاول استطاع ان يحقق امنيـــة امـــه العزيزة .

ما اعظم هذه السيارة التي تقف امامه .. لقـــد نزل منها رجل طويل ، عريض المنكبين ، بعد ان فتـــح السائق له الباب ودخل البناية التي يجلس بجانب من جوانبها ، ودخل السيارة ثم خرج ، ونظر الى ساعته، ثم تقـــدم نحـــوه

— الله يعطيك العافية ...

— الله يعافيك باسيدي ..

ووضع ماء على الصابون : يارب ... ياستار

وبدا يحرك فرشاة بالية في يده ، ثم مسح فردة من الحذاء في خرقة تلونت بالوان الاحذية .

انه يعمل بجد ونشاط .. ثـــلاث فرنكـــات .. لاباس فيها .. لعل هذا السائق من عائلة متوسطـــة ، ولكن حذاءه متين وجوربه جميل ، وبنطاله يقف كحد السيف .. يظهر ان معلمه : وزير .. نائب .. تاجر .. لا اعلـــــم ..

ووضع الاصباغ على قطعة من الاسفنج ، وبـــدا يحركها بلطف فوق الحذاء .

ومرت سيارة ، وقفزت قطة ، واذا بصـــوت « الفرامل » يزعق بشدة على اسفلت الشارع الاسود، والتفت ماسح الاحذية والسائق معا ، واليد تعمل في الحذاء ، ثم التفت السائق بذعر نحو جوربه .. ورفع يده واسقطها بقوة على وجه ماسح الاحذية ، ثم اتبعها باخرى ، وهو يشتمه ويقـــول : الم تنظـــر ماذا فعلت يا وقـــح .. البويا .. فوق الجورب .. اين عينيك .. ؟ وصرخ المسكين : ارجـــوك ياسيـــدي .. لم يكـــن قصدي ... لم يكن قصدي ..

وانهمرت الدموع مدرارا من عينيه ..

وفي هذه الاثناء ، خرج الرجل : الوزير ، النائب، المهم ، خرج .. واستفهم الامر من السائق ، فقـــص عليه ، واذا به يامره بركوب السيارة ، ثم التفت نحـــو ماسح الاحذية ونظر اليه نظرة رثاء ، وكان هذا لايزال يمسح دموعه بكمه ومد الرجل يـــده الى جيبـــه .. واخرج قطعة نقدية واسقطها في احضانه .. ثم مضى.

توقفت دموع ماسح الاحذية فجاة ، ونظـــر بدهشة الى الليرة الفضية التي استقرت في كفه ... ولمسها كانـــه في حلـــم .

انه لم يقبض في حياته هذه الليرة مرة واحدة ، هذه الليرة كان يراها حين كان ابوه على قيد الحياة .. كان يقبض مثلها اثنين ، وهو يعمـــل (فاعـــلا) يفرق الحجارة عن الرمال بواسطة غربال كبير ... ولكن .. منذ ان توفى ابوه ، بعد ان انهار عليه حجر كبيـــــر من قمة الجبل فحطم راسه .. لم يعد يراها قطعـــة

الأحذية اللامعة

للأستاذ: ياسين رفاعية

كان يدرك والاحذية تمر باصحابها امامه مسرعة او مبطئة ، ان حياته معلقة بها .. فان حذاء واحدا اذا اتجه نحوه الآن لاستطاع ان يشتري خبزا .. وآخر لاستطاع ان يشتري (فلافل) .

وهو يدرك ايضا ان مركزه في هذا الشارع حساس جدا ، انه حي جديد ، والاناقة لا تتم الا اذا كان الحذاء نظيفا .. تعلو راسه لمعة وهاجة كالشمس. ولكن لماذا يمرون امامه مرور الكرام ... لايلتفتون نحوه .

« يجب ان تفتح عينيك جيدا .. ان هؤلاء القوم لا يمكن ان يقفوا امامك لتمسح لهم احذيتهم .. الم تشاهد تلك الصالونات الفخمة الانيقة التي بدات تزدحم بها المدينة ، مقعد وثير جميل .. ثم مجلة يقرأ فيها .. او صحيفة يستطلع خبرا منها ، ثم ربع ليرة فقط ، فما بالك تريد ان يأتوا اليك ، ليقف من يريد مسح حذائه على قدم واحدة .. والحر يلفح الوجوه ، ليقتصد عشرة قروش فقط » .

كان يلعن الزمن من صميمه .

لقد حسب فيما لو انتقل الى هذا الحي ان يجد سوقا ارسع لا مزاحمة فيه .

بالامس ، حين كان في حي العمارة ، احد احياء دمشق القديمة ، كان اصحاب صنعته كثر ، وقد انتشروا على طول الرصيف متلاصقين ، يكادون يمسكون بالاقدام كي يتقدم اصحابها ويمسحوا احذيتهم ...

ومع ذلك ، لم يكن كاصحابه هؤلاء ، بل كان يعتمد في رزقه على الله .

بالامس استطاع ان يعمل بمبلغ تسعين قرشا ، مبلغ لا باس به احد منه نصفه ليضعه في صندوقه الخشبي ، فيدفع في آخر الشهر منه اجرة غرفته التي استاجرها في خان يسمى « بين الحواصل » ان المبلغ الذي يعمل بهطوال شهر كامل، يكادلايكفي ايجار الغرفة وبعض الضروريات تم هناك امه ، انها تنتظره كل مساء .. امه العجوز كانت تود ان تتسول ، الا انه لم يرض لها هذا المصير ، انه لايزال شابا في مقتبل العمر .. واشترى بالنصف الاخر خبزا وفلافل تكفي الاثنين وجبتا الظهر والمساء .

وفي اليوم الذي قبله ، كان الخميس ، استطاع ان يسهر طويلا ، والمبلغ محترم ، انه ليرة سورية ونصف الحمد لله على هذه النعمة .

لكنه اليوم ، قصد هذا الحي ، لعل اجره يتجاوز في الربع ساعة التي يعمل جهده بها ليظهر الحذاء جديدا لامعا : الخمسة عشر قرشا .

هذا .. الحذاء ، ان الغبار تعلوه يا رجل ، لماذا تمر هكذا ، يجب عليك ان تنظفه .. انك ترتدي بذلة بيضاء ، فليس جميلا ان يكون حذاؤك وسخا .

وانت .. لا ، ان حذاءك نظيف ، وهذا الجورب الذي ترتديه ، انه جميل جدا ، ليتني استطيع الحصول على مثله ، لا بأس ، حين يقترب العيد ، يزداد عملي ، ويزداد كرم الزبائن، عندئذ سأقتصد مبلغا خاصا واشتري جوربا مثله ، ترى .. أاستحق ان ارتديه في حذاء كحذائي الممزق ، وتحت بنطال كبنطالي الوسخ » ... يا الهي .

وصفق الشاب بيديه ، وفرك كفيه قليلا ، ان رجلا يتقدم نحوه ، جميل .. سيضع الآن حذاءه

رحمة

للأستاذ: عبد الله العمراني

-4-

استدعى القائد شاشون ابنته رحمة وقال لها :

ــ ابنتي المحبوبة ! لقد قبلت رغباتك ، واستغنيت عن حياة المسيحيين . سيرافقوني غدا الى فاس وسأسلمهم الى السلطان الذي يمكن ــ اذا كانت تلك رغبته ــ أن يفنيهم او يبقيهم . وسيفنيهم بالتأكيد اذا ظهر ان جؤاو سحتنل نصاب

عانقت رحمة والدها ، غير انها لم تنبس ببنت شفة . وابتهجت وانشرح صدرها ، لانها كانت متأكدة ان جؤاو لم يكن محتالا ! ولكنها فى الوقت نفسه ، شعرت بالحزن العميق ، لان جؤاو سيغادر القرية فلا تستطيع ان تراه مرة اخرى .

قال الوالد :

ــ لايساورك الحزن على فراقي يا نور عيني فبفضل الله ومشيئته سأعود قريبا ، فاهيىء حفلة زفافك بصديقي القديم القائد عمار زازور .

ــ ابتاه ! الان فقط اشعر بان السرور يزايل قلبي لاني لا استطيع ان اتزوج واتركك .

ــ لا تكوني طفلة حمقاء ! اذهبي واخبري مبارك والعبدين الاخرين ان يستعدوا لرحيلنا غدا ، وان يجهزوا بغلين ببردعتين كي يحملا هؤلاء الاسرى ، يمكن لاثنين منهما ان يمتطيا بغلا بكبليهما ، اما جؤاو فسينزع عنه الكبل ويركب البغل الاخر . وهكذا سيعامل المسيحي بمنتهى الرأفة كما تهوين .. ولكن يجب ان يحلف بالله انه لن يحاول الفرار .. هيا مري وصائفك ان يوجهن الحراس ليحضروا جؤاو ، وقومي البس (الحايك) وانتقبي حتى يمكنك ان تمكثي معنا فى الحجرة فتسمعي ما يقوله الكافر ، وما سأصدره من أوامر

وعندما دخل جؤاو تصنع القائد روح الصداقة، وعلت وجهه ابتسامة وقال :

ــ جؤاو ، لقد قررت ان اخذك الى المشور السعيد ، حيث ان مولانا وسيدنا طبقا للمرسوم الذي قرأته يفضل ان يأخذك فى خدمته كصانع اسلحة . واريد منك أن تنسى كل ما حدث ، وان نصبح منذ الان اصدقاء ثم قال للعبيد :

ــ انزعوا عنه هذا الكبل الذي يعرقل حركته .

ثم التفت الى جؤاو وقال :

ــ اذهب لاحاجة بنا الى حارس يحرسك ، لانك الآن حر طليق اذا حلفت بالله العظيم انك لن تحاول الفرار.

ــ ونزع الكبل عن جؤاو الذي كان على وشك ان يجيب اجابة ثائر متعجرف ، لكن رحمة التي كانت تقف وراء والدها خفضت لثامها ووضعت اصبعها على شفتيها ملتمسة منه الا يعارض . حينئذ اجاب مبتسما :

ــ شكرا ايها القائد . اني اقبل صداقتك وسأنسى الماضي . وكذلك احلف بالله الذي اومن به ــ كما قلت ــ حقيقة وصدقا ، اني لن احاول الهرب . لكني اراني ملزما ان اطالب بتحرير رفيقي في الاسر ، وبأن يعاملا برفق مثلما اعامل .

انحنت رحمة على اذن والدها وهمست :

ــ لتأخذك الرأفة والشفقة على المسيحيين المسكينين يا ابتاه ، والله تعالى يبارك خطواتك ويجازيك احسن الجزاء .

عندئذ التفت القائد الى جؤار واجاب :

ــ سيكون الامر وفق ما تريد .. وعلي ان ارى هذين الاسيرين فى الحال .

واحدة فقط .. فكيف يراها الان تهبط عليه فجاة من السماء ؛ انه يرجو الله ان يأتيه بامثال هذا السائق وسيده الوزير .. النائب ، كثيرا ، ويضربه كل سائق لياخذ من كل وزير ، نائب تاجر ، هذه الليرة الفضية الجميلة .

« ليره وربع ... عظيم جدا » .

وبدات الشمس تتجه نحوه ، يجب ان يغادر هذا الرصيف الى الرصيف المقابل .. ووقف . ثم وضع صندوقه على كتفه ، ومقعده في يده . ومضى الى الرصيف الآخر .

ان الحرارة هنا اخف وطأة .

هذا الشاب يتأبط كتبا .. والى جانبه فتاة لعلها طالبة مثله .. انهما يسيران الهوينا ، ولم يلبثا ان وقفا امامه دون ان يشعرا بوجوده .

قال الشاب : يجب ان تعرفي انني احبك .. واجابته : وانا كذلك احبك .. وسعل وسعل . لكنهما لم يلتفتا اليه ، وكان يريد ان يشعرهما بوجوده ، لكنهما لم يابها ، وبعد قليل التفت الشاب واعطاه قدماه بلا مبالاة ، وهو يتابع حديثه مع الفتاة . عن الحب . عن الزواج . يجب ان تنتظره . يجب ان لاتقبل اي خاطب .

وحين اندمج ماسح الاحذية في عمله ، لم يعد يدرك حديث الشاب والفتاة حتى اذا انتهى من مسح الحذاء كانت الفتاة تودع الشاب بحرارة .

وخرجت الكلمات من فم صاحبنا : الله يوفقكم وينيلكم مرادكم ..)

واستطاب الشاب الدعاء . فنفحه نصف ليرة .

(ـ يا الهي .. اشكرك .. اشكرك ..)

(هناك ثلاثة اطفال يلعبون الكرة ، قذفها احدهم . اصابت راسه . انهم يضحكون عليه .. ما اجمل الاطفال ، كالملائكة ..)

وقذف لهم الكرة ، وفعل آخران قذفها مرة ثانية نحوه فاصابت صدره .

لعلهم يقصدونه ، كان يحسب ان الاولى عفوا .. ولكن لاباس ، لن يثور عليهم ، انه يحبهم ، ما اجمل هذه الملابس التي يرتدونها .. لعلهم ابناء وزراء او نواب .. ان ابا رمانة لايقطنه الا اولئك ..)

وقذف اليهم الكرة ، فاستلقاها ثالثهم . واعادها نحوه بشدة فأصابت رأسه بقوة (انني تألمت من الضربة يجب ان ابعدهم عني ..)

وقذف الكرة بكل ما اوتي من قوة .. فتراكض الثلاثة نحوها ضاحكين .. حتى ابتعدوا عنه ، فضحك ، وان كان لا يزال يتألم من راسه . ان الاطفال لاتفارقهم السعادة ..

ورأى خادم تتقدم نحوه تحمل بيدها احذية نسائية ، انها مكتنزة الجسم .. جميلة .. تمشي بدلال ولولا هذا المنديل الاحمر الذي يلف مؤخرة راسها لحسبها ابنة احد العظماء .

وقذفت بالاحذية امامه ، ثم قالت : يجب ان تمسحها بشكل جميل ..

ـ امرك ياسيدتي

وراقها ان يناديها « سيدتي » وهي التي اعتادت ان تنادي الناس بهذا اللقب دون ان تحلم يوما ان يناديها احدهم .. واسندت ظهرها الى الجدار ، فبرز صدرها بشكل مغر .. مما دعاه ان يمر بقطعة الاسفنج فوق يده . ويصبغها بلون البويا .

وحدثته عن سيدها العظيم ، انه رجل مرموق وسيصبح من كبار رجال البلد في وقت قريب ، وسألته عن حاله ، فكذب عليها قليلا .. وصدق قليلا فاستلطفته ، لمح ذلك من خلال ابتسامتها التي اشرقت على ثغرها

ولما انتهى من مسح الاحذية . اعطته ليرة فضية . ثم قالت : انتظر قليلا سآتي لك بأحذية سيدي انك شاطر ...

وذهبت ، ثم عادت بعد قليل واعطته احذية رجالية .

ولما انتهى ، نفحته ليرة ثانية .. فكاد يطير من الفرح ، ولكنه كتم ذلك ، ثم سألته ان يعود هنا غدا وستعمل على الدعاية له بين زميلاتها الخدم ، ويكون عمله مريحا ، فودعها شاكرا ، واعطته ابتسامة مغرية ، جعلت غريزته المكبوتة تتفتح ، ودعته يفكر جديا بالعودة كل يوم الى هذا الحي العظيم .

ولما وصل غرفته في المساء ، الفى امه تنتظره .. فرمى في احضانها المبلغ كله .. اربع ليرات الا ربعا .

ـ يجب ان ناكل غدا « المجدرة » ولا باس اذا اشترينا غدا بطيخة .

وابتسمت الام ابتسامة مشرقة ، قلما ترتسم على شفتيها الا في الاعياد .

دمشق ـ ياسين رفاعية

وحمل المبعوث رسالة منه الى الوزير يعلمه انه ءات بجؤاو صانع السلاح وبمسيحيين ءاخرين اسيرين ، ليسلمهم الى السلطان فيتصرف فيهم جلالته كيفما شاء

وحينما بقي على انتهاء الرحلة الى العاصمة بضع ساعات ، استقبلهم قائد من قواد الحرس الشخصي للسلطان ، وابلغ رسالة الى القائد شاشون يامره فيها جلالته ان يعتني كل العناية بجؤاو فلا ينبغي ان يتعرض لاية اهانة او سوء معاملة وامره كذلك ان يخبر هذا الاخير بان دارا وحانوت حدادة قد اعدا له ، وان الاسيرين الاخرين سيسكنان معه في نفس الدار ، ثم اخبر قائد الحرس السلطاني القائد شاشون ان جلالة السلطان قد اثنى على وفائه وسلوكه الطيب حين احضر جؤاو سالما ، وانه يعتبر محظيا لدى جلالته ، ومن خدام العرش الاوفياء .

وعند الوصول ، اخذ جؤاو ليمثل امام السلطان، فعلم عند المقابلة انه سيخصص له راتب شهري ودار قريبة من القصر السلطاني ، وان ءالات الحدادة ، واكواما من احذية قديمة للخيل قد اعدت ، وان كل ماسورة بندقية يصنعها جؤاو يكافأ عليهابعشرة مثاقيل واضاف جلالة السلطان :

— واذا اصبحت واحدا من رعايانا المومنين ، فاني ءامر الان بان تعطى كسوة مسلم .

شكر جؤاو السلطان واجاد :

— اقبل بكل سرور هدية جلالتكم التي ستحل محل ثيابي المزقة البالية .

وبقبوله الهدية ، فهم ان جؤاو لا يلبث ان يعتنق الاسلام ، ويقطع كل صلة له بماضيه الديني او الوطني غير انه ربما كان يسر حسوا في ارتفاء ، ومن يدري ! فلعله نذر في قلبه ان يتظاهر بالزي المغربي ليفوز فقط برحمة زوجة له ، ولعله قرر مع نفسه ان يظل كاثوليكيا كما كان ، بل لعله كان يامل في ذلك اليوم الذي ينبغي ان يعود فيه الى ارض اسلافه ومسقط راسه لشبونه .

* * *

كان جؤاو صانعا ماهرا حقا ، وقد استطاع ان يصنع عددا من مواسير البندقيات ، حتى قبل ان يغادر القائد شاشون مدينة فاس ، وكان البرتغاليان الاخران هما الوحيدان اللذان يساعدان جؤاو في عمله الجديد ، فلم يسمح لغيرهما ان يعمل معه ، وكانه عزم الا يطلع احدا من المغاربة على سر مهنته وفنه .

كان مولاي احمد المنصور مولعا بكل انواع الميكانيكا ، ومهتما بالصناعة اشد الاهتمام ، لذا اعتاد ان يذهب بين الفينة والفينة الى مصنع جؤاو ليراه وهو يشتغل ، فيظهر له ارتياحه ورضاه بعمله ، ولا ادل على ذلك الرضى من انه ذات يوم منحه درجة ضابط في الجيش .

وعزم القائد شاشون على الرجوع الى « تمسيلة » فاهداه السلطان حصانا مطهما بسرج ولجام لطيفين وقبل ان يغادر المشور ، ذهب ليرى جؤاو ويودعه ، ويخبره عن الحظوة التي نالها عند السلطان ، فوجد جؤاو مسلما « في الظاهر » ومتزييا بالزي المغربي ، وضابطا ذا مكانة عالية .

صافح جؤاو القائد شاشون بحرارة وهو يودعه ثم قال له :

— انت تعرف اني مدين بحياتي ومكانتي هذه لابنتك ، اني انوي ان اتزوج واسكن هنا في فاس ، فهل تمنحني شرف مصاهرتك ؟

اجاب القائد :

— طلبت مستحيلا ، ذلك اني قد زوجتها لصديقي القائد عمار زازور .. ان السلطان — وقد اصبحت في مثل هذه المكانة سيزوجك اذا طلبت ذلك من جلالته احدى وصائف القصر ، وسيجهزها بشوار افخم مما استطيع ان اقدمه انا لابنتي .

ثم غادر المكان تاركا جؤاو غريقا في بحر لجي من البؤس والشقاء وانقباض النفس ، وانكسار الخاطر وبعد ايام قليلة من رجوع شاشون الى قريته بني مصور ، زار السلطان مصنع جؤاو ، فوجد الصانع منكبا على عمله ، حريصا على انجاز مهامه ، غير ان السلطان لاحظ عليه انه شاحب اللون ممتقعه تكسوه مسحة من الحزن والكآبة، لذا سأله عما اذا كان يحس بألم ، او كانت، له اية شكاية من أي كان في القصر، او عما اذا كان الطعام الذي يرسل اليه من القصر غير كاف ، او ليس كما ينبغي ..

لكن جؤاو اجاب بان ليس لديه اية شكاية ضد اي كان ، وكل ما في الامر انه يحس حزنا يخالج نفسه، ولا يريد ان يطلع عليه السلطان مخافة ان يسبب لجلالته كدرا او عدم سرور . قال السلطان :

— تكلم يا جؤاو ، لا تخش شيئا فكل واحد اساء اليك سيعاقب ، وكل ما تسأله ستمنحه ، والذي اعدك به سينجز ، تكلم بصوت عال وبجراة .

وعندما قال ذلك ، صفق بيده ، لكن لا مبارك ولا اي تابع ءاخر سمع التصفيق او استجاب للنداء . ونهض القائد بسرعة ، وخطا خطوات فى فناء الدار وهو ينادي مبارك بصوت عال . واغتنم جؤاو خلو المكان فصب فى صوت منخفض تشكراته القلبية لرحمة اللطيفة . وانتزع من عنقه الشيء الوحيد الذي كان يملكه ءانئذ ، وهو سلسلة فضية علق بها صليب فضي صغير وقال :

— اقبلي هذا تذكارا ممن هو مدين لك بحياته . وهو يامل من اعماق قلبه ان يراك مرة اخرى فى هذا العالم .

احجمت رحمة اولا عن قبول الهدية حينما رأت الصليب ، لكنها قبلتها اخيرا وكأنها اعتزمت ان تحتفظ بالسلسلة دون الصليب او ان تحتفظ بالاثنين دون ان تجرؤ على لبسهما . ثم قالت :

— لن يكون ذلك ابدا ، لسنا مثل المسيحيات ، بل نحن محجبات مقيدات الحركة ، قد نعامل معاملة الاسيرات فلا يسمح لنا بابداء الراي فيما هو اخص خصائصنا .. لقد اخبرني والدي مثل قليل انه عند عودته من فاس سيزفني الى العجوز القائد عمار، اني بائسة اشعر بالشقاء كلما فكرت فى مغادرة والدي الذي يحبني ، وفى السكنى تحت سقف واحد مع من لا يمكن ان احبه .

قال جؤاو وكانه وجد فرصة لكي يضرب ضربته:

— رحمة، هل تستطيعين حب نصراني يومن بالله ويحبك اكثر مما يحب حياته هو ؟

تلعثمت الفتاة ، ثم قالت وهي تخفي وجهها الذي علته حمرة الخجل :

— استطيع ، وفى الحقيقة اني احبك .. ولكن حبي عبث فى عبث . قال جؤاو :

— لن يكون عبثا فى عبث ، تأكدي اني عندما اسر السلطان بصناعتي وفني ، وافوز برضاه ، سأرتمي عند اقدامه متوسلا ان يطلب يدك من والدك ، وان يزوجني بك اذا كنت تحبينني حقيقة .

وفجأة طرق سمعيهما رنين سلاسل الكبلين لذا نشلت رحمة من اصبعها خاتما فضيا صغيرا واعطته جؤاو قائلة :

ارجو ان تكون بركة الله ورحمته معنا كلينا . ثق بالله يكن لنا امل فى اللقاء ثانية .

ثم انسحبت قليلا وغطت وجهها باللثام عندما اقترب والدها متبوعا بمبارك والاسيرين ، ووجه القائد الخطاب الى الاخيرين فقال :

— بناء على شفاعة جؤاو الذي ءاخذه غدا الى البلاط السلطاني ليدخل فى خدمة مولانا وسيدنا كصانع اسلحة ، فاني قد استغنيت عن حياتكما ، وستنزع عنكما اغلالكما ، وستؤخذان مع جؤاو الى السلطان ، وعلى قرار جلالته يتوقف مصيركما ، وكيفما كان الامر اقسم لكما — اذا ما حاولتما الفرار — انكما لن تريا مني اية شفقة او رحمة . ثم وجه خطابه الى العبد قائلا :

— خذهما الى دويرتك واقفل عليهما ، ولكن انزع عنهما اغلالهما ، واجلب لهما الطعام من مطبخي كي يستشعرا الصحة والعافية والقوة وهما مقبلان على الرحلة غدا ، اما جؤاو فضع له مضربة فى ساحة الدار ، انه ضيفي ، حر يذهب ويجيء كما يشاء له هواه . ثم التفت نحو ابنته رحمة وقال مبتسما :

— فعلت كل هذا من اجلك يا فلذة كبدي ، وما حيلتي وقد سبق ان سميتك رحمة ، اليس من الرحمة العفو عند المقدرة ، واعتاق ارواح هؤلاء الاسرى ؟

صاح جؤاو : بارك الله فيها — هي رحمة ونعمة فى ءان واحد .

وامن رفيقاه على قوله بالاشارة ، لانهما لم يكونا يعرفان العربية مثل صاحبهما .

وفى صباح اليوم التالي امتطى القائد متن بغل فاره ، وامتطى الاسرى دابتين اعدتا لهم ، بينما كان العبد يقود هدية ثمينة للسلطان تلك الفرس الرمادية اللون التي تشبه البرق فى سرعتها وقد زينت بلجام جميل ، وسرج مذهب لطيف .

بدت رحمة على عتبة الدار متشحة بحائكها ، وقبل ان يغادر الموكب المكان ، وفى غفلة من والدها الذي كان قد ادار لها ظهره وهو يستعد للمسير ، كشفت رحمة عن وجهها وسحبت السلسلة والصليب الفضيين من جيبها ، وامرتهما على شفتيها اشارة حب ووداع ، فرد عليها جؤاو بان رفع الى السماء أصبعه التي بها خاتمها .

واوفد القائد شاشون الى القصر السلطاني مبعوثا على وجه السرعة ، كي يعلن قدومهم ، ولكيلا يدع اية فرصة لمن يعاديه ان يدس له عند السلطان ،

وفى النهاية ، زفت العروس الى عريسها ، فادخلت فى « بوجة » مغطاة باردية حريرية مزينة باعمال التطريز ، وحملت البوجة على متن بغل الى دار الزوجية دار جؤاو . وصحبت الموكب عدة فرق موسيقية — وفرقة من الجيش والحرس السلطاني ، وجمهور غفير من ابناء الشعب الذين كانوا يطلقون النار من بنادقهم بينما كانت زغاريد النساء تشق عنان السماء بين الحين والاخر .

بلغ الموكب الدار ، وتولت انزال البوجة اربع من الاماء واخذت الى حجرة مفروشة بالزرابي الجميلة والاثاث الفاخر ، حيث كان جؤاو ينتظر عروسه على احر من الجمر . ساعدت الاماء العروس على الخروج من البوجة ، ثم انسحبن . وبمجرد ما اختلى الزوجان تعانقا عناقا طويلا حارا ، ثم قالت العروس :

— يا حبيبي لقد استجاب الله دعواتنا . انه رحيم . الان سأكون ما بقيت حية زوجتك السعيدة الوفية .. لكن يا جؤاو ، اسألك ان تعيد على مسامعي انك مومن بالله وبيوم البعث . اني مبتهجة لرؤيتك فى زي مسلم ، وءامل من صميم قلبي ا نتكون الان واحدا من المومنين . قال جؤاو وقد رفعها بين ذراعيه : رحمة اني مدين لك بحياتي هذه التي اضعها الان تحت تصرفك ، تفعلين بها ما تشائين ، لانها حياتك انت، انت التي مننت علي بها . لكن يجب ان لا اخدعك — لست مسلما — انى مسيحي كاثوليكي . لقد تزييت بالزي المغربي ليعتقد القوم اني مسلم مثلهم ، ولكي استطيع ان اطلب من السلطان ان يزوجني منك .

نزلت هذه الجمل على رحمة كالصاعقة ، وسحبت نفسها من بين ذراعيه ، وشعرت بخيبة امل، وعلمت فى ءاخر لحظة انها مخدوعة ، فما العمل؟ قالت:

— لا استطيع يجب ان لا اقبل ، يجب ان لا اغضب ربي بتزوجي من مسيحي .

— الا تعرفين ان نبيكم محمد « صلى الله عليه وسلم » قد تزوج بمسيحية ؟

— بلى ، اعرف انه تسرى بجاريته مارية القبطية، لكنها اسلمت فهلا اسلمت انت ؟

— ءاه يا زوجتي الحبيبة — سأكون لك زوجا وفيا ، وحينما اطلعك على عقيدتي وشعائر ديني ، ستعرفين ان لنا كلينا نفس القوانين الربانية ، باستثناء ان المسيحية لا تبيح التزوج باكثر من زوجة واحدة ، فهل مثل هذا القانون يكدر صفو عيشتك معي يا رحمتي ؟

ويظهر ان جؤاو ، استطاع بكلامه الحلو الجذاب، ان يمس شغاف قلب هذه الانثى ، وان يبعثها على التفكير والتأمل ، غير انه لم يلبث ان اضاف قائلا :

— ثم ان شريعتنا المسيحية لا تبيح الطلاق ، مثلما تبيحه شريعتكم .

وهنا احست رحمة انها ليست امام زوج فحسب ، بل امام مبشر حقيقي يجيد الدفاع والهجوم فى وقت واحد ، ورات من الحكمة او من سوء حظها ان تعلن موافقتها فقالت :

— احلف انك لن تتزوج علي امراة اخرى ، وانك لن تطلقني . اجابها فرحا :

— اقسم لك الا اتزوج غيرك ، وان لا شىء غير الموت يستطيع ان يفرق بيننا .

حينئذ ارتمت رحمة — ثانية — بين ذراعي جؤاو وصاحت :

— اني زوجتك المحبة الى الابد ، وسأصون عرضك واطيعك .

عاشت رحمة وجؤاو فترة من الزمان تغمرهما السعادة الزوجية . وفى كل مساء يرجع فيه الى منزله، كان يعمد الى تعليم زوجته مبادىء اللغة البرتغالية . وقد وجدها ذكية سريعة الفهم والتعلم ، فسره ذلك واطمعه فى تعليمها مباديء الدين المسيحي . ولم تعارض فى ذلك ، وكانها وجدتها فرصة لتتعلم ما تجهله ، ولتتزود بما يزيدها ثباتا على مبادئها ودينها . ولو كانت اخرى فى غير فهمها وعلمها وذكائها لسهل التغرير بها ، وتم ارتدادها بسهولة ، غير ان رحمة التي جادت بالحياة على جؤاو ، تراه الان — غير خجل او وجل — يسعى جادا ليحول بينها وبين عقيدة ءابائها، واجدادها . دين التوحيد الخالص ، والاسلام الصحيح. وتذكرت قول الله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » فصممت على الثبات والبقاء على دينها ، وكثيرا ما كانت تناقش زوجها بعض الافكار المسيحية كعقيدة التثليت التي لم تكن تستسيغها عقليا ، فكان يحاول ان يفهمها عبثا ان مسألة الدين هي مسألة القلب لا العقل . وكثيرا ما قالت له ان القرءان الكريم لا يفتأ يحث الناس على استعمال عقولهم فى كل شىء فلا يكونون كالبهائم يساقون ولا يعقلون .. ومما اثار

امتثل جؤاو لامر السلطان وقص عليه قصة اسره ، والحكم عليه بالاعدام ، ثم العفو الذي صدر فى حقه بعد تدخل ابنة القائد .. وعندما ختم قصته صاح جلالة السلطان :

الله اكبر ! لو كان القائد شاشون اخذ حياتك لخسر هو حياته . ان ابنته هذه التي كانت السبب فى حصولي عليك هنا سليما ، لصنع البنادق للمسلمين ستكافأ من لدن جنابنا الشريف . ماذا تريد ؟

هنا قام جؤاو بحركة تمثيلية بارعة ، وقذف بنفسه عند اقدام جلالة احمد المنصور ، وقال :

« هي التي انقذت حياتي ، وكنت آمل ان تصبح لي زوجة ، لكن ، واحسرتاه ! ! لقد علمت انها مخطوبة، لعجوز هو قائد قبيلة مجاورة لقبيلة والدها، هذا الذي يجعلني يامولاي بائسا حزينا ... قال السلطان :

— قبل مضي عشرة ايام بلياليها ، ان لم تكن هذه الفتاة قد زفت الى بعلها ، فان اباها سيحضرها الى هنا وستصبح زوجتك ، وسنجهزها بمهر وشوار لطيفين.

وفى الحين صدر الامر بسفر مندوب سلطاني الى قائد بني منصور ، وكان يحمل رسالة تنص على ان القائد وابنته يجب ان يحضرا فى الحال الى المشور السعيد بفاس . ومن التعليمات المعطاة لهذه المندوب وجوب التأكد قبل تنفيذ الامر السلطاني من ان بنت القائد لما يتم زفافها بعد ، لانه فى مثل هذه الحالة لا ينبغي تنفيذ الرغبة السامية .

وصل المندوب السلطاني الى قرية تمسيلة ، فوجد ان حفلة الزفاف لم تحصل ولن تحصل لان القائدعمار قد مات فجأة بمجرد ما ارتحل القائدشاشون الى فاس رحلته الاخيرة . ولذا صدع الرسول بالامر وقام بتبليغ رسالته فتاهب القائد وابنته للرحيل الى فاس وهو لا يعلم من امر السفر او غايته شيئا .

واخيرا وصلا الى القصر السلطاني ، فلقيا ترحيبا وانزلا منزلا مريحا قريبا من القصر . وبدات الفتاة تعمل فكرها لتتسلى او لتفسر ماحدث : لماذا كان هذا السفر ؟ وهل كان من اللازم ان ترافق والدها فى هذه الرحلة ؟ لقد تذكرت خطةجؤاو وكلماته الاخيرة التي وجهها اليها قبل رحيله الى فاس وعلمت من والدها حين رجوعه من العاصمة ان جؤاو يتمتع بمكانة عالية عند السلطان ، لذا لم تر داعيا للخوف على والدها ، بلهي ترىبالعكس من ذلك علائم وتباشير تنبىء بتنفيذ ما تصبو اليه من حلم لذيذ . اليس هذا الترحيب والاكرام دليلا على الارادة الحسنة والخبر الطيب ؟ توصلت الىهذا القرار ، لكنها لم تستطع ان تفضي بشيء من ذلكالى والدها ، ولاذت بالصمت .

وما علم جؤاو بوصول القائد شاشون وابنته ، حتى هب لتحيته . وعلى الرغم من ان رحمة كانت محجرا عليها فلم يسمحلهابدخول الحجرة التي تم فيها اللقاء ، فانها استطاعت بطريقة ما ان ترى جؤاو وان تسترق السمع لما يجري بين الرجلين من حديث . وامكنها ان تسمع جؤاو يحيي والدها ويقول له :

— هل ابنتك التي انقذت حياتي فى صحة جيدة ؟ اما زالت غير متزوجة ؟ اذا كان الامر كذلك فلا اكتمك اني قد طلبت يدها من السلطان . ومن اجل ذلك امر جلالاته بقدومكما الى البلاط .

وكانت الجملة الاخيرة بردا وسلاما على القائد شاشون ، لانه احس انه قد وصل الى شاطىء النجاة بعد ان كان خائفا يترقب ، ويحسب ويقدر ، ويفرض الفروض المختلفة وان الاحتمال الذي كان يشوش باله هو ان السلطان ربما سمع شيئا عن النية التي كان قد بيتها يوما لقتل جؤاو ورفيقه البرتغاليين ، فاستدعاه الان ليحاسبه على ما فرط عنه . ولكن الاحتمال المخيف ، قد اختفى الى الابد ، واتضح الصبح لدى عينين بفضل هذا الشاب الذي اسرع اليه محييا وخاطبا .. اجاب القائد :

— اسمع يا بني ، بما ان هندامك ينبىء انك واحد من المومنين ، وبما انك تتمتع بمكانة لدى سيدنا ومولانا السلطان ، فان اوامر جلالته — كيفما امكن ان تكون — ستطاع بمزيد من الغبطة والسرور .

ولم يكد يلفظ القائد هذه الجملة الاخيرة ، حتى اقبل عليه جؤاو يعانقه ويشكره على حسن القبول وما رات رحمة هذا العناق الحار ، حتى اعترتها هزة من الفرح والاطمئنان ، لانها علمت ان حلما من احلام صباها قد تحقق او كاد .

وبعد ان اوفد السلطان وزيره الى القائد شاشون ليطلعه على الامر السلطاني بان ابنته ستزوج لجؤاو فى الحال ، بدات الاستعدادات لاقامة حفلة الزفاف الفخمة . واخذت رحمة العروس الى حريم قائد المشور ، حيث اعدت النسوة هناك حفلة شيقة اخرى . وقدم السلطان صداقا طيبا كان مقداره الف مثقال ، كما ارسل جلالته ، ملابس جميلة وجواهر كريمة الى رحمة . وقد كتب العدلان رسم الزواج وامضاه قاضي المدينة وكانوا جميعا حاضرين فى الحفلة .

التمس اذن السلطان لكي يزور مع زوجته وابنته صهره ، ومنح الاذن ، فاشترى بهائم حمل عليها اثقاله التي لم يكن من الممكن التصرف فيها بالبيع او الترك في فاس ، وابتدأ رحلته مع عائلته تجاه قرية تمسيلة من قبيلة بني مصور .

وبعد قضاء بعض الوقت مع زوجته في منزل والدها حيث لقيت الاسرة الصغيرة ترحيبا فائقا ، استأذن جؤاو اصهاره في الرجوع الى فاس حيث ينتظره عمله الرسمي ، فوافق القائد وسائر افراد العائلة بشق الانفس ، وبعد لاي .. وذات صباح غادر جؤاو وعائلته القرية ، لكن بدل ان يتجه الى فاس ، اتجه الى طنجة ، واوقفت حراسة الحدود القادمين وبعد صعوبة تمكن جؤاو من ان يفهم العسس البرتغالي بأنه برتغالي مثلهم ، وانه هو جؤاو صانع الاسلحة ، وانه الآن متنكر فقط في ثياب مسلم ، وسمح له في النهاية بالمرور ، واخذ هو وعائلته الى الحاكم البرتغالي بطنجة ، وقص عليه مغامراته وقدم له زوجته وطفلته مريم ، وفرحت عائلة الحاكم بعائلة جؤاو التي ظلت في ضيافتها معززة مكرمة طيلة اقامتها في هذه المدينة الجميلة .

لم تكن طنجة جديدة على رحمة ، فقد عرفتها من قبل ، وعاشت بها في دار خالها مدة من الزمان وكان في استطاعة رحمة لو طال بها المقام في طنجة ان تبعث الى اخوالها سرا تعلمهم بوجودها بين ظهرانيهم ، ولكن الوقت لم يطل اذ ان حاكم المدينة سرعان ما اخرج لهم جواز السفر الى لشبونة حسب رغبة جؤاو .. ولم تشأ رحمة ان تبدي اية معارضة ، بل راتها فرصة سانحة ان تغامر بدورها ، وان تسافر الى اوربا لتطلع وتشاهد ءاثار المسلمين ، ولتزداد علما ومعرفة بالمجتمعات والناس .

وقدر رحمة لاول مرة في حياتها ان تركب سفينة شراعية تحملها مع زوجها وابنتهما الصغيرة الى عاصمة البرتغال ، وزود جؤاد برسائل توصية حصل بمقتضاها على وظيفة مربحة ، وكتبت رحمة الى والدها تخبره بانها مع زوجها في بلاد النصارى ، وانها اضطرت الى هذه الهجرة لان جؤاو لقي منافسة خطيرة في فاس من اجل الصنعة ، وكان يخشى انتقام المغاربة بعد ان فشا سره بينهم ، وبعد ان لم يعد يشعر باية رعاية من قبل السلطان ، وشفع جؤاو هذه الرسالة بهدية الى والدها هي عبارة عن بندقية جميلة نقش على ماسورتها اسم القائد شاشون واسمه هو بحروف من ذهب : جؤاو ناردا عام 1582 .

ونزل الخبر على عائلة شاشون وافراد القبيلة نزول الصاعقة ، وبدات الاشاعات والاراجيف وصار القائد شاشون وابنه محمد يحسان بشرف العائلة يلطخه العار ، ويختمه بخاتم الاحتقار والشنار ، واعتقد الكثير ان رحمة لم تعد مسلمة كما كانت ، وكيف يمكنها ان تقوم بتأدية الشعائر الدينية وهي في مجتمع مسيحي كله لا يرعى للاسلام والمسلمين الا ولا ذمة ؟ ام كيف يصبر البرتغاليون الذين فقدوا زهرة شبابهم ونبلاءهم في معركة وادي المخازن ، فلا يسعون سعيا حثيثا الى الانتقام من المغاربة ولو في صورة تكفير رحمة وتمسيح ابنتها ؟

فكر القائد شاشون في السفر الى فاس كي يتصل بالسلطان ، ويعلمه خبر هروب جؤاو بابنته وحفيدته الى البرتغال ، وهو ما كان يفكر في تزويجه لولا الرغبة السامية التي اعتبرها امرا وجب تنفيذه في الحين ، حقا لقد قيل : اتق شر من احسنت اليه . هذا الذي لقي من المغاربة كل عطف ، ومن السلطان كل رعاية ، يكفر بجميع النعم ، فيغادر المغرب فارا وسارقا معا — الم يسرق اموال المغاربة التي منحوه اياها بكل سخاء ؟ الم يخطف جوهرة مكنونة من جواهره المصونة هي رحمة ؟

وبينما كان يفكر قائد القبيلة على هذا المنوال ، سمع طرقا على الباب ، وعلم في النهاية انه علي التاجر النشيط الذي طالما قام بالرحلات بين طنجة وبعض المدن الرئيسية مارا بتمسيلة ، ان هذا التاجر عرف مصيبة القائد من خلال الاشاعات الرائجة فأحب ان يعرج على هذه القرية المنكودة ، وكان مجيئه في الوقت المناسب ، ذلك انه بعد ان اطمأن به المقام وبعد ان افضى اليه القائد بمخاوفه قال :

— دع هذه القضية لي ، اني كفيل بان اجد لها حلا . اجاب القائد :

— ماذا تقول ؟ هل تستطيع ان ترجع لي ابنتي ؟ اراك تخرف وتهرف بما لا تعرف لو كانت ابنتي في طنجة لكان في امكانك الاتصال بها او اغراؤها حتى تأتي معك .

— قلت لك دع المسألة في يدي ولا عليك . الا تدري ان طريق التجارة مفتوح الان بيننا وبين البرتغال الا تدري اني قد سافرت مرارا وتكرارا الى لشبونة

الجدل بين الزوجين ذات يوم ما سمعته من ان المسيحية تحرم على رهبانها ان يتزوجوا وينسلوا فعجبت كيف يحدث ذلك والمسيحيون يدعون ان لله ابنا ، اي كيف يبيحون لله الولد ويحرمونه على رهبانهم ؟ اليس هذا تناقضا ظاهرا ؟

واستمر الحال على هذا المنوال ، الى ان انبأها ذات مرة انه يأمل وينتظر ذلك اليوم الذي يستطيع ان ينتحل فيه سببا لمغادرة البلاط المغربي ، ويهرب الى البرتغال ، لقد تعودت رحمة على الحياة المدنية بفاس ، ولم تكن حياة المدينة شيئا جديدا عليها ، فقد عاشت كثيرا فى مدينة طنجة مع اسرة خالها ، بيد ان الحياة فى العاصمة لاءمتها ، فلم تكن ترى مبررا للرحيل او الهروب .

وبعد مرور حول كامل على قرانهما ، رزقا بنتا جميلة ارادت رحمة ان تسميها فاطمة الزهراء ، تيمنا بابنة رسول الله «ص» وباسم والدتها الشريفة المتوفاة ، ولكن جؤاو عارضها فى ذلك وسماها « مريم » باسم والدة منقذ البشرية كما قال واسرتها رحمة فى نفسها ، ولم يجدها نفعا قولها له :

— دعني اسمي بنتنا هذه بالاسم الذي اريد ، حتى اذا ازداد لنا ولد ذكر ، تركت لك الحرية فى تسميته كيفما تشاء .

وازاء تصميمه وعزمه ، لم تر بدا من القبول وقالت فى نفسها :

— ليت اطماعه تقف عند هذا الحد ، فلا يطالب غدا او بعد غد بتعميدها ، على انه ان حاول ذلك ، عرفت كيف اتصرف وكلت له الصاع صاعين ، ولو اقتضى الامر بتبليغ ذلك الى مسامع الجلالةالشريفة.

* * *

كان جؤاو صانعا ماهرا ، وظل يتمتع برعاية السلطان مدة ، صنع خلالها مواسير كثيرة للبندقيات، وكان ينقش على تلك المواسير كلمة **سيدي** بحروف عربية الى جانب اسمه هوبحروف لاتينية وذلك للدلالة على ان هذه صنعت خصيصا للسلطان . ولم يكن هذا المسيحي هو الذي يصنع وحده الاسلحة ، لقد كان هناك مغاربة ايضا ، لكن صناعتهم كانت ادنى درجة من صناعة جؤاو ، لذا اقبل السلطان على صناعة هذا ، واهمل او كاد صناعة اولئك ، واحس المغاربة بان وصول جؤاو الى فاس كان وبالا على صناعتهم ، واحسوا الى جانب روح الابتكار لديه ، ذلك انه لم يشأ ان يستخدم معه اي مغربي بل انه لم يشأ ان يزور محله اي مسلم ، وهكذا حرم على المغاربة دخول مصنعه ، حتى لا يطلعوا على طريقة صنعه ، فيفقد بذلك مكانته لدى السلطان .

وذات يوم اجتمع صناعالاسلحة المغاربة للتشاور فى الامر . ماذا يصنعون وقد فقدوا كل ما كان يحبوهم به السلطان من عطف ورعايةبمجردما قدم هذا الاجنبي الى فاس ، واتفقوا فيما بينهم على وجوب كشف سر صنعته . لكن كيف يمكن ذلك وهو لا يسمح بدخول مصنعه الا للسلطان .

واخيرا اهتدوا الى طريقة ، ذلك ان البرتغالي كان معتادا على تنظيف مصنعه دوريا ، فكان يعنى بتبييضه كل شهر . لكن ما الحيلة واليهود هم الذين كانوا وحدهم يشتغلون بحرفة التبييض فى جميع انحاء المغرب ؟ وتقدم احد الحدادين باقتراح يقضي ان يتنكر فى ثياب يهودي ، ويقدم نفسه لجؤاو كي يبيض له حانوته كل شهر بثمن معتدل . وحصل الاتفاق وظل الصانع المغربي يتردد علىالحانوت بقصد التبييض كل شهر . ولم تكن عملية التبييض تحول دون استمرار الصانع فى صناعته . لذلك كان المغربي البياض يقوم بعمله وفى نفس الوقت كان يسترق النظر ويتمعن فى الصنعة ، الى ان حذقها واصبح قادرا على التقليد والمحاكاة . وقد نجح فى ذلك نجاحا كبيرا وصنع ماسورة بندقية من الحديد المبروم وقدمها لجلالة السلطان فاعتبرها من الجودة والمتانة بمثابة ما يصنعه جؤاو نفسه .

واستدعي هذا الاخير الى المشور السعيد ، وسئل كيف تمكن الصناع الوطنيون من صنع المواسير المبرومة، فلم يحر جوابا وايقن فى النهاية انه قد خدع ، وان شخصا ما كان يراقبه اثناء العمل فتمكن من حذق صناعته واتقان حرفته . وبما ان احد المغاربة لم يكن يدخل لمصنعه ، فانه اعتقد ان اليهودي البياض هو الذي قام بدور التجسس ، وبنقل اسرار صنعته الى الصناع المغاربة المسلمين .

تمكن الصناع المغاربة من فن جؤاو وصنعوا المواسير الجيدة من الحديد المبروم ، وصارت البنادق تباع باثمان بخسة فى فاس ، وصار السلطان يشتري كميات كبيرة . وشعر جؤاو بالمضايقة وان مهمته قد انتهت وان الاحتكار لم يبق له مجال الان فدبر امره وقرر مغادرة العاصمة غير ءاسف لانه تمكن فى هذه الفترة من جمع اموال طائلة .

ونجحت خطة علي ورحمة فى العودة مــــن لشبونة الى المغرب ، وفرحت عائلة شاشون بهذا النصر الذي حققه التاجر علي صديق الاسرة . لكن رحمـــة وعلي لم يجدا القائد شاشون على قيد الحياة فتأثــرا لذلك ، ووجدا بدلا منه وفى منصبه ابنه محمدا الــذي تزوج اخيرا بابنة عمه طامة ، رفيقة صبا رحمة .

وفرحت عائلة شاشون فرحا كبيرا وشـــارك افراد القرية هذه العائلة فرحها غير ان هذا الفرح لم يكن ليتم لو لم يأخذ التاجر جـــزاءه على عمله ، ان للتجارة لغتها الخاصة لذا طالب علي بان يتقاضى ثمنه عاجلا ، ولا ثمنا يرضيه غير رحمة نفسها ، وهكـذا ابدى للقائد محمد رغبته فى الزواج من اخته لقــــد عاشرها فى السفر ، فأعجب بها ، وخلبت لبه بلطافتها وذكائها ، فأيقن انه بزواجه منها سيرضي اللـــــه والضميــر .

ولم يجد الخاطب ممانعة ، لا من طرف رحمة ولا من طرف ولي امرهــا واخيها محمد ، فتم الوعــــد بالزواج واحتلفت القرية بالامــلاك . وتعهـــد علـــي بالسكنى فى تمسيلة حتى يبقى شمــل العائلة مجتمعا ، فلا خوف من فرار يحضر او مؤامرة تدبر وكفى الله المومنيـــن القتـــال .

تطــوان ــ عبد الله العمراني

بقصد الاتجار ، فصرت اعرف عاصمتهم كما اعرف طنجة ذاتها ؟

— كيف ما كان الامر فاني مسافر الى فاس ، قال التاجر :

— سافر على بركة الله ، اما انا فوجهتي طنجة ثم بعدها لشبونة .

وتطورت الاحوال تطورا سريعا وعجيبا فقد تأثر القائد تأثرا عميقا لمغادرة ابنته ارض الوطن واصبح يشعر بخطر ارتدادها عن دينها اكثر من اي وقت مضى فحينما كانت في فاس كان يشعر كانها معه ، اما وقد فرت مع ذلك الملعون الذي تظاهر بالاسلام غشا وخداعا وتدليسا ، فان المسؤولية كلها تقع على عاتقها ، انها لا تستحق منه الا الازدراء اما كانت تستطيع المعارضة ؟ اما كانت تستطيع ان تنبئه عن نبنهـا حينما كانت معه منذ مدة وجيزة ؟ ان هذا يدعو الى الاعتقاد بانها موافقة لزوجها كل الموافقة ، وانها نسيت كلما يتعلق بشيء اسمه الاب او العائلة او التقاليد او الوطن او الاسلام .

ظل القائد يحاور نفسه هكذا اثناء اليقظة واثناء المنام ومن يسمعه يهذي بمثل هذه الاحاديث يحسب انه قد مسه الجنون . وهكذا ظل فترة من الزمن والصدمة لم يخف لها وقع ، حتى اصابه الهم والكدر وحطم نفسه الياس والكمد ، فلم يصبح ذات يوم الا وهو جثة هامدة واعتقد الجميع انه مات نتيجة الكارثة التي المت به .

* * *

سافر التاجر «علي» الى لشبونة وبحث بمختلف الطرق عن اسم جؤاو وعمل جؤاو ، وعائلة جؤاو ولكن دون جدوى . لم يتمكن من التوصل بأي خبر بقين ، وكاد اليأس يصرعه ، وبينما هو يفكر في العودة ، ويسير في احد الشوارع اذ لمح امراة في ملابس اوروبية وملامح مغربية فظل يقترب منها ويتفرسها ، ويحاول الكلام معها ، ولكنه خشي ان يكون جهاده في غير ميدان ، واخيرا تأكد من هذا الشخص الذي امامه انها قطعا رحمة ، فملامحها وقسمات وجهها تشبه ملامح اخيها محمد وقسماته ، وصار يحدث نفسه ان لابد من مفاتحتها بالكلام ، ولكن هل اذا تجرأ بالحديث تستجيب له ؟ ولماذا ؟ اليس في بلاد العجم ؟ اليست هي في ثياب امراة اوروبية ؟ فلتفعل اذن كما تفعل الاوروبية .

وهكذا بدأها بالحديث فاستجابت له بل عرفته، انها قوية الذاكرة . الم يزر اخاها ورحى معركة وادي المخازن تدور ؟ انها لم تلقه حينئذ ، ولم يرها هو ، لكنها كعادة النساء رأته بطريقة ما . . وعرف منها اشياء ، عرف ان زوجها قد تغير عليها وانه حقيقة لم يتزوج عليها كما وعدها من قبل لكنه اتخذ خليلة تعتبر كالضرة او اشد ضررا ، وابدت له ندمها على ما فرط منها من اتباعها هذا الذي كانت تعتقد انه يحبها حبا جما ، بينما كان في الواقع يقضي بزواجه منها مآربه ليس الا .

وانبأها علي من جهته بما تركه هروبها من اثر سيء في والدها الذي يحبها وفي جميع افراد العائلة واصدقاء العائلة . واظهر لها ان والدها يتطلع لذلك اليوم الذي تكتحل فيه عيناه بمرأى ابنته الوحيدة . وناولها رسالة منه في هذا الشأن. وعاود رحمة الشوق والحنين الى مسقط الراس ، وودت لو تجد جناح طائر تطير به نحو ابيها واخوتها الاعزاء . وهنا ابدى التاجر استعداده لتدبير طريقة للعودة الى ارض الوطن اذا كانت هي راغبة في ذلك حقا . قالت :

— هيا بنا الى الدار لتعرف طفلتي الصغيرة وليستأنس بك الجيران .

— وزوجك جؤاو ؟

— ذهب في سفرة بعيدة ، ولن يعود .

— هل هرب ايضا ؟

— هربت روحه الى العالم الاخر . قتل في حادثة عفوية .

— وكيف ؟

— وضع رصاصة في بندقية جديدة دون علم من مساعديه وحينما جاء احدهم يجربها ، انطلقت الرصاصة فاصابته .

— مسكين هل كان مسلما ؟

— لم يكن مسلما يوما ما ، رغم ان الجميع كان يعتقد انه مسلم ، في ليلة الزفاف اطلعني على الحقيقة ، فلم اجد بدا من الرضوخ للامر الواقع ، والان لا يعرف احد سواك هذه الحقيقة .

— اذن ، لم يكن زواجكما صحيحا من الناحية الشرعية . . هيا . . هيا ، دبري امر السفر وحاذري ان يكشف الك امر ، والا بطلت خطتنا .

— سأكون حذرة، ومتىنعتزم الابحار ان شاء الله؟

— بعد غد ستقلع سفينة الى سبتة كوني على استعداد .

فالشعراء ، والمنتخبات ، والآراء ، والتراجم ، والاخبار ، التي اختارها الاقدمون ، وتابعهم المستشرقون هي التي يهتم بها المؤلفون العصريون الذين يكتبون تاريخ الادب العربي وما اكثرهم ...

اما غيرهم فقد كتب عليهم الاهمال والنسيان وان كان شعرهم رائعا مصورا لواقع الحياة العربية في العصر الجاهلي ..

ويعجبك في هذا الفصل ان العرض والاستنتاج اخذ كل منهما حصته من اهتمام ودراسة المؤلفة لانها تقدم دراسة جامعية لا احاديث سطحية .

ويعجبك ايضا ان تعرف ابعاد شعر الصعاليك امثال الشنفرى وطرفة وغيرهما .. مما اهمله مؤرخو الادب العربي القدامى والمحدثون ..

وفي فصل الشعراء القبليين تصور المؤلفة رسالة الشعر الجاهلي في هذه العبارة :

سيادة وقيادة

فالشاعر سيد القبيلة وقائدها وحكيمها وزعيمها .. وعلى ضوء هذه العبارة الموجودة جاءت المؤلفة بآرائها في الشعر القبلي وهي آراء ناضجة عميقة وان كان بعضها معروفا ومتداولا ولكن عرض المؤلفة له حظ من الجمال والتأثير والموضوعية ..

وزعماء الشعر القبلي .. زهير ، وعمرو ابن كلثوم ، والحارث ابن حلزة وغيرهم .

وفي فصل شعراء البلاط ..

تجرد المؤلفة سيف نقدها الى مؤلفي تاريخ الادب العربي ونقاده حيث انهم احتفلوا اكبر الاحتفال بشعر النابغة الذبياني الشاعر الذي فقد شخصيته ازاء عطايا الامراء والرؤساء .. وكذلك الاعشى الذي عاش تاجرا من تجار الشعر العربي حتى قال في شعره ــ ان الشعر تجارة العرب .

وهذا الفصل ما اجدر طلاب الادب العربي ان يهتموا به اعظم الاهتمام لانه في الحقيقة تقييم وتقويم ..

وتنتقل المؤلفة الى عصر الاسلام والخضرمة وتجيب على السؤال الذي يساله النقاد عادة وهو :

كيف اسكت الاسلام الشعر ... ؟

وجواب المؤلفة عن هذا السؤال التقليدي هو ايضا قيمة جديدة ومفهوم جديد ويتلخص الجواب في نقطتين :

1 ــ ان الاسلام اسكت انواعا من الشعر ..

2 ــ ان هذا الاسكات كان موقتا وفي فترة قصيرة جدا اتجهت فيها اهتمامات العرب بشعرائهم وخطبائهم الى العقيدة وبنائها والدفاع عنها وربط الحياة العربية برباط من الايمان والتضحية والابتكار .. ووراء ذلك كانت اسباب قبلية وسياسية انطقت انواعا من الشعر بل ابتكرت انواعا من الشعر ولا سيما ذلك النوع المعروف بالغزل العذري والحب العفيف ...

وهناك ملاحظة تشير اليها المؤلفة وهي ان مصادر الادب الاسلامي والمخضرم يجب ان تتسع دائرتها لتشمل كتب السيرة والغزوات والفتوح لان فيها من المادة الادبية ما اهمله النقاد ومؤرخو الادب العربي .. وتضرب لذلك عدة امثلة من كتب السيرة والتاريخ والحديث تلقي اضواء جديدة على المفاهيم الادبية في ذلك العصر ..

وتناقش المؤلفة النقاد المعاصرين الذين كتبوا عن هذه الحقيقة من تاريخ الادب العربي مناقشة لا ابالغ اذا قلت انها مناقشة عنيفة ..

فتصف بعضهم بالسطحية وآخرين بالتقليد ..

وتختم المؤلفة كتابها بنظريات جديدة في الجملة حول النقد والنقاد وعن الادب في ظلال العصر العباسي . ولها رأي سديد حول نظرية : اعذب الشعر اكذبه .

وتتلخص هذه النظرية في ان الصدق والكذب في الشعر ليسا هما الصدق والكذب في الحديث او الخبر لان مفهوم الشعر العاطفي والخيالي يعرض دلالات خاصة للصدق والكذب ... واذا كنا معجبين بهذا الكتاب موضوعا وعرضا فاننا نلاحظ باستغراب على المؤلفة انها اهملت اهمالا واضحا التيارات الفكرية والفلسفية التي اثرت في الادب العربي ونقده فكانت المؤلفة ترى ان الادب العربي شعره ونثره بمعزل عن ذلك وهذا ما لا يصدقه الواقع ولعل المؤلفة اذخرت الحديث عن ذلك الى الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي ما زال لم يظهر بعد ..

فاس : عبد القادر زمامة

معرض الكتب

قيم جديدة للأدب العربي

تأليف الدكتورة بنت الشاطئ

تقديم وتعليق : الأستاذ عبد القادر زمامة

عرفنا الدكتورة بنت الشاطىء استاذة قديرة في تحقيق النصوص الادبية ودراسة ابي العلاء المعري ... وتحقيقها لرسالة الغفران . وكتابها عن الغفران سيظلان مثالين رائعين للذاتية والموضوعية في دراسة الادب العربي .. كما ان مقالاتها الادبية في الصحف والمجلات تمثل وعيا ونضجا يستحقان التقدير ..

واليوم تقدم لنا هذه الاستاذة كتابها الجديد « قيم جديدة للادب العربي » .

— فما هي هذه القيم الجديدة ؟

— وما هي الابعاد الادبية التي تقيسها المؤلفة ؟

— وهل هناك ارتباط بين هذه القيم الجديدة والدراسات الادبية المعاصرة ... ؟

هذه هي الاسئلة التي نحاول التحدث عنها والاجابة في هذا الحديث .

فالقيم الجديدة — في نظر الكاتبة — هي اولا وقبل كل شيء تصحيح مفاهيم الادب العربي ومعطياته ... وذلك ان المؤلفة ترى ان المفاهيم التي اخذت للادب العربي ودراسته في العصور المختلفة كانت مفاهيم منحرفة كليا او جزئيا .. تحكمت فيه زمنا طويلا ...

وتعطينا المؤلفة مثالا حيا في الادب الجاهلي عند دارسيه في القديم والحديث ..

فالدارسون اهتموا بقسم من شعراء الجاهلية فقط ودونوا اخبارهم واشعارهم وجعلوها مادة للدراسة والنقد في حين انهم اهملوا اقساما اخرى من الشعراء لهم من الاخبار والاشعار ما يصح ان يكون مادة خصبة للدراسة المفيدة ...

وتقسم الشعراء الجاهليين الى ثلاثة اقسام :

— شعراء القبيلة .. — شعراء الصعلكة .. — شعراء الامراء والبلاط ..

وتعني بشعراء القبيلة اولئك الشعراء الذين اندمجوا في مجتمعهم وعاشوا لغيرهم قبل ان يعيشوا لانفسهم وكونوا تقديرا قبليا حول ادبهم وشخصيتهم ..

وتعني بشعراء الصعلكة .. الشعراء الذين عاشوا لانفسهم وخلعوا انفسهم من المجتمع .. او خلعهم المجتمع .. فعاشوا يخوضون غمرات الحياة في نعيمها وبؤسها وشقائها وسعادتها..

وتعني بشعراء الامراء والبلاط .. الشعراء الذين عاشوا مادحين متكسبين بشعرهم على ابواب الملوك والامراء ..

وتقول المؤلفة : ان النقاد القدماء والمعاصرين يكادون يهملون شعراء الصعلكة والقبيلة بينما يهتمون بشعراء البلاط ..

ونظرتهم في مفاهيم الادب الجاهلي ومعطياته انحرفت منذ عصر التدوين الاول للادب فلهذا — تقول المؤلفة — يجب تصحيح هذه المفاهيم .. لتكون دراسة الادب وافية وموضوعية..

وبعد هذا — التصحيح — الذي يطور اتجاه الدراسة عند المؤلفة تنتقل الى فصل رائع حقا وهو فصل الشعراء الصعاليك وتصدره بهذه العبارات :

« ان شعرهم يمثل الفطرة العربية ويعبر عن معاناة وجدانية لمحنة الغربة والتشرد ويعكس صورة امينة من واقع حياتهم المبعدة عن الجماعة » .

وهذا الفصل من الكتاب قرأته مرتين لانني وجدت حقا فيه مفاهيم وقيما جديدة .. لتقييم تراثنا الادبي الذي تعرض بفعل المحاكاة والتقليد الى ترديد اصداء قديمة في شكل دراسات عصرية مشوهة .

وقارىء هذا الفصل من الكتاب لا يتردد في ان يحكم على الكتب والمناهج بانها سطحية وجوفاء ..

مأســـاة المعتمـــد

زارنا في مكتبنا الاستاذ الشاعر حسن محمـــد طريبق واهدانا مسرحيته الشعرية : مأساة المعتمد .

وقد قدم لهذه المسرحية الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون الكاتب العام لرابطة علمـاء المغـــرب ، وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، وقد جاء في هـــذه المقدمـــة :

« .. ولعل المسرح المغربي كان ينتظر من يسد الفراغ الذي يحس به عشاق التمثيل في هذا الموضوع بالذات منذ فشلت مسرحية : « اميرة الاندلـس » عند عرضها في مراكش ، فجاء الشاعر حسن محمـد الطريبق بتمثيليته الشعريـة هذه التي ينتظر لها كل نجـاح وتوفيـق ..

.. وانـــــي اهنئه عليها بصفتها عملا ادبيـا ، وبصفتها التاريخيـة . »

وكتب الينا من القاهرة الدكتور الطاهر احمـد مكي الاستاذ بكلية دار العلوم رسالة رقيقة جاء فيها :

سلام الله وتحياتـه عليكم ، وبعد :

فقد توصلت اليوم برسالتكم الرقيقة ، وبالاعداد التي تفضلتم فوافيتموني بها من مجلتكـم الغـــراء « دعوة الحق » وسرني ما ادخلتموه عليها من تطـور وما اصابها من تحسين ، عبر الاعوام القليلـة التـي قطعتها من حياته ، حاملة رسالـة الاسلام الكريمة في المغرب الحبيب ، متمنيا لها ، ولكم ، اعظـم التوفيـق فيما تضطلع به من سفارة بين افراد العالم الاسلامي، قرائه وكتابـه على السـواء .

لقد كنت اعد على الدوام ان صلتي « بدعـوة الحق » من منن الله علي ، واذا كانت ثمة شواغـــل قاهرة قد صدفتني عن الكتابة فيها ، واللقاء علـى صفحاتها بقوم كرام احبهم واقدرهم ، فان صلتـي الروحيـة بها لم تضعف البتة ، وسيكون مـــن دواعي سروري وابتهاجي ان اعود الى مكاني بها مـن جديد ، جنديا يحمل قلمه للتعريف بقوم كانوا عمـد الاسلام ودعاته ، ونأمل من خلفهم في المغرب المسلم ان يكـون لهم نفس الدور في نشر كلمة الله ، وعد سوف احققه قريبا بتكملة بحثي الذي بداته عن « يحيى بن يحيى الليثي » ولما يكمل بعد !

هذا واني لاشكر من قلبي ، لاخي الكريم الاستاذ عبد السلام الهراس ، جميل تزكيته ، وحسن مسعاه في سعيه كي يصل ما انقطع ، والحق انـه في خلقـــة واسلامه وعلمه ، ليمثل ومن نحا سبيله من شبـاب المغـرب ، املا كبيرا لنـا هنا في المشرق ، ولكم هناك في المغرب ، فالله يوفقكم ويوفقهم وينفعنا بكم جميعا.

جورج صيدح في شعره الوطني وشعر المناسبـات

توصلنا بهذا المقال الطريف الذي نشرتـــــه « اضواء » الباريسية في اول غشت 1965 .

الشعر الوطنــي مدرستـان :

الاولى : تلغم معانيها بالبـارود والرصـاص ، وتضع في الكلمات فتائل التفجير كانها كتائب فدائية على قدم الاستعداد للتضحيـة بالنفس في سبيل الفكرة التي تحمل رايتهـا .

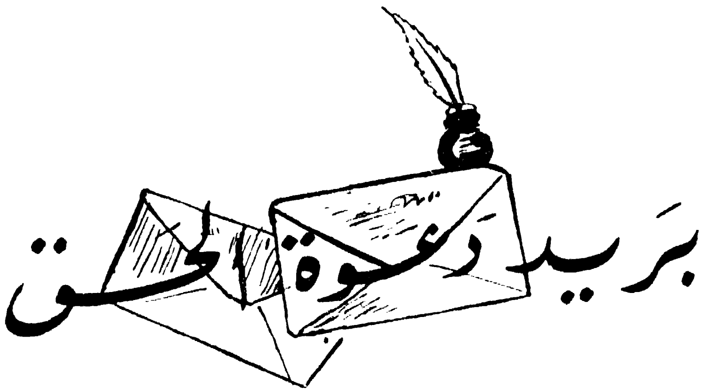
والثانية : ترسل اناشيدها هادئة ، تنطوي علـى الاشارة بامجاد الامة ، وتذكيرها بما يترتب عليها مـن الواجبات لتستعيد سؤددها الباذخ ، وتفـــرض وجـودها بين الامم الحـرة .

المدرسة الاولى ــ ويتزعمها القروي وفرحات ــ امتد سلطانها في المهاجر الامريكية تساعدها البيئـــة المتحررة وانطوى علمها شيئا فشيئا ، بعد ان نالت سوريـة ونال لبنان استقلالهما .

والمدرسة الثانيـة يشترك في تركيز اركانها معظم الشعراء الذين عاشوا بعيدين عن اوطانهم ، مليئـــة نفوسهم بذكرياتهـا .

وسواء كان القارىء من الذين تثب بهم الدفقة الحماسية او من الذين يؤثرون الصورة المطمئنة ، فلا غنية له عن الاقرار بان المدرستيـن ــ او المدرسة الواحدة في فرعيها اذا شاء ــ قد برز فيها الشعـراء المفتربون، فكانت لهم في ميدان الحماسة كرات موفقات ملات دنيـا العرب في عهود الكفاح العنيف ضـــد المستعمرين ، وكانت لهم في الحلبة الاخرى جـولات رائعات وجد فيها المعذبون بالشوق والتائقون الـى العزة ــ اصداء لاحاسيسهم .

وجورج صيدح يعد في طليعة شعراء المدرسةالثانية



القى الينا بريد المجلة فى هذا الشهر طائفة من المجلات والكتب والرسائل ، ونحن نريد ان يعيش قراؤنا الاماثل فى كل ما يتعلق بمجلتهم المفضلة التي تعمل ما فى وسعها لاشباع رغباتهم .

بين محمد علي الطاهر والدكتور تقي الدين الهلالي

كتب الينا المجاهد العربي الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر رسالة تتضمن عواطف ومشاعر كريمة نحو مجلتنا التي نبعثها الى حضرته .. وقد جاء فيما يتعلق بالاستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي :

.. واني اشكر لديكم شيخنا واستاذنا الدكتور تقي الدين الهلالي مفخرة المغرب ، وقرة عين الشرق، الذي رفع من قدري ، وجعلني قدامكم من الذين يؤبه لهم ، ا ومن الذين « يقيمون الدنيا » على رأي صديقنا المذكور ، الذي يظن انه يوجد فى الدنيا من يماثله ، لان الذي كان يقيم الدنيا ويقعدها هو صديقه وفقيدنا المرحوم شكيب ارسلان ، الذي لم يخلفه فى هيبة القلم سوى استاذنا الهلالي الذي كنا نسميه خليفة الامير شكيب ، فقد كان يصول هذا الهلالي الفذ ، ويجول على صفحات الشورى ، عندما كانت قبل 28 عاما تصدر متنكرة باسم « جريدة الشباب » ثم باسم جريدة « العلم المصري » وكم يشفي غليل المظلومين بشواظ قلمه البليغ الذي كان يشوي بمقالاته التي كان يرسلها لي من « بون » يوم قام بتدريس المشرقيات فيها بجامعتها طبعا .. »

كما بعث لنا سيادته مؤلفه المسمى « ظلام السجن »

ظلام السجن : وهو عبارة عن مذكرات ومفكرات سجين هارب ، تنكر واختفى ، ولم يكن هذا السجين سوى المجاهد الكبير الاستاذ محمد علي الطاهر الذي اوعزت السلطات البريطانية فى مصر بالقبض عليه وحبسه ، حيث سجن من 20 سبتمبر 1940 حتى ابريل 1941 ، ثم غافل الحرس وهرب من مستشفى السجن بعد مرض ، فتنكر واختفى احد عشر شهرا .

« وظلام السجن » يقع فى 895 صفحة مليئة بالاحداث والمفاجئات تصور الوقائع والمباغتات التي صادفت المؤلف كما انه يشتمل على نظرات فى الاستعمار واحوال الامم المظلومة وقيام الجامعة العربية وحالتها اليوم ، ومصرع فلسطين .

والكتاب عبارة عن ترجمة واعية نابضة بالحياة للاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العنيد الذي لم تنل من عزيمته الايام والخطوب ، فهو المجاهد الذي جاهد وجالد والناس نيام ، فكان قوي الشكيمة ، وطيد الايمان ، فرزقه الله بالمجاهدة والمصابرة التي ارتفعت الى مستواه .

وللاستاذ محمد علي الطاهر عدة مؤلفات منها : « نظرات الشورى » الذي يصف فيه بعض احوال فلسطين والعالم العربي والمؤتمر الاسلامي العام وهو فى 270 صفحة فى الحجم الكامل .

« الامير شكيب ارسلان » حيث جمع فيه ترجمة المرحوم امير البيان وبعض اخباره ، وما قيل وما كتب ونظم عنه بعد وفاته .

« معتقل هاكستب » وهو يصور فترة من عهد حكم الارهاب سنة 1949 ، واخبار اعتقاله فى معسكر « هاكستب » .

التي نأخذها على ابيات ضعف فيها البيان شيئا او تمددت فيها الفكرة فى مدى طويل كان يكفيها بعضه .

ومن ينكر فضل المناسبات على الادب العربي وهي التي حولها يدور الشعر من الجاهلية الى اوائل هذا القرن ؟

جميع القصائد التي وصلت الينا فى هذه الحقبة الطويلة من الزمن كانت وليدة المناسبات : لا نعرف شاعرا واحدا من القدامى نظم فى ساعة من ساعات الوحي اللدني ، ولا شاعرا هزه مشهد من المشاهد الطبيعية فعرض علينا خوالجه تلقائيا .

ولولا المناسبات الوطنية او الاجتماعية ما اتيح لشعراء المهجر ان يوقظوا شاعريتهم ويؤدوا رسالتهم لجوالي المغتربين .

وهذه دواوين الشعراء الذين كانوا همزة الوصل بين الشعر القديم والشعر الحديث — صبري وشوقي وحافظ وغيرهم — تكاد تكون كلها قصائد مناسبات ، او قصائد نظمت مداخلها فى مناسبات ، ثم كانت فيها المقاطع الطريفة والابيات الرائعة .

ولا اعرف بين الشعراء المعاصرين شاعرا يفوق جورج صيدح توفيقا الى الاتيان بالبديع المرقص من المعاني اذا نظم فى المناسبات . ذلك ان الخواطر مهيئة فى ذهنه وما عليه الا ان يلبسها حلتها من الكلمات . وان يخترع مدخلا لها او مخرجا . ان المناسبة لا تهمه بقدر ما يهمه جلاء الفكرة المصقولة المخبوءة .

يقول جورج صيدح فى قصيدة عنوانها « الجندي المجهول » نظمها بمناسبة حفلة اقامتها الجالية العربية فى روساريو تكريما لاديب مجاهد هو الاستاذ خليل نبوت الذي ينشر مئاثر العرب باللغة الاسبانية :

للمجد نحملهم على اكتفنا
ولربما حمل الخفيف ثقيلا

يتنكرون له وهم اظلاله
ويرون فى جبريلهم عزريلا

فتحوا المتاجر فى المهاجر ليتهم
فتحوا قلوبا مثلنا وعقولا

لو تعلم الفصحى مدى خدماتنا
ضفرت لنا من شعرها اكليلا

وتدشن الجالية فى الارجنتين فرعا لمصرف انشاه مواطنون ، فينظم صيدح بهذه المناسبة قصيدة يشرح حالة الفنى وينتهي الى نتيجة يقرر فيها حقيقة وفيها جراة ، وما اقل الذين يعلنون الحقيقة بما تستحق من جراة :

مشى بنا الدهر من حال الى حال
يا دولة الشعر حيي دولة المال

تطور القو م، ما لي لا اهنئهم
وقد اصابوا ثراء بعد اقلال ؟

اشياع مال تلاقوا عند كعبته
وكان عهدي بهم اشياع موال ..

هذي عكاظ دنانير مفوهة
بل المباراة فى حملان اثقال

تصرف بحظوظ الناس هازئة
بالعاكفين على تصريف افعال

لا وزن للمرء لم يظفر بوزنتها
هل يستضاء بنور تحت مكيال ؟

وعدت من حفلة التدشين انشدها
واها على خيمة فى المربع الخالي

مباركة انت ايتها المناسبات التي تخرج لنا مثل هذه الروائع .

مباركة انت ولو ظلمك بعض المتعنتين الذين لا يرضيهم شيء فى الوجود .

* * *

كما توصلنا من المكتب الدائم للتعريب فى العالم العربي بهذا الحديث الذي يحمل عنوان :

ملاحظات على مجامعنا العلمية

لا زلنا نتوصل بالرسائل العديدة والملاحظات المهمة حول سلسلة المعاجم العلمية التي اصدرناها ولا زالت بعض المجلات العالمية تعلق عليها فقد نشرت مجلة الاكاديمية الروسية تعليقا حول معجم الفيزياء والرياضيات الذي وضعته الشعبة الوطنية للتعريب بالمغرب التابعة للمكتب الدائم للتعريب وهذا التعليق بقلم استاذين كبيرين احدهما السيد بيلكان المكلف بكرسي فقه اللغة العربية فى معهد الدراسات الشرقية بجامعة

انك لن تجد فى شعره تلك الفورات البركانية التي تلقاها فى قصائد شعراء المدرسة الاولى ، ولكنك تجد فيه الفكرة النيرة الرشيدة ، تنساب انسياب الماء الرقراق يبث الحياة فيما حوله . تجد فيه الحنين المسكن الموحي يحملك على اجنحة خفية الى ءافاق الذكريات الماضية ، وتجد فيه العتاب دافقا من قلب صاف لا يريد الا الخير لامته مهما جنت وتجنت .

ووطنية صيدح خالجة صادقة ، لا تكتفي بالقول ولا تقتصر على الدعوى .

هو يعرف ان الذين يتظاهرون بالغيرة على العروبة كثيرون وان الصادقين قلائل ، فيريد ان يميز بينهم . فلا يرمي المنافقين بالخيانة ، بل يترفق بهم ويجعل الاهداء فى الصفحة الاولى من ديوانه «نبضات» الى كل عربي اللسان والوجدان .. وهكذا يفهمك رايه فى الادعياء بلباقة ومهارة ، ولا يتحول من التلميح الى التصريح الا نادرا عندما يستفحل الداء ويتعذر الشفاء الا بالجراحة فيلجأ اليها على مضض فى نفسه :

احببتكم وبلوت نجدتكم
فاذا الذي استنجدته عدم

فرغت يدي منكم وما فرغت
اذني مكان لبانتي نفم

لم يبق فيكم من عروبتكم
الا لسان مفصح وفم

ان العروبة يا بلابلها
روح على كف الفتى ودم

ويلتفت الى الوطن البعيد حيث بعض الزعماء ابعد ما يكونون عن الاهتمام بمصالح الشعوب التي رضيت بهم ءاملة ان يكونوا مثال الاخلاص والغيرة ، فيصرخ فيهم من قلب مجروح :

تولى الرئيس وطاح الزعيم
فما بال شرهما حاضر ؟

فساد يحل محل الفساد
ويفتك بالفادر الفادر

ونحن متاع نباع ونشرى
تداولنا تاجر تاجر

فيا اولياء الامور الذين
على امرهم همهم قاصر

بأمثالكم لا نجاري زمانا
يدوس به الواقف السائر

تعيشون خلف غبار العصور
كأنكم زمن غابر

. اما النكبة فى فلسطين ، فهي المحور الذي يدور حوله شعره الوطني ، يذكرها ويتفجع عليها فى كل قصيدة من قصائده :

بنو فلسطين قطعان مشردة
عن الحياة ، ملاك الموت راعيها

وكف صهيون بالاقداس عابثة
كأنما الله امر ليس يعنيها

خطيئة العرب لا الاردن يفسلها
ولا صبا بردى بالنشر يطويها

يحمر بالنيل وجه الماء ان ذكرت
وينحني رأس صنين لراويها

واذا عاد الى بلاده ، بعد ان قضى فى غربته السنين الطويلة ، وابصر فيها ما لم يتوقع ، وكادت ءاماله تتلاشى ، لم يغمره فؤاده اليأس بل اعرب عن لوعة الخيبة بهذه الابيات :

زرت الاحبة غبا فى منازلهم
وفى القبور فهنأت الالى قبروا

يا مسقط الراس والارحام تجمعنا
حاشا تغيرني فى حبك الغير

ولكنه بالرغم من جميع المثبطات التي يشهدها بأم عينه ، ويدمي لها فؤاده، لا يضمر لبلاده الا اشرف الحب :

قالوا صف الاوطان قلت حبيبة
لا اشتهي بعد القطيعة وصلها

قد كان همي ان اعيش بقربها
واليوم همي ان اموت فدى لها

وفى شعر صيدح الوطني ابيات حكيمة رائعة لا يتسع المقام لسردها كما لا يتسع لتعديد المآخذ

الجمعيات والكليات انما الشيء الاساسي فى نظري الذي ينقصها واعتقده مطابقا للصواب ، تبعا لما ذكره الاستاذ الجليل فى تحليل موضوعه هو ان الفتاة المغربية المثقفة بالخصوص اذ هي محور حديثنا الان ، لا زالت لم تع مسؤوليتها الثقافية ، لم تتعمق فى مفهومها الحقيقي على نطاق اوسع واشمل تعيش نهبا لمركب نقص خلفته فى نفسها رواسب متعفنة نتيجة تقاليد بالية خاطئة عرقلتها عن السير فى الطريق الصالح الذي تدعوها اليه حضارة القرن العشرين، لتعيش حياة راقية فاضلة ، الفتاة .. المغربية المثقفة دخلت ميدان التعليم ثم الوظيف فاعتقدت بذلك انها وصلت النهاية ، تحررت ماديا وظاهريا ولم تتحرر فكريا وعقليا وجوهريا .

وناهيك بفتاة تعتبر نفسها مثقفة حين نالت شهادة عليا عندما تجالسها وتحادثها تجد فى تفكيرها ومناقشتها بساطة ان لم اقل جهالة ، وقد يعوزها النقاش عن ابسط الحقائق او المواضيع الثقافية ، فاحرى بها ان تكون اديبة مرموقة . والواقع اذا كان يشهد ببطء سير حركتنا الادبية من طرف الادباء فهو بجانب الاديبات يشهد بالعقم ، والغريب ان نفس النظرة اذا القيناها من زاوية الشرق نجد نفس الوضع خلو عدة بلدان عربية من عنصر الاديبات وان كان هناك البعض منهن ممن فرضن وجودهن، لكن مع ذلك فاديبات المغرب بالنسبة اليهن لا شيء ، وانني فى معرض حديثي القصير اريد ان انتهز الفرصة لاقول بان هناك اقلاما تتحرك .. وافكارا تختلج ، وشعورا ينبض لكن كلها تعيش مغمورة فى وحدتها ، وبين طيات حدودها الضيقة . لا تتعداها الى مجال اوسع، وهذا له سبب واحد واضح هو عدم فتح الابواب امام هذه الزهور المتفتحة ، وهذه الاقلام المتحركة لتعبر عن نشاطها وموهبتها ، ومتى وجد المجال فلا شك فى انه سيعطي صورة ناطقة لوجود نتاج ادبي سائر فى طريق الاكتمال ، ولا شك سيكون لهذا حافز اخر للنهوض به وهو التنافس فى الكتابة وابداء الاراء والمناقشات ، وطبعا هذا هو الطريق لاختيار المواهب وتنميتها ، وكل نتاج ظل طي الاهمال او الاختفاء بين الرفوف لا يعرفه احد حتى ولو كان جيدا . ما دام لم يبرز للوجود ..

اللسان العربي

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية العدد الثالث من مجلة « اللسان العربي » التي تعتبر مجلة دورية للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربي .

ويعتبر هذا العدد الثالث من اللسان العربي مجلدا ضخما ، اذ تبلغ عدد صفحاته 356 .

وقد ساهم فى تحريره كل من الاساتذة السادة علال الفاسي ، وعبد العزيز بنعبد الله ، وعبد الرحيم بدر ، وابراهيم السامرائي ، وعبد الحق فاضل ، وادريس الكتاني ، وجمال حمدي ، وعبد الحميد ابراهيم ، ومحمد السلاوي ، والحسن السائح ، وانور الجندي ، ومحمد العلمي .

الهند ..

توصلنا من النادي الادبي بواسطة المعتمد الاستاذ محمد ساجد برسالة تشير الى ان طلبة دار العلوم قد اسسوا ناديا لهم منذ ثلاث سنوات تحت اشراف الاستاذ وحيد الزمان الكيرانوي، ويضم هذا النادي 180 عضوا يجتمعون كل اسبوع لالقاء الخطب والمقالات .. وقالت الرسالة :

« .. لقد تمتعنا برؤوية مجلة « دعوة الحق » الغراء التي وجدناها عند بعض اصدقائنا طلبة افريقية فرغب جميع اعضاء النادي فى الاستفادة بالمجلة ، نرجو من سيادتكم ان تتفضلوا بارسالها الى النادي .. »

واننا سنلبي رغبة اصدقائنا اعضاء النادي الادبي الهندي وسنبعث للنادي مجموعة من هذه السنة ، وعددا من المجلة عند صدوره فى المستقبل .

دمشق ...

بعث البنا الكاتب اللامع المحقق الثبت الدكتور زكي المحاسني برسالة تعبق بالاكبار والتقدير لعملنا الموصول فى خدمة الثقافة والعروبة والاسلام .

ونقتطف من هذه الرسالة العبارة التالية :

« .. اني لمست العمل الدائب وراء كل صفحة من صفحاتها اللوامع الجميلة واخراجها الانيق الرائع ، وموادها الفنية، وقد صرت ارتقبها لافرح بوصولها ، فاخرجها بيدي من صندوق البريد ..

موسكو والاخر السيد كوفاليف رئيس كرسي اللغة العربية في نفس الجامعة ، ونلخص فيما يلي اهم ما احتواه هذا البحث :

« ان معجم الفيزياء والرياضيات الذي وضعته الشعبة الوطنية للتعريب يبرهن على ان مسايرة اللغة العربية للتطور العلمي والتقني صار من الامر المحقق في بلدان المغرب العربي ، وهذا يكذب عمليا مرة اخرى النظرية القائلة بقصور اللغة العربية عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة . » ان هذا المعجم يستحق كل ثناء واهتمام ، ومن الطبيعي أن ينهج نفس الطريقة المتبعة الى حد الان في البلاد العربية وبالخصوص في مصر وسوريا والعراق وتتلخص في مبادىء اربعة :

1 » وضع الكلمة تبعا للقوالب العربية .

2 » الاقتباس من المصطلحات الاجنبية .

3 » النقل طبقا للاساليب السيميائية العربية .

4 » النحت .

واهما حسب نظريتنا القواعد الثلاث الاولى التي تستحق ان تفضل على غيرها لمرونتها في الحقل العلمي، ان دراسة عميقة لهذا المعجم ومقارنة الفاظه بالمصطلحات المستعملة في بقية القواميس التي سبقته الى الوجود تبرز عدة اختلافات حيث ان للمدلول الواحد الفاظا مختلفة كما ان طريقة وضع الكلمة متباينة وهذا ليس بجديد حيث ان اختلافات من هذا النوع معروفة كذلك في اللغات الاخرى فيما يخص المصطلح العلمي فبالاحرى اللغة العربية التي ما زالت حديثة العهد بهذا الفن .

على انه لا يمكن عمليا حل مشاكل وضع الكلمة العلمية والتقنية العربية دون اعتبار التطور العام للبلاد ودون استعمال اللغة العربية في الشؤون العامة بين الاهالي ودون ان تستعمل كذلك في جميع مراحل التعليم وخصوصا منه التعليم العالي وباختصار في الحقل العملي .

ولا شك ان استقلال البلاد يفتح مجالات واسعة للغة القومية وتبرهن التجربة على ان استخدام ما استجد من مستحدثات « ءالات واجهزة ومدارك ومفاهيم » يفرض وجود هاته اللغة سواء كان المصطلح عربيا او مقتبسا من لغات اخرى .

ومهمة المعجم بصفة عامة هي ترتيب وتقنين للمصطلح وبالنسبة للدول العربية الاخذة في تعريب تعليمها هي التوصية باستعمال الفاظ علمية جديدة ، والمعجم الذي نتحدث عنه يلبي هذه الرغبة باكمل صورة ونعتقد انه خطا باللغة العربية خطوة جديدة نحو تسوية مشكلة الازدواجية بالنسبة للغة العربية في بلدان المغرب العربي .

• ان محرري هذا التعليق ليس بوسعهم تقديم نقد دقيق عن مصطلحات هذا المعجم اذ ذلك من اختصاص فقهاء اللغة العربية الذين لهم حنكة كبرى في هذا الميدان يستطيعون بفضلها ان يقروا صلاحية او فساد هذه الكلمة أو تلك غير أن هذا المعجم يستوفي على العموم متطلبات علم اللغة الحديث لمنجزات كهذه .

* * *

تعقيب الاستاذة عتيقة الادريسي من مدينة مراكش على موضوع :

حاجة حياتنا الادبية الى عنصر المراة

الاستاذ عبد العلي الوزاني

من بين المواضيع القيمة التي تطالعنا بها مجلتنا المغربية الخالدة « دعوة الحق » هذا الموضوع الذي اثار انتباهي واهتمامي « حاجتنا الادبية الى عنصر المراة »

ـ الحقيقة انني عندما كنت اقرا هذا الموضوع الموفق شعرت في نفسي بدافع غريب حداني .. لاحمل القلم واخط كلمات متواضعة تعبيرا على مدى تقديري واحترامي لحضرة هذا الاستاذ الجليل الذي ابت عليه رغبته السمحاء الا ان يتناول بالدرس والعلاج والتمحيص موضوعا هاما جدا فكان له ابلغ الاثر في اعماقي ، وخلال تتبعي للمراحل الشاملة والجوانب الاساسية لخلو نتاجنا الادبي المغربي من عنصر المراة التي تحدث عنها الاستاذ الجليل كنت خجولة جدا جدا من نفسي اذ تلك هي الحقيقة التي لا تنكر ، والواقع يشهد بصحتها ، ويعتبر البرهان الساطع لصدقها .. فالفتاة المغربية حتى ولو كانت متخلفة الثقافة اذا اخذت هذا دليلا للتملص من وجودها في الميدان الادبي ، وبعدها عن المشاركة في قيادة حركته بجانب اخيها الرجل فهذا لا يعد دليلا موثوقا به لانها ادركت ما فاتها واصبحت تلج الميدان

نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

توجـه معالي وزير عمـوم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش فى شهر يوليوز الى دار زهيرو بفحص طنجة بمناسبة افتتاح القسم الداخلي لمدرسة الروايات السبع .

ولقـد القى معاليه خطبة جامعة على الطلبـة ، والحاضرين للحفل القرآني الكريم الذي اقيم بهـذه المناسـبة الكريمـة .

ويسرنا ان نثبت هذا الخطاب القيم التوجيهـي الذي نعرض فيه معالي الوزير للاهمية العظمى التـي القـرآن الكريم ولحفظه برواياتـه :

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب تبصرة لاولي الالباب ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائـه ، الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب .

ايها السادة الافاضل ، معشر القراء المحترمين، السلام عليكم جميعا ورحمة الله . وبعد ، فغير خاف عليكم ان القـرآن العظيم ، هـو روح الامة الاسلامية بحفظه وتدبره ، والعمـل بما فيـه ، كانت حياتها ، وعظمت فى الوجود قيمتها ، وقويت شوكتهـا ، حتى رهبها الاعداء ، وساد بهدايته المومنون الاوفياء ، وبلغ غاية الفضل فى امة سيدنا محمد حفـاظ القـران المشتغلون بتعلمه وتعليمه العاملون بما فيه من احكـام واخلاق ، كما قال الرسول عليه السلام : « خيركم من تلعم القرآن وعلمه » ، وقال ايضا ، من حديث صحيح: « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتـاب الله ، ويتدارسونه بينهـم ، الا حفت بهـم الملائكـة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » . وهذا ما نرجو جميعـا ان يغمرنا فى هذا الحفل القرآني المبارك .

ونظرا للاهمية العظمى التي للقرآن ، ولحفظـه برواياته ، سواء من جهة التعبد بتلاوته ، او من جهة الاعتماد عليه فى عقيدة التوحيد والاخلاق ، والاحكـام واستنباط فروع الفقه الاسلامي منه ، سهر المومنون الصادقون على حفظه وتجويده ، واتقـان رواياتـه بتوفيق من الله وتأييده ، حتى يبقى كتاب الله شائعا فى الامة ، محفوظا فى صدورها ، مصداقا لوعـد الله الصادق حيث قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا لـه لحافظون » . وهذا ما جعل عظماء الامة شرقـا وغربا ورؤساء الدول الاسلامية يعنون عناية خاصـة بحفظ القرآن وحفاظه حتى بنوا له المدارس والمعاهد فى مختلف الانحاء ، ولا زال البعض منها موجودا حتى الآن ، كمدرسة السبعيين بفاس ، بـل لازال البعض منها قائما على مهمة حفظه برواياتـه كمدرسة سيدي الزوين وغيرها بالمغرب ، كما ساهم علما المغرب بحظ وافر فى التآليف الخاصة بقواعد قرآءاتـه وتجويـده وما يتبع ذلك .

واذا كان امير المومنين مولانا الحسن الثانـي نصره الله وايده ، يولي عناية خاصة لحفاظ القرآن ، ويصدر تعليماته بتشييد مدارسه واحياء معاهـده ، فانما يجري على سنن اسلافه المقدسين القيمين على العناية بكتاب الله تعالى ، ومن ذلك امره الكريم باتمام هذه المدرسة التي تحمل اسم ولي عهده الامير سيدي محمد اصلحـه الله واقر به عين والده العظيـم . واني اتشرف بتنفيذ تعليمات جلالته بافتتاح هـذا القسم الداخلي فيها ، راجيا المولى سبحانه ان تزيـد هذه المدرسة مع الايام تقدما وازدهارا ، كما يسرنـي

ان ابلغكم باسم جلالتـه تحياتـه الابوية وسروره وابتهاجه بحسن قيامكم ، ورضاه الكريـم عن عملكم ، حفـظ الله مولانا حامي حمى الوطن والدين سنـدا القرآن ، وراعيا امينا لحفاظه ورواتـه .

كما اني شخصيا مسرور بنتائج عملكم فى هـذه السنة ، حيث اثمر هذا الفرس الكريم الذي هو مـن الخطط الرشيدة التي خطها صاحب الجلالة حفاظـا على كتاب الله ، وصيانة لاصل شريعة جده المصطفى عليه السلام ، وسأبلغ جلالته هذه النتائج الطيبة التي تسر كل مومن ، ولاشك انه سيزداد سرورا بجهودكم

عزيزي الاستـــاذ ..

ارسل اليك الان مقالي الجديد « هموم النقـــد » المهدى الى الاستاذ عبد المجيد بن جلون ، الخــــاص بمجلتكم الحبيبة ، راجيــا العناية فى الطبع .

واصدقك القول اني حين كتبته ، وجدته نفحة من روحي .. سل الاستاذ الكبير صديقي عبد اللــه كنـــون يحدثك عني وعن ودي للمغرب الحبيب، وشوقا الى ربوعـــه الفينانـــة ..»

المغـــرب ...

القنيطـــرة

لقد ابدى صديقنا الاديب النشيـــط الاستـــاذ السيد ابراهيم السولامي نشاطا للعمل معنا واظهـــر استعدادا لاجراء مقابلات ادبية وعلمية مع اصحـــاب الفكر والتاثيـــر فى بلادنا سيقصرها على مجلة « دعوة الحـــق » وباسمها .

والحقيقة انه لا يخفى ما لهذه المقابلات مـــن فضل ، فهي علاوة على انها باب منتظم ، فستكـــون منبرا لعرض افكار وحيوات الذين لا يكتبون الا النزر ونكاد لا نعرف عن حياتهم شيئا .

زيـــارات واتصـــالات ..

زارنا فى الايام الاخيرة فى مكتبنا كل من الدكتور نقـــولا زيادة الاستـــاذ بالجامعة الامريكية ببيروت ، والدكتور احسان عباس بجامعة بيروت الامريكيـــة ، صحبة الاستاذ السيد محمد بنشريفة ، وقـــد دارت هذه الزيارة الوديـــة فى جو من الادب ، والمتع الفكرية وتبادل الراي .

ومن المعلوم انه نظمت بالمغرب دورة تربويـــة لمعلمي السلك الابتدائي تحت اشراف وزارة التربيـــة الوطنيـــة والوكالة الامريكية للتنمية الدوليـــة .

وقد اشترك فى هذه الدورة حوالي 60 معلمـــا مغربيا تلقوا محاضرات فى التاريخ والادب ، القاهـــا بعض رواد الفكر والتربية فى العالم العربي حضـــروا الى المغرب من بيروت خصيصا لهذه الدورة وهـــم الدكتور نقولا زيادة والدكتور احسان عباس، والدكتور مالك بدري والدكتور بطرس مراد .

ونشير الى ان الجلسة الاولى من هذه الحلقة قد انعقدت بمحضر رئيس ديوان وزير التربيـــة الوطنية والشبيبة والرياضةوالفنون الجميلة كمندوب عن هذه الوزارة ، والسيد ادامس جونز رئيس القسم البيداغوجي بالسفارة الامريكية .

وقد القى كل من السيد بنكيران والسيـــد جونز والدكتور نقولا زيادة كلمات بالمناسبة تحدثـــوا فيها عن اهمية هذه الدورة والجوانـــب الثقافيـــة والتربويـــة منهـــا .

« والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل »

بعث الينا كثيـــر مـــن اخواننا الكتاب الاماثـــل الذين يساعدوننا بمقالاتهم وابحاثهم فى مجلتنا يعتبون على تاخير كتاباتهم فى ترتيب مواد المجلـــة .

ونحن نحيط علم اخواننا الكتاب الذين قد غضب البعض علينا منهم بان للمجلة ابوابا منها ما هو خاص بالدراسات الاسلامية ، ومنها ما هو خاص بالابحاث والمقالات ..

فلا يضير اي كاتب اذا تاخر مقاله فى الترتيب :

فالشمس راد الضحى كالشمس فى الطفـــل

دعـــوة الحـــق

الاسلامية فكرت في استغلال الارض الكائنة بين الاشجار التي لايقل سنها على اربع سنوات .

وهكذا أبرمت عدة اتفاقيات مع الفلاحين الراغبين في استعمال المزرعات التي لاتستنزف الارض بل تساهم في تحسين تركيبها الكيماوي . وقد حصلت الوزارة على ريع هام من بيع واجبها الناتج عن هذه المزرعات بعدما سلمت لمنتجيها قسطه حسب النسبة التي تم الاتفاق عليها في اول الامر .

كما ان هذا المشروع احيط بجميع الاحتياطات فيما يرجع للمحافظة على دائرة شاغرة حول كل شجرة لايقل شعاعها على متريـن ولالزام مستغلي الاراضي الحبسية باستعمال جميع الاسمدة الضرورية

ومن جهة أخرى فان هذه الاعمال تسببت في تشغيل عدد كبير من العملة يقدر بالمآت ، فمنهم من عمل بصفة موقتة عند اجراء عملية التشجير ، ومنهم من يشتغل بصفة دائمة للقيام بعمليات الحراسة والسقي والحرث بين الاشجار والتجفين والتقليم والتسميد ومقابلة مطارح النقلة .. الخ ...

ولا ريب في ان اهمية مجهودات الوزارة في هذا المضمار تتضح ازاء اتساع نطاق التشجير الذي اصبح يضم مساحة 53ر6122ه من بينها 2000 هكتار خاصة بالغابة والباقية المقدرة بـ53ر4122ه تشتمل على اشجار من انواع الزيتون واللوز والبرتقال والمشمش .

قسم الشؤون الاسلامية :

تأسيس مدارس دينية بالمغرب الشرقي

في نطاق النشاط الهام الذي يقوم به قسم الشؤون الاسلامية فقد توجه الكاتب العام للشؤون الاسلامية الاستاذ الحاج عبد الرحمان الدكالي الى مدينة وجدة التي عقد بها جلسة عمل مع المسؤولين المحليين بقصد تأسيس كتاتيب نموذجية ، ومدارس لتعليم القراءة ، ولاحياء المدارس العلمية التقليدية .

وقد عبر سيادة الكاتب العام عن اهتمام صاحب الجلالة نصره الله بشؤون العلم والدين .

وهكذا فقد تم الاتفاق اثناء هذه الجلسة مع السلطات المحلية على احياء المدرسة العلمية بمدينة بركان ، وعلى تأسيس كتاب نموذجي بمدينة وجدة ؛ على ان تؤسس مثل هذه الكتاتيب في باقي المناطق الاخرى .

وفي يوم الاربعاء 13 ربيع الثاني 1385 وصل الكاتب العام الى مدينة الحسيمة حيث عقد اجتماعا بمقر العمالة مع رجال السلطة المحلية في مقدمتهم عامل الاقليم ، وباشا المدينة ، وناظر الاحباس ، وفضيلة القاضي ، ونائب مندوب وزارة التعليم .

وقد تقرر تنفيذا للتعليمات السامية لجلالة الملك نصره الله انشاء معهدين علميين لدراسة العلوم الدينية في كل من مدينة تاركيست ، ودائرة بني ورباغل .

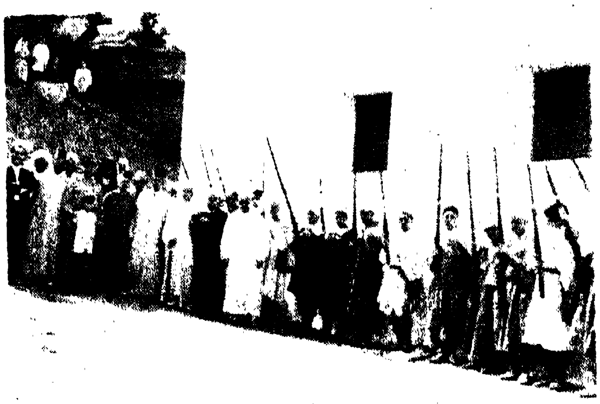
المتواصلة لاتقان كتاب الله وحفظ رواياته ، وفقكم الله وزاد فى معناكم ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

* واوفد صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش قصد تمثيل جنابه العالي بالله فى المهرجان الديني الحافل الذي يقام كل سنة بمدينة زرهون حاملا معه صلة ملكية على العادة المتبعة ، وذلك بمناسبة موسم المولى ادريس الاكبر رضي الله عنه .

تدشين مسجد تلفزة بقبيلة الجاية

قامت وزارتنا بتشييد مسجد بتلفزة من قبيلة الجاية باقليم فاس .

ويدخل هذا العمل التدشيني لهذا المسجد في دائرة البرنامج الواسع النطاق التي اعدته وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من صاحب الجلالة والمهابة امير المومنين الحسن الثاني نصره الله وايده الذي يولي عناية خاصة لشؤون الدين وتقوية الجانب الروحي فى هذا البلد المسلم الامين ، والعمل على تلبية رغبات شعبه المتعلق باذيال عرشه الشريف فى هذا الميدان بتشييد مساجد فى مختلف انحاء المملكة .



منظر آخر من مناظر الاحتفال بتدشين مسجد تلفزة بقبيلة الجاية يوم 2 يوليوز 1965

ولقد اوفد معالي الوزير رئيس قسم الوعظ والارشاد فى هذه الوزارة الاستاذ السيد محمد الطنجي ليقوم نيابة عنه بتدشين هذا المسجد ، حيث ادى المومنون صلاة الجمعة ، وابتهلوا الى الله العلي القدير بان يحفظ لهذه الامة راعيها الامين ، وحارس مقدساتها وامجادها صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني حفظه الله وايده .

تدشين مسجد بني عمار بقبيلة بني وراكن

قام صبيحة الجمعة تاسع ربيع النبوي الشريف عامه ناظر احباس احواز فاس بتدشين مسجد بني عمار قبيلة بني وراكن بناحية فاس ، التي قامت الوزارة ببنائه .

وقد حضر حفلة التدشين قائد القبيلة وعلماء تلك الناحية وعلينها .

وقد ابتهج السكان لهذا العمل الجليل حيث رفعوا اكف الضراعة والابتهال الى الله العلي القدير فى ان يحفظ ملكنا الهمام جلالة الحسن الثاني نصره الله .

فـي الميـدان الفلاحـي

لقد تميزت سنة 1965 من حيث استثمار الاراضي الحبسية الفلاحية باتساع نطاق تجهيز المزرعات بالوسائل الميكانيكية الحديثة ، وذلك لضمان خدمة الارض من حيث الحرث فى اوقات السنة المناسبة ، خصوصا عندما تكون الحرارة شديدة . وقد وجهت الوزارة عناية فائقة هذه السنة لبناء السواقي فى المزرعات الشاسعة التي يضيع فيها الماء بسبب تسربه داخل اعماق الارض او تبخيره تحت تاثير حرارة الشمس .

كما ان بناءات عديدة شيدت لايواء العملة المستغلين مع الاحباس . وحفظ الادوات الفلاحية والاسمدة والمزرعات من الاتلاف كما حفرت آبار لتوفير الكمية الضرورية من الماء لجميع الافراد القاطنين فى الاراضي الحبسية .

وفيما يرجع لتنمية المداخيل الفلاحية فان كثيرا من الممارسات القديمة قد بدأت تفل ، فتضاعفت مداخيلها الشيء الذي يبشر بالخير ويفتح آفاقا جديدة للاحباس فى المستقبل حيث ستصبح ان شاء الله قادرة على تحمل اعباء النفقات الضخمة الراجعة لبناء واصلاح المساجد واداء رواتب الموظفين الدينيين، وتشييد عمارات ، وتشجير اراض ، وبالاضافة الى تنمية مداخيل الاشجار فان وزارة الاوقاف والشؤون

لحث المواطنين وتبصيرهم بمزايا تعلم القراءة والكتابة من الناحيتين الشخصية والوطنية .

* عثر علماء الاثار وهم يقومون فى جبال لهافر فى الصحراء الجنوبية على بقايا رجل وطفلين يعود تاريخهما الى حوالي 5 000 سنة . وقال العلماء الذين يعملون بالاشتراك مع معهد ابحاث الصحراء فى جامعة الجزائر ان العثور على عظام اسماك كبيرة ، وعلى بقايا اخرى يدل على ان الهياكل البشرية الثلاثة تعود الى الفترة التي جفت فيها المنطقة واصبحت صحراء .

* تقرر خلال المناظرة الدولية للفولكلور التي انهت اشغالها مؤخرا فى قرطاج بتونس تأسيس منظمة دولية للفولكلور . وكانت هذه المناظرة قد انعقدت فى اطار المهرجان الدولي الثالث للفولكلور الذي نظم من 29 يوليوز الى 31 منه ، كما تقرر اختيار العاصمة التونسية مقرا دائما للامانة العامة لهذه المنظمة التي ستصبح تابعة لليونيسكو .

* اعلن ان خبراء الاثار التونسيين يأملون العثور فى تونس على بقايا الانسان ما قبل التاريخ الذي عاش قبل مليون سنة تقريبا . ويعمل فريق من علماء الاثار الان على دراسة ءاثار عثروا عليها اخيرا فى الكاف على بعد حوالى 300 كلم الى الجنوب الشرقي من العاصمة حيث اكتشف ءاثارا من العصر الحجري شبيهة بتلك التي سبق وعثر عليها فى المغرب والجزائر فقد عثروا على حوالي 800 قطعة من ادوات واواني حجرية فى اقل من اسبوع وعلى فيل وغزال متحجرة ، ومساكن قديمة جدا .

* وجهت جامعة ليبيا الدعوة الى بعض الاساتذة والمفكرين العراقيين لالقاء محاضرات على طلبة الجامعة فى السنة الدراسية القادمة .

* فى استفتاء قامت به ادارة المكتبات بمصرتبين ان القصص تفوز باكبر نصيب من اقبال القراء . فقد بلغ عدد القصص المعارة 8516 مجلدا تمثل 41ر8 فى المائة من مجلدة الكتب المعارة . ويلي القصص فى الترتيب كتب الجغرافية ، والتراجم ، والاداب ، والعلوم الاجتماعية ، والمعارف عامة ، ثم العلوم التطبيقية ، والعلوم البحتة . اما الفنون الجميلة واللغات فتأتي فى ءاخر القائمة . هذا بينما تمثل كتب الدين المكانة الاولى بين الموضوعات التي يقبل عليها سكان الريف .

* ترجم الاستاذ بكر عباس الى العربية كتاب « الانسان الحديث » لمؤلفه جوزيف وودكرتش .

* قام الاستاذان زياد عناب ، وشجاع الاسر ، بتعريب كتاب «النورة» لمؤلفه كرين برفتون ، ويشتمل على دراسة عن طبيعة الثورة وتركيبها ، ويعد مرجعا عن الثورا تالكبرى التي غيرت وجه العصور الحديثة.

* صدر فى القاهرة كتاب « المدارس الفلسفية » للدكتور احمد فؤاد الاهواني يتناول فيه مدارس الفلسفة الكبرى وخصوصا ما كان منها على صلة بالحضارة .

* يقوم الدكتور عبد الرحمن بدوي بترجمة كتاب عن الشاعر ابي العربي من العربية الى الاسبانية .

* ذكرت صحف القاهرة ان الجمهورية العربية المتحدة ستنضم الى اتفاق حقوق النشر الدولي الذي وقعته 88 دولة فى جنيف سنة 1952 ويعني هذا ان 400 000 جنيه استرليني من اجور حقوق النشرة مجمدة الان فى باريس ستدفع لكتاب ومؤلفين ومغنيين مصريين .

* صدر فى القاهرة كتاب بعنوان « حديث موسى بن عصام » وهو مخطوط من مخلفات ابراهيم المويلحي ، والد محمد المويلحي صاحب « حديث عيسى بن هشام » .

* المسرحية رقم 60 لتوفيق الحكيم صدرت فى خمسة اعداد من ملحقات جديدة « الاهرام » بعنوان « الورطة » والمسرحية فى خمسة فصول ، ومنظر واحد لا يتغير .

* الدكتور يوسف عز الدين ، امين المجمع العلمي العراقي ، سيصدر له فى القاهرة كتاب عن الشاعر العراقي الكبير الفقيد السيد خيري الهنداوي .

* صدر فى القاهرة جزء جديد من كتاب « دولة الاسلام فى الاندلس » ويشتمل على «عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس » لمؤلفه محمد عبد

أنباء ثقافية

* صدر اخيرا ديوان للشاعر محمد الحلوي « انغام واصداء » فى 220 صفحة قامت بطبعه دار السلمي بالبيضاء .

* صدر للاستاذ عبد الهادي التازي ، سفير المغرب فى الجمهورية العراقية كتاب « تأريخ المن بالامامة » لمؤلفه عبد المالك بن صاحب الصلاة . وقد قام الاستاذ التازي بتحقيق هذا الكتاب الذي استخرجه من مخطوط من اكسفورد لنيل دبلوم الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس . وقد قام بنشر الكتاب دار الاندلس بيروت .

* صدر للاستاذ عبد الكريم غلاب كتاب جديد بعنوان « مات قرير العين » .

* اصدرت مجلة « المجلة » القاهرة فى صفحتها الاولى دراسة للاستاذ كنون عن « مساهمة المغرب فى تقدم الثقافة العربية » قال فيه : « ان الشرارة التي اعدت المغرب الاوربي فأقامت فيه هذه المدنية الحديثة ، انما انبعثت من الاندلس ، فان فلسفة ابن رشد وابن طفيل ، وابن باجة ، وابن زهر ، وطبهم هما اللذان فتحا اعين الاوربيين على حقائق العلم الصحيح ، ونتائج المعرفة المبينة على التجربة والمشاهدة » .

* شعبة موسوعة المغرب العربي التابعة للمكتب الدائم للتعريب منكبة الان على اعداد قائمة كاملة بالمواضيع التي ستدرج فى حرف الالف من سلسلة المغرب الاقصى فى موسوعة المغرب العربي . وقد وزعت هذه القوائم على الخبراء فى الداخل والخارج ليتكفل كل عضو باعداد بحث فى موضوع يحدد باتفاق معه . ويجب ان لا يتعدى هذا الموضوع اكثر من تسعة اشهر ابتداء من السنة الدراسية المقبلة . ليشرع فى طبع الجزء الاول من الموسوعة فى بداية السنة الدراسية 66 ـ 67

* تكرس جمهورية مالي الان طاقة جبارة منظمة للقضاء على مشكلة من اهم المشاكل وهي مشكلة الامية، ففي هذه البلاد تبلغ نسبة الاميين حوالي 85٪ من السكان . ولكن هؤلاء سيعتمدون منذ الان على المعاونة الصادقة الفعالة التي سيقدمها مواطنوهم ممن يعرفون القراءة والكتابة ، وتبلغ نسبتهم 15٪ من اهل البلاد .

هذا ، وسيشترك فى هذه الحملة الوطنية اشخاص من مختلف الطبقات والاتجاهات وذلك فى نطاق السنوات الخمس للتنمية الاقتصادية « 1961 ـ 1966 » . ويقضي هذا المشروع بان يساهم كل فرد متعلم فى البلاد بتعليم مواطنيه الذين لم تتح لهم فرصة تعلم القراءة والكتابة . وهذا ما يفعله الجميع الان عن رضى وطواعية .

ولا يقتصر المشتركون فى هذه الحملة على معلمي المدارس فحسب ، وانما نجد بينهم اعضاء فى حركات الشباب ، والمنظمات النسوية ، والجمعيات التعاونية ، وعمال الفنادق والمصانع والفلاحين ، بل ورجال الجيش كما نظم ايضا لنفس الغرض برنامج اذاعي مدرسي ، يقدم كل مساء ، طوال ايام الاسبوع السنة ، كل العام ما عدا شهرا واحدا .

وعهد بهذه الحملة الوطنية المكافحة للامية الى وزير التعليم الذي يتولى ايضا مسؤولية الاذاعات المدرسية . هذا بينما تولى الحزب الوطني فى مالي وهو « الاتحاد السوداني » مسؤولية تعبئة القوى الضرورية لتنفيذ البرنامج ، عن طريق اعضائه المنتشرين فى كل الانحاء ، حتى اصغر القرى والمواطن النائية . وبدأ الاتحاد العمل بتنظيم حملات واسعة

* اول قاموس جديد للمصطلحات الاقتصادية ، يقوم فى الوقت الحاضر بوضعه محمد حسن الجمل رئيس ادارة شركة الشرق للتامين .

* وافق مجلس جامعة القاهرة على شراء مكتبة المرحوم الدكتور صقر خفاجة عميد الاداب الراحل، والتي تضم مؤلفات نادرة فى الدراسات الاوروبية القديمة ، واطلاق اسم الدكتور صقر خفاجة على « مدرج » بكلية الاداب . . ارجأ المجلس النظر فى اقتراح لكلية الاداب بفتح اكتتاب لجائزة تحمل اسم الدكتور صقر خفاجة لاول خريجي قسم الدراسات الاوربية القديمة .

* وحدة اليونسكو بالقاهرة ، وقسم التصوير بدار الكتب ، انتهيا من تصوير مليون ونصف مليون صحيفة من المخطوطات والكتب النفيسة .

* تحت اشراف شرطة الاسكندرية سيتم نقل مكتبة عباس محمود العقاد الى القاهرة حيث تضم الى مكتبة فى القاهرة حتى ينتهي النزاع القائم حولها .

* صدر فى القاهرة للدكتور حسين مؤنس كتاب عنوانه رحلة الى الاندلس : « الفردوس الموعود » .

* اتم الدكتور انور لوقا ، ترجمة كتاب « الفتنة الكبرى » للدكتور طه حسين الى اللغة الفرنسية وراجعه الدكتور طه حسين .

* تم اعلان عن مسابقة فكرية باسم « عباس محمود العقاد » تقام كل سنة وتوزع جائزتها على الفائز من مختلف اقطار البلاد العربية .

* تصدر دار « عالم الكتب » بالقاهرة كتابا جديدا عن المرحومة الانسة مي زيادة بعنوان : « مي اديبة الشرق والعروبة » كما سيصدر عن الانسة مي للاديبة السورية المعروفة السيد وداد سكاكيني .

* صدر فى القاهرة كتاب « العرب فى صقلية ودورهم فى نشر الثقافة الاسلامية » ليوسف حسن نوفل . وهو البحث الفائز بجائزة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . يوسف نوفل فاز بعدد من جوائز المجلس الاعلى للفنون وقد نقل من وزارة التربية الى وزارة الثقافة .

* صدر فى القاهرة الجزء الثاني من كتاب « دراسات فى الرواية المصرية » للدكتور علي الراعي بعد ان صدر الجزء الاول منذ شهور .

* المسابقة الادبية الجديدة للمجمع اللغوي بالقاهرة موضوعها « توفيق البكري : حياته وادبه » وءاخر موعد للاشتراك فيها منتصف مارس 1966 والمسابقة مفتوحة للكتاب فى جميع البلاد العربية .

* ترجم فؤاد اندراوس كتاب « بونابرت فى مصر » تاليف كوستوفر هرولد وراجعه الدكتور انيس وستنشره الدار المصرية للتأليف والترجمة .

* ملحمة « عمر بن الخطاب » اطول ملحمة فى تاريخ الادب العربي كتبها علي احمد باكثير . وقد امضى فى الاعداد لها وتاليفها عاما كاملا . وتصور هذه الملحمة مراحل عصر عمر ابن الخطاب بجوانبه الاجتماعية والثقافية .

* صدرت بحلب رواية بعنوان « ثائر من بلدي» لابراهيم المرجاني ، وهي تحكي قصة ثورة العرب فى الثلاثينيات من القرن العشرين على السلطات التي سلخت لواء الاسكندرون فمنحته لتركيا .

* يقوم المعهد الفرنسي بدمشق بنشر كتاب « المعتمد فى اصول الفقه » لابي الحسن البصري من القرن الرابع .

* « رياح كانون » كتاب جديد صدر مؤخرا للكاتب السوري فاضل السباعي .

* ترددت فى الاوساط الادبية انباء عن قرب صدور ديوان جديد للشاعر نزار قباني .

* اهدى مجلس الشؤون الاسلامية بالعراق الى الكونجرس الاميريكي 14 مكتبة اسلامية تنضم الى المكتبات الرئيسية فى الكونجرس . وكان الكونجرس قد طلب الاشتراك فى الدوريات والمؤلفات التي يصدرها المجلس . وقد تم ارسال مكتبات كاملة الى الجونجرس .

* انتهى سلمان هادي الطعمة من تحقيق ديوان خطيب كربلاء الشاعر الشيخ محسن ابو الحب المتوفى عام 1369هـ وسيصدر قريبا .

الله عنان ، وهو العصر الثالث ــ القسم الاول « عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية » .

ويعرف القراء ان القسم الاول من كتاب « دولة الاسلام فى الاندلس » صدر سنة 1942 وقد صدر خلال هذه الفترة للمؤلف ثلاث مجلدات تتضمن تاريخ الاندلس منذ الفتح الى نهاية دولة الطوائف ، ثم تاريخ المرحلة الاخيرة من دولة الاسلام فى الاندلس وهو تاريخ غرناطة حتى سقوطها ، ثم كتاب « نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين » واخيرا هذا الجزء

❋ صدرت فى بيروت للشاعر العراقي سعدي يوسف مجموعة شعرية بعنوان « قصائد مرئية » والشاعر سعدي يوسف يقيم الان فى الجزائر حيث يعمل مدرسا بموجب تعاقد مع الحكومة .

❋ توفى فى لبنان الشاعر سليم عواد عن 72 سنة .

❋ صدرت فى بيروت مجموعة شعرية جديدة لانسى الحاج بعنوان « ماضي الايام الاتية » وقد صدرت له سابقا مجموعتان : « لن » و « الرأس المقطوع » .

❋ «رياح وشراع» كتاب جديد لعبد الله حشيمة صدر فى بيروت ويضم 14 قصة من وحي التاريخ .

❋ صدرت فى بيروت مجموعة شعرية ونثر باسم « الديوان » للفقيد الشيخ يوسف زكريا من القضاة اللبنانيين . وقد قدم للكاتب الشيخ الياس خليل زكريا بمقدمة « خواطر وهواجس » كما قدم له الفقيد اميل لحود ، وهي المرة الاولى التي ينشر فيها شيء من ءاثار اميل لحود الخطيب والاديب وصاحب المدرسة الخاصة فى الدفاع القانوني . والديوان يقع فى 400 صفحة .

❋ « القصبة الخرساء » مجموعة شعرية صدرت فى بيروت للشاعر ايلي ناضر .

٪ « اجراس الصمت » ديوان جديد فى بيروت للسيدة كلثوم مالك عرابي ، يضم قصائد تصور نكبة فلسطين والمأساة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني . وقد سبق للسيدة كلثوم ان اصدرت ديوانها الاول بعنوان « مشردة » .

❋ تألفت فى بيروت لجنة من بعض النواب برئاسة النائب المحامي اديب الفرزلي للاحتفال بنقل رفات الفقيد الشاعر رشيد نخلة صاحب النشيد الوطني اللبناني الى الضريح الرسمي الذي اقامه له مجلس النواب . وستعلن اللجنة موعد الاحتفال ووقائعه وكذلك افتتاح المتحف الخاص باثار رشيد نخلة وكل ما يتعلق بتكريم اسمه وتخليد ذكره .

❋ « العهود المتعلقة بالوطن العربي 1908 ــ 1922 » تاليف وجيه علم الدين صدر عن دار الكتاب الجديد فى بيروت .

٪ «رحلاتي الى البلاد العربية » عنوان الكتاب الجديد الذي صدر فى بيروت تأليف فريد مخلوف .

❋ صدر فى بيروت لفؤاد رفقة ديوان « حنين العتبة » وهي قصيدة طويلة فى 17 اغنية . للشاعر مجموعة صدرت سنة 1960 بعنوان « مرساة على الخليج » . وفؤاد رفقة الذي يدرس فى المانيا انهى اطروحة الدكتوراه عن نظرية الشعر عند الفيلسوف الالماني مارتن هيدغر .

❋ يصدر قريبا كتابان جديدان للاستاذ خيري حماد :

اول هذين الكتابين : « الثورة » من تاليف حنة اراندت .. وهو يشتمل على واحدة من اوسع الدراسات واقيمها للثورات العالمية ، بعواملها ودوافعها ومنطلقاتها الفكرية ونتائجها فى التأثير على مجرى الاحداث العالمية .

والكتاب الثاني هو : « مذكرات الجنرال ديغول» .. الذي سيكون مرجعا تاريخيا ، ووثيقة يعتمد عليها فى تفسير كثير من الاحداث العالمية ، كما انه سيكشف جوانب كثيرة غامضة من قضايا عالمية معاصرة لعب فيها الجنرال ديغول دورا حاسما .

❋ صلاح الدسوقي محافظ القاهرة كتب مقدمة اول كتاب عن القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة .

❋ «الانسان روح لا جسد » اطول كتاب فى الدراسات الروحية فى الغرب والشرق فى 670 صفحة صدر للدكتور رؤوف عبيد .

5 ـ دور المراة الفلسطينية فى التنظم الشعبي .

6 ـ واشترك فى هذه المؤتمرات ممثلات من الاردن ، وقطاع غزة ، وسوريا ، ولبنان ، والكويت ، والجمهورية العربية المتحدة .

* يتجه اهتمام الهيئات التعليمية فى الباكستان اليوم الى ترغيب الطلاب فى دراسة العلوم . فقامت لجنة حكومية ، عام 1958 ، بدراسة الموضوع ، وقدمت توصيات معنية كان من اثرها ان اصبحت دراسة العلوم الان اجبارية فى جميع المدارس الثانوية . هذا كما انشئت اثنان واربعون مدرسة نموذجية ، تستخدم كذلك لتدريب مدرسي العلوم .

ويقوم مركز اقليمي عام فى كل اقليم من اقليمي الباكستان ، الشرقي والغربي ، باصدار الكتب المدرسية باللغتين البنغالية والاردية ، وكتب اخرى فى مختلف المناهج العلمية .

وتتلقى المدارس الخاصة والعامة فى الباكستان مساعدات لانشاء المعامل وشراء المعدات العلمية وسيكون فى الباكستان ، منذ الان الى نهاية عام 1965 18 مدرسة عادية مقابل 12 فى عام 1962 ، كما تنظم بالاضافة الى ذلك برامج خاصة فى عشر جامعات باكستانية .

هذا ما يقرره السيد ترافيس ، مفتش التعليم الاسترالي الذي اوفدته اليونيسكو الى الباكستان كمستشار للحكومة فى ميدان تدريس العلوم . وقد نشر الاستاذ ترافيس مقالا فى مجلة المعلومات ، التي تصدرها الشعبة القومية الاسترالية باليونسكو ، ابرز فيه ذلك الطابع الثوري فى هذا التوجيه الجديد . لقد ارتفعت مخصصات التعليم، فى ميزانية الباكستان من 3 ٪ عام 51 ـ 1952 الى 9,6 ٪ فى ميزانية 62ـ1963 .

* اختتم المؤتمر الدولي الثالث والثلاثون لاندية القلم اجتماعاته التي استغرقت اسبوعا فى يوغسلافيا باتخاذ قرار بالاجماع فيه المندوبون على اضطهاد الكتاب والادباء فى البرتغال .

* اصدرت اليونسكو دليلا جديدا بمثابة مرجع يحتوي على معلومات عن اكثر من 3500 منظمة علمية دولية تقوم اليونسكو برعايتها فى مجال التعليم والعلوم والثقافة والاعلام .

وهذا الدليل موضوع لخدمة المنظمات الدولية والمصالح الحكومية والمؤسسات التعليمية وكل الهيئات والافراد المهتمين ببرامج المبادلات بين مختلف البلاد والمناطق . وينقسم هذا الدليل على ثلاثة اقسام . يتالف القسم الاول من خمس مقالات تمهيدية تتناول المسائل التي تصدى لها الدليل : « الديبلوماسية الثقافية » «دور وسائل الاعلام» «الاتفاقيات الثقافية» « التعليم » « دور المنظمات غير الحكومية » .

اما التعليم الثاني فيحتوي على معلومات عن منظمات الامم المتحدة ، والمنظمات الحكومية وغير الحكومية . واخيرا قائمة بالاتفاقيات المتعددة الاطراف الموقعة بين الدول .

اما القسم الثالث ، وهو اهم الاقسام جميعا فيستعرض شون المنظمات وجوه النشاط والعمل فى 126 دولة . وتنقسم هذه كلها الى فصول حسب البلاد بينما قسمت الفصول الى ثلاثة اجزاء هي السكن واللغة والعملة والطلاب الاجانب ، ومنح الدراسة ، ووسائل الاتصال والاتفاقيات المتعددة الاطراف او الثنائية التي تربط بها البلاد .

* تتعرض الكتب الخليعة فى فرنسا لموجة من العداء الحاد من جانب الحكومة الفرنسية .

* نظم معهد التعليم التابع لمنظمة الاونروا واليونسكو فى بيروت هذا العام ، برامج دراسية يلتحق بها المدرسون العاملون فى مدارس ابناء اللاجئين العرب فى الاردن ولبنان وسوريا وقطاع غزة . وبدات سلسلة من الدفعات تتابع الدروس منذ شهر ابريل ، وكان عدد المدرسين فى هذه الدفعات 800 مدرس .

ويتم التدريس فى هذا البرنامج بنظام المراسلة بينما يقوم اساتذة المعهد بزيارات منتظمة الى المدارس لتزويد المدرسين فيها بالراي والمشورة اثناء متابعة الدروس .

ومما يذكر هنا ، ان هذا المعهد تم انشاؤه فى بيروت فى العام الماضي بفضل المعونة المالية التي قدمتها الحكومة السورية .

* صدر في بغداد كتاب لعبد الرزاق الهلالي عن الشاعر الفقيد باقرالشبيبي. كتب مقدمته الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي .

* الباحث العراقي الدكتور علي جواد الطاهر الاستاذ بجامعة الرياض بالسعودية حاليا اعد للطبع « ديوان الطغرائي » و « ابن سلام وطبقات الشعراء » و « محمود احمد السيد » رائد القصة الحديثة في العراق » و « في القصص العراقي المعاصر » كما سيعيد طبع كتابه « الشعر العربي في العصر السلجوقي » .

* صدرت حديثا مجموعةشعرية للشاعر العراقي بلند الحيدري بعنوان « خطوات في الغربة » .

* كتاب « المواسم الادبية عند العرب » لعبد الحميد العلوجي صدر في سلسلة الثقافة العامة التي تصدرها وزارة الارشاد العراقية .

* وافق المجمع العلمي العراقي على تقديم المساعدة لطبع ديوان السيد عبد الرزاق الهاشمي ، تحقيق الاستاذ عبد الله الجبوري .

* صدر في النجف الاشرف الجزء الاول من كتاب « معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء » لمؤلفه حجة الاسلام والمسلمين المرحوم الشيخ محمد حرز الدين ، وقد علق عليه حفيده الناشر محمد حسين حرز الدين .

ويضم هذا الجزء « 196 » ترجمة وافية لمن بدأ اسمهم بحرف « أ » حتى حرف « ظ » ويبدأ الجزء الثاني بترجمة من اسمه عبد الله . وقد نهج المؤلف في ترجمته للاشخاص نهج التحليل فذكر ترجمة الشخص « تاريخ ولادته ووفاته » ثم اساتذته ومؤلفاته واجازاته ونماذج من ادبه .

* الاستاذ المختار نويرات رئيس البعثة الثقافية الجزائرية التي زارت العراق يعد الان اطروحة يتناول فيها شعراء الشيعة في العراق . في القرنين الرابع والخامس للهجرة وقد اتصل ببعض اعلام الفكر والادب لاستكمال دراسة بعض الجوانب من اطروحته .

* الاستاذ ناجي معروف اصدر الكتاب السادس عشر من مؤلفاته في التاريخ . الكتاب يتناول عروبة المدن الاسلامية ويبرهن على ان العرب انشأوا نحو 250 مدينة في مختلف العهود الاسلامية .

* الدكتور صالح العلي عميد معهد الدراسات الاسلامية في جامعة بغداد انتهى من تحقيق كتاب « جزيرة العرب » للاصمعي . وسيصدر بمساعدة المجمع العلمي العراقي .

* سيترجم المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالعراق كتابا « في الايمان والاسلام » الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ويوزعه في قارتي اسيا وافريقيا الكتاب من تأليف احمد حسين

* صدر كتاب عن : اعلام الموسيقى والغناء العربي في المائة سنة الماضية وضعه فكري بطرس .

* صدر مؤخرا الجزء الثاني من كتاب « الصلة بين التصوف والتشيع » وهي الرسالة الجامعية التي الفها الدكتور كامل مصطفى الشيبي دكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبردج وليسانس في اللغة العربية من جامعة الاسكندرية ، ومدرس الفلسفة الاسلامية في جامعة بغداد « كلية الاداب » وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره .

وهذا الجزء يبحث في التصوف ومقومات الامامة في الولاية الصوفية والنظم والتقاليد الصوفية وصلتها بالتشيع . وقد ضم هذا الجزء المراجع المخطوطة والمطبوعة وفهارس الاعلام والمواضيع والفرق والجماعات والمصطلحات والايات والاحاديث والاشعار واخيرا فهرس الموضوعات

* يجري الان طبع دراسة عن الشاعر العربي عنترة العبسي ، بقلم الاديب الاردني المعروف يعقوب العودات المشهور بالبدوي الملثم ، وقد كتب مقدمة طويلة للكتاب الاستاذ محمد عبد الغني حسن .

* انعقد اخيرا في القدس مؤتمر المراة الفلسطينية واهتم المؤتمر بدراسة الموضوعات الاتية :

1 — الصهيونية حركة استعمارية عدوانية .

2 — دور المراة في الدعاية والتوعية الوطنية .

3 — موارد الوطن العربي كسلاح في معركة التحرير .

4 — عيوب المجتمع العربي التقليدي

* توفى فى لندن الاديب الروماني الكبير مائيلا جيكا عن عمر يناهز الثالثة والثمانين مخلفا وراءه مؤلفات فى علم الجمال .

* افتتح فى اول غشت الماضي مؤتمر للمسلمين فى لندن .

* كشف الحجارون وهم ينسفون فى محجر على بعد ميل من مدينة اشبونة كهفا فحصه علماء الاثار فوجدوا على جدرانه الصخرية صورا من ابدع ما خلفه الانسان الذي عاش فى العصر الحجري القديم المعروف بالباليولبثي وقدرواعمرالكهف ما بين 15000 و20 000 عاما مضت . ولكنه اقرب الى العشرين الف وتشتمل الصور المكتشفة فى هذا الكهف على طبيعة ساحرة وصور حيوانات شتى ، ومن بينها صور للمواشي . وفى رايهم ان الكهف كان فى اول مرة مقاما مقدسا ثم تحول الى مقبرة .

* اصدرت دار الطبع والنشر للشبيبة فى موسكو ، كتابا جديدا بعنوان : « الانسان العاقل » الفه فلاد ميركيلر . حلل فى هذا الكتاب منجزات العلم التي يعتقد الكاتب انها ستصبح حقيقة واقعة فى الحياة البشرية خلال الاربعين سنة القادمة .

ويعتقد فلاميركيلر ان الانسان سيتمكن ، خلال هده السنوات من بناء اول مدينة فوق سطح القمر ، كما سيتغلب على مرض السرطان ، وسيكتشف مصدرا للطاقة لا ينضب .